المجلد الاول من نفح الطيب عدد ٣

القسم الاول فيما يتعلق بالاندلس من الاخبار المترعة الاكواب وفيه ثمانية ابواب ٣٣	الباب الاول في وصف جزيرة الاندلس ٣٣	احوال اشبان بن طيطش ملك الاندلس ٣٥	طلويش بن بيطه ٣٦
خشندس ملك القوط ٣٦	رخص العنبر ٣٩	عبد الوهاب بن حسين بن جعفر الحاجب من امراء الاندلس ٤٩	قواعد اهل الاندلس في الوزارة وغيرها ٥٥
الباب الثاني في القاء بلاد الاندلس للمسلمين القياد وفتحها على يد موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد ٥٨	ولادة موسى بن نصير ٧٤	من دخل الاندلس من التابعين ٧٦	القاضي ابو المطرف بن عميرة ٨٣
عبد الرحمن بن هشام بن عبد الملك بن مروان ٧٨	الباب الثالث في ذكر بعض ما كان للدين من العز السامي العماد وفيه ذكر دولة بني امية ٨٧	ولاية هشام بن عبد الرحمن الداخل الاموي ٨٩	ولاية الحكم بن هشام الاموي ٩٠
ولاية عبد الرحمن الاوسط بن الحكم الاموي ٩٢	عدد اولاد عبد الرحمن المذكور ومآثره ٩٣	ولاية الامير محمد بن عبد الرحمن الاموي ٩٣	ولاية الامير عبد الله بن محمد الاموي والملك الناصر لدين الله ٩٤
هدية الوزير بن شهيد للملك الناصر ٩٥	ابو علي البغدادي القالي ٩٨	منذر بن سعيد البلوطي ٩٩	الفقيه ابو ابراهيم ١٠١
ولاية المستنصر بالله الحكم ١٠٢	وفات الملك الناصر ١٠١	الكتب التي جمعها الحكم ١٠٣	وفات الحكم وولاية ابنه هشام صغيرا ١٠٦

نبذة من اخبار محمد بن ابي عامر ١٠٦	وفات ابن عامر وقصة الجوهري التاجر ١٠٨	غزوة مدينة شنت ياقب ١١١	ولاية عبد الملك ١١٤
خلع هشام وولاية ابن هشام المهدي ١١٥	ابن حمود الحسني الملقب بالناصر ١١٦	محمد بن ادريس المستعلي ١١٧	انقطاع الدولة الاموية ١١٨
عبد المؤمن بن علي ١١٩	الغني بالله محمد من بني الاحمر ١٢١	اوصاف قرطبة ١٢٣	الاسباب في سلب محاسن قرطبة ١٢٩
ولاية القاسم ١٣٠	ولاية المستظهر ١٣١	المصحف العثماني ١٦٣	ترجمة العلامة الكبير ابي محمد بن السيد البطليوسي ١٧٣
الباب الخامس في التعريف ببعض من دخل من الاندلس الى بلاد المشرق ومنهم عبد الملك بن حبيب السلمي ١٨٧	الفقيه المحدث ابن يحيى الليثي راوي الموطأ عن مالك ١٨٨	القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى ١٨٨	اسمعيل الابذي ١٨٩
القاضي منذر بن سعيد البلوطي ١٨٩	عتيق بن احمد الدمشقي ١٨٩	العلامة الامام ابو القاسم الشاطبي صاحب حرز الاماني ١٩١	القاضي ابو بكر بن العربي ١٩٢
جمال الدين ابو عبد الله شيخ ابي حيان ١٩٧	محمد بن ابي عامر الغافقي ١٩٧	زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون ١٩٧	سوار بن طارق ١٩٧
بقي بن مخلد الشهير الذكر ١٩٧	قاسم بن اصبغ البياني ١٩٨	قاسم بن ثابت العوفي ١٩٨	علم الدين اللورقي النحوي ١٩٨

قاسم بن محمد بن قاسم ١٩٨	ابو بكر الغساني ابو عبد الله محمد المالقي اليقوري صاحب كتاب اكمال الاكمال ١٩٩	ابو عبد الله الانصاري ١٩٩	الشيخ الامام الولي العارف بالله سيدي ابو عبد الله القرشي ١٩٩
ابو عبد الله محمد بن علي بن ابي الحسين القرطبي ٢٠٠	ابو بكر محمد الاشبيلي ٢٠٠	ابو بكر الجياني ٢٠٠	ابو عبد الله محمد بن علي ابن البرهان ٢٠٠
ابو عمر محمد النحوي ٢٠٠	ابو عبد الله محمد بن علي البياسي ٢٠٠	محمد بن علي الغرناطي ٢٠٠	محمد بن عمار الكلاعي الميورقي ٢٠١
محمد بن عمر بن يوسف بن الفخار ٢٠١	محمد بن فطيس الغافقي ٢٠١	محمد بن عيسى المغافري المعروف بالاعشى ٢٠١	محمد بن القاسم من موالي بني امية ٢٠١
محمد بن قاسم الفهري القرشي ٢٠١	ابو عبد الله بن لب الشاطبي ٢٠١	ابو عبد الله محمد الانصاري الشاطبي ٢٠٢	محمد بن محمد بن احمد القرشي ٢٠٢
محمد بن محمد بن حيزون ٢٠٢	ضياء الدين محمد القيسي ٢٠٢	ابو بكر محمد الزهري المحرز ٢٠٢	ابو الوليد الباجي ٢٠٢
الفقيه العالم الشهير ابو بكر محمد بن الوليد الفهري ٢٠٦	القاضي الشهيد المعروف بابن سكرة ٢٠٧	محمد بن عبد الجبار الطرطوشي ٢٠٨	ابن ابي روح الجزيري ٢٠٨
العالم ابو حفص عمر الهوزني ٢٠٨	ابو عمرو عثمان بن دحية ٢٠٨	ابو بكر محمد بن قاسم ٢٠٨	الشاعر الاديب ابو محمد عبد المنعم بن عمر بن حسان المالقي ٢٠٩

الحافظ ابو الخطاب بن دحية ٢٠٩	خلف بن قاسم الحافظ الاندلسي ٢١١	خلف بن سعيد بن عبد الله بن فرارة ٢١١	سابق فضلاء زمانه ابو الصلت امية ٢١١
الفقيه المقرئ ابو عامر المتبادي ٢١٢	الامام الحافظ محمد بن فتوح الحميدي الازدي ٢١٣	الكمال ابو العباس الشريشي شارح المقامات ٢١٤	ابو بكر يحيى بن سعدون ٢١٤
الوزير ابو عبد الله محمد بن الشيخ الاجل ٢١٤	محمد بن الصفار القرطبي ٢١٤	ابو الوليد بن الجنان الكناني ٢١٥	ابو عبد الله محمد بن العطار القرطبي ٢١٦
علي بن محمد القادسي الكناني ٢١٦	ابو الوليد المعروف بابن الفرضي ٢١٧	ابو محمد عبد العزيز القيسي ٢١٨	ابو الحكم عبد الله بن المظفر الحكيم الاديب ٢١٨
الحافظ الامام الرباني ابو عمرو الداني ٢١٩	ابو محمد عبيد الله بن عيسى الاندلسي ٢١٩	ابو العباس احمد بن علي ٢١٩	العلامة علم الدين القاسم النحوي ٢١٩
الحافظ ابو عمرو محمد بن سعدون العبدوي ٢٢٠	ابو عبد الله محمد بن سعدون الباجي ٢٢٠	محمد بن سعدون التميمي ٢٢٠	ابو محمد بن سعد الاعرج ٢٢٠
ابو عبد الله محمد بن سعيد بن اسحق ٢٢٠	ابو عبد الله محمد سعيد بن حسان ٢٢٠	ابو عبد الله محمد بن سليمان بن المغافري ٢٢٠	ابو عبد الله محمد بن شريح الرعيني ٢٢٠
ابو عبد الله محمد بن صالح القحطاني ٢٢٠	ابو عبد الله محمد بن ظاهر النحوي ٢٢١	القاضي الشهير محمد بن بشير ٢٢١	محمد بن عيسى ابن الدينار ٢٢٢

محمد بن مروان المعروف بابن ابي جمرة ٢٢٢	محمد بن ابي علاوة البوني ٢٢٢	محمد بن حزم التنوخي ٢٢٣	محمد بن يحيى بن مالك ٢٢٣
محمد بن عبدون الجبلي ٢٢٣	ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الازدي ٢٢٣	ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري ٢٢٣	ابو عبد الله محمد بن صالح المغافري ٢٢٣
ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري ٢٢٣	ابو عبد الله محمد بن عيسى ٢٢٣	ابو عبد الله محمد بن طاهر ٢٢٣	محمد بن ابي سعيد ٢٢٤
ابو بكر محمد بن حسين الميورقي ٢٢٤	ابو الحسن محمد بن عبد الرحمن بن الطفيلي ٢٢٤	ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابراهيم بن عيسى بن هشام الخزرجي ٢٢٤	ابو عبد الله بن علي بن ياسر الانصاري ٢٢٤
ابو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة المرسي ٢٢٤	محمد بن ابراهيم بن وضاح اللخمي ٢٢٥	ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي ٢٢٥	الشيخ الاكبر و[illegible] التي يسمى سيدي محيي الدين بن عربي ٢٢٥
الصوفي الشهير ابو الحسن علي الششتري ٢٣٢	سيدي ابو الحسن علي الحرالي ٢٣٤	ابو اسحق الحلي المعروف بالطويجن ٢٣٤	الشيخ الاديب ضياء الدين ابو الحسن علي الشاعري ٢٣٤
الفقيه الجليل العارف النبيل عبد الحق الشهير بابن السبعين ٢٣٥	الشيخ الفقيه الهمام النابه النحوي اللغوي ابو جعفر احمد بن يوسف ٢٣٨	ابو عبد الله محمد الشهير بابن غصن ٢٣٨	ابو عبد الله محمد بن احمد القرطبي ٢٣٩
ابو القاسم النجيبي ٢٣٩	ابو بكر الخزرجي ٢٣٩	ابو بكر محمد بن احمد الهاشمي ٢٣٩	ابو عبد الله محمد الزهري شارح المقامات ٢٣٩

ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الاعلى ٢٣٩	ابو عبد الله محمد بن احمد الباجي ٢٤٠	ابو عبد الله محمد العتبي ٢٤٠	محمد بن احمد بن احمد بن زكريا ٢٤٠
محمد بن احمد الفيشي ٢٤٠	ابو عبد الله محمد مفرج ٢٤٠	ابو عبد الله القيسي الوضاحي ٢٤١	ابو عبد الله محمد بن فضيل العبدري ٢٤٠
محمد بن احمد بن نوح الاشبيلي ٢٤١	محمد بن اسباط المخزومي ٢٤١	ابو بكر محمد بن اسحق الشهير بابن السنيم ٢٤١	موسى بن بهيج ٢٤١
ابو عمران موسى المرسي ٢٤١	ابو محمد عبد الله بن طاهر الازدي ٢٤١	ابو عبد الله بن مالك صاحب الالفية ٢٤١	ولده بدر الدين ٢٤٤
ابو عبد الله محمد القيسي التدمري ٢٤٥	ابو عبد الله القيجاطي محمد بن عبد الجليل ٢٤٥	ابو عبد الله محمد بن عبد الرحيم المازني ٢٤٥	محمد بن عبد السلام القرطبي ٢٤٥
ابو عبد الله محمد بن عبد الملك ٢٤٥	ابو عبد الله محمد بن عبد الملك ابن ضيفون ٢٤٥	ابو عبد الله محمد الخزرجي السعدي ٢٤٥	ابو بكر بن السراج النحوي ٢٤٦
ابو عبد الله محمد بن عبد الله ٢٤٦	ابو عبد الله محمد المغافري ٢٤٦	ابو عبد الله محمد بن عبد بن الرافع ٢٤٦	ابو عبد الله محمد بن عبد الله البلنسي ٢٤٦
ابو عبد الله محمد بن الفضل السلمي ٢٤٦	ابو عبد الله محمد بن عبد الله البنتي ٢٤٧	ابو عبد الله محمد بن عبد الله الخولاني ٢٤٧	ابو عبد الله محمد بن عبد الله الكوشي الطبيب ٢٤٧

ابن زهر ابو مروان عبد الملك الايادي ٢٤٧	ابو عبد الله محمد بن عبدون العبدري ٢٤٧	يحيى بن حكم الملقب بالغزال البكري ٢٤٩	الشهير بالمغارب والمشارق ابو الحسن علي العبسي متمم كتاب المغرب في اخبار المغرب ٢٥١
الفاضل المتقي ابو عبد الله محمد بن ضحى الدين الانصاري ٢٨٣	الشيخ الصالح ابو الحسن علي القرطبي ٢٨٤	الاديب الفاضل حميد الزاهد ٢٨٤	محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد التجيبي ٢٨٤
عيسى بن سليمان بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد الرعيني ٢٨٥	ابو الحسين محمد بن احمد بن جبير الكناني ٢٨٥	ابو جعفر احمد ابن يحيى الضبي ٢٨٥	السيد ابو سعيد ابن عبد المومن وجده ابن عطيه ٢٨٥
نبذة مما قيل في دمشق من المدح وما خوطب به المولف من القصايد ٢٨٧	الاديب ابو عامر ابن غيون ٣١٨	ابو مروان الطبني عبد الملك بن زياده ٣١٩	ابو الحسن الحكم ثابت احمد الشاطبي ٣٢١
ابو احمد جعفر ابن لهب اليحصبي ٣٢١	ابو احمد جعفر ابن عبد الله الحراني ٣٢١	ابو الحسن جابر ابن احمد ٣٢١	ابو علي الحسن ابن خلف الاموي ٣٢٢
ابو علي الحسن ابن ابراهيم الجذامي ٣٢٢	ابو علي الحسن ابن علي البطليوسي ٣٢٢	ابو علي الحسن ابن محمد الانصاري ٣٢٢	الحسين بن احمد التجيبي ٣٢٢
ابو يوسف حماد ابن الوليد الكلاعي ٣٢٣	ابو القاسم خلف الجبيري ٣٢٣	ابو القاسم خلف بن محمد الغرناطي ٣٢٣	زيدان بن محمد ابن زيدان الاندلسي ٣٢٣
ابو الحسين طاهر الاندلسي ٣٢٣	ابو محمد طارق المنصفي المخزومي ٣٢٣	ابو عبد الله محمد بن احمد خباز الشاطبي ٣٢٣	الحافظ احد الاعلام صاحب التفسير والمسند تقي بن مخلد القرطبي ٣٢٤

يوسف بن يحيى ابن يوسف الاسدي القامي ٣٢٥	الامام الحافظ ابو بكر بن عطيه ٣٢٦	شهاب الدين ابن فرح ٣٢٧	عبد العزيز بن عبد الملك بن نصر ابو الاصبغ ٣٢٨
برهان الدين ابو اسحق ابن الحاج ٣٢٨	الامام العلامة ابو حيان اثير الدين ٣٢٩	تصانيف المذكور اثير الدين ٣٣٤	الشيخ النحوي ابو الحسن حازم ٣٤٤
ابو عبد الله ابن الابار ٣٤٧	الحافظ ابو المكارم جمال الدين المهلبي الازدي ٣٤٧	ابو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري ٣٤٨	ابو العباس احمد النباتي ٣٤٨
ابو العباس احمد بن عبد السلام المسيلي ٣٤٨	ابو العباس احمد ابن الاقليشي ٣٤٩	ابو العباس احمد بن عمر المغافري ٣٤٩	ابو عمر بن عات النفزي ٣٤٩
ابو العباس احمد بن تميم الهراني ٣٥٠	ابو جعفر احمد بن ابراهيم بن محمد المخزومي ٣٥٠	ابو جعفر احمد بن محمد بن عباس الكناني ٣٥٠	ابو امية ابراهيم بن منبه الغافقي ٣٥٠
ابو القاسم بن [illegible] ٣٥٠	ابو الطاهر اسمعيل بن احمد القرشي ٣٥٠	ابو الروح عيسى المنغري الحميري ٣٥٠	الامام النحوي اللغوي بهاء الدين ابو الحسن الاندلسي ٣٥١
عبد البر بن فرسان الغساني ٣٥٢	عبد المنعم الغساني ٣٥٣	ابو العباس احمد بن مسعود القرطبي ٣٥٣	ابو العباس احمد صاحب المفهم في شرح مسلم ٣٥٣
العارف الولي ابو احمد جعفر الخزاعي ٣٥٣	محمد بن عبد الرحمن الخزرجي ٣٥٣	محمد بن يحيى اللبسي ٣٥٤	الوزير الشهير ابو عبد الله الحكيم الرندي ٣٥٤

الحافظ نجيب الدين ٣٥٦	محمد بن عبد الله الاشبيلي ٣٥٦	يحيى بن عبد العزيز ٣٥٦	ابو القاسم خلف القبتوري ٣٥٦
الامام العالم العامل جمال الدين ابو بكر محمد ٣٥٦	الفقيه الصالح ابو بكر الحياني المحدث ٣٥٧	ابو الخطاب العلاء ابن عبد الوهاب الاندلسي ٣٥٧	العالم الحسيب ابو حفص عمر بن الحسن ٣٥٧
ابو زكريا يحيى القرطبي ٣٥٨	ابو بكر يحيى بن مجاهد ابن عوانة الغزاري ٣٥٨	ابو بكر محمد بن احمد الصدفي ٣٥٨	ابو يحيى زكريا ابن خطاب الكلبي ٣٥٨
سعد الخير بن محمد البلنسي ٣٥٨	ابو عثمان سعيد الاسبنجي ٣٥٨	ابو عثمان سعيد الاعناقي ٣٥٨	ابو الروح عيسى الحميري ٣٥٨
ابو المطرف عبد الرحمن ابن خلف التجيبي ٣٥٩	ابو الاصبغ عبد العزيز ابن الطحان ٣٥٩	ابو الاصبغ عبد العزيز بن خلف ٣٥٩	ابو محمد عبد العزيز ابن ثعلبة السعدي ٣٥٩
الحكيم الطبيب ابو الفاضل محمد الغساني ٣٥٩	الاستاذ ابو القاسم عبد الوهاب القرطبي ٣٦٠	عبد الله بن المظفر الباهلي ٣٦٠	ابو الربيع سليمان القباني ٣٦٠
طالوت بن عبد الجبار المغافري ٣٦٠	ابو الحسن علي بن ضياء الدين القيسي القبذاقي ٣٦٠	ملك بن مالك الحياني ٣٦١	ابو علي بن خميس اللخمي ٣٦١
منصور بن لب الانصاري ٣٦١	مفرج بن حماد المغافري ٣٦١	محب بن حسين الشرفي ٣٦١	ساعد بن احمد بن مساعد الاصبحي ٣٦١

ابو حبيب نصر بن القاسم ٣٦١	ثابت بن يوسف الخثعمي ٣٦١	ضمام بن عبد الله الاندلسي ٣٦١	ضرغام بن عروة ٣٦٢
عبد الله بن محمد المغافري ٣٦٢	ابو محمد عبد الله الزهري ٣٦٢	عبد الله بن رشيق ٣٦٢	ابو بكر اليابري ٣٦٣
ابو محمد عبد الله اليحصبي ٣٦٢	ابو محمد بن عبد الله الصريحي ٣٦٢	ابو محمد عبد الله ابن عيسى الشلبي ٣٦٢	ابو محمد عبد الله الازدي ٣٦٣
ابو محمد عبد الله ابن محمد الداني ٣٦٣	ابو محمد عبد الله ابن يوسف القضاعي ٣٦٣	شهاب الدين احمد بن مهاجر ٣٦٣	ابو جعفر احمد بن صابر القيسي ٣٦٤
الاستاذ ابو القاسم بن الامام القاضي الباجي ٣٦٤	الامام الفاضل ابو اسحق ابراهيم ابن محمد الساحلي ٣٦٤	الوليد بن هشام من ولد المغيرة ٣٦٥	ابو بكر يحيى المغيلي ٣٦٥
الامام المحدث ابو عبد الله محمد الانصاري ٣٦٥	الفاضل الاديب ابو عبد الله محمد بن علي الغرناطي ٣٦٥	الشيخ نور الدين ابو الحسن الباسفي ٣٦٦	ابن عتبة الاسبيلي ٣٦٦
ابو عبد الله محمد بن احمد بن علي الهواري المعروف بابن جابر الضرير ٣٦٦	الاديب ابو جعفر الالبيري رفيق ابن جابر ٣٦٩	الطبيب الماهر الشهير ضياء الدين ابو محمد عبد الله ابن احمد ابن البيطار ٣٧٤	ابو الحسن علي القلصادي ٣٧٤
ابو عبد الله الراعي ٣٧٤	قاضي الجماعة بغرناطة ابو عبد الله بن علي بن محمد ابن الازرق ٣٧٦	الباب السادس في ذكر بعض الوافدين على الاندلس من اهل المشرق ٣٧٦	المنذر [illegible] ٣٧٦

من التابعين امیرها موسى بن نصير ٣٧٨	ومنهم حنش الصنعاني ٣٧٨	ومنهم ابو عبد الله علي بن رباح اللخمي ٣٧٨	ومنهم ابو عبد الرحمن عبد الله ابن عمرو ٣٧٨
ومنهم ابن ابي برده ٣٧٨	ومنهم حيوة بن رجا التميمي ٣٧٨	ومنهم عياض بن عقبه ٣٧٨	ومنهم عبد الله بن سماسه ٣٧٨
ومنهم عبد الجبار بن ابي سلمه ٣٧٨	ومنهم منصور بن خزامه ٣٧٨	مغيث فاتح قرطبه ٣٧٩	ابو ايوب ابن حبيب اللخمي ٣٧٩
السمح بن مالك الخولاني ٣٧٩	بلج بن بشر القشيري ٣٨١	عبد الرحمن بن معاويه ٣٨٣	الداعي الفاطمي مورخ الاندلس ابو مروان ٣٨٩
حيوة بن ملابس الحضرمي ٣٨٩	ابو الاشعث الكلبي ٣٩٠	اخو عمرو بن عبد العزيز ٣٩١	بكر بن سوادة بن ثمامه الجذامي ٣٩١
زريق بن حكيم ٣٩١	زيد بن قاصد السكسكي ٣٩١	ذرعه بن روح الشامي ٣٩١	محمد بن اوس بن ثابت الانصاري ٣٩١
عبد الملك بن عمر بن مروان الاموي ٣٩١	هاشم ابي طالب ٣٩٢	عبد الله بن مغيره ٣٩٢	ابو عمرو عبد الرحمن ٣٩٢
عبد الله بن سعد ٣٩٢	ابو زكريا عبد الرحيم الحافظ ٣٩٢	عبد الجبار بن ابي سلمه ٣٩٣	ابو محمد عبد الوهاب ٣٩٣

عبد الخالق بن ابرهيم الخطيب ٣٩٣	ابو عبد اللطيف بن ابي الطاهر ٣٩٣	ابو بكر عمر بن عثمان الخراساني ٣٩٣	علي بن بندار ٣٩٣
ابو العلى عبيد النيسابوري ٣٩٣	سهل بن علي ٣٩٣	يحيى بن عبد الرحمن القيسي ٣٩٤	اسمعيل بن عبد الرحمن القرشي ٣٩٤
ابو علي القالي صاحب الامالي ٣٩٤	ابو العلى صاعد ٣٩٥	تاج الدين بن حمول السرخسي ٤٠١	الوزير ابو الفضل محمد بن عبد الواحد ٤٠٤
ابو الحسن البغدادي الفكيك ٤٠٦	اشهب بن العضد الخراساني ٤٠٦	ابو بكر بن ازرق ٤٧	ابو الحسن علي بن زرياب المغني ٤٠٧
ابو اليسر ابراهيم الشيباني ٤١٠	الامير شعبان الموصلي ٤١٠	ابو اسحق ابراهيم السمهودي ٤١٠	عبد الله بن محمد ٤١١
عبد الرحمن بن داود ٤١١	النساء الراحلات الاندلس منهن عابدة المدنية ٤١٢	فضل المدنيه ٤١٢	قمر جاريه ابراهيم ٤١٢
الجارية العجفا ٤١٢	ومن القادمين عبد القاهر بن محمد الموصلي ٤١٢	احمد بن الحسن الاشتر ٤١٢	احمد بن ابي عبد الرحمن الزهري ٤١٢
ابو الطاهر اسمعيل بن الاسكندراني ٤١٢	عمر بن مودود ٤١٣	الشريف الاجل الشيخ نجم الدين بن مهذب الدين ٤١٣	تقي الدين محمد المصري الحنفي ٤١٣

الباب السابع في نبذة مما من الله به
على اهل الاندلس من توقد الاذهان
٤١٤

[illegible] أولي الحمد لك الحمد
ملكت هذا الجزء مع الجزء الذي بعده مصليا على
من لا نبي بعده وذلك بالشراء الشرعي المعتبر
في سنة ست وتسعين وألف من هجرة من له العز
والشرف صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم
وانا العبد الفقير مصطفى بن محمد الشهير بموقع زاده
الانصاري عفا الله سبحانه ذنوبه
بمنه وجوده وكرمه
آمين

[illegible]
٧٥

٤٠٠٥

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان
السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتعلم واعتبر
وتدبر احسن الله تعالى ثوابه وانا حرره الفقير
احمد شيخ زاده المفتش باوقاف الحرمين
الشريفين غفر لهما

يقول العبد الفقير الذليل المضطر الحقير، من يؤمن صالح العمل عمري، احمد بن محمد الشهير بالمقري، المغربي المالكي الاشعري، اصلح الله حاله، وجعل في مرضاته حله وترحاله، ومنحه بغيته من الطاعة والرضوان ومناله، وانجح ببلوغ اماله انتحاءه وانتحاله، احمد من عرف من حلي الامصار، وعلى الاعيان على تداول الاعصار، وتطاول الاحيان، ما فيه ذكرى لاولي الابصار، وارشادا الى معرفة الديان، واعتبار باخبار، راع وصفها او راق، وشرف من صرف المطامح والمطامع الى تفضيل ما افاد لسان من كلم جوامع، وتحصيل الذي اجاد من حكم بوالغ سحب بلاغتها هوامع، واقتناء ذخاير المهتدين التي تتشنف بدررها اللوامع الاذان والمسامع، من كل منحط عن رتبة البراعة او راق، حتى توج الخطيب المجيد رؤوس المنابر بغرايب الكلام، وحلى الكاتب الاديب المجيد صدور المهارق من فوايد الاعلام، وكحل الحكيم الطبيب الاريب المفيد من اثمد المحابر بمراود الاقلام عيون اوراق، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الذي بدا الخلق من غير مثال ولا وزير، وقسم العباد الى حاضر وباد وظاعن وخامل، وقاصر وكامل، تشبيرا لتنبيه الانام على ايدي الكبراء، وابدى في اختلاف ذواتهم واعراضهم وتباين ذواتهم واغراضهم، وتغاير السنتهم وامكنتهم وازمنتهم والوانهم واكوانهم ومنابعهم ومناسبهم عبرا، وجعل الدنيا لمن ابيح صغرا او كبرا، او لبس منهم مسوحا او حبرا

او اخلد الى الارض او صعد منبرا، جسرا الى الاخرة ومعبرا، وحكم وهو الفاعل المختار على الجميع بالموت فكان لمبتدا امرهم خبرا، فيا له من داء اعيى كل معالج او راق، فسبحانه من اله انفرد بوجوب القدم والبقا، واختص بفضله من شاء فارتقى، وعم تعالى ذوي السعادة والشقا بالحدوث والفنا، واذاق من فراق الدنيا كل من فيها بلا ثنيا، ممن وفق فتنحى عن حفته وسنا، او خذل فجرى في ميدان الاغترار رسنا، وزين له عبادا بالله سوء عمله فراه حسنا، طعم شعوب المر الجنى فلم يغن منه عن ذوي الغنى والغنا، والمثل السني والسنا، من ارباب الصوارم والقنا، واصحاب النظم والنثر والجدال والفخر والمدح والثنا، فاولئك القوا السلاح مذعنين، مستبصرين موقنين، اذ جاء الحق وزهق الباطل وولى الامترا، وهولاء تركوا الاصلاح معلنين عالمين انهم لم يكونوا في التمويه محسنين، وكيف لا وقد اضمحل الغرور والاجترا، وذهب والله الزور والافترا، وبدل المذاق لا طراء بصدق الاطراق، واشكره جل وعلا على ان علم بالقلم ما لم نعلم، ونبه باثاره الدالة على اقتداره الى سلوك الطريق الامم الواضح المعلم، وارشد من اشرق فكره واضا الى التفويض للاحكام القضا، ومن ذا يرد ما امضى او ينقض ما ابرم، والتسليم على كل حال اسلم، ومن رجا اسمه بالتدبير في انبا من مضى والنظر في عواقب احوال الذين زال امرهم وانقضى من صنوف الامم، وربح من رجا فليه بالاعراض عن ذلك وظلم، وشتان ما بين اللاهي والمتذكر، والساهي والمتفكر، والناجي والهالك المتحير، والداجي الحالك والمشرق النير، وما يستوي الظل والحرور والحزن والسرور، والظلمات والنور، ذوو البهجة والاشراق، واصلي ازكى الصلاة والسلام، مدينة لحضرة سيد الانام، ولبنة التمام، من زويت له من الارض المغارب والمشارق، وتم به نظام انبياء الله ورسله العظام، وازاح نوره الضلالة والظلام، حتى اضاءت بوسمه المساجد وازدانت باسمه المهارق، والنبي الموفي الموافق لدعوته سبيل الاسلام، وذلك شان ذوي العقول الراجحة والاحلام، غير خايف من عتب ولا مترقب لملام، فانى من الطواري والطوارق، وتمت كلمة الاسلام، الذي اتضح برهانه لذي بصير وبصيرة، لا يحتاج الى زيادة اعلام، وعلت سيوف توحيد الملك العلام من المعاند المفارق المفارق، وخضبتها بجنا الجنيح لرفراق النبي الامي الامين، الداعي جميع العالمين، الى سلوك منهاج ما له منهاج، ذي اضوا شوارق سيد الرسل الغر المياميين، ملجا الامة، جعلنا الله ممن نجا بالتجا اليه امين، الذي انزل عليه الفرقان هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، والشق

لنا الزنزفان • ونبع الماء من بين اصابعه زيادة في الايقان • وسلمت عليه
الاحجار • وانقادت لامره الاشجار • متفيئة ظلاله الشريف وحطت في الارض
اسطرا مبدعة الاتقان • الى غير ذلك من معجزاته الخوارق فهو صاحب الدعوة
الجامعة • والبراهين اللامعة • والادلة التي سقت لشجرة الطيبة غيوثها
النافعة • الصيبة الهامية الهامعة • الصادقة البوارق • فاثمرة النجا
والفوز والفلاح • واورقت بالهدي احسن ايراق • اشرف رسول بعث الى
الارض • واعظمهم جلالة واكثرهم تابعا في الطول منها والعرض • ولم وقد
ظهر به الحق لمن امه مسترشدا وجلالة • واسمى من جاء بتبيين السنة والفرض
واعمهم دلالة • منقذا للبرايا في الدنيا ويوم العرض • الاخذ بحجزهم عن النار
والضلالة • الداعي الى تقديم الخير وحسن القرض • الحريص على هداية الخلق
المبلغ لهم احكام الحق من غير ضجر ولا ملالة • ذوا الفضل العظيم الذي لم
يختلف فيه من اهل العقول اثنان • والمجد الصميم الثابت الاصول الباسق
الافنان • المنتقى من محتد معد بن عدنان • المنتخب من خير عنصر واطهر سلالة
شفيعنا وملاذنا • وعصمتنا ومعاذنا • وثمالنا الذي بحبه بدامالنا • و
زكت اقوالنا واعمالنا • ووسيلتنا الكبرى • وعمدتنا العظمى في الاولى و
الاخرى • وكنزنا الذي اعددنا لازاحة الغموم ذخرا • وغياثنا وغوثنا وسيدنا
ونبينا ومولانا محمد الطيب المنابت والاعراق صلى الله وسلم عليه • ووجه
وفود التعظيم اليه • من مفرد في جماله صار لجميع الانبيا تماما • وقد في كماله
تقدم في حضرة التقديس التي اسست على التشريف اعظم ما سيس بالمرسلين
اماما • وصدر يحلى بجميع الاوصاف كالوفا والعفاف • والصدق والانصاف
فزكى في اعماله • وبلغ الراجي منتهى اماله • ولم يخلف وعدا ولم يخفر ذماما •
وسيد كسي حلل العصمة من كل مخالفة وذنب ووصمة • فلم يصرف لغير طاعة
مولاه • الذي اولاه من التفضيل ما اولاه • امتثالا وامتهاما • وعلى اله وعترته
القايمين باثرته انصار الدين • والمهاجرين المهتدين • واشياعه وذريته
الطالعين نجوما في سماء شهرته • واتباعهم القايمين بحقوق نصرته • ارباب
العقل الرصين • الفاتحين بسيوف دعوته ابواب المعقل الحصين • حتى
بلغت احكام ملته واعلام بعثته • من بلاد تدلس والصين فضلا عن الشام
والعراق • ورضي الله عن علما امته • المصنفين في جميع الفنون • وعظما سنته
الموفين للطلاب بالآراب والمحققين لهم الظنون • وحكما شرعته المنتصرين
بحدوث من مرت عليه الايام والشهور • وكرت عليه الانا والدهور والاعوام
والسنون • المتدبرين في عواقب من كان بهذه البسيطة من السكان المذكورين

على قدر

على قدر الامكان • بمن طحنته رحي المنون من املاك العصور الخالية • واملاك
القصور العالية • وذوي الاحوال التي هي بسلوك الاختلاف حالية • من بصير
واعمى • وفقير وذي نعما • ومختال تردى بكبريايه • ومختال على ما بايدي الناس بسمعته
ورياه • وعاقل احسن العمل • وغافل افتتن بالامل • وكارع في حياض الشريعة
ورايع برياض الادب المريعة • وذي ورع سد سد عما رابه الذريعة • واخي طمع في
ان يدرك اربه من الدنيا لوشيكة الزوال السريعة • ومقتبس من نبراس هداه
الرواية • وملتبس بادناس الغواية • وشاعر هام في كل واد • وفى المالم بفعل
فكان للغاوين من الرواد • وجاهل عمر الخراب وخدع في السراب عن اعذب الشراب
ومحقق علم انه اذا جاء القدر عمي البصر ممن كان احذر من الغراب • وموقن بتغير
ان غير الله فان وكل الذي فوق التراب تراب • ومن متخلق متجرد تصوف و
متعلق منفرد تشوق الى ما فيه رضى الرب وتشوف • وناه ذكر بايام الله ووعظ
وخوف • ولا اغتر بالباطل فهو بالحق مماطل • فطال ما اخره وسوف • وابعد
الانتجاع ثم اوى من باطنه الى بيت فقيدته لكاع نفس امارة بعد ما طوف • و
من مادح نظم الالا نظم اللال • وكادح طمس الا العزبطلبه ذل السوال لجعل
الفضايد مصايد • والرسايل وسايل • والمقطعات مرقعات • فال الامر الى ما
آل • ومن مخبر بما سمع وراى حين اغترب عن مكانه ونأى • او اقام في وطانه
فبلغ ما قدر وراي • ومن مجازف لا يفرق بين الغث والسمين • والامر والاملا
وعارف ثقة امين • نظم درر الصدق الثمين في اسلاك الكتابة والاملا • ومن
عاشق خنسا فكره ذات الصدا رمن الشجون والشجار • تبكي على صخر قلب
المحبوب • وتذكره كلما طلعت شمس او كان للصبا مهبوب • فتاتي بما يطفي
وقود الجوى المشبوب من بحار الاشعار • وليلى شوقه العفيفة عن العار • ترفل
في ثوب من التنضر معار • وقيس توقد من ثوب السلو عار • قد تولد واشتاق
خصوصا عند اشتياق الشام والعار • وقلوبها ارق فلم يقر به قرار • فاعتراه
ما براه والف البكا بحكم الاضطرار • ولبس ثياب النحول والاصفرار • و
اسلمه من مت جيوش صبره وازمعت الفرار • فتخبر بما شجاه وسال النجاه
من اسر الفراق سبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب ولا ملامه •
• اغشي واعمي ثم ذو • بصر وزرقاء اليمامة • ومسدد اوجاير • او حاير يشكو ظلامه
• لولا استقامة من نهاه • لما تبينت العلامه • ومجاور العز المنيف • له البشارة بالسلامه
• واخو الحجا في سابر الانفاس مرتقب حمامه • وكما مضى من قبله يمضي ولم يقض الغرامه
• والجاهل المغتر من لم يجعل التقوى اغتنامه • ذلك فضل العصبا رحمة بحثى من الله انتقامه
• وليجتنب سبوا من لصلاحه صرفا هتمامه • فالعيش في الدنيا الدنية غير مرجو الادامه

من ارضعته ثديهما في سرعة تبدي فطامه • فمن عرجنا به بها سوى في الفور انفصامه
واذا نظرت فاين من منعته او منحت مرامه • ومن الذي ومتينه وصلاتهم لم يخش انصرامه
ومن الذي مدت له حبلا فلم يخف انفصامه • كم واحد عزته اذ سرته بخفيفة الدعامه
تعدت به من حيث لم يعلم فلم تملك قيامه • اين الذين قلوبهم كانت بها ذات استهامه
اين الذين تفيأوا ظل السيادة والزعامه • اين الملوك ذوو الرياسة والسياسة والصرامه
وبنو امية حين جمع عصرهم لهم قيامه • وتمكنوا حتى يحاول نقض ماشادوا انبرامه
وتعسفوا المابدا لهم محتبا الارض شامه • حتى تقلص ظلهم وارامهم الدهر احترامه
اين الخلايف من بني عباس البررة الفخامه • اين الرشيد والمثله وبنوه اصحاب الشهامه
ووزيره يحيى وجعفر ابنه الراوي احتشامه • والفضل منه في من يقول لمن يلوم على الندامه
ام اين عنترة الشجاع وذو الجدا كعب بن مامه • والقايلون بجهلهم ان القبور صدا وهامه
والمكثرون من المجون اذا شكى الفكر اغتمامه • اين الغريض ومعبد او اشعب وابو دلامه
اين الالى هاموا بسعدا او بثينة او امامه • وبكوا لفرط جواهم والليل قد ارخى ظلامه
وتتبعوا اثار من عشقوا بنجد او تهامه • وتعللوا والشوق يغلب بالاراك وبالبشامه
اضنى النوى قيسا فقاسى لاعجا اغرى غرامه • وغوى هوى غيلان مذ ابدى بمية مستهامه
اين الاكاسرة الجبابرة المجلون الغمامه • اين الذي الهرمان من بنيانه الحاكي اعتزامه
ام اين غمدان وسيف والوفود به امامه • اين الخورنق والسدير ومن شغابهما اقامه
ومدائن الاسكندر اللاتي لها اعلا دعامه • اين الحصون ومن يصبون بها من الاعدا حطامه
اين المراكب والمواكب والعصائب والعمامه • اين العساكر والدساكر والتداني في المدامه
وسقاتها المتلاعبون بلب من اعطوه جامه • من كل اهيف يزدري بالغصن ان يهتز قوامه
ذي غرة هلالا وما يمحو عن النادي ظلامه • فالشمس في ازراره والبدر في يده قلامه
يصمي القلوب اذا رما عن قوس حاجبه سهامه • ويروق حسنا ان رنا ويفوق راما برامه
اني لها ثغر حلا ذوقا لمن رام التثامه • اني لها وجه منير يقلب مبصره ضرامه
استغفر الله للقول يرى الشرع اغتنامه • بل اين ارباب العلوم ولوا التصدر والامامه
وذوو الوزارة والحجابة والكتابة والعلامه • كابن سكنوا بالاندلس فلم يشكوا سآمه
من جنة الدنيا التي غدا ذكرت دار المقامه • لا سيما غرناطة الغراء رائقة الوسامه
وهي التي دعيت دمشق وحسبها هذا فخامه • لنزول اهليها بها اذ اظهر الكفر انهزامه
وانت جيوش الشام من باب بنى الفتح ابتسامه • فتسلوا بها عن جلق اذ اشبهتها في الفخامه
وبدا لهم وجه المنا وارامهم ثغر ابتسامه • وتبوءوا ما خضرة تبرى من المضنى سقامه
بروابها وبنائها وهوائها النافي الوخامه • ورياضها المهتزة الاعطاف من شدو الحمامه
وبمرجها النضر الذي قد زين الله رنامه • وقصورها الزهرا التي باتت بها الحسن ابتسامه
يا ليت شعري اين من تنضي بها الملك احتكامه • وابيح في حرمائها عزا به زانت انتسامه

ابن

ابن الوزير ابن الخطيب بها فما احلى كلامه • فلكم ابان العدل في ارجائها فيها اقامه
ولكم اجار عدي وكم اجرى ندا وابي انسجامه • زاغت صروف الدهر دولته وما راعت ذمامه
حتى نوى اثر النوى في حضرة نثرت نظامه • من بعدما في ارضها من اذ منت شجوا منامه
اذ بهتته لكل شمل شتت الموت التيامه • هذا لسان الدين اسكته واسكنه رجامه
ومحا عبارته فمن حياه لم يرد سلامه • فكانه ما امتسك القلم المطاع ولا احتشامه
وكانه لم يجل من نظم باري النعامه • وكانه لم يرق غارب الاعتزاز ولا سنامه
وكانه لم يجل وجها حاز من بشر تمامه • وكانه ما جال في امر ولا نهي وسامه
وكانه ما نال من ملك حباه ولا احترامه • وكانه لم يلو في يده التدبير زمامه
مذ فارق الدنيا وقوض عن منازلها خيامه • امسى بقبر مفردا والترب قد جمع عظامه
من بعد تثنية الوزارة جاده صوب الغمامه • لم يبق الا ذكره كالزهر مفتر الكمامه
والعمر مثل الضيف او كالطيف ليس له اقامه • والموت حتم ثم بعد الموت اهوال القيامه
والناس مجزيون عن اعمالهم ميلا واستقامه • فذووا السعادة يضحكون وغيرهم يبكي ندامه
والله يفعل فيهم ما شاء ذلا او كرامه • ويشفع المختار فيهم من حبي بيعثه مقامه
فعليه خير صلاته مع صحبه تتلو سلامه • والتابعين ومن بدا بهم الرشاد له فشامه
ما فاز بالرضوان عبد كانت الحسنى ختامه • والله سبحانه المسئول في الفوز والنجاة
كرما منه وحلما • فبيده الخير لا اله الا هو العلي الكبير • العليم الخبير • الذي احاط
بكل شيء علما فلا يعزب عنه مثقال ذرة من مخلوقاته على الشمول والاستغراق • اما
بعد حمد الله مالك الملك والصلاة على رسول الله المنجي من الهلك • و
الرضى عن اله وصحبه الذين تجلت بانوارهم الظلم الحلك • وعن العلماء الاعلام •
الخائضين بحار الكلام • المستوين من البلاغة على الفلك فيقول العبد
الحقير المذنب الذي هو الى رحمة الغني فقير • المعتصم المتبري من الحول والقوة
المتمسك باذيال الخدمة للسنة والنبوة • وذلك بفضل الله امان وبراءه •
الضعيف الفاني الخطا الجاني • من هو من لباس عري • احمد بن محمد بن احمد الشهير
بالمقري • المالكي المغربي الاشعري • التلمساني المولد والمنشا والقراه • نزيل فاس
الباهرة • ثم مصر القاهرة • اصلح الله احواله الباطنة والظاهرة • وجعله من
ذوي الاوصاف الزاكية والخلال الطاهرة • وسدد في كل قصد انحاه واراه •
ووفقه بمنه وكرمه للاعمال الصالحة والطاعات الناجحة الراجحة • والمتاجر
المغبوطة الرابحة • والمساعي العائدة بالخير الرائحة • ووقاه ما بين يديه
ووراه • وكفاه مكر الكائد وافتراءه • وجدال الحاسد المتناسد ومراه •
وجعل فيما يرضيه سومه وشراه • امين انه لما يقضي الملك الذي ليس
لعبده في احكامه تعقب او رد • ولا محيد عما شاءه سوا كره ذلك المرء او ود •

برخلني عن بلادي • ونقلني عن محل طرافي وتلادي • بقطر المغرب الاقصى الذي
نمت محاسنه لولا ان سما بسرة الفتن ساءت بضايع امنه نقصا • وطما به
بحر الاهوال فاستعملت شعرا العيث في كامل زونقه من الزحاف قاصما • وقطعا و
وقصا • فطر كان لنسيمه • نفحات كافور ومسك • وكان زهر رياضه
• در منوي من نظم سلك •

وذلك في اواخر رمضان من عام سبعة وعشرين بعد الالف تاركا المنصب
والاهل والموطن والالف شعر

• بلدي طاب لي به الانس حينا • وصفا العود فيه والابداد •
• فسقت عهده العهاد وبرد • منه تلك النوادي الانداد •

وما عسى ان اذكر في اقليم • تغير الحجة فضيله التسليم • شعر
• اضواه طبق المنا ومواه • بيننا فه الوليها رمي الاسحار •
• والطبع معتدل فقل ما شئته • في الظل والا زهار والانهار •

محل فتح الكمايم • ومسقط الراس وقطع التمايم شعر
• به كان الشباب اللدن غضا • ودهري كله زمن الربيع •
• تفرق بيننا زمن خؤون • له شغف بتفريق الجميع •

لم انس تلك المواسم • التي ايامها للعمر مواسم • وثغورها بالسرور بواسم
نضرت اشبر اليها وقد زمت للرحيل القلص الرواسم • شعر
• ولنا بها بتلك الديار مواسم • كانت تقام لطيبها الاسواق •
• فابا تناعنها الزمان بسرعه • وغدت تعللنا بها الاشواق •

وانشد قول غيلان

• امنزلتي مي سلام عليكما • هل الازمن اللاي مضين رواجع •

وتمثل في تلك الحدايق التي حمايمها سواجع • بقول من جفونه في الهوى غير
هواجع • فتشدو بعيدان الرياض حمايم • شدو القيان عرفن بالاعواد •
• مالا النسيم يقضيها فتمايلت • متنزه الاعطاف والاجياد •
• مذ ودع تكو دبيع النيء • فاذنت منها بوشك بعاد •
• واستعبرت لفراقها عين الندا • فابتل منه عطفها المياد •

واحدقا لنظر الى روض • لانسان العين من فراقه في بحر الدموع سبح وخوض
شعر
• روض به اشيا للنفس في سواه تولف • فمن الهزار ترنم ومن القضيب تعطف •
• ومن النسيم تلطف ومن الغدير تخطف • والنفث كالمستريب والجي
اذ ذاك قريب • وحديث العهد للنفس غير منكر ولا غريب

اهلا

• اهلا ولم تمض للبين ساعة • فكيف اذا امرت عليه شهور •
والاثار لا يجنه • والشمائل عادية بازكى رايحة • شعر
• ارجيا منازلهم فاذوب شوقا • واسكب من تذكرهم دموعي •
• واسال من قضى بفراق حيي • يمن على منهم بالرجوع •

والنفس متعللة ببعض الانس • والمشاهد الحميدة لم تنس • شعر
• تلك العهود يشهد بما نحنو منه • عندي كما هي عقدها لم يحلل •

غيرانا لرحيل عن الربع غير الجميل • فصل به بين الشايق والمشوق وحيل •
• وقفنا بربع الحب والحب راحل • نحاول رجعاه لنا ونحاول •
• والفت دموع العين فيه سايلا • لها عن عبارات الغرام دلايل •
• وبالسفح منها كم سفيت لبانها • فميلته والسفح للبان مايل •
• اذا النسمة الاحباب منها تنسمت • نطيب بها اسحارنا والاصايل •
• تثير شجوني ساجعات غصونها • فمنها على الحالين ما تبلابل •
• مرابع الا في مرابع لسدني • مطالع اقماري بها والمنازل •

حيا بها الله من منازل ذات اقمار سايرة فيها • ومنازل لا يحصى لواصف محاسنها
والمداح امثالها ولا يستنو فيها حلوا عقود اصطباري عند ما رحلوا • وفي الخمايل حلوا
مثل امطار • ان المنازل اذ ما نوايها وهي اوطاني واوطاري •
ورعي الله من بان • وشاقتني الرند والبان • شعر
• بانوا العيشي اقمار انقلهم • لدن الغصون فلما انسوا بانوا •
• عهودهم لست انساها وكيف وقد • رتني لبيني عنها الرند والبان •

وفي مثل هذا الموطن تذوب القلوب الرقاق • كما قال الحاير قضب السبق بالاتفاق
الاديب الاندلسي الشهير بابن الرقاق • شعر
• وقفت على الربوع ولي حنين • لساكنهن ليس الى الربوع •
• ولو اني حننت الى مغاني • احبا في حننت الى ضلوعي •

وكما قال بعض من له في هذه المحجاج مسير
• دخولك من باب الهوان اردته • يسير ولكن الخروج عسير •

واين من له صفات لا يطمع الدهر العوي في محتها • وجنات ذنوبه لا تجري
انهارا الفراق من تحتها •
• فسقى ضيع الليت من ذاك الحما • نحي تدور على الثريا كاسا نده •
• سح سحت عليه دمعي في ثرى • كالمسك ضاع من الفتاة فتاته •

ولم ازل نعبدا نفصالي عن الغرب بقصد الشرق وانصافي اثر ذلك الجمع بالفرق
شعر • احن اذا الطوت الى زمان • تقضى بي باقنية الربوع •

واذكر طيب ايام تولت لنا فتنفيض من اسف دموعي •

والوق وقد انسح من البعد الحرق وخصوصًا اذا اشد اصادح او اومض برق الى ديار لا ابعد وما اختبار. شعر

واربع احباب اذا ما ذكرتها • بكيت وقد يبكيك ما انت ذاكر •
بطاح واذواح تروق لحسنها • بكل خليج تمتمنه الازاهر •
حمائم الا فضة في زبرجد • تساقط فيه اللؤلؤ المتناثر •
بحيث الصبا والترب والماء والهوا • عبير وكافور وراح وعاطر •
وما جنة الدنيا سوى ما وصفته • وما ضم منه الحسن نجد وحاجر •
بلادي التي امتلى بها واحتني • وقلبي وروحي والمنا والخواطر •
تذكرني انجادها ووهادها • عهودا مضت لي ومي خضر نواضر •
اذا العيش صاف والزمان مساعد • فلا العيش مملول ولا الدهر جاير •
بحيث ليالينا لبعض شبابنا • وايامنا سلك ونحن جواهر •
ليالي كانت للشبيبة دولة • بها ملك اللذات ناه وآمر •
سلام على تلك العهود فانها • موارد افراح تلتها مصادر •

واذكر تلك الايام التي مرت كالاحلام • فاتمثل بقول بعض الاكابر الاعلام •

يا ديار السرور لا زال يبكي • فيك اذ يضحك الرياض غمام •
رب عيش صحبته فيك غض • وعيون الفراق عنا نيام •
في ليال كانهن اسامات • في زمان كانه احلام •
وكان الاوقات فيه كؤوس • دايرات وانسهن مدام •
زمن مسعد وال[...]وصول • ومنى تستلذها الاوهام •

ويقول الحايك الامي عندما يكثر شجوي وغمي

لم انس ايامًا مضت وليالياً • سلفت وعشنا بالصريم نضرما •
اذ نحن لا نخشى الرقيب ولم نخف • صرف الزمان ولا نطيع اللوما •
والعيش غض والحواسد نوم • عنا وعين البين قد كحلت عما •
في روضة ابدت ثغور زهورها • لما بكى فيها الغمام تبسما •
مد الربيع على الخمايل نوره • فيها فاصبح كالخيام مخيما •
يبدو الاقاحي مثل ثغر اشنب • اضحى المحب به كئيبًا مغرما •
وعيون نرجسها كاعين غانج • ترنو فترمي باللواحظ اسهما •
وكذلك المنثور منثور بها • لما راى ورد الغصون منظما •
والطير يصدح في فروع فنونها • سحرا فتوقظ بالهديل النوما •

وامبل الى البلاد تحيا جميل • شعر

كسا نما الحيا بردا لشبابها فانها • بلاد بها عق الشباب تمايمي •
ذكرت بها عهدا لصبي فانها • قدحت بنار الشوق بين الحيازم •
ليالي لا الهوى يطيع رشد ناصح • عناني ولا انثنيه عن غي لايم •
انا لنهادي عن عيون نواعس • واجني مرادي من غصون نواعم •
ولبل لنا بالسدبين معاطف • من النهر تنساب انسياب الاراقم •
نمر الينا ثم عنا كانها • حواسد تمشي بيننا بالنمايم •
وبتنا ولا شي نخاف كانما • خلتنا مكان السر من صدر كاتم •

وامتعوا الى قصور ذات بهجة • وصروح توضح معالمها للرائد نهجه شعر

ورياض تختال فيها غصون • في برود من زهرها وعقود •
وكان الادواح فيها غوان • تتبارى زهوا بحسن القدود •
وكان الاطيار فيها قيان • تتغنى في كل عود بعود •
وكان الانهار في خومة الروض • سيوف تسل تحت بنود •

واصبوا الى بطاح واذواح • تروح النفوس والارواح •

شفيبا لها من بطاح خضر • ودوح زهر بها مطل •
اذا ترى غير وجه شمس • الحل فيه عذار ظل •

وانهار جاريه • واثمار نواسيمها سارية • واربع وملاعب تروح عن مبصر المتاعب

تلك المنازل والملاعب • لا ارانا الله محلا •
اوطنتها زمن الصبا • وجعلت فيها لي محلا •
حبذا لنفس رايت ما • سا يجاورا بنطلا •
والنهر يفصل بين زهر الروض في الشطين فصلا •
كبساط وشي جردت • ايدي الفنون عليه نصلا •

[margin: نعله القيون]

والى منازل يستفز حسنها الرايق الجاد والهازل • ويشفي منظرها عليلا ويكفي بخيرها للمستنعتم دليلا •

وجنان الفتها حين غنت • حولها الورق بكرة واصيلا •
نهرها مشبر عاجري وتمشت • في رباها الصبا قليلا قليلا •

واتمثل ان ذكرت حال وداعي بقول الشاعر الاديب الوداعي

الغرب خير وعند ساكنه • امانة اوجبت تقدمه •
فالشرق من نيريه عندهم • يودع دينارة ودرهمه •

ويقول غيره اشارة لفضل الغرب وخيره

اشتاق للغرب واصبو الى • معاهد فيه وعصر الصبا •
يا صاحبي نحوا يوا الليل قد • ارخى جلابيب الدجى واختبي •

لا تعجبا من ناظر ساهر * بات يراعي النجم ما غيبا
القلب في آثارهم طائر * لما رآهم يقصدوا المغربا

وانسبهم كلما حللت من غير أرضي بمكان وقد صيّرا الشاب نوحداً للشيب محمولا لما أثقلت كما جعله خبراً لكان بقول قاضي القضاة العالم الكبير شمس الدين بن خلكان

أي ليل على المحب أطاله * سائق الظعن يوم زم جماله
يزجر العيس طاويا يقطع البهمة عسفا سهوله ورماله
أيها السائق المجد ترفق * بالمطايا فقد سئمن الرحاله
وأنخها هنيهة وأرحها * إذ براها السرى وفرط الكلاله
لا تطل سيرها العنيف فقد برح بالصب في سراها الإطاله
وارث للنازح الذي إن رأى ربعا توى فيه نادبا أطلاله
بينما سائل الربع عن ظبا المصلى * ما على الربع لو أجاب سؤاله
وبحال من المحيل جواب * غير أن الوقوف فيه علاله
هذه سنة المحبين يبكون * على كل منزل لا محاله
يا ديار الأحباب لا زلت للأعين * في ترب ساحتيك مذاله
وتمشّى النسيم وهو عليل * في مغانيك ساحبا أذياله
أين عيش مضى لنا فيك ما أسرع عنا ذهابه وزواله
حيث وجه الزمان طلق نضير * والندى في غصونه مياله
ولنا فيك طيبا وقات انس * ليتنا في المنام نلقى مثاله

وأردد قوله الذي سحر الألباب * مناديا منزله من الأحباب

أحبابنا لو لقيتم في إقامتكم * من الصبابة ما لاقيت في الظعن
لأصبح البحر من أنفاسكم يبسا * والبحر من أدمعي يمشي بلا سفن

قوله

وما تغيرت عن ذاك الوداد ولا * حالت بي الحال في عهدي وميثاقي
درسي غرامي بكم ومري أكرره * وقد تفقهت في وجدي وأشواقي

وقول المجد بن شمس الخلافة معلماً أنه لا يريد بدلا بعهده وخلافه

يا زمان الهوى عليك السلام * وعلى السلو عنك حرام
أي عيش قطعته فيك لو دام * ومن لي بأن يطول دوام
كنت حلما والعيش فيك خيالا * وسريعا ما تنقضي الأحلام
لهف نفسي على ليال تقضت * سلبتني برودها الأيام
فطمتني الأقدار عنها وليدا * وشديد على الوليد الفطام
لا تلمني على البكاء عليها * من بكى شجوه فليس يلام

وقول

وقول أبي طاهر الخطيب الموصلي

بي نجدا غني ومن حل نجدا * اربعا هيجن لي غراما ووجدا
واقرأ عني السلام آرام ذاك الشعب والأجرع الخصيب الفردا
وابك عني حتى ترى بالوجد * أراكا بها وبانا ورندا
فلكم وقفة طللت على الضال * بدمع أذاع سري وأبدى
وعلى البان كم من البين أدريت * لأني للدمع مثنى ووحدا
آه والهفتي على طيب عيش * كنت قطعته وصالا ووُدّا
حيث عود الشباب غض نضير * ويد المكرمات بالجود تندى
والخليل الودود ذو نعم اسعفا * فما صرف الزمان نرداد بُعدا
والليالي مساعدات على الوصل * وعين الرقيب إذ ذاك رمدا
ثم هيهات من ليال تولّى * وأوطان تقضت وجاز الحد حدا
فاستعاد الزمان ما كان أعطا * خلسة لي بخله واسترّدا

وقال بعضهم

سلام على تلك المعاهد إنها * شريعة وردي أو مهبّ شمالي
ليالي لم نحذر حزون قطيعة * ولم نمش إلا في سهول وصال
فقد صرت أرضى من نواحي جنابها * بخلب برق أو بطيف خيال

وقول الحجازي

للمحبين من حذار الفراق * عبرات تجول بين المآقي
فإذا ما استقلت العيس للبين * وسارت حداتها بالرفاق
استهلت على الخدود انحدار * كانحدار الجمان في الاتساق
كم محب يرى التجلد دينا * فهو يخفي من الهوى ما يلاقي
أزعجته النوى فأعرب بالوجد لسان تعز دمعه المهراق
وانحدار الدموع من موقف البين على الخد آية العشاق
هو ن الخطب إن سئمت أو اصطبر * فضحته الدموع يوم الفراق

وقال الخطيب الحصكفي الشافعي

ساروا وأكبادنا جرحى وأعيننا * قرحى وأنفسنا سكرى من القلق
تشكو بواطننا من بعدهم حرقا * لكن ظواهرنا تشكو من الغرق
كأنهم فوق أكوار المطي وقد * سارت مقطرة في حالك الغسق
دراري الزهر في الأبراج زاهرة * تسير في الفلك الجاري على نسق
يا موحشي الدار مذ بانوا كما أنست * بقربهم لا خلت من صيب غدق
إن غبتم لم تغيبوا عن ضمائرنا * وإن حضرتم حملناكم على الحدق

وما احسن قول بعضهم الذي كررنا ذكره وبه المغنى

سلام على اهل الوداد وعهدهم • اذا الانس روض والسرور فنون •
رحلنا فشرقنا وراحوا فغربوا • ففاضت لروعات الفراق عيون •
وكم انشدت ولياى النوى غائم قول الاندلسي ابن خاتمه •

ايامنا بالحمى ما كان اخلاك • كم بت ارعاه اجلالا وارعاك •
لا تنكري وقفتي ذلا بمغناك • يا دار لولا احبابي ولولا ك •
لما وقفت وقوفا هائم الباكي •

فهل لهم عطفة من بعد ذلهم • تالله ما تسمح الدنيا بمثلهم •
اما القلب على تبديد شملهم • ما كان اخلاك يا ايام وصلهم •
ويا ليالي الرضا ما كان اضواك •

يا بدر تم ثنات عنه اربعنا • ولم تزل تحنو بها الدنيا اضلعنا •
ما للنوى بطروب البين روعنا • اذا تذكرت دهرا كان يجمعنا •
تفطرت كبدي شوقا لمرآك •

احباب انفسنا كم ذا التنوكم • ويا معاهد نجوانا بذي سلم •
تالله ما سئت دمعا للاسى بدم • ولا لثمت تراب الارض من كرم •
الا مراعاة خل طل برعاك •

على التعلل بين ضمهم وعسى • فيجمع القرب ما بالبين فرق شا
كم نا انادي برنع بالنوى طمسا • يا قلب صبرا فان الصبر عاد اسا
ويا منازل سلمى اين سلماك •

وقول بعض من اشتد به الهيام تخاطب جيرته مادحا ليالي القرب وذاما
تقلب الايام • ايام انسي قد كانت بقربكم • بيضا لحين بانتم اصبحت سودا •
دمت عيشي مذ فارقت ربكم • من بعد ما كان مغبوطا ومحسودا •

وقول صاحب مصارع العشاق • وقد شاقه في الهوى ما شاق

يا نوافا دمع مقلتي • وجدا عليهم تستهل •
وحدا بهم حادي الفرا • ق عن المنازل فاستقلوا •
قل للذين ترحلوا • عن ناظري والقلب حلوا •
ما ضرهم لو انهم لوا • من ماء وصلهم وعلوا •

وقوله حين ازعجه يد الفراق عن اوطان العراق

فذ قلت والعبرات تسفحها على الخد المتابي •
حين انحدرت الى الجزيرة وانقطعت عن العراق •
وتخبطت بذي الرفا • قمهامه البيد الرقاق •

بابوس

بابوس ما سيل الزمان • ن غلبه سيفا للفراق •

وقوله ايضا

يا منزل الحي بذات النقي • سقاك دمع مدنا وامارقا •
مثل سلوة مبتهات لا سلوة • قد بلغ السيل الربا وارتقا •
وانت يا يوم النوى عاجلا • ازالنك الله بيوم اللقا •

وقولي مسوطنا للثالث • وقد تعيربي فيمن تغير حادث

لم انس معهدنا والشمل مجتمع • والعيش غض وروض الانس معطار •
فها انا بعد بعد منه في قلق • وقد نبت بي ارجاء واقطار •
تمضي الليالي واشواقي مجددة • وما انقضت لي من الاحباب اوطار •

وكلما مررت بمرأى بروق لمعت لي من ناحية المغنى بالمنى بروق فتذكرت قول
بعض من له على عرمن يهوى طروق •

ما نظرت عيني سواك منظرا • مستحسنا الا عرضت دونه •
وما تمنيت لقاء غائب • الا سالت الله ان تكونه •

وربما رمت انتخابي مذهب السلو وانتحالي خلا لاخوالي افامني وارتحالي
فلم ينتقل عن تلك الصفات حالي • واني وجيدي بنقلائد التبات حالي

والشوق اعظم ان يحيط بوصفه • فلم وات بطوى عليه كتاب •
والله ما انا منصف ان كان لي • عيش بطيب وجيرتي غياب •
وكيف ولا ما في صب • ولا نوا في زيادة اذا اسرى النسيم او هب •
شربت حميا البين صرفا وطالما • جلوت محيا الوصل وهو وسيم •
ثم يعاد دمعي ان تنوح حمامة • ومتلفات شوقي ان بهبت نسيم •

فان لاح سنا بارق شاقني او ترنم شادي حدابي الى الهيام وساقني اورقي طبي فلا
داعني وراقني •

واني ليضنيني سنى كل بارق • وكل حمام في الاراك ينوح •
وارتاع من طبي الفلاه اذا رنا • وارتاح للتذكار ومتو سنوح •
ولم يك ذاك الامر من حيث ذا انه • ولكن لمعنى في الحبيب يلوح •

ولا استطيع الاعراب عن امري العجيب لما بي من النوى المذهل والجوى المدهش والنو جيب
ولا تسالوا عما اجن فليس لي • لسان يؤدي ما الغرام يقول •
يطارحني البرق الاحاديث كلما • اضاء كان البرق منه رسول •
وما بال خفاق النسيم يميلني • مميل الريح راح والشمال شمول •

اد دموع شوقي عند الذكرى لا ترقا • وجفوني ليس لها عن الارق مرقا وشجوني
تنموا ان صدحت بفننها ورقا •

رب ورقاء في الدياجي تنادي • الفها في غصونها المياده •
فيثير الهوى بلحن عجيب • يشهد السمع انها عواده •
كلما رجعت توجعت حزنا • وكانا في وجدنا نتبادا •

فبانها من ذات طوق • مثيرة لكامن شوق جالبة له من يمين وشمال وفوق

ذكرتني الورقاء ايام انس • سالفات فبت اجري الدموعا •
ووصلت السهاد شوقا لحبي • وغراما وقد هجرت الهجوعا •
كيف يخلو قلبي من الذكر يوما • وعلى حبهم حنيت الضلوعا •
كلما اولع العذول بعتبي • في هواهم يزداد قلبي ولوعا •

وربما انجلى قولك من قال انها بالحزن باكية • وعلى فقد الالف نائحة فانشد

قول خليل وهو بالحب مدنف عليل

ورب حمامة في الدوح باتت • تجيد النوح فنا بعد فن •
اقاسمها الهوى فيما اجتمعنا • فمنها النوح والعبرات مني •

ولا غرو ان ظهر سرّ باح • فبات مثلي من الشجو نائح

فرجعت بعد فراق ايام الهوى • اسف الصبابة للمحب المولع •
دامي الجفون اذا الحمامة غردت • من فوق خوط البانة المترعرع •
اسقي الديار وقد تباعد اهلها • عنها غزار الدموع الهمع •
ونواعب الاطلال ليس يجيبني • ما بينهن سوى الصدا المترجع •
ومواتف فوق الغصون يجيبني • منهن تغريد الحمام الساجع •
ناحت على عذب الفروع والفها • منها بمرأى فوقها ومسمع •
ما فارقت الفا كما فارقته • كلا ولا اجرت سوابق ادمع •

على اوان عيون سعوده رواني وزمان معمور باماني وامان واماد دوان و
تهاني ما بين بكر وعوان وفي عذر من طال ليله فاضطرب فيه ولوعه وسكن جواه بجوانحه
وضلوعه • ان طال ليلي بعدهم فلطوله • عذر وذاك لما اقاسي منهم •
لم تسر فيه نجومه لكنها • وقفت لتسمع ما احدث عنهم •

فارقني الزائد في خرقي اظهر المكنون واباني • ووجدي بمن ناي وابان لم يجد فيه
تعلل بزند وبان •

تنبهي يا عذبات الرند • كم ذا الكرى هب نسيم نجد •
فلست مثلي في جوى وارق • وحرقة من فرقة او صد •
عوفيت مما حل بي من جيرة • في الغرب لم يرثوا لفرط وجدي •
اعلل القلب ببان عنهم • وهل تنوب غصن عن قد •
بانوا فلا معنى لسرور بعدهم • مغني ولا عهد الرضى بعهد •

• اما من البعد ومن لم يزره • لم يشجه تاوّه المبعد •
وفي شغل من يكتنه الربوع والطلول • وذميت بومه من زمانه بين الترحل
والحلول • فركب من الاخطار الصعب والذلول • وحافظ على العهود ولم يسلك
سبيل الغادر الملول •

• سقاها الحيا من اربع وطلول • حكت دنفي من بعدهم ونحولي •
• ضمنت لنا اجفان عين قريحة • من الدمع مدرارا الشوون همول •

ومن الغريب الذي ينكره غير الاريب • ان الحادي ان سر القلب للسفر بين
فقد تسبب في اجتماع امرين متنا فيين متنا قربين •

• ترنم حاديا بالصريم فشاقني • الى كرمن نابت ضلوعي نضمه •
• فنشر وساء النفس شجوا فربما • كلفت به من حيث صرت اذمه •

وارتحلت حين مللت من طول السرى • مضمنا ذكر ما اروم له تيسيرا • وقد
اكثر الرفاق عند رؤيته ما لهج بالفوه من الافاق • تلهفا وتحسرا •

• قلت لما طال النوى عن بلادي • ولا مثل الهوى جوى وعويل •
• هل ارى للفراق اخر عهد • ان عمر الفراق عمر طويل •

ثم قلت مضمنا

• لا يجي ذكر احباب نأوا • لا تلم من اضعف الشوق قواه •
• ان يوما جامعا شملي بهم • ذاك عيدي ليس لي عيد سواه •

ثم قلت مضمنا ايضا

• لك الله من صب اضر به النوى • وليس له غير اللقاء طبيب •
• وان صباحا نلتقي بمسائه • صباح الى قلبي المشوق حبيب •

ثم عدت الى التصبر بعد امتداد النظر والتدبر

• واني لادري ان في الصبر راحة • ولكن انفاقي على الصبر من عمري •
• فلا تطفئنا نار الشوق بالشوق طالبا • سلوّا فان الجمر يسعر بالجمر •

ثم سلكت نهج التفويض والتسليم • منشدا قول ابن قطر المغربي في مقام التسليم
والتعليم • ووجهت القصد الى سكان الضمير بذلك التكليم •

• الا ايام الرضى معدودة • والرضى اجمل شي بالعبيد •
• لا تظنوا الى عنكم سلوة • ما على شوقي اليكم من مزيد •
• راجعوا انفسكم تستيقنوا • انكم في الوقت اقصى ما اريد •
• ان يوما يجمع الله بكم • فيه شملي ذاك عندي يوم عيد •

وقول بعض من ندم على البعد عن المعاهد واشتاق العود واخذ الى
المشاهد وعفر الدمر ذنبه ان عاد وتلهف ان لم يعاجله بغير الابعاد

لئن عاد جمع الشمل في ذلك الحما . غفرت لدهري كل ذنب تقدما .
وان لم يعد منيت نفسي بعوده . وما ذا عسى يجدي الاماني وقلما .
عسى لقلبي ان يذوب صبابة . وللعين ان تجري مدامعها دما .
على زمن ماض بهم قد قطعته . لبست به ثوب المسرة معلما .

وقول

آخر يخاطب احبابه . ويذكر فواصل بحر النوى الطويل واسبابه
اعيذكم من لوعتي وشجوني . ونار جوى تذكى بماء شؤوني .
ويرح اسى لم يبق في بقية . سوى حركات تارة وسكون .
ارى القلب اضحى بعد طارقة الاسا . اسير صبابات رهين شجون .
وكيف سبيل القرب منكم ودونكم . رما لزرود والاجارع دوني .
سلوا مضجعي هل قر من بعد بعدكم . وهل عرفت طعم الرقاد جفوني .

وايضا

ني بعض الاحيان انشد بقول بعض الاندلسيين الاعيان
لا كثرت بفراق اوطان الصبا . فعسى تنال بغيرهن سعودا .
فالدر ينظم عند فقد بحاره . بجميل اجياد الحسان عقودا .

وقول عنترة

فعسى الليالي ان تمن بنظمنا . عقدا كما كانا عليه واكملا .
فلربما نثر الجمان تعمدا . ليعاد احسن في النظام واجملا .
وارغب لمن طال ذيول الحزن ان تقلصها . واطلب ممن اجال النفوس في سهول الكربة ان يخلصها .
نسلني وعوادي الدهر غافلة . عما نروم وعقد البين محلول .
والدار انسة والشمل مجتمع . والطير صادحة والروض مطلول .
واضرع الى الله سبحانه في تيسير العود الى اوطاني ومعهدي الذي مطايا العز في اوطاني . وان يلحقني بذلك الافق الذي خيره موفور . وحق من فيه معروف لا منكر ولا مكفور .
اذا ظفرت من الدنيا بقربهم . فكل ذنب جناه الدهر مغفور .
وكاني بعائب يقول ما هذا التطويل فاقول له جوابي في قول ابن ابي الاصبع الكريم عليه التعويل
اكثرت عذلي كاني كنت ذا لسن . يكي على مسكن او حن للسكن .
لا تلح ان من الايمان عند ذوي . الايمان ما حنين النفس للوطن .
على انني اقول الله يسر لي ما فيه الخيرة لي بالمشارق وبالمغارب . وجد لي من فضلك حيث حللت بجميع ما فيه رضاك من المآرب . بجاه نبينا وشفيعنا المبعوث رحمة للاحمر والاسود والاعاجم والاعارب . عليه افضل صلاة وازكى سلام وعلى آله واصحابه الاعلام والتابعين لهم باحسان ما در شارق وتغافب

طالع

15

طالع وغارب فثم جدينا السير في البر اياما وتابينا عن الاوطان التي اطنبنا في الحديث حبا لها وهياما . وكنا عن تفاصيل وصلها نبا ما الى ان ركبنا البحر . وحللنا منه بين السحر والنحر . وشاهدنا من اهواله . وثنا في احواله مما لا يعبر عنه ولا يبلغ له كنه .
البحر صعب المرام جدا . لا جعلت حاجتي اليه .
اليس ماء ونحن طين . فما عسى صبرنا عليه .
فكم استقبلتنا امواجه بوجوه بواسر . وطارت الينا من شراعه عقبان كواسر . قد ارعفتها اكف الريح من وكرهما . كما نبهت اللجج من سكرهما . فلم تبق شيبا من فودهما ومكرهما . فسمعنا للجبال صفيرا . وللرياح دويا عظيما وزفيرا . وتيقنا انا لا بد من ذلك الا فضل الله مجيرا وخفيرا . واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه . وايسنا من الحياه . لصوت تلك العواصف والمياه . فلا حيا الله ذلك الهول ولا بياه . والموج يصفق لسماع اصوات الرياح فيطرب بل يضرب . فكانه من كاس الجنون يشرب او شرب . فيتبعد ويقترب . وفرقه تلتطم وتصطفق وتختلف ولا تكاد تتفق . فتخال الجو ياخذ بنواصيها . وتجذبها ايديه من قواصيها . حتى كاد سطح الارض يشكف من خلالها . وعناق السحب يخطف من استقلالها . وقد اشرفت النفوس على التلف من خوفها واعتلالها . واذنت الاحوال بعد انتظامها باختلالها . وساءت الظنون . ونزلت في صورها المنون . والشراع في قراع مع جيوش الامواج . التي امدت منها الافواج بالافواج . ونحن فعود كالدود على عود . ما بين فرادى وازواج . وقد نبت بنا من الفلك امكنتنا . وخرست من الفرق السنتنا . وتوهمنا انه ليس في الوجود . اغوار ولا نجود . الا السما والما . وذلك التسفين ومن قبر جوفه دفين . مع توقب هجوم العدو في الرواح والغدو . لا جتيازه على ثغر من بلاد الحرب . دمر الله من فيها واذهب بفتحها عن المسلمين الكرب . لا سيما مالطة الملعونة . التي يتحقق من خلص من معرتها انه امده بنا بيد الالهي ومعونته . فهذا عرض في اهوال البحر الشامي شجي . وقل من ركبه فافلت من كيدهما ونجا . فزادنا الحذر الذي لم يغن ولم يذر على ما وصفناه من هول البحر قلقا . واحرجنا اذ ذاك في ميدان الالفا بالبدا الى التهلكة طلقا . وتشتت افكارنا فرقا . وذبنا اسا وندما وفرقا . اذا البحر وخدعه لا يحمى بقارعه . ولا قوى بصارعه . ولا شكل بضارعه لا يؤمن على حال . ولا يفرق بين عاطل ولا حال . ولا بين اعزل وشاكي . ومتباكي وباكي مفرد . ثلاثة ليس لها امان . البحر والسلطان والزمان . فكيف وقد انضم اليه خوف العدو الغادر الخاين . والكافر الحاين . الى ان قضى الله بالنجاه وكلما اراده فهو الكاين وان نهى عنه واخطا المباين . فرايتا

البر وكانا قبل لم نره • وشفيت به اعيننا من المره • وحصل بعدا لشدة الفرج
وشممنا من الشلالة اطيب الارج • فيا لها من نعمة كشفت عن وجهها النقاب •
بغير شكرا لها صوم الاحقاب وعتق الرقاب • جعلنا الله بابا نه معتبرين •
وعلى طاعته مصطبرين • ولم نخل في البر من معاناة خطوب • ومداراة وجوه
للمتاعب ذات تجهم وقطوب • فكم جبنا منه تهامة ونجدا • ومسحنا بالخطا منها
ابترا وصعيدا • وقلبنا الفجاج • وقرانا من الطرق خطوطا ذات استقامة و
اعوجاج • وقلوبنا لرقة من الفرقة في اضطراب وارتجاج • وربما عثينا على المحجة
الادلة التي يحتج بها على المذهب الاحتجاج • فترى الانفاس تعثر في زفرة الاشواق
والاجسام قد زرت عليها من التعب الاطواق • مدا وا للنيل بصيحة البدر منا •
وقد شدت رحال واقتاب • وزمت ركاب ورفعت حداج • وقربت من الدجنة
بمدية السحب اوداج • وتساوى في التشبيه نهار مشرق وليل مقمر او داج • وادم
التاويب والاساد • وحل العزيمة قد اثقل واد ثم وصلنا بعد خوض بحار
بدمشق منها الفكر وبحار • وجوب فيا في بحار مثل فيها القطا عن المناهل
الى مصر المحروسة فشفينا برؤيتها من الاوجاع • وشاهدنا كثيرا من محاسنها التي
تعجز عن وصفها القوافي والاسجاع • وتمثلنا في بدايعها التي نستوفيها

بقول ابن نامصر فيها

شاطي مصر جنة • ما مثلها في بلد •
لا سيما مذ زخرفت • بنيلها المطرد •
وللرياح فوقه • سوابغ من زرد •
مسرودة ما مسها • داود بمبرد •
سايلة وتموجها • برعد عالي الجسد •
والفلك كالافلاك بين حادر ومصعد •

وبقول اخر

انظر الى النيل الذي • ظهرت به ايات ربي •
فكانه في قبضه • دمعي وفي الخفقان قلبي •

وبقول ابي المكارم بن الخطير المعروف بابن مماتي في جزيرتها

جزيرة مصر لا عدتك مسرة • ولا زالت اللذات فيك اتصالها •
فكم فيك من شمس على غصن قامة • يميت ويحيي هجرها ووصالها •
مغانيك فوق النيل اصبحن هوادجا • ومختلفات الموج فيك جمالها •
ومن عجب الاشيا انك جنة • ترف على اهل الضلال ظلالها •

ولعله اراد باهل الضلال اليهود والنصارى المستولين اذ ذاك على الدولة
ونذكرت في مصر قول القاضي الفاضل

بالله قل للنيل عني انني • لم اشف من ماء الفرات غليلا •
وسل الفؤاد فانه لي شاهد • ان كان طرفي بالبكا بخيلا •
يا قلب كم خلفت ثم بثينة • واعيذ صبرك ان يكون جميلا •

وقول احمد بن فضل الله العمري

لمصر فضل باهر • بعيشها الرغد النضر •
في سفح روض يلتقي • ماء الحياة والخضر •

وقول اخر

كان النيل ذو فهم ولب • لما يبدو العين لنا بين منه •
فياتي حين حاجتهم اليه • ويمضي حين يستغنون عنه •

وقول اخر

ولله مجرى النيل منه اذا الصبا • ارتنا به من مرها عسكرا مجرا •
بشط بهز السمهرية ذابلا • وموج بهز البيض هندية تبرا •
اذا مد حاكى الورد لونا وان صفا • حكى ماءه لونا ولم يحكه مرا •

وقول اخر

واما لهذا النيل اي عجيبة • بكر بمثل حديثها لا يسمع •
يلقى الثرى في العام وهو مسلم • حتى اذا ما مال عاد يودع •
مستقبل مثل الهلال فدهره • ابدا يزيد كما يزيد ويرجع •

وقول ابن النقيب

الصب من بعدهم منفرد • ودمعه النيل وتعليقه •
وحزنه لما بكا بهم دما • مقياسه والدمع تخليقه •

وقول الصفدي

سقيا لمصر وما حوت • من انسها وانا سها •
ومحاسن في معنيها • تبدو وفي مقياسها •
ومسرة كاساتها • تجلى على اكياسها •
وسطور روض خطها • الباري على قرطاسها •
ودمى كتابيها ولا • تنسى ظبا كناسها •
ولطافة بجلالة • تبدو على جلاسها •
ونواسم كل المنى • للنفس في انفاسها •
ومراكب لعبت بها • الامواج في وسواسها •

وبقول ابن جابر الاندلسي

ما زلت اسند عن محاسن ارضها • خبرا صحيحا ليس بالمقطوع •

كم مرتل من بينها ومسلسل • ومدبج من متنها المرفوع •

وقول ابرهيم بن عبدون

والنيل بين الجانبين كانما • صديت بصفحته صفيل ...
يا نيك من كدر الزواخر مده • بممسك من ما بنه ومصندل •
فكان ضوء البدر في تموجه • برق تموج في سحاب مسبل •
وكان نور الشرح من جنباته • زهر الكواكب تحت ليل اليل •
مثل الرياض مفتقا انواره • تبدو لعين ممسبه ومحل •

وقول ابن الصاحب

فرح الانام بنيلهم • اذ صار احمر كالشقيق •
وتبركوا بنشره فقد • فكانه وادي العقيق •

وقوله

احمر النيل خده • حتى غدا كالشقيق •
وقد تزمنا اذ • اذ صار وادي العقيق •

ثم شمرت عن ساعد العزم بعد الاقامة بمصر مدة قليله • الى المهم الاعظم والمقصد الاكبر الذي هو سيد المطالب الجليله • وهو زوبة الحرمين الشريفين ذا العلمين المنيفين • زادهما الله تشريفا • وبلغ النفوس ببركة من شرفا به ما آرب لم تزل تنحوهما • فسافرت في البحر الى الحجاز • راجيا من الله سبحانه في الاجر الانجاز • الى ان بلغت جده • بعد مكابدة خطوب الجذب لنا من الصبر عده • فحين حصل القرب • واكتحلت العين باثمد ذلك الترب ترنمت

بقول من قال محرضا على الوخد والارقاد

بذلك الحق فاقطع ظهر بيداء • واهجر بها لذة احباب واعداء •
واقصد على عزمة ارض الحجاز تجد • بعدا عن السخط في نزل الاوداء •
وقل اذا ملت من ام القرى ارب • وهموا الوصول باسرار وابداء •
يا مكة الله قد مكنت لي حرما • هو منا لستنا شكو فيه من داء •
تمد الى النازح المسكين مسكنه • في قطرك حب لم يكب بانزداد •
شوقا لفؤاد الى مغناك متصل • شوق الرياض الى طل وانداء •

لعله الرحب

ثم انشدت عندما بدت اعلام البيت الحرام • قول بعض من غلب عليه الشوق والغرام • وقد بلغ من امانيه الموجبة بتباشره ونهاية المرام شعر

واقا الحجيج الى البيت العتيق وقد • سجا الدجى فراوا نورا به بزغا •
فجاوا عجيجا وقالوا الله اكبر ما • للحجو تلقانا بالنور قد صبغا •
قال الدليل الا ما نوا ابشارتكم • ممن نوى كعبة الرحمن قد بلغا •

نادوا

نادوا على العيس بالاشواق فانتحبوا • ومن كل فؤاد نحوها وصغا •
وكل من ذم فعلانا لـ محمدة • في مكة واتحى ما قد جنى وبغا •

ولما وقع بصري على البيت الشريف كدت اغيب عن الوجود واستشعرت قول العارف بالله الشبلي لما وفد الى حضرة الوجود

قلت للقلب اذ تراى لعيني • رسم دار لهم فهاج اشتياقي •
هذه دارهم وانت محب • ما احتباس الدموع في الاماق •
والمغاني للصب فيها معاني • فهي تدعى مصارع العشاق •
حل عقد الدموع واحلل ربا ما • واهجر الصبر وارع خل الفراق •

ثم اكملت العمرة • ودعوت الله ان اكون ممن عمر بطاعة ربه عمره • وذلك اوايل القعدة من عام ثمانية وعشرين والف من الهجرة السنية • واقمت هنالك منتظرا وقت الحج الشريف • ومتفيا ذلك الوريف • ومقتطفا ثمار القرب الجنية • الى انجاء الاوان • فاحرمت بالحج من غير توان • وحين مللت مما به احرمت • نويت الاقامة هنالك وابرمت • فحال من دون ذلك حايل •

وكنت حريا بان انشد قول القايل شعر

هذا اباطح مكة حولي وما • جمعت مشاعرها من الحرمات •
ادعو بها لبيك تلبية امر • يرجو الخلاص بها من الازمات •
تلك المنى فهي لو اني لم اخف • بالخيف من ذنب احال سمات •
وعرفت في عرفات اني ناشق • للعفو عرفا عاطر النسمات •

وانا اتمثل في المطاف • اذ حفت بي الالطاف • الدانية القطاف • بقول من رجه بالتقوى مشيد

البغدادي الشهير بابن رشيد

على ربعهم لله بيت مبارك • اليه قلوب الناس تهوي وتهواه •
يطوف به الجاني فيغفر ذنبه • ويسقط عنه جرمه وخطاياه •
وكم لذة او فرحة لطوافه • فلله ما احلى الطواف واهناه •

ثم قصدنا بعد قضا تلك الاوطار طيبة الشريفة التي لها الفضل على الاماكن واستشعرت قول من انشد وطير عزمه عن اوكاره قد طار شعر

حمدت مرادي اذ بلغت مرادي • بام القرى مستمسكا بعمادي •
وملمز روبت من ماء زمزم غلتي • فلست بمحتاج لماء ثمادي •

فلله سبحانه الحمد على نعمه التي جلت • ومننه التي نزلت بها النفوس موطن التشريف وحلت • من بعده الرحمن خير بدايته • يحل بمكة كي يباح المقصدا •
واذا قضى من حجه الفرض انثنى • يشفي برؤية طيبة داء الصدا •

وكان حظي في هذه الحال التذكر قول بعض الواشحين من الاندلسيين الذين كان

ثم ارتحالا الى المعاهد الطاهرة، والمشاهد الزاهرة، التي تشد لها الرحال

يا من لعبد ابن افتقار • الى اياد له جسام • فضلك تدنو قد حل فيها • محمد سيد الانام •

لم يهف قلبي لحب ليلى • ولا سعاد ولا الرباب •
لا في شجونا ونال ويلا • من هام في ذلك الجناب •
بل ما الى المنى الفؤاد ميلا • لمن له الحب لا يجاب •

قلبي والله مستطار، مدحل في بيته الحرام، ذي الحجر والركن خير ركن وزمزم الحجر والمقام

ذابت قلوب المطي عشقا • وركبها واستوى المراد •
الى حبيب القلوب حقا • الحي والميت والجماد •
الى الذي لي بشر فيه شيقا • من حبه داخل الفؤاد •

شكوا وقد طال السفار، بهم ومطايا بهم السقام، فهي تشتكي من التنائي والقوم من فوقها سهام

ولتشتمن سكرني مقيقا • حتى ارى حجرة الرسول •
فان يسهل لي الطريقا • فذاك اقصى مني وسول •
متى ترى عيني العقيقا • ويفرح القلب بالوصول •

كم قلت والصبر مستعار، للركب اذ غادروا المنام، ونسمة الشوق حركتني وزاد في الوجد والغرام

قوموا فقد طال ذا الجلوس • وبادروا زورة الحبيب •
تاقت الى طيبة النفوس • لا عيش من دونها يطيب •
يا حبذا دونها العروس • والماء والشاذ لي الرطيب •

وحبذا الرمل والقفار، والعرب في تلكم الخيام، وام غيلان ظل التني والايك والاثل والثمام

يا طيبة حزت كل طيب • يستبد فيك دي حلول •
ندا مستضعف غريب • في عز امداحه يقول •
وموضع السامع المجيب • لمدحه ببنا القبول •

انت الغياثي فلا افتقار، وانت عزي فلا اضام، مستمسك منك حسن ظني بعروة ما لها انفصام

يا سيد العالمين اجمع • يا احمد المجتبى الرسول •
ومن هو الشافع المشفع • في موقف المحشر المهول •
اذ لا كلام هناك يسمع • للغير والناس في ذهول •

اذ السما لها انفطار، والشهب منثورة النظام، كذا الجبال التي تشامخ تمر تسعين مر كالغمام

يا اول الرسل في الفضيلة • وان تاخرت في الزمن •
شفاعة نلت مع وسيلة • ثمن يضاهي علاك من •
علت بك الرتبة الجليلة • وطبت في السر والعلن •

فانت من خيرهم خيار، ومن يضاهيك في المقام، والرسل نالت بك التمني وانت بدر لهم تمام

الوجد

الوجد قد قر في فؤادي • فما لصبري به قرار •
ولا عجب صاعدا نفادي • ودمع عيني له انهمار •
وما انا جيت من بلادي • لطيبة ابتغي الجوار •

فحبذا تلكم الديار، والمصطفى مسكه الختام، عليه ازكى الصلاة مني وصحبه الغر والسلام

وقول ابي جعفر الرعيني الغرناطي رحمه الله تعالى وهو من التشريع احد انواع البديع

يا راحلا يبتغي زيارة طيبة • نلت المنا بزيارة الاخيار •
حي العقيق اذا وصلت وصف لنا • وادي منى يا طيب الاخبار •
واذا وقفت لدى المعرف داعيا • زال العنى وظفرت بالاوطار •

ولما من الله علينا بالحلول في المشاهد التي قام الدين بها وظهر، والمعاهد التي بان الحق فيها واشتهر، والمواطن التي هزم الله حزب الشيطان فيها وقهر، ونصرت النبوة وعضدت، وقطعت غصون الكفر وحصدت، ورصت قواعد التوحيد ونضدت، وقرت العيون، وقضيت الديون، انشد لسان الحال

قول بعض قرحبدة بمحاسن طيبة حال

يا من به طيبة طابت حلى وعلا • ومن بتشريفه قد شرف العرب •
يا احمد المصطفى قد جيت من بلد • قاصرا ولى خلد فا يسر لي الارب •
وقد مننتني ذنوب قلت اذ عظمت • لله منها وطه المرتجى الهرب •

ونسينا بمشاهدة ذلك الجناب ما كنا فيه، وبقي الدمع الذي لا يعارض الفرح ولا ينافيه

ايها المغرم المشوق هنيئا • ما انالوك من لذيذ التلاقي •
قل لعينيك يهملان سرورا • طال ما اسعداك يوم الفراق •
واجمع الوجد والسرور ابتهاجا • وجميع الاشجان والاشواق •
وامر العين ان تفيض انهمالا • وتوالي بدمعها المهراق •
هذه دارهم وانت محب • ما بقاء الدموع في الاماق •

وملنا على الاكوار، وتملينا من عرف تلك الانجاد والاغوار، وتملينا من ما نبك الانوار، وتخلينا عن الاغيار، وتحلينا بحلي الاخيار، وكيف لا وطيبة مركز الادوار

اذا لم تطب في طيبة عند طيبة • به طيبة طابت فاين تطيب •
وان لم يجب في ارضها ربنا الدعا • ففي اي ارض للدعاء يجيب •
ابا سا كني اكناف طيبة كلكم • الى القلب من اجل الحبيب حبيب •

وما احسن قول عالم الاندلس المالكي اللبيب عبد الملك السلمي المشهور بابن حبيب

لله در عصابة صاحبتها • نحو المدينة تقطع الفلوات •
وبهامه قد جئتها ومفاوز • ما زلت اذكرها بطول حياتي •
حتى اتينا القبر قبر محمد • خص الاله محمدا بصلاة •

خير البرية والنبي المصطفى • مادي النور لطرائق النجات •
لما وقفت بقربه لسلامه • جادت دموعي واكف العبرات •
ورايت حجرته وموضع الذي • قد كان يدعو فيه في الخلوات •
مع روضة قد قال فيها انها • مشتقة من روضة الجنات •
وبمنزل الانصار وسط قبابهم • بيتا لهداية كاشف الغمرات •
وبطيبة طابوا ونالوا رحمة • معنى الكتاب ومحكم الايات •
وبقبر حمزة والصحابة حوليه • فاضت دموع العين منهمرات •
سقيا لتلك معاهدا شاهد • وشهدتها بالخطو واللحظات •
لا زلت زوارا لقبر نبينا • ومدينة زهراء بالبركات •
صلى الاله على النبي المصطفى • هادي البرية كاشف الكربات •
وعلى صحيحته السلام مردد • ما لاح نور الحق في الظلمات •

وقول كمال الدين ناظر قوص

انخ هذه والحمد لله يثرب • فبشراك قد نلت الذي كنت تطلب •
فعفر بهذا الترب وجهك انه • اخق به من كل طيب واطيب •
وقبل ربوعا حولها قد تشرفت • بمن جاورت والشي بالشي يحبب •
وسكن فؤادا لم تزل باشتياقه • اليها على جمر الغضا تتقلب •
وكفكف دموعا طالما قد سفحتها • وبرد جوى نيرانه تتلهب •

وقول الرعيني الغرناطي

هذه روضة الرسول فدعني • ابذل الدمع في الصعيد السعيد •
لا تلمني على انسكاب دموعي • انما صنتها لهذا الصعيد •

ولما سلمت على سيد الانام عليه من ربه الكريم افضل الصلاة وازكى السلام ذبت حياء وخجلا، لما انا عليه من ارتكاب ما يقتضي خجلا، غير اني توسلت بجاهه صلى الله عليه وسلم في ان اكون ممن وضح له وجه الصبح وجلا •

اليك افر من زللي • فرار الخايف الخجل •
وكان مزار قبرك بالمدينة منتهى املي •
توفي الله ما طمحت • له نفسي بلا خلل •
تحن يدي عن يوبي • بجاه القول والعمل •
ومن لي منك عارفة • تعرف ما تنكر بي •
فتهديني الى رشدي • وتمنعني من الزلل •
وتحملني على سنن • يؤمنني من الوجل •
فانت لنيل من عميت • عليه مسالك السبل •

وانك شافع بر • ومؤمننا من الوجل •
وانك خير منبعث • وانك خاتم الرسل •
فيا ازكى الورى شرفا • وسابقهم من الفضل •
ويا اندى الانام يدا • واكرم ناصر وولي •
نداء مقصر وجل • بثوب العفو مشتمل •
على جدوى المعتمدي • فانقذني من الوجل •
والحقني بجنات • لديه درجاتها الاول •
بصديق وفاروق • وعثمان المرتضى وعلي •
فانت ملاذ معتصم • وانت عماد متكل •
عليك صلاة ربك جل • في الغدوات والاصل •

ومذ شممنا من ارج تلك الارجاء الذاكية، واستضانا بسرج تلك الاضواء الزاكية، ظهر من الشوق ما كان يبطن، ولم يخطر ببالنا سكن ولا وطن •

ويا سعادة من اقام بتلك البقاع الشريفة وقطن •

مر النسيم بربعهم فتلذذا • حتى كان النشر صار له غذا •
نصحي وصح وصاح لا اشكو اذا • قل للصبي ماذا حملت من الشذا •
امسكت طيبا ام علالي عبير •

يا ايها الحادي الذي من وسمه • قصد الحبيب وان يلم برسمه •
يهدى منازله فمن هو باسمه • بابي الذي لم تذو زهرة جسمه •
لكنه غصن الجمال النضير •

لله شوق قد تجاوز حده • اوفى على الصبر المشيد فهده •
يا ناشق الكافور لا تتعده • طوبى لمن شاقه بعفر خده •
في روضة الهادي البشير النذير •

فهناك يبذل في التوسل وسعه • ويصبح نحو حطيب طيبة سمعه •
ويرى فوق حصى المصلى دمعه • ويرى معالم من يحب وربعه •
ومحمد للعالمين بشير •

صلى عليه الله خير صلاته • وحبا معا لبه جليل صلاته •
ما حن ذو الاشواق في حالاته • واتى معا نبيه على علاته •
فانتج حسن الختم وهو قريب •

ووقفنا بباب طلب الامل خاشعين، وتوسلنا الى الله بذلك المقام العلي خاضعين، وغبطنا قوما سكنوا منازلك فكانوا الخدود مم متى شاؤا على تلك الاعتاب واضعين •

مخمس

• اكرم بعبد بخوطبته سيدي • متوسل مستشفع مسترشد •
• يفلي الفلاة لها بعزم ابيدي • وافى الى قبر النبي محمد •
• ولربعه الاسمى يروح ويغتدي •
• ارجاه صادق حبه المتمكن • وحداه سائق عزمه المتعين •
• تحكي لدي سجعو الحمام الاغصن • برجا يردد فيه صوت ملحن •
• ويمد للاطراب صوت المنشد •
• ويقول جيت بعزمة شراعة • ونهضت والدنيا غير كساعة •
• لمحل احمد فابلا باذا عنه • هذا النبي المرتجى بشفاعة •
• يوم القيامة بين ذاك المشهد •
• هذا الرؤوف بجاره ونزيله • هذا سراج الله في تنزيله •
• هذا الذي لاريب في تفضيله • هذا حبيب الله وابن خليله •
• هذا ابن بانى البيت اول مسجد •
• هذا الذي اصطفت النبوة جيمه • هذا الذي اعتام الكريم تقدمه •
• هذا الذي يستسقي غدا تشنيمه • هذا الذي جبريل كان خديمه •
• في حضرة التشريف ازكي مصعد •
• هذا الذي شهد الوجود بخصه • بمزيد التفضيل من تخصيصه •
• وابانه من وحيه في نصه • هذا الذي رتفع البراق بشخصه •
• في ليلة الاسراء اشرف مهتد •
• هذا الذي غدت الطلول حديقة • بجواره وبدت بروق انيقة •
• هذا المكمل خلقة وخليقة • هذا الذي سمع الندا حقيقة •
• ودنى ولم يك قبل ذاك بمبتعد •
• فهنا لكم رسل به نتوسل • وعلى حماه لدى المعاد نعول •
• يا ارحم الرحماء انت المؤمل • يا خاتم الارسال انت الاول •
• فارق الى اعلا المكارم واصعد •
• الله رفع بني سراه مناره • وابان في الشرع العلا انواره •
• فغدت ملائكة السما انصاره • واراه جنته هناك وناره •
• تمويد وتخلد لمخلد •
• كم زاد من حلاو حلي ظلمة • وامتن بالرحما ومتن رحمة •
• لما دجا افق الضلالة دهمة • بعث الاله به لتبرح امة •
• لولاه كانت بالضلالة ترتد •
• حاز الشفوف فكل خلوقه • فالغيث يبسل اذ يسيل يمينه •

• والشمس تشهد بالشروق وجبينه • والله فضله واظهر دينه •
• ذو وفا لنا فيه بصدق الموعد •
• نطقت بغادي دلره وبراوح • وبه تبيا نح مسكه وينافح •
• تحيى اللسان بحامد وممادح • طوبى لمن قد عاش وهو يكافح •
• عنه بناضل باللسان وباليد •
• من صفوة العرب الاولى احسابهم • اسنا فهم قرنت بها انسابهم •
• فهم لباب المجد وهو لبابهم • من اليتيم لم تزل انسابهم •
• تنبي لهم عن طيب عنصر مولد •
• شرفا لنبوة قد رسا في اهلها • وسما على الزمر العلى بمحلها •
• ساق الشوابق للفخار برسلها • نطق الكتاب كما علمت بفضلها •
• وقضى به نص الحديث المسند •
• فوق السما كنوطبيت وتوطدت • وتفردت بالمصطفى وتوحدت •
• فهي الخلاصة صفيت فتجردت • من معدن فيه الرسالة قد بدت •
• من عصر ادمنا لعصر محمد •
• طالوا فلم يبقوا المجد مصعدا • صالوا ففي ابيا بهم خفق العدا •
• سالوا فهم لعفاتهم غيث الجدا • اهل السقاية والرفادة والندا •
• والكعبة البيت الحرام المقصد •
• المطعمون وقد طوى المهي لطوى • الناهضون اذا الصريخ لهم نوى •
• العاطفون اذا الطريق بهم ثوى • اهل السدانة والحجا واللوى •
• اهل المقام وزمزم والمسجد •
• المصلحون اذا الجموع تخادعت • المنجحون اذا المساعي دافعت •
• الدافعون اذا الاعادي فارعت • المؤثرون اذا السنون تتابعت •
• وفد الحجيج بنيل كل تفقد •
• لا يقرب الخطب الملم منيعهم • لا يطرق الكرب المخيف قريعهم •
• والله شرف بالنبي جميعهم • من نال رتبتهم وحاز صنيعهم •
• نال الشفوف وحاز معنى السودد • لعله السعود
• حلوا من الطود الاشم بمنعة • في خير معتصم واسمى رفعة •
• فهم بمنة امنة في هجعة • الله خصهم باشرف بقعة •
• محجوجة محفوفة بالاسعد •
• لما ابتنت لرامة اصل الثرى • من بعد نصدي مكة ام القرى •

• أنشدت جمهرًا فيه أنثر جوهرًا • وأليكها يا خير من وطئ الثرى •
• عذراء تزري بالعذارى الخرّد •
• كل الحسان لحسنها قد أدهشا • ما مثلها في تيهها شادٍ نشا •
• سفرت بعزم ما أحد واطيشا • نشأت بطي القلب وارتوت الحشا •
• زهراء من يرها يهيم ويسجد •
• أمنتك تشدي في بهاء ما الإنشا • وترى أجادتها المجيد المنشئا •
• تغدو ولا تثني العنان عن الثنا • وأتتك تمرح كالقضيب إذا انثنى •
• متبختر بين الغصون الميّد •
• فذا عملت في المدح ما قد ذمها • نرجو الحلول لديك فرارة أمنها •
• وعسى إذا اعذبت بتربة عذبها • يحلولك الإحسان بارع حسنها •
• والحسن يحلو ما وإن لم تنشد •
• مدحي لخير العالمين عقيدتي • ومطيتي طيبتي وتشيدتي •
• ونتيجتي ومدى لتيقن مفيدتي • ولئن مدحت محمدًا بقصيدتي •
• فلقد مدحت قصيدتي بمحمد •
• يا خير خلق الله دعوة حائر • يشكو إليك صروف دهر جائر •
• والله يعلم في هواك سرائري • وهو الذي أرجو لعفو جرائري •
• متوسلًا بجنابك المتطاول •
• لولا حقوق عيّنت بمغارب • لمكثت عندك في نتاج مآربي •
• ويكون في الزرقاء عذب مشاربي • حتى أحل من ثراك تراب ...
• وأنا لدفننا في بقيع الغرقد •
• وعليك من رب جلالك صلاته • وسلامه ومبانه وصلاته •
• ما أمّ بابك من هداه فلاته • لعلاك حتى زخرفت علاته •
• فأنتج حسن الختم دون تردد •

ثم ودعته صلى الله عليه وسلم والقلب من فراقه سقيم • ووقعت من البعد عن تلك المعاهد في المقعد المقيم • وأنا أرجو أن يكون شكل منطقي غير عقيم • وأن أحشر في زمرة من سلك الصراط المستقيم •

• يا شفيع العصاة أنت رجائي • كيف تخشى الرجا عندك خيبة •
• وإذا كنت حاضرًا بفؤادي • غيبة الجسم عنك ليست بغيبة •
• ليس بالعيش في البلاد انتفاع • أطيب العيش ما يكون بطيبة •

ثم عدت إلى مصر وقد زال الغنى ببركته صلى الله عليه وسلم الأضر وذلك في محرم سنة ١٠٢٩

ثم قصدت

ثم قصدت زيارة بيت المقدس في شهر ربيع من هذا العام • وقد شملتني بفضل الله جوائز الإنعام • وتذكرت عند مشاهدة تلك المسالك الصعبة قول حافظ الحفاظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله وهو مما زادني في همتي للزيارة رغبة

• إلى البيت المقدس جئت أرجو • جنان الخلد نزلًا من كريم •
• قطعنا في مسافته عقابا • وما بعد العقاب سوى النعيم •

فلما دخلت المسجد الأقصى • وأبصرت بدائعه التي لا تستقصى بمرأى جماله الذي تجلى الله به عليه • وسألت عن محل المعراج الشريف فأرشدت إليه • وشاهدت محلًا أمّ فيه صلى الله عليه وسلم الرسل الكرام الهداة • وكان يحق أن أنشد هنا ما قاله بعض الموفقين • وهو مما ينبغي أن نترنم به الحداة •

• إن كنت تسأل أين قد • ر محمد بين الأنام • فاصغ إلى آياته • تظفر بريك في الأوام •
• أكرم بعبد سلمت • تقديمه الرسل الكرام • في حضرة التقديس وا • فانها بعزم واحترام •
• صفوا وصلوا خلفه • إن الجماعة بالإمام • للشهب نور بيّن • والفضل للقمر التمام •
• سلك النبوة باهر • وبأحمد ختم النظام • هذا الكتاب دلالة • تبقى إلى يوم القيام •
• شهدت له من بعد محشر الرسل للخصام • خير الورى وأجل آ • يات له خير الكلام •
• فعليه من رب الورى • أزكى صلاة مع سلام •

وربما يقول من يقف على سرد هذه الأمداح النبوية • إلى متى وهذا الميدان تكل فيه فرسان البديهة والروية • فأنشده في الجواب • قول بعض من رام نهج الصواب •

• لا يدعن مديح المصطفى • فعل من في الله قوّى طمعه •
• فعسى ينعم في الدنيا به • وعسى يحشر في الأخرى معه •

وإذا كان القريض في بعض الأحيان كذبًا صراحًا • والموقوف تركه والحالة هذه رغبة عنه واطراحًا • فخيره ما كان حقًا وهو مدح الله ورسوله • وبذلك يحصل للعبد منتهى سوله • ليس كل القريض يقبله السمع وتصغي لذكره الأفهام •

• وأجل الكلام ما كان في مد • ح شفيع الورى عليه السلام •
• طيب العرف دائم الذكر لا تأ • تي الليالي عليه والأيام •
• مثل زهر قد شق عنه كمام • أو كمسك قد فض عنه ختام •
• ليس تحصى صفات أحمد بالعد • كما لم تخط به الأوهام •
• ولو ان البحار حبر وما في الـ • أرض من كل نابت أقلام •
• فطويل المديح فيه قصير • وحسام ماض لديه كهام •
• ولسان البليغ للعي ينمي • وكذا صيّب الفصيح جهام •
• كيف يحصي مديح مولى عليه الـ • له أثنى وذكره مستدام •
• وله المعجزات والآي تبدو • لا يغطي وجوههن لثام •

فمن المعجزات ان سار ليلا • وجميع الانام فيه نيام •
راكبا للبراق حتى الى القدس • وفيه رسل الاله الكرام •
فاستووا خلفه صفوفا وقالوا • يا احمد فانت الامام •
فعليه من ربه صلوات • زاكيات مع تحية وسلام •

ثم رجعت الى القاهرة • وكررت منها الذهاب الى البقاع الطاهرة • فدخلت لهذا التاريخ الذي هو عام تسعة وثلاثين والف مكة خمس مرات • وحصلت لي بالمجاورة فيها المسرات • وامليت فيها على قصد التبرك دروسا عديدة • والله يجعل ايام العمر بالعود اليها مديدة • ووفدت على طيبة المعظمة مبيما منا ميجها السديدة سبع مرات واطفات بالعود اليهما ما بالاكباد الحرار • واستضات بتلك الانوار • والفت بحضرته صلى الله عليه وسلم بعض ما من الله به علي في ذلك الجوار • وامليت الحديث النبوي بمراى منه عليه الصلاة والسلام ومسمع • وتلت بذلك وغيره ولله المنة ما لم يكن لي غيره مطمح ولا مطمع • ثم ابت الى مصر مفوضا الى الله في جميع الامور ملازما خدمة العلم الشريف بالازهر المعمور • وكان عودي من الحجة الخامسة بصفر سنة سبعة وثلاثين والف للهجرة فتحركت همتي اوايل رجب هذه السنة للعود للبيت المقدس وتجديد العهد بالمحل الذي هو على التقوى موسس • فوصلنا اواسط رجب • واقمت فيه نحو خمسة وعشرين يوما بدا لي فيها بفضل الله وجه الرشد وما احتجب • والقيت عدة دروس بالاقصى والصخرة المنيفة • وزرت مقام الخليل ومن معه من الانبيا ذوي المقامات الشريفة • وكنت حقيقا بان انشد قول ابن مطروح في ذلك المقام الذي فضله معروف وامره مشروح •

خليل الله قد جينا لك نرجوا • شفاعتك التي ليست ترد •
امد لنا دعوة واشفع تشفع • الى من لا يخيب لديه قصد •
وقل يا رب اضياف وفود • لهم بمحمد صلة وعهد •
اتوا يستغفرون لكثير ذنوب • عظام لا تعد ولا تحد •
اذا وزنت بيذبل وشمام • رجحن ودونها رضوى وعهد •
ولكن لا يضيق العفو عنهم • وكيف يضيق ومولاهم معد •
وقد سالوا رضاك على لساني • اليهما اجيب وما ارد •
فيا مولاهم عطفا عليهم • فهم جمع اتوك وانت فرد •

ثم استوعبت تلك المزارات المباركة كمزار موسى الكليم • على نبينا وعليهم وعلى سائر المرسلين والانبيا اجمعين • افضل الصلاة والتسليم • ثم حدث لي منتصف شعبان عزم على الرحلة الى المدينة التي ظهر فضلها وبان دمشق الشام • ذات الحسن والبها والحيا والاحتشام • والادواح المتنوعة • والازواج المتفنوعة

حيث

حيث المشاهد المكرمة • والمعاهد المحترمة • والغوطة الغنا والحديقة • والمكارم التي يباري فيها المرشا بيه وصديقه • والاطلال الوريقة • والافنان الوريفة • والزهر الذي يتخايل مبتسما والنديم ريقه • والقضبان الملد التي تشوق رائيها الجنة الخلد بحيث الروض وضاح • والثنايا ابتهن الحسن مصقول الاديم • وهو المدينة المستولية على الطباع المعمورة البقاع • بالفضل والرباع •

تزيد على مر الزمان طلاوة • دمشق التي راقت بحلو المشارب •
لها في اقاليم البلاد مشارق • منزهة احما رمنها عن مغارب •

ودخلتها اواخر شعبان المذكور وحمدت الرحلة اليها وجعلها الله من السعي المشكور •

وجدت بها ما يملا العين قرة • ويسلي عن الاوطان كل غريب •

وشاهدت بعض مغانيها الحسنة • ومبانيها المستحسنة •

نزلنا بها ننوي المقام ثلاثة • فطابت لنا حتى اقمنا بها شهرا •

ورابنا من محاسنها ما لا يستوفيه من يأتي بالخطاب واطال في الوصف واطاب وان ملا من البلاغة الوطاب كما قلت

محاسن الشام اجلى • من ان تسام بحد •
لولا حمى الشرع قلنا • ولم نقف عند حد •
كانها معجزات • مقرونة بالتحدي •

فالجامع الجامع للبدايع يبهر الفكر • والغوطة الموطنة بالحسن تسحر الالباب لا سيما اذا جاها النسيم وابتكر •

احب الحمى من اجل من سكن الحمى • حديث حديث في الهوى وقديم •

فلله مرآها الجميل الجليل • وبيوتها التي لم تخرج عن عروض الخليل وبحرها الذي هو على فضلها وفضل اهلها ادل دليل • ومنظرها الذي ينقلب البصر عنه وهو كليل •

والروض قد راق العيون بحلة • فدحا كهما سحابه ادرار •
وعلى غصون الدوح خضر غلايل • والزهر في اكمامه ازرار •

فكم لها من حسن ظاهر وكامن كما قلت موطيا للبيت الثامن

اما دمشق فجنة • لعبت بالباب الخلايق •
هي بهجة الدنيا التي • منها بديع الحسن فايق •
لله منها الصالحية • فاخرت بذوي الحقايق •
والغوطة الغنا حيث • بالورد سمر وبالشقايق •
والنهر صاف والنسيم • اللدن للاشواق سايق •
والطير بالعيدان ابدت • بالغنا احلى الطرايق •
والى الازمان رحلت • جيد غصن وهو رايق •

ومرّ او ذا الامطار قد كحلت بها حدق الحدائق
لا زال مغنانا بها مصنو نا امنا كل البوائق

وكما قلت مرتجلا ايضا مضمنا الرابع والخامس

دمشق راقت رواء وبهجة وغضاره … فيها نسيم عليل صح فوافت بشاره
وغوطة كعروس تزهي باعجب شاره … ما احسنها من رياض مثل النضار نضاره
كالزهر زهر ارواعنها عرفا العبير عباره … والجامع الفرد منها اعلا الاله مناره
وحاصل القول فيها لمن اراد احتصاره … تذكيرها من راها عذبا وحسبي اشاره
دامت بثغور سواها … انالة واناره

وكما ارتجلت فيها ايضا

قال لي ما تقول في الشام حبر … كلما لاح بارق الحسن شامه
قلت ماذا اقول في وصف قطر … هو في وجنة المحاسن شامه

وقلت ايضا

قال لي صف دمشق مولا رئيس … جمل الله خلقه واحتشامه
قلت كل اللسان في وصف قطر … هو في وجنة البسيطة شامه

وقلت

واذا وصفت محاسن الدنيا فلا … تبدا بغير دمشق فيها اولا
بلد اذا ارسلت طرفك نحوه … لم تلق الا جنة او جدولا
ذا وصف بعض صفاته ومن الذي … يحصي البليغ وان اجاد واطولا

والغاية في هذا الباب من الوصف لبعض محاسنها الفائقة الالباب قول ابي الوحش سبع بن خلف الاسدي يصف ارضها المشرقة ونسيمها العليل وزهرها البليل الندى

سقى دمشق الشام غيث ممرع … من مستهل ديمة دفاقها
مدينة ليس يضاهي حسنها … في ساير الدنيا ولا افاقها
تود زوار العراق انها … تعزى اليها لا الى عراقها
فارضها مثل السما بهجة … وزهرها كالزهر في اشراقها
نسيم رياروضها متى سرى … فك اخا الهموم من وثاقها
قد ربع الربيع في ربوعها … وسيقت الدنيا الى اسواقها
لا تسام العيون والانوف من … رويتها يوما ولا انتشاقها

وقول شمس الدين الاسدي الطيبي

اذا ذكرت بقاع الارض يوما … فقل سقيا لجلق ثم رعيا
وقل في وصفها لا في سواها … بها ما شيت من دين ودنيا

وكان لسان الدين ذا الوزارتين بن الخطيب عنا بها بقوله المصيب

بلد

بلد تحف به الرياض كانه … وجه جميل والرياض عذاره
وكانما واديه معصم غادة … ومن الجسور المحكمات سواره

ولنت قبل رحلتي اليهما والوفادة عليهما كثيرا ما اسمع عن اهلهما زادهما الله في رتبة بهم ما يشوقني الى رويتهما ولقاياهم ويبشقني على البعد اريج الادب الفايق من تلقايهم حتى لقيت بمكة المعظمة اوحد كبرايهما الذين فرايدهم بلبنة الدرر منتظمة عين الاعيان وصدر ارباب التفسير بها والبيان صاحب القلم الذي طبق الكلى والمفاصل والفتاوى التي حكمها بين الحق والباطل فاصل والتاليف التي وصفها بالاجادة من باب تحصيل الحاصل وارث العلم عن غير كلالة ذو الحسب المشرق بدره في سماء الجلالة صاحب المعارف التي زانت خلاله وساحب ذيل العوارف التي ابانت على فضله دلالة مفتي السلطنة في تلك الاوطان على مذهب الامام النعمان مولانا الشيخ عبد الرحمن بن شيخ الاسلام عماد الدين لا زال الساك سبيل المهتدين فكان جمل الله به عصرا واوانا لفضيلة هذا القياس عنوانا فلما حللت بدارهم ورايت ما ادهلني من سبقهم للفضل وبدارهم صدق الخبر الخبر وتمثلت فيهم

بقول بعض من غبر

الم بنا اوصافهم فاملا الفضا عبيرا واضحى نورهم منا لقا
وقد كان هذا من سماع حديثهم … بلا غافصح النقل اذ حصل اللقا

هذا وقابلوني شملهم الله بالاحتفال والاحتفا وعرفوني بديع برهم فن الاكتفا

غمرتني المكارم العز منهم … ونوالت علي منهما فنون
شرط احسانهم تحقق عندي … ليت شعري الجزاء كيف يكون
وقابلوني بالقبول مغضين عن جهلي … ومازال بي احسانهم وجميلهم
وبرهم حتى حسبتهم اهلي بل الاولى ان تمثل فيهم بما هو ابلغ من هذا المقول في

آل المهلب **وهو قول بعض** من نزل بقوم برق فقصدهم غير خلب في زمن به تقلب

ولما نزلنا في ظلال بيوتهم … امنا ونلنا الخصب في زمن محل
ولو لم يزد احسانهم وجميلهم … على البر من اهلي حسبتهم اهلي

لا سيما المولى الذي امتداحه حلى اجياد الطروس العاطلة وسماحته تخجل انواء العيون الهاطلة صدر الاكابر الاعاظم الحاير قصب السبق في ميدان الحماسة كل ناثر وناظم الصديق الذي تودده اغتبط والصدوق الذي بانسيام عهده ارتبط الاوحد الذي صرفت البراعة زوافها بناديه والماجد الذي لم يزل بديع البلاغة من كتب بناديه السري الحايز من الحلال ما ابان تفضيله اللوذعي الذي لم يزل اوصافه تحكم له بالسودد وتفضيله والحق ابلج لا يحتاج

الى زيادة بولايين . الاجل المولى احمد افندي بن شاهين . لا زالت العزة مقيمة بنواديه . ولا برحت حضرته جامعة لبواطن الفخر وبواديه . والسعد يراوح مقامه ويغاديه . والمجد يترنم بذكره حاديه . فكم له اسماه الله ولغيره من اعيان دمشق لدي من ايادٍ تعجز عن بيانه عنها لو اردت وصفها فتيل باد . ولو كرر لاسمائهم وحلاهم . ادام الله سعودهم وعلاهم . لضاق عن ذلك النطاق . وكان من شبه التكليف بما لا يطاق . فليت شعري باي اسلوب اودي بعض حقوقهم المطلوب ام باي لسان اثني عن مآثرهم الحسان . وما عسى ان اقول في قوم نسقوا الفضائل وآلاء . وسحبوا ذيل المجد مطارف وملاء . وحازوا المكارم . وبدوا الموائد والصوارم سوددا وعلاء . فما رياض زهر الربيع اذا بدت في وشيها البديع ضاحكة عن شنب الاقاح . عند سفور طلعة الصباح . غنى بها مطوق الحمام . وصافحتها راحة الغمام . وباكرتها نسمة من الصبا . فاصبحت كانها عهد الصبا نظارة ورونقا وبهجة تفدى بكل ناظر ومهجة . اطيب من ثنائهم عبيرا ابين لا الورى وسل به خبيرا . وامنت معاليهم على طول الزمن . يروي حديث الفضل عنها عن حسن وثابت وقرة وسعد . واسعفوا بنيل كل وعد . فهم الذين نوهوا بقدري الخامل وظنوا مع نقصي ان نحو معرفتي وافر كامل . حسب ما اقتضاه طبعهم العالي .

• فلو شربت بعمري ساعة ذهبت . من عيشتي معهم مما كان بالغالي •

فمتعين حقهم لا يترك . وجهم لا يخالط بغيره ولا يشرك . وان اطلت الوصف فالغاية في ذلك لا تدرك . يزداد في مسمعي تزداد ذكرهم . طيبا ويحسن في عيني مكرره واذا كان المديح الصادق لا يزيدهم رفعة قدر فهم كما قال الاعرابي الذي ضلت ناقته في مدح البدر والبليغ وذو الحصر في ذلك سيان . والحق ابلج والباطل لجلج وليس الخبر كالعيان .

شعر

• هم الروض لا يثني على الغيث نشره . الخيسه تخفى مآثره الحسنى •

وقد تذكرت بلادي الشآمية . بذلك المرأى الشامي الذي بهر رائيه . فما شئت من انهار ذات انسجام . انزع بها في حرايا الانشراح . وازهار منوحة للارواح . مروحة للنفوس بعاطر الارواح . وحدائق تغشى انوارها الاحداق . وعبابها للخبر عنها مصداق واي مصداق .

• فمن الذي ضحكت اليها صباحها . وبكت عشيتها عيون النرجس •
• واخضر جانب نهرها فكانه . سيف يسل وغمده من سندس •

وجنانها فيها في الحسن ذوات افنان

• صافحتها الرياح فاعتنق الشرق . ومالت طواله للقصار •
• لا يد بعضه ببعض كقوم . في عتاب مكرر واعتذار •

وبطاح

وبطاح راق سنامها . وكمل حسنها وتمامها . كما قلت مضمنا في ذلك المنحى

لقول بعض من فاق في البلاغة مناه ومحناه

• دمشق لا يقاس بها سواها . ويمتنع القياس مع النصوص •
• حلاها راقت الابصار حسنا . على حكم العموم او الخصوص •
• ببساط زمرد نثرت عليه . من البيا قوت الوان الفصوص •

ولله در القائل في وصف تلك الفضائل

• ان تكن جنة الخلود بارض . فدمشق ولا يكون سواها •
• او تكن في السماء فهي عليها . قد امدت هواءها وهواها •
• بلد طيب ورب غفور . فاغتنمها عشية وضحاها •

وعند ردني لتلك الاقطار الجليلة الاوصاف العظيمة الاخطار تفاءلت بالعود الى اوطاني بها او طار . اذ التشابه بينهما قريب في الانهار والازهار ذات العرف المعطار . وزادت مدته بالتقديس الذي همعت عليها منه الامطار . وتمثلت بقول الاصفهاني وان عبرت بيسير امنه لما اسفرت وجوه التهاني .

شعر

• لما وردت الصالحية . حيث مجتمع الرفاق •
• وشممت من ارض الشام . نسيم انفاس العراق •
• ايقنت لي ولمن احب . بجمع شملي واتفاق •
• وضحكت من فرح اللقا . كما بكيت من الفراق •
• لم يبق لي الا تجشم . ازمن السفر البواقي •
• حتى يطول حديثنا . بصفات ما كنا نلاقي •

وكنت قبل حلولي بالبقاع الشامية . مولعا بالوطن لا سواه . فصار القلب بعد ذلك مقتسما بهواه .

• ولي بالحمى اهل وبالشعب جيرة . وفي حاجر خل وفي المنحنى صحب •
• تقسم ذا القلب المتيم بينهم . سالتكم بالله هل يقسم القلب •

فيا لك من صب مراع للزمام منقاد لشوقه في زمام يتخيل له انه يسمع صوت قيان

بقول الاول

• الى الله اشكو بالمدينة حاجة . وبالشام اخرى كيف يلتقيان •

وفرد تعددت جموعه . وتشتت بما اكنت ضلوعه ودموعه . فانشد وقد تحير مما بدل فيه من عظم ما به وغير .

• كمنت شان النوى يوم النوى فوشى . بسره من جفوني اي نمام •
• كانت ليالي بيض في دنوهم . فلا تسل بعدهم عن حال ايام •

• ضنيت وجدا بهم والناس تحسبني • سقما فانهم حالي عند لومي •
• ولبئن اصل ضني جسمي لتخيل سوى • فرط اشتياقي لاهل الترب والشام •
وحصل التخيير حيث لم يمكن الجمع ولا الخلو عند التخيير كما قال ذو قيق العيد في مثل هذا الغرض البعيد • اذا كنت في نجد وطيب نعيمه • تذكرت اهلي باللوى فمحسر •
• وان كنت فيهم زدت شوقا ولوعة • الى ساكني نجد وعيل تصبري •
• فقد طال ما بين الفريقين موقفي • فمن لي بنجد بين اهلي ومحشري •
وبالجملة فالاعتراف بالحق فريضة • ومحاسن الشام والمقالة طويلة عريضة • ورياضه بالمفاخر والكمالات اريضة • ومقر الاولياء والانبياء • ولا يجهل فضله الا الاغمار والاغبياء الذين قلوبهم مريضة •
• انى ترى الشمس خفاش يلاحظها • والشمس تبهر ابصار الخفافيش •
ولله من قال في مثل هذا من لا ارضيا •
• ومبتني قلت ان الصبح ليل • ايعمى الناظرون عن الضياء •
وقال اخر فيمن غض الحق بنفر شعر
• اذا لم يكن للمرء عين بصيرة • فلا غرو ان يرتاب والصبح مسفر •
وحسب الفاضل اللبيب ان يروي قول البدر بن حبيب
• عرج اذا ما شمت برق الشام • وحي اهل الحي واقرا السلام •
• وانزل باقليم جزيل الحبا • تبارك الله رب الانام •
• العز والنصر لديه وما • لعروة الاسلام عنه انفصام •
• من اولياء الله كم قد حوى • ركنا بمراه بطيب المقام •
• وهو مقر الانبياء الاول • والاصفياء الاتقياء الكرام •
• كم من شهيد في حماه وكم • من عالم فرد وكم من امام •
وكذلك اعتنت الجهابذة بتخليد اخباره في الدواوين • وابتنت الاساتذة بيوت افتخاره المنيفة الاواوين • وتنا قلت انباءه البديعة السن الرواوين • ونمامت باماكنه المريجة مداة الشريعة • فضلا عن الشعرا الغاوين • ومع ذلك فهم في التعبير عن عجايبه عن منتشا وبن اولا يرى انهم يأتون من مقولهم على قدر رايهم وعقولهم • ولم يبلغ جمع منهم ما كان نواله ناوين •
• على قدرك الصهبا تولبك نشوة • بها شي اعداء وستر صحاب •
• ولو انها تعطيك منها بقدر ما • لضاقت بك الاكوان وهي رحاب •
وكنا في خلال الاقامة بدمشق المحوطة • واثنا التامل في محاسن الجامع والمنازل والقصور والغوطة • كثيرا ما ننظم في سلك المذاكرة درر الاخبار الملقوطة • وننفيا من ظلال التبيان مع اوليك الاعيان في مجالس مغبوطة تتجاذب فيها

20

اهذاب • ونشرب من سلسال الاسترسال • ونهنا بلباب الالباب • ونمد بساط الانبساط • ونسد لطناب الاطناب • ونقضي اوطار الافطار • ونستدعي اعلام الاعلام • فتجر بينا الكلام والحديث شجون • وبالتفنن يبلغ المستفيدون ما يرجون الى ذكر البلاد الاندلسية • ووصف رياضها السندسية • التي هي بالحسن منوطة • وقضايانا الموجهه التي لا يستثنوا فيها المنطق مع انها ضرورية وممكنه ومشروطه • والفطر السليمه • والافهام المستقيمه • بتسليم براهينها قاضية لا سيما ان كان بالانصاف مربوطة • فصرفت اورد من بدايع بلغائها ما يجري على لساني من الفيض الرحماني • واسرد من كلام وزيرها لسان الدين الخطيب السلماني سقى الله عليه سحايب رحماه • وبلغه من رضوانه الاماني ما تثيره المناسبة وتقتضيه • وتميل اليه الطباع السليمة وترتضيه • من النظم الجزل • في الجد والهزل • اذ هو اعني لسان الدين فارس النظم والنثر في ذلك العصر والمنفرد بالسبق في تلك الميادين باداة الحصر • وكيف لا ونظمه لم يستولي على مثله ايدي الهصر • ونثره يزري بصورته بالخريدة ودمية القصر • فلما تكرر ذلك غير مرة على اسماعهم لمحاولة دون غيره حتى صار كانه كلمة اجماعهم وعلق بقلوبهم واضحى منتهى مطلوبهم • ومنية امالهم واطماعهم وصاروا يقطعون بيد الرغبة فنونه ويعترفون ببراعته ويستحسنونه • ويستنشقون من ازهاره كل ذلك فطلب مني المولى احمد الشاهيني اذ ذاك • وهو الماجد المذكور • ذو السعي المشكور • ان يعضدني للتعريف بلسان الدين في مصنف يعرب عن بعض احواله وانبايه • وبدايعه وصنايعه ووقايعه مع ملوك عصره وعلمايه وادبايه • ومفاخره التي قلدها جيد الزمان ولبته • وماثره التي لج بها منتدى الشمال ومهبه • وبعض ما له من النثار والنظام • والمولفات الكبار العظام • الرايقة للابصار الفايقة على كلام كثير من اهل الامصار • السايرة مسير القمر والشمس المعقودة عليها الخناصر الخمس • كما يكون ذلك لهذه الاغراض مشبعا ويخلع على مطالعه بهذه البلاد المشرقية من اغراضه البديعة • ومنازعه وشيعا • فاجبته الى ذلك قدره الكبير واذ لم عرف فضا بله المزري بالعنبر والعبير بان هذا الغرض غير سهل ولست علم الله له باهله من جهات عديدة • اولها قصوري عن تحمل تلك الاعبا الشديدة اذ لا يوفي بهذا الغرض الا الماهر بطرق المعارف السديدة • وثانيها عدم تيسر الكتب المستعان بها على هذا المرام • لاني خلفتها بالمغرب واكثرها في المشرق كعنقا مغرب • وثالثها شغل الخاطر باشجان الغربة الجالبة للفكر غالبا الكربة ونفسم البال • ببين شغل غابق وبلبال • واني يطيق سلوك هذا المضيق من اكتحلت جفونه بالسهاد • وبنت جنوبه عن المهاد • وسدد نحوه الاسف سهمه وشغل

بالله وومته • وبث فى قلبه تبريحا وعناء لم يجد منه الان بلطف الله تسريحا
فما شام بارقة امل الا في النادر • ولا ورد منهل صفاء الا وكدره مكر غادر •
وقد كثر الجفاء • وبرح بلا شك الخفاء • واستوخمت الموارد والمصادر • والقلب
مكلوم والدب غير ملوم اذا كان على تلفيق ما يليق غير قادر • ولا مونس الا
شاكي دمع بلسان صريح • او باكي فاصمه ظهر بخفن قريح • ومناضل في معترك
الحجر طريح • او فاضل دفن من الخمول في ضريح • اذ رمته سهام الاوهام الصوايب
وعضت منه ابهام الاتهام بنابها المنوى والنوايب فقلو به من تقلبات احواله
ذوايب • وكم شابت من امثاله بصروف الدهر وانوايبه ذوايب •

• على انما الايام قد صرن كلها • عجايب حتى ليس فيها عجايب •

وادفع احجارها تسلط تجارها • فكم من عدو منهم في ثياب صديق • وحسود لنظره
الي نعم الله على عباده تحقيق • لا تخدعه المدارات • ولا تردعه المهارات بتتبع
العثرات • ويقنع بالم البثرات • ويبتسم وقلبه من الغلم يتقسم • ويتودد
ومكايده تتجدد فتتجدد •

• لا نزم مين مماذق الود تخبيرا • فيتعبد من السراب الشراب •
• رونق كالحباب يعلو على الماء • ولكن تحت الحباب الحباب •
• عظمت في النفاق السنة القوم • وفي الالسن الحداد العذاب •

والصديق الصدوق في هذا الزمن قليل • وقد الف بعض العلما شفا الغليل
في ذم الصاحب والخليل • وهو غير محمول على الاطلاق • وان قال بعض من هنه
من ابناء عصره ذو اغلاق •

• ابناء دهرك فالفهم • مثل العدا بسلاحكا •
• لا تغترر بمبتسم • فالسيف يقتل ضاحكا •

وذا الداعي الاول والاخر وقد عظم الامر في هذا الاوان وكثر المزري والساخر
مع ان اسواق الدفاتر كاسده وامزجة المحابر فاسده

• والدهر دهر الجاهلين • وامر اهل العلم فاتر •
• لا سوق كسد فيه من • سوق المحابر والدفاتر •

فالمنسوب للعلم في هذا الزمن زمن • وهو بات يستشد قول الاول فمن •

• لاي ومبصر بارقة اشيم • ومن على الفضل عندهم هشيم •

وليت شعري على م يجسد من ابدل الاغتراب شارته • واضعف الاضطراب اشارته
واهمل ابالدموع انواءه • وقلل اضواءه • وكثر علله وادواءه • وغير عند التامل
رواه • وثني عن المامول عنانه • وارهف بالخمول سنانه • حتى قدح الذكر جنانه
وملا الفكر جاشه وجنانه • فهو في مبكاة النزوح مستنبق ومن راحه مصطبح

ومغتبق

ومغتبق لذائذ المشتاق في كل ساعة • نمزها للثاكلات من الحزن •
• ومن مرسلات الدمع وافنع الاسى • ومن عاديات البين فارعه السن •
تثير الذكرى منه كوامن الشجون • وتذير عليه جام الهيام ولو كان من القفا
والجنون • وتحت ضلوع المستهام كابة • يخاف على الاحشاء منها التفطر •
• ولو ان احشاء تبوح بما حوت • لتمتلين الارض كتب واسطر •
واشتاق ما بين الاقتراب والاغتراب • والسكون في الركون والنبو عنها
والاضطراب • فذلك تسهل غالبا فيه الاعراض والمارب • وهذا تتغص كذلك
المقاصد وتتكدر المشارب

• وما انا عن تحصيل دنيا بعاجز • ولكن اري تحصيلها بالدنية •
• وان نطاوعني رقة الحال مرة • ابت فعلها اخلاق نفس ابية •

وكما قلت عندما صرت الى الاغتراب والت

• تركت رسوم عزي في بلادي • وصرت بمصر منسي الرسوم •
• ورضت النفس بالتجريد زهدا • وقلت لها عن العليا صومي •
• مخافة ان اري بالحرص ممتن • يكون زمانه احد الخصوم •

وكما قال ___ بعض الاكابر • من اهل الزمان الغابر شعر

• لا غار ان عطلت يداي من الغنا • كم سابق في الخيل غير محجل •
• صان اللئيم وصنت وجهي ماله • دوني فلم يبذل ولم انبذل •
• ابكي لهم صافني متناوبا • ان الدموع قرى الهموم النزل • ٢
• لا تنكروا شيبا الم بمفرقي • عجلا كان سناه سلة منصل •
• فلقد دفعت الى الهموم تنوبني • منها ثلاث شدايد جمعن لي •
• اسف على ماضي الزمان وحيرة • في الحال منه وخشية المستقبل •
• ما ان وصلت الى زمان اخر • الا بكيت على الزمان الاول •
• لله عهد بالحمى لم انسه • ايام اعصي في الصبابة عذل •

ويرحم الله ابن قلاقس الاسكندري اذ قال في معنى التمني المصدري شعر

• لعل زماني بالعذيب يعود • فيقرب قرب او يبيد صدود •
• وابصر كثبانا ومن روادف • عليهن اغصان ومن قدود •
• واقطف ورد الخد وهو مضرج • واجني اقاح الثغر وهو برود •
• وادني ذراعي للعناق ذريعة • فينهى عن الافراط فيه نهود •
• ويبسري الى البدر وهو ممنع • ويبدو الي الظبي وهو شرود •
• ونكرع في شكوى الفراق كانما • نوازط مبسم راهن ورود •
• واكبر مقدارا لنوى عن كبيرة • واحمي عفافي دونه واذود •

وفرق بين الجوهر والعرض والصحة البينة والمرض والدر والحصى والحسام والعصى والرجوع الى التعويض للاقدار في امور هذه الدار الكثيرة الاكدار هو المطلوب والمرجو من الله سبحانه جبر القلوب **شعر**

يا رب نفس مموهي • واكشف كربي جميعا •
فقد رجوت كريما • وقد دعوت سميعا •

ولم يجعل الى المذكور فسحة ولا مندوحة بعد مدة الاعدا والمجهود في الصدق الممدوحة ولسان حالي وقالي يثنيانى عجزى عن اداء هذا الحق بشهادة من هو واد وقالى اذ كان بصفه غير متمكنة مما تكون به متصفة والنسيم يبعوث مختلفه وارتسم في غير ذوي الاحوال المؤتلفه كيف يجير في التصنيف جوابا او يبتغي من التاليف صوابا ومن جفنه تمام هامل وقصوره عاجل شامل كيف يقبض بالانامل على ماء البحر الوافر الكامل ومن ليس من العي ملاه لا يحبر غصن طبق مفاصل الكلام وكلاه وقصرت السن البلغا عن غلاه وزانت صدور الدواوين حلاه وجمع خلالا حسانا وكان للدر لسانا وزاحمت مفاخره المناكب الكواكب ونفحات الازهار من ادابه ونسمات الاسحار عطر اذياله واهدا والسحر من كتابته والسحر من كتابته وروح النسيم من تقريضه والنثرة من نثره والشعري من شعره وقريضه وحلل المجد لباسه وانوار العلم اقتباسه

شعر

له زمن يغوص بحر علم • فيا تي منه بالدر النظيم •
معانيه الرياض لاجل هذا • سرت الفاظه مثل النسيم •

ومباسمه النجوم ومضاميه الغيث السجوم الى ابا يحدهم البدر والشمس وابا لو كان للمشتري مما يحفيه لمس وشرف لا مدعي ولا منتحل ومنه لو نالها البدر لاستخدى له زحل وبراعة ارهفت سنان قلمه وبراعة سارت امراؤها تحت علمه تكم فتح بفكره اقفالها ووسم بدمنيه التلاقيعا لها وسبك معانيها في قالب فكره ابريزا ورقم بنان لسانه برود احسانه بلفظه البديع تطريزا فرفع في ميدان الاجادة لواؤه وانيح من ابهار البراعة العذية رواوه ونال سبقا وتبريزا •

شعر

وما زمن الشباب وانت نجري • مع الاحباب في لهو وطيب •
ووصل من حبيب بعد هجر • باحلى من كلام ابن الخطيب •

فقضا بدع ارخصت جواهر البحور المنظومة قلايد اللبات والنحور من حسان الحور العقايل

معانيه الفاظ تنظم منهما • عقود لالي في نحور الشمايل •
وزهر كلام كالحدايق نسجه • غنينا به عن حسن زهر الخمايل •

وكلماته

وكلماته غدت للابداع اقليدا وجمعت طريفا من البلاغة وتليدا •

كسوت عبيدا اثياب العبيد • واضحى لبيد لديها بليدا •

ومقطعاته الذي في الاسماع من مطرب السماع وابهى في الاحداق والنواظر من الاحداق ذوات الاغصان الملد النواضر بغيرف بفضلها من انتحل الوصف دينا وانتحل الاوصاف فاختار العدل منها خدينا • **شعر**

دقيقات المقاطع محكمات • لو ان الشعر يلبس لا رتديا •

ورسايله كنقط العروس للاكحة في البياض او لوشي الربيع او قطع الرياض برزت اغصانها الحالية وتبرجت وتضوعت فنانها الغالية وتارجت وقد البسها القطر زهرا وجرى خلالها نهرا فاخذت زخرفها وازينت ولاحت محاسنها غير محتجبة وتبينت فيمرت من لها قابل استغفر الله لا بل من لحد الا ان صوب لنمى وجنا نهار زهرة الكلم وقوافيه رشت بها فوادم الاذقان وخوافيه نبال محاربها يستندر الحصر وبابع مبا ربها يستنشر القطر •

خطها روضة والفاظها الا زهار يضحكن والمعاني ثمار

تبدى لمبتصر ما ونزي **ما قال ... البحتري** ابو عبادة • • •

وكلام كانه الزهر الصبا • في رونق الربيع الجديد •
مشرق في جوانب السمع ما يخلقه عوده على المستفيد •
ومعان لو فصلتها القوافي • مبحث ما الجرول من تشييد •
حزن مستعمل الكلام اختيارا • وتجنبن ظلمة التعقيد •

بل هو اجل مما وصف عند التحقيق وامتحان النظر الصحيح والتدقيق •

ابن زهر الرياض وهو اذا ما • طال عهدا بالغيث عاد هشيما •
من فراق كانها الانجم الزهر • سناما اوردت لي الاهيما •

وناهيك بمن اطلعته العلوم على جلايلها ودقايقها واريته الفهوم ما شا في ندبها وجعلته المرجوع اليه في تمييز جيد الامور ورديها فغرس في ارضه الريابسه من نخل السياسه وديها واعلى علم العدل واغمد سيف الانتقام ودفع نابت الفتنة الذي غرفاه للانتقام والعهد اذ ذاك قريب في وطن الاندلس الغريب بالضلال الحال ونوا في الاضمحلال والتجري على قتل الملوك والتجري لقطع الطرق ومنع السلوك حيث اهوا المارقين ذات افتراق وضلوع الصادقين في قلق واختراق وايدي الاحن باطشه وسيوف البغي الى الدماء عاطشه وعرش الحماية مثلول وصارم الكفاية مفلول ونطاق الرعاية محلول ودم الوقاية مطلول وجيب النصيحة مملول والتنور السلطاني بنار اختلاف الكلمة ملتهب والعدو يتنهز الفرصة الا في نفس

ساحر

والاموال وبنيهن، والبشرى في غير قطع شافة المسلمين ابتغاء، وان عقد
المهادنة في بعض الاحيان فهو بسر حسوا في ارتغاء، وكلاب الباطل في دمها امل
الحق والغد، ولله سبحانه وتعالى في خلقه ارادة نافذة وحكمة بالغة، فرفع
لسان الدين ثوب الاندلس ورفاه، فازعم رحمه الله الكفر الذي تعرفاه،
وشمر عن ساعد اجتهاده، وحض باللسان وباليد على دفاعه وجهاده، حتى لاحت
للنصر بوارق، وامنت بالحزم الطوارئ والطوارق، ثم ضربت للدهر ضرباته،
واحرق الحاسد بنار احقاده، انضربانه، واظهر ما في قلبه على لسان الدين و
ابانه، ونقض تدبيره، وقلقل تبييره ورضوانه وابانه، وتقرب الوشاة
ومن ممن كان يحذره ويخشاه الى السلطان الذي كان عزه اوطانه، الذي كان
يامنه ولا يخشاه، حتى فسد عليه ضميره، وتكدر من يستمع بحر نميره، فاحس
بظاهر التغير، فصار في الباطن من اهل التحير، واجال قدح ارائه، والتفت
الى جهة العدو من وراءه، ففر مستمرا عن ذنبه، في لمة من حيله الى اشد العرين
سلطان بني مرين، وكان اذ ذاك بتلمسان، وهو من اهل العلم والعدل والاحسان
فامن المقدمه، ولقيه بخاصته وخدمه، واكرم مثواه، وجعله صاحب نجواه،
ثم ادرك السلطان الحمام، وكسف بدره وفقد التمام، فرجع لسان الدين الى فاس
واستنشق بها اطيب الانفاس، وكثرت بعد ذلك الاهوال، وتغيرت بسببه
بين رؤسا العدوة والاندلس الاحوال، فما نجى من مكر العدو ولا سلم، والامر من
الاعتبار وما نفع الاحتيال الى ما علم، على يدي بعض اعدائه الذين كانوا يتربصون
الدوائر لاردائه، فاصبح كامس الذاهب، وصارت امواله وضياعه عرضة
للناهب، وعض يد ذلك من كان من اوداه، واخذ الله ثاره من بعض من حرك
عليه المكر واثاره، وتسبب في هلاكه حتى انتثرت جواهر اسلاكه، ومات بداء
فالعيون الى هذا الوقت على لسان الدين باكية، والنفوس الاكابر وغيرهم مما فعل
به شاكية، والالسنة والاقلام لمقاماته في الاسلام حاكية، فمن كانت محاسنه
اكثر منها موصوفا، لا يقدر مثلي على تحبيرها للتعبير عنه، ويخشى ان يكون فكرته
تخرقا تقصت فطنها اوصوفا، ثم اني لما تكرر علي في هذا الغرض الالحاح، ولم
تقبل اعذاري التي نزلتها شحاح، عزمت على الاجابة لما المذكور علي من
الحقوق، وكيف اقابل بره حفظه الله بالعقوق، وهو الذي يروي من احاديث
الفضل الحسان والصحاح، فوعدته بالشروع في المطلوب عند الوصول الى
القاهرة المعزية، وازمعنا السير عن دمشق المعروفة المزية، والبسلى السفر
منها بين الخلع زينة، ورحلنا عن تلك الارجاء المتالقة، والقلوب بها وبمن فيها
متعلقة

شعر

خللنا

خللنا ديار الغرام سرت بها، الينا صبا نجد بطيب نسيم
وبان بردي الاسجاع لما تجاذبت، الف المنى فيها رداء نعيم
فما انتشبتنا العيس انقذفت بنا، الى فرقة والعهد غير قديم
فان يك ودعنا الديار واهلها، فما عهدنا عندنا بذميم
فحج معنا اسماه الله مع جملة من الاعيان الى دار ربا المضامنية لدارين في رياها
وحبذا ربا، فالفينا بها ربا من الانداء، طيبة لها الفدا الجليل
تهدي لنا ارجا وما ارجا، من الزهر البليل
وبها الغصون تمايلت، ميل الخليل على الخليل
ووصلنا عند الظهيرة، وسرحنا العيون في بدايعها الشهيرة شعر
منزل كالربيع حلت عليه، حاليات السحاب عند التلاق
تمنع العين من طرائف حسن، تتجافى بها عن الاطراق

وقلنا بها المانزلنا بجنابها

ونبتنا والسرور لنا نديم، وماء غبوقنا الصافي مدام
بساحة النسيم اذا تغنت، حمايمه وتسقيه الغمام
فيا لله من ليلة ازرت في طيب النفخ، على ليلة الشريف الرضي بالسفح شعر
ونحن في روضة مفوفة، قد وشيت بالغمائم الوكف
نغني على زهرها فيوقظنا، ومنها هدير الحمام والهتف
وذو حمام من نداه في وشح، ومثل الحي الازهار في شنف
والغصن من فوقه حمامته، كانها همزة على الالف
وما اقرب قول الوزير ابن عمار من وصف ذلك المضمار الجامع للاقمار
يا ليلة بتنا بها، في ظل اكناف النعيم
من فوق اكمام الرياض، وتحت اذيال النسيم
ونامينك بمحل قريب من دمشق الغرا، خلعت عليه حلل الحبور والسرا، وابانت
بضبابها، واودعته برقحيانا وما حييانا، فضا رناضر الدوحات عاطر الغدوات
والروحات، موثق الانفاس والنفحات، مشرق الاسرة والصفحات، هذا و
القلوب من الفراق في قلق، ولسان الحال ينشد وفي علاقه، وجد ليس يعلمها
الا الذي خلق الانسان من علق، وبحث على انها فرصة الملقا اذ هي غنيمة
ويذكر بقول من قال، واكفا الدهر موقظة ومنبهة، شعر
تمتع بالرقاد على شمال، فسوف يطول نومك باليمين
ومتع من يحبك باجتماع، فانت من الفراق على يقين
ثم حضر بعد تلك الليلة موقف الوداع، والكل ما بين واجم وباك وداع، فمثلث

يقول من قلبه لفراق الاحباب في انصداع • ودعتهم ودموعي •
على الخدود غزار • فاستكثروا دمع عيني • لما استقلوا وساروا •

وقول اخر

يا وحشة من جيرة قد نأوا • عنا وقد زادني في الهوى بحظا •
حكت دموعي البحر من بعدهم • لما رأت منزله شطا •

وحولها ان تمثل في ذلك **بقول الغزازي**

لا تسلني عما جناه الفراق • حملتني يداه ما لا يطاق •
ان صبري كما كيف املك دمعي • والمطايا بالظاعنين تساق •
نفد دمعي تندبا للطلول فهذا • سنة قبل سنها العشاق •
واعذلي في ذكر العذيب فكم ما • لي يعطفني نسيمه الخفاق •
في سبيل الغرام ما فعلت بالعاشقين القدود والاحداق •
يوم ولت طلائع الصبر منا • ثم شنت غاراتها الاشواق •

وبقول عنترة

كنا جميعا والدار تجمعنا • مثل حروف الجميع ملتصقة •
واليوم صار الوداع يجعلنا • مثل حروف الوداع مفترقة •

وقول اخر

حين عم الحبيب بالتوديع • عيروني اني سفحت دموعي •
لم يذوقوا طعم الفراق ولاما • احرقتنا لوعة الاسى من ضلوعي •
كيف لا اسفح الدموع على ربع • حوى خير ساكن وجموع •
سيك اني كتمت حالي يخفي • زفرات المتيم المصدوع •
انما يعرف الغرام بمن لاح • عليه الغرام بين الربوع •

وقول منقلك

اقول له عند توديعه • وكل بعبرته مبلس •
لئن قعدت عنك اجسادنا • لقد سافرت معك الانفس •

وقول الصابي

ولما حضرت لتوديعه • وطرف النوى نحونا اشوس •
عكست لتبيين شعر مضى • يليق به الحال اذ يعكس •
لئن سافرت عنك اجسادنا • فقد قعدت معك الانفس •

وقول المهذب بن اسعد الموصلي

دعني وما شاء التفرق والاسى • واقصد بلومك من يطيع الداعي •
لا قلب لي فاعي الملام فانني • اودعته بالامس عند دموعي •

هل يعلم

هل يعلم المتحملون بنجعه • ان المنازل اخصبت من ادمعي •
كم غادروا حوضا وكم لوداعهم • بين الجوانح من غرام مودعي •
والستعمايد ما اجن من الجوى • والدمع بينة على ما ادعي •

وقول الكمال التنوخي

كم ليلة قد بتها ارعى السها • جزعا لفرقتهم بمقلة ارمد • بقوله
نضيتها ما بين نوم نافر • وزفير مهجور وقلب المكمد •
لم انس ايام السرور وطيبها • بين الصريم وبين برقة ثهمد •
والروض قد ابدى بدايع نوره • من ازرق ومفضض ومورد •
والماء يبدو كالصوارم ساريا • فيعيد متن الصبا كالمبرد • ٣٠
والطير بين مسجع ومرجع • ومغرد ومعدد ومردد •

وقول القاضي بها الدين السنجاري

احبابنا ما لي على بعد المدى • جلد ومن بعد النوى يتجلد •
لله اوقات الوصال ومنظر • نضر وغصن الوصل غصن املد •
اني يطيق اخو الهوى كتمانه • والخد بالدمع المصون مخدد •
ما بعد مفترق الركاب تصبر • عمن احب فهل خليل يسعد •
يا سعد ساعد بالبكاء اخاهوى • يوم الوداع بكى عليه الحسد •

وقول ابن الاثير

لم انس ليلة ودعوا • صبا وساروا بالحمول •
والدمع من فرط الاسى • يجري فيعثر بالذيول •

وقول الارجاني

ولما وقفنا للوداع عشية • وطرفي وقلبي هامع وخفوق •
بكيت فاضحكت الوشاة شماتة • كاني سحاب والوشاة بروق •

وقال بعضهم

لما حدى الحادي بنزحا لهم • هيج اشواقي واشجاني •
وراح بيتي ليقلت عن عيرهم • فهو لهم حاد ولي شاني •

وقال الصفدي

لما اعتنقنا لوداع النوى • وكدت من حر الجوى احرق •
رايت قلبي صار قدامهم • وادمعي تجري ولا تلحق • وقوله
تذكرت عيشا مر حلوا بكم • بعزمكم • فهلا ما منا ملك الذواهب •
وما انصرفت امال نفسي لغيركم • ولا انا عن تلك الرغايب غايب •
ساصبر كرها في الهوى غير طايع • لعل زماني بالحبايب آيب •

وقول ابن نباتة

في كنف الله وفي حفظه … مسراك والعود بعزم صريح

لو جاز أن نسلك أجفاننا … كما فرشنا كل جفن قريح

لكنها بالبعد معتلّة … وأنت لا تسلك إلا الصحيح

وقول الحافظ أبي الحسن علي بن المفضل

عجبت لنفسي بعدهم ما بقاؤها … ولم أحظ من لقياهم بمراد

لعمرك ما فارقتهم مذ ودّعوا … ولكنما فارقت طيب رقادي

وقد منعوا أمني زيارة طيفهم … وكيف يزور الطيف خالف سهادي

وأعجب ما في الأمر أني في البعد … وهم في سوادي ناظري وفؤادي

وقوله

رعى الله أيام المقام بروضة … تروح علينا بالسرور وتغتدي

كأن الشقيق الغض بين بطاحها … نجوم عقيق في سماء زبرجد

وقول القاضي الرشيد الأسواني

رحلوا فلا خلت المنازل منهم … ونأوا فلا سلت الجوانح عنهم

وسروا وقد كتموا الغداة مسيرهم … وضياء نور الشمس ما لا يكتم

وتبدلوا أرض العقيق عن الحمى … روّت جفوني أي أرض يمّموا

نزلوا العذيب وإنما هو مهجتي … رحلوا وفي قلبي المتيّم خيّموا

ما ضرهم لو ودّعوا من أودعوا … نار الغرام وسلّموا من أسلموا

هم في الحشى إن أنجدوا أو أغرقوا … أو أيمنوا أو أشأموا أو أتهموا

وقول الشاعر أبي طاهر الأصفهاني المعروف بالوتابي

أشاعوا وقالوا وقفة ووداع … وزمّت مطايا للرحيل سراع

فقلت وداع لا أطيق عيانه … كفاني سرّ البين المشيب سماع

ولم يملك الكتمان قلب ملكته … وعند النوى سرّ الكتوم مذاع

وقول أبي المجد قاضي ماردين

رعى الله ربعًا أنتم فيه أهله … وجاد عليه هاطل ومتون

ولا زال مخضرّ الجوانب مترع الـ … ـحياض وفيه للنعيم فنون

لئن قدر الله اللقاء وأينعت … غصون الندى في البعاد ذبول

وإن حكمت أيدي الزمان بعسرة … فكم قضيت للمعسرين ديون

وقول آخر

غبتم فما لي في التصبّر مطمع … عظم الجوى واشتدّت الأشواق

لا الدار بعدكم كما كانت ولا … ذاك البهاء بها ولا الإشراق

اشتاقكم

اشتاقكم وكذا المحب إذا نأى … عنه الأحبة قلبه يشتاق

وقول ابن الصائغ

قد أودعوا القلب لما ودّعوا حرقًا … فظل في البين مثل النجم حيرانا

راودته يستعير الصبر بعدهم … فقال لي أستعير اليوم نيرانا

وقول الصدر ابن الأدمي ملتغيًا

يوم توديعي لأحبابي غدا … ذكرهم شاغلي عن كل شي

قربت نحوي وقالت بانزي … أنت حيّ في هوانا قلت مي

وقول عنترة

ولي فؤاد مذ نأى شخصهم … ظل كئيبًا مذ نفا موجعًا

ومقلة مهما تذكّر نظمهم … تذرف دمعًا أربعًا أربعًا

وليس لي من حيلة كلما … لجّت بي الأشواق إلا الدعا

أسأل من ألّف بيننا تنا … وقدّر الفرقة أن يجمعا

وقول الرعيني الغرناطي

محاسن ربع قد محا من مآجري … من الدمع لما قيل قد رحل الركب

تناقض حالي مذ سجا بي فراقهم … فمن أضلعي نار ومن أدمعي سكب

وقول الزمخشري

لم يبكني إلا حديث فراقهم … لما أسرّ به إليّ مودّعي

هو ذلك الدر الذي أودعتم … في مسمعي أجريته من مدمعي

وقول الزغاري

قد تبعتهم قلبي يوم بينهم … بنظرة التوديع وهو محترق

ولم أجد من بعدها لرده … وجهًا وكان الرد لو لم يفترق

وقول بعض الأندلسيين

ساروا تودعهم طرفي وأودعهم … قلبي فما بعدوا عني ولا قربوا

هم الشموس ففي عيني إذ طلعوا … في القادمين وفي قلبي إذا غربوا

وقلت أنا مضمنا بديعيه

لا كان يوم الفراق ساق الشجون لنا … وكم أذل نفوسًا يا من يعز علينا

وقلت أيضًا مضمنا

سلا أحبته من لم يذب كمدًا … يوم الوداع وإن أجرى الدموع دما

يا من يعز علينا أن نفارقهم … من بعدكم ما درى كيف الصبر وإنهدما

وإن نأى الجسم كرهًا عن منازلكم … فالقلب ثاو بها لم يصحب القدما

وما نسينا عهود اللهو كرمت … نعم قرعنا عليها سننا ندما

واظلمت بالنوى ارجاء مقصدنا … وصار وجدان الغير بكم عدما

وقلت ايضا مضمنا

لم انس يا لشام انسا شمت بارقه … جادت معاهده انواء نيسان
لهفي لعيشتي قضيناها في مشاهدها … ما بين حسن من الدنيا واحسان

وقلت كذلك

يا جيرة بانوا وابقوا حسرة … تجري دموعي بعدهم وفق القضا
كم قلت اذ ودعتهم والانس لا … ينسى وعهد وداديهم لن يرفضا
يا موقف التوديع ان مدامعي … فضت وفاضت في ثرى ذاك الفضا

منذا وكم نفاه لت بقول الاول … ومع علمي بان على الله المعول **شعر**

اذا رايت الوداع فاصبر … ولا يهمنك البعاد
وانتظر العود عن قريب … لان قلب الوداع عادوا

وضاقت بي الرحاب حين مفارقة اقيان الصحاب وكاثرت دموعي من بينهم السحاب وزندا لتذكر يقدح الاسف فيهيج الانتحاب وقد مثلنا اذ ذاك والحوايج من الجوى في التهاب وذخاير الصبر ذات انتهاب بقول بعض من فارق البغداد منشدا

اجد لنا طيب المكان وحسنه … منى فتمنينا فكانوا الامانيا
وقد طفت في شرق البلاد وغربها … وسيرت خيلي بينها وركابيا
فلم ار فيها مثل بغداد منزلا … ولم ار فيها مثل دجلة واديا
ولا مثل اهليها ارق شمايلا … واعذب الفاظا واحلى معانيا

وبقول من ناشف على معا في النداي ومنوا بو الحجاج الاندلسي الداني

ابي الله الا ان فارق منزلا … يطالعني وجه المنى فيه سافرا
كان على الايام حين غشيته … يمينا فلم احلله الا مسافرا

وتخيلنا ان اقامتنا بدمشق وقاها الله كل صرف ما كانت الا خطرة طيف ملم او لمحة طرف

وقفنا ساعة ثم ارتحلنا … وما يغني المشوق وقوف ساعة
كان الشمل لم يك ذا اجتماع … اذا ما شتت البين اجتماعه

وطالما عللت النفس بالعود اليها ثم الى بقاعي منشدا قول الاديب الشهير بابن العفيف

متى عاينت عيناي اعلام حاجر … جعلت مواطي العيس فوق محاجر
وان لاح من ارض العواصم بارق … رجعت باحشا صواد صواد ر
سقى الله ما بين المواطن والربى … مواطر اجفان تؤام مواطر
وحيا الحيا من ساكن الحي اوجها … سفرن بانوار زواه زواهر
بحيث زمان الوصل غض وروضه … اريض بازهار نواه نواهر
وحيث جفون الحاسدين غضيضة … رمقن بما في شواه سواهر

ثم حاولت خاطري الكليل فيما يشفي بعض الغليل فقفا على طريق التضمين وقد غلب غليه الشوق والتخمين

يا بي من اودعوا منذ اودعوا … قلبي الشوق وللعيس ذميل
جيرة غر كرام خيرة … كل شيء منهم بيتو جميل
وعلى الجملة ما لي غيرهم … لو ارادوا ان يميلوا او يميل

ثم قلت وقد سدد الناي الى نبله موطيا للبيت الثالث كما في الابيات التوتيله

يا دمشق فاحياك غيث غزير … ووقاك الاله مما يضير
حسنك الفرد والبدايع جمع … متناه فيه فعز النظير
اين ايامنا بظلك والشمل … جميع والعيش غض نضير

ثم اني اكثرت الالتفات عن اليمين وعن الشمال وقد شبهت البيدا والشوق يبدل الكل والاشتمال وتنسمت من نواحي تلك الارجاء اريج الشمال وضمنت في المعنى قول بعض من يعني الحب عطفه واماله **شعر**

تنسمت ارواحا سرت من ديار من … بهم كان جمع الشمل لمحة حالم
وجاوبت من يلحى على ذاك جاهلا … بقول اللبيب بالعواقب عالم
وما انشقت الارواح الا لانها … تنم على تلك الربى والمعالم

وما احسن قول امر

سرت من نواحي الشام لي نسمة الصبا … وقد اصبحت حسرى من السير لاهثه
ومن عرق مبلولة الجيب بالندى … ومن تعب انفاسها متتابعه

وقلت انا

حمدت وحق الله للشام رحلة … اتاحت لعيني اجتلاء محياه
وبعد التنائي صرت ارتاح للصبا … لان الصبا تسري بعاطر رياه
فلله عهد قد اتاح بجلق … سرورا الخباه الاله وحياه

منذا واستحضرت عند جدا البين قول صفوان بن ادريس المرسي ذكره الله بالخير

اين ايامنا اللواتي تقضت … اذ ذخرنا للوصل اي مذخر

ثم قول عنتره من جرح واتى وقلق قلبه وما اطمانت **شعر**

احن الى مشاهد انس الفي … وعهدي من زيارته قريب
وكنت اظن قرب العهد يطفي … لهيب الشوق فازداد اللهيب

وربما تجلدت مغالطا متعللا بقول من كان لا لقيه مغالطا **شعر**

حضرت فكنت في بصري مقيما … وغبت فكنت في وسط الفؤاد
وما شطت بنا دار ولكن … نقلت من السواد الى السواد

وقول عنتره

وكن كما شئت من قرب ومن بعد   فالقلب يرعاك ان لم يرعك البصر

ويقول الوداعي

يا عاذلي في وجد تي بعدهم   وان ربعي ما به من جليس
وكيف يشكو وحدة من له   دمع حميم وانين انيس

ثم ردت هذه الطريقة بقول بعض من لم يبلغه السلو بعقبه

لا رعى الله عزمة ضمنت لي   سلوة القلب والتصبر عنهم
ما وفت غير ساعة ثم عادت   مثل قلبي تقول لا بد منهم

ويقول ابن اجروم في مثل هذا الغرض المروم

يا غايبا كان انسي من طلعته   كيف اصطباري وقد كابدت بينهما
دعواك انك في قلبي يعارضها   شوقي اليك فكيف الجمع بينهما

ثم جد بي السير الى مصر واستمر فذكرت قولا للصفدي وقد انشد بالرمل الحر

اقول وحر الرمل قد زاد وقده   وما لي الى شم النسيم سبيل
اظن نسيم الجو قد مات وانقضى   فعهدي به في الشام وهو عليل

وقول ابن الخياط

قصدت مصرا من ربى جلق   بهمة تجري بتجريبي
فلم ارا الطرة حتى جرت   دموع عيني بالمزيريبي

ولما وصلت مصر لم انس عهد الشام المرعي وانشدت قول الشهاب الحنبلي الزرعي شعر

احبتنا والله مذ غبت عنكم   سهادي سميري والمدامع مدرار
ووالله ما اخترنا الفراق وانما   برغمي ولي في ذلك الامر اعذار
اذا شام برق الشام طرفي تتابعت   سحايب جفني والفؤاد به نار
الا ليت شعري هل يعود بشملنا   جميعا وتحوينا ربوع واقطار

وقول ابن عنين

دمشق بنا شوق اليها مبرح   وان لج واش او الح عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها   عبير وانفاس الرياح شمول
تسلسل منها ماؤها وهو مطلق   وصح نسيم الروض وهو عليل

وقول اخر

نفسي الفدا لاناس كنت اعهدهم   وطيب عيش نقضى كله كرم
وخيرة كان الفي بوصلهم   والانس افضل ما بالوصل نغتنم
بالشام خلفتهم ثم انصرفت الى   سواهم فاعترى في بعدهم ندم
قد كان نعم فؤادي والحياة لهم   والان كل وجود بعدهم عدم

فانا انشد بلسان الحال فيما اقتضاه معنى البعد عنها والارتحال

باغايبا

يا غايبا قد كنت احسب قلبه   بسوى دمشق وامنها لا يعلق
ان كان صدك نيل مصر عنهم   لا غرو فهو لنا العدو الازرق

انشدت في جوابه بقول بعض من برح الجوى به

لله دهر جمعنا شمل لذته   بالشام اعذب من امن على فرق
مرت ليالي والايام في خلس   كانما سلبته كف مسترق
ما كان احسنها لولا تنقلها   من النعيم الى ذاك من الحرق
رق العذول لحالي بعدها ورثى   من الجوى والنوى والسهد والارق

وبالجملة فتلك الايام من مواسم العمر محسوبة والسعود الى طوالعها منسوبة

وكانت في دمشق لنا ليال   سرقناهن من ريب الزمان
جعلناهن تاريخ الليالي   وعنوان المسرة والاماني

وهي مغاني لنهاني التي ما نسيناها واماني زماني التي تجمعت بطور سينائها عليها وعلى وطني مقصوره والقلب في المغني بها وان كان في غيرها بالصوره والاشواق اليها قضايا موجهة وان كانت غير محصوره شعر

ولله عهد قد تقضى فان يعد   فاني على الايام اعفو واصفح
بقلبي من ذكرا هما البيس ينقضي   ومن برحاء الشوق ما ليس يبرح
اذا مسحت كفي الدموع تسترا   بدت زفرة بين الجوانح تقدح
فان جمعت شمل الليالي بعدهم   تجمع غيلان ومي وصيدح
على انها الايام جد مزاحها   ورب مجد في الاذى وهو يمزح

وكثيرا ما كان يلهج اللسان بقول من قال مفرد

وما تفضل الاوقات اخرى لذاتها   ولكن اوقات الحسان حسان

ويردد قول من شوقه يتجدد

سقى معهد الاحباب نافع صيب   من المزن عن مغناه ليس يريم
وان لم اكن من ساكنيه فانه   يحل به خل علي كريم

وينشد من يلوم قول من في حشاه وله وفي قلبه كلوم مفرد

قد اصبح اخا الهوى وله   فالعاذل في هواك ما لي وله

وقد امتد بنا الكلام وربما يجعله اللاحي ذريعة لذريعة الملام فلنرجع الى ما كنا بصدده من اجابة المولى لسؤال سميي امده الله بمدده فنقول مستمدا من واهب العقول اني شرعت بعد الاستقرار بمصر في المطلوب وكتبت منه نبذة يستحسنها من المحبين العيون والقلوب وسلكت في ترتيبه احسن اسلوب وعرضت في سوقه كل نفيس غريب من الغرب الى الشرق مجلوب يستحسن الانصاف ما عليه اشتوى ونعرف الافكار انه غير محتوي ثم وقف بي مركب العزم عن التمام

وَاستوى • فاخرنا تأخير الغريم لدين الكريم وصدّني اغراض عن تحصيل ما يشتمل
عليه من اغراض واضربت بُرهة عما له من منحى لاختلال فاخوال الدهر نفعًا ودفعًا
ومنعًا ومنحًا • ومرقت عن هدف الاصابة نبال • وطرقت في سدف ليالي الكآبة
امور لم تكن تخطر ببال • فجاءتني من المولى المذكور آنفًا رسالة دلّت على انه لم يكن
عن انتجاز الوعد متجانفًا • فعدت لقضاء الوطر مستقبلًا وبالجملة مستأنفًا
وحدى بي خطابه الجسيم للاهتمام وساقني • وراقني كتابه الكريم لتلك الايام وشاقني
وذكّرني الليالي التي لم انسها • وحركني لها تيك المعاهد التي لم ازل اذكر انسها

• الا لا يصبر عن الفه • الا كما يطرف بالعين •
• وقد صبرنا عنهم مدة • ما هكذا شأن المحبين •

فيا له من كتاب اعرب عن ودّ صميم • وذكر بعهد عبير نسيم • وودّ طيبت لعرفه الشميم
يخجل ابن المعتز لبلاغته وابن المعز بتنغيم

شعر

• ولم تر عيناي من قبله • كتابًا حوى بعض ما قد حوى •
• كأن المباسم بسماته • ولاماته الصدغ لما التوى •
• واغنيه بجيوب الحسان • تغازلنا عند ذكر الهوى •
• كتابٌ ذكرنا بالفاظه • عهودًا ازلت بالحمى واللوى •

فكانت الروض المطر والانهار • والدوح المدبج الازهار •

• ومسامه روضًا بديع وشيه • اذا جاء من تلك الايادي غمايم •
• به الفات كالغصون وقد غلا • عليها من اللام المطل حمايم •

وقد شغفت بانهار البراعة لسلساله حذا بتوحلت بها غاية تلك الرسالة
لتشفى صبها بالزيارة وتشرف بدنوها دياره

شعر

• زارتنا لصبّ في ليل من المعتد فلما دنت • رأى الصبح يلمح •
• قلدت بالعقبان جيد بيان • لبشر قلبه للفتح من بعد مطمح •

فشفت النفس من الامها • واحييت ميت الهوى مذ حييت بعذب كلامها •

• كلام كالجواهر حين يبدو • وكالند المعنبر اذ يفوح •
• لها في ظاهر الالفاظ جسم • ولكن المعاني فيه روح •

مذ اقصيرت ذلك الكتاب سميرا • ووردت منهل السرور مشرعًا نميرا وتمثلت بقول
بعض من اخلص في الود ضميرا

شعر

• يا مفردًا اهدى الى كتابه • جملا يحار الذهن في اثنائها •
• كالدر اشرق في سموط عقوده • والزهر والانوار غب سمائها •
• فافاد في جذلًا وبالحاسد • واجار نفسي من جوى برحائها •
• وحسبت ايام الشباب رجعن لي • فلبست حلى جمالها وبهائها •

فاكرم

فاكرم به من كتاب جاء من السري العلي • والماجد الاخ المولى

شعر

• فضضت ختامه فتبينت لي • معانيه عن الخبر الجلي •
• وكان الذ في عيني واندى • على كبدي من الزهر الجني •
• وضمّن صدره ما لم تضمّن • صدور الغانيات من الحلي •

واعرب عن اعتماد متماد • وودادٍ مزداد • واطاب حين طال • وادى دين الفصاحة
دون مطال • واشتمل من فصول العبارة على احسن من الحدق المراض • واتى من
اصول البراعة ببراهين ابن شاهين التي لا خلف فيها ولا افتراض • ورويناه
من غيث انامله الهتون • ورويناه عنه مسند احمد حسن الاسانيد والمتون
وحثنا على العود والرجوع • وكان اجدى من الماء الزلال لذي ظما والمشتهى من
الطعام لذي سغب وجوع •

شعر

• واشهى في القلوب من الاماني • واحلى في العيون من الهجوع •

وجلا بنوره ظلام استيحاشي وحشر الى اشتات المسرات دون انتعاشي ووجدي
في مكابدة شجوني • وانتقاله اشرابت القلب للكسل واللغوب • وحبرت الخواطر
وضيرت سحب الافلاك غير مواطر • فزحزح عني الهموم وسلاني • واولاني شكر
الله صنيعه من المسرات ما اولاني •

• حديثه او حديث عنه يطربني • هذا اذا غاب او هذا اذا حضرا •
• كلاهما حسن عندي اسر به • لكن احلاهما ما وافق النظرا •

وضمنت فيه لما ورد مع حمله كتب • من تلك الناحية • وانوار امثالها ذوي الفضائل
الشهيرة • اظهر من شمس الظهيرة • في السماء الصاحية •

• قلت لما اتت من الشام كتب • من اجلاء نورهم مثلنا لقي •
• مرحبا مرحبا واهلا وسهلا • بعيون رأت محاسن خلق •

وقلت ايضا

• قلت لما وافت من الشام كتب • والليالي تشيح قربا وبعدا •
• مرحبا مرحبا واهلا وسهلا • بعيون رأت محاسن سعدا •

وكان من فصول الكتاب الوارد من المولى الشاميني الذي اقتنص بفضله كل شارد
ما نصه • ومما استخلص قلبي من يدي ترحي • وجدد سروري وبنه فرحي • حديث
الكتاب وما حديث الكتاب • حديث الذي نسخ بحلاوته مرارة العتاب • وانسى
حرارة المصاب في الانسال والاعقاب • وقضى به من هو لسان الدين دينه
الذي تبرع به غر من يلي من البلاغة وغرر مدين • حتى كأني باستبدي بهذه البشرى
احرزت سوار كسرى وكان في مسمعي كل حرف اليها منسوب • قميص يوسف في اجفان
يعقوب • وحتى كدت اجر اذيالي وتيهي • واسرح لاستقبال مقدم البشرى اشهي

من كتاب ابن شاهين

وكمبني وحضي انني حاربت نومي وقومي • وعزمت على ان ارحل باقي في وقتي ويومي •
وان ذلك التغلبس والتهجير • في جنب ما بشرت به لحقير • وان مونعها لدى سيدا
العبد الحقير لخطير • وقد كنت سالت شيخي حين ورد دمشق الشام • واسم منها
الحلم والبسام • وشرفني فعرفني • وشاهدني فعاهدني على ان نجري ما دار بيننا
لدى المحاورة من المسامرة والمحاوره • في ديباجة ذلك الكتاب • الذى فتن
العقول اخبره وسحر الالباب • وما قصدت الا ان نجري اسمي على قلمه • ويرتم رسمي في
مطاوي تحريره ورقمه • ويكون ذكري مختلطا بذكره • كما ان سري مرتبط في المحبة
بسره • فرايت شيخي لم يتصد في اثناء هذه البشرى لما يفهمني بالذكرى • لاسطر النجاح
في الاخرى • ولم تساعدني على ذلك الملتمس • وحبس عنا نبا القلم فاحتبس • فانكسرت
سورة سروري بفتوري • وتبين لنفسي عن بلوغ ذلك الامل تخلفي وقصوري •
انتهى ثم قال بعد كلام لم نذكره لعدم تعلقه بهذا الغرض • ما صورته وحيث
ان سيدي وحاشاه • نسي من البشر ينساه • وظننت به الظنون • لامور تكون ولا
تكون • وهل يكره شيخي ان يهدى الدنيا في طبق • ثم الاخرى على ذلك النسق • ولا
شك ان حظه هو الروضة التي لا برح جنة الماوى فطوبى لنفسي ان جنيت ثمرته
طوبى • ولعمر شيخي انى بذلك لجدير • واني كنت املك به الحوز نق والسدير انتهى ما يتعلق
بالمطلوب من ذلك الرقيم • الذي شكل منطقه عنبر عقيم • سلك الله بي وبه من وجهه
الصراط المستقيم • واني في المكتوب بانواع من البلاغة مما تركت ذكره هنا لعدم
تعلقه بهذا الامر الخاص الذي تيسر لكاره الادب مساعده • وختمه بقصيدة من نظمه
يستنجز فيها ذلك الوعد • واشهد قد حاز فيها قصب السبق • وما قلت الا الذى علمت
سعد •

وهذه صورتها

بايسيدا افديه بالاكثر • من اصغر العالم والاكبر •
ويا وحيدا قد قولي لــه • عطارد انت مع المشتري •
ويا مجيدا النثر عندي له • الامنقالا المادح المكثر •
اقسمت بالبيت العتيق الذي • حجتنا لبيه الناشر والمشعر •
ما للعلاء والعلم الا ابو العباس شيخي احمد المقري •
ذاك الذي اثرني منه بالعلم الذي للغير لم يوثر •
وخصني منه باشياء لم • يعز بها غيري ولم يعثر •
فرحت عبدا ذا وفاء له • معترفا بالرق لا امتري •
فيا ابا العباس يا من غدا • اعظم في نفسي من معشري •
ومن اذا ما غاب عن ناظري • كان سمير القلب للمحضر •
ما انفذني سيدي عن علي السمو للشان الذي ذا السري •

ذاك الوحيد الفذ في عصره • بل اوحد الادهر والاعصر •
ذاك الذى اخبرني سيدي • عنه مزايا بعد لم تحصر •
ذاك العنوق لا يغتلى • الي مغاليه ولا يجتري •
ما قد وعدت العبد في جمعه • من خبر عن فضله المسفر •
تحطك الوضاح وهو الذى • مخبره يربى على المنظر •
والشي لا يرجى اذا ما غدى • منظره يربي على المخبر •
نقش على طرس بياض كما • لاح عيون الرشا الاحور •
واسطر قد سلسلت مثل ما • لاح عذار الشادن المقمر •
ونزهة الانس معنى غدا • ما بينها ينساب كالكوثر •
عذب رقيق مثل ظبي غدا • يلوح طاوي الكشح او جوذر •
اثار اقلامك وتمى النبي • اغنت عن الابيض والاسمر •
براعك الجامع راو غدا • يروي اللغى عن لفظك الجوهر •
ينثر مسكا تارة ناظما • وينظم الجوهر بالعنبر •
هذا ابن شاهين الفتى احمد • عن ذكرك المانوس لم يفتر •
فاجعل له ذكرا كريما به • يزداد مغبوطا الى المحشر •
واذكر بوبنا اني وكل الذى • كنبته نحوك في دفتر •
انت جدير بهدي فكن • ذاكر عبد بالوفا اجدر •
وهكذا سيارة اعنقت • على جواد كان للبحتر •
طرف كريم سابق صافن • مطهم ذي ادب اوفر •
ورثته منه ولكنما • من شاعر وافي الى شعر •
ما للفتى الطاي سوط امرء • ببغداد نشر الجو بالمنسر •
واسلم لعبد لا يرى سيدا • سوى الذي في ثوبك الاطهر •
في كرم العنصر فرد اغدا • طبعك فاشكر كرم العنصر •
ما حز مشتاقا خو صبوة • الى الخليل في الهوى مفكر •
انتهت فلما وصلني هذا الخطاب • الذى ملا من الفصاحة الوطاب • تحركت
دواعي الوجد • لذلك المجد • الذى ولعت به ولوع ابن الدمينة بصبا نجد •
وانا رهين الهيام والاوار • ما يزيد على ما حصل للفرزدق ما فارق النوار •
وتضاعف الشوق الى تلك الانداء والاغوار • منشدا قول الاول الحال الى المغوار
وتذكرت والذكرى شجون واطوار • تلك الاضواء والانوار • يقطر ازهر بالمحاسن
وجرى نهره عنبر آسن • فلم يدم فيه الجوار •

شعر

• واني اصطباري عن معاهد جلق • غريب فما اجفوا الفراق وا جفاني •

• سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها • كحلت بها من شدة الشوق أجفاني •

وحصل التصميم على التكميل للتأليف والتتميم رغبا لهذا الولي الحميم • أفاض الله عليه سيب البر العميم • وأبقى ظل عزه ممدودا • وجمعني وإياه • وأطلع لي بشر محياه • وأنشقني عرف اجتماعه ورياه • وكيف لا أستديم أمد بقياه • وأعتقد البشائر في لقياه • وأسقي غروس الود بسقياه • وهو الصدر الذي اصطفى لي الوداد • والركن الذي يتبوأ اعتداد • شعر

• فعليه من صفو مواده تحية • كالمسك لما فض عنه ختام •

يسري بساحته السنية ما دعت • فوق الغصون مطوقات حمام • ودامت فضائله طالعة كالشمس ومحروسة بالسبع المثاني معوذة بالخمس مفرد

• ولا انفك ما يرجوه أقرب من غد • ولا زال ما يخشاه أبعد من أمس •

ونحن من العناية في حرم أمين • ولما حصل لي كمال الاغتباط بما دل على صحة حال الارتباط • نشرت بساط الانبساط • وحدثت لي قوة النشاط • وانقشعت عني سحائب الكسل وانجابت • وناديت فكرتي فلبت مع ضعفها وأجابت وقدحت من القريحة زندا كان شحاحا • وجمعت من مقيدا في حسانا وصحاحا • وكنت كتبت شطره • وملأت بما تيسر منها مسنده وسطره • ورقمت من أنباء لسان الدين بن الخطيب حللا لا يخلق جدتها الأعصر • وسلكت من التعريف به رحمه الله مهامه تكل فيها واسعات الخطى وتقصر • ثم حدث لي بعد ذلك عزم على زيادة ذكر الأندلس جملة • وما كان يعضده بها الإسلام وينصر • وبعض مفاخرها الباسقة وما آثر أهليها المتناسقة • لأن كل ذلك لا يستوفيه القلم ولا يحصر • وجئت من النظم والنثر بنبذة توضح للطالب سبله • وتظهر علمه ونبله • وتنزع بحاسن من راح المذاكرة وأناة حتى يرى أبناء هذا المصنف وأدناه • وكنت في المغرب وظلال الشباب ضافيه • وسما الأفكار من نزع الأكدار صافيه • معتنيا بالفحص عن أنباء الأندلس وأخبار أهلها التي تنشرح لها الصدور والأنفس وما لهم من السبق في ميدان العلوم والتقدم في جهاد العدو الظلوم • ومحاسن بلادهم ومواطن جدا لهم وأجدادهم • حتى اقتنيت منها ذخائر يرغب فيها الأفاضل الأكابر • وانتقيت جواهر فرائدها للعقول بواهر • واقتطفت أزاهر أنجمها في أفق المحاضرة زواهر • وحصلت فوائد بواطن وظواهر • طالما كانت أعين الألباء لنيلها سواهر • وجمعت في ذلك كلما عاليه لو خاطب بها الداعي صم الجلاد لانبجس حجرها • وحكما غاليه لو عامل بها الأيام ربح متجرها • وأسجاعا تهتز لها الأعطاف • ومواعظ يحمل مقتضاها من رحمت به الألطاف • وقوافي موقوذة الفؤاد والخوافي يثني عليها من سلم من الغباوة والصمم • ويعترف براعتها من

لا يعتريه اللمم • وطالما أغضى الجاهل الغمر بوجهه عن مثلها وأشاح • وأنصت لها الحبر انصات السوار لحرش الحلي ونغم الوشاح • وفرح إن ظفر بشيء منها فرح الصائد بالقنيص • والساري العاري ذي البطن الخميص بالزاد والقميص • وتركت الجميع بالمغرب ولم أستصحب معي منه ما يبين عن المقصود ويجرب الانتزاز يسيرا علق بحفظي • وحليت بجواهره جيد لفظي • وبعض أوراق سعد في جواب السؤال بها حظي • ولو حضر لي الآن ما خلفته مما جمعت في ذلك الغرض والفنه لقرت به عيون وسرت الألباب • إذ هو والله الغاية في هذا الباب • ولكل امرئ ابن وقته وساعته • وكل ينفق على قدر وسعه واستطاعته • وعذر مثلي باد للمنصفين من العباد • إن قصرت فيما تبصرت • أو تخلفت في الذي تكلفت • أو أضعفت تحرير ما وضعت • والتمست تذييل التقصير ولو ضعفت • أو أطعت داعي التواني فتأخرت عمن سبق وانقطعت • إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت • ومن كانت بضاعته مزجاة • فهو على الإنصاف يمجاه إذ أتى بالمقدور • وتبرأ من الدعوى في الورود والصدور • وعين الرضى كليلة والسلامة من الملامة متعذرة أو قليلة • وقد قال إمامنا مالك صاحب المناقب الجليلة • كل كلام يؤخذ منه ويرد إلا كلام صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم أزكى صلاة وسلام • وشفى بجاهه من الآلام قلوبنا العليلة • وجعلنا ممن كان اتباع سنته رائده ودليله آمين والحمد لله الذي يسر لي هذا القدر مع ضيق الصدر • وقلة بضاعتي • وكثرة إضاعتي • فإن حمده جل جلاله نتضوع به المطالب طيبا • ونقضي به لنا المآرب فيرقى صاحبها على منبر القبول خطيبا • ونعذب به المشارب فتنبت في أرض القرطاس من زاكيه الغراس ما يروق منظرا نضيرا ويورق غصنا رطيبا • وقد آن بين المقال بما يغفر إن شاء الله عيني وأمتد برغم انتقال • وإن كنت ممن هو في ثوب التجي رافل وعن تنبيه للقصور غير غافل • وممن جعل النفس هدفا • وصير مكان الدر صدفا • إذ لسان الدين بن الخطيب إمام هذه الفنون المحقق لذوي الأماني الظنون • المستخرج من بحار البلاغة درها المكنون • وله اليد الطولى في العلوم على اختلاف أجناسها • والألفاظ الرائقة التي تريح وحشة الأنفس بإيناسها •

• نما منبتك من فرد أعز ممدح • رحيب الذرى حر الكلام ممجد •

• تهز الأنام رياسة وسياسة • وجلالة في المنتمى والمقعد •

• وأتى بكل بديعة في نوعها • لم تخترع وغريبة لم تعهد •

• ما شبت من شعر أرق من الصبا • وكتابة أرمى من الزهر الندي •

• وبديع قرطاس يوشح متنه • بمنمنم من رقمه ومنجد •

بهج كأن الحسن حلاه بسمته • فكساه رونق الشباب الأغيد •
وكأنما سال العذار عليه أو • خطته أيدي الغانيات بإثمد •
يختال بين موصل ومفصل • ومطرز ومنظم ومنضد •
كالبرد في توشيعه والسلك في • ترصيعه والوشي نمق باليد •
فيه لذي الأبصار والأفكار من • ألفاظه مستطرف ومفيد •
ما فيه من صنع الأوائل أو فيه • نتيجة لمخترع ومولد •
ولكل جزء حكمة أو ملحة • أو بدعة لمرسل ومعضد •
أو لبس مثلي قاصرا عن وصفه • والحق نور واضح للمهتدي •

وقد عجزت عن أداء الواجب وحاولت المسنون وفضل الله على من شاء من عباده ليس بممنوع ولا ممنون

• ليت شعري أي العبارات نوفي • واجب ابن الخطيب مما أروم •
• وأنا عاجز عن البعض منها • لقصوري وما لعي ملوم •
• وهو بدع لسان دين وناهيك افتخارا به تتم الرسوم •
• فبأي الحلى أحلي علاه • نال فضلا دونه عرب وروم •
• وعلى الفرض ما الذي أنتحي منه لدى الوصف أن يخص العموم •
• ألحفظ فذاك نوي من معين • لصواب عليه كل يحوم •
• أم لفهم يستخرج الدر غوصا • من بحار يخشى بها من يعوم •
• أم لفكر مؤلف في فنون • عدة ما به تداوى الكلوم •
• أم لنظم كأنه جوهر السلك • على قدره على من يسوم •
• تتباهى به الصدور حليا • وتروق العيون منه نجوم •
• أم لنثر وأني يستريب أن • فهو كالروح والمعاني جسوم •
• وأظلته للبديع سماء • تتلالا في جانبيها العلوم •
• فاستزادت منه النفوس رشادا • واستزانت منه النهى والفهوم •
• أم لخط منمنم فاق حسنا • مثل وشي تلوح منه الرقوم •
• أو كريم في بهجة ورواء • وارتح به تزاح الهموم •
• والغصون الأقلام والطرس روض • ناضر والمداد غيث سجوم •
• تلك سنة عجزت وصفي فإني • ليس آتي بما يجل أقوم •

ولم يكن جمعي علم الله هذا التأليف لوفد استهديه أو عرض نائل استجديه بل لخلود وداده وذمته وعهد أقدمه وأبديه ووقوف عند حد لا يجوز تعديه وتلبية داع أجيبه وأفديه •

• إن من يرجو نوالا أو ندى • من بني الدنيا لذو حظ غبين •

فلقد

• فلقد كان على غير الهدى • من يسويهم برب العالمين •
• ويرجى منهم الرزق وهل • خالق الكل فقيرا أو ضنين •
• أتخلى قصد رب مالك • وترى للخلق جهلا قاصدين •
• ما لنا من مخلص نابي به • غير جاه المصطفى الهادي الأمين •
• سيد الخلق الجواد المرتجى • للملمات شفيع المذنبين •
• فعليه صلوات تنتحي • حضرة حل بها في كل حين •
• والرضى من بعد عن آله • ثم صحب أمراء المؤمنين •
• فيهم أرجو ومن يتولهم • ليكونن من أصحاب اليمين •
• وسطاحات تحييه بها • آنسات قاصرات الطرف عين •
• بقوا بين جنين شربه • وأباريق وكأس من معين •
• والذي شرفهم يمنحنا • حبهم والكون معهم أجمعين •

فدونك أيها الناظر في هذا الكتاب المنتجا في غير مذ منتسبا للنقد والعتاب كلمات سوانح اختلست مع اشتغال الجوانح • وتضاد الأمور الموانع والموانح • وألفاظا بوارح اقتنصت بين اشتغال الجوارح • وطرفا أسمت الطرف في رعاء وكانت مهملا غير سوارح • ونتفا تحصل بها للناظر الإمتاع • ولا يعدمها من يسقط المتاع المبتاع • ويلهج بها المرتاح ويأنس بها المستوحش المرتاع • وبعد أن حسنت إتمام هذا التصنيف وأمعنت النظر فيما يحصل به التقريظ لمسامعه والتشنيف قسمته قسمين وكل منهما مستقل بالمطلوب • فيصح أن يسميا باسمين

القسم الأول فيما يتعلق بالأندلس من الأخبار المنتزعة الأكواب والأنباء المنتجة صوب الصواب الرافلة من الإفادة في سوابغ الأثواب • وبنيته بحسب القصد والاقتصار وتحري التوسط في بعض المواضع دون الاختصار على ثمانية من الأبواب •

الباب الأول في وصف جزيرة الأندلس وحسن هوائها واعتدال مزاجها ووفور خيرها وكمالها واستوائها واشتمالها على كثير من المحاسن واحتوائها وكرم بقعتها التي سقتها سماء البركات من حينها بنافع أنوائها وذكر بعض مآثرها المجلوة الصور • وتعداد كثير مما لها من البلدان والكور • المستمدة من أضوائها

الباب الثاني في إلقاء بلاد الأندلس للمسلمين بالقياد وفتحها على يدي موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد وصيرورتها ميدانا لسبق الجياد ومحط رحل الارتياد • وما يتبع ذلك من خبر حصل بإتيانه ازدياد • ونبأ وصل إليه اعتناء وتقرر بمثله اعتداد •

الباب الثالث في سرد بعض ما كان للدين في الأندلس من العز السامي العماد • والقهر للعدو في الرواح والغدو • والتحرك للعدو البالغ غاية الآماد • وإعمال أهلها للجهاد بالجد والاجتهاد •

في الجبال والوهاد • الاسنة المشرعة والسيوف المنتضاة من الاعداد الباب
الرابع في ذكر قرطبة التي كانت الخلافة بمصرها • وجامع الاموي ذي البديع
البامية الباهرة • والاماع بحضرتي الملك الزهراء الناصرية والعامرية الزاهرة
ووصف جملة من منتزهات تلك الاقطار ومصانعها ذات المحاسن الباطنة
والظاهرة وما يجر اليه شجون الحديث من امور يقتضي تحسين ايرادها الفراغ
الوقادة والافكار الماهرة • الباب الخامس في التعريف ببعض
من رحل من الاندلسيين الى بلاد المشرق الزاكية الغرار والبسام • ومدح جماعة من
اوليك الاعلام ذوي الالباب الراجحة والاحلام • لشام خصوصا جنة الارض دمشق
الشام • وما اقتضته المناسبة من كلام اعيانها وارباب بيانها ذوي السود
والاحتشام • ومخاطباتهم للمولف لفقير حين حلها عام سبعة وثلاثين والف
وشاهد برق فضلها المبين وشام • الباب السادس في ذكر
بعض الوافدين على الاندلس من اهل المشرق والمهتدين في قصدهم اليها بنور الهدى
المضي المشرق • والاكابر الذين جلوا منها بحلولهم فيها الجيد منها والمفرق وافتخروا
برؤيته فطرها الموثوق على المشيم والمعرق الباب السابع في نبذة
مما من الله به على اهل الاندلس من توقد الاذهان وبذلهم في اكتساب المعارف والمعالي
ما عز او هان • وحوزهم في ميدان البراعة من قصب السبق خصل الرهان وجملة
من اجوبتهم الدالة على لوذعيتهم واوصافهم المؤذنة بالمعيتهم وغير ذلك من
احوالهم التي لها على فضلهم اوضح برهان الباب الثامن في ذكر
تغلب العدو الكافر على الجزيرة بعد صرفه وجوه الكيد اليها ونصرته بين ملوكها
ورؤسائها بمكره • واستعماله في امرها جيل فكره • حتى استولى دمرها الله عليها
ومحا منها التوحيد واسمه • وكتب على مشاهدها ومعابدها وسمه • وقرر مذهب
التثليث والراي الخبيث لديها • واستغاثة من بها بالنظم والنثر اهل ذلك
العصر من ساير الاقطار حين تعذرت بحصارها مع قلة حماتها وانصارها
المشارب والاوطار • وحاطها الاعدا من خلفها ومن بين يديها اعادها الله اليها
كلمة الاسلام • ورفع ربها الكفر عنها وعما حواليها امين ولم اخل بابا في هذا
القسم من كلام لسان الدين بن الخطيب وان قل مع ان القسم الثاني به في ذلك
كما ستقف عليه فيما استقبل • ومن اخرها تعلقها بهذا القسم الاول • وعلى الله سبحانه
المعول والمتكل • القسم الثاني في التعريف بلسان الدين بن الخطيب
وذكر انبائه التي يروق سماعها ونبادح نفحها ويطيب وما يناسبها من احوال
الكبار الافراد والاعلام الذي اقتضى ذكرهم شجون الكلام والاستطراد • وفيه
ايضا من الابواب ثمانية موصلة الى جنات ادب قطوفها دانية • وكل منها

منها

ينهار طيب الباب الاول في ذكر اولية لسان الدين وذكر
اسلافه الذين ورث عنهم المجد وارتضع در اخلافه • وما يناسب ذلك مما
لا يذهب الفضل الى خلافه الباب الثاني في نشاته وترقيه ووزارته
وسعادته ومساعدة الدهر له • ثم قلبه له ظهر المجن على عادته • في مصافاته
ومنافاته • وارتباكه في شباكه • وما لقي من اجل الحاسد ذي المذهب الفاسد
ومحن المكايد المتناسلة وافاته • وذكر قصوره وامواله وغير ذلك من احواله
في تقلباته عندما قابله الزمان باهواله في بدوه واعادته الى وفاته •
الباب الثالث في ذكر مشايخه الجلة هداة الناس ونجوم
الملة وما يتصل بذلك من الاخبار الشافية للعلة • والمواعظ المنجية من الاهوا
المضلة • والمناسبات الواضحة البراهين والادلة الباب الرابع
في مخاطبات الملوك والاكابر الموجهة الى حضرته العلية • وثنا غير واحد من اهل
عصره عليه • وصرف القاصدين وجوه التاميل اليه واجلالهم انوار رياسته
الجليلة الباب الخامس في ايراد جملة من نثره الذي عنوان
البلاغة من نفحاته ونظمه الذي تلقى نور البراعة من لمحاته وصفحاته وما يتصل
به من بعض ازجاله • وموشحاته ومناسبات رايقة من فنون الادب ومصطلحاته
الباب السادس في مصنفاته في الفنون ومولفاته
المحققة للواقف عليها الامال والظنون • وما كمل منها او اخترمته دونه اغتيال
المنون الباب السابع في ذكر بعض تلامذته الاخذين عنه
المستفيدين به على المنهاج المتلقين انواع العلوم منه • والمقتبسين انوار
الفهوم من سراجه الوهاج الباب الثامن في ذكر اولاده الرا
في حلل السيادة والجلالة • المرتقين اوصافه الحميدة وجلالته الوارثين
العلم والحلم والرياسة والمجد عن غير كلالة • ووصيته اليهم الجامعة لاداب
الدين والدنيا المشتملة على النصايح الكافية • والحكم الشافية من كل مرض
بلا ثنيا المنقذة من انواع الضلالة وما يتبع ذلك من المناسبات اللغوية
والامداح النبوية • التي لها على حسن الختام اظهر دلالة وقد كنت اولا سميته
بعرف الطيب في التعريف بالوزير ابن الخطيب ثم وسمته حين الحقت اخبار
الاندلس به بنفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها
لسان الدين بن الخطيب ولذا لشام تعلق من وجوه عديدة مما دينه ماثلة الى الطر
السديدة اولها الداعي لنا لبقيه اهل الشام ابقى الله سلامهم وجعلها على مر
الزمان مديدة • والثاني ان الفاتحين للاندلس هم اهل الشام ذوو الشوكة
الجديدة • ثالثها ان غالب اهل الاندلس من عرب الشام الذين اتخذوا بالاندلس

وطنا مسننا نفا وحضرة حديده • ورايتهما ان عن ناطه انزل بهما اهل دمشق
وسموهما باسمها لشبههما بها في القصر والنهر والدوح والزهر والخوطة
الفيحا ومدح مناسبته فوتيه سديليه **هذا** واني اسال ممن وقف عليه
ان ينظر بعين الاغضا اليه كما اطلب ممن كان السبب في تصنيفه • والداعي الى
تاليفه وترصيفه استنادا الى ركون لثقته • واعتمادا على الود والمقة • ان يصفح عما
فيه من قصور ويسمح • ويلاحظه بعين الرضى للحليلة ويلمح • اذ ركبت شكل منطقه
والامتحان غالبة • وقضيته العرفية موجبة للكربة ولبعض الامال سالبة •
وهو وان لم يوف بكل الغرض • فلا يخلو من فايدة وقد يستدل على الجوهر بالعرض
فاذا اديت المفترض وذاك المرام الذي ارتضيه • ويوجب الود ويقتضيه
ولا تحسبني انني بذلت به جهدي • وانفقت من وجدي على قدر ما عندي • وقد نمت
الي لم اسبق الى مثله في بابه • اذ لم اقف له على نظير اتصل باسبابه • ورجوت ان
يكون مدينة مستملحة مستعذبة • وطرفة مقبولة مستغربة •

• مدينتي تقصر عن ميمني • ومهمتي اكثر من مالي •
• وخالص الود ومحض الاخا • اكثر ما يهديه امثالي •

واوردت فيه من نظم وانشا ما يكفي المقتصر عليه ان شا • ومن اخبار
ملوك ورؤسا • وطبقات من احسن واسا ما فيه اعتبار للمتامل واذكار
للراحل المتحمل وزينة للذاكر المتجمل • وتنكيت على امل البطر وتبكيت لمن خرج
من دنياه ولم يقض من الطاعة وطر

• ارى ولاد ادم ابطرتهم • حظوظهم من الدنيا الدنية •
• فلم بطروا وا ولهم مني • اذا نسبوا واخرهم منية •

وفيه ايقاظ لمثلي من سنة الغفلة وحث على عدم الاغترار بالمهلة وتنبيه
للابس برد الشباب القشيب انه لا بد من حادث الموت قبل او بعد المشيب

• لقد ذكر الشيب من واعظ • وناصح منها ناجح واضح •
• كل امرئ يحجبه شانه • وحادث الدهر له فاضح •

فكم باك على عصر الشباب • وشاك للفراق عهد الصبا والاحباب انشاه طارق
الزمان سليما والرباب •

شعر

• مضى عصر الشباب كلمح برق • وعصر الشيب الا كذا رتيبا •
• وما اعددت قبل الموت زادا • ليوم يجعل الولدان شيبا •

وما احسن قول بعض الاعلام

• مضى ما مضى من حلو عيش ومره • كان لم يكن الا كاضغاث احلام •

وقول من ارشد سفيهها

الماند

• انما هذه الحياة متاع • فالجهول الجهول من يصطفيها •
• ما مضى فات والمومل غيب • ولك الساعة التي انت فيها •

وفي معناه لغيره

• دنياك شيئان فانظر • ماذا نك الشيئان •
• ما فات منها فحلم • وما بقي فاماني •

وما احلى قول ابن حطان • مع وقوعه من البدعة في اشطان •

• ياسف المرء على ما فاته • من لبانات اذا لم يقضها •
• وتراه ضاحكا مستبشرا • بالتي امضى كان لم يمضها •
• انها عندي كاحلام الكرى • لقريب بعضها من بعضها •

ولغيره

• والله لو كانت الدنيا باجمعها • تبقى علينا ويأتي رزقها رغدا •
• ما كان من حق حر ان يذل لها • فكيف وهي متاع يضمحل غدا •

ولاخر

• لا حظ في الدنيا لمستبصر • يلمحها بالفكرة القاصرة •
• ان كدرت مشربه ملها • وان صفت كدرت الاخرة •

ويعجبني قول الوزير ابن المغنر

• اني ابثك من حديثي • والحديث له شجون •
• فارقت موضع مرقدي • ليلا ففارقني السكون •
• قل لي فاول ليلة • للقبر كيف تراكون •

وقول ما منه

• تامل في الوجود بعين فكر • ترى الدنيا الدنية كالخيال •
• ومن فيها جميعا سوف يفنى • ويبقى وجه ربك ذي الجلال •

وقول بعض العارفين

• استعدي يا نفس للموت واسعي • لنجاة فالحازم المستعد •
• قد تبينت انه ليس للحي • خلود وما من الموت بد •
• انما انت مستعيرة ما سو • ف تردين والعواري ترد •
• انت تسهين والحوادث لا تسهو وتلهين والمنايا تجد •
• اي ملك في الارض واي حظ • لامرئ حظه من الارض لحد •
• لا ترجي البقاء في معدن المو • ت ودار حتوفها لك ورد •
• كيف يرجو امرؤ لذاذة ايا • م عليه الانفاس فيها تعد •

واشد

من يلغ الشابين ما يرجون • ان يصفح عنه زلا في دنيا يحتى فيها اوردته في هذا

الكتاب من الهزل والمجون الذي جرت المناسبة والحديث شجون وما القصد منه
الا ترويح قلوب الذين طيب زمر منا فيهم فايح والتوسل بمحاسن الامداح النبوية
يسوقون عيس الاسما ويرجون وفيما اوردت من المواعظ والنصايح وحكايات الاولياء
الذين طيب زمر منا فيهم فايح والتوسل بمحاسن الامداح النبوية ان يستر بفضله
سبحانه القبايح ويرينا وجه القبول بلا اكتتام ويمنحنا الزلفى وحسن الختام

ومن يتوسل بالنبي محمد • شفيع البرايا السيد السند الاسنا •
فذاك جدير ان يكفر ذنبه • ويمنح نيل القصد والختم بالحسنى

وهذا اوان الشروع في الاصول من هذا الكتاب والفروع وعلى الله اعتمد
ومن معونته استمد **القسم الاول** فيما يتعلق بالاندلس من الاخبار
المتنوعة الاكواب والانبا المنتجة صوب الصواب الرافلة من الافادة في سابغ
الاثواب وفيه بحسب القصد والاقتصار وتحري التوسط دون الاختصار ثمانية
ابواب

الباب الاول في وصف جزيرة الاندلس

وحسن هوائها واعتدال مزاجها ووفور خيراتها واستوائها واشتمالها على كثير
من المحاسن واحتوائها وذكر بعض ما لها من المحلولة الصور وتعداد كثير مما لها
من البلدان والكور المستمد من اضوائها **فاقول** محاسن الاندلس
لا تستوفي بعبارة ومجاري فضلها لا يشق غباره واني تجاري وهي الحائزة قصب
السبق في اقطار الغرب والشرق **قال** ابن سعيد انما سميت بالاندلس
ابن طوبال بن يافث بن نوح لانه نزلها كما ان اخاه سبت بن يافث نزل العدوة المقابلة
لها واليه تنسب سبتة **قال** واهل الاندلس يحافظون على قوام اللسان العربي
لانهم اما عرب او متعربون انتهى **قال** ابن غالب انه اندلس بن يافث والله اعلم
قال الوزير لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى في بعض كلام له اجراه في ذكر البلاد
الاندلسية اعادها الله للاسلام ببركة المصطفى عليه من الله افضل الصلاة وازكى
السلام ما نصه خص الله بلاد الاندلس من الريع وغدق السقي ولذاذة الاقوات
وفراهة الحيوان ودرور الفواكه وكثرة المياه وتبحر العمران وجودة اللباس و
شرف الانية وكثرة السلاح وصحة الهوى وابيضاض الالوان ونبل الاذهان
وقبول الصنايع وشهامة الطباع ونفوذ الادراك واحكام التمدن والاعتمار
بما حرمه الكثير من الاقطار مما سواها انتهى **قال** ابو عامر السالمي في كتابه المسمى
بدرر القلايد وغرر الفوايد الاندلس من الاقليم الشامي وهو خير الاقاليم واعدلها
هواء وترابا واعذبها ماء واطيبها هواء وحيوانا ونباتا وهو اوسط الاقاليم
واعدلها وخير الامور اوسطها انتهى **قال** ابو عبيد البكري الاندلس

شامية

شامية في طيبها وهوائها يمانية في اعتدالها واستوائها هندية في عطرها وذكائها
اهوازية في عظم جباياتها صينية في جواهر معادنها عدنية في منافع سواحلها
فيها اثار عظيمة لليونانيين اهل الحكمة وحاملي الفلسفة وكان من ملوكهم الذين
اثروا الاثار بالاندلس هرقلس وله الاثر في الصنم بجزيرة قادس وصنم جليقية
والاثر في مدينة طركونة الذي لا نظير له **قال** المسعودي بلاد الاندلس تكون
مسيرة عمايرها ومدنها نحو شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو من اربعين مدينة
انتهى باختصار ونحوه لابن اليسع اذ قال طولها من اربونة الى اشبونة وهو قطع ستين
يوما للفارس المجد وانتقد بامرين احدهما انه يقتضي ان اربونة داخلة في جزيرة
الاندلس والصحيح انها خارجة عنها والثاني ان قوله ستين يوما للفارس المجد
اغياء وافراط وقد قال لجماعة انها شهر ونصف **قال** ابن سعيد وهذا يقرب
اذا لم يكن للفارس المجد والصحيح ما نص عليه الشريف من انها مسيرة شهر وكذا قال
الحجازي وقد سالت المسافرين المحققين عن ذلك فعملوا حسابا بالمراحل الجيدة افضى
الى نحو شهر بنيف قليل انتهى **وبالجملة** فالمراد التقريب من غير مشاحة
كما قاله ابن سعيد واطال في ذلك ثم **قال** بعد كلام ومسافة الحاجز الذي
بين بحر الزقاق والبحر المحيط اربعون ميلا وهذا عرض الاندلس عند راسها من جهة
الشرق ولقلته سميت جزيرة والا فليست بجزيرة على الحقيقة لاتصال هذا
القدر بالارض الكبيرة وعرض جزيرة الاندلس في موسطها عند طليطلة ستة
عشر يوما واتفقوا على ان جزيرة الاندلس مثلثة الشكل واختلفوا في الركن الذي في
الشرق والجنوب في جهة اربونة فمن قائل انه في اربونة وان هذه المدينة تقابلها
مدينة برذيل الذي في الركن الشرقي الشمالي قال احمد بن محمد الرازي وابن حيان وفي
كلام غيرهما انه في جهة اربونة وحقق الامر الشريف وهو اعرف بتلك الجهة لتردده
في الاسفار برا وبحرا اليها وتفرغه لهذا الفن **قال** ابن سعيد وسالت جماعة
من علماء هذا الشان فاخبروني ان الصحيح ما ذهب اليه الشريف وان اربونة وبرشلونة
غير داخلتين في ارض الاندلس وان الركن الموفي على بحر الزقاق بالمشرق بين برشلونة
وطركونة في موضع يعرف بوادي رنلقلطو وهنالك الحاجز الذي يفصل بين الاندلس
والارض الكبيرة ذات الالسن الكثيرة وفي هذا المكان جبل البرت الفاصل في الحاجز
المذكور وفيه الابواب التي فتحها ملك اليونانيين بالحديد والنار والخل ولم يكن
للاندلس من الارض الكبيرة قبل ذلك طريق في البر **وذكر** الشريف
ان هذه الابواب تقع في مقابلتها في بحر الزقاق البحر الذي بين جزيرتي ميورقة وقد
اخبر بذلك جمهور المسافرين لتلك الناحية ومسافة هذا الجبل الحاجز من الركن
الجنوبي للركن الشمالي اربعون ميلا **قال** وشمال الركن المذكور عند مدينة

قال بردذيل وهي من مدن الافرنجة مطلة على البحر المحيط في شمالي الاندلس
وبينهما ثمن البر تجد تميز هذا الركن الى الشمال التي ببلاد الافرنجة ولهم به جزاير كبيرة
وذكر ان هذا الركن الثاني عند شنت ياقوب من ساحل الجلالقة في شمال الاندلس
الغربي حيث تحتذي جزيرة برطانية الكبيرة فيتصور هنالك بحر داخل بين ركنين
من الناس من يجعله بحرا منفردا خارجا من البحر المحيط لطوله الى الركن المتقدم الذكر
عند مدينة بردذيل **وذكر** الشريف ان عند بليانه بازائه في هذا الركن
المذكور على جبل مجمع البحرين صنما مطلا مشبها بصنم قادس والركن الثالث
بمغربه من جبل الاغر حيث صنم قادس والجبل المذكور يدخل من غربه مع جنوبيه بحر
الزقاق من البحر المحيط مارا مع ساحل الاندلس الجنوبي الى جبل البرنات المذكور
انتهى والكلام في مثل هذا طويل الذيل قال الشيخ احمد بن محمد بن موسى الرازي
بلد الاندلس هو اخر الاقاليم الرابع الى المغرب وهو عند الحكماء بلد كريم البقعة طيب
التربة خصب الجنان منبجس بالانهار الغزار والعيون العذاب قليل الهوام
ذوات السموم معتدل الهواء والجو والنسيم ربيعه وخريفه ومشتاه ومصيفه على
قدر من الاعتدال وسطة من الحال لا يتولد في احدهما فصل يتولد منه فيما يتلوه
انتقاص تتصل فواكهه اكثر الازمنة وتدوم متلاحقة غير مفقودة اما الساحل
منه ونواحيه فيبادر بباكوره واما الثغور وجهاته والجبال المخصوصة ببرد الهواء
فتتاخر بالكثير من ثمره فمادة الخيرات بالبلد منها دائمة في كل الاحيان وفواكهه
على الجملة غير مفقودة في كل اوان وله خواص في كرم النبات يوافق في بعضها
ارض الهند المخصوصة بكرائم الانبات منها ان المحلب هو المقدم في الافاويه
والمفضل في انواع الاشنان لا ينبت بشيء من الارض الا بالهند والاندلس وللاندلس
المدن الحصينة والمعاقل المنيعة والقلاع الحريزة والمصانع الجليلة ولها البر
والبحر والسهل والوعر **وشكلها** مثلث وهي معتمدة على ثلاثة اركان الاول
هو الموضع الذي فيه صنم قادس المشهور بالاندلس ومنه مخرج البحر المتوسط
الشامي الاخذ بقبلي الاندلس والركن الثاني هو بشرقي الاندلس بين مدينة
اربونه ومدينة بردذيل مما بايدي الفرنجة اليوم بازاء جزيرتي ميورقة ومنورقة
بمجاورة البحرين البحر المحيط والبحر المتوسط وبينهما البر الذي يعرف
بالابواب وهو المدخل الى بلد الاندلس من الارض الكبيرة على بلد افرنجة ومسافته
بين البحرين مسافة يومين ومدينة اربونة تقابل البحر المحيط والركن
الثالث منها هو بين الجوف والغرب من حيز جليقية حيث الجبل الموفي على
البحر وفيه الصنم العالي المشبه بصنم قادس وهو الطالع على بلد برطانية
قال والاندلس اندلسان في اختلاف هبوب رياحها ومواقع امطارها

وجريان

وجريان انهارها فاندلس غربي واندلس شرقي فالغربي منها ما جرت اوديته الى
البحر المحيط الغربي ومطر بالرياح الغربية ومبتداه هذا الحوز من ناحية المشرق
مع المفازة الخارجة مع الجوف الى بلد شنتمرية طالعا الى حوز اغرناطة المجاورة
لطليطلة مايلا الى الغرب ومجاوزا الى البحر المتوسط الموازي لقرطاجنة الحلفاء
التي من بلد لورقة والحوز الشرقي المعروف بالاندلس الاقصى ويجري اوديته الى الشرق
وامطاره بالرياح الشرقية وهو من حد بلد جبل البشكنس ما بطاء وادي ابره الى
بلد شنتمرية وهو من جوف هذا البحر وغربه المحيط في القبلة منه البحر الغربي الذي منه
يجري البحر المتوسط الخارج الى بلد الشام وهو البحر المسمى ببحر نيران ومعناه الذي يشق
دايرة الارض ويسمى البحر الكبير انتهى قال ابو بكر عبد الله بن عبد الحكم المعروف
بابن النظام بلد الاندلس عند علماء المثل اندلسان فالاندلس الشرقي منه ما صب
اوديته الى البحر الرومي المتوسط المتصاعد من اسفل ارض الاندلس الى المشرق وذلك
ما بين جزيرة تدمير الى سرقسطة والاندلس الغربي ما صبت اوديته الى البحر الكبير
المعروف بالمحيط اسفل ذلك الحد الى ساحل المغرب فالشرقي منهما يمطر بالريح
الشرقية ويصلح عليها والغربي يمطر بالريح الغربية وبها صلاحه وحد ما بينهما
الى الغرب فصلا بعد جبل واما تسمية الاوايل جزئين لاختلافهما في حال امطارهما
وذلك انه متى استحكمت الريح الغربية كثر مطر الاندلس الغربي وقحط الاندلس الشرقي
ومتى استحكمت الريح الشرقية مطر الاندلس الشرقي وقحط الغربي واودية هذا القسم
تجري من الشرق الى الغرب بين هذه الجبال وجبال الاندلس الغربي تمتد الى الشرق جبلا
بعد جبل تقطع من الجوف الى القبلة والاودية التي تجري من تلك الجبال يقطع بعضها
الى القبلة وبعضها الى المشرق وتنصب كلها الى البحر المتوسط للاندلس القاطع
الى الشام وهو البحر الرومي وما كان من بلاد جوفي الاندلس من بلاد جليقية وما يليها
فان اوديته تنصب الى البحر الكبير المحيط بناحية الجوف **صفة الاندلس**
شكل مركن على مثال الشكل المثلث ركنها الواحد فيما بين الجنوب والمغرب حيث اجتماع
البحرين عند صنم قادس وركنها الثاني في بلد جليقية حيث الصنم المشبه بصنم قادس
مقابل جزيرة برطانية وركنها الثالث بين مدينة اربونة ومدينة بردذيل من بلد
الفرنجة بحيث يقرب البحر المحيط من البحر الشامي المتوسط حتى كادا ان يجتمعا في ذلك
الموضع فيصير بلد الاندلس جزيرة بينهما برزخ وبريه صحرا وعمارة مسافة مسيرة
يوم المراكب منه المدخل الى الارض الكبيرة ذات الابواب ومن قبله تتصل
ببلاد الاندلس تلك البلاد المعروفة بالارض الكبيرة ذات الالسن المختلفة
قال واول من سكن الاندلس على قديم الايام فيما نقله الاخباريون من بعد
الطوفان على ما يذكره علماء عجمها قوم يعرفون بالاندلش معجمة الشين بهم سمي المكان

تعرب فيها تجد بالبسيين عنبر المحجة كانوا الذين عمروها وتناسلوا فيها وتداولوا
ملكها دهرا على دين التمجس والاهمال والافساد في الارض ثم اخذهم الله بذنوبهم
فحبس المطر عنهم ووالى القحط عليهم واعطش بلادهم حتى نضبت مياهها وغارت
عيونها ويبست انهارها وبادت اشجارها فهلك اكثرهم وفر من قدر على الفرار
منهم فاقفرت الاندلس منهم وبقيت خالية فيما يزعمون مائة سنة وذلك
من حد بلد الفرنجة الى حد بلد الغرب الاخضر وكان عدة ما عمروها الاما لبا
مائة عام وبضع عشرة سنة ثم ابتعث الله بعمارتها الافارقة فدخل اليها بعد
اقفارها ملك المدة الطويلة قوم منهم اجلاهم ملك افريقية تخففا منهم لامحال توالى
على اهل مملكته وتردد عليهم حتى كاد يفنيهم فحمل منهم خلقا كثيرا في السفن مع قائد
من قبله يدعى ابطريقس فارسوا بريف الاندلس الغربي واحلوا بجزيرة قادس
فاصابوا الاندلس مغتبطين وسكنوها معتمرين وتوالدوا فيها فكثروا واستوسعوا
في عمارة الارض ما بين الساحل الذي ارسوا فيه بغربيها الى بلد الفرنجة من شرقيها
ونصبوا من انفسهم ملوكا عليهم ضبطوا امرهم وتوالوا على اقامة دولتهم وهم مع
ذلك على ديانة من قبلهم من الجاهلية وكانت دار مملكتهم طالقة الخراب من ارض اشبيلية
اختطها ملوكهم وسكنوها فاتسق ملكهم بالاندلس مائة وسبعة وخمسين عاما
الى ان اهلكهم الله تعالى وشيخهم بعجم رومة بعد ان ملك منهم من ولاة الافارقة في مدتهم
تلك احد عشر ملكا ثم صار ملك الاندلس بعدهم الى عجم رومة وملكهم اشبان بن
طيطش وباسمه سميت الاندلس اشبانية وذكر بعضهم ان اسمه اصبهان فاجيل
بلسان العجم وقيل انه كان مولده باصبهان فغلب اسمها عليه وهو الذي بنى
اشبيلية وكان اسم اشبانية خالصا لبلد اشبيلية الذي كان ينزله اشبان
هذا ثم غلب الاسم بعده على الاندلس كله فالعجم الى الان يسمونه اشبانية لاثار
اشبان هذا فيه وكان احد الملوك الذين ملكوا اقطار الدنيا فيما زعموا وكان غزا
الافارقة عندما سلط الله عليهم في جموعه بعض عساكرهم واثخن فيهم ونزل عليهم
تباعدهم طالقة وقد تحصنوا فيها منه فابتنى عليهم مدينة اشبيلية اليوم واتصل
حصره وقتاله لهم حتى فتحها الله عليه وغلبهم واستوت له مملكة الاندلس
باسرها ودان له من فيها فهدم مدينة طالقة ونقل رخامها والاتها الى مدينة
اشبيلية فاستتم بناءها واتخذها دار مملكته واستغلظ سلطانه في الارض
وكثرت جموعه فعلا وعظم عتوه ثم غزا ايليا من اشبيلية بعد سنتين من ملكه
خرج اليها في السفن فغنمها وهدمها وقتل فيها من اليهود مائة الف واسترق
مائة الف وانتقل رخام ايليا والاتها الى الاندلس وقهر الاعداء واشتد سلطانه
انتهى وذكر بعض المورخين ان الغرايب التي اصيبت في مغانم الاندلس

ايام

ايام فتحها كمائدة سليمان عليه السلام التي القاها طارق بن زياد بكنيسة
طليطلة وقليلة الدر التي القاها موسى بن نصير بكنيسة ماردة وغيرهما من طرائف
الذخائر انما كانت مما صار لصاحب الاندلس من غنيمة بيت المقدس اذ حضر فتحها
مع بخت نصر وكان اسم ذلك الملك بريان وقع في سهمه وقع ذلك وامثاله مما كانت
الجن تأتي به نبي الله سليمان على نبينا وعليه وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام
انتهى قال غير واحد من المورخين كان اهل المغرب الاقصى يضربون باهل
الاندلس لاتصال الارض ويلقون منهم الجهد الجهيد في كل وقت الى ان اجتاز
بهم الاسكندر فشكوا حالهم اليه فاحضر المهندسين وحضر الى الزقاق فامر المهندسين
بوزن سطح الماء من المحيط والبحر الشامي فوجدوا المحيط يعلو البحر الشامي
بشيء يسير فامر برفع البلاد التي على ساحل البحر الشامي ونقلها من
الحضيض الى الاعلا ثم امر بحفر ما بين طنجة وبلاد الاندلس من الارض فحفرت حتى
ظهرت الجبال السفلية وبنى عليها رصيفا بالحجر والجيار بناء محكما وجعل طوله
اثني عشر ميلا وهي المسافة التي كانت بين البحرين وبنى رصيفا اخر يقابله من
ناحية طنجة وجعل بين الرصيفين سعة ستة اميال فلما كمل الرصيفان حفر
من جهة البحر الاعظم واطلق فم الماء بين الرصيفين فدخل في البحر الشامي ثم
فاض ماؤه فاغرق مدنا كثيرة واهلك امما عظيمة كانت على الشطين وطغا
الماء على الرصيفين احد عشر قامة فاما الرصيف الذي يلي بلاد الاندلس فانه يظهر
في بعض الاوقات اذا نقص الماء ظهورا بينا مستقيما على خط واحد واهل الجزيرتين
يسمونه القنطرة واما الرصيف من جهة العدوة فان الماء حمله في صدره واحتفر
ما خلفه من الارض اثني عشر ميلا وعلى طرفه من جهة المغرب قصر الجواز وسبتة و
طنجة وعلى طرفه من الناحية الاخرى جبل طارق بن زياد وجزيرة طريف وغيرهما
والجزيرة الخضراء وبين سبتة والجزيرة الخضراء عرض البحر انتهى ملخصا وقد تكرر
بعضه مع ما جلبناه والعذر بين لارتباط الكلام بعضه ببعض قال
ابن سعيد ذكر الشريف ان الاخط لارض الاندلس في الاقاليم الثلاثة
ويمر بجزيرة الاندلس من الاقاليم الرابع على ساحلها الجنوبي وما قاربه من قرطبة
واشبيلية ومرسية وبلنسية ثم يمر على جزيرة صقلية وعلى ما في سمتها من
الجزائر والشمس مدبرة له والاقليم الخامس يمر على طليطلة وسرقسطة وما في
سمتها الى بلاد ارغون التي في جنوبها برشلونة ثم يمر على رومية وبلاد ماو شق
بحر البنادقة ثم يمر على القسطنطينية ومدبره الزهرة والسادس يمر على
ساحل الاندلس الشمالي الذي على البحر المحيط وما قاربه وبعض البلاد الداخلة
في قشتالة ومرتفاله وما في سمتها وعلى بلاد برجان والصقالبة والروس و

عطارد ويمر الاقليم السابع في البحر المحيط الذي في شمال الاندلس الى جزيرة
انقطره وغيرهما من الجزائر وما في سمتهما من بلاد الصقالبة وبرجان فاف
البيمنق وفيه تقع جزيرة تولى وجزيرتا اجيال والنسا وبعض بلاد الروس الداخلة
في الشمال وارض البلغار ومدينة العمرا انتهى وقال بعض العلما ان النصارى
حر مواجهة الاخرة فاعطاهم الله جنة الدنيا بستانا متصلا من البحر المحيط
بالاندلس الى خليج القسطنطينية وعندهم عموم شاه بلوط والبندق
والجوز والفستق وغير ذلك مما يكون اكثر وامكن في الاقاليم الباردة و
التمر عندهم معدوم وكذا الموز وقصب السكر وربما يكون شي من ذلك في الساحل
لانه مواتي الجهة انتهى قال ابن حيان في المقتبس ذكر رواة العجم ان
الخضر عليه السلام وقف باشبان المذكور وهو يحرث الارض بفدان له ايام حراثته
فقال له يا اشبان انك لذو شان وسوف يحظيك زمان ويعليك سلطان
فاذا انت غلبت على ايليا فارفق بذرية الانبيا فقال له اشبان اساخر رحمك الله
انى يكون هذا مني وانا ضعيف ممتهن حقير فقير ليس مثلي ينال السلطان فقال
له قد قدر ذلك فيك من قدر في عصاك اليابسة ما تراه فنظر اشبان الى عصاه
فاذا بها قد اورقت فريع لما راى من الاية وذهب الخضر عنه وقد وقع الكلام
بخلده ووقرت في نفسه الثقة بكونه صحيحا فترك الامتهان من وقته وداخل الناس
وصحب اهل الباس منهم وسما به جده فارتقى في طلب السلطان حتى ادرك منه
عظيما وكان منه ما كان ثم اتى عليه ما اتى على القرون قبله وكان ملكه كله عشرين
سنة وتمادى ملك الاشبانيين بعده الى ان ملك منهم الاندلس خمسة وخمسون
ملكا ثم دخل على هولاء الاشبان من عجم رومة امة يدعون البشتولقات وملكهم
طلويش بن بيطه وذلك زمن بعث المسيح بن مريم عليه السلام انوا الاندلس من
قبل رومة وكانوا يملكون افرنجة معها ويبعثون عمالهم عليها فاتخذوا دار مملكتهم
بالاندلس مدينة ماردة واستولوا على مملكة الاندلس واتصل ملكهم بها مدة
الى ان ملك منهم سبعة وعشرون ملكا ثم دخل على هولاء البشتولقات امة
القوط مع ملك لهم فغلبوا على الاندلس واقتطعوها من يومئذ عن صاحب
رومة وتفردوا بسلطانهم واتخذوا مدينة طليطلة دار مملكتهم وافردوها
سرير ملكهم فبقي باشبيلية علم الاشبانيين ورياستها وليتهم وقد كان
المسيح عيسى عليه السلام بعث الحواريين في الارض يدعون الخلق الى دينه
من هولاء الحواريين خشندس ملك القوط فتنصر ودعى قومه الى النصرانية وكان
من صميم اغاظمهم وخير من تنصر من ملوكهم اجمعوا على انه لم يك فيهم اعدل منه
حكما ولا ارشد رايا ولا احسن سيرة ولا اجود تدبيرا فكان الذي اصل النصرانية

في مملكة

في مملكته ومضى اهلها على سنته الى اليوم وحكموا بها والانجيلات في المصاحف
الاربعة التي يختلفون فيها من انتساخه وجمعه وتثقيفه فبينا سفت ملك
القوط بالاندلس بعده الى ان غلبتهم العرب عليها واظهر الله دين الاسلام على جميع
الاديان فوقع في تواريخ العجم القديمة ان عدة ملوك هولاء القوط بالاندلس من
عهد اثاناوينوس الذي ملك في السنة الخامسة من مملكة فلبش القيصري المضي
اربعمائة وسبع من تاريخ الصفر المشهور عند العجم الى عهد لذريق اخرهم الذي ملك
في السنة الثامنة والاربعين وسبعمائة من تاريخ الصفر وهو الذي دخلت
عليه العرب فازالت دولة القوط ستة وثلاثون ملكا وان مدة ايام ملكهم
بالاندلس ثلثمائة واثنان واربعون سنة انتهى وقال جماعة
ان القوط البشتولقات وان البشتولقات من عجم رومة وانهم جعلوا دار
ملكهم الى ان ملك منهم سبعة وعشرون ملكا ثم دخل عليهم القوط واتخذوا
طليطلة دار مملكة ثم ذكر تنصر ملكهم خشندس مثل ما تقدم ثم ذكر ان عدد ملوك
القوط ستة وثلاثون ملكا وذكر الرازي ان القوط من ولد باجوج
ابن يافث بن نوح وقيل غير ذلك انتهى وذكر الرازي في موضع اخر نحو ما تقدم
وزيادة ونصه ان الاندلس في اخر الاقليم الرابع من الاقاليم السبعة التي هي
ربع معمور الدنيا فهي موسطة من البلدان كريمة البقعة بطبع الخلقة طيبة التربة
مخصبة القاعة منبجسة العيون الثرار منفجرة بالانهار الغزار قليلة الهوام
ذوات السموم معتدلة الهوى اكثر الزمان لا يزيد قيظها زيادة منكرة تضر بالابدان
وكذا ساير فصولها في اعم سنيها تاتي على قدر من الاعتدال وتوسط من الاحوال
وفواكهها تتصل طول الزمان فلا تكاد تعدم لان الساحل ونواحيه يباكر
كما ان الثغر وجهاته والجبال التي يخصها برد الهوى وكثافة الجو تستاخر بما فيها
من ذلك حتى تكاد طرفا فاكهتها تتلاقيان فمادة الخيرات بها متصلة كل اوان
ومن بحرها من جهة الغرب يخرج العنبر الجيد المقدم على اجناسه في الطيب والصبر
على النار وبها شجر المحلب المحمود في الافاوية المقدم في انواع الاشنان كثير
واسع وقد زعموا انه لا يكون الا بالهند فقط ولها خواص نباتة يكثر تعدادها
انتهى وقد ذكر غيره تفصيل بعض ذلك فقال يوخذ من ناحية دلاية من اقاليم
البشرة عود الالنجوج لا يفوته العود الهندي ذكاء وعطر رايحة وقد سيق منه الى
خيران الصقلبي صاحب المرية اصل كان منبته بين احجار متناللة وباكسونبة جبل
كثيرا ما ينفتح ربحة ريح العود الذكي اذا ارسلت عليه النار وبجبل شدونة يوجد
العنبر الطيب العربي وفي جبل البتة يبون المحلب ويوجد في الاندلس القسط الطيب
والسنبل الطيب والجنطيانة يحمل بالاندلس الى جميع الافاق وهو عقار رفيع

والمراء الطيب بفلعة ايوب واطيب كهربا الارض يستدونه وزعم منها حجر يعدل دراهم من المجلوبه واطيب القرمز قرمز الاندلس واكثر ما يكون بنواحي اشبيليه ولبله وشذونه وبلنسيه ومن الاندلس يحمل الافاقد بناحية لورقة من عمل تدمير يكون حجر اللازورد الجيد وقد يوجد في غيرها وعلى مقربة من حصن لورقة من عمل قرطبة معدن البلور وقد يوجد بجبل سحيران وهو شرقي بيرة وحجر الجادي يوجد بناحية مدينة الاشبونه في جبل هناك يتلالا بالليل كالسرج والياقوت الاحمر يوجد بناحية حصن منت ميور من كورة مالقة الا انه دقيق يوجد الابيض للاستعمال لصغره ويوجد حجر يشبه الياقوت الاحمر بناحية بجانه في خندق يعرف بقرية تاشرة اشكالا مختلفة لانه مضبوع حسن اللون صبورا على النار وحجر المغناطيس الجاذب للحديد يوجد في كورة تدمير وحجر الشذنة بجبال قرطبة كثير ويستعمل في ذلك الذهب وحجر اليهودي في ناحية حصن البونت وهو انفع شي للحصاه وحجر المرقشيتا الذهبيه في جبال لا يذهب لا نظير لها في الدنيا ومن الاندلس يحمل الى جميع الافاق لفضلها والمغنيسيا بالاندلس كثير وكذلك حجر الطلق ويوجد حجر اللولو بمدينة برشلونه الا انه جامد اللون ويوجد المرجان بساحل بيرة من عمل المريه ما لقط منه في اقل من شهر نحو ثمانين ربعا ومعدن الذهب بنهر لارده يجمع منه كثير ويجمع ايضا في ساحل الاشبونه ومعادن بالاندلس كثير في كورة تدمير وجبال الحمه بجانه وباقليم كرتش من عمل قرطبة معدن فضة جليل وباشكونيه معدن القصدير لا نظير له يشبه الفضة وكذا معادن بناحية افرنجه وليون ومعدن الزيبق في جبل البرانس ومن هناك يتجهز به الى الافاق ومعادن الكبريت الاحمر والاصفر بالاندلس كثيرة ومعدن التوتيا الطيبة بساحل البيرة بقرية تسمى بطرنه وهي ازكى توتيا واقواها في صبغ النحاس وبجبال قرطبة توتيا وليست كالبطرنية ومعدن الكحل المشبه بالاصفهاني بناحية مدينة طرطوشه يحمل منها الى جميع البلاد ومعادن الشهوب والحديد والنحاس بالاندلس كثيرا اكثر من ان تحصى وما ذكرنا وان تكرر بعضه مع ما سبق ويأتي فهو لجمع النظائر وما يذكره اكثر والله اعلم ومن خواص طليطلة ان حنطتها لا تتغير ولا تتسوس على طول السنين يتوارثها الخلف عن السلف وزعفران طليطلة هو الذي يعم البلاد ويتجهز به الرفاق الى الافاق وكذلك الصبغ السماوي انتهى وقال المسعودي في مروج الذهب بعد كلام ما نصه والعنبر كثير بجر الاندلس يجهز الى مصر وغيرها ويحمل الى قرطبة من ساحل لها يقال له شنترين وشذونه تبلغ الاوقية منها بالاندلس ثلاثة مثاقيل ذهبا والاوقية بالبغدادي وتباع بمصر الاوقية بعشرة دنانير وهو عنبر جيد ويمكن ان يكون هذا العنبر

الواقع الى بحر الروم من ضربته الامواج من بحر الاندلس الى هذا البحر لاتصال الماء و بالاندلس معدن عظيم للفضة ومعدن للزيبق ليس بالجيد يتجهز الى سائر الاسلام والكفر وكذلك يحمل من بلاد الاندلس الزعفران وعروق الزنجبيل واصول الطيب خمسة اصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها تحمل من ارض الهند وما اتصل بها الا الزعفران والعنبر انتهى وهو وان تكرر مع ما ذكرته من غيره فلا يخلو من فايدة والله اعلم وذكر البعض ان في بعض بلاد الاندلس جميع المعادن الكاينات عن النيرات السبعة وهي الرصاص من زحل والقزدير الابيض من المشتري والحديد من قسم المريخ والذهب من قسم الشمس والنحاس من الزهرة والزيبق من عطارد والفضة من القمر وذكر الكاتب ابراهيم بن القاسم القروي المعروف بالرقيق بلاد الاندلس نقلا للاطلاء اصحاب جها د متصل يحاربون من اهل الشرك بالمحيطين بهم امة يدعون الجلالقة ساحون حواريهم ما بين الى الشرق قوم لهم شدة ولهم جمال وحسن وجوه فاكثر رقيقهم الموصوفين بالجمال والفراهة منهم ليس بينهم وبينهم درب فالحرب متصلة بينهم ما لم تقع هدنة ويحاربون بالافوه الشرقي امة يقال لهم الفرنجه هم اشد عليهم من جميع من يحاربون من عدو وهم اذا كانوا خلفا عظيما في بلاد كثيرة واسعة طويلة متصلة العمارة اهله تدعى الارض الكبيرة هم اكثر عددا من الجليقيين واشد باسا واحد شوكة واعظم امدادا وهذه الامة يحاربون امة الصقالبة المتصلين بارضهم لمخالفتهم اياهم في الديانة فيسبونهم ويبيعون رقيقهم بارض الاندلس فلهم بذلك كثرة وتخصيهم للفرنجة يهود ذمتهم الذين بارضهم وفي ثغر المسلمين المتصل بهم فيحمل خصيانهم من هنالك الى سائر البلاد وقد تعلم الخصا قوم من المسلمين هنالك فصاروا يخصون ويستحلون المثلة قال ابن سعيد ومخرج بحر الروم المتصاعد الى الشام هو بساحل الاندلس الغربي بمكان يقال له الخضرا ما بين طنجة من ارض المغرب وبين الاندلس فيكون هذا عرضه هنالك زعموا ثمانية عشر ميلا وهذا عرض جزيرة طريف الى قصر مصمودة بالغرب من سبتة وهنالك كانت القنطرة التي تزعم الناس ان الاسكندر بناها ليعبر عليها من بر الاندلس الى بر العدوة ويعرف هذا الموضع بالزقاق وهو صعب المجاز لانه مجمع البحرين لا تزال الامواج تتطاول فيه والماء يدور وطول هذا الزقاق الذي عرضه ثمانية عشر ميلا ثم ياخذ ذلك الى هنا سبتة ومن هنالك ياخذ البحر في الاتساع الى نحو ثمانية ميل واربع ومنتهاه الى مدينة صور من الشام وفيه عدد عظيم من الجزائر قال بعضهم انها ثمان وعشرون جزيرة منها صقلية وجزيرة مالطه وغيرها انتهى وبعضه بالمعنى وقال غيره عند وصفه ضيق بحر الزقاق قرب سبتة ما صورته

ثم يتسع كلما امتد حتى يصير الى ما لا ذرع له ولا نهاية **وقال** بعضهم وكان مبلغ خراج الاندلس الذى كان يؤدى الى ملوك بنى امية قديما ثلاثمائة الف دينار ويدخرون للحادث ايامهم مائة الف دينار انتهى وذكر غيره ان الجباية كانت بالاندلس ايام عبد الرحمن الاوسط الف الف دينار فى السنة وكانت قبل ذلك لا تزيد على ستمائة الف حكاه ابن سعيد وقال ان الاندلس مسيرة شهر مدن وعمائر **وقال** قاضى القضاة ابن خلدون الحضرمى فى تاريخه الكبير ما صورته كان هذا القطر الاندلسى من العدوة الشمالية من عدوة البحر الرومى بالجانب الغربى منها يسمى عند العجم اندلوس وتسكنه امم من افرنجة المغرب اشدهم واكثرهم الجلالقة وكان القوط قد ملكوه وغلبوا على امته لمئين من السنين قبل الاسلام بعد حروب كانت لهم مع اللطينيين حاصروا فيها رومة ثم عقدوا معهم السلم على ان ينصرف القوط الى الاندلس فصاروا اليها وملكوها **و**لما اخذ الروم واللطينيون بملة النصرانية حملوا من وراءهم بالمغرب من امم الفرنجة والقوط عليها فدانوا بها وكان ملوك القوط ينزلون طليطلة **و**كانت دار ملكهم وربما تنقلوا ما بينها وبين قرطبة واشبيلية وماردة واقاموا كذلك نحو اربعمائة سنة الى ان جاء الله بالاسلام والفتح وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لذريق وهو سمة لملوكهم كما هو جرجير سمة ملوك صقلية انتهى **و**من اشهر بلاد الاندلس غرناطة وقيل ان الصواب اغرناطة بالهمز ومعناها بلغتهم الرمانة وكفاها شرفا ولادة لسان الدين بها **وقال** الشقندى اما غرناطة فانها دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس ولم تخل من اشراف اماثل وعلماء اكابر وشعراء افاضل انتهى ولو لم يكن لها الا ما خصها الله به من المرج الطويل العريض ونهر شنيل لكفاها وفى بعض كلام لسان الدين ما صورته وما لمصر تفخر بنيلها والف منه فى شنيلها يعنى ان الشين عند اهل المغرب عدده الف فقولنا شنيل اذا اعتبرنا عدد شينه كان الف نيل انتهى

وفيها قيل

غرناطة ما لها نظير ... ما مصر ما الشام ما العراق

ما هى الا العروس تجلى ... وتلك من جملة الصداق

وتسمى كورة البيرة التى منها غرناطة دمشق لان جند دمشق نزلوها عند الفتح وقيل انما سميت بذلك لشبهها بدمشق فى غزارة الانهار وكثرة الاشجار وحكى صاحب مناهج الفكر قال ولما استولى الفرنج على معظم بلاد الاندلس انتقل اهلها اليها فصارت المصر المقصود والمعقل الذى تنضوى اليه العساكر والجنود ويشقها نهر عليه قناطر يجاز عليها وفى قبليها جبل شلير وهو جبل لا يفارقه الثلج صيفا ولا شتاء وفيه سائر النبات الهندى يكون ليس فيه خصا بصرا انتهى

ومن اعمال

ومن اعمال غرناطة قطر لوشة وبها معدن الفضة جيد ومنها اعنى لوشة اصل لسان الدين بن الخطيب وهذا القطر ضخم ينضاف اليه من الحصون والقرى كثير وقاعدته لوشة بينها وبين غرناطة مرحلة وهى ذات انهار واشجار وعلى نهر غرناطة المشهور بشنيل ومن اعمال غرناطة وادى آش ويقال وادى الاشات وهى مدينة جليلة قد احدقت بها البساتين والانهار وقد خص الله اهلها بالادب وحب الشعر **وفيها يقول** ابو الحسن بن نزار

وادى الاشات يهيج وجدى كلما ... اذكرت ما افضت بك النعماء

لله ظلك والهجير مسلط ... قد بردت نفحاته الانداء

والشمس ترغب ان تفوز بلحظة ... منه فتطرف طرفها الافياء

والنهر يبسم بالحباب كانه ... سلخ نضته حية رقشاء

فلذاك تحذره الغصون فميلها ... ابدا على جنباته ايماء

ومن اعمال وادى آش حصن جليانة وهو كبير يضاهى المدن وبه التفاح الجليانى الذى خص الله به ذلك الموضع يجمع عظم الحجم وكرم الجوهر وحلاوة الطعم وذكاء الرائحة والنقاء وبين الحصن المذكور ووادى آش اثنا عشر ميلا **ومن غرائب** الاندلس ان به شجرتين من شجر القسطل عظيمتين جدا احدهما بسند وادى اش والاخرى ميسرة غرناطة فى جوف كل واحدة منهما حائك ينسج الثياب وهذا امر مشهور قاله ابو عبد الله بن جزى وغيره **و**كانت البيرة هى المدينة قبل غرناطة فلما بنى الصنهاجى مدينة غرناطة وتحصينها واسوارها انتقل الناس اليها ثم زاد فى عمارتها ابنه باديس بعده وذكر غير واحد ان فى كورة سرقسطة الملح الاندرانى الابيض الصافى الاملس الخالص وليس فى الاندلس موضع فيه مثل هذا الملح **قال** وسرقسطة بناها قيصر ملك الروم الذى يورخ من مدته مدة الصفر قبل مولد المسيح على نبينا وعليه الصلاة والسلام وتفسير اسمها قصر السيد لانه اختار ذلك المكان بالاندلس **و**قيل ان موسى بن نصير شرب من نهر جلق بسرقسطة فاستعذبه وحكم انه لم يشرب بالاندلس اعذب منه وسال عن اسمه فقيل جلق فقال جلق الشام **و**قيل انها من بناء الاسكندر والله اعلم وبمدينة برجة وهى من اعمال المرية معدن الرصاص وهى على واد مبهج يعرف بوادى عذرى وهو محدق بالاشجار وتسمى برجة بهجة لبهجة منظرها **وفيها يقول** ابو الفضل بن شرف

رياض تعشقها سندس ... توشت معاطفها بالزهر

مدامعها فوق خدى ربا ... لها نظرة فتنت من نظر

وكل مكان بها جنة ... وكل طريق اليها سقر

وفيها ايضا يقول

القسطل طالعت كتب اللغة فما رايت انه اسم شجر وانما هو غبار ولعل بينهما مناسبة تامل

انظر ما ذكر من الشجرتين فى جوف كل واحدة حائك ينسج الثياب

حط الرحال بسرجة • وارتد لنفسك بهجة •
في قلعة كسلاح • ودوحة مثل الجنة •
فحصنها لك امن • وحسنها لك فرجة •
كل البلاد سواها • كتمرة وبني حجة •

وبها التين الذي يضرب بها المثل بحسنه ويجلب حتى للهند والصين وقيل ان التين في الدنيا مثله وفيه يقول ابو الحجاج يوسف بن الشيخ البلوي لما كلفه حسبما انشده غير واحد منهم ابن سعيد **يقول**

• ما الفتح حبيب يا اتيتها • السفك من اجلك يا بينها •
• طبيبي عنه بي علتي • ما لطبيبي عن حياتي نهاها •

وذيل عليه الامام الخطيب ابو محمد عبد الوهاب المنشي بقوله

• وحمص لا تنس لها تينها • واذكر مع التين زيا تينها •

وفي بعض النسخ ولا تنس تين اشبيليه • واذكر مع التين زياتينها • وهو نحو الاول لان حمص هي اشبيلية لنزول اهل حمص من المشرق بها حسبما سنذكره ونسب ابن جزي في تذييله لرحلة ابن بطوطة البيتين الاول للخطيب ابي محمد عبد الوهاب المالقي والتذييل لقاضي الجماعة ابي عبد الله بن عبد الملك والله اعلم **وقال** ابن بطوطة ومما لقة يصنع الفخار المذهب العجيب ويجلب منها الى اقاصي البلاد وجامعها كبير الساحة شهيرة البركة • وصحنه لا نظير له في الحسن وفيه اشجار النارنج البعيدة انتهى **وقال** قبله ان مالقة احد قواعد الاندلس وبلاد الحسان جامعة بين مرافق البر والبحر كثيرة الخيرات والفواكه رايت العنب يباع في اسواقها ثمانية ارطال بدرهم صغير • ورمانها المرسي الياقوتي لا نظير له في الدنيا • واما التين واللوز فيجلبان منها ومن احوازها الى بلاد المشرق والمغرب انتهى • وبكورة اشبونة المتصلة بشنترين معدن التبر وفيها عسل يجعل في كيس كتان فلا يكون له رطوبة كانه سكر ويوجد في زنقها العنبر الذي لا يشبهه الا الشحري • ومن اشهر مدن الاندلس مدينة قرطبة اعادها الله للاسلام وبها الجامع المشهور والقنطرة المعروفة بالجسر وقد ذكر ابن حيان انه بني على امر عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه ونصته وقام فيها بامره على النهر الاعظم بدار مملكة قرطبة الجسر الاكبر الذي ما يعرف في الدنيا مثله انتهى

وفيها يقول بعض علما الاندلس

• بأربع فاقت الامصار قرطبة • منهن قنطرة الوادي وجامعها •
• هاتان ثنتان والزهراء ثالثة • والعلم اعظم شيء وهو رابعها •

وقال الحجازي في المسهب كانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الاسلام

ويجتمع

ويجتمع اعلام الانام بها استقر سرير الخلافة المروانية • وفيها محضت خلاصة القبايل المعدية واليمانية واليها كانت الرحلة في الرواية اذ كانت مركز الكرماء ومعدن العلماء • وهي من الاندلس بمنزلة الراس من الجسد ونهرها من احسن الانهار مكتنف بديباج المروج مطرز بالانهار • تصدح في جنباته الاطيار • وتنعر النواعير ويبسم النوار • وقرطاها الزاهرة والزهراء حضرتا الملك وافقا النعماء والسراء • وان كان قد اخنى عليها الزمان • وغير بهجة اوجههما الحسان • فتلك عادته وسل الخورنق والسدير وغمدان • وقد اعذر بانذاره اذ لم يزل ينادي يصر وقد لا امان لا امان • **وقد قال الشاعر**

• وما زلت اسمع ان الملوك تبني على قدر اخطارها •

وقال السلطان يعقوب المنصور بن السلطان يوسف بن السلطان عبد المومن بن علي لاحد رؤساء اجناده ما تقول في قرطبة فخاطبه على ما يقتضيه كلام عامة الاندلس بقوله • جوفها شحام • وغربيها قمام • وقبليها مدام • والجنة هي الشلام • يعني بالشحام مرجيا الورد • ويعني بالقمام ما يوكل اشارة الى محرث الكينبانية • ويعني بالمدام النهر **ولما** قال والد السلطان يوسف بن عبد المومن لابي عمران موسى بن سعيد العنسي ما عندك في قرطبة قال له ما كان لي ان اتكلم حتى اسمع مذهب امير المومنين فيها • فقال السلطان ان ملوك بني امية حين اتخذوها حضرة مملكتهم لعلى بصيرة الديار المنفسحة الكثيرة والشوارع المتسعة والمباني الضخمة المشيدة والنهر الجاري والهواء المعتدل والخارج الناضر والمحرث العظيم • والشعرى الكافية والتوسط بين شرق الاندلس وغربها قال فقلت ما ابقى لي امير المومنين ما اقول **قال** ابن سعيد والاهلها رياسة ووقار • لا تزال سمة العلم والملك متوارثة فيهم • الا ان عامتها اكثر الناس فضولا واشدهم تشغيبا ويضرب بهم المثل ما بين اهل الاندلس في القيام على الملوك والتشنيع على الولاة وقلة الرضى بامورهم حتى ان السيد ابا يحيى اخا السلطان يعقوب المنصور قيل له لما انفصل عن ولايتها كيف وجدت اهل قرطبة فقال مثل الجمل ان خففت عنه الحمل صاح وان ثقلته صاح ما ندري اين رضاهم فنقصده ولا اين سخطهم فنجتنبه • وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان عامتها شرار من عامة العراق وان العذر لعنها لما قاسيت من اهلها عندي ولايته • واني انكلفت العودة اليها لقابل الابلدغ المومن من جحر مرتين انتهى **وقال** ابو الفضل التيفاشي جرت مناظرة بين يدي ملك الغرب المنصور يعقوب بين الفقيه ابي الوليد ابن رشد والرئيس ابي بكر بن زهر فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة ما ادري ما تقول غير انه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع

كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع تركته
حملت الى اشبيلية قال وقرطبة اكثر بلاد الله كتبا انتهى **وحكى**
الامام ابن بشكوال عن الشيخ ابي بكر بن سعادة انه دخل مدينة طليطلة مع اخيه
على الشيخ الاستاذ ابي بكر المخزومي قال فقال لنا من اين فقلنا من قرطبة فقال
متى عهدكما بها فقلنا الان وصلنا منها فقال اقربا الى اشم نسيم قرطبة فقربنا
منه فشم راسي وقبله **وقال لي اكتب**

اقرطبة الغراء هل لي اوبة اليك ومن لي بالمعاد لك العهد
سقى الجانب الغربي منك غمامة وقعقع في ساحات دوحاتك الرعد
لياليك اسحار وارضك روضة وتربك في استنشاقها عنبر ورد

وكتب الوزير الكاتب ابو بكر بن القبطرنة للعالم ابي الحسين بن سراج
بقوله

يا سيدي وابي هوى وجلالة ورسول ودي ان طلبت رسولا
عرج بقرطبة اذا بلغتها بابي الحسين وناده تمويلا
واذا سعدت بنظرة من وجهه امدد يدا للسلام لكفه تقبيلا
واذكر له شوقي وشكري مجملا ولو استطعت شرحته تفصيلا
بتحية تهدى اليه كانما جرت على زهر الرياض ذيولا

وفي باب اليهود بقرطبة ابو عامر بن شهيد

لقد اطلعوا عند باب اليهود بدرا ابى الحسن ان يكسفا
تراه اليهود على بابها اميرا فتحسبه يوسفا

واستقبحوا قولهم باب اليهود فقالوا باب الهدى وسنذكر قرطبة والزهراء
ومسجدهما في الباب المنفرد بهما ان شاء الله تعالى وكذلك القنطرة ومن اعظم
مدن الاندلس اشبيلية **قال** الشقندي من محاسنها اعتدال الهوى وحسن
المباني ونهرها الاعظم الذي يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر
وفيه يقول ابن سفر شعر

شق النسيم عليه جيب قميصه فانساب من شطيه يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها هزءا فضم من الحياء ازاره

وقيل لاحد من راى مصر والشام ايهما رايت احسن اهذان ام اشبيلية فقال
بعد تفضيل اشبيلية شرفها غابة بلا اسد ونهرها نيل بلا تمساح انتهى
ويقال ان الذي بنى اشبيلية اسمه يوليس وانه اول من سمي قيصر وانه لما دخل
الاندلس اعجبه شاخنها وطيب ارضها وجبلها المعروف بالشرف فردم على النهر
الاعظم مكانا واقام فيه المدينة واحدق عليها باسوار من صخر صلد وبنى في

وسط

وسط المدينة قصبتين بديعتين الشان يعرفان بالاخوين وجعلها ام قواعد
الاندلس واشتق لها اسما من رومية ومن اسمه فسماها رومية يوليس انتهى
وقد تقدم شي من هذا وكان الاولون من ملوك الاعاجم يتداولون بسكناها من بين
من بلاد الاندلس اشبيلية وقرطبة وقرمونة وطليطلة ويقسمون ازمانهم
على الكينونة بها. **واما** شرف اشبيلية فهو شريف البقعة كريم التربة دائم الخضرة
فرسخ في فرسخ طولا وعرضا لا يكاد تشمس بقعة منه لالتفاف زيتونه واعلم ان اشبيلية
لها كورة جليلة ومدن كثيرة وحصون شريفة وهي من الكور المجندة نزلها
جند حمص ولواؤهم في الميمنة بعد لواء جند دمشق وانتهت جباية اشبيلية
في ايام الحكم بن هشام خمسة وثلاثون الف دينار ومائة دينار وفي اقليم طالقة
من اقاليم اشبيلية وجدت صورة ابدع منها جعلت ببعض الحمامات وتعشقها
جماعة من العوام. **وفي** كورة ماردة حصن شنت افرج في غاية الارتفاع لا يعلو
طائر الا بنيته لا بشر ولا غيره. **ومن** عجائب الاندلس البلاط الاوسط من مسجد
جامع اقليش فان طول كل جائزة منه مائة شبر واحد عشر شبرا وهي مربعة
منحوتة مستوية الاطراف **وقال** بعض من وصف اشبيلية انها مدينة عامرة
على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة وعليه جسر مربوط بالسفن وبها اسواق
قائمة وتجارات رابحة. **واهلها** ذوو اموال عظيمة واكثر متاجرهم الزيت
وهو يشتمل على كثير من اقاليم الشرف على تل عال من تراب احمر مسافته اربعين
ميلا في مثلها يمشي بها السائر في ظل الزيتون والتين ولها فيما ذكر بعض الناس
قرى كثيرة وكل قرية عامرة بالاسواق والديار الحسنة والحمامات وغيرها من المرافق
وقال صاحب مناهج الفكر عند ذكر اشبيلية وهذه المدينة من احسن مدن
الدنيا وباهلها يضرب المثل في الخلاعة وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد
الساعة ويعينهم على ذلك واديها الفرح وناديها البهج. **وهذا** الوادي ياتيها
من قرطبة ويجزر في كل يوم ولها جبل الشرف وهو تراب احمر طوله من الشمال الى
الجنوب اربعون ميلا وعرضه من المشرق الى المغرب اثنى عشر ميلا يشتمل على
مائتين وعشرين قرية قد التحفت باشجار الزيتون واشتملت على ذلك انتهى
وللكورة باجمعها الكورة الغربية التي كانت من اعمال اشبيلية ايام بني عباد وهي
متصلة بكورة ماردة. **وجبل** طارق حاز قصب السبق بنسبته الى طارق مولى
موسى بن نصير اذ كان اول ما حل به مع المسلمين من بلاد الاندلس عند الفتح ولذا
يسمى بجبل الفتح وهو مقابل للجزيرة الخضراء وقد تحوز البحر هنالك مستديرا
حتى صار مكان هذا الجبل كالناظر للجزيرة الخضراء **وفيه يقول** مطرف شاعر
غرناطة

واقود قد القى على البحر متنه فاصبح عن قود الجبال بمعزل

• تعرض نحو الانوف وجوهها كانما • تراقب عيناه كواكب منزل •

واذا اقبل عليه الملتقا فرون من جهة شنتة في البحر بان كانه شبح قال ابو الحسن
علي بن موسى بن سعيد اقبلت عليه مرة مع والدي فنظرنا اليه على تلك الصفة
فقال لوالدي اجري انظر الى جبل الفتح راكبا متبرج فقلت وقد تفتح كالافنات
في شكل سرج • واما جزيرة طريف فليست بجزيرة وانما سميت بذلك الجزيرة
التي امامها في البحر مثل الجزيرة الخضرا وطريف المنسوبة اليه بربري من موالي
موسى بن نصير ويقال ان موسى بعثه قبل طارق في اربعماية رجل فنزل بهذه
الجزيرة في رمضان سنة واحد وتسعين وبعده دخل طارق والله اعلم ومن
اعظم كور الاندلس كورة طليطلة وهي من موسطة الاندلس وكانت دار مملكة
بني ذي النون من ملوك الطوايف وكان ابتدا ملكهم صدر الماية الخامسة
وسماها قيصر بلسانه بزليطة وتاويل ذلك انت فارح فعربتها العرب وقالت
طليطلة وكانوا يسمونها وجهاتها في دولة بني امية بالثغر الادنى ويسمون
سرقسطة وجهاتها بالثغر الاعلا وتسمى طليطلة مدينة الاملاك لانه ملكها
ملوك ملكها اثنان وسبعون لسانا ودخلها سليمان بن داود عليهما السلام
وعيسى بن مريم وذو القرنين وفيها وجد طارق مايدة سليمان وكانت مردخا
اشبان ملك الروم الذي بنى اشبلية اخذها من بيت المقدس كما مر وقوت
تلك المايدة عند الوليد بن عبد الملك بماية الف دينار وقيل انها كانت من
زمرد اخضر ويقال انها الان برومة والله اعلم بذلك ووجد طارق بطليطلة
ذخاير عظيمة منها ماية وسبعون تاجا من الدر والياقوت والاحجار النفيسة
وايوان ممتلى من اواني الذهب والفضة وهو كبير حتى قيل ان الخيل تلعب فيه
فرسانها برماحهم لوسعته وقد قيل ان اواني المايدة من الذهب وصحافها من
اليشم والجزع وذكروا فيها غير هذا مما لا يكاد يصدقه الناظر فيه والله اعلم
وبطليطلة بساتين محدقة وانهار مخترقة ورياض وجنات وفواكه حسان
مختلفة الطعوم والالوان ولها من جميع جهاتها اقاليم رفيعة ورساتيق
وضياع بديعة وبالجملة فمحاسنها كثيرة ولعلنا نلم ببعض منتزهاتها
فيما ياتي من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وطليطلة قاعدة القوطيين وهي
مطلة على نهر تاجه وعليه كانت القنطرة التي يعجز الواصفون عن وصفها وكانت
على قوس واحد بكتفيه فرضتان من كل جانب وطول القنطرة ثلاثماية باع وعرضها
ثمانون باعا فخربت ايام الامير محمد لما عصى عليه اهلها فغزاهم واحتال في هدمها
وفي ذلك

يقول الحكيم عباس بن فرناس

• اضحت طليطلة معطلة • من اهلها في قبضة الصفر •

تركت

• تركت بلا اهل تبوء بهم • مهجورة الاكناف كالقبر •
• ما كان يبقي الله قنطرة • نصبت لحمل كتايب الكفر •

وسيا في بعض اخبار طليطلة **ومن** مشهور مدن الاندلس المرية وهي على
ساحل البحر ولها القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خيران بناها عبد الرحمن الناصر
وعظمت في دولة المنصور بن ابي عامر وولي عليها مولاه خيران فنسبت القلعة
اليه • وبها من صنعة الديباج ما تفوق به ساير البلدان وفيها دار الصناعة
وتشتمل كورتها على معدن الحديد والرخام • ومن ابوابها باب العقاب عليه صورة
عقاب من حجر قديم عجيب المنظر **وقال** بعضهم كان بالمرية لنسج طرز الحرير
ثمانماية نول وللحلل النفيسة والديباج الفاخر الف نول وللاسقلاطون كذلك
وللثياب الجرجانية كذلك وللاصفهاني مثل ذلك وللعتابي والمعاجر المدبجة
والستور المكللة • ويصنع بها من صنوف الات الحديد والنحاس والزجاج ما لا
يوصف وفاكهة المرية يقصر عنها الوصف حسنا وساحلها افضل السواحل
وبها قصور الملوك القديمة الغريبة العجيبة وقد الف فيها ابو جعفر بن خاتمة
تاريخا حافلا سماه مزية المرية على غيرها من البلاد الاندلسية في مجلد ضخم تركته
من جملة كتبي بالمغرب والله المسئول في جمع الشمل • فله الامر من قبل ومن بعد • وواد
المرية طوله اربعون ميلا في مثلها كلها بساتين بهجة وجنات نضرة • وانهار
مطردة وطيور مغردة **قال** بعضهم ولم يكن في بلاد الاندلس اكثر
مالا من اهل المرية ولا اعظم متاجر وذخاير وكان بها من الحمامات والفنادق نحو
الف وهي بين جبلين بينهما خندق معمور وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة
بالحصانة وعلى الاخر ربضها والسور محيط بالمدينة والربض وغربيها ربض
لها اخر يسمى ربض الحوض ذو فنادق وحمامات وخانات وصناعات وقد استدار
بها من كل جهة حصون مرتفعة واحجار اولية وكانما غربلت ارضها من التراب
ولها مدن وضياع عامرة متصلة الانهار انتهى **وقال** ابن اليسع عند
ذكره مدينة شنترة ان من خواصها ان القمح والشعير يزرعان ويحصدان عند
مضي اربعين يوما من زراعته وان التفاح فيها دور كل واحدة ثلاث اشبار
واكثر **قال** ابو عبد الله البكري وكان ثقة ابصرت عند المعتمد
ابن عباد رجلا من اهل شنترة اهدى اليه اربعا من التفاح ما يقل الحامل على راسه
غيرها دور كل واحدة خمسة اشبار **وذكر** الرجل ان المعتاد عندهم
اقل من هذا فاذا ارادوا ان يجي بهذا العظم قطعوا اصلها وابقوا منه عشرا
او اقل وجعلوا تحتها دعامات من الخشب انتهى ويحضر شنتش على مرحلة من
المرية النونة الكبيرة • وفيها الحرير القز ويعرف واديها بوادي طرنش ويغربي

مالقة جبل سهيل وهو جبل عظيم كثير الضياع وفيه جبل سهيل لا يرى نجم سهيل في
بلاد الأندلس إلا منه **ومن** كورة الأندلس الشرقية تدمير وتسمى لكثرة شبهها
بمصر لأن لها أرضا يسيح عليها نهر في وقت من مخصوص السنة ثم ينضب عنها
فتزرع كما تزرع أرض مصر وصارت القصبة بعد تدمير مرسية وتسمى البستان
لكثرة جناتها المحيطة بها ولها نهر يصب في قبليها **اعلم** أن الجزيرة التي
بالأندلس أعادها الله على المسلمين مشتملة على موسطة وشرق وغرب فالموسطة
فيها من القواعد المتحضرة التي كل مدينة منها مملكة مستقلة لها أعمال ضخام
وأقطار متسعة قرطبة وطليطلة وجيان وغرناطة والمرية ومالقة. **فمن**
أعمال قرطبة إستجة وبلكونة. وقبرة. ورندة. وغافق. والمدور. وإستبة. و
بيانة. واليسانة. والقصير وغيرهما. **ومن** أعمال طليطلة. وادي الحجارة.
وقلعة رباح. وطلمنكة. وغيرها **ومن** أعمال جيان أبدة. وبياسة. وقسطلة.
وغيرها **ومن** أعمال المرية أندرش وغيرها. **ومن** أعمال مالقة بلش. والحامة.
وغيرهما. وببلش من الفواكه ما يعم العدوة. وبالجهة العين الحارة على صفة واديها
ومن أعمال غرناطة وادي آش والمنكب ولوشة وغيرهما **وأما** شرق الأندلس
ففيه من القواعد مرسية. وبلنسية. ودانية. والسهلة. والثغر الأعلى **فمن** أعمال
مرسية. أوريولة. والقنت. ولورقة. وغير ذلك **ومن** أعمال بلنسية شاطبة
ويضرب بحسنها المثل ويحمل منها الورق الذي لا نظير له. وجزيرة شقر وغير
ذلك. **وأما** دانية فهي مشهورة ولها أعمال **وأما** السهلة فإنها متوسطة
بين بلنسية وسرقسطة ولذا عدها بعضهم من كورة الثغر الأعلى ولها مدن
وحصون **ومن** أعمال الثغر الأعلى سرقسطة وهي أم ذلك الثغر. وكورة لاردة.
وقلعة رباح. وتسمى بالبيضاء وكورة تطيلة. ومدينتها طرسونة. وكورة شقة و
ومدينتها تمربط. وكورة مدينة سالم. وكورة قلعة أيوب ومدينتها
مليانة. وكورة برطانية. وكورة باروشة. **وأما** غرب الأندلس ففيه
إشبيلية. وماردة. وأشبونة. وشلب **فمن** أعمال إشبيلية شريش والخضراء ولبلة
وغيرها **ومن** أعمال ماردة بطليوس. ويابرة. وغيرهما **ومن** أعمال أشبونة شنترين
وغيرها **ومن** أعمال شلب شنت مرية وغيرهما **وأما** الجزائر البحرية بالأندلس
فمنها جزيرة قادس وهي من أعمال إشبيلية **قال** ابن سعيد إنها من كورة شريش
ولا منافاة لأن شريش من أعمال إشبيلية كما مر قال ابن سعيد وصنم قادس مفتاح **ولما**
سار بقادس ابن أخت القائد أبي عبد الله بن ميمون وهو علي بن عيسى قائد
البحر بها ظن أن تحت الصنم مالا فهدمه فلم يجد شيئا انتهى. وهي أعني جزيرة
قادس في البحر المحيط **وفي** المحيط الجزائر الخالدات السبع وهي غربي مدينة

سلا

سلا تلوح للناظر في اليوم الصاحي الخالي الجو من الأبخرة الغليظة وفيها سبعة
أصنام على أمثال الآدميين تشير أن لا عبور ولا مسلك وراءها وفيه بجهة الشمال
الجزائر السعادات وفيها من المدن والقرى ما لا يحصى. ومنها يخرج قوم يقال
لهم المجوس على دين النصارى ولها جزيرة برطانية وهي بوسط البحر المحيط بأقصى
شمال الأندلس ولا جبال فيها ولا عيون وإنما يشربون من ماء المطر ويزرعون
عليه **قال** ابن سعيد وفيه جزيرة شلطيش وهي أهلة وفيها مدينة
وبحرها كثير السمك ومنها يحمل مملحا إلى إشبيلية وهي من كورة لبلة مضافة
إلى عملها ونيبة انتهى **وقال** بعضهم لما جرى ذكر قرطاجنة من بلاد الأندلس
إن الزرع في بعض أقطارها يكتفي بمطرة واحدة وبها أقواس من الحجارة المعرضة
وفيها من النصاوير والتماثيل وأشكال الناس وصور الحيوانات ما يحير البصر
والبصيرة. ومن عجيب بنائها الدواميس وهي أربعة وعشرون على صف واحد
من حجارة مفترنصة طول كل داموس مائة وثلاثون خطوة في عرض ستين خطوة و
ارتفاع كل واحد طول مرمى في ذراع بين كل داموس وداموس أنقاب محكمة تتصل
فيها المياه من بعضها إلى بعض في العلو الشامخ بهندسة عجيبة وإحكام بديع
انتهى **قلت** أظن هذا غلط فإن قرطاجنة التي بهذه الصفة قرطاجنة
إفريقية لا قرطاجنة الأندلس والله أعلم **وقال** صاحب مناهج الفكر عند
ما ذكر قرطاجنة وهي على البحر الرومي مدينة قديمة يقين منها آثارها تحصر طوله
سنة أيام وعرضه يومان معمورا بالقرى انتهى **وذكر** قبل ذلك في لورقة
أن بناحيتها يوجد حجر اللازورد وفي البحر الشامي الخارج من المحيط جزيرتي ميورقة
ومنورقة وبينهما خمسون ميلا وجزيرة ميورقة مسافة يوم بها مدينة حسنة
وتدخلها ساقية جارية على الدوام **وفيها يقول ابن اللبانة**

بلد أعارته الحمامة طوقها . وكساه حلة ريشه الطاووس .
فكأنما الأنهار فيه مدامة . وكأن ساحات الديار كؤوس .

وقال يخاطب ملكها ذلك الوقت وعمرت بالإحسان أرض ميورقة وبنيت
ما لم يبينه الإسكندر وحريره يا بسه واستقصاء ما يتعلق بهذا الفصل يطول ولو
تتبع لكان تأليفا مستقلا

وما أحسن قول ابن خفاجة

إن للجنة بالأندلس . مجتلى حسن وريا نفس .
فسنا صبحتها من شنب . ودجا ليلتها من لعس .
وإذا ما هبت ريح صبا . صحت واشوقي إلى الأندلس

لعزة صبحتها

وقال بعضهم في طليطلة

وإذا ابيب بها ريح صبا

زادت طلبطلة على ما حدثوا • يلذ عليه تضرع وتغبيم •
الله ربية فوتخ حصره • بنهر المجرة والغصون نجوم •

ولا حرج ان اوردنا منها ما خاطب به اديب الاندلس ابو بحر صفوان بن ادريس الامير عبد الرحمن بن السلطان يوسف بن عبد المومن بن علي فانه مناسب ونصه مولاي امتع الله بتغايبك الزمان وابناه كما ضم على حبك احنا هم واحناه ووصلك ما شيت من المن والامان • كما نظم فلا بد فخرك على لبة الدهر الجمان فانك الملك الهمام والقمر التمام • وايامك غرر وحجول • وقد ندبها انها في صفحات الدهر تجول • البست الرعية برود التامين فقنا نست فيك من نفيس ثمين وتلفتت دعوات حلدك لها باليمين • فكم للناس من اعزيك وايناس وللايام من لوعة فيك ومبام • وللاقطار من لبانات لديك واوطار • وللبلاد من فراغ لها على غملك كلها وجلاد يتمنون تخصك الكريم على الله ويفتخرون • ويغتبقون في رياض ذكرك العاطر بمدام حبك ويصطبحون كل حزب بما لديهم فرحون • محبة من الله القاها لك حتى على الجماد ونضرا موزرا تنطق به السنة السيوف على افواه الاغماد من اسرار السنة الله ردا امنا • ومن طوى حسن نيته ختم الله بالجميل اعادتها وابداها • ومن قدم صالحا فلابد ان يوازيه • ومن يفعل الخير لا يعدم جوازيه • ولما تخاصمت بنيك من الاندلس الامصار وطالبتها الوقوف على حبك والاقتصار • كلها يفصح قولا • ويقول انا احق واولى ويصيح الى اجابة دعوته ويصغي ويتلوا اذا بشرتك ذلك ما كنا نبغي تنمرت حمص غيظا • وكادت تتغيظ فيظا • وقالت ما لهم يزيدون ويتقصون ويطعمون ويخرصون ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون لي السهم الاسد والساعد الاشد والنهر الذي يتعاقب عليه الجزر والمد انا مصر الاندلس والنيل نهري وسماء الثنا نشرو النجوم زهري ان تجاريتم في ذا الشرف فحسبي انا تبض في ذكر الشرف وان تخترتم باشرف الملبوس فاي ازار اشتمل تموه كشملبوس من ماشيت من ابنية رحاب وروض يستغني بنضرته عن السحاب • فقد ملات زهرا في وماء اذ نجادا • ونوشح سيف نهري بجدا يفي نجادا • فانا اولاكم بسيدنا الهمام واحق الان حصحص الحق تنظرنها فرطبته شزرا • وقالت لقد كثرت نزوا • وبدت في العجم الاصم بزرا • كلام العدا ضرب من الهذيان • واني للايضاح والتبيان متى استحال المستنفع متخسنا • ومن اودع الجفان المهجور وسنا • افمن زين له سوء عمله فراه حسنا • يا عجبا للمراكز تتقدم على الاسنة • وللاثقار تفضل على الاعنة اذا دعيتم سبقا فما عند الله خير وانى لي البيت المطهر الشريف والاسم الذي ضرب عليه رواق التعريف • في بقيعي محل الرجال الافاضل • فليرغم انف المناضل • وفي جامعي مشاهد ليلة القدر • فحسبي من نباهة القدر • فما الاحد ان

بيننا ثار على هذا السيد الاعلى ولا ارتضي له ان توطي غير ترابي نعلا فا قروا لي بالابوة والنفاق واعلى حكم البنوة • ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة وكفوا عن تبارزكم • ذلكم خير لكم عند باريكم **فقالت** غرناطة لي المعقل الذي يمتنع ساكنه من النجوم ولا يجري بخته الاجياد الغيم السجوم • فلا يلحقني من معانده ضرر ولا حيف • ولا يهتدي الي خيال طارق ولا طيف • فاستسلموا قولا وفعلا • فقد افلح اليوم من استعلا • لي بطاح تقلدت من جداولها اسلاكا واطلعت كواكب زهرها فعادت افلاكا • ومباه تسيل على اعطافي كادمع العشاق وبرد نسيم برد ماء المستجير بالانتشاق • فحسبي لا يطمع فيه ولا يجتاز لدي جوي فكل ذات ذيل تختال فانا اولى بهذا السيد الاعدل • وما لي عنه من عوض ولا بدل ولم لا تعطف على عنان مجده وبيتي • وانا انشد يوما فابائي بحبي **شعر**

• بلاد بها عق الشباب تمايمي • واول ارض مس جلدي ترابها •

فما لكم تفتخرون بغير ونتمنون • وتتاخرون في ميداني وتتقدمون تبرو الي تزعمون ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون **فقالت** مالقة انتركوني بينكم هملا ولم تعطوني في سيدنا املا • ولم ولي البحر العجاج • والسبل الفجاج والجنات الاثيرة والفاكهة الكثيرة • لدي من التين ما يستغني به الحمام عن التيل ولا يخج الانفس الرفاق الحواشي لي عوض عنه ولا تبديل • فمالي لا اعطى في تاكيد كلاما ولا انشر في جيش فخاركم اعلاما فكان الامصار نظرتها ازدراء • فلم تر لحديثها في ميدان الذكر احتراء • لانها موطن لا يحكي منه بطايل ونطق البلاد ولنت فيها قولا لقايل •

• اذا نطق السفيه فلا تجبه • فخير من اجابته السكوت •

فقالت مرسية امامي تتغاطون الفخر • وبحضرة الدر تنفقون الصخر • ان عدت المفاخر • فلي منها الاول والاخر • اين اوشا لكم من بحري وحرتم من لولو بحري • وجمعتكم من نفثات سحري • فلي الروض النضير • والمراى الذي ما له من نظير • وزنقا في التيصار مثلها في الافاق • ومنبر فيع وخير جمالها بترم الاصفاق • ثم دوحات كم فيها من بكر وروحات • ومن ارجاه التي بها تمد ابدي الرجا • فاينا في فيه في الجنة الدنيوية مودعون • يتنعمون بما يا خذون ويدعون • ولهم فيها ما تشتهي انفسهم ولهم ما يدعون • فانقادوا لامري وحاذروا اصطلاء جمري • وخلوا بيني وبين سيدنا ابي زيد والا ضربتكم ضرب زيد • فانا اولاكم بهذا الملك المستاثر بالتعظيم • وما يلقاها الا ذو حظ عظيم **فقالت** بلنسية بنم الجدال والفراع • وعلام الاستنهام والافتراع والام التعريض والتصريح وتحت الرغوة اللبن الصريح • انا احوزكم من دونكم فاحمدوا

نادى بحركم ومدوّنكم في المحاسن الشامخة الاعلام والجنات التي تلقي اليها
الافاق بيد الاستسلام وبرضا فتى وجنبي اعارض مد بيد السلام فاجمعوا
على الانقياد لي والسلام والا فحضوا ابنانا واقرعوا سننا فانا حيث لا تذكرون
وانا ومولانا لا يهلكنا بما فعل السفهاء منا **فعند** ذلك ارتمت
جمرة تدبيرها بالشرار واشتد اشتمامها للتجور الشرار وقالت عش رجبا ترى
عجبا انجد العصيان والعقوق تنتهيا بين الرتب ذوي الحقوق مدّ من سما
الفخر ومن ضمك ان تخرجني لبيتي بجيشك فادرجي لك الوصيف والخيل الآن وقد
عصيت من قبل ايتها الصانعة الفاعلة من اذكراني نصرتي وما انت ناعلة
ما الذي يجديك الروض والزهر ام ما يفيدك الجدول والنهر ومن يصلح
العطار ما افسد الدهر ما انت الا محط رحل النفاق ومنزل ما لسوق
الخصب فيه من نفاق دارك لا يكحل الطرف فيه بهجوع وقراك لا يسمن ولا
يغني من جوع فالى م تبرز الاماني منصة العقايل ولكن ذكرى قول القايل

بلنسية بيني عن القلب سلوة · فانك روض لا احن لزهرك
وكيف يحب المرء دارا تقسمت · على صارمي جوع وفتنة مشرك

بيد اني اسال الله ان يوفد من توفيقك ما اخمد ويسيل من تسديدك ما جمد
ولا يطيل عليك في الجهالة الامد واياه نسال سبحانه ان يرد سيدنا ومولا
الى افضل عوائده ويجعل نصايب اعدائه من فوائده ويمكن حسامه من رقاب
المشغبين ويبقيه وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين ويصل له تاييدا
وتاييدا ويمهد له الامام حتى يكون الاحرار لعبيده عبيدا ويمد على الدنيا
بساط سعده ويهبه ملكا لا ينبغي لاحد من بعده امين امين لا ارضى بواحدة
حتى اضيف اليها الف امينا ثم السلام الذي يتنوع عبقا ونشرا وينبا الفوة
رونقا وبشرا على حضرتهم العلية ومطالع انوارهم الجلية ورحمة الله تعالى
وبركاته انتهى **وما** الم الرحالة ابن بطوطة في رحلته بدخوله لبلاد الاندلس
اعادها الله قال فوصلت الى بلاد الاندلس حرسها الله تعالى حيث الاجر موفور
للساكن والثواب مذخور للمقيم والظاعن الى ان قال عند ذكر غرناطة ما
نصه قاعدة بلاد الاندلس وعروس مدنها وخارجها لا نظير له في الدنيا وهو
مسيرة اربعين ميلا يخترقه نهر شنيل المشهور وسواه من الانهار الكثيرة
والبساتين والجنات والقصور والكروم محدقة بها من كل جهة **ومن** عجيب
مواضعها عين الدمع وهو جبل فيه الرياضات والبساتين لا مثل لها بسواها
انتهى **وقال** القلقشندي غرناطة دمشق بلاد الاندلس و
مسرح الابصار ومطمح الانفس ولم تخل من اشراف اماثل وعلماء اكابر وشعراء

افاضل

افاضل ولو لم يكن بها الا ما خصها الله به من كونها قد نبغ فيها النساء الشواعر
كنزهون القلعية والركونية وغيرهما وناهيك بهما في الظرف والادب انتهى
ولبعضهم يتشوق الى غرناطة فيما ذكر بعض المورخين والصواب ان الابيات
قيلت في قرطبة كما مر

اغرناطة الغراء هل لي اوبة · اليك وهل يدنو لنا ذلك العهد
سقى الجانب الغربي منك غمايم · وقعقع في ساحات روضتك الرعد
ليالي اشجاري وارضك روضة · وتربك في استنشاقها عنبر ورد

وقال ابن مالك الرعيني

رعى الله بالحمراء عيشا قطعته · ذهبت به للانس والليل قد ذهب
ترى الارض منها فضة فاذا اكتست · بشمس الضحى عادت سبيكتها ذهب

وهو القائل

لا تظنوا ان شوقي خمدا · بعدكم او ان دمعي جمدا
كيف اسلو عن اناس مثلهم · قل ان تبصر عيني احدا

من احسن بلاد الاندلس وتسمى بدمشق الاندلس لانها اشبه شيء بها ويشقها
نهر حدره ويطل عليها الجبل المسمى بشلير الذي لا يزال الثلج عنه شتاء وصيفا ويجمد
عليه حتى يصير كالحجر الصلد وفي اعلاه الازاهر الكثيرة واجناس الافاوية الرفيعة
ونزلها اهل دمشق لما جاؤا الى الاندلس لاجل الشبه المذكور وقرى غرناطة
فيما ذكر بعض المتاخرين مايتان وسبعون قرية **وقال** ابن جزي مرتب رحلة
ابن بطوطة بعد ذكره كلامه ما نصه قال ابن جزي لولا خشية ان ينسب الى العصبية
لاطلت القول في وصف غرناطة فقد وجدت مكانه ولكن ما اشتهر كاشتهارها
لا معنى لاطالة القول فيه ولله در شيخنا ابي بكر محمد بن احمد بن شبرين السبتي نزيل
غرناطة **حيث قال**

رعى الله من غرناطة متبوّءا · يسر حزينا او يجير طريدا
تبرم منها صاحبي عندما راى · مسارحها بالثلج عدن جليدا
هي الثغر صان الله من اهلت به · وما خير ثغر لا يكون برودا

انتهى
وقال ابن سعيد عندما اجرى ذكر قرية نارجة ومن قرية كبيرة تضاهي المدن
قد احدقت بها البساتين ولها نهر يبهج الناظرين ومن اعمال مالقة انزاحت
من عليها سمع والدي ابي عمران موسى وكان ذلك زمان صبا غة الحرب عندهم وقد
ضربوا في بطن الوادي بين مقاطعات خيما وبعضهم يشرب وبعضهم يغني ويطرب
وسالوه ان يعرف ذلك الموضع فقالوا الطراز فقال والدي اسم طابق مسماه
ولفظ وافق معناه وقد وجدت مكان القول ذا سعة فان وجدت مكانا قايلا

ثم قال آخر شعر

بنا رنجة حيث الطراز المنمنم فقلت اتم فوق نهر ثغره يتبسم •
فقال وسمعك نحو الهاتفات فانها فقلت لما ابصرت من بابجة تترنم •
فقال ابا جنة الفردوس لست بادم فقلت فلا بك حظي من جنانك التندم •
فقال بعز علينا ان نزورك مثلما فقلت يزور رجا لمن سلبها مسلم •
فقال فلو انني اعطي الخيار لما عدت فقلت محلك لي عين بها انت تنعم •
فقال عجيب الصبا والطل من نفثاتها فقلت وقت لنسج روض فيه للنهر ارقم •
فقال فوا اسفي ان لم تكن لي عودة فقلت فكن ما لكا اني عليك منيتم •
فقال فاحسب هذا اخر العهد بيننا فقلت وقد يلحظ الرحمن شوقي فيرحم •
فقال سلام سلام لا يزال مرددا فقلت عليك ولا زالت بك السحب تسجم •

انتهى وقال ابن سعيد ان كورة بلنسية من شرق الاندلس تنبت الزعفران وتعرف بمدينة التراب فيها كمثرى يسمى الارزة في قدر حبة العنب قد جمع مع حلاوة المطعم ذكا الرائحة اذا دخل دارا عرف بريحه ويقال ان ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الاندلس وبها منارة ومسارح ومن ابدعها واشهرها الرصافة ومنية ابن ابي عامر وقال الشريف ابو جعفر بن مسعدة الغرناطي من ابيات فيها

هي الفردوس في الدنيا جمالا • لساكنها وكارهها البعوض •
• ضاقت بلنسية بي • وزاد غمي غموضي •
• رقص البراغيث فيها • على غناء البعوض •

وفيها لابن الزقاق البلنسي

• بلنسية اذا فكرت فيها • وفي ايامها اسنا البلاد •
• واعظم شاهدي منها عليها • وان جمالها للعين بادي •
• كساها ربها ديباج حسن • لها علمان من بحر وواد •

وقال ابن سعيد ايضا انشدني والدي قال انشدني مروان بن عبد الله ابن عبد العزيز ملك بلنسية لنفسه بمراكش قوله

• بلنسية قرارة كل حسن • حديث صحيح في شرق وغرب •
• فان قالوا محل غلا سعر • ومسقط ديمتي طعن وضرب •
• فقل هي جنة حفت رباها • بمكروهين من جوع وحرب •

وقال الرصافي في رصافتها قوله

• ولا كالرصافة من منزل • سقتها السحائب صوب الولي •
احن اليها ومن لي بها • وابن السري من الموصلي •

قال ابن سعيد ورصافة بلنسية مناظر وبساتين ومياه ولا نعلم في الاندلس

ما يسمى

ما يسمى بهذا الاسم الا هذه ورصافة قرطبة انتهى ومن اعمال بلنسية قرية المضا التي منها الفقيه الزاهد ابو عبد الله المنصفي الغايب قبره كان بسبتة يزار رحمه الله تعالى ومن نظمه

• قالت لي النفس اتاك الردى • وانت في بحر الخطايا مقيم •
• فما ادخرت الزاد قلت اقصري • هل يحمل الزاد لدار الكريم •

ومن عمل بلنسية قرية بطرنة التي كانت بها الوقيعة المشهورة للنصارى على المسلمين وفيها يقول ابو اسحاق بن معلى الطرسوني

• لبسوا الحديد الى الوغى فلبستم • حلل الحرير عليكم الوانا •
• ما كان اقبحهم واحسنكم بها • لو لم يكن ببطرنة ما كانا •

ومن عمل بلنسية منبطة التي ينسب اليها جماعة من العلماء والادباء ومن عمل بلنسية مدينة اندة التي في جبلها معدن الحديد واما رندة يا ابرا فهي متوسط الاندلس ولها حصن يعرف باندة ايضا وفي اشبيلية اعادها الله من المنفرجات والمتنزهات كثير ومن ذلك مدينة طريانة فانها من مدن اشبيلية ومنتزهاتها وكذلك قنبطل فقد ذكر ابن سعيد جزيرة قنبطل في المنفرجات قال ابو عمران موسى بن سعيد في جوابه لابي يحيى صاحب سبتة لما استوزره مستنصر بني عبد المؤمن وكتب الى المذكور يرغبه في النقلة عن الاندلس الى مراكش ما نص محل الحاجة واما ذكر سيدي من التخيير بين ترك الاندلس وبين الوصول الى حضرة مراكش فكفى الفهم العالي من الانسان قول القايل

• والعز محمود وملتمس • والذل ما ينبل في الوطن •

فاذا انلت بك السما في تلك الحضرة فعلي من اسودفها ومن ذا اضاهي بها

• لا رفتني ممن ان لم اكن • فيك فقد املت فوق الامل •

وبعد هذا فكيف افارق الاندلس وقد علم سيدي انها جنة الدنيا بما حباها الله به من اعتدال الهوى وعذوبة المياه وكثافة الافيا وان الانسان لا يبرح فيها بين قرة عين وقرار نفس •

• هي الارض لا ورد لديها مكدر • ولا ظل مقصور ولا روض مجدب •

افق صقيل وبساط مديح وما سياح • وطاير مترنم وكيف تعدل الاديب عن ارض على مثل هذه الصفة • فيا سموال الوفا ويا حاتم السماح • ويا جذيمة الصفا كمل المنن التي لا ينعم بتركي في متوطنه غير مكدر لخاطره • بالتحرك من معده ملتفتا الى

قول القايل

• وسولت لي نفسي ان افارقها • والماء في المزن اصفى منه في الغدر •

فاذا اغناه اهتمام مومله عن ارتياد المراد • وبلغه دون ان يشد قتبا ولا

بيقضي عيشنا غاية المراد انشد ناجح المرغوب بالغ المطلوب

• وليس الذي يتبع الوبل رائدا • كمن جاءه في داره رائد الوبل •

ورب قائل اذا يسمع هذا التبسط • على الاباني ماله تشطط • وعدل عن سبيل التأدب وتبسط • ولا جواب عندي الا قول القائل

• فمنك حظة ما زلت ارقبها • فاليوم انبسط امالي واحتكم •

وما لي لا انشد ما قاله المتنبي في سيف الدولة

• ومن كنت بحرا له يا علي • لم يقبل الدر الا كبارا •

انتهى المقصود منه قال الحجاري في مدينة شريش بنت اشبيلية وواديها بواديها ما اشد سعد اشبيلية وهي مدينة جليلة ضخمة الاسواق لاهلها همم وظرف في الملابس واظهار في الرفاهية وتخلق بالاداب ولا يكاد ترى فيها الا عاشقا ومعشوقا ولها من الفواكه ما يعم ويفضل ومما اختصت به احسان الصنعة في المجبنات وطيب جبنها معين على ذلك ويقول اهل الاندلس من دخل شريش ولا ياكل بها المجبنات فهو محروم انتهى وفي شلب يقول الفاضل الكاتب ابو عمرو بن مالك بن سيدبير شعر

• اشجاك النسيم حين يهب • ام سنى البرق اذ يخب ويخبو •
• ام هتوف على الاراكة تشدو • ام هتون من الغمام منسكب •
• كل هذا لك للصبابة داع • اي صب دموعه لا تنصب •
• انا لولا النسيم والبرق والورق وصوب الغمام ما كنت اصبو •
• ذكرتني شلبا وهيهات مني • بعد ما استحكم التباعد شلب •

وتسمى اعمال شلب كورة اشكونية وهي متصلة بكورة اشبونة وهي اعني اشكونية قاعدة جليلة لها مدن ومعاقل ودار ملكها قاعدة شلب وبينها وبين قرطبة سبعة ايام ولما صارت لبني عبد المؤمن ملوك مراكش اضافوها الى كورة اشبيلية وتفتخر شلب بكورة ذي الوزارتين بن عمار منها سامحه الله ومنها القائد ابو مروان عبد الملك بن بدرون وربما قيل ابن بدرون الاديب المشهور شارح قصيدة ابن عبدون التي اولها

• الدهر يفجع بعد العين بالاثر • فما البكاء على الاشباح والصور •

وهذا الشرح شهير بهذه البلاد المشرقية ومن نظم ابن بدرون المذكور قوله

• العشق لذته التعنيق والقبل • كما منغصه التثريب والعذل •
• يا ليت شعري هل يقضي وصالكم • لولا المنى لم يكن ذا العمر يتصل •

ومنها نحوي زمانه وعلامته ابو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي فان شلبا بيضته ومنها كانت حركته ونهضته كما في الذخيرة وهو القائل

• اذا اسلوني عن حالتي • وحاولت عذرا فلم يمكن •
• اقول بخير ولكنه • كلام يدور على الالسن •
• وربك يعلم ما في الصدور • ويعلم خائنة الاعين •

وقال الوزير ابو عمرو بن القلاس يمدح بطليوس بقوله

• بطليوس لا انساك ما اتصل البعد فلله غور في جنابك او نجد •
• ولله دوحات تحفك بينها • تفجر واديها كما شقق البرد •

وبنو القلاس من اعيان حضرة بطليوس وابو عمرو المذكور اشهرهم ومن رجال الذخيرة والمسهب رحمه الله وفي شاطبة

يقول بعضهم

• نعم ملقى الرحل شاطبة • لفتى طالت به الرحل •
• بلدة اوقاتها سحر • وصبي في ذيله بلل •
• ونسيم عرفه ارج • ورياض غصنها ثمل •
• ووجوه كلها غرر • وكلام كله مثل •

وفي برجة يقول بعضهم

• اذا جئت برجة مستوفزا • تخذ في المقام وخل السفر •
• فكل مكان بها جنة • وكل طريق اليها سقر •

وقد تقدم هذا الى بيتان واعلم انه لو لم يكن للاندلس من الفضل سوى كونها ملاعب الجياد للجهاد لكان كافيا ورحم الله لسان الدين بن الخطيب حيث كتب على لسان سلطانه الى بعض العلماء العاملين ما فيه اشارة لبعض ذلك ما نصه من امير المسلمين فلان الى الشيخ كذا ابن الشيخ كذا وصل الله له سعادة تجذبه وعناية اليه تقربه وقبولا منه يدعوه الى خير ما عند الله ويهديه سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد حمد الله المرشد المثيب السميع المجيب معود اللطف الخفي والصنع العجيب المتكفل بانجاز وعد النصر العزيز والفتح القريب والصلاة على سيدنا محمد رسوله ذي القدر الرفيع والعز المنيع والجناب الرحيب الذي به نرجو ظهور عبدة الله على عبدة الصليب ويستظهر منه على العدو بالحبيب ونعده عدتنا لليوم العصيب والرضى عن آله وصحبه الذين فازوا من مشاهدته بافوز نصيب ورموا الى هدف مرضاته بالسهم المصيب فانا كتبناه اليكم كتب الله لكم عملا صالحا يختم الجهاد صحائف بره ويمحض لان تكون كلمة الله هي العليا جوامع امره وجعلكم ممن تهنى في الارض التي فتح فيها ابواب الجنة حصنة عمره من حمراء غرناطة حرسها الله ولطف الله هامي السحاب وصنعه رائق الجناب والله يصل لنا ولكم ما عوده من صلة لطفه عند انبتات

الأسباب. وإلى هذا أيها الولي الذي هو بركة المغرب المشار إليه بالبنان، وواحده في رفعة الشان، المؤثر بما عند الله على الزخرف الفتان، المتنقل من المتاع الفان، المتشوف إلى مقام العرفان من درج الإسلام والإيمان والإحسان، فإننا لما نؤثره من بركم الذي نعده من الأمر الأكيد، ونضمره من ودكم الذي نحله محل الكنز العتيد، ونلتمسه من دعائكم الذي نعده أفضل العدة وأنفع العتيد، لا نزال نسأل عن أحوالكم التي ترقت في أطوار السعادة، ووصلت جناب الحق بحبل العبادة، والفنا في تيه التسليم لله والتوكل عليه بالمقادة، فنسر بما منحه الله لكم من القبول وبلغكم من المأمول، والتمكن من الكلف بالقرب إليه والوصول، والفوز بما لديه والحصول، وعندما رد الله علينا ملكنا الرد الجميل، وأنالنا فضله الجزيل، وكان لعثار المقيل خاطبناكم بذلك لمكانكم من ودادنا، ومحلكم من حسن اعتقادنا، ووجهنا إلى وجهة دعائكم وجه اعتدادنا، والله ينفعنا بجميل الظن في دينكم المتين، وفضلكم المبين، ويجمع الشمل بكم في الجهاد عن الدين، ونعرفنا الآن بمن لدينا من أنبائكم اعتناءنا، وعلى جلالكم حمدنا وثناءنا، ولجناب ودكم اعتزاءنا، وأنتما تتجاولان عزمكم بين حج مبرور وعبور من أجر في ازدياد، وتجددون العهد منه بالبيت اعتياد، وبين رباط في سبيل الله وجهاد، وتؤثرون من جهاد بين ربح أثرة عند الله وميعاد، تحشرون يوم القيامة شهداء ومع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين، فرحين بما آتاهم الله من فضله والله أصدق الصادقين، حيث لا غارة لغير عدو الإسلام تنتقى، إلا ابتغاء ما لدى الله من تقى، حيث رحمة الله قد فتحت أبوابها وحور الجنان قد زينت أترابها، دار العرب الذين قرعوا باب الفتح وفازوا بجزيل المنح، وخلدوا الآثار، وأرغموا الكفار، وأقالوا العثار، وأخذوا الثار، وأمنوا من لفح جهنم بما علا على وجوههم من ذلك الغبار، فكتبنا إليكم هذا تقوى بصيرتكم على جهة الجهاد من العرضين، ونهيب بكم إلى إحدى الحسنيين، والصبح غير خاف على ذي عينين، والفضل ظاهر لإحدى المنزلتين، فإنكم إذا حججتم أعدتم فرضًا أديتموه، فائدته عليكم مقصورة، وفضيلته فيكم محصورة، وإذا أقمتم الجهاد جلبتم إلى حسناتكم عملًا غريبًا، واستأنفتم سعيًا من الله قريبًا، وتعدت المنفعة إلى ألوف من النفوس المستشعرة لباس البوس، ولو كان الجهاد بحيث يخفى عليكم فضله لأطنبنا، واعتنينا بالاستدلال وأسهبنا، هذا لو قدمتم على هذا الوطن وفضلكم غفل من الاشتهار ومزيه لا يوجب لكم ترفيع المقدار، فكيف وفضلكم أشهر من محيا النهار، ولقاكم أشهى من الآمال وأثر الأوطار، فأنت قوي عزمكم والله يقويه، ويعيننا من بركم على ما ننويه، فالبلاد بلادكم وما فيها طريقكم وتلادكم، وكهولها إخوانكم، وأحداثها أولادكم، ونرجو أن تجدوا

لذكركم الله في زيارتها خلاف زائريه، ولا تعدموا من روح الله فيها فائدة، وتتكيف نفسكم فيها تكييفات تقصر عنها خلوات السلوك إلى ملك الملوك، حتى تغتبطوا بفضل الله الذي يوليكم، وتروا أثر رحمته فيكم، وتحلفوا في هذا الانقطاع إلى الله في قبيلكم وبنيكم، وبفضل الله الذي يوليكم، ويحمد والحمد الطيب بالجهاد الذي يعليكم، ومن الله يدنيكم، فنبيكم العربي صلوات الله عليه وسلامه نبي الملاحم، ومعمل الصوارم، ويجهاد الفرنج ختم عمل جهاده والأعمال بالخواتم، هذا على بعد بلادهم من بلاده، وأنتم أحق الناس بريا فتقفا جهاده، والاستباق إلى ماده، هذا ما عندنا حثثناكم عليه، وندبناكم إليه، وأنتم باقتفاء جهاده وأنتم في إبان هذا الجوار، ومقارضة ما عندنا تغدون على بلادنا أمثل الاستثبات بحسب ما يخلو عنكم من تبين مقادة الاختيار، وتصريفها بالليل والنهار، وتقليبا للقلوب وإجالة الأفكار، وإذا تعارضت الحظوظ فما عند الله خير للأبرار، والدار الآخرة دار القرار، وخير الأعمال ما أوصل الجنة وباعد من النار، ولتعلموا أن نفوسًا أمثل للكشف والاطلاع بهذه الأرجاء والاضطلاع قد نفقت أخبارها، واتحدت أسرارها على البشارة بفتح قرب أوانه، وأطل زمانه، فنرجو من الله أن تكونوا ممن يحضر مدعاه، ويكرم فيه مسعاه، ويستلف فيه العمل الذي يشكره الله ويرعاه، والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته. انتهى.

ولما دخل الأندلس أمير المسلمين علي بن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني ملك المغرب والأندلس وأمعن النظر فيها وتأمل وصفها وحالها قال: إنها تشبه عقابًا مخالبه طليطلة، وصدره قلعة رباح، ورأسه جيان، ومنقاره غرناطة، وجناحه الأيمن باسط إلى المغرب، وجناحه الأيسر باسط إلى المشرق في خبر طويل لم يحضرني الآن إذ تركته مع كتبي بالمغرب جمعني الله بها على أحسن الأحوال. ومع كون أهل الأندلس سباق حلبة الجهاد، مستطيعين إلى داعيه من الجبال والوهاد، فكان لهم في الترف والنعيم والمجون، ومداراة الشعراء خوفًا من الهجاء محل وتبر الحماة، وسيأتي في الباب السابع من هذا القسم من ذلك وغيره ما يشفي ويكفي، ولكن سنح أن أذكر هنا حكاية أبي بكر المخزومي الهجاء المشهور الذي قال فيه لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة إنه كان أعمى شديد الشر معروفًا بالهجاء مسلطًا على الأعراض سريع الجواب ذكي الذهن فطنًا للمعاريض سابقًا في ميدان الهجاء فإذا مدح ضعف شعره. **والحكاية** هي ما حكاه أبو الحسن بن سعيد في الطالع السعيد إذ قال حكاية عن أبيه فيما أظن: قدم المذكور يعني المخزومي على غرناطة أيام ولاية أبي بكر بن سعيد ونزل قريبًا مني وكنت

اسمع به انه نار صاعقة من سلها الله على من يشا من عباده ثم رايت انا بداه
بالتانيس والاحسان فاستدعيته بهذه الابيات

• يا ثانيا للبحتري • في حسن نظم ونثر • وطرف نبل وفرط
• وعوص فهم وفكر • صل ثم واصل حبيا • بكل بر وشكر
• ولنبل الحديث • كما وهى عقد در • وشادن يتغنى
• على رباب وزمر • وما بساح به الشحرور من كاس خمر •
• وبيننا عهد حلف • لباس حلف كفر • فعم تجدده عهدا
• بطيب شكر وبشر • والكاس مثل رضاع • ومن كمثلك يدري •

ووجه له الوزير ابو بكر بن سعيد عبدا صغيرا قاده فلما استقر به المجلس و
الغمته رواح الند والعود والازهار ومرت عطفه الاوتار قال

• دار السعيدي ذي ام دار رضوان • ما تشتهي النفس فيها حاضر داني •
• سقفا باريقها للمد سحب ندا • تحدى برعد لاوتار والحاني •
• والبرق من كل دن ساكب مطرا • يحيى به ميت افكار واشجاني •
• هذا النجيم الذي كنا نحدثه • ولا سبيل له الا باذاني •

فقال ابو بكر والى الان لا سبيل له الا باذان فقال حتى يبعث الله ولد
زني كلما انشدت هذه الابيات قالا فقابلها اعمى فقال اما انا فما انطق
بحرف فقال من صمت نجا وكانت نزهون بنت القلاعي حاضرة فقالت
وتراك يا استاذ قدم النعمة بجمرة وغنا وشراب فتعجب من تاتيه وتشبهه
بنعيم الجنة وتقول ما كان يعلم الا بالسماع ولا يبلغ اليه بالحيلات لكن من يجي
من حصن المدور وبين شابين تيوس وبقر من اين له معرفة بمجالس النعيم
فلما استوفت كلامها تنحنح الاعمى فقالت له ذبحه فقال من هذه الفاضلة
فقالت عجوز مقام امك فقال كذبت ما هذا صوت عجوز انما هذه نغمة
قحبة محترقة تشم رواحها منها على فرسخ فقال له ابو بكر يا استاذ هذه
نزهون بنت القلاعي الشاعرة الاديبة فقال سمعت بها لا اسمعها الله
خيرا ولا اراها الا ايرا فقالت يا شيخ سوء تناقضت واي خير للمراة مثل
ما ذكرت ففكر ساعة ثم قال

• على وجه نزهون من الحسن مسحة • وان كان قد امسى من الضو غايبا •
• قواصد نزهون توارك غيرها • ومن قصد البحر استقل السواقيا •

فاعملت فكرها ثم قالت

• قل للوضيع مقالا • يتلى الى حين يحشر • من المدور انشيت •
• والخرا منه اعطر • حيث البداوة امست • في مشبها تتبختر •

لذاك امسيت صبا • بكل شي مدور • خلقت اعمى ولكن •
• تهيم في كل اعور • جازيت شعرا بشعر • فقل لعمري من اشعر •
• ان كنت في الخلق انثى • فان شعري مذكر •

فقال

• الا قل لنزهونة ما لها • تجر من التيه اذيالها •
• ولو ابصرت فعلة شمرت • كما عودتني سربالها •

فحلف ابو بكر بن سعيد الا يزيد احدهما على الاخر في هجو كلمة فقال
المخزومي اكون هجاء الاندلس واكفهما دون شي فقال انا اشتري منك
عرضهما فاطلب فقال بالعبد الذي رسلته فقاد في الى منزلك فانه لين اليد
رقيق المشي فقال ابو بكر لولا كونه صغيرا كنت ابلغتك منه مرادك وانبه
لك تفهم قصده وقال اصبر عليه حتى يكبر ولو كان كبيرا ما اثرتني به على
نفسك فضحك ابو بكر وقال ان لم تمنح نظما مجوت نثرا فقال ايا ع
الوزير لا بدل للخلق الله وانفصل المخزومي بالعبد بعد ما اصلح الوزير بينه
وبين نزهون انتهى وفي كتاب الدر المنضد في وفيات اعيان امة محمد
تاليف الامير صارم الدين ابراهيم بن دقماق قال ابو القاسم بن خلف كان
يحيى المخزومي المذكور حيا بعد الاربعين وخمسماية انتهى ونقلت
من كتاب قطب السرور لابن الرقيق المغربي ما ملخصه وممن ادركته وعاشرته
عبد الوهاب بن حسين بن جعفر الحاجب وذكرته ممثلا انه ملحق بالامرا
المنفذين غير خارج منهم ولا مقصر عنهم بل كان واحد عصره في الغنا
الرايق والادب الرايع والشعر الرقيق واللفظ الانيق ورقة الطبع
واصابة النادر والتشبيه المصيب والبديهة التي لا يلحق فيها مع
شرف النفس وعلو الهمة وكان قد قطع عمره وافنى دهره في اللهو واللعب
والفكاهة والطرب وكان اعلم الناس بضرب العود واختلاف طرقه
وصنعة اللحون وكثيرا ما يفوك المعاني اللطيفة في الابيات الحسنة
ويصوغ عليها الالحان المطربة البديعة المعجبة اختراعا منه وحذقا
وكانت له في ذلك قريحة وطبع وكان اذا لم يزره احد من اخوانه احضر ما يريد
وشرابه عشرة من امثل بيته منهم ولده وعبد الله بن اخيه ونفض علما بزوكل
يغني فيجيد فلا يزال يجيبون بين يديه حتى يطرب فيدعو بالعود ويغني
لنفسه ولهم وكان يشاده الزام الذي يرمي عليه من حذاق زمرة المشرق
وكان يعيد للهمة سمحا بما يجد يعطي غلامه ضيا عن كل عام اتوا الاجلبة فلا يحول
السنة حتى ينفذ جميع ذلك ويتسلف غيره فكان لا يبطرا من المشرق

مغن الاسال من يقصده بهذا الشان فيبذل غليته فمن وصل منهم استقبله بصنوف
البر والاكرام وكساه وخلطه بنفسه ولم يدعه الى احد من الناس فلا يزال
معه في صبوح وغبوق وهو يجدد له كل يوم كرامة حتى ياخذ جميع ما معه
من صوت مطرب او حكاية نادرة وجلس يوما وقد زاره رجلان من اخوانه
وحضر قيانه فطعموا وشربوا واخذوا في الغنا فارتج المجلس اذ دخل عليه
بعض غلمانه فقال بالباب رجل غريب عليه ثياب السفر ذكر انه ضيف فامر
بادخاله فاذا رجل يسمى سناطرت الهيئة فسلم عليه فالتفت بلد الرجل فقال
البصرة فرحب به وامره بالجلوس فجلس مع الغلمان في صفه واتي بالطعام فاكل
وسقي اقداحا ودار الغنا ما المجلس حتى انتهى الى اخرهم فلما سكتوا اندفع يغني
بصوت ندي وطبع حسن

الا يا دار ما الهجر لسكانك من شاني • سقيت الغيث من دار وان هيجت اشجاني •
ولو شيت لما استسقيت غيثا غير اجفاني • بنفسي حل اهل الملك وان بانوا باسلواني •
وما الدهر بمامون على تشتيت خلاني •

فطرب عبد الوهاب وصاح وتبين له الحذق في اشارته والطيب في طبعه و قال
يا غلام خذ بيده الى الحمام وعجل علي به فادخل الحمام ونظف ثم دعا عبد الوهاب
بخلعة من ثيابه فالقيت عليه ورفعه فاجلسه على يساره واقبل عليه وبسطه

فغنى له بشعر

قومي امزجي لتبر بالتجين • واختمي الرطل باليدين •
واغتنمي غفلة الليالي • فربما تيقظن لحين •
نعد لعمري افتر متا • هلال شوال كل عين •
ذات الخلاخل ابصرته • كنصف خلخالها اللجين •

فطرب وشرب واستزاده فغناه

من لي على رغم الحسود بقهوة • بكر ربيبة حانة عذراء •
موج من الذهب المذاب نظيمه • كاس كقشر الدرة البيضاء •
والنجم في افق السماء كانه • عين تجاسر غفلة الرقباء •

فشرب عبد الوهاب ثم قال زدني فغناه

وانت الذي اشرقت عيني بمائها • وعلمتها بالهجر ان تهجر الغمضا •
واغريتها بالدمع حتى جفونها • لتبكي من فقد الكرى بعضها بعضا •

ثم نوم من احسن الايام واطيبها وصله واحسن اليه ولم يزل عنده مقربا

مكرما

مكرما وكان خليعا ماجنا مشتهرا بالنبيذ تخلاه وما احب ثم وصف له
الاندلس وطيبها وكثرة خمورها فمضى اليها ومات بها وعلى نحو هذا الحال
كان يفعل بكل طارئ يطرا من المشرق ولو ذكرتهم لطال بهم الكتاب انتهى •
وغرضي من ايراد هذه الحكاية منها كونه وصف للمشرقي الاندلس وطيبها
وذلك امر لا يشك فيه ولا يرتاب والله المسئول في احسن المتاب ورايت
في بعض كتب تاريخ الاندلس في ترجمة السلطان باديس الصنهاجي صاحب
غرناطة ما نصه وهو الذي كمل ترتيب قصبة مالقة وكان افرس الناس
وانبلهم ذا مروءة ونجدة وقصره بغرناطة ليس ببلاد الاسلام والكفر مثله
فيما قيل انتهى وهذا القصر هو الذي عناه لسان الدين بن الخطيب في
قصيدته السينية المذكورة في الباب الخامس من القسم الثاني من هذا الكتاب
فلتراجع ثمة وذكر غير واحد من المحدثين والمورخين ان مدينة
سرقسطة لا يدخلها الثعبان من قبل نفسه واذا دخله احد لم يتحرك ونظير
هذا المعنى في بعض الحيوانات بالنسبة الى بعض البلاد كثير وذلك من رصد او
طلسم وقد استطرد علماء اصول الدين ذلك عندما تكلموا على السحر حسبما
قرر في محله والله اعلم هكذا رايت في كلام بعض علماء المشارقة والذي رايته
لبعض علماء المغرب في سرقسطة انها لا تدخلها عقرب ولا حية الا ماتت من
ساعتها ويوتى بالحيات والعقارب اليها حية فبنفس ما تدخل الى جوف البلد
تموت • قال ولا يتسوس فيها شي من الطعام ولا يعفن ويوجد فيها القمح
من مائة سنة والعنب المعلق من ستة اعوام والتين والخوخ وحب الملوك
والتفاح والاجاص اليابسة من اربعة اعوام والفول والحمص من عشرين سنة
ولا يتسوس فيها خشب ولا ثوب كان صوفا او حريرا او كتانا وليس في بلاد
الاندلس اكثر فاكهة منها ولا اطيب طعاما ولا اكبر جرما والبساتين محدقة
بها من كل ناحية ثمانية اميال • ولها اعمال كبيرة مدن وحصون وقرى مسافة
اربعين ميلا وهي تضاهي مدن العراق في كثرة الاشجار والانهار وبالجملة
فامرها عظيم • وقد اسلفنا ذكرها واعلم ان بارض الاندلس من الخصب
والنضرة وعجائب الصنائع وغرائب الدنيا ما لا يوجد مجموعه غالبا في غيرها
فمن ذلك ما ذكر الحجاري في المسهب ان السمور الذي يعمل من وبره الفراء
الرقيقة يوجد في البحر المحيط بالاندلس من جهة جزيرة برطانية ويجلب الى
سرقسطة ويصنع بها • ولما ذكر ابن غالب وبر السمور الذي يصنع بقرطبة
قال هذا السمور المذكور ربما لم نحقق ما هو ولا ما عني به ان كان هو نباتا
عندهم او وبر الدابة المعروفة فان كانت الدابة المعروفة فهي دابة تكون في

البحر ويخرج الى البر وعندها قوة ميز **وقال** حامد بن سمحون الطبيب
صاحب كتاب الادوية المفردة هو حيوان يكون في بحر الروم ولا يحتاج منه
الا خصاه يخرج الحيوان من البحر في البر فيوخذ ويقطع خصاه ويطلق فربما عرض للقناصين مرة ثانية فاذا احس بهم وخشي الا يفوتهم استلقى
على ظهره وفرج بين فخذيه ليرى موضع خصيتيه خاليا فاذا رآه القناصون
كذلك تركوه **قال** بن غالب ويسمى هذا الحيوان ايضا الجند بادستر والكلا
الذي يصنع من خصيتيه من الادوية الرفيعة ومنافعه كثيرة وخاصيته
في العلل الباردة. وهو حار يابس في الدرجة الرابعة والقنلية حيوان
ادق من الارنب واطيب في الطعم واحسن وبرا ولكثر ما يلبس فراءها ويستعملها
اهل الاندلس من المسلمين والنصارى ولا يوجد في بر البربر الا ما جلب منها الى
سبتة فنشا في جوانبها **قال** ابن سعيد وقد جلبت في مدة المنتغ
الى تونس حضرة افريقية. ويكون بالاندلس من الغزال والايل وحمار الوحش
وبقره وغير ذلك مما يوجد في غيرها كثير **واما** الاسد فلا يوجد فيها البتة
ولا الفيل والزرافة وغير ذلك مما يكون في اقاليم الحرارة ولما سبع يعرف
باللب اكبر قليلا من الذيب في نهاية من القحة وقد يفترس الرجل اذا كان
جائعا وبغال الاندلس فارهة وخيلها ضخمة الاجسام حصون للقتال لحملها
الدروع وثقال السلاح والعدو في خيل البر الجنوبي ولها من الطيور الجوارح
وغيرها ما يكثر ذكره ويطول ولذا حيوان البحر ودواب بحرها المحيط في نهاية
من الطول والعرض **قال** ابن سعيد عاينت من ذلك العجب والمسافرون
في البحر يخافون منها لئلا تقلب المراكب فيقطعون الكلام ولنا نفخ بالماء من
فيها يقوم في الجو ارتفاع مقطر **وقال** ابن سعيد قال المسعودي في مروج
الذهب في الاندلس من انواع الافاوية خمسة وعشرون صنفا منها السنبل
والقرنفل والصندل والفرفرة وقصب الذريرة وغير ذلك **وذكر** ابن غالب ان
المسعودي قال اصول الطيب خمسة اصناف المسك والكافور والعود
والعنبر والزعفران وكلها من ارض الهند الا الزعفران والعنبر فانهما
موجودان في ارض الاندلس. ويوجد العنبر في ارض الشحر **قال** ابن سعيد
وقد تكلموا في اصل العنبر فذكر بعضهم انه عيون تنبع في قعر البحر يصير منها
ما تبتلعه الدواب وتقذفه **قال** الحجاري ومنهم من قال انه نبات في
قعر البحر وقد تقدم قولنا ان الرازي المخلب وهو المقدم في الافاوية والمفضل
في انواع الاشنان لا يوجد في شي من الارض الا بالهند والاندلس **قال**
ابن سعيد وفي الاندلس مواضع ذكروا انها اذا اطلقت فيها فاحت

بزوله

روايح العود وما اشبهه. وفي جبل شلبرا فاوية هندية **قال** واما الثمار
واصناف الفواكه فالاندلس اسعد بلاد الله بكثرتها ويوجد في سواحلها
قصب السكر والموز المعدومان في الاقاليم الباردة ولا يعدم منها الا التمر ولها
من انواع الفواكه ما يعدم في غيرها او يقل كالتين القوطي والتين الشعري
باشبيلية **قال** ابن سعيد وهذان الصنفان لم تر عيني ولم اذق لهما منذ خرجت
من الاندلس ما يفضلهما وكذلك التين المالقي والزبيب المنكبي والزبيب
العسلي والرمان السفري والخوخ والجوز واللوز وغير ذلك مما يطول
وذكر ابن سعيد ايضا ان الارض الشمالية المغربية فيها المعادن
السبعة واما في الاندلس التي هي بعض تلك الارض واعظم معدن للذهب
بالاندلس في جهة سنت يافوة فاعدة الجلالقة على البحر المحيط وفي جهة
قرطبة الفضة والزيبق والنحاس في شمال الاندلس كثير والصفر الذي يكاد
يشبه الذهب وغير ذلك من المعادن المتفرقة في اماكنها والعين التي يخرج
منها الزاج في لبلة مشهورة. وهو كثير مفصل في البلاد منسوب ويجبل
طليطلة جبل الطفل الذي يجهز الى البلاد ويفضل على كل طفل بالمشرق والمغرب
وبالاندلس عدة مقاطع للرخام. **وذكر** الرازي ان بجبل قرطبة
مقاطع للرخام الابيض الناصع والخمري وفي قاشرة مقطع عجيب للعمد و
بباغة من مملكة غرناطة مقاطع للرخام كثيرة غريبة موشاة في حمرة وصفرة
وغير ذلك من المقاطع الذي بالاندلس من الرخام الحالك والمجزع وحصى المرية
يحمل الى البلاد فانه كالدر في رونقه وله الوان عجيبة ومن عادتهم ان
يصنعوه في كيزان الماء. وفي الاندلس من الامتعة التي تنزل من السماء القرمز
الذي ينزل على شجر البلوط فيجمعه الناس من الشعري ويصبغون به فيخرج منه
اللون الاحمر الذي لا تفوقه حمرة **قال** ابن سعيد والى مصنوعات الاندلس
ينتهي التفضيل وللمتعصبين لها في ذلك كلام كثير فقد اختصت المرية ومالقة
ومرسية بالوشي المذهب الذي يتعجب من حسن صنعته اهل المشرق واذا رأوا
منه شيئا. وفي بنيا له من عمل مرسية تعمل البسط التي يغالى في ثمنها بالمشرق
ويصنع في غرناطة وبسطة من ثياب اللباس المحررة الصنف الذي يعرف بالملبد
المختم ذا الالوان العجيبة ويصنع في مرسية من الاسرة المرصعة والحصر
الفتانة الصنعة والات الصفر والحديد من السكاكين والامقاص المذهبة وغير
ذلك من الات العروس والجندي ما يبهر العقل ومنها تجهز هذه الاصناف الى بلاد
افريقية وغيرها ويصنع بها وبالمرية وبمالقة الزجاج الغريب العجيب والفخار
المزجج المذهب ويصنع بالاندلس نوع من الفصص المعروف في المشرق بالفسيفسا

ونوع يبسط به قاعات ديارهم يعرف بالزليجي يشبه المفصص وتلونه ألوان
عجيب يقيمونه مقام الرخام الملون الذي يصرفه أهل المشرق في زخرفة بيوتهم
كالشاذروانات وما يجري مجراه وأما آلات الحرب من التراس والرماح والسروج
والألجم والدروع والمغافر فأكثر همم أهل الأندلس فيما حكى ابن سعيد كانت
مصروفة إلى هذا الشان ويصنع فيها في بلاد الكفر ما يبهر العقول قال
والسيوف البردليات مشهورة بالجودة ويزيد أهل الأندلس من جهة
الشمال والمشرق والفولاذ الذي بإشبيلية إليها النهاية وفي إشبيلية
من قابلوا الصنائع ما يطول ذكره وقد أفرد ابن غالب في فرحة الأنفس
للآثار الأولية التي بالأندلس من كتابه مكانا فقال منها ما كان من جلبهم
الماء من البحر الملح إلى الأرحاء التي بطركونة على وزن لطيف وتدبير محكم حتى طحنت
به وذلك من أعجب ما صنع ومن ذلك ما صنعه الأوائل أيضا من جلب الماء في
البحر المحيط إلى جزيرة قادس من العين التي في إقليم الأصنام جلبوه في جوف
البحر في الصخر المجوف ذكرا في أنثى وشقوا به الجبال فإذا وصلوا به إلى المواضع
المنخفضة بنوا له قناطر على حنايا فإذا جاوزوها واتصل بالأرض المختبئة له
رجعوا إلى البنيان المذكور فإذا صادف سبخة بنى له رصيف وأجرى عليه هكذا
إلى أن ينتهي إلى البحر ثم دخل به في البحر وأخرج في جزيرة قادس والبنيان الذي
دخل عليه الماء في البحر ظاهر بين قال ابن سعيد إلى وقتنا هذا ومنها
الرصيف المشهور بالأندلس قال في بعض أخبار رومية أنه من ولي يوليش المعروف
بقاشر وابتدأ بتذريع الأرض وتكسيرها كان ابتداؤه بذلك من مدينة رومية
إلى المشرق منها وإلى المغرب وإلى الشمال وإلى الجنوب ثم ابتدأ بغرس المبلطو وأقبل
بها على وسط دائرة الأرض إلى أن بلغ بها أرض الأندلس وركزها شرقي قرطبة
ببابها المنطاطين المعروف بباب عبد الجبار ثم ابتداها من باب القنطرة قبلي
قرطبة إلى شقندة إلى أستجة إلى قرمونة إلى البحر وأقام على كل ميل سارية
قد نقش عليها اسمه من مدينة رومية وذكر أنه أراد تسقيفها في بعض الأماكن
راحة للخاطرين من وهج الصيف وهوى الشتا ثم توقع أن يكون ذلك فسادا
في الأرض وتغييرا للطرق عند انتشار اللصوص وأهل الشر فيها في المواضع
المنقطعة النائية عن العمران فتركها على ما هي عليه وذكر في هذه الآثار
صنم قادس الذي ليس له نظير إلا الصنم الذي بطرف جليقية وذكر قنطرة
طليطلة وقنطرة السيف وقنطرة ماردة وملعب مربيطر قال
ابن سعيد وفي الأندلس عجايب منها الشجرة التي لولا كثرة ذكر العامة لها بالأندلس
ما ذكرناها فإن خبرها عندهم شايع متواتر وقد رأيت من يشهد بخبرها ورؤيتها

وهم

وبهم جم غفير وهي شجرة زيتون تصنع الورق والنور والثمر من يوم واحد معلوم
عندهم من أيام السنة الشمسية ومن العجايب السارية التي بغرب
الأندلس يزعم الجمهور أن من ذلك المكان إذا أحبوا المطر قاموا بها فيمطر
الله جهتهم ومنها صنم قادس طول ما كان قائما كان يمنع الريح أن تهب في
البحر المحيط فلا يستطيع المراكب الكبار على الجري فيه فلما هدم في أول دولة
بني عبد المؤمن صارت السفن تجري فيه وبكورة قبرة مغارة ذكرها
الرازي وحكي أنه يقال إنها باب من أبواب الريح لا يدرك قعرها وذكر
الرازي أن في جهة قلعة ورد جبلا فيه شق في صخرة داخل كهف فيه فاس حديد
متعلق من الشق الذي في الصخرة تراه العيون وتلمسه اليد ومن رام إخراجه
لم يطق ذلك وإذا رفعته اليد ارتفع وغاب في الصخرة ثم يعود إلى حالته
وأما ما أورده ابن بشكوال من الأحاديث والآثار في شأن فضل الأندلس
والمغرب فقد ذكرها ابن سعيد في كتاب المغرب ولم أذكرها أنا والله أعلم
بحقيقة أمرها وكذلك ما ذكر ابن بشكوال من أن فتح القسطنطينية يكون من
الأندلس قال وذكره سيف عن عثمان بن عفان رضي الله عنه فالله أعلم بصحة
ذلك ولعل المراد بالقسطنطينية رومية وربنا أعلم قال سيف وذلك
أن عثمان ندب جيشا من القيروان إلى الأندلس وكتب لهم أما بعد فإن
فتح القسطنطينية إنما يكون من قبل الأندلس فإنكم إن فتحتموها كنتم الشركاء
في الأجر والسلام انتهى قلت عهدة هذه الأمور على ناقلها وأنا بريء من عهدة
ما ذكرها ابن بشكوال وصاحب المغرب وغير واحد فإنها عندي لا أصل لها
وأي وقت بعث عثمان إلى الأندلس مع أن فتحها بالاتفاق إنما كان زمان الوليد
وإنما ذكرت هذا للتنبيه عليه والله أعلم قال ابن سعيد ومما زان وصف
الأندلس أنها جزيرة قد أحدقت بها البحار فأكثرت فيها الخصب والعمارة
من كل جهة فمتى سافرت من مدينة إلى مدينة لا تكاد تنقطع من العمارة
ما بين قرى ومياه ومزارع والصحاري فيها معدومة ومما اختصت به
أن قراها في نهاية من الجمال لتصنع أهلها في أوضاعها وتبييضها لئلا تنبو العيون
عنها فهي كما قال الوزير ابن الحمارة

لاحت قراها بين خضرة أيكها ... كالدر بين زبرجد مكنون

ولقد تعجبت لما دخلت الديار المصرية من أوضاع قراها التي تكدر العين بسوادها
ويضيق الصدر بضيق أوضاعها وفي الأندلس جهات تقرب فيها المدينة العظيمة
المسورة من مثلها والمثال في ذلك أنك إذا توجهت من إشبيلية فعلى مسيرة يوم
وبعض آخر مدينة شريش وهي في نهاية من الحضارة والنضارة ثم تليها الجزيرة

الحضر كذلك ثم ما اتفق ومقدار كبير في الاندلس ولهذا كثرت مدنها واكثرها
مسورة من اجل الاستعداد للعدو وحصل لها بذلك التشييد والتزيين
وفي حصونها ما يبقى في محاربة العدو ما ينيف على عشرين سنة لامتناع
معاقلها ودربة اهلها على الحرب واعتيادهم محاربة العدو بالطعن والضرب
وكثرة ما تختزن الغلة في مطاميرها فمنها ما يطول صبره عليها نحوا من مائة
سنة قال ابن سعيد ولذلك اذامها الله من وقت الفتح الى الان وان
كان العدو قد نقصها من اطرافها وشارك في اوساطها ففي الباقية منها
عظمة فارض يبقى فيها مثل اشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية وما يضاف
الى هذه الحواضر العظيمة المصرة الرجا فيها قوي بحول الله وقوته انتهى قلت
قد خاب ذلك الرجا وصارت تلك الارجا للكفر معرجا ونسئل الله الذي جعل
لهم فرجا ولكل ضيق مخرجا ان يعيدها لكلمة الاسلام حتى يستنشق اهله
منه فيها ارجا امين ومن غرايب الاندلس البيلتان اللتان بطليطلة
صنعهما عبد الرحمن لما سمع بخبر الطلسم الذي بمدينة ارين من ارض الهند وقد
ذكره المسعودي وانه يدور ما صبعه من طلوع الفجر الى غروب الشمس فصنع هو
هاتين البيلتين خارج طليطلة في بيت مجوف في جوف النهر الاعظم في الموضع
المعروف بباب الدباغين ومن عجبهما انهما تمتليان وتحسران مع زيادة القمر
ونقصانه وذلك ان اول الهلال يخرج فيهما سبعهما من الما فاذا كان اخر النهار
كمل فيهما نصف سبع ولا يزال كذلك بين اليوم والليلة حتى يكمل امتلاوهما
بكمال القمر فاذا كان في ليلة خمسة عشر واخذ القمر في النقصان نقصتا بنقصان
القمر كل يوم وليلة نصف سبع حتى يتم القمر احدى وعشرين يوما فينقص منهما
نصفهما ولا يزال كذلك ينقص في كل يوم وليلة نصف سبع فاذا كان تسعة
وعشرون من الشهر لا يبقى فيهما شي من الما واذا تكلف احد حين ينقصان ان
يملاهما وجلب لهما الما ابتلعتا ذلك من حينهما حتى لا يبقى فيهما الا ما كان
فيهما في تلك الساعة وكذا لو تكلف عند امتلائهما افراغهما ولم يبق منهما شيا
ثم رفع عنهما خرج فيهما من الما ما يملاهما في الحين ومما العجب من طلسم الهند
لان ذلك في نقطة الاعتدال حيث لا يزيد الليل على النهار واما هاتان فليستا
في مكان الاعتدال ولم تزالا في بيت واحد حتى ملك النصارى دمرهم الله طليطلة
فاراد لعنه ان يعلم حركاتهما فامر ان تقلع الواحدة منهما لينظر من اين ياتي
اليهما الما وكيف الحركة فيهما فقلعت فبطلت حركتها وذلك سنة ٥٢٨ وقيل
ان سبب فسادهما حنين اليهودي الذي جام الاندلس كلها الى طليطلة في يوم واحد
وذلك سنة ٥٢٧ وهو الذي علم الفنش ان ولده سيدخل قرطبة ويملكها فاراد ان

مطلب في غرايب الاندلس

يكشف

يكشف حركة البيلتين فقال له ايها الملك انا اقلعهما واردهما احسن مما
كانتا وذلك اني اجعلهما يمتليان بالنهار ويحسران في الليل فلما قلعت لم
يقدر على ردهما وقيل انه قلع واحدة ليستشرف منها الصنعة فبطلت ولم تزل
الاخرى تعطي حركتها والله اعلم بحقيقة الحال وقال بعضهم في اشبيلية
انها قاعدة بلاد الاندلس وحاضرتها ومدينة الادب واللهو والطرب
وهي على ضفة النهر الكبير عظيمة الشان طيبة المكان لها البر المديد والبحر
الشاكن والوادي العظيم وهي قريبة من البحر المحيط الى ان قال ولو لم يكن
لها من الشرف الا موضع الشرف المقابل لها المطل عليها المشهور بالزيتون الكثير
الممتد فراسخ في فراسخ وبها منارة في جامعها بناها يعقوب المنصور ليس في
بلاد الاسلام اعظم بناء منها وعسل الشرف يبقى حينا لا يترمل ولا يتبدل وكذلك
الزيت والتين قال ابن مفلح ان اشبيلية عروس بلاد الاندلس لان تاجها
الشرف وفي عنقها سمط النهر الاعظم وليس في الارض اتم حسنا من هذا النهر
يضاهي دجلة والفرات والنيل تسير القوارب فيه للنزهة والصيد تحت
ظلال الثمار وتغريد الاطيار اربعة وعشرين ميلا ويتعاطى الناس السرح
من جانبيه عشرة فراسخ في عمارة متصلة ومنارة مرتفعة وابراج وفيه من
انواع السمك ما لا يحصى وبالجملة فهي قد حازت البر والبحر والزرع والضرع
وكثرة الثمار من كل جنس وقصب السكر ويجمع منها القرمز الذي هو اجل من
اللك الهندي وزيتونها يختزن تحت الارض اكثر من ثلاثين سنة ثم يعتصر
فيخرج منه اكثر مما يخرج منه وهو طري انتهى ملخصا ولما ذكر ابو اليسع الاندلس
قال لا يتزود فيها احد ماء حيث سلك لانها زمامها وعيونها وربما لقي المسافر
فيها في اليوم الواحد اربع مداين ومن المعاقل والقرى ما لا يحصى وهي بطاح خضر
وقصور بيض انتهى وقال ابن سعيد وانا اقول كلاما فيه كفاية منذ خرجت
من جزيرة الاندلس وطفت في بر العدوة ورايت مدنها العظيمة كمراكش وفاس
وسلا وسبتة ثم طفت في افريقية وما جاورها من المغرب الاوسط فرايت
بجاية وتونس ثم دخلت الديار المصرية فرايت الاسكندرية والقاهرة والفسطاط
ثم دخلت الشام فرايت دمشق وحلبا وما بينهما لم ار ما يشبه رونق الاندلس
في مياهها واشجارها الا مدينة فاس بالمغرب الاقصى ومدينة دمشق بالشام
وفي حماة مسحة اندلسية وما ارى ما يشبهها في حسن المباني والتشييد والتخييم
الا ما شيد بمراكش في دولة بني عبد المومن وبعض ما كان في تونس وان كان الغالب
على تونس البنا بالحجارة كالاسكندرية ولكن الاسكندرية افسح شوارع وابسط
وابدع ومباني حلب داخلة فيما يستحسن لانها من حجارة صلبة وفي وضعها وتر

انفقان انتهى واحسن ما جاء من النظم في الاندلس قول ابن سفر المريني والاحسان لدغادة

في ارض اندلس تلتذ نعماء • ولا يفارق فيها القلب سراء •
وليس في غيرها بالعيش منتفع • ولا تقوم بحق الانس صهباء •
واين يعدل عن ارض تحض بها • على المدامة امواه وافياء •
وكيف لا يبهج الابصار رؤيتها • وكل روض بها في الوشي صنعاء •
انهارها فضة والمسك تربتها • والخز روضتها والدر حصباء •
وللهواء بها لطف يرق به • من لا يرق وتبدو منه اهواء •
ليس النسيم الذي يهفو بها سحرا • ولا انتثار لآلي الطل انداء •
وانما ارج الند استثار بها • في ماء ورد فطابت منه ارجاء •
واين يبلغ منها ما اصنفه • وكيف يحوي الذي حازته احصاء •
قد ميزت من جهات الارض حين بدت • فريدة وتولى ميزها الماء •
دارت عليها نطاقا ابيضا خفقا • وجل ايها اذ تبدو وهي حسناء •
لذاك يبسم فيها الزهر من طرب • والطير يشدو وللاغصان اصغاء •
فيها خلعت عذاري ما بها عوض • فهي الرياض وكل الارض صحراء •

• ان للجنة بالاندلس مجتلى مرأى وريا نفس • فسنى صبحتها من شنب •
• ودجى ظلمتها من لعس • فاذا ما هبت الريح صبا • صحت واشوقي الى الاندلس •

وقد تقدمت هذه الابيات قال ابن سعيد قال ابن خفاجة هذا وهو بالمغرب الاقصى في بر العدوة ومنزله في شرف الاندلس بجزيرة شقر وقال ابن سعيد في المغرب ما نصه قواعد من كتاب الشهب الثاقبة في الانصاف بين المشارقة والمغاربة • اول ما نقدم الكلام على قاعدة السلطنة بالاندلس فنقول انها مع ما بايدي عباد الصليب منها اعظم سلطنة كثرت ممالكها وتشعبت في وجوه الاستظهار للسلطان اعمالها وندع كلامنا في هذا الشان وننقل ما قاله ابو حوقل النصيبي في كتابه لما دخلها في مدة خلافة بني مروان في المائة الرابعة وذلك انه لما وصفها قال واما جزيرة الاندلس فجزيرة كبيرة طولها دون الشهر في عرض نيف وعشرين مرحلة تغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والرخص والسعة في الاحوال من الرقيق الفاخر والخصب الظاهر الى اسباب التمالك الفاشية فيها ولما هي به من اسباب رغد العيش وسعته وكثرته يملك ذلك منهم مهينهم وارباب صنائعهم لقلة مؤنتهم وصلاح معاشهم وبلادهم ثم اخذ في عظم سلطانها ووصف وفور جباياته وعظم مرافقه وقال في اثناء ذلك ومما يدل بالقليل

منه

منه على كثيره ان سكة دار ضربه على الدراهم والدنانير دخلها في كل سنة مائتا الف دينار وصرفها للدينار سبعة عشر درهما هذا الى الصدقات والبلد وجباياته وخراجاته واعشاره وضماناته والاموال المرسومة على المراكب الواردة والصادرة وغير ذلك وذكر ابن بشكوال ان جباية الاندلس بلغت في مدة عبد الرحمن الناصر خمسة آلاف دينار واربعمائة الف وثمانين الفا من السوق والمستخلص سبعمائة الف وخمسة وستون الف دينار ثم قال ابن حوقل والعجب ما في هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده مع صغر احلام اهلها وضعة نفوسهم ونقص عقولهم وبعدهم من الباس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال ومراس الانجاد والابطال مع علم امير المؤمنين بمحلها في نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذاتها قال علي بن سعيد مكمل هذا الكتاب لم ازل ابدا من اثبات هذا الفصل وان كان على المنكل للبلد فيه من الظلم والتعصب ما لا يخفى ولسان الحال في الرد انطق من لسان البلاغة • وليت شعري اذ سلب اهل هذه الجزيرة العقول والاراء والهمم والشجاعة • فمن الذين دبروها بارائهم وعقولهم مع مراصدة اعدائها المجاورين لها من خمسمائة سنة ونيف ومن الذين حموها بسيوفهم من الامم المتصلة بهم في داخلها وخارجها نحو ثلاثمائة اشهر على كلمة واحدة في نصرة الصليب واني لا اعجب منه اذ كان في زمان قد لفت فيه عبادة الصليب الى الشام والجزيرة وعاثوا كل العيث في بلاد الاسلام حيث الجمهور والفئة العظمى حتى انهم دخلوا مدينة حلب وما ادراك وفعلوا فيها ما فعلوا وبلاد الاسلام متصلة بها من كل جهة الى غير ذلك مما هو مسطور في التواريخ ومن اعظم ذلك واشده انهم كانوا يتغلبون على الحصن من حصون الاسلام التي يتمكنون بها من بسائط بلادهم فيسبون ويأسرون فلا يجتمع منهم الملوك المجاورة على حسم الداء في ذلك وقد يستعين به بعضهم على بعض فيتمكن من ذلك الداء الذي يطب وقد كانت جزيرة الاندلس في ذلك الزمان بالضد من البلاد التي تركت وراء ظهره وذلك موجود في تاريخ ابن حيان وغيره وانما كانت الفتنة بعد ذلك الاعلام بينة والطريق واضح فلنرجع الى ما نحن بسبيله كانت سلطنة الاندلس في صدر الفتح على ما تقدم من اختلاف الولاة عليها من سلاطين افريقية وانتقال الولاة داع الى الاضطراب وعدم تأصل الاحوال وترتيبها الضخامة في الدولة ولما صارت الاندلس لبني امية وتوارثوا ممالكها وانقادوا اليهم كل أبي فيها واطاعهم كل عصي عظمت الدولة بالاندلس وكبرت الهمم وترتبت الاحوال وترتبت القواعد وكانوا صدرا منهم ولهم يخطبون لانفسهم بابنا

الخلايف ثم خطبوا لانفسهم بالخلافة وملكوا من بر العدوة ما صحبت به دولتهم وكانت قواعدهم اظهار الهيبة وتمكين الناموس من قلوب العالم ومراعاة احوال الشرع في كل الامور وتعظيم العلما والعمل بأقوالهم واحضارهم في مجالسهم واستشارتهم ولهم حكايات في تاريخ ابن حيان منها ما هو مذكور من توجه الحكم على خليفتهم او على ابنه او احد حاشيته المختصين وانهم كانوا في نهاية من الانقياد الى الحق لهم وعليهم وبذلك انضبط لهم من الجزيرة وما خرقوا منذا الناموس كان اول ما تمشت امورهم ثم اضمحل وكانت القاب الاول منهم الامرا ابنا الخلايف. ثم الخلفا امير المومنين الى ان وقعت الفتنة بحسد بعضهم لبعض وابتغاء الخلافة من غير وجهها الذي رتبت عليه فاستبد ملوك الممالك الاندلسية ببلادها وسموا ملوك الطوايف واستبدوا وكان فيهم من خطب الخلفا المروانيين وان لم يبق لهم خلافة ومنهم من خطب للخلفا العباسيين المجمع على امامتهم وصار ملوك الطوايف يتباهون في احوال الملك حتى في الالقاب فآل امرهم الى ان تلقبوا بنعوت الخلفا وزعموا الطبقات السلطنة العظمى وذلك بما في جزيرتهم من اشيا بالترفه وضخامة التي توزع على ملوك شتى فتكفيهم وتنهض بهم للمباهات ولاجل نعوتهم في النعوت العباسية

قال ابن رشيق القيرواني

• مما يزهدني في ارض اندلس. تلقيب معتضد فيها ومعتمد •
• القاب مملكة في غير موضعها. كالهر يحكي انتفاخا صولة الاسد •

وكان عباد بن محمد قد تلقب بالمعتضد واقتفى سيرة المعتضد العباسي امير المومنين وتلقب ابنه محمد بن عباد بالمعتمد وكانت لبني عباد مملكة اشبيلية ثم انضاف اليها غيرها وكان خلفاء بني امية يظهرون للناس في الاحيان على ابهة الخلافة وقانون لهم في ذلك معروف الى ان كانت الفتنة فازدرت العيون ذلك الناموس واستخفت به وقد كان بنو حمود من ولد ادريس العلوي الذين توثبوا على الخلافة في اثناء الدولة المروانية بالاندلس يتعاظمون ويأخذون انفسهم بما يأخذ به خلفا بني العباس وكانوا اذا حضرهم منشد لمدح او من يحتاج الى الكلام بين ايديهم يتكلم من وراء حجاب والحاجب واقف عند الستر يجاوب بما يقول له الخليفة ولما حضر ابن مقانا الاشبوني امام حاجب ادريس بن يحيى الحمودي الذي خطب له بالخلافة في مالقة وانشد قصيدته المشهورة النونية التي منها قوله

• وكان الشمس لما اشرقت. فانثنت عنها عيون الناظرين •

وجه

• وجه ادريس بن يحيى بن علي. بن حمود امير المومنين •

ويلغ فيها الى قوله

• انظرونا نقتبس من نوركم. انه من نور رب العالمين •

رفع الخليفة الستر بنفسه وقال انظر كيف شئت وانبسط مع الشاعر واحسن اليه ولما جاء ملوك الطوايف صاروا ينبسطون للخاصة وكثير من العامة ويظهرون لمداراة الجند وعوام البلاد وكان اكثرهم يحاضر العلما والادبا ويحب ان يشهر عنه ذلك عند مباريه في الرياسة ومذ وقفت الفتنة بالاندلس اعتاد امرا الممالك المتفرقة الاستبداد عن امام الجماعة وصار كل واحد مملكة مستقلة يتوارث اعيانها الرياسة كما يتوارث ملوكها الملك ومرنوا على ذلك فصعب ضبطهم الى نظام واحد وتمكن العدو منهم بالتفرق وعداوة بعضهم لبعض بقبيح المنافسة والطمع الى ان انقادوا الى عبد المؤمن دونه وتلك القواعد في روسهم كامنة والثوار في المعاقل فترو وتروم الكثرة الى ان ثار ابن هود وتلقب بالمتوكل ووجد قلوبا منحرفة عنه ولذا نزل العدو فم مهياة للاستبداد تملكها بابن محاولة مع الجهل المفرط وضعف الراي وكان مع العامة كانه صاحب سعوده يمشي في الاسواق ويضحك في وجوههم وربما درهم بالسوال وجاء للناس منه ما لم يعتادوه من سلطان فأعجب ذلك سفها الناس وعامتهم وكان كما قيل

• امور يضحك السفهاء منها. ويبكي من عواقبها الحليم •

قال ولذلك الى ان تلفت القواعد العظيمة وتلك الامصار الجليلة وخرجت من ايدي الاسلام والضابط فيما يقال في شان اهل الاندلس في السلطان انهم اذا وجدوا فارسا يبرع الفرسان او جوادا يبرع الاجواد تهافتوا في نصرته ونصبوه ملكا من غير تدبير في عاقبة آل الامر الى ما يؤول اليه وبعد ان يكون الملك في مملكته قد توورث وتدولت ويكون في تلك المملكة فابد من قوادها قد شهرت عنه وقايع في العدو وظهر منه كرم نفس للاجناد ومراعاة قدموا ملكا في حصن من الحصون ورفضوا عيالهم واولادهم ان كان لهم ذلك بكرسي الملك ولم يزالوا في جهاد وتلاف نفس حتى يظفر صاحبهم بطلبته واهل المشرق اصوب رايا منهم في مراعاة نظام الملك والمحافظة على نصابه لئلا يدخل الخلل الذي يقضي باختلال القواعد وفساد الترتيبة وحل الاوضاع ونحن نمثل في ذلك بما شاهدناه لما كانت مدة الاخيرة بالاندلس تمخضت عن رجل من حصن يقال له ارجونه ويعرف الرجل بابن الاحمر كان يكثر مغاورة العدو من حصنه وظهرت له مخايل وشواهد على الشجاعة الى ان سار اسمه في الاندلس

وآل ذلك الى ان قدموا اهل حصنه على انفسهم ثم نهض فملك قرطبة العظمى
وملك اشبيلية وقتل ملكها الباجي وملك جيان احصن بلد بالاندلس وآكده
قدرا في الامتناع وملك غرناطة ومالقة وسموه بامير المسلمين فهو الان المشار
اليه بالاندلس والمعتمد عليه **وأما قاعدة** الوزارة بالاندلس فانها
كانت في مدة بني امية مشتركة في جماعة يعينهم صاحب الدولة للاعانة و
المشاورة ويخصهم بالمجالسة ويختار منهم شخصا لمكان النائب المعروف
بالوزير فيسميه بالحاجب وكانت هذه المراتب لضبطها عندهم كالمتوارثة
في البيوت المعلومة لذلك الى ان كانت ملوك الطوائف فكان الملك منهم
لعظم اسم الحاجب في الدولة المروانية وانه كان نائبا عن خليفتهم يسمى بالحاجب
ويرى ان هذه السمة اعظم ما تنوفس فيه وظفر به وهي موجودة في امداح الشعراء
ونوابغهم وصار اسم الوزارة عاما لكل من يجالس الملوك ويختص بهم وصار
الوزير الذي ينوب عن الملك يعرف بذي الوزارتين واكثر ما يكون قاصدا في
علم الادب وقد لا يكون كذلك بل عالما بامور الملك خاصة **وأما** الكتابة
فهي على ضربين اعلاهما كاتب الرسائل وله حظ في القلوب والعيون عند
اهل الاندلس واشرف سماته الكاتب وبهذه السمة يخاطبه من يعظمه في
رسالة واهل الاندلس كثير والانتقاد على صاحب هذه السمة لا يكادون
يغفلون عن عثراته لحظة فان كان ناقصا عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه
ولا مكانه من سلطانه عن تسلط الالسن في المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه
والكاتب الاخر كاتب الزمام هكذا يعرفون كاتب الجهبذة ولا يكون بالاندلس
وبر العدوة نصرانيا ولا يهوديا البتة اذ هذا الشغل نبيه يحتاج اليه صاحب
عظماء الناس ووجوههم وصاحب الاشغال الخراجية في الاندلس اعظم من
الوزير واكثر اتباعا واصحابا واجدى منفعة فاليه تميل الاعناق ونحوه
تمد الاكف والاعمال مضبوطة بالشهود والنظار ومع هذا ان تأثلت حاله
واغتر بكثرة البناء والاكتساب نكب وصودر وهذا راجع الى تقلب الاحوال
وكيفية السلطان **وأما** خطة القضاء بالاندلس فهي اعظم الخطط عند
الخاصة والعامة لتعلقها بامور الدين وكون السلطان لو توجه عليه حكم
حضر بين يدي القاضي هذا وصفها في زمان بني امية ومن سلك مسلكهم ولا سبيل
ان يتسمى بهذه السمة الا من هو والي الحكم الشرعي في مدينة جليلة وان كانت صغيرة
فلا يطلق على حاكمها الا مسدد خاصة وقاضي القضاة يقال له قاضي
الجماعة **وأما** خطة الشرطة بالاندلس فانها مضبوطة الى الان معروفة بهذه
السمة ويعرف صاحبها في السن العامة بصاحب المدينة وصاحب الليل واذا كان

عظيم

عظيم القدر عند السلطان كان له القتل لمن يجب عليه دون استيذان السلطان
وذلك قليل ولا يكون الا في حضرة السلطان الاعظم وهو الذي يحد في الزنى وشرب
الخمر وكثير من الامور الشرعية راجع اليه قد صارت تلك عادة تقرر عليها رضى
القاضي وكان خطة القاضي اوقر واتقى عندهم من ذلك **وأما خطة**
الاحتساب فانها عندهم موضوعة في اهل العلم والفطن وكان صاحبها قاضيا
والعادة فيه ان يمشي بنفسه راكبا على الاسواق واعوانه معه وميزانه الذي يزن
به الخبز في يد احد الاعوان لان الخبز عندهم معلوم الاوزان للربع من الدرهم
رغيف على وزن معلوم وكذلك للثمن وفي ذلك من المصلحة ان يرسل المبتاع الصبي
الصغير او الجارية الرعناء فيستويان فيما ياتيان به من السوق مع الحاذق
في معرفة الاوزان وكذلك اللحم يكون عليه ورقة بسعره ولا يجسر الجزار ان يبيع بدون
ما حد له المحتسب فان وجد نقصا قاس على ذلك حاله مع الناس فلا يسئل
عما يلقى وان كثر ذلك منه ولم يتب بعد الضرب والتجريس في الاسواق نفي من البلد
ولهم في اوضاع الاحتساب قوانين يتدارسونها كما يتدارس احكام الفقه لانها
عندهم تدخل في جميع المبتاعات وتتفرع الى ما يطول ذكره **وأما خطة**
الطواف بالليل وما يقابل من المغرب اصحاب الارباع في المشرق فانهم يعرفون
في الاندلس بالدرابين لان بلاد الاندلس لها دروب باغلاق تغلق بعد العتمة
ولكل زقاق بايت فيه له سراج معلق وكلب يسهر وسلاح معدة وذلك لشطارة
عامتها وكثرة شرهم واعيائهم في امور التلصص الى ان يظهروا على المباني المشيدة
ويفتحوا الاغلاق الصعبة ويقتلوا صاحب الدار خوفا ان يقر عليهم او يطالبهم
بعد ذلك ولا يكاد في الاندلس يخلو من سماع دار فلان دخلت البارحة وفلان
ذبحه اللصوص على فراشه وهذا يرجع التكثير منه والتقليل الى شدة الوالي
ولينه ومع افراطه في الشدة وكون سيفه يقطر دماء فان ذلك لا يعدم وقد آل
الحال عندهم الى ان قتلوا على عنقود سرقه شخص من كرم وما اشبه ذلك فلم
ينته اللصوص **وأما** قواعد اهل الاندلس في ديانتهم فانها تختلف بحسب
الاوقات والنظر الى السلاطين ولكن الاغلب عندهم اقامة الحدود وانكار التهاون
بتعطيلها وقيام العامة في ذلك وانكارهم ان تهاون فيه اصحاب السلطان
وقد يلج السلطان في شيء من ذلك ولا ينكره فيدخلون عليه قصره المشيد ولا
يعبأون بخيله ورجله حتى يخرجوه من بلدهم وهذا كثير في اخبارهم **وأما**
الرجم بالحجر للقضاة والولاة للاعمال اذا لم يعدلوا فكل يوم وطريقة الفقر على
مذهب اهل المشرق في الدروزة التي تكسل عن الكد وتخرج الوجوه للطلب في
الاسواق فمستقبحة عندهم الى النهاية واذا راوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة

يطلب سبوه وانما هو نصل لا عزان لا يتصدقوا عليه فلا يجد بالاندلس سايلا الا
ان يكون صاحب عذر **وأما** قواعد اهل الاندلس في فنون العلوم فتحقيق الانصاف
في شانهم في هذا الباب انهم احرص الناس على التمييز فالجاهل الذي لم يوفقه الله
للعلم يجهد ان يتميز بصنعة ويربا بنفسه ان يرى فارغا عالة على الناس لان هذا
عندهم في نهاية القبح والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة يشار اليه
ويحال عليه وينبه قدره وذكره عند الناس ويكرم في جوار وابتياع حاجة
وما اشبه ذلك ومع هذا فليس لاهل الاندلس مدارس تعينهم على طلب العلم
بل يقرون جميع العلوم في المساجد باجرة فهم يقرون لان يعلموا لا لان ياخذوا
جاريا فالعالم منهم بارع لانه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على ان
يترك الشغل الذي يستفيد منه وينفق من عنده حتى يتعلم وكل العلوم لها عندهم
حظ واعتنا الا الفلسفة والتنجيم فان لهما حظا عظيما عند خواصهم ولا
يتظاهر بهما خوف العامة فانه كلما قيل فلان يقرا الفلسفة او يشتغل بالتنجيم
اطلقت عليه العامة اسم زنديق وقيدت عليه انفاسه فان زل في شبهة
رجموه بالحجارة او حرقوه قبل ان يصل امره للسلطان او يقتله السلطان
تقربا لقلوب العامة وكثيرا ما يامر ملوكهم باحراق كتب هذا الشان اذا وجدت
وبذلك تقرب المنصور ابن ابي عامر لقلوبهم اول نهوضه وان كان غير خال من
الاشتغال بذلك في الباطن على ما ذكره الحجاري والله اعلم **وقراءة** القرآن
بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة وللفقه رونق ووجاهة ولا مذهب لهم
الا مذهب مالك وخواصهم يحفظون من ساير المذاهب ما يباحثون به بمحاضر
ملوكهم ذوي الهمم في العلوم وسمة الفقيه عندهم جليلة حتى ان الملثمين كانوا ٢
يسمون الامير العظيم منهم الذي يريدون تنويهه بالفقيه وهي الان بالمغرب
بمنزلة القاضي بالمشرق وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه لانها
عندهم ارفع السمات **وعلم** الاصول عندهم متوسط الحال **والنحو** عندهم في نهاية
من علو الطبقة حتى انهم في هذا العصر فيه كاصحاب عصر الخليل وسيبويه لا يزداد
مع هرم الزمان الا جدة وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه
وكل عالم في اي علم لا يكون متمكنا من علم النحو بحيث تخفى عليه الدقايق فليس عنده
بمستحق للتمييز ولا سالم من الازدراء مع ان كلام اهل الاندلس الشايع في الخواص و
العوام كثير الانحراف عما تقتضيه اوضاع العربية حتى لو ان شخصا من العرب سمع
كلام الشلوبيني ابي علي المشار اليه بعلم النحو في عصرنا الذي عرفت تصانيفه و
وهو يقري درسه لضحك بملء فيه من شدة التحريف الذي في لسانه والخاص منهم
اذا تكلم بالاعراب واخذ يجري على قانون النحو استثقلوه واستبردوه ولكن ذلك

مراعي

مراعي عندهم في القراءات والمخاطبات في الرسايل وعلم الادب المنثور من حفظ
التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات انبل علم عندهم وبه يتقرب في
مجالس ملوكهم واعلامهم ومن لا يكون فيه ادب من علمايهم فهو غفل مستثقل
و الشعرا عندهم لهم حظ عظيم وللشعراء من ملوكهم وجاهة ولهم عليهم
وظايف والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة ويوقع
لهم بالصلات على اقدارهم الا ان يختل الوقت ويغلب الجهل في حين ما ولكن هذا
الغالب واذا كان الشخص بالاندلس نحويا او شاعرا فانه يعظم في نفسه لا محالة
ويستخف ويظهر العجب عادة قد جبلوا عليها **وأما زي** اهل الاندلس
فالغالب عليهم ترك العمايم لا سيما في شرق الاندلس فان اهل غربها لا تكاد ترى
فيهم قاضيا ولا فقيها مشارا اليه الا وهو بعمامة وقد تسامحوا بشرقها
في ذلك ولقد رايت عزيز ابن خطاب اكبر عالم بمرسية حضرة السلطان في ذلك
الاوان واليه الاشارة وقد خطب له بالملك وهو حاسر الراس
وشيبه قد غلب على سواد شعره **وأما** الاجناد وساير الناس فقليل منهم
من تراه بعمة في شرق منها او في غرب وابن هود الذي ملك الاندلس في عصرنا
رايته في جميع احواله ببلاد الاندلس وهو دون عمامة وكذلك ابن الاحمر الذي
معظم الاندلس الان في يده وكثيرا ما يتزيا سلاطينهم واجنادهم بزي النصارى
المجاورين لهم فسلاحهم كسلاحهم واقبيتهم من الاشكرلاط وغيره كاقبيتهم
وكذلك اعلامهم وسروجهم ومحاربتهم بالتراس والرماح الطويلة للطعن
ولا يعرفون الدبابيس ولا قسي العرب بل يعدون قسي الافرنج للمحاصرات في
البلاد او تكون للرجالة عند المصافة للحرب وقليلا ما تصبر الخيل عليهم
او يمهلهم لان يوتروها ولا تجد في خواص الاندلس واكثر عوامهم من يمشي دون
طيلسان الا انه لا يضعه على راسه منهم الا الاشياخ المعظمون وغفاير
الصوف كثيرا ما يلبسونها حمرا وخضرا والصفر مخصوصة باليهود ولا سبيل
الى يهودي ان يتعمم البتة والذؤابة لا يرخيها الا العالم ولا يصرفونها بين
الاكتاف وانما يسدلونها من تحت الاذن اليسرى وهذه الاوضاع التي بالمشرق
في العمايم لا يعرفها اهل الاندلس واذا راوا في راس مشرقي داخل الى بلادهم
شكلا منها اظهروا التعجب والاستطراف ولا ياخذون انفسهم بتعليمها
لانهم لم يعتادوا ولا يستحسنوا غير اوضاعهم وكذلك في تفصيل الثياب
واهل الاندلس اشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون و
غير ذلك مما يتعلق بهم وفيهم من لا يكون عنده الا ما يقوته يومه فيطويه
صايما ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو ا

العيش عنهما وهم أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف
ذل السؤال فلذلك قد ينسبون للبخل ولهم مروءات على عادة بلادهم لو فطن
لها حاتم لفضلها لما علم بها على عظمها به ولقد اجتزت مع والدي على قرية من
قراها وقد نالنا البرد والمطر أشد النيل فأوينا إليها وكنا على حال تزهد
من السلطان وخلو من الرفاهية فنزلنا في بيت شيخ من أهلها من غير معرفة
متقدمة فقال لنا إن كان عندكم ما اشترى لكم فحما تسخنون به فإني أمضي
في حوائجكم وأحمل عيالي يقومون بشأنكم فأعطيناه ما اشترى به فحما فأضرم
نارا فجاء ابن له صغير ليصطلي فضربه فقال له والدي ضربته فقال لا نعلم
استغنا مما للناس واصبح البرد من الصغر ثم لما جاء النوم قال لابنه
اعط هذا الشاب كساءك الغليظة يزيدها على ثيابه فدفع كساءه إلي ولما
قمنا عند الصباح وجدت الصبي منتبها وبيده في الكساء فقلت ذلك لوالدي
فقال هذه مروءات أهل الأندلس وهذا احتياطهم أعطاك الكساء و
فضلك على نفسه ثم أفكر في أنك غريب لا يعرف هل أنت ثقة أو لص فلم
يطب له منام حتى يأخذ كساءه خوفا من أن ينفصل بها ونوما بهم وعلى هذا
الشيء الحقير فسر الشيء الجليل انتهى كلام ابن سعيد في المغرب باختصاره
بيسير ولله دره فإنا نذكر في هذا الكتاب ما شاء وقسمه إلى أقسام منها
كتاب وشي الطرس في حلى جزيرة الأندلس وهو ينقسم إلى أربعة كتب
الكتاب الأول كتاب العرس في حلى غرب الأندلس **الكتاب الثاني** في كتاب الشفا
اللعس في حلى موسطة الأندلس **الكتاب الثالث** كتاب الأنس في حلى شرق
الأندلس **الكتاب الرابع** كتاب الخطات المريب في ذكر ما خرج من الأندلس عباد
الصليب **و**القسم الثاني كتاب الأنجاد المسيئة في حلى جزيرة صقلية وهو أيضا
ذو نوع **و**القسم الثالث كتاب الغاية الأخيرة في حلى الأرض الكبيرة وهو
أيضا ذو أقسام وصور رحمه الله أجزاء الأندلس في كتاب وشي الطرس **وقال**
أيضا إن كلا من شرق الأندلس وغربها ووسطها يقرب في قدر المساحة بعضه
من بعض وليس فيهما جزيرة وطوله عشرة أيام ليتضح فإنا نلبث في القسمة
وهذا دون ما بقي بأيدي النصارى وقدم رحمه الله كتاب العرس في حلى غرب
الأندلس لكون قرطبة قطب الخلافة المروانية وإشبيلية التي هي في الأندلس
أجمل منها فيه وقسمه إلى سبعة كتب كل كتاب منها يحتوي على مملكة
منحازة عن الأخرى **الكتاب الأول** كتاب الحلة المذهبة في حلى مملكة قرطبة
الكتاب الثاني كتاب الذهبية الأصيلية في حلى المملكة الإشبيلية
الكتاب الثالث كتاب خدع المملكة في حلى مملكة مالقة **الكتاب**

الرابع

الرابع كتاب الفردوس في حلى مملكة بطليوس **الكتاب الخامس** كتاب الخلب
في مملكة شلب **الكتاب السادس** كتاب الديباجة في حلى مملكة باجة **الكتاب**
السابع كتاب الرياض المصونة في حلى مملكة أشبونة وقد ذكر رحمه الله في كل
قسم ما يليق به وصور أجزاءه على ما ينبغي فلله يجازه خيرا والكلام في
الأندلس طويل عريض **قال** بعض المؤرخين طول الأندلس ثلاثون يوما
وعرضها تسعة أيام وبها أربعون نهرا كبارا وبها من العيون والحمامات
والمعادن ما لا يحصى وبها ثمانون مدينة من القواعد الكبار وأزيد من ثلاثمائة
من المتوسطة وبها من الحصون والقرى والبروج ما لا يحصى كثرة حتى قيل إن
عدد القرى على نهر إشبيلية اثنا عشر ألف قرية وليس في معمور الأرض صقع
يجد المسافر فيه ثلاث مدن وأربعا من يومه إلا بالأندلس ومن بركتها
أن المسافر لا يسير فيها فرسخين دون ماء أصلا وحيثما سار من الأقطار يجد
الحوانيت في الفلوات والشعارى والأودية ورؤوس الجبال للبيع الخبز والفوا
كه والجبن واللحم والحوت وغير ذلك من ضروب الأطعمة **وذكر** صاحب الجعرافيا
أن جزيرة الأندلس مسيرة أربعين يوما طولا في ثمانية عشر يوما عرضا وهو
نحو لفظ ما سبق **وقال** ابن سينا أخذت الأندلس في عرض الإقليمين
الخامس والسادس من البحر الشامي في الجنوب إلى البحر المحيط في الشمال وبها
من الجبال سبعة وثمانون جبلا انتهى **ولبعضهم**

لله أندلس وما جمعت بها • من كل ما ضمت بها الأهواء •
فكأنما تلك الديار كواكب • وكأنما تلك البقاع سماء •
وبكل قطر جدول في جنة • ولغت به الأفياء والأنداء •

وقال غيره

في أرض أندلس تلتذ نعماء • ولا يفارق فيها القلب سراء •
وليس في غيرها بالعيش منتفع • ولا تقوم بحق الماء صهباء •
وأين يعدل عن أرض يحض بها • على الشهادة أرواح وأبناء •
وأين يعدل عن أرض تحث بها • على المدامة أفياء وأنداء •
وكيف لا يبهج الأبصار رؤيتها • وكل روض بها في الوشي صنعاء •
أنهارها فضة والمسك تربتها • والخز روضتها والدر حصباء •
وللهواء بها لطف يرق به • من لا يرق وتبدو منه أهواء •
كذاك يبسم فيها الزهر من طرب • والطير تشدو وللأغصان إصغاء •
فيها خلعت عذاري ما بها عوض • فهي الرياض وكل الأرض صحراء •

وقال آخر

• حبذا اندلس من بلد • لم تزل تنتج لي كل سرور •
• طاير شاد وظل وارف • ومياه سايحات وقصور •

وقال آخر

• يا حسن اندلس وما جمعت لنا • فيها من الاوطار والاوطان •
• تلك الجزيرة لست انسى حسنها • بتعاقب الاحيان والازمان •
• نسج الربيع نباتها من سندس • موشية ببدايع الالوان •
• وغدا النسيم بها عليلا مايما • بربوعها وتلاطم البحران •
• يا حسنها والطل ينثر فوقها • درر اخلال الورد والريحان •
• وسواعد الانهار قد مدت الى • ندمانها بشقايق النعمان •
• وتجاوبت فيها شوادي طيرها • والتفت الاغصان بالاغصان •
• ما زرتها الا وحيا في بهاها • حدق البهار واعين السوسان •
• من بعدها ما اعجبتني بلدة • مع ما حللت به من البلدان •

وحكى بعضهم ان الجامع من مدينة اقليس بلاطة فيه حوايز من السورة مربعة مستوية الاطراف فطول الحايزة منها ماية شبر واحد عشر شبرا وفي الاندلس جبل من شرب من ماء يكثر عليه الاحتلام من غير ارادة ولا تفكر وفيها غير ذلك مما يطول ذكره والله اعلم • ولنمسك العنان في هذا الباب فان بحر الاندلس طويل مديد وربما كررنا الكلام لارتباط بعضه ببعض ولنقل صاحبه المروي عنه او لاختلاف او غير ذلك من غرض مديد

الباب الثاني

في القا بلد الاندلس للمسلمين بالقياد وفتحها على يد موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد وصيرورتها ميدانا لسبق الجياد ومحط رحال الارتياد والارتياد وما يتبع ذلك من خبر حصل بازدياده ازدياد • وبنا وصل اليه اعتنا مرو تفتقر بمثله اعتناد

اعلم انه لما قضى الله سبحانه بتحقق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم زويت لي مشارق الارض ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقع الخلاف بين لذريق ملك القوط وبين ملك سبتة الذي على مجاز الزقاق فكان مما يذكر من فتح الاندلس على يد طارق وطريف ومولاهما الامير موسى بن نصير رحمهم الله جميع وذكر الحجاري وابن حيان وغيرهما ان اول من دخل الاندلس من المسلمين برسم الجهاد طريف البربري مولى موسى بن نصير الذي ينسب اليه جزيرة طريف التي على المجاز غزاها بمعونة صاحب سبتة جليان النصراني لحقده على لذريق صاحب الاندلس وكان في مايه فارس واربعماية راجل جاز البحر في اربعة مراكب في شهر رمضان سنة احدى وتسعين وانصرف بغنيمة جليلة فعقد موسى بن نصير صاحب المغرب لمولاه

طارق

طارق بن زياد على الاندلس ووجهه مع بليان صاحب سبتة انتهى وسيأتي في امر طريف وغيره ما يخالف هذا السياق وتمامه قوله وقال ابن حيان ان اول اسباب فتح الاندلس كان اذ ولى الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير مولى عمه عبد العزيز على افريقية وما خلفها سنة ثمان وثمانين فخرج في نفر قليل من المطوعة فلما ورد مصر اخرج معه من جندها بعثا وفعل ذلك في افريقية وجعل على مقدمته مولاه طارقا فلم يزل يقاتل البربر ويفتح مدائنهم حتى بلغ مدينة طنجة وهي قصبة بلادهم وام مدائنهم فحصرها حتى فتحها واسلم اهلها ولم تكن فتحت قبله وقيل بل فتحت ثم استغلقت وذكر ابن حيان ايضا استصعاب سبتة على موسى بن نصير صاحبها الداهية الشجاع بليان النصراني وانه في اثناء ذلك وقع بينه وبين لذريق صاحب الاندلس ثم سرد ما يأتي ذكره قال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله وحديث الفتح وما من الله على الاسلام من المنح واخبار ما افاء الله من الخير على موسى بن نصير وكتب من جهاد لطارق بن زياد مملوك فصاص واوراق • وحديث افول واشراق وارعاد وابراق • وعظم امتشاش • والة معلقة في دكان قشاش انتهى وقال في المغرب طارق بن زياد من افريقية وقال ابن بشكوال انه طارق بن عمرو فتح جزيرة الاندلس ودوخها واليه ينسب جبل طارق الذي يعرفه العامة بجبل الفتح في قبلة الجزيرة الخضراء ورحل مع سيده بعد فتح الاندلس الى الشام وانقطع خبره انتهى وقال ايضا ان طارقا كان احسن الكلام ينظم ما يجوز كتبه واما المعارف السلطانية فيكفيه ولاية سلطنة الاندلس وما فتح فيها من البلاد الى ان وصل سيده موسى بن نصير • ومن تاريخ ابن بشكوال احتل طارق بالجبل المنسوب اليه يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنين وتسعين في اثني عشر الف غير اثني عشر رجلا من البربر ولم يكن فيهم من العرب الا شي يسير وانه لما ركب البحر راى وهو نايم النبي صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والانصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسي فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا طارق تقدم لشانك ونظر اليه والى اصحابه قد دخلوا الاندلس قدامه فهب من نومه مستبشرا وبشر اصحابه وثابت نفسه ببشراه ولم يشك في الظفر فخرج من الجبل واقتحم بسيط البلد شانا للغارة واصاب عجوزا من اهل الجزيرة فقالت له في بعض قولها انه كان لها زوج عالم بالحدثان فكان يحدثهم عن امير يدخل الى بلدهم هذا فيغلب عليه ويصف من نعته انه ضخم الهامة فانت كذلك ومنها ان في كتفه الايسر شامة عليها شعر فان كانت فيك فانت هو فكشف ثوبه فاذا بالشامة في كتفه على ما ذكرت فاستبشر

بذلك ومن معه ومن تاريخ ابن حيان لما حرص يليان النصراني صاحب سبتة
للامر الذي وقع بينه وبين صاحب الاندلس موسى بن نصير على غزو الاندلس
جهز له مولاه طارقا المذكور في سبعة الاف من المسلمين جلهم البربر في اربع
سفن وحط بجبل طارق المنسوب اليه يوم السبت في شعبان سنة ٩٢ ولم
يترك المراكب تعود حتى توافى جميع اصحابه عنده بالجبل قال ووقع على لذريق
صاحب الاندلس الخبر واتى يليان لسبب فيه وكان يومئذ غازيا في جهة
البشكنس فبادر في جموعه وهم نحو مائة الف ذوي عدد وعدة وكتب طارق
الى موسى بانه قد زحف اليه لذريق بما لا طاقة له به وكان عمل من السفن
عدة يحمل له فيها خمسة الاف من المسلمين فحملوا بمن تقدم اثني عشر الفا ومعهم
يليان صاحب سبتة في حشده يدلهم على العورات ويتجسس لهم الاخبار
واقبل نحوهم لذريق ومعه خيار العجم وابناء ملوكها وفرسانها وقلوبهم عليه
فتلاقوا فيما بينهم وقالوا ان هذا الخبيث غلب على سلطاننا وليس من بيت
الملك وانما كان من اتباعنا فلسنا نعدم من سيرته خبالا واضطرابا
وهؤلاء القوم الذين طرقوا لا حاجة لهم في ايطان بلدنا وانما مرادهم ان يملئوا
ايديهم من الغنائم ويخرجوا عنا فلننهزم بابن الخبيثة اذا نحن لقينا
القوم فلعلهم يكفوننا امره فاذا هم انصرفوا عنا اقعدنا في ملكنا من يستحقه
فاجمعوا على ذلك انتهى وقال ابن خلدون بعد ذكره ان القوطيين كان
لهم ملك الاندلس وان ملكهم لعهد الفتح يسمى لذريق ما نصه وكانت لهم
خطوة وراء البحر في هذه العدوة الجنوبية خطوها من فرضة المجاز بطنجة
ومن زقاق البحر الى بلاد البربر واستعبدوهم وكان ملك البرابرة بذلك
القطر الذي هو اليوم جبال غمارة يسمى يليان فكان يدين بطاعتهم و
بملتهم وموسى بن نصير امير العرب اذ ذاك عامل على افريقية من قبل الوليد
ابن عبد الملك ومنزله بالقيروان وكان قد اغزى لذلك العهد عساكر
المسلمين بلاد المغرب الاقصى ودوخ اقطاره واثخن في جبال طنجة هذه حتى
وصل الى خليج الزقاق واستنزل يليان لطاعة الاسلام وخلف مولاه طارق
ابن زياد الليثي واليا بطنجة وكان يليان ينقم على لذريق ملك القوط لعهده
بالاندلس فعلة فعلها زعموا بابنته الناشئة في داره على عادتهم في بنات
بطارقتهم فغضب لذلك واجاز الى لذريق واخذ ابنته منه ثم لحق بطارق
فكشف للعرب عورة القوط ودلهم على عورة فيهم امكنت طارقا فيها الفرصة
فانتهزها لوقته واجاز البحر سنة اثنتين وتسعين من الهجرة باذن اميره
موسى بن نصير في نحو ثلاثمائة من العرب واحتشد معهم من البربر زهاء عشرة

الاف

الاف فنصبهم عسكرين احدهما على نفسه ونزل به جبل الفتح فسمي جبل
طارق به والاخر على طريف بن مالك النخعي ونزل بمكان مدينة طريف فسمي به
وادار الاسوار على انفسهم للتحصن وبلغ الخبر الى لذريق فنهض اليهم يجر
امم الاعاجم واهل ملة النصرانية في زهاء اربعين الفا وزحفوا اليهم بفحص
شريش فهزمه الله ونفلهم اموال اهل الكفر ورقابهم وكتب طارق الى موسى
ابن نصير بالفتح وبالغنائم فحركته الغيرة وكتب الى طارق يتوعده ان
توغل بغير اذنه ويامره ان لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به واستخلف على القيروان
ولده عبد الله وخرج ومعه حبيب بن ابي عبيدة الفهري ونهض من القيروان سنة
ثلاث وتسعين من الهجرة في عسكر ضخم من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر
ووافى خليج الزقاق ما بين طنجة والجزيرة الخضراء فاجاز الى الاندلس وتلقاه
طارق فانقاد واتبع واتم موسى الفتح وتوغل في الاندلس الى برشلونة من جهة
الشرق واربونة في الجوف وصنم قادس في الغرب ودوخ اقطارها وجمع غنائمها
واجمع ان ياتي المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز الى الشام دروبه
ودروب الاندلس ويخوض ما بينهما من امم الاعاجم النصرانية مجاهدا
فيهم مستلحما لهم الى ان يلحق بدار الخلافة ونمى الخبر الى الوليد فاشتد قلقه
بمكان المسلمين من دار الحرب وراى ان ما هم به موسى غرر بالمسلمين فبعث اليه
بالتوبيخ والانصراف واسر الى سفيره ان يرجع بالمسلمين ان لم يرجع وكتب له
بذلك عهده ففت ذلك في عزم موسى وقفل عن الاندلس بعد ان انزل الرابطة
والحامية بثغورها وانزل ابنه عبد العزيز لسدها وجهاد عدوها وانزله
بقرطبة فاتخذها دار امارته واحتل موسى بالقيروان سنة خمس وتسعين
وارتحل الى المشرق سنة ست بعدها بما كان معه من الغنائم والذخائر والاموال
على العجل والظهر يقال ان من جملتها ثلاثين الف راس من السبي وولى على افريقية
ابنه عبد الله وقدم على سليمان بن عبد الملك فسخطه ونكبه وثارت عساكر
الاندلس بابنه عبد العزيز باغراء سليمان فقتلوه لسنتين من ولايته وكان
خيرا فاضلا وافتتح في ولايته مداين كثيرة وولي من بعده ايوب بن حبيب
اللخمي وهو ابن اخت موسى بن نصير فولي عليها ستة اشهر ثم تتابعت ولاة العرب
على الاندلس تارة من قبل الخليفة وتارة من قبل عامله على القيروان واثخنوا
في امم الكفر وافتتحوا برشلونة من جهة المشرق وحصون قشتالة وبسائطها
من جهة الجوف وانقرضت امم القوط واروا الجلالقة ومن بقي من امم العجم الى
جبال قشتالة واربونة وافواه الدروب فتحصنوا بها واجازت عساكر
المسلمين ما وراء برشلونة من دروب الجزيرة حتى احتلوا البسائط وراءها وتوغلوا

في بلاد الفرنجة وعصف ريح الاسلام بامم الكفر من كل جهة وربما كان بين
جنود الاندلس من العرب اختلاف وتنازع اوجد للعدو بعض الكرة فرجع
الافرنج ما كانوا غلبوهم عليه من بلاد برشلونة لعهد ثمانين سنة من لدن
فتحها واستمر الامر على ذلك وكان محمد بن يزيد عامل افريقية لسليمان
ابن عبد الملك لما بلغه مهلك عبد العزيز بن موسى بن نصير بعث الى الاندلس
الحسن بن عبد الرحمن بن عثمان الثقفي فقدم الاندلس وعزل ايوب بن حبيب
وولي سنتين وثمانية اشهر ثم بعث عمر بن عبد العزيز على الاندلس السمح بن
مالك الخولاني على راس المائة من الهجرة وامره ان يخمس ارض الاندلس فخمسها
وبنى قنطرة قرطبة واستشهد غازيا بارض الفرنجة سنة اثنتين ومائة
فقدم اهل الاندلس عليهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الى ان قدم عنبسة
ابن سحيم الكلبي من قبل يزيد بن ابي مسلم عامل افريقية فقدمها في صفر سنة ثلاث
ومائة فاستقام امر الاندلس وغزا الفرنجة وتوغل في بلادهم واستشهد
سنة سبع ومائة لاربع سنين واربعة اشهر ثم تتابعت ولاة الاندلس من
قبل امراء افريقية فكان اولهم يحيى بن سلمة الكلبي انفذه بشر بن صفوان الكلبي
والي افريقية لما استدعى منه اهل الاندلس واليا بعد مقتل عنبسة فقدمها
اخر سنة سبع واقام في ولايتها سنتين ونصفا ولم يغز وقدم اليها عثمان بن
ابي نسعة اللخمي واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب افريقية وعزله
لخمسة اشهر بحذيفة بن الاحوص القيسي فوافاها سنة عشر وعزل قريبا يقال
لسنة من ولايته واختلف هل تقدمه عثمان او هو تقدم عثمان ثم ولي بعده الهيثم
ابن عبيد الكلابي من قبل عبيدة بن عبد الرحمن ايضا فقدم في المحرم سنة احدى عشرة
وغزا ارض مقوشة فافتتحها وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائة لسنتين من ولايته
وقدم بعده محمد بن عبد الله الاشجعي فولي شهرين ثم قدم عبد الرحمن بن عبد الله
الغافقي من قبل عبيد الله بن الحبحاب صاحب افريقية فدخلها سنة ثلاث
عشرة وغزا الافرنجة وكانت له فيهم وقائع واصيب عسكره في رمضان سنة اربع
عشرة في موضع يعرف ببلاط الشهداء وبه عرفت الغزوة وكانت ولايته سنة
وثمانية اشهر ثم ولي عبد الملك بن قطن الفهري وقدم في رمضان سنة اربع عشرة
فولي سنتين قال الواقدي اربع سنين وكان ظلوما جائرا في حكومته
وغزا ارض البشكنس سنة خمس عشرة ومائة فاوقع بهم وغنم ثم عزل في رمضان
سنة ست عشرة وولي عقبة بن الحجاج السلولي من قبل عبيد الله بن الحبحاب
فاقام خمس سنين محمود السيرة مجاهدا مظفرا حتى بلغ سكنى المسلمين اربونة وصار
رباطهم على نهر ردونة ثم وثب له عبد الملك بن قطن الفهري سنة احدى وعشرين

فخلعه

فخلعه وقتله وقيل اخرجه من الاندلس وولي مكانه الى ان دخل بلج بن بشر باهل
الشام سنة اربع وعشرين فغلب عليه وولي الاندلس سنة او نحوها وقال
الرازي ثار اهل الاندلس باميرهم عقبة في صفر سنة ثلاث وعشرين في خلافة هشام
ابن عبد الملك وولوا عليهم عبد الملك بن قطن ولاية ثانية وكانت ولاية
عقبة ستة اعوام واربعة اعوام واربعة اشهر وتوفي بقرقشونة في صفر
سنة ثلاث وعشرين واستقام الامر لعبد الملك ثم دخل بلج بن بشر القشيري
بجند الشام ناجيا من وقعة كلثوم بن عياض مع البربر بطلوسة فثار على عبد
الملك وقتله وهو ابن تسعين سنة واستوسق له الامر بعد مقتل عبد
الملك وانحاز الفهريون الى جانب فامتنعوا عليه وكاشفوه واجتمع عليهم
من انكر فعلته بابن قطن وقام بامرهم قطن وامية ابنا عبد الملك بن قطن
والتقوا فكانت الدائرة على الفهريين وهلك بلج من الجراح التي نالته في حربهم
وذلك سنة اربع وعشرين لسنة او نحوها من امارته ثم ولي ثعلبة بن سلامة
الجذامي غلب على امارة الاندلس بعد مهلك بلج وانحاز عنه الفهريون فلم
يطيعوه وولي سنتين اظهر فيهما العدل ودانت له الاندلس عشرة اشهر الى
ان مالت به العصبية في يمانيته ففسد امره وهاجت الفتنة وقدم ابو
الخطار حسام بن ضرار الكلبي من قبل صفوان بن حنظلة عامل افريقية ركب
اليها البحر من تونس سنة خمس وعشرين فدان له اهل الاندلس واقبل اليه
ثعلبة وابن ابي نسعة وابنا عبد الملك فلقيهم واحسن اليهم واستقام امره
وكان شجاعا كريما ذا راي وحزم وكثر اهل الشام عنده ولم تحملهم قرطبة ففرقهم
في البلاد وانزل اهل دمشق البيرة لشبهها بها وسماها دمشق وانزل اهل حمص
اشبيلية وسماها حمص واهل قنسرين جيان وسماها قنسرين واهل الاردن رية
ومالقة وسماها الاردن واهل فلسطين شذونة وهي شريش وسماها فلسطين
واهل مصر تدمير وسماها مصر وقفل ثعلبة الى المشرق ولحق بمروان بن محمد
وحضر حروبه وكان ابو الخطار اعرابيا عصبيا افرط عند ولايته في التعصب
لقومه من اليمانية وتحامل على المضرية واسخط قيسا وامر في بعض الايام
بالصميل كبير القيسية وكان من طوالع بلج وهو الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي
الجوشن وراس على المضرية فاقيم من مجلسه وتقنع فقال له بعض الحجاب وهو خارج
من القصر اقم عمامتك يا ابا الجوشن فقال ان كان لي قوم فسيقيمونها
فسار الصميل بن حاتم زعيمهم يومئذ والب عليه قومه واستعان بالمنحرفين
من المنحرفين عنه من اليمانية فخلع ابا الخطار سنة ثمان وعشرين لاربع سنين
وتسعة اشهر من ولايته وقدم مكانه ثوابة بن سلامة الجذامي وهاجت الحرب

المشهورة وخاطبوا ابن الملك عبد الرحمن بن حبيب صاحب افريقية فكتب الى ثوابة
بعهده على الاندلس منسلخ رجب سنة تسع وعشرين فضبط الاندلس وقام بأمرهم
الصميل واجتمع عليه الفريقان وملك سنة ثلاثين وماية ووقع الخلاف بافريقية
والتاث امر بني امية بالمشرق وشغلوا عن قاصيتهم بكثرة الخوارج وعظم
امر المسودة فبقي اهل الاندلس فوضى ونصبوا للاحكام خاصة عبد الرحمن بن كثير
ثم اتفق جند الاندلس على اقتسام الامارة بين المضرية واليمانية وادالتها بين
الجندين سنة لكل دولة وقدم المضرية على انفسهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري
سنة تسع وعشرين واستتم سنة وماية بقرطبة دار الامارة ثم وافته
اليمانية لميعاد ادالتهم واثقين بمكان عهدهم وترضيهم واتفاقهم فبيتهم
يوسف بمكان نزولهم من شقندة في قرى قرطبة بممالأة من الصميل بن حاتم والقيسية
وسائر المضرية فاستلحموهم وثاروا بالخطار فقاتله الصميل وهزمه وقتله
سنة تسع وعشرين واستبد يوسف بما وراء البحر من عدوة الاندلس وغلب
اليمنية على امرهم فاستكانوا للغلبة وتربصوا الدوائر الى ان جاء عبد الرحمن
الداخل وكان يوسف ولى الصميل سرقسطة فلما ظهر امر المسودة بالمشرق ثار الحباب
الزهري بالاندلس داعيا لهم وحاصر الصميل بسرقسطة واستمد يوسف فلم يمده
رجاء هلاكه لما كان يغص به وامده القيسية فافرج عنه الحباب وفارق الصميل
سرقسطة فملكها الحباب وولى يوسف الصميل على طليطلة الى ان كان من عبد
الرحمن الداخل ما كان انتهى كلام ولي الدين بن خلدون ببعض اختصار قال
بعض المؤرخين ان عبد الله بن مروان اخا عبد الملك كان واليا على مصر وافريقية
وذلك سنة ٧٨ للهجرة فاستمثل امره في ذلك قال الحميدي في جذوة
المقتبس ان موسى بن نصير ولي افريقية والمغرب سنة ٧٨ فقدمها ومعه
جماعة من الجند فبلغه ان باطراف البلاد من هو خارج عن الطاعة فوجه ولده عبد
الله فاتاه بماية الف راس من السبايا ثم ولده مروان الى جهة اخرى فاتاه بماية
الف راس وقال الليث بن سعد بلغ الخمس ستين الف راس وقال
الصدفي لم يسمع في الاسلام بمثل سبايا موسى بن نصير ووجد اكثر مدن افريقية
خالية لاختلاف ايدي البربر عليها وكانت البلاد في قحط شديد فامر الناس
بالصوم والصلاة واصلاح ذات البين وخرج بهم الى الصحراء ومعه سائر
الحيوانات وفرق بينها وبين اولادها فوقع البكاء والصراخ والضجيج
واقام على ذلك الى منتصف النهار ثم صلى وخطب الناس ولم يذكر الوليد
بن عبد الملك فقيل له الا تدعو لامير المؤمنين فقال هذا مقام لا يدعى فيه
لغير الله تعالى فسقوا حتى رووا ثم خرج موسى غازيا وتتبع البربر وقتل

فيهم

فيهم قتلا ذريعا وسبى سبيا عظيما وصار حتى انتهى الى السوس الادنى لا
يدافعه احد فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم استأمنوا وبذلوا له الطا
عة فقبل منهم وولى عليهم واليا واستعمل على طنجة واعمالها مولاه طارق بن
زياد البربري ويقال انه من الصدف وترك عنده تسعة عشر الفا من البربر
بالاسلحة والعدة الكاملة وكانوا قد اسلموا وحسن اسلامهم وترك موسى عندهم
خلقا يسيرا من العرب ليعلموا البربر القرآن وفرائض الاسلام ورجع الى افريقية
ولم يبق بالبلاد من ينازعه من البربر ولا من الروم ولما استقرت له القواعد
كتب الى طارق وهو بطنجة يامره بغزو بلاد الاندلس فغزاها في اثني عشر الفا
من البربر خلا اثني عشر رجلا وصعد على الجبل المنسوب اليه يوم الاثنين خامس
رجب سنة اثنين وتسعين وذكر عن طارق انه كان نائما في المركب وقت العبور
فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وامره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد هكذا ذكر
ابن بشكوال قيل ان موسى ندم على تأخره وعلم ان طارقا ان فتح شيئا نسب الفتح
اليه دونه فاخذ في جمع العساكر وولى على القيروان ابنه عبد الله وتبع طارقا
فلم يدركه الا بعد الفتح وقال بعض العلماء ان موسى بن نصير كان عاقلا شجاعا
كريما تقيا لله تعالى ولم يهزم له قط جيش وكان والده نصير على جيوش معاوية
ومنزلته لديه مكينة ولما خرج معاوية لصفين لم يخرج معه فقال له ما منعك
من الخروج معي ولي عندك يد لم تكافئني عليها فقال لم يمكني ان اشكرك بكفر من
هو اولى بشكري منك فقال ومن هو فقال الله عز وجل فاطرق مليا ثم قال
استغفر الله ورضي عنه ورجع الى حديث طارق قال بعض المؤرخين
كان لذريق ملك الاندلس استخلف عليها شخصا يقال له تدمير واليه تنسب
تدمير بالاندلس فلما نزل طارق من الجبل كتب تدمير الى لذريق انه قد نزل بارضنا
قوم لا ندري امن السماء هم ام من الارض فلما بلغ لذريق ذلك وكان قصد بعض
الجهات البعيدة لغزو له في بعض اعدائه فرجع عن مقصده في سبعين الف
فارس ومعه العجل تحمل الاموال والمتاع وهو على سريره بين دابتين وعليه
مظلة مكللة بالدر والياقوت والزبرجد فلما بلغ طارقا دنوه قام
في اصحابه فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم
ثم قال ايها الناس اين المفر البحر من ورائكم والعدو امامكم وليس لكم والله
الا الصدق والصبر واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الايتام في مأدبة اللئام
وقد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته واقواته موفورة وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم
ولا اقوات الا ما تستخلصونه من ايدي عدوكم وان امتدت بكم الايام على افتقاركم
ولم تنجزوا لكم امرا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم

فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذا الطاغية
فقد القت به اليكم مدينته الحصينة وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم
لانفسكم بالموت واني لم احذركم امرا انا منه بنجوة ولا حملتكم على خطة ارخص
متاع فيها النفوس ابدا بنفسي واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم
بالارفه الالذ طويلا فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسي فما حظكم فيه باوفر من حظي
وقد بلغكم ما انشات هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات
في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات في قصور الملوك
ذوي التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المؤمنين من الابطال عربانا
ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا واختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان
واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء
كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون
المؤمنين سواكم والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين واعلموا
اني اول مجيب الى ما دعوتكم اليه واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية
القوم لذريق فقاتله ان شاء الله تعالى فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد
كفيتكم امره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون اموركم اليه وان هلكت قبل وصولي
اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بانفسكم عليه واكتفوا الهم من فتح هذه
الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون فلما فرغ من تحريض اصحابه على الصبر في
قتال لذريق واصحابه وما وعدهم من الخير الجزيل انبسطت نفوسهم وتحققت
امالهم وهبت رياح النصر عليهم وقالوا له قد قطعنا الامال مما يخالف ما
عزمت عليه فاحضر اليه فانا معك وبين يديك فركب واصحابه فباتوا ليلتهم
في حرس الى الصبح فلما اصبح الفريقان تكتبوا وعبوا جيوشهم وحمل لذريق وهو
على سريره وقد حمل على راسه رواق ديباج يظلله وهو مقبل في غابة من البنود
والاعلام وبين يديه المقاتلة والسلاح واقبل طارق على اصحابه عليهم الزرد
من فوق روسهم العمايم البيض وبايديهم القسي العربية وقد تقلدوا السيوف
واعتقلوا الرماح فلما نظر اليهم لذريق حلف وقال ان هذه الصور هي التي
رايناها ببيت الحكمة ببلدنا فداخله منهم الرعب فلما راى طارق لذريق قال
هذا طاغية القوم فحمل وحمل اصحابه معه فتفرقت المقاتلة من بين يدي لذريق
فخلص اليه طارق فضربه بالسيف على راسه فقتله على سريره فلما راى
اصحابه مصرع صاحبهم اقتحم الجيشان وكان النصر للمسلمين ولم تقف هزيمة
العدو على موضع بل كانوا يسلمون بلدا بلدا ومعقلا معقلا ولما سمع موسى
ابن نصير بما حصل من النصر لطارق عبر الجزيرة بمن عليه ولحق بمولاه طارق وقال

له يا طارق انه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك باكثر من ان يبيحك
الاندلس فاستبحه مهنيا مريئا فقال له طارق ايها الامير والله لا ارجع عن
قصدي هذا ما لم انته الى البحر المحيط اخوض فيه بفرسي يعني البحر الشمالي
الذي تحت بنات نعش ولم يزل طارق يفتح وموسى معه الى ان بلغ جليقية وهي
ساحل البحر المحيط انتهى وقال الحافظ الحميدي في كتاب جذوة
المقتبس ان موسى بن نصير على مولاه طارق اذ غزا بغير اذنه وهم بقتله ثم
ورد عليه كتاب الوليد باطلاقه فاطلقه وخرج معه الى الشام وقول لذريق ان
هذه الصور هي التي رايناها في بيت الحكمة الخ اشارة الى بيت حكمة اليونان وكان
من خبره فيما حكى بعض علماء التاريخ ان اليونان وهم الطايفة المشهورة بالحكم
كانوا يسكنون بلاد المشرق قبل عهد الاسكندر فلما ظهرت الفرس واستولت
على البلاد وزاحمت اليونان على ما كان بايديهم من الممالك انتقل اليونان الى جزيرة
الاندلس لكونها طرفا في اخر العمارة ولم يكن لها ذكر اذ ذاك ولا ملكها احد من الملوك
المعتبرة ولم تكن عامرة وكان اول من عمرها واختطها اندلس بن يافث بن نوح
عليه السلام فسميت باسمه ولما عمرت الارض بعد الطوفان كانت الصورة
المعمورة منها عندهم على شكل طاير راسه المشرق والجنوب والشمال رجلاه
وما بينهما بطنه والمغرب ذنبه وكانوا يزدرون المغرب لنسبته الى اخس اجزاء
الطاير وكانت اليونان لا ترى فنا الامم بالحروب لما فيه من الاضرار والاشتغال
عن العلوم التي كان امرها عندهم اهم الامور فلذلك تحازوا من بين يدي الفرس
الى الاندلس فلما صاروا اليها اقبلوا على عمارتها فشقوا الانهار وبنوا المعاقل
وغرسوا الجنات والكروم وشيدوا الامصار وملؤوها حرثا ونسلا وبنيانا
فعظمت وطابت حتى قال قايلهم لما راى بهجتها ان الطاير الذي صورت
العمارة على شكله وكان المغرب ذنبه كان طاووسا معظم جماله في ذنبه وحكي
ان الرشيد هارون رحمه الله لما حضر بين يديه بعض اهل المغرب قال الرشيد
يقال ان الدنيا بمثابة طاير ذنبه المغرب فقال الرجل صدقوا يا امير المؤمنين
وانه طاووس فضحك الامام الرشيد وتعجب من سرعة جواب الرجل وانتصاره
لقطره رجع قال فاغتبط اليونان بالاندلس اشد اغتباط واتخذوا دار
الحكمة والملك طليطلة لانها اوسط البلاد وكان اهم الامور عندهم تحصينها
عمن يتطرق اليها من الامم فنظروا فاذا هو انه لا يحسدهم على رغد العيش الا ارباب
الشظف والشقا والتعب وهم يومئذ طايفتان العرب والبربر فخافوهم على
جزيرتهم العامرة فعزموا ان يتخذوا لهذين الجنسين من الناس طلسما فرصدوا
لذلك ارصادا ولما كان البربر بالقرب منهم وليس سوى تعدية البحر ويرد

عليهم منهم طوايف منحرفة الطباع خارجة عن الاوضاع ازداد وامنهم نفورا واكثر
تحذرهم من نسب او مجاورة حتى ثبت ذلك فى طباعهم وصار بعضه عركيا فى غرايزهم
البربر عدا وة اهل الاندلس وبغضهم لهم وحسدوهم فلم تجد اندلسيا
فلما علم
الا مبغضا بربريا وبالعكس الا ان البربر احوج الى اهل الاندلس لوجود بعض الاشيا
عندهم وفقدها ببلاد اهل البربر وكان بنواحى غرب الاندلس ملك يونانى بجزيرة
يقال لها قادس وكانت له ابنة فى غاية الجمال فتسامع بها الملوك بالاندلس
وكانت للاندلس كثيرة الملوك لكل بلدة او بلدتين ملك فخطبوها وخشى ابوها
ان زوجها من واحد اسخاط الباقين فتحير واحضر ابنته وكانت الحكمة مركبة فى
طباع القوم ذكورهم واناثهم ولذا قيل ان الحكمة نزلت على ثلاثة اعضا من اهل
الارض ادمغة اليونان وايدى اهل الصين والسنة اهل العرب فقال لها يا بنية
انى اصبحت على حيرة فى امرك ممن يخطبك من الملوك وما ارضيت واحدا الا اسخطت
الباقين فقالت له اجعل الامر الى تخلص فقال وما تقترحين قالت ان يكون ملكا
حكيما فقال نعم ما اخترته لنفسك فكتب فى اجوبة الملوك الخطاب انها اختارت
من الازواج الملك الحكيم فلما وقفوا على الجواب سكت من لم يكن حكيما وكان فى الملوك
الخاطبين حكيمان فكتب كل منهما انا الملك الحكيم فلما وقف على كتابيهما قال لها
يا بنية بقى الامر على اشكاله وهذان ملكان حكيمان ايهما ارضيت اسخطت الاخر
فقالت ساقترح على كل واحد منهما امرا ياتى به فايهما سبق الى الفراغ مما التمست
كنت زوجته قال وما الذى تقترحين عليهما فقالت انا ساكنون بهذه الجزيرة
ونحتاجون الى رحى تدور بها وانى مقترحة على احدهما اذا رنها بالماء العذب
الجارى اليها من ذلك البر ومقترحة على الاخر ان يتخذ لى طلسما عصن به جزيرة
الاندلس من البربر فاستظرفا بوها ذلك وكتب الى الملكين بما قالته ابنته
فاجاباه الى ذلك وتقاسماه على ما اختار وشرع كل منهما فى عمل ما اسند اليه
من ذلك فاما صاحب الرحى فانه عمد الى اشكال اتخذها من الحجارة نضد بعضها
الى بعض فى البحر المالح الذى بين جزيرة الاندلس والبر الكبير فى الموضع المعروف
بزقاق سبتة وسد ما الفرج الذى بين الحجارة من البر الى الجزيرة واثاره باقية الى
اليوم فى الزقاق الذى بين سبتة والجزيرة الخضراء واكثر اهل الاندلس يزعمون ان
هذا اثر قنطرة كان الاسكندر قد عملها ليعبر عليها الناس من سبتة الى الجزيرة
والله اعلم اى القولين اصح غير ان الشايع الى الان عندنا لناس هو الثانى فلما
تم تنضيد الحجارة للملك الحكيم جلب الماء العذب من جبل عال فى البر الكبير وسلطه
من ساقية محكمة وبنى بجزيرة الاندلس رحى على هذه الساقية واما صاحب الطلسم
فانه ابطأ عمله بسبب انتظار الرصد الموافق لعمله غير انه عمل امره واحكمه وابتنى

بما اقتضته حكمته واوصل تلك الحجاره
صح

بنيانا

بنيانا ناميا مربعا من حجر ابيض على ساحل البحر فى رمل عالج حفر اساسه الى ان جعله تحت
الارض بمقدار ارتفاعه فوق الارض ليثبت فلما انتهى البنا المربع الى حيث اختار صور
من النحاس الاحمر والحديد المصفى المخلوطين باحكم الخلط صورة رجل بربرى وله لحية
وفى راسه ذوابة من شعر جعد قايمة فى راسه لجعودتها وهو متابط بصورة كساء
قد جمع طرفيه على يده اليسرى بالطف تصوير واحكمه فى رجليه نعل وهو قايم من راس البنا
على مستدف بمقدار رجليه فقط وهو شاهق فى الهوى طوله ينيف عن ستين او سبعين
ذراعا وهو محدود ولاعلى الى ان ينتهى الى ما سعته قدر الذراع وقد مد يده اليمنى بمفتاح
قفل قابض عليه مشيرا الى البحر كانه يقول لا عبور وكان من تاثير هذا الطلسم
فى البحر الذى تجاهه انه لم ير قط ساكنا ولا كانت تجرى فيه قط سفينة بربرية الا سقط
المفتاح من يده وكان الملكان الذان عملا الرحى والطلسم يتسابقا الى فراغ العمل
اذ بالسبق يستحق زواج المراة وكان صاحب الرحى فرغ اولا لكنه اخفى امره عن صاحب
الطلسم حتى لا يعلم فيبطل الطلسم لتحظى المراة بالرحى والطلسم فلما علم باليوم الذى
يفرغ صاحب الطلسم فى اخره اجرى الماء فى الجزيرة من اوله وادار الرحى واشتهر ذلك
فاتصل الخبر بصاحب الطلسم وهو فى اعلى القبة يصقل وجهه وكان الطلسم
مذهبا فلما تحقق انه مسبوق ضعفت نفسه فسقط من اعلى البنا ميتا وحصل
صاحب الرحى على المراة والرحى والطلسم وكان من تقدم من ملوك اليونان يخشى على
الاندلس من البربر للسبب الذى قدمنا ذكره فاتفقوا وجعلوا الطلسمات فى اوقات
اختاروا ارصادها واودعوا تلك الطلسمات تابوتا من الرخام وتركوه فى بيت
بطليطلة وركبوا على ذلك الباب قفلا تاكيدا لحفظ ذلك البيت فاستمر امرهم
على ذلك ولما حانت وقت انقراض دولة من كان بالاندلس ودخل العرب والبربر
اليها وذلك بعد مضى ستة وعشرين ملكا من ملوكهم من تاريخ عمل الطلسمات
بطليطلة وكان لذريق المذكور انفا هو تمام السابع والعشرين من ملوكهم فلما
انعقدت ربيئة الملك قال للوزراء وخواصه ولذوى اهل الراى منهم قد وقع فى
نفسى من امر هذا البيت الذى عليه ستة وعشرون قفلا شى واريد ان افتحه
لانظر ما فيه لانه لم يعمل عبثا فقالوا ايها الملك صدقت انه لم يصنع عبثا ولم
يقفل سدا والراى والمصلحة ان تلقى انت ايضا عليه قفلا اسوة بمن تقدمك
من الملوك وكان اباوك واجدادك لم يهملوا هذا فلا تهمله وسر بسيرهم
فقال لهم ان نفسى تنازعنى الى فتحه ولا بد منه فقالوا له ان كنت تظن
فيه مالا فقدره ونحن نجمع لك من اموالنا نظيره ولا تحدث علينا بفتحه حدثا
لا نعرف عاقبته فاصر على ذلك وكان رجلا مهابا فلم يقدروا على مراجعته وامر
بفتح الاقفال وكان على كل قفل مفتاحه معلقا فلما فتح الباب لم ير فى البيت

كل

شبه الأمائد عظيمة من ذهب وفضة مكللة بالجواهر وعليها مكتوب هذه
مما عمل سليمان بن داود عليهما السلام ورأى في البيت ذلك التابوت وعليه
قفل ومفتاحه معلق ففتحه فلم يجد فيه سوى رق وفي جوانب التابوت صور
فرسان مصورة بأصباغ محكمة التصوير على أشكال العرب وعليهم الفراء وهم
معممون على ذوائب جعد ومن تحتهم الخيول العربية وهم متقلدون السيوف المحلاة
معتقلون الرماح فأمر بنشر ذلك الرق فإذا فيه متى فتح هذا البيت وهذا
التابوت المقفلان بالحكمة دخل القوم الذين صورهم في التابوت جزيرة
الأندلس وذهب ملك من فيها من أيديهم ودرست حكمتهم فلما سمع لذريق
ما في الرق ندم على ما فعل وتحقق انقراض دولتهم فلم يلبث إلا قليلا حتى سمع
أن جيشا وصل من المشرق جهزه ملك العرب ليفتح بلاد الأندلس انتهى فهذا
هو بيت الحكمة الذي شاء البناء لذريق والله أعلم بحقيقة الأمر في ذلك كله على أن
في هذا الشبه وتخالفا عما سنذكره عن بعض ثقات مؤرخي الأندلس وغيرهم
في شأن المائدة وغيرها وما ذكر في هذه القصة من جلب الماء من العدوة إلى قبة بعيد
عندي لأن بلاد الأندلس أكثر بلاد الله مياها وإنما رأيناه يحتاج إلى جلب الماء إليها
من العدوة الأخرى إلا أن يقال إن المرأة أرادت تعجيز الرجل بذلك واختبار حكمته
حتى يفعل هذا الأمر الغريب إلا وعلم الله من وراء ذلك كله وفوق كل ذي علم
عليم ومنتهى العلم إلى الله الحليم قال ابن حيان في المقتبس ذكروا أن لذريق
لم يكن من أبناء الملوك ولا بصحيح النسب في القوط وأنه إنما نال الملك من طريق
الغصب والتسور عندما مات الملك غيطشة الملك كان قبله وكان أثيرا لديه
مكينا فاستصغر أولاده لمكانه واستمال طائفة من الرجال مالوا معه فانتزع
الملك من أولاد غيطشة واستبقاهم فكانوا هم الذين دبروا عليه فيما ذكر عند
ما لقي رجال العرب المقتحمين عليه بالأندلس من تلقاء بحر الزقاق وعليهم طارق
بن زياد مولى موسى بن نصير طائفة منهم تبغي أن يودي ويخلص إليهم ملك أبيهم
فالتقوا بموضع يدعى وادي لكه من أرض الجزيرة الخضراء من ساحل الأندلس القبلي
مكان عبورهم وذلك لسبع خلون من ربيع الأول سنة اثنين وتسعين من الهجرة
فانهزم القوط أعظم هزيمة وقتل ملكهم لذريق وغلبت العرب على الأندلس قصا
أقصى فتوحهم من أرض المغرب ومصداق موعد نبيهم صلى الله عليه وسلم الكفيل بفتح
ما بين المشرق والمغرب عليهم بوحي الله تعالى إليه المنجز لهم بفتح الأندلس ولله الحمد
قال وقام بأمر العرب بالأندلس منذ افتتحت الأمراء المرسلون منهم عليها من قبل
أئمة المسلمين بالمشرق طول دولة بني أمية رضي الله عنهم إلى أن تطرأ إليها فلهم
عند غلبة بني العباس عليهم وذلك عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك

ابن مروان

ابن مروان فملكها وأعاد إليها الدولة الأموية التي أورثها عقبه وخلفه فكانت
عدة هؤلاء الأمراء من لدن أولهم طارق بن زياد إلى آخرهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري
عشرين عاملا وعدة سنينهم بالشمسي خمس وأربعون سنة وبالقمري سبع وأربعون
سنة غير أشهر انتهى وقال في موضع آخر نقلا عن الرازي وافتتحت الأندلس في
أيام الوليد بن عبد الملك فكان فتحها من أعظم الفتوح الذاهبة بالصيت في
ظهور الملة الحنيفية وكانت همة عبد العزيز دنوا أن الله غلبه سميما بها مغتبطا
بشأنها وقدرها عن نظروا إلى إفريقية وجرد إليها عاملا من قبله إخطارا لها
دلالة على عنايته بها وقد وقعت المقاسم فيها عن أمره ويفصل إذا انتهى وفي الكتاب
الحجازي وغيره سبب فتح الأندلس على أتم الوجوه فلنذكر ملخصه قال لما استعمل
أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك رحمه الله موسى بن نصير مولى عمه عبد العزيز بن
مروان ويقال اللخمي بكري وذلك أن أباه نصيرا أصله من علوج أصابهم خالد بن الوليد
رضي الله عنه في عين التمر فادعوا أنهم رهن وأنهم من بكر بن وائل فصار نصير وصيفا
لعبد العزيز بن مروان فأعتقه فمن هنا يختلف فيه وقيل إنه لخمي وعقد له
على إفريقية وما خلفها في سنة ثمان وثمانين فخرج إلى ذلك الوجه في نفر قليل من
المطوعة فلما ورد مصر أخرج معه من جندها بعثا وأتى إفريقية فحمله فأخرج من
أهلها معه ذوي القوة والجلد وصير على مقدمته طارق بن زياد فلم يزل يقاتل
البربر ويفض جموعهم ويفتتح بلادهم ومدائنهم حتى بلغ طنجة وهي قصبة بلاد
البربر وأم مدائنهم فحصرها حتى فتحها وقيل إنها لم تكن افتتحت وقيل افتتحت
ثم رجعت فأسلم أهلها وخطها قيروانا للمسلمين ثم ساروا إلى المدائن على شط
البحر فيها عمال لصاحب الأندلس قد غلبوا عليها وعلى ما حولها ورأس تلك المدائن
سبتة وعليها علج يسمى يليان قاتله موسى فألفاه في نجدة وقوة وعدة فلم يطقه
فرجع إلى مدينة طنجة فأقام بمن معه وأخذ في الغارات على ما حولهم والتضييق
عليهم والسفن تختلف إليهم بالميرة والأمداد من الأندلس من قبل ملكها غيطشة
فهم يذبون عن حريمهم ذبا شديدا ويحمون بلادهم حماية تامة إلى أن هلك غيطشة
ملك الأندلس وترك أولادا لم يرضهم أهلها للملك فاضطرب حبل أهل الأندلس
ثم تراضوا بعلج من كبارهم يقال له لذريق مجرب شجاع بطل ليس من بيت الملك
إلا أنه من قوادهم وفرسانهم فولوه أمرهم وكانت طليطلة دار الملك بالأندلس
حينئذ وكان بها بيت مغلق متحامي الفتح على الأيام عليه عدة من الأقفال يلزمه
قوم من ثقات القوط قد وكلوا به لئلا يفتح وقد عهد الأول في ذلك إلى الآخر
فكلما قعد منهم ملك أتاه أولئك الموكلون بالبيت فأخذوا منه قفلا وصيروه
على ذلك الباب من غير أن يزيلوا قفل من تقدمه فلما قعد لذريق هذا وكان

منهما يقفل اذا فكر ناه الحراس يسالونه ان يقفل على الباب فقال لهم لا اقفل او اعلم
ما فيه ولا بد لي من فتحه فقالوا له ايها الملك انه لم يفعل هذا احد من قبلك
وتناهوا عن فتحه فلم يلتفت اليهم ومشى الى البيت فاعظمت ذلك العجم وضرعوا
اكابرهم في الكف فلم يفعل وظن انه بيت مال ففض الاقفال عنه ودخل فاصابه
فارغا لا شيء فيه الا تابوتا عليه قفل فامر بفتحه يحسب ان مضمونه يقنعه
فالفاه ايضا فارغا ليس فيه الا شقة مدرجة قد صورت فيها صور العرب عليهم
العمائم وتحتهم الخيول العراب متقلدي السيوف متنكبي القسي رافعي الرايات
على الرماح وفي اعلاها اسطر مكتوبة بالعجمية فقرئت فاذا فيها اذا كسرت هذه
الاقفال عن هذا البيت وفتح هذا التابوت فظهر ما فيه من الصور فان هذه الامة
المصورة في هذه الشقة تدخل الاندلس فتغلب عليها وتملكها فوجم لذريق وندم
على ما فعل وعظم غمه وغم العجم بذلك وامر برد الاقفال واقرار الحراس على حالهم واخذ
في تدبير ملكه وذهل عما انذر به وقد كان من سير الاكابر العجم بالاندلس ان يبعثوا اولادهم
الذين يريدون منفعتهم والتنويه بهم الى بلاد الملك الاكبر بطليطلة ليصيروا
في خدمته ويتادبوا بادبه وينالوا من كرامته حتى اذا بلغوا انكح بعضهم بعضا
استيلافا لابائهم وحمل صدقاتهم وتولى تجهيز اناثهم الى ازواجهن فاتفق ان فعل
ذلك بليان عامل لذريق على سبتة وكانت يومئذ في يد صاحب الاندلس واهلها
على النصرانية ركبا لطريقه بابنة له بارعة الجمال تكرم عليه فلما صارت عند
لذريق وقعت عينه عليها فاعجبته شديدا ولم يملك نفسه حتى استكرهها
وافتضها فاحتالت حتى اعلمت والدها بذلك سرا بمكاتبة خفية فاحفظه
شانها جدا واشتد تحميته وقال ودين المسيح لازيلن سلطانه ولاحفرن
تحت قدميه فكان امتعاضه من فاحشة ابنته السبب في فتح الاندلس بالذي
سبق من قدر الله تعالى ثم ان بليان ركب بحر الزقاق من سبتة في اصعب الاوقات
في قلب الشتاء فصار بالاندلس واقبل الى طليطلة نحو الملك لذريق فانكر عليه
مجيئه في مثل ذلك الوقت وسال عما لديه ولم جاء في مثل وقته فذكر خيرا
واعتل بذكر زوجته وشدة شوقها الى روية ابنتها التي عنده وتمنيها لقاها قبل
الموت والحاحها عليه في احضارها وانه احب اسعافها ورجاء بلوغها امنيتها
منه وسال الملك اخراجها اليه وتعجيل اطلاقه لمبادرته بها ففعل واجاز
الجارية وتوثق منها في الكتمان عليه وافضل على ابيها فانقلب عنه وذكروا انه
لما ودعه قال له لذريق اذا قدمت علينا فاستفره لنا من الشذانقات التي
لم نزل نظرف بها فانها اشد جوارحنا لدينا فقال له ايها الملك وحق المسيح
لئن بقيت لادخلن عليك شذانقات ما دخل عليك مثلها قط عرض له بالذي

اضمره من السعي في ادخال رجال العرب عليه وهو لا يفطن فلم يتلبث بليان عند
استقراره بسبتة عمله ان تهيا للمسير نحو موسى بن نصير الامير فمضى نحوه بافريقية
وكلمه في غزو الاندلس ووصف له حسنها وفضلها وما جمعت من اشتات المنافع
وانواع المرافق وطيب المزارع وكثرة الثمار وثرارة المياه وعذوبتها وهون
عليه مع ذلك حال رجالها ووصفهم بضعف الباس وقلة الغناء فشوق موسى
الى ما هنالك واخذ بالحزم فيما دعاه اليه بليان فعاقده على الانحراف الى المسلمين
واستظهر عليه بان سامه مكاشفة اهل ملته من الاندلس المشركين والاستجراء
اليهم بالدخول اليها وشن الغارة فيها ففعل بليان ذلك وجمع جمعا من اهل
عمله فدخل بهم في مركبين وحل بساحل الجزيرة الخضراء فاغار وقتل وسبى وغنم
واقام بها اياما ثم رجع بمن معه سالمين وشاع الخبر عند المسلمين فانسوا
ببليان واطمانوا اليه وكان ذلك عقب سنة تسعين فكتب موسى بن نصير الى
امير المومنين الوليد بن عبد الملك يخبره بالذي دعاه اليه بليان من امر الاندلس
ويستاذنه في اقتحامها فكتب اليه الوليد ان خضها بالسرايا حتى ترى وتختبر
شانها ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الاهوال فراجعه بانه ليس ببحر زخار وانما
هو خليج منه يبين للناظر ما خلفه فكتب اليه وان كان فلا بد من اختباره
بالسرايا قبل اقتحامه فبعث موسى عند ذلك رجلا من مواليه من البرابرة اسمه
طريف يكنى ابا زرعة في اربعمائة رجل معهم مائة فرس سار بهم في اربع مراكب فنزل
بجزيرة تقابل جزيرة الاندلس المعروفة بالخضراء التي هي اليوم معبر سفائنهم ودار
صناعتهم ويقال لها اليوم جزيرة طريف لنزوله فيها فاقام بها اياما حتى تتام
اليه اصحابه ثم مضى حتى اغار على الجزيرة فاصاب سبيا لم ير موسى ولا اصحابه مثله
حسنا ومالا جسيما وامتعة وذلك في شهر رمضان سنة احدى وتسعين
فلما راى الناس ذلك تسرعوا الى الدخول وقيل دخل طريف في الف رجل فاصابوا
غنائم وسبيا ودخل بعده ابو زرعة شيخ من البرابرة وليس بطريف في رجال منهم
ايضا فاصابوا اهل الجزيرة قد تفرقوا عنها فضرموا عامتها بالنار وحرقوا
كنيسة بها كانت عندهم معظمة واصابوا سبيا يسيرا وقتلوا وانصرفوا
سالمين وقال الرازي هو ابو زرعة طريف بن مالك المعافري الاسم
طبق الكنية قالوا ثم عاود بليان القدوم على موسى بن نصير محركا في الاقتحام
على اهل الاندلس وخبره بما كان منه ومن طريف وابي زرعة وما نالوه من
اهلها وباشروه من طيبها فحمد الله على ذلك واستجد عزما في اقتحام المسلمين
فيها فدعا مولى له كان على مقدمته يسمى طارق بن زياد بن عبد الله فارسيا
همدانيا وقيل انه ليس بمولى لموسى وانما هو رجل من صدف وقيل مولى لهم وقد

كان تعقيبه بالاندلس ينكرون ولا موسى انكارا شديدا ووصل ابن بربري
من ثغره فعقد له موسى وبعثه في سبعة الاف من المسلمين جلهم البربر والموالي
وليس فيهم عرب الا قليل ووجه معه يليان فهيا له يليان المراكب فركب في اربع
سفن لا صناعة له غيرها وحط بجبل طارق المنسوب اليه يوم سبت في شعبان
سنة اثنتين وتسعين في شهر اغشت ثم صرف المراكب الى من خلفه من اصحابه فركب
من بقي من الناس ولم تزل السفن تختلف اليهم حتى توافى جميعهم عنده بالجبل
وقيل حل طارق بجبله يوم الاثنين لخمس خلون من رجب من السنة في اثني عشر
الفا غير ستة عشر رجلا من البرابر ولم يكن فيهم من العرب الا يسير اجازهم
يليان الى ساحل الاندلس في مراكب التجار من حيث لم يعلم بهم ولاة ولا وركب
اميرهم طارق اخرهم قبل واصاب طارق عجوزا من اهل الجزيرة فقالت له
في بعض قولها انه كان لها زوج عالم بالحدثان فكان يحدثهم عن امير يدخل الى
بلدهم هذا ويغلب عليه ويصف من نعته انه ضخم الهامة فانت كذلك ومنها
ان في كتفه الايسر شامة عليها شعر فان كانت بك هذه العلامة فانت هو
فكشف طارق ثوبه فاذا بالشامة في كتفه على ما ذكرته العجوز فاستبشر بذلك
هو ومن معه وذكر عن طارق انه كان نائما في المركب فراى في منامه النبي
صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة اصحابه عليهم السلام يمشون على الماء حتى
مروا به فبشره النبي صلى الله عليه وسلم بالفتح وامره بالرفق بالمسلمين والوفا
بالعهد وقيل انه لما ركب البحر غلبته عينه فكان يرى النبي صلى الله عليه وسلم
وحوله المهاجرون والانصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسي فيقول له
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا طارق تقدم لشانك ونظر اليه والى اصحابه
قد دخلوا الاندلس قدامه فهب من نومه مستبشرا وبشر اصحابه وثابت اليه
ثقة ببشراه فقويت نفسه ولم يتشكك في الظفر فخرج من البلد واقتحم
بسيط البلد شانا للغارة قالوا ووقع على لذريق الملك خبر اقتحام العرب
ساحل الاندلس وتوالت غاراتهم على بلد الجزيرة وان يليان السبب فيها وكان
يومئذ غائبا بارض بنبلونة في غزاة له الى البشكنس لامر كان استصعب عليه
بناحيتهم فعظم عليه وفهم الامر الذي منه اتي واقبل مبادرا الفتق في جموعه
حتى وصل مدينة قرطبة من الوسطة ونزل القصر المدعو بها ببلاط لذريق المنسوب
اليه وليس لانه بناه واخترعه وهو من بناء من تقدم من الملوك [illegible]
في قرطبة اذ انه ما الا ان العرب لما غلبوا لذريق ومنه القصر من مواطنه
نسبوه اليه اذ لم يعرفوا من بناه ويزعم العجم ان الذي بناه ملك منهم كان ساكنا
بحصن المدور واستقل قرطبة وخرج يوما يتصيد حتى انتهى الى مكان قرطبة

وبنى بومبيذ

وبنى بومبيذ خراب وكان في موضع قصره غيضة عليق ملتفة اشبة فارسل الملك
بازيا له بكرم على حجلة عنت له من ناحية الكدية المنسوبة بعد الى ابن
عبيدة فتحيت في ذلك العليق ولج البازي في الانقضاض عليها فركض الملك
خلفه حتى وقف على مكانه الى الخربة فامر بقطعها بالاستنقاذ بازيه منه
فقطعت وبدا له تحتها اساس قصر عظيم راقه رصفه وقد كان نذا منه فامر
بالكشف عنه وتقصي حدوده طولا وعرضا وتتبع اسه واصله فوجده مبنيا
من وجه الماء بصخر الحجارة فوق زجون وضع بينها وبين الماء باحكم صناعة
فقال ان هذا اثر ملك كريم وانا اولى من جدده فامر باعادته الى هيئته واتخاذه منزلا
من منزل لراحته فكان اذا اطاف بعمله او مضى في منصيده نزل فيه وصار السبب
في بناء قرطبة الحديثة ونزول الناس فيها وتوارثت الملوك قصرها من بعده ونزله
لذريق في زحفه الى العرب اياما والحشود من اعماله تترى اليه ثم مضى نحو كورة شذونة
سعيا للقائهم في حشوده الكثيرة وقيل ان اخر ملوك الاندلس الذين تلاهم العرب
غيطشة وانه هلك عن اولاد ثلاثة صغار لم يصلحوا للملك فضبطت امهم
عليهم ملكه وان لذريق بطليطلة وانحرف لذريق بابناء الجبل اولادهم فيمن تبعه
عنهم فصار بقرطبة فلما اقتحم طارق الاندلس نفر اليه لذريق واستنفر اجناد
اهل الاندلس وكتب الى اولاد غيطشة وقد ترعرعوا وركبوا الخيل واتخذوا
الرجال يدعوهم الى الاجتماع معه الى حرب العرب ويحذرهم من القعود عنه و
يحضهم على ان يكونوا على عدوهم يدا واحدة فلم يجدوا بدا وحشدوا وقدموا عليه
بقرطبة فنزلوا اكناف قرية شقندة بعدوة نهرها قبالة القصر ولم يطمئنوا
الى الدخول على لذريق اخذا بالحزم الى ان استتب جمع لذريق وخرج فانضموا اليه
ومضوا معه وهم مرصدون لمكروهه والاصح والله اعلم ما سبق ان ملك القوط
اجتمع للذريق واختلف في اسمه فقيل رذريق بالراء اوله وقيل باللام لذريق وهو
الاشهر وقيل ان اصله من اصبهان ويسمى الاشبان والله اعلم قالوا وعسكر
لذريق في نحو مائة الف ذوي عدد وعدة فكتب طارق الى موسى يستمده ويخبره
انه فتح الجزيرة الخضراء فرضة الاندلس وملك المجاز اليها واستولى على اعمالها
الى البحيرة وان لذريق زحف اليه بما لا قبل له به الا ان يشاء الله وكان موسى
منذ وجه طارقا لوجهه قد اخذ في عمل السفن حتى صار منها عنده عدة كثيرة
فحمل الى طارق فيها خمسة الاف من المسلمين مددا فكملت بهم عدة من معه اثني عشر
الفا قويا على الغنائم حراصا على اللقاء ومعهم يليان المستامن اليهم في رجاله
واهل عمله يدلهم على العورات ويتجسس الاخبار واقبل نحوهم لذريق في جموع العجم
وملوكها وفرسانها فتلاقوا فيما بينهم وقال بعضهم لبعض ان هذا ابن الخبيثة

قد غلب على سلطاننا وليس من اهله وانما كان من اتباعنا فلسنا نعدم من
سيرته خبالا في امرنا وهولاء القوم الطارقون لا حاجة لهم في استيطان بلادنا
وانما مرادهم ان يملاوا ايديهم من الغنايم ثم يخرجون عنا فانهزموا بابن
الخبيثة اذا نحن لقينا القوم لعلهم يكفوننا اياه فاذا انصرفوا عنا اقعدنا
في ملكنا من يستحقه فاجمعوا على ذلك واتفقوا على ما ارتاوه وكان لذريق ميمنة
احدى بني غيطشة وميسرته الاخر وكانا راسي الدين اذا راوا علية لهزيمة
واداهما الى ذلك طمع رجوع ملك والدهما اليهما وقيل لما تقابل الجيشان اجمع
اولاد غيطشة على الغدر بلذريق وارسلوا الى طارق يعلمونه ان لذريق كان تابعا
وخادما لابيهم فغلبهم على سلطانه بعد مهلكه وانهم غير تاركين حقهم لديه ويسالونه
الامان على ان يميلوا اليه عند اللقاء فيمن يتبعهم وان يسلم اليهم اذا ظفر ضياع
والدهم بالاندلس كلها وكانت ثلاثة الاف ضيعة نفايس مختارة ومنها التي
سميت بعد ذلك صفايا الملوك فاجابهم الى ذلك وعاقدهم عليه فالتقى
الفريقان من الغد وفاز الاولاد الى طارق فكان ذلك اقوى اسباب الفتح
وكان التقاوهم على وادي لكه من كورة شذونة فهزم الله الطاغية لذريق وجموعه
ونصر المسلمين نصرا لا كفاء له ورمى لذريق نفسه في وادي لكه وقد اثقله السلاح
فلم يعلم له خبر ولم يوجد وقيل نزل طارق بالمسلمين قريبا من عسكر لذريق
مستهل شهر رمضان سنة ٩٢ فوجه لذريق علجا من اصحابه قد عرف نجدته ووثق
بباسه ليشرف على عسكر طارق فيحزر عددهم ويعاين هيئاتهم ومراكبهم
واقبل ذلك العلج حتى طلع على العسكر ثم شد في وجوه من استشرفه من المسلمين
فوثبوا اليه فولى منصرفا راكضا وفاتهم بسبق فرسه فقال العلج للذريق اتتك
الصور التي كشف لك عنها التابوت فخذ على نفسك فقد جاءك منهم من لا يريد
الا الموت او اصابة ما تحت قدميك قد حرقوا مراكبهم اياسا لانفسهم من التعلق
بها وصفوا في السهل موطنين انفسهم على الثبات اذ ليس لهم في ارضنا
مكان مهرب فرعب وتضاعف جزعه والتقى العسكران بالبحيرة واقتتلوا
قتالا شديدا الى ان انهزمت ميمنة لذريق وميسرته انهزم بهما اولاد غيطشة
وثبت القلب بعدهما قليلا وفيه لذريق فخذ الملك بشيء من قتال ثم انهزموا
ولذريق امامهم فاستمرت بهم الهزيمة واذرع المسلمون القتل فيهم وخفي اثر لذريق
فلا يدرى ما جرى الا ان المسلمين وجدوا فرسه الاشهب الذي فقد وهو راكبه عليه
سرج له من ذهب مكلل بالياقوت والزبرجد ووجدوا احد خفيه وكان من
ذهب مكلل بالدر والياقوت وقد ساخ الفرس في طين وحماة وغرق العلج
فثبت احد خفيه في الطين فاخذ وخفي الاخر وغاب شخص العلج فلم يوجد حيا ولا
مبينا

مبينا والله اعلم بشانه **قال** الرازي وكانت الملاقاة يوم الاحد لليلتين
بقيتا من شهر رمضان فاتصلت الحرب بينهم الى يوم الاحد لخمس خلون من شوال
بتتمة ثمانية ايام ثم هزم الله المشركين فقتل منهم خلق عظيم اقامت عظامهم
بعد ذلك بدهر طويل ملبسة لتلك الارض قالوا وحاز المسلمون من عسكرهم ما يجل
قدره فكانوا يعرفون كبار العجم وملوكهم بخواتم الذهب يجدونها في اصابعهم ويعرفون
من دونهم بخواتم الفضة ويميزون عبيدهم بخواتم النحاس فجمع طارق الفي وخمسه
ثم اقتسمه اهله على تسعة الاف من المسلمين سوى العبيد والاتباع وتسامع
الناس من اهل بر العدوة بالفتح على طارق بالاندلس وسعة المغانم فيها فاقبلوا
نحوه من كل وجه وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر فلحقوا بطارق
وارتفع اهل الاندلس عند ذلك الى الحصون والقلاع وهربوا من السهل
ولحقوا بالجبال ثم اقبل طارق حتى نزل مدينة شذونة فامتنعوا عليه فشدد
الحصر عليهم حتى اهلكهم واضرهم فتهيا له فتحها عنوة فحاز منها غنايم ثم مضى
منها الى مدور ثم عطف الى قرمونة ثم بحيبة المنسوبة اليه ثم مال الى اشبيلية
فصالحه اهلها على الجزية ثم نازل اهل استجة وهم في قوة ومعهم فل عسكر لذريق
فقاتلوا قتالا شديدا حتى كثر القتل والجراح بالمسلمين ثم ان الله اظهر المسلمين
عليهم فانكسروا ولم يلق المسلمون فيما بعد حربا مثلها واقاموا على الامتناع الى
ان ظفر طارق بالعلج صاحبها وكان مفتقرا سيء التدبير فخرج الى النهر لبعض
حاجاته وحده فصادف طارقا لما ان قدا في مثل ذلك فطارق لا يعرفه فوثب عليه
طارق في الماء فاخذه وجاء به الى العسكر فلما كاشفه اعترف له بانه امير المدينة
فصالحه طارق على ما احب وضرب عليه الجزية وخلى سبيله فوفى بما عاهد عليه
وقذف الله الرعب في قلوب الكفرة لما راوا طارقا توغل في البلاد وكانوا يحسبونه
راغبا في المغنم عاملا على القفول فسقط في ايديهم وتطايروا عن السهول الى
المعاقل وصاعد ذووا القوة منهم الى دار مملكتهم طليطلة **قيل** وكان من
ارهابه لطارق النصارى بالاندلس وحيلة ان تقدم الى اصحابه في تفصيل لحوم القتلى
بحضرة اسراهم وطبخها في القدور ويوهمهم انما ياكلونها فيخلي من انطلق من
الاسرى يحدثون من وراءهم بذلك فيمتلي منه قلوبهم رعبا ويحملون فرارا
قالوا ووافى البليان لطارق قد تقضت الجيوش للقوم ورعبوا فاصعد ببعضهم
ومولاه ادلاء من اصحابه ثمرة ففرق جيوشه معهم في جهات البلاد واعمد نفسه
الى طليطلة حيث معظمهم فاشغل القوم عن النظر في امرهم والاجتماع الى
اولي رايهم ففرق طارق جيوشه من استجة فبعث مغيثا الرومي مولى الوليد
ابن عبد الملك الى قرطبة وكانت من اعظم مدائنهم في سبعمائة فارس من المسلمين

وركبوا جميعا خيل العجم ولم يبق فيهم راجل وفضلت عنهم الخيل وبعث جيشا اخر
الى مالقة واخر الى غرناطة مدينة البيرة وسار هو في معظم الناس الى كورة
جيان يريد طليطلة وقد قيل ان الذي سار لقرطبة طارق بنفسه لا مغيث
قالوا فمكثوا يتعرفون بنهر شقنده في غيضة ارز شامخة وارسلت الادلاء فامسكوا
راعي غنم فسئل عن قرطبة فقال رحل عنها عظما اهلها الى طليطلة وبقي فيها
اميرها في اربعمائة من حماتهم مع ضعفا اهلها وسئل عن سورها فاخبر انه
حصين عال فوق ارضها الا ان فيه ثغرة ووصفها فلما اجنهم الليل اقبلوا
نحو المدينة ووطا الله لهم اسباب الفتح بان ارسل السماء بردا اخفى وقع
حوافر الخيل واقبل المسلمون رويدا حتى عبروا النهر والنشر بين النهر والسور
الا مقدار ثلاثين ذراعا او اقل وراموا التعلق بالسور فلم يجدوا متعلقا
ورجعوا الى الراعي فدلهم على الثغرة التي ذكرها فاذا بها غير
متسهلة التسنم الا انه كانت في اسفلها شجرة تين مكنت افنانها من التعلق
بها فصعد رجل من اشدا المسلمين في اعلاها ونزع مغيث عمامته فناوله طرفها
واعان بعض الناس بعضا حتى كثروا على السور وركب مغيث ووقف من خارج
وامر اصحابه المرتقين للسور بالهجوم على الحرس ففعلوا وقتلوا نفرا منهم وكسروا
اقفال الباب وفتحوه فدخل مغيث ومن معه وملكوا المدينة عنوة فصمد
الى البلاط منزل الملك ومعه ادلاوه وقد بلغ الملك دخولهم المدينة فبادروا
بالفرار عن البلاط في اصحابه وهم زهاء اربعمائة وخرج الى الكنيسة بغربي المدينة
وتحصن بها وكان الما يأتيها تحت الارض من عين في سفح جبل ودافعوا عن انفسهم
وملك مغيث المدينة وما حولها وقال من ذهب الى ان طارقا لم يحضر فتح
قرطبة وان فاتحها مغيث انه كتب الى طارق بالفتح واقام على محاصرة العلج
بالكنيسة ثلاثة اشهر حتى ضاق من ذلك وطال عليه فتقدم الى اسود من عبيده
اسمه رباح وكان ذا باس ونجدة بالكمون في جنان الجانب الكنيسة ملتفة
الاشجار لعله ان يظفر له بعلج يقف به على خبر القوم ففعل ودعاه ضعف
عقله الى ان صعد في بعض تلك الاشجار وذلك لايام الثمر ليجتني ما ياكله فبصر
به اهل الكنيسة وشدوا عليه فاخذوه وملكوه وهم في ذلك هايبون له
منكرون لخلقته اذ لم يكونوا عاينوا اسود قبله فاجتمعوا عليه وكثروا لعظم
تعجبهم من خلقته وحسبوا انه مصنوع او مطلي ببعض الاشيا التي تسود
فجردوه وتسطجاعهم وادنوا الى القناة التي منها ما كان ياتيهم الماء واخذوا
في غسله وتدليكه بالحبال الخرشن حتى ادموه واعيوه فاستفعايهم واشار الى الذي
به خلقة من باريهم عن وجهه ففهموا عنه وكفوا عن غسله واشتد فزعهم منه ومكث

في اسارهم

في اسارهم سبعة ايام لا يتركون التجسس عليه من موضع الماء والنظر اليه
الى ان يسر الله الخلاص ليلا ففر واتى الامير مغيثا فاخبره بشانه وعرفه
بالذي اطلع عليه من موضع الماء الذي ياتيهم ومن اي ناحية ياتيهم فامر
اهل المعرفة فطلب تلك القناة في الجهة التي اشار اليها الاسود حتى
اصابوها فقطعوها عن جريها الى الكنيسة وسدوا منافذها فايقنوا
بالهلاك حينئذ فدعاهم مغيث الى الاسلام او الجزية فابوا عليه فاوقد النار
عليهم حتى احرقهم فسميت كنيسة الحرقى والنصارى تعظمها لصبر من كان
فيها على دينهم مع شدة البلا غير ان العلج اميرهم رغب بنفسه عن بليتهم
عندما تيقن الهلاك ففر عنهم وحده وقد استغفلهم وراما اللحاق بطليطلة
فنمى خبره الى مغيث فبادر الركض خلفه وحده فلحقه بقرب قرية تطليرة هاربا
وحده وتحته فرس اصفر رتيع الخطو وحرك مغيث خلفه فالتفت العلج ورعب
لما راى مغيثا قد رهقه وزاد في حث فرسه فقصر به فسقط عن الفرس واندقت
عنقه فقعد على ترسه مستميتا سرا قدما ضمنته السقطة فقبض عليه مغيث
وسلبه سلاحه وحبسه عنده ليقدم به على امير المؤمنين الوليد فلم يوسر
من ملوك الاندلس غيره لان بعضهم استامن وبعضهم هرب الى جليقية وفي
رواية ان مغيثا استنزل اهل الكنيسة بعد اسر ملكهم فضرب اعناقهم جميعا
فمن اجل ذلك عرفت بكنيسة الاسارى وان مغيثا جمع يهود قرطبة فضمهم الى
مدينتها استنامة اليهم دون النصارى للعداوة بينهم وانه اختار القصر
لنفسه والمدينة لاصحابه واما من وجه الى مالقة ففتحوها ولجا علوجها
الى جبال هنالك ممتنعة ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه الى البيرة فحاصروا
مدينتها غرناطة فافتتحوها عنوة وضموا اليهود الى قصبة غرناطة وصار
ذلك لهم سنة متبعة في كل بلد يفتحونه ان يضموا يهوده الى القصبة مع
قطعة من المسلمين لحفظها ويمضي معظم الناس لغيرها واذا لم يجدوا يهودا
وفروا عدد المسلمين المخلفين لحفظ ما فتح ثم صنعوا عند فتح كورة رية التي
منها مالقة مثل ذلك ومضى الجيش الى تدمير وتدمير اسم العلج صاحبها سميت
به واسم قصبتها اريولة ولها شان في المنعة وكان ملكها علجا ذا مينرة وقاتلهم
مصحرا ثم استمرت عليه الهزيمة في محصها فبلغ السيف في اهلها مبلغا عظيما
افنى اكثرهم ولجا العلج الى اريولة في يسير من اصحابه لا يغنون شيا فامر النسا
بنشر الشعور وحمل القصب والظهور على السور في زي القتال متشبهات
بالرجال وتصدر قدامهن في بقية اصحابه ليغالط المسلمين في قوته على الدفاع
عن نفسه فكره المسلمين مراسد لكثرة ما عاينوه على السور وعرضوا عليهم الصلح

فاظهر الميل اليه وتكرر اليه فنزلوا اليهم بامانه على انه رسول فصالحهم على المثل بالديم
على نفسه وتوثق منهم فلما تم له من ذلك ما اراد عرفهم بنفسه واعتذر اليهم
بالابقاء على قومه واخذهم بالوفاء بعهده فادخلهم المدينة فلم يجدوا فيها الا
العيال والذرية فندموا على الذي اعطوه من الامان واسترجحوه فيما اختاره
ومضت على الوفاء له وكان الوفاء عادتهم فسلمت كورة تدمير على حرمة المسلمين
بتدبير تدمير وصارت كلها صلحا ليس فيها عنوة وكتبوا الى اميرهم طارق بالفتح
وخلفوا بقصبتها البلد رجالا منهم ومضى المعظم الى اميرهم لفتح طليطلة قال
ابن حيان وانتهى طارق الى طليطلة دار مملكة القوط فالفاها خالية قد فر
اهلها عنها ولحقوا الى مدينة بها خلف الجبل فضم اليهود الى طليطلة وخلف
بها رجالا من اصحابه ومضى الى خلف من فر من اهل طليطلة فسلك الى وادي
الحجارة ثم استقبل الجبل فقطعه من فج سمي به بعد فبلغ مدينة المائدة
خلف الجبل وهي المنسوبة لسليمان بن داود عليهما السلام وهي خضراء من زبرجد
حافاتها منها وارجلها وكان لها ثلاثمائة وخمسة وستون رجلا فاحرزها
عنده ثم مضى الى المدينة التي تحصنوا بها خلف الجبل فاصاب بها حليا ومالا
ورجع ولم يتجاوزها الى طليطلة سنة ثلاث وتسعين وقيل انه لم يرجع بل
اقتحم ارض جليقية واخترقها حتى انتهى الى مدينة استرقة فدوخ الجهة و
انصرف الى طليطلة والله اعلم وقيل ان طارقا دخل الاندلس بغير امر مولاه
موسى بن نصير والله اعلم قال بعضهم وكانت اقامته بالفتوح وتدويخ
البلاد الى ان وصل سيده موسى بن نصير سنة وكان مما سيذكر وانشد
في المسهب وابن اليسع في المغرب لطارق من قصيدة قالها في الفتح

ركبنا سفينا بالمجاز مقيرا ✱ عسى ان يكون الله منا قد اشترى

نفوسا واموالا واهلا بجنة ✱ اذا ما اشتهينا الشيء فيها تيسرا

ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا ✱ اذا نحن ادركنا الذي كان اجدرا

قال ابن سعيد وهذه الابيات مما يكتب لمراعاة قائله وكانت لا تعلو
طبقته انتهى واما اولاد غيطشة فانهم لما صاروا الى طارق بالامان وكانوا
سبب الفتح حسبما تقدم قالوا لطارق انت امير نفسك ام فوقك امير فقال
بل على راسي امير وفوق ذلك الامير امير عظيم فاستاذنوه باللحاق بموسى بن نصير
بافريقية ليؤكدوا سببهم به وسالوه الكتاب اليه بشانهم معه وما اعطاهم
من عهده ففعل وساروا نحو موسى فتلقوه في انحداره الى الاندلس من اقصى بلاد
البربر وعرفوه بشانهم ووقف على ما خاطبه به طارق في ذمتهم وسابقتهم
فانفذهم الى امير المؤمنين الوليد بالشام بدمشق وكتب اليه بما عرفه به طارق

من جميل

من جميل اثرهم فلما وصلوا الى الوليد اكرمهم وانفذ لهم عهد طارق في ضياع
والدهم وعقد لكل واحد منهم سجلا وجعل لهم الا يقوموا للداخل عليهم فقدموا
الاندلس وحازوا ضياع والدهم اجمع واقتسموها على موافقة منهم فصار
منها لكبيرهم المنذر الف ضيعة في غرب الاندلس سكن من اجلها اشبيلية
مقتربا منها وصار لارطباش الف ضيعة وهو تلوه في السن وضياعه في
موسطة الاندلس فسكن من اجلها قرطبة وصار لثالثهم وقلة الف ضيعة
في شرقي الاندلس وجهة الثغر فسكن من اجلها مدينة طليطلة فكانوا على
هذه الحال صدر الدولة العربية الى ان هلك المنذر كبيرهم وخلف بنته
سارة المعروفة بالقوطية وابنين صغيرين فبسط يده ارطباش على ضياع عمهم
وضمها الى ضياعه وذلك في خلافة امير المؤمنين هشام بن عبد الملك فانشات
سارة بنت المنذر مركبا باشبيلية خصيبا كامل العدة وركبت فيه مع اخويها
الصغيرين تريد الشام حتى نزلت بعسقلان من ساحلها ثم قصدت باب الخليفة
هشام بداره بدمشق فانهت خبرها وتشكت ظلامتها من عمها واستعدت عليه
واحتجت بالعهد المنعقد لابيها واخوته على الخليفة الوليد بن عبد الملك فاوصلها
هشام الى نفسه واعجبته صرامتها وحزمها وكتب الى حنظلة بن صفوان عامله
بافريقية بانصافها من عمها ارطباش وامضائها واخويها على سنة الميراث
فيما كان في يد والدهما مما قاسم فيه اخوته فانفذ لها الكتاب بذلك الى عامله
بالاندلس ابي الخطار ابن عمه فتم لها ذلك وانكحها الخليفة هشام عيسى بن مزاحم
فابتنى بها بالشام ثم قدم بها الى الاندلس وقام لها في دفاع عمها ارطباش عن
ضياعها فنال بها نعمة عظيمة وولدت منه ولدين ابراهيم واسحاق فادركا
الشرف المؤثل ورياسة باشبيلية وشهرا ونسلهما بالنسبة الى امهما سارة القوطية
وكانت ايام وفادتها على الخليفة هشام رات عنده حفيده عبد الرحمن بن معاوية
الداخل بعد الى الاندلس وعرفها فتوسلت بذلك اليه لما ملك الاندلس ووفدت
اليه فاعترف بذمامها واكرمها واذن لها في الدخول الى قصره متى جاءت الى قرطبة
بتجديد تكرمتها ولا يحجب عيالها منها وتوفي زوجها عيسى في السنة التي ملك
فيها عبد الرحمن الاندلس فزوجها عبد الرحمن من عمير بن سعيد وكان لها
ولابيها المنذر وعمها ارطباش في صدر الدولة العربية بالاندلس اخبار ملوكية
فمنها ما حكاه الفقيه محمد بن عمر بن لبابة المالكي انه قصد ارطباش يوما الى منزله
عشرة من رؤساء رجال الشاميين منهم الصميل وابن الطفيل وابو عبيدة وغيرهم
فاجلسهم على الكراسي وبالغ في تكرمتهم ودخل على اثرهم ميمون العابد جد بني حزم
وكان في عداد الشاميين الا انه كان شديد الانقباض عنهم لزهده وورعه فلما

بصره ارطباش قام اليه دونهم اعظاما وزفاه الى كرسيه الذي يجلس عليه
وكان ملبسا صفايح الذهب وحذيه ليجلسه مكانه فامتنع عليه ميمون وقعد
على الارض فقعد ارطباش معه عليها واقبل عليه قبلهم فقال يا سيدي ما الذي
جاء بك الى مثلي فقال له ما تسمعه انا قدمنا الى هذا البلد غزاة نحسب ان
مقامنا فيه لا يطول فلم نستعد للمقام ولا كثرنا من العدة ثم حدثت بعدنا
على موالينا وفي اجنادنا ما قد ايسنا معه من الرجوع الى اوطاننا وقد وسع
الله عليك فاحب ان تدفع الي ضيعة من ضياعك واعتمرها بيدي واودي اليك
الخرج عنها واخذ الفضل لي طيبا اتعيش منه فقال لا ارضى لك بالمسامحة بل
اهب لك هبة مسوغة ثم دعا بوكيل له فقال له سلم اليه المحشر الذي لنا على
وادي شوش بما لنا فيه من العبيد والدواب والبقر وغير ذلك وادفع اليه
الضيعة التي بحيان فتسلم ميمون الضيعتين وورثهما ولده واليهم تنسبت
قلعة حزم فشكره ميمون واثنى عليه واقام عنده وقد اتى الصميل من قبالة اليه
فاقبل على ارطباش وقال له كنت اظنك ارجح وزنا ادخل عليك وانا سيد
العرب بالاندلس في اصحابي هؤلاء وهم سادة الموالي فلا تزيد في نزل الكرامة على
الاقعاد على اعواد ذلك منزله ويدخل هذا الصعلوك فتصير من اكرامه الى حيث
صرت فقال له يا ابا جوشن ان اهل دينك يخبروننا ان اديانهم لم ينسخ ولو
كان لم تنكر على ما فعلته انكم اكرمكم الله انما تكرمون لدنياكم وسلطانكم وهذا انما
اكرمته لله تعالى فقد روينا عن المسيح عليه السلام انه قال من اكرمه الله من
عباده بالطاعة له وجبت كرامته على خلقه وكانما العتبة حجرا وكان الصميل اميا
فلذلك عرض به فقال له القوم دعنا من هذا وانظر فيما قصدنا له حاجتنا
حاجة الرجل الذي قصدك فاكرمته فانظر في شاننا فقال لهم انتم ملوك الناس
وليس يرضيكم الا الكثير وها انا اعطيكم ماية ضيعة تقتسمونها عشرا عشرا
وكتب لهم بها وامر وكلاه بتسليمها اليهم فكان القوم يرونها من اطيب املاكهم
انتهى قال ابن حيان وغيره ولما بلغ موسى بن نصير ما صنعه طارق بن زياد
ابيح له من الفتوح حسده وتهيا للمسير الى الاندلس فعسكر واقبل نحوها ومعه
جماعة الناس واعلامهم وقيل انهم كانوا ثمانية عشر الفا وقيل اكثر وكان
دخوله الى الاندلس في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وتنكب الجبل الذي
حله طارق ودخل على الموضع المنسوب اليه المعروف الان بجبل موسى فلما احتل
الجزيرة الخضرا قال لما كنت لا اسلك طريق طارق ولا اقفوا اثره فقال له العلوج
الادلا اصحاب يليان نحن نسلك بك طريقا هو اشرف من طريقه وندلك
على مداين هي اعظم خطبا واوسع غنما من مداينه لم تفتح بعد يفتحها الله عليك

ان شاء

ان شاء الله تعالى فملى سرورا وكان شغوف طارق قد غمه فساروا به في جانب
ساحل شذونة فافتتحها عنوة والقوم بايديهم اليه ثم ساروا الى مدينة
قرمونة وليس بالاندلس احصن منها ولا ابعد على من يرومها بحصار او
قتال فدخلها بحيلة توجهت باصحاب يليان دخلوا اليهم كانهم فلال وطرقهم
موسى بخيله ليلا ففتحوا لهم الباب واوقعوا بالاحراس فملكت المدينة ومضى موسى
الى اشبيلية جارتها فحاصرها وهي اعظم مداين الاندلس شانا واعجبها بنيانا
واكثرها اثارا وكانت دار المملكة قبل القوطيين فلما غلب القوطيين على
ملك الاندلس حولوا السلطان الى طليطلة وبقي رؤساء الدين فيها اعني اشبيلية
فامتنعت شهرا على موسى ثم فتحها الله عليه فهرب العلوج عنها الى مدينة
باجة فضم موسى يهودها الى القصبة وخلف بها رجالا ومضى من اشبيلية الى
الفنت الى مدينة ماردة وكانت ايضا دار مملكة لبعض ملوك الاندلس في
سالف الدهر وهي ذات عز ومنعة وفيها اثار وقصور ومصانع وكنايس جليلة
القدر فايقة الوصف فحاصرها ايضا وكانت في اهلها منعة شديدة وباس عظيم
فنالوا من المسلمين دفعات واذوهم وعمل موسى دبابة دب المسلمون تحتها الى
برج من ابراج سورها جعلوا ينقبونه فلما قلعوا الصخر افضوا بعده الى العمل
المدعو بلسان العجم الاشة ماشة فكلت عنه معاولهم وعدتهم وثار بهم العدو
على غفلة فاستشهد بايديهم قوم من المسلمين تحت تلك الدبابة فسمي ذلك
الموضع برج الشهداء ثم دعا القوم الى الصلح فترسل اليه في تقريره قوم من اماثلهم
اعطاهم الامان واحال في توسيمهم في نفسه فدخلوا عليه اول يوم فاذا هو ابيض
الراس واللحية كما نصل خضابه فلم يتفق لهم معه امر وعاودوه قبل الفطر بيوم
فاذا به قد قنا لحيته بالحنا فجاءت كضرام عرفج فتعجبوا من ذلك وعاودوه يوم
الفطر فاذا هو قد سود لحيته فازداد تعجبهم منه وكانوا لا يعرفون الخضاب
ولا استعماله فقالوا لقومهم انا نقاتل انبياء يتخلقون كيف شاووا ويتصورون
في كل صورة احبوا كان ملكهم شيخا فقد صار شابا والراي ان نقاربه ونعطيه ما
يساله فما لنا به طاقة فادعنوا عند ذلك واكملوا صلحهم مع موسى على ان اموال
القتلى يوم الكمين واموال الهاربين الى جليقية واموال الكنايس وحليها للمسلمين
ثم فتحوا له المدينة يوم الفطر سنة ٩٤ فملكها ثم ان عجم اشبيلية انتقضوا على
المسلمين واجتمعوا من مدينتي باجة ولبلة اليهم فاوقعوا بالمسلمين وقتلوا
منهم نحو ثمانين رجلا واتى فلهم الامير موسى وهو بماردة فلما ان فتحها وجه ابنه
عبد العزيز بن موسى في جيش اليهم ففتح اشبيلية وقتل اهلها ونهض الى لبلة
ففتحها واستقامت الامور فيها هنالك وعلا الاسلام واقام عبد العزيز باشبيلية

وتوجه الامير موسى من ماردة في عقب شوال من العام المؤرخ يريد طليطلة
وبلغ طارقا خبره فاستقبله في وجوه الناس فلقيه في موضع من كورة طلبيرة
وقيل ان موسى تقدم من ماردة فدخل جليقية من فج نسب اليه فخرقها حتى
وافا طارق بن زياد صاحب مقدمته بمدينة استرقة فتقض منه علانية و
اظهر ما بنفسه عليه من حقد والله اعلم وقيل لما وقعت عينه عليه نزل
اليه اعظاما له فقنعه موسى بالسوط ووبخه على استبداده عليه ومخالفة
لرايه وساروا الى طليطلة فطالبه موسى باداء ما عنده من مال الفيء وذخائر
الملوك واستعجله بالمائدة فاتاه بها وقد خلع من ارجلها رجلا وخباه
فسأله موسى عنه فقال لا علم لي به وكذا اصبتها فامر موسى فجعل لها رجل من
ذهب جاء بعيد الشبه من ارجلها يظهر عليه التعمل ولم يقدر على احسن
منها فاخل بها وقال ابن الفرضي موسى بن نصير صاحب فتح الاندلس لخمي يكنى
ابا عبد الرحمن يروي عن تميم الداري وروى عنه يزيد بن مسروق اليحصبي وقيل
غزا موسى بن نصير في المحرم سنة ثلاث وتسعين فاتى طنجة ثم عبر الى الاندلس
فاذا اجمالا اتى على مدينة الانتخاب ونزل اهلها على حكمه ثم سار الى قرطبة ثم
قفل عن الاندلس سنة ٩٤ فاتى افريقية وسار عنها سنة ٩٥ الى الشام يوم الوليد
ابن عبد الملك بما اصاب من غنائم الاندلس وسار عنها سنة ٩٥ والامتعة
يحملها على العجل والظهر ومعه ثلاثون الف راس من السبي فلم يلبث ان هلك
الوليد وولي سليمان فنكب موسى نكبا ادته الى المنزلة فهلك في نكبته تلك بوادي
القرى سنة ٩٧ قال ابن حيان ومنه المائدة المنوه باسمها المنسوبة الى سليمان
النبي عليه السلام لم تكن له فيما يزعم رواة العجم وانما اصلها ان العجم في ايام ملكهم
كان اهل الحسبة منهم اذا مات احدهم اوصى بمال للكنائس فاذا اجتمع عندهم
ذلك المال لصاغوا منه الالات الضخمة من الموائد والكراسي واشباهها من الذهب
والفضة تحمل الشمامسة والقسوس فوقها مصاحف الاناجيل اذا ابرزت في
ايام المناسك ويضعونها على المذابح في الاعياد للمباهاة بزينتها فكانت تلك
المائدة بطليطلة مما صيغ في هذه السبيل وتانقت الاملاك في تفخيمها يزيد
الاخر منهم فيها على الاول لخلفي برزت على جميع ما اتخذ من تلك الالات وطار الذكر
مطار عنها وكانت مصوغة من خالص الذهب مرصعة بفاخر الدر والياقوت
والزمرد ولم تر الاعين مثلها وبولغ في تفخيمها من اجل دار المملكة وانه لا ينبغي
ان يكون موضع الة جمالا ومتاع مباهاة الادون ما يكون فيها وكانت توضع
على مذبح كنيسة طليطلة فاصابها المسلمون هنالك وطار البناء العظيم
وقد كان طارق ظن موسى اميره مثل الذي فعله من غيرته على ما تهيأ له ووطا كسبه

له بتسليم ما في يده اليه فاستظهر بانتزاع رجل من ارجل هذه المائدة خباه
عنده فكان من حجته به على موسى عند الخليفة اذ اثنا زعا عنده بعد
الاثر فيها وهما ما هو مشهور انتهى وقال بعض المؤرخين ان المائدة
كانت مصنوعة من الذهب والفضة وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت
وطوق زمرد وكلها مكللة بالجواهر انتهى وما ذكره ابن حيان من ان الذي
نكب موسى بن نصير هو سليمان بن عبد الملك صواب واما ما حكاه ابن خلكان
من ان المنكب له الوليد فليس بصحيح والله اعلم رجع الى كلام ابن حيان قالوا
ثم ان موسى اصطلح مع طارق واظهر الرضى عنه واقره على مقدمته على رسمه وامره
بالتقدم امامه في اصحابه وسار موسى خلفه في جيوشه فارتقى الى الثغر الاعلى
وافتتح سرقسطة واعمالها واوغل في البلاد وطارق امامه لا يمران بموضع الا
وفتح عليهما وغنمهما الله ما فيه وقد القى الله الرعب في قلوب الكفرة فلم يبارز
احد الا بطلب صلح وموسى يجيء على اثر طارق في ذلك كله ويكمل ابتداه ويولف
للناس ما عاهدوه عليه فلما اصفقا الثغر كله وطاءت نفوس من اقام على سلمه
ووطا لاقدام المسلمين في الحلول بما اقام لتمييز ذلك وقتا وامضى المسلمين الى
افرنجة فغنموا وغنموا وسلموا واوغلوا حتى انتهى الى وادي رذونة فكان اقصى
اثر العرب ومنتهى موطيهم من ارض العجم وقد وحت بعوث طارق وسراياه
بلاد افرنجة فملكت مدينتي برشلونة واربونة وصخرة ابنيون وحصن لودون على
وادي رذونة فتعدوا عن الساحل الذي منه دخلوا احدا وذكر ان
مسافة ما بين قرطبة واربونة من بلاد افرنجة ثلاث مائة فرسخ وخمسة وثلاثون
فرسخا وقيل ثلاثمائة فرسخ وخمسون فرسخا ولما اوغل المسلمون الى اربونة
ارتاع لهم قارله ملك الافرنجة بالارض الكبيرة وانزعج لانبساطهم فحشد لهم
وخرج عليهم في جمع عظيم فانتهى الى الحصن لودون وعلمت العرب بكثرة جموعه زالت
عن وجهه واقبل حتى انتهى الى صخرة ابنيونة فلم يجد بها احدا وقد عسكر المسلمون
قدامه فيما بين الاجبل المجاورة لمدينة اربونة ومنهم بجبال عزة لا عيون لهم ولا طلائع
فما شعروا حتى احاط بهم عدو الله قارله فاقتطعهم عن الجبا الى مدينة اربونة
وواضعهم الحرب فقاتلوا قتالا شديدا استشهد فيه جماعة منهم وحمل جمهورهم
على صفوفه حتى اخترقوها ودخلوا المدينة ولاذوا بحصانتها فنازلهم بها اياما
اصيب له فيها رجال وتعذر عليه المقام وخامره ذعر وخوف مدد المسلمين فزال
عنهم راحلا الى بلده وقد نصب في وجوه المسلمين حصونا على وادي رذونة شحنها
بالرجال فصيرها ثغرا بين بلده والمسلمين وذلك بالارض الكبيرة خلف الاندلس
وقال الحجاري في المسهب ان موسى بن نصير نضر الله نضرا ما عليه مزيد

واجفلت ملوك النصارى بين يديه حتى خرج على باب الاندلس الذي في الجبل الحاجز
بينها وبين الارض الكبيرة فاجتمعت الافرنج الى ملكها الاعظم قارله وهذه سمة
لملوكهم فقالت له ما هذا الخزي الباقي في الاعقاب كنا نسمع بالعرب ونخافهم
من جهة مطلع الشمس حتى اتوا من مغربها واستولوا على بلاد الاندلس وعظيم
ما فيها من العدة والعدد بجمعهم القليل وقلة عدتهم وكونهم لا دروع لهم فقال
لهم ما معناه الراي عندي ان لا تعترضوهم في خرجتهم هذه فانهم كالسيل يحمل
من يصادره وهم في اقبال امرهم ولهم نيات تغني عن كثرة العدد وقلوب تغني
عن حصانة الدروع ولكن امهلوهم حتى تمتلي ايديهم من الغنائم ويتخذوا المساكن
ويتنافسوا في الرياسة ويستعين بعضهم ببعض فحينئذ تتمكنون منهم بايسر
امر قلنا وكان والله كذلك بالفتنة التي طرات بين الشاميين والبلديين
والبربر والعرب والمضرية واليمانية وصار بعض المسلمين يستعين على بعض
بمن يحاربهم من الاعداء انتهى وقيل ان موسى بن نصير اخرج ابنه عبد الاعلى الى تدمير
لفتحها والى غرناطة ومالقة وكورة رية ففتح الكل وقيل انه لما حاصر ماردة
وكان ملكها ضعيف الراي قليل التحفظ وكان يخرج الى جنان له بجانب المدينة
طلبا للراحة من غمة الحصار من غير نصب شين وتقدم طليعته وعرف عبد الاعلى
بامره فاكمن له في جنبات الجنة التي كان يتنزه بها فوجا من وجوه فرسانه ذوي
راي وحزم ارصدوا له ليلا فظفروا به وملكوه فاخذ المسلمون المدينة عنوة
وملاوا ايديهم غنيمة قيل وكانت نفس موسى بن نصير في ذلك كله تنزع
الى دخول دار الكفر جليقية فبينما هو يعمل في ذلك ويعد له اذ اتاه مغيث
الرومي رسول الوليد بن عبد الملك ومولاه يامره بالخروج عن الاندلس والاعراض
عن الوغول فيها وياخذ ما لقفوله فساءه ذلك وقطع به عن ارادته اذ لم
يكن في الاندلس بلد لم تدخله العرب الى وقته ذلك غير جليقية فكان شديد الحرص
على اقتحامها فلاطف موسى مغيثا رسول الخليفة وسأله انتظاره الى ان
ينفذ عزمته في الدخول اليها والمسير معه في البلاد اياما ويكون شريكه في الاجر
والغنيمة ففعل ومشى معه حتى بلغ المفازة وافتتح حصن بارو وحصن لك
فاقام هنالك وبث السرايا حتى بلغوا صخرة بلاي على البحر الاخضر فلم يبق كنيسة
الا هدمت ولا ناقوس الا كسر وطاعت الاعاجم فلاذوا بالسلم وبذل الجزية
وسكنت العرب المفاوز وكانت العرب والبربر كلما مر قوم منهم بموضع استحسنوه
حطوا به ونزلوه قاطنين فاتسع نطاق الاسلام بارض الاندلس وخذل
الشرك سيما موسى كذلك في استعداد الظهور وقوة الامل اذ قدم عليه
رسول اخر من الخليفة يكنى ابا نصر اردفه الوليد مغيثا لما استبطا موسى في

القفول وكتب اليه بوعيد ويامره بالخروج ولزوم رسوله فعاجا فاقلع حينئذ
من مدينة لك بجليقية وخرج على الفج المعروف بفج موسى ووافاه طارق في الطريق
منصرفا من الثغر الاعلى فاقفله معه بغنيمته ومضيا جميعا ومعهما من الناس
من اختار القفول واقام من اثر السكنى في مواضعهم التي كانوا قد اختطوها
واستوطنوها وقفل معهم الرسولان مغيث وابو نصر حتى احتلوا باشبيلية
فاستخلف موسى ابنه عبد العزيز على امارة الاندلس واقره بمدينة اشبيلية
لاتصالها بالبحر ونظرا العزيه من مكان المجاز وركب موسى البحر الى المشرق بذي
حجة خمس وتسعين وطارق معه وكان مقام طارق بالاندلس قبل دخول موسى
سنة وبعد دخوله سنتين واربعة اشهر وحمل موسى الغنائم والسبي وهو
ثلاثون الف راس والمائدة منوه بها ومعها من الذخائر والجواهر ونفيس الامتعة
ما لا يقدر قدره وهو مع ذلك متلهف على الجهاد الذي فاته اسيف على ما لحقه من
الازعاج وكان يومل ان يخترق ما بقي عليه من بلاد افرنجة ويقتحم الارض الكبيرة حتى
يتصل بالناس الى الشام مؤملا ان يتخذ مخترقه بتلك الارض طريقا مهيعا
يسلكه اهل الاندلس في مسيرهم ومجيئهم من المشرق واليه على البر لا يركبون
بحرا وقيل انه وغل في بحر افرنجة حتى انتهى الى مفازة كبيرة وارض سهلة
ذات اثار فاصاب فيها صنما عظيما قائما كالسارية مكتوب فيه بالنقر كتابة
غريبة قريت فاذا هي يا بني اسماعيل انتهيتم فارجعوا فهاله ذلك وقال لمن
كتب هذا الا لمعنى كبير فشاور اصحابه في الاعراض عنه وجوازه الى ما وراءه
فاختلفوا عليه فاخذ براي جمهورهم وانصرف بالناس وقد اشرفوا على قطع
البلاد وتقصي الغاية وقال الرازي ان موسى خرج من افريقية الى
الاندلس في رجب سنة ٩٣ واستخلف على افريقية اسن ولده عبد الله بن موسى
وكان موسى في عشرة الاف قال وكان عبد الملك بن مروان هو الذي عقد لموسى
المغرب في خلافته ففتح له في اهل البرابرة فتوح كبار حتى بعث الى عبد الملك
في الخمس بعشرين الف سبية ثم اردفها بعشرين الفا اخرى كل ذلك من البربر
فتعجب عبد الملك بن مروان من كثرة ذلك وزعم ابن حبيب انه دخل الاندلس
رجل واحد من اصاغر الصحابة وهو المنيذر قال ودخلها من التابعين
ثلاثة موسى الامير وعلي بن رباح اللخمي وحيوة بن رجاء التميمي وقيل ان التابعين
انما هو حنش بن عبد الله الصنعاني صنعاء الشام وانهم قفلوا عنها بقفول
موسى واهل قسطنطة يزعمون ان حنشا ثم عندهم ولم يقفل للمشرق
وقبره لديهم مشهور يتبركون به ولا يختلفون فيه والله اعلم وقيل
ان التابعين اربعة بابي عبد الرحمن الحبلي الانصاري واسمه عبد الله بن يزيد

والله اعلم وحسنهم بعضهم بحيان بن ابي جبلة مولى بني عبد الدار وكان في ديوان
مصر فبعثه عمر بن عبد العزيز الى افريقية في جماعة من الفقهاء ليفقهوا اهلها
وكان يروي عن عمرو بن العاص وابن عباس وابن عمر وحدث عنه عبد الرحمن بن
زياد بن انعم وغيره وغزا مع موسى حين افتتح الاندلس وانتهى معه الى حصن
من حصون العدو يقال له قرقشونة ~~ وقيل بل قفل الى افريقية فتوفي بها
بعد العشرين ومائة وقال ابن حيان ان فيها سبع سواري من فضة
خالصة لم ير الراؤون مثلها لا يحيط الانسان بذراعيه على واحدة منها
مع طولها المفرط وحنش الصنعاني المذكور تابعي جليل كان مع علي رضي الله عنه
بالكوفة وقدم مصر بعد قتله فصار يعداده في المصريين وكان ممن قام مع
ابن الزبير على عبد الملك بن مروان فعفا عنه وكفى الاندلس شرفا دخولها
وعلي بن رباح بصري تابعي يكنى ابا عبد الله وهو لخمي ولد عام اليرموك سنة ١٥
قال ابن معين اهل مصر يقولونه بفتح العين واهل العراق يقولونه بضمها
وروى الليث عن ابنه موسى بن علي وكانت لعلي من عبد العزيز بن مروان مكانة
وهو الذي زف ابنته ام البنين لزوجها الوليد ثم عتب عليه عبد العزيز فاغزاه
افريقية واما المنيذر الصحابي فلم يثبته ابن حبيب وذكره ابن عبد البر
في الصحابة وقال انه المنيذر الافريقي وروى عنه ابو عبد الرحمن الحبلي قال
حدثنا المنيذر الافريقي وكان سكن افريقية وكان صحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه سمعه صلى الله عليه وسلم يقول من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا
وبمحمد نبيا فانا الزعيم لآخذن بيده فلادخلنه الجنة ورواه عنه ابن
عبد البر بسنده اليه وسيأتي ان شاء الله تعالى في ذكر المنيذر مزيد ولما
قفل موسى بن نصير الى المشرق واصحابه سأل مغيثا ان يسلم اليه العلج
صاحب قرطبة الذي كان في اساره فامتنع عليه وقال لا يؤديه الى الخليفة
سواي وكان يدل بولايته من الوليد فهجم عليه موسى فانتزعه منه فقيل له
ان سرت به حيا ادعاه مغيث والعلج لا ينكر قوله ولكن اضرب عنقه
ففعل فاضطغنها عليه مغيث وصار الب مع طارق الساعي عليه وقال
لا يؤديه للخليفة سواي واستخلف موسى على طنجة وما يليها من المغرب ابنه
الآخر عبد الملك وقد كان قدم استخلف بافريقية اكبر اولاده عبد الله
فصار جميع المغرب والاندلس بيد اولاده وابنه عبد الله الذي خلفه بافريقية
هو الفاتح لجزيرة ميورقة وسار موسى فورد الشام واختلف الناس هل كان
وروده قبل موت الوليد او بعده فمن يقول بالثاني قال قدم على سليمان
حين استخلف وكان منحرفا عنه فسبق اليه طارق ومغيث بالشكية

منه

منه ورمياه بالخيانة واخبراه بما صنع بهما من خبر المائدة والعلج صاحب
قرطبة وقالا له انه قد غل جوهرا عظيم القدر اصابه لم يحو الملوك من بعد
فتح فارس مثله فلما وافى سليمان وجده ضغينا عليه فاغلظ له واستقبله
بالتأنيب والتوبيخ فاعتذر ببعض العذر وسأله عن المائدة فاحضرها
فقال له زعم طارق انه الذي اصابها دونك قال لا وما رآها قط الا عندي
فقال طارق فليسأله امير المؤمنين عن الرجل التي ينقصها فسأله فقال له
هكذا اصبتها وعوضتها رجلا صنعتها لها فحول طارق يده الى قبائه فاخرج
الرجل فعلم سليمان بصدقه وكذب موسى فحقق جميع ما رمي به عنده وعزله عن
جميع اعماله واقصاه وحبسه وامر بتقصي حسابه فاغرمه غرما عظيما كشفه
فيه حتى اضطره الى ان سأل العرب معونته فيقال ان لخما حملت عنه في اعطيتها
تسعين الف دينار وقيل حمله سليمان غرم ما يتجاوز العقادي ما بين الف الف
فاستجار بيزيد بن المهلب ثم سليمان فاستوهبه من سليمان فوهبه اياه
الا انه عزل ابنه عبد الله عن افريقية وقال الرازي ان الذي اتبع موسى
عن الاندلس ابو نصر رسول الوليد فقبض على عماله وثناه فاقلوا وقفل معه
من احب المشرق وكان اكثر الناس فتنوا ببلاد الاندلس لطيبها فاقاموا فيها
وذهب جماعة من اهل التاريخ الى ان موسى انما قدم على الوليد وان سليمان ولي
العهد لما سمع بقرب موسى بن نصير من دمشق وكان الوليد مريضا كتب اليه
يأمره بالتربص في الطريق ليكون قدومه في اول خلافته بتلك الغنائم الكثيرة التي ما رئي ولا سمع مثلها
فيعظم بذلك مقام سليمان عند الناس فابى موسى من ذلك وجد في سيره
واعد السير حتى قدم على الوليد حتى قبل له الاخماس والمغانم والتحف والذخائر
فلم يلبث الوليد الا يسيرا بعد قدوم موسى وتوفي واستخلف سليمان فحقد
عليه وامر باقامته في الشمس حتى كاد يهلك واغرمه اموالا عظيمة
ودس الى اهل الاندلس بقتل ابنه الذي استخلفه على الاندلس وهو عبد العزيز
ابن موسى وكان تولى الاندلس بعد قفول ابيه عنها باستخلافه اياه كما سبق
فضبط سلطانها وضم نشرها وسد ثغورها وافتتح في ولايته مدائن كثيرة
مما كان بقي على ابيه موسى منها وكان من خيار الولاة الا ان مدته لم تطل لوثوب
الجند به وقتلهم اياه عقب سنة ٩٥ في خلافة سليمان الموقع بابيه موسى اشياء
نقموها عليه منها زعموا انه تزوج زوجة لذريق المكناة ام عاصم وكانت قد
صالحت عن نفسها واموالها وقت الفتح وبقيت بالجزيرة واقامت على دينها في
ظل نعمتها الى ان نكحها الامير عبد العزيز فحظيت عنده ويقال انه سكن بها
في كنيسة باشبيلية وانها قالت له لم لا يسجد لك اهل مملكتك كما كان يسجد

للذين تزوجها الاولا هل تملكته فقال ان هذا حرام في ديننا فلم تقنع منه بذلك
وحملها لكثرة شغفه بها ان عدم ذلك مما يزري بقدره عندها فاتخذ بابا صغيرا
قبالة مجلسه يدخل علينا الناس منه ليتخاضعوا وافهمها ان ذلك لفعل
ينهم تحيته له فرضيت بذلك فنمي الخبر الى الجند مع ما انضم اليه من دسيسة
سليمان لهم في قتله فقتلوه سامحه الله تعالى **وذكر** بعض المؤرخين
معناه انهم وجدوا في الحجر بعد ما تقدم من الكتابة التي هي ارجعوا يا بني اسمعيل الى ما
وان لم ترجعون فاعلموا انكم ترجعون ليضرب بعضكم رقاب بعض انتهى
قال ابن حيان وليحيى بن حكم الشاعر المعروف بالغزال في فتح الاندلس ارجوزة
حسنة مطولة نظم فيها ذكر السبب في غزوها وتفصيل الوقايع بين المسلمين
واهلها واغتدا دالامر اعلنها واسماء من جاد وتفصي ومنى بايدي الناس موجود
انتهى وقد عرفت مما سبق تفصيل ما اجمله ابن خلدون ولذا الروايات في فتح
الاندلس مختلفة وقد ذكرنا نحن بحسب ما اقتضاه الوقت ما فيه كفاية
واشرنا الى بعض الاختلاف في ذلك ولو بسطنا العبارة في الفتح لكان وحده
في مجلد واكثر وعلم مما المعنا به من كلام ابن خلدون السابق ذكر الولاة للاندلس
من لدن الفتح وهم من قبل بني مروان بالمشرق المنفردين بامامة المسلمين
اجمعين قبل تفرقهم الى ان انقرضت دولتهم العظيمة التي هي اشهر فانتقل
الاندلس عن بني العباس الدايلين على بني مروان الناسخين لهم قبل المراوليين
عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وافتعدوا بها دار
مملكة مستقلة لنفسه ولاعقابه وجمع بها شمل بني امية وموا اليهم واورثها
بنيه حقبة من الدهر تخفا نقاسي في ذلك خطوبا واجتمع عليه ثم على ذريته
من بعده اهل الاندلس اجمعون رضي بهم دون بني العباس بعد ان حاول بنو
العباس ملكها بان تولوا بعض روساء العرب وامروهم بالقيام على عبد
الرحمن والدعاء للعباسيين القاطعين جرثومة دولة بني مروان فلم يتيسر
ذلك وظفر عبد الرحمن بمن نصبه له الحرب في ذلك وقتل منهم الافا وذلك في
مدة المنصور كما سياتي ان شاء الله تعالى عند ذكر عبد الرحمن الداخل في موضع
اخر وسنذكر قريبا ولاة الاندلس من حين الفتح الى امارة الداخل وان سبق
في كلام ابن خلدون **وقال** بعضهم كانت ولادة موسى بن نصير في خلافة
عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٩ من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة
والسلام وعلى اله وصحبه اجمعين **وقال** الحجاري في المسهب يحكى ان
موسى بن نصير الذي بنفسه على يزيد بن المهلب بمكانه من امير المومنين سليمان
ابن عبد الملك وطلب منه ان يكلمه في ان يخفف عنه فقال له يزيد اريد

اذا سئلا

انا اسئلك فاصغ الي قال سل عما بدا لك فقال له لم ازل اسمع عنك انك
من اعقل الناس واعرفهم بمكايد الحروب ومدارات الدنيا فقل لي كيف
حصلت في يد هذا الرجل بعد ما ملكت الاندلس والقيت بينك وبين
هولاء القوم البحر الزخار وتيقنت بعد المرام واستصعابه واستخلصت
بلادا انت افترعتها واستملكت رجالا لا يعرفون غير خيرك وشرك
وحصل في يدك من الذخاير والاموال والمعاقل والرجال ما لو اظهرت
به الامتناع ما القيت عنقك في يد من لا يرحمك ثم انك علمت ان سليمان
ولي عهد وانه الموالي بعد اخيه وقد اشرف اخوه على الهلاك لا محالة وبعد
ذلك خالفته والقيت بيدك الى التهلكة واحقدت مالكك ومماليك
قال يعني سليمان وطارقا وما رضا هذا الرجل عنك الا بعيد ولكن
لا الو جهدا فقال موسى يا ابن الكرام ليس هذا وقت تعديد اما سمعت
اذا جاء الحين غطى العين فقال انما قصدت بما قلت لك تعديدا ولا تبكيتا
وانما قصدت تلقيح العقل وتنبيه الراي وان ارى ما عندك فقال موسى
اما رايت الهدهد يرى الماء تحت الارض من بعد ويقع في الفخ وهو يراه بعينه
ثم كلم فيه سليمان فكان من جوابه انه قد استعمل راسه بما يمكن لزمن الظهور
وانقياد الجمهور والتحكم في الاموال والابشار على ما لا يمحوه الا السيف ولكن
قد وهبت لك دمه وانا تعدد لك غير رافع عنه العذاب حتى يرد ما غل من مال
الله فاكدت حالته الى انه كان يطاف فيه ليبسا لمن احيا العرب ما يفتك
به نفسه وفي تلك الحالة مات وهو من افقر الناس واذلهم بوادي القرى سائلا
من كان نازلا به **وقال** احد غلمانه ممن وقع له في حالة الفقر والخمول لقد
رايتنا نطوف مع الامير موسى بن نصير على احيا العرب فواحد يجيبنا وواحد
يحتجب عنا ولربما دفع الينا على جهد الرحمة الدرهم والدرهمين فيفرح بذلك
الامير ليدفعه الى الموكلين به فيخففون به عنه من العذاب ولقد رايتنا ايام
الفتوح العظام بالاندلس ناخذ التسلوك من قصور النصارى فنفصل منه
ما يكون فيها من الذهب والفضة وغير ذلك ونرمي به ولا ناخذ الا الدر
الفاخر فسبحان الذي بيده العز والذل والغنى والفقر قال وكان له مولى
قد وفى له وصبر عليه الى ان ضاق ذرعه بامتداد الحال فعزم على ان يسلمه
وهو بوادي القرى في اسوء حال وشعر بذلك فخضع للمولى المذكور وقال
له يا فلان اتسلمني في هذه الحالة فقال المولى من شدة ما كان فيه من الضجر
قد اسلمك خالقك ومالكك الذي هو ارحم الراحمين فدمعت عيناه وجعل
يرفعهما الى السما خاضعا مهينا بشفته مما شعرت تلك الليلة الا عن نفس

ووجه رحمة الله عليه فقد كان له من الآثار ما يوجب أن يترحم عليه وإن فعل سليمان
به وبولده وكونه طرح رأس ابنه عبد العزيز الذي تركه نائباً عنه بالأندلس
وقد جيء به من أقصى المغرب بين يديه من وضع ما لا يليق فعد عليه طول الدهر لا جرم
أن الله لم يمتعه بعده بملكه وشبابه   إن موسى كان عربياً فصيحاً
وقد سبق من مراجعته يزيد بن المهلب ما يدل على بلاغته ويكفي منها ما ذكر ابن
حيان أنه كتب إلى الوليد بن عبد الملك فيما له من فتوح الأندلس وغنائمها
إنها ليست الفتوح ولكنها الحشر وقال الحجاري إن منازعة جرت
بينه وبين عبد الله بن يزيد بن أسيد بمحضر عبد الملك بن مروان ألجأته
إلى أن قال شعراً منه

جاريت عبد شموس في تطاوله   لو نازع الجعل لم ينزع إلى الحجر

وتقدم ما ذكره غير واحد كابن حيان أن موسى مولى عبد العزيز بن مروان وكذا
ذكر الحجاري أنه تجهز مع أم البنين بنت عبد العزيز حين ابتنى بها الوليد
ابن عبد الملك وكانت تنمي مكانته عند الوليد إلى أن بلغ ما بلغ واشتهر من
كان في صحبة موسى بن نصير من مواليه طارق المشهور بالفتوح العظيمة وطريف
وقد جرى ذكرهما في كتابنا هذا بما اقتضاه الاختصار وقال ابن سعيد
بعد ذكره الخلاف في موسى هل هو لخمي صريح أو بالولاء أو بربري ومولى لعبد العزيز
ابن مروان وكان مما صورته وكان في عقبه نباهة في السلطنة ولي ابنه عبد
العزيز سلطنة الأندلس وعبد الملك سلطنة المغرب الأقصى وعبد الله
سلطنة إفريقية   أن أصله من وادي القرى بالحجاز وأنه
خدم بني مروان بدمشق ونبه شأنه فصرفوه في مهماتهم إلى أن ولي إفريقية
وما وراءها من المغرب في زمن الوليد بن عبد الملك ففتح أقاصي المغرب ودخل
الأندلس من جبل موسى المنسوب إليه المجاور لسبتة وفتح بلاد الأندلس
ثم وفد على الوليد إلى الشام فوافق مرضه ثم موته وخلافة أخيه سليمان فعذبه
واستصفى أمواله وآل أمره إلى أن وجهه إلى قومه بوادي القرى لعلهم يعطفون
عليه ويؤدون عنه فمات بها وقد نص ابن بشكوال على أنه مات بوادي القرى
أما معارفه السلطانية فكفته ولايته ما خلف مصر إلى البحر المحيط بين بلدي
البربر والأندلس وأما الأدبية فقد جاءت عنه بلاغة في النثر والنظم
تدخله مع ندرتها في أصحاب در الكلام وذكر ابن بشكوال أنه
من التابعين الذين رووا الحديث وأن روايته عن تميم الداري فذكره في كتب
الأئمة من المصنفين أنبه وأعظم من أن يختص بذكره واحد منهم وموضوع
التواريخ الأندلسية وذكره إلى الآن جديد في ألسن الخاصة والعامة من أهلها

ومن

ومن مسهب الحجاري كان قد جمع رحمه الله من خلال الخير ما أعانه الله به سبحانه
على ما بنى له من المجد المشيد والذكر الشهير المخلد الذي لا يبليه الليل والنهار
ولا يبقى جديداً على الأعصار إلا أنه كان يغلب عليه ما لا يكاد رئيس يسلم منه وهو
الحقد والحسد والمنافسة لا يخلو من ذلك وأنشد بعض الرؤساء

وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا   فغلبه إلى يئس وقال من يترك

الحقد أثم قال السيد إذا ترك إضمار الخير والشر والمجازاة عليهما
اجترئ عليه ونسب للضعف والغفلة ومهما رأيت صفقة أخسر من غفلة
رئيس أحقد غيره فنسي ذلك أو تناسى وعدوه لا يغفل عنه وحاسده لا ينفعه
عنده إلا الراحة منه وهو في وادٍ آخر عنه   ولله در القائل

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى   مضر كوضع السيف في موضع الندى

ولكن الأصوب يكون الرأي ميزاناً لا يترك للوافي لينا فضل ولا يترك لنا فضل واف
ويدبر الحزم على ما يقتضيه الزمان ويعقد رتبة حسن العاقبة ونص ابن بشكوال
على أن موسى بن نصير مات بوادي القرى سنة ٩٧ وغزى الأندلس سنة ٩٣ ودخلها
٩٣ وقفل عنها إلى الوليد بن عبد الملك بالغنائم سنة ٩٤ وذكر أن ولايته
على الأندلس بالمباشرة منذ دخلها إلى حين خروجه منها سنة واحدة ومكث
فيها مولاه طارق انتهى وقد تقدم شيء من ذلك سنة وذكر ابن بشكوال أيضاً
أن ابن حبيب قال عن ربيعة على الناس كلهم يوم فتح الأندلس إلا أربعة نفر فقط
كانوا من التابعين حنش الصنعاني وأبو عبد الرحمن الحبلي وابن شماسة
وعياض بن عقبة انتهى قال ابن سعيد وممن دخل الأندلس من غير
هؤلاء الأربعة من التابعين علي بن رباح اللخمي وموسى بن نصير فاتح الأندلس
وحيان بن جبلة القرشي مولاهم وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي صاحب
الأندلس المذكور في سلاطينها ومحمد بن أوس بن ثابت الأنصاري وزيد بن قاصد
السكسكي والمغيرة بن أبي بردة الكناني وعبد الله بن المغيرة الكناني وحيوة بن
رجاء التميمي وعبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ومنصور بن خزامة
وعلي بن عثمان بن خطاب وذكر ابن حبيب أن عدة من دخل الأندلس من التابعين
سوى من لا يعرف نحو عشرين رجلاً وفي كتاب ابن بشكوال أنه دخل الأندلس
من التابعين ثمانية وعشرون رجلاً وهم أسسوا قبلة المسجد الجامع بقرطبة
وسمى الحجاري في المسهب هؤلاء المتقدمين وذكر ابن سعيد أنه لم يتحقق الموضع
الذي تختص به هؤلاء التابعين من بلاد الأندلس مع جزمه بأنهم دخلوا الأندلس
وكانوا بها وسيأتي ذكر التابعين الداخلين للأندلس عموماً شمل من بدأ
وقد تقدم علول من عدا التابعين من الغنائم وقال الليث بن سعد بعد ذكره

انطارق فاصاب بالاندلس مغانم كثيرة من الذهب والفضة اذ كانت الطنفسة
لتوجد منسوجة بقضبان الذهب وتنظم السلسلة من الذهب باللولو
والياقوت والزبرجد وكان البربر ربما وجدوها فلا يستطيعون حملها حتى
ياتوا بالفاس فيضربون به وسطها فياخذ احدهم نصفها والاخر النصف
لنفسه ويسير معهم جماعة والناس مشتغلون بغير ذلك وعن يحيى بن
سعيد لما افتتحت الاندلس اصاب الناس فيها مغانم فغلوا منها غلولا
كبيرا حملوه في المراكب وركبوا البحر فسمعوا مناديا يقول اللهم غرق بهم
وتقلدوا المصاحف فما نشبوا ان اصابتهم ريح عاصف وضربت المراكب بعضها
بعضا حتى تكسرت وغرقوا بهم واهل مصر ينكرون ذلك ويقولون ان اهل الاندلس
ليس هم الذين غرقوا وانما هم اهل سودانية والله اعلم بحقيقة الحال
ورايت في بعض كتب التاريخ انه وجد في طليطلة حين فتحت من الذخاير
والاموال ما لا يحصى فمن ذلك مائة وسبعون تاجا من الذهب الاحمر مرصعة
بالدر واصناف الحجارة الثمينة ووجد فيها الف سيف ملوكي ووجد فيها
من الدر والياقوت اكيال ومن اواني الذهب والفضة ما لا يحيط به وصف
ومائدة سليمان وكانت فيما يذكر زمردة خضراء وزعم بعض العجم انها لم تكن
لسليمان وانما اصلها ان العجم ايام ملكهم كانوا من الحسنة في دينهم اذا مات
احد منهم اوصى بماله للكنائس فاذا اجتمع عندهم مال للكنائس صاغوا منه الالة
من الموائد العجيبة والكراسي من الذهب والفضة تحمل الشمامسة والقسوس
فوقها الاناجيل في ايام المناسك ويضعونها في الاعياد للمباهات فكانت
تلك المائدة بطليطلة مما صنع في هذا السبيل وبالغت الملوك في تحسينها
يزيد الاخر منهم فيها على الاول حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك الالات
وطار الذكر بها كل مطار وكانت مصوغة من الذهب الخالص مرصعة بفاخر
الدر والياقوت والزبرجد وقيل انها في زبرجدة خضراء قوائمها وارجلها
منها وكان لها ثلاثمائة وخمس وستون رجلا وكانت توضع في كنيسة
طليطلة فاصابها طارق انتهى وقد ذكرنا فيما مر عن ابن حيان ما فيه نظر
هذا وذكرنا فيما مضى من امر المائدة وغيرها ما فيه بعض تخالف وما ذلك
الا لانا ننقل كلام المورخين وان خالف بعضهم بعضا ومرادنا تكثير النقل
وبالجملة فالمائدة جليلة المقدار وان حصل الخلاف في صفتها وحسنها وعدد
ارجلها وهي من اجل ما غنم من الاندلس على كثرة ما حصل فيها من الغنائم
المتنوعة الاجناس التي ذكرها الى الان شائع بين الناس واعلم انه لما
استقر قدم اهل الاسلام بالاندلس وتتام فتحها صرف اهل الشام وغيره

من العرب

من العرب بهممهم الى الحلول بها فنزل بها من جرائيم العرب وساداتهم جماعة
اورثوها اعقابهم الى ان كان من امرهم ما كان فاما العدنانيون فمنهم
خندف ومنهم قريش واما بنو هاشم قريش فقال ابن غالب في فرحة الانفس
بالاندلس منهم جماعة كلهم من ولد ادريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب
ومن هولاء بنو حمود ملوك الاندلس بعد انتثار سلك بني امية واما بنو
امية فمنهم خلفاء الاندلس قال ابن سعيد ويعرفون هنالك الى الان
بالقرشيين وانما عموا نسبتهم الى امية في الاخر لما انحرف الناس عنهم وكرهوا
افعالهم في الحسين رضي الله عنه واما بنو زهرة فمنهم باشبيلية اعيان
متميزون واما المخزوميون فمنهم ابو بكر المخزومي الاعمى الشاعر المشهور من
اهل حصن المدور ومنهم الوزير الفاضل في النظم والنثر ابو بكر بن زيدون
ووالده الذي هو اعظم منه ابو الوليد بن زيدون وزير معتضد بني عباد قال
ابن غالب وفي الاندلس من ينتسب الى جمح والى بني عبد الدار وكثير من قريش المعروفون
بالفهريين من بني محارب بن فهر ومنهم قريش الظواهر ومنهم عبد الملك بن قطن سلطان
الاندلس ومن ولده بنو القاسم الامراء الفضلاء وبنو الجد الاعيان العلماء ومن
بنيهم الحارث بن فهر يوسف بن عبد الرحمن الفهري سلطان الاندلس الذي غلبه
عليها عبد الرحمن الاموي الداخل وجد يوسف عقبة بن نافع الفهري صاحب
الفتوح بافريقية قال ابن حزم ولهم بالاندلس عدد وثروة واما
المنتسبون الى عموم كنانة فكثير وجلهم في طليطلة واعمالها ولهم ينتسب
الوقشيون الحكماء النبيهون الاعيان الفضلاء الذين منهم القاضي ابو الوليد الوزير
ابو جعفر ومنهم ابو الحسين بن جبير العالم صاحب الرحلة وقد ذكرناه في محله
واما هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب ان منزلهم بجهة اربولة
من كورة تدمير واما تميم بن مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب
ايضا ان منهم خلق كثير بالاندلس ومنهم ابو الطاهر صاحب المقامات اللزومية
واما ضبة بن اد بن طابخة فذكر انهم قليلون بالاندلس ومن هولاء حدوش بن
الغدانية واما قيس عيلان بن الياس بن مضر بن العدنانية ففي الاندلس
كثير منهم ينتسبون الى العموم ومنهم من ينتسب الى سليم بن منصور بن عكرمة
ابن خصفة بن قيس كعبد الملك بن حبيب السلمي الفقيه صاحب الامام مالك رضي
الله عنه وكالقاضي ابي حفص بن عمر قاضي قرطبة ومن قيس من ينتسب الى هوازن
ابن منصور بن عكرمة قال ابن غالب ومنهم باشبيلية خلق كثير ومنهم من ينتسب
الى بكر بن هوازن قال ابن غالب لهم منزل بحوز بلنسية على ثلاثة اميال
منها وباشبيلية وغيرها منهم كثير ومنهم بنو حزم وهم بيت غير البيت الذي

منهم أبو محمد بن حزم الحافظ الظاهري وهو فارسي الأصل ومنهم من ينتسب إلى
سعد بن بكر بن هوازن وذكر ابن غالب أن منهم بغرناطة كثيرا كبني جودي وقد
رأس بعض بني جودي ومنهم من ينتسب إلى سلول امرأة نسب إليها بنوها
وأبوهم مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ومنهم من ينتسب إلى
كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ومنهم من
ينتسب إلى نمير بن عامر بن صعصعة قال ابن غالب ومنهم بغرناطة كثير
ومنهم من ينتسب إلى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ومنهم
بلج بن بشر صاحب الأندلس وآله وبنو رشيق ومنهم من ينتسب إلى فزارة
ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ومنهم من
ينتسب إلى أشجع بن ريث بن غطفان ومن موالاة محمد بن عبد الله بن الأشجعي سلطان
الأندلس وفي ثقيف اختلاف فمنهم من قال إنها قيسية وإن ثقيفا هو قسي
ابن منبه بن بكر بن هوازن ومنهم بالأندلس جماعة وإليهم ينتسب الحر بن عبد
الرحمن الثقفي صاحب الأندلس وقيل إنها من بقايا ثمود انتهى قيس عيلان
وجميع مضر وأما ربيعة بن نزار فمنهم من ينتسب إلى أسد بن ربيعة بن
نزار قال في فرحة الأنفس إن إقليم هؤلاء مشهور باسمهم بجوفي مدينة
وادي آش انتهى والأشهر بالنسبة إلى أسد أيضا بنو أسد بن خزيمة بن مدركة بن
الياس بن مضر ومنهم من ينتسب إلى محارب بن عمرو بن وديعة بن بكير بن
أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد كبني عبد البر الذين منهم الحافظ أبو عمر بن عبد
البر ومنهم من ينتسب إلى تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب كبني حمدين أعيان
قرطبة ومنهم من ينتسب إلى بكر بن وائل كالبكريين أصحاب أونبة وشلطيش
الذين منهم أبو عبيد صاحب التصانيف انتهت ربيعة وأما إياد بن نزار
وقد قيل إنه ابن معد والصحيح الأول فممن ينتسب إليهم بنو زهر المشهورون
بإشبيلية وغيرهم انتهت العدنانية وهم الصريح من ولد إسماعيل عليه
السلام واختلف في القحطانية هل هم من ولد إسماعيل أو من ولد هود على ما
هو معروف وظاهر صنيع البخاري الأول والأكثر على خلافه والقحطانية هم
المعروفون باليمانية وكثيرا ما يقع بينهم وبين المضرية وسائر العدنانية الحروب
بالأندلس كما كان يقع بالمشرق وهم الأكثر بالأندلس والملك فيهم أرسخ إلا ما كان
من خلفاء بني أمية فإن القرشية قدمتهم على الفريقين والخلافة لهم بالمشرق
وكان عرب الأندلس يتميزون بالقبائل والعمائر والبطون والأفخاذ إلى أن قطع
ذلك المنصور بن أبي عامر الدولة الذي ملك سلطنة الأندلس وقصد بذلك
تشتيتهم وقطع التحامهم وتعصبهم في الاعتزاء وقدم القواد على الأجناد

فيكون

فيكون في جند القائد الواحد فرق من كل قبيلة فانحسمت مادة الفتن
والاعتزاء بالأندلس إلا ما جاءت على غير هذه الجهة قال ابن حزم جماع أنساب
اليمن من جدين كهلان وحمير ابني يشجب بن يعرب بن قحطان بن عامر بن شالخ بن
أرفخشذ بن سام بن نوح وقيل قحطان بن الهميسع بن تيمن بن نبت بن إسماعيل
وقيل قحطان بن هود بن عبد الله بن رباح بن حارق بن عاد بن عوص بن إرم بن
سام والخلف في ذلك مشهور فمنهم كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن
قحطان ومنهم الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان وإليهم
ينتسب محمد بن هانئ الشاعر المشهور الأندلسي وهو من بني المهلب ومن الأزد
من ينتسب إلى غسان وهم بنو مازن بن الأزد وغسان ماء شربوا منه وذكر
ابن غالب أن منهم بني القليعي من أعيان غرناطة وكثير منهم بصالحة قرية
على طريق مالقة ومن الأزد من ينتسب إلى الأنصار على العموم وهو الجم الغفير
بالأندلس قال ابن سعيد والعجب أنك تعدم هذا النسب بالمدينة
وتجد منه بالأندلس في أكثر بلادها ما يشذ عن الحد كثرة ولقد أخبرني
من سأل عن هذا النسب بالمدينة فلم يجد منه ما بالأندلس في أكثر بلدانها إلا
شخصا شيخا من الخزرج وعجوزا من الأوس قال ابن غالب وكان حيز الأنصار
بناحية طليطلة وهم أكثر القبائل بالأندلس في شرقها وغربها انتهى ومن
الخزرج بالأندلس أبو بكر عبادة بن عبد الله بن ماء السماء من ولد سعد بن عبادة
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المشهور بالموشحات وإلى قيس بن
سعد بن عبادة ينتسب بنو الأحمر سلاطين غرناطة الذين كان لسان الدين
ابن الخطيب أحد وزرائهم وعليهم انقرض ملك الأندلس من المسلمين واستولى
العدو على الجزيرة جميعا كما نذكر ومن أهل الأندلس من ينتسب إلى الأوس أخي
الخزرج ومنهم من ينتسب إلى غافق بن عك بن عدثان بن الأزد وقد
يقال عك بن عدنان بالنون فيكون أخا معد بن عدنان وليس بصحيح
قال ابن غالب من غافق أبو عبد الله بن أبي الخصال الكاتب وأكثر حصان شقورة
ينتسبون إلى غافق ومن كهلان همدان ومن همدان مشهور على ستة أميال من غرناطة
ومنهم أصحاب غرناطة بنو أضحى ومن كهلان من ينتسب إلى مذحج ومذحج اسم
أكمة حمراء باليمن وقبائل سرام مالك وطيء بن أدد بن زيد بن كهلان قال
ابن غالب بنو سراج الأعيان من أهل قرطبة ينتسبون إلى مذحج ومنزل طي
بقبلي مرسية ومنهم من ينتسب إلى مراد بن مالك بن أدد وحصن مراد
بين إشبيلية وقرطبة مشهور قال ابن غالب وأعرف بمراد منهم خلقا
كثيرا ومنهم من ينتسب إلى عنس بن مالك بن أدد ومنهم بنو سعيد

مصنفوا كتاب المغرب وقلعة بني سعيد مشهورة في مملكة غرناطة ومن مذحج من
ينتسب الى زبيد قال ابن غالب وهو منبه ابن سعد العشيرة بن مالك بن ادد
ومن كهلان من ينتسب الى جرم بن ادد بن زيد بن كهلان قال ابن غالب منهم
بنو المنتصر العلماء من اهل غرناطة ومنهم من ينتسب الى عاملة وهي امرأة
من قضاعة ولدت للحارث بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد فنسب ولده
منه اليها قال ابن غالب منهم بنو سماك القضاة من اهل غرناطة وقوم
زعموا ان عاملة هو ابن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقيل هم من قضاعة
ومن كهلان خولان بن عمرو بن الحارث بن مرة وقلعة خولان مشهورة بين
الجزيرة الخضراء واشبيلية ومنهم بنو عبد السلام اعيان غرناطة ومنهم
من ينتسب الى المعافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة منهم المنصور بن ابي
عامر صاحب الاندلس ومنهم من ينتسب الى لخم بن عدي بن الحارث بن مرة
منهم بنو عباد اصحاب اشبيلية وغيرها وهم من ولد النعمان بن المنذر صاحب
الحيرة ومنهم بنو الباجي اعيان اشبيلية وبنو اقلل الاعيان ومنهم من ينتسب
الى جذام مثل ثوابة بن سلامة صاحب الاندلس وبني هود ملوك شرق الاندلس
قال ابن غالب وكان لجذام جزء من قلعة رباح واسم جذام عامر واسم لخم
مالك وهما ابنا عدي ومن كهلان من ينتسب الى كندة ومنهم بنو عفير بن
عدي بن مرة ومنهم يوسف بن هارون الرمادي الشاعر ومنهم من ينتسب الى
تجيب وهي امرأة اشرس بن السكون بن اشرس بن كندة ومن كهلان من ينتسب الى
ابن الهان بن راش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان منهم
عثمان بن ابي نسعة سلطان الاندلس وقد قيل انما هم من نزار بن معد بن
عدنان انتهت كهلان وأما حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمنهم
من ينتسب الى ذي رعين قال ابن غالب وذو رعين منهم ولد عمرو بن حمير
في بعض الاقوال وقيل هو من ولد سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم
ابن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن ايمن بن الهميسع
ابن حمير قال ومنهم ابو عبد الله بن الحافظ الاعمى الشاعر قال
الحازمي في كتاب النسب وأم ذي رعين أم زيد بن سهل ووصل النسب ومنهم
من ينتسب الى ذي اصبح قال ابن حزم هو ذو اصبح بن مالك بن زيد من ولد
سبا الاصغر ابن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس ووصل النسب وذكر الحازمي ان
ذا اصبح من كهلان واخبر ان منهم مالك بن انس الامام المشهور انه من حمير
والاصبحيون من اعيان قرطبة ومنهم من ينتسب الى يحصب قال ابن حزم
انه اخو ذي اصبح وهم كثير بقلعة بني سعيد وقد تعرف من اجلهم في التواريخ

الاندلسية

الاندلسية بقلعة يحصب ومنهم من ينتسب الى هوازن بن عوف بن عبد شمس
ابن وائل بن الغوث قال ابن غالب ومنزلهم بشرف اشبيلية والهوزنيون
من اعيان اشبيلية ومنهم من ينتسب الى قضاعة بن مالك بن حمير وقد قيل
انه قضاعة بن معد بن عدنان وليس بمرضي ومن قضاعة من ينتسب الى بهراء
كالوزير ابي بكر بن عمار الذي وثب على ملك مرسية وهو بهراء بن حيدان بن عمرو
ابن الحاف بن قضاعة ومنهم من ينتسب الى تنوخ قال ابن غالب وهو ابن
مالك بن فهم بن تيم بن وبرة بن تغلب قال الحازمي تنوخ هو مالك بن فهم
ابن تيم الله بن اسد بن وبرة ومنهم من ينتسب الى بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة
ومنهم البلويون باشبيلية ومنهم من ينتسب الى جهينة بن سود بن اسلم بن
عمرو بن الحاف بن قضاعة قال ابن غالب وبقرطبة منهم جماعة ومنهم من
ينتسب الى كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان كبني عبدة الذين منهم بنو جهور
ملوك قرطبة ووزراؤها ومنهم من ينتسب الى عذرة بن سعد هذيم بن
زيد بن سود بن اسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ومنهم اعيان الجزيرة الخضراء
بنو عذرة ومن اهل الاندلس من ينتسب الى حضرموت منهم الحضرميون بمرسية
وغرناطة واشبيلية وبطليوس وقرطبة قال ابن غالب وهم كثير بالاندلس
وفيهم خلاف قيل ان حضرموت هو ابن قحطان وقيل هو حضرموت بن قيس
ابن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن الجيم بن قطن
ابن العريب بن بنت بن ايمن بن الهميسع بن حمير كذا نسق النسب الحازمي ومن
اهل الاندلس من ينتسب الى سلمان ومنهم الوزير لسان الدين بن الخطيب حسبما
ذكر في محله وقد رأيت ان اسرد هنا اسماء ملوك الاندلس من لدن الفتح الى
آخر ملك بني امية وان تقدم ذكر جملة منهم بما هو اتم مما هنا فنقول
طارق بن زياد مولى موسى بن نصير وكلاهما لم يتخذ سرير السلطنة ثم عبد العزيز
ابن موسى بن نصير وسريره اشبيلية ثم ايوب بن حبيب اللخمي وسريره قرطبة وكل
من يأتي بعده فسريره قرطبة وآل الزهراء والزاهرة بجانبيها الى ان انقضت
دولة ابن مروان على ما ننبه عليه ثم الحر بن عبد الرحمن الثقفي ثم السمح بن
مالك الخولاني ثم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي ثم عنبسة بن سحيم الكلبي
ثم عذرة بن عبد الله الفهري ثم يحيى بن سلمة الكلبي ثم عثمان بن ابي نسعة الخثعمي
ثم حذيفة بن الاحوص القيسي ثم الهيثم بن عبيد الكلابي ثم محمد بن عبد الله
الاشجعي ثم عبد الملك بن قطن الفهري ثم بلج بن بشر بن عياض القشيري
ثم ثعلبة بن سلامة العاملي ثم ابو الخطار بن ضرار الكلبي ثم ثوابة بن سلامة
الجذامي ثم يوسف بن عبد الرحمن الفهري ثم يحيى بن سلمة الكلبي وههنا الولاة الذ

ملكوا الاندلس من غير موارثة افرادا عددهم عشرون فيما ذكر ابن سعيد ولم
يتعدوا في التسمية لفظ الامير **قال** ابن حيان مدتهم منذ تاريخ الفتح
في لذريق سلطان الاندلس النصراني وهو في يوم الاحد لخمس خلون من شوال
سنة ٩٣ الى يوم الظهور على يوسف بن عبد الرحمن الفهري وتغلب عبد الرحمن بن
معاوية المرواني على سرير الملك قرطبة وهو يوم الاضحى لعشر خلون من ذي الحجة
سنة ١٣٨ ست واربعون سنة وخمسة ايام انتهى **ثم كانت** دولة بني
امية اولهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ثم ابنه هشام الرضي
ثم ابنه الحكم بن هشام ثم ابنه عبد الرحمن الاوسط ثم ابنه محمد بن عبد الرحمن
ثم ابنه المنذر بن محمد ثم اخوه عبد الله بن محمد ثم ابن عمه عبد الرحمن الناصر
ابن محمد بن عبد الله ثم ابنه الحكم المستنصر وكرسيهما الزهراء ثم هشام بن الحكم
وفي ايامه بنى حاجبه المنصور بن ابي عامر الزاهرة ثم المهدي محمد بن هشام بن عبد
الجبار بن الناصر وهو اول خلفاء الفتنة وخربت في ايامه الزهراء والزاهرة
وعاد السرير الى قرطبة ثم المستعين سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر ثم
تخللت دولة بني حمود العلويين واولهم الناصر علي بن حمود العلوي
الادريسي ثم اخوه المامون القاسم بن حمود ثم المعتلي يحيى بن الناصر علي بن حمود
ثم كانت دولة بني امية الثانية واولها المستظهر عبد الرحمن بن هشام
ابن عبد الجبار بن الناصر ثم المستكفي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر
ثم المعتد هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر وهو اخر خلفاء الجماعة بالاندلس
وحين خلع اسقط ملوك الاندلس الدعوة للخلافة المروانية واستبدت ملوك
الطوائف كابن جهور في قرطبة وابن عباد باشبيلية وغيرهما ولم يعد نظام الاندلس
الى شخص واحد الى ان ملكها يوسف بن تاشفين الملثم من بر العدوة وفتك في
ملوك الطوائف وبعد ذلك ما خلصت له ولا لولده علي بن يوسف لان بني هود
نازعوه في شرقها بالثغر الى ان جاءت دولة عبد المومن وبنيه فما صفت لعبد
المومن لمحمد بن مردنيش الذي كان ينازعه في شرق الاندلس ثم صفت ليوسف
ابن عبد المومن بموت ابن مردنيش ثم لمن بعده من بنيه وحضرتهم مراكش وكانت
ولاتهم تتردد على الاندلس وممالكها ولم يولوا على جميعها شخصا واحدا لعظم
ممالكها الى ان انقرضت منها دولتهم بالمتوكل محمد بن هود من بني هود ملوك
سرقسطة وحاز منها ممالك معظم الاندلس بحيث يطلق عليه اسم السلطان
ولم ينازعه فيها الا زيان بن مردنيش في بلنسية من شرق الاندلس وابن
هلالة في طبيرة من غرب ثم كثرت عليه الخوارج فرتب مونة ولما قتله وزيره
ابن الرميمي بالمرية زاد الامر الى ان ملك بنو الاحمر وكان اهل غرب الاندلس

في المائة

في المائة السابعة يخطبون لصاحب افريقية السلطان ابي زكريا يحيى بن ابي
محمد عبد الواحد بن ابي حفص ثم تقلصت تلك الظلال ودخل الجزيرة الاختلال
الى ان استولى عليها حزب الضلال والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين
وقد ذكرت في هذا الكتاب جملة من اخبار ملوك الاندلس مما يصلح للمذاكرة وربما
سرحت طرف القلم في بعضهم **وبنو** جهور المشار اليهم قريبا كانوا وزراء الامويين
ثم انه لما انتثر سلك الخلافة استبد بقرطبة الوزير ابو الحزم بن جهور من
غير ان يتعدى اسم الوزارة **قال** في المطمح الوزير الاجل جهور بن محمد بن جهور
اهل بيت وزارة اشتهروا كاشتهار ابن هبيرة في فزارة وابو الحزم مجدهم المكين
وانجدهم في المهمات ركب متون الفتن فراضها ووقع في بحور المحن فخاضها
منبسط غير منكمش لا طائش اللسان ولا رعش وقد كان وزر في الدولة
العامرية فشرفت بجلاله واستغرقت باستقلاله فلما انقرضت وعاقت
الفتن واعترضت تحيز عن التدبير مدتها وخلا الخلافة اعباء الخلافة وشرتها
وجعل يقبل مع اولئك الوزراء ويدبر وينهل الامر معهم ويدبر غير مظهر الى انفراد
ولا منصرف في ميدان ذلك الطراد الى ان بلغت الفتنة مداها وسوغت من
شاءت رداها وذهب من كان يجد في الرياسة ويجب ويستجي في الفتنة ويدب
ولما ارتفع الوبال وادبر ذلك الاقبال راى اهل التقوى مستبدا بهم
ومعتمدا على بعضهم تخيلا منه وتمويها وتناهيا على اهل الخلافة وذوي
وعرض عليهم تقديم المعتد هشام واومض منه لاهل قرطبة برق خلب بشام
بعد شرع الانباء تمويها وتعجيل انتقاله تنبيها فانابوا الى الاجابة واجابوا الى
استرعابه الوزارة والحجابة وتوجهوا مع ذلك الامام والموا بقرطبة
احسن الالمام فدخلوها بعد فتن كبيرة واضطرابات مستمرة والبلد
مقفر الجلد مستقر فلم يتو غير يسير حتى حيد واضطرب امره فخلع واختطف
من الملك وانتزع وانقضت الدولة الاموية وارتفعت الدولة العلوية
واستولى على قرطبة عند ذلك ابو الحزم ودبرها بالجد والعزم وضبطها ضبطا
امن خايفها ورفع طارق تلك الفتنة وطايفها وخلا له الجو فطار
واقتضى اللبانات والاوطار فعادت له قرطبة الى كمال نضارتها وانجلت بنور
جلالتها ولم تزل به مشرقة وغصون الامل فيها مورقة الى ان توفي في سنة ٤٣٥
فانتقل الامر الى ابنه ابي الوليد واشتمل منه على طارف وتليد وكان لابي
الحزم ادب ووقار وحكم سارت بها الامثال وعلم فيها المثال وقد اثبت
من شعره ما هو لائق وفي سماء الحسن رائق **وذلك قوله في تفضيل الورد**
الورد احسن ما رات عيني وازكى ما سقى ماء السحاب الجائد

• خضعت نواوير الرياض لحسنه • فتذللت تنقاد وهي شوارد •
• وإذا ابتدا الغصن في أغصانه • يزهو فذا ميت وهذا حاسد •
• وإذا أتى وفد الربيع مبشرا • بطلوع صفحته فنعم الوافد •
• ليس المبشر كالمبشر باسمه • خبر عليه من النبوة شاهد •
• وإذا تعرى الورد من أوراقه • بقيت عوارفه فهن خوالد •
انتهى المقصود منه وكأنه عارض بهذه الأبيات في تفضيل الورد قول ابن
الرومي في تفضيل النرجس عليه من تفضيله للنرجس الفضل المبين وإن أبى •
آب وحاد عن الحقيقة حائد • ومما اشتهر ورد على ابن الرومي بعضهم

بقوله

• يا من يشبه نرجسا بنواظر • دعج تنبه إن فهمك فاسد •
ومما أيضا مشهور رجع إلى ما كنا فيه وكان لأهل الأندلس بين زمان الفتح
وما بعده وقائع في الكفار شفت الصدور وحسمت أمراضها • ووفت النفوس
بأغراضها • واستولت على ما كان لملة الكفر من جواهرها وأعراضها • ثم وقع
الاختلاف بعد ذلك الائتلاف • فعصفت ريح العدو والحروب سجال وأعيى
العلاج حكماء الرجال • فصار أهل الأندلس يتذكرون نصر بن نصير وطارق
ومن بعدهما من ملوك الأندلس الذين راعوا العدو الكافر منهم طوارق ومما
أحسن ما أعرب الإمام الكاتب القاضي أبو المطرف بن عميرة عما يشتمل هذا
المعنى وغيره في كتاب بعث به إلى الشيخ أبي جعفر بن أمية حين حل الرزء ببلنسية
ونصه • ألا أيها القلب المصرح بالوجد • أما لك من بادي الصبابة من بد •
• وهل من سلو يرتجى لمتيم • لذي لوعة الصادي وروعة ذي الصد •
• يحن إلى نجد وهيهات حرمت • صروف الليالي أن يعود إلى نجد •
• فيا جبل الريان لا رأي نجد ما • عدت غير الأيام عن ذلك الورد •
• ويا أملودي والحوادث تقتضي • خلوي عن أمل يضاف إلى الود •
• لا متعت يوما بعاريته المنى • فأنا نراها كل حين إلى الرد •
• أمن بعد رزء في بلنسية ثوى • بأحنائنا كالنار أو مضمن الوقد •
• مرجى أناس جنة من مصائب • تقطع فيهم بالمثقفة الملد •
• ألا ليت شعري هل لها من مطالع • معاد إلى ما كان فيها من السعد •
• وهل أذنب الأبناء ذنب أبيهم • فصاروا إلى الإخراج من جنة الخلد •
مرحبا بالسماء • وما أعارت أفقي من الإضاءة • وردت شعرا للنهى وتسحب
ذيلا على السها • وتهزم المشتري اعتطافا • وترد من نجوم المجرة نطافا •
عامت من الظلمة في موجها • ثم غلبت الشهب على وجهها • فعلت العقرب

وسهيل

وسهيل محتجب • والطرف غضيض • وجناح الطائر مهيض • وصاحب الأجنحة
بغرض • والذابح عن بجنبه بعرض • ورامح السماكين تخوفه للسلاح • وواقع
النسر يود أن يخفيه الصباح • بلاغة تفتنن كل لبيب • وتوعى روض كل أديب
وتقص على رغم العدو من حبيب • أتت من البيان بسحر • وباتها الجواد وجدناك
بحرا • أدركت أي بري يرتب • ومأي مهذب ليلة سريب • أفتنحت ببابك
ونظمتها نظم الجمان • فعوذت سنتها بالسبع • وعرفت بينها براعة ذلك
الطبع • ثم نثرت على القرطاس شذور المنثور • بل من جواهر النحور • ما
استوقف النظار • وبهرج اللجين والنضار • ورأيتك استمددت ولك
الباع الأمد • وأعرت محاسنك والعارية ترد • وجئت بآيات بروق ارتعادها •
ويحرسها قعقعة الأسعار وجمجمتها • فادت من حسنها ما يسره • واجتمع
لمن يروي لفظتين ما نظم فيهما الدر • وأجريت خبر الحادثة التي محقت بدر
التمام ودهيت نضارة الأيام • فيا من حضر يوم البطشة •
بعد تلك الوحشة • أحقا أنه دكت الأرض • ونزف المعين والبرض وصوح
روض المنى وصرح الخطيب ومما كنى ابن الجكنيف فغدت رجاحة الأحلام • و
عمرت منا خز الاستلام • وجادا للوم لعسر • وأوقدت نار الحزن فلا تزال
تستعر • حلم ما نرى بل ما رأى ذا حالم • طوفان بغيا لعنده لا عاصم • من يصفنا
من الزمان الظالم • الله بما يلقى الفؤاد عالم • بالسرى تخو تخو • ومسطور تثبت
وتمحو • وقد حذف الأصلي والزايد • وذهبت الصلة والعائد • وباب التعجب
طال • وحال البائن لا يخشى الانتقال • وذهبت علامة الرفع • وفقدت
سلامة الجمع • والمعتل أعدى الصحيح • والمثلث ردي الفصيح • وامتنعت
العجمة من الصرف • وأمنت زيادتها من الحذف • ومالت قواعد الملة • و
صرنا إلى جمع القلة • وللشرك صيال وتخمط • والفرقة في شرك تخبط •
وقد عاد الدين إلى غربته • وشرق الإسلام بكربته • كأن لم تسمع بنصر بن نصير
وطروق طارق بكل خير • وتمثيلات حنش وكيف أعيت الرقى • وأولت
بليل السليم نوم الملتقي • ولم تخبر عن المروانية وصوايبها • وفي مغافره
وتعفيره للأوثان وطوائفها • سد ذلك السلف • لقد طال الأسى عليه
والأسف • ونعى الحكم العدل • والرب الذي قوله الفصل وبيده الفضل •
ربنا أمرت فعصينا • ونهيت فما انتهينا • وما كان ذلك جرأة احسانك
الينا • أنت العليم بما أعلنا وما أخفينا • والمحيط بما لم نأت وما أتينا •
لولا ما فيك أحببنا ولبينا • لم نر ناشئ الفرقة مما رأينا • ولم تسلط عدوك و
عدونا علينا • لكن أنت أرحم من أن تؤاخذنا بما جنينا • وأكرم من أن لا تهب

حقوقك لدينا **واشرت** ايها الاخ الكريم الى استر اخرالى تلبيهم بما
لدي لمبرد رعت حرنفيس وتقدح زناد قبس وهيهات صلدا لزند ودون
الحرار والرند وافشع السوبوب وركدتا كان يطرب الهبوب فالقلم
دمس لا يجشر وميت لا يبعثر والطبع قد نقص لفهنفري وفل من لراد
يدعى لدا النفري فها مولاي علك مبينا ولاعد لعلم تثبيتا وانشا بقاك
الله عز وجل بمقتبل الاداب طايرهيجنا الشبابه وابن من السموس يسن
الاختلاط ووقت الكسل من وقتنا للنشاط وقدر اجعلك لا داخلا في حلبتك
بل قاضيا من رغبتك والله تعالى يجعلك بوسبيل العلم مترقيا وبجنة
الطاعة متوقيا ويهبنا الانس مستقبلا وملتقيا بمنه وكرمه والسلام
انتهى **وكتب** رحمه الله الى سلطان افريقية الوارث ملك بني عبد المومن
بتلك النواحي المستولي على البلاد والضواحي وقد كان لاهل الاندلس امل
في اخذ بثارهم وضم انتشارهم **مما صورته شعر**

• شاقني عتب الحبايب الوارده • بارق هاج غرام الهاجد •
• صدق وعدا لتلاقي بم ما • طرقا الا يخلف الواعد •
• وكلا الزورين من طيف ومن • وافد تحت الدياجي وارد •
• لم يكن بعد السرى مستمع • فيه للرائد ولا للرايد •
• وشديد تنقلب مايم • بتشكيه عند ربع ماهد •
• بالامير المرتضى عز الهدى • وثنى عطف المليك الواجد •
• وبه اصحب ماكان يري • حاملا انقالا لنا للشارد •
• ايها الفخر لمولانا ابي • زكريا بن عبد الواحد •
• وكذا لولا حلاه العر لم • يجر بالمدح لسان الحامد • ٢
• ولو انا لعذب اجدى رغبته • عنه لم يشفي غليل الوارد •
• فضله مثل سنى الشمس وهل • لسنى الشمس يرى من جاحد •
• فهو البني بجد صادع • ما تعداه وجد صاعد •
• ايما الدين حفص هديه • للورى من غايب او شاهد •
• نغدوا فوق نجوم الزهر عن • همم تمتين عزم القاعد •
• وعن الاسلام ذادوا عندما • قل طولا لعهد عزب الزايد •
• اي نحر عمرالهمي به • وروه ماجدا عن ماجد •
• ما الفتوح الغر الا لهم • بين ماض بادي او عايد •
• فيحيا الاحق من سابق • وعلى المولود يسمى الوالد •
• وليحيى راجح الحلم الذي • تزك الطود بعطف مايد •

عفد

• عفدا حسابهم نترتيبه • مثل ما نتم حساب العاقد •
• ايها الجامع ما قد احرزوا اجمع من يمنه في الرايد • من الامه قدا وسعنها •
• نظرا تكيلا لبيل الرافد • لم تزل منك بخير طارق • ربيته نال قدامي تالد •
• ولهم منك ليوم حاضر • وغدا راى البصير النافذ • ارشدنا الله لاولى النظر •
• بالوزير راى الامام الراشد • وتولاه بتوفيق لا لي • سعدوا من غافدا وعاهد •
• وله في الله اوفى كافل • بالذي يبقي واكفى عاضد • نصره الله تعالى وايده
وشيد ملكه وسيده وابقى للفضل ابامه وللفضل احكامه واطفر باعناق
الاشقيا حسامه ووفرمنا نتساق النعم والالاء خطوطه واقسامه والحمد
لله ثم الحمد لله على ان تجعل به حرم الامنة آمنا وومج الفتنة ساكنا وابواب الصله
والمعروف لا تعرف الا واصلا واذنا وبلا في فل الاسلام بقيا نه التي ينتظرون
الكره ويها بوعدون الفتح الاغر والنصر الاغر فهم بين حال قبضوها وعدة
رضوها وارتقاب الفتح الاكبر بهم منه درك الثار وانتصاف لاهل الجنة
من اهل النار فاما الاوطان فقدا سلتهم عنها جنة تنبت العز فما بينه
وتنفي من الضيم ما تلك تنبته وما ذكروا الساخط على المحل الشاقط منازل
عادت على مبانيها اطلالا ومغانيها محالا وللعبد حال يستقبلها من النظر
الكريم اذا من تعالى ما اعين الاصال اليه صور ورجاء الجميع عليه مقصور انتهى
والغاية في هذا الباب ما كتب به رحمه الله من جملة لبعض ذوي الالباب وبعض
محل الحاجة منه تخص الجهة البعيده الصيت والاسم الشهيرة الحمد والعلم
درة تاجا وضوء سراجا ونكتة احتجاجا ابقاه الله تعالى في اعيننا منارا
ولاندلسنا فخارا على ثروات بقيت المفاخر فقد اودى المفاخر وان اضا
الطالع فقد دحت المطالع وغلب عليها عداه زو واعنها وحوموا واروا
فيها مكرو مناحتى اني ابلت بشعر فيه استسقاء للديار على عادة الاشعار

فقلت شعر

• زدنا على النايين عن اوطانهم • وان اشتركنا في الصبابة والجوى •
• انا وجدنا ثم قد استبقوا لها • من بعد ان شطت بهم عنها النوى •
• ويصدنا عن ذاك في اوطاننا • مع جهنا الشرك الذي فيها ثوى •
• حسناطاعنها استعانا مستنجدا • لعدونا فيستنعيم لنا الهوى •
انتهى قلت وما رايت ولا سمعت مثل هذا الابيات في معناها العالية في مبناها
فان فيها الاشارة الى استيلاء النصارى دمرهم الله على تلك الديار وثبوت
قدمهم فيها على طبق ما حصل لهم فيها اختيار مع ادماج حبه لنا الذي لا يشك
فيه ولا يرتاب واشتمالها على المحاسن التي هي بغية الرائد وبحر المتاب

ولكل اجل كتاب واذا انفذ سهم المقدور فلا عتاب • ومما يستولي على الخواطر • ويروي رياض الافكار بسحب بلاغته المواطر قوله رحمه الله تعالى جاوبت ابا الحسن الرعيني سنة ٦٣٠

باصاحبي والدهر لولا كره • مينه على حفظ الذمام ذميم
اسلا عن انت الحديث فانه • مما فيه لا لغو ولا تاثيم
ومروض مرعى منابي فنسبه • من طول اخلاف الغيوم هشيم
طال اعتباري بالزمان وانما • داء الزمان كما علمت قديم
محو حظ لا يبادي ثم لا • يبقك عنه الحذق والترخيم
واراك ما لغة تدوم فصوله • فعلى مر يلقى المد والتفخيم
وعلى مرادعو والجواب كانما • فيه ينصرف الى التحريم
لم الق الا مقعدا غير الاسى • فلدي منه مقعد ومقيم
ومتى ابي لثم المعنو حالها • فمتى يساعدني عليه نديم
عادات ايام على جوارح • فقدتها في طبعه التحكيم
ولواعج يجتاح صالي حرها • امرا به قد حصر ابراهيم
ولقد اقول لصاحب يوما كد • ادركت من علم الزمان عليم
لا باس من روح الاله وان نست • يوما قلوب الخلق فهو رحيم

ومما يسفر في ما كتبته رحمه الله تعالى من رسالة كتبته الى سيدي وهو السيد حقيقة واخي وقد كتب الدهر بذلك وثيقة ابقى الله تعالى جلاله محروسا وربع وفائه لا يحتسي دروسا من رباط الفتح وانا بحمد عليم وعلى عهده مقيم وشاني توقير له وتعظيم ورب فيه خالص كريم وصلني خطابه الخطير المبرور فكنت به كالصائم رايا لهلال والحايم عاين الماء الزلال علق ليبتسم بواديه علوق وسحر لكنه حلال طلوق ونظم لذكرا لطائي طاو وصنعة لم يرها ولم يرو بها راء ولا راو رمت ابن الرومي بالخمول وبشرت اسم بشار من الخمول وحكمت بان المعري في نمرة الهوان مدرج والسري عن سراوة الاحسان يخرج فاما النثر فصهيل لا يجاريه الرغاء وطراز لا يحسنه البلغاء ونقد نزيف عنه النقود ومن ينقطع دونه الضمر القود غادر الصابي وصباه عنبرات مشبوب والصاحب وهو من الجرجس شر مصحوب والمكيالي وميكاله مرفوض والحريري وحريره في سوق الكساد معروض فاما بحر يبيس رجان فقد استخرج منه اللؤلؤ والمرجان وانبغاه في صحف بل تركه يمشي باذرح ضاح فمن ذا يجاري فارس الصنفين وامام الصنفين ابلغ من خط بقلم واشهر من نار على علم وما ذا يقال في نابل نظر زيها

الصحف

الصحف وحمايل تفخر بها الروضة الانف واسم في شرف البلاد وغربها طامر فالزمان يوثر ما يبثر ويعظم ما ينظم ولولا ان الا زمنة قبله عمرت من كل جيل والشعراء رعيلا بعد رعيل لطال لعقد العصر بواحده الا ابقاه وانسى بخليفه اسلافهما • وكتب رحمه الله الى صاحبين له في معنا ما المعنى به انفا ما صورته تحية منهما اثنتي • طابت كما طاب برسلامها
ويا لهما اذكرت عهودا • فلبي والله ما سلاهما • حللتما في البلاد ارضا
ريح صبا ما عنى سلامها • لم يصب قلبي الى رباها • يوما ولم يبتل في سلاها
كتابي ايها الاخوان الذات يوزيهما افول وعن عهد بهما لا احول انزلكما الله تعالى خير منزل وجعلكما من النوايب والشوايب بمعزل من رباط الفتح وقلبي قديما ملكتما رقه وقلبي بعلما وتعلمتما عرفتما صدقه كيف حال لكما سفر طوبتما خبره حين خشيتما غرره وكيف سمحت نفوسكما بام الحصون وذات الظلال والعيون تربة الاباء ومنزل المحبين النجباء حتى صرتما جبلها ومجرتما حزنها وسهلها وخضتما غمرا لعجاج وحضرا لامواج ما ذاك الا لتغلب الحادث النكر وبالسد المعشر العذر ومن اجل لد امتدت النكاد والحادثة المستبقة على البلاد ازعجتكم حين ازعجتنا واخرجتكم كما اخرجتنا وطوحت بنا طوايحها واضاحت تمرنا وشجرنا جوايحها فنشكر الله تعالى على قضائه ونتضرع اليه ما نرى فخر من دعائه ومنبئا لنا ولكم معشر الشرداء المنطوين من السجن على الشرا الذا ذلك الطود الذي الينا ونبتما وفي طله تويتما وعن رابه نزيات وبنعيمه تنعميات فوجهه المبارك لا يعدم رائد نجاحا ولا يعدو لصبحه اذا دجا ليله صباحا انتهى كان ابو مطرف بن عميرة المذكور كما قال فيه بعض علماء المغرب قدوة البلغاء وعمدة العلماء وصدر الجلة الفضلا وهو احمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي ونكتة البلاغة التي احرزها واودعها وشمسها التي اخفت نوافث كواكبها حين ابدعها مبدع البدايع التي لم يحطها قبله انسان ولا ينطق عن تلاوتها لسان اذ كان ينطق عن قريحة صحيحة وروية بدر العلم فصيحة ذللت له صعب الكلام وصدقت رؤياه حين وضع سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وهو الذي اوتي جوامع الكلام في يديه الاقلام واصل سلفه من جزيرة شقر وولد بمدينة بلنسية وروى عن ابن الخطاب بن واجب وابي الربيع بن سالم وابن نوح والشلوبين النحوي وابن غات وابن حوط الله وغيرهم من الحفاظ واجازه من اهل المشرق جماعة وكان في بداية العناية

بيان الرواية فاكثر من سماع الحديث واخذه عن مشايخ اهله ثم تفنن في
العلوم ونظر في المعقولات واصول الفقه ومال الى الادب فبرع براعة
عدّ فيها من مجيدي النظم • فاما الكتابة فهو فارسها الذي لا يجارى وصاحب
عنانها الذي لا يبارى وله وعظ على طريقة ابن الجوزي ورسائل خاطب بها
الملوك وغيرهم من الموحدين والحفصيين وله تاليف في كائنة ميورقة
وتغلب الروم عليها نحا في الخبر عنها منحى الامام الاصبهاني في الفتح القدسي
وله كتاب تعقب فيه على الفخر الرازي في كتاب المعالم • وله كتاب رد به على
كمال الدين ابن الانصاري في كتابه المسمى بالتبيان في علم البيان • المطلع
على اعجاز القران • وسماه بالتنبيهات على ما في التبيان من التمويهات
وله اختصار نبيل من تاريخ ابن صاحب الصلاة وغير ذلك • ورد رحمه
الله حضرة الامامة بمراكش صحبة امير المومنين الرشيد حين قفوله من
مدينة سلا واستكتبه مدة يسيرة • ثم صرفه عن الكتابة وقلده قضاء
مليانة • ثم نقله الى قضاء سلا • ثم نقله السعيد الى قضاء مكناسة الزيتون
ثم قصد سبتة واخذ ماله في قافلة في فتنة بني مرين • ثم توجه الى بلاد افريقية
ووصف حاله في رسالة خاطب بها ابن السلطان ابي زكريا الحفصي وهو
ابو زكريا بن السلطان ابي زكريا وكان صاحب بجاية لابيه ولم يزل رحمه
الله مذ فارق الاندلس متطلعا لسكنى افريقية معمور القلب بسكناها ولما
قدم تونس مال الى صحبة الصالحين والزهاد واهل الخير مدة من الزمان ثم
استقضي بالاربس من افريقية ثم بقابس مدة طويلة • ثم استدعاه امير
المومنين المستنصر بالله الحفصي واحضره مجالس انسه وداخله مداخلة
شديدة حتى تغلب على كثير امره ومولده بجزيرة شقر في شهر رمضان المعظم
سنة ٥٨٠ وتوفي ليلة الجمعة الموفية عشرين ذي الحجة سنة ٦٥٨ الحفه الله
رضوانه وجدد عليه غفرانه **وقال** ابن الابار في تحفة القادم في حق
ابي المطرف المذكور **فائدة** هذه المائدة والواحد يفي بالعشرة الذي اعترف
بانفراده الجميع واتصف بالابداع فماذا يتصف به البديع ومعاذ الله ان
احابيه بالتقدم لما له من حق التعليم كيف وسبقه الاشهر ونطقه الياقوت
والجوهر • تحلت به الصحائف والمهارق وما تحلت عنه المغارب والمشارق
تحسبني ان اجهد في اوصافه • ثم اشهد بعدم انصافه فهلا على تناول الخصوص
والعموم لذكره • وتناوب المنثور والمنظوم على شكره نعم وزد له منها **قوله**

• واجلت فكري في وشاحك فانثنى • شوقا اليك يجول في جوّال •
• انصفت غصن البان اذ لم تدعه • لثناء دمع عطفك المتمايل •

ودمعت

• ودمعت در العقد حين ضمنته • متواريا عن ثغرك المتلالي •
• كيفا للقا وفعل وعدك سيئه • ابدا تخلصه للاستقبال •
• وكما تومك نائم ووقيدها • للطارقين اسنة وعوالي •

ولهُ مما يكتب على قوس قوله

• ما انئاد معتقل القسي الا لان • يحكي لناظره قوامي الاعوجا •
• تحنوا القلوب على الضلوع واني • ضلع تثوى فيها باعضل داء •

ولهُ وقد اهدى وردا فقال

• خذها اليك اباعد الا له فقد • جاءتك مثل خدود زانها الخفر •
• اتتك تحكي حياءا منك قد غدت • لكن بعرفيها دونها الخبر •
• ان شممتها بروقا لغيث لامعة • فسوف يأتيك من ماء الها المطر •

وكتب الى مع تحفة امتدادا ما نكافيا عن مثلها فقال

• يا واحد الادب الذي قد راقه • بمناقب جعلته فارس قصبه •
• بالفضل في الهيبة ابتدات فانعم • طرف القبول لما ومنيت خزينه •

قال ولما ارتحلنا بقصد الامارة من بلنسية وانا حاضر في صحبته بعض
الجمع وقد هجم صاحب لنا من اهل النظم والنثر واحسن الى الحمام المخصوص
فقال • اري من جاء بالموسى مواسي • وراحة ذي الفزيض تعود صفرا •
• فهذا يحسنوا ان قص شعرا • وهذا يبجح ان قص شعرا •

وله ايضا • يوما علمت من الامير فما الذي • تزداد منه وفيه لا ترتاب •
• لا تنفي الاجناد في ابابيه • فقرا ولا يرجوا الغنى الكتاب •

وله بعد انفصاله من بلنسية عن وحشه في ذي القعدة ٦٢٨

• امير بارجاء الرجاء وانما • حديث طريق طارق الحدثان • واحضر نفسي ان تقدمت خيفة
• لفض عنان او لفض زمان • ابيز لحظي للحضيض وقدرها • لامكانه فوق الزرجلان
• واحيط في ليل الحوادث يخدها • اضاء لعيني منهما القمران • فيحي الاماني حياة معاده
• وان عز عزا عزة لمكان • وقالوا اقترح الاماني بينهما • والذي فوق النجم الصمان
• فقلت اذا انا جاء ما بقضيتي • ضميري لم احفل بشرح لساني •

ولهُ ايضا

• سلبا لكرى من مقلتي فلم يجي • منه علي نائي خيال يطرق •
• امنعوا رتباحا للنسيم اذا سرى • ان الغريق بما يرى يتعلق •

انتهى ما لخص من تحفة القادم في ذكر ابي عميرة ابي المطرف **ومما كتب به**
ابو المطرف رحمه الله وفي انشاه بدا ساز الى الكفار الغالبين على بلاد الاندلس
ما نصه الان تحضينا على القطع واحد وجاحد هذا للضرورة جاحد

فانلم نصدق ما نطقت بصدق فانك لي اخ وللود لاحد ومعاذ الله عز وجل
ان يلحاني او يمنع انفك شم ريح ريحاني وكيف تضدعني بوجهك او تسجد في
عزب نجمك وانا على عيبك امين ولشمالك يمين وكم دعوت بي فاجبت
واستغنيت عن تحجبت واردت الاستبداد فما استطعت ونحت
الوداد فما احسنت النحت وانما نحن فرا منه الاعوجي ان يجري ونذكر
فضيلة ابن السري اذا سري فاما الافتضا رعلى عظم باد والانتظار بحب
عدمت السواد فخطا من القايل وخطل عند العاقل ولله در اخيك من
مغمض طرفا لظرف فاري ادبا لصحبته على الشيعة الاحرف كرع في اغرمورد
ونواضع عن شرف مولده وسما بنفسه عن ان يستخفه لسبب رفعه وحسب
ما بيننا اخا بدفعه وكذلك الكرام يزرون عليهم ويتوقون من لم يكن من الكرم
موفي لعهد بيد وظلا للثروة بارد وشيطان الشبيبة مارد وبشره في
الملمات برق وقدمه الى الحاجات خف بطون عرضه بماله ويخفي صدقة
يمينه بشماليه ويقيم جسمه في جسوم ويقوم بالحقوق غير ملول ولا ملوم
تلك المكارم لا قعبان وما نستوي البدنة المهيضة مع عيرها في القربان
وعرضت بذكر العصر الخالي والقصر العالي وظل من فنن ورنق وعيش مع
الكرام فرنق وما نذكر من من تولى وعهد على ان لا تعود تالى فارقناه
احسن ما كان وودعنا به الاطيبين الزمان والمكان فعفنا الرسوم و
افلت تلك النجوم ومنعنا عن فوقها الروم ثم حلفنا في المغاني وكتمنا
بين الاسير والعاني فاودى القتل والكر واستغنى من الاسلام الكفر فكم
كاس اسى ارقناه ومن فرقة الابد فارقناه وذكرت اجتيازك بين
العلمين وقطعك متن اليم في يومين وانك انتقلت من ذوات الالواح
الى صهوات الادواح ومن منها فنا الشراع الى منابت اليراع ومن سكنى
بيت السكان الى منزل ابرا الفلاح والملاح يستتركا تحيبا جمع الضب والنون
ابنع البنين والزيتون وظللت الساحات ودللنا لثمار المباحات
فلا تشرقنا يا اصيل ولام تلك الروض الوسيل انتهى ووصل هذا الكلام
ما الابيات التي تقدمت قريبا ومن قوله ردنا على النايين في وطانهم الخ
وكتب رحمه الله عن اهل شاطبة ايام كان قاضيا بها مهنيا امير المسلمين
ابن هود المستولي على الاندلس اخر دولة الموحدين بوصول الكتاب العباسي
الكريم اليه من بغداد بولاية الاندلس اذ كان ابن هود حين ثار على الموحدين
يدعوا الى الخليفة العباسي الذي كان اكثر الملوك في ذلك الزمان يدينون
بطاعته بما نصه بعد الصدر اما بعد فكتب العبيد كتبه الله تعالى

للمقام

للمقام العلي المجاهدي المتوكلي سعادة لا تبلغ امدا الا تخطته وبدا
علوما اثبتته ابدي الاقدار وخطته من شاطبة وبركات الامر الجهادي
المتوكلي والعهد الواثقي المعتصمي تنسكب كالمطر وتنسحب على البشر
وتقضي بعادة النصر والظفر وسعادة الورد والصدر والحمد لله
وعند العبيد من اذا فروض الخدم والقيام بحقوق النعم ما عقدت
عليه ضمائرهم وسمت اليه نواظرهم واشترك فيه باديهم وحاضرهم
فجنانا ملهم ينسج وبجرحه منهم يسيح وحديث طاعتهم حسن صحيح وبنى
النظر العلي استنداوهم وفي الباب الكريم رجاؤهم وبصدق العبودية
اعتزازهم واليها اعتزاؤهم والله تعالى ينهضهم بوظايف المثابة العلية
ويحملهم على المناهج السوية عن امام الخلق ووصل الكتاب الكريم متحليا
بنور الحق ناطقا بلسان الصدق واصفا من التشريف والفخار المنيف
ما صدر عن امام الخلق فلا بيان اعجب من ذلك البيان ولا يوم كذلك
اليوم يبدي نظره للعيان او نادى خبره في اخبار الزمان سرت فيه الخلع
العباسية في اعلى الصور وبرز منها للعيون ما يعجز البليغ عند وصفه
في ذيل الحصر ويبدي سواده سواد القلب والبصر فيا المشهد ما اعجب
ما كان ومن اما الذي راع الكفر وراق الايمان واشيد يومه بالاندلس يوم
خرجت الرايات السود من خراسان وكفى بهذا الفخار الابتهاج ثابته متينا
ان باشرت برد اباشر البدن الذي طاحيا وميتا فهو علو في الاسناد
ولا نظير له في العوالي وفخار ضلت عن مثله العصور الخوالي وجلت
بهجته ان تخلق جدتها الايام والليالي ودل الكتاب العزيز على النعمة
المستفة من الجهاد والسمة من سيف امير المؤمنين بما لا يدخل في جنس
ذوات الاعداد وخير الاوصاف ما صدق الموصوف وللكريم النسب نسبة
يباهي بها الدين ويرمي السيوف فان يكن سمينا لك خلنا سيوفنا
من البيته في اغماد بما نبتسم ومما افادة الكتاب المبهج بطيب نبايه
نص علامة سيدنا صلوات الله عليه وعلى ابايه فانها تضمنت صبغة الله
عز وجل من صفات الكمال ودلت على مذهب اهل السنة في خلق الله عز
وجل الاعمال واشعرتنا معشر العبيد بغاية سبقت بالمقام المجاهدي
المتوكلي احسن الله تعالى اليه حين تولى لخلافة امير المؤمنين صلوات
الله عليه فانه لما شا يعد لعزمه مساعده ونيته في مشرع الصفا والاخلاص
وارده اللهم زيادة في العلامة شاركت الامامة في صفة واحدة فهذه
الامنة في العلامة من علامة الكرامة ومنة من مواهب الكشف يجدها من

امتثل قوله فاستقم كما امرت فكان من اهل الاستقامة ونضمن الحما بفنا الكرم
ببعثة المراجيا ان وما معها وان هذه البشاير وما تبعها للفروع عن هذا
الصحيح واقتبسه عن هذا النص الصحيح باد لذا الخلاف فقد استقلت •
وشبهة الخلاف قد بطلت واضمحلت • والحمد لله على منح جزيل النعما وشرح
باليقين صدور الاوليا وشرف هذه الامة بما من تجل الايمة الخلفا
وابن عم سيد المرسلين وخاتم الانبيا والعبيد يهيبون بهذه النعم التي لا يستقل
بذكرها قلم ولا يقطع علم من وصفها الابدا علم • ويهم من الاشواق الى مشاهدة
المعالم الشريفة ولثم اليمين الطاهرة العلية ما اكرم دنوا لذا روجدده
ما تجدد للمقام العلي المتوكلي من نعم الله تعالى الجليلة المقدار والشايعة
له باسعاد الايام واسعاف الاقدار • فلو امكنهم الاقدام لاقدموا • ولو وجدوا
رخصة في المسير لعزموا • ومنهم يستلمون البساط الاشرف في نومهما ومن املهم
انهم في الحقيقة قد استلموا النهي • وبد نعلم ان الدولة العباسية
خطب لها ببلاد الاندلس اعادها الله للاسلام ولا يخفى ان ما جلبناه
من ذلك وغيره مناسب للمقام • فلا انتقاد ولا ملام • وقد راينا ان
اذكر هنا مخاطبة صدرت من الغني بالله صاحب الاندلس الى السلطان المنصور
احمد بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون من انشاء الوزير الكبير لسان الدين
ابن الخطيب رحمه الله لما اشتملت عليه من احوال الاندلس ونصها الابواب
التي تفتح لنصرها ابواب السما • وتستدر من افقها سحايب النعما • وتجلي بانوار
سعدها دياجي الظلما • وتعرف بكرة البلاد والعباد بلا انتساب الى نحلتها
والانتما على اختلاف العروض • وتباين الحدود وتعدد الاسما • وتحبر امن صلاتها
صلاتها عند المواقع من كمال صلات منصفا بها بالايما • وتحمل لها التحية ذوات
الدثر والالواح • طالعة نجل الصباح على كبد السما • ابواب السلطان الكبير
الجليل الشهير الطاهر الظاهر الاوحد الاسعد الاصعد الامجد الاعلى
العادل العالم • الفاضل الكامل سلطان الاسلام والمسلمين عماد الدنيا
والدين • رافع ظلال العدل على العالمين حامي الاسلام علم الاعلام فخر الليالي
والايام • ملك البرين والبحرين امام الحرمين • مومل الامصار والآفاق
عاصب تاج الفخار • ممارز الفرنج والترك والتتار • الملك المنصور ابن الرفيع
الجاه الكريم الولادة الطاهر الطاهر الكبير الشهير المعظم الممجد الاسمى
الموقر سيف الملة تاج الامارة عز الاسلام مسقط الانام فخر الميدان •
اسد الحرب العوان • المقدس المطهر • الامير احمد ابن والد السلاطين • وما لك
المسلمين • وسيف خلافة الله على العالمين • وولي المومنين • سلطان الجهاد

والحج

والحج • ومقيم رسم العج والثج • محيي معالم الدين قامع المعتدين • قامع
المعتدين قاهر الخوارج والمتمردين • ناصر السنة محيي الملة • ملك البرين
والبحرين • سلطان الحرمين • الملك العادل العالم العامل المنصور المؤيد
المرفع المعظم • المبجل المؤمل • المجاهد المرابط الغازي المجد المكمل المطهر
الكبير الشهير المقدس الملك الناصر ابي عبد الله محمد بن قلاوون الصالحي
جعل الله قسطاط دعوته معمودا بعمود الصبح • وحركات عزمه مبنية
على الفتح • ومجمل سعادته غنيا عن الشرح • وجياد اوصافه متبارية في
ميدان المدح • وزناد ارائه واريه على القدح • من موجب حقه وجوبا لشعائر
الخمس المرحب لاجل افقه الشرقية بوفادة الشمس • المجدد في اليوم حكم
ما تقرر بين السلف رحمهم الله بالامس • امير المسلمين بالاندلس عبد الله
الغني بالله الغالب محمد بن يوسف بن اسماعيل بن فرج بن نصر سلام
كريم كما رحفت رايته الصبح نفذتها طلايع مبشرات الرياح • ونفاوح
ارجه زهر الادواح • ويجانس طرزا لوجوه الملاح • نخص لونكم التي ربت
الغر فصولها • وعضدت نصوص النصر نصولها • ورحمة الله وبركاته اما
بعد حمد الله الذي جعله فاتحة الفرقان • وخاتمة دعاء اهل الجنان •
وشكره على ما اولى من مواهب الاحسان • حمدا وشكرا يستخدمان من
الانسان ملكتي القلب واللسان • والصلاة على سيدنا ومولانا محمد
رسول الله زمزمة كمام الاكوان • وسيد ولد ادم على اختلاف اللغات و
الالوان • الذي بعزة الله ارغم انوف الطغيان • وعظى بيد بنيه الحق على الاديان
وزويت له الارض فراى ملك امته يبلغ ما زوي له فكان الخبر وفق
العيان • والرضى عمن له من الاصحاب • والاحباب والاعمام والانصار
والاخوان • صلاة يجددها الجديدان • ويمليها الملوان • ونترامى على
تربته المقدسة من الاحيان • ما سجعت طيور البراعة من اعواد
البراعة على الافنان • والتفت عيون المعاني ما بين اجفان البيان •
والدعا لابوابكم الشريفة جعل الله عصمته تقيم بها وطيفتي المحجة
والاستنبدات • وضرب يدعوتها التي هي لذة الاقامة والاذان على
الاذان • واستخدم بروح الفلك الدوار في امرها الغزير الانصار والاعوان
حتى يعلم ما في المدا فيغذ عن حماها مخالب السرحان • وفي الاشادة بعدلها
كفتي الميزان • ويهدي لها من الذهب كرة الميدان ومن الهلال عوض الصولجان
وانبي في عواملها ضمير الامر والشان • الي يوم تعنوا وجوه الملوك الي
الملك الديان • فانا كتبناه الي تلك الابواب كتب الله لعتبتها

النصرة الداخلة كما انجلى بمكان بهما السحب الباحلة • وجعل مفارق
مناصلها المختضبة من نجيع عداها غيرا للناصلة • وقرن بكل سبب
من اضداده ما فاصلة • من دار ملك الاسلام بالاندلس حمراء غرناطة • وصل
الله سبحانه عادة الدفاع عن ارجائها • وشد بايدي اليقين عرى املها
في الله ورجائها • حيث المصاف المعقوده • ومن النفوس المنفوده • ونار
الحرب ذات الوقود • حيث الافق قد تردى بالقتام وتعمم • والسيف قد
تجرد وتيمم • وغبار الجهاد يقول انا الامان من دخان جهنم • حيث
الاسلام من عدوه كالشامة من جلد البعير • والنمرة من اوسق العير •
حيث المصارع تتزاحم الحور على شهدائها • والابطال تعلو بالتكبير
مستمع ندائها • حيث الوجوه الضاحكة المستبشرة قد زينتها الكلوم
بدمائها • وان هذا القطر الذي مهدت لسياستنا اكوار مطاياه •
وجعلت بيدنا والمنة لله غايات عطاياه • قطر مستقل بنفسه مرب
يومه في البر على امسه • زكي المنابت • عذب المشارب منعم الماكل مكمل المآ
فاره الحيوان معتدل النسيم والاوان • وبسيطة في الاقاليم المتشبهة
شاهدة لله باحكام الصنعة • اما خيله فقارحه • والى الركض شازبه
واما سيوفه فلمواطن الغمود كارهه • واما اسلته فمتخذة ركز الخطف
واما عوامله فبينة الحذف • واما نباله فمحذورة القذف • الا ان
الاسلام به في سقط من الحياة • ودريئة للمنيات الوحيات • وهدفا
للنبال • واكلة للسبال • تطامهم الغارات المتعاقبة • وتحفهم الحدود
المصاقبة • وتجوس خلالهم العيون المراقبة • وتريب من اشكال تخطفهم
الا ان تتفضل الله العافية • فليس الا الصبر والضرب الهبر • والنمر
والنبر • والمقابلة والجبر • وقد حالنا لنحر بينهم وبين اخوان ملتهم
واساة علتهم يقومون بهذا الفرض عن اهل الارض • ويقرضون ملك
يوم العرض احسن القرض • فلولا بعد المدى وعول الردى ولغط العدى
وما عدا مما بدا • لسمعتم بكبير الحملات • وزئير تلك الفلاة وذوي
الحوافر وصلصل السيوف من فوق المغافر • وصراخ الثكالى وارتفاع
الادعية الى الله تعالى • ولو ارتفع بهذا المكان وهو للاوليا مثلكم
من حجر الامكان • لمقلتم مقل الاسنة الزرق حالة من اطراف قصب
الرماح محال الورق • وابصرتم المقلل الحظا رفدعا داخله • والسيوف
قد صارت فوق بدور الخود اهلة • وعقود الشهادة عند قاضي الشفاعة
مستقلة • وكان مما تخصره علومكم الشريفة حذف سور الفتح • واخذ الا

ذلك

ذلك المنح • عرض على الفاروق فاحتاط واغرى به من بعده فاستشاط • وحرص
جبل ابن ابي سرح حتى اذا والدهر ذوات تقلدوا اكرمها التي نوت وختموه
ما الصحف ورثة الحق وسوى • وبدمهم على الامر اختوت وفازت منه
بما نوت • نقل ولا بد الوليد • وحليته الطريف والتليد • وطرقت
جبل طارق • وضاقت عن اخباره المهارق • وجلب الغابر وظهر على
الذخيرة التي منها المائدة • ثم استرسل المهيب ونصر الرب • وبكثرة الطير
حيث بنثر الحب • وصرفت اشراف الشام اعنتها الى التماس خيره وطارت باجنحة
العزايم تيمنا بطيره • وقصدته الطلايع صحبة بلج بن بشر وغيره فتفتحت الاقفال
وتقلدت الانفال • ونجح الفال • ووسمت الاغفال • وافتتحت البلاد الشهيرة
وانتقيت العذارى الخيرة • واقتنيت الذخيرة • وتجاوز الاسلام الدرب وتخطى
وخضد الارطى واركب وامطى • واستوثق واستوطى • وتناب ومطى حتى تعدت
مراحل البريد • وسخنت عين الشيطان المريد • واستوثق للاسلام ملك ضخم السرادق
رسوب البوارق • رفيع العمد بعيد الامد • تشهد بذلك الاثار والاخبار
والوقايع الكبار • والاوراق والاسطار • ومثل يجيء النهار ولكل مبسوط
ركود • وللدهر حسود ولدود • فراجعت الفرنج كرتها • واستدركت معها
قد وحت جوارحها • وحلقت وانقضت بوارقها • وتالفت وتبسطت وتعلقت
وارسلت الاعنة واطلقت • وراجعت العقايل التي طلقت • حتى لم يبق
من الكتاب الا الحاشية • ولا من الليل الا الناشية • وسقطت الغاشية
واخلدت الفئة المتلاشية • وتقلصت الظلال الغاشية • الا ان الله
تدارك • بقوم رجح من سلفنا ابتنوا في مستنقع الموت اقدامهم • واخلصوا
لله باسهم واقدامهم • ووصلوا سيوفهم الباترة بخطاهم • واعطاهم منشور
العز من اعطاهم • حتى تعين الدين وتحيز • واشتهر بالمدافعة وتميز •
وعادت الحروب سجالا • وعلم الروم ان لله رجالا • وقد وفدنا رضي
الله عنه على ابواب سلفكم من وقايعه في العدو كل مبسمه • وجود بيته
منتشره • ضحكت لها ثغور الثغور • وسرت بها في الاعطاف حميا السرور
وكانت المراجعة عنها شفاء للصدور • وتمايم في الدور • وحمرا في وجوه
البدور • فان ذمام الاسلام موصول • وفروعه يجمعها في الله اصول
وما اقرب الحزن ممن داره صول • والملة والمنة لله وحده • والنفوس
لا منكرة للحق ولا جاحدة والاقدار معروفة والاعمال لما يوصل الى الله
مصروفة • فاذا لم يمكن الاستدعاء امكن الدعاء والخواطر قفالة والكل
على الله عالة • والدين غريب والغريب يحن الى اهله والمرء كثير باخيه على

بعد محله انتهى المقصود من المخاطبة مما يتعلق بهذا الباب والله الموفق للصواب

الباب الثالث

في سرد بعض ما كان للدين بالاندلس من العز السامي العماد والقهر للعدو في الرواح والغدو والتحرك والصدق البالغ غاية الامتداد واعمال اهلها بالجهاد بالجد والاجتهاد في الجبال والوهاد بالاسنة المشرعة والسيوف المسللة من الاغماد قد قدمنا في الباب قبل هذا ما كان من نصر المسلمين وفتحهم الاندلس وما حصل لهم من السلطان بها الى مجي الداخل فتقررت القواعد السلطانية وعلت الكلمة الايمانية نسرده هنا ان شاء الله تعالى وذكر غير واحد منهم ابن حزم ان دولة بني امية بالاندلس كانت انبل دول الاسلام وانكاها في العدو وقد بلغت من العز والنصر ما لا مزيد عليه كما سنرى بعضه واصل هذه الدولة كما قال ابن خلدون وغيره ان بني امية لما نزل بهم بالمشرق ما نزل وغلبهم بنوا العباس على الخلافة وازالوهم عن كرسيها وقتل عبد الله بن علي مروان بن محمد بن مروان بن الحكم اخر خلفائهم ١٣٢ سنة وتتبع بني مروان بالقتل فطلبوا بطن الارض من بعد ظهرها وكان ممن افلت منهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وكان قومه يتحسسون له ملكا بالمغرب ويرون فيه علامات لذلك يا ثرونها عن مسلمة ابن عبد الملك وكان هو قد سمعها منه مشافهة فكانت تحدث نفسه بذلك فخلص الى المغرب ونزل على اخواله نفزة من برابرة طرابلس وشعر به عبد الرحمن ابن حبيب وكان قد قتل ابني الوليد بن يزيد بن عبد الملك لما دخلا افريقية فلحق بمغيلة وقيل بمكناسة وقيل بقوم من زناتة فاحسنوا قبوله واطمانّ فيهم ثم لحق بمليلة وبعث بدرا مولاه الى من بالاندلس من موالي المروانيين اشياعهم فاجتمع بهم وبثوا له في الاندلس دعوة ونشروا له ذكرا ووافق قدومه ما كان بين الاخريين اليمنية والمضرية فاصفقت اليمنية على امره لكون الامر كان ليوسف بن عبد الرحمن الفهري وصاحبه الصميل ورجع بدر مولاه اليه بالخبر فاجاز البحر ١٣٨ سنة في خلافة ابي جعفر المنصور ونزل بساحل المنكب واتاه قوم من اهل اشبيلية فبايعوه ثم انتقل الى كورة رية فبايعه عاملها عيسى بن مساور ثم الى شذونة فبايعه عتاب بن علقمة اللخمي ثم الى مورور فبايعه ابن الصباح ونهض الى قرطبة واجتمعت اليه اليمنية ونمى خبره الى والي الاندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري وكان غازيا بجليقية فانتقض عسكره ورجع الى قرطبة واشار عليه وزيره الصميل بن حاتم بالتلطف

له المكرية

والمكر به لكونه صغير السن حديث عهد بنعمة فلم يتم ما اراده وارتحل عبد الرحمن من المنكب فاحتل بمالقة فبايعه جندها ثم برندة ثم بشريش كذلك ثم باشبيلية فتوافت اليه جنود الامصار وتسايلت المضرية اليه حتى اذا لم يبق مع يوسف بن عبد الرحمن غير الفهرية والقيسية لمكان الصميل منه زحف حينئذ عبد الرحمن الداخل وناجزهم الحرب بظاهر قرطبة فانكشف يوسف ولجأ الى غرناطة فتحصن بها واتبعه الامير عبد الرحمن فنازله ثم رغب اليه يوسف في الصلح فعقد له على ان يسكن قرطبة واقفله معه ثم نقض يوسف عهده وخرج ١٤١ سنة ولحق بطليطلة واجتمع اليه زهاء عشرين الفا من البربر وقدم الامير عبد الرحمن للقاية عبد الملك بن عمر المرواني وكان قد علله من المشرق وكان ابوه عمر بن مروان بن الحكم في كفالة اخيه عبد العزيز بن مروان بمصر فلما دخل المسودة ارض مصر خرج عبد الملك يؤم الاندلس في عشرة رجال من قومه مشهورين بالباس والنجدة حتى نزل على عبد الرحمن ١٤٠ سنة فعقد له على اشبيلية ولابنه عمر بن عبد الملك على مورور وسار يوسف اليهما وخرجا اليه ولقياه وتناجز الفريقان وكانت الدبرة على يوسف وابعد المفر واغتاله بعض اصحابه بناحية طليطلة واحتز راسه وتقدم به الى الامير عبد الرحمن فاستقام امره واستقر بقرطبة وثبتت قدمه في الملك وبنى المسجد الجامع والقصر بقرطبة وانفق عليه ثمانين الف دينار ومات قبل تمامه وبنى مساجد ووفد عليه جماعة من اهل بيته من المشرق وكان يدعو للمنصور ثم قطع دعوته ومهد الدولة بالاندلس واثل بها الملك العظيم لبني مروان والسلطان العزيز وجدد ما طمس لهم بالمشرق من معالم الخلافة واثارها واستلحم الثوار عليه على كثرتهم في النواحي وقطع دعوة آل العباس من منابر الاندلس وسد المذاهب منهم دونها وملك سنة اثنتين وسبعين ومائة وكان يعرف بعبد الرحمن الداخل لانه اول داخل من ملوك بني مروان الى الاندلس وكان ابو جعفر المنصور يسميه صقر قريش لما راى انه فعل بالاندلس وما ركبه اليها من الاخطار وانه صمد اليها من اقاصي ديار المشرق من غير عصابة ولا انصار فغلب اهلها على امرهم وتناول الملك من ايديهم بقوة شكيمته ومضاء عزمه حتى انقاد له الامر وجرى على اختياره واورثه عقبه وكان يسمى بالامير وعليه جرى بنوه من بعده فلم يدع احد منهم بامير المؤمنين تادبا مع الخلافة بمقر الاسلام ومنتدى العرب حتى كان من عقبه عبد الرحمن الناصر وهو ثامن بني امية بالاندلس فتسمى بامير المؤمنين على ما

سنة ذكره لما رأى من ضعف خلفاء بني العباس بعد الثلاثمائة وغلبة الأعاجم
عليهم وكونهم لم يتركوا لهم غير الاسم وتوارث التلقب بأمير المؤمنين بنو
عبد الرحمن الناصر أحداً فواحد وكان لبني عبد الرحمن
الداخل بالعدوة الأندلسية ملك ضخم ودولة متسعة اتصلت إلى ما بعد
المائة الرابعة وعندما اشتغل المسلمون بعبد الرحمن وتمهيد أمره قوي أمر
الجلالقة واستفحل سلطانهم وعمد فرويلة بن اذفونش ملكهم إلى ثغور
البلاد فأخرج المسلمين منها وملكها من أيديهم فملك مدينة لك وبرتقال
وسمورة وقشتالة وشقوبية وصارت للجلالقة حتى افتتحها المنصور
ابن أبي عامر آخر الدولة ثم استعادوا من بلاد الأندلس واستولوا على
جميعها حسبما يذكر والله سبحانه الأمر انتهى وخاطب عبد الرحمن قارله
ملك الإفرنج وكان من طغاة الإفرنج بعد أن تمرس به مرة فأصابه صليب
المكسر ثم الرجولية فما لمعه إلى المداراة ودعاه إلى المصاهرة والسلم
فأجابه للسلم ولم تتم المصاهرة الفى الداخل الأندلس
ثغراً قاصياً غفلاً من حلية الملك عاطلاً فأرهف أهلها بالطاعة السلطانية
وحنكهم بالسيرة الملوكية وأخذهم بالآداب فأكسبهم عما قليل المروءة
وأقامهم على الطريقة وبدأ فدون الدواوين ورفع الأواوين وفرض
الأعطية وعقد الألوية وجند الأجناد ورفع العماد وأوثق الأوتاد
فأقام للملك آلته وأخذ للسلطان عدته فاعترف له بذلك أكابر الملوك
وحذروا جانبه وتحاموا حوزته ولم يلبث أن دانت له البلاد الأندلسية
واستقل الأمر له فيها فلذلك ما ظل عدوه أبو جعفر المنصور يصف حسه
وبعد غوره وسعة احاطته ويسترجح عبد الرحمن كثيراً ويعدله بنفسه
ويكثر ذكره ويقول لا تعجبوا لامتداد أمرنا مع طول مراسه وقوة أسبابه
فالشأن في أمر فتى قريش الأحوذي الفذ في جميع شؤونه وعدمه لأهله و
نشبه وتسليه عن جميع ذلك ببعد رأي همته ومضاء عزيمته حتى قذف بنفسه
في لجج المهالك لابتناء مجد فاقتحم جزيرة شاسعة المحل نائية المطمح عصبية
الجند ضرب بين جندها بخصوصيته وقمع بعضهم ببعض بقوة حيلته واستمال
قلوب رعيتها بقصد سياسته حتى انقاد له عصيهم وذل له أبيهم
فاستوى فيها على أريكته ملكاً على قطعته قاهراً لأعدائه حامياً لذماره
مانعاً لحوزته خالطاً الرغبة إليه بالرهبة منه إن ذلك لهو الفتى كل
الفتى لا يكذب مادحه وجعل ابن حيان من النوادر العجيبة موافقة
عبد الرحمن هذا لأبي جعفر المنصور في الرجولية والاستيلاء والصرامة والاجتراء

على

على الجبابرة والفتاوة وأن أم كل واحد منهما بربرية وكان الداخل يقعد
للعامة ويسمع منهم وينظر بنفسه فيما بينهم ويتوصل إليه من أراده
من الناس فيتصل الضعيف منهم إلى رفع ظلامته إليه دون مشقة
وكان من عادته أن يأكل معه من أصحابه من أدركه وقت طعامه ومن وافق
ذلك من طلاب الحوائج إليه أكل معه وفي كتاب ابن زيدون أنه كان أصهب
خفيف العارضين بوجهه خال طويل القامة نحيف الجسم له ضفيرتان أعور
أخشم والأخشم الذي لا يشم وكان يلقب بصقر قريش لكونه تغرب وقطع البر
والبحر وأقام ملكاً منفرداً بنفسه ولما ذكر الحجازي أنه أعور قال لما أنشد
فيه الأقول امرؤ القيس لكن عزيز وفي يده منه أعور شأنه ولا قصر
وقال ابن خلدون وفي سنة ست وأربعين سار العلاء بن مغيث
اليحصبي من إفريقية إلى الأندلس ونزل بباجة الأندلس داعياً لأبي جعفر
المنصور واجتمع إليه خلق كثير فسار عبد الرحمن إليه ولقيه بنواحي إشبيلية
فقاتلوا أياماً ثم انهزم العلاء وقتل في سبعة آلاف من أصحابه وبعث عبد
الرحمن برؤوس كثير منهم إلى القيروان ومكة فألقيت في أسواقها سراً ومعها
اللواء الأسود وكتاب المنصور للعلاء فارتاع المنصور لذلك وقال ما
هذا إلا شيطان والحمد لله الذي جعل بيننا وبينه البحر وكلاماً هذا معناه
وقد مر ذكر ذلك وكثرت ثورة رؤساء العرب بالأندلس على عبد الرحمن
الداخل ونابذوه ملكه ولقي منهم خطوباً عظيمة وكانت العاقبة له
واسترابت في آخر أمره بالعرب لكثرة من قام عليه منهم فرجع إلى اصطناع
المعروف والقبائل من سواهم واتخاذ الموالي ثم غزا بلاد الإفرنج و
البشكنس ومن وراءهم ورجع بالظفر وكان في نيته أن يجدد دولة بني
مروان بالمشرق فمات دون ذلك الأمل وكانت مدة ملكه ثلاثاً وثلاثين
سنة وأربعة أشهر إذ دخل الأندلس سنة ثمان وثلاثين ومات بها في
سنة اثنتين وسبعين وقيل إحدى وسبعين ومائة في خلافة الرشيد و
أمه ولد بربرية اسمها راح ومولده سنة ثلاث عشرة ومائة بدير حنا من أرض
دمشق وقيل بالعلياء من تدمر ومات أبوه في أيام أبيه هشام سنة ثمان
عشرة عن إحدى وعشرين سنة وكفله وأخاه جدهم هشام وذهب لعبد
الرحمن هذا جميع الأخماس التي اجتمعت للخلفاء بالأندلس واتخذها أباً عما وجب
لجبايتها من مال الشام سعيد بن أبي ليلى وقيل إنه لما قصد المغرب من فلسطين
خرج معه رابعة بدر مولى أبيه وأبي شجاع وزياد وعمرو وقيل إن بدراً لحقه
ولم يخرج معه فالله أعلم وخلف من الولد عشرين رجلاً وتسع إناث وحكى غير

واحد انه لما هرب من الشام الى افريقية قاصدا الاندلس نزل بمقيلة
فصار بها عند شيخ من رؤساء البربر يدعى وانسوس ويكنى ابا قرة فاستتر
عنده وقتا ولحق به بدر مولى ابيه بجوهر وذهب نفذت له اخته اليه فلما
دخل الاندلس واستتب امره به سار اليه ابو قرة وانسوس البربري فاحسن
اليه وحظي عنده واكرم زوجته تكفاة البربرية التي خباته تحت ثيابها
عندما فتشت رسل ابن حبيب بيتها عنه فقال لها عبد الرحمن مداعبا
حين استظلت بظله في الاندلس لقد عذبتني بريح ابطيك يا تكفاة على ما
كان بي من الخوف وسعطتني بانتن من ريح الجيف فكان جوابها له مسرعا بل ذلك
كان والله يا سيدي منك خرج ولم تشعر به من فرط فزعك فاستظرف جوابها
واغضى عن مواجهتها بمثل ذلك وهذه من آفات المزاح ومن محاسنه انه
انار السور بقرطبة رحمه الله وتوفي الملك بعده ابنه هشام بعهد
منه اليه وامه ام ولد اسمها حلل وافضى اليه الملك وهو بماردة واليا عليها
وكان ابوه يوليه في صباه ويرشحه للامر وكان الداخل كثيرا ما ينبه على ابنيه
سليمان وهشام فيذكر له ان هشاما اذا احضر مجلسا امتلا ادبا وتاريخا
وذكر امور الحرب ومواقف الابطال وما اشبه ذلك واذا احضر سليمان
مجلسا امتلا سخفا وهذيانا فيكبر هشام في عينيه بمقدار ما يصغر سليمان
وقال يوما لهشام لمن هذا الشعر شعر

• وتعرف من ابيه شمايلا ومن خاله ومن يزيد ومن حجر •
• سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا ونايل ذا اذا صحا واذا سكر •

فقال له يا سيدي لامري القيس ملك كندة وكانه قال في الامير اعزه الله
فضمه اليه استحسانا لما سمع وامر له باحسان كثير وزاد في عينيه ثم قال
لسليمان على انفراد لمن هذا الشعر وانشده البيتين فقال لعلهما لاحد اجلاف
اما لي شغل غير حفظ اقوال اجلاف العرب فاطرق عبد الرحمن وعلم قدر ما بين
الاثنين من المزية ولما ولي هشام استحضر المنجم المعروف بالضبي من وطنه
الجزيرة الخضراء الى قرطبة وكان في علم النجوم والمعرفة بالحركات الفلكية بطليموس
زمانه حذقا واصابة فلما اتاه خلا به وقال له يا ضبي لست اشك انه قد عنا
من امرنا اذ بلغك ما لم تدع تجديد النظر فيه فانشدك الله الا ما انباتنا بما
ظهر لك فتفرغ للنظر فيما بقي علينا فيه فتلجلج وقال اعفني ايها الامير فاني
الممتحن به فلم احقق النظر فيه لجلالته في نفسي فقال له قد اجلتك لذلك
فتفرغ للنظر فيما بقي عليك منه ثم احضره بعد ايام فقال له ان الذي سالتك
عنه جد مني مع اني والله ما اثق بحقيقته اذ كان من غيب الله الذي استاثر

ولاية هشام بن عبد الرحمن الداخل الاموي

به ولكني

90

به ولكني احب ان اسمع ما عندك فيه فالنفس طلقة والزمته الصلة او
العقوبة فقال اعلم ايها الامير سوف يستقر ملكك سعيدا جدك قاهرا لمن
عاداك الا ان مدتك فيه فيما دل عليه النظر تكون ثمانية اعوام او نحوها
فاطرق ساعة ثم رفع راسه وقال يا ضبي ما اخوفني ان يكون النذير
كلمني بلسانك والله لو ان هذه المدة كانت في سجدة لله تعالى لقلت طاعة
له ووصله وخلع عليه وزهد في الدنيا والتزم افعال البر ومن حكاياته
في الجود انه كان قاعدا لراحته في علية على النهر في حياة والده فنظر
الى رجل من قدماء اصحابه من اهل جيان قد اقبل يوضع السير في الهاجرة
فانكر ذلك وقدر شرا وقع به من قبل اخيه سليمان وكان واليا على جيان
فامر بادخاله عليه فقال له ما الذي جاء بك يا كناني فلامر ما اسرعت السير وما
احسبك الا مزعجا من شيء دهمك فقال نعم يا سيدي قتل رجل من قومي رجلا
خطأ فحملت الدية على العاقلة فاخذتها من كنانة عامة ثم حمل علي من بينهم
خاصة وقصدني اخوك بلا عندا اذ عرف مكاني منك فهم هشام بدء الى جارية
كانت وراءه وقطع قلادة عقد نفيس كان في نحرها وقال للرجل دونك هذا
العقد يا كناني وشراؤه على ثلاثة الاف دينار فلا تخدعن عنه وبعه فارد
عن نفسك وعن قومك ولا تمكن الرجل من انتصافك فقال يا سيدي لم
آتك مستجديا ولا لضيق المال عما حملته ولكني لما اعتمدت بظلم صراح
احببت ان يظهر علي عز نصرك واثر ديك واستخلاصك فاتمجد بذلك
عند من تحسدني على الانتماء اليك فقال هشام فما وجه ذلك قال ان تكتب
الى اخيك في الامساك عني والقيام بذمتك لي فقال امسك العقد
واركب من حينه الى والده الداخل واستاذن عليه في وقت انكره فانزعج
وقال لما اتى يا ابا الوليد في هذا الوقت الا امر مقلق ايذنوا له فلما دخل
عليه سلم ومثل قايما بين يديه فقال له اجلس يا هشام فقال اصلح الله الامير
سيدي وكيف جلوسي بهم وذل منزعج وحق لمن قام مقامي ان لا يجلس الا من
ولن يبعد في الاطيب نفسي باسعاف الامير لحاجتي والا رجعت على عقبي
فقال له حاشى لك من ان تنقلب خايبا فاقعد مجابا مشفعا فجلس
فقال له ابوه فما الحدث المقلق فاعلمه فامر بحمل الدية عنه وعن عشيرته
من بيت المال فسر هشام واطنب في الشكر وكتب الامير الى ولده سليمان
في ترك التعرض لهذا الكناني بما لم يدر في خلده ولما دخل الكناني لوداع
هشام فقال له يا سيدي قد تجاوزت بك حد الامنية بعد وبلغت غاية النظر
وقد اغنى الله عن العقد المبذول بين يدي الغاية الكريمة فتقبضه الي

صاحبته فابى من ذلك وقال لا سبيل الى رجوعها الينا وكان هشام يذهب بسيرته مذهب عمر بن عبد العزيز وكان يبعث بقوم من ثقاته الى الكور فيسألوا الناس عن سيرة عماله ويخبرونه بحقايقها فاذا انهى اليه عن احدهم حيف اوقع به واسقطه وانصف منه ولم يستعمله بعد ولما وصفه زياد بن عبد الرحمن لمالك بن انس قال نسأل الله تعالى ان يزين موسمنا بمثل هذا وفي ايامه فتحت اربونة الشهيرة واشترط على المعاهدين من اهل جليقية من صعاب شروطه انتقال العدد من احمال التراب من سور اربونة المفتتحة يحملونها الى باب قصره بقرطبة وبنى منه المسجد الذي قدام باب الجنان وفضلت منه فضلة بقيت مكومة وقاسى مع المخالفين له من اهل بيته وغيرهم حروبا ثم كانت الدايرة له وقصد الى بلاد الحرب غازيا وقصد اليه والقلاع فلقي العدو وظفر بهم وفتح الله عليه سنة خمس وسبعين وبعث العسكر الى جليقية مع يوسف بن بخت فلقي ملكها برمند وهزمه واثخن في العدو وفي سنة ٧٦ بعث وزيره عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث لغزاة العدو فبلغ البه والقلاع فاثخن في نواحيها ثم بعثه في العساكر سنة ٧٧ الى اربونة وجرندة فاثخن فيهما ووطئ ارض سرطانية وتوغل عبد الملك في بلاد الكفار وهزمهم ثم بعث العساكر مع عبد الكريم بن عبد الواحد الى البه والقلاع سنة ٧٨ ومع اخيه عبد الملك بن عبد الواحد الى بلاد جليقية فانتهى الى استرقة فجمع له ملك الجلالقة واستمد عليك ملك البشكنس ثم خام عن اللقاء ورجع ادراجه واتبعه عبد الملك وتوغل في بلادهم وكان هشام قد بعث الجيوش من ناحية اخرى فلقوا بعبد الملك واثخنوا في البلاد وغنمهم عساكر الافرنج فنالوا منهم بعض النيل ثم خرجوا سالمين ظافرين ومن محاسنه انه جدد القنطرة التي يضرب بها المثل بقرطبة كما سبق وكان بناها السمح الخولاني عامل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فاحكم هشام بناها الى الغاية وقال يوما لاحد وزرائه ما يقول اهل قرطبة فقال يقولون ما بناها الامير الا ليمضي عليها الى صيده وقنصه فالى هشام على نفسه ان لا يمر عليها فلم يمر عليها بعد وتوفي بما حلف عليه ثم توفي في سنة ثمانين وماية لسبع سنين وتسعة اشهر من امارته وقيل ثمان وكان من اهل الخير والصلاح كثير الغزو والجهاد ومن محاسنه ايضا اكمال بناء الجامع بقرطبة وكان ابوه شرع فيه ومن محاسنه انه اخرج المصدق لاخذ الزكاة على الكتاب والسنة رحمه الله وعمره اربعون سنة واربعة اشهر وولد في شوال سنة ١٣٩ وولي بعده ابنه الحكم بعهد منه اليه فاستكثر من المماليك وارتبط الخيل

ولاية الحكم بن هشام

واستعمل

واستعمل مماليكه وباشر الامور بنفسه وفي خلال الفتنة كانت بينه وبين عميه اغتنم العدو الكافر الفرصة في بلاد المسلمين وقصد برشلونة فملكوها سنة خمس وثمانين وتاخرت عساكر المسلمين الى ما دونها وبعث الحكم العساكر مع الحاجب عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الجلالقة فاثخنوا فيها وخالفهم العدو الى المضايق فرجع على التعبية وظفر بهم وخرج الى بلاد الاسلام ظافرا وكانت له الوقعة الشهيرة مع اهل الربض من قرطبة لانه في صدر ولايته كان قد انهمك في لذاته فاجتمع اهل العلم والورع بقرطبة مثل يحيى الليثي صاحب مالك واخذ رواية الموطا عنه وطالوت الفقيه وغيرهما فثاروا به وخلعوه وبايعوا بعض قرابته وكانوا بالربض الغربي من قرطبة وكانت محلته متصلة بقصره فقاتلهم الحكم فغلبهم وافترقوا وهدم دورهم ومساجدهم ولحقوا بفاس من ارض العدوة وبالاسكندرية من ارض المشرق ونزل بها جمع منهم ثم ثاروا بها فزحف اليهم عبد الله بن طاهر صاحب مصر للمامون بن الرشيد وغلبهم واجازهم الى جزيرة اقريطش فلم يزالوا بها الى ان ملكها الافرنج من ايديهم بعد مدة وكانت في ايام الحكم حروب وفتن مع الثوار المخالفين له من اهل طليطلة وغيرهم وفي سنة ثنتين وتسعين جمع لذريق ملك الافرنج جموعه وسار الى حصار طرسونة فبعث الحكم ابنه عبد الرحمن في العساكر فهزمه وفتح الله على المسلمين وعاد ظافرا ولما كثر عيث الافرنج في الثغور بسبب اشتغال الحكم بالخارجين عليه سار بنفسه الى الافرنج سنة ست وتسعين فافتتح الثغور والحصون وخرب النواحي واثخن في القتل والسبي والنهب وعاد الى قرطبة ظافرا وفي سنة مايتين بعث العساكر مع ابن مغيث الى بلاد الافرنج فخرب وهدم عدة حصون واقبل السلط ملك الجلالقة في جموع عظيمة ونازلوا على نهر وافتتلوا عليه اياما ونال المسلمون من اعظم النيل واقاموا كذلك ثلاثة عشر ليلة ثم كثرت الامطار ومد النهر وقفل المسلمون ظافرين غانمين وهو اول من جند الاجناد واتخذ العدة وكان افخل بني امية بالاندلس واشدهم اقداما ونجدة وكان يشبه بابي جعفر المنصور من خلفاء بني العباس في شدة الملك وتوطيد الدولة وقمع الاعداء وكان يؤثر الفقيه زياد بن عبد الرحمن فحضر يوما عنده فبينما خادم له لا يبصر الا انه كتابا كرهه وصوله فامر بقطع يده فقال له زياد اصلح الله الامير فان مالك بن انس حدثني في خبر رفعه ان من كظم غيظا يقدر على انفاذه ملاه الله امنا وايمانا يوم القيامة فسكن غضبه وقال الله

ما كاحدثتك بهذا فقال الرباب والله انما كاحدثتني بهذا فامر ان يمسك
عن الخادم ويعفى عنه **وكانت** المجاعة الشديدة سنة سبع وتسعين
ومائة فاكثر فيها مواساة اهل الحاجات وفي ذلك يقول عباس بن ناصح
الجزيري فيه • نكدا لزمان فاصبحت ايامه من ان يكون بعصره عسر •
• طلع الزمان باز منه فجلا • تلك الكريهة جوده الغمر •

وكان نقش خاتمه بالله يثق الحكم وبه ينتصر وذكر ان له عشرون ابنا و
عشرون وامة جارية اسمها زخرف **وكان** اسمرا طويلا اشم نحيفا **ومدة**
ملكه ست وعشرون سنة سامحه الله **وقال** غير واحد وهو من جعل للملك
بالاندلس ابهة واستكثر بالمماليك حتى بلغوا خمسة الاف منهم ثلاثة الاف
فارس والفا راجل ثم توفي الحكم بن هشام اخر سنة ست ومائتين لسبع و
عشرين سنة من ولايته ومولده سنة ١٥٤ **وقال** ابن خلدون وغير
واحد انه اول من جند بالاندلس الاجناد والمرتزقة وجمع الاسلحة والعدد
واستكثر من الخدم والحواشي والحشم وارتبط الخيول على بابه واتخذ المماليك
وكان يسميهم الخرس لعجمتهم وحلى في عدتهم ما تقدم قال وكانت له عيون
يطالعونه باحوال الناس وكان يباشر الامور بنفسه ويقرب الفقهاء
والعلماء والصالحين وهو الذي وطأ الملك لعقبه بالاندلس انتهى **وكان**
له فيما حكى غير واحد الف فرس مرتبطة على شاطئ النهر بفناء قصره يحميها
ذا ارات وهو القائل لما قتل اهل الربض وهدم ديارهم وحرثها

• رايت صدوع الارض بالسيف راقعا • وقدما لامت الشعب مذ كنت يافعا •
• فسائل ثغوري هل بها اليوم ثغرة • ابادرها مستنضيا السيف دارعا •
• تنبيك اني لم اكن في قراعهم • بوان وقدما كنت بالسيف قارعا •
• وهل زدت ان وفيتهم صاع قرضهم • فوافوا منايا قدرت ومصارعا •
• فهذي بلادي انني قد تركتها • مهادا ولم اترك عليها منازعا •

وقال ابن حزم في حقه انه كان من المجاهرين بالمعاصي السافكين للدما
ولذلك قام عليه الفقهاء والصلحاء غير واحد انه تنصل اخيرا وتاب سامحه
الله • **ومن نظمه قوله متغزلا**

• قضب من البان ماست فوق كثبان • ولين عني وقد ازمعن هجراني **ومنها**
• من لي بمغتصبات الروح من بدني • يغصبنني في الهوى عزي وسلطاني •

وقيل انه كان يمسك اولاد الناس فيخصيهم ونقلت عنه ولعله تاب كما
قدمنا والله اعلم بحقيقة امره **ومن** بديع اخبار الحكم ان العباس الشاعر
توجه الى الثغر فلما نزل بوادي الحجارة سمع امراة تقول واغوثاه يا حكم

لقد

لقد اهملتنا حتى كلب العدو علينا فايمنا وايتمنا فسال لها عن شانها فقالت
كنت مقبلة من البادية في رفقة فخرجت علينا خيل العدو فقتلت واسرت فصنع قصيدته
التي اولها • تململت في وادي الحجارة مسهدا • اراعي نجوما ما يردن تغورا •
• اليك ابا العاصي نضيت مطيتي • تسير بهم ساريا ومهجرا •
• تدارك نساء العالمين بنصرة • فانك احرى ان تغيث وتنصرا •

فلما دخل عليه انشده القصيدة ووصف له خوف الثغر واستصراخ المراة
باسمه فانف ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد فخرج بعد ثلاث الى
وادي الحجارة ومعه الشاعر وسال عن الخيل التي اغارت من ارض العدو
كانت فاعلم بذلك فغزا تلك الناحية واثخن فيها وفتح الحصون وخرب
الديار وقتل عددا كثيرا وجاء الى وادي الحجارة فامر باحضار المراة و
جميع من اسر له احد في تلك البلاد فاحضرت فامر بضرب رقاب الاسرا
بحضرتها وقال للعباس سلها هل اغاثها الحكم فقالت المراة وكانت
نبيلة والله لقد شفى الصدور وانكى العدو واغاث الملهوف فاغاثه الله
واعز نصره فارتاح لقولها وبدا السرور في وجهه **وقال** الم تر يا عباس
اني اجبتهما على البعد اقتاد الخميس المظفرا فادركت اوطارا وبردت غلة
ونفست مكروبا واغنيت معسرا **فقال** عباس نعم جزاك الله خيرا
عن المسلمين وقبل يده **ومما** عيب به انه قتل الفقيه ابا زكريا يحيى بن
مطر الغساني وكان قدوة في الدين والورع سمع من سفيان ومالك بن
انس وروى عنه مالك **وقال** حدثنا يحيى بن مطر عن سفيان الثوري
ان الطلح المنضود هو الموز وكان قتل المذكور مع جماعة من العلماء وغيرهم
وقام بامره من بعده ابنه عبد الرحمن بعهد منه اليه ثم لاخيه المغيرة
بعده فغزا عبد الرحمن اول ولايته الى جليقية وابعد واطال المغيب
واثخن في امم النصرانية هنالك ورجع **وقدم** عليه سنة ست ومائتين
زرياب المغني من العراق وهو مولى المهدي ومعلم ابراهيم الموصلي واسمه علي
ابن نافع فركب بنفسه لتلقيه على ما حكاه ابن خلدون وبالغ في اكرامه
واقام عنده بخير حال واورث صناعة الغناء بالاندلس وخلف اولادا اجلهم
كبيرهم عبد الرحمن في صناعته وحظوته وفي سنة ٢٠٨ غزى حاجبه عبد الكريم
ابن عبد الواحد الى البة والقلاع فخرب كثيرا من البلاد واثخن فيها وفتح
كثيرا من حصونهم وصالح بعضها على الجزية واطلق اسرى المسلمين وانصرف
ظافرا **وفي** سنة ٢٢٣ بعث قريبه عبيد الله ابن البلنسي في العساكر لغزو
البة والقلاع وسار ولقي العدو فهزمهم وكثر القتل والسبي ثم خرج

لم يعقه

ولاية ابنه عبد الرحمن الاوسط
ابن الحكم الاموي

لذريق ملك الجلالقة واغار على مدينة سالم بالثغر فسار اليه فرتون بن
موسى وقاتله فهزمه واكثر القتل في العدو وبالاسرى ثم سار الى الحصن
الذي بناه اهل البة بالثغر نكاية للمسلمين فافتتحه وهدمه ثم سار عبد
الرحمن في الجيوش الى بلاد جليقية فدوخها وافتتح عدة حصون منها وجال
في ارضهم ورجع بعد طول المقام بالسبي والغنايم وفي سنة ٢٢٦ بعث عبد
الرحمن العساكر الى ارض الفرنجة وانتهوا الى ارض سرطانية وكان على مقدمة
المسلمين موسى بن موسى عامل تطيلة ولقيهم العدو وصبر حتى هزمهم الله عدو
وكان لموسى في مقدمة الغزاة مقام محمود وفي سنة تسع وعشرين بعث ابنه محمد
بالعساكر وتقدم الى بنبلونة فاوقع بالمشركين عندها وقتل غرسية صاحبها
وهو من اكبر ملوك النصارى وفي ايامه ظهر المجوس في دخل اشبيلية فارسل
اليهم عبد الرحمن العساكر مع القواد من قرطبة فنزل المجوس من مراكبهم و
قاتلهم المسلمون فهزموهم بعد مقام صعب ثم جات العساكر مددا من قرطبة
فقاتلهم المجوس فهزمهم المسلمون وغنموا بعض مراكبهم واحرقوها ورحل المجوس
الى شذونة فاقاموا عليها يومين وغنموا بعض الشي ووصلت مراكب عبد الرحمن
الى اشبيلية فاقلع المجوس الى لبلة واغاروا وسبوا ثم الى باجة ثم الى
ثم انقطع خبرهم حين اقلعوا من اشبونة وسكنت البلاد وذلك سنة ثلاثين
وتقدم عبد الرحمن باصلاح ما خربوه من البلاد واكثف حاميتها وفي سنة ٢٣١ بعث
العساكر الى جليقية فدوخوها وحاصروا مدينة ليون ورموها بالمجانيق وفر
اهلها عنها وتركوها فغنم المسلمون ما فيها واحرقوها وارادوا هدم سورها
فلم يقدروا عليه لان عرضه كان سبعة عشر ذراعا فثلموا فيه ثلمة ورجعوا ثم اغزا
عبد الرحمن حاجبه عبد الكريم في العساكر الى بلاد برشلونة فعاث في نواحيها
واجاز الدروب التي تسمى البرت الى بلاد الفرنجة فدوخها قتلا واسرا وسبيا
وحاصر مدينتها العظمى جرنده وعاث في نواحيها وقفل وقد كان ملك
القسطنطينية من وراءهم توفلس بعث الى الامير عبد الرحمن سنة ٢٣٥ بهدية
بطلب مواصلته ويرغبه في ملك سلفه بالمشرق من اجل ما صنع بر المامون
والمعتصم حتى انه ذكرهما له في كتابه له وعبر عنهما بابني مراحل وما برده فكافاه
الامير عبد الرحمن عن الهدية وبعث اليه يحيى الغزال من كبار اهل الدولة وكان
مشهورا في الشعر والحكمة فاحكم بينهما الوصلة وارتفع لعبد الرحمن ذكر عند
مناغيه من بني العباس ويعرف الامير عبد الرحمن بالاوسط لان الاول عبد
الرحمن الداخل والثالث عبد الرحمن الناصر توفي عبد الرحمن الاوسط سنة ٢٣٨
بوسع الاخر لاحدى وثلاثين سنة من امارته ومولده بطليطلة في شعبان سنة ١٧٦

وكان

وكان عالما بعلوم الشريعة والفلسفة وكانت ايامه ايام هدو وسكون وكثرت
الاموال عنده واتخذ القصور والمنتزهات وجلب اليها الماء من الجبال
وجعل لفضله مصنعا اتخذه الناس شريعة واقام الجسور وبنيت في
ايامه الجوامع بكور الاندلس وزاد في جامع قرطبة رواقين ومات قبل ان
يستتمه فاتمه ابنه محمد بعده وبني بالاندلس جوامع كثيرة ورتب رسوم المملكة
واحتجب عن العامة وعدد ولده مائة وخمسون من الذكور وخمسون من
الاناث ونقش خاتمه عابد الرحمن بقضاء الله راض وفي ذلك قيل
• خاتم للملك اضحى • حكمه في الناس ماضي • عابد الرحمن فيه • بقضاء الله راضي •
وهو اول من احدث هذا النقش وبقي وراثة لمن بعده من ولده قال ابن
سعيد وفي ايامه انتهت الجباية الى الف الف دينار في السنة وكان قبله
لا يزيد على ستماية الف وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ما يجالف هذا
ومن نوابغ شعر من لم يعرف وجه طلبه • فالحرمان اولى به • ومن شعر عبد الرحمن
المذكور قوله ولقد نعارض وجه الاوامر • فيعقودها التوفيق حوصوابها
• والشيخ ارجوي النهى بتجارب • فتشاب راي القوم عند شبابها
وفي زيادته في جامع قرطبة يقول ابن المثنى
• بنيت لله خير بيت • يعجز عن وصفه الانام • حج اليه بكل اوب •
• كانه المسجد الحرام • كان محرابه اذا ما • حف به الركن والمقام •
وقال اخر
بني مسجدا لله لم يك مثله • ولا مثله لله في الارض مسجد سوى ما ابتنى الرحمن والمسجد الذي
بناه نبي المسلمين محمد • له عمد حمر وخضر كانما • يلوح بها ياقوتها وزبرجد
الا يا امير الله لا زلت سالما • ولا زلت في كل الامور تسدد • فيا ليتنا نفديك من كل حادث
• وانك للدنيا وللدين تخلد •
وكان كثير الميل للنساء وولع بجارية له طروب وكلف بها كلفا شديدا وهي التي
بني عليها الباب ببدر المال حين تجنت عليه واعطاها حليا قيمته مائة
الف دينار فقيل له ان مثل هذا لا ينبغي ان يخرج من خزانة الملك فقال
ان لابسه انفس منه خطرا وارفع قدرا واكرم جوهرا واشرف عنصرا وفيها
يقول • اذا ما بدت لي شمس النهار • طالعة ذكرتني طروبا •
• انا ابن الشامين من غالب • اشب حروبا واطفي حروبا •
وخرج غازيا الى جليقية غيبته فكتب اليها شعر
• عداني عنك مزار العدى • وقودي اليهم سهاما مصيبا •
• فكم قد تخطيت من سبسب • ولا قيت بعد دروب دروبا •

علي ان عدد اولاد عبد الرحمن ...

تغيب ... سبع عشر ذراعا

ولاية الأمير محمد بن عبد الرحمن الأموي

• الاقي بوجهي سموم الهجير • اذا كاد منه الحصى ان يذوبا •
• تذكرت في الله دين الهدى • فاحييته وامت الصليبا •
• وسرت الى الشرك في جحفل • ملأت الحزون به والسهوبا •

وساق بعض المورخين قضية طروب معه بقوله ان السلطان المذكور اغضبها فهجرته وصدت عنه وابت ان تاتيه ولزمت مقصورتها فاشتد قلقه لهجرها وضاق ذرعه من شوقها وجهد ان يترضاها بكل وجه فاعياه ذلك فارسل من خاصة خصيانه من يكرهها على الوصول اليه فاغلقت باب مجلسها في وجوههم وآلت ان لا تخرج اليهم طايعة ولو انتهى الامر الى القتل فانصرفوا اليه واعلموه بقولها واستاذنوه في كسر الباب عليها فنهاهم وامرهم بسد الباب عليها من خارجه ببدر الدراهم ففعلوا وبنوا عليها بالبدر واقبل حتى وقف بالباب وكلمها مسترضيا راغبا في المراجعة على ان جميع ما سد به الباب لها فاجابت وفتحت الباب فانهالت البدر في بيتها فانكبت على رجله تقبلها وحازت المال وكانت تبرم الامور مع نصر الخصي فلا بد من شي مما تبرم واحب اخرى اسمها مدثرة فاعتقها وتزوجها واخرى كذلك اسمها الشفا واما جاريته قلم فكانت اديبة حسنة الخط راوية للشعر حافظة للاخبار عالمة بضروب الادب وكان مولعا بالسماع موثرا له على جميع لذاته وله اخبار كثيرة رحمه الله ولما مات ولي مكانه ابنه محمد فبعث لاول ولايته مع موسى بن موسى صاحب تطيلة فعاث في نواحي البة والقلاع وفتح بعض حصونها ورجع وبعث عسكرا اخر الى نواحي برشلونة وما وراها فعاثوا فيها وفتحوا حصونا من برشلونة ورجعوا ولما استمد اهل طليطلة لمحاربته اهل بلاد الامير محمد عليه بملكي جليقية والبشكنس لقيهم الامير محمد على وادي سليط وقد اكمن لهم فاوقع بهم وبلغت عدة القتلى من اهل طليطلة والمشركين عشرين الفا وفي سنة ٢٤٥ ظهرت مراكب المجوس واغاروا في الاندلس فلقيهم مراكب الامير محمد فقاتلوهم وغنموا منهم مركبين واستشهد جماعة من المسلمين وفي سنة ٢٤٦ اغزى محمدا الى نواحي بنبلونة ورجع وقد دوخها وفتح كثيرا من حصونها واسر فرتون بن صاحبها غرسية فبقي اسيرا بقرطبة عشرين سنة ثم بعث سنة احدى وخمسين اخاه المنذر في العساكر الى نواحي البة والقلاع فقاتلوا فيها وجمع لذريق للقاء بهم فلقيهم وانهزموا واثخن المسلمون في المشركين بالقتل والاسر فكان فتحا لا كفاء له ثم غزى الامير محمد بنفسه سنة احدى وخمسين بلاد الجلالقة فاثخن وخرب وفي سنة ٢٥٣ اغزى الامير محمد ابنه المنذر الى دار الحرب • وفي السنة التي بعدها الى بلاد بنبلونة

فدوخها

ولاية الأمير المنذر بن محمد الأموي

ولاية الملك الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد الأموي

فدوخها ورجع وفي سنة ثمان وستين اغزاه ايضا الى دار الحرب فعاث في نواحيها وفتح حصونها وفي ايام الامير محمد ضربت ماردة وهدمت ولم يبق لها اثر وذكر بعضهم انه راى بالمشرق هذه الابيات قبل ان تخرب ماردة باعوام ولم يعلم قايلها وذلك بسنة اربعة وخمسين وما

• ويل لماردة التي مردت • وتكبرت عن عدوة الدهر •
٢ • كانت ترى بها زهرت • تخلت من الزهرات كالقفر •
• فالويل ثم الويح حين غزا • بجميعهم من صاحب الامر •

ثم توفي الامير محمد في شهر صفر سنة ثلاث وسبعين ومايتين لخمس وثلاثين سنة من امارته ومولده سنة سبع ومايتين وولي بعده ابنه المنذر ولم تطل مدته واقام في الملك سنتين الا نصف شهر وتوفي منتصف صفر سنة خمس وسبعين ومايتين وفيه قيل بالمنذر بن محمد صلحت بلاد الاندلس ثم ولي بعده اخوه عبد الله بن محمد قال ابن خلدون كان خراج الاندلس قبله ثلاثماية الف دينار مايه الف للجيوش ومايه الف للنفقة في النوايب وما يعرض ومايه الف ذخيرة ووفرا فانقطع لوقته اضطربت عليه نواحي الاندلس بالثوار والمتغلبين في تلك السنين وقل الخراج انتهى ومن نظم الامير عبد الله قوله

• يا مهجة المشتاق ما اوجعك • ويا اسير الحب ما اخشعك •
• ويا رسول العين من لحظها • بالرد والتبليغ ما اسرعك •
• تذهب بالسر فيأتي به • في مجلس يخفى على من معك •
• كم حاجة انجزت ابرازها • تبارك الرحمن ما اطوعك •

ومن الابيات تعنوا لفضله وبراعته استهلال نبله وكان الوزرا يطالعون بارايهم الخليفة في بطاقة فطالعه وزيره النصر سلمه برايه في امر في رقعة فلما وقف عليها لم يحمد ذلك الراي فكتب

• انت يا نصر آبدة • ليس ترجى لفايدة •
• انما انت عدة • للكنيف والمايدة •

وتوفي الامير عبد الله سنة ثلاثماية ومدة ملكه نحو من خمس وعشرين سنة وولي حافده عبد الرحمن الناصر بن ابنه محمد قتيل اخيه المطرف وكانت ولايته من الغريب لانه كان شابا واعمامه واعمام ابيه حاضرون فتصدى اليها واخذها دونهم ووجد الاندلس مضطربة بالمخالفين مضطرمة بنيران المتغلبين فاطفا تلك النيران واستنزل اهل العصيان واستقامت له الاندلس في سايرجهاتها بعد نيف وعشرين سنة من ايامه ودامت ايامه نحو خمسين سنة استفحل فيها ملك بني امية بتلك الناحية وهو اول من تسمى منهم بالاندلس بامير المومنين عندما التاث امر الخلافة

بالمشرق واستبدوا الى الترك على بني العباس وبلغه ان المقتدر
قتله مونس المظفر مولاه سنة سبع عشرة وثلاثمائة فتلقب بالقاب الخلفا
وكان كثير الجهاد بنفسه والغزو الى دار الحرب الى ان هزم عام الخندق سنة
ثلاث وعشرين ومحص الله فيها المسلمين فقعد عن الغزو بنفسه وصار يردد
الصوايف في كل سنة فاوطا عساكر المسلمين من بلاد الفرنج ما لم يطؤه
قبل في ايام سلفه ومدت اليه امم النصرانية من وراء الدروب يد الاذعان
واوفدوا عليه رسلهم وهداياهم من رومة والقسطنطينية في سبيل المهادنة
والسلم والاعتمال فيما يعن من مرضاته ووصل الى سدته ملوك الجلالقة
من اهل جزيرة الاندلس المتاخمين لبلاد المسلمين بجهات قشتالة وبنبلونة وما
يليها من الثغور الجوفية فقبلوا يده والتمسوا رضاه واحتقبوا جوائزه و
امتطوا مراكبه ثم سما الى ملك العدوة فتناول سبتة قبل الفرضة من ايدي
اهلها سنة سبع عشرة وثلاثمائة واطاعه بنو ادريس امرا العدوة و
ملوك زناتة والبربر واجاز الكثير منهم كما نعلم من اخباره وبدا
امره اول ولايته بتخفيف المغارم عن الرعية انتهى كلام ابن خلدون وفيه
يقول ابن عبد ربه صاحب العقد يوم تولى الملك

• بدا الهلال جديدا • والملك غض جديد • يا نعمة الله زيدي •
• انكان فيك مزيد • انكان للصوم فطر • فانت للدهر عيد •

واراد بالابيات انه ولي مستهل ربيع الاول كما علم وما اشار اليه ابن
خلدون في غزوة الخندق فصله المسعودي فقال لعبد الرحمن جرى في كون محالفة
امية بن اسحاق على الناصر ودخوله ارض النصارى ودلالته اياهم على عورة
المسلمين ما لخصه وغزا عبد الرحمن صاحب الاندلس سمورة دار مملكة
الجلالقة وكان عبد الرحمن في مائة الف ويزيدون وكانت الوقعة بينه
وبين ردمير ملك الجلالقة في شوال سنة ٣٢٧ بعد الكسوف الذي كان في هذا
الشهر بثلاثة ايام فكانت الغلبة للمسلمين عليهم ثم ثاروا بعد ان حوصروا والجوا
الى المدينة فقتلوا من المسلمين بعد عبورهم الخندق خمسين الفا وقيل ان
الذي منع ردمير من طلب من نجا من المسلمين امية بن اسحاق وخوفه الكمين
ورغبه فيما كان في عسكر المسلمين من الاموال والعدة والخزائن ولولا ذلك لاتى
على جميع المسلمين ثم ان امية استامن بعد ذلك الى عبد الرحمن وتخلص من
ردمير وقبله عبد الرحمن احسن قبول وقد كان عبد الرحمن بعد هذه الوقعة
جهز عساكره مع عدة من قواده الى الجلالقة فكانت لهم بهم عدة حروب
هلك فيها من الجلالقة ضعف ما قتل من المسلمين في الوقعة الاولى وكانت الغلبة

للمسلمين

للمسلمين عليهم الى هذه الغاية وردمير ملك الجلالقة الى هذا الوقت وهو
سنة ٣٣٦ انتهى وقال في موضع آخر ما ملخصه ان عبد الرحمن غزا في ازيد من مائة
الف من الناس فنزل على دار مملكة الجلالقة وهي مدينة سمورة وعليها
سبعة اسوار من اعجب البنيان قد احكمته الملوك السالفة وبين الاسوار
فصلان وخنادق ومياه واسعة وافتتح منها سورين ثم ان اهلها ثاروا
على المسلمين فقتل منهم ممن ادركوا عشرون ومما غرق اربعون الفا وقيل
خمسون الفا وكانت للجلالقة والبشكنس على المسلمين انتهى كلام المسعودي
رجع الى كلام اخبار الناصر فنقول انا الناصر رحمه الله كان له نظم ومما نسب
اليه بعضهم قوله لا يضر الصغير حداثة سن • انما الشان في سعود الصغير •
كم مقيم فازت يداه بغنم • لم تنله بالركض كف مغير
هكذا الفيت البيتين منسوبين اليه بخط بعض الاكابر ثم كتب بازائه
ما نصه الصحيح انهما لغيره والله اعلم انتهى وكان الناصر رحمه الله قد استحجب
موسى بن محمد بن حدير واستوزر عبد الملك بن جهور واحمد بن عبد الملك بن
شهيد واهدى ابن شهيد هديته المشهورة المتعددة الاصناف وقد ذكرها
ابن حيان وابن خلدون وغيرهما من المورخين قال ابن خلدون وهي مما
يدل على ضخامة الدولة الاموية واتساع احوالها وكان ذلك سنة ٣٢٧ لثمان
خلون من شهر جمادى الاولى وهي هدية عظيمة الشان واشتهر ذكرها الى
الآن واتفق على انه لم يهاد احد من ملوك الاندلس بمثلها وقد اعجبت الناصر
بالنعمة والشكر عليها استحسنها الناس واهل مملكته جميعا واقروا ان
نفسا لم تسمح باخراج مثلها ضربة عن يدها وكتب معها رسالة حسنة بالاعتراف
للناصر بالنعمة والشكر عليها واستحسنه الناس وكتبوها وزاد الناصر
وزيره هذا حظوة واختصاصا واسمى منزلته على سائر الوزرا جميعا
واضعف له رزق الوزارة وبلغه ثمانين الف دينار اندلسية وبلغ
معروفه الى الف دينار وثنى له العظمة لتثنيته له الرزق فسماه ذا
الوزارتين لذلك وكان اول من سمي بذلك بالاندلس لامتثاله الاسم صاعد
ابن مخلد وزير بني العباس ببغداد وامر بتصدير فراشه في البيت وتقديم
اسمه في دفتر الارتزاق اولا للتسمية فعظم مقداره في الدولة جدا و
تفصيل هديته المذكورة على ما ثبت في كتاب ابن خلدون ما يفسر خمسمائة
الف مثقال من الذهب العين واربعمائة رطل من التبر ومصارفه خمسة
واربعين الف دينار فقط واثنى عشر رطلا من العود المخير الهندي الذي
يختم عليه كالشمع ومائة وثمانون رطلا من العود المعقد ومائة رطل من العود

المشبه المنتقى هكذا ذكر ابن خلدون وقال ابن الفرضي مستندا الى الكتاب
الذي جمعه ابن شهيد مع الهدية ان العود الهندي العالي من ذلك اربعمائة رطل منها
في قطعة واحدة مائة وثمانون رطلا وقال ابن خلدون ومائة اوقية
من المسك الذكي المفضل في جنسه انتهى وقال ابن الفرضي نقلا عن الكتاب
المصحوب مع الهدية ان المسك مائتا اوقية واثنتا عشرة اوقية ومن العنبر
الاشهب البالغ على خلقته بغير صناعة خمسمائة اوقية منها قطعة عجيبة
مكملة الشكل عجيبة الوزن مائة اوقية هكذا في تاريخ ابن خلدون وفي ابن
الفرضي ان الكل مائة اوقية وان وزن القطعة اربعون اوقية ومن الكافور
المرتفع النقي الذكي ثلاثمائة اوقية قال ابن خلدون ومن اللباس ثلاثون
شقة ومن الحرير المختم المرقوم بالذهب للباس الخلفاء المختلفة الالوان
والصنايع وعشرة افرية من غالي جلود الفنك الخراسانية وخالفه
ابن الفرضي اذ قال ومن انواع الثياب ثلاثون شقة وخمس خاصية للباس
بيضاء ملونة وخمس ظهائر شعبيبة خاصية له وعشرة فراء من غالي الفنك منها
سبعة بيض خراسانية وثلاث ملونة وستة مطارح عراقية خاصية
وثمانية واربعون ملحفة زمرية لكسوتها ومائة ملحفة زمرية لرقاده ولم يذكر
ابن خلدون ذلك وابن الفرضي اعرف لاسيما وقد استند الى كتاب المهدي
وصاحب البيت ادرى قال ابن خلدون وعشرة قناطير شد فيها
مائة جلد سمور وقال ابن الفرضي ايضا فزاد ابن خلدون وشقة من السرادقات
العراقية وثمانية واربعون من الملاحف البغدادية لزينة الخيل من
الحرير والذهب ثم قالا معا واربعة آلاف رطل من الحرير المغزول والف
رطل من لون الحرير المنتقى للاستغزال وزاد ابن خلدون وثلاثون شقة
من الغرنون لسروج الهبات وزاد ابن الفرضي في الحرير المذكور قبل انه
قبضه صاحب الطراز ولم يأت به مع الهدية وانما دفعه لصاحب الطراز وثبته
في الدفتر قالا وثلاثون بساطا من الصوف مختلفة الصناعات طول كل
بساط منهما عشرون ذراعا وقال ابن خلدون منقاة مختلفة الالوان
قالا ومائة قطعة مصليات من وجوه الفرش المختلفة زاد ابن الفرضي
الصناعات من جنس البسط قالا وخمسة عشر نوعا من عمل الخز المقطوع
شطرها قال ابن الفرضي وسائرها من جنس البسط الوجوه قال
ابن خلدون ومن السلاح والعدة ثمانمائة من التجافيف لزينة الخيل ايام البروز
والمواكب وقال ابن الفرضي مائة تجفاف بأبدع الصناعات واغربها
واكملها قالا والف ترس سلطانية ومائة الف سهم زاد ابن خلدون من

النبال

النبال البارعة الصنعة قال ابن خلدون ومن الظهر خمسة عشر فرسا
من الخيل العراب المتخيرة لركاب السلطان فائقة النعوت وقال ابن الفرضي
ومن الخيل مائة فرس منها من الخيل العراب المتخيرة لركابه خمسة عشر فرسا وخمس
من عرض هذا الخيل مسرجة ملجمة لمراكب الخلافة مجالس سروجها خز عراقي
وثمانون فرسا بما يصلح للوصفاء والحشم وقال ابن خلدون مائة فرس
من الخيل التي تصلح للركوب في التصرف والغزوات وقال ابن الفرضي
وخمسة ابغل عالية الركاب وقال ابن خلدون وعشرون من بغال
الركاب مسرجة ملجمة بمراكب خلافية مجالس سروجها خز جعفري عراقي
قالا ومن الرقيق اربعون وصيفا وعشرون جارية من متخير الرقيق بكسوتهم
وجميع آلاتهم وقال ابن خلدون في الجواري متخيرات بكسوتهن وزينتهن
قال ابن خلدون ومن سائر الاصناف قرية تغل الافا من الامداد في
الزرع ومن الصخر للبنيان ما انفق عليه في عام واحد ثمانون الف دينار
وعشرون الف عود من الخشب من اجمل الخشب واصلبه واقوم قيمتها خمسون
الف دينار انتهى وقال ابن الفرضي نقلا عن كتاب ابن شهيد المصحوب
مع الهدية عندما ذكر الرقيق ما صورته كان قد امر لي ايده الله بابتياعهم
من مال الاخماس قبل فابتعتهم من نعمته عندي وصيرتهم من نعمتي ومع ذلك
عشر قناطير سكر طبرزد لاسحاق فيه وفي آخر الكتاب ولما علمت تطلع مولاي
ايده الله الى قرية كذا بالقنبانية المنقطعة العرس في شرقها وترداده
الله لذكرها لم آمن تعبيثي حتى اعملت الحيلة في ابتياعها باحوازها واكتبت
وكيله ابن بقية الوثيقة فيها باسمه وضمها الى ضياعه وكذلك صنعت في قرية
شيرة من نظرجيات عندما اتصل بي من وصفه لها ونطلعه اليها فما زلت
انصت لمسرته بها حتى ابتعتها الآن باحوازها وجميع منازلها وزروعها
واختار ذلك كله الوكيل ابن بقية وصار في يده ابقاه الله وارجو انه سيرفع
فيها في هذه السنة الامداد من الاطعمة ان شاء الله تعالى ولما علمت نافذ
عزمه ابقاه الله في البنيان وكلفه به وفكرت في عدد الامراكين التي تطلع نفسه
الكريمة الى تخليد آثاره في بنيانها مد الله في عمره واوفى بها على اقصى امله علمت
ان آلاته وقوامه الصخر والاستكثار منه فاثارت لي همتي ونصيحتي حكمة
حيلة احكمتها سعدك وجدك للذات بنيانا ما لا يتوهم عمله حيلة اقيم
لك بها في عام واحد عدد ما كان يقوم على يدي عبدك بن عاصم في عشرين عاما
ويتهيأ تحصيل النفقة فيه الى نحو الثمانين الفا اجل ستة في عام سوى التوفير
العظيم الذي يبديه العيان قبلا ان شاء الله تعالى وكذلك ما ثاب الى الامر

الخشب لهذه المدينة المكرمة فان ابن خليل عبدك المجتهد الدؤوب انتهى
في تحصيل عدد ما يحتاج اليه ثلاثمائة الف عود ونيف على عشرين الف عود على
انه لا يدخل منه في السنة الا نحو الالفي عود فيتم لي بسعدك رايا افتتم لي تمامه
جميع هذا الخشب لعام على كماله لورود الجلبية لوقتها وقيمته على الرخص
ما بين الخمسين الفا الى الستين الفا انتهى **ومن اغرب** ما يحكى عن
امير المؤمنين الناصر المذكور انه اراد الفصد فقعد بالبهو في المجلس
الكبير المشرف على مدينته بالزهراء واستدعى الطبيب لذلك واخذ
الطبيب الآلة وجس يد الناصر فبينما هو كذلك اذ طل زرزور فصعد
على اناء ذهب بالمجلس وانشد يقول

ايها الفاصد رفقا • بامير المؤمنينا •
انما تفصد عرقا • فيه محيي العالمينا •

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة فاستظرف امير المؤمنين الناصر ذلك غاية
الاستظراف وسر به غاية السرور وسال عمن اهتدى الى ذلك وعلم الزرزور
فذكر له ان السيدة الكبرى مرجان ام ولده ولي عهده الحكم المستنصر بالله
صنعت ذلك واعدته لذلك الامر فوهب لها ما ينيف على ثلاثين الف دينار
وذكر ابن بسام ان ابا عامر بن شهيد احمد بن عبد الملك الوزير اهدى له
غلاما من النصارى لم تقع العيون على شبهه فلمحه الناصر فقال لابن شهيد
انى لك هذا فقال لابن شهيد هو من عند الله فقال الناصر
تتحفونا بالنجوم وتستاثرون بالقمر فاستعذر واحتفل في هدية بعثها مع
الغلام وقال يا بني كن مع جملة ما بعثت به ولولا الضرورة ما سمحت بك نفسي
وكتب معه هذه **الابيات**

امولاي هذا البدر سار لافقكم • وللافق اولى بالبدور من الارض •
ارضيكم بالنفس وهي نفيسة • ولم ار قبلي من بمهجته يرضي •

فحسن ذلك عند الناصر واخفد بالجزيل وتمكنت عنده مكانته
ثم انه بعد ذلك اهدى اليه جارية من اجمل نساء الدنيا فخاف
ان ينتهي ذلك الى الناصر فيبطلها فتكون كقصة الغلام فاحتفل في هدية
اعظم من الاولى وبعثها معها **وكتب له هذه الابيات**

امولاي هذا الشمس والبدر اولا • تقدم كيما يلتقي القمران •
قران لعمري بالسعادة بين • فدم منهما في كوثر وجنان •
فما لهما والله في الحسن ثالث • وما لك في ملك البرية ثاني •

فتضاعفت مكانته عنده **ثم ان** الوشاة رفع للملك انه بقي في

نفسه

نفسه من الغلام حزازة وانه لا يزال يذكره حين تحركه الشمول ويقرع
السن على تعذر الوصول **فقال** للواشي يدك لا تحرك لسانك
والا طيرت راسك واعمل الناصر حيلة في ان كتب على لسان الغلام رقعة
فيها يا مولاي تعلم انك كنت لي على الانفراد ولم ازل معك في نعيم واني وان
كنت عند الخليفة مشاركا في المنزلة محاذر ما يبدو منه من سطوة الملك
فتحيل في استدعائي منه وبعثها مع غلام صغير السن واوصاه ان يقول
من عند فلان وان الملك لم يكلمه قط ان ساله عن ذلك فلما وقف ابو
عامر على الرسالة واستخبر الخادم فطن في سؤاله ما كان في نفسه من
الغلام وما تكلم به في مجالس المدام كتب على ظهر الرقعة ولم يزد حرفا
بقوله

امن بعد احكام التجارب ينبغي • لدي سقوط الطير في غابة الاسد •
وما انا ممن يغلب الحب قلبه • ولا جاهلا ما يدعيه اولو الحسد •
فان كنت روحي قد وهبتك طائعا • وكيف يرد الروح ان فارق الجسد •

فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد الى استماع واش
به ودخل عليه بعد ذلك فقال له كيف خلصت من الشرك • فقال لان عقلي
بالهوى غير مشترك • فانعم عليه وزادت حظوته عنده انتهى **وممن** ذكر
هذه الحكاية صاحب مطالع البدور في منازل السرور **واخبار**
الناصر طويلة جدا وقد منح الظفر على الثوار واستنزلهم من معاقلهم
حتى صفا له الوقت وكانت له في جهاد العدو اليد البيضا فمن غزواته
انه غزا سنة ثمان وثلاثمائة الى جليقية وملكها اردون بن ادفونش
فاستنجد بالبشكنس والافرنجة وظاهر شانجة بن غرسية صاحب بنبلونة
امير البشكنس فهزمهم ووطئ بلادهم ودوخ ارضهم وفتح معاقلهم وخرب
حصونهم • **ثم** غزا بنبلونة سنة ثنتي عشرة ودخل دار الحرب ودوخ
البسائط • وفتح المعاقل • وخرب الحصون • واقتسد العمائر • وجال فيها
وتوغل في قاصيتها والعدو يحاذيه في الجبال والاوعار • ولم يظفر منه
بشيء ثم بعد مدة ظفر ببعض الثوار عليه • وكان استمد بالنصارى فقتل
الناصر اهل اليه وفتح بلايين من حصونهم • وبلغه انتقاض طوطه
ملكة البشكنس فغزاها في بنبلونة • ودوخ ارضها واستباحها ورجع
الى قرطبة • ثم غزا غزوة الخندق سنة سبع وعشرين الى جليقية فانهزم
واصيب فيها المسلمون وقعد بعدها عن الغزو بنفسه وصار يردد
البعوث والصوائف الى الجهاد وبعث جيوشه الى المغرب فملك سبتة

وفاسا وغيرهما من بلاد المغرب وطار صيته وانتشر ذكره كما سبق ولما
هلك غرسية ابن شانجة ملك البشكنس قام بأمرهم بعده أمه طوطة وكفلت
ولده ثم انتقضت على الناصر سنة خمس وعشرين فغزا الناصر ثم وصل إلى
بنبلونة فجاءته طوطة بطاعتها وعقد لابنها غرسية على بنبلونة ثم عدل
إلى ألبة وبسائطها فدوخها وخرب حصونها. ثم اقتحم جليقية وملكها
يومئذ ردمير بن أردون فأحجم عن لقائه ودخل حصونه فنازلها الناصر
بينها وهدم برغش وكثيرا من معاقلهم وهزمهم مرارا ورجع ثم كانت بعد
غزوة الخندق الشائعة ومما بقي اسم النصرانية ووفدت عليه سنة ست
وثلاثين رسل صاحب قسطنطينية ومدينته وهو يومئذ قسطنطين
واحتفل الناصر لقدومهم في يوم مشهود قال ابن خلدون وكتب
في ذلك اليوم العساكر بالسلاح في أكمل شكة وزين القصر الخلافي بأنواع
الزينة وأصناف الستور وجمل السرير الخلافي بمقاعد الأبناء والإخوة
والأعمام والقرابة ورتب الوزراء والخدمة في مواقفهم ودخل الرسل
فهالهم ما رأوه وقربوا حتى أدوا رسالتهم وأمر يومئذ الأعلام أن يخطبوا
في ذلك الحفل ويعظموا من أمر الإسلام والخلافة ويشكر الله على نعمته وظهور
دينه وإعزازه وذلة عدوه فاستعدوا لذلك ثم بهرهم هول المجلس فوجموا
وشرعوا في القول فارتج عليهم وكان فيهم أبو علي القالي وافد العراق وكان
في جملة الحكم ولي العهد وندبه لذلك استئثارا بالفخر فلما وجموا كلهم قام
منذر بن سعيد البلوطي من غير استعداد ولا روية ولا تقدم له في ذلك
بشيء فخطب واستحفر وجلى في ذلك القصد وأنشد شعرا طويلا ارتجله
في ذلك الغرض ففاز بفخر ذلك المجلس وعجب الناس من شأنه أكثر من كل ما
وقع وأعجب به الناصر وولاه القضاء بعدها وأصبح من رجالات العالم
وأخباره مشهورة وخطبته في ذلك اليوم منقولة في كتب ابن حيان
وغيره. ثم انصرف هؤلاء الرسل وبعث الناصر معهم هشام بن هذيل بهدية
حافلة ليؤكد المودة ويحسن الإجابة ورجع بعد سنتين وقد أحكم من ذلك ما شاء
وجاءت معه رسل قسطنطين. ثم جاء رسول من ملك الصقالبة وهو يومئذ
دوقو ورسول آخر من ملك الإفرنجة وراء البرت وهو يومئذ أوقو ورسول
آخر من ملك الإفرنجة بقاصية المشرق وهو يومئذ كلدة واحتفل السلطان
لقدومهم وبعث مع رسول الصقالبة ربيعا الأسقف إلى ملكهم هوتو
ورجع بعد سنتين وفي سنة ٣٤٤ جاء رسول أردون يطلب السلم فعقد له ثم بعث
في سنة ٣٤٥ يطلب إدخال فرذلند قومس قشتيلة في عقده فأذن له في ذلك

وادخل

وأدخل في عقده وكان غرسية بن شانجة قد استولى على جليقية بعد أبيه
شانجة بن وبلة ثم انتقض عليه أهل جليقية وتولى كبرهم قومس قشتيلية
فرذلند المذكور ومالوا إلى أردون بن ردمير وكان غرسية بن شانجة حافد
الطوطة ملكة البشكنس فانتقضت لحافدها غرسية ووفدت على
الناصر سنة ٣٤٧ ملقية بنفسها في عقد السلم لها ولولدها شانجة بن ردمير
الملك وإعانة حافدها غرسية بن شانجة على ملكه ونصره من عدوه وجاء
الملكان معها فاحتفل الناصر لقدومهم وعقد الصلح لشانجة وأمه وبعث
العساكر مع غرسية ملك جليقية فرد عليه ملكه وخلع الجلالقة طاعة
أردونا لبيه وبعث إلى الناصر يشكره على فعلته وكتب إلى الأمم في النواحي
بذلك ومما ارتكبه فرذلند قومس قشتيلة في نكثه وتوبيه وبعثيره
بذلك عند الأمم ولم يزل الناصر على موالاته وإعانته إلى أن هلك ولما
وصل رسول كلدة ملك الإفرنجة بالشرق كما تقدم وصل معه رسول
ملك برشلونة وطركونة راغبا في الصلح فأجابه الناصر ووصل بعده
رسول صاحب رومة يخطب المودة فأجيب انتهى كلام ابن خلدون ببعض
اختصار ولنفصل بعض ما أجمله فنقول وذكر ابن حيان وغير واحد أن
ملك الناصر بالأندلس كان في غاية الضخامة ورفعة الشان وهادته الروم
وازدلفت إليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر ولم تبق أمة
سمعت به من ملوك الروم والإفرنجة والمجوس وسائر الأمم إلا وفدت
خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية ومن جملتهم صاحب القسطنطينية
العظمى فإنه هاداه ورغب في موادعته وكان وصول إرساله في صفر
سنة ٣٣٦ وتقدم في كلام ابن خلدون أنها ست وثلاثون فالله أعلم أيهما أصح
وتأهب الناصر لورودهم وأمر أن يتلقوا أعظم تلق وأفخمه وأحسن
قبول وأكرمه وأخرج إلى لقائهم يحيى بن محمد بن الليث وغيره لخدمتهم في
الطريق فلما صاروا بقرب المحلات من قرطبة خرج إلى لقائهم القواد في
العدد والعدة والتعبئة فتلقوهم قائدا بعد قائد وتحمل اختصاصهم بعد
ذلك بأن أخرج إليهم الفتيين الكبيرين الخصيين ياسرا وتماما إبلاغا
في الاحتفال بهم فلقياهم بعد القواد فاستنبأت لهم بخروج الفتيين
إليهم بسطا للناصر وإكراما لأن الفتيان حينئذ هم عظماء الدولة
لأنهم أصحاب الخلوة مع الناصر وحرمه وبيدهم القصر السلطاني وأنزلوا
بمنية ولي العهد الحكم المنسوبة إلى نصر بعدوة قرطبة في الربض
ومنعوا من لقاء الخاصة والعامة جملة ومن ملابسة الناس طرا ورتب لحجابتهم

رجال الخيل وامن الموالي ووجوه الحشم نصبتر واعلى باب قصر هذه المدينة ستة
عشر رجلا لاربع دول لكل دولة اربع منهم ودولة الناصر لدين الله من قصر الزهرا
الى قصر قرطبة لدخول وفود الروم عليه فقعد لهم يوم السبت لاحدى عشرة ليلة
خلت من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة في بهو المجلس الزاهر قعودا حسنا
نبيلا وقعد عن يمينه من بنيه ولي العهد الحكم ثم عبيد الله ثم عبد العزيز
ثم الاصبغ ثم مروان • وقعد عن يساره المنذر ثم عبد الجبار ثم سليمان وتخلف
عبد الملك لانه كان عليلا لم يطق الحضور وحضر الوزراء على مراتبهم يمينا
وشمالا ووقف الحجاب من اهل الخدمة من ابناء الوزراء والموالي والوكلاء و
غيرهم وقد بسط صحن الدار اجمع بعتاق البسط وكرائم الدرانك وظللت
ابواب الدار وحناياها بظلل الديباج ورفيع الستور فوصل رسل ملك الروم
حائرين مما راوه من بهجة الملك وفخامة السلطان ودفعوا كتاب ملكهم صاحب
قسطنطينية العظمى قسطنطين بن ليون وهو في رق مصبوغ لونا سماويا مكتوبا
بالذهب بالخط الاغريقي وداخل الكتاب مدرجة مصبوغة ايضا مكتوبة بفضة
بخط اغريقي ايضا فيها وصف هداياه التي ارسل بها وعددها وعلى الكتاب طابع
ذهب وزنه اربعة مثاقيل على الوجه الواحد منه صورة المسيح وعلى الاخر صورة
قسطنطين الملك وصورة ولده وكان الكتاب بداخل درج فضة منقوش عليه
غطاء ذهب فيه صورة قسطنطين الملك معمولة من الزجاج الملون البديع وكان
الدرج داخل جعبة ملبسة بالديباج وكان في ترجمة عنوان الكتاب في سطر منه
قسطنطين ورومانين المؤمنان بالمسيح الملكان العظيمان ملكا الروم وفي سطر
اخر العظيم الاستحقاق الفخر الشريف النسب عبد الرحمن الخليفة الحاكم على العرب
بالاندلس اطال الله بقاءه **ولما** احتفل الناصر لدين الله هذا الاحتفال احب
ان يقوم الخطباء والشعراء بين يديه لذكر جلالة مقعده وعظيم سلطانه ووصف
ما تهيا من توطيد الخلافة في دولته وتقدم الى الامير الحكم ابنه وولي عهده باعداد
من يقوم بذلك من الخطباء ويقدمه امام نشيد الشعراء فامر الحكم صنيعته الفقيه
محمد بن عبد البر الكسنياني بالتاهب لذلك واعداد خطبة بليغة يقوم بها بين يدي
الخليفة وكان يدعي من القدرة على تأليف الكلام ما ليس في وسع غيره وحضر المجلس
السلطاني فلما قام يحاول التكلم بما راه بهره هول المقام وابهة الخلافة فلم يهتد
الى لفظة بل غشي عليه وسقط الى الارض فقيل لابي علي البغدادي اسماعيل بن القاسم
القالي صاحب الامالي والنوادر وهو ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق وامير
الكلام وبحر اللغة قم فارقع هذا الوهي فقام فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله وصلى
على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم هكذا ذكر ابن حيان وغيره وكلام ابن خلدون •

السابق يقتضي ان القالي هو المامور بالكلام اولا والمعد لذلك ونحوه في المطمح
والخطب سهل ثم انقطع القول بالقالي فوقف ساكتا مفكرا في كلام يدخل به
الى ذكر ما اريد منه **وقال** في المطمح ان ابا علي القالي انقطع وبهت وما وصل
الا قطع ووقف ساكتا متفكرا وتشوف لا ناسيا ولا متذكرا فلما راى ذلك منذر
ابن سعيد وكان ممن حضر في زمرة الفقهاء قام من ذاته بدرجة من مرقاته ووصل
افتتاح ابي علي لاول خطبته بكلام عجيب ونادى من الاحسان في ذلك المقام كل
مجيب يسحه سحا كانما كان يحفظه قبل ذلك بمدة وبدا من المكان الذي انتهى
اليه ابو علي البغدادي فقال **أما بعد** حمد الله والثناء عليه
والتعداد لالائه والشكر لنعمائه • والصلاة على محمد صفيه وخاتم انبيائه •
فان لكل حادثة مقاما ولكل مقام مقالا • وليس بعد الحق الا الضلال • واني
قد قمت في مقام كريم • بين يدي ملك عظيم • فاصغوا الي معشر الملا باسماعكم
والقنوا عني بافئدتكم • ان من الحق ان يقال للمحق صدقت • وللمبطل كذبت وان
الجليل تعالى في سمائه • وتقدس بصفاته واسمائه • امر كليمه موسى صلى الله
على نبينا وعليه • وعلى جميع انبيائه • ان يذكر قومه بايام الله جل وعز عندهم وفيه
وفي رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة • واني اذكركم بايام الله عندكم
وتلافيه لكم بخلافة امير المؤمنين التي لمت شعثكم • وامنت سربكم ورفعت قومكم
بعد ان كنتم قليلا فكثركم • ومستضعفين فقواكم • ومستذلين فنصركم ولاه
الله رعايتكم • واسند اليه امامتكم • ايام ضربت الفتنة سرادقها على الافاق •
واحاطت بكم شعل النفاق حتى صرتم في مثل حدقة البعير من ضيق الحال ونكد
العيش والتغيير • فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء • وانتقلتم بيمن
سياسته الى تمهيد كنف العافية بعد استيطان البلاء • انشدكم الله معاشر
الملا الم تكن الدماء مسفوكة فحقنها • والسبل مخوفة فامنها • والاموال منتهبة
فاحرزها وحصنها • الم تكن البلاد خرابا فعمرها • وثغور المسلمين مهتضمة فحماها
ونصرها فاذكروا الاء الله عليكم بخلافته • وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها
بامامته • حتى اذهب الله عنكم غيظكم • وشفى صدوركم • وصرتم يدا على عدوكم •
بعد ان كان باسكم بينكم • فناشدتكم الله الم تكن خلافته قفل الفتنة بعد انطلاقها
من عقالها • الم يتلاف صلاح الامور بنفسه بعد اضطراب احوالها • ولم يكل ذلك
الى القواد والاجناد • حتى باشره بالمهجة والاولاد • واعتزل النسوان وهجر
الاوطان • ورفض الدعة وهي محبوبة • وترك الركون الى الراحة وهي مطلوبة
بطوية صحيحة • وعزيمة صريحة • وبصيرة نافذة ثاقبة • وريح هابة غالبة • و
نصر من الله واقعة واجبة • وسلطان قاهر • وجد ظاهر • وسيف منصور •

تحت عدد مشهور متحملا للنصب • مستقلا لما نابه في جانب الله من التعب •
حتى لانت الاحوال بعد شدتها وانكسرت شوكة الفتنة عند حدتها ولم يبق لها
غارب الا حذه • ولا نجم لا مثلها الاجذه • فاصبحتم بنعمة الله اخوانا • ولم امير المؤمنين
لشعثكم على اعدايه اعوانا • حتى تواترت لديكم الفتوحات • وفتح الله عليكم بخلافته
ابواب البركات • وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم • وآمال الاقصين و
والادنين مستخدمة اليه واليكم • ياتون من كل فج عميق • وبلد سحيق • لاخذ حبل
بينكم وبينه جملة وتفصيلا • ليقضي الله امرا كان مفعولا • ولن يخلف الله وعده
ولهذا الامر ما بعده • وتلك اسباب بادية ظاهرة • تدل على امور باطنة خافية •
دليلها قايم • وجفنها غير نايم • وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الاية وليس في تصديق ما وعد الله ارتياب
ولكل نبأ مستقر ولكل اجل كتاب • فاحمدوا الله على الايه • واسألوه المزيد من نعمايه
فقد اصبحتم بيمن خلافة امير المؤمنين ايده الله بالعصمة والتسداد • والهمه خالص
التوفيق الى سبيل الرشاد • احسن الناس حالا وانعمهم بالا واعزهم قرارا
وامنعهم دارا • واكثفهم جمعا • واجملهم صنعا • لا تهاجون ولا تذادون • وانتم
بحمد الله على اعدايكم ظاهرون • فاستعينوا على صلاح احوالكم بالمناصحة لامامكم
والتزام الطاعة لخليفتكم • وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم • فان من نزع يدا من
الطاعة • وسعى في تفريق الجماعة • ومرق من الدين فقد خسر الدنيا والاخرة وذلك
هو الخسران المبين • وقد علمتم ان في التعلق بعصمتها والتمسك بعروتها •
حفظ الاموال وحقن الدماء • وصلاح الخاصة والدهما • وان بقوام الطاعة
تقام الحدود • وتوفى العهود • وبها وصلت الارحام • ووضحت الاحكام • وبها سد
الله الخلل • وامن السبل • ووطأ الاكناف • ورفع الاختلاف • وبها طاب لكم القرار
واطمأنت بكم الدار • فاعتصموا بما امركم الله بالاعتصام به • فانه تبارك وتعالى
يقول اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الاية وقد علمتم ما
احاط بكم في جزيرتكم هذه من ضروب المشركين وصنوف الملحدين الساعين في شق
عصاكم وتفريق ملأكم الآخذين في مخاذلة دينكم وهتك حرمتكم • وتوهين
دعوة نبيكم صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيين والمرسلين اقول
قولي هذا واختم بالحمد لله رب العالمين • واستغفر الله الغفور الرحيم فهو خير
الغافرين وساق ابن سعيد في المغرب هذه الحكاية فقال ما صورته منذر
ابن سعيد البلوطي قاضي الجماعة بقرطبة خطيب مصقع وله كتب مؤلفة في القرآن
والسنة والورع والرد على اهل الاهواء والبدع شاعر بليغ ولد سنة ٢٦٥ واول
سببه في التعلق بعبد الرحمن الناصر لما احتفل لدخول رسول ملك الروم صاحب

قسطنطينية

قسطنطينية بقصر قرطبة الاحتفال الذي اشتهر ذكره احب ان يقوم الخطبا
والشعرا بين يديه بذكر جلالة مقعده ويصف ما تهيأ له من توطيد الخلافة
ورمي ملوك الامم بسهام باسه ونجدته وتقدم الى الامير الحكم ابنه وولي عهده
باعداد من يقوم لذلك من الخطبا ويقدمه امام انشاد الشعرا فتقدم الحكم
الى ابي علي البغدادي ضيف الخليفة وامير الكلام وبحر اللغة ان يقوم فقام وحمد
الله واثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم انقطع وبهت فما وصل ولا
قطع ووقف ساكتا مفكرا فلما راى ذلك منذر قام قايما بدرجة من مرقاة ابي علي
ووصل افتتاحه بكلام عجيب بهر العقول جزالة وملأ الاسماع جلالة ثم ذكر
الخطبة كما سبق وقال بعد ايراده ما صورته فصلب العجلة وغلب على قلبه وقال
هذا كبير القوم او كبش القوم وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه وثبات
جنانه وبلاغة لسانه وكان الناصر اشدهم تعجبا منه واقبل على ابنه الحكم
ولم يكن يثبت معرفته فسأله عنه فقال له هذا منذر بن سعيد البلوطي فقال
والله لقد احسن ما شاء ولئن اخرني الله بعد لارفعن من ذكره فضع يدك يا حكم
عليه واستخلصه وذكرني بشانه فما للصنيعة مذهب عنه ثم ولاه الصلاة والخطابة
في المجلس الجامع بالزهراء ثم توفي محمد بن عيسى القاضي فولاه قضا الجماعة بقرطبة
واقره على الصلاة بالزهراء • ومن شعره قوله في هذه الواقعة

مقال كحد السيف وسط المحافل • فرقت به ما بين حق وباطل •
بقلب ذكي ترتمي جنباته • كبارق رعد عند رعش الانامل •
فما دحضت رجلي ولا زل مقولي • ولا طاش عقلي يوم تلك الزلازل •
وقد حدقت حولي عيون اخالها • كمثل سهام اثبتت في المقاتل •
لخير امام كان او هو كاين • لمقتبل او في العصور الاوايل •
ترى الناس افواجا يؤمون بابه • وكلهم ما بين راض وآمل •
وفود ملوك الروم وسط فنايه • مخافة باس او رجاء لنايل •
فعش سالما اقصى حياة مؤمل • فانت غياث كل حاف وناعل •
ستملكها ما بين شرق ومغرب • الى درب قسطنطين او ارض بابل •

انتهى كلام ابن سعيد وهو يؤيد كلام ابن خلدون ان المامور بالخطبة هو القالي
وذكر ان الناصر قال لابنه الحكم بعد ان سأله عنه لقد احسن ما شاء فلئن كان
حبر خطبته هذه واعدها مخافة ان يدور ما دار فيتلافى الوهي فانه لبديع من قدرته
واحتياطه ولئن كان اتى بها على البديهة لوقته فانه لاعجب واغرب قال ابن سعيد
ولما فرغ منذر من خطبته انشد في هذا المقام الذي ما غابه فقد بكر قايلا يزري به البلد

لو كنت فيهم غريبا كنت مطرقا • لكنني منهم فاغتالني النكد •

ويروى بدل هذا الشطر • ولا دما في الحصر نبغي ولا حسد
• لولا الخلافة أبقى الله حرمتها • ما كنت أبقى بأرض ما بها أحد •
انتهى **قلت** كأنه عرض بأبي علي القالي وتقديمهم إياه في هذا المقام
والله أعلم **ومن نظم منذر بن سعيد قوله**

• الموت حوض وكلنا يرد • لم ينج مما يخافه أحد •
• فلا تكن مغرما برزق غد • فلست تدري بما يجيء غد •
• وخذ من الدهر ما أتاك به • ويسلم الروح منك والجسد •
• والخير والشر لا تدعهما • في الناس إلا التشنيع والحسد •

وله وقد أتاه شخص يخاطبه بالكنية فقيل له أبو ذلك وأنت تخاطبه بالكنية فقال

• لا تعجبوا من أنني كنيته • من بعد ما قد سبنا وآذانا •
• فالله قد كنى أبا لهب وما • كناه إلا خزية وهوانا •

وقال في المطمح منذر بن سعيد البلوطي آية حركة وسكون وبركة لم تكن تعده
ولا تكون وآية سفاهة في تحلم وجهامة وورع في طي تبسم إذا جد وجد وإذا هزل هزل
وفي كلتا الحالتين لم يترك الورع من مرتقب ولا اكتسب إثما ولا احتقب وكان مهيبا صليبا صارما غير جبان ولا عاجز ولا مراقب لأحد من خلق
الله في استخراج حق ورفع ظلم واستمر في القضاء إلى أن مات الناصر لدين الله
ثم ولي ابنه الحكم فأقره وفي خلافتهما توفي بعد أن استعفى مرارا فما أعفي ولم يحفظ
عنه مدة ولايته قضية جور ولا عدت عليه في حكومته زلة وكان غزير العلم
كثير الأدب متكلما بالحق متبينا بالصدق له كتب مؤلفة في السنة والقرآن والورع و
الرد على أهل الأهواء والبدع وكان خطيبا بليغا وشاعرا محسنا ولد عند ولاية
المنذر بن محمد وتوفي في سنة خمس وخمسين وثلثمائة ومن شعره في الزهد قوله

• كم تصابى وقد علاك المشيب • وتعامى عمدا وأنت اللبيب •
• كيف تلهو وقد أتاك نذير • أن سيأتي الحمام منك قريب •
• يا سفيها قد حان منه رحيل • بعد ذاك الرحيل يوم عصيب •
• إن للموت سكرة فارتقبها • لا يداويك إن أتاك طبيب •
• كم توانى حتى تصير رهينا • ثم تأتيك دعوة فتجيب •
• بأمور المعاد أنت عليم • فاعملن جاهدا له يا أريب •
• وتذكر يوما تحاسب فيه • إن من يذكره فسوف ينيب •
• ليس من ساعة من الدهر إلا • للمنايا عليك فيها رقيب •

ولعلنا نذكر شيئا من أخبار المنذر في غير هذا الموضع **رجع** لأخبار الناصر
لدين الله حكي أنه لما اعتذر لولاية ابنه أبي مروان عبيد الله اتخذ لذلك صنيعا

عظيما

عظيما بقصر الزهراء لم يتخلف أحد عنه من أهل مملكته وأمر أن يبتدر لشهوده
الفقهاء المشاورون ومن يليهم من العلماء والعدول ووجوه الناس فتخلف من
بينهم المشاور أبو إبراهيم وافتقد مكانه لارتفاع منزلته فساء في ذلك الخليفة
الناصر إذ أبو إبراهيم من أكابر علماء المالكية الذين عليهم المدار ووجد الناصر
بسبب ذلك على أبي إبراهيم وأمر ابنه ولي العهد الحكم بالكتاب إليه والتفنيد
له فكتب له الحكم رقعة نسختها بسم الله الرحمن الرحيم • حفظك الله وتولاك
وسددك ورعاك لما امتحن أمير المؤمنين مولاي وسيدي أبقاه الله أولياءه
الذين يستعد بهم وجدك متقدما في الولاية متأخرا عن الصلة على أنه قد
أدركك أبقاه الله خصوصا للمشاركة في السرور الذي كان عنده لأعذار
الله تولى المسرة • ثم أنذرت من قبل إبلاغا في التكرمة فكان منك على ذلك كله من
التخلف ما ضاقت عليك فيه المعذرة وستبلغ أمير المؤمنين في إنكاره ومعاتبتك
عليه فأعتب عليك عند الحجة فعرفني أكرمك الله ما العذر الذي أوجب توقفك
عن إجابة دعوته • ومشاهدة السرور الذي سر به ورغب المشاركة فيه لتعرفه
أبقاه الله بذلك فتسكن نفسه العزيزة إليه إن شاء الله **فأجابه** أبو إبراهيم
سلام على الأمير سيدي ورحمة الله قرأت أبقى الله الأمير سيدي هذا الكتاب
وفهمته ولم يكن توقفي لنفسي إنما كان لأمير المؤمنين سيدنا أبقاه الله وسلطانه
لعلمي بمذهبه وسكوني إلى تقواه واقتفائه لأثر سلفه الطيب رضوان الله عليهم
فإنهم يستبقون من هذه الطبقة بقية لا يمتهنونها بما يشينها ولا بما يغض منها
ويطرق إلى تنقصها يستعدون بها لدينهم ويتزينون بها عند رعاياهم ومن
يفد عليهم من قصادهم فلهذا تخلفت ولعلمي بمذهبه توقفت إن شاء الله فلما
قرأ الحكم أباه الناصر لدين الله جواب أبي إبراهيم استحسنه وأعجبه واستحسن اعتذاره
وزال ما بنفسه عليه وكان الفقيه أبو إبراهيم المذكور معظما عند الناصر وابنه
الحكم وحق لهما أن يعظماه وقد حكى الفقيه أبو القاسم بن مفرج قال كنت أختلف
إلى الفقيه أبي إبراهيم رحمه الله فيمن يختلف إليه للتفقه والرواية فإني لعنده في
بعض الأيام في مجلسه بالمسجد المنسوب لأبي عثمان الذي كان يصلي به قرب داره
بجوفي قصر قرطبة ومجلسه حافل بجماعة الطلبة وذلك بين الصلاتين إذ دخل
عليه خصي من أصحاب الرسائل جاء من عند الخليفة الحكم فوقف وسلم وقال له
يا فقيه أجب أمير المؤمنين أبقاه الله فإن الأمر خرج فيك وها هو قاعد ينتظرك
وقد أمرت بإعجالك فالله الله فقال له سمعا وطاعة لأمير المؤمنين ولا عجلة
فارجع إليه وقل له وفقه الله وعرفه عني أنك وجدتني في بيت من بيوت الله تعالى مع طلاب
العلم المجتهدين أسمعهم حديث ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم يقيدونه عني

ولبس يمكنني ترك ما انا فيه حتى يتم المجلس المعهود لهم في رضى الله وطاعته
فذلك اوكد من مسيري اليه الساعة فاذا انقضى امر من اجتمع من موالي
المحتسبين بآيات الله الساعين في مرضاته مشيت اليه ان شاء الله تعالى
ثم اقبل على شانه ومضى الخصي بهيبتهم متضاجرا من توقفه فلم يلبث الا ريثما ادى
جوابه وانصرف سريعا شاكرا للطبيب فقال له يا فقيه انهيت قولك على
نصه الى امير المومنين ابقاه الله فاصغى اليه وهو يقول لك جزاك الله خيرا
عن الدين وعن امير المومنين وجماعة المسلمين وامتعهم بك واذا انت اوعيت
فامض اليه راشدا ان شاء الله تعالى فقد امرت ان ابقى معك حتى ينقضي
شغلك وتمضي معي فقال له حسن جميل ولكني اضعف عن المشي الى باب السدة
ويصعب علي ركوب دابة لشيخوختي وضعف اعضائي وباب الصناعة الذي
يقرب الي من ابواب القصر المكرم احوط علي وارفق بي فان راى امير المومنين
ايده الله ان يامر بفتحه لادخل اليه منه هون علي المشي وودع جسمي واحب
ان تعود اليه فتنهي ذلك عني حتى يعرف رايه فيه وكذلك تعود الي فاني اراك
فتى سديدا فكن على الخير معينا ومضى عنه الفتى ثم رجع بعد حين وقال
يا فقيه قد اجابك امير المومنين الى ما سالت وامر بفتح باب الصناعة و
انتظارك من قبله ومنه خرجت اليك وامرت بملازمتك مذكرا بالنهوض
عند فراغك وقال انا فعل راشدا وجلس الخصي جانبا حتى اكمل ابو ابراهيم مجلسه
كاشبه ما به عادته غير منزعج ولا قلق فلما انفضضنا عنه قام الى داره فاصلح
من شانه ثم مشى الى الخليفة الحكم فوصل اليه من ذلك الباب وقضى حاجته
ثم صرفه على ذلك الباب فاعيد اغلاقه على اثر اخراجه فالتفرج ولقد تعمدنا في
تلك العشية اثر قيامنا عنه الشيخ ابي ابراهيم المرور بهذا الباب المعهود
اغلاقه بدير القصر لنرى تحشم الخليفة له فوجدناه كما وصف الخصي مفتوحا قد
حفه الخدم والاعوان منتظرين ما بين كناس وفراش منا متبين لانتظار ابي
ابراهيم فاشتد عجبنا لذلك وطال تحدثنا عنه انتهى فهكذا تكون العلماء مع الملوك
والملوك معهم قدس الله تلك الارواح ثم توفي الناصر لدين الله ثاني وثالث شهر
رمضان من عام خمسين وثلاثمائة اعظم ما كان سلطانه واعز ما كان الاسلام بملكه
قال ابن خلدون خلف الناصر في بيوت الاموال خمسة الاف الف الف ثلاث
مرات انتهى وقال غير واحد انه كان يقسم الجباية اثلاثا ثلث للجند وثلث للبنا
وثلث مدخر وكانت جباية الاندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة الاف الف
واربعمائة الف وثمانين الف دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة الف
وخمسة وستون الف دينار واما اخماس الغنائم العظيمة فلا يحصيها ديوان

وحكي

لم تصف للناصر ايام السرور الا اربعة عشر يوما

وحكي انه وجد بخط الناصر رحمه الله ايام السرور التي صفت له دون
تكدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا ويوم كذا من كذا وعدت تلك الايام فكانت اربعة
عشر يوما فاعجب ايها العاقل لهذه الدنيا وعدم صفائها وبخلها بكمال الاحوال
لاوليائها هذا الخليفة الناصر حلف السعود المضروب به المثل في الارتقاع في الدنيا
والصعود ملكها خمسين سنة وستة او سبعة اشهر وثلاثة ايام ولم تصف
له الا اربعة عشر يوما فسبحان ذي العزة القائمة والمملكة الدائمة لا اله الا
هو ومما ينسب للناصر من الشعر وقيل لابنه الحكم قوله

ما كل شيء فقدت الا عوضني الله منه شيا
اني اذا ما منعت خيري تباعد الخير من يديا
من كان لي نعمة عليه فانها نعمة عليا

ومما زين الله به دولة الناصر وزراؤه الذين من جملتهم ابن شهيد قال في
المطمح احمد بن عبد الملك بن عمر بن شهيد فخر الامامة وزهر تلك الكمامة وحاجب
الناصر عبد الرحمن وحامل الوزارتين على سموها في ذلك الزمان استقل بالوزارة
على ثقلها وتصرف فيها كيف شاء على حد نظرائها والتفات مقلها فظهر على اوليك
الوزراء واشتهر على كثرة النظراء وكانت امارة عبد الرحمن اسعد امارة بعد عنها
كل نفس باستواء امارة فلم يطرف فيها صرف ولم يرى منها بمجد وطرف فنزع الناس
فيها مضاب الاماني ورباها ورتعت ظباؤها في ظلال ظباها وهو اسد على
براثنه رابض وبطل ابدا على قائم سيفه قابض يروع الروم طيفه ويجوس
خلال تلك الديار رجيفه ويروي بل يحسم كل اوان سيفه وابن شهيد ينتج الاراء
ويلقحها ويبتعد تلك الانحاء وينقحها والدولة مشتملة بفنائه متجملة بسنائه
وكرمه منتشر على الامال ويكسو الاولياء بذلك الاجمال وكان له ادب تزهر
لججه ويبهر حججه وشعر رقيق لا يتعقد ويكاد من اللطافة يتعقد فمن ذلك قوله

ترى البدر منها طالعا فكانما يجول وشاحاها على لولو رطب
بعيدة مهوى القرط مخطفة الحشى ومفعمة الخلخال مفعمة القلب
من اللائي لم يرحلن فوق رواحل ولا سرن يوما في ركاب ولا ركب
ولا ابرزتهن المدام لنشوة وشدو كما تشدو القيان على الشرب

وكانت بينه وبين الوزير عبد الملك بن جهور متولي الامر معه ومشاركه في
التدبير اذا حضر مجمعه منافسة لم تنفصل لهما بها مداخلة ولا ملابسة وكلا
يتربص بصاحبه دائرة السوء ويغص به غصص الافق بالنوء فاخنا زيوما
الى ريضه وما لا الى زيارته ولم يكن من غرضه فلما استأمر عليه تاخر خروجه للاذن
اليه فثنى عنانه حنقا من حجابه وضجرا عن احجابه وكتب اليه معرضا وكان يلقب

بالحجارة • انبناك لاعن حاجة عرضت لنا • اليك ولا قلب لديك مشوق •
ولكننا زرنا بفضل حلومنا • فكيف تلاقي برنا بعقوق •
فراجعه ابن جهور بعض منه بما كان يشيع عنه بانجد ابا هاشم كان يبطا زاما لشام

يقول

• حججناك لما زرتنا غير تايق • بقلب عدو في ثياب صديق •
• وما كان يبطا بالشام بموضع • يباشر فيه برنا بخليق •

ومن قوله يتغزل

• خلفت بمن يهوى فاصاب قلبي • وقلبه على جمر الصدود •
• لقد اودى تذكره بقلبي • ولست اشك ان النفس تودي •
• فقيد وهو موجود بقلبي • فوا عجبا لمفقود فقيد • انتهى

وقد تقدم الكلام على مدينة ابن شهيد وبعض اخباره • **ولما توفي** الناصر لدين الله تولى الخلافة بعده ولي عهده الحكم المستنصر بالله فجرى على رسمه ولم يفقد من تزيينه الا شخصه وولي حجابته جعفر الصقلبي واهدى له يوم ولايته هدية كان فيها من الاصناف ما ذكره ابن حيان في المقتبس وهي ماية مملوك من الافرنج ناشبة على خيول صافنة • كاملوا الشكة والاسلحة من السيوف والرماح والدرق والتراس والقلانس الهندية • وثلاثماية ونيف وعشرون درعا مختلفة الاجناس • وثلاثماية خوذة كذلك وماية بيضة سندية • وخمسون بيضة خشبية من بيضات الفرنجة من غير الخشب يسمونها الطشطانة • وثلاثماية حربة افرنجية وماية ترس سلطانية وعشرة جواشن فضة مذهبة وخمس وعشرون قرنا مذهبة من قرون الجاموس انتهى **قال** ابن خلدون ولاول وفاة الناصر طمع الجلالقة في الثغور فغزا الحكم المستنصر بنفسه وافتتح بلد قرد لند بن غند شلب فنازل شنت استبين وفتحها عنوة واستباحها وقفل فبادروا الى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه • **ثم** اغزى غالبا مولاه بلاد جليقية وسار الى مدينة سالم لدخول دار الحرب فجمع له الجلالقة ولقيهم فهزمهم واستباحهم واوطا العساكر بلد قرد لند وخربها وكان شيخه ابن ردمير ملك البشكنس قد انتقض فاغزاه الحكم التجيبي صاحب سرقسطة في العساكر وجاء ملك الجلالقة لنصره فهزمهم وامتنعوا بقورية وعاثت في نواحيها العساكر وقفل **ثم** اغزى الحكم بن احمد بن يعلى ويحيى بن محمد التجيبي الى بلاد برشلونة فعاثت العساكر في نواحيها **و** اغزى هذيل بن هاشم ومولاه غالبا الى بلاد الفونس فعاثا فيها وقفلا وعظمت فتوحات الحكم وقواد الثغور في كل ناحية وكان من اعظمها فتح قلهرة من بلاد البشكنس على يد غالب فعمرها الحكم واعتنى بها ثم فتح قطونية

على يد قايد

على يد قايد وشقة وغنم فيه من الاموال والسلاح والاقوات والاثاث وسبي بسيطه من الغنم والبقر والرمك والاطعمة والسبي ما لا يحصى وفي سنة ٤٠ سار غالب الى بلد البه ومعه يحيى بن محمد التجيبي وقاسم بن مطرف بن ذي النون فافتتح حصن غرماج ودوخ بلادهم وانصرف وظهرت في هذه السنة مراكب المجوس في البحر الكبير وافسدوا ببسايط اشبونة وناشبهم الناس القتال فرجعوا الى مراكبهم واخرج الحكم القواد لاحتراس السواحل وامر قايد البحر عبد الرحمن بن رماحس بتعجيل حركة الاسطول **ثم** وردت الاخبار بان العساكر نالت منهم من كل جهة من السواحل ثم كانت وفادة اردون بن اذفونش ملك الجلالقة وذلك ان الناصر لما اعان عليه شانجة بن ردمير وهو ابن عمه وهو الملك من قبل اردون وحمل النصرانية على طاعته واستظهر اردون بصهره فرذلند قومس قشتيلية توقع مظاهرة الحكم لشانجة كما ظاهره ابوه الناصر فبادر الى الوفادة على الحكم مستجيرا به فاحتفل لقدومه وعبى المواكب ليوم وفادته وكان يوما مشهودا وصفه ابن حيان كما وصف ايام الوفادات قبله ووصل الى الحكم واجلسه واوعده بالنصر من عدوه وخلع عليه وكتب بوصوله ملقيا بنفسه وعاقده على موالاة الاسلام ومقاطعة فرذلند القومس واعطى على ذلك صفقة يمينه ورهن ولده غرسية ودفعت الصلات والحملان له ولاصحابه وانصرف معه وجوه النصارى الذمة ليوطدوا له الطاعة عند رعيته ويقبضوا رهنه وعند ذلك بعث ابن عمه شانجة بن ردمير ببيعته وطاعته قوامس مثل جليقية وسمورة واساقفتهم يرغب في قبوله ويمت بما فعل ابوه الناصر معه فيقبل بيعتهم على شروط يشترطها كان منها هدم الحصون والابراج القريبة من ثغور المسلمين **ثم** بعث ملكا برشلونة وطركونة وغيرهما يسالان تجديد الصلح واقرارهما على ما كانا عليه وبعثا بهدية وهي عشرون صبيا من الخصيان الصقالبة وعشرون قنطارا من صوف السمور وخمسة قناطير من القصدير وعشرة اذراع صقلبية وماتا سيف فرنجية فتقبل الهدية وعقد على ان يهدموا الحصون التي تضر بالثغور والا يظاهروا على اهل ملتهم وان ينذروا بما يكون من النصارى في الاجلاب على المسلمين ثم وصلت رسل غرسية بن شانجة ملك البشكنس في جماعة من الاساقفة والقوامس يسالون الصلح بعد ان كان توقف واظهر المكر فعقد لهم الحكم فاغتبطوا ورجعوا ووفدت على الحكم ام لذريق بن بلاسك القومس بالغرب من جليقية وهو القومس الاكبر فاخرج الحكم لتلقيها اهل دولته واحتفل لقدومها في يوم مشهود فوصلت واسعفت وعقد السلم لابنها كما رغبت ودفع لها مال تقسمه بين وفدها دونها وصلت به وهي حملت على بغلة فارهة بسرج ولجام مثقلين بالذهب وملحفة ديباج ثم عاودت مجلس الحكم للوداع •

فعاودهما بالصلاة لسنتها وانطلقت ثم اوطا عساكره ارض العدوة من المغرب
الاقصى والاوسط وتلقى دعوته ملوك زناته من مغراوة ومكناسة فبثوها في
اعمالهم وخطبوا بها على منابرهم وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما بينهم ووفد
عليه من بني خزر وبني ابي العافية فاجزل صلتهم واكرم وفادتهم واحسن منصرفهم
واستنزل بني ادريس من ملكهم بالعدوة في ناحية الريف واجازهم الى البحر الى
قرطبة ثم اجلاهم الى الاسكندرية وكان محبا للعلوم مكرما لاهلها جماعا للكتب
في انواعها بما لم يجمعه احد من الملوك قبله قال ابو محمد بن حزم اخبرني
تليد الخصي وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان ان عدد الفهارس التي
فيها تسمية الكتب اربع واربعون فهرسة وفي كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها
الا ذكر اسماء الدواوين لا غير فاقام للعلم والعلماء سوقا نافقة جلبت اليها بضائعه
من كل قطر ووفد عليه ابو علي القالي صاحب كتاب الامالي من بغداد فاكرم مثواه
وحسنت منزلته عنده واورث اهل الاندلس علمه واختص بالحكم المستنصر واستفاد
علمه وكان يبعث في الكتب الى الاقطار رجالا من التجار ويسرب اليهم الاموال لشرائها
حتى جلب منها الى الاندلس ما لم يعهدوه وبعث في كتاب الاغاني الى مصنفه ابي الفرج
الاصفهاني وكان نسبه في بني امية وارسل اليه فيه بالف دينار من الذهب العين
فبعث اليه بنسخة منه قبل ان يخرجه الى العراق وكذلك فعل مع القاضي ابي بكر
الابهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وامثال ذلك وجمع بداره الحذاق في
صناعة النسخ والمهرة في الضبط والاجادة في التجليد فاوعى من ذلك كله واجتمعت
بالاندلس خزائن من الكتب لم تكن لاحد من قبله ولا من بعده الا ما يذكر عن الناصر
العباسي بن المستضي ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة الى ان بيع اكثرها في حصار
البربر وامر باخراجها وبيعها الحاجب واضح من موالي المنصور بن ابي عامر ونهب ما
بقي منها عند دخول البربر واقتحامهم قرطبة واقتحامهم اياها عنوة انتهى
كلام ابن خلدون ببعض اختصار ولنبسط الكلام على الحكم فنقول
ان الحكم المستنصر قعد على سرير الملك ثاني يوم وفاة ابيه يوم الخميس وقام
باعباء الملك اتم قيام وانفذ الكتب الى الآفاق بتمام الامر له ودعا الناس الى
بيعته واستقبل من يومه النظر في تمهيد سلطانه وتثقيف مملكته وضبط
قصوره وترتيب اجناده واول ما اخذ البيعة على صقالبة قصره الفتيان
المعروفين بالخلفاء الاكابر كجعفر صاحب الخيل والطراز وغيره من عظمائهم وتكفلوا
باخذها على من وراءهم وتحت ايديهم من طبقتهم وغيرهم ووصل الى نفسه في الليل
دون موالي الاكابر من الكتاب والوصفاء والمقدمين والعرفاء فبايعوه فلما كملت
بيعة اهل القصر تقدم الى عظيم دولته جعفر بن عثمان بالنهوض في اخيه شقيقه

على احد قلم من الدواوين والكتب

ابي مروان

ابي مروان عبيد الله المتخلف بان يلزمه الحضور الى البيعة دون معذرة وتقدم الى
موسى بن احمد بن حدير بالنهوض ايضا عن ابي الاصبغ عبد العزيز شقيقه الثاني فمضى
اليهما كل واحد منهما في قطيع من الجند واتيا بهما الى قصر مدينة الزهراء ونفذ غيرهما
من وجوه الرجال في الخيل لاتيان غيرهما من الاخوة وكانوا يومئذ ثمانية فوافى
جميعهم الزهراء في الليل فنزلوا في مراتبهم بفصلان دار الملك وقعدوا في المجلسين
الشرقي والغربي وقعد المستنصر بالله على سرير الملك في البهو الاوسط من الابهاء
المذهبة القبلية التي في السطح الممرد فاول من وصل اليه الاخوة فبايعوه وانصتوا
لصيغة البيعة والتزموا الايمان المنصوصة بكل ما انعقد فيها ثم بايع بعدهم
الوزراء واولادهم واخوتهم ثم اصحاب الشرطة وطبقات اهل الخدمة وقعد الاخوة
والوزراء والوجوه عن يمينه وشماله الا عيسى بن فطيس فانه كان قائما باخذ البيعة
على الناس وقام للترتيب على الرسم في مجالس الاحتفال المعروفة فاصطف في المجلس
الذي قعد فيه اكابر الفتيان يمينا وشمالا الى آخر البهو كل منهم على قدره في المنزلة
عليهم الظهائر البيض شعار الحزن قد تقلدوا فوقها السيوف ثم تلاهم الفتيان
الوصفاء عليهم الدروع السابغة والسيوف الحالية صفين منتظمين في السطح
وفي الفصلان المتصلة به ذوو الاسنان من الفتيان الصقالبة الخصيان لابسي
البياض بايديهم السيوف يتصل بهم من دونهم من طبقات الخصيان الصقالبة
ثم تلاهم الرماة متنكبين قسيهم وجعابهم ثم وصلت صفوف موالي الخصيان
الصقالبة ثم صفوف العبيد الفحول شاكين في الاسلحة الرائقة والعدة الكاملة
وقامت التعبية في دار الجند والترتيب من رجالة العبيد عليهم الجواشن
والاقبية البيض وعلى رؤوسهم البيضات الصقلية وبايديهم الترس الملونة
والاسلحة المزينة انتظموا صفين الى آخر الفصل وعلى باب السدة الاعظم البوابون
واعوانهم ومن خارج باب السدة فرسان العبيد الى باب الاقباء واتصل بهم فرسان
الحشم وطبقات الجند والعبيد والرماة موكبا اثر موكب الى باب المدينة الشارع
الى الصحراء فلما تمت البيعة اذن للناس بالانفضاض الا الاخوة والوزراء واهل
الخدمة فانهم مكثوا بقصر الزهراء الى ان احتمل جسد الناصر رحمه الله الى قصر قرطبة
للدفن هنالك في تربة الخلفاء وفي ذي الحجة من سنة خمسين تكاثرت الوفود
بباب الخليفة الحكم من البلاد للبيعة والتماس المطالب من اهل طليطلة وغيرها
من قواعد الاندلس واصقاعها فتوصلوا الى مجلس الخليفة بمحضر جميع الوزراء
والقاضي منذر بن سعيد والملا فاخذت عليهم البيعة ووقعت الشهادات
في نسخها وفي آخر صفر من سنة احدى وخمسين اخرج الخليفة الحكم المستنصر
بالله مولاه محمدا وزيادة بن افلح الناصري بكتيبة من الحشم لتلقي غالب الناصري صاحب

مدينة سالم المورد للطاغية اردون بن اذفونش الخبيث في الدركة المتملك
على طوائف من امم الجلالقة والمنازع لابن عمه الملك قبله شانجه بن ردمير وتبرع
هذا اللعين اردون بالمسير الى باب المستنصر بالله من ذاته غير طالب اذن ولا
مستظهر بعهد وذلك عند ما بلغه اعتزام الحكم المستنصر بالله في عامه ذلك
على الغزو اليه واخذه في التاهب له فاحتال في تاميل المستنصر بالله والارتما
اليه وخرج قبل امان يعقد له او ذمة تخصصه في عشرين رجلا من وجوه اصحابه
يكنفهم غالب الناصري الذي خرجوا اليه فجاء به نحو مولاه الحكم وتلقاهم ابن
الفتح بالجيش المذكور فانزلهم ثم تحرك بهم ثاني يوم نزولهم الى قرطبة فاخرج
المستنصر بالله اليهم هشام المصحفي في جيش عظيم كامل التعبية ونفذوا الى
باب قرطبة فمروا بباب قصرها فلما انتهى اردون الى ما بين باب السدة وباب الجنان
سال عن مكان مدفن الناصر لدين الله فاشير الى ما يوازي موضعه من داخل القصر
في الروضة فخلع قلنسوته وخضع نحو مكان القبر ودعا ثم رد قلنسوته الى راسه
وامر المستنصر بانزال اردون ولمن معه دار الناعورة وقد كان تقدم في فرشها بضروب
الفضا والوطا وانتهى من ذلك الى الغاية وتوسع له في الكرامة ولاصحابه فاقام
بها الخميس والجمعة فلما كان يوم السبت تقدم المستنصر بالله باستدعا اردون
ومن معه بعد ما قام الترتيب وتعبية الجيوش والاحتفال في ذلك من العدد والاسلحة
والزينة وقعد المستنصر بالله على سرير الملك في المجلس الشرقي من مجالس السطح
وقعد الاخوة وبنوهم والوزرا ونظراوهم صفا في المجلس فيهم القاضي منذر بن سعيد
والحكام والفقها فاتى محمد بن القاسم بن طملس بالملك اردون واصحابه وعليه
ثوب ديباج رومي ابيض وبليوال من جنسه في لونه وعلى راسه قلنسوة رومية
منظومة بجوهر وقد حفته جماعة من نصارى وجوه الذمة بالاندلس يونسونه و
يبصرونه فيهم وليد بن خيزران قاضي النصارى بقرطبة وعبيد الله بن قاسم مطران
طليطلة وغيرهما فدخل بين صفين للترتيب يقلبا الطرف في نظم الصفوف ويجيل
الفكر في كثرتها وتناظم اسلحتها وراقهم حليتها فراعهم ما ابصروا وصلبوا على
وجوههم وتاملوا ناكسي رووسهم غاضين من اجفانهم قد سكرت ابصارهم حتى
وصلوا الى باب الافنية اول باب قصر الزهرا فترجل جميع من كان خرج الى لقايه وتقدم
الملك اردون وخاصته فوارس على دوابهم حتى انتهوا الى باب السدة فامر الفوارس
بالترجل هنالك والمشي على الاقدام فترجلوا ودخل الملك اردون وحده راكبا
مع محمد بن طملس فانزل في البهو الاوسط من الابهاء القبلية التي بدار الجند على كرسي
مرتفع مكسو والوصائف لبعضه وفي هذا المكان بحيث نزل قبله عدوه ومناويه
شانجه بن ردمير الوافد على الناصر لدين الله رحمه فقعد اردون على الكرسي وقعد

اصحابه

اصحابه بين يديه وخرج الاذن لاردون الى المستنصر بالله وقد قعد وكشف راسه
وخلع برنسه وبقي حاسرا اعظاما لما اتاه من الدنو الى السرير واستنهض فمضى
بين الصفين المرتبين في ساحة السطح الى ان قطع السطح وانتهى الى باب البهو
فلما قابل السرير خر ساجدا سويعة ثم استوى قايما ثم نهض خطوات وعاد الى
السجود ووالى ذلك مرارا الى ان قدم بين يدي الخليفة واهوى الى يده فناوله اياها
وكر راجعا متقهقرا على عقبيه الى وساد ديباج مثقل بالذهب جعل له هنالك وفي
على قدر عشرة اذرع من السرير فجلس عليه والبهر قد علاه واتى خلفه من اسند
من قوامسه واتباعه فدنوا ممتثلين في تكرير الخنوع وناولهم الخليفة يده فقبلوها
وانصرفوا مقهقرين فوقفوا على راس ملكهم ووصل بوصولهم وليد بن خيزران قاضي
النصارى بقرطبة فكان الترجمان عن الملك اردون ذلك اليوم فاطرق الخليفة
الحكم عن تكليم الملك اردون اثر قعوده امامه وقتا ليما يفرخ روعه فلما راى ان قد
خفض عليه افتتح تكليمه فقال ليبشرك اقبالك وتغبطك تاميلك فلدينا لك
من حسن راينا ورحب قبولنا فوق ما قد طلبته فلما ترجم له كلامه تطلق
وجه اردون وانحط عن سريره فقبل البساط وقال انا عبد امير المومنين مولاي
المتوكل على فضله القاصد الى مجده المحكم في نفسه ورجاله فحيث وضعني من فضله
وعوضني من خدمته رجوت ان اتقدم فيه بنية صادقة ونصيحة خالصة فقال
له الخليفة انت عندنا بمحل من يستحق حسن راينا وسينالك من تقديمنا لك
وتفضيلنا اياك على اهل ملتك ما يغبطك وتعرف به فضل جنوحك الينا
واستظلالك بظل سلطاننا فعاد اردون الى السجود عند فهمه مقالة الخليفة
وابتهل داعيا وقال ان شانجه بن عمي تقدم الى الخليفة الماضي مستجيرا به مني فكان من
اعزازه اياه ما يكون من مثله من اعاظم الملوك واكارم الخلفا لمن قصدهم واملهم
وكان قصده قصد مضطر قد شانته رعيته وانكرت سيرته واختارتني لمكانه
من غير سعي مني علم الله ذلك ولا دعا اليه فخلعته واخرجته عن ملكه مضطرا
مضطهدا فتطول عليه رحمه الله بان صرفه الى ملكه وقوى سلطانه واعز نصره
ومع ذلك لم يقم بفرض النعمة التي اسديت اليه وقصر في اداء المفروض عليه
وحقه وحق مولاي امير المومنين من بعده وانا قد قصدت يا امير المومنين لغير
ضرورة من فراق سلطاني وموضع احكامي محكما له في نفسي ورجالي ومعاقلي ومن
تحويه من رعيتي فشتان ما بيننا بقوة الثقة ومطرح الهمة فقال
الخليفة قد سمعنا قولك وفهمنا مغزاك وسوف يظهر من اقراضنا اياك على الخصوص صنعه
شانه ويزداد فمن احساننا اليك بعد ذلك ما يوحرك عنه ولا يبغضك مما
اتيناه وسنصرفك مغبوطا الى بلدك ونشد واخي ملكك ونملكك جميع من

احاشي لبيك من امنك ونعقد لك بذلك كتابا يكون بيدك تقرر به حد ما بينك
وبين ابن عمك وتقبضه عن كل ما يتصرف من البلاد الى يديك وسنزاد عليك
من الفضل لنا فوق ما احتسبته والله على ما نقول وكيل فكرر اردون الخضوع و
استهب في الشكر وقام للانصراف مقهقرا لا يولي الخليفة ظهره وقد تكنفه ا
الفتيان من جملة الفتيان فاخرجوه الى المجلس الغربي في السطح وقد علاه البهر
وازدهاه الروع من هول ما باشره وجلالة ما عاينه من فخامة الخليفة وبهاء
العز فلما ان دخل المجلس ووقعت عينه على مقعد امير المؤمنين خاليا منه انحط
ساجدا اعظاما له ثم تقدم الفتيان به الى البهو الذي يحوي هذا المجلس
فاجلسوه هنالك على وساد مثقل بالذهب واقبل نحوه الحاجب جعفر فلما بصر
به قام اليه وخضع له واوما الى تقبيل يده فقبضها الحاجب عنه وانحنى اليه
فعانقه وجلس معه فغبطه ووعده من انجاز وعد الخليفة له بما ضاعف
سروره ثم امر الحاجب جعفر فصبت عليه الخلع التي امر له بها الخليفة وكانت
دراعة منسوجة بالذهب وبرنسا مثلها له لوزة مفرغة من خالص التبر مرصعة
من الجوهر والياقوت ملات عيني العلج بجلاله فخر ساجدا واعلن بالدعاء ثم دعا
الحاجب باصحابه رجلا رجلا فخلع عليهم على قدر استحقاقهم فكمل جميع ذلك بحسب
ما يصلح لهم وخرج جميعهم خايفين شاكرين ثم انطلق الملك اردون واصحابه وقدم
لركابه في اول البهو الاوسط فرس من عتاق خيل الركاب عليه سرج محلى ولجام محلى
مفرغ وانصرف مع ابن طملس الى قصر الرصافة مكان تضييفه وقد اعد له فيه
كلما يصلح لمثله من الالة والفرش والماعون واستقر واصحابه فيها الاكفاء له
من سعة التضييف وارغاد المعاش واستشعر الناس من مسرة هذا اليوم وعزة
الاسلام فيه ما افاضوا في التبجح به والتحدث عنه اياما وكانت للخطباء والشعراء
بمجلس الخليفة في هذا اليوم مقامات حسان وانشادات لاشعار محكمة متان
يطول القول في اختيارها ممن ذلك قول عبد الملك بن سعيد المرادي من قصيدة

حيث يقول

ملك الخليفة اية الاقبال • وسعوده موصولة بتوال •
فالمسلمون بعزة وبرفعة • والمشركون بذلة وسفال •
الفت بايديها الاعاجم نحوه • متوقعين لصولة الرئبال •
هذا امير منهم اتاه اخذا • منه اواصر ذمة وحبال •
متواضعا لجلاله متخشعا • متبرعا لما يروع لقتال •
سيناله بالناصر الملك الرضى • عز يتم غداه بالادلال •
لا يوم اعظم للولاة مسرة • واشد غيظا على الاقيال •

من يوم

من يوم اردون الذي اقباله • امل المدى ونهاية الاقبال •
ملك الاعاجم كلها ابن ملوكها • والرعاة للاعاجم وال •
ان كان جاء ضرورة فلقد اتى • عن عز مملكة وطوع رجال • يقفنا ٢
فالحمد لله المنيل اماننا • حظ الملوك بقدره المتعالي •
من يوم حشر الناس لا الظمر • لم يبقيا لوا فيه عن الاعمال •
اضحى الفضاء مضيقا بجيوشه • والافق قسما اغبر السربال •
لا يهتدي الساري لليل قتامه • الا بضوء صوارم وعوال •
وكانت اجسام الكماة تسربلت • مذ غربت منه جسوم صلال •
وكانما الحقبا زعقبات الفلا • منقضة لتخطف الضلال •
وكان منتصب القناة بهزة • اشطان نار خد بعيدة حال •
وكانما قبل النجا فيه اكتست • نارا تؤججها بلا اشعال •

وقال

بعض المؤرخين في خبر الحكم المستنصر عن فتاة تليد صاحب خزانة
العلمية حدث عنه الحافظ ابو محمد بن حزم ان عدة الفهارس التي فيها تسمية الكتب
اربع واربعون فهرسة في كل فهرسة عشرون ورقة ليس الا ذكر الدواوين فقط
انتهى وقد قدمناه عن ابن خلدون ونقله ابن الابار في التكملة وقال
بعض المؤرخين في خبر الحكم انه كان حسن السيرة مكرما للقادمين عليه جمع من
الكتب ما لا يحد ولا يوصف كثرة ونفاسة حتى قيل انها كانت اربعمائة الف مجلد
وانهم لما نقلوها اقاموا ستة اشهر في نقلها وكان عالما نبيها صافي السريرة وسمع
من قاسم بن اصبغ واحمد بن دحيم ومحمد بن عبد السلام الخشني وزكريا بن خطاب واكثر
عنه واجاز له ثابت بن قاسم وكتب عن خلق كثير سوى هولاء وكان يستجلب المصنفات
من الاقاليم والنواحي باذلا فيها ما امكن من الاموال حتى ضاقت عنها خزائنه وكا
ن ذا غرام بها قد اثر ذلك على لذات الملوك فاستوسع علمه ودق نظره وجمت استفادته
وكان في المعرفة بالرجال والاخبار والانساب احوذيا نسيج وحده وكان ثقة فيما
ينقله هذا وصفه ابن الابار وباضعافه وقال عجبا لابن الفرضي وابن بشكوال
كيف لم يذكراه وقلما يوجد كتاب من خزائنه الا وله فيه قراءة ونظر في اي فن كان
ويكتب فيه نسب المؤلف ومولده ووفاته وياتي من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد
الا عنده لعنايته بهذا الشان ومما ينسب اليه من النظم

قوله

الى الله اشكو من شمائل مترف • على ظلوم لا يدين بما دنت •
نات عنه داري فاستزاد صدوده • واني على وجدي القديم كما كنت •
ولو كنت ادري ان شوقي بالغ • من الوجد ما بلغته لم اكن بنت •

وقوله

عجبت وقد ودعتها كيف لم امت • وكيف انثنت بعد الوداع يدي معي •

فيا مقلتي الحبر اعليهما اسكبي دما ... ويا كبدي الحرا عليهما تقطعي

وتوفي رحمه الله بقصر قرطبة ثاني صفر سنة ٣٦٦ لست عشرة سنة من خلافته و
كان اصابه الفالج فلزم الفراش الى ان مات رحمه الله وكان قد شدد في ابطال
الخمر في مملكته تشديدا عظيما وولي بعده ابنه هشام صغيرا سنة ٩ سنين
ولا بيان فيه قول ابن خلدون قد ناهز الحلم وكان الحكم قد استوزر له محمد بن ابي عامر
ونقله من خطة القضا الى وزارته وفوض اليه في اموره فاستقل قال
ابن خلدون وترقت حال ابن ابي عامر عند الحكم فلما توفي الحكم وبويع هشام ولقب
المؤيد بعد ان قتل للسعد المغيرة اخو الحكم المرشح لامرتنا ولما تفتك به محمد بن
ابي عامر هذا بممالاة من جعفر بن عثمان المصحفي حاجب ابيه وغالب مولى الحكم
صاحب مدينة سالم وابن خصيان القصر يومئذ ورؤسائهم فاتق وجوذر فقتل
ابن ابي عامر المغيرة بممالاة من ذكر وتمت البيعة لهشام ثم سما لابن ابي عامر امل
في التغلب على هشام لمكانه في السن وثابت له راي في استبداد فمكر بامل الدولة
وضرب بين رجالها وقتل بعضها ببعض وكان من رجال اليمنية من معافر دخل
جده عبد الملك مع طارق وكان عظيما في قومه وكان له في الفتح اثر وعظم ابن ابي
عامر هذا وغلب على المؤيد ومنع الوزراء من الوصول اليه الا في النادر من الايام
يسلمون وينصرفون وارضخ للجند في العطا واعلا مراتب العلما وقمع اهل البدع
وكان ذا عقل وراي وشجاعة وبصر بالحروب ودين متين ثم تجرد لرؤسا الدولة
ممن عانده وزاحمه فمال عليهم وحطهم عن مراتبهم وقتل بعضا ببعض كل ذلك
عن هشام وخطه وتوقيعه حتى استاصلهم وفرق جموعهم واول ما بدا بالصقالبة
الخصيان الخدام بالقصر فحمل الحاجب المصحفي على نكبتهم فنكبهم واخرجهم من القصر
وكانوا ثمانماية ويزيدون ثم اصهر الى غالب مولى الحكم وبالغ في خدمته والتنصح
له واستعان به على المصحفي فنكبه ومحا اثره من الدولة ثم استعان على غالب بجعفر
ابن علي بن حمدون صاحب المسيلة وقايد الشيعة ممدوح ابن هاني بالقصيدة المشهورة
وغيرها ومنوا النازع الى الحكم اول الدولة وبمن كان معه من زناتة والبربر ثم قتل
جعفر بممالاة ابن عبد الودود وابن جهور وابن ذي النون وامثالهم من اوليا
الدولة من العرب وغيرهم ثم لما خلا الجو من اوليا الخلافة والمرشحين للرياسة
رجع الى الجند فاستدعى اهل العدوة من رجال زناتة والبرابرة فرتب منهم جندا
واصطنع اوليا وعرف عرفا من صنهاجة ومغراوة وبني يفرن وبني
برزال ومكناسة وغيرهم فتغلب على هشام وحجره واستولى على الدولة وملا
الدنيا وهو في جوف بيته من تعظيم الخلافة والخضوع لها ورد الامور اليها
وترديد الغزو والجهاد وقدم رجال البرابرة وزناتة واخرج رجال العرب واسقطهم

عن مراتبهم

عن مراتبهم فتم له ما اراد من الاستقلال بالملك والاستبداد بالامر وبنى لنفسه
مدينة لنزوله سماها الزاهرة ونقل اليها خزاين الاموال والاسلحة وقعد
على سرير الملك وامر ان يحيى بتحية الملوك وسمي بالحاجب المنصور ونفذت
الكتب والمخاطبات والاوامر باسمه وامر بالدعا له على المنابر باسمه عقب الدعا
للخليفة ومحا رسم الخلافة بالجملة ولم يبق لها سم المؤيد من رسوم الخلافة اكثر من
الدعا على المنابر وكتب اسمه في السكة والطرز واغفل ديوانه مما سوى ذلك
وجند البرابرة والمماليك واستكثر من العبيد والعلوجي للاستيلا على تلك
الرتبة وقهر من تطاول اليها من العلية فظفر من ذلك بما اراد وردد الغزو
بنفسه الى دار الحرب فغزا سنة وخمسين غزوة في ساير ايام ملكه ولم تنتكس
له فيها راية ولا فل جيش وما اصيب له بعث وما هلكت سرية واجاز عساكره
الى العدوة وضرب بين ملوك البرابرة وضرب بعضهم ببعض فاستوسق له ملك
المغرب واخبت له ملوك زناتة وانقادوا للحكم واطاعوا سلطانه واجاز ابنه
عبد الملك الى ملوك مغراوة بفاس من الخرز ولما سخط زيري بن عطية ملكهم لما
بلغه من اعلانه بالنيل منه والغض من منصبه والتانف لحجر الخلافة هشام فاوقع
به عبد الملك سنة ٣٨٦ ونزل بفاس وملكها وعقد للملوك زناتة على ممالك المغرب
واعماله من سجلماسة وغيرها وشرد زيري بن عطية الى تاهرت فابعد المغرب وملك
في مفرده ذلك ثم قفل عبد الملك الى قرطبة واستحمل واضحا على المغرب وملك
المنصور اعظم ما كان ملكا واشد استيلا سنة اربع وتسعين وثلاثماية
بمدينة سالم منصرفه من بعض غزواته ودفن هنالك وذلك لسبع وعشرين
سنة من ملكه انتهى كلام ابن خلدون وبعضه بالمعنى وزيادة يسيرة ولا باس
ان نزيد عليه فنقول مما حكي انه مكتوب على قبر المنصور رحمه الله

آثاره تنبيك عن اخباره ... حتى كانك بالعيان تراه
تالله لا ياتي الزمان بمثله ... ابدا ولا يحمي الثغور سواه

وعن شجاع مولى المستعين بن هود لما توجهت الى ادفونش وجدته في مدينة سالم وقد
نصب على قبر المنصور بن ابي عامر سريره وامراته متكية الى جانبه فقال لي يا
شجاع اما تراني قد ملكت بلاد المسلمين وجلست على قبر ملكهم قال فحملتني
الغيرة ان قلت له لو تنفس صاحب هذا القبر وانت عليه ما سمع منك ما
يكره سماعه ولا استقر بك قرار فهم بي فحالت امراته بيني وبينه وقالت صدق
فيما قال ايفخر مثلك بمثل هذا وهذا تلخيص ترجمة المنصور من كلام ابن سعيد
قال رحمه الله ترجمة الملك الاعظم بن عامر بن ابي غالب بن يزيد بن عبد
الملك المعافري من قرية تركش وعبد الملك جده من الوافدين على الاندلس مع طارق

في اولنا الداخل من العرب واما المنصور فقد ذكره ابن حيان في كتابه المخصوص بالدولة العامرية والفتح في المطمح والحجاري في المسهب والقشندي في الطرف وذكر الجميع انه اصله من قرية تركش وانه رحل الى قرطبة وتادب بها ثم افتعد دكانا عند باب القصر يكتب فيه لمن يعن له كتب من الخدم والمرافعين للسلطان الى ان طلبت السيدة صبح ام المؤيد من يكتب عنها فعرفها به من كان يانس اليه بالجلوس من فتيان القصر فترقى الى ان كتب عنها فاستحسنته ونبهت عليه الحكم ورغبت في تشريفه بالخدمة فولاه قضاء بعض المواضع فظهرت منه نجابة فترقى الى الوكالة والمواريث باشبيلية وتمكن في قلب السيدة بما استمالها به من التحف والخدمة ما لم يتمكن لغيره ولم يقصر مع ذلك في خدمة المصحفي الحاجب الى ان توفي الحكم وولي ابنه هشام المؤيد وهو ابن اثنتي عشرة سنة فجاشت الروم فجهزه المصحفي ابن ابي عامر لدفاعهم فنصره الله عليهم وتمكن حبه من قلوب الناس وكان جوادا عاقلا ذكيا استعان بالمصحفي على الصقالبة ثم تغالب على المصحفي وكان غالب صاحب مدينة سالم وتزوج ابن ابي عامر ابنته اسما وكان اعظم عرس بالاندلس ثم بجعفر بن الاندلسي ممدوح ابن هاني على غالب ثم بعبد الرحمن بن محمد بن هاشم التجيبي على جعفر وله في الحزم والكيد والجلد ما افرد له ابن حيان تاليفا وعدد غزواته المنشاة من قرطبة نيف وخمسون غزوة ولم تهزم له راية وقبره بمدينة سالم في اقصى ثغر شرق الاندلس

ومن شعره

- رميت بنفسي هول كل عظيمة • وخاطرت والحر الكريم يخاطر •
- وما صاحبي الا جنان مشيع • واسمر خطي وابيض باتر •
- فسدت بنفسي اهل كل سيادة • وفاخرت حتى لم اجد من افاخر •
- وما شدت بنيانا ولكن زيادة • على ما بنى عبد المليك وعامر •
- رفعنا المعالي بالعوالي مثلها • واورثناها في القديم معافر •

وجوده مع صاعد البغدادي اللغوي مشهور وصدر عن بعض غزواته فكتب اليه عبد الملك بن شهيد وكان قد تخلف عنه

- انا شيخ والشيخ يهوى الصبايا • يا بنفسي اقيك كل الرزايا •
- ورسول الاله اسهم في الفي • لمن لم يجب فيه المطايا •

فبعث اليه بثلاث جوار من اجمل السبي وكتب معهن وكانت واحدة اجملهن

قوله

قد بعثنا بها كشمس النهار • في ثلاث من المهى ابكار
وامتحنا بعذرة الابكار • كنت نرجو بوار دار الاعذار
فاجتهد وابتدر فانك شيخ • قد جلى ليلة بياض النهار

- ضائك الله من كلالك فيها • فمن العار كلة المسمار •

فافتضهن من ليلته

وكتب له بكره

- قد فضضنا ختام ذاك السوار • واصطبغنا من النجيع الجاري •
- وصبرنا على دفاع وجوب • فبلغنا الدرار بالدراري •
- وقضى الشيخ ما قضى بحسام • ذي مضاء عضب الظبي بتار •
- فاصطنعه فليس يجزيك كفرا • واتخذه لحلا في الكفار •

وقدم بعض التجار ومعه كيس فيه ياقوت نفيس فتجرد ليسبح في النهر وترك الكيس وكان احمر على ثيابه فرفعته حداة في مخاليبها فجرى تابعا لها وقد ذهل فتغلغلت في البساتين وانقطعت عن عينيه فرجع متحيرا فشكا ذلك الى بعض من يانس به فقال له صف حالك لابن ابي عامر فتلطف في وصف ذلك بين يديه فقال ننظر ان شاء الله في شانك وجعل يبعث على اصحاب تلك البساتين ويسال خدامها عمن ظهر عليه تبديل حال فاخبروه ان شخصا ينقل الزبل اشترى حمارا وظهر من حاله ما لم يكن قبل ذلك فامر بجلبه فلما وقعت عليه عينه قال له احضر الكيس الاحمر فتملكه الرعب قلبه وارتعش وقال دعني اني به من منزلي فوكل به من حمله الى منزله وجاء بالكيس وقد نقص منه ما لا يقدح في مسرة صاحبه بخبره ودفعه الى صاحبه فقال والله لا حدثن في مشارق الارض ومغاربها ان ابن ابي عامر يحكم على الطيور وينصف منها والتفت ابن ابي عامر الى الزبال فقال له لو انبئت به اغنيناك لكن تخرج كفافا لا عقابا ولا ثوابا **وتوفي** رحمه الله في غزاته للافرنج بصفر ٣٩٢ سنة وحمل في سريره على اعناق الرجال وعسكره يحف به ويبين يديه الى ان وصل الى مدينة سالم ودامت دولته ستا وعشرين سنة فيها اثنتان وخمسون غزوة واحدة في الشتاء واخرى في الصيف انتهى كلام ابن سعيد وفي بعضه مخالفة لبعض كلام ابن خلدون **وقال** الفتح في المطمح في حق المصحفي الحاجب جعفر ابن عثمان المصحفي ما صورته تجرد للعليا وتهمم في طلب الدنيا حتى بلغ المنى وسوغ ذلك الجنى ووصل الى المنتهى وحصل على ما اشتهى دون تجد تفرع من دوحه ولا فخر تشابين مغداه ومروحه فسما دون سابقه وارتمى الى رتبة لم تكن لنفسه مطابقة فلغ بنفسه ونزع من جنسه ولم يزل يستنقل ويتطلع وينتقل من مطلع الى مطلع حتى استاح في افق الخلافة واتاح اليه معظم كشو السلافة واستوزره المستنصر وعنه كان يسمع وبه يبصر وحجب للامام واسكب يبراعه ذلك الغمام فادرك لذلك ما ادرك ونصب للمنابذة الحبائل والشرك فاقتنى اقتناء مدخر وازرى بمن سواه وسخر واستعطفه ابن ابي عامر ويجمه عابر لم يلح وسره مكتوم لم يبح فما عطف ولا جنى من روضة دنياه ولا

قطف. وأقام في تدبير الأندلس ما أقام. وأمره ما انه مستقيم. ومن الفتن عقيم. وهو يجري من السعد في ميدان رحب. ويكرع من الخفض في مشرب عذب. ويفض ختام السرور. وينهض بممالك على أنه مزرور. وكان له أدب بارع. وخاطر إلى نظم القريض مسارع. فمن محاسنه التي يحتمها أبناء شرد مره واسعاده. و قاله حين القته سلماه أو سعاده.

قوله

لعينيك في قلبي علي شجون ✽ وبين ضلوعي للشجون فنون ✽
نصيبي من الدنيا هواك وانه ✽ غذائي ولكني عليه ضنين ✽

وسيأتي هذا الترجمة من المطمح الصغيرات شاء الله تعالى بما فيه بعض زيادة ونقصان في الباب الرابع وقال في المطمح في خبر ابن أبي عامر انه غزا بلاد الشرك أعظم غزو ومحا من طواغيها كل تعجرف وتغطرس. وغادرهم صرعى البقاع. وتركهم أذل من وتد بقاع. ووالى على بلادهم الوقايع. وسدد إلى أكبادهم سهام الفجايع. وأغص بالحمايم أرواحهم وتغص بتلك الآلام بكورهم ورواحهم ومن أوضح الأمور هنالك وأفصح الأخبار في ذلك أن أحد رسله كان كثير الانتياب لذلك الجناب. فسار في بعض مسيراته إلى غرسية صاحب البشكنس فوالى في إكرامه وتناهى في بره واحترامه فطالت مدته فلا متنزه الأمر عليه متفرجا. ولا موضع للأسار عليه معراجا. فحل في ذلك أكثر الكنايس هنالك فبينما يجول في ساحتها. ويحيل العين في مساحتها. إذ عرضت له امرأة قديمة الأسر قويمة على طول الكسر فكلمته وعرفته بنفسها وأعلمته وقالت له أيرضى المنصور أن ينسى بنعيمه بوسها. ويتمتع بلبوس العافية وقد نصب لبوسها. وزعمت أن لها عدة سنين بتلك الكنيسة محبسة. وبكل ذل وصغار ملبسة. وناشدته الله في إنهاء قصتها. وإبراء غصتها. واستحلفته بأغلظ الأيمان. وأخذت عليه في ذلك أوكد مواثيق الرحمن. فلما وصل إلى المنصور عرفه بما يجب تعريفه به وأعلامه وهو مصغ إليه حتى تم كلامه. فلما فرغ قال له المنصور هل وقفت هناك على أمر أنكرته أم لم تقف على غير ما ذكرته فأعلمه بقصة المرأة وما خرجت عنه إليه وبالمواثيق التي أخذت عليه فعتبه ولامه على أن لم يبدأ بها كلامه. ثم أخذ للجهاد من فوره وعرض من الأجناد في نجده وغوره وأصبح غازيا على سرجه. مباهيا مروان يوم مرجه. حتى وافى ابن شانجه في جمعه. فأخذت مهابته ببصره وسمعه. فبادر بالكتاب إليه يتعرف ما الجليلة ويحلف له بأعظم ألية. أنه ما جنى ذنبا. ولا جفا عن مضجع الطاعة جنبا. فعنف أرساله وقال لهم كان قد عاقدني أن لا يبقى ببلاده مأسورة ولا مأسور. ولو حملته في حواصلها النسور. وقد بلغني بعد بقاء فلانة المسلمة في تلك الكنيسة. ووالله لا انتهى عن أرضه حتى أكتسحها فأرسل إليه المرأة في اثنتين معها وأقسم

انه ما أبصرهن ولا سمع بهن. وأعلمه أن الكنيسة التي أشار بعلمها قد بالغ في هدمها تحقيقا لقوله وتضرع إليه في الأخذ فيه بطوله. فاستحيى منه وصرف الجيش عنه وأوصل المرأة إلى نفسه. وألحف توحشها بإنسه. وغير من حالها. وعاد بسوابغ نعماه على جدبها وإمحالها. وحملها إلى قومها. وكحلها بما كان شرد من نومها. انتهى امتنانا وادكاما خاننا. وقال في المطمح أيضا في حقه مما نصه فردنا به على من تقدمه وصوبه واستخدمه فإنهم كان امتنانهم سنانا وادكامهم جنانا. وأبهمهم جلالا. وأعظمهم استقلالا. فالأمر إلى ما آل. وأوهم العقول بملك المآل. فإنه كان آية الله في اتفاق سعده. وقربه من الملك بعد بعده. برفعة القدر. واستظهر بالأناة وسعة الصدر. وتحرك فلاح نجم الهدى وتملك فما خفق بأرضه لواء عدو. تعد خيوله كأيدي من غصصا وشرقا وتغدو ما سول طارد فيه سهرا وأرقا. حتى انجز الموعود. وفر بحسه أمام الملك السعود فقام بتدبير الخلافة. وأقعد من كان له فيها إنافة. وساس الأمور أحسن سياسة وداوى الخطوب بأحسن رياسة. فانتظمت له الممالك. وانفتحت به المسالك وانتشر الأمن في كل طريق. واستشعر اليمن كل فريق. وملك الأندلس بضعا وعشرين حجة لم يدحض لسعادتها حجه. ولم تزخر لمكروه بها لجه. لبست فيها البهاء والإشراق. وتنفست عن مثل أنفاس العراق. وكانت أيامه أحمد أيام. وسهامه بأسه أشد سهام. غزا الروم شاتيا وصايفا. ومضى فيما يروم زاجرا وعايفا. فما مرد له غير سنيح ولا فاز إلا بالمعلى إلا بالمنيح. فأوغل في تلك الشعاب وتغلغل حتى راع ليث الغاب. ومشى تحت ألويته صيد القبايل. واستجرت في ظلها بيض الظبا وسمر الذوابل. وهو يقضي الأرواح بغير سموم. ويبتضي الصفاح على كل روم. ويتلف من يتسامى للخلافة ويتقاد. ويختطف منهم كل كوكب وقاد. حتى استبد وانفرد. وأنس إليه من الطاعة ما نفر وشرد. وانتظمت له الأندلس بالجزر واجتمعت في ملكه اجتماع قريش بدار الندوة. ومع هذا لم يخلع اسم الحجابة. ولم يدع التسمي لخليفته والإجابة. ظاهر يخالفه الباطن. واسما تنافره مواقع الحكم والمواطن. وأدخل من الأندلس بإجازة البرابر. وأخمل بهم أولئك الأعلام الأكابر فإنه قومهم بأضدادهم. واستكثر من أعدادهم. حتى تغلبوا على الجمهور وسلبوا عنهم الظهور. ووثبوا عليهم الوثوب المشهور. الذي أعاد أكثر الأندلس قفرا يبابا. وملأها وحشا وذبابا. وأغراها من الأمان. برهة من الزمان. وعلى هذه اللفتة فهو وابنه المظفر كانا آخر سعد الأندلس وحدا السرور بهما والتأنس. وغزوا أنه فيها شايعة الأثر. رايقة كالسيف ذي الأثر. وحسنه وافر ونسبه مغافر. ولذا قال تميم بيت بنعش الأبيات. وزاد مما بعد قوله

وأنبيض بأنز بيبنا ونمو

وانى لرجاء الجيوش الى الوغا • اسود تلاقيها اسود خوادر •

وكانت امته تميمية فخارا لشرف من طرفيه والتحف بمطرفيه ولذا قال الفسطلي • تلاقت عليه من تميم ويعرب • شموس تلالا في العلا وبدور •

من الحميريين الذين اكفهم • سحايب تهمي بالندا وبحور •

وتصرف قبل ولايته في شتى الولايات وجاء من الخدمات بمنتهى امره بآيات حتى صح زجره • وجاء بصبحه وفجره • وتؤثر عنه في ذلك اخبار • فيها عجب واعتبار وكان اديبا محسنا • وعالما متفننا • فمن ذلك قوله يمني نفسه بملك مصر والحجاز ويستدعي صدر ذلك الاعجاز

وهو قوله

• منع الجين ان تذوق المناما • حبها ان تري الصفا والمقاما •

• لي ديون بالشرق عند اناس • قد احلوا بالمشعرين الحراما •

• ان قضوها نالوا الاماني والا • جعلوا دونها رقابا وهاما •

• عن قريب ترى خيول هشام • تبلغ النيل خطوها والشاما •

انتهى ما نقلته من المطمح وفي المنصور المذكور ايضا قال بعض مورخي الغرب مازجا كلامه ببعض كلام الفتح بعد ذكره استغاثته ببعض الناس على بعض وذكر جعفر تغلبه على قفا الغدر ما صورته ثم انفرد بنفسه وصار ينادي صروف الدهر هل من مبارز • فلما لم يجد حمل الدهر على حكمه فانقاد له وساعده فاستقام امره منفردا بمملكة لا سلطة فيها ومن اوضح الدلايل على سعده انه لم ينكب قط في حرب شهدها وما توجهت عليه هزيمة وما انصرف عن موطن الا قاهرا غالبا على كثرة ما زاول من الحروب ومارس من الاعدا وواجه من الامم وانها لخاصة ما احسب حداها من الملوك الاسلامية شركة فيها ومن اعظم ما اعين به مع قوة سعده وتمكن جده سعة جوده وكثرة بذله فقد كان في ذلك اعجوبة الزمان واول ما اتكا على ارايك الملوك وارتفق • وانتشر عليه لوآء السعد وخفق حط صاحبه المصحفي • واثار له كامن حقده الخفي حتى اصاره للهموم لبيسا وفي غيابات السجن حبيسا فكتب اليه يستعطفه

قوله

• هبني اسات فاين العفو والكرم • اذ قادني نحوك الاذعان والندم •

• يا خير من مدت الايدي اليه اما • ترثي لشيخ نعاه عندك القلم •

• بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدر • ان الملوك اذا ما استرحموا رحموا •

فما زاده الا حنقا وحقدا • وما افادته الابيات الا نضرما ووقدا • فراجعه بما ايسه • واراه مرمسه • واطبق عليه محبسه • وضيق تنفسه • وصرم من المحنة

سعر

الآن

• الآن يا جاهلا زلت بك القدم • تبغي التكرم لما فاتك الكرم •

• اغريت بي ملكا لولا تثبته • ما جاز لي عنده نطق ولا كلم •

• فايئس من العيش اذ قد صرت في طبق • ان الملوك اذا ما استنقموا نقموا •

• نفسي اذا سخطت ليست براضية • ولو تشفع فيك العرب والعجم •

وكان من اخباره الداخلة في ابواب البر والقربة بنيان المسجد الجامع الى ان قال ومن ذلك بناؤه قنطرة على نهر قرطبة الاعظم ابتدا بناها المنصور سنة ٣٧٨ وفرغ منها في النصف من سنة ٣٧٩ وانتهت النفقة عليها الى مائة الف دينار واربعين الف دينار فعظمت بها المنفعة وصارت صدقة في منافعه الجليلة وكانت من نال ذلك قطعة ارض لشيخ من العامة ولم يكن للقنطرة عدول عنها فامر المنصور امناه بارضايه فيها فحضر الشيخ عندهم فساوموه بقطعته وعرفوه وجوب الحاجة اليها وان المنصور لا يريد الا انصافه فيها فرما الشيخ بالمرض الاقصى عنده فيما ظنه الا يخرج عنه باقل من عشرة دنانير ذهبا كانت عنده من اقصى الامنية وشرطها صحاحا فاغتنم الامنا غفلته ونقدوه الثمن واشهدوا عليه ثم اخبروا المنصور بخبره فضحك من جهالته وانف من غبنه وامر ان يعطى عشرة امثال ما سال وتدفع له صحاحا كما قال فقبض الشيخ مائة دينار ذهبا فكاد ان يخرج من عقله وان يجن عند قبضها من الفرح وجا يحتفل في شكر المنصور وصارت قصته خبرا سايرا ومن ذلك ايضا بناه قنطرة على نهر استجه وهو نهر شنيل وتجشم لها اعظم مؤنة وسهل الطرق الوعرة والشعاب الصعبة ومن ذلك انه خط بيده مصحفا كان يحمله معه في اسفاره يدرس فيه ويتبرك به ومن قوة رجايه انه اعتنى بجميع ما علق بوجهه من الغبار في غزواته ومواطن جهاده فكان الخدم ياخذونه عنه بالمناديل في كل منزل من منازله حتى اجتمع له منه صرة ضخمة عهد بتصييره في حنوطه وكان يحملها حيث سار مع اكفانه توقعا لحلول منيته وقد كان اتخذ الاكفان من اطيب مكسبه من الصنعة الموروثة عن ابيه وغزل بناته وكان يسال الله تعالى ان يتوفاه في طريق الجهاد فكان كذلك وكان متسما بصحة باطنه واعترافه بذنبه وخوفه من ربه وكثرة جهاده واذا ذكر بالله ذكر واذا خوف من عقابه ازدجر ولم يزل متنزها عن كل ما يفتتن به الملوك سوى الخمر لكنه اقلع عنها قبل موته بسنتين وكان عدله في الخاصة والعامة وبسطه الحق على الاقرب فالاقرب من خاصته وحاشيته امرا مضروبا به المثل ومن عدله انه وقف عليه رجل من العامة بمجلسه ينادي يا ناصر الحق ان لي مظلمة عند ذلك الوصيف الذي على راسك واشار الى الفتى صاحب الدرقة وكان له فضل محل عنده ثم قال وقد دعوته الى الحاكم

فلم يأت فقال المنصور وعبد الرحمن بن فطيس هذا العجز والمهانة وكنا نظنه يمضي في ذلك اذكر مظلمتك يا هذا فذكر الرجل معاملة كانت جارية بينهما قطعها من غير نصف فقال المنصور ما اعظم بلوانا بهذه الحاشية ثم نظر الى الصقلبي وقد ذهل عقله فقال له ادفع الدرقة الى فلان وانزل صاغرا وساو خصمك في مقامه حتى يرفعك الحق او يضعك ففعل ومثل بين يديه ثم قال لصاحب شرطته خذ بيد هذا الفاسق الظالم وقدمه مع خصمه الى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه باغلظ ما يوجبه الحق من سجن وغيره ففعل ذلك وعاد الرجل اليه شاكرا فقال له المنصور قد انصفت انت لسبيلك وبقي انتصافي انا ممن تهاون بمنزلتي فتناول الصقلبي بانواع المذلة وابعده عن الخدمة **ومن ذلك** قصة فتاه الكبير المعروف بالبورقي مع التاجر المغربي فانهما تنازعا في خصومة توجهت فيها اليمين على الفتى المذكور وهو يومئذ اكبر خدم المنصور واليه امر داره وحرمه فدافع الحاكم وظن ان جاهه يمنع من احلافه فصرخ التاجر بالمنصور في طريقه الى الجامع متظلما من الفتى فوكل به في الوقت من حمله الى الحاكم فانصفه منه وسخط عليه المنصور وقبض نعمته منه ونفاه **ومن ذلك** قصة محمد فصاد المنصور وخادمه وامينه على نفسه فان المنصور احتاج يوما الى الفصد وكان كثير التعهد له فانفذ رسوله الى محمد فالفاه الرسول محبوسا في سجن القاضي محمد بن زرب لحيف ظهر منه على امراته قد رات سبيله من الخدمة تحميه من العقوبة فلما عاد الرسول الى المنصور بقصته امر باخراجه من السجن مع ثقة من ثقات السجن يلزمه الى ان يفرغ من عمله عنده ثم يرده الى محبسه ففعل ذلك على ما رسمه وذهب الفاصد الى شكوى ما ناله فقطع عليه المنصور وقال له يا محمد انه القاضي وهو في عدله ولو اخذني الحق ما اطقت الامتناع منه عد الى محبسك او اعترف بالحق فهو الذي يطلقك فانكسر الحاجم وزالت عنه ريح العناية وبلغت قصته للقاضي فصالحه مع زوجته وزاد القاضي شدة في احكامه قال ابن حيان انه كان جالسا في بعض الليالي وكانت ليلة شديدة البرد والريح والمطر فدعا باحد الفرسان وقال له انهض الآن الى فج طليارش وقم فيه فاول خاطر يخطر عليك سقه الي قال فنهض الفارس وبقي في الفج في البرد والريح والمطر واقفا على فرسه اذ وقف عليه قرب الفجر شيخ هرم على حمار له ومعه آلة الحطب فقال له الفارس الى اين تريد يا شيخ فقال وراء حطب فقال الفارس في نفسه هذا شيخ مسكين نهض الى الجبل يسوق حطبا فما عسى ان يريد المنصور منه قال فتركته فسار عني قليلا ثم فكرت في قول المنصور وخفت سطوته فنهضت الى الشيخ وقلت له ارجع الى مولانا المنصور فقال وما عسى ان يريد المنصور

من شيخ

من شيخ مثلي سالتك بالله ان تتركني لطلب معيشتي فقال له الفارس لا افعل ثم قدم به على المنصور ومثله بين يديه وهو جالس لم ينم ليلته تلك فقال المنصور للصقالبة فتشوه ففتش فلم يوجد عنده شيء فقال فتشوا برذعة حماره فوجدوا داخلها كتابا من نصارى كانوا قد نزعوا الى المنصور يخدمون عنده الى اصحابهم من النصارى ليقبلوا ويضربوا في احدى النواحي المطومة فلما انبلج الصبح امر باخراج اولئك النصارى الى باب الزاهرة فضربت اعناقهم وضربت رقبة الشيخ معهم هذا المورخ قصة الجوهري التي قدمنا نقلها من مغرب ابن سعيد ولكنا اعدناها بلفظ هذا المورخ لانه اتم مساقا اذ قال عطفا على ما به ومن ذلك قصة الجوهري التاجر وذلك ان رجلا جوهريا من تجار المشرق قصد المنصور من مدينة عدن بجوهر كثير واحجار نفيسة فاخذ المنصور من ذلك ما استحسنه ودفع الى التاجر الجوهري صرته وكانت قطعة يمانية فاخذ التاجر في انصرافه طريق الرملة على شط النهر فلما توسطها واليوم قائظ وعرقه منصب دعته نفسه الى التبرد في النهر فوضع ثيابه وتلك الصرة على الشط فمرت حداة فاختطفت الصرة تحسبها لحما وصعدت في الافق بها ذاهبة فقطعت الافق الذي تنظر اليه عين التاجر فقامت قيامته وعلم انه لا يقدر ان يستدفع ذلك بحيلة فاسر الحزن في نفسه ولحقه لاجل ذلك علة اضطرب فيها وحضر الدفع الى التجار فحضر الرجل لذلك بنفسه فاستبان للمنصور ما بالرجل من المهانة والكآبة وفقد ما كان عنده من النشاط وشرخ المعارضة فساله المنصور عن شانه فاعلمه بقصته فقال له هلا اتيت الينا بحدثان وقوع الامر فكنا نستظهر على الحيلة فهل هديت الى الناحية التي اخذ الطائر اليها قال مر مشرقا على سمت هذا الجبل الذي يلي قصرك يعني الرملة فدعا المنصور شرطيه الخاص به فقال له جئني بمشيخة اهل الرملة الساعة فمضى وجاء بهم سريعا فامرهم بالبحث عمن غير حاله الا قلالا منهم سريعا وانتقل عن الاضاقة دون تدريج فتناظروا في ذلك ثم قالوا يا مولانا ما نعلم الا رجلا من ضعفائنا كان يعمل هو واولاده بايديهم ويمشون حفاة لعجزهم عن شراء دابة فابتاع اليوم دابة واكتسى هو وولده كسوة متوسطة فامر باحضاره من الغد وامر التاجر بالغدو الى الباب فحضر الرجل بعينه بين يدي المنصور فاستدناه والتاجر حاضر فقال له سبب ضاع منا وسقط اليك ما فعلت به فقال هو ذا يا مولاي وضرب بيده الى حجزة سراويله فاخرج الصرة بعينها فصاح التاجر طربا وكاد يطير فرحا فقال له المنصور صف لي حديثها فقال بينا انا اعمل في جناني تحت نخلة اذ سقطت امامي فاخذتها وراقني منظرها فقلت ان الطائر اختلسها من قصرك لقرب الجوار فاحترزت بها ودعتني

فاقتني الى اخذ عشرة منها قبل عيوبها كانت معها مصرورة وقلت اقل ما يكون
في كرم مولاي ان يسمح لي بها فاعجب المنصور ما كان منه وقال للتاجر خذ صرتك
وانظر هل ما اضيف من عددها شي فقال وحق راسك يا مولاي ما ضاع منها
شي سوى الدنانير التي ذكرتها وقد وهبتها فقال المنصور رحمه الله لي بذلك منك
ولا ننغص عليك فرحك ولولا جمعه بين الاضرار والاقرار لكان ثوابه موفرا عليه
ثم امر للتاجر بعشرة دنانير عوضا من دنانيره وللجنان بعشرة دنانير ثوابا للتائب
عن فساد ما وقع بيده وقال لو بدانا بالاعتراف قبل البحث لاوسعناه جزاء
قال فاخذ التاجر في الثناء على المنصور وقد عاوده نشاطه وقال والله لابثن في
الاقطار عظم ملكك ولابينن انك تملك طير اعمالك كما تملك انفسها فلا
تعتصم منك ولا تمتنع ولا تتجاوزك فضحك المنصور وقال اقصد في قولك
يغفر الله لك فتعجب الناس من تلطف المنصور في امره وحيلته في تفريج كربته

غزوة المنصور لمدينة شنت ياقب قاصية غليسية واعظم مشاهد النصارى
الكاينة ببلاد الاندلس وما يتصل بها من الارض الكبيرة وكانت كنيستها عندهم
بمنزلة الكعبة عندنا وللكعبة المثل الاعلى بها يحلفون واليها يحجون من اقصى
بلاد رومة وما وراءها ويزعمون ان القبر المزور فيها قبر ياقب الحواري احد الاثني
عشر وكان اخصهم بعيسى عليه السلام وهم يسمونه اخاه للزومه اياه وياقب
بلسانهم يعقوب وكان اسقفا ببيت المقدس فجعل يستقري الارضين داعيا
لمن فيها حتى انتهى الى هذه القاصية ثم عاد الى ارض الشام فمات بها وله مائة وعشرون
سنة شمسية فاحتمل اصحابه رمته فدفنوها بهذه الكنيسة التي كانت اقصى
اثره ولم يطمع احد من ملوك الاسلام في قصدها ولا الوصول اليها لصعوبة
مدخلها وخشونة مكانها وبعد شقتها فخرج المنصور اليها من قرطبة غازيا
بالصائفة يوم السبت لست بقين من جمادى الاخرة سنة سبع وثمانين وثلاثمائة
وهي غزوته الثامنة والاربعون ودخل على مدينة قورية فلما وصل الى مدينة
غليسية وافاه عدد عظيم من القوامس المتمسكين بالطاعة في رجالهم وعلى اتم
احتفال فصاروا في عسكر المسلمين وركبوا في المغاورة سبيلهم وكان المنصور
تقدم في انشاء اسطول كبير في الموضع المعروف بقصر ابي دانس من ساحل غرب
الاندلس وجهزه برجاله البحريين وصنوف المترجلين وحمل الاقوات والاطعمة
والعدد والاسلحة استظهارا على نفوذ العزيمة الى ان خرج بموضع برتقال على
نهر دويرة فدخل في النهر الى المكان الذي عمل المنصور على العبور منه فعقد
هنالك من هذا الاسطول جسرا بقرب الحصن الذي هنالك ووجه المنصور ما
كان فيه من الميرة الى الجند فتوسعوا في التزود منه الى ارض العدو ثم نهض

منه

منه يريد شنت ياقوب فقطع ارضين متباعدة الاقطار وقطع بالعبور عدة
انهار كبار وخلجان يمدها البحر الاخضر ثم افضى العسكر بعد ذلك الى بسائط
جليلة من بلاد فرطارش وما يتصل بها ثم افضى الى جبل شامخ شديد الوعر
لا مسلك فيه ولا طريق لم يهتد الادلاء الى سواه فقدم المنصور الفعلة
بالحديد لتوسعة شعابه وتسهيل مسالكه فقطعه العسكر وعبروا بعده
وادي منيه وانبسط المسلمون بعد ذلك في بسائط عريضة وارضين اريضة
وانتهت مغيرتهم الى دير قسطان وبسيط بلنبو على البحر المحيط وفتحوا حصن
شنت بلاية وغنموا وعبروا سباحة الى جزيرة من البحر المحيط لجا اليها خلق
عظيم من اهل تلك النواحي فسبوا من فيها ممن لجا اليها وانتهى العسكر الى جبل
مراسية المتصل من اكثر جهاته بالبحر المحيط فتخللوا اقطاره واستخرجوا من
كان فيه وحازوا غنائمه ثم اجاز المسلمون بعد هذا خليجا في معبرين ارشد الادلاء
اليهما ثم نهر ايله ثم افضوا الى بسائط واسعة العمارة كثيرة الفائدة ثم
انتهوا الى موضع من مشاهد ياقوب صاحب القبر تلو مشهد قبره عند النصارى
في الفضل يقصد نساكهم له من اقاصي بلادهم ومن بلاد القبط والنوبة وغيرهما
فغادره المسلمون قاعا وكان النزول بعده على مدينة شنت ياقوب البائسة
وذلك يوم الاربعاء لليلتين خلتا من شعبان فوجدها المسلمون خالية من اهلها
فحاز المسلمون غنائمها وهدموا مصانعها واسوارها وكنيستها وعفوا اثارها
ووكل المنصور بقبر ياقوب من يحفظه ويدفع الاذى عنه وكانت مصانعها بديعة
محكمة فغودرت هشيما كان لم تغن بالامس وانتسفت بعد ذلك سائر البسائط
وانتهت الجيوش الى جزيرة شنت مانكش منقطع هذا الصقع الى البحر المحيط وهي
غاية لم يبلغها قبلهم مسلم ولا وطئها لغير اهلها قدم فلم يكن بعدها للخيل مجال
ولا وراءها انتقال وانكفا المنصور عن باب شنت ياقوب وقد بلغ غاية لم يبلغها
مسلم قبله فجعل في طريقه القصد على عمل ابن مندين ازدون ليستقريه عائثا
ومفسدا حتى وقع في عمل القوامس المعاهدين الذين في عسكره فامر بالكف عنها
ومر مجتازا حتى خرج الى حصن بلنبيه من افتتاحه فاجاز هنالك القوامس بجملتهم
على اقدارهم وكسا جميعهم وكسا رجالهم وصرفهم الى بلادهم وكتب بالفتح من بلنبيه وكان
مبلغ ما كساه في غزاته هذه لملوك الروم ولمن حسن غناؤه من المسلمين الفين و
مائتين وخمسا وثمانين شقة من صنوف الخز الطرازي وواحدا وعشرين كساء
من صوف البحر وكساءين عنبريين واحد عشر سقلاطونا وخمس عشرة مريشات وسبعة
انماط ديباج وثوبي ديباج رومي وفروي فنك ووافى جميع العسكر قرطبة غانما وعظمت
النعمة والمنة على المسلمين ولم يجد بشنت ياقوب الا شيخا من الرهبان جالسا على القبر

فسأله عن مقامه فقال ولي بعقوب فأمر بالكف عنه وحدث
شعلة قال قلت للمنصور لليلة طال سهره فيها قد أفرط مولانا في السهر ونبه
يحتاج الى أكثر من هذا النوم وهو أعلم بما يحركه عدم النوم من علة العصب
فقال له يا شعلة الملك لا ينام اذا نامت الرعية ولو استوفيت نومي لما كان
في دور هذا البلد العظيم عين نائمة انتهى ما نقلته من الكتاب المذكور وقال
نقلتها من كتاب الازهار المنثور في الاخبار المأثورة قال في الزهرة
التاسعة والعشرين تقدم الى المنصور وائل بن أبي بكر البرزالي أحد جند
المغاربة وقد جلس للعرض والتمييز والميدان غاص بالناس فقال له بكلام يضحك
الثكلى يا مولاي ما لي ولك أسكني فاني في الغحص فقال وما ذاك يا وائل ابن
ذلك الواسعة الافطار فقال اخرجني عنها والله نعمتك وأعطيتني من الضياع
ما انصب علي منها من الاطعمة ما ملأ بيوتي وأخرجني عنها وانا بربري مجوع
حديث عهد بالبؤس أنزا في بعدا لمحو عني لبيس ذلك من رأيي فتطلق المنصور و
قال لله درك من فدعى لعبيك في شكر النعمة أبلغ عندنا وأخذ بقلوبنا من كلام
كل أشدق متزيد وبليغ مفتن وأقبل على من حوله من أهل الاندلس فقال يا أصحابنا
كذا فلنشكر الايادي واستدعوا النعم الا ما أنتم عليه من الجحد اللازم والتشكي
المبرح وأمر له بأفضل المنازل الحالية وفي الزهرة الثلاثين ما نصه أصبح المنصور
صبيحة أحد وكان يوم راحة الخدمة الذي أعفوا فيه عن قصد الخدمة في سطور أيام
أيام مثله فقال لعهدنا يوم لا عهد بمثله ولا حيلة للمواظبين لقصدنا في مكانه
فليت شعري هل شذ أحد منهم عن التغذير فاعرف في البكور أخرج وقد تلقوه
لحاجبه فخرج وعاد اليه ضاحكا وقال يا مولاي على الباب ثلاثين من البرابرة أبو
الناس بن صالح واثنا رمغة يحال الحرا ليدلا بما نوصف بالمسا مداوم فقال
أوصلهم الي فدخلوا عليه في حال الملاح بلا تداوة فضحك اليهم وأدنى
مجلسهم وقال أخبروني كيف جئتم وعلى أي حال وصلتم وقد أسكنان كل ذي روح
في كنه ولا ذكل طاير بوكره فقال له أبو الناس بكلامه يا مولانا ليس كلا التجار
فعد عن سوقه وإذا غدا التجار على طلب الربح بالفلوس فنحن أغدر بادراكها
بالبدروس غير رؤوس الاموال ومم بيننا ولون الاسواق على أقدامهم ويبذلون
في قصدهما ثيابهم ونحن نأتيك على خيلك ونذيل على صهوتها بما ملابسك ونجعل
الفضل في قصدك مضمونا اذ اجعلنا أوليك طمعا ورجاء فنرى لنا أن يجلس
عن سوقنا هذا فضحك المنصور ودعى بالكسى والصلات فدفعت لهم وانصرفوا
مسرورين بغدوتهم وفي الزهرة الرابعة والاربعين ما نصه كان بقرطبة على
عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر فتى من أهل الأدب قد رقت حاله في الطلب

فنتعلق

فتعلق بكتاب العمل واختلف الى الخزانة مدة حتى قلد بعض الاعمال فاستهلك
كثيرا من المال فلما ضم الى الحساب ابرز عليه ثلاثة آلاف دينار فرفع خبره الى
المنصور فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه ولزمه الاقرار بما ابرز عليه قال له
يا فاسق ما الذي جرأك على مال السلطان تنتهبه فقال له قضاء غلب الرأي
وفقر أفسد الامانة فقال المنصور والله لأجعلنك نكالا لغيرك ليحضر كبل
وحداد فأحضرا فكبل الفتى وقال احملوه الى السجن وأمر الضابط بامتحانه
والشدة عليه فلما قام أنشأ يقول

أنشأ يقول

• أواه أواه وكم ذا أرى • أكثر من تذكار أواه •
• ما للامرئ حول ولا قوة • الحول والقوة لله •

فقال المنصور ردوه فلما رد قال أتمثلت قال بل قلت فقال حلوا عنه كبله
فلما حل عنه

أنشأ يقول

• أما ترى عفو أبي عامر • لا بد أن تتبعه منة •
• كذلك الله اذا ما عفى • عن عبده أدخله الجنة •

فأمر باطلاقه وسوغه ذلك المال وأبرأه من التبعة فيه وفي الخامسة والاربعين
على المنصور أبي عامر اسم أحد خدامه في جملة من طال سجنه وكان شديد الحقد
عليه فوقع على اسمه بأن لا سبيل الى اطلاقه حتى يلحق بأمه الهاوية وعرف الرجل
بتوقيعه فاغتم واجتهد نفسه في الدعاء والمناجاة وأرق المنصور اثر ذلك
واستدعى النوم فلم يقدر عليه وكان يأتيه عند تنويمه آت كريه الشخص عنيف
الاخذ بأمر باطلاق الرجل ويتوعده على حبسه فاستدفع شأنه مرارا الى أن
علم أنه تدبير من ربه فانقاد لامره ودعا بالدواة في مرقده فكتب باطلاقه وقال
في كتابه هذا طليق الله على رغم انف ابن أبي عامر وتحدث الناس زمانا بما كان منه
وفي الثامنة والاربعين ما نصه انتهت هيبة المنصور بن أبي عامر وضبطه
للجند واستخدام ذكور الرجال وقوام الملك الى غاية لم يصلها ملك قبله
فكانت مواقفهم في الميدان على احتفاله مثلا في الاطراق حتى ان الخيل لتمتثل
اطراق فرسانها فلا تكثر الصهيل والحمحمة ولقد وقعت عينه على بارقة سيف
قد سله بعض الجند بأقصى الميدان لهزل أو جد بحيث ظن أن لحظ المنصور لا يناله
فقال علي بشاهر السيف فمثل بين يديه لوقته فقال له ما حملك على أن شهرت سيفك
في مكان لا يشهر فيه الا عن اذن فقال اني أشرت به على صاحبي مغمدا فدلق من غمده
فقال ان مثل هذا لا يسوغ بالدعوى وأمر به فضربت عنقه بسيفه وطيف
برأسه ونودي عليه بذنبه انتهى
واحتاج الى الكي فأمر الذي يكويه بذلك وهو قاعد في موضع مشرف على أهل مملكته ان المنصور كان به داء في رجله

لحل بامره وينهى ويغرى الفرى في اموره ورجاله تكوى والناس لا يشعرون حتى شموا
رايحة الجلد واللحم فتحتجوا من ذلك وهو غير مكترث واخباره رحمه الله تحتمل
مجلدات فلنمسك العنان على انا ذكرنا في الباب الرابع والسادس من هذا
الكتاب جملة من اخباره رحمه الله فلنراجع الى اخره وكان مما اعين
المنصور على المصحفى ميل الوزرا اليه وايثارهم له عليه وسعيهم في ترقيته واخذهم
بالعصبية فيه فانها وان لم تكن عصبية اعرابية فقد كانت سلفية سلطانية
يقتفي القوم فيها سبيل سلفهم ويجعلون بها ابدا الشرف فيهم غادرهم وماسيهم
ويخلفونها عادة اسيره تتشاح الخلق فيها تشاح اهل الديانة وصانوا بها
مراتبهم اعظم صيانة ورأوا ان احدا لا يلحق فيها غايته ولا ينال قدمها رايه
فلما اصطفى الحكم المستنصر بالله جعفر بن عثمان واصطنعه ووضعه من اثرته
حيث وضعه وهو نزيع بينهم ونابغ فيهم حسدوه وذموه وخصوه بالمطالبة
وعموه وكان اشرح صنفا لطايفة من اعالى الوزرا واعاظم الدولة الى بيها او
المنصور عليه والانحراف عند اليه آل ابي عبده وآل شهيد وآل فطيس
من الخلفا واصحاب الرداته واولى الشرف والامانه وكانوا في الوقت
ازمة الملك وقوام الخدمه ومصابيح الامة واغير الخلق على جاه وحرمه فاحفظوا
محمد بن ابي عامر مشايعه وبعض اشيا به الجامعة منا بعه وشادوا ابناوه
وقادوا الى عنصر سناده حتى بلغ الامل والتحف بمناه واكتحل وعند الانتهام
من الامور لابن ابي عامر استكان جعفر بن عثمان للحادثه وابقن بالنكبة وروال
الحال وانتقالا لرتبته وكف عن اعتراض محمد وشوكته في التدبير وانقبض الناس
من الرواح اليه والتكبير وانثالوا على ابن ابي عامر تحف موكبه وغار من سماء
العز كوكبه وتوالى عليه سعى ابن ابي عامر وطلبه الى ان صار يغدو الى قرطبة
ويروح وليس بيده من الحجابة الا اسمها وابن ابي عامر مشتمل على مجرد رسمها حتى
نحاه ومنتك طله واصحاه ابن اسمعيل رايته يساق الى مجلس الوزارة
للمحاسبة راجلا فاقبل يدرم وجوارحه باللواعج تضطرم والوا اليوا الضاغط
بيمرم والزمع يقهره والبهر والنفس قد هاصاه وقصر اخطاه بسمعته
يقول رفقا بي فستدرك ما تحبه وتشتهيه وترى ما كنت ترتجيه ويا ليت
ان الموت يباع فاغلى سومه حتى يرده من طال علته حومه

• لا تامنن من الزمان تقلبا • ان الزمان باهله بتقلب •
• ولقد اراني والليوث تخافني • فاخافني من بعد ذاك الثعلب •
• حسب الكريم مذلة ومهانة • الا يزال الى لئيم يطلب •

فلما بلغ المجلس جلس في اخره دون ان يسلم على احد ويومي اليه بعيدا فلما اخذ

مجلسه

مجلسه تشرع اليه الوزير محمد بن حفص بن جابر فعنفه واستخفاه وانكر عليه
تركه السلام وجفاه وجعفر معرض عنه الى ان كثر القول منه فقال له يا هذا جهلت
المبرة فاستجهلت محلها وكفرت النعم فعصفت بالاذى ولم ترهب مقدمها
وابديت نكرا لكان غير ادرى دفذ وفعت في امر ما اظنك تخلص منه ولا يسعك
السكوت عنه ونسيت الايادي الجميلة والمبرات الجليلة فلما سمع محمد بن
حفص ذلك من قوله قال هذا البهت بعينه واي ايادي الغر التي سلفت بها
وعنيت اذا او احيها ابدا كذا ام يد كذا وعين اشيا انكرها منه ايام امارته
وتصرف الدهر طوع اشارته فقال جعفر هذا ما لا يعرف والحق الذي لا يرد ولا
يصرف رفع القطع عن يمناك وتبلغني لك الى مناك فاصر محمد بن حفص على الجحد
الى السكوت ولا يجب دعوني فيه عن الملكوت فقال الوزير احمد بن عباس
قد كان بعض ما ذكرته يا ابا الحسن وغيرهذا اولى بك وانت بما انت فيه من
محنتك وطلبك فقال اخرجني الرجل فتكلمت واحوجني لما به اعلمت فاقبل
الوزير ابن جهور على محمد بن حفص وقال اساءت الى الحاجب واوجبت عليه غير الواجب
اوما علمت ان منكوبا لسلطان لا يسلم على اوليايه لانه ان فعل الزمهم الرد لقوله
تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها فان فعلوا الطافهم
من انكار السلطان ما يخشى ويخاف لانه تانيس لمن اوحش وتامين لمن اخاف وان
تركوا الرد اسخطوا الله فصار الامساك احسن ومثل هذا لا يخفى على ابي الحسن
فانكسر ابن حفص وخجل مما اوتي به من النقص وبلغ ان اقواما توجعوا له وتفجعوا
مما وصله

فكتب اليهم يقول

• اخي الي انفاسكم فاظنها • بواعث انفاس الحياة الى نفسي •
• وان زمانا ناصر فيه مقيدا • لاثقل من رضوى واضيق من امس •

انتهى ابن ابي عامر فنقول ولما توفي المنصور قام بالامر بعده ابنه عبد
الملك المظفر ابو مروان فجرى على سنن ابيه في السياسة والغزو وكانت ايامه
اعيادا دامت مدة سبع سنين وكانت تسمى بسابع العروس ولم يزل المظفر
الى ان مات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة في المحرم وقيل سنة ثمان وتسعين
وكانت المغرب زيري ملك مغراوة بعد ان استرجع فاسا والمغرب اثر موت ابيه
فكتب له العهد على المغرب وثارت الطوايف في ممالكهم وتحركت الجلالقة لاسترجاع
معاقلهم وحصونهم ولما توفي رحمه الله قام بالامر بعده اخوه عبد الرحمن وتلقب
بالناصر لدين الله وقيل بالمامون وجرى على سنن ابيه واخيه في الحجر على الخليفة
هشام والاستبداد عليه والاستقلال بالملك دونه ثم تاب له راي في الاستيثار

والابن شيد الملك المظفر
ابو مروان بن المنصور

بياض

بما بقي من رسوم الخلافة فطلب من هشام المؤيد ان يوليه عهده فاجابه واحضر
لذلك الملا من ارباب الشورى واهل الحل والعقد فكان يوما مشهودا فكتب
عهده من انشا ابي حفص بن برد ما نصه هذا ما عهد به هشام المؤيد بالله امير
المومنين الى الناس عامة وعاهد الله عليه من نفسه خاصة واعطى به صفقة
يمينه بيعة تامة بعد ان امعن النظر واطال الاستخارة واهمه ما جعل الله اليه
من الامامة وعصب به من امر المومنين واتقى حلول القدر بما لا يومن وخاف
نزول القضا بما لا يصرف وخشي ان هجم محتوم ذلك عليه ونزل مقدوره ولم يرفع
لهذه الامة علما تاوي اليه وملجا تنعطف عليه ان يكون يلقى ربه تبارك وتعالى
مفرطا ساهيا عن اداء الحق اليها ونقض عند ذلك من احيا من قريش وغيرها من يستحق
ان يسند هذا الامر اليه ويعول في القيام به عليه ممن يستوجبه بدينه وامانته
وهديه وصيانته بعد اطراح الهوى والتحري للحق والتزلف الى الله جل جلاله
بما يرضيه وبعد ان قطع الاواصر واسخط الاقارب فلم يجد احدا اجدر ان يوليه
عهده ويفوض اليه الخلافة بعده لفضل نفسه وكرم خيمه وشرف مرتبته وعلو
منصبه مع تقاه وعفافه ومعرفته وحزمه من المامون الغيب الناصح الجيب ابي
المطرف عبد الرحمن بن المنصور ابي عامر محمد بن ابي عامر وفقه الله اذ كان امير المومنين
ايده الله قد ابتلاه واختبره ونظر في شانه واعتبره فراه مسارعا في الخيرات
سابقا في الحلبات مستوليا على الغايات جامعا للماثرات ومن كان المنصور
اباه والمظفر اخاه فلا غرو ان يبلغ من سبل البر مداه ويحوي من خلال الخير ما
حواه مع ان امير المومنين ايده الله بما طالع من مكنون العلم ووعاه من مخزون
الاثر يرى ان يكون ولي عهده القحطاني الذي حدث عنه عبد الله بن عمرو بن
العاصي وابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج
رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه فلما استوى له الاختبار وتقابلت عنده
فيه الاثار ولم يجد عنه مذهبا ولا الى غيره معدلا خرج اليه من تدبير الامور في
حياته وفوض اليه الخلافة بعد وفاته طائعا راضيا مجتهدا وامضى امير المومنين
هذا واجازه وانفذه ولم يشترط فيه مثنوية ولا خيارا واعطى على الوفاء به
في سره وجهره وقوله وفعله عهد الله وميثاقه وذمة نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم وذمم الخلفاء الراشدين من ابائه وذمة نفسه ان لا يبدل ولا يغير
ولا يحول ولا يزول واشهد الله على ذلك والملائكة وكفى بالله شهيدا واشهد
وهو جائز الامر ماضي القول والفعل بمحضر من ولي عهده المامون ابي المطرف
عبد الرحمن بن المنصور وفقه الله وقبوله ما قلده والتزامه نفسه ما الزمه
وذلك في شهر ربيع الاول سنة ٣٩٨ وكتب الوزراء والقضاة وسائر الناس شهاداتهم

مخطوط

بخطوط ايديهم وتسمى بعدها بولي العهد ونقم عليه اهل الدولة ذلك فكانت
فيه حتفه وانقراض دولته ودولة قومه وكان استرعا الناس كراهة لذلك
الامويين والقرشيين فغصوا بامره واشفقوا من تحويل الامر جملة من المضرية
الى اليمنية فاجتمعوا لشانهم وتمشت من بعض الى بعض رجالاتهم واجمعوا
امرهم في غيبة من المذكور ببلاد الجلالقة في غزاة من صوائفه ووثبوا بصاحب
الشرطة فقتلوه بمقعده من باب قصر الخلافة بقرطبة سنة تسع وتسعين
وثلثمائة وخلعوا هشام المؤيد وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار ابن امير
المومنين الناصر لدين الله من اعقاب الخلفا ولقبوه المهدي بالله وطار الخبر
الى عبد الرحمن الحاجب بن منصور بمكانه من الثغر فانفض جمعه وقفل الى الحضرة
مدلا بمكانه زعيما بنفسه حتى اذا قرب من الحضرة تسلل عنه الناس من الجند
ووجوه البربر ولحقوا بقرطبة وبايعوا المهدي القايم بالامر واغروه بعبد
الرحمن الحاجب لكونه ماجنا مستهترا غير صالح للامر فاعترضه منهم من قبض عليه
واحتز راسه وحمله الى المهدي والى الجماعة ودمرت دولة العامريين كان لم تكن
ولله عاقبة الامور

وفي المهدي يقول بعضهم

قد قام مهدينا ولكن * بملة الفسق والمجون
وشارك الناس في حريم * لولاه ما زال بالمصون
من كان من قبل ذا اجما * فاليوم قد صار ذا قرون

وكان رؤسا البربر وزناتة لحقوا بالمهدي لما راوا من سوء تدبير عبد الرحمن وانتقاض
امره وكانت الاموية تحقد عليهم ما كان من مظاهرتهم العامريين وتنسب تغلب
المنصور وبنيه على الدولة اليهم فسخطتهم القلوب وخزرتهم العيون ولولا ما حجمهم
من العصبية لاستاصلهم الناس ولغطت السنة الدهما من اهل المدينة بكراهتهم
وامر المهدي ان لا يركبوا ولا يتسلحوا ورد بعضهم في بعض الايام من باب القصر
فانتهبت العامة دورهم وشكا بعضهم الى المهدي ما اصابهم فاعتذر وقتل
من اتهم من العامة في امرهم ومع ذلك فظهر لبعضهم مجاهرة سوء النية عليهم
وبلغهم انه يريد الفتك بهم فتمشت رجالاتهم واستتروا بنجواهم واشتوروا في
تقديم هشام بن سليمان ابن امير المومنين الناصر وفشا في العامة حديثهم فعوجلوا
عن مرامهم ذلك واغرى بهم السواد الاعظم فثاروا بهم وازعجوهم عن المدينة
وتقبض على هشام واخيه ابي بكر واحضرا بين يدي المهدي فضرب اعناقهما ولحق
سليمان بن اخيهما الحكم بجنود البربر وقد اجتمعوا بظاهر قرطبة وتذامروا
فبايعوه ولقبوه المستعين بالله ونهضوا به الى ثغر طليطلة فاستجاش
بابن اذفونش ثم نهض في جموع البرابرة والنصرانية الى قرطبة وبرز اليه المهدي
في كافة اهل البلد وخاصة الدولة فكانت الدائرة عليهم واستلحم منهم ما

يزيد على عشرين الفا وملك من خيار الناس وايمة المساجد ومؤذنيهما وعالم. ودخل المستعين قرطبة ختام المائة الرابعة ولحق المهدي بطليطلة واستجاش بابن ادفونش ثانية فنهض معه الى قرطبة وهزم المستعين والبرابرة بعقبة البقر من ظاهر قرطبة ودخل قرطبة اعني المهدي ومن معهما وخرج المستعين مع البرابرة وتفرقوا في البسائط ينتهبون لا يبقون على احد ثم رحلوا الى الجزيرة الخضراء فخرج المهدي ومعه ادفونش لاتباعهم فكروا عليهم فانهزم المهدي وابن ادفونش ومن معه من المسلمين والنصارى واتبعهم المستعين الى قرطبة فاخرج المهدي هشاما المؤيد للناس وبايع له وقام بامر حجابته ظنا منه ان ذلك ينفعه وبينما هو كذلك وحاصرهم المستعين والبربر فخشي اهل قرطبة من فتحها عليهم فاغروا اهل القصر وحاشية المؤيد على المهدي وانما الفتنة انما جاءت من قبله وتولى ذلك واضح العامري فقتلوا المهدي واجتمع الكافة على المؤيد وقام واضح بحجابته واستمر الحصار ولم يغن عن اهل قرطبة ما فعلوه شيئا الى ان هلكت القرى والبسائط بقرطبة وعدمت المرافق ودهم الحصار وبعث المستعين الى ابن ادفونش يستنفذهم لطاعته فبعث اليهم هشام وحاجبه واضح يكفونهم عن ذلك بان ينزلوا اليهم عن ثغور قشتالة التي كان المنصور افتتحها فسكن عن مظاهرته عزم ادفونش ولم يزل الامر الى ان دخل المستعين قرطبة ومن معه من البربر عنوة سنة ثلاث واربعمائة وقتل هشام سرا ولحق ببيوتات قرطبة معرات في نسائهم وابنائهم وظن المستعين انه قد استحكم امره وتوثبت البرابرة والعبيد على الاعمال فتولوا المدن العظيمة وتقلدوا البلاد الواسعة مثل باديس بن حبوس في غرناطة والبرزالي في قرمونة واليفرني في رندة وهرور في شريش وافترق شمل الجماعة بالاندلس وصار الملك طوائف في اخرين من اهل الدولة مثل ابن عباد باشبيلية وابن الافطس ببطليوس وابن ذي النون بطليطلة وابن ابي عامر ببلنسية وابن بسرقسطة ومجاهد العامري بدانية والجزيرة وكان بابا لبني حمود يهجو سليمان المستعين

شعر

لا رحم الله سليمانكم • فانه ضد سليمان •
ذاك به غلت شياطينها • وحل هذا كل شيطان •
فباسمه ساخت على ارضنا • لهلك سكان واوطان •

وكان من اعظم الاسباب في فساد دولة المستعين انه قال هذه الابيات مستريحا بها الى خواصه

ومن قوله

حلفت بمن صلى وصام وكبرا • لاغمدنها فيمن طغى وتجبرا •
وانصر دين الله تحيى رسومه • فيبدل ما قد لاح منها وغيرا •

فواعجبا

فواعجبا من عبشمي مملك • برغم العوالي والمعالي تبربرا •
فلو ان امري بالخيار نبذتهم • وحاكمتهم للمشرفي محكما •
فاما حياة تستلذ بفقدهم • واما حمام لا نرى فيه ما زرا •

وقد سلك هذا المسلك المرتضى المرواني

فقال

قد بلغ البربر فينا بنا • ما افسد الاحوال والنظما •
كالسهم للطائر لولا الذي • فيه من الريش لما اصمى •
قوموا بنا في شانهم قومة • نزيل عنا العار والرغما •
اما بها نملك او لا نرى • ما يرجع الطرف به اعمى •

وكان علي بن حمود الحسني واخوه قاسم من عقب ادريس ملك فاس وكانا قد اجازا مع البربر من العدوة الى الاندلس فدعوا لانفسهم واعصوصب عليهما البربر فملكوا قرطبة سنة سبع واربعمائة وقتلوا المستعين المذكور وكان اديبا بليغا ومن شعره يعارض هارون الرشيد في قوله ملك الثلاث الانسات عناني الابيات

بقوله

عجبا يهاب الليث حد سناني • واهاب سحر فواتر الاجفان •
واقارع الاهوال لا متهيبا • منها سوى الاعراض والهجران •
وتملكت نفسي ثلاث كالدمى • زهر الوجوه نواعم الابدان •
ككواكب الظلماء لحن لناظري • من فوق اغصان على كثبان •
حاكمت فيهن السلو الى الصبا • فقضى بسلطان على سلطان •
هذا الهلال وتلك بنت المشتري • حسنا وهذي اخت غصن البان •
فابحن من قلبي الحمى وتركنني • في عز ملكي كالاسير العاني •
لا تعذلوا ملكا تذلل في الهوى • ذل الهوى عز وملك ثاني •
ما ضر اني عبدهن صبابة • وبنو الزمان وهن من عبداني •
ان لم اطع فيهن سلطان الهوى • كلفا بهن فلست من مروان •

ابن حمود الحسني تلقب بالناصر وخرج عليه العبيد وبعض المغاربة وبايعوا المرتضى اخا المهدي ثم اغتيل المرتضى واقام الملك لعلي بن حمود الحسني نحوا من سنتين الى ان قتلته صقالبته بالحمام سنة ثمان واربعمائة فولي اخوه مكانه القاسم وتلقب بالمامون ونازعه الامر بعد اربع سنين من خلافته يحيى ابن اخيه وكان على سبتة فاجاز الى الاندلس عشرة واحتل بها الفتى وكان اخوه ادريس بها منذ عهد ابيهما فبعثه الى سبتة ثم زحف يحيى الى قرطبة فملكها سنة اثنتي عشرة واربعمائة وتلقب بالمعتلي وفر عمه المامون الى اشبيلية وبايع له القاضي ابن عباد واستجاش ببعض البرابرة ثم رجع الى قرطبة سنة ثلاث

ثلاث عشرة وملكها ولحق المعتلي بمكانه من مالقة وتغلب على الجزيرة الخضراء وتغلب
أخوه إدريس على طنجة من وراء البحر وكان المأمون يعتدها حصنا لنفسه وفيها
ذخائره **فلما** بلغه الخبر اضطرب وثار عليه أهل قرطبة ونقضوا طاعته
وخرج فحاصرهم فدافعوه ولحق بإشبيلية فمنعوه وكان بها ابنه فأخرجوه إليه
وضبطوا بلدهم واستبد ابن عباد بملكها ولحق المأمون بشريش ورجع عنه
البربر إلى يحيى المعتلي ابن أخيه فبايعوه سنة خمس عشرة وزحف إلى عمه المأمون
فتغلب عليه ولم يزل عنده أسيرا وعند أخيه إدريس بمالقة إلى أن هلك
بمحبسه سنة سبع وعشرين وقيل إنه خنق ثم سبا فيه واستقل المعتلي بالأمر
واعتقل بني عمه القاسم وكان المستكفي من الأمويين استولى على قرطبة في
المدة عندما أخرج أهلها العلوية ثم خلع أهل قرطبة المستكفي الأموي سنة
عشرة وصاروا إلى طاعة المعتلي واستعمل عليهم ابن عطاف من قبله ثم نقضوا
سنة سبع عشرة وصرفوا عاملهم وبايعوا للمعتد الأموي أخي المرتضى وبقي
المعتلي يردد لحصارهم العساكر إلى أن اتفقت الكافة على إسلام الحصون والمدائن
له فعلا سلطانه واشتد أمره إلى أن هلك سنة سبع وعشرين اغتاله أصحابه
بدسيسة ابن عباد الثائر بإشبيلية فاستدعى أصحابه أخاه إدريس بن علي من
سبتة وملكوه ولقبوه بالمتأيد وبايعته رندة وأعمالها والمرية والجزيرة الخضراء
وبعث عساكره لحرب أبي القاسم إسماعيل بن عباد والد المعتضد بن عباد فجاؤوا
برأسه بعد حروب وهلك ليومين بعد ذلك سنة إحدى وثلاثين وبويع ابنه
يحيى ولم يتم له أمر وبويع حسن المستنصر بن المعتلي وفر يحيى إلى قمارش فهلك بها
سنة أربع وثلاثين **ويقال** إنه قتله نجا وهلك حسن مسموما بيد
ابنة عمه إدريس ثأرت منه بأخيها وكان إدريس بن يحيى المعتلي معتقلا بمالقة
فخرج بعد خطوب وبويع بها وأطاعته غرناطة وقرمونة ولقب العالي وهو
الممدوح بالقصيدة المشهورة بالمغرب التي قالها فيه أبو زيد عبد الرحمن بن
مقانا القبذاقي الأشبوني من شعراء الذخيرة **ومنها**

البرق لائح من أندرين • ذرفت عيناك بالماء المعين • لعبت أسيافه عارية •
كمخاريق بأيدي اللاعبين • ولصوت الرعد زجر وحنين • ولقلبي زفرات وأنين •
وأنا أحمي في الدجى عاذلتي • وأنا لا أسمع قول العاذلين • عيرتني بسقام وضنى •
إن هذين لدين العاشقين • قد بدا لي وضح الصبح المبين • فاسقنيها قبل تكبير الأذين •
اسقنيها من شمولة • لبثت في دنها بضع سنين • ثم المزج على مفرقها •
دررا عامت فعادت كاللجين • مع فتيان كرام نجب • يتهادون رياحين المجون •
شربوا الراح على خد رشا • نور الورد به والياسمين • وجلتها إذنه عامدة •

سحب الشعر على عاج الجبين • لو ترى الصدغ على حاجبه • ضمة اللام على عطفة نون
• فترى غصنا على دعص نقا • وترى ليلا على صبح مبين •
• ويسقون إذا ما شربوا • بأباريق وكأس من معين •
• ومصابيح الدجى قد طفئت • في بقايا من سواد الليل جون •
• وكأن الطل مسك في الثرى • وكأن النور در في الغصون •
• والندى يقطر من نرجسه • كدموع سكبتهن الجفون •
• والثريا قد هوت من أفقها • كقضيب زاهر من ياسمين •
• وانبرى جنح الدجى من صبحه • كغراب طار عن بيض كنين •
• وكأن الشمس لما أشرقت • فانثنت عنها عيون الناظرين •
• وجه إدريس بن يحيى بن علي • بن حمود أمير المؤمنين •
• ملك ذو هيبة لكنه • خاشع لله رب العالمين •
• خط بالمسك على أبوابه • ادخلوها بسلام آمنين •
• فإذا ما رفعت راياته • خفقت بين جناحي جبرين •
• وإذا أشكل خطب معضل • صدع الشك بمصباح اليقين •
• وبيمناه لواء السابقين •
• يا بني أحمد يا خير الورى • لأبيكم كان وفد المسلمين •
• نزل الوحي عليه فاحتبى • في الدجى فوقهم الروح الأمين •
• خلقوا من ماء عدل وتقى • وجميع الناس من ماء وطين •
• انظرونا نقتبس من نوركم • إنه من نور رب العالمين •

يحكى أنه أنشده إياها من وراء حجاب فتقفا لطريقة خلفاء بني العباس
فلما بلغ إلى قوله انظرونا نقتبس من نوركم إنه من نور رب العالمين
أمر حاجبه أن يرفع الحجاب وقابل وجهه وجه الشاعر دون حجاب وأمر له
بإحسان جزيل وكان مذاهبه إثر ما يحكى عنه وخلع العالي سنة ثمان وثلاثين
وولي ابن عمه محمد بن إدريس بن علي وتلقب بالمهدي وتوفي سنة أربع وأربعين
وبويع إدريس ولقب الموفق ولم يخطب له بالخلافة وزحف إليه العالي عليهم
إدريس المخلوع الممدوح بالقصيدة السابقة وكان معهما رش فدخل عليه مالقة
وأطلقوا أيدي عبيده عليهم لحقده عليهم ففر كثير منهم **وتوفي** العالي سنة
ست أو سبع وأربعين **وبويع** محمد بن إدريس ولقب المستعلي ثم سار إليه
باديس بن حبوس سنة تسع وأربعين وأربعمائة فتغلب على مالقة وسار
محمد إلى المرية مخلوعا ثم استدعاه أهل المغرب إلى مليلة وجازت وبايعوه سنة
ست وخمسين وتوفي سنة سنتين وكان محمد بن القاسم بن حمود لما اعتقل

القاسم ثم الفتنة سنة اربع عشر فر من الاعتقال ولحق بالجزيرة الخضراء وملكها
وتلقب بالمعتصم الى ان هلك سنة اربعين ثم ملكها بعده ابنه القاسم الواثق
الى ان هلك سنة خمسين وصارت الجزيرة للمعتضد بن عباد ومالقة لابن
حيوس من اجلها بابن عباد وانقرضت دولة الاشراف الحموديين بعد سبع سنين
من ملكهم وزحف اليهم القاسم بن حمود في البربر فهزمهم اهل قرطبة ثم اجتمعوا و
واصفقوا على رد الامر لبني امية واختاروا لذلك عبد الرحمن بن هشام بن عبد
الجبار اخا المهدي بايعوه في رمضان سنة اربع عشرة واربعمائة ولقبوه
المستظهر وقاموا بامره **ومن شعره قوله**

طال عمر الليل عندي • قد تولعت بصدي • يا غزالا نقض الود •
ولمن يوقف بود • انسيت العهد اذ بتنا • على مفروش ورد •
واجتمعنا في وشاح • وانتظمنا نظم عقد • ونجوم الليل تحكي •
ذهبا في لازورد • قال الحجازي لو قال لؤلؤا في لازورد لكان احسن تشبيها

وانشد متمثلا فقال

انا عصابتك الاولى • كنا لكا بدما تكابد •
منذا بلوغ او ابنا النعمى وانجاز المواعد •

يشير الى قول الاول

ويقضى الامر حين تغيب تيم • ولا يستاذنون وهم شهود •

وعاتبه ايضا بقوله

اذا كان مثلي لا يجاز بصبره • فمن ذا الذي بعدي يجاز على الصبر •
وكم مشهد حاربت فيه عدوكم • وامسكت في حربي له راحة الدهر •
اخوض الى اعدائكم لجج الوغى • واسري اليهم حيث لا احد يسري •
وقد نام عنهم كل مستبطن الحشى • اكول الى الممسى نؤوم الى الظهر •
فما بال هذا الامر اصبح ضايعا • وانت امين الله تحكم في الامر •

وسياتي ان شاء الله تعالى من كلام الوزير المذكور ما يدل على عظيم قدره ومما
نذكر في حلية الفتح له ثم ثار عليه لسبعين من خلافته محمد بن عبد الرحمن بن عبيد
الله بن امير المؤمنين الناصر لدين الله فانتهز الغوغاء وفتك بالمستظهر و
تلقب بالمستكفي واستقل بامر قرطبة وهو والد الاديبة الشهيرة ولادة
ولعلنا نلم ببعض اخبارها ان شاء الله فيما بعد وكان عبد الرحمن قتله المنصور
ابن ابي عامر لسعيه في الخلافة ثم بعد سنة عشر شهرا من بيعة المستكفي رجع
الامر الى المعتلي يحيى بن علي بن حمود سنة ست عشرة وخلع اهل قرطبة المستكفي
وولي عليهم المعتلي من قبله وفر المستكفي الى ناحية الثغر ومات في فرة ثم بدا

لاهل

لاهل قرطبة فخلعوا المعتلي بن حمود سنة سبع عشرة وبايع الوزير ابو محمد
ابن جهور بن محمد بن جهور عميد الجماعة وكبير قرطبة لهشام بن محمد اخي المرتضى
وكان بالثغر في لاردة عند ابن هود وذلك سنة ثمان عشرة وتلقب المعتد بالله
واقام مترددا في الثغر ثلاثة اعوام واشتدت الفتن بين رؤساء الطوايف
واتفقوا على ان ينزل دار الخلافة بقرطبة فاستقدمه ابن جهور والجماعة و
نزلها اخر سنة عشرين واقام بها يسيرا ثم خلعه الجند سنة اثنين وعشرين
وفر الى لاردة فهلك بها سنة ثمان وعشرين وانقطعت الدولة الاموية
من الارض وانتثر سلك الخلافة وقام الطوايف بعد انقراض الخلايف و
انتثر الامراء والرؤساء من البربر والعرب والموالي بالجهات واقتسموا خطتها
وتغلب بعض على بعض واستقل اخيرا بامرها منهم ملوك استفحل امرهم وعظم
شانهم ولاذوا بالجزية للطاغية ان يظاهر عليهم او يبتزهم ملكهم واقاموا على
ذلك برهة من الزمان حتى قطع اليهم البحر ملك العدوة وصاحب مراكش امير
المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني فخلعهم واخلا منهم الارض فمن اشهرهم بنو
عباد ملوك باشبيلية وغرب الاندلس الذين منهم المعتمد بن عباد الشهير الذكر
بالمشرق والمغرب وفي الذخيرة والقلائد من اخباره ما هو كاف شاف ومنهم
بنو جهور كانوا بقرطبة في صورة الوزارة حتى استولى عليهم المعتمد بن عباد
واخذ قرطبة وجعل عليها ولده ثم كانت له وعليه حروب وخطوب وفرق
ابناءه على قواعد الملك وانزلهم بها واستفحل امره بغرب الاندلس وغلب
بني على من كان ينازعه الملك من ملوك الطوايف مثل ابن باديس بغرناطة وابن الافطس
ببطليوس وابن صمادح بالمرية وغيرهم فكانوا يخطبون سلمه ويغلون في مرضاته
وكلهم يدارون الطاغية ويتقونه بالجزية الى ان ظهر يوسف بن تاشفين واستفحل
ملكه فتعلقت امال الاندلس باغاثته وضايقهم الطاغية في طلب الجزية فقتل
المعتمد اليهودي الذي جاء في طلب الجزية للطاغية بسبب كلمة اسفه بها ثم
اجاز البحر صريخا الى يوسف بن تاشفين فاجاز معه البحر والتقوا مع الطاغية في
الزلاقة فكانت الهزيمة المشهورة على النصارى ونصر الله الاسلام نصرا لا كفاء
له حتى قال بعض المؤرخين انه كان عدد النصارى ثلاثمائة الف ولم ينج منهم
الا القليل وصبر فيها المعتمد صبر الكرام وكان قد اعطى يوسف بن تاشفين
الجزيرة الخضراء ليتمكن من الجواز متى شاء ثم طلب الفقهاء بالاندلس من يوسف
ابن تاشفين رفع المكوس والظلامات عنهم فتقدم بذلك الى ملوك الطوايف
فاجابوه بالامتثال حتى اذا رجع من بلادهم رجعوا الى حالهم وهو خلال ذلك
يردد عساكره للجهاد ثم اجاز اليهم وخلع جميعهم وتناولت عساكره جميع بلادهم

واستولى على قرطبة واشبيلية وبطليوس وغرناطة وغيرها وصار المعتمد بن
عباد كبير ملوك الاندلس في قبضته اسيرا بعد حروب ونقله الى اغمات قرب مراكش
٤٨٤ سنة واعتقله بها الى ان مات سنة ثمان وثمانين وسلم عما قاله الوزير
لسان الدين بن الخطيب فيه حين زار قبره وللمعتمد هذا اخبار ماثورة خصوصا
مع زوجته ام اولاده الرميكية الملقبة باعتماد وقد روي انها رات ذات يوم
باشبيلية نساء البادية يبعن اللبن في القرب وهن رافعات عن سوقهن في الطين
فقالت له اشتهي ان افعل انا وجواري مثل هولاء النسا فامر المعتمد بالعنبر
والمسك والكافور وماء الورد وصير الجميع طينا في القصر وجعل لها قربا وحبالا
من ابريسم وخرجت هي وجواريها تخوض في ذلك الطين فيقال انه لما خلع وكانت
تتكلم معه مرة تجري بينهما ما يجري بين الزوجين فقالت له والله ما رايت خيرا قط
فقال لها ولا يوم الطين تذكيرا لها بهذا اليوم الذي اباد فيه من الاموال ما لا يعلمه الا الله
فاستحيت وسكتت وغير من تقدم بنو رزين اصحاب السهلة وبنو الفهري اصحاب
البونت وتغلب عليهما اخيرا يوسف بن تاشفين ومن اعظم ملوك الطوائف بنو ذي
النون ملوك طليطلة من الثغر الجوفي وكانت لهم دولة كبيرة وبلغوا في البذخ
والترف الى الغاية ولهم الاعذار المشهور الذي يقال له الاعذار الذنوني
وبه يضرب المثل عند اهل المغرب وهو عندهم بمثابة عرس بوران عند اهل المشرق
والمامون بن يحيى بن ذي النون هو صاحب ذلك وهو الذي عظم بين ملوك الطوايف
سلطانه وكان بينه وبين الطاغية مواقف مشهورة وغلب على قرطبة وملكها
من يد ابن عباد المعتمد وقتل ابنه ابا عمرو وغلب ايضا على بلنسية واخذها من
يد بني ابن ابي عامر وفي ايام حافده المامون وهو القادر بن ذي النون كان الطاغية
ابن ادفونش قد استفحل امره لما خلى الجو من مكان الدولة الخلافية وخف ما كان
على كاهله من اصر العرب فاكتسح البسائط وضايق بني ذي النون حتى اخذ من يده
طليطلة فخرج له عنها سنة ثمان وسبعين واربعمائة كما سبق وشرط عليه ان
يظاهره على اهل بلنسية فقبل شرطه وتسلمها الفونش ولا حول ولا قوة الا بالله
الموالي العامريون مثل خيران وزهير واشباههما واخبار
الجميع تطول ومن ملوك الطوايف بالاندلس بنو هود ملوك سرقسطة وما اليها
ومن اشهرهم المقتدر بالله وابنه يوسف المؤتمن وكان المؤتمن قائما على الامور الرياضية
وله فيها تواليف ومنها كتاب الاستكمال والمناظر وولي بعده ابنه المستعين
احمد سنة اخذ طليطلة وعلى يده كانت وقعة وشقة زحف سنة تسع وثمانين
في الاف لا تحصى من المسلمين ليدافع الطاغية عن وشقة وكان محاصرا لها فلقيه
الطاغية اليها وهزمه وهلك من المسلمين نحو عشرة الاف وهلك هو شهيدا سنة

ثلاث وخمسمائة بظاهر سرقسطة في زحف الطاغية اليها وولي ابنه عبد الملك
عماد الدولة واخرجه الطاغية من سرقسطة سنة اثنتي عشرة وتولى ابنه سيف
الدولة وبالغ في النكاية بالطاغية ثم اتفق معه وانتقل بحشمه الى طليطلة
فكان فيها حمامه ومن شعر المقتدر بن هود قوله رحمه الله تعالى في مبانيه

قصر السرور ومجلس الذهب ● بكما بلغت نهاية الارب ●
لو لم يحز ملكي خلافكما ● كانت لدي كفاية الطلب ●

ومن مشاهير ملوك بني الافطس اصحاب بطليوس وما اليها والمظفر منهم
هو صاحب التاليف المسمى بالمظفري في نحو الخمسين مجلدا والمتوكل منهم قتل
على يد جيش يوسف بن تاشفين وفيه قال ابن عبدون قصيدته المشهورة

الدهر يفجع بعد العين بالاثر ● فما البكاء على الاشباح والصور ●

وهي من غرر القصائد
الاندلس وازالوا ملوك الطوايف
منها بقيت اسما لهم تردد البها وبنوهم حتى قتلت رجالهم ومنتزح الموحدين
اعني عبد المؤمن بن علي وبنيه فحاربوا اللمتونة واستولوا على ملكهم بالمغرب
بعد حروب كبيرة ثم اجازوا البحر الى الاندلس وملكوا اكثر بلاد الاندلس و
ملك بنو مردنيش شرق الاندلس وملخص ذلك ان الاندلس كان ملكها
مجموعا للمتونة بعد خلعهم ملوك الطوايف فلما اشتغل المتونة في العدوة
بحرب الموحدين اضطربت عليهم الاندلس وعادت الى الفرقة بعض الشيء ثم خلص
اكثرها لعبد المؤمن وبنيه بعد حروب ومنها ما حصل بين عبد المؤمن وبين
ابن مردنيش وقائده ابن همشك بمحصر غرناطة وقد استعان ابن مردنيش
بالنصارى على الموحدين فهزمهم عبد المؤمن وقتلهم ابرح قتل واستخلص
غرناطة سنة سبع وخمسين وخمسمائة من يد ابن مردنيش وولي الامر بعد
عبد المؤمن ابنه يوسف واجاز الى الاندلس وكانت له مواقف في جهاد العدو
وولي بعده ابنه يعقوب المنصور الطائر الصيت وكانت له في النصارى
بالاندلس نكاية كبيرة ومن اعظمها غزوة الارك التي تضاهي وقعة الزلاقة
او تزيد والارك موضع بنواحي بطليوس وكانت سنة احدى وتسعين و
خمسمائة وغنم فيها المسلمون ما اعظم قدره وكان عدة من قتل من الفرنج
فيما قيل مائة الف وستة واربعين الفا وعدة الاسارى ثلاثين الفا وعدة
الخيام مائة الف وخمسون الف خيمة والخيل ثمانون الف والبغال مائة الف
والحمير اربعمائة الف جاء بها الكفار لحمل اثقالهم لانهم لا ابل لهم واما الجواهر و
الاموال فلا تحصى وبيع الاسير بدرهم والسيف بنصف درهم والفرس
بخمسة دراهم والحمار بدرهم وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضى

الشرع وجاء الفنش ملك النصارى الى طليطلة في اسوء حال قد حلق راسه ولحيته ونكس صليبه وآلى انه لا ينام على فراش ولا يقرب النساء ولا يركب فرسا ولا دابة حتى ياخذ بالثار وصار يجمع من الجزاير والبلاد البعيدة ويستعد ثم لقيه يعقوب وهزمه وساق خلفه الى طليطلة وحاصره ورمى عليها بالمجانيق وضيق عليها ولم يبق الا فتحها فخرجت اليه والدة الادفونش وبناته ونساؤه وبكين بين يديه وسالنه ابقاء البلد عليهن فرق لهن ومن عليهن بها ووهب لهن من الاموال والجواهر ما جل ورد من مكرمات وعفى بعد القدرة وعاد الى قرطبة فاقام شهرا يقسم الغنايم وجاءته رسل الفنش بطلب الصلح فصالحه وامن اهل الاندلس مدة وفيه

يقول بعض شعراء عصره

املنا ان يشجى لينه ويرتجى • ويرا من افضى البلاد على الرجا •
وقد غدا بالمكرمات مقلدا • وموشحا ومختما ومتوجا •
عمرت مقامات الملوك بذكره • وتعطرت منه الرياح تارجا •

ارسل له السلطان صلاح الدين ايوب شمس الدين بن منقذ يستنجد به على الفرنج الخارجين عليه بساحل البلاد المقدسة ولم يخاطبه بامير المومنين فلم يجبه الى ما طلبه وكل ذلك نسا فرحلوه بن منقذ بقوله من قصيدة

يقول فيها

سأترك يجر اذا عباب قطعته • الى بحر جود ما لاخراه ساحل •
الى معدن التقوى الى كعبة الندا • الى من سمت بالذكر منه الاوايل •
اليك امير المومنين ولم تزل • الى بابك المامول ترجى الرواحل •
قطعت اليك البر والبحر موقنا • بان نداك الغمر بالنجح كافل •
وحزت بقصدي بابك العلا فبلغني • وادني عطاياك العلا والفواضل •
فلا زلت للعليا وللجود بانيا • تبلغك الامال لما انت امل •
(مقطوع)

وعدتها اربعون بيتا فاعطاه لكل بيت الفا وقال انما اعطيناك لفضلك ولبيتك وكان عنوان الكتاب الذي ارسله صلاح الدين الى امير المسلمين وفي اوله الفقير الى الله تعالى يوسف بن ايوب وبعده من انشاء الفاضل الحمد لله الذي استعمل على الملة الحنيفية من استعمر الارض • واغنى من اهلها من ساله القرض واجرى من اجرى على يده النافلة والفرض • وزين سماء الملة بدراري الذراري التي بعضها من بعض • وهو كتاب طويل ساله فيه ان يقطع عنه مادة البحر واستنجده على الافرنج اذ كانت له البلد عليهم وعاد ابن منقذ من مدة الرسالة سنة ثمان وثمانين وخمسماية بغير فايدة وبعث معه هدية حقيرة

واما ابن

واما ابن منقذ فانه احسن اليه فاغناه لا لاجل صلاح الدين بل لبيته وفضله كما مر وما وقع من يعقوب في صلاح الدين انما هو لاجل انه لم يوفه حقه في الخطاب

(رجع)

استفحل امر الموحدين بالاندلس استعملوا الغزاة على الاندلس وكانوا يسمونهم السادات فانقسموا ولايتها بينهم ولهم مواقف في جهاد العدو مذكورة وكان صاحب الامر بمراكش يأتي الى الاندلس للجهاد وهزم يعقوب المنصور كما سبق قريبا بالارك ابن ادفونش ملك الجلالقة الهزيمة الشنعا واجاز ابنه الناصر لولي عهده البحر الى الاندلس من المغرب سنة تسع وستماية ومعه من الجنود ما لا يحصى حتى حكى بعض الثقاة من مورخي المغرب انه اجتمع معه من اهل الاندلس والمغرب ستماية الف مقاتل فمحص الله المسلمين بالموضع المعروف بالعقاب واستشهد منهم عدة وكانت سبب ضعف المغرب والاندلس اما المغرب فبخلاء كثير من قراه واقطاره واما الاندلس فبطلب العدو عليها لانه لما انبث من الموحدين بعد الناصر بن المنصور ديم انثري للسعادة بنواحي الاندلس كل في عمله وضعف ملكهم بمراكش فصاروا الى الاستجاشة بالطاغية بعضهم على بعض واسلام حصون المسلمين اليه في ذلك فمشت رجالات الاندلس واعقاب العرب منذ الدولة الاموية واجمعوا اخراجهم فثاروا به لحين واحد واخرجوهم وتولى كبر ذلك محمد بن يوسف بن هود الجذامي الثاير بالاندلس وابن مردنيش وثوار اخرون

ثم خرج على ابن هود

في دولته من اعقاب دولة العرب ايضا واهل نسبهم محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر وتلقب محمدها بالشيخ فجاذبه الحبل وكانت لكل واحد منهما دولة اورثها بنيه انتهى وكان ابن هود يخطب للعباس صاحب بغداد ثم حصلت لابن هود واعقابه حروب وخطوب الى ان كان اخرهم الواثق بن المتوكل فضا بعه الفنش والرشلوني فبعث بالطاعة لابن الاحمر فبعثت اليه ابن اشقيلوله وتسلم مرسيه منه وخطب لابن الاحمر بها ثم خرج منها راجعا الى ابن الاحمر فاوقع به النصارى في طريقه ورجع الواثق الى مرسيه ثالثة فلم يزل بها الى ان ملكها العدو من يده سنة ٦٦٨ وعوضه عنها حصنا يسمى يسر وهو من عملها فبقي فيه الى ان هلك وانقرضت دولة بني هود والله وارث الارض ومن عليها

اجمال لابن لسان الدين وزير احدهم ولانهم اخر ملوك الاندلس ومن بايديهم استولى النصارى على جميعها كما سنذكره

اصلهم من ارجونه من حصون قرطبة ولهم فيها سلف في ابناء الجند ويعرفون ببني نصر وينتسبون الى سعد بن عبادة سيد الخزرج وكان كبيرهم اخر دولة الموحدين نصر بن يوسف ابن نصر ويعرف بالشيخ واخوه اسماعيل وكانت لهم وجاهة في ناحيتهم ولما

فشل ريح الموحدين وانتزى الثوار بالاندلس واعطى السادة حصونها للطاغية
واستقل بامر الجماعة محمد بن يوسف بن هود الثائر بمرسية بدعوة العباسية
وتغلب على شرق الاندلس اجمع فتصدى للشيخ منذ الثورة عليه وبويع له
سنة تسع وعشرين وستماية ودعا لابي ذكريا صاحب افريقية واطاعته جيان
وشريش سنة ثلاثين بعدها واستظهر على امره بقرابته من بني نصر واصهاره
بني اشقيلولة ثم بايع لبني هود سنة احدى وثلاثين عندما بلغه خطاب الخليفة
من بغداد ثم ثار باشبيلية ابو مروان الباجي عند خروج ابن هود عنها ورجوعه
الى مرسية فداخله محمد بن الاحمر في الصلح على ان يزوجه ابنته فاطاعه ودخل
اشبيلية سنة اثنتين وثلاثين ثم فتك بابن الباجي فقتله وتناول البطش بيده
على ابن اشقيلولة ثم راجع اهل اشبيلية بعدها بشهر دعوة ابن هود واخرج
ابن الاحمر ثم تغلب على غرناطة سنة خمس وثلاثين بمداخلة اهلها حين ثار ابن
ابي خالد بدعوته فيها ووصلته بيعتهم وهو بجيان فقدم اليها على ابن اشقيلولة
ثم جاء على اثره ونزلها وابتنى بها حصن الحمراء لنزله ثم تغلب على مالقة ثم تناول
المرية من يد ابن الرميمي وزير ابن هود الثائر بها سنة ثلاث واربعين ثم بايعه
اهل لورقة سنة ثلاث وستين وكان ابن الاحمر اول امره وصل يده بالطاغية
استظهارا على امره فعضده واعطاه ابن هود ثلاثين حصنا في الفتنة بسبب
ابن الاحمر وليعينه على ملك قرطبة فتسلمها ثم تغلب على قرطبة سنة ٦٣٣ اعادها
الله ثم نازل اشبيلية سنة ٦٤٦ وابن الاحمر معه ثم دخلها صلحا وملك اعمالها
ثم ملك مرسية سنة ٦٥ ولم يزل الطاغية يقتطع ممالك المسلمين كورة
كورة وثغرا ثغرا الى ان الجا المسلمين الى سيف البحر ما بين رندة من المغرب الى
شرق الاندلس نحو عشرة مراحل من الغرب الى الشرق وفي قدر مرحلة او دونها
في العرض ما بين الجوف والبحر ثم سخط ابن الاحمر وطمع في الاستيلاء على سائر
الجزيرة فامتنعت عليه وتلاحق بالاندلس الغزاة من بني مرين وغيرهم وعقد
ملك المغرب يعقوب بن عبد الحق لنحو ثلاثة الاف منهم فاجازوا في
الستين وستماية وتقبل ابن الاحمر اجازتهم ودفع بهم في نحر عدوه ورجعوا ثم
تناسلوا اليه بعد ذلك ولم يزل الامر كذلك الى ان هلك الشيخ ابن الاحمر
سنة ٦٧١ وولي بعده محمد الفقيه ابن عبد الحق سلطان فاس والمغرب سنة ٧٢ فاجاب
صريخه وارسل ابنه وعساكره معه ثم اجاز على اثره وتسلم الجزيرة الخضراء
من يد ابن كان بها وجعلها ركابا للجهاد ونزل اليه ابن الاحمر عن طريف الى ما شاء من
الحصون وهزموا وابن الاحمر زعيم النصرانية دننه وفرق جمعه واوقع بجموع
الطاغية من كل جهة وبث سراياه وبعوثه في ارض النصرانية ثم خاف ابن

الاحمر

الاحمر على ملكه وصالح الطاغية ثم عاد انتهى كلام ابن خلدون ملخصا وثبتت
قدم عقب ابن الاحمر بالاندلس واستولوا على جميع ما بايدي المسلمين من ملكها
مثل الجزيرة وطريف ورندة التي كانت بيد بني مرين وتقدمت الى ملوك
النصارى سنة ٧١٩ على غرناطة وجاءها الطاغية دون بطره في جيش لا يحصى
ومعه خمسة وعشرون ملكا وكان من خبر هذه الواقعة ان الافرنج حشدوا
وجمعوا وذهب سلطانهم دون بطره الى طليطلة ودخل على مرجعهم الذي
يقال له البابا وسجد له وتضرع وطلب منه استيصال ما بقي من المسلمين
بالاندلس واكد عزمه فقلق المسلمون بغرناطة وغيرها وعزموا على الاستنجاد
بالمريني ابي سعيد صاحب فاس ونفذوا اليه رسلا فلم ينجح ذلك الدواء
فرجعوا الى اعظم الادوية وهو اللجا الى الله تعالى واخلصوا النيات و
اقبل الفرنج في جموع لا تحصى وفيهم ناصر من لا ناصر له سواه يهزم امم النصرانية
وقتل طاغيتهم دون بطره ومن معه وكان نصرا عزيزا ويوما مشهودا وكان
السلطان اذ ذاك بالاندلس الغالب بالله ابو الوليد اسماعيل بن الرئيس
ابي سعيد فرج بن نصر المعروف بابن الاحمر كبر بتحصين البلاد والثغور فلما بلغ
النصارى ذلك عزموا على منازلة الجزيرة الخضراء فانتدب السلطان ابن الاحمر
لحربهم وجهز الاساطيل والرجال فلما راوا ذلك طلبوا الطليطلة وعزموا
على استيصال بلاد المسلمين وتاهبوا لذلك غاية الاهبة ووصلت الانقال
والمجانيق والات الحصار والاقوات في المراكب ووصل العدو الى غرناطة وامتلات
الارض بهم فتقدم السلطان الى شيخ الغزاة الشيخ العالم ابي سعيد عثمان
ابن ابي العلا المريني بالخروج الى لقائهم بانجاد المسلمين وشجعانهم فخرج اليهم
يوم الخميس الموفي عشرين لربيع الاول ولما كانت ليلة الاحد اغارت سرية من
العدو على ضيعة من المسلمين فخرجت اليهم جماعة من فرسان الاندلس الرماة
فقطعوهم عن الجيش وفرت تلك السرية امامهم الى محلة سلطانهم فتبعهم
المسلمون الى الصبح فاستاصلوهم وكان هذا اول النصر ولما كان يوم الاحد ركب
الشيخ ابو سعيد لقتال العدو في خمسة الاف من ابطال المسلمين المشهورين فلما
شاهدهم الفرنج عجبوا من اقدامهم مع قلتهم في تلك الجيوش العظيمة فركبوا
وحملوا بجملتهم عليهم فانهزم الفرنج اقبح هزيمة واخذتهم السيوف وتبعهم المسلمون
يقتلون وياسرون ثلاثة ايام وخرج اهل غرناطة لجمع الاموال واخذ الاسرى
فاستولوا على اموال عظيمة منها من الذهب فيما قيل ثلاثة واربعون قنطارا
ومن الفضة مائة واربعون قنطارا ومن السبي سبعة الاف نفس حسبما كتب
بذلك بعض الغرناطيين الى الديار المصرية وكان من جملة الاسرى امراة الطاغية

واولاده فبدلت في نفسيهما مدينة طريف وجبل الفتح وثمانية عشرة حصنا
فيما حكى بعض المورخين فلم يقبل المسلمون ذلك وزادت عدة القتلى في هذه الحروب
على خمسين الفا ويقال انه هلك منهم بالوادي مثل هذا العدد لعدم معرفتهم
بالطرق والذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون وقتل الملوك الخمسة
والعشرون جميعهم واشتهر البيع في الاسرى والاسلاب والدواب سنة كاملة
ووردت البشاير بهذا النصر الى ساير البلاد ومن العجب انه لم يقتل من المسلمين
والاجناد سوى ثلاثة عشرة فارسا وقيل عشرة انفس وقيل كان عسكر الاسلام
نحو الف وخمسمائة فارسا والرجال نحو اربعة الاف رجل وقيل دون ذلك
وكانت الغنيمة تفوت الوصف وسلخ الطاغية دون بطره وحشي جلده قطنا
وعلق على باب غرناطة وبقي معلقا سنوات وطلبت النصارى الهدنة فعقدت
لهم وبعد ان ملكوا جبل الفتح الذي كان من اعمال سلطان فاس والمغرب وهو جبل
طارق فلم يزل الى ان ارتجعها امير المسلمين ابو الحسن المريني صاحب فاس والمغرب بعد ان
انفق عليه الاموال وصرف اليه الجنود بعد ان انفق عليه الاموال وانازله
جيوشه مع ولده وخواصته وضيقوا به الى ان استرجعوه لبيد المسلمين واهتم
ببنايه وتحصينه وانفق عليه احمال المال في بنايه وحصنه وسوره وابراجه
وجامعه ودروه ومخازنه ولما كاد يتم ذلك نازله العدو براً وبحراً فصبر
المسلمون وخيب الله سعي الكافرين فرد السلطان المذكور ان يحصن سفح الجبل
بسور يحيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع عدو في منازلته ولا يجد سبيلاً اليه
للتضييق عند محاصرته وراء الناس ذلك من المحال فانفق الاموال وانصف
العمال فاحاط بجموعه واحاطة الهالة بالهلال وكان بقاء هذا الجبل بيد العدو
نيفا وعشرين سنة وحاصره السلطان ابو الحسن سنة اشهر وزاد في تحصينه
ابنه السلطان ابو عنان ولما اجاز السلطان ابو الحسن المذكور الى الاندلس
واجتمع عليه ابن الاحمر وقابلهم الطاغية هزمهم في وقعة طريف واستولى
على الجزيرة الخضراء حتى قيض الله من بني الاحمر الغني بالله محمد الذي كان لسان
الدين بن الخطيب وزيره فاسترجعهما وجملة بلاد كجيان وغيرها وكانت له في
الجهاد مواقف مشهورة وامتد ملكه واشتد حتى حاد دولة سلاطين فاس
مما وراء البحر وملك جبل الفتح ونصر الله الاسلام على يديه كما ستقف عليه في بعض
مكاتبات لسان الدين رحمه الله في مواضع من هذا الكتاب وسعد هذا الغني
بالله من العجايب وبقي ملك الاندلس في عقبه الى ان اخذ ما بقي من الاندلس
العدو الكافر واستولى على حضرة الملك غرناطة اعادها الله للاسلام كما
نبين ذلك ان شاء الله وخلت جزيرة الاندلس من اهل الاسلام وابدلت من

النور

النور الى الظلام حسبما اقتضته الاقدار النافذة والله وارث الارض ومن
عليها وهو خير الوارثين
بنوا الاحمر سلاطين غرناطة يجعلون
مشيخة الغزاة لواحد من اقارب بني مرين سلاطين المغرب لانهم اووا الى الاندلس
عند استيلا بني عمهم على ملك المغرب لما بينهم من المنافسة وكان لهولاء في
الجهاد مواقف مشهورة ما كتب على قبر شيخ الغزاة عثمان بن ابي العلا السابق
عند ذلك على ما ذكرناه
هذا قبر شيخ الحماة وصدر الابطال الكماه
واحد الجلالة ليث الاقدام والبسالة علم الاعلام حامي ذمار الاسلام صاحب
الكتايب المنصورة والافعال المشهورة والمغازي المسطورة وامام الصفوف
القايم بباب الجنة تحت ظلال السيوف سيف الجهاد وقاصم الاعادي واسد
الاساد العالي الهمم والثابت القدم الهمام المجاهد الارضى البطل الباسل
الامضى المقدس المرحوم ابي سعيد عثمان بن الشيخ الجليل الهمام الكبير الاصيل
الشهير المقدس المرحوم ابي العلى ادريس بن عبد الله بن عبد الحق كان عمره ثمانيا
وثمانين سنة انفقها ما بين روحة في سبيل الله وغدوة حتى استوفى في المشهور
سبعماية واثنين وثلاثين غزوة وقطع عمره مجاهدا مجتهدا في طاعة الرب
محتسبا في ادارة الحرب ماضي العزايم في جهاد الكفار مضادا ما بين جموعهم
بدفق التيار وصنع الله له فيهم من الصنايع الكبار ما صار ذكره في الاقطار
اسهر من المثل السيار حتى توفي رحمه الله وغبار الجهاد ظلي ثوابه وهو مراقبة
لطاغية الكفار واحزابه ثبات على ما عاش عليه وفي ملحمة الجهاد قبضه الله اليه
واستاثر به سعيدا مرتضى وسيفه على راس ملك الروم منتضى مقدمة قبول
واسعاد ونتيجة جهاد وجلاد ودليلا على نيته الصالحة وتجارته الراجحة
فارقت الاندلس لبعده اتحفه الله رحمة من عنده توفي يوم الاحد الثاني لذي
الحجة من عام ثلاثين وسبعماية انتهى
لسان الدين بن الخطيب رحمه
الله في تولية علي بن بدر الدين مشيخة الغزا اما بعد هذا
فتح على الاسلام ابواب السرا وراق طراز امد مبنا على عاتق المدونه
القرا واعمل عوامل الجهاد في طاعة رب العباد شارعة لاهل الكفر والعناد
من باب الاعمال والاغرا امر به فلان نصر صدورا واداله وحسامه المشهور على
اعدايه ووليه الذي جبر صدقه وفايه وحلي في مضمار الخلوص له معبرا في وجوه الكفار
شيخ شيوخ المجاهدين وقايد كتايبه المنصوره الى غزوة الكافرين والمعتدين
وعثرته التي يدافع بها عن الدين وسابق وده المبرز في الميادين الشيخ الاجل الى
اخره الخ ما وصفه به مما فاق الوقت عن مثله والله ولي التوفيق
وجامعها الاموي ذي البدايع الباهرة والاماع بحضرتي الملك الناصرة

الزهرا والعامرية الزاهرة ۰ ووصف جملة من منتزهات تلك الاقطار ومصانعها
ذات المحاسن الباطنة والظاهرة ۰ وما يجر اليه شجون الحديث من امور تقتضي
بحسن ادا ما الغرائب الوفادة ۰ والافكار الماهرة ۰ رحمه الله مملكة
قرطبة في الاقليم الرابع وابا لنه للشمس وفي هذه المملكة معدن الفضة الخالصة في
قرية كرتش ومعدن الزيبق والزنجفر في بلد بسطاسه ولاجزائها خواص
مذكورة في متفرقاتها وارضها ارض كريمة للنبات انتهى وقدم رحمه الله في المغرب
الكلام عليها على ساير اقطار الاندلس وقال لانها قدمنا هذه المملكة
وتعلمونها في ثلاثة اقطاب اذا رواتها خلافتهم قرطبة والزهرا والزاهرة
وانما اتخذوها لهذا الشان طرا ولما لذلك املا وقرطبة اعظم علما واكثر فضلا
بالنظر الى غيرها من الممالك لا انها الحضارة العظيمة والدولة المتوارثة فيها
ثم قسم ابن سعيد كتاب الحلة المذهبة في حلى مملكة قرطبة بالنظر الى الكور الى
احد عشر كتابا الكتاب الاول كتاب الحلة الذهبية في حلى الكورة القرطبية
الكتاب الثاني كتاب الدرر المصونة في حلى كورة بلكونة ۰ الكتاب الثالث كتاب
محادثة السير في حلى كورة القصير الكتاب الرابع كتاب الوشي المصور في حلى كورة
المدور الكتاب الخامس كتاب نيل المراد في حلى كورة مراد ۰ الكتاب السادس
كتاب المزنة في حلى كورة كزنة الكتاب السابع كتاب الدرة الفائقة في حلى كورة
غافق الكتاب الثامن كتاب النفحة الارجة في حلى كورة استجة ۰ الكتاب
التاسع كتاب الكواكب الدرية في حلى الكورة القبرية الكتاب العاشر كتاب رقة
المحبة في حلى كورة استبة ۰ الكتاب الحادي عشر كتاب السوسانة في حلى كورة
اليسانة انتهى رحمه الله ان العمارة اتصلت في مباني قرطبة والزهراء
والزاهرة بحيث انه كان يمشي فيها لضوء السراج المتصلة عشرة اميال حسبما
ذكره الشقندي في رسالته ثم قال ولكل مدينة من مدن قرطبة واعمالها ذكر
تختص به ۰ ثم ذكر المسافات التي بين ممالك قرطبة المذكورة فقال بين المدور
وقرطبة ستة عشر ميلا ۰ وبين قرطبة ومراد خمسة وعشرون ميلا وبين قرطبة
والقصير ثمانية عشر ميلا ۰ وبين قرطبة وغافق مرحلتان ۰ وبين قرطبة واستبة
ستة وثلاثون ميلا ۰ وبين قرطبة وبلكونة مرحلتان ۰ وبين قبرة واليسانة
اربعون ميلا ۰ وبين قرطبة وقبرة ثلاثون ميلا ۰ وبين قرطبة وبيانة مرحلتان
وبين قرطبة واستجة ثلاثون ميلا وكورة زندة وكانت في القديم من عمل قرطبة
ثم صارت من مملكة اشبيلية وهي اقرب وادخل في المملكة الاشبيلية انتهى
رحمه الله كتاب الحلة الذهبية في حلى الكورة القرطبية الى خمسة كتب
الكتاب الاول كتاب النعم المطربة في حلى حضرة قرطبة ۰ الكتاب الثاني كتاب الصبح

الزا

العرة في حلى حضرة الزهرا الكتاب الثالث كتاب البدايع الباهرة في حلى حضرة
الزاهرة ۰ الكتاب الرابع كتاب الوردة في حلى مدينة شقندة الكتاب الخامس كتاب
الجرعة السعة في حلى قرية وزعة
رحمه الله في كتاب النعم المطربة
في حلى حضرة قرطبة ۰ ان حضرة قرطبة احدى عرايس ممالكها وفي اصطلاح الكتاب
ان للعروس الكاملة الزينة منصة وهي تختص بما يتعلق بذكر المدينة في نفسها
وتاج وهو مختص بالاماكن السلطانية ۰ وسلك وهو مختص باصحاب رد الكلام
من النثار والنظام ۰ وحلة وهي مختصة باعلام العلما المصنفين الذين ليس لهم
نظم ولا نثر ولا يجب اهمال تراجمهم واهداب وهي مختصة باصحاب فنون الهزل
وما يجري مجراه انتهى ثم فصل رحمه الله ذلك كله بما تقدمت منه الاجزا وقد
لخصت منها بعض ما ذكر ثم اردف فيه بكلام غيره
في كتاب اخبار قرطبة بالظاء المعجمة ومعناه اجرسا كنها بغى اعرب بالطاء
ثم قال ودور مدينة قرطبة ثلاثون الف ذراع انتهى وقال غيره ان تكسير
مساحتها التي دار السور عليها دون الارباض طولا من القبلة الى الجوف الف
وستمائة ذراع واتصلت العمارة بها ايام بني امية ثمانية فراسخ طولا وفرسخين
عرضا وذلك من الاميال ٢٤ في الطول والعرض ستة وكل ذلك ديار وقصور
ومساجد وبساتين بطول صفة الوادي المسمى بالوادي الكبير وليس في الاندلس
واد يسمى باسم عربي غيره ولم تزل قرطبة في الزيادة منذ الفتح الاسلامي الى سنة ٤٠٠
فانحطت واستولى عليها الخراب بكثرة الفتن الى ان كانت الطامة الكبرى عليها
باخذ العدو والكافر لها في ٢٣ شوال سنة ٦٣٣ ثم قال وهذا القايل ودور قرطبة
اعني المسور منها دون الارباض ثلاثة وثلاثون الف ذراع ومائة ذراع انتهى وعدد
ارباضها احدى وعشرون في كل ربض منها من المساجد والاسواق والحمامات ما يقوم
باهله ولا يحتاجون الى غيره وبخارج قرطبة ثلاثة الاف قرية في كل واحدة منبر
وفقيه مقلص تكون الفتيا في الاحكام والشرايع وكان لا يجعل القلانص عندهم
على راسه الا من حفظ الموطا وقيل من حفظ عشرة الاف حديث عن النبي صلى الله عليه
وسلم وحفظ المدونة وكان هولاء المقلصون المجاورون والمجاورون لقرطبة
ياتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ويسلمون عليه ويطالعونه باحوال
بلدهم انتهى قال وانتهت جباية قرطبة ايام ابن ابي عامر الى ثلاثة الاف الف دينار
بالانصاف وقد ذكرنا في موضع اخر ما فيه مخالفة لهذا فالله اعلم وما احسن قول
بعضهم ۰ دع عنك حضرة بغداد وبهجتها ۰ ولا تعظم بلاد الفرس والصين ۰
۰ فما على الارض قطر مثل قرطبة ۰ وما مشى فوقها مثل ابن حمدين ۰
قرطبة قاعدة الاندلس ودار الملك التي يجبى ثمرات كل جهة وخيرات كل ناحية

واسطه بين الكور مرفقة على النهر زاهرة مشرفة قد احدقت بها المنى تحسن مراما و
طاب جنا ماء وفي كتاب فرحة الانفس لابن غالب امام قرطبة فانه اشير بيحوا الى
لفظ اليونانيين وتاويله القلوب المشككة وقال ابو عبيد البكري انها في لفظ
القوط ما لفظا المعجمة وقال الحجاري الضبط فيها باتمام الطاء وضمها وقد يكسر
المشرفون في الضبط كما يعجمها اخرون انتهى وقال بعض العلما اما قرطبة فهي
قاعدة الاندلس وقطبها وقطرها الاعظم وام مدائنها ومساكنها ومستقر
الخلفا ودار المملكة في النصرانية والاسلام ومدينة العلم ومقر السنة والجماعة
نزلها جملة من التابعين وتابعي التابعين ويقال نزلها بعض من الصحابة وفيه كلام وهي مدينة
عظيمة ازلية من بنيان الاوايل طيبة الماء والهوى احدقت بها البساتين و
الزيتون والقرى والحصون والمياه والعيون من كل جانب وبها المحرث العظيم
الذي ليس في بلاد الاندلس مثله ولا اعظم منه بركة وقال الرازي قرطبة ام المدائن
وسرة الاندلس وقرار الملك في القديم والحديث والجاهلية والاسلام ونهرها
اعظم انهار الاندلس وبها القنطرة التي هي احدى غرايب الارض في الصنعة والاحكام
والجامع الذي ليس في بلاد الاندلس والاسلام اكبر منه
وهي اعظم مدينة بالاندلس وليس بجميع المغرب لها عندي شبيه في كثرة الاهل وسعة
محل وفسحة اسواق ونظافة محال وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق
ويزعم قوم من اهلها انها كاحد جانبي بغداد وان لم تكن كاحد جانبي بغداد فهي
قريبة من ذلك ولاحقة به وهي مدينة حصينة ذات سور من حجارة ومحال
حسنة وفيها كان سلاطينهم قديما ودورهم داخل سورها المحيط بها واكثر
ابواب القصر السلطاني من البلد وجنوب قرطبة على نهرها قال وقرطبة
مدة نايية عن ساكن رياضها ظاهرة ودرت بها في غير يوم في قدر ساعة وقد تقطع
الشمس خمس عشرة درجة ماشية كانت قرطبة في الدولة ولها
كانت الرحلة المروانية قبة الاسلام ومجتمع اعلام الانام بها استقر سرير الخلافة
المروانية وفيها تمخضت خلاصة القبايل المعدية واليمانية واليها كانت
الرحلة في رواية الشريعة والشعر وكانت مركز الكرما ومعدن العلما ولم تزل
تملا الصدور منها والحقايق وبيا ريحها اصحاب الكتايب ولم تبرح ساحتها
مجرجوا الى مجرى سوابق ومحط معالي وحمى حقايق وهي من بلاد الاندلس بمنزلة
الراس من الجسد والزور من الاسد ولها الداخل الفيح والخارج الذي يمنع البصر
بامتداده فلا تزال مستنزها ومومن نزددا للنظر طلح
حضرة قرطبة منذ استفتحت الجزيرة هي كانت منتهى الغاية ومركز الراية و
ام القرى وقرارة اولي الفضل والتقى ووطن اولي العلم والنهى وقلب

الاقليم

الاقليم وينبوع متفجر العلوم ومركز الراية وقبة الاسلام وحضرة الامام
ودار صواب العقول وبستان ثمر الخواطر وبحر درر القرايح ومن افقها طلعت
نجوم الارض واعلام العصر وفرسان النظم والنثر وبها انشئت التاليفات
الرايقة وصنفت التصنيفات الفايقة والسبب في تبرز القوم حديثا
وقديما على من سواهم ان افقهم القرطبي لم يشتمل قط الا على البحث والطلب
لانواع العلم والادب انتهى قال علي بن سعيد اخبرني والدي ان السلطان
الاعظم ابا يعقوب بن عبد المومن قال لوالده محمد بن عبد الملك بن سعيد
ما عندك في قرطبة قال فقلت له ما كان لي ان اتكلم حتى اسمع مذهب امير المومنين
فيها فقال السلطان ان ملوك بني امية حين اتخذوها حضرة ملكهم لعلى بصيرة
الديار الكثيرة المتفسحة والشوارع المتسعة والمباني الضخمة والنهر الجاري
والهوا المعتدل والخارج النضر والمحرث العظيم والشعرى الكافية والتوسط
بين شرق الاندلس وغربها قال فقلت ما ابقى لي امير المومنين ما اقول
ثم قال ابن سعيد ومن كلام والدي في شانها هي من احسن بلاد الاندلس مباني
واوسعها مسالك وابرعها ظاهرا وباطنا وتفضل اشبيلية بسلامتها في
فصل الشتا من كثرة الطين ولامتها رياسة وقال لي ان السخفا لعالم منوا تبرتم
فيهم الى ان عامتها اكثر الناس فضولا واشدهم تشنيعا وتشغيبا ويضرب بهم
المثل ما بين اهل الاندلس في القيام على الملوك والتشنيع على الولاة وقلة الرضى
بامورهم حتى ان السيد ابا يحيى بن ابي يعقوب بن عبد المومن لما انفصل عن ولايتها
قيل له كيف وجدت اهل قرطبة قال مثل الجمل ان خففت عنه الحمل صاح وان اثقلته
صاح ما تدري اين رضاهم فتقصده ولا اين سخطهم فتجتنبه وما سلط الله عليهم
حجاج الفتنة حتى كان عامتها شرا من عامة العراق وان العزل عنها لما قاسيت
من اهلها عندي ولاية واني ان كلفت العود اليها لقايل لا يلدغ المومن من جحر مرتين
قال والدي ومن محاسنها ظرف اللباس والتظاهر بالدين والمواظبة على
الصلاة وتعظيم اهلها لجامعها الاعظم وكسر اواني الخمر حيث ما وقع عين احد من
اهلها عليها والتستر بانواع المنكرات والتفاخر باصالة البيت وبالجندية
وبالعلم وهي اكثر بلاد الاندلس كتبا واشد الناس اعتنا بخزاين الكتب صار ذلك
عندهم من الات التعين والرياسة حتى ان الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة
يحتفل في ان تكون في بيته خزانة كتب وينتخب فيها ليس الا لان يقال فلان عنده
خزانة كتب والكتاب الفلاني ليس هو عند احد غيره والكتاب الذي هو بخط
فلان قد حصله وظفر به قال الحضرمي اقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها
مدة اترقب فيه وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتنا الى ان وقع وهو بخط جيد

وتفسير مليح ففرحت به اشد الفرح فجعلت ازيد في ثمنه فيرجع الي المنادي
بالزيادة علي الى ان بلغ فوق حده فقلت له يا هذا ارني من يزيد في هذا الكتاب
حتى بلغه ما لا يساوي قال فاراني شخصا عليه لباس رياسة فدنوت منه
وقلت له اعز الله سيدنا الفقيه ان كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك
فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده قال فقال لي لست بفقيه ولا ادري
ما فيه ولكني اقمت خزانة كتب واحتفلت فيها لاتجمل بها بين اعيان البلد و
فيها موضع يسع هذا الكتاب فلما رايته حسن الخط جيد التجليد استحسنته
ولم ابال بما ازيد فيه والحمد لله على ما انعم به من الرزق فهو كثير قال الحضرمي
فاحرجني وحملني على ان قلت له نعم لا يكون الرزق كثيرا الا عند مثلك يعطى
الجوز من لا عنده اسنان وانا الذي اعلم ما في هذا الكتاب واطلب الانتفاع
به يكون الرزق عندي قليلا وتحول قلة ما بيدي بيني وبينه **قال**
ابن سعيد وجرت مناظرة بين يدي منصور بن عبد المومن بين الفقيه العالم
ابي الوليد بن رشد والرئيس ابي بكر بن زهر فقال ابن رشد لابن زهر في كلامه
ما ادري ما تقول غير انه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة
حتى تباع فيها واذا مات مطرب بقرطبة فاريد بيع تركته حملت الى اشبيلية
ابن بشكوال قطر قرطبة قال هو قطر اولى بنا ولنا ملوك الامم
من لدن عهد موسى النبي صلى الله على نبينا وعليه السلام وفيه من المباني والاولية
والاثار العجيبة لليونانيين ثم للروم والقوط والامم السالفة ما يعجز الوصف
ثم ابتدع الخلفا من بني مروان منذ فتح الله عليهم الاندلس بما فيها في قصورها
البدايع الحسان واثروا فيها الاثار العجيبة والرياض المونقة واجروا فيها المياه
العذبة المجلوبة من جبال قرطبة على المسافات البعيدة وتمونوا المون الجسيمة
حتى اوصلوها الى القصر المكرم واجروها في كل ساحة من ساحاته وناحية من نواحيه
في قنوات الرصاص يوديها منها الى المصانع صور مختلفة الاشكال من الذهب
الابريز والفضة الخالصة والنحاس المموه الى البحيرات الهايلة والبرك البديعة
والصهاريج الغريبة في احواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة قال وفي هذا
القصر القباب العالية السمو المنيعة العلو التي لم ير الراوون مثلها في مشارق
الارض ومغاربها ومن قصوره المشهورة وبساتينه المعروفة الكامل
والمجدد وقصر الحاير والروضة والزاهر والمعشوق والمبارك والرشيق وقصر
السرور والتاج والبديع قال ومن ابوابه التي فتحها الله للمتظلمين
وغياث الملهوفين والحكم بالحق الباب الذي عليه السطح المشرف الذي لا نظير له
في الدنيا على هذا الباب باب حديد وفيه حلقة لاطون قد اثبتت في قواعدها

وقد

وقد صورت صورة انسان فتح فمه وهي حلق باب مدينة اربونة من بلد الافرنج
وكان الامير محمد قد افتتحها فجلب حلقها الى هذا الباب وله باب قبلي ايضا
وهو المعروف بباب الجنان وقدام هذين البابين المذكورين على الرصيف
المشرف على النهر الاعظم مسجدان مشهوران بالافضل كان الامير هشام
الرضي يستعمل الحكم في المظالم فيهما وابتغاء ثواب الله الجزيل وله باب ثالث يعرف
بباب الوادي وله باب شمالي يعرف بباب يعرف بعوره وله باب رابع يدعى بباب
الجامع وهو باب قديم كان يدخل منه الخلفا يوم الجمعة الى المسجد الجامع على الساباط
وعدد ابوابا بعد هذا طمست ايام فتنة المهدي بن عبد الجبار **وذكر**
ابن بشكوال رحمه الله ان ابواب قرطبة سبعة باب القنطرة الى جهة القبلة ويعرف
بباب الوادي وبباب جزيرة الخضرا وهو على النهر وباب الحديد ويعرف بباب سرقسطة
وباب ابن عبد الجبار وهو باب طليطلة وباروميه وفيه تجتمع الثلاثة الوصف
التي تشق ابرة الارض من جزيرة قادس الى قرمونة الى قرطبة الى سرقسطة الى طركونة
الى اربونة مارة في الارض الكبيرة ثم باب طليرة وهو ايضا باب ليون ثم باب
عامر القرشي وقدامه المقبرة المنسوبة اليه ثم باب الجوز ويعرف بباب بطليوس
ثم باب العطارين وهو باب اشبيلية انتهى وذكر ايضا ان عدد ارباض قرطبة
عند انتهايها في التوسع والعمارة احدى وعشرون ربضا منها القبلية بعدوة
النهر ربض شقندة وربض منية عجب **واما** الغربية فتسعة ربض حوانيت الريحاني
وربض الرقاقين وربض مسجد الكهف وربض بلاط مغيث وربض مسجد الشفا
وربض حمام الالبيري وربض مسجد مسرور وربض الروضة وربض السجن القديم
واما الشمالية فثلاثة ربض باب اليهود وربض مسجد ام سلمة وربض الرصافة
وارباض الشرقية سبعة ربض ربض شبلار وربض فرن برئيل وربض البرج وربض
منية عبد الله وربض منية المغيرة وربض الزاهرة وربض المدينة العتيقة
قال واوسط هذه الرباض قصبة قرطبة التي تختص بالسور دونها وكانت
هذه الرباض دون سور فلما كانت ايام الفتنة صنع لها خندق يدور بجميعها
وحايط مانع وذكر ابن غالب انه كان دور هذا الحايط اربعة عشر ميلا وشقندة
معدودة في المدينة لانها مدينة قديمة كانت مسورة
في المغرب والتذكرات من متنزهات قرطبة ومعاهدها المذكورة في الالسن
نظما ونثرا ما انتهى اليه الضبط من غير تغلغل في غير المشهور منها والاهم وكنى
ذلك بجمع ما حضرني من مختار النظم في قرطبة وما تحتوي عليه نظا فمنها المذكور فاول
ما نذكر من المتنزهات منتزه الخلفا المروانية وهو قصر الرصافة
كان مما ابتناه عبد الرحمن بن معاوية في اول ايامه لتنزهه وسكناه اكثر اوقاته

منية الرصافة التي اتخذها بشمال قرطبة منحرفة الى الغرب فاتخذ بها قصرا حسنا
ودحا بها جنانا واسعة ونقل اليها غرايب الغروس حتى نمت بيمن الجد وحسن التربية
في المدة القريبة اشجارا معتمة اثمرت بغرايب من الفواكه انتشرت عما قليل بارض
الاندلس فاعترف بفضلها على انواعها قال وسماها باسم رصافة جده هشام
بارض الشام الاثيرة لديه واستثله في اجتناء رصافته ملذة وكلفه بها وكثرة
تردده عليها وسكناه اكثر اوقاته فيها قطار لها الذكر في ايامه واتصل من
بعده في ايامهم قال وكلهم فضلها وزاد في عمارتها واستوى اوصاف
الشعرا لها فتناغوا في ذلك فيها هو الى الان ما تورعهم مستجادهم منها قال
ابو سعيد والرمان السفري الذي فاض على ارجاء الاندلس وصاروا لا يفضلون
عليه سواه اصله من هذه الرصافة وقد ذكر ابن حيان شانه وافرد له فصلا
فقال انه الموصوف بالفضيلة المقدم على اجناس الرمان بعذوبة الطعم ورقة
العجم وغزارة الماء وحسن الصورة وكان رسوله الى الشام عن توصيل اخته
منها الى الاندلس قد جلب طرايف فيها من رمان الرصافة المنسوبة الى هشام
قال فعرضه عبد الرحمن على خواص رجاله مباهيا به وكان فيمن حضر منهم
سفر بن عبيد الكلاعي من جند الاردن ويقال انه من الانصار الذين كانوا يحملون
الوية رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزواته قال ولم يحملون الالوية بين يدي
الخلفا بني امية فاعطاه من ذلك الرمان جزءا فراقه حسنه وخبره فسار به الى
قرية بكورة رية فعالج عجمه واصاب الغرسة وغذا به وتنقيله حتى طلع شجرا
اثمر وايتع فزع الى عرقه واغترب في حسنه فجاء به عما قليل الى عبد الرحمن فاذا
هو اشبه شي بذلك الرصافي فسأله الامير عنه فعرفه وجه حيلته فاستبرع
استنباطه واستنبل همته واشكر نعمه واجزل صلته واغترس منه بمنية
الرصافة وبغيرها من جناته فانتشر نوعه واستوسع الناس في غراسه ولزم
النسب اليه فصار يعرف الى اليوم بالرمان السفري قال وقد وصف هذا الرمان
احمد بن فرح الشاعر في ابيات كتبها الى بعض من اهداه له فقال

• ولابسة صدفا احمرا • اتتك وقد ملئت جوهرا •
• كانك فاتح حق لطيف • تضمن مرجانه الاحمرا •
• حبوبا كمثل لثات الحبيب • رضابا اذا شئت او منظرا •
• وللسفر تعزى وما سافرت • فتشكو النوى او تقاسي السرى •
• بلى فارقت ايكها ناعما • رطيبا واغصانها نضرا •
• ومعناصنة اذا اتتك • باكرم من عودها عنصرا •
• بعود ترى فيه ما الندى • ونور وفي قبل ان يثمرا •

هدية

• مدينة من لوعة نفسه • مدينة ظنه قصرا •
قال ابن سعيد واخبرني والدي قال اخبرنا الوشاح المسور المحسن ابو الحسن المريني قال
بينما انا اشرب مع ندماي في ازاء الرصافة اذا بشاب رث الهيئة مخلوع الطلعة
قد جاء يجلس معنا فقلنا له ما هذا الاقدام على الجلوس معنا دون سابق معرفة
فقال لا تعجلوا علي ثم فكر قليلا ورفع راسه فانشدنا

• سقيها ازاء قصر الرصافة • واعتبر فيما للامر الخلافة •
• وانظر الافق كيف بدل رضا • كي يطيل اللبيب فيه اعترافه •
• ويرى ان كل ما هو فيه • من نعيم وغيره مر سخافة •
• كل شي رايته غير شي • ما خلا لذة الهوى والسلافة •

قال المريني فقبلت راسه وقلت له بالله من يكون قال قاسم بن محمود الرياحي
الذي زعم الناس انه موسوس احمق قال فقلت له ما هذا شعر احمق وانا العقلا
لنتجر عنه فبالله ما تممت مسرتنا بمؤانستك وصادمتك وما شاء ظرف
اشعارك فنادم وانشد وما زلنا معه في طيبة عيش الى ان ودعناه وهو يلازم
مع الحيطان شكرا ويقول اللهم غفرا انتهى

قصور خارج قرطبة

قصر السيد ابي يحيى بن ابي يعقوب بن عبد المومن وهو على متن النهر الاعظم
بحمله اقواس وقيل للسيد كيف تانقت في بنيان هذا القصر مع انحرافك عن اهل
قرطبة فقال علمت انهم لا يذكرون والينا بعد عزله ولا لهم عندهم قدر الا بما بقي
في رؤوسهم من الخلافة المروانية فاحببت ان يبقى لي في بلادهم اثر اذكر به على رغمهم
قال ابن سعيد واخبرني والدي ان ابا محمد بن ادريس شاعر وادي اش في
عصره انشده لنفسه في هذا القصر فقال

• الا حبذا القصر الذي ارتفعت به • على الماء من تحت الحجارة اقواس •
• هو المصنع الاعلى الذي انف الثرى • ورفعه عن لمسه المجد والباس •
• فاركب متن النهر عزا ورفعة • وفي موضع الاقدام لا يوجد الراس •
• فلا زال معمور الجناب وبابه • بعصو حلتا فقد الدهر اغراس •

قال الفتح في قلائده لما ذكر الوزير ابن عمار ونزهه بدمشق قرطبة
وهو قصر شيده بنو امية بالصفاح والعمد وجرى في اتقانه الى غير امد وابدع
بناوه ونمقت ساحاته وفناوه واتخذوه ميدان مراحهم ومضمار افراحهم
وحلوا به قصرهم المشرف واطلعوه كالكوكب المشرق وانشد فيه ابن عمار

• كل قصر بعد الدمشق يذم • فيه طاب الجنى ولذ المشم •
• منظر رايق وماء نمير • وثرى عاطر وقصر اشم •
• بت فيه والليل والفجر عندي • عنبر اشهب ومسك احم •

ومنية منسوبة الى عثمان المصحفي وذكر الحجاري في المسهب ان الوزير ابي بكر محمد
ابن احمد بن جعفر المصحفي لحنا زمام المنية المصحفية التي كانت لجده ايام حجابته
للخليفة الحكم المستنصر فاستعبر حين تذكر ما آل به حال جده مع المنصور بن
ابي عامر واستيلائه على ملكه واملاكه **فقال**

قف قليلا بالمصحفية واندب • مقلة اصبحت بلا انسان •
واسألنها عن جعفر وسطاه • ونداه في سالف الازمان •
جعفر مثل جعفر حكم الدهر عليه بعزة وهوان •
وكم حذرا الردي فضمتها • لا امان لصاحب السلطان •
بينما تعتلي عداها فضامته الكنتاب ككفة الميزان •

ومنية الزبير منسوبة الى الزبير بن عم الملثم ملك قرطبة قال ابن سعيد
اخبرني والدي عن ابيه قال خرج معي الى منية المنية في زمان فتح النوار
ابو بكر بن بقي الشاعر المشهور فجلسنا تحت سطر من اشجار اللوز قد نورت
فقال ابن بقي **شعر**

سطرا للوز في البستان قابلني • ما زاد شيء على شيء ولا نقصا •
كانما كل غصن كم جاريتة • اذا النسيم ثنى اعطافه رقصا •

ثم قال شعرا منه

عجبت لمن ابقى على خمر دنه • غداة راى لون الحديقة نورا •

ولا اذكر بقية الابيات **قال** جرى ثم اجتمعت به بعد ذلك بغرناطة
فذكرته باجتماعه في منية الزبير فتنهد وتفكر ساعة وقال اكتبوا عني

فقال

سقى الله بستان الزبير ودام في • ذراه مسيل النهر ما غنت الورق •
فكاين لنا من نعمة في جنابه • كبرد تحصرا طالعهما طلق •
هو الموضع الزاهي على كل موضع • اما ظله صاف اما ماؤه دفق •
امنيم به في حالتي القرب والنوى • ويحلو لعيني التذكر والعشق •
ومن ذلك النهر الخفوق فؤاده • بقلبي ما غيبت عن وجهه خفق •

قال فقلت له جمع الله بينك وبينه على الحالة التي تشتهي فقال ذلك
لله قلت وكيف قال تدفع هذا السيف الذي تقلدت به ان تزود منه اليه
وانفق الباقي فيه على ما تعلم قال فقلت هذا سيف شرفني به السلطان
ابو زكريا بن غانية وما لعطائه سبيل ولكن اعطيك قيمته تخرج واني تبحث
بغرفته السيوف تقدره وجعل يقول انه سيف السلطان ابن غانية
ليعظم قدره في عينه فيزيد في قيمته ثم قبض ما قدر به وانشد ارتجالا يقول

اطال

اطال الله عمر فتى سعيد • وابقاه ورقته السعود •
غدا لي جوده سببا لعودي • الى وطني فها انا ذا اعود •
وانتم كفة شكرا وتيلو • طرق بغى اى نعماه النشيد •
حبا بي من ذخايره بسيف • به لم يبق للاحزان جيد •

والقصر الفارسي من القصور المقصودة للنزاهة بخارج قرطبة وقد ذكره
الوزير ابو الوليد بن زيدون في قصيدة ضمنه من متنزهات قرطبة ما تقف عليه
وكان قد فر من قرطبة امام بني جهور لحضره في حزازه عند ذكره باعياده في وطنه
ومعاهده الانسية مع ولادة التي كان يهواها ويتغزل فيها فقال

خليلي لا فطر يسير ولا اضحى • فما حال من امسى مشوقا كما اضحى •

وسيأتي بقية القصيدة في هذا الباب كما سيأتي قصيدة ابي القاسم بن هشام
القرطبي التي اولها • يا منية بالكوت بين نخود اربين • وفيها كثير من متنزهات
قرطبة قال ابن سعيد كان والدي كثيرا ما يامرني بقراتهما عليه ويقول والله
لقد نابت عن فضل لهذا الرجل قال وكان ابو يحيى الحضرمي يحفظها ويزين بها
مجالسه ويحلف ان لا ينشدها بمحضر جاهل لا يفهم او حاسد لا ينصف في الامتزاج
لها وانه جدير بذلك فانها من كنوز الادب ثم قال والمرج النضير المذكور بها
هو مرج الخز **اخبرني** والدي انه حضر في زمان الصبا بهذا المرج على راحة
ومعه الرئيس الفاضل ابو الحسن الوزير ابي جعفر الوقشي والمسن بن دوربده
المشهور بخفة الروح قال فسحبت امامنا اوزوجة لت تمرح وتنثر ما عليها
من الماء فوق المرج والمرج قد احدق به الوادي والشمس قد مالت عليه للغروب
فقال لي ابو الحسن بالله صف يومنا وحسن هذا المنظر فقلت لا اصفه وتصفه
انت فقال ولك مني ذلك فافكر كل منا على انفراد ثم ذكرنا ما نصف نثرا
فقال ابو الحسن الوقشي

لله يوم بمرج الخز طاب لنا • فيه النعيم بحيث الروض والنهر •
وللاوز على ارجائه لعب • اذا جرت بدرت ما بيننا الدرر •
والشمس تجنح نحو البين مائلة • كان عاشقها في الغرب ينتظر •
والكاس جائلة بالمبتكرة • وكلنا غفلات الدهر يبتدر •

قال قلت

الا حبذا يوم ظفرنا بطيبه • بأكناف مرج الخز والنهر يبتسم •
وقد مرحت فيه الاوز وارسلت • على سندس درا به ينتظم •
ومدت به للشمس وهو كاشة • لثام لها ملقي من النور معصم •
ادرنا عليها اكؤسا بعثت به • من الانس ميتا عاد وهو يكلم •

• غدونا الى السد ضامنين سكينة • فرحنا وكل بالهوى متبرم •

فاظهر كل منا لصاحبه استحسانا لما قال تنشيطا وتتميما للمسرة ثم قلنا للحسن ما عندك انت مما تعارض به هاتين القطعتين فقال بهذا ورفع رجله وحبق حبقة فرقعت منها ارجاؤه فقال له ابو الحسن ما هذا يا شيخ سوء فقال الطلاق له لازم ان لم يكن اوزن من شعركما واطيب رائحة واغنى صوتا واطرب معنى فضحكنا منه اشد ضحكا وجعلنا نهتز غاية الاهتزاز لموقع نادرته فقال والدليل على ذلك انكم طربتم لما جئت به اكثر مما طربتم من شعركم

ثم قال ابن سعيد ومن منتزهات قرطبة المشهورة فحص السرادق مقصود للفرجة ينشرح فيه البصر وتبتهج فيه النفس **اخبرني** والدي عن ابيه ابي جعفر بن عبد الملك بن سعيد قال خرجت مع الشريف الاصم القرطبي الى بسيط الجزيرة الخضراء وقد دبج بالانوار فقلت ما احسن هذا المكان ولشوقنا الاركان فقال الشريف لقد ذكرني هذا البسط بسيط فحص السرادق فقلت لا تمهل ما في خاطرك نظمه فيه فقال نعم **ثم انشد يقول**

• الا فدعوا ذكر العذيب وبارق • ولا تنسوا من ذكر فحص السرادق •
• مجر ذيول السكر من كل مترف • ومجرى الكؤوس المترعات السوابق •
• قصرت عليه اللحظ ما دمت حاضرا • وفكري في غيب له ما شاء بقي •
• ايا طيب ايام تقضت بروضه • على لمح غدران وشم حدائق •
• اذا وردت فيها حمائم دوحها • تخلتها الكتاب بين المهارق •
• وما باختيار الطرف فارق حسنها • ولكن بكيد من زمان مفارق •

قال ابو جعفر فلما سمعت هذا الشعر لم املك عن الاستعبار وحركني ذلك الى ان قلت في حور موصل شبيه منتزهات غرناطة ولم يذكر منها ما قلته فيه وذكره في موضع احرى لم يحضرني الآن حتى اورده منها والله اعلم **وحسن منتزه** قرطبة السد قال ابن سعيد اخبرني والدي ان الشاعر المبرز ابا شهاب المالقي انشدني لنفسه واصفا يوم راحة بهذا السد

• ويوم لنا بالسد لو رد عيشه • بعيشة ايام الزمان رددناه •
• بكرنا له والشمس في خدر شرقها • الى ان اجابت اذ دعا الغرب دعواه •
• فقطعناه شدوا واغتناقا ونشوة • ورجع حديث لو رقى الميت احياه •
• على مثله من منزه يتبغى المنى • فلله ما احلى واندر مرآه •
• شدتنا به الارجاء والفت تنا • علينا فاصغينا له وقبلناه •
• لبثنا مانا بالانس نعقد • وبالدمع في اثر الفراق حللناه •

والنشدني والدي موشحة لابي الحسن المريني معاصره وصاحبه يذكرهما هذا

السد

السد

وهي

• في نعمة العود والسلافه • والروض والنهر والنديم •
• اطال من لامني خلافه • فظل في نصحه سليم •
• دعني على منهج التصابي • ما قام لي العذر بالشباب •
• ولا تطل في المنى عتابي • فلست اصغي الى العتاب •
• لا ترج ردا الى الجواب • والكاس يفتر عن حباب •
• والغصن يبدي لنا انعطافه • اذا هفا فوقه النسيم •
• والروض مندى لنا قطافه • واختال في برده الرقيم •
• يا حبذا عهدي القديم • ومن هممت مسعدي بريم •
• عز الوصال الا بريم • مولع بالتودد •
• ما تم الا به النعيم • طوعا على رغم حسد •
• معتد للقد ذو نحافه • اشعفني طرفه السقيم •
• ورام ظرفي به انتصافه • فخده في خده الكليم •
• غصن الصبا غاطر المقبل • احلى من الامن والامل •
• ظامي الحشا مفعم المخلخل • حلو اللمى ساحر المقل •
• لكلما رامه توصل • لم يخش ردا بما فعل •
• اشكو فيبدي لي اعترافه • ان جار عن نهجه القويم •
• لا اعدم الدهر فيه رافه • فحق لي فيه ان اهيم •
• لله عصر لنا تقضى • بالسد والمنبر البهيج •
• ارى ادكاري له فرضا • وشوقه دائما يهيج •
• فكم جعلنا عليه غمضا • وللصبا مسرح اريج •
• وزد اطال المنى ارتشافه • حتى انقضى شربه الكريم •
• لله ما اسرع انصرافه • ومكذا الدهر لا يديم •
• يا من يحث المطي عزما • عرج على حضرة الملوك •
• وانثر بها ان سمحت غرما • من مدمع عاطل سلوك •
• واسمع الى من اقام صبا • واحك صداه لا فض فوك •
• بلغ سلامي قصر الرصافه • واذكر عهدي القديم •
• وحي عني دار الخلافه • وقف بها وقفة الغريم •

قال ابن سعيد والمنبر المذكور في هذه الموشحة من منتزهات قرطبة والسد هو الارحى التي ذكرها في رحلة قاسم بن عبود الرياحي ورويته عن قائله **وهو**

• بالله اي نصيب • من ليس لي فيه نصيب •

محبوبا فخالف • ومعور رقيب • حين نقصد مكانه • ننعم في المقام •
ويجعل علينا • برد السلام • ادخلت بقلبي • روحك في زحام •
سلامتك عندي • هي شي عجيب • وكيف بالله يسلم • من هو في لهيب •
بالله يا حبيبي • اترك ذا النفار • واعمل ان نطيبوا • في هذا النهار •
واخرج معي للوادي • لشرب العقار • ننعم نهارنا • في لذة وطيب •
في الارحى والا • في المرج الخصيب • او عند السواقي • والروض النضير •
او قصر الرصافة • او وادي العقيق • حرق والله ذنبك • هو عندي الحريق •
وفي حبك امسيت • في اهلي غريب • وما الموت عندي • الا ان تغيب •
اتكل على الله • وكن قط جسور • وان رايت نصولي • وقل اي يمور •
حسن وجهك • فان رك نفور • يهرب عنك خايف • ويبقى مريب •
وامسى انت هو • كانك خطيب • ما اعجب حديثي • اش هذا الجنون •
نطلب وندبر • امر الا يكون • وكم ذا تصون • شيلا يهون •
وايش ما قدر اصبر • لبعد الحبيب • رب اجمعني • معه عاجل قريب •

قال ابن سعيد واما نهر قرطبة فانه يصغر عن عظمه عند اشبيلية بحيث صنع عليه قنطرة من حجارة لا يبنى مثلها في نهر اشبيلية ومنبعه من جهة شقورة يمر النصف منه الى مرسية مشرقا والنصف الى قرطبة واشبيلية مغربا ولما ذكر الرازي قرطبة منه الى مرسية قال وهو نهر مما لست اكون في حريرا الليل في انصبابه الذي هو من مغيبه صورة في حمله وقال هذا لانه يعظم عند اشبيلية فاذا جاء حمله في ايام الامطار اشفت اشبيلية على الغرق وتوقع اهلها الهلاك والقنطرة التي على هذا النهر عند قرطبة من اعظم اثار الاندلس وعجائبها اقواسها سبع عشرة قوسا وبانيها على ما ذكره ابن حيان وغيره السمح بن مالك الخولاني صاحب الاندلس بامر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وشيدها بنوا امية بعد ذلك وحسنوها قال ابن حيان وقيل انه قد كانت في هذا المكان قنطرة من بنيان الاعاجم قبل دخول العرب بنحو مائتي سنة اثرت فيها الازمان بمكابدة المدود حتى سقطت حناياها ومحيت اعاليها وبقيت ارجلها واساسها فعليها بنى السمح في سنة احدى ومائة انتهى وقال في مناهج الفكر قنطرة قرطبة احدى عجائب الدنيا بنيت زمن عمر بن عبد العزيز على يد عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي وطولها ثمانمائة باع وعرضها عشرون باعا وارتفاعها ستون ذراعا وعدد حناياها ثمان عشرة حنية وعدد ابراجها تسعة عشر برجا انتهى رجع الى قرطبة ذكر ابن حيان والرازي والحجازي ان الكنيسة التي في قبالة قصر الروم الذي ملك اكثر الدنيا وصنع نهر رومية

بالصغير

بالصغير فارخت الروم من ذلك العهد وكان قبل ميلاد المسيح عليه السلام بثمان وثلاثين سنة امر ببناء المدن العظيمة بالاندلس فبنيت في مدته اشبيلية وماردة وسرقسطة وانفرد الحجازي بان اكتبان المذكور وجه اربعة من اعيان ملوكه للاندلس فبنى كل واحد منهم مدينة في الجهة التي ولاه عليها وسماها باسمه وان هذه الاسماء الاربعة كانت اسماء اولئك الملوك وغير الحجازي جعل اسماء هذه المدن مشتقة مما تقتضيه اوضاعها كما مر وذكروا انه قد تداولت على قرطبة ولاة الروم الاخيرة الذين هم بنو اعيصو بن اسحاق ابن ابراهيم على نبينا وعليهم الصلاة والسلام الى ان انتزعها من ايديهم القوط من ولد يافث المتغلبون على الاندلس الى ان اخذها منهم المسلمون ولم يكن في الجاهلية سريرا لسلطنة الاندلس بل كرسيا الخاص مملكتها وسعدت في الاسلام فصارت سريرا للسلطنة العظمى لشامية وقطبا للخلافة المروانية وصارت اشبيلية وطليطلة تبعا لها بعد ما كان الامر بالعكس والله يفعل ما يشاء بيده الملك والتدبير وهو على كل شيء قدير لا اله الا هو العلي الكبير وقال صاحب نشو الازهار عندما تعرض لذكر قرطبة هي مدينة مشهورة دار خلافة واهلها اعيان الناس في العلم والفضل وبها جامع ليس في الاسلام مثله انتهى ومن الاسباب في سلب محاسن قرطبة عيث البربر بها في دخولهم مع سليمان المستعين الاموي حين استولى على قرطبة في دولته الثانية فتبحبحت بالقهر وسفك الدما وكان من امراء البربر المعاضدين لسليمان علي بن حمود من بني علي بن ادريس ابن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين وجده ادريس هرب من هارون الرشيد الى البربر فتبربر ولده وبنى ابنه ادريس مدينة فاس وكان المؤيد هشام يشتغل بالملاحم ووقف على ان دولة بني امية تنقرض بالاندلس على يد علوي اوله عين فلما دخل سليمان مع البربر قرطبة ومحوا اكثر محاسنها ومحاسن اهلها كان من اكبر امرائهم علي بن حمود وهو مما المؤيد وهو محبوس خبره واسمه ونسبه فدس اليه ان الدولة صايرة اليك وقال له ان خاطري يحدثني ان هذا الرجل يقتلني يعني سليمان فان فعل فخذ بثاري وكان هذا الامر هو الذي قوى نفس ابن حمود على طلب الامامة وحمله على الاخذ بثار هشام المؤيد فكان المؤيد احد من اخذ بثاره بعد موته وتولى بعد ذلك علي بن حمود وبويع بقرطبة في قصرها في اليوم الذي قتل فيه سليمان المستعين واخذ الناس بالارهاب والسطوة واذل رؤس البربر وبرقت للعدل في ايامه بارقة خلب لم تك تفرح حتى وجلس للمظالم وقدمت له جماعة من البربر في اجرام فضرب رقابهم واهلهم وعشائرهم ينظرون وخرج يوما على باب عامر فالتقى فارسا من البربر وامامه

حمل عنب فاستوقفه وقال له من اين لك هذا فقال اخذته مما يأخذ الناس فأمر بضرب عنقه ووضع رأسه وسط الحمل وطيف به وسط البلد واستمر مع اهل قرطبة في احسن عشرة نحو ثمانية اشهر حتى بلغه قيام الاندلسيين بالمرتضى المرواني في شرق الاندلس فتغير عما كان عليه وعزم اخلاء قرطبة وابادة اهلها فلا يعود لا يمنهم بها سلطان فاخذ الدهر واغضى البربر عن ظلمهم فعاد البلاء الى حاله ولو نزع اهل قرطبة وهدم المنازل واستهان بالاكابر ووضع المغارم وقبض على جماعة من اعيانهم والزمهم بما لا فلما عزموه سرحهم فلما جاء لهم بذوا بهم البربر كبوا مما امر من اخذ الدواب وتركهم ينزلون الى منازلهم على ارجلهم وكان منهم ابو الحزم الذي ملك قرطبة بعد وصارت دولته بوارثه ولده معدودة في دول الطوائف فاجتمعت على النفوس وتوالى عليه الدعا فقتله صبيان من اعمار من صقالبة بني مروان في الحمام وكان قتله عشر ذي القعدة سنة ثمانية واربعمائة وكان الصقالبة ثلاثة فهربوا واختفوا في اماكن يعرفونها وصح عند الناس موته ففرحوا وكانت مدته كما مر نحو عامين وحققها بعض فقال اخرى وعشرين شهرا وستة ايام وكان الناصر علي بن حمود على مجتنيه وبعده من الفضائل بصغي الى الامداح ويثيب عليها ويظهر في ذلك ايثار النسب العربي والكرم الهاشمي ومن شعرائه المختصين به ابن الحناط القرطبي ومن شعره قوله

- راحت تذكر بالنسيم الوجا ۝ وطفا تكسر للجنوح جناحا ۝
- اخفى مسالكها الظلام فاوقدت ۝ من برقها كي تهتدي مصباحا ۝

وعبادة ابن ماء السماء وكان معروفا بالتشيع وفيه يقول من قصيدة

- ابوكم كان بالشرق امام ۝ وانتم ذا بالغرب ايضا سمية ۝
- فصلوا عليه اجمعين وسلموا ۝ له الامر اذ ولاه فيكم ولية ۝

ومدحه ابن دراج القسطلي بقوله

- لعلك يا شمس عند الاصيل ۝ شجيت لشجو الغريب الذليل ۝
- فكوني شفيعي لابن الشفيع ۝ وكوني رسولي لابن الرسول ۝

وكان اخوه القاسم بن حمود اكبر منه بعشر سنين وامهما واحدة وهي علوية ولما قتل الناصر كان القاسم واليا على اشبيلية وكان يحيى بن علي واليا على سبتة فاختلفت موالي البربر فمال اكثرهم الى القاسم لكونه عينه اولا وقدم عليه اخوه الاصغر وكونه قريبا من قرطبة وبينهم وبين يحيى البحر ولما وصلت رسلهم الى القاسم لم يظهر فرحا بالامامة وخاف ان يكون حيلة من اخيه عليه فتهفهر الى ان اتضح له الحق فركب الى قرطبة وبويع فيها بعد ستة ايام من قتل اخيه واحسن السيرة واحسن من البربر الميل الى يحيى بن اخيه على صاحب سبتة فيها

في اقتنا السودان وابتاع منهم كثيرا وقودهم على اعماله فانفت البرابر من ذلك واخرجوا عنه في سنة تسعة واربعمائة قام عليه بشرق الاندلس المرتضى عبد الرحمن اعقاب الناصر لان اهل الاندلس صعب عليهم ملك بني حمود العلويين بسبب البرابر فارادوا رجوع الامامة الى بني مروان واجتمع له اكثر ملوك الطوائف وكان معه حين اقبل بقرطبة منذر التجيبي صاحب سرقسطة وخيران العامري الصقلبي صاحب المرية وانضاف اليهم جمع من الفرنج وتأهب القاسم والبرابر للقائهم وكان من الاتفاق العجب ان فسدت نية منذر وخيران على المرتضى وقالا انا في الاول وقعنا الشر بالوجد الذي نراه حين اجتمع اليه الجم الغفير وهذا ما كر عبرها في النية فكتب خيران الى ابن زيري الصنهاجي المتغلب على غرناطة وهو داعية البربر وضمن له ان قطع الطريق على المرتضى عند اجتيازه عليه الى قرطبة خذلهم بنصرته الموالي العامليين اعدا المروانيين واصحاب رياسة الثغور فاصغى وكتب في ظهره فليا ايها الكافرون السورة فارسل اليه كتابا ثانيا يقول فيه قد جئتك بجميع ابطال الاندلس يا الفرنج فما تصنع وختم الكتاب بهذا البيت

- ان كنت منا البشر بخير ۝ اولا فابغت بكل شر ۝

فامر الكاتب ان يحول الكتاب ويكتب في ظهره الهاكم التكاثر السورة فازداد حنقه وحمله الغيظ الى ان ترك السير حضرة الامامة قرطبة وعدل الى محاربته وهو يرى انه يصطلمه في ساعة من نهار ودامت الحرب اياما وارسل ابن زيري الى خيران يستخرج وعده فاجابه انما توقفت حتى ترى مقدار حربنا فصبرنا ولو كنا بيواطنا معه فاثبت جمعك لنا ونحن ننهزم عنه ونخذله في غد ولما كان من الغد رأى اعلام خيران واعلام منذر واصحاب الثغور وقد ولت عنه تسقط في يد المرتضى وثبت حتى كادوا يأخذونه واستحر القتل وصرع كثير من اصحابه فلما خافا القبض عليه ولي فوضع عليه خيران عيونا فلحقوه بقرب الى المرية وقد حل بها خيران ومنذر فتحدث الناس بما اصطحبا عليه سروا بهلاكه وبعد هذه الواقعة اذعن اهل الاندلس للبرابرة ولم يجتمع لهم بعدها جمع ينهضون به اليهم وضرب القاسم بن حمود سرادق المرتضى على نهر قرطبة وغشيه خلق من النظارة وقلوبهم تتقطع حسرات وانشد عبادة ابن ماء السماء قصيدته التي اولها

- لك الخير خيران مضى لسبيله ۝ واصبح امر الله في ابن رسوله ۝

ومشت امور القاسم وولى وعزل ۝ وقال وفعل ۝ الى كشف وجهه في خلع طاعته ابن اخيه يحيى بن علي وكتب من سبتة الى اكابر البرابر بقرطبة ان علي اخيه

من ابي مثواه فقدم في ولاياتكم التي اخذتموها بسيوفكم العبيد السودان وانا
اطلب منكم ان يبدوا بكم مناصبكم واجعل العبيد السودان كما هم عند الناس فاجابوه
الى ذلك فجمع ما عنده من المراكب واعانه اخوه ادريس صاحب مالقة فجاز البحر
بجمع وافر وحصل بمالقة مع اخيه وكتب له خيران صاحب المرية مذكرا بما تقدم
في اعانة ابيه واكد المودة فقال له اخوه ادريس ان خيران رجل خداع فقال
يحيى ونحن منخدعون فيما لا يضرنا ثم ان يحيى اقبل الى قرطبة واتفقا بان البرابر
معه ففر القاسم الى اشبيلية في خمسة فرسان من خواصه ليلة السبت
٢٨ شهر ربيع الاخر ٤١٣ ودخل يحيى بقرطبة فبايعه البرابر والسودان
واهل البلد يوم السبت مستهل جمادى الاخرة وكان يحيى من النجبا وامه فاطمة
وانما كانت افته العجب واصطناع السفلة واستطالة البرابر عليه وطلبوا
ما وعدهم من اسقاط من انف السودان فبذل لهم ذلك فلم يقنعوا منه وصاروا
يفعلون معه ما يخرق الهيبة ويفرغ بيت المال وفر السودان الى عمه باشبيلية
ومن البرابر ومن جند الاندلس من احتجب عنهم يحيى وتكبر عليهم ولم ابنه ملوك
الطوايف وبقي منهم كثير على الخطبة لعمه القاسم الى ان اخلت الحال الحضرة
قرطبة وابعث يحيى انه متى قام بها قبض عليه وكان قد ولى على سبتة اخاه ادريس
وبلغه ان اهل مالقة خاطبوا خيران وكاتبوه فطمع خيران فيها وفر يحيى
في خواصه تحت الليل الى مالقة ولما بلغ القاسم فراره ركب من اشبيلية الى
قرطبة فخطب له بها يوم الثلاثا ١٢ بقيت من ذي القعدة ٤١٣ ولم يصلح
الحال للقاسم منذ وصل الى الحضرة ووقع الاختلاف وكان يهوى السودان ويعظم
ويهوى كثير من البرابر مع يحيى ويهوى اهل قرطبة مع قايم من بني امية يستبعون
ذكره ولا يظهر وكثر الارجاف بذلك ووقع الطلب على بني امية فتفرقوا
في البلاد ودخلوا في اغمار الناس واخفوا زيهم ثم ان الخلاف وقع بين البربر
واهل قرطبة وتكاثر البلديون واخرجوا القاسم وبرابرته فضرب خيمة
بغربيها وقاتلهم مدة خمسين يوما قتالا شديدا وبنى القرطبيون ابواب
مدينتهم وقاتلوا القاسم من الاسوار الى ان طال عليهم الحصار فهدموا بابا من
الابواب وخرجوا خرجة رجل واحد وصفروا فمنحهم الله الظفر وفر السودان مع
القاسم الى اشبيلية وفر البرابرة الى يحيى وهو بمالقة وكان فرار القاسم
من ظاهر قرطبة يوم الخميس ثاني عشر ليلة خلت من شعبان ٤١٤ وكان
ابنه محمد بن القاسم واليا على اشبيلية وتقدم المدبر لامره محمد بن زيري من اكابر
البرابرة وقاضيها محمد بن عباد فعمل القاضي لنفسه ووجد المعتمد بن عباد
واطمع ابن زيري في التملك فاغلق الابواب في وجه مصطنعه وحاربه فقتل

من البربر

من البربر والسودان خلق كثير وابن عباد يضحك على الجميع فيئس القاسم ومنع
ان يخرجوا اليه ابنه واصحابه ويسير عنهم فاخرجوهم اليه فسار بهم الى شريش
وعندما استقر بها وصل اليه يحيى ابن اخيه من مالقة ومعه جمع عظيم وحاصر
في المدينة عشرين يوما كانت بينها حروب صعاب وقتل من الفريقين خلق كثير
واجلت الحرب عن ظفر يحيى لعمه واسلام اهل شريش وفر سودانه وحصل القاسم
وابنه في يد يحيى وكان قد اقسم انه ان حصل في يده ليقتلنه ولا يتركه حتى يلي الامامة
بقرطبة مرة ثالثة فراى البربر في قتله حتى يرى رايه فيه فحلت عنه لبعض
اصحابه انه حمله مقيدا الى مالقة وحبسه عندهم وكان كلما سكر واراد قتله
رغبه ندماؤه في الابقاء عليه لانه لا قدرة له على الخلاص وكان كلما نام راى والده
عليا ينهاه عن قتله ويقول له اخي اكبر مني وكان محسنا الي في صغري ويسما
لي عندما ارني الله فيه واستمرت الحال على ذلك الى ان قتله خنقا بعد ثلاثة
عشر سنة من حين القبض عليه لانه كان قد حبسه في حصن من حصون مالقة
نمى اليه انه قد تحدث مع اهل الحصن في القيام والعصيان فقال لا وبقي في
رايه حديث بعد هذا الخبر فقتله ٤٣١ وبقي اهل قرطبة بعد فرار القاسم
عنها نيفا عن شهرين يرون رايهم فيمن يبايعونه بالامامة ولما كان يوم الثلاثا
نصف شهر رمضان ٤١٤ احضر المستظهر وسليمان بن المرتضى واموي اخر
معه فبايعوا المستظهر وقبلا به بعدما كان قد كتب عقد البيعة باسم سليمان
ابن المرتضى على ما ارتضاه الامام فنشر اسمه وكتب اسم المستظهر وركب الى
القصر وحمل معه ابني عمه المذكورين فحبسهما وكان قد رفع جماعة من الاتباع
ذنب بهم العجب كل مذهب كابي عامر بن شهيد المتمسك في بطالته وابي محمد بن حزم
المشهور بالرد على العلما في مقالته وابن عمه عبد الوهاب بن حزم الغزل المترف
في حالته فاحقد بذلك مشايخ الوزرا والاكابر وبادر المستظهر باصطناع
البرابر واكرم مثواهم واحسن ماواهم واشتغل مع ابن شهيد وابن حزم
بالمباحثة في الاداب ونظم الشعر والتمسك بتلك الاسباب والناس في
ذلك الوقت اجهل ما يكون وكان جماعة من اهل الشر في السجون ينتظرون الاه
يخرج منهم انسان فاخرج منهم شخصا يقال له ابو عمران وقد كان اشار بعض
الوزرا عليه بعدم اخراجه فاخرجه وخالفه في ذلك واخرجه ولم يقبل النصيحة
وفعل ما اداه الى الفضيحة فسعى القوم الذين خرجوا من الحبوس على افساد
دولته وابدا العربدة بالبؤس لما اشتغل عنهم بالادبا والشعرا حسبما
اقتضاه رايه المعكوس فسعوا في خلعه مع البرابر وقتل في ذي القعدة
من السنة التي بويع فيها وضاع كامس الدابر بعد سبعة واربعين

يوماً من يوم بويع بالخلافة وإذا أراد الله أمراً فلا يقدر أحد يأتي خلافه وعمره ثلاثة وعشرون سنة كانه سنة ومن شعر المستظهر المذكور وهو من القريض الممدوح في البلاغة المشكور

طال عمر الليل عندي • قد تولعت بصدي
يا غزالاً نقض العهـ • ـد ولم يوف بعهدي
أنسيت العهد إذ بتـ • ـنا على مفرش ورد
واعتنقنا في وشاح • وانتظمنا نظم عقد
ونجوم الليل تسري • ذهباً في لازورد

وكتب إليه شاعر في طرس مكشوط الطرس مبشور وفيه بشارة تنبيها الإمام الفاضل المستظهر • ملك أعاد العيش غضاً ملكه • وكذا يكون به طوال الأعصر • فأجاز بصلته

وكتب في ظهر الورقة

قبلنا العذر في نشر الكتاب • لما أحكمت في فصل الخطاب •

وقد قدمنا في الباب الثالث شيء من هذه الأخبار وما حصل بعد ذلك من تغير قرطبة إلى أن تولى الأمر ابن جهور في صورة الوزارة • ثم انتهى إلى أن أخذ قرطبة المعتمد بن عباد حسبما ذكر في أخباره ثم آل الأمر بعد ذلك كله إلى استيلاء ملوك العدوة من المسلمين والموحدين على قرطبة إلى أن تسلمها النصارى أعادها الله للإسلام كما يذكر في الباب الثامن **وقال** صاحب مناهج الفكر في ذكر قرطبة وكانت مقر الملك بما يحصه فأما ما اشتمل عليه غرب الجزيرة من البلاد الخطيرة فمنها قرطبة ودار الإمارة وأما ما عداها من البلاد منذ افتتحها المسلمون سنة ٩٣ زمن الوليد بن عبد الملك إلى أن خرجت عن أيديهم وتنقلت في يد ملوك المسلمين إلى أن وصلت إلى الناصر عبد الرحمن فبنى في تجاهها مدينة سماها الزهراء يجري بينهما نهر عظيم انتهى **واعلم** أن المباني التي عظم قدرها بينهما كما ذكرناه في كلام الناصر الذي طابقت الزهراء بجانبيها • ولم يزل البلغاء يصفون المباني بأحسن الألفاظ والمعاني ورأينا أن نذكر هنا بعض ذلك زيادة في توسيع المسالك **فمن ذلك** قول ابن حمديس الصقلي في دار بناها المعتمد على الله

ويا حبذا دار قضى الله أنها • يجدد فيها كل عز ولا يبلى
مقدسة لو أن موسى كليمه • مشى قدماً في أرضها خلع النعلا
وما هي إلا خطة الملك الذي • يخط إليها كل ذي أمل رحلا
إذا فتحت أبوابها خلت أنها • تقول بترحيبها لداخلها أهلا
وقد نقلت صناعها من صفاتها • إليها أفانيناً فأحسنت النقلا

ثمن

فمن صدره رحباً ومن نوره سنا • ومن صيته فرعاً ومن حلمه أصلا
وأعلم به في رتبة الملك نادياً • وقل له فوق السماكين إن يعلا
نسيت به إيوان كسرى لأنني • أراه له مولى من الحسن لا مثلا
كأن سليمان بن داود لم تبح • مخافته للجن في صنعه مهلا
ترى الشمس فيه ليقة تستمد ما • أكفاً قامت من تصاويره شكلا
لها حركات أودعت في سكونها • فما تبعث في نقلهن بها رجلا
ولما غشينا من توقد نورها • تخذنا سناها للنواظر كحلا

وقال من أخرى يصف داراً بناها المنصور بن أعلى الناس ببجاية

واعمر بقصر الملك ناديك الذي • أضحى بمجدك بيته معمورا
قصر لو أنك قد كحلت بنوره • أعمى لعاد إلى المقام بصيرا
واشتق من معنى الحياة نسيمه • فيكاد يحدث للعظام نشورا
نسي الصبيح مع المليح بذكره • وسما ففاق خورنقاً وسديرا
ولو أن بالإيوان قوبل حسنه • ما كان شيئاً عنده مذكورا
أعيت مصانعه على الفرس الألى • رفعوا البناء وأحكموا التدبيرا
ومضت على الروم الدهور وما بنوا • لملوكهم شبهاً له ونظيرا
أذكرتنا الفردوس حين أريتنا • غرفاً رفعت بناءها وقصورا
فالمحسنون تزيدوا أعمالهم • ورجوا بذلك جنة وحريرا
والمذنبون هدوا الصراط وكفرت • حسناتهم لذنوبهم تكفيرا
فلك من الأفلاك إلا أنه • حقر البدور فأطلع المنصورا
أبصرته فرأيت أبدع منظراً • ثم انثنيت بناظري محسورا
وظننت أني حالم في جنة • لما رأيت الملك فيه كبيرا
وإذا الولائد فتحت أبوابه • جعلت ترحب بالعفاة صريرا
عضت على حلقاتهن ضراغم • فغرت بها أفواهها تكسيرا
وكأنها لبدت لتهصر عندها • من لم يكن بدخوله مأمورا
تجري الخواطر مطلقات أعنة • فيه فتكبو عن مداه قصورا
بمرخم الساحات تحسب أنه • فرش المها وتوشح الكافورا
ومحصب بالدر تحسب تربه • مسكاً تضوع نشره وعبيرا
تستخلف الإصباح منه إذا انقضى • صبحاً على غسق الظلام منيرا

ثم ذكر بركة فيها عليها أشجار من ذهب وفضة ترمي فروعها المياه وتنفن فذكرا سودا على حافتها قاذفة بالماء أيضاً فقال

وضراغم سكنت عرين رياسة • تركت خرير الماء فيه زئيرا

فكأنما غشى النضار جسومها ‍ • وأذاب في أفواهها البلورا •
أسد كأن سكونها متحرك • في النفس لو وجدت هناك مثيرا •
وتذكرت فتكاتها فكأنما • أقعت على أدبارها لتثورا •
وتخالها والشمس تجلو لونها • نارا وألسنها اللواحس نورا •
فكأنما سلّت سيوف جداول • ذابت بلا نار فعدن غديرا •
وكأنما نسج النسيم لمائه • درعا فقدّر سرده تقديرا •
وبديعة الثمرات تعبر نحوها • عيناي بحر عجائب مسجورا •
شجرية ذهبية نزعت إلى • سحر يؤثر في النهى تأثيرا •
قد صولجت أغصانها فكأنما • قنصت بهن من الفضاء طيورا •
وكأنما تأبى لوقع طيرها • أن تستقل بنهضها وتطيرا •
من كل واقعة ترى منقارها • ماء كسلسال اللجين نميرا •
خرس تعد من الفصاح فإن شدت • جعلت تغرد بالمياه صفيرا •
وكأنما في كل غصن فضة • لانت فأرسل خيطها مجرورا •
وتريك في الصهريج موقع قطرها • فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا •
ضحكت محاسنه إليك كأنما • جعلت لها زهر النجوم ثغورا •
ومصفح الأبواب تبرا نظروا • بالنقش بين شكوله تنظيرا •
تبدو مسامير النضار كما علت • تلك النهود من الجنان صدورا •
خلعت عليه غلائلا ورسية • شمس ترد الطرف عنه حسيرا •
وإذا نظرت إلى غرائب سقفه • أبصرت روضا في السماء نضيرا •
وعجبت من خطاف عسجده التي • حامت لتبني في ذراه وكورا •
وضعت به صناعه أقلامها • فأرتك كل طريدة تصويرا •
وكأنما للشمس فيه ليقة • مشقوا بها التزويق والتشجيرا •
وكأنما اللازورد مخرم • بالخط في ورق السماء سطورا •
وكأنما وشوا عليه ملاءة • تركوا مكان وشاحها مقصورا •

ثم مدح المنصور بعد ذلك وختم القصيدة بقوله

يا مالك الأرض الذي أضحى له • ملك السماء على العداة نصيرا •
كم من قصور للملوك تقدمت • واستوجبت بقصورك التأخيرا •
فعمرتها وملكت كل رباتها • منها ودمرت العداة تدميرا •

قلت لم أر لهذه القصيدة من نظير في معناها البالغ النضير ولفظها العذب المنير الذي شهد فيه قائلها على ساعد الإجادة أي تشمير غير أن فيها عندي عيبا واحدا وهو ختمها بلفظ التدمير وعلى كل حال فالحسن والإحسان بغادان في أرسان لعبد الجبار بن حمديس المذكور في

ذي المقاصد الحسان وخصوصا في وصف المباني والبرك فما ابتغى لسواه في ذلك حسنا ولا ترك **ومن ذلك** قوله في وصف بركة تجري إليها المياه من شاذروان من أفواه طيور وزرافة وأسود وكل ذلك في قصر أطنب في وصفه في قصيدة طويلة والماء منه سبائك من فضة • ذابت على درجات شاذروان •
وكأنما سيف هناك مشطب • ألقته يوم الحرب كف جبان •
عجبا لها تسقي الرياض ينابعا • نبعت من الثمرات والأغصان •
كم شاخص فيه يطيل تعجبا • من درة وخزر بنت من العقيان •
حصنت بطائرة على فنن لها • حسنت فأفرد حسنها من ثاني •
فتشت الطيور الحاشعات بلا عم • وفصاحة من منطق وبيان •
فإذا أتيح لها الكلام تكلمت • بخرير ماء دائم الهملان •
وكأن صانعها استبد بصنعة • فخر الجماد بها على الحيوان •
أوفت على حوض لها فكأنها • منها إلى العجب العجاب رواني •
فكأنها ظنت حلاوة مائها • شهدا فذاقته بكل لسان •
وزرافة في الجوف من أنبوبها • ماء يريك الجري في الطيران •
من كوزة كالرمح حيث ترى له • من طعنة الحلقوم نعطا سنان •
وكأنها ترمي السماء ببندق • مستنبط من لؤلؤ وجمان •
لو عاد ذاك الماء نفطا أحرقت • في الجو منه قميص كل عنان •
في بركة قامت على حافاتها • أسد تذل لعزة السلطان •
نزعت إلى ظلم النفوس نفوسها • فلذلك انتزعت من الأبدان •
كان برد الماء منها مطفئ • نارا تضرم من لظى العدوان •
وكأنما الحيات تمن أفواهها • يطرحن أنفسهن في الغدران •
وكأنما الحيتان إذ لم تخشها • أخذت من المنصور عقد أمان •

ومما قاله في القصيدة البديعة بن حمديس كما في المباهج من طولها يدلان على الإبداع الذي ينكره والاختراع الذي ما وجد سمع أحد من الفضلا الأشكره وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي يصف قصرا بمصر يسمى منزل العز بناه حسن بن علي بن تميم بن المعز العبيدي

منزل العز كاسمه معناه • لا عدا العز من به سماه •
منزل ود المنازل في أعلى ذراه لو صيرت أباه •
فأجل فيه لحظ عينيك تبصر • أي حسن دون القصور حواه •
سال في سقفه النضار ولكن • جمدت في قراره الأمواه •
وبأرجائه مجال طراد • ليس تنفك من وغى خيلاه •

نبصر الفارس المدجج فيه • ليس تدمى من الطعان قناه •
ونرى النابل المواصل للنزع • بعيدا من قربه مرماه •
وصنوفا من الوحوش وطير الجو كل مستحسن مرآه •
سكنات تخالها حركات • واختلاف كانما اشباه •
كمحيا الحبيب حرفا بحرف • ما تعدى صفاته اذ حكاه •
ورده وجنتاه نرجسه الفتان عيناه آسه عارضاه •
وكان الكافور والمسك في الطيب وفي اللون صبحه ومساه •
منظر يبعث السرور ومرأى • يذكر المرء طيب عصر صباه •

وقال ابو الصلت امية الاندلسي المذكور يذكر بناء ابناه علي بن تميم بن المعز العبدي

لله مجلسك المنيف قبابه • بموطد فوق السماء مؤسس •
موفق على حبك المجرة تلتقي • فيه الجواري بالجوار الكنس •
تتقابل الانوار من جنباته • والليل فيه كالنهار المشمس •
عطفت حناياه دوين سمائه • عطف الاهلة والحواجب والقسي •
واستشرفت عمد الرخام وظوفرت • باجل من زهر الربيع وانفس •
فهواه من كل قد اهيف • وقراره من كل خد املس •
فلك تحير فيه كل منجم • واقر بالتقصير كل مهندس •
فبدا لحظ العين احسن منظر • وغدا لطيب العيش خير معرس •
فاطلع به قمرا اذا ما اطلعت • شمس الحدور عليك شمس الاكؤس •
فالناس اجمع دون قدرك رتبة • والارض اجمع دون هذا المجلس •

ويعجبني قول ابي امية المذكور يصف خليج زيادة النيل ونقصانه

ولله مجرى النيل منها اذا الصبا • ارتنا به من شيرها عسكر الجرا •
اذا زاد يحكي الورد غضا وان صفا • حكى ماؤه لونا ولم يعده نشرا •

وقال رحمه الله يصف الرصد الذي بظاهر مصر

يا نزهة الرصد التي قد اشتملت • من كل شيء حلا في جانب الوادي • ٢
فذا غدير وذا روض وذا جبل • والضب والنون والملاح والحادي •

ومن قول الاول يصف قصر انس بالبصرة

زر وادي القصر نعم القصر والوادي • لا بد من زورة من غير ميعاد •
زره فليس له ندا يشاكله • من منزل حاضر ان شئت وبادي •
تلقا به السفن والظلمان حاضرة • والضب والنون والملاح والحادي •

وقال رحمه الله يذكر الهرمين

بعيشك هل ابصرت احسن منظرا • على طول ما عاينت من هرمي مصر •

انا فا

انا فاباعنا نا السماء واشرفا • على الجو اشرافا السماك او النسر •
وقد وافيا نشزا من الارض عاليا • كانهما نهدان قاما على صدره •

وسيأتي في ترجمته ان شاء الله تعالى في الباب الخامس وعلى ذكر الانهار والبرك فما احسن **قول بعض الاندلسيين** يصف بركة عليها عدة فوارات

غضبت مجاريها فاظهر غيظها • ما في حشاها من خفي مضمر •
وكان نبع الماء من جنباتها • والعين تنظر منه احسن منظر •
قضب من البلور اثمر فرعها • لما انتهت باللؤلؤ المتحدر •

وقال ابن صارة الاندلسي يصف ماء بالرقة والصفا

والنهر قد رقت غلالة خصره • وعليه من صبغ الاصيل طراز •
تترقرق الامواج فيه كانها • عكن الخصور تهزها الاعجاز •

وما احسن قول بعض الادبا ولم يحضرني الان اسمه

والنهر مكسو غلالة فضة • فاذا جرى سيلا فثوب نضار •
واذا استقام رايت صفحة منصل • واذا استدار رايت عطف سوار •

وقال ابن حمديس المغربي يصف نهرا بالصفا

ومطرد الامواج يصقل متنه • صبا اعلنت للعين ما في ضميره •
جريح باطراف الحصى كلما جرى • عليها شكا اوجاعه بخريره •

وهذا النهج متسع ولم يطل الشبر في هذه المهامه • وانما ذكرنا بعض كلام المغاربة ليعتبر به منتقصهم من شيئ ذا وماء مره • ولان في امرها عبرة لمن عقل • اذا اصدامرات حسنها وطالما كان منها صقل • وقد وقفت على كلام لصاحب المطامح في هذا المعنى فاحببت ذكره ملخصا ومنوها ومحق بذكر المنازل الخدا ق منظرها • وفاق مخبرها • وارتفع بناؤها • واتسع فناؤها • طرفا من الكلام • على ما عفاه الدهر من رسومها • ومحاه من محاسن صور كانت ازواجا لجسومها • وصف اعرابي محلة قوم ارتحلوا عنها فقال تلك اثار اجلت عنها ربات الخدور • واقامت بها اثافي القدور • ولعهد كان اهلها يعفون اثار الرياح • فعفت الرياح اثارهم • وذهبت بابدانهم وابقت اخبارهم • والعهد قريب واللقا بعيد **وقال عمر بن ابي ربيعة فاحسن**

يا دار امسى دارسا رسمها • وحشا قفارا ما بها آهل •
قد جرت الريح بها ذيلها • واستن في اطلالها الوابل •

ومن كلام الفتح بن خاقان في قلائد العقيان يذكر العماد بن فضل اكثر فيه التفجع • واطال به التوجع • والقصور تختال في ادواحها • والازاهر تحيي مبيت الصبا بين شذا اد واحها • واطنان الرياض كتكالى يبحن على اخراجها •

وانقراض اطرابها والومي بمشيد ملاعب • وعلى كل جدار منها غراب ناعب • وقد محت الحوادث صبابابها • وقلصت ظلالها وافيائها • وطالما اشرقت بالخلايف والنجايب • وفاحت من شذا ابهم وارجت • ايام نزلوا خلالها • ونفيوا ظلالها • وعمروا حدايقها وجنانها • وبنهوا الامام من سنانها • وراعوا الليوث في اجامها • واجتلوا الغيوث عند انسجامها • فاصبحت ولها تلفع واعتجار • ولم يبق من اثارها الا نوى واحجار • قد موت قبابها • ومرمر سبابها • وقد بلين الحديد • وبلى على طيبه الجديد • وقال ابو صخر القرطبي يذكر ذلك من ابيات يتعاميها

• ديار على بها من بشاشة اهلها • بقايا تسر النفس انسا ومنظرا •
• ربوع كساها المزن من خلع الحيا • برودا وحلاها من النور جوهرا •
• تسرك طورا ثم تشجيك تارة • فترتاح تاتيبا وتشجى تذكرا •

ومن كلام ابي الحسن القاساني يصف نادي رئيس خلا من ازدحام الملا • وعوضه الزمان عن تواصل احبابه هجرا وقلا • فقد كان منزله مالف الاضياف • ومانس الاشراف • ومنيخ الركب • ومقصد الوفد • فاستبدل بالانس وحشته • وبالضيا ظلمته • واعتاض من تزاحم المواكب • تلاطم النوادب • ومن صجيج الندا والتهليل • عجيج البكا والعويل • ومن رسالة لابن الاثير الجزري يصف دمنة • دار لعبت بها ايدي الزمن • وفرقت بين المسكن والساكن • كانت مقاصير جنة • فاصبحت وهي ملاعب جنة • ولقد عميت اخبار قطانها • واثار اوطانها • حتى شابهت احديهما في الخفا • الاخرى في العفا • وكنت اظن انها لا تسقى بعد هم بغمام • ولا ترفع عنها جلبابا بظلام • غير ان السحاب بكا لهم • فاجرى بها مدامع دموعه • والليل شق عليهم جيوبه فظهر الصباح من خلال صدوعه • وقد لمح في بعض كلامه قول الشريف من ابيات يصف فيها ما كان في الحيرة من منازل النعمان بن منذر

• ما زلت اطرق للمنازل بالنوى • حتى نزلت منازل النعمان •
• بالحيرة البيضا حيث تقابلت • شم العماد عريضة الاعطان •
• شهدت بفضل الرافعين قبابها • ويبين بالبنيان فضل الباني •
• ما ينفع الماضين ان بقيت لهم • خطط معمرة بغير مغاني •

يقول فيها

• ولقد رايت بدير هند منزلا • الما من الضرا والحدثان •
• يغضي كمستمع الهوان تغيبت • انصاره وخلا من الاعوان •
• بالي المعالم اطرقت شرفاته • اطراق منجذب القرين عان •

لمسمعي

• امغاصر الغزلان غيرك البلا • حتى غدوت مرابض الغزلان •
• وملاعب الانس الجميع طوى الردى • منهم فصرت ملاعب الجنان •

ومنها

• مسكينة النفحات تحسب غزلها • بردا لخليع معطر الاردان •
• وكانما بثت البخار نطيمه • جرت الرياح بها على العنبات •
• ما ان تحسب الدرع بصقله الصبا • ونفي يد وحيته الشيم الواني •
• زفر الزمان عليهم فتفرقوا • وخلوا عن الاوطار والاوطان •

وقال ابو اسحاق الصابي ونوادره مع الشريف الرضي في المعنى والقافية يصف قصر روح البصرة

• أحبب الي بقصر روح منزلا • شهدت بنيته بفضل الباني •
• سور علا وتمنعت شرفاته • فكان اخذاهن هضب ابان •
• وكانما يشكوا اليّ ذوابه • بين الخليط وفرقة الجيران •
• وكانما يبدي لهم من نفسه • اطراق محزون الحشا حران •

ولاحمد بن فرح الالبيري من ابيات

• سالت بها فما ردت جوابا • عليك وكيف تخبرك الطلول •
• ومن سفه سوالك رسم دار • مضى لعفائه زمن طويل •
• فان تك اصبحت قفرا خلاء • لعينك في مغانيها همول •
• فقدما قد نعمت بربرعين بها وبربعها الرشا الكحيل •

وقال ابو عبد الله بن الخياط الاندلسي الاعمى

• لو كنت تعلم ما في القلب من نار • لم توقدا لنا ربا لهندي والقار •
• يا دار علوة قد هيجت لي شجنا • وزدتني حرقا حييت من دار •
• كم بت فيك على اللذات معتكفا • والليل مدرع ثوبا من القار •
• كانه راهب في المسح ملتحف • يشدا لمجد له وسطا بزنار •
• يدير فيه كوس الراح ذو حور • يدير من طرفه الحاظ سحار •

ولا مزيد في التفجع على الديار والتوجع للدمن والاثار على قول البحتري من قصيدة يرثي بها المتوكل

• محل على القاطول اخلق داثره • وعادت صروف الدهر جيشا تغادره •
• كان الصبا توفي نذورا اذا انبرت • تراوحه اذيالها وتباكره •
• ورب زمان ناعم ثم عهده • ترقرق حتى بيته ونواضره •
• تغير حسن الجعفري وانسه • وقوض بادي الجعفري وحاضره •
• تحمل عنه ساكنوه فجاءة • فعادت سواء دوره ومقاصره •

لعله تحمّل وترحّل

• إذا الحزن زرناه أجد لنا الأسى • وقد كان قبل اليوم يبهج زائره •
• ولم أنس وحش القصر إذ ريع سربه • وإذ ذعرت أطلاؤه وجآذره •
• وإذ صيح فيه بالرحيل فلم يقم • أنيس ولم تحسن لعين مناظره •
• كأن لم يكن فيه الخلافة طلقة • بشاشتها والملك يشرق زاهره •
• ولم يجمع الدنيا عليه بهاءها • وبهجتها والعيش غض كاسره •
• فأين الحجاب الصعب حيث تمنعت • بهيبته أبوابه ومقاصره •
• وأين عبيد الناس في كل نوبة • تنوب وناهي الدهر فيهم وآمره •

وعلى قول إسحاق بن خفاجة الأندلسي

• ومربع قد حططنا الرحل فيه • بحيث الطل والماء القراح •
• نحرم حسن منظره مليك • تحرم ملكه القدر المستباح • ظ
• فجريته ماء جد وله بكاء • عليه وشدو طائره نواح •

وهذا النوع من البكاء على الدمن والتأسف على ما فعلت به أيدي الزمن كثير جداً لا يعرف الباحث عنه له حداً وذلك لشدة ولوع النفس بذكر أحبابها وحنينها إلى أماكنها التي هي مواطن أطرابها ولهذا اقتصرنا على هذه النبذة القليلة وجعلناها نغبة يشفي المشوق بها غليله وقد كره بعض العقلاء التأسف على الديار لعلمهم أنه لا يجدي ولا يدفع عادية الدهر الخؤون ولا تعديه ونهوا عنه لما فيه من تجديد المصاب بالجزع ه لصاب الأوصاب

قال عمر بن عبد البر

• عفت المنازل غير رسم دمنة • حييتها بين دمنة ورسوم •
• كم ذا الوقوف ولم تقف في منسك • كم ذا الطواف ولم تطف بحريم •
• فكل الديار إلى الجنائب والصبا • ودع القفار لملحي الصدا والبوم •

انتهى كلامه رحمه الله بأكثر لفظه مع بعض اختصار رجع إلى قرطبة فنقول وقد ألم لسان الدين بن الخطيب رحمه الله بذكر قرطبة وبعض وصفها في كتاب له كتبه على لسان سلطانه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكرناه بجملته في الباب الخامس من القسم الثاني فليراجع ثمة ونقتصر محل الحاجة منه هنا ثم كان الغزو إلى أم البلاد ومثوى الطارف والتلاد قرطبة وما قرطبة المدينة التي على عملها في القديم هذا الإقليم كان العمل والكرسي الذي بعصاه رعي الهمل والمصر الذي له في خطة المعمور الناقة والجمل والأفق الذي هو لشمس الخلافة العبشمية الحمل فخيم الإسلام بعقرتها المستباحة وأجاز نهرها المعنى على السباحة وعم دوحها الأشب بواراً وأدار بالمحلات سورها سواراً وأخذ بمخنقها حصاراً وأعمل النصر بشجر نصلها اجتناءً

مما شاء

مما شاء وامتضاراً • وجدل من أبطالها من لم يرض انحجاراً استحجاراً • حتى فرع بعض جهاتها غلاباً وجهاراً • فأعمل إلى المسلمين الإسلال وإظهاراً • ورفعنا الأعلام إعلاماً بعز فلولا استهلال الغوادي • وأن في الوادي لافتضضنا في فتح الفتوح تلك المبادي • ولقضى تفثه العاكف والبادي • انتهى ومما كتب به لسان الدين رحمه الله في وصف هذه الغزوة لسلطان بني مرين على لسان صاحب الأندلس ما صورته المقام الذي نطالعه بأخبار الجهاد ونهدي إليه عوالي العوالي صحيحة الإسناد • ونبشره بأخبار الفتح البعيد الأمداد • ونسأل الله تعالى الإسعاف ودوام الإسعاد • ونرتقب من صنع الله على يديه نكيفاً يخرق حجاب المعتاد • وامتعاضاً يطلع بآفاق البلاد نجوم غرر الجياد • ونفتح ثنايا الفتوح بأفق البلاد بالسيوف الحداد • ويسلي عن مكارم من سلف من الآباء الكرام والأجداد • مقام محل أخينا الذي نستفتح له بالفتح والظهور • ونهدي إلى مجده لما نعلم من فضل نيته وحسن قصده لطائف السرور • ونستظهر بملكه المؤمل ومجده المشهور • ونتوعد منهما العدو بالحبيب المذخور • والولي المنصور • السلطان الكذا ابن السلاطين الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله عالي القدر • قرير العين منشرح الصدر • ولا زال الصريخ يحرم شائراً مسير الشمس والبدر • معظم سلطانه الجليل والشاكر لوالده منه ما لزجرا الكريم • المثني على مجده الصميم • وفضله العميم • أمير المسلمين عبد الله الغني بالله محمد بن أمير المسلمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر سلام كريم بر عميم يخص مقامكم الأعلى • وإخوانكم الفضلاء ورحمة الله وبركاته • أما بعد حمداً لله رب العباد • وملهم الرشاد • ومكيف الإسعاف والإسعاد • الولي النصير الذي نلتجي إلى التوكل عليه مقابلاً به الأعداء • ونمد إلى إنجاده أيدي الاعتداد • ونرفع إليه أكف الاستمداد • ونخلص لوجهه الكريم عمل الجهاد • فنتعرف عوارف الفضل المزداد • ونجتني ثمار النصر من أغصان الغنى المنشاد • ونجتلي وجوه الصنع الوسيم أبهر من وجه الصباح البادي • ونظفر بالنعيم العاجل في الدنيا والنعيم الآجل يوم قيام الأشهاد • ونتفيأ ظلال الجنة من تحت أوراق السيوف الحداد • والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله النبي الهاد • رسول الملحمة المؤيد بالملائكة الشداد • ونبي الرحمة الهامية العهاد • أكرم الخلق بين الرائح والغاد • ذي اللواء المعقود • والحوض المورود • والشفاعة يوم التناد • الذي تخدع أنوف الآساد يوم الجلاد • وببركته تتال أقصى الأمل والمراد • وفي مرضاته نصل أسباب الوداد • فنعود بالتجر الرابح من مرضات رب العباد • ونستولي

من مبدان السعادة المعادة على الامداد . والرضى على آله وصحبه وانصاره
وحزبه الكرماء الامجاد . دعائم الدين من بعده وهداة العباد الامجاد الانجاد
واساد الاساد . الذين ظاهروه في حياته بالحلوم الراجحة الاطواد .
والبسالة التي لا تنال بالعدد في سبيل الله والاعداد . حتى تبوأ الاسلام
في القواعد الشهيرة والبلاد . وارغموا انوف اهل الجحد والالحاد . فاصبح
الدين رفيع العماد . منصور العساكر والاجناد . منتصب العز في الاصدار
والايراد . والدعاء لمقامكم الاعلى بالسعد الذي يغني عن اختبار الطوالع و
تقويم الميلاد . والنصر الذي تشرق انباؤه في جنح ليل المداد . والصنع الذي
تشرع له ابواب التوفيق والسداد . من حمراء غرناطة حرسها الله واليسر
وثيق المهاد . والخير واضح الاشهاد . والحمد لله في المبدا والمعاد . والشكر
على الآية المتصلة الترداد . ومفاخركم الزاخرة الكافية العتاد . والود المتكفل
بالانجاد . والى هذا وصل الله سعدكم وحرس مجدكم . ووالى نصركم وعضدكم .
وبلغكم من فضله العميم املكم وقصدكم . فانا نؤثر تعريفكم بمنافع المتزيدات
ونورد عليكم انباء الاحوال المتجددات . اقامة لرسم الخلوص في التعريف
بما قل ومودة خالصة في الله عز وجل فكيف اذا كان التعريف بما تهتز منابر
الاسلام ارتياحا لوروده . وتنشرح الصدور رهبة لمواقع فضل الله وجوده
والمكيفات البديعة الصفات في وجوده . ومن انباء قدمنا اعلامكم بما
نويناه من غزو مدينة قرطبة ام البلاد الكافرة . ومقر الحامية الشهيرة
والجبابرة الوافرة . والقطر الذي عهده بالمام الاسلام متقادم . والركن
الذي لا يتوقع صدمه صادم . وقد اشتمل سورها من رعاة ملة الصليب
على كل رئيس بئيس . ومن يرجع جيشه ذي مكر وتلبيس . ومن له سمة تزيغ مكانا
ونتشعه . والبناء على المنشط والمكره نطيعه . فاستدعينا المسلمين
من اقاصي البلاد . واذعنا في الجهات نفير الجهاد . وتقدمنا الى الناس
بسعة الازواد . واعطينا الحركة التي تخلف المسلمون فيها وراءهم جمهور الكفر
من الاقطار والاعداد حقها من الاستعداد . وافضنا العطاء والاستلحاق
والاستركاب في اهل الغناء وابطال الجلاد . فحشر الخلق في صعيد . واخذوا الآلة
والزينة في عيد سعيد . وشمل الاستدعاء كل قريب وبعيد . عن وعد ووعيد
ورحلنا وفضل الله شامل والتوكل عليه كاف كافل . وخيمنا بظاهر الحضرة حتى
استوفى الناس ارادتهم واستكملوا استرابهم ودسنا منهم بلاد النصارى بجموع
كثرها الله وله الحمد وانماها . وابعد في التماس ما عنده من الاجر منتهاها .
وعندما حللنا قاشره وجدنا السلطان دون نظره مؤمل نصرها وانجادنا

ومستعيد

ومستعيد بحظه من لواء خوجها دما . ومقتضي دين كدحه باعتساف اباه وانجادنا
قد نزل بظاهرها في محلات ممن استنفر على دعوته وتمسك بطاعته وشمله حكم
جماعته فكان لقاؤنا اياه على حال اقر اعين المسلمين . تكفلت باعزاز الدين
وجعلها يغني عن التعيين والشرح والتبيين . ورايتنا ومن معه من وفور جيش
الله ما لم تتم واشك في حال اليقظة حسبانهم . ومن جموع تسد الفضاء وابطال
تقارع اسود الفضاء . وكتائب منصورة ورايات منشورة . وامم محشورة
تفضل عن مرأى العين . وتزري العدو في مهاوي الحين . فاعترفوا بما لم يكن
في حسبانهم . واعتبر في عزة الله اولوا البابهم . واذا كثر الله العدد نما وزكا .
واذا ازاح العلل ما اعتذر غاز ولا اشتكى . وسالت من العدو الاباطح بالاعتراف
وسمت الهوادي الى الاستشراف . واخذ الترتيب حقه من اواسط الجهادية
والاطراف . واحكمت التعبية التي لا ترى العين فيها خللا . ولا يجد الاختبار
عندها دخلا . وكان النزول على فرسخ من عدوة النهر الاعظم الدنيا من جانب
المدينة انجز الله وعد دمارها واعادها الى عهدها في الاسلام وشعارها
ومحا ظلام الكفر في افقها بملة الاسلام وانوارها وقد برزت من حاميتها
شوكة سابغة الدروع وافرة الجموع . واستجنت من اسوار القنطرة
العظمى بحمى لا يخفر . واخذ عقابها من الرماة والكماة العدد الاوفر . فبادر
اليهم سرعان خيل المسلمين بقصد قومهم الدفاع والقراع والمصالد والمصاع
وخالطوهم مبرا بالسيوف ومباكرتهم بالحتوف فتركوهم حصيدا . واذاقوهم
وبالا شديدا . وحصلوا منهم جملة وافرة وامة كافرة . وملكوا بعض تلك
الاسوار . فارتفعت بها راياتهم الخافقة . وظهرت عليها عزماتهم الصادقة
واقتحم المسلمون الوادي سبحا في غمره واستهانة في سبيل الله بامره . وخالطوا
حامية العدو في صفته فاقتلعوهم وتعلقوا بابل الاسوار فقرعوها .
فلو كنا في ذلك اليوم على عزم من القتال وتيسير الآلات وترتيب الرجال لدخل
البلد وملك الامثل والولد لكن اجار الكفار من الليل كافر . وقد هلك منهم
عدد وافر . ورجع المسلمون الى محلاتهم ونصر الله سافر والعزم ظافر . ومن
الغد خضنا البحر الذي جعلنا العزم فيه سفينا . والتوكل على الله للبلاغ
ضمينا . ونزلنا من صفته القصوى منزلا عزيزا مكينا . بحيث يحاور سوره طنب
طنب القباب . وتصيب دورها من بين المخيمات بوارق النشاب . وبرزت
حاميتها على متعددات الابواب . مغيثة اسواق الطعان والضراب .
فآبت بصفقة الخسر والتباب . ولما شرعنا في قتالها . ورتبنا اصناف
النكايات لنكالها . وان كنا لم نبن على مطاولة نزالها . انزل الله المطر الذي

ا

فقدم بجهاده المجتهد وساوى النجد من طوفانه الومند. وعظم لله الجهد. ووقع
الابقاء على السلاح والكف بالضرورة عن الكفاح. وبلغ المقام عليها والاخذ
بخنقها والثواء لديها خمسة ايام لم نخل فيها الاسوار من اقتراع ولا الابواب
من دفاع عليها وقراع. وانفذت مقاتل الستاير انقابا. وارتقب الفتح الموعود
ارتقابا. وفشت في اهلها الجراح. والعيث الصراح. وسالم المساء بعزة الله
والصباح. ولولا عايق المطر لكان الاجهاز والاستفتاح والله بعدها الفتاح
وطرفنا الوجوه الى تخريب العمران. وتسليط النيران وعقر الاشجار وتعفية
الاثار. واتى منها العفا على المصر الشهير في الامصار. وتركنا روعها الماثلة
عبرة الابصار. ورحلنا عنها وقد البسها الدخان حدادا. ونكس من طغاتها
اجيادا. فاعتادت الذل عنيادا. والفت الهون قيادا. وكادت تنسف
عنوة لولا ان الله جعل لها ميعادا. واتى القتل من بطانها ومشاهير حماتها
نحو ابازر وبناطح. وبما سي بالناس وتصايح. على عددهم واخبرت بسيما منهم
المشهور باسمائهم. ونمت علاماتها على بنيانهم وظهر اقدام المسلمين في
المعتركات وبذرهم بالحدود المشتركات وتنفيلهم الاسلاب وقودهم الخيل المسو
قود العلاب. وكان القفول وقد شمل الامن والقبول وحصل الجهاد المقبول
وراع الكفر الجزا الذي يهول. والاقدام الذي شهدت به الرماح والخيول.
وخاض المسلمون من نزع الطرق التي ركبوها. والمنازل الذي استباحوها
وانتهبوها. بحورا بعد منها الساحل. وفلاة مدركة تتعدد فيها المراحل.
فصبّروا ما صبروها. وسلطوا عليها النار رغبا. وحلوا ببطاح حصن اندوجر
وقد اصبح ما لقادما غير وثاب. وكرطبو النشاب. فلما بلونا مراسه صعبا
وابراجه مليئة حرسا شديدا وشهبا. ضننا بالنفوس ان تقبض دونه
افتتاحه. فسلطنا العفا على ساحه. واغربنا الغارات باستيعاب
ما باحوازه واكتساحه. وسلطنا النار على حروبه وبطاحه. والصفنا
بالرغام ذوايب ذواحه. وانصرفنا بفضل الله والمناحل دامية. و
الاجور نامية. وقد وطينا المواطي التي كانت على الملوك قبلنا بسلا.
ولم نترك بها حرسا ابر قد ولا نسلا. ولا صرعنا برسل رسلا. والحمد لله الذي
يتم النعيم بحمده. ونسال دخلة النصر فما النصر الا من عنده. عرفناكم بهذه
المكيفات الكريمة الصفات. والصنايع الروايع التي بعدا العهد بمثلها
في هذه الاوقات علما بما لديكم من حسن الهديات الوديات. ولما نعلمه لديكم
من حسن النيات. وكرم الطويات. فانكم سلالة الجهاد المقبول. والرفد
المبذول. ووعد النصر المفعول. ونرجو الله عز وجل ان يتنقل حبالكم للمعاهد

الجهادية

الجهادية الى المغاربية. في نصر الملة المحمدية. وان يجمع الله بكم كلمة الاسلام
على عبدة الاصنام وبتم النعمة على الانام. ووددنا لكم ما علمتم من بذل على
ممر الايام. والله يجعله في ذاته لكم متصل الدوام. مبلغا الى دار السلام.
وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم. ويضاعف الاء عندكم والسلام
الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى ومن هذا المنحى ما كتب به لسان
الدين رحمه الله عن سلطانه **ونصه** المقام الذي احاديث سعادته
لا تمل على الاعادة والتكرار. وسبيل مجادته الشهيرة اوضح من شمس الظهيرة
عند الاستظهار. واخبار صنايع الله لملكه ونظم فرايدها الا في سلكه تخلد
اقلام الاقدار. بمداد الليل في قرطاس النهار. وترسمها بذهب الاسحار
في صفحات الاقمار. ويجعلها مجرى حملا الاسفار وحداء القطار في مسالك
الاقطار. مقام محل اخينا الذي نلذ عادة مثابه مع الاعادة. ونتلقى
انباء علايه بالاذاعة والاشادة. ونطرز باعلام ثنايه صحايف المجادة.
ونشكر الله ان وهب لنا من اخوته المضافة الى المحبة والودادة. ما يرجح في
ميزان الاعتبار اخوة الولادة. وعرفنا بيمن ولايته عوارف السعادة.
السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابقاه الله في اعلام الملك السعيد
بيت القصيد ووسط القلادة. ومجلى الكمال الذي تبارت بميدان باسه
وجوده جنسا الاباده والافاده. ولا زالت اماله القاصية تنثال في طوع
الارادة. ويمن نقيبته يجمع من اشتات الفتوح والغرر الممنوح بين الحسنى
والزيادة. معظم سلطانه العالي المثنى على مجده المرفوع استناده في عوالي
المعالي المسرور رعيا بتهنية الله له من الصنع المتوالي. والفتح المقدم والتالي
امير المسلمين عبد الله الغني بالله محمد بن امير المسلمين ابي الوليد بن فرج بن نصر
ايد الله امره. واسعد عصره. سلام كريم يتارج في الافاق شذا طيبه. و
يتسمع في ذروة الود بلاغة خطيبه. ويتضمن نوره سواد المداد عند مراسلة
الوداد. فيكاد يذهب بعبوسه المجهول وتقطيبه. ورحمة الله وبركاته
اما بعد حمد الله فاتح الابواب. بمقاليد الاسباب مهما استصعبت.
ومبشر الامور بحكمة المقدور. اذا اجهدت الحيل واتعبت. محمد نيران الفتن
ما التهبت. وجامع كلمة الاسلام وقد تصدعت وتشعبت. ومسكن رجفات
الارض بعد ما اضطربت. ومحييها بجهاد الرحمة مهما اهتزت وربت.
اللطيف الخبير الذي قدرت حكمته الامور ورتبت. منهي كل نفس الى ما خطت
الاقلام عليها وكتبت. ونعتت واوجبت. وشاءت اوابت. ومجازيها يوم
العرض بما كسبت. **والصلاة** على سيدنا ومولانا محمد رسول ما زم الا رحمة

لما تالفت وتالبت • وجالبا لحتف اليها عندما اجلبت • رسول الملحمة اذا
اللبوث وثبت • ونبي الرحمة التي مسات النجاة وسببت • والبلغة للنفوس
المطمئنة من السعادات ما طلبت • ومداوي القلوب المريضة وقد انتكبت
وانقلبت بالطائفة التي ارتضت وهذبت • وقادت الى الجنة العليا و
استجلبت • وادنت من الله وادنيت • الذي بجاهه نستكشف الغما اذ الكربت
ونستوكف النعما اذا اخلفت البروق وكذبت • ونتخاطب في طاعة ابتغا الزلفى
الى شفاعته فنقول — وحسبنا حسبما ثبتت • والرضى عن آله واصحابه وانصاره
واحزابه التي استحقت المزية المرضية واستوجبت • لما انتمت الى كماله وانتسبت
وتبذل نفوسها في الله ومرضاته تقربت • والى نصرته في حياته انتدبت والمناصر
قد رويت من دماء الاعادي واخضبت • وخلفته في امته بعد مماته بالهمم التي
عن صدق اليقين اعربت • فدافعت المجاهدة الكفار وانتدبت • وانجدت
المغار واديرت حتى بلغ ملك امته اقاصي البلاد التي نبت • فكسرت الصليب
التي نصبت • وتغلبت التيجان التي عصبت ما همت السحب واسحبت •
وطلعت الشمس وغربت • والدعا لمثابتكم العليا بالنصر العزيز كلما جهزت
الكتايب ونكبت • والفتح المبين كلما ركزت عقايل القواعد اذ خطبت
والصنايع التي مهما حدقت فيها العيون تعجبت • وجالت في لطايفها
الافكار استطابت مذاق الشكر واستعذبت • حتى تجز لكم مواعيد النصر
فقد اقتربت • فانا كتبنا اليكم كتب الله لكم اعتنا ما سالت الاندلس لسانها
واستوعبت من حمراء غرناطة حرسها الله وجنود الله بفضله ونعمته قد غلبت
وتنخت وسلبت • واسود جهاده قد ازدت الاعداء بعدما كلبت • ومراعي
الامال قد اخصبت • والحمد لله حمدا يجلو وجوه المرضي بعدما احتجبت • ويفتح
ابواب المزيد وكلما استقبلها الامل رحبت والشكر لله شكرا يفيد شوارد
النعم مما ابقت وما تربت • والى هذا وصل الله لمقامكم اسباب الظهور والاعتلا
وعرفكم عوارف الالا على الولا • فاننا لما ورد علينا كتابكم البر الوفادة • الجم
الافادة • الجامع بين الحسنى وزيادة • جالي غرة الفتح الاعظم من ثنايا السعادة
وواهب المنن المساجنة وواصف النعم المتظاهرة • فوقفنا من ورقه المنشور على
تحف سنية • واماني هنية • وقطاف للنصر جنية • ضمنت سكون البلاد
وقرارها • وان الله قد ذهب الفتن واوارها • واخمد نارها • ونصح عن وجه
الاسلام عارها • وجمع الامم على من هو بيد السعادة بعدان اجهد اختيارها
فاصبح الشتيت مجتمعا • وجنح الجناح مرتفعا • والجبل المخالف خاشعا
متصدعا • واصحت في العباد من كان مستمعا • واستوسقت الطاعة وتجنبت

السنة

السنة والجماعة • وارتفعت الشناعة • وعنكت البلاد المكرمة باذيال
وليها لما رانه • وعادت الاجياد العاطلة الى حليها بعدما انكرته احلنا
جيادا لاقلام في ملعب الهنا ومبدانه لاوقات امكانه • على بعد مكانه
واجهدنا عبارة الكلام في اجلال هذا الصنع وتعظيم شانه واغربنا
الثنا بتشييم مجدك في شرحه لنا وبيانه • رايناه الانكل ذلك الى اليراع
وتفرده فيه بالاجتماع • وما يتعاطاه من سنة الذراع • وان نشد
برده من المشا فهة الازره وتعضد بمعين من اللسان امره • فعينا لذلك
من يفسر منه المجمل ويمهد لقصدنا المحمل حتى يبين اغراض البر والعلن
منه والسر • ويعبر منه شي الدلالة على الوداد المستقر • ووجهنا في غرض
الرسالة بره اليكم • واخترنا لشرحه بين يديكم • خطيب الوفود وبركة
المشايخ في هذا المقام المحمود • الشيخ الجليل الشهير الكبير الصالح الفاضل
ابا البركات بن الحاج • وصل الله حفظه • واجزل من الحمد واللطف حظه •
وهو البطل الذي لا يعلم الاجالة في الميدان • ولا يبتصر بوظايف ذلك الشان
ومرادنا منه ان يطيل ويطيب • ويجيل في وصف محاسنكم اللسان الرطيب
ويعبر عما عندنا لمقامكم من التشيع الذي قام على الحب المتوارث اساسه •
واطرد حكمه وانتج قياسه • وليجعل تلو مقصد الهنا • بمجلسكم البامر سنا
التشارف الى الجهاد في سبيل الله والفنا • وجد التهمم والاعتنا على مر الانا • ما
يجدد لدينا من الانبا في جهاد الاعدا • وان كان رسولكم اعزه الله قد شارك في
البشرى والتبشير ويمن الطير • واغنى في الحكاية عن الغير فلا سرف في الخير • وهو
اننا لما انصرفنا عن منازلة قرطبة نظرا للحشود التي نفدت معدات ازوادها
وشابت بمشيم العلة المستقلة مفارق بلادها • واشفاقا لفساد اقواتها
بفوات اوقاتها • وحلنا عنها وقد انطوى بنا من عقائه اكثر تلك الزروع
المايلة الفروع • المايلة الروع • على من ممض واسف للمضاجع مقض •
اذ كان عادل المطر يكف السنة النار عن الهبا لغلة في التهابها • وخلاقا بما بها
ونفض اغوارها • ويهتيب شوارها • واذاعة اسرارها • ومتى البحور المتلاطمة
اذا خطمتها الرياح الحاطمة • واللجج الزاخرة اذا حركتها الشتوا في المائخر
تود العيون ان تتخذا خدودها القاصية فلا تطيق • والركايب الراكضة
ان تشرف على غاياتها فينفصل عن مراحلها الطريق • قد جللها الترتيب ان
تفض بها الخزاين والاطباق • وجوبا مفصلة لا يبرزها الانفاق والانفاق
ولو اعتصمت على نحسا منها الافاق تحققنا في سبيل الله لتغفيب غزو تلك
الاقطار المخالفة بمحو الصابغة • واعانة تلك الطايفة • بكلوم المجاع

الحابية خفوقا لم نقنع فيه بالاستنابة حرصًا على استنباط الإصابة
وأعفينا الرحل من انضاء الكد وقابلنا قبولهم على استنجاحنا فيها بالرد
وأطللنا على قرطبة بجملاتنا ننسف جبال النعم نسفا ونعم الأرض زلزالا
وخسفا ونستقري مواقع البذر احترافا ونخترق أجوابها المختلفة بجيب
الحصيد اختراقا ونسلط عليها من شرر النار أمثال الجمالات الصفر مدت
مثل الشواظ أعناقا ونسنع القرى الواسعة قتلا واسترقاقا وندير على
مستديرها كؤوس الحتوف دهاقا وأخذت النيران واديها الأعظم من
كلتا جانبيه حتى كانت العيون أحمت سبيكته فاستحالت وأذابت صفيحته
فسالت وأنتت الكفار رسما وهمًّا بالدخان المبين وصارت الشمس من بعد
سفورها وعموم نورها منتقبة المحيا معصبة الجبين وخضنا أحشاء
الفرنتيرة نعم اشتفت النعم انتسافا وأقوات أهلها إتلافا وأمال
سكانها إخلافا وقد هموا لسرعة الرجوع وذهبوا لوقوع الجوع وتسبيب
تخريب الربوع فمن المنكر البعيد أن يتأتى بعد عمرانها المعهود وقد اصطلم
الزرع واجتثت العود وصار إلى المعدوم منها الموجود ورأوا من عزائم
الإسلام خوارق تسد عن نطاق العوائد وعجائب تستغرب فيها عين المشاهد
إذا شمل هذا العام المعترف فيه من الله الإنعام على غزوات أربع دمرت
فيها القواعد الشهيرة تدميرا وعلا فوق مراقيها الأذان عزيزا جهيرا
وصوفحت كراسي الملك تصفيقا كبيرا وأذيقت وبالا مسرا ورياح الإدالة
إن شاء الله تنسف هبوبا ونارا مشبوبا والعياذ بالله قد ملأت نفوسا
مؤمنة وقلوبا والله المسؤول أن يوزع شكر هذه النعم التي أثقلت الأكياد
وأنطقت الطوق المعتاد وأبهجت المسيم والمرتاد فبالشكر تتقيد فريدها
ويبنوا إلى تجديدها وقطعنا في بحبوحة تلك الحالة المتبجحة الحائزة
والفلج المعيي وصفها عن الشرح والعبارة مراحل حتى ختمنا بالتعريج على
حرب جيان حربها فغللنا أنياب عزيمها وجددنا كربها واستوعبنا حرثها
وحربها ونظمنا البلاد في سلك ليلة ودجيتنا إلى انجادها وأغوارها ركاب
الاستئصال فلم نترك بها ملفظ طير فضلا عن معاقل غير ولا آثارنا لغلها
المحروب بلا الترجير وفعلنا وقد تركنا بلاد النصارى التي منها لجهادنا
المدد والعدة والعدد وفيها الخصام والألد قد لبست الحداد جزعا
وسلكت إلى الخلا والجلاء طريقا ولم نترك بها حضيضة تخالط ريقا و
نعمة تصون من الفراق فريقا وما كانت تلك النعم لولا أن أعان الله من
عنصري النار والهوى بجنود كوننا لو أتيح ومدركة البعيد الشاسع لنتولى

الأبدي

الأبدي البشرية تعزيها ولا ترزأ كثيرها ولا نمتاح بالاعتراف غديرها
بل لله القدرة جميعا فقدرته لا تتحامى ربعا ولا تحامى ربعا منيعا وعدنا والعود
في مثلها أحمد وقد بعد في شفاء النفوس الأمد ونشبح بالسرور الكمد
من عز الإسلام المعهد والحمد لله حمد الشاكرين ومنه نلتمس عادة النصر على
أعدائه فهو خير الناصرين عرفناكم به لتسروا بنبأكم المتين وتحمدكم الذي
منه الجبين والله يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويبلغكم أملكم من فضله و
فضلكم بمنه وطوله والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى رجع
إلى ما كنا بسبيله من أخبار قرطبة الجليلة الوصف وذكر جامعها البديع الإتقان
والرصف فنقول ——— قد شاع وذاع على ألسنة الجم الغفير من الناس من هذه
البلاد المشرقية وغيرها أن في جامع قرطبة ثلاثمائة ونحو ستين طاقا على عدد
أيام السنة وأن الشمس تدخل كل يوم من طاق إلى أن يتم الدور ثم تعود وهذا
شيء لم أقف عليه في كلام المؤرخين من أهل المغرب والأندلس ولو كان كما شاع
لذكروه وتعرضوا له لأنه من العجب ما يسطر مع أنهم ذكروا ما هو دونه فالله
أعلم بحقيقة الحال في ذلك ويأتي في الباب السابع رسالة الشقندي
الطويلة وفيها من محاسن قرطبة وسائر بلاد الأندلس الطم والرم وقد ذكرنا
في الباب الأول من محاسن قرطبة ما أغنى ذلك عن إعادته هنا مع أن رسالة
الشقندي تكرر فيها بعض ما ذكرناه لأنا لم نرد أن نخل منها بحرف فأثبتناها بلفظها
وإن تكرر بعض ما فيها مع بعض ما أسلفناه والعذر واضح للمنصف والله
يسأل سلوك السبيل الذي يرضى بمنه وكرمه وقال صاحب نشق الأزهار
أن في جامع قرطبة تنورا من نحاس أصفر يحمل ألف مصباح وفيه أشياء غريبة
من الصنائع العجيبة يعجز عن وصفها الواصفون قيل أحكم عمله في سبع
سنين وفيه ثلاثة أعمدة من رخام أحمر مكتوب على الواحد اسم محمد وعلى الآخر صورة
عصى موسى وأهل الكهف وعلى الآخر صورة غراب نوح عليه السلام والثلاثة
خلقة الله تعالى لم يصنعها صانع انتهى قلت لم أر أحدا من محققي المؤرخين
للأندلس وثقاتهم ذكر هذا على قلة اطلاعي وهو عندي بعيد لأنه لو كان لذكره
الأئمة وقد حكى عياض في الشفا أشياء وجد عليها اسم نبينا صلى الله عليه وسلم
ولم يذكر هذا ويستبعد أن يكون بجامع قرطبة ولا يذكره والله أعلم بحقيقة الأمر
وقال في موضع آخر من هذا الكتاب إن دور قرطبة أربعة عشر ميلا و
عرضها ميلان وهي على النهر الكبير وعليه جسر وبها الجامع الكبير الإسلامي وبها
الكنيسة المعظمة بين النصارى وبهذه المدينة معدن الفضة ومعدن
الشادنج وهو حجر من شأنه أن يقطع الدم وكان يجلب منها البغال التي تباع كل

واحدة منهما بخمسمائة دينار من حسنهما وعلوهما الى ان انتهى رجع الى اخبار البنيان ولا خفاء انه يدل على عظيم قدر بانيه ولذلك قال امير المؤمنين الناصر المرواني الزهراء رحمه الله حسبما نسبهما له بعض العلماء وبعض ينسبهما لغيره وينبان في ترجمة نور الدين بن سعيد على منسوبين **فقال**

همم الملوك اذا ارادوا ذكرها • من بعدهم فبالسن البنيان •
ان البناء اذا تعاظم قدره • اضحى يدل على عظيم الشان •

وتذكرت هنا قصيدة قالها بعض الشاميين وهو الاديب الفاضل الشيخ اسد بن معين الدين مما يكتب على ابراج دار الحسيب النسيب الكبير الحي والميت القاضي عبد الرحمن ابن الفرفور الدمشقي وضمنها بيتي الناصر المذكورين

زر مجلسا اضحى اعز مكان • ومحل اهل العلم والفرقان •
المجد خيم في ذرا ابراجه • والسعد عند الباب طول زمان •
كالخلد مرفوع البنا وارضه • مفروشة بالدر والعقيان •
بيت به فخر البيوت لانه • بيت القصيد ومنزل الضيفان •
معنى فسيح فيه معنى مفصح • عن قدر بانيه بغير لسان •
تذكار بعض ذوي الفضائل قبلكم • قولا بديعا واضح التبيان •
همم الملوك اذا ارادوا ذكرها • من بعدهم فبالسن البنيان •
ان البنا اذا تعاظم قدره • اضحى يدل على عظيم الشان •
قد شاده من ساد اهل زمانه • بالاصل والافضال والرجحان •
ورث السيادة كابرا عن كابر • وسما برفعته على كيوان •
قاضي القضاة ومفخر العصر الذي • قد جاد فيه بسابق الاقران •
في العلم بحر لا ينال قراره • في الحكم مثل مهند وسنان •
يروي عطا عن يديه قد اتت • اثار اباء ذوي احسان •
لا زال يبني شايدا بيت العلا • وعدوه في الوهن والنقصان •
يا ايها المولى الذي يجري مع الـ • ـاعدا لولا اسعاد طلق عنان •
دم شامخ المقدار يرتفع البنا • والناس تخشى رضاك كالغلمان •
متمتعا ببنيك سادات الورى • في عز رب دائم السلطان •
ما رجع القمري في تغريده • في الروض فوق منابر الاغصان •

وكان القاضي عبد الرحمن بن فرفور المذكور عالي الهمة نضيق يده عما يريد فلذلك كان كثيرا ما يبث شكواه في الطروس والدفاتر ويعتب على الزمان الذي اضاع على اهل الادب وقطع اما لهم بحسامه البائر

هذا زمان ذو بهى لا غيره • فدع الدفاتر للزمان الفاتر •

لمن نظم

لمن نظم المذكور وقد ابطا بجزء استعاره من بعض اخوانه فكتب اليه معتذرا و... شكوى الزمان الذي كان من شماتة الاعدا به حذرا **فقال**

ابطات في ذا الجزء يا سيدي • كابن من جور دهر بغيض •
صابرته والجسم مني نفي • تجلدا والقلب مني مريض •
ما زاد بي الابلا في وقد • اخلني منه محل الحضيض •
واقتادني نشوا الى مصرع • قد رق منه العظم واللحم هيض •
سلمت للاقدار مستشرعا • لباب مولى ذي عطاء عريض •
جموم صبر كنت اسطو به • على زوايا الدهر بالهم غيض •
فلا تلم يا صاح من بعد ذا • اذا تمثلت بحال الجريض •

ورايت بخطه رحمه الله مما نسبه جده القطب الخيضري الحافظ لابراهيم بن نصر الحموي ثم المصري المعروف بابن القفيه

يا زماني كلما حاولت امرا يمتنع • ان تعصبت فاني باصطبار اقتنع •

ومنه تورية بديعة الغاية في التعصب والتقنع مع حلاوة النظم وجودة السبك وخفة الوزن والله سبحانه يروح تلك الارواح في الجنان ويعاملنا واياهم بمحض الفضل والامتنان ويكفينا شجون دهر جرى بنا طلق العنان **رجع** الى ما كنا فيه وكنت وقفت في كلام بعض العلماء على ان البيتين السابقين المنسوبين الى امير المؤمنين الناصر المرواني رحمه الله قالهما في الزهراء التي بناها وسيايتي ذكرها قريبا **وقال** الشيخ سيدي محيي الدين بن العربي في المسامرات نزلت على مدينة الزهراء بعد خرابها وصيرورتها ماوى للطير والوحش وبناها عجيب في بلاد الاندلس وهي قريبة من قرطبة ابياتا تذكر العاقل وتنبه الغافل

وهي ديار بها كانت الملاعب تلمع • وما ان بها من ساكن ومنى بلقع •
ينوح عليها الطير من كل جانب • فيصمت احيانا وحينا يرجع •
فخاطبت منها طائرا متفردا • له شجن في القلب وهو مروع •
فقلت على ماذا تنوح وتشتكي • فقال على دهر مضى ليس يرجع •

ثم قال واخبرني بعض مشايخ قرطبة عن سبب بناء مدينة الزهراء ان الناصر ماتت سرية له وتركت مالا كثيرا فامر ان يفك بذلك المال الاسرى فطلب في بلاد الافرنج اسير فلم يوجد فشكر الله على ذلك فقالت له جاريته الزهراء وكان يحبها حبا شديدا اشتهيت لو بنيت لي مدينة تسميها باسمي وتكون خاصة لي فبناها تحت جبل العروس من قبلة الجبل وشمال قرطبة وبينها وبين قرطبة اليوم ثلاثة اميال او نحو ذلك واتقن بناءها واحكم الصنعة فيها وجعلها مستنزها ومسكنا للزهراء وحاشية ارباب دولته ونقش صورتها على الباب فلما قعدت الزهراء

في مجلسها نظرت الي بياضها وحسنها في حجر ذلك الجبل الاسود فقالت يا سيدي
الا ترى الي حسن هذه الجارية الحسنا في حجر ذلك الزنجي فامر بزوال الجبل فقال
بعض جلسايه اعيذ امير المومنين ان يخطر له ما يشين العقل سماعه لو اجتمع
الخلق ما ازالوه حفرا ولا قطعا ولا يزيله الا من خلقه فامر بقطع شجره وغرسه
تينا ولوزا ولم يكن منظر احسن منها ولا سيما في زمان الازهار وتفتح
الاشجار وهي بين الجبل والسهل انتهى ببعض اختصاره **وقال** ابن
خلكان في ترجمة المعتمد بن عباد ما صورته والزهرآء بفتح الزاي وسكون
الها وفتح الراء وبعدها همزة ممدودة وهي من عجايب ابنية الدنيا انشاها
ابو المظفر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب الناصر احد ملوك بني امية بالاندلس
بالقرب من قرطبة في اول سنة ٣٢٥ ومسافة ما بينهما اربعة اميال وثلثا
ميل وطول الزهرا من الشرق الي الغرب الفان وسبعماية ذراع وعرضها من القبلة
الي الجوف الف وخمسماية ذراع وعدد السواري التي فيها اربعة الاف سارية
وثلثماية سارية وعدد ابوابها تزيد علي خمسة عشر الف باب وكان الناصر يقسم
جباية البلاد اثلاثا فثلث للجند وثلث مدخر وثلث ينفقه علي عمارة الزهراء
وكانت جباية الاندلس خمسة الاف الف دينار واربعماية الف وثمانين الف دينار
ومن السوق المستخلص سبعماية الف دينار وخمسة وستون الف دينار وهي من اهول
ما بناه بالاندلس واجله خطرا واعظمه شانا ذكر ذلك كله ابن بشكوال في تاريخ
الاندلس انتهى كلامه وحكي في المطمح ان الوزير الكبير الشهير بابي الحزم بن جهور قال
وقد وقف علي قصور الامويين التي تقوضت ابنيتها وعوضت من انيسها بالوحش
افنيتها

قلت يوما لدار قوم تفانوا • اين سكانك العزاز علينا •
فاجابت هنا اقاموا قليلا • ثم ساروا ولست اعلم اينا •

وفيه ان ابا عامر بن شهيد بات ليلة باحدي كنايس قرطبة وقد فرشت باضغاث
آس وعرشت بسرور واستيناس وقرع النواقيس يبهج سمعه وبرق الحميا يسرج
لمعه والقس قد برز في عبدة المسيح متوشحا بالزنانير ابدع توشيح قد هجروا
الافراح واطرحوا النعم كل اطراح

لا يعمدون الي ماء بآنية • الا اغترافا من الغدران بالراح •

واقام بينهم يعملها حميا كانما يرتشفها من شفة لميا ومتي تنح له باطيب
عرف كلما رشفها اعذب رشف ثم ارتحل بعد ما ارتحل **فقال**

ولرب حان قد شممت بديره • خمر الصبا مزجت بصرف عصيره •
في فتية جعلوا السرور شعارهم • متصاغرين تخشعا لكبيره •
والقس مما شا طول مقامنا • يدعو بعود حولنا بزبوره •

يهدي

يهدي لنا بالراح كل مصفر • كالخشف خفره التماح خفيره •
يتناول الظرفا فيه وشربهم • لسلافهم والاكل من خنزيره •

انتهى **رجع** الي انبآء الزهراء قال بعض مورخي الاندلس كان يتصرف في عمارة
الزهرا كل يوم من الخدام والفعلة عشرة الاف رجل ومن الدواب الف وخمسماية
دابة وكان من الرجال من له درهم ونصف ومن له الدرهمان والثلاثة وكان
يصرف فيها كل يوم من الصخر المعدل ستة الاف صخرة سوي الاجر والصخر غير المعدل
انتهى وسياتي في الزاهرة مزيد كلام **وقال** ابن حيان ابتدا الناصر بنا
الزهرا اول يوم من محرم سنة ٣٢٥ وجعل طولها من شرق الي غرب الفين وسبعماية
ذراع وتكسيرها تسعماية الف ذراع وتسعون الف ذراع كذا نقله بعضهم وفيه
للنظر مجال **قال** وكان يثيب علي كل رخامة كبيرة او صغيرة عشرة دنانير
سوي ما كان يلزم علي قطعها ونقلها ومونة حملها وجلب اليها الرخام الابيض من
المرية والمجزع من رية والوردي والاخضر من افريقية من اسفاقس وقرطاجنة
والحوض المنقوش المذهب من الشام وقيل من القسطنطينية وفيه نقوش وتماثيل
علي صور الانسان وليس له قيمة ولما جلب احمد الفيلسوف وقيل غيره امر الناصر
بنصبه في وسط المجلس الشرقي المعروف بالمونس ونصب عليه اثني عشر تمثالا
في قصرها المجلس المسمي بقصر الخلافة وكان سمكه من الذهب والرخام الغليظ في جرمه
الصافي لونه المتلونة اجناسه وكانت حيطان هذا المجلس مثل ذلك وجعلت في
وسط البيتيمة التي اتحف الناصر بها اليون ملك القسطنطينية وكانت قرامد
هذا القصر من الذهب والفضة وهذا المجلس في وسطه صهريج عظيم مملو بالزيبق
وكان في كل جانب من هذا المجلس ثمانية ابواب قد انعقدت علي حنايا من العاج والابنوس
المرصع بالذهب واصناف الجوهر قامت علي سواري من الرخام الملون والبلور الصافي
وكانت الشمس تدخل في تلك الابواب فيضرب شعاعها في سمك المجلس وحيطانه
فيصير من ذلك نور ياخذ بالابصار **وكان** الناصر اذا اراد ان يفزع احدا من اهل
مجلسه اوما الي احد صقالبته فيحرك ذلك الزيبق فيظهر في المجلس كلمعان البرق
من النور وياخذ بمجامع القلوب حتي يخيل لكل من في المجلس ان المحل قد طار بهم ما دام
الزيبق يتحرك وقيل ان هذا المجلس كان يدور ويستقبل الشمس وقيل كان ثابتا
علي صفة هذا الصهريج وهذا المجلس لم يتقدم لاحد بناوه في الجاهلية ولا في الاسلام
وانما تهيا له لكثرة الزيبق عندهم **وكان** بنا الزهرا في غاية الاتقان والحسن وبها
من المرمر والعمد كثير واجري فيها المياه واحدق بها البساتين وفيها يقول السميسر الشاعر

وقفت بالزهرآء مستعبرا • معتبرا اندب اشتاتا •
فقلت يا زهرا الا فارجعي • قالت وهل يرجع من ماتا •

• فلم ازل ابكي وابكي بها • بهيهات يغني الدمع بينهما شيّا •
• كانما اثار من قد مضى • نوادب يندبن مثوى نايا •

انتهى كلام هذا المورخ ملخصا وسببا في ما بوا فوجله وبخالف قلته والله سبحانه بعلم الامر كله فانه ربما ينظر المتامل هذا الكتاب فيجد في بعض الاخبار تخالفا فيحمل ذلك على الغلط واللبس كذلك وانما السبب الحامل لذلك جلب كلام الناس بعبارتهم والناقد البصير لا يخفاه مثل هذا وربما يقع التكرار ولاجل ما ذكر والله اعلم وتذكرت بما وصفه من مجلس الناصر ما حكاه غير واحد عن القصر العظيم الذي شاده ملك طليطلة المامون بن ذي النون بها وذلك انه انفق الى الغاية وانفق عليه اموالا طايلة • وصنع وسطه بحيرة وصنع في وسط البحيرة قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب وجلب الماء على راس القبة بتدبير احكمه المهندسون فكان الماء ينزل من اعلى القبة على جوانبها محيطا بها ويتصل بعضه ببعض فكانت قبة الزجاج في غلالة من ماء سكب خلف الزجاج لا يفتر من الجري والمامون قاعد فيها لا يمسه من الماء شي ولا يصله وتوقد فيها الشموع فيرى لذلك منظر بديع عجيب وبينما هو فيها مع جواريه ذات ليلة اذ سمع منشدا ينشد ويقول

• اتبني بناء الخالدين وانما • بقاؤك فيها لو علمت قليل •
• لقد كان في ظل الاراك كفاية • لمن كل يوم يقتضيه رحيل •

فتنغص عليه حاله وقال انا لله وانا اليه راجعون اظن ان الاجل قرب فلم يلبث بعدها غير شهر وتوفي ولم يجلس في تلك القبة بعدها وذلك سنة ٤٦٧ تجاوز الله عنه هكذا حكاه بعض مورخي المغرب وقد ذكرني غير هذا الموضع من هذا الكتاب حكاية هذه القبة بلفظ ابن بدرون شارح العبدونية فليراجع •

وتذكرت هنا قول ابي محمد المصري في صفة قصر طليطلة

• قصر يقصر عن مداه الفرقد • عربت مصادره وطاب المورد •
• نشر الصباح عليه ثوب مكارم • فعليه الوية السعادة تعقد •
• وكانما المامون في ارجائه • بدر تمام قابلته اسعد •
• وكانما الاقداح في راحاته • در جامد ذاب فيه العسجد •

ولهُ في صفة البركة والقبة عليها

• شمسية الاسباب بديعة • يحار في تشبيهها الخاطر •
• كانما المامون بدر الدجى • وهي عليه الفلك الدائر •

وكان ملوك الاندلس في غاية الاحتفال بالمجالس والقصور وللوزير الجزيري رحمه الله في وصف مجلس المنصور بن ابي عامر ما يشهد لذلك وهو قوله يصفه

وتوسطها

• وتوسطتها لجة في قعرها • بنت السلاحف ما تزال تدفق •
• تنساب من فكي هزبر ازبر • ثبت الجنان فان فاه اخرق •
• صاغوه من ند وخلق صمخني • ماذيه محض الدر فهو مطوق •
• للياسمين تطلع في عرشه • مثل المليك عداه وهو مطرق •
• وتضايد من نرجس وبنفسج • وجنى خيري وورد يعبق •
• ترنو بسحر عيونها وتكاد من • طرب اليك بلا لسان تنطق •
• وعلى يمينك سوسنا اطلعت • زهر الربيع فهن حسنا تشرق •
• فكانما هي في اختلاف رقومها • رايات نصرك يوم باسك تخفق •
• في مجلس جمع السرور لاهله • ملك اذا اجتمعت قنا تفرق •
• حازت يداه ولية المخارب عزة • فغدا بحسدها عليه المشرق •

ومن هذه القصيدة

• اما الغمام فشاهد لك انه • لا شك صنوك بل اخوك الاوثق •
• وابي الصنيع يحين ثم تمامه • في الصحو انشا ودفق يدفق •
• واظنه يحكيك جودا اذ راي • في اليوم بحرك زاخرا يتفهق •

وكان السبب في هذه الابيات ان المنصور صنع في ذلك الاوان صنيعا لتطهير ابنه عبد الرحمن وكان عام قحط فارتفع السعر بقرطبة وبلغ ربع الدقيق الى دينارين فجلا الناس من قرطبة فلما كان يوم ذلك الصنيع نشات في السماء سحابة عمت الافق ثم اتى المطر الوابل فاستبشر الناس وسر المنصور بن ابي عامر فقال الجزيري بديهة اما الغمام الخ • ومن قوله القايل على لسان نرجس العامرية

• حيتك يا قمر العلا والمجلس • ازكى تحيتها عيون النرجس •
• زهوا تزيد بحسنها وبلونها • زهر النجوم الجاريات الكنس •
• ملكن افئدة الندامى كلما • دارت بمجلسهم مدار الاكوس •
• ملك الهمام العامري محمد • للمكرمات وللنهى وللانفس •

قال ابن بسام ومن شعر الجزيري مما اندرج له اثناء نثره الذي صلح فيه مخاطبة المنصور على السنة اشماكرايمه بزهر رياضه فمن ذلك عن بهار العامرية

• حدق الحسان تقر لي وتغار • وتضل في صفة النهى وتحار •
• طلعت على قضبي عيون تمايمي • مثل العيون تحفها الاشفار •
• واخص شي بي اذا شبهتني • در تنطق سلكها دينار •
• اهدى له قضب الزمرد ساقه • وحباه انفس عطره العطار •
• انا نرجس حقا بهرت عقولهم • ببديع تركيبي فقيل بهار •

ومن اخرى عن بنفسج العامرية اذا اندفعت الخصوم ابد الله مولانا المنصور في هذا

وتفاخرت في مفاخرهما فالبيه مفزعهما وهو المقنع في فصل القضية بينهما لاشتمالها على المفاخر باشرها وعلمه سرهما وجهرهما • وقد ذهب البهار والنرجس في وصف محاسنهما والفخر بهما بهما كل مذهب وما منهما الا ذو فضيلة غير ان فضل عليهما اوضح من الشمس التي تعلونا واعذب من الغمام الذي يسقينا • فان كان يقع تشبيهنا في صورهما ببعض ما في العالم من جواهر الارض مصابيح السما وهي من الموات الصامت فاني اشبه باحسن ما زين الله به الانسان وهو الحيوان الناطق مع اني اعطر منهما عطرا واحمد خبرا • واكرم امتناعا شاهدا وغايبا ويابعا وذا وكلاهما لا يمتنع الا زمنيا يسيرا ثم اذا ذبل تستكره النفوس شمه وتستدفع ضمه • وانا امتنع رطبا ويابسا • وتدخرني الملوك في خزاينها وساير الاطباء وصرف في منافع الاعضا فان فخرا باستقلالهما على ساق فهي اقوى من ساقي فلا عزو ان الوشي ضعيف والهوى لطيف والمسك خفيف والبس المجدد يزهد باللصاق وقد اودع ابدا الله مولانا قوا في الشعر من وصف مشابهيهما او دعاه • وحضرت بنفسي ليلا اغيب عن حضرتهما فقدتهما نفضل الحاضر ان كان مفضولا ولذا قالوا الذ الطعام ما حضر لوقته واشعر الناس من انبت في شعره فمولانا انعم الحكم في ان يفصل بحكمه انعدل

اقول

• شهدت لنوار البنفسج السن • من لونه الاحوى ومن انباعه •
• لمشابه الشعر الاعم اعارة • الغم المبير الطلوع نور شعاعه •
• ولربما جمع البجيع من الطلا • في ضمار المنصور يوم قراعه •
• تحكاه غير مخالف في لونه • لا في روايحه وطيب طباعه •
• ملك جهلنا قبله سبل العلا • حتى وضحن بنهجه وشراعه •
• في سيفه قصر لطول نجاده • وتمام ساعده وفسحة باعه •
• ذو همة كالبرق في اسراعه • وصريمة كالحين في ايقاعه •
• تلقى الزمان له مطيعا سامعا • وترى الملوك الشم من اتباعه •

وما احسن قول بعض الاندلسيين بصيف حديقة

• وحديقة مخضرة اثوابها • في قضبها للطير كل مغرد •
• نادمت فيها فتية صفحاتهم • مثل البدور تنير بين الاسعد •
• والجدول العضي يضحك ماوه • فكانه في العين صفح مهند •
• وتناثرت نقط على حافاته • كالعقد بين مجمع ومبدد •
• وتزخرفت للناظرين كانها • در نثير في بساط زبرجد •

وكان بحمام الشطارة باشبيلية صورة بديعة الشكل فوصفها بعض اهل الاندلس

• ودمية مرمر تزهو بجيد • تناهى في التورد والبياض •

لها

• لها ولد ولم تعرف خليلا • ولا الممت باوجاع المخاض •
• ونعلم انها حجر ولكن • تتيمنا بالحاظ مراض •

وكان بسرقسطة في القصر المسمى بدار السرور مجلس الذهب احد قصور المقتدر ابن هود وفيه

يقول

ذو الوزارتين بن عبد شلب يهجو وزيرا كان يعرف بتخفوت

• ضج من تخفوت بيت الذهب • ودعا مما به واحربي •
• رب طهرني فقد دنسني • عار تخفوت الموفي الذنب •

وكتب بعض كبراء الاندلس الى اخوانه كانوا معه من وادي الزيتون ونحن فيه نجلون بيفعة اكتست من السندس الاخضر وتحلت بانواع الزهر ونحايلت بانها تخللها واشجار تظللها • تحجب ازواجها الشمس ان تنفذها وتاذن للنسيم فيميل من اعطافها وما شيتم من محاسن نزوقه وعجب واطيار تتجاوب بالحان تلهي وتطرب في مثلها يجوز الزمان كله صبا • وتجري الحياة على الامل والمنا وانا ابقاكم الله قصصا بما لمن طاب غذاوه • وحسن استمراوه وصحا من جنون الغفار واستتراح من مضض الخمار وزال بلينه ووساوسه • وخلصت من الخباط هواجسه • ثم ذكر كلاما من هذا النمط في وصف الخمار والدعا الى العقار فراجعه ابو الفضل بن حسداي بر قعة قال في صدرها يا سيدنا الذي الزمنا بامتناعه الشكر وكبيرنا الذي علمنا بيانه السحر وعميدنا الذي عقدنا بحرمه الحلو وربما بلايه والنسل • ابقاك الله لتوبة نصوح تبرمها • ويمين غموس تبرمها • ورد انفاك الله كتابك الذي نفذته من معرسك بوادي الزيتون • ووقفنا على ما لفقت من اوصافه من حجة المفتون • واعجابك بالتفاف شجره ودوحاته • واهتزازك لطيب بواكره وروحاته • ومزورك به ومعروف لا عدمتموه زرته ممضا بر واجراعه وكل المشارب ما خلاه ذميم • وماوه الدم خضر والمياه حميم • وتلك عادة تلونك • وسجية تخضرمك • وشاكله ملالك وسامك • واشعر الناس من عندك من انت في سعره • واحب البلاد اليك ما انت في عقره • فاين منك بساتين جلق وجنانه ورياضها المونقة وخلجانه • وقبابه البيض في صدا بفه الخضر ووجوه الغطر في جنابه النضر • وما نضمته حيطانه وتمحة انجاده وغبطانه من امهات الراح التي معرتها بزعمك • ومواد الشمول التي طلقتها بزعمك • وهيهات فوالله ما فارقتك تلك الاجارع والمجاري • ولا شاقتك تلك المنازل والمغاني الا تذكر المما لديها من طيب المعاهد • وخفيتا الى ما عندنا من حسيل المشاهد • واين من المشتاق عنقا مغرب ثم ذكر كلاما في جواب ما مر من الخمار لم يتعلق له غرض وما احلى ما كتب به ابو اسحاق بن خفاجة من رسالة في ذكر متنزه • وكما اكتب

الغمام اكبابا لمن اجد منه اعتبابا• وانفصل المطر انفصالا• لم الف منه انفصالا
اذ ان الله تعالى للصحو ان يطلع صفحته• ويبشر صحيفته• فتقشعت لروح السحاب
كما طوى السجل الكتاب وطفقت السما تخلع جلبابها• والشمس تحط نقابها•
وتطلعت الدنيا بتبهج كانها عروس تجلت وقد تحلت وخرجت في لمة من الاخوان
نستبق الى الراحة ركضا ونطوي لنتفرج ارضا• فلا اندفع الا الى غدير نمير قد
استدارت منه في كل قرارة سما سحابة نعما والسابت في كل قلعة جابه• فتزددنا
بتلك الاباطح نتهادى تهادي اغصانها• ونتضاحك تضاحك اقحوانها• والنسيم
اثنا ذلك المنظر الوسيم نراسل مشي على بساط وشي فاذا مر بغدير نسجه دِرعا
واحكم صنعا وان عثر بجدول شطب منه نصلا• واخلصه صقلا فلا نرى الا
بطاحا مملوة سلاحا كانما انهزمت ثمة الكتايب فالقت بما اليسته من
درع مصقول وسيف مسلول وفي فصل منها فاختللنا فيئة خضرا ممدودة
اسطانا الاغصان سندسية رواقها الاوراق• ومازلنا نلتحف منها ببرد ظل
ظليل ونشتمل عليه بردا نسيم عليل• ونجيل النظر في نهر صقيل صافي لجين
الماء كانه مجرة سماء مونلق بنجوم الحباب كانه من ثغور الاحباب• وقد حضرنا
مسمع يجري مع النفوس لطافة• فيتوبع عرضها وسماها• ويغني لها مقترحها
ومنا ما فصح لسان النقر ببستي من الوقر كانه كاتب حاسب يمشي ويثناه و
تعقد يسراه بحرك حين يبدو سكناته• ويبعث الطبايع السكون انتهى•
وكانت بين ابي اسحاق وبعض اخوانه مقاطعة فاتفق ان ولي ذلك الصديق
حصنا فخاطبه ابو اسحاق برقعة منها اطال الله بقاء سيدي لشبهه او صابه
التي يميزه عن الاستثنا المرفوعة اما زينة الكريمة بالابتداء ثم الحذفت يا برى النجم
واعتللت واو يغزو الموضع الضم كنت عن ود قديم مو الحال لم يلحقها انتقال
وعهد كريم مو العقل لم يدخله اعتلال والله يجعل ما انيك من الاحوال الثابتة
اللازمة• ويعصم مدنا بعد من الحروف الجازمة• واما استنهض طولك الى تجديد
عهدك بمطالعة الغذا لغد الوصل• وتعديته فعل الفضل• وعن عدولك عن باب الف
القطع الى باب الوصل• والجمع ليسقط لدرج الكلام بيننا ما السكت ويدخل
الانتقال لحال الصمت فلا تخيل اعزك الله ان رسم اخايك عندي درس فقد درس
عفا ولان صدري دار منه امسى من ودك خلا وانما فعل ذا سي ظهر من ضميره
ما بطن وبدا منه ما كمن دمنيا اعزك الله ان فعل وزارنك حاضر لا يحوز فيه
تغيير وان تفعل فعل سيفك ما ضربه للعوامل تاثير وانت بمجدك جماع ابواب
الظفر باخذ نفسك الا لعلية بمطالعة باب الصرف ودرس حروف العطف
وتدخل لام التبري على ما حدث من عتبك وتوجب بعد النفي ما سلف من عتبك

وتدع

وتدع الالف لا الفة ان تكون بعد من حروف اللين وترفع بالاضافة بيننا وجود
التنوين وتنسو مساكن الود ان يتحرك ومعتل الاخاء ان يصح• وكنا بي مذ عرفت
صلة فلا تحذفه حتى تعود الحال الاولى صفة وتصير منه النكرة معرفة فانه عرك
الله مصدر فعل السرور والنيل ومنك اشتقاق اسم السودد والفضل وانك
وان تاخر العصر بك كالفاعل رفع موخرا وعدوك وان تكبر كالمبني لم يقع الا
مصغر• وللايام علل تنبسط وتنقبض وعوامل ترفع وتخفض فلا دخل عروضك
قبض• ولا عاقب رفعك خفض• ولا زلت مرتبطا بالفصل شرطك• وجزاؤك جار
على الرفع سرورك الكريم وسناؤك حتى يخفض الفعل وتبنى على الكسر قبل ان شاء
الله تعالى وكتب رحمه الله تعالى يستدعي عودا غنا انتظم من اخوانك اعزك
الله عقد شرب يتساقون في ودك• ويتعاطون ريحانة شكرك وحمدك• وما
منهم الا شره المسامع الى رنة حمامة ناد• لا حمامة بطن واد والطول لك في صلتها
بحما لنا طق فقد استنجار من بيان لسانا وصار لضمير صاحبه ترجمانا ومنوع على الاسارة
والاحسان لا ينفك من ايقاع به في غير اجاع له فان معافرتك اذنه وادب وان
تابي واستوى بج بطنه وضرب لا زال المنتظم الجدل ملتيم الامال انتهى ومن نظمه
رحمه الله يتفجع ويتوجع

شراب الاماني لو علمت سراب • وعتبى الليالي لو عرفت عتاب •
وملل مما يحبه الانسان لا طريده • يحوم عليها للحمام عقاب •
تخب بنا من كل يوم وليلة • مطايا الى دار البلا وركاب •
وكيف يغيض الدمع او يبرد الحشا • وقد باد اقران وفات شباب •
اقلب طرفي لا ارى غير ليلة • وقد حط عن وجه الصباح نقاب •
كاني وقد طار الصباح حمامة • يمد جناحيه علي غراب •
دعاهم داعي الردى فكانما • تبادرت بهم خيل هناك عراب •
فما هم وسلم الدهر حرب كانما • جنى بهم طعن و ضراب •
يجود ولا غير التراب حشيه • لجنب ولا غير القبور قباب •
ولست بناس صاحبا من ربيعة • اذا نسيت رسم الوفا اصحاب •
ومما شجاني ان قضى حتف انفه • وما اندق رمح دونه وذباب •
وانا تجاربنا ثلاثين حجة • فمات سباقا والحمام قضاب •
كان لم يبت في منزل القصف ليلة • يجيب بها داعي الصبا ويجاب •
اذا قام منا قايم مد عطفه • شبابا رقناه بها وشراب •
ولما نزلت للمشيب بربعه • وافشع من ظل الشباب سحاب •
نهضنا باعباء الليالي جزاله • وارست بها في لنا بيننا مضنا •

فيا ظاعنا قد حط على ساحة البلا … بمنزل بين البين عنه ذهاب
كفى حزنا ان لم تزرني على النوى … رسول ولم ينفذ اليك كتاب
واني اذا يممت قبرك زائرا … وقفت ودوني للتراب حجاب
ولو ان حيا كان جاور ميتنا … لطال كلام بيننا وخطاب
واعرب عما عنده من جليته … فاقشع عن شمس هناك ضباب

وقد ابعدنا عما كنا بصدده من ذكر قرطبة اعادها الله للاسلام فنقول قال بعض مورخي الاندلس انتهت مساجد قرطبة ايام عبد الرحمن الداخل الى اربعماية وتسعين مسجدا ثم زادت بعد ذلك كثيرا كما ياتي في ذكره وقال بعضهم كانت قرطبة قاعدة الاندلس وام المداين وقرارة الملك وكان عدد اشرافها اربعة الاف وثلثماية وكانت عدة الدور التي في القصر الكبير اربعماية دار ونيف وثلاثون وكانت عدد دور الرعايا والسواد بها الواجب على امثالها المبيت في السور ماية الف دار وثلاثة عشر الف دار حاشا دور الوزرا واكابر الناس والبياض ورايت في بعض الكتب ان هذا العدد كان ايام لمتونة والموحدين قال وكانت ديار اهل الدولة اذ ذاك ستة الاف دار وثلاثماية دار انتهى وعدد ارباضها ثمانية وعشرون وقيل واحد وعشرون ومبلغ المساجد بها ثلاثة الاف وثمانماية وسبعة وثلاثون مسجدا وعدد الحمامات المبرزة للناس سبعماية حمام وقيل ثلثماية حمام وقال ابن حيان ان عدة المساجد عند تناهيها في مدة ابن ابي عامر الف وستماية مسجد والحمامات تسعماية حمام وفي بعض التواريخ القديمة كان بقرطبة في الزمن السالف ثلاثة الاف مسجد وثمانماية وسبعة وسبعون مسجدا منها بشقندة ثمانية عشر وتسعماية حمام واحد عشر حماما وماية الف دار وثلاثة عشر الف دار للرعية خصوصا وربما نصف العدد واكثر ارباب الدولة وخاصتها هكذا نقله في المغرب وهو اعلم بما ياتي ويذر رحمه الله وقال بعض المورخين بعد ذكره نحو ما تقدم ووسط الارباض قرطبة التي تختص بالسور دونها واما البنية التي كانت في المجلس البديع فانها كانت من تحف قيصر التي بعث بها صاحب القسطنطينية الى الناصر مع تحف كثيرة سنية انتهى ونحوه لابن الفرضي وغير واحد لكن خالفهم صاحب المسالك والممالك فذكر ان عدد المساجد بقرطبة اربعماية مسجد وواحد وسبعون مسجدا وهو بعيد وقال قبله ان دور قرطبة في كمالها ثلاثون الف ذراع وتفسيرها باللسان القوطي القلوب المختلفة وهي بالقوطية بالطا المشالة وقيل معنى قرطبة احرف ساكنها قال وبقرطبة اقاليم كثيرة وكورة جليلة وكان مجباها في ايام الحكم بن هشام ماية الف دينار وعشرة الاف دينار وعشرون دينارا وسبق ما يخالف

هذا

هذا وبين النسختين اربعة الاف مدي وستماية مدي وسبعة وابرجين مديا وقال بعض العلما احصيت دور قرطبة التي بها وارباضها ايام ابن ابي عامر فكانت ماتي الف دار وثلاثة عشر الف دار وسبعة وسبعون دارا وهذه دور الرعية واما دور الاكابر والوزرا والكتاب والاجناد وخاصة الملك فستون الف دار وثلثماية دار سوى مصاري الكرا والحمامات والخانات وعدد الحوانيت ثمانون الف حانوت واربعماية وخمسة وخمسون ولما كانت الفتنة على راس الماية الرابعة تغيرت رسوم ذلك العمران ومحيت اثار تلك القرى والبلدان انتهى ملخصا وسياتي في رسالة الشقندي ما هو اشمل من هذا ولما رفع الحال لابي القاسم عامر بن هشام القرطبي بقرطبة وزين له بعض اصحابه الرحلة الى حضرة ملك الموحدين بمراكش قال وذكر المنتزهات القرطبية

يا هبة باكرت من نحو دارين … وافت الي على بعد تحييني
اسرت على صفحات النهر ناثرة … حبابها بين خيري ونسرين
ردت على جسدي بروح الحياة وما … خلت النسيم اذا ما مر يحييني
لولا تنسمها عن نشر ارضكم … ما اصبحت من اليم الوجد تبريني
مرت على عقدات الرمل حاملة … من سركم خبرا بالوحي يشفيني
عرفت من عرفها ما لست اجهله … لما تنسم في تلك الميادين
ترومت من طرب لما تفاوحها … وظل يبسط في طورا ويطويني
خلت الشمال الا اذ سكرت بها … سكرا بما لستنا زجوه يمثنيني
اخذت الى ريحها من سما يلكم … فقلت قربني من كان يقصيني
وخلت من طمع ان اللقا على … اثر النسيم واضحى الشوق يحدوني
فظلت الثم من تعظيم حقكم … مجرا ذيالها والوجد يغريني
مسارح كم بها سرحت من كمد … قلبي وطرفي ولا سلوان يثنيني
بين المصلى الى وادي العقيق وما … يزال مثل اسمه ان بان يبكيني
الى الرصافة فالمرج النضير فوا … دي الدير فالعطف من بطحا عيدون
لباب عبد سقته السحب وابلها … فلم يزل بكوس الانس يسقيني
لا باعد الله عيني عن منازهه … ولا يقرب لها ابواب جيرون
حاشا بها من محلات مفارقة … من شيق دونها في القرب محزون
اين المسير وزق الله ادركم … من دون حبر وما ميل يعنيني
يا من يزين لي الترحال عن بلدي … كم ذا تحاول سلا عنه عنيني
واين بعد لعن رجا قرطبة … من شا يظفر بالدنيا وبالدين
قطر فسيح ونهر ما به كدر … حفت بشطيه الفاف البساتين

• يا ليت لي عمر نوح في إقامتها • وإن لي فيه كنز قارون •
• كأنما كنت أفنيه على نشوا • ت الراح نهبا ووصل الخرد العين •
• وإنما أشتفي أني أبيعهم بها • وإن حظي منها حظ مغبون •
• أرى بعيني ما لا أستطيل به • له وقد حاز من قدره دوني •
• وأنكد الناس عيشا من تكون له • نفس الملوك وحالات المساكين •
• يغض طرفا لتضابي حين تبهته • قضبان نعمان في كثبان يبرين •
• قالوا الكفاف مقيم قلت ذاك لمن • لا يبتغي لي بيت الرزاجين •
• ولا بليلة هب الصبا سحرا • ولا يلطفه عرف الرياحين •
• ولا يهيم بتفاح الخدود ورما • ن الصدور وترجيج التلاحين •
• لا تجتني راحة إلا على تعب • ولا ينال العلا إلا من الهون •
• وصاحب العقل في الدنيا أخو كبد • وإنما الصفو فيها للمجانين •
• يا آمري أن أحث العيس عن وطني • لما رأى الرزق فيه ليس يرضيني •
• نصحت لكن لي قلبا ينازعني • فلو ترحلت عنه حل دوني •
• لألزمن وطني طورا نظاوعني • نوذ الأماني وطورا فيه يعصيني •
• مذ كلا بين غربي وأضربي عن • سبيل أرض بها من ليس يدريني •
• هذا يقول غريب سافر طمعا • وذاك حين أريه البر يجفوني •
• إليك عني أماني فبعدك يسعدني • وقربك يطغيني ويغويني •
• يا لحظ كل غزال السننا ملكه • بدنو وما لي حال منه تدنيني •
• ويا مدامة دير لا ألم به • لولاك ما كان ما أعطيت يكفيني •
• لأصبرن على ما كان من كدر • لمن عطاياه بين الكاف والنون •

وتسمى هذه القصيدة عند أهل الأندلس كنز الأدب وقد أشرنا في الفصل الأول إلى كثير مما يتعلق بقرطبة أعادها الله فأغنى عن إعادته وإن كان نذكره هنا النسب لأن ما تقدم إنما هو في ذكرها مع غيرها من بلاد الأندلس وهذا الفصل لها بالاستقلال **وأنشد أبو العاصي** غالب بن أمية الوردي حين جلس على نهر قرطبة بإزاء الرتيض متلفتا إلى القصر بديهة

• يا قصر كم حويت من نعم • عادت لقى بعوارض السكك •
• يا قصر كم حويت من ملك • دارت عليه دوائر الفلك •
• ما شئت فابق فكل متخذ • يوما يعود بحال مشترك •

وقال القاضي أبو الفضل عياض عند ارتحاله عن قرطبة

• أقول وقد جد ارتحالي وغردت • حداتي وزمت للفراق ركائبي •
• وقد غمضت من كثرة الدمع مقلتي • وصارت هواء من فؤادي ترائبي •

ولم يبق

• ولم تبق إلا وقفة يستحثها • وداعي للأحباب لا للحبائب •
• رعى الله جيرانا بقرطبة العلى • وجاد رباها بالعهاد السواكب •
• وحيا زمانا بينهم قد ألفته • طليق المحيا مستلين الجوانب •
• أإخواننا بالله فيها تذكروا • مودة جار أو مودة صاحب •
• غدوت بهم من برهم واحتفائهم • كأني في أهلي وبين أقاربي •

وأما مسجد قرطبة فشهرته تغني عن كثرة الكلام فيه ولنذكر نبذا من أحواله إلى ما لا بد منه فنقول قال بعض المؤرخين ليس في بلاد الإسلام أعظم منه ولا أعجب بناء وأتقن صنعة وكلما اجتمعت منه أربع سواري كان رأسها واحدا ثم صف رخام منقوش بالذهب واللازورد في أعلاه وأسفله انتهى **وكان** الذي ابتدأ بنيان هذا المسجد العظيم عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل ولم يكمل في زمانه وكمله ابنه هشام ثم توالى الخلفاء من بني أمية على الزيادة فيه حتى صار المثل مضروبا به والذي ذكره غير واحد أنه لم يزل كل خليفة يزيد على من قبله فيه إلى أن كمل على يد ثمانية من الخلفاء وقال بعض المؤرخين إن عبد الرحمن الداخل لما استقر أمره بنى القصر بقرطبة وبنى المسجد الجامع وأنفق عليه ثمانين ألف دينار واشترى موضعه إذ كان كنيسة بمائة ألف دينار فالله أعلم وذكر بعض في ترجمة عبد الرحمن الداخل ما صورته إنه لما تمهد ملكه شرع في تعظيم قرطبة فجدد مغانيها وشيد مبانيها وحصنها بالسور وابتنى قصر الإمارة والمسجد الجامع ووسع فناءه وأصلح مساجد الكور ثم ابتنى مدينة الرصافة منتزها له واتخذها قصرا حسنا وجنانا واسعة نقل إليها غرائب الغراس وكرائم الشجر من بلاد الشام وغيرها من الأقطار انتهى وكانت أخته أم الأصبغ ترسل إليه من الشام بالغرائب مثل الرمان العجيب الذي أرسلته إليه من دمشق الشام كما مر وسيأتي في كلام ابن سعيد بما هو أتم من هذا ولما ذكر ابن بشكوال زيادة المنصور بن أبي عامر في جامع قرطبة قال ومن أحسن ما عاينه الناس في بنيان هذه الزيادة العامرية أعلاج النصارى مصفدين في الحديد من أرض قشتالة وغيرها وهم كانوا يتصرفون في البنيان عوضا من رجال المسلمين إذلالا للشرك وعزة للإسلام **ولما** عزم على زيادته هذه جلس لأرباب الدور التي تنقل أصحابها عنها بنفسه فكان يؤتى بصاحب المنزل فيقول له إن هذه الدار التي لك يا هذا أريد ابتياعها لجماعة المسلمين من مالهم ومن فيئهم لأزيدها في جامعهم وموضع صلاتهم فتشطط واطلب ما شئت فإذا ذكر له أقصى الثمن أمر أن يضاعف له وأن تشترى له بعد ذلك دار عوضا منها حتى أتي بامرأة لها دار بصحن الجامع فيها نخلة فقالت لا أقبل عوضا إلا دارا بنخلة فقال تبتاع لها دار بنخلة ولو ذهب فيها بيت المال فاشتريت لها دار بنخلة وبولغ في الثمن **وحكى** ذلك ابن حيان أيضا وقيل إن إنفاق الحكم

في زيادة الجامع كان مائتا ألف وواحد وستين ألف دينار ونيف وكله من الأخماس
وقال صاحب كتاب مجموع المفترق كان مسقف البلاط من المسجد الجامع من
القبلة إلى الجوف قبل الزيادة مائتان وخمس وعشرون ذراعا والعرض من
الشرق إلى الغرب قبل الزيادة مائة ذراع وخمسة أذرع ثم زاد الحكم في طوله
مائة ذراع وخمسة أذرع فكمل الطول ثلثمائة ذراع وثلاثين ذراعا وزاد محمد
ابن أبي عامر بأمر هشام بن الحكم في عرضه من جهة المشرق ثمانين ذراعا وكان
عدد بلاطاته أحد عشر بلاطا عرض أوسطها ست عشرة ذراعا وعرض كل واحد من
اللذين يليانه غربا واللذين يليانه شرقا أربعة عشر ذراعا وعرض كل واحد من
الستة الباقية إحدى عشرة ذراعا وزاد ابن أبي عامر فيه ثمانية عرض كل واحد
عشرة أذرع وكان العمل في زيادة المنصور سنتين ونصفا وخدم فيه بنفسه وطول
الصحن من المشرق إلى المغرب مائة ذراع وثمان وعشرون ذراعا وعرضه من
القبلة إلى الجوف مائة ذراع وخمسة أذرع وعرض كل واحدة من السقائف المستديرة
بصحنه عشرة أذرع فتكسيره ثلاثة وثلاثون ألف ذراع ومائة وخمسون ذراعا
وعدد أبوابه تسعة ثلاثة في صحنه غربا وشرقا وجوفا وأربعة في بلاطاته
اثنان شرقيان واثنان غربيان وفي مقاصير النساء من السقائف بابان وجميع ما فيه
من الأعمدة ألف عمود ومائتا عمود وثلاثة وتسعون عمودا رخاما كلها وباب
مقصورة الجامع ذهب وكذلك جدار المحراب وما يليه قد أجري فيه الذهب على
الفسيفساء وثريا المقصورة فضة محضة وارتفاع الصومعة اليوم وهي
من بناء عبد الرحمن بن محمد ثلاث وسبعون ذراعا إلى أعلى القبة المفتحة التي
يستدير بها المؤذن وفي رأس هذه القبة تفافيح ذهب ودور كل تفاحة ثلاثة
أشبار ونصف فاثنان من التفافيح ذهب إبريز وواحدة فضة وتحت كل واحدة
منها وفوقها سوسنة قد هندست بأبدع الصنعة ورمانة ذهب صغيرة على
رأس الزج وهي إحدى غرائب الأرض وكان بالجامع المذكور في بيت منبره مصحف
أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه الذي خطه بيده وعليه حلية ذهب مكللة
بالدر والياقوت وعليه أغشية الديباج وهو على كرسي العود الرطب بمسامير
الذهب رجع إلى المنارة وارتفاع المنارة إلى مكان الأذان أربع وخمسون ذراعا
وطول كل حائط من حيطانها على الأرض ثمان عشرة ذراعا انتهى بحروفه وفيه بعض
مخالفة لما ذكره ابن الفرضي وبعضهم إذ قال في ترجمة المنصور بن أبي عامر ما
صورته وكان من أخبار المنصور بن أبي عامر الداخلة في أبواب البر والقربة
بنيان المسجد الجامع والزيادة فيه سنة ٣٧٧ وذلك أنه لما زاد الناس بقرطبة
وانجلب إليها قبائل البربر من العدوة وإفريقية وتناهى حالها في الجلالة

ضاقت

ضاقت الأرباض وغيرها وضاق المسجد الجامع عن حمل الناس فشرع المنصور
في الزيادة بشرقيه حيث تتمكن الزيادة لاتصال الجانب الغربي بقصر الخلافة
فبدأ ابن أبي عامر بهذه الزيادة على بلاطات تمتد طولا من أول المسجد إلى آخره
وقصد ابن أبي عامر في هذه الزيادة المبالغة في الإتقان والوثاقة دون الزخرفة
ولم يقصر مع ذلك عن سائر الزيادات جودة ما عدا زيادة الحكم وأول ما عمله
ابن أبي عامر تطييب نفوس أرباب الدور الذين اشترين منهم للهدم لهذه
الزيادة بإنصافهم من الثمن وصنع في صحنه الجب العظيم قدره الواسع فناؤه
ومن أعنى ابن أبي عامر هو الذي رأيت إحراق الشمع بالجامع زيادة للزيت فتطابق
بذلك النوران وكان عدد سواري الجامع الحاملة لسمائه واللاصقة
بمبانيه وقبابه ومناره بين كبيرة وصغيرة ألف سارية وأربعمائة سارية
وسبع عشرة سارية وقيل أكثر وعدد ثريات الجامع ما بين كبيرة وصغيرة
مائتان وثمانون ثريا وعدد الكؤوس سبعة آلاف كأس وأربعمائة كأس وخمسة
وعشرون كأسا وقيل عشرة آلاف وثمانمائة وخمس كؤوس وزنة مشاكي الرصاص
للكؤوس المذكورة عشرة أرباع أو نحوها وزنة ما يحتاج إليه من الكتان للفتائل
في كل شهر رمضان ثلاثة أرباع القنطار وجميع ما يحتاج إليه الجامع من الزيت
في السنة خمسمائة ربع أو نحوها يصرف منه في رمضان خاصة نحو نصف العدد
ومما كان يختص برمضان المعظم ثلاثة قناطير من الشمع وثلاثة أرباع القنطار
من الكتان المفصل لإقامة الشمع المذكور والكبيرة من الشمع التي توقد بجانب
الإمام يكون وزنها من خمسين إلى ستين رطلا يحترق بعضها بطول الشهر ويعم
الحرق جميعها ليلة الختمة وكان عدد من يخدم الجامع المذكور بقرطبة في دولة
ابن أبي عامر وينصرف فيه من أئمة ومقرئين وأمناء ومؤذنين وسدنة وموقدين
وغيرهم من المتصرفين مائة وتسعة وخمسون شخصا ويوقد من البخور ليلة
الختمة أربعة أواقي من العنبر الأشهب وثمان أواقي من العود الرطب انتهى
وقال بعض المؤرخين كان للجامع كل جمعة رطل عود وربع رطل عنبر يتبخر
به انتهى وقال ابن سعيد نقلا عن ابن بشكوال طول جامع قرطبة الأعظم
الذي هو بداخل مدينتها من القبلة إلى الجوف ثلاثمائة وثلاثون ذراعا الصحن
المكشوف منه ثمانون ذراعا وغير ذلك مسقف وعرضه من الغرب إلى الشرق مائتان
وخمسون ذراعا وعدد بلاطاته عند اكتمالها بالثمانية التي زادها المنصور بن
أبي عامر بعده هذا تسعة عشر بهوا وتسمى البلاطات وعدد أبوابه الكبار والصغار
إحدى وعشرون بابا في الجانب الغربي تسعة أبواب منها واحد كبير للنساء يشرع
إلى المقاصير وفي الجهة الشرقية تسعة أبواب منها لدخول الرجال ثمانية أبواب

وفي الجهة الشمالية ثلاثة ابواب منها لدخول الرجال بابان كبيران وباب لدخول
النساء الى المقاصير وليس لهذا الجامع في القبلة سوى باب واحد بداخل
المقصورة المتخذة في قبلته متصلة بالساباط المفضي الى قصر الخلافة منه كان
السلطان يخرج من القصر الى الجامع لشهود الجمعة وجميع هذه الابواب ملبسة
بالنحاس الاصفر باغرب صنعة وعدد سواري هذا المسجد الجامع الحاملة لسمائه
والملصقة بمبانيه وقبابه ومناره وغير ذلك من اعماله بين كبار وصغار
الف واربعمائة سارية وتسع سواري منها بداخل المقصورة مائة وتسع عشرة
سارية وذكر المقصورة البديعة التي صنعها الحكم المستنصر في هذا الجامع فقال
انه حظر بها على خمس بلاطات من الزيادة الحكمية واطلق حقا فيها على الستة
الباقية ثلاثة من كل جهة فصار طولها من الشرق الى الغرب خمسا وسبعين
ذراعا وعرضها من جدار الخشب الى سوار المسجد بالقبلة اثنين وعشرين ذراعا
وارتفاعها في السما الى حد شرفاتها ثمان اذرع وارتفاع كل شرفة ثلاثة اشبار
ولهذه المقصورة ثلاثة ابواب بديعة الصنعة عجيبة النقش شارعة الي
الجامع شرقي وغربي وشمالي . ثم قال وذرع المحراب في الطول من القبلة الى الجوف
ثمان اذرع ونصف والمنبر الى جنبه مؤلف وعرضه من الشرق الى الغرب سبع
اذرع ونصف وارتفاع قبوه في السماء ثلاثة عشر ذراعا ونصف والمنبر الى جنبه
مؤلف من كارم الخشب ما بين ابنوس وصندل وسم وبقم وسوخط وما اشبه
ذلك ومبلغ النفقة فيه خمسة وثلاثون الف دينار وسبعمائة دينار وخمسة
دنانير وثلاثة دراهم وثلث درهم وقيل غير ذلك وعدد درجه تسع درجات
صنعه الحكم المستنصر رحمه الله وذكر ان عدد ثريات الجامع التي تسرج فيها المصابيح
بداخل البلاطات خاصة سوى ما منها على الابواب مائتان واربع وعشرون ثريا
جميعها من لاطون مختلفة الصنعة منها اربع ثريات كبار معلقة على البلاطة
الاوسط اكبرها الضخمة المعلقة في القبلة الكبرى التي فيها المصاحف جالي
المقصورة فيها من السرج فيما زعموا الف واربعة وخمسون تستنير قدمها لثريا
الضخام في العشر الاخر من شهر رمضان تستقي كل ثريا منها سبعة ارباع في الليلة
وكان مبلغ ما ينفق من الزيت على جميع المصابيح في هذا المسجد في السنة ايام
تمام وقوده في مدة ابن ابي عامر مكملة بالزيادة المنسوبة الف ربع منها في شهر
رمضان سبعمائة وخمسون ربعا **قال** وفي بعض التواريخ القديمة كان
عدد القومة في المسجد الجامع بقرطبة من الخلفا وفي زمان ابن ابي عامر ثلاث
انتهى وفيه مخالفة لبعض ما تقدم **وذكر** بعضهم الزيت وكثر قوله
اولى بالاتباع لنقله عن ابن بشكوال ولمعرفة ابن سعيد بمثل هذا وتحقيقه فيه

اكثر من

اكثر من غيره والله اعلم نعم قال الف ربع وثلاثون ربعا منها في رمضان خمسمائة ربع
وفي الثريات التي من الفضة وهي ثلاثة اثنان وسبعون رطلا لكل واحد ثمانية
عشر في ليلة وقديما وقال في المبصرة انه مركب من ستة وثلاثين الف وصل قام كل
واحد منها بسبعة دراهم فضة وسمرت بمسامير الذهب والفضة وفي بعضها
نفيس الاحجار واتصل العمل فيه سبعة ثم قال ودور الثريا العظيمة خمسون شبرا
وتحتوي على الالف كاس واربعة وثمانين كلها موشاة بالذهب الى غير ذلك من الزخر
وكتب الفقيه والكاتب ابو محمد ابراهيم بن صاحب الصلاة الوليني يصف
جامع قرطبة بما نصه عمر الله بشمول السعادة رسمك ووفر من جزيل الكرامة
قسمك ولا برحت سحائب الانعام تهمي عليك سره وانا مثل الايام تهدي اليك
كل مسرة لئن كان اعزك الله طرفي الوداد بيننا عامرا وسبيل الاخلاص غامرا لواجب
ان نفض ختمه ونرفض كتمه لا سيما فيما بدر من اخلاف الفضايل وبهر اعطاف الشمايل
واني شخصت الى حضرة قرطبة حرسها الله منشرح الصدر لحضور ليلة القدر
والجامع قدس الله بقعته ومكانه وثبت اساسه واركانه قد كسي ببردة الازدهار
وحل في معرض البهاء كان شرفاته فلول في شنان او اشر في اسنان وكان ماضربت
على ثمانية كلل وخلعت على ارجائه حلل وكان الشمس قد خلفت فيه ضياها
ونسجت على اقطاره افياها فترى نهارا قد احدق به ليل كما احدق بربوة سيل
ليل دامس ونهار شامس وللذبال التالي كنضنضة الحيات او اشارة البنان
في التحيات قد انتزعت من السليط كوسها ووصلت بمحاجن الحديد رؤوسها و
نيطت بسلاسل كالجذوع القايمة او كالثعابين العايمة عصيت بها تفاح
من الصفر كالتفاح الصفر يولع في صقلها وجلائها حتى بهرت بحسنها ولالائها
كانما حليت باللهب واشربت ماء الذهب ان سامتها طولا رايت منها سبايك
عسجد او قلايد زبرجد وان جئتها عرضا رايت منها افلاكا ولكنها غير دايرة
ونجوما ولكنها ليست سايرة تتخلق تخلق الفرطين الذهبي وتنبسط شعاعها
بسط الاديم حين يفري والشمع قد رفعت على المنار رفع البنود وعرضت عليها عرض
الجنود ليجلا طلاقة روايها القريب والبعيد ويستوي في هداية ضيايها
الشقي والسعيد وقد قوبل منها مبيض بمحمر وعورض مخضر بمصفر تضحك
ببكائها وتبكي بضحكها وتهلك بحياتها وتحيي بهلاكها والطيب تفغم فوايحه
وتنسم روايحه وقتار الالنجوج والند يستخرج من روح الحياة ما في صفوف
مجامر ككعوب متناصرة وظهور القباب مكللة وبطونها مهللة كانما تيجان رصع
فيها ياقوت ومرجان قد فرش محرابها احكم تفويف ووشي بمثل ريش الطواويس حتى
كانه بالمجرة مقرطق وبقوس قزح ممنطق وكان اللازورد حول سومه وبين سومه

نتف من قوادم الحمام • او كسف من ظلل الغمام • والناس اخياف في دواعيهم وازعهم
في اغراضهم ومراميهم بين ركع وسجد • وايقاظ وهجد • ومزدحم على الرقاب يتخطاها •
ومقتحم على الظهور يتمطاها • كانهم سرد خلال الفطر • او حروف في عرض سطر • حتى
اذا فرغت اسماعهم روعة التسليم • تبادروا بالتكليم • وتجاذبوا بالاثواب •
وتساقوا بالاكواب • كانهم حضور ظالعليهم غياب • او سفر اتيح لهم اياب • وصفيك
مع اخوانك صدق تنسكب العلوم بينهم انسكاب الودق • في مكان كوكر العصفور
استغفر الله او ككناس اليعفور • كان اقليدس قد قسم بيت مساحته بالموازين
وارتبطنا فيه ارتباط البيادق بالفرازين حتى صار عقدنا لا يحل • وحدثنا
لا يمل • بحيث نسمع سور التنزيل كيف تتلى • وتتطلع صور التفضيل كيف تجلى
والقوم حوالينا يجهدون في قطع الضرر • ويعمدون الى قرع العمد بالدرر • فاذا
سمع بها الصبيان فتطيفت الخافقين • وسرت نحوهم سري العين • نومهموا
انها الى اعطافهم واصله • وفي اخفافهم حاصله • ففروا بين الاساطين كما تفر
من النجوم الشياطين كانما ضربهم ابو جهم بعصاه • او حصبهم عمير من صابي فاكرم
بها من مساع تسوق الى جنة الخلد • ويهون في السعي اليها انفاق الطوارف والتلد •
تعظيما لشعائر الله وتنبيها لكل ساه ولاه • حكمة تشهد لله تعالى بالربوبيه
وطاعة تذل بها كل نفس ابيه • فلما اراد ادام الله عزك منظرا منها ابهى وبالحبر
اشهى • واذا لم تتامله عيانا فتخيله بيانا • وان كان خط منطقي من الكلام •
خط السيخ من الازلام • لكن ما بيننا من مودة املد ناوسا يلها • وادنت تقلد نا
حمايلها • توجب قبول الخافي سمينا وغثا • ولبس لطافي جديدا ورثا • لا زالت لزناد
النيل موريا • والى آماد الفضل مجريا • والتحية لعبقة الربا المشرقة المحيا •
عليك ما طلع فجر وابيع نجم ورحمة الله وبركاته انتهى **وذكر** ابن بشكوال
ان الحكم المستنصر هدم الميضاة القديمة التي كانت بفناء الجامع يستسقى بها الماء
من بير السانية وبنى موضعها اربع ميضات في كل جانب من جانبي المسجد الشرقي
والغربي منهما اثنان كبرى للرجال وصغرى للنسا اخرى في جميعها الماء في قناة اجلبه
من سفح جبل قرطبة الى ان صب ما بها في احواض رخام لا ينقطع جريانه الليل والنهار
فاجرى فضل هذا الماء العذب الى سقايات اتخذهن على ابواب هذا المسجد بجهاته
الثلاث الشرقية والغربية والشمالية اجرا لها منالك الى الثلاثة جوابي من حجر
الرخام استقطعها بمقطع المسيتر بسفح جبل قرطبة بالمال الكبير والقوة الرخام
هنالك واحتفروا اخواتها بما فيرهم في المدة الطويلة حتى استوت في صورها البديعة
لا عين الناس فخفف ذلك من ثقلها • وامكن من امساطها الى اماكن نصبها باكناف
المسجد الجامع وامد الله على ذلك بمعونته فتهيا حمل الواحدة منها فوق عجالة

كبيرة

150

كبيرة الحدث من ضخام خشب البلوط على فلك موثقة بالحديد المثقف تحفو فيه من
الجبال فقرن تجرها سبعون دابة من اشد الدواب وسهلت قدامها الطرق والمسالك
وسهل الله حملها واحدة بعد اخرى على هذه الصفة في مدة اثنى عشر يوما فنصبت في
الاقبا المعقودة لها قال **وابتنى** المستنصر في غربي الجامع دارا لصدقة واتخذ
معهدا للتفسير يتصدق فانه المتوالية وابتنى للفقراء البيوت قبالة باب المسجد
الكبير الغربي انتهى واعلم ان لعظم امر قرطبة كان عملها حجة بالمغرب حتى انهم يتعودون
في الاحكام هذا مما جرى به عمل قرطبة وفي هذه المسئلة نزاع كثير ولا باس ان نذكر ما لا بد
منه من ذلك **قال** الامام ابن عرفة رحمه الله في اشتراط الامام على القاضي الحكم
بمذهب معين وان خالف معتقده المشترط اجتهادا وتقليدا ثلاثة اقوال العتبية
للباجي وعمل اهل قرطبة ولطا من شرط سحنون على مذهب من ولاه الحكم بمذهب اهل
المدينة • قال المازري مع احتمال كونه لرجل مجتهد الثاني لبطلان الطرطوشي
اذ قال في شرط اهل قرطبة هذا جهل عظيم • الثالث تصح التولية ويبطل الشرط •
تخريجا على احد الاقوال في الشرط الفاسد في البيع للمازري عن بعض الناس انتهى
مختصرا **قال** ابن غازي ابن عرفة نسب للطرطوشي البطلان مطلقا
وابن شاس انما نسب له التفصيل **ولما** ذكر مولاي الجد الامام قاضي القضاة بالاندلس
بفاس سيدي ابو عبد الله المقري التلمساني في كتابه القواعد شرط اهل قرطبة
المذكور وقال بعد ما نصه وعلى هذا الشرط ايجاب عمل القضاة بالاندلس
ثم انتقل الى المغرب فبلينا بخوض نتنازع الناس في عمل المدينة ونصيح باهل الكوفة
مع كثرة من نزل بها من علماء الامة كعلي وابن مسعود ومن كان مثلهما لسل النخل
في العينين كالكحل
سح لنا بعض الجمود ومعدن التقليد
الله اخر مدتي فتاخرت • حتى رايت من الزمان عجائبا •
بالله والمسلمين ذهبت قرطبة واهلها • ولم يبرح من الناس جهلها • ما هذا الا
الشيطان يسعى في محو الحق فيثبته • والباطل لا يزال يلقنه ويلقيه • الا ترى
خصال الجاهلية كالنياحة والتفاخر والتكاثر والطعن والتفضيل و
الكهانة والنجوم والخط والتشاوم وما اشبه ذلك واسماو ما كالجيم وترك
وكذا التنابز بالالقاب وغيره مما نهي عنه وحذر منه كيف لم تزل من اهلها وانسلكت
الى غيرهم مع تبيترام ما حتى كانهم لا يرفعون بالدين راسا بل يجعلون العادات
القديمة اسا • وكذلك محبة الشعر والتاخير والنسب وما انخرط في هذا السلك
سائر الموقع من القلوب والشرع فينا منذ سبعمائة سنة وسبع وستين سنة
لا تحفظ الا قولا ولا تعمل الا كلا انتهى **وقال** الحافظ ابن غازي بعد
ذكره كلام مولاي الجد ما نصه • وحدثني ثقة ممن لقيت انه لما قدم مدينة فاس لعلا

ابو يحيى الشريف التلمساني وتصدي لاقراء التفسير بالبلد الجديد وامر السلطان
ابو سعيد المريني الحفيد اعيان الفقها بحضور مجلسه كان يما الفقاه اليهم منزع
المغربي مذا فبالغوا في انكاره وراوا انه لا معول عليه زعما الفقها كابن
رشد واصحاب الوثايق كالمتيطي من اعتماد عمل اهل قرطبة ومن في معناهم انتهى
وقال بعض المورخين حين ذكر قرطبة ما ملخصه هي قاعدة بلاد الاندلس
ودار الخلافة الاسلامية وهي مدينة عظيمة واهلها اعيان البلاد وسراة الناس
في حسن الماكل والملابس والمراكب وعلو الهمم وبها اعلام العلما وسادات الفضلا
واجلاد الغزاه وانجاد الحروب وهي في نفسها خمس مدن يتلو بعضها بعضا وبين
المدينة والمدينة سور عظيم حصين حاجز وكل مدينة مستقلة بنفسها وفيها
ما يكفي اهلها من الحمامات والاسواق والصناعات وطول قرطبة ثلاثة اميال
في عرض ميل واحد وهي في سفح الجبل مطل عليها وفي مدينتها الثالثة القنطرة وفيها الوسطى
القنطرة والجامع الذي ليس في معمور الارض مثله وطوله مائة ذراع في عرض
ثمانين وفيه من السواري الكبار الف سارية وفيه مائة وثلاثة عشر ثرياه
للوقود اكبرها تحمل الف مصباح وفيه من النقوش والرقوم ما لا يقدر احد على
وصفه وبقبلته صناعات تدهش العقول وعلى فرجة المحراب سبع قسي قائمة
على عمد طول كل قوس فوق القامة قد تحير الروم والمسلمون في حسن وضعها وفي عضادتي
المحراب اربعة اعمدة اثنان اخضران واثنان لازورديان ليس لها قيمة لنفاستها
وبه منبر ليس على معمور الارض مثله في حسن صنعته وخشبه ساج وابنوس وعود
قاقلي ويذكر في تاريخ بني امية انه احكم عمله ونقشه في سبع سنين وكان يعمل فيه ثمانية
صناع لكل صانع في كل يوم نصف مثقال محمدي فكان جملة ما صرف على المنبر لا غير عشرة
الاف مثقال وخمسون مثقالا وفي الجامع حاصل كبير ملآن من انية الذهب والفضة
لاجل وقوده وبهذا الجامع مصحف يقال انه عثماني وللجامع عشرون بابا مصفحات
من النحاس الاندلسي مخرمة تخريما عجيبا بديعا يعجز البشر وبهم وفي كل باب حلقة
في نهاية الصنعة والحكمة وبه الصومعة العجيبة التي ارتفاعها مائة ذراع بالمكي
المعروف بالرشاشي وفيها من انواع الصنايع الدقيقة ما يعجز الواصف عن وصفه
ونعته وبهذا الجامع ثلاثة اعمدة حمر مكتوب على الواحد اسم محمد وعلى الاخر صورة
عصى موسى واهل الكهف وعلى الثالث صورة غراب نوح والجميع خلقة ربانية
واما القنطرة التي بقرطبة فهي بديعة الصنعة عجيبة المراي فاقت قناطر
الدنيا حسنا وعدد قسيها سبعة عشر قوسا سعة كل قوس منها خمسون شبرا
وبين كل قوسين خمسون شبرا وبالجملة فمحاسن قرطبة اعظم من ان يحيط بها وصف
انتهى ملخصا وهو وان تكرر بعضه مع ما قدمته فلا يخلو من فائدة زائدة والله

الموفق وما ذكره في طول المسجد وعرضه مخالف لما مر ويمكن الجواب بان هذا الذراع
الذراع اكبر من ذلك كما اشار اليه في امر الصومعة وكذا ما ذكره في عدد السواري
الا ان يقال لما تقدم باعتبار الصغار والكبار وهذا العدد الذي ذكره انما هو
للكبار فقط كما صرح به والله اعلم واما الثريات فقد خالف في عددها ما
تقدم مع ان المتقدم هو قول ثقات مورخي الاندلس ونحن جلبنا النقل من مواضع
وان اختلفت طرقه ومضمونا ته وقال في المغرب عند تعرضه لذكر جامع
قرطبة ما نصه اعتمد فيما انقله في هذا الفصل على كتاب ابن بشكوال فقد اغنى
بهذا الشان ثم اغنى واغنى عن الاستطلاع الى كلام غيره عن الرازي انه
لما افتتح المسلمون الاندلس امتثلوا ما فعله ابو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد
عن راي عمر رضي الله عنه بالشام من مشاطرة الروم في كنايسهم مثل كنيسة دمشق
وغيرها مما اخذوه صلحا فشاطر المسلمون اعاجم قرطبة كنيستهم العظمى التي كانت
داخل مدينتها تحت السور وكانوا يسمونها شنت بنجنت وابتنوا في ذلك الشطر
مسجدا جامعا وبقي الشطر الثاني بايدي النصارى وهدمت عليهم ساير الكنايس
بحضرة قرطبة واقتنع المسلمون بما في ايديهم الى ان كثروا وتزيدت عمارة قرطبة
ونزلها امراء العرب فضاق عنهم ذلك المسجد وجعلوا يعلقون منه سقيفة
بعد سقيفة ويستكنون بها حتى كان الناس ينالون في الوصول الى داخل المسجد
الاعظم مشقة لتلاصق تلك السقايف وقصر ابوابها وتطامن سقفها حتى ما يمكن
اكثرهم القيام على اعتدال لتقارب سقفها من الارض لم يزل المسجد على هذه الصفة
الى ان دخل الامير عبد الرحمن بن معاوية المرواني الى الاندلس واستولى على امارتها
وسكن دار سلطانها قرطبة وتمدنت به فنظر في امر الجامع وذهب الى توسعته
واتقان بنيانه فاحضر اعاظم النصارى وسامهم بيع ما بقي بايديهم من كنيستهم
لصق الجامع ليدخله فيه واوسع لهم البذل وفاء بالعهد الذي صولحوا عليه
فابوا من بيع ما بايديهم وسالوا بعد الجهد ان يباح لهم بنا كنيسة بدل التي هدمت
عليهم بخارج المدينة على ان يتخلوا للمسلمين عن هذا الشطر الذي طولبوا به فتم
الامر على ذلك وكان ذلك سنة ثمان وستين والف ثم ابتنى عند ذلك عبد
الرحمن المسجد الجامع على صفة ذكرها لا حاجة في تفسير الزيادة فيه وانما الحاجة
في وصفه بكماله وفي بانيه لهذه الزيادة يقول دحية بن محمد البلوني في قصيدة

وانفق في دين الاله ووجهه • ثمانين الفا من لجين وعسجد •
يوزعها في مسجد اسه التقى • ومنهجه دين النبي محمد •
ترى الذهب الناري فوق سموكه • يلوح كبرق العارض المتوقد •

قال وكمل سنة سبعين والف • ثم ذكر زيادة ابنه هشام الرضي وماجده

فيه وانه بناه من خمس فهنى اربونه ثم زيادة ابنه عبد الرحمن الاوسط لما تزايد
الناس قال ومنها قبلات بنيت الزخرفة فاتمها ولده محمد بن عبد الرحمن ثم زاد
المنذر بن محمد ما وهى منه وذكر ما جدده خليفتهم الناصر ونقضه للصومعة
الاولى وبنيانه للصومعة العظيمة قال ولما ولي الحكم المستنصر بن الناصر
وقد اتسع نطاق قرطبة وكثر اهلها وتبين الضيق في جامعها لم يقدم شيئا على
النظر في الزيادة فبلغ الجهد وزاد الزيادة العظمى قال ومما حملت محاسن
هذا الجامع وصار في حد يحسر الوصف عنه وذكر حضوره لمشاورة العلماء في تحريف
القبلة الى نحو المشرق حسبما فعله والده الناصر في قبلة جامع الزهراء لان اهل
التعديل يقولون بانحراف قبلة الجامع المذكور الى نحو الغرب فقال له الفقيه
ابو ابراهيم يا امير المؤمنين انه قد صلى الى هذه القبلة خيار هذه الامة من اجداد
الائمة وصلحاء المسلمين وعلمائهم منذ افتتحت الاندلس الى هذا الوقت متأسين
باول من نصبها من التابعين كموسى بن نصير وحنش الصنعاني وامثالهم رحمهم الله
وانما فضل من فضل بالاتباع وهلك من هلك بالابتداع فاخذ الخليفة برايه
نحو ما قلت وانما مذهبه الاتباع قال ابن بشكوال ونقلت من
خط امير المؤمنين المستنصر ان النفقة في هذه الزيادة وما اتصل بها انتهت
الى مائتي الف دينار واحد وستين الف دينار وخمسمائة دينار وسبعة وثلاثين
دينارا ودرهمين ونصف ثم ذكر الصومعة نقلا عن ابن بشكوال فقال امر
الناصر عبد الرحمن بهدم الصومعة الاولى سنة ٣٤٠ واقام هذه البديعة فحفر في
اساسها حتى بلغ الماء مدة من ثلاث واربعين يوما ولما كملت ركب الناصر اليها من
مدينة الزهراء وصعد في الصومعة من احد درجيها ونزل من الثاني ثم خرج الناصر
وصلى ركعتين في المقصورة وانصرف قال وكانت الاولى ذات مطلع واحد فصير
لهذه مطلعين فصل بينهما البنا فلا يلتقي الراقون فيها الا باعلاها تزيد مراقي كل
مطلع فيها على مائة وسبعة قال وخبر هذه الصومعة مشهور في الارض وليس في
مساجد المسلمين صومعة تعدلها قال ابن سعيد قال ابن بشكوال هذا لانه
لم ير صومعة مراكش ولا صومعة اشبيلية اللتين بناهما المنصور من بني عبد المؤمن
فهما اعظم واطول لانه ذكر ان طول صومعة قرطبة الى مكان موقف المؤذن اربعة
وخمسون ذراعا والى اعلا الرمانة الاخيرة باعلى الزج ثلاثة وسبعون ذراعا
وعرضها من كل تربيع منها ثمانية عشر ذراعا وذلك اثنان وسبعون ذراعا قال
ابن سعيد وطول صومعة مراكش مائة وعشر اذرع وذكر ان صومعة قرطبة بصفائح
الحجارة القطعية منجدة غاية التنجيد وفي اعلاه روميتان ثلاث شمسات يسمونها
رمانات ملصقة في السفود البارز في اعلاها من النحاس الشمستان منها ذهب

ابريز

١٦

ابريز والثالثة وسطى بينهما من فضة اكسير وطوفها سوسنة من ذهب
مسدسة فوقها رمانة ذهب صغيرة في طرف الزج البارز باعلى الجو وكان
تمام هذه الصومعة في ثلاثة عشر شهرا وذكر ابن بشكوال في رواية ان موضع
الجامع الاعظم بقرطبة كان حفرة عظيمة يطرح فيها اهل قرطبة قماماتهم وغير
فلما قدم سليمان بن داود صلى الله عليهما ودخل قرطبة قال للجن اردموا هذا
الموضع وعدلوا مكانه فسيكون فيه بيت الله يعبد الله فيه ففعلوا ما امرهم
به وبني فيه بعد ذلك الجامع المذكور قال ومن فضايله ان الدارات المائلة
في تزاويق سمائه مكتوبة كلها بالذكر والدعاء الى غيره باحكم صنعة انتهى وذكر
مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي كان في جامع قرطبة وصار الى
بني عبد المؤمن فقالوا هو مصحف امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه
مما خطه بيمينه وله عند اهل الاندلس شان عظيم انتهى وسنذكر فيه زيادة
على هذا واما الزهراء فهي مدينة الملك التي اخترعها امير المؤمنين عبد الرحمن
الناصر لدين الله وقد تقدم ذكره وهي من المدن الجليلة العظيمة القدر قال
ابن الفرضي وغيره كان يعمل في جامعها حين شرع فيه من حذاق الفعلة كل يوم
الف نسمة منهم ثلاثمائة بناء ومائتا نجار وخمسمائة من الاجراء وساير الصنايع
فاستتم بنيانه واتقانه في مدة من ثمانية واربعين يوما وجاء في غاية الاتقان
من حسنه ابها عجيبة الصنعة وطوله من القبلة الى الجوف حاشا المقصورة
ثلاثون ذراعا وعرض البهو الاوسط من بهاية من الشرق الى الغرب ثلاث عشرة
ذراعا وعرض كل بهو من الاربعة المكتنفة له اثنى عشر ذراعا وطول صحنه المكشوف
من القبلة الى الجوف ثلاثة واربعون ذراعا وعرضه من الشرق الى الغرب
احدى واربعون ذراعا وجميعه مفروش بالرخام الخمري وفي وسطه فوارة يجري
فيها الماء فطول هذا المسجد اجمع من القبلة الى الجوف سوى المحراب سبع وتسعون
ذراعا وعرضه من الشرق الى الغرب تسع وخمسون ذراعا وعرضها عشرة اذرع
في مثلها وامر الناصر لدين الله باتخاذ منبر بديع لهذا المسجد فصنع في نهاية الحسن
الحسن ووضع في مكانه منه وحظرت حوله مقصورة عظيمة عجيبة الصنعة
وكان وضع هذا المنبر في مكانه من هذا المسجد عند كماله يوم الخميس لسبع بقين
من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وفي صدر هذه السنة كمل للناصر بنيان
القناة الغريبة الصنعة التي يجري فيها الماء العذب من جبل قرطبة الى قصر
الناعورة في غربي قرطبة في المناهر المهندسة وعلى الحنايا المعقودة يجري ماؤها بتدبير
عجيب وصنعة محكمة الى بركة عظيمة عليها اسد عظيم الصورة بديع الصنعة
شديد الروعة لم يشاهد ابهى منه فيما صور الملوك في غابر الدهر مطلي بذهب

ابريز وعيناه جوهرتان لهما وميض شديد يجوز هذا الى عجز هذا الاسد
فيمجه في تلك البركة من فيه فيبهر الناظر بحسنه وروعة منظره وثجاجة
صبه فتسقى من مجاجه جنان هذا القصر على سعتها وتستفيض على ساحاته
وجنباته ويمد النهر الاعظم بما فضل منها فكانت هذه القناة وتركيبها
والتمثال الذي يصب فيها من اعظم آثار الملوك في غابر الدهر لبعد مسافتها
واختلاف مسالكها وفخامة بنيانها وسمو ابراجها التي يترقى الماء فيها و
يتصوب من اعاليها وكانت مدة العمل فيها من يوم ابتدئت من الجبل الى ان وصلت
اعني القناة الى هذه البركة اربعة عشر شهرا وكان انطلاق الماء الذي اتصل
واستمر يوم الخميس غرة جمادى الاخيرة من السنة وكانت للناصر في هذا اليوم
بقصر الناعورة دعوة حسنة افضل فيها على عامة اهل مملكته ووصل المهندسين
والقوام بالعمل بصلات حسنة جزيلة وأما مدينة الزهراء فاستمر العمل
فيها من عام خمسة وعشرين وثلثمائة الى اخر دولة الناصر وابنه الحكم وذلك
نحو من اربعين سنة ولما فرغ من بناء مسجد الزهراء على ما وصف كانت اول
جماعة صليت فيه صلاة المغرب من ليلة الجمعة لثمان بقين من شعبان وكان
الامام القاضي ابا عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي عيسى ومن الغد صلى الناصر فيه
الجمعة واول خطيب خطب به القاضي المذكور ولما بنى الناصر قصر الزهراء
المتناهي في الجلالة والفخامة اطبق الناس على انه لم يبن مثله في الاسلام
البتة وما دخل اليه قط احد من سائر البلاد النائية والنحل المختلفة من
ملك وارد ورسول وافد وتاجر جهبذ وفي هذه الطبقات من الناس تكون المعرفة
والفطنة الا وكلهم قطع انه لم ير له شبها بل لم يسمع به بل لم يتوهم كون مثله حتى
انه كان اعجب ما يؤمله القاطع الى الاندلس في تلك العصور النظر اليه
والتحدث عنه والاخبار عن هذا تتسع جدا والادلة عليه تكثر ولو لم يكن
فيه الا السطح الممرد المشرف على الروضة المباهي بمجلس الذهب والقبة
وعجيب ما تضمنه من اتقان الصنعة وفخامة الهمة وحسن المستشرف
وبراعة الملبس والحلة ما بين مرمر مسنون وذهب موضون وعمد كانما افرغت
في القوالب ونقوش كالرياض وبرك عظيمة محكمة الصنعة وحياض وتماثيل
عجيبة الاشخاص لا تهتدي الاوهام الى سبيل استقصاء التعبير عنها فسبحان
الذي اقدر هذا المخلوق الضعيف على ابداعها واختراعها من اجزاء الارض
المنحلة كيما يري الغافلين عنه من عباده مثالا لما اعده لاهل السعادة في
دار المقامة التي لا يتسلط عليها الفناء ولا تحتاج الى الرم لا اله الا هو المتوحد
بالكرم وذكر المؤرخ ابو مروان بن حيان صاحب الشرطة ان مباني قصر الزهراء

على اربعة

على اربعة الاف سارية ما بين كبيرة وصغيرة حاملة ومحمولة ونيف وثلث عشرة
على ثلثمائة سارية منها ما جلب من مدينة رومة ومنها ما اهداه صاحب
القسطنطينية وان مصاريع ابوابها صغارها وكبارها كانت تنيف على خمسة
عشر الف باب وكلها ملبسة بالحديد والنحاس المموه والله اعلم فانها كانت
من اجل ما بناه الانس واجله خطرا واعظمه شانا انتهى قلت فسر بعضهم
ذلك النيف في كلامه بثلاث عشر والله اعلم وقال بعض مؤرخي الاندلس كان
عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر الف فتى وسبعمائة وخمسين فتى ودخالتهم من
اللحم في كل يوم حاشا انواع الطير والحوت ثلاثة عشر الف رطل وعدة النساء
بقصر الزهراء الصغار والكبار وخدم الخدمة ستة الاف وثلثمائة امراة واربعة
عشر انتهى وقيل ان عدد الفتيان الصقالبة ثلاثة الاف وسبعمائة وخمسون
وجعل بعض مكان الخمسين سبعة وثمانون وقال اخر ستة الاف صقلبي وسبعة
وثمانين والمرتب من الخبز لحيتان بحيرة الزهراء اثنا عشر الف خبزة كل يوم وينقع
لها من الحمص الاسود ستة اقفزة كل يوم انتهى ثم قال الاول وكان للموالي من
اللحم ثلاثة عشر الف رطل يقسم من عشرة ارطال للشخص الى ما دون ذلك سوى
الدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحيتان انتهى وقال ابن حيان الفيت
بخط ابن دحون الفقيه قال مسلمة بن عبد الله العريف المهندس بدا عبد الرحمن
الناصر لدين الله بنيان الزهراء اول سنة خمس وعشرين وثلثمائة وكان مبلغ
ما ينفق فيها كل يوم من الصخر المنجور المعدل ستة الاف صخرة سوى الصخر المصرف
في التبليط فانه لم يدخل في هذا العدد وكان يخدم في الزهراء كل يوم الف واربعمائة
بغل وقيل اكثر منها اربعمائة زوامل الناصر لدين الله ومن دواب الاكرياء الراتبة
للخدمة الف بغل لكل بغل منها ثلاثة مثاقيل في الشهر يجب لها في الشهر ثلاثة
الاف مثقال وكان يرد الزهراء من الجيار والجص في كل ثالث من الايام الف ومائة
حمل وكان فيها حمامان واحد للقصر وواحد للعامة وذكر بعض اهل الخدمة في الزهراء
انه قدر النفقة فيها في كل عام بثلثمائة الف دينار مدة من خمسة وعشرين عاما
التي بقيت من دولة الناصر من حين ابتدائها لانه توفي سنة خمسين فحصل جميع
الانفاق فيها فكان مبلغه خمسة عشر بيت مال قال وجلبت لها الرخام من قرطاجنة
وافريقية وتونس وكان الذين يجلبونه عبد الله بن يونس عريف البنائين وحسن وعلي
ابن جعفر الاسكندراني وكان الناصر يصلهم على كل رخامة صغيرة بثلاثة دنانير
وعلى كل سارية بثمانية دنانير وكان عدد السواري المجلوبة من افريقية الف
وثلاثة عشر سارية ومن بلاد الافرنج تسع عشرة سارية واهدى اليه ملك الروم
مائة واربعين سارية وسائرها من مقاطع الاندلس طركونة وغيرها فالرخام

المجزع من رخامه والابيض من غيره مما والوردي والاخضر من افريقية من كنيسة
اسفاقس واما الحوض المنقوش المذهب الغريب الشكل الغالي القيمة فجلبه اليه
احمد اليوناني من القسطنطينية مع ربيع الاسقف ايضا وقالوا انه لا قيمة له
لفرط غرابته وجماله وحمل من مكان الى مكان حتى وصل الى البحر ونصبه الناصر
في بيت المنام في المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس وجعل عليه اثني عشر تمثالا لكن
الذهب الاحمر مرصعة بالدر النفيس الغالي مما عمل بدار الصناعة بقرطبة صورة
اسد الى جانبه غزال الى جانبه تمساح وفيما يقابله ثعبان وعقاب وفيل وفي
المجنبتين حمامة وشاهين وطاووس ودجاجة وديك وحدأة ونسر وكل ذلك
من ذهب مرصع بالجوهر النفيس ويخرج الماء من افواهها وكان المتولي لهذا البنيان
المذكور ابنه الحكم لم يتكل فيه الناصر على امين غيره وكان يخبز على ابوابه في كل يوم
برسم حيتان البحيرات ثمانمائة خبزة وقيل اكثر الى غير ذلك مما يطول تتبعه
الناصر كما قدمنا قسم الجباية اثلاثا ثلث للجند وثلث للبنا وثلث
مدخر وكانت جباية الاندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة الاف الف واربعمائة
الف وثمانين الف دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة الف وخمسة وستين
الف دينار واما اخماس الغنيمة فلا يحصيها ديوان وقد سبق هذا كله وانما
كررته لقول بعضهم اثر حكايته له ما صورته وقيل ان مبلغ تحصيل النفقة فيها
بالكيل المذكور ثمانين مدية وستة اقفزة من الدراهم المذكورة واتصل بنيان
الزهرا ايام الناصر خمسا وعشرين سنة شطر خلافته ثم اتصل بعده وفاته
خلافة ابنه الحكم كلها وكانت خمسة عشر عاما واشهرا فسبحان الباقي بعد فنا
الخلق لا اله الا هو انتهى وقال ابن الحميدي والشيخ في المطمح كان الناصر
كلفا بعمارة الارض واقامة معالمها وانبساط واستجلابها من ابعد بقاعها
وتخليدها الاثار الدالة على قوة الملك وعزة السلطان وعلو الهمة فافضى به
الاغراق في ذلك الى ان ابتنى مدينة الزهرا البناء الشائع ذكره الذائع
المنتشر في الارض واستفرغ وسعه في تنميقها واتقان قصورها و
زخرفة مصانعها فانهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي
اتخذه ثلاث جمع متواليات فاراد القاضي منذر ان يغض منه بما يتناوله من
الموعظة بفصل الخطاب والحكمة والتذكرة بالانابة والرجعة فابتدا اول
خطبته بقوله تعالى اتبنون بكل ريع الى اخر الاية ثم وصله بقوله فمتاع الدنيا
قليل والاخرة خير لمن اتقى ونعى دار القرار ومكان الجزا ومضى في ذم تشييد البنيان
والاستغراق في زخرفته والاسراف في الانفاق عليه بكلام جزل وقول فصل
تجري طلقا وانتزع فيه قوله تعالى افمن اسس بنيانه الى الاية

الحكيم

الحكيم واتى بما يشاكل المعنى من التخويف بالموت والتحذير من فجائه والدعا
الى الزهد في هذه الدار الفانية والحض على اعتزالها والرفض لها والندب الى
الاعراض عنها والاقصار عن طلب اللذات ونهي النفس عن اتباع هواها فاسهب
في ذلك كله واضاف اليه من آي القرآن ما يطابقه وجلب من الحديث والاثر ما
يشاكله حتى اذكر من حضره من الناس وخشعوا ورقوا واعترفوا وبكوا وضجوا
ودعوا واعلنوا التضرع الى الله تعالى في التوبة والابتهال في المغفرة واخذ
خليفتهم من ذلك باوفر حظ وقد علم انه المقصود به فبكى وندم على ما سلف من فرطه
واستعاذ بالله من سخطه الا انه وجد على منذر لغلظ ما تقرعه به فشكا
ذلك لولده الحكم بعد انصراف منذر وقال والله لقد تعمدني منذر بخطبته
وما عنى بها غيري فاسرف علي وافرط في تقريعي ولم يحسن السياسة في وعظي
فزعزع قلبي وكاد بعصاه يقرعني واستشاط غيظا عليه فاقسم ان لا يصلي خلفه
صلاة الجمعة خاصة فجعل يلتزم صلاتها وراء احمد بن مطرف صاحب الصلاة
بقرطبة ويجانب الصلاة بالزهرا وقال له الحكم فما الذي يمنعك عن عزل
منذر عن الصلاة بك والاستبدال بغيره منه اذ كرهته فزجره وانتهره وقال
امثل منذر بن سعيد في فضله وخيره وعلمه لا ام لك يعزل لارضاء نفس ناكبة
عن الرشد سالكة غير القصد هذا ما لا يكون واني لاستحي من الله ان لا اجعل بيني
وبينه في صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر في ورعه وصدقه احرجني ولوددت اني
اجد سبيلا الى كفارة يميني بملكي بل يصلي بالناس حياته وحياتنا ان شاء الله
تعالى فما اظننا نعتاض منه ابدا وقيل ان الحكم اعتذر عما قال لمنذر وقال
يا امير المؤمنين انه رجل صالح وما اراد الا خيرا ولو رأى ما انفقت وحسن
تلك البنية لعذرك فامر الناصر حينئذ بالقصور ففرشت وفرش ذلك
المجلس بانواع فرش الديباج وامر بالاطعمة وقد احضر العلما وعمر
بهم المجلس فدخل منذر في آخرهم فاوما اليه الناصر ان يقعد بقربه فقال يا امير
المؤمنين انما يقعد الرجل حيث انتهى به المجلس ولا يتخطى الرقاب فجلس في آخر
الناس وعليه ثياب رثة ثم ذكر هذا القايل بعد هذا من كلام المنذر ما يأتي قريبا
وقحط الناس آخر مدة الناصر فامر القاضي منذر المذكور بالبروز الى الاستسقا
بالناس فتاهب لذلك وصام بين يديه اياما ثلاثة تنفلا وانابة ورهبة
واجتمع له الناس في مصلى الربض بقرطبة بارزين الى الله تعالى في جمع عظيم وصعد
الخليفة الناصر في اعلا مصانعه المرتفعة من القصر ليشارف الناس ويشاركهم في
الخروج الى الله والضراعة له فابطا القاضي حتى اجتمع الناس وغصت بهم ساحة
المصلى ثم خرج نحوهم ماشيا متضرعا مخبتا متخشعا وقام ليخطب فلما راى بدار

الناس الى ارتقابه واستكانتهم من خيفة الله واخباتهم له وابتهالهم اليه رقت نفسه
وغلبته عبرته فاستعبر واستبكى ثم افتتح خطبته بان قال يا ايها الناس سلام
عليكم ثم سكت ووقف شبه الحصر ولم يك من عادته فنظر الناس بعضهم الى بعض
لا يدرون ما عراه ولا ما اراد بقوله ثم اندفع تاليا لقوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة
الى رحيم ثم قال استغفروا ربكم انه كان غفارا استغفروا ربكم وتوبوا اليه و
تزلفوا بالاعمال الصالحة لديه قال الحاكي فضج الناس بالبكا وجاروا
بالدعا ومضى على تمام خطبته ففزع النفوس بوعظه وانبعث الاخلاص بتذكيره
فلم ينقض النهار حتى ارسل الله السماء بماء منهمر روى الثرى وطرد المحل وسكن
الازل والله لطيف بالعباد وكان لمنذر في خطب الاستسقا استفتاح عجيب
ومنه انه قال يوما وقد سرح طرفه في املاء الناس عندما شخصوا اليه بابصارهم
فهتف بهم كالمنادي يا ايها الناس وكررها عليهم مشيرا بيده في نواحيهم انتم
الفقراء الى الله الى العزيز فاشتد وجد الناس وانطلقت اعينهم بالبكا ومضى
في خطبته   الخليفة الناصر   مرة للاستسقا   عزم عليه
فتسابق الناس للمصلى فقال للرسول وكان من خواص الناس ليت شعري ما الذي
يصنعه الخليفة سيدنا فقال له ما رايناه قط اخشع منه في يومنا هذا انه
منتبذ حاير منفرد بنفسه لابس اخشن الثياب مفترش التراب وقد رمد به
على راسه وعلى لحيته وبكى واعترف بذنوبه وهو يقول هذه ناصيتي بيدك اتراك
تعذب الرعية وانت احكم الحاكمين لن يفوتك شي مني قال الحاكي فتهلل
وجه القاضي منذر عندما سمع قوله وقال يا غلام احمل الممطر معك فقد اذن
الله تعالى بالسقيا اذا خشع جبار الارض فقد رحم جبار السماء وكان كما قال
فلم ينصرف الناس الا عن السقيا وكان منذر   الصلابة في احكامه والمهابة
في قضيته وقوة الخلوة والقيام بالحق في جميع ما يجري على يديه لا يهاب في ذلك
الامير الاعظم فمن دونه قال ابن الحسن النباهي واصله في المطمح وغيره
ومن اخبار منذر المحفوظة له مع الخليفة الناصر في انكاره عليه الاسراف في البنا
ان الناصر كان اتخذ لسطح القبيبة المصغرة الاسم للخصوصية التي كانت ماثلة
على الصرح الممرد المشهور شانه بقصر قرطبة قراميد ذهب وفضة انفق عليها مالا
جسيما وقرمد سقفها به وجعل سقفها صفراء فاقعة الى بيضاء ناصعة تستلب
الابصار باشعة نورها وجلس فيها اثر تمامها يوما لاهل مملكته فقال لقرابته
ومن حضر من الوزراء واهل الخدمة مفتخرا عليهم بما صنعه من ذلك مع ما يتصل
به من البدايع الفتانة هل رايتم او سمعتم ملكا كان قبلي فعل مثل هذا او قدر
عليه فقالوا لا والله يا امير المومنين وانك لاوحد في شانك كله وما سبقك

الى

الى مبتدعاتك هذه ملك رايناه ولا انتهى الينا خبره فابهجه قولهم وسره وبينما
هو كذلك اذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد وهو ناكس الراس فلما اخذ مجلسه
قال له كالذي قال لوزرايه من ذكر السقف المذهب واقتداره على ابداعه فاقبلت
دموع القاضي تتحدر على لحيته وقال له والله يا امير المومنين ما ظننت ان الشيطان
لعنه الله يبلغ منك هذا المبلغ ولا ان تمكنه من قيادك هذا التمكين مع ما
اتاك الله من فضله ونعمته وفضلك به على العالمين حتى ينزلك منازل
الكافرين قال فانفعل عبد الرحمن لقوله وقال له انظر ما تقول وكيف انزلتني
منزلتهم قال نعم اليس الله تعالى يقول ولولا ان يكون الناس امة واحدة الاية
فوجم الخليفة واطرق مليا ودموعه تتساقط خشوعا لله ثم اقبل على
منذر وقال له جزاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيرا وعن الدين والمسلمين اجره
وكثر في الناس امثالك فالذي قلت هو الحق وقام عن مجلسه ذلك وهو يستغفر
الله تعالى وامر بنقض سقف القبة واعاد قرمدها ترابا على صفة غيرها انتهى
ما حكاه ابن الحسن النباهي ولنذكر هذه الحكاية وغيرها وان خالف السياق
ما سبق وهذا منقول من كلام الحجاري في المسهب في اخبار المغرب فانه قال
اذ قال رحمه الله دخل منذر بن سعيد يوما على الناصر باني الزهراء وهو مكب على الاشتغال
بالبنيان فوعظه فانشده عبد الرحمن الناصر

همم الملوك اذا ارادوا ذكرها • من بعدهم فبالسن البنيان •
اوما ترى الهرمين قد بقيا وكم • ملك محاه حادث الازمان •
ان البناء اذا تعاظم شانه • اضحى يدل على عظيم الشان •

قال فما ادري هذا شعره ام تمثل به فان كان شعره فقد بلغ به الى غاية
الاحسان وان كان تمثل به فقد استحقه بالتمثيل به في هذا المكان وكان منذر
يكثر تعنيته على البنيان ودخل عليه مرة اخرى وهو في قبة قد جعل قرمدها من
ذهب وفضة واحتفل فيها احتفالا ظن ان احدا من الملوك لم يصل اليه فقام
خطيبا والمجلس قد غص بارباب الدولة فتلى قوله تعالى ولولا ان يكون الناس
امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الاية واتبعها بما
يليق بذلك فوجم الملك واظهر الكآبة ولم يسعه الا الاحتمال لمنذر بن سعيد
لعظم قدره في علمه ودينه وحضر معه يوما في الزهراء فقام الرئيس ابو عثمان بن
ادريس فانشد الناصر قصيدة منها

سيشهد ما ابقيت انك لم تكن • مضيعا وقد مكنت للدين والدنيا •
فبالجامع المعمور للعلم والتقى • وبالزهرة الزهراء للملك والعليا •

فاهتز الناصر وابتهج واطرق منذر بن سعيد ساعة ثم قام منشدا وهو يقول

• يا باني الزهراء مستغرقاً • أوقاته فيها أما تمهل •
• لله ما أحسنها رونقاً • لو لم تكن زهرتها تذبل •

فقال الناصر إذا هبّ عليها نسيم التذكار والحنين وسقتها مدامع الخشوع يا أبا الحكم لا تذبل إن شاء الله تعالى فقال منذر اللهم إني قد بثثت ما عندي ولم آل نصحاً انتهى ولقد صدق القاضي منذر رحمه الله فيما قال فإنها ذبلت بعد ذلك في الفتنة وقل لما كانت فيها من منحة محنة وذلك عندما ولي الحجابة عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر الملقب بشنجول وتصرف في الدولة مثل ما تصرف أخوه المظفر وأبوهما المنصور مما ساء التدبير ولم يميز بين الغث والدبر فدس إلى المؤيد هشام بن الحكم من خوفه منه حتى ولاه عهده كما بيّنا نص العهد فيما سبق فأطبق الخاصة والعامة على بغضه وإضمار السوء له وذلك سنة 398 فعند ذلك خرج عليه محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر سنة 399 وتلقب المهدي وخلع المؤيد وحبسه وأسلمت الجيوش شنجول فأسر وقتل قال ابن الرقيق ومن العجب ما رأيناه من نصف نهار يوم الثلاثاء لأربع بقين من جمادى الآخرة إلى نصف نهار يوم الأربعاء فتحت قرطبة وهدمت الزهراء وخلع خليفة وهو المؤيد وولي خليفة وهو المهدي وزالت دولة بني عامر العظيمة وقتل وزيرهم محمد بن عسقلاجة وأقيمت جيوش من العامة ونكب خلق من الوزراء وولي الوزارة آخرون وكان ذلك كله على يد عشرة رجال فحامين وجزارين وزبالين وهم جند المهدي هذا انتهى وقد تقدم بعض الكلام على المهدي هذا وهو الذي قيل فيه لما قام على الدولة

• قد قام مهديٌّ ولكنه • مهديُّ أهل الفسق والمجون •
• وشارك الناس في حرمهم • لولاه ما زال بالمصون •
من كان من قبله احتشم • فاليوم قد صار ذا قرون •

ومن شعر المهدي هذا وقد حياه في المجلس شرابه غلام بقضيب آس

• أهدى إليك شبيه قوامك المياس • غصناً رطيباً ناعماً من آس •
• وكأنما يحكيك في حركاته • وكأنما يحكيه بالأنفاس •

وقد ذكرنا فيما سبق في الفصل الثالث خبر المهدي هذا وقتله ولقد كان رقيعاً مشؤوماً على الدين والدنيا فإنه فاتح أبواب الفتنة بالأندلس وماحي معالمها حتى تفرقت الدولة وانتثر السلك وكثر الرؤساء وتطاول العدو إليها وأخذها شيئاً فشيئاً حتى محى اسم الإسلام منها أعادها الله وقد ألمّ الولي ابن خلدون في تاريخه بذكر الزهراء في جملة مباني الناصر فقال ما نصه مباني الناصر ولما استفحل ملك الناصر نظر إلى تشييد القصور والمباني وكان جده الأمير محمد وأبوه عبد

الرحمن الأوسط وجده الحكم قد احتفلوا في ذلك وبنوا قصورهم على أكمل الإتقان والضخامة وكان فيها المجلس الزاهر والبهو الكامل والمنيف فبنى هو إلى جانب الزاهر قصره العظيم وسماه دار الروضة وجلب الماء إلى قصورهم من الجبل واستدعى عرفاء المهندسين والبنائين من كل قطر فوفدوا عليه من بغداد والقسطنطينية ثم أخذ في بناء المتنزهات فاتخذ منية الناعورة خارج القصور وساق لها الماء من أعلى الجبل على بعد المسافة ثم اختط مدينة الزهراء واتخذها لنزوله وكرسياً لملكه وأنشأ فيها من المباني والقصور والبساتين ما عفى على مبانيهم الأولى واتخذ فيها محلات للوحش فسيحة الفناء متباعدة السياج ومسارح للطيور مظللة بالشباك واتخذ فيها دوراً لصناعة الآلات من آلات السلاح للحرب والحلي للزينة وغير ذلك من المهن وأمر بعمل الظلة على صحن الجامع بقرطبة وقاية للناس من حر الشمس انتهى وأما الزاهرة فهي من بناء المنصور محمد بن أبي عامر قال ابن خلدون إنه لما عظم على المنصور ما صورته وابتنى لنفسه مدينة لنزوله سماها الزاهرة ونقل إليها خزائن الأموال والأسلحة انتهى وقال غيره وأظنه صاحب المطمح وفي سنة 368 أمر المنصور بن أبي عامر ببناء الزاهرة وذلك عندما استفحل أمره واتقد جمره وظهر استبداده وكثر حساده وأنداده وخاف على نفسه في الدخول إلى قصر السلطان وخشي أن يقع في أشطان فتوثق لنفسه وكشف له ما ستر عنه في أمره من الاعتزاز عليه ورفع الاستناد إليه وسما إلى ما سمت إليه الملوك من اختراع قصر ينزل فيه ويحله بأهله وذويه ويضم الرياسة إليه ويتم به تدبيره وسياسته ويجمع فيه فتيانه وغلمانه فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة الموصوفة بالقصور الباهرة وأقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الأعظم ونسق فيها كل اقتدار معجز ونظم وشرع في بنائها في هذه السنة المؤرخة وحشد الصناع والفعلة وجلب إليها الآلات الجليلة وسربلها بهاء يرد الأعين كليلة وتولع بانتشارها في البسيطة وانبساطها وبالغ في رفع أسوارها وثابر على تسوية أنجادها وأغوارها فاتسعت هذه المدينة في المدة القريبة وصار بناؤها من الأبنية الغريبة وبنى معظمها في عامين وفي سنة 370 انتقل المنصور إليها ونزلها بخاصته وعامته فتبوأها وشحنها بجميع أسلحته وأمواله وأمتعته واتخذ فيها الدواوين والأعمال وعمل في داخلها الأهراء وأطلق بساحتها الأرحاء ثم أقطع ما حولها لوزرائه وكتابه وقواده وحجابه فابتنوا بها كبار الدور وجليلات القصور واتخذوا خلالها المستغلات المفيدة والمنازه المشيدة وقامت بها الأسواق وكثرت فيها الأرفاق وتنافس الناس في النزول بأكنافها والحلول بأطرافها للدنو من صاحب الدولة وتناهى الغلو في البناء حوله حتى اتصلت أرباضها بأرباض قرطبة وكثرت بحوزتها

العمارة. واستغرقت في تجويفها الاموال وافرد الخليفة من كل شيء الا من الاسم الخلافي
وصير ذلك من الرسم العافي ورتب فيها جلوس وزرائه ورؤوس امرائه وندب اليها
كل ذي خطة بخطته ونصب ببابها كرسي شرطته واجلس عليها واليا على رسم
كرسي الخليفة. وفي صفة تلك المدينة المنيفة. وكتب الى الاقطار بالاندلس والعدوة
بان تحمل الى مدينته تلك اموال الجبايات ويقصدها اصحاب الولايات وينتابها طلاب
الحوائج وحذر ان يعوج عنها الى باب الخليفة عائج. فانقضت اليها اللبانات
والاوطار. وانحشر الناس اليها من جميع الاقطار وتم لمحمد بن ابي عامر ما اراده
وانتظم بلبته اما بنيه المراد. وعطل قصر الخليفة من جميعه وصيره بمعزل من
سامعه ومطيعه وسد باب قصره عليه وجد في خبر الا يصل اليه. وجعل فيه ثقة
من صنائعه يضبط القصر ويبسط فيه النهي والامر ويشرف منه على كل داخل
ويمنع ما يحذره من الدواخل. ورتب عليه الحراس والبوابين. والسمار والنوابين
يلازمون حراسة من فيه ليلا ونهارا. ويراقبون حركاتهم سرا واجهارا.
وقد حجر على الخليفة كل تدبير. ومنعه من تملك قبيل او دبير. واقام الخليفة هشام
مهجور الفناء. محجور الغناء. خفي الذكر. عليل الفكر. مسدود الباب. محجوب
الشخص عن الاحباب. لا يراه خاص ولا عام. ولا يخاف منه باس ولا يرجى منه انعام
ولا يعهد فيه الا الاسم السلطاني في السكة والدعوة. وقد نسخه ولبس ابهته
وطمس بهجته. واغنى الناس عنه وازال اطماعهم منه. وصيرهم لا يعرفونه وامرهم
لا يذكرونه. واشتد ملك ابن ابي عامر منذ نزل قصر الزاهرة وتوسع مع الايام
في تشييد بنيانها حتى كملت احسن كمال. وجاءت في نهاية الجمال. نقاوة بناء
وسعة فناء. واعتدال هواء رق اديمه. وصفا الزجاج اعتلال نسيمه. ونضرة بستان
وبهجة للنفوس فيها افتتان: **وفيها يقول صاعد اللغوي**

يا ايها الملك المنصور من يمن * والمبتني نسبا غير الذي انتسبا
بغزوه في قلوب الشرك رائعة * بين المنايا تناغي السمر والقضبا
اما ترى العين تجري فوق مرمرها * هوى فيجري على احفافها الطربا
اجريتها فطما الزاهي بجريتها * كما طموت فسدت العجم والعربا
تخال فيه جنود الماء رافلة * مستلئمات تريك الدرع واليلبا
تحفها من فنون الايك زاهرة * قد اورقت فضة اذ اورقت ذهبا
بديعة الملك ما ينفك ناظرها * يتلو على السمع منها اية عجبا
لا يحسن الدهر ان ينشي لها مثلا * ولو تعنت فيها نفسه طلبا

ودخل عليه ابن ابي الحباب في بعض قصوره من المنية المعروفة بالعامرية
والروض قد تفتحت نواره. وتوشحت انجاده واغواره. وتصرف فيها الدهر

متواضعا. ووقف بها السعد خاضعا. **فقال**

لا يوم كاليوم في ايامنا الاول * بالعامرية ذات الماء والظلل
هواؤها في جميع الدهر معتدل * طيبا وان حل فصل غير معتدل
ما ان يبالي الذي يحتل ساحتها * بالسعد الا تحل الشمس في الحمل

وما زالت هذه المدينة رائقة. والسعود بلبتها متناسقة. تراوحها الفتوح
وتغاديها. وتجلب اليها منكسرة اعاديها. ولا ترجف عنها راية الا الى فتح. ولا يصدر
عنها تدبير الا الى نجح. الى ان حان يومها العصيب. وقيض لها من المكروه وافر
نصيب. فتولى فقيده. وخلت من بهجتها كل عقيده. انتهى **وقد حكى** الحميدي
في جذوة المقتبس هذه الحكاية الواقعة لابن ابي الحباب بزيادة. فقال بعد ان
ذكر هذه المنية العامرية هي الى جانب الزاهرة ان ابا المطرف بن ابي الحباب الشاعر
دخل الى المنصور في هذه المنية فوقف على روضة فيها ثلاث سوسنات ثنتان
قد تفتحتا وواحدة لم تتفتح **فقال**

لا يوم كاليوم في ايامنا الاول * بالعامرية ذات الماء والظلل
هواؤها في جميع الدهر معتدل * طيبا وان حل فصل غير معتدل
ما ان يبالي الذي يحتل ساحتها * بالسعد الا تحل الشمس في الحمل
كانما غرست في ساعة وبدا * السوسان من حينه فيها على عجل
ابدت ثلاثا من السوسان مائلة * اعناقها تتثنى من الاعياء والكسل
فبعضها قد رما للبعض متفتح * والبعض منغلق عنهن في شغل
كانها راحة ضمت انا ملها * من بعدما ملئت من جودك الخضل
واختها بسطت منها انا ملها * ترجو نداك كما عودتها فضل

انتهى **وذكر** ابن سعيد ان ابن العريف النحوي دخل على المنصور بن ابي عامر وعنده
صاعد اللغوي البغدادي فانشده وهو بالموضع المعروف بالعامرية من ابيات

فالعامرية تزهى على جميع المباني * وانت فيها كسيف قد حل في غمدان

فقام صاعد وكان مناقضا له **فقال** اسعد الله الحاجب الاجل ومكان سلطانه
هذا الشعر الذي قد اعده وروى فيه اقدارا انا اقول احسن منه ارتجالا فقال له
المنصور قل ليظهر صدق دعواك فجعل يقول من غير فكرة كثيرة:

يا ايها الحاجب المعتلي على كيوان * ومن به قد تناهى فخار كل يماني
العامرية اضحت كجنة الرضوان * فريدة لفريد ما بين اهل الزمان

ثم مر في الشعر **الى ان قال في وصفها**

انظر الى النهر فيها ينساب كالثعبان * والطير يخطب شكرا على ذرى الاغصان
والقضب تلتف سكرى بمسمع القضبان * والروض يفتر زهوا عن مبسم الاقحوان

وَالنرجس الغض يرنو بوجنة النعمان • وراحة الريح تمتار نفحة الريحان •
فدم مدى الدهر فيها • في غبطة وامان •

فاستحسن المنصور ارتجاله وقال لابن العريف ما لك فائدة في مناقضة من هذا ارتجاله فكيف تكون رويته فقال ابن العريف انما انطقه وقرب عليه الماخذ احسانك فقال له صاعد فيخرج من هذا ان قلة احسانه لك اسكتك وبعد عليك الماخذ فضحك المنصور وقال لغير هذه المنازعة بيتو باديكما

قلت وقد ذكر مورخوا الاندلس منيات كثيرة منها منية الناعورة السابقة ومنية العامرية هذه ومنية السرور ومنية الزبير منسوبة الى الزبير بن عمر الملثم ملك قرطبة قال ابو الحسن بن سعيد اخبرني ابي عن ابيه قال خرج معي الى هذه المنية في زمان فتح نوار اللوز ابو بكر بن بقي الشاعر المشهور فجلسنا تحت سطر لوز قد نور فقال ابن بقي

• سطر من اللوز في البستان قابلني • ما زاد شيء على شيء ولا نقصا •
• كانما كل غصن كم جارية • اذا النسيم ثنى اعطافه رقصا •

ثم قال

• عجبت لمن ابقى على خمر دنه • غداة راى اللوز الحديقة نورا •

انتهى ذكر بعض مورخي الاندلس ان المنصور بن ابي عامر كان يزرع كل سنة الف مدي من الشعير قصيلا لدوابه الخاصة به وانه كان اذا قدم من غزوة من غزواته لا يحل عن نفسه حتى يدعو صاحب الخيل فيعلم ما مات منها وما عاش وصاحب الابنية لما وهي من اسواره ومبانيه ودوره قال وكان له دخالة كل يوم اثنى عشر الف رطل من اللحم حاشا الصيد والطير والحيتان وكان يصنع في كل عام اثنى عشر الف ترس عامرية لقصر الزاهرة والزهراء قال وابتنى على طرف المباهات والفخامة مدينة الزاهرة ذات القصور والمتنزهات المخترعة كمنية السرور وغيرها من منشئاته البديعة انتهى ومن المطمح ان المنصور لما فرغ من بناء الزاهرة غزا غزوة وابعد فيها الايغال وغال فيها من عظماء الروم من غال وحل من ارضهم ما لم يطرق وراع منهم ما لم يرع قط ولم يفرق وصدر صدرا راسما به على كل حسنا عقيلة وجلا به كل صفحة للحسن صقيلة ودخل قرطبة دخولا لم يعهد وشهد له فيها يوم مثله لم يشهد وكان ابن شهيد متخلفا عن هذه الغزوة لنقرس عداه عائده وحداه مجعده ورائده وابن شهيد هذا احد حجاب الناصر ولد على ابن ابي عامر ايادي محكمة الاواصر وهو الذي نهض به اول انبعاثه وشفع امره زمن التباثه وخاصم المصحفي عنه بلسان من الحماية الد ونوجاه باحسان فلده من الرعاية ما قلد واسماه رتبة وحلى با عظم جاه لبته وكان كثيرا ما يتحفه ويصله ويلطفه فلما صدر المنصور من غزوته هذه وقعد يبنى

متاحفته او غفل فكتب اليه ابن شهيد

• انا شيخ والشيخ يهوى الصبايا • يا لنفسي تقيك صرف الرزايا •
• ورسول الاله اسهم في الفي • لمن لم يجب قبيل المطايا •
• فاجعلني فديتك شكر معروفك • وابعث بها عذاب الثنايا •

قال فبعث اليه بعقيلة من عقائل الروم يكنفها ثلاث جوار كانهن نجوم سوار وكتب اليه يقول

• قد بعثنا بها كشمس النهار • في ثلاث من المها ابكار •
• فاتئد واجتهد فانك شيخ • سلخ الليل عن بياض النهار •
• صانك الله عن كلالك فيها • فمن العار كلة المسمار •

فكتب اليه ابن شهيد

• قد فضضنا ختام ذاك السوار • واصطبغنا من النجيع الجاري •
• ونعمنا في ظل انعم ليل • ولهونا بالبدر ثم الدراري •
• وقضى الشيخ ما قضى بحسام • ذي مضاء عضب الظبي بتار •
• فاصطنعه فليس يجزيك كفرا • واتخذه سيفا على الكفار •

انتهى وقد قدمنا هذه الحكاية في اخبار المنصور من الباب الثالث ولكنا اعدناها هنا بلفظ المطمح لما فيه من العذوبة والفائدة الزائدة ومن كان في ايام المنصور من الوزراء المشهورين الوزير الكاتب ابو مروان عبد الملك بن ادريس الجزيري قال في المطمح علم من اعلام الزمان وعين من اعيان البيان ماهر الفصاحة طاهر الجناب والساحة تولى التحرير ايام المنصور والانشا واشعر دولته الافراح والانشا ولبس العزة مدة ضافية البرود وورد بها النعمة صافية الورود وامتطى من جياد التوجيه واعتنق من اخوان الوجيه وتمادى طلقه ولا احد يلحقه الى ايام المظفر فمشى على سننه وتمادى السعد يترنم على فننه الى قتل المظفر صهره عيسى بن القطاع صاحب دولته واميرها المطاع وكان ابو مروان قدم الاصطناع له والانقطاع فاتهم معه وكان ان يذوق الحمام ومصرعه الا ان احسانه شفع وبيانه تشفع ودفع فحط تلك النجوم تلك الرتب وحمل الى طرطوشة على القتب فبقي هنالك معتقلا في برج من ابراجها نائي المنتهى كانما يناجي السهى قد بعد ساكنه عن الانيس تعد من النجم بمنزلة الجليس ثم الطيور دونه ولا تحوزه ويرى منه الثرى ولا يكاد يحوزه فبقي البيت دهرا لا يرتقي اليه راق ولا يرجى لبيته راق الى ان خرج منه الى بتراء واستراح مما عراه ومن بديع ما نظمه قوله يصف المعقل الذي فيه اعتقل

• يا ويلنا كل اعور ناعق • وتهب فيه كل ريح صرصر •

ويكاد من يرنو اليه مرة • من غمره يشكو انقطاع الابهر •

ودخل ليلة على المنصور فدا اتكاوا ارتفق ونحلى بمجلسه ذلك الافق وبينا بمجلسه ذلك مستوفر ولحاديث الاماني به مستوفد فامرة بالنزول فنزل في جملة الاصحاب والقمر يظهر ويحتجب في السحاب والافق يبدو به اغرثم يعود منهما والليل يتراى منه اشقر ثم يعود ادهما وابو مروان قد انتشا وجال في ميدان الانس ومرد خاطره قد بجه السرور ووشى فاقلقه ذلك المغيب والانبلاج وانطقه ذلك السرور والارتياح فقال

• ارى بدر السماء يلوح حينا • فيبدو ثم يلتحف السحابا •
• وذلك انه لما تبدى • وابصر وجهك استحيى فغابا •
• مقال لو نمى عندي اليه • لراجعني بتصديق جوابا •

وله في مدة اعتقاله وتردده في كبله وقاله

• سقط الهزار فلا هزار ولا قرى • عنيتني المحبوع فلا حبال دعيري •
• الزروا بصيري نومشد ولعرى • والان عودي وهو صلب المكسر •
• وطوى سروري كله وتلذذي • بالعيش طي صحيفة لم تنشر •
• ما انما لقي الحبيب توهما • بضمير تذكاري وعين تذكري •
• عجبا لقلبي يوم راعتني النوى • ودنا وداع كيف لم يتفطر • رجع

الى المنصور وكان المنصور اذا اراد امرا مهما شاور ارباب الدولة الاكابر من خدام الدولة الاموية فيشيرون عليه بالوجه الذي عرفوه وجربا الدولة الاموية عليه فيحالفهم الى المنهج الذي ابتدعه فيقضون في انفسهم بالهلاك في الطريق الذي سلكه والمهيع الذي اخترعه فتنسفر العاقبة عن السلامة التي قتضاها سعده فيكثرون التعجب من موارد اموره ومصادرها وقيل له مرة ان فلانا مشوم فلا يتخذ فقال ان سعدنا يعطي على شومه فاستخدمه ولم يبله من شومه الذي جرت به العادة شي وحكى عنه انه كان في قصره بالزاهرة فتامل محاسنه ونظر الى مياهه المطردة واصغى الى اطياره المغردة وملاعبه من الذي حوله من حسن وجمال والتفت في الزاهرة من اليمين الى الشمال فانحدرت دموعه وتجهم وقال ويها لك يا زاهرة فليت شعري من الخاين الذي يكون خرابك على يديه عن قريب فقال له بعض خاصته ما هذا الكلام الذي ما سمعناه من مولانا قط وما هذا الفكر الردي الذي لا يليق بمثله شغل البال به فقال والله لترون ما قلت وكاني بمحاسن الزاهرة قد محيت ورسومها قد غيرت ومبانيها قد هدمت ونحيت وخزاينها قد نهبت وساحاتها قد اضرمت بنار الفتنة والتهبت قال الحاكي فلم يكن الا ان توفي المنصور

وتولى

وتولى المظفر ولم تطل مدته فقام بالامرة اخوه عبد الرحمن الملقب بشنجول فقام عليه المهدي والعامة وكانت منهم عليه وعلى قومه الطامة وانقرضت دولة العامريين ولم يبق منهم امر كان لم يكن بين الحجور الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر وحربت الزاهرة وذهبت كامس الدابر وخلت منها الدسوت الملوكية والمنابر واستولى النهب على ما فيها من العدة والذخاير والسلاح وتلاشا امرها فلم يرج لفسادها صلاح وصارت قاعا صفصفا واديلت بايام الترح عن ازمان الفرح والصفا ويرى ان بعض اولياء ذلك الزمان نظر اليها ونظر الى مصانعها الشامخة الفايقة ومبانيها العالية الرايقة فقال يا دار فيك من كل دار فجعل الله بيك في كل دار قال الحاكي فلم يكن تجد دعوة ذلك الصالح الا اياما يسيرة حتى نهب ذخايرها وعم بالخراب سايرها فلم يبق دار بالاندلس الا ودخلها من فيها حصة كثيرة او قليلة وحقق الله دعاء ذلك الرجل الذي ممن يرد جليله ولقد حكى ان بعض ما نهب منها بيع ببغداد وغيرها من البلاد المشرقية فسبحان من لا يزول سلطانه ولا ينقضي ملكه لا اله الا هو وتذكرت هنا ما رآه في المنام بعض اهل المغرب بالليلة التي انقرض فيها ملك الموحدين ان شخصا ينشد ملك بني مومن

• ملك بني مومن تولى • وكان فوق السماك سمكه •
• فاعتبروا وانظروا وقولوا • سبحان من لا يبيد ملكه •

لا اله الا هو وكان المهدي القايم على العامريين فاتكا وقال وقد حياه في مجلس شرابه غلام بقضيب من آس

• اهديت شبه قوامك المياس • غصنا رطيبا ناعما من آس •
• وكانما يحكيك في حركاته • وكانما تحكيه في الانفاس •

وكان المنصور بن ابي عامر حين تغلب على ملك الامويين غير مكترث بمثل المهدي المذكور فسلطه الله على كل ما اسسه المنصور حتى هدمه واخر كل ما قدمه ولم ينفع في ذلك احتياط ولا حزم ولا راد للقضاء المبرم الجزم والله يحكم ما يشا لا يكن متعرضا وقد قدمنا شيا من اخبار المنصور ولا باس ان نلم هنا ببعضها وان حصل منه نوع تكرار في نبذة منها لارتباط الكلام بعضه ببعض قال بعض المحققين من المورخين حجر المنصور بن ابي عامر على هشام المويد بحيث لم يره احد منذ ولي الحجابة وربما اركبه بعد سنين وجعل عليه برنسا وعلى جواريه مثل ذلك فلا يعرف فيهن ويامر من ينحي الناس عن طريقه حتى ينتهي المويد الى موضع تنزهه ثم يعود غير انه اركبه بابهة الخلافة في بعض الايام لغرض له كما نعيده فيما سبق وكان المنصور اذا شام وكل بالمويد من يفعل معه ذلك وكان هذا من فعله سببا لانقطاع ملك بني امية من الاندلس واحدمع ذلك

في قتل من يخشى منه من بني امية خوفا ان يثوروا به ويظهر انه يفعل ذلك شفقة على المؤيد حتى افنى من يصلح منهم للولاية ثم فرق باقيهم في البلاد وادخلهم زوايا الخمول عارين من الطراف والتلاد وربما سكن بعضهم البادية وسكن مجلس اللاهية والنادية حتى قال بعض من ينقم على المنصور ذلك الفعل من قصيدة

ابني امية اين اقمار الدجى ○ منكم واين نجومها والكوكب ○

غابت اسود منكم عن غابها ○ فلذاك حاز الملك هذا الثعلب ○

مع ان المنصور مفاخر بذ بها الاوايل والاواخر من المثابرة على جهاد العدو وتكرار الذهاب بنفسه في الرواح والغدو وله مع المصحفي وغيره اخبار مر وبات بعضها ولا باس ان نلخص ترجمة المصحفي فنقول قال الفتح في المطمح الحاجب جعفر المصحفي تجرد للعليا وتمرد في طلب الدنيا حتى بلغ المنى وتسوغ ذلك الجنى شيما دون سابقة وارتمى اليه رتبة لم تكن لنفسه بمطابقة والتاج في افياء الخلافة وارتاح اليها بعطفه كنشوان السلافة واستوزره المستنصر وعنه فكان يسمع وبه يبصر فادرك بذلك ما ادرك ونصب لاماثيه الحبائل والشرك واقتنى وادخر وزرا بمن سواه وسخر واستعطفه المنصور ابن ابي عامر وبجمه تقدعا يرلم يبح وسره مكنون لم يسح فما عطف ولا جنى من روضته دنياه ولا قطف فاقام في تدبير الاندلس ما اقام والاندلس لبتر منعترة والاذمان في تكييف سعده متحيرة فنامي يك من ذكر خلد ومن فخر متقلد ومن صعب راض وجناح فتنة هاض ولم يزل بحا تلك الخلافة معتقلا وفي مطالعها منتقلا الى ان نوى في الحكم فانتقض عقده المحكم وانبرت اليه النوايب وتسددت اليه سهام صوايب واتصل الى المنصور ذلك الامر واختص به كما ما ليس بداخوه الحمر واناف في تلك الخلافة كما شب قبل اليوم عن طوقه عمرو وانتدب للمصحفي يهد ركانا وعزه وساءه وصحره فاقتضى من تلك الاساءة واعتضر خلعة باي اشاءه فاخمله ونكبه وارحله عما كان الدهر اركبه والهب جوارحه حزنا ونهب له مدخرا ومختزنا ودمر عليه ما كان حاط واحاط به من مكروه ما احاط وعبر سنين في مهوى تلك النكبة وجرا تلك الكربة تنقله المنصور معه في غزواته ويعتقله بين ضيق المطبق ولهواته الى ان تكور شمسه وقاظت بين اثناء المحن نفسه ومن بديع ما حفظ في نكبته قوله يستريح من كربته

صبرت على الايام لما تولت ○ والزمت نفسي صبرها فاستمرت ○

فوا عجبا للقلب كيف اعترافه ○ وللنفس بعد العز كيف استذلت ○

وما النفس الا حيث يجعلها الفتى ○ فان طمعت تاقت والا تسلت ○

وكانت على الايام نفسي عزيزة ○ فلما رات صبري على الذل ذلت ○

فقلت

160

فقلت لها يا نفس موتي كريمة ○ فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت ○

وكان له ادب بارع ○ وخاطر الى نظم القريض مسارع ○ فمن محاسن انشاده التي بعثها ايناس دهره باسعاده ○ قوله

لعينيك في قلبي علي عيون ○ وبين ضلوعي للشجون فنون ○

لئن كان جسمي مخلقا في يد الهوى ○ فحبك عندي في الفواد مصون ○

وله وقد اصبح عاكفا على محياه مما تقابا حايته دنياه ○ مترنشفا ثغر الانس متنسما رياه ○ والملك يغازله بطرف كليل ○ والسعد قد عقد عليه سد اكليل يصف كور مدامه ○ وما تعرف له منها دون ندامه ○

صفراء تطرف في الزجاج فان سرت ○ في الجسم دبت مثل صل لادغ ○

خفيت على شرابها فكانما ○ يجدون ريا من اناء فارغ ○

ومن شعره الذي قاله في السفرجل متشبها وغدا به لتايم البديع منبها قوله يصف سفرجلة وتيقا لما بدا رتجمله

ومصفرة تختال في ثوب نرجس ○ وتعبق عن مسك ذكي التنفس ○

لها ريح محبوب وقسوة قلبه ○ ولون محب حلة السقم مكتسي ○

فصفرتها من صفرتي مستعارة ○ وانفاسها في الطيب انفاس مونسي ○

وكان لها ثوب من الزغب اغبر ○ على جسم من التبر املس ○

فلما استتمت في القضيب شبابها ○ وحاكت لها الاوراق اثواب سندس ○

مددت يدي باللطف ابغي اجتناءها ○ لاجعلها ريحانتي وسط مجلسي ○

فبزت بدي عصبا لها ثوب جسمها ○ فاعريتها باللطف من كل ملبس ○

ولما تعرت في يدي من برودها ○ ولم تبق الا في غلالة نرجس ○

ذكرت بها من لا ابوح بذكره ○ فاذبلها في الكف حر التنفس ○

وله وقد اعاده المنصور الى المطبق والسجون تسترع اليه وتستبق محرقا لنفسه ومجتزيا باسعاد امسه ○

اجازي الزمان على حاله ○ مجازاة نفسي لانفاسها ○

اذا نفس صاعد شفها ○ توارت به دون جلاسها ○

فان عكفت نكبة للزمان ○ عطفت بصدري على راسها ○

ومما حفظ له في استعطافه واستنزاله للمنصور واستلطافه قوله

عفا الله عنك الا رحمة ○ تجود بعفوك ان ابعدا ○

لئن جل ذنب ولم اعتمده ○ فانت اجل واعلى يدا ○

الم تر عبدا عدا طوره ○ ومولى عفا ورشيدا هدى ○

ومفسد امر تلافيته ○ فعاد فاصلح ما افسدا ○

اقلني انا لك من لم يزل * يقيك ويصرف عنك الردى

عود وانعطاف الى اخبار المنصور بن ابي عامر رحمه الله وجازاه عن جهاده
افضل الجزاء بمنه وكرمه وفضله وطوله فنقول ـــــ وكان له في كل غزوة من
غزواته المنيفة على الخمسين مفخر من المفاخر الاسلامية فمنها ان بعض الاجناد
نسي راية مركوزة على جبل بقرب احدى مداين الروم فاقامت عدة ايام لا يعرف الروم
ما وراءها بعد رحيل العساكر ومدتها بلا اختفاء مما يفتخر به اهل التوحيد على التثليث
لانهم لما اشرب قلوبهم خوف سطوة المنصور وحزبه وعلم كل من ملوكهم انه لا طاقة
له بحربه لجا الى الفرار والتحصن بالمعاقل والقلاع ولم يحصل منهم غير الاشراف
من بعيد والاطلاع ومن مفاخر المنصور في بعض غزواته انه دخل من بين جبلين عظيمين في طريق
عرض بري بوسط بلاد الافرنج فلما جاوز ذلك المحل وهو اخذ في التحريق والتخريب
والغارات والسبي يمينا وشمالا لم يجسر احد من الافرنج على لقايه حتى اقفرت البلاد
مسافة ايام ثم عاد فوجد الافرنج قد اشتحوا سواتر وراءهم وضبطوا ذلك المدخل
الضيق الذي بين جبلين وكان الوقت شتاء فلما راهم فعلوه رجع واختار منزلا
من بلادهم اناخ به فيمن معه من العساكر وتقدم ببناء الدور والمنازل وعمل الات
الحرث ونحوها وبث سراياه فسبت وغنمت فاسترق الصغار وضرب اعناق
الكبار والقى جثثهم حتى سد بها المدخل الذي من جهتهم وصارت سراياه تخرج فلا تجد
الا بلادا خرابا فلما طال البلاء على العدو ارسلوا اليه في طلب الصلح وان يخرج بغير
اسرى ولا غنايم فامتنع من ذلك فلم تزل رسلهم تتردد اليه حتى سالوه ان يخرج
بغنايمه واسراه فاجابهم ان اصحابي ابوا ان يخرجوا وقالوا انا لا نكاد نصل
بلادنا الا وقد جاء وقت الغزوة الاخرى فنقعد هاهنا الى وقت الغزاة فاذا غزونا
عدنا فما زال الافرنج يتبالونه الى ان قرر عليهم ان يحملوا على دوابهم ما معه من
الغنايم والسبي وان يمدوه بالميرة حتى يصل الى بلاده وان يبعدوا جيف القتلى من
طريقه بانفسهم ففعلوا ذلك كله وانصرف ولعمري ان هذا لغاية وراءها مطمح ونصر
لا يكاد الزمان ان يجود بمثله ويسمح خصوصا ازالتهم جيف قتلاهم من الطريق
وغصتهم في صرف ذلك بالريق ومن ماثره التي هي لجبين عصره غرة ولعين دهره
قرة انه لما ختن اولاده ختن معهم من اولاد اهل دولته خمسماية صبي ومن اولاد
الضعفاء عددا لا يحصر فبلغت النفقة عليهم في هذا الاعذار خمسماية الف
دينار وهذه مكرمة خالدة ومنة متقلدة فالله يجازيه عن ذلك افضل
الجزاء ويجعل للمسلمين في فقد مثله احسن العزا **ومن مناقبه** التي لم تتفق لغيره
من الملوك في غالب الظن انه اكثر جنده من سبيه على ما حققه بعض المورخين
وذلك غاية المنح من الله والمن ومن اخباره الدالة على اقبال امره وخيبة عدوه

وادباره

وادباره انه ما عاد قط من غزاة الا استعد لاخرى ولم تهزم له قط راية مع كثرة
غزواته شاتيه وصايفه وكفاه ذلك فخرا ومنها انه لقيته وقد عاد من بعض
غزواته امراة تعمت عليه بلوغ مناه وشهوا نزوه وقالت له يا منصور استمع
ندائي انت في طيب عيشك وانا في بكاي فسالها عن مصيبتها التي عمتها فذكرت
ان لها ابنا اسيرا في بلاد سمتها وانها لا تهنا عيشتها لفقده ويخبو ضرام
قلبها من وجده **وانشد لسان حالها يقول**

ذلك الملك العلي * ويح الشجي من الخلي

فرحب المنصور بها واظهر الرقة بسببها وخرج من القابلة الى تلك المدينة
التي فيها ابنها وجاس قطارها وتخللها حتى دوخها اذ اناخ عليها بكلكله وذللها
واغرى بها من حماتها وبجنود الاسلام المنصورة ظللها وخلص جميع من فيها من
الاسرى وجلبت عوامله الى قلوب الكفرة كسرا وانقلبت عيون الاعدا حسرا
وتلا حال المراة فان مع العسر يسرا فهكذا تكون الهمم السلطانية والنخوة الايمانية
فالله يروح تلك الارواح في الجنان ويرقي درجاتها ويعاملها بمحض الفضل والامتنان
وقد تذكرت هنا والحديث شجون وذكر المناسبات يبلغ الطلاب ما يرجون كتابا
كتبه الاديب الكاتب ابو محمد ابن الامام الحافظ محدث الاندلس ابو عمر بن عبد البر النمري
الى المنصور بن ابي عامر وهو من ذرية المنصور الكبير الذي كنا نتحدث في اخباره يمت
اليه بسلفه ومعاملتهم لمن تقدم من ابايه بتعظيم قدره واكباره ونصه عمر الله
ببقاء مولاي ذرى الشان يقنين بهجة اوطانه وملكه عنان زمانه ومد عليه
ظلال امانه انى ايها الملك الكريم والسيد الزعيم لما اضاءت لي اهلة
مفاخركم في سماء الفخار واشرقت شموس مكارمكم على مفارق الاحرار وابصرت
شمايلك الزهر تهدي اليك من الهمم كامنها ومحاسنك الغر توقظ لك من الامال
راقدها تيقنت ان تحوز لك انقادت لك القلوب في اعنتها وتهادت اليك النفوس
بازمتها فاليت ان لا الم الا بجنابك ولا احط رحلا الا بفنائك علما بانك نثرة العز
وغرة الدهر فيممت سائرا في ساطع نورك متيمنا بيمن طيرك محققا للرجاء
موقنا بالفلح والنجح حتى حللت في وجه المجد واتخذت بدولة السعد واستشعرت
نسيما الشكر والحمد وجعلت انظم من جواهر الكلام ما يزري على جواهر النظام
والنثر من عطر الثنا ما يزري بالروضة الغنا وحاشا لله منهم ان يعطل لياني من
اقمارك او يخلو افقي من انوارك فاراني منخرطا في غير سلكه ومنحطا الى غير
ملكه لا جرم انه من استنقص بالهلال غنى عن الذبال ومن استنار بالصباح
الغني عن المصباح وتالله ما هززت امالي وانبهتها الى سواك ولا حثثت اوطار
ركايبها الى من عداك لتكون في اثر الوسمي الماجل وعلى حال الحلي على العاطل

لسيادتك السنية، ورياستك الأولية، التي يقصر عنها لسان الفصاحة، ويعيى في بعضها بيان ذوي الفصاحة، فالقرطاس عندي بما قبلك لا يفي، والأقلام في رسم مآثرك تحفى، وما أمل المجدب في حياة المخصب، ولا جدل المذنب برضى المعتب، كأملي بالتعزز بجوارك، والتجمل بخدمتك، والترفع بخدمتك، فالسعيد من نشأ في دولتك، وظهر في أمتك، واستضاء بغرتك، لقد فاز بالسبق من لحظته عين رعايتك، وكنفته حوزة حمايتك، فأنت الذي أمنت بعدله نوائب الأيام، وقويت بسلطانه دعائم الإسلام، تختال بك المعالي اختيال العروس، وتخضع لجلالك أعزة النفوس، ساعة أشهر من الفجر، وفطنة أنور من البدر، وهمة أنفذ من القدر.

لقد فاز من أضحى بكم متمسكا • يشد على ما نيل عزكم يدا •
سلكت سبيل الفخر خلقا مركبا • وغيرك لا يأتيه إلا تجلدا •
فأنتم لواء الدين لا زال قيما • بآرائكم في ظلمة الخطب يهتدى •
ليهنكم مجد تليد بنيتم • أغار سناه في البلاد وأنجدا •

ومثله أبقاه الله يستمطر أياديه فيمطر جداه، ويستمطر أياديه فيمطر لا سيما وأني نشأة حضنها إحسانه، وأياديك الطاهرين، وألفها إنعام أكابرك الطيبين، وجدير بقبولك وإقبالك، وبرك وإجمالك، من أصله نابت في أمل محبتكم، وفرعه نابت في خاصتكم.

وما رغبتي في عسجد أستفيده • ولكنها في مفخر أستجده •
فكل نوال كان أو هو كائن • فلحظة طرف منك عندي نده •
فكن في اصطناعي محسنا كمجرب • يبن لك تقريب الجواد وشده •
إذا كنت في شك من السيف فابله • فإما تنفيه وإما تعده •
وما الصارم الهندي إلا كغيره • إذا لم يفارقه النجاد وغمده •

واغرو أن ينظر مولاي لغرس الصنيعة في أزكى التراب، ووضع الامتنان مكان النقب، والله يبقي مولاي آخذا بزمام الفخر، ناهضا بأعباء البر، مالكا لأعنة الدهر، وصنع الله لسيدي أتم الصنع وأجمله، وأفضله وأكمله، بمنه لا رب سواه. انتهى.

نرجع إلى أخبار المنصور الكبير محمد بن أبي عامر رحمه الله، وكنا قد ذكرنا أنه قد قبض على الوزير الحاجب المصحفي مع أنه كان أحد أتباعه. قال صاحب كتاب روضة الأزهار وبهجة النفوس ونزهة الأبصار: ولما أمر المنصور بن أبي عامر بسجن المصحفي بالمطبق في الزهراء ودع أهله وودعهم وداع الفرقة وقال لهم: لستم تروني بعدها حيا، فقد أتى وقت إجابة الدعوة، وما كنت أرتقبه منذ أربعين سنة، وذلك أني أشركت في سجن رجل في عهد الناصر وما أطلقته

الا برؤيا

إلا برؤيا رأيتها بأن قيل لي أطلق فلانا فقد أجيبت فيك دعوته، فأطلقته وأحضرته وسألته، وقلت له: بأي دعوة دعوت علي؟ فقال: دعوت على من شارك في أمري أن يميته الله في أضيق السجون، فقلت: إنها قد أجيبت، فإني كنت ممن شارك في أمره وندمت حين لا ينفع الندم. فيروى أنه كتب للمنصور بن أبي عامر بهذه

الأبيات

هبني أسأت فأين العفو والكرم • إذ قادني نحوك الإذعان والندم •
يا خير من مدت الأيدي إليه أما • ترثي لشيخ نعاه عندك القلم •
بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدر • إن الملوك إذا ما استرحموا رحموا •

فأجابه المنصور بأبيات لعبد الملك الجزيري

يا جاهلا بعدما زلت بك القدم • تبغي التكرم لما فاتك الكرم •
ندمت إذ لم تعد مني بطائلة • وقلما ينفع الإذعان والندم •
نفسي إذا جمحت ليست براجعة • ولو تشفع فيك العرب والعجم •

فبقي في المطبق حتى مات، نعوذ بالله من دعوة المظلوم. انتهى. وقد ذكر بعضهم في هذه الأبيات زيادة حسبما ذكرناه في غير هذا المحل، فإن هذه الأبيات للمنصور، وهذا المؤرخ مصرح بأنها لعبد الملك الجزيري، وقد يقال لا منافاة بينهما فإن المنصور أجاب بالأبيات وهل هو قائلها أم لا، الأمر أعم، فيتبين هنا والله أعلم. وقال بعض مؤرخي المغرب: إن الحاجب المصحفي حصل له في هذه النكبة من الهلع والجزع ما لم يظن أنه يصدر من مثله، حتى إنه كتب إلى المنصور بن أبي عامر يطلب منه أن يقعد في دهليزه معلما للأولاد، فقال المنصور: يريد أن يحط من قدري عند الناس لأنهم طالما رأوني بدهليزه خادما ومسلما، فكيف يرونه الآن في دهليزي معلما. وكان المنصور يرمي به بعد نكبته معه في غزواته، حتى إنه حكى بعضهم أنه رأى الحاجب المصحفي في ليلة نهى المنصور فيها الناس عن إيقاد النيران تعمية على العدو الكافر، وهو ينفخ فحما في كانون صغير ويخفيه تحت ثيابه أو كما قال. فسبحان مديل الدول لا إله إلا هو، فإن المصحفي بلغ من الجلالة والعظم والتحكم في الدولة المدة المديدة أن الأمر بيده، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. ولقد ذكر بعض العلماء المغاربة أن من أعاجيب انقلاب الدنيا بأهلها قصة المنصور بن أبي عامر مع الحاجب عثمان المصحفي، ولم يزل أعداء المنصور بن أبي عامر يتربصون به الدوائر فغلب سعده الذي هو المثل السائر، وربما همس بعض الشعراء بهجوه وهجو الدولة جميعا إذ قال:

اقترب الوعد وحان الهلاك • وكل ما تحذره قد أتاك •
خليفة يلعب في مكتب • وأمه حبلى وقاض نياك •

يعني بالخليفة هشاما المؤيد لكونه كان صغيرا وامه صبح البشكنسية كان الاعدا
يتهمون بها المنصور وذلك بهتان وزور واقطع منهم رجما للقاضي بالنجو
والله عالم بسرائر الامور ونعوذ بالله من السنة الشعرا الذين لا يراعون
الا ولا ذمة ويطلقون السنتهم في العلما والايمة ومن كان حاسدا المرء
في نعمايه يتقلب جمر بان لا يدرك ما يؤمل ويتطلب لانه يعترض على الله
سبحانه في احكامه نعوذ بالله من شر انفسنا ومن شر كل ذي شر بجاه نبينا
عليه ازكى صلاة الله وافضل سلامه وقد قدمنا ان المنصور بن ابي عامر كان يخدم
اولا جعفر بن عثمان المصحفي مدبر مملكة هشام المؤيد ويريه النصيحة وانه
ما زال يجتلب القلوب بجوده وحسن خلقه والمصحفي ينفرها ببخله وسوء خلقه
الى ان كان من امره ما كان فاستولى على الحجابة ونكب المصحفي وفي ذلك يقول
المصحفي

غرست قضيبا خلته عود كرمة • وكنت عليه في الحوادث قيما
اكرمه دهري فيزداد خبثه • ولو كان من اصل كريم تكرما

ولما يئس المصحفي من عفو المنصور قال

لي مدة لا بد ابلغها • فاذا انقضت ايامها مت
لو قاتلتني الاسود ضارية • والموت لم يقرب لما خفت
فانظر اليّ وكن على حذر • في مثل حالك امس قد كنت

ومن احسن ما نعي به نفسه قوله حسبما تقدم

صبرت على الايام حتى تولت • والزمت نفسي صبرها فاستمرت
فوا عجبا للقلب كيف اعترافه • وللنفس بعد العز كيف استذلت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى • فان طمعت تاقت والا تسلت
وكانت على الايام نفسي عزيزة • فلما رأت صبري على الذل ذلت
فقلت لها يا نفس موتي كريمة • فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

وانشد له الفتح في المطمح ونسبها غيره لاحمد بن الفرج صاحب الحدائق

كلمتني فقلت در سقيط • فتاملت عقدها هل تناثر
فازدهاها تبسم فارتني • نظم در من التبسم آخر

وله كاس

صفرا تطرق في الزجاج فان سرت • في الجسم دبت مثل صل لادغ
خفيت على شرابها فكانما • يجدون ريا من انا فارغ

وله ايضا

باه الزيا ودعني مسره • لابد ان تسمعه مني
لم اجز بعدك في خاطري • كانه ما مر في اذني

وانشد له

وانشد له صاحب بدائع التشبيهات

سالت نجوم الليل هل ينقضي الدجا • فخطت جوابا بالثريا لعل لا
وكنت اراني مباحر ليلتي • فاطرقت حتى خلته عاد اولا
وما عن هوى سامرتها غير انني • انا قسها المجري الى طرف العلى

رجع وكان كما تقدم بقرطبة المصحف العثماني وهو منسوب ان عند اهل الاندلس انتهى
قال وانتقل الامر الى الموحدين ثم الى بني مرين قال الخطيب ابن مرزوق في كتاب المسند
الصحيح الحسن ما ملخصه وكان السلطان ابو الحسن لا يسافر الا ومعه المصحف
الكريم العثماني وله عند اهل الاندلس شان عظيم ومقام كبير وكيفما قال
ابن بشكوال اخرج هذا المصحف من قرطبة وغرب منها وكان بجامعها الاعظم
ليلة السبت حادي عشر شوال ٥٥٢ سنه في ايام ابي محمد عبد المومن بن علي وبامره
وهذا احد المصاحف الاربعة التي بعث بها عثمان رضي الله عنه الى امصار مكة
والبصرة والكوفة والشام وما قيل ان فيه دم عثمان هو بعيد فان يكن احدها
فلعله الشامي قال ابن عبد الملك قال ابو القاسم التجيبي السبتي اما الشامي
فهو باق بمقصورة جامع بني امية بدمشق المحروسة وعاينته هنالك سنة
سبع وخمسين وستمائة كما عاينت المكي بقبة اليهودية وهي قبة التراب وعاينت
قلت عاينتهما مع الذي بالمدينة سنة ٣٠ وقرات فيهما قال التجيبي لعله الكوفي
او البصري واقول اختبرت الذي بالمدينة والذي نقل من الاندلس فالفيت
خطهما سوا وما توهموا من انه خطه بيمينه فليس بصحيح فلم يخط عثمان واحدا منها
وانما جمع عليها جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم زيد بن ثابت وعبد
الله بن الزبير وسعيد بن العاص ذكر العدد جمعهم عثمان رضي الله عنه من الصحابة
على كتب المصحف انتهى واعتنى به عبد المومن بن علي ولم يزل الموحدون يحملونه في اسفارهم
متبركين به الى ان حمله المعتضد وهو السعيد علي بن المامون ابي العلا ادريس بن
المنصور حين توجه لتلمسان اخر سنة خمس واربعين وستمائة فقتل قريبا من
تلمسان وقدم ابنه ابراهيم ثم قتل ووقع النهب في الخزاين واستولت العرب
وغيرهم على معظم العسكر ونهب المصحف ولم يعلم مستقره وقيل انه في خزانة
ملوك تلمسان قلت لم يزل هذا المصحف في الخزانة الى ان افتتحها
امامنا ابو الحسن اواخر شهر رمضان سنة خمس وثلاثين وسبعماية فظفر به
وحصل عنده الى ان اصيب في وقعة طريف وحصل ببلاد برتقال واعمل الحيلة
في استخلاصه ووصل الى فاس سنة ٧٤٥ على يد احد تجار ازمور واستمر بقاؤه
في الخزاين انتهى باختصار واعتنى به ملوك الموحدين غاية الاعتنا كما ذكره
ابن رشيد في رحلته ولا باس ان اذكر كلامه بجملته والرسالة في شان المصحف

لما فيهما من الغاية ونص محل الحاجة منه انشدني الخطيب ابو محمد بن برطله من لفظه وكتبته من خطه قال انشدني الشيخ الفقيه القاضي ابو القاسم عبد الرحمن بن كاتب الخلافة ابي عبد الله بن عياش رحمهم الله مما نظمه وقدام امير المومنين المنصور بحلية المصحف

ونقلته من كل ملك ذخيرة • كانهم كانوا برسم مكاسبه •
فان ورث الاملاك شرقا ومغربا • فكم قد اخلوا جاهلين بواجبه •
وكيف يفوت النصر جيشا جعلته • امام قناه في الوغى وقواضبه •
والبسته الياقوت والدر حلية • وغيرك قد روم ذم صاحبه •

وعلى ذكر هذا المصحف الكريم فلنذكر كيف الامر في وصوله الى الخليفة امير المومنين عبد المومن وما ابدى حينئذ اطرفنا به الوزير الاجل ابو زكريا يحيى بن محمد بن يحيى ابن محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي حفظه الله وشكره مما استفاده وافاده لنا مما لم نسمع به قبل عن كتاب جده الوزير ابي بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل المذكور مما تضمنه من وصف قصة المصحف فقال وصل اليهم ادام الله تاييدهم من الاندلس النيران وابهرهما المتخيران السيدان الاجلان ابو سعيد وابو يعقوب ايدهما الله وفي صحبتهما مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو الامام الذي لم يختلف فيه مختلف وهو ما زال ينقله خلف عن سلف قد حفظ شخصه على كثرة المتناولين ودخره الله لخليفته المخصوص بحب خدمته من المتداولين وله من غرايب الانباء ومتقدم الاشعار بما الت اليه امره مولانا الامام ما ملئت به الطروس وتحفظه من اهل الاندلس الرايس والمروس فتلقى عند وصوله بالاجلال والاعظام وبودر اليه بما يجب من التبجيل والاكرام وعكف عليه اطول العكوف والتزم اشد الالتزام وكان في وصوله ذلك الوقت من عظيم العناية وباهر الكرامة ما هو معتبر لاولي الالباب وبلاغ في الاغراب والاعجاب وذلك ان سيدنا ومولانا الخليفة امير المومنين ادام الله له عوايد النصر والتمكين كان قبل ذلك بايام تدجري في كره في خاطره الكريم وحركته اليه دواعي خلقه العظيم وترى عن نفسه المطيبة المرضية وسجاياه الحسنة المرضية في تعنى جلاله من مدينة قرطبة محل مثواه القديم ووطنه الموصل بحرمته للتقديم فتوخى اتباعه ذلك لمثل ذلك القطر بفراقه ويستوحشوا لفقدان اصابته في افقه واشراقه فتوقف عن ذلك لما جبل عليه من رحمته واشفاقه فوصله الله اليه تحفة سنية وهدية هنية وتحية من عنده مباركة زكية دون ان يكلف رمام من البشر اكتسابا او يتقدمها استدعا او اجتلاب بل اوقع الله سبحانه في نفوس اهل ذلك القطر من الفرح بارساله الى مستحقه والتبرع به الى القايم الى الله تعالى بحقه ما اطلع ...

على صحته وصدقه وعضدت مخايل برقه سواكب ودقه وكان ذلك في كرامات سيدنا ومولانا الخليفة معدودا والى امره الذي هو امر الله مردودا واجتمع عند ذلك بحضرة مراكش حرسها الله ساير الابناء الكرام والسادات الاعلام بذوي الافاق وكواكب الاشراق وامثل الاسنيهما للمقامات الرفيعة وذووا الاكتفا فانتظم عند ذلك هذا الفضيل مشيرا الى اجتماع هذه الدراري الزاهرة والتيام خطوطها على مركز الداير وصول المتقدم ذكره المشهور في جميع المعمور منه

وهو هذا

دراري من نور الهدى تتوقد • مطالعها فوق المجرة اسعد •
وانهار جود كلما امسك الحيا • يمديهما طامي الغوارب مزبد •
واساد حرب غابها شجر القنى • ولا لبدة الا العجاج الملبد •
مساعين في الهيجا مساريع للندى • بايديهم يحمي المجير ويبرد •
تشب بهم نار ان للحرب والقرى • ويجري بهم سيلان جيش وعسجد •
وبيستمطرون البرق والبرق عندهم • سيوف على افق العداة تجرد •
اذا عن سجفا لسارياب مضاوها • فما ذا الذي يبقي الحديد المسرد •
ويسترشدون النجم والنجم عندهم • نصول الى حب القلوب تسدد •
تزاحم في جو السماء كانما • عواملها في الافق صرح ممرد •
تحاذر الحاظ الكواكب دونها • ويفرق منها المرزمان وفرقد •
الم ترنها في الافق خافقة الحشا • كما نطرف العينان والعلي راد •
ولبس احمرار الفجر من اثر السنا • ولكنه ذاك النجيع المورد •
وما انبسطت كف الثريا فدافعت • ولكنها في الحرب شلو مقدد •
وحط سهيلا ذعره عن سمائه • فاضحى على افق البسيطة يرعد •
ولما راي نشر وقوع البعقه • تطاير من خوف فما زال يجهد •
موافق امر الله في كل حالة • يكاد لها راس الثرى يتميد •
اماب بافضى الخافقين فنظمت • وحسب المجمعين فبددوا •
واضفى على الدنيا ملابس رحمة • نضارتها في كل حين تجدد •
واخضل ارجاء الربى فكانما • عليهما من البنت النضير زبرجد •
فمن طرب ما اصبح البرق باسما • ومن فرح ما اصبح المزن يرعد •
وغنى على افنان كل اراكة • غدا ما حيا النعما حمام مغرد •
وكبر ذو نطق وسبح صامت • وكاد به المعدوم يحيي ويوجد •
وابرز للاذهان ما كان غايبا • فسيان فيها مطلق ومقيد •
سلام على المهدي اما قضاؤه • فحتم واما امره فموكد •

إمام الورى عم البسيطة عدله • على حين وجه الارض بالجور اربد •
بصير راي الدنيا بعين جلية • فلم يعتمد الا المقام المحمد •
ولما مضى والامر لله وحده • وبلغ ما مول ونجز موعد •
تردى امير المومنين برداءه • وقام بامر الله والناس سجد •
يعز منه سبحانه الفواد مصمم • يقوم به اقصى الوجود ويقعد •
مشيئته ما شاء ربي انه • اذا ام فالحكم الالهى يسعد •
كتائبه مسموعة بملائك • تراد بها في كل حال وترفد •
وما ذاك الا نية خلصت له • فليس له فيما سوى الله مقصد •
اذا اخطبته ابانة وسط محفل • ترى منهم الاعداء في الترب تسجد •
وان نطقت بالفضل فهم سبوقه • اقر بان الله من كان يجحد •
معيد علوم الدين بعد اندفاعها • ومبدي علوم لم تكن قبل تعهد •
وباسط انوار الهداية في الورى • وقد تم فرض للشمس في الغرب مسجد •
وقد كان ضوء الشمس عند طلوعها • يغان باكنان الضلال ويخمد •
فما زال يجلو عن مطالعها القذى • ويبرز ما يبيضا والجو اسود •
جزى الله عن هذا الانام خليفة • به شربوا ماء الحياة فخلدوا •
وحياه ما دامت تحايين ذكره • على مدرج الايام تتلى وتنشد •
لمصحف عثمان الشهيد وجمعه • يبين ان الحق بالحق يعضد •
تحامته ايدي الروم بعد امتنائهم • وقد كاد لولا سعده يتبدد •
فما هو الا ان تبرس صارخ • بدعوته العليا فصين المبدد •
وجاء ولي الناصر غب نصره • فلباه منه عزمة المتجدد •
راى اثر المسفوح في صفحاته • فقام لاخذ الثار منه مؤيد •
وشبهه بالبدر وقت خسوفه • فلله تشبيه له الشرع يشهد •
زمان ارتفاع العلم كان خسوفه • وقد عاد بالمهدي والعود احمد •
اتتك امير المومنين الوكته • من الحرم الاقصى لامرك يمهد •
سيوف بني عبلات فامن شهرة • لدعوتك العليا بها ورشد •
وطافت ببيت الله فاستنجزوا • الى البيت وهي منه حجر ومسجد •
وحج البيت الركن والمروة والصفا • فانت لذاك الحج حج ومقصد •
مشاعرها الاجساد والروح امرها • ومنكم لها برضى البقا المخلد •
فلله حج واعتمار وزورة • اتتنا ولم تبرح بالغرب مسعد •
ولله سبع نيرات تقارنت • بها قبة الاسلام تحمي وتسعد •
اذا لم يكن الا فنا وك عصمة • فمن ذا الذي يرجو القصى المتعد •

قدم

قدم للورى غيثا وعزا ورحمة • ففرنك في الدارين سيح ومسعد •
وزادت بك الاعياد حسنا وبهجة • كانك للاعياد ربي محدد •
ولا زلت للايام تبلي جديدها • وعمرك في ريعانه ليس يبعد •
ثم انهم ادام الله تأييدهم ووصل سعدهم لما ارادوا من المبالغة في تعظيم المصحف المذكور واستخدام البواطن والظواهر فيما يجب له من التوقير والتعزير شرعوا في انتخاب كسوته واخذوا في اختيار حليته وتانقوا في استعمال احفظته وبالغوا في استجادة اصونته فحشروا له الصناع المتقنين والمهرة المتفننين ممن كان بحضرتهم العلية او سائر بلادهم الغربية والقصبية فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ومهرة كل طايفة من المهندسين والصواغين والنظامين والحلايين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزراقين والرسامين والمجلدين وعرفاء البنائين ولم يبق من يوصف ببراعة او ينسب الى الحذق في صناعة الاحضر للعمل فيه والاشتغال بمعنى من معانيه فاشتغل اهل الحيل الهندسية بعمل امثلة مخترعة واشكال مبتدعة وضمنوها من غرايب الحركات وخفي مدارك الاسباب للمسببات ما بالغوا فيه منتهى طاقتهم واستفرغوا فيه جهد قوتهم ووراء موالجهم ونتيف على ما ظنوه الغاية القصوى من لطيف مدارجهم فسلكوا من عمل هذه الامثلة كل شعب ورابوا من منتشرها كل شعب واشرفوا عند تحقيقها والايراد فيها على كل صعب وكانت منهم وقفة كادت لها النفس تياس عن مطلبها والخواطر تكر راجعة عن حفي مذهبها حتى اطلع الله خليفته في خلقه وامينه المرتضى لاقامة حقه على وجه انقادت فيه تلك الحركات بعد اعتياصها وتخلصت اشكالها عن الاعتراض على احسن وجوه خلاصها القوا ذلك ايدهم الله بنصره وامدهم بمعونته ويسره الى المهندسين والصناع وتلقوه احسن القبول وتصوروه باذهانهم فزاد على ما بلغه المامول فوفقهم حسن تنبيهه مما جهلوه على طور غريب من موجبات التعظيم وعلموا ان الفضل لله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وسياتي بعد هذه الاشارة الى تفصيل تلك الحركات المستغربة والاشكال المونقة المعجبة ان شاء الله تعالى مما صنع للمصحف العظيم من الاصونة الغريبة والاحفظة العجيبة انه كسي كله بصوان واحد من الذهب والفضة ذي صنايع غريبة من ظاهره وباطنه لا يشبه بعضها بعضا قد اجري فيه من الوان الزجاج الرومي ما لم يعهد له في العصر الاول امثال ولا عمر قلب بشبهه خاطر ولا بال وله مفاصل يجتمع اليها اجزاوه وتلتئم وتنساق عنده عجايبه وتنتظم قد انتسقت للنحرك اعطافها واحكم انشاؤها على البغية وانعطافها ونظم

على صفحته وجوانبه من فاخر الياقوت ونفيس الدر وعظيم الزمرد ما لم تزل الملوك
السالفة والقرون الخالية تتنافس في أفراده، وتتوارثه على مرور الزمن
وترداده، وتظن الغاية القصوى والملك الأنفس في ادخاره وإعداده، وتسمي الواحد
منها بحد الواحد بالاسم العلم لشذوذه في صنفه واتحاده، فانتظم عليه منها أمثال
زهر الكواكب في تلألئه واتقاده، وأشبه الروض المزخرف عقب سما أقلعت عن إمداده
وأتى هذا الصوان الموصوف رائق المنظر آخذ بمجامع القلب والبصر مستوليا
بصورته الغريبة على جميع الصور، بديع شكل العقول بها ويحير الألباب رواؤه، و
يكاد يغشي الناظر ائتلافه وضياؤه، يحير بمثبت خصاله، واستتر لبيبنا وصاله،
وكان ارتباطه بالمصحف العظيم واتصاله، رأوا أدام الله تأييدهم وأعلى
كلمتهم مما رزقهم الله من ملاحظة الجهات والإشراف على جميع التنبيهات أن يتلطف
في وجه يكون به هذا الصوان المذكور طورا متصلا وطورا منفصلا، ويتأتى فتح
به للمصحف العظيم أن يبرز تارة للخصوص مبتذلا وتارة للعموم متجملا ومعتلى
للناظر في الاستبصار تختلف، وكل له مقام إليه ينتهي وعنده يقف، فعمل فيه على شاكلة
هذا المقصد وتلطف في تتميم هذا الغرض المعتمد، وكسي المصحف العزيز بصوان
لطيف من السندس الأخضر ذي حلية خفيفة تلازمه في المغيب والمحضر، ورتب تدبيرا
يتأتى معه أن يكسى بالصوان الأكبر فيلتئم به التئاما يعطي على العين من هذا الأثر
وكمل ذلك كله على أكمل الصفات وأحسنها، وأبدع المذاهب وأتقنها، وصنع له
محمل غريب الصنعة بديع الشكل والصبغة، ذو مفاصل ينبو عن دقتها الإدراك
ويشتد بها الارتباط بين المفصلين ويصح الاشتراك، مغشى كله بضروب من الترصيع
وفنون من النقش البديع في قطع من الآبنوس والخشب الرفيع، لم تعمل قط في زمان
من الأزمان، ولا انتهت قط إلى نظيره نوافذ الأذهان، مدار بصفحة قد أجريت
في صفائحها الذهب، وامتدت امتداد ذوائب الشهب، وصنع لذلك المحمل كرسي
يحمله عند الانتقال، ويشاركه في أكثر الأحوال، مرصع مثل ترصيعه الغريب، و
مشارك له في جودة التقسيم، وحسن الترتيب، وصنع لذلك كله تابوت يحتوي
عليه احتواء المشكاة على أنوارها، والصدور على محفوظ أسرارها، مكعب الشكل
سام في الطول حسن الجملة والتفصيل، بالغ ما شاء من التنميق في أوصاله والتكميل
جار مجرى المحمل في التزيين والتجميل، وله في أحد غواربه باب ركبت عليه دفتان
قد أحكم إرتاجهما، ويسر بعد انفراجهما، ولانفتاح هذا الباب وخروج
الكرسي من تلقائه وتركب المحمل عليه ما دبرت الحركات الهندسية، وتلقت تلك
التنبيهات القدسية، وانتظمت العجائب المعنوية والحسية، والتأملات الأخيار
النفيسة والنفسية، وذلك أن بأسفل ما بين الدفتين فيصلا فيه موضع

قد أعد له

قد أعد له مفتاح لطيف يدخل فيه، فإذا أدخل ذلك المفتاح فيه وأديرت به اليد
انفتح الباب بانعطاف الدفتين إلى داخل الدفتين من تلقائهما، وخرج الكرسي
من ذاته بما عليه إلى أقصى غايته، وفي خلال خروج الكرسي يتحرك عليه المحمل حركة
منتظمة مقترنة بحركته يأتي بها من مؤخر الكرسي زحفا إلى مقدمه، فإذا كمل الكرسي
بالخروج وكمل المحمل بالتقدم عليه انغلق الباب برجوع الدفتين إلى موضعهما من
تلقائهما دون أن يمسهما أحد، وترتيب هذه الحركات الأربع على حركة المفتاح فقط
دون تكلف شيء آخر، فإذا أدير المفتاح إلى خلف الجهة التي أديرا إليها انفتح أولا
الباب وأخذ الكرسي في الدخول والمحمل في التأخر عن مقدم الكرسي إلى مؤخره
فإذا عاد كل إلى مكانه انسد الباب بالدفتين أيضا من تلقائه، كل ذلك يترتب على حركة
المفتاح كالذي كان في حال خروجه، وصنعت هذه الحركات اللطيفة على أسباب ومسببات
غائبة عن الحس في باطن الكرسي، وهي مما يدق وصفها ويصعب ذكرها، أظهر تمامها
بركات هذا الأمر السعيد، وتنبيهات سيدنا ومولانا الخليفة أدام الله أمرهم
وأعز نصرهم، في خلال الاشتغال بهذه الأعمال التي في غرر الدهر وفوائد العمر، أخذوا
أدام الله تأييدهم ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش حرسها الله تعالى، فبدئ
ببنيانه وتأسيس قبلته في العشر الأول من شهر ربيع الآخر ٥٥٣ه، وكمل مستهل
شعبان المكرم من العام المذكور على أكمل الوجوه وأغرب الصنائع وأفسح المساحة
وأبعد البناء والنجارة، وفيه من شمسيات الزجاج وحركات المنبر والمقصورة
ما لو عمل في السنين العديدة لاستغرب تمامه، فكيف في هذا الأمد اليسير الذي
لم يتخيل أحد من الصناع أنه يتم فيه فضلا عن بنائه، وصليت فيه صلاة الجمعة
منتصف شعبان المذكور، ونهضوا أدام الله تأييدهم عقب ذلك لزيارة
البقعة المكرمة والروضة المعظمة بمدينة تينملل أدام الله رفعتها، فأقاموا
بها بقية شعبان المكرم وأكثر شهر رمضان المعظم، وحملوا في صحبتهم المصحف
العزيز ومعه مصحف الإمام المهدي المعلوم رضي الله عنه في التابوت الموصوف
إذ كان قد صنع له غرفة في أعلاه، وأحكمت فيه إحكاما كمل به معناه، واجتمع في
مشكاته فعاد النور إلى مبدئه، وختم القرآن العزيز في مسجد الإمام المعلوم ختمات
كادت لا تحصى لكثرتها. وهنا انتهى ما وجدناه من هذا المكتوب. ثم قال
ابن رشيد بعد إيراده ما تقدم ما صورته: نجزت الرسالة في المصحف المعظم
والحمد لله رب العالمين. انتهى محل الحاجة منه. وما أحسن قول الشيخ الإمام
أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية يستودع أهل قرطبة:

استودع الله أهل قرطبة ... حيث عهدت الحياء والكرما
والجامع الأعظم العتيق ولا ... زال مدى الدهر مأمنا حرما

وقال ابن الربيع سالم بن سالم حدثني بذلك ابو الحسن عبد الرحمن بن ربيع الاشعري
قال انشدني ابو محمد بن عطية الارتحال عن قرطبة فصد المسجد الجامع
وانشد البيتين انتهى وقال ابن عطية ايضا رحمه الله

يا ربع فاقت الامصار قرطبة • ومن قنطرة الوادي وجامعها •
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة • والعلم اكبر شيء ومنور ابعها •

وقد تقدم انشادنا لهذين البيتين من نسبته لاحد ومما يدخل في اخباره
الزاهرة من غير ما قدمناه ما حكاه عن نفسه الوزير الكاتب ابو المغيرة بن حزم
قال نادمت يوما المنصور بن ابي عامر في منية السرور بالزاهرة ذات الحسن
النضير وهو جامعة بين روضة وغدير فلما تضحح النهار بزعفرات العشي
ورفرف غراب الليل الدجوجي واسبل الليل جنحه وتقلد السماك رمحه ونثر النثر
بالطيرات وعام في الافق زورق الزبرقان اوقدنا مصابيح الراح واشتملنا
ملاءة الارتياح وللدجن فوقنا رواق مضروب فغنتنا عن ذلك جارية تسمى انس
القلوب

قدم الليل عند سير النهار • وبدا البدر مثل نصف سوار •
فكان النهار صفحة خد • وكان الظلام خط عذار •
وكان الكؤوس جامد ماء • وكان المدام ذايب نار •
نظري قد جنى علي ذنوبا • كيف مما جنته عيني اعتذار •
يا لقومي تعجبوا من غزال • جاير في محبتي وهو جاري •
ليت لو كان لي اليه سبيل • فاقضي من حبه اوطاري •

قال فلما اكملت الغنا احسست بالمعنى فقلت

كيف كيف الوصول للاقمار • بين سمر القنا وبيض الشفار •
لو علمنا بان حبك حق • لطلبنا الحياة منك بثار •
واذا ما الكرام همو بشي • خاطروا بالنفوس في الاخطار •

قال فعند ذلك بادر المنصور لحسامه وغلظ في كلامه وقال لها قولي
واصدقي الى من تشيرين بهذا الشوق والحنين فقالت الجارية ان كان الكذب
انجى فالصدق احرى واولى والله ما كانت الا نظرة ولدت في القلب فكرة فتكلم
الحب على لساني وبرح الشوق بكتماني والعفو مضمون لديك عند العثرة و
الصفح معلوم منك عند المعذرة ثم بكت فكان دمعها درا تناثر من عقد او
طل تساقط من ورد وانشدت تقول

اذنبت ذنبا عظيما • فكيف منه اعتذاري •
والله قدر هذا • ولم يكن باختياري •
والعفو احسن شي • يكون عند اقتداري •

قال

قال فعند ذلك صرف المنصور وجه الغضب الي وسل سيفا لتسخط علي فقلت
ايدك الله انما كانت هفوة جرها الفكر وصبوة ابداها النظر وليس للمرء
الا ما قدر له لا ما اختاره وامله فاطرق المنصور قليلا ثم عفى وصفح وتجاوز
عنا وسمح وخلى سبيلي فسكن وجيب قلبي وغليلي ووهب الجارية لي فبتنا بانعم
ليلة وسحبنا فيها للصبا ذيله فلما شمر الليل غدايره وسل الصباح بواتره
وتجاوبت الاطيار بضروب الالحان في اعالي الاغصان انصرفت بالجارية الى
منزلي وقد كمل سروري قال بعضهم ذكرتني حكاية ابي المغيرة هذه حكاية
قراتها في النوادر لابي علي القالي البغدادي حدثت في الظرف حذوها وزمت
بالاغراب زمومها وهي مما اسنده عن منصور البرمكي انه كان للرشيد جارية
غلامية وكان المامون يميل اليها وهو اذ ذاك امرد فوقفت تصب على يد الرشيد
من ابريق معها والمامون خلف الرشيد فاشار اليها يقبلها فانكرت ذلك
بعينيها وابطات في الصب على قدر نظرها للمامون واشارتها اليه فقال الرشيد
ما هذا ضعي الابريق من يدك ففعلت فقال والله لئن لم تصدقيني لاقتلنك
فقالت يا سيدي اشار الي كانه يقبلني فانكرت ذلك عليه فالتفت الى المامون
فنظر اليه كانه ميت لما داخله من الجزع والخجل فرحمه وضمه اليه وقال
يا عبد الله اتحبها قال نعم يا امير المؤمنين قال هي لك فادخل بها في تلك القبة
ففعل ثم قال له هل قلت في هذا الامر شيئا فقال نعم يا سيدي ثم انشد

ظبي كتبت بطرفي • من الضمير اليه •
قبلته من بعيد • فاعتل من شفتيه •
ورد احسن رد • بالكسر من حاجبيه •
فما برحت مكاني • حتى قدرت عليه •

وفي هذا المعنى يقول احد البلغاء اللحظ يعرب عن اللفظ وقال اخر رب كناية تغني
عن ايضاح ورب لفظ يدل على ضمير ونظمه الشاعر فقال

جعلنا علامات المودة بيننا • دقايق لحظ هن اخفى من السحر •
فاعرف منها الوصل في لين لحظها • واعرف منها الهجر بالنظر الشزر •

وفي هذا قال بعض الحكما العين باب القلب فما في القلب ظهر في العين
وقال الشاعر

العين تبدي الذي في نفس صاحبها • من المحبة او بغض اذا كانا •
والعين تنطق والافواه صامتة • حتى ترى من ضمير القلب تبيانا •

انتهى وابو المغيرة بن حزم قال في حقه في المطمح ما نصه الوزير الكاتب ابو
المغيرة عبد الوهاب بن حزم وبنو حزم فتية علم وادب وثنية مجد وحسب

وابو المغيرة هذا في الكتابة اوحد لا يبعث ولا يجد وهو فارس المضمار حامي ذلك
للذمار وبطلا لرعيل واشد ذلك القبيل نسق المعجزات وسبق في المعضلات
الموجزات اذا كتب وشي المهارق ودبج وركب من بحر البلاغة اللجج وكان هو وابو
عامر بن شهيد خليلي صفا وحليفي وفا لا ينفصلان في رواد ولا مقيل ولا يفترقان
كمالك وعقيل وكانا بقرطبة رافعي الوية الصبوة وعامري اندية السلوة الي
ان اتخذ ابو عامر في حبالة وعلق وغدا رهنه فيها قد غلق فانفرد ابو المغيرة
بذلك الميدان واشتهر من سبقه ما فاته منذ زمان فلم تذكر له مع ابي عامر
حسنة ولا سرت له نفرة مستحسنة لتعذر ذلك وامتناعه بشغوف ابي عامره
وامتداد باعه واما شعر ابي المغيرة فمرتبط بنثره ومختلط زهره بدرره وقد
اثبت له منهما فنونا تجن بها الافهام جنونا **فمن ذلك قوله**

• طعنت وفي احداجها من شكلها • عين تضحي بحسنها العينا •
• ما الصفت في جنب توضح اذ قرنت • ضبيها لوداد بلاء او شجونا •
• اضحى الغرام قطين ربع فواده • اذا لم يجد بالرقمتين قطينا •

وله

• لما رايت الهلال منطويا • في غرة الفجر فارق الزهره •
• شبهته والعيان يشهد لي • بصولجان انثنى لضرب كره • انتهى

وابو عامر بن شهيد المذكور قال في حقه ما صورته الوزير ابو عامر احمد بن عبد الملك
ابن شهيد المذكور قال في حقه ما صورته الوزير الاشجعي عالم باقسام البلاغة
ومعانيها حائز قصب السبق فيها لا يشبهه احد من اهل زمانه ولا ينسق ما نسق
من درر البيان وجمانه توغل في شعاب البلاغة وطرقها واخذ على متعاطيها ما بين
مغربها ومشرقها لا يفاومه عمرو بن بحر ولا تراه يغترف الا من بحر مع انطباع
مشى في طريقه بامتداد باع وله الحسب المشهور والمكان الذي لم يعده للظهور
وهو من ولد الوضاح المتقلد تلك المفاخر والاوضاح والضحاك صاحب يوم
المرج وراكب ذلك الهرج وابو عامر حفيده هذا من ذلك النسب ونبع لا
براش الا مع ذلك الغرب وقد اثبت له ما هو بالسحر لاحق وللنور المحاسن ماحق

فمن ذلك قوله

• انا الكريم اذا ما بت مختضبا • ابدى الى الناس سربا وهو ظمآن •
• يحنى الضلوع على مثل اللظى حرقا • والوجه غمر بماء البشر ملآن •

وهو ماخوذ من قول الرضي

• ما ان رايت كمعشر صبروا • عزا على الارزات والازلام •
• نسطوا الوجوه وبين اضلعهم • حر الجوى ومآلم الا كلام •

وله ايضا

• كلفت بالحب حتى لو دنا اجلي • لما وجدت لطعم الموت من الم •
• كلا الندي والهوى قدما ولعت به • ويلي من الحب او ويلي من الكرم •

واخبرني الوزير ابو الحسن بن سراج وهو من ذا ابن شهيد وكان من
البلاغة في مدى غاية البيان ومن الفصاحة في اعلى مراتب التبيان وكنا
نحضر مجلس شرابه ولا نحتجب عن بابه وكان له بباب الصومعة من الجامع موضع
لا يفارقه اكثر نهاره ولا يخليه من نثر درره وازهاره فقعد فيه ليلة ٢٧ من
رمضان في لمة من اخوانه وايمة سلوانه وقد حفوا به ليقطعوا تحت ادبه وهو
يخلط لهم الجد بهزله ولا يفرط في البساط مستهزيء ولا انقباض خرله واذا بجارية من
اعيان اهل قرطبة معها من جواريها من يسترها ويواريها وهي تريد موضعا
لمناجاة ربها وتبتغي منزلا لاستغفار ذنبها وهي متنقبة خائفة ممن يرقبها
مترقبة امامها طفل لها كانه غصن آس او ظبي يمرح في كناس فلما وقعت عينها
على ابي عامر ولت سريعة وتولت مروعة خيفة ان يشبب بها او يشهرها باسمها
فلما نظرها قال **قولا فضحها به وشهرها**

• وناظرة تحت طي القناع • دعاها الى الله بالخير داعي •
• سعت خفية تبتغي منزلا • لوصل التبتل والانقطاع •
• فجاءت تهادى كمثل الرؤوم • تراعي غزالا بروض اليفاع •
• وجالت بموضعنا جولة • فحل الربيع بتلك البقاع •
• اتتنا تبختر في مشيها • فحلت بواد كثير السباع •
• وريعت حذارا على طفلها • فناديت يا هذه لا تراعي •
• غزالك تفرق منه الليوث • وتنقطع منه كماة المصاع •
• فولت ومن • ادبالها • على الارض • خط الشجاع •

انتهى المقصود منه **رجع** ومما ينخرط في سلك اخبار الزهرا ما حكاه الفتح
في ترجمة المعتمد بن عباد اذ قال واخبرني الوزير الفقيه ابو الحسن بن سراج
انه حضر مع الوزرا والكتاب بالزهرا في يوم غفل عنه الدهر فلم يرمقه بطرفه
ولم يطرقه بصرفه ارخت به المسرات عهدها وابرزت له الاماني خدها
وارشفت فيه لماها واباحت للزائرين حماها وما زالوا يتنقلون من قصر الى قصر
ويتبدلون الغصون بجنى ومصر ويتوقلون في تلك الغرفات ويتعاطون
الكؤوس بين تلك الشرفات حتى استفزوا بالروض من تعدما قضوا من تلك
الاثار اوطارا ووقفوا بالاعتبار قطارا تخلوا منها في دار تك ربيع مفوقه
الازهار مطرزة بالجداول والانهار والغصون تختال في اذواحها وتتثنى
في اكف ارواحها واثار الديار قد اشرفت عليهم كثكلى تحن على خرابها وانقراض

اطرابها والوهى بتشييد ملاعبه . وعلى كل جدار غراب ناعبه . وقد محت الحوادث ضياءها . وقلصت ظلالها وأفياءها . وطالما أشرقت بالخلائف وابتهجت . وفاحت من شذاهم وأرجت . أيام نزلوا خلالها . وراعوا الليوث في آجامها . وأنجلوا الغيوث عند انسجامها . فأضحت ولها بالتداعي تلفع . واعتجار . ولم يبق من آثارها إلا نؤي وأحجار . وقد وهت قبابها . وهرم شبابها . وقد يبلى الجديد . ويبلى على طيه الجديد . فبينما هم يتعاطونها صغارا وكبارا . ويديرونها أنسا واعتبارا . إذ برسول المعتمد قد وافاهم برقعة فيها مكتوب

• حسد القصر فيكم الزهراء . ولعمري وعمركم ما أساء •
• قد طلعتم بها شموسا صباحا . فاطلعوا عندنا بدورا مساء •

فساروا إلى قصر البستان بباب العطارين فألفوا مجلسا قد حار فيه الوصف . واحتشد فيه اللهو والقصف . وتوقدت نجوم مدامه . وتأودت قدود خدامه . وأربى على الخورنق والسدير . وأبدى صفحة البدر من أزرار المدير . فأقاموا ليلتهم ما عراهم نوم . ولا عداهم عن طيب اللذات سوم . وكانت قرطبة منتهى أمله . وكان يروم أمرها أشهى عمله . وما زال يخطبها بمداخلة أهليها . ومواصلة واليها . إذ لم يكن في منازلتها فائدة . ولم يكن لها إلا حيل ومكايد . استمالهم بدعوة خلفائها . وأنقذهم من طموس رسوم الخلافة وعفائها . وحين اتفق له تملكها . واطلع فلكها . وحصل في قطب دائرتها . ووصل إلى تدبير رياستها وإدارتها .

قال

• من للملوك بشأو الأصيد البطل . هيهات جاءتكم مهدية الدول •
• خطبت قرطبة الحسناء إذ منعت . من جاء يخطبها بالبيض والأسل •
• وكم غدت عاطلا حتى عرضت لها . فأصبحت في سرى الحلي والحلل •
• عرس الملوك لنا في قصرها عرس . كل الملوك بها في مأتم الوجل •
• فراقبوا عن قريب لا أبا لكم . هجوم ليث بدرع البأس مشتمل •

ولما انتظمت في سلكه . واتسمت بملكه . أعطى ابنه الظافر زمامها . وولاه نقضها وإبرامها . وأفاض فيها نداه . وزاد على أمله ومداه . وجعلها لكثرة حبا واستثقل بأعبائها على فتائه . ولم يزل فيها آمرا وناهيا . غافلا عن المكر ساهيا . حسن ظنا بأهلها اعتقده . واغترارا بهم ما رواه ولا انتقده . ومبيهات كم من ملك كفنوه في دمائه . ودفنوه في دمائه . وكم من عرش ثلوه . وكم من عزيز قوم أذلوه . إلى أن ثار فيها ابن عكاشة ليلا . وجر إليها حربا وويلا . فبرز الظافر منفردا عن كماته . عاريا من حماته . وسيفه في يمينه . وما دير في الظلماء نور جبينه . فإنه كان غلاما كما بلله الشباب بأندائه . والحفه الحسن بردائه . فدافعهم أكثر

لله

ليلة . وقد سد منه تلاحق رجله وخيله . حتى امكنتهم منه عثرة لم يقل لها ولا استقل منها ولا سعى . فترك ملتحفا في الظلماء تحت نجوم السماء معفرا في وسط الحماة تخرسه الكواكب بعد المواكب . ويبشره الحندس بعد السندس . فمر بمصرعه سحرا أحد أئمة الجامع المغلسين قراءه . وقد ذهب ما كان عليه ومضى . وهو أعرى من الحسام المنتضى . فخلع رداءه عن منكبيه . وغطاه . وستره به سترا أفنع المجتدي وأرضاه . وأصبح لا يعلم رب تلك الصنيعة . ولا يعرف فتشكر لديه الرفيعة . فكان المعتمد إذا تذكر صرعته . وسعر الحزن لوعته . رفع بالعويل نداءه . وأنشد ولم أدر من ألقى عليه رداءه . ولما كان من الغد جز رأسه ورفع على سن رمح . وهو يشرف كنار على علم . ويرشق بعين كل ناظر بألم . فلما رأته الأنصار . وتخففت الحماة والأنصار . رموا أسلحتهم . وسووا للفرار أجنحتهم . فمنهم من اختار فراره وجلاه . ومنهم من أتت به إلى حينه رجلاه . وشغل المعتمد عن رثائه بطلب ثاره . ونصب الحبائل لوقوع ابن عكاشة وعثاره . وعدل عن تأبينه . إلى البحث عن مفرقه وجبينه . فلم تحفظ له فيه قافيه . ولا كلمة للوعة شافيه . لا إشارة إليه . في تأبين أخويه المأمون والراضي المقتولين في أول النائرة . والفتنة الثائرة . انتهى . وقد رأيت أن أزيد على ما تقدم ممن قصدت جلبه في هذا الموضع نبذة من كلام الفتح في ذكر متنزهات قرطبة وغيرها من بلاد الأندلس . ووصف مجالس الأنس التي كانت بها تمتشا تنشرح له الأنفس . ووقع ذكر غير قرطبة والزهراء لهما تبعا . ولا يخلو ذلك من عبرة بحال من جعل في اللهو مصيفا ومرتبعا . ثم طواه الدهر طي السجل . ومحى آثاره التي تسمو وتجل . وما قصدنا علم الله غير الاعتبار بهذه الأخبار لا الحث على الحرام . وتسهيل القصد إليه والمرام . والأعمال بالنيات والله كفيل بفضله وكرمه ببلوغ الأمنيات . وتعويضنا عن هذه النعم الغابيات بالنعم الباقيات . قال الفتح رحمه الله في ترجمة الوزير أبي الوليد بن زيدون ما صورته وأخبرني الوزير الفقيه أبو الحسين بن سراج رحمه الله أنه مر في وقت فراره أضحى غداة الأضحى . وقد ثار الوجد بمن كان يألفه ولم ترات لعينيه تلك الظباء إلا وابس والآرام . وقد كان الفطر وأفاه . والشقاء قد استولى على رسم عافيته حتى اعتفاه . فلما عاده منهما ما عاده . وأعياه ذلك النكد المعاد . استراح إلى ذكر عهده الحسن . وأراح جفونه المسهدة بنوم ذلك الوسن . وذكر معاهد كان يخرج إليهما في العيد . ويتفرج بها مع أولئك الغيد . فقال

• خليلي لا فطر يسر ولا أضحى . فما حال من أمسى مشوقا كما أضحى •

لئن شاقني شرق العقاب فلم أزل • أخص بممحوض الهوى ذلك السفحا •
وما انفك جوفي الرصافة مشعري • دواعي ثبت تعقب الاسف البرحا •
ويهتاج قصر الفارسي صبابة • لقلبي لا يالو زناد الاسى قدحا •
وليس ذميما عهد مجلس ناصح • فاقبل في فرط الولوع به نصحا •
كاني لم اشهد لدى عين شهدة • نزال عتاب كان اخره الفتحا •
وقائع جانيها التجني فان مشى • سفير خضوع بيننا اكد الصلحا •
وايام وصل بالعقيق اقتضيته • فان لم يكن ميعاده العيد فالفصحا •
وآصال لهو في مسناة مالك • معاطاة ندمان اذا شئت او سبحا •
لدى راكد تصبيك من صفحاته • قوارير خضر خلتها مرد تصرحا •
معاهد لذات واوطار صبوة • اجلت المعلى في الاماني بها قدحا •
الا هل الى الزهراء اوبة نازح • تقضت مبانيها مدامعه نزحا •
مقاصر ملك اشرقت جنباتها • فخلنا العشاء الجون اثناءها صبحا •
يمثل قرطيها الي الوهم جهرة • فقبتها فالكوكب الجون فالسطحا •
محل ارتياح يذكر الخلد طيبه • اذا عز ان يصدى الفتى فيه او يضحى •
هناك الجمام الزرق تندى حفافها • ظلال عهدت الدهر فيها فتى سمحا •
تعوضت من شدو القيان خلالها • صدى فلوات قد اطار الكرى ضبحا •
ومن حمل الكاس المفدى مديرها • تقحم اهوال حملت لها الرمحا •
اجل ان ليلي فوق شاطي نبطة • لاقصر من ليلي بآنة فالبطحا •

وهذه معاهد بني امية قطعوا بها ليالي وايامًا وظلت فيها الحوادث عنهم نيامًا فهاموا بشرق بشرق العقاب • وشاموا به برقا يبدو من نقاب • ونعموا بجوف الرصافة • وطعموا عيشا تولى الدهر خلاله وزفافه • وابعدوا النصح الناصح وحمدوا انس مجلس ناصح • وعموا الزهراء وصموا عن نباء صاحب الزوراء حتى رحلهم الموت عنها وقوضهم • وعوضهم عنها ما عوضهم فصاروا احاديث وانباء • ولم يتزودوا منها الا حنوطا وكباء • وغدت تلك المعاهد تفضا تحتها ايدي الغير وتتناوحها نعمات الطير • وراحت بعد الزينة سدى • وامست مسرحا للبوم وملعبا للصدى • يسمع للجن بها عزيف ويصرع فيها البطل الباسل والزيف وكذا الدنيا اعمالها خراب وما لها آل وسراب • اهلكت اصحاب الاخدود وادهبت ما كان بمارب من جنات وخدود • انتهى وقال الفتح بعد كلام ما صورته ولما عضته نابها لاعتقاله • وارضته تلك النوائب لثقاله • وعوض بخشانة العيش من اللين • وكابد قسوة خطب لا تلين • تذكر عهد عيشه الرقيق ومراحه بين الرصافة والعقيق • وحن الى سعد زرت عليه جيوبه • واستهدى

نسيم

نسيم عيش طاب له مهبوبه • ونا شيء ممن بانت لذا النوائب بمرصاد • ورمته بسهام ذات اقصاد • فقال

الهوى في طلوع تلك النجوم • والمنى في هبوب ذاك النسيم •
سرنا عيشنا الرقيق الحواشي • لو يدوم السرور للمستديم •
وطر ما انقضى الى ان تقضى • زمن ما ذمامه بالذميم •
ايها المؤذني بظلم الليالي • ليس يومي بواحد من ظلوم •
ما ترى البدر ان تاملت والشمس هما يكسفان دون النجوم •
وهو الدهر ليس ينفك ينحو • بالمصاب العظيم نحو العظيم •

وقال الفتح ايضا في شان ابن زيدون ما صورته ولما تعذر انفكاكه وعفر فرقده وسماكه • وعادته الاوهام والفكر • وخانه من ابي الحزم الصارم الذكر قال يصف ما بين مسراته وكروبه • ويذكر بعد طلوع امله من غروبه • ويشكو ما هو فيه من التعذيب • ويعذر ابا الحزم ولبس له عذر من عذيب • ويتعزى بابناء الدهر على الاحرار والجاحة على الكرام بالاشرار • ويخاطب ولادة ويوقفها ويعلمها البراهين على ارقه وسهده •

ما جال بعدك لحظي في سنى قمر • الا ذكرتك ذكر العين للاثر •
ولا استطلت ذماء الليل من اسف • الا على ليلة سرت مع القصر •
في نشوة من شباب الوصل موهمة • ان المسافة بين النوم والسحر •
يا ليت ذاك السواد الجون متصل • قد استعار سواد القلب والبصر •
يا للرزايا لقد شافهت منهلها • غمرا فما اشرب المكروه بالغمر •
لا يهنئ الشامت المرتاح خاطره • اني معنى الاماني ضائع الخطر •
هل الرياح بنجم الارض عاصفة • ام الكسوف لغير الشمس والقمر •
ان طال في السجن ايداعي فلا عجب • قد يودع الجفن حد الصارم الذكر •
وان يثبط ابا الحزم الرضى قدر • عن كشف ضري فلا عتب على القدر •
من لم ازل من تانيه على ثقة • ولم ابت من تجنيه على حذر •

وله يتغزل ويعاتب من يستعطفه ويتنزل

يا مستخفا بعاشقيه • ومستغشا لناصحيه •
ومن اطاع الوشاة فينا • حتى اطعنا السلو فيه •
الحمد لله اذ ارانيي • تكذيب ما كنت تدعيه •
من قبل ان يبرم التسلي • ويغلب الشوق ما يليه •

انتهى ومما احسن قول ابن زيدون المذكور في قصيدته النونية الشهيرة
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا • بان نغص فقال الدهر آمينا •

ومن أغرب ما وقفت عليه موشحة لابن الوكيل دخل فيها على أعجاز نونية ابن زيدون

غدا منادينا محكما فينا • يقضي علينا الأسى لولا تأسينا •
بحر الهوى يغرق من فيه جهده عام • ونار تحرق من هم وقد هام •
وربما تغلق فتى عليه نام • قد غير الأجسام وصيّر الأيام •
سودا وكانت بكم بيضا ليالينا • يا حب صل النجوى قف واستمع مني •
أيا لئن تنوي أن الهوى يضني • لا تقرب البلوى اسمع وقل عني •
بحاره مرّ خضنا على غرة حينا • فقام بها للنعي ناعينا •
من هام بالغيد لا في تهيم تمام • بذلت مجهودي لأحور المياد •
يهم بالجود وردها هماء • وعندما قد جاد بالوصل وما قد كاد •
أضحى التنائي بديلا من تدانينا • بحنو ما بيني وبينكم إلا •
أقررتم عيني فتجمعوا الشملا • فالعين بالبين لفقدكم أبلى •
جديد ما قد كان بالأهل والإخوان • ومورد اللهو صاف من تصافينا •
يا جيرة بانت عن مغرم صب • لعهده خانت من غير ما ذنب •
ما هكذا كانت عوائد العرب • لا تحسبوا البعد يغير العهدا •
إذ طالما غير النائي المحبينا • يا نازلا بالبان بالشفع والوتر •
والنمل والفرقان والليل إذ يسري وسورة الرحمن والنحل والحجر •
هل حل في الأديان أن تقتل الظمآن من كان صرفا للهوى والود يسقينا •
يا سائق القطر عج على الوادي • من ساكني بدري وقف بهم ناد •
عسى صبا تسري لمغرم صادي • إن شئت تحيينا بلغ تحيينا •
من لو على البعد حيا كان يحيينا • وافت لنا أيام كأنها أعوام •
وكان لي أعوام كأنها أيام • تمر كالأحلام بالوصل والود دام •
والكأس مترعة حثت مشعشعة فينا الشمول وغنانا مغنينا •

رجع إلى ما يتعلق بقرطبة قال الوزير أبو بكر بن القبطرنة يخاطب الوزير أبا الحسن بن سراج وبدا له من إخوانه بقرطبة

يا سيدي وأبي هوى وجلالة • ورسول ودي إن طلبت رسولا •
عرّج بقرطبة إذا بلغتها • بأبي الحسين وناده تمويلا •
فإذا سعدت بنظرة من وجهه • فامدد يدا للسلام تكفه تقبيلا •
واذكر لهم شكري وشوقي مجملا • ولو استطعت شرحته تفصيلا •
بتحية تهديها لهم كأنما • جرت على زهر الرياض ذيولا •
واشمم منها المصحفي على النوى • نفسا يبيني السوسن المبلولا •
وأبي مروان منه نفحة • تهدي له نور الربى مطلولا •

وإذا

وإذا لقيت الأخطبي فسقه • من صفو ودي قرقفا وشمولا •
وأبو علي سق منها ربعه • مسكا بماء غمامة محلولا •
واذكر لهم زمنا يهب نسيمه • أصلا كنفت الرقبات عليلا •
مولى ومولى نعمة وكرامة • وأخا أخا مخلصا وخليلا •
بالجعفر ما عشت منا لا نعما • إلا انتضاحك إذ خرا وجليلا •
يوما وليلا كان ذلك كله • سحرا ومهدا بكرة وأصيلا •
لا أدركت تلك الأهلة دهرها • نقصا ولا تلك النجوم أفولا •

قال أبو نصر الجعفر الذي ذكر منها هو جعفر الزجالي خارج باب اليهود بقرطبة الذي يقول فيه أبو عامر بن شهيد

لقد أطلعوا عند باب اليهود • شمسا أبى الحسن أن تكسفا •
تراه اليهود على بابها • أميرا فتحسبه يوسفا •

وهذا الجعفر من أبدع المواضع وأجملها وأتمها حسنا وأكملها صحنه مرمر صافي البياض يخترقه جدول كالحية النضناض بمجانبه كل جنة كأنها كاتبة قد رقشت بالذهب واللازورد سماؤه وتأزرت بهما جوانبه وأرجاؤه وللروض قد عدلت أسطاره وابتسمت من كمائمها أزهاره ومنع الشمس أن ترمق ثراه وتعطر النسيم بهبوبه عليه ومسراه شهدت به ليالي وأياما كأنما تصورت من لمحات الأحباب أو قدت من صفحات أيام الشباب وكانت لأبي عامر ابن شهيد به فرح وراحات أعطاه فيهما الدهر ما شاء ووالى البدء الصحو والانتشاء وكان هو وصاحب الروض المدفون بإزائه الزجالي صبوح وحلبة نشوة عكفا فيه على جريالهما وتصرفا بين زمزمهما وأخيفا لهما حتى رد أيمنهما الردى وعدا أحدهما الحمام عن ذلك المدى فتجاورا في الممات تجاورهما في الحياة وتقلصت عنهما وارفات تلك العنايات وإلى ذلك العهد أشار ابن شهيد وبه عرض وبشوقه صرح ومرض حيث يقول عند موته يخاطب أبا مروان صاحبه والمدفون بإزائه.

ويكتب على قبره

يا صاحبي قم فقد أطلنا • أنحن طول المدى هجود •
فقال لي لن نقوم منها • ما دام من فوقنا الصعيد •
تذكر كم ليلة نعمنا • في ظلها والزمان عيد •
وكم سرور همى علينا • سحابة ثرة تجود •
كل كأن لم يكن تقضى • وشومه حاضر عتيد •
حصله كاتب حفيظ • وضمه صادق شهيد •
يا ويلنا إن تنكبتنا • رحمة من بطشه شديد •

• يا رب عفواً فانت مولاه • فقصّر في أمرك العبيد •

انتهى ثم قال بعد كلامه • وركب ابو الحسن بن القبطرنة الى سوق الدواب بقرطبة ومعه ابو الحسين بن سراج فنظرا الى ابي الحكم بن حزم غلاماً كما عق تمائمه ومورق كأنه زهر فارق كمائمه فسأل ابا الحسين بن سراج ان يقول فيه فارتج عليه فثنى عنانا لقوله لبيه **فقال**

• رأى صاحبي عمراً فكلّف وصفه • وحمّلني من ذاك ما ليس في الطوق •

• فقلت له عمرو كعمر فقال لي • صدقت ولكن ذا اشبّ على الطوق •

انتهى **وكان** بنو القبطرنة بالاندلس اشهر من نار على علم وقد نضر فوائد البراعة والقلم ولهم الوزارة المذكورة • والفضائل المشكورة • ولذا **قال** ابو نصر في حقهم **ما صورته** هم للمجد كالاثافي • وما منهم الا موفور القوادم والخوافي ان ظهروا • زهروا • وان جمعوا • تضوعوا • وان نطقوا صدقوا • ما هم صنفوا • وكل منهم لصاحبه كفؤ • اناروا بهم نجوم المعالي وشموسها • وكانت لهم ارواحها ونفوسها • ولهم النظام الصافي في الزجاجة • المطمحل العجاجة انتهى ثم قال وبات منهم ابو محمد مع اخويه في ايام صباه • واستطابه هبوب الصبا وصباه • بالمنية المسماة بالبديع وهو روض كان المتوكل يكلف بموافاته • ويبتهج بحسن صفاته • ويقطف رياحينه وزهره • ويقف عليه اغفاءه وسهره • ويستفزه الطلب متى ذكره • ويثنيه فرص الانس فيه روحاته وبكره • ويدير حميّاه على صفحة نهره • ويخلع سره فيه لطاعة جهره • ومعه اخواه قطار اللذات حتى انضوها • ولبسوا برود السرور وما نضوها • حتى صرعتهم العقار وطلحتهم تلك الاوقار • فلما هم رداء الفجر ان يتبدّى • وجبين الصبح ان يتبدى

قام الوزير ابو محمد فقال

• يا شقيقي وافى الصباح بوجهه • ستر الليل نوره وبهاؤه •

• فاصطبح واغتنم مسرة يوم • لست تدري بما يجيء مساؤه •

ثم استيقظ اخوه ابو بكر فقال

• يا اخي قم ترى النسيم عليلا • باكر الروض والمدام شمولا •

• لا تنم واغتنم مسرة يوم • ان تحت التراب نوماً طويلا •

• في رياض تعانق الزهر فيها • مثل ما عانق الخليل خليلا •

ثم استيقظ اخوهما ابو الحسن وقد ذهب من غفلة الوسن **فقال**

• يا صاحبيّ ذرا لومي ومعتبتي • قم نصطبح خمرة من خير ما ذخروا •

• وبادرا غفلة الايام واغتنما • فاليوم خمر ويبدو في غد خبر •

انتهى وساق صاحب البدائع هذه القضية فقال وذكر الفتح ما هذا معناه

بعد بتندي

انه خرج

انه خرج الوزراء بنو القبطرنة الى المنية المسماة بالبديع وهو روض قد اخضرت مسارح نباته • واخضلت مسارح نباته ودمعت بالطل عيون ازهاره ودار على زبرجده بلور انهاره • وتجمعت فيه المحاسن المتفرقة • واضحت مقل الحوادث عنه مطرقة • تخيّل النسيم تركض في ميادينه فلا تكبوا • وتصول السوابق في خيم ادواح الشجر فلا تنبوا • والزروع قد نقبت وجه الثرى وحجبت الارض عن العيون فما تبصر ولا ترى • وكان المتوكل بن الافطس يجعله غاية الارب مشهداً للطرب • ومدفعاً للكرب فباتوا فيه ليلتهم تدور عليهم لهب تمنوا فيه الخلود • ويحسون ذوب ذهب • لا يصهر به ما في بطونهم والجلود حتى تركتهم ابنة الخابية • كانهم اعجاز نخل خاوية • فلما امر روحي الصباح في زنجي الظلام ونادى الديك حيّ على المدام • انتبه كبيرهم ابو محمد مستعجلاً وانشد مرتجلاً

يا شقيقي • فانتبه اخوه ابو بكر لصوته وتخوف لذهاب ذلك الوقت وفوته وانبه اخاهما ابا الحسن وهو يرتجل يا اخي قم ترى النسيم • فانتبه اخوه لكلامه دافعاً لذة منامه للذة قيامه • وارتجل يا صاحبيّ ذرا • انتهى قال الفتح • ولما امر المعتمد بن عباد ابا بكر بن القبطرنة الشانئ الذكر مع الوزير ابي الحسين بن سراج بلقاء ذي الوزارتين ابي الحسن بن اليسع الغائب والمشي اليه والنزول عليه تنويهاً بالمقدمة • وتنبيهاً على حظوته لديه وتقدمه فصارا الى بابه فوجداه مقفراً من حجابه فاستغربا خلوه من خوله وظن كل واحد منهما وناول • ثم اجمعا على قرع الباب ورفع ذلك الارتياب فخرج وهو دهش واشار اليهما بالتحية وبداه تترعش • وانزلهما حجلاً • ومشى بين ايديهما عجلاً • واشار الى شخص فتوارى بالحجاب • وبارى الريح سرعة في الاحتجاب • فقعدا ومقلة الحسن ترمق من خلال السجف • فانصرفا عنه • وعزما ان يكتبا اليه بما فهماه عنه **فكتبا اليه** • سمعنا خشفة الخشف • وشمنا طرفة الطرف •

• وصدقنا ولم نقطع • وكذبنا ولم ننف •

• واغضينا لاجلالك • عن اكرومة الظرف •

• ولم ننصف وقد جئنا • لك ما يتهض من ضعف •

• وكان الحكم ان تحمله • او تردفه في الردف •

فراجعهما ابو الحسن بقطعة منها

• ابا اسفي على حال • سلبته بها ميل الظرف •

• ويا لهفي على جهل • بنصف كان من نصف •

انتهى ولامثال الاندلس في معاني الانس الحسان • ما لا يفي به لسان **وقال الفتح** في ترجمة الوزير ابي الفضل بن حسداي بعد كلام **ما صورته** فمنها

هذه القطعة التي اطلعها نيره. وترك الالباب بها متحيره. في يوم كان عند
المعتمد بالله شيع غلبه. قد تخذوا المجد حلبه. والامل قد سفر لهم عن محياه.
وعنوا لهم عن رياه. فصار محدا لكل منهم وحيا. وشمس الراح دايرة على فلك
الافراح. والملك ينشر فضله. ويبث نواله وطله. بسند العلا ويهب
الغنا والغنى. فصدحت الغواني. وافصحت بالمثالث والمثاني. بما
استنزل من مرقب الوقار. وسرى في النفوس مسرى العقار.

نور بدا خدك للاحداق لذات • عليه من عنبر الاصداغ لامات •
نيران هجرك للعشاق نار لظى • لكن وصلك ان واصلت جنات •
كانما الراح والراحات تحملها • بدور تم وايدي الشرب هالات •
حشاشتي ما تركنا الماء يقتلها • الا لتحيي بها منا حشاشات •
قد كان في كاسها من قبلها ثقل • فخف اذ ملئت منها الزجاجات •
عهدا لنبي تقاضته الامانات • بانت وما قضيت منها لبانات •
يدني النسيم لمشتاق ومنتزح • مر الامور وفي الايام راحات •
تقضي عدات اذا هب الكرى واذا • هب النسيم فقد تهدي تحيات •
زور يعلل قلب المستهام به • دهرا وقد بقيت في النفس حاجات •
لعل عتبى الليالي ان يعود الى • عتبي فتبلغ اوطار ولذات •
حتى يعود عاد الخيال به • فربما صدقت تلك المنامات •

ولما اعرس المستعين بالله بابنة الوزير الاجل ابي بكر بن عبد العزيز احتفل
ابوه المؤتمن في ذلك احتفالا شهره. وابدع فيه ابداعا راق من حضره وبهره
فانه احضر فيه من الالات المبتدعه. والادوات المخترعه. ما بهر الالباب.
وقطع دون معرفتها الاسباب. واستدعى لتنجيح اعيان الاندلس من دان
وقاص. ومطيع وعاص. فاتوه متسرعين. ولبوه متبرعين. وكان مدير تلك
الاراء ومدبرها. ومنشي مخاطباتها ومحبرها. الوزير الكاتب ابو الفضل وحده
عنه في ذلك الوقت كتب ظهر اعجازها. وبهر اقتضابها وايجازها. فمن ذلك ما
خطب به صاحب المظالم ابا عبد الله بن طاهر محلك اعزك الله في طي الجوانح
ثابت وان نزحت الدار. وعيانك في احناء الضلوع باد وان شحط المزار
فالنفس فايزة منك بتمثل الخاطر باوفر الحظ. والعين نازعة الى ان تمتع من
لقايك بطرف اللحظ. فلا غاية لاشتياق بردا. ولا امد منتهى الشوق وزدا من
تفضلك بالحقوق الى ما تشتمل عليه مساعدتك النباله. وتتصل بمحاضرتك
انتظامه. وذلك فضل الاجماله. والامتناع باعظم الاماله. وانا اعزك
الله على شرف سودد لك حاكم. وعلى مسترع سنايك حايم. وحسبي ما تحققه

من نزاعي

من نزاعي وتشوقي. وتبعثه من تطلعي وتتوقي. وقد تمكن لي الارتياح باستحكام
الثقة. واعترض الاقتراح باستجلاب الصلة. وانت وصل الله سعدك بسماح
شيمك. وبارع كرمك. تمنح المؤانسة عمدا. وتوري بالمكارمة زندا.
وتقضي بالمشاركة شكرا لا فلا وحمدا. لا زلت مصبحا بالسعود المقبلة.
ممسوغا اجتلاء غرر الاماني المتهللة. بمنه انتهى. ثم قال بعد هذا
بيسير ما نصه وركب المستعين بالله يوما نهر سرقسطة يريد طرادا له
وارتيادا نزهته. وافتقاد احد حصونه المنتظمة بلبتنه. واجتمع له من اصحابه
من احتفته لاستصحابه. وفيهم ابو الفضل مشاهد لانفراجهم. سالك
لمنهاجهم. والمستعين قد احضر من الات انسه. واظهر من انواع ذلك واجناسه
ما راق من حضر. وفاق حسنه الروض الانضر. والزوارق قد حفت به
والتفت بجوانبه. ونغمات الاوتار تختلس الصابر عن عدوه. وتخرس الطاير
المفصح بشدوه. والسمك تثير ما المكايد. وتغوص اليها المصايد. فتبرز
منها اللجين. فتضنبان درا وسبايك اللجين. والراح لا يطمس لها لمع. ولا يبعد
منها بصر ولا سمع. والانهر قد غصت صروفه. وانتفض من نكره معروفه فقال

لله يوم انيق واضح الغرر • مفضض مذهب الاصال والبكر •
كانما الدهر لما ساء اعتبنا • فيه بعتبى وابدى صفح معتذر •
نسير في زورق حف السفين به • من جانبيه بمنظوم ومنتثر •
مد الشراع به نسرا على ملك • بدا لاوابيه اثار الاخر •
هو الامام الهمام المستعين حوى • علياء مؤتمن عن هدي مقتدر •
تحوي السفينة منه ابن بجدتها • بحر تجمع حتى صار في نهر •
تثار من قعره النينان مصعدة • صيدا كما ظفر الغواص بالدرر •
وللندامى به عب ومرتشف • كالريق يعذب في ورد وفي صدر •
والشرب ندمولي خلقه زهر • بذكره وغرته ابهى من القمر •

انتهى وقال في ترجمة العلامة الكبير الاستاذ ابي محمد عبد الله
ابن السيد البطليوسي شارح ادب الكتاب وسقط الزند وغيرهما ما صورته
اخبرني انه حضر مع المامون بن ذي النون في مجلس الناعورة بالمنية التي
يطمح اليها المنى ومرآها هو المقترح والمتمنى والمامون قد احتبى. وافاض الحبا
والمجلس يروق كالشمس في افقه. والبدر في متسقه. والنور عبق. وعلى ماء النهر
مصطبح ومغتبق. والدولاب يئن كناقة اثر الحوار. او كثكلى من حر الاوار
والجو قد عنبرته انواوه. والروض قد رشته انداوه. والاسد قد فغرت
افواهها. ومجت امواهها. فقال

يا منظراً إن نظرت بهجته • اذكرني حسن جنة الخلد •
تربة مسك وجو عنبرة • وغيم ند وطش ماء ورد •
والماء كاللازورد قد نظمت • فيه اللآلي فواغر الاسد •
كأنما جائل الحباب به • يلعب في جانبيه بالنرد •
تراه يزهى إذا يحل به المأمون بين الصفاء والحمد •
تخاله إن بدا به قمراً • تماماً بدا في مطالع السعد •
كأنما ألبست حلّاً بقعته • ما حاز من شيمة ومن مجد •
كأنما جاد دمنا فروضها • بوابل من يمينه رغد •
لا زال في عزة مضاعفة • منتظم الرفد واري الزند •

وقال في وصف هذا المجلس بعينه في الكتاب الذي افرده لابن جهور ابن السيد ما صورته ومن ذلك أنه حضر مع القادر بالله بن ذي النون بمجلس الناعورة بطليطلة في المنية المتناهية البهاء والإشراق المباهية لدور العراق التي ينفح شذاها العطر ويكاد من العطارة يمطر والقادر بالله رحمه الله قد التحف الوقار وارتداه وحكم العقار في جوده ونداه والمجلس يشرق كالشمس في الحمل ومن حواه يبتهج كالنفس عند تناول الامل والزهر عبق وعلى ماء النهر مصطبح ومغتبق والدولاب يئن كناقة إثر حوار إلى آخر ما سبق وقال الفضل في وصف هذا المجلس حاذياً حذو الفتح ما صورته حضر الأستاذ أبو محمد بن السيد عند المأمون بن يحيى ابن ذي النون في بعض متنزهاته في قنطاب بجهمة وسمت بالسعود نجومه والروض قد اجاده وشيه وراقه والماء قد جرت بين الاعشاب أراقمه ومن بركة مملوة كأنها مرآة مجلوة قد اتخذت سباع الصفر بشاطيها مغايا ومجت بها من سائغ الماء الحايا فكأنها أسد عرين قد لعقت السنة من لجين وهي لا تزال تقذف الماء ولا تفتر وتنظم لآلي الحباب بعدما تنثر فأمره بوصف ذلك الموضع الذي تجد لديه ركايبا القلوب وتوضع فقال بديهاً يا منظراً إلى انتهى ثم قال الفتح في هذا التصنيف بعد كلام في المذكور ما نصه ومن أبدع قوله في وصف الراح والحض على النبذ للهموم والانشراح بمعاطات كاسها وموالات ايناسها ومعاقرة دنانها والمنتصار بها على عمار القنوة وأقنانها والاعراض عن الأيام وانكادها والجري في ميدان الصبوة إلى أبعد آمادها

سل الهموم إذا نبا زمن • بمدامة صفراء كالذهب •
مزجت فمن درّ على ذهب • طافٍ ومن حبب على لهب •
وكأن ساقيها يشير بها • مسك لدى الأقوام منتهب •

ولبنيهم

ولبنيهم فقد ندب إلى المندوب وذهب في مداواة القلوب من الندوب وأبراها من الآلام وأمدها بكل تحية وسلام وابتهاجها بإيضاح دوبكر وعلاجها من هموم وفكر في زمن حلى عاطله وجلى في أحسن الصور باطله ونفقت سلعة الأنس وطبقت أرضه وسماه واستحالاته فلبيبه كاسد وذبيبه متغا بيد وأضغاث نفسر وبغاثه قد استنسر فلا استراحة إلا في معاطاة حمياً ومواخاة نسيم المحيا وقد كان أبا بن عمار ذهب هذا المذهب وفضضه بلا ابداع وذهبه حتى دخل سرقسطة ورأى غباوة أهلها وتكاثف جهلها وشاهد منهم ما لم يتخلّق مغنى لا فضلاً وواصل من لا يعرف قطعاً ولا وصلاً فأقبل على راح يتعاطاها وعكف عليها ما تعداها ولا تخطاها حتى بلغه أنهم نعموا معاقرته العقار وجالت ألسنتهم في تونيخه بحال ذي الفقار فقال

يا رب ليل قد هتكت حجابه • بمدامة وقادة كالكوكب •
يسعى بها أحوى الجفون كأنما • من خده ورضابه فيه لاشنب •
بدران بدر قد أمنت غروبه • يسعى ببدر جانح للمغرب •
فإذا نعمت برشف بدر غارب • فانعم برشفة طالع لم يغرب •
حتى ترى زهر النجوم كأنها • حول المجرة ربرب في مشرب •
والليل منخفر بطرّ غرابه • والصبح يطرده ببازٍ أشهب •

ثم قال الفتح بعد كلام كثير ما صورته ودخل يعني ابن السيد سرقسطة أيام المستعين وهي جنة الدنيا وفتنة المحيا ومنتهى الوصف وموقف السرور والقصف ملك يمير البشاشة كثير الهشاشة وملك أبهج الفناء أرج الارجاء بروق المجتلى ويفوق النجم المعتلى وحضرة منسابة الماء متجانسة السماء يبتسم زهرها ويتساب نهرها وتنفتح حمائلها وتتضوع صباها وشمائلها والحوادث لا تخترمها والكوارث لا تقرضها وبنازلها من عرس إلى موسم وأهلها متصل بالأماني ومبتسم ونزل منها في مثل الخورنق والسدير وتصرف فيها بين روضة وغدير فلم يخف على المستعين اختلاله ولم تخف لديه خلاله فذكره معلماً به ومعرفاً واحضره منوهاً به ومشرفاً وقد كان قومنا ابن هريت قرار السرور من نفس الحزين وخلص من اعتقاله خلوص السيف من صقاله فقال بديهة

هم سلبوني حسن صبري إذ بانوا • باقمار اطواق مطالعها بان •
لئن غادروني باللوى إن مهجتي • مسايرة أضعانهم حيثما كانوا •
سقى عهدهم بالخيف عهد غمائم • ينازعها مزن من الدمع هتان •

احبابنا هل ذلك العهد راجع • وهل لي عنكم اخر الدهر سلوان

ولي مقلة عبرى وبين جوانحي • فؤاد الى لقياكم الدهر حنان

تنكرت الدنيا لنا بعد بعدكم • وحفت بنا من معضل الخطب الوان

اناخت بنا في ارض شنترين • مواحش ظعن جان والظعن خوان

وشمنا بروقا للمواعيد الخلب • نواظرنا دمعا ولم يهم هتان

فسرنا وما نلوي على متعذر • اذا وطن اقصاك آوتك اوطان

ولا زاد الا ما انتشته من الصبا • انوف وحازته من الماء اجفان

رحلنا سوام الحمد عنها لغيرها • فلا ماؤها صدا ولا النبت سعدان

الى ملك حاباه بالمجد يوسف • وشاد له البيت الرفيع سليمان

الى مستغيين بلا له مؤيد • له النصر حزب والمقادير اعوان

جفتنا بلاد الحرم كان مودة • فتى نخونا منها الاعنة سنان

ولم نعد منا سوى الشعر وحده • لحق لنا بر عليه واحسان

فكيف ولم يحصل بها الشعر مكسبا • فيوجب للمكدي جفاء وحرمان

ولا نحن ممن يرتضي الشعر خطة • وان قصرت عن شاونا فيه اعيان

ومن اؤمنه غير ذاك ظنونه • فثم مجال للمقال وميدان

خليلي من يعدي على زمن له • اذا ما قضى حيف علي وعدوان

وهل راى من قبلي غريق مدامع • يفيض بعينيه الحيا وهو ظمآن

وهل طرفت عين المجد ولم يكن • لها مقلة من آل هود وانسان

بوجه ابن هود كلما اعرض الورى • صحيفة اقبال لها البشر عنوان

فتى المجد من يدنيه بدر وضيغم • وبحر وقدس ذو الهضاب وثهلان

من النفر الشم الذين اكفهم • غيوث ولكن الخواطر نيران

لبوث شرى ما زال منهم لذي الوغى • هزبر بيمناه من السمر ثعبان

وهل فوق ما قد شاد مقتدر لهم • ومؤتمن بالله لقياه ايمان

الا ليس يجري في الورى غير جريهم • والا فان الفخر زور وبهتان

فيا مستعينا مستعانا لمن نبا • به وطن يوما وعضته ازمان

كسوتك من نظمي قلادة مفخر • يباهي بها جيد المعالي ويزدان

وان قصرت عما تليق فربما • نجا ودر في النظام ومرجان

معا نحكت غنج الحسان كانني • بهن حبيب او بطليوس بغدان

اذا غرست • غرس مكارم • بارضي اجنيك المنى منه اغصان

وقال في وصفه مجلسا لابي عيسى بن لبون اخضر اليه ابن السيد متوهما بغدره ما صورته واخضره الى مجلس نام عنه الدهر وغفل وقام لفرط انسه

واحتفل

واحتفل فقد بانت صروفه • ودنت من الرائد قطوفه • وقال لهم مالنا الى الاجماع بمدمنك • والاستمتاع بما يشبه ببراعة ادبك • فاقاموا يعملون كاسهم • ويصلون بنا نشاطهم • وبانوا بليلهم ما طرقهم نوم • ولا عداهم عن طيب اللذات سوم • ثم قال بعد كلام كثير • وحضرت ابن السيد عند عبد الرحمن الظافر ذي النون مجلسا رفعت فيه المنى لواءها • وخلعت عليه اضواءها • وزفت اليه المسرات ابكارها • وفارقت اليه الطير اوكارها فقال يصفه

لم تر عيني مثله ولا ترى • انفس في نفسي وابهى منظرا

اذا تردى وشيه المصورا • من حوله صنعا وحوك عبقرا

ونسج فرنوب ونسج تسترا • خلت الربيع الطلق فيه نورا

كانما الابريق حين قرقرا • قدام لثم الكاس حين فغرا

وحشية ظلت تناغي جؤذرا • ترضعه الدر ويرنو حذرا

كانما يعبق فيه احمرا • او فت من رياه مسكا اذفرا

او عابد الرحمن يوما ذكرا • فنم مسكا ذكره وعنبرا

الظافر الملك الذي من ظفرا • بقربه نال العلاء الاكبرا

لو ان كسرى راه او قيصرا • هللا اكبارا له وكبرا

تبدى سماء الملك منه قمرا • اذا حجاب المجد عنه سفرا

يا ايها المنضي المطايا بالسرى • يبتغي غمام المكرمات الممطرا

انتهى وقال الفتح في ترجمة الاديب ابي القاسم بن العطار ما صورته هو احد ادباء اشبيلية ونحاتها العامرين لارجاء المعارف وساحاتها لولا صلة راحاته • وتعطيل بكره وروحاته • ومواصلة للفرح • ومغالاته في عرف الانس اوراج لا يبرح الاعلى صفحة نهر • ولا يلبج الا بقطعة زهر • لم يحفل بملام • ولم ينتقل الا في طاعة غلام • فانبذ من رجل مخلوع العنان • في ميدان الصبابة مغرم الحسان • غرام يزيد بجبابه • لا تراه الا في زمنها نهماك • ولا تلفاه الا في ملة انهماك • رافعا لرايات الهوى • فارغا لتثنيات الجوى • لا يقفر فؤاده من كلف • ويبيت الا من بلف • اكثر خلق الله علاقة • واحضرهم لمشهد حلافة • مع جر الزخرف السكون • ونضحك الطير في الوكون • وقد اثبت له ما يرتحله في اوقات انسه وساعاته • وينفث به اثناء قراءته ولوعاته • فمن ذلك ما قاله في يوم ركب فيه النهر على غادات انكشافه وارتضاعه لتغور اللذات وارتشافه

عبرنا سماء النهر والجو مشرق • وليس لنا الا الحباب نجوم

وقد البسته الايك برد ظلالها • وللشمس في تلك البرود رقوم

وله فيه

مررنا بشاط النهر بين حدائق ... بها حدق الازهار تستوقف الحدق
وقد نسجت كف النسيم مفاضة ... عليه وما غير الحباب لها حلق

وله

مبتنا الزجاج بالعشي فحاكت ... زردا للغدير نام بينك جنته
وانجلى البدر بعد هذا فحاكت ... كفه للقتال منه اسنته

وقوله

لله بهجة منزه ضربت به ... فوق الغدير رواقها الانسام
فمع الاصيل النهر درع سابغ ... ومع الضحى يلتاح فيه حسام

وله

لاكالعشية في وراجيها لها ... وبلوغ نفسي منتهى امالها
ماشيت شمس الارض مشرقة السنى ... والشمس قد شدت مطي رحالها
في حيث تنساب المياه اراقما ... ويبرك الافياء برد ظلالها

وله

لله حسن حديقة بسطت لنا ... منها النفوس سوالف ومعاطف
تختال في حلل الربيع وحليه ... ومن الربيع قلايد ومطارف

انتهى **وقال** الفتح في ترجمة ابن عمار اخبرني ذو الوزارتين الاجل ابو المطرف ابن عبد العزيز انه حضر معه عند المومن في يوم جادت فيه السماء بهطلها، وانبعث وبلها بطلها، وارتقب رعدها برقها، واتسكب ذرا كاودقها، والازهار قد تجلت من كمامها، وتخلت بدر غمامها، والاشجار قد جلي صداها، وتوشحت بنداها، والكوس الراح كانها كواكب تتوقد تديرها انامل، فكاد من اللطافة تنعقد اذا يفتني من فتيان المومن اخرس لا يفصح، مستعجم لا يبين ولا يوضح، متنمر تنمر الليث، متشمر كالبطل الفارس عند الغيث، وقد فاض على نفسه درعا ومتوبريدا ستشارة الموعن في التوجه الى موضع بعث البيه وجمه وكل مرصده عند نهره وبحيه، حتى وصل الى مكان انفراده، ووقف بازا الشادن فلما وقعت عين ابن عمار عليه اشار بتبديله البيه وقربه واستدناه، وضمه اليه كانه تبناه، واشار ان يخلع عنه ذلك الحديد، وان يكون مولى الساقي والمدير فامره المومن بخلعه، واطاعه امره وسمعه، فنضاه عن جسمه وقام يسقي على حكمه ورسمه، فلما دبت فيه الحميا، وشيت غرامه بهجة ذلك المحيا، واستنزلته سورة العقار، مربر قبا ثوب الوقار **قال**

لعله مزق ثوب الوقار

وهوينه يسقي المدام كانه ... قمر يدور بكوكب في مجلس
متارج الحركات تندى ريحه ... كالغصن هزته الصبا بنفس

يسعى

يسعى بكاس في انامل سوسن ... ويدير اخرى من محاجر نرجس
ياحامل السيف الطويل نجاده ... ومصرف الفرس القصير المحبس
اباك بادرة الوغى من فارس ... خشن القناع على عذار املس
جهضم وان حذر اللئام فانما ... كشف الظلام عن النهار المشمس
يطغى ويلعب في دلال عذاره ... كالمهر يرمح في اللجام المجرس
سلم فقد قصف القنى غصن النقى ... وسطى بليث الغابظبي المكنس
عنا بكاسك قد كفتنا مقلة ... حوراء قايمة بسكر المجلس

واورد مثله الفضة صاحب البدايع بقوله حضر ابو المطرف عبد العزيز عند المومن من يود في يوم اجرى الجو فيه اشقر برقه، ورمى بنبل ودقه، وتحملت الرياح فيه ادفار السحاب على اعناقها، وتمايلت قامات الاغصان في الحلل الخضر من اوراقها، والرياح قد اشرقت نجومها في بروج الراح، وحاكت شمسها شمس الافق فتلفعت بغيوم الاقداح، ومديرها قد ذابظرفا فكاد يسيل من مايه واحجل خدها حسنا فتظلل بعرق حبابه، اذا يفتني من فتيان المومن قد اقبل متدرعا كالبدر اجتاب سحابا، والخمر قد اكتسب حبابا، وقد جاء بريد استشارة المومن في الخروج الى موضع كان عول فيه عليه، وامره ان يتوجه البيه، فحين لمحه ابن عمار والسكر قد استحوذ على لبه، وبث سراياه في صوايح قلبه، جد في ان يستخرج تلك الدرة من ما ذلك الدلاص، وان يحلي عنه تهلكه كما يخلى الخبث عن الخلاص، وان يكون مولى الساقي فامره المومن بقبول امره وامتثاله، واحتذاء امثاله، فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها، ورمت شياطين النفوس من شهب المدام بشهبها ارتجل ابن عامر، وهو بيته الى الانه قال بعد بكر

اباك بادرة الوغى من فارس ... ماصورته يصنع الشنان على العذار الاملس

انتهى ولابن عمار الرايية الشهيرة في مدح المعتضد عباد والد المعتمد وهي

ادر المدامة فالنسيم قد انبرى ... والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد اهدى لنا كافوره ... لما استرد الليل منا العنبرا
والروض كالحسنا كساه زهره ... وشيا وقلده نداه جوهرا
اوكا الغلام زها بورد رياضه ... خجلا وتاه باسمه معذرا
روض كان النهر فيه معصم ... صاف اطل على رداء اخضرا
وتهزه ريح الصبا فتخاله ... سيف ابن عباد يبدد عسكرا
عباد المخضر نايل كفه ... والجو قد لبس الرداء الاغبرا
ملك اذا ازدحم الملوك بمورد ... ونحاه لا يردون حتى يصدرا
اندى على الاكباد من قطر الندا ... والذ في الاجفان من سنة الكرا

بحبا زاد بهجة الجزيرة كاعبا • والطرف أجرد والحسام مجوهرا •
قداح زند المجد لا ينفك من • نار الوغى إلا إلى نار القرى •
لا خلق أقرى من شفار حسامه • إن كنت شبهت المواكب أسطرا •
أيقنت أني من ذراه بجنة • لما سقاني من نداه الكوثرا •
وعلمت حقا أن ربعي مخصب • لما سألت به الغمام الممطرا •
من لا توازنه الجبال إذا احتبى • من لا تسابقه الرياح إذا جرى •
ماض وصدر الرمح يكهم والظبى • تنبو وأيدي الخيل تعثر في الثرى •
قاد الكتائب كالكواكب فوقهم • من لامهم مثل السحاب كنهورا •
من كل أبيض قد تقلد أبيضا • عضبا وأسمر قد تقلد أسمرا •
ملك يروقك خلقه أو خلقه • كالروض يحسن منظرا أو مخبرا •
أقسمت باسم الفضل حتى شمته • فرأيته في بردتيه مصورا •
وجهلت معنى الجود حتى زرته • فقرأته في راحتيه مفسرا •
فاح الثرى متعطرا بثنائه • حتى حسبنا كل ترب عنبرا •
وتتوجت بالزهر صلع هضابه • حتى ظننا كل هضب قيصرا •
هصرت يدي غصن الغنى من كفه • وجنت به روض السرور منورا •
حسبي على الصنع الذي أولاه إذ • أسعى بحمد أو أموت فأعذرا •
يا أيها الملك الذي حاز العلا • وحباه منه بمثل حمدي أنورا •
السيف أفصح من زياد خطبة • في الحرب إن كانت يمينك منبرا •
ما زلت تغني من عنى لك راجيا • نيلا وتغني من عنا وتجبرا •
حتى حللت من الرياسة محجرا • رحبا وضمنت منك طرفا أحورا •
شقيت بسيفك أمة لم تعتقد • إلا اليهود وإن تسمت بربرا •
أثمرت رمحك من رؤوس كماتهم • لما رأيت الغصن يعشق مثمرا •
وصبغت درعك من دماء ملوكهم • لما علمت الحسن يلبس أحمرا •
وإليكها كالروض زارته الصبا • وحنى عليه الطل حتى نورا •
نمقتها وشيا بذكرك مذهبا • وفتقتها مسكا بحمدك أذفرا •
من نداها يحيى وذكرك مندل • أورثته من نار فكري مجمرا •
فلئن وجدت نسيم حمدي عاطرا • فلقد وجدت نسيم برك أعطرا •

انتهى. وقال في ترجمة عبد الجليل بن وهبون المرسي: ركب بإشبيلية زورقا في نهرها الذي لا تداينه الأنهار، ولا يضاهيه الفرات، في ليلة تنقبت في ظلماتها ولم يبد وضح في دهمتها، وبين يديه شمعتان قد انعكس شعاعهما في اللجة، وزاد في تلك البهجة. فقال:

كأنما الشمعتان إذ سمتا • جيد غلام محسن الغيد •
وفي حشا النهر من شعاعهما • طريق نار الهوى إلى كبدي •

وكان معه غلام البكري معاطيا للراح، ومجاريا في ميدان ذلك المراح، فلما جاء عبد الجليل بما جاء، وحل للإبداع الجوانب والأرجاء، حسده على ذلك الارتجال، وقال بين البطء والاستعجال:

أعجب بمنظر ليلة ليلاء • تجني بها اللذات فوق الماء •
في زورق يزهى بغرة أغيد • يختال مثل البانة الغيداء •
قرنت يداه الشمعتين بوجهه • كالنير بين النسر والجوزاء •
والتاح تحت الماء ضوء منهما • كالبرق يخفق في غمام سماء •

انتهى. وقال الفتح رحمه الله: دعيت يوما إلى منية المنصور بن أبي عامر ببلنسية، وهي منتهى الجمال، ومرمى الصبا والشمال، على ضفة نهرها، وسكنى الحوادث بزمنه بفنائها، فوافيتها والصبح قد ألبسها بمنيضه، والحسن قد شرح بها عويصه، وبوسطها مجلس قد تفتحت للروض أبوابه، وتوشحت بالزهر الزمنية أثوابه، يخترقه جدول كالحسام المسلول، وينساب فيه انسياب الأيم في الطول، وضفتاه بالأدواح محفوفة، والمجلس يروق كالخريدة المزفوفة، وفيه يقول علي بن أحمد أحد شعرائها، وقد حله مع طائفة من وزرائها:

قم سقني والرياض لابسة • وشيا من النور حاكه القطر •
في مجلس كالسماء لاح به • من وجه من قد هويته بدر •
والشمس قد عصفرت غلائلها • والأرض تندى ثيابها الخضر •
والنهر مثل المجرة حف به • من الندامى كواكب زهر •

فحللت في ذلك المجلس وفيه أحداث كأنهم الولدان، وهم في عيش لدن، كأنهم في جنات عدن، فأنخت لديهم ركائبي وعقلتها، وتقلدت بهم رغائبي واعتقلتها، وأقمنا نتنعم بحسنه طول ذلك اليوم، ووافى الليل فذاد ناعس الجفون طروق النوم، وطالما بليلة كأن الصبح منها مفقود، والأغصان تميس كأنها قدود، والمجرة تتراءى نهرا، والكواكب تخالها في الجو زهرا، والثريا كأنها راحة تشير، وعطارد لنا بالطرب يشير، فلما كان من الغد وافيت الرئيس أبا عبد الرحمن بن أبي زابرا، فأفضنا في الحديث إلى أن أفضى بنا إلى ذكر منتزهنا بالأمس، وما لقينا فيه من الأنس، فقال لي: إن بالجنة موضع قد بان قطينه وذهب، وسلبت زمانه البهجة وانتهب، وباد فلم يبق إلا رسمه، ومحاه الحدثان فما كاد يلوح وسمه، عهدي به عندما فرغ من تشييده، وسوهي في تشييده وتنضيده، وقد استدعاني إليه المنصور

في يوم خلت فيه الشمس برج شرفها، وأكتست الأرض بزخرفها، فحللت به والروح
تميس معاطفه، والنور يخجله قاطفه، والمدام تطلع به وتغرب، وقد حل
به تحظان ويطرب، وبين يدي المنصور مائة غلام ما يزيد أحدهم على العشر
غير أربع، ولا يحل غير المواد من تربع، وهم يديرون رحيقا خلتها في
كاسيها درا وعقيقا، فأقمنا والشهب تغازلنا، وكان الأملاك منازلنا
ووهب المنصور في ذلك اليوم ما يزيد على عشرين ألف صلات متصلات.
وأقطع ضياع ثم توجع لذلك العهد، وأفصح بما بين ضلوعه من الوجد.

وقال

• سقيا لمنزلنا اللوى وكثيبها . إذ أرى زمنا كأنما بي بها •

انتهى وما أحسن ما كتب به الفتح إلى بعض الملوك، يصف نزهة ببعض
متنزهات الأندلس المونقة، ويذكر استضافته فيها، بسمو من الحضرة المشرقة
ونحو أطال الله بقاء ناصر الدولة ومحيي الملة الذي حسن ببقائه العيش،
وتزين بمحياه الجيش، وراق ما بسمه الملك، وجرت بسعده الفلك، وأنار
به الليل الدامس، ولاح له الأثر الطامس، وجرى الدهر بسطوته خائفا،
وغدا السعد بمعونته طائفا، والزمان ببرود علياه ملتحف، ولثغور
نداه مرتشف، ولا زال المجد بمملكه، والسعد يحمله فلكه، إنا وقد وافى
أيامه أبده الله وفاقا، ورأيت للبيان عنده نفاقا، فلا بد أن أرسل كتبه
أفواجا، وأفيض من بحره أمواجا، ولا صفها شاهدته من اقتداره، وعاينته
من حسن إيراده وإصداره، بمقال أفصح من شكوى المحزون، وأملح من رياض
الحزون، وقد كنت أبده الله كلفا بالدول وبما بهمه لها ما البلوغ إلى أسمائها
لا أجد دولة أرتضيها، وحظوة عليا أقتضيها، فكل ملك فاوضته
سرا وجهرا، وكل ملك قلبته بطنا وظهرا، والنفس تضد عنه صدود
الجبان عن الحرب، والملائكة الكرام عن الشرب، إلى أن حصلت لديه وصلت و
بين يديه، فقلت الآن أمكن من رائح البغية الأشتا، وتمثلت الحمد لله الذي
أذهب عنا الحزن وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء، وما زلت أسا
حيث سار، وأخذ اليمين تارة وتارة اليسار، وكل ناحية تسفر لي عن خد
روض أزهر، وعذار نبت أخضر، وتبسم عن ثغر حباب في نهر كالحباب.
ونزلنا منزل الربيع في ملابس سندسيات، وتهدي إلينا نوافح مسكيات نشر
وزهر من يجتنيها بأحسن منظر، وتلبسه بجلباب أبهج من برد الشباب الأنضر
فجلنا فيها يمينا وشمالا، واستخبرنا عن أسرارها صبا وشمالا، ثم ما لبثنا
أيده الله عن تلك المسارح السنية، والمنازل البهية، إلى أخرى ضياعه

الحالية

الحالية، وبقاعه العالية، فحللنا فيها والأيام قد عريت من جلبابه، واليوم قد
اكتهل بعد شبابه، فنزلنا في قصور بقصرها عنها جعفر جعفر، وقصور بني
الأصفر تهدي من لباتها برد الحبير، وتبدي من شذاها مسكا وعنبرا، وقد [illegible]
من جوانبها نجوم أكواس لو رآها أبو نواس لجعلها سعاره، ووقف على نعتها
استعارة، ولم يتخذ سواها نجعة، ولا نبه خماره بعد هجعة، فتعاطيناها والسعد
لنا خادم، وما غير السرور علينا قادم، وخدود سقاتها قد اكتست من سناها
وقدودهم تتهيل علينا بجنا مه ونحن بين سكر وصحو، وإثبات لهم ومحو، و
إضاحة إليهم وزهو، والنغمة إلى ملك وزهو، إلى أن ولى النهار وحيانا
فوصلنا بلهو وقصف، وعيش بنجا وزكل وصف، فكان يومنا مقيما أو كانت
ليلتنا من الظلام عقيم، ولما سل الفجر حسامه، وأبدى لعبوس الليل ابتسامه
وجاء يختال اختيالا، ويمحو من بقايا الليل سبالا، قمنا نتأدب للمسير، وكلنا
في يد النشوة أسير، فسرنا والملك الأجل يتقدمنا، والأيام تخدمنا، فلا زالت
الأيام به زاهية، وعن سواه لاهية، ما عمر وكر أعقاب، وكان للشهور عزو
وإعقاب. انتهى وقال الفتح في ترجمة الراضي بالله أبي خالد يزيد بن المعتمد
ابن عباد بعد كلام ما صورته: وأخبرني المعتمد بالله أن أباه المعتضد رحمه
يحيى الراضي إلى شلب وإليها وكانت ملعب شبابه، ومألف أحبابه، التي عمر
بحورها غلاما، وتذكر عهودها أحلاما، وفيها يقول يخاطب ابن عمار وقد
توجه إليها: ألا حي أوطاني بشلب أبا بكر، وسلهن هل عهد الوصال كما أدري

• وسلم على قصر الشراجيب من فتى . له أبدا شوق إلى ذلك القصر •

وقصر الشراجيب هذا متناه في البهاء والإشراق، مباه لزوراء العراق، ركضت
فيه جياد راحاته، وأومضت بروق أمانيه في ساحاته، وجرى الدهر مطيعا
بين بكره وروحاته، أيام لم تحل عنه تمائمه، ولا خلت من أزاهير الشباب
كمائمه، وكان يعتقدها مشتهى آماله، ومنتهى أعماله إلى أن تجدد بها وطيب
نفحاتها ومبانيها والتفاف خمائلها وتقلد ما ينشر مكان حمائلها وفيها

• أما علم المعتضد بالله أنني . بحضرته في جنة شفها نهر •
• وما مؤنسي إلا عشيا لبنت حوله . ولكنه سيف حمائله خضر •

فلما صدر عنها وقد حسنت آثاره في تدبيرها واشتدت رعايته على صغيرها
وكبيرها، نزل المعتضد عليه مشرفا له وبنيه، ومنوها بسمو قدره لديه، وز[illegible]
وأقام يومه عنده مستريحا، وجرى في ميدان الأنس طلقا مستريحا، وكان أ[illegible]
على الراضي فخلت الحميا أفقه، ومحت غيظه عليه وحنقه، وصورته لديه حنوه

وذكرته بعد ما جنح إلى دنوه، وبين ما استدعى وأفى مالت بالمعتمد نشوته
واعتفى، فألفاه صريعا في منتداه، طريحا في منتهى مداه، فأقام بخيامه يرتقب
انتباهه، وفي أثناء ذلك صنع شعرا أتقنه وجوده، فلما استيقظ أنشده

• ألا أن تعود حياة الأمل • ويدنو شفاء فؤاد معل •
• ويورق للعز غصن ذوى • ويطلع للسعد نجم أفل •
• فقد وعدتني سحاب الرضى • بوابلها حين جادت بطل •
• دعوت فطار بقلبي السرور • إليك وإن كان منك الوجل •
• كما يستطير حباب الوغى • إليها وفيها الظبى والأسل •
• أبا ملك أمره نافذ • فمن شاء أعز ومن شاء أذل •
• فلا عزو إن كان منك اغتفار • وإن كان منا جميعا زلل •
• فمثلك وهو الذي لم يجد • أعاد بحلم على من جهل •

انتهى **وقال**
في ترجمة المتوكل على الله ابن الأفطس ما صورته وأخبرني الوزير أبو محمد بن عبدون
أن الجدب توالى بحضرته حتى جفت مذانبها، واغبرت جوانبها، وعدم المكاء في غير
روضه، وخاض الناس في اليأس أعظم خوضه، وأبدت المخايل عبوسها، وشكت الأرض
للسماء بؤسها، فأقلع المتوكل عن الشرب واللهو، وترك ملابس الخيلاء والزهو،
وأظهر الخشوع، وأكثر السجود والركوع، إلى أن غيم الجو، وانسجم النوء، وصاب
الغمام، وترنمت الحمام، وسفرت الأزهار، وزمت النجوم والأغوار، واتفق
أن وصل أبو يوسف المغني والأرض قد لبست زخارفها، ورقم الغمام مطارفها،
وتنوعت الغيطان والربى، وأرجت نفحات الصبا، والمتوكل ما فض لتوبته
ختاما، ولا نقض عن قلبه منها قتاما **فكتب إليه يقول**

• ألم أبو يوسف والمطر • فيا ليت شعري ما ينتظر •
• ولست بآت وأنت الشهيد • حضور نديك فيمن حضر •
• ولا مطلعي وسط تلك السماء • بين النجوم وبين القمر •
• وركضي فيها جياد المدام • محثوثة بسياط الوتر •

فبعث إليه مركوبا وكتب معه يقول

• بعثنا إليك جناحا فطر • على خفية من عيون البشر •
• على ذلل من نتاج البروق • وفي ظلل من نسيج الشجر •
• فحسبي ممن نأى من دنا • ومن غاب كان فدا من حضر •

انتهى
فوصل القصبة المطلة على البطحاء المزرية بمنازل الروحاء، فأقام منها حيث
قال عدي بن زيد يصف مصنعا في قباب حوله سكرة عندما الزبيبون قد
ينعا، ومر لهم من السرور يوما ما مر لذي رعين، ولا تصور قبل عيونهم لعين

واخبرني

وأخبرني أنه سايره إلى شنتمرين قاصية أرض الإسلام الشامية الذرى والأعلام
التي لا يروعها صرف ولا يفرعها طرف، لأنها متوعرة المراقي معفرة للراقي متمنعة
الروابي والقواعد، مرصفة بتراس دائرها استدارة القلب بالساعد، قد
أطلت على خمائلها إطلال العروس من منصتها، واقتطعت من الجو أكثر من حصتها،
فمر وأبا نفس قد طربت لتثبت به جداوله، واختالت فيه خمائله، فما يجول الطرف
منه إلا في حديقة، أو بقعة أنيقة، فتلقانا ثم ابن مقانا قاضي حضرته وأثلم
عنده، وأورى لهم بالمبرة زنده، وقدم لهم طعاما، واعتقد قبوله منا إنعاما،
وعندما طعموا قعد القاضي بباب المجلس رقيبا لا يبرح، وعين المتوكل حياء منه
لا يجول ولا يمرح، فخرج أبو محمد وقد أبرمه بتثقيله، ووجهه راخد رواحه ومقيله
فلقي ابن خيرون منتظرا له، وقد أعد لحلوله منزله، فسار إلى مجلس قد ابتسمت
ثغور نواره، وخجلت خدود ورده من زواره، وأبدت صدورا بارنجه أسراره،
وضمنت عليه المحاسن أزرارها، ولما حضر له وقت الأنس وحينه، وأرجت له
رياحينه، وجه من يرقب المتوكل حتى يقوم جليسه، ويزول موحشه لا أنيسه،
فأقام رسوله وهو بمكانه لا يريمه، قد لازمه كأنه غريمه، فما انفصل حتى ظن
أن عارض الليل قد نصل، فلما علم أبو محمد بانفصاله بعث إلى المتوكل بطبق
راح وطبق ورد، **وكتب معهما يقول**

• إليكها فاجتلها منيرة • وقد خبا حتى الشهاب الثاقب •
• واقفة بالباب لم تأذن لها • إلا وقد كاد ينام الحاجب •
• فبعضها من المخاف جامد • وبعضها من الحياء ذائب •

فقبلها منه رحمه الله وعفى عنه **وكتب إليه**

• قد وصلت تلك التي زففتها • بكرا وقد شابت لها ذوائب •
• فهب حتى نسترد ذاهبا • من أنسنا إن استرد ذاهب •

فركب إليه ونقل معه ما كان بالمجلس بين يديه، وباتا ليلتهما لا يريمان السمر
ولا يشيمان برقا إلا الكأس والزهر، ثم قال بعد كلام وأخبرني الوزير
الفقيه أبو أيوب بن أبي أمية أنه في بعض أيامه بروض مفتن المباسم معطر
الرياح النواسم، قد صقل الربيع جوداته، وأنطق بلابله وورشانه، وألحف
غصونه بردا مخضرا، وجعل أشرافها للشمس مضرا، وأزاهره تنبه على الكواكب
وتختال في خلع الغمائم السواكب، فارتاح إلى الكون به بقية نهاره، والتنعم
ببنفسجه وبهاره، فلما حصل من أنسه في وسط المدى، عمد إلى ورقة أكرنب قد
بللها الندى، وكتب فيها بطرف غصن يستدعي الوزير أبا طالب بن غالب
أحد ندمائه ونجوم سمائه •

• اقبل اباطالب الينا • وقع الندا علينا •
• فنحن عقد بغير وسط • ما لم يكن حاضر الدنيا •

وقال في ترجمة المعتصم بن صمادح ما صورته واخبرني الوزير ابو خالد بن يستغير انه حضر مجلسه بالصمادحية في يوم غيم وقد اعيا الوزراء وبينهما الشعراء فقعد على موضع يتداخل الماء فيه ويلتوي في نواحيه والمعتصم منشرح النفس مجتمع الانس **فقال**

• انظر الى حسن هذا الماء في صببه • كانه ارقم قد جد في هربه •

فاستبدعوه ويمنوه واولعوه فاسكب عليهم شآبيب نداه واعرب بما ظهر من بشره وابداه ثم قال العبد كلام وخرج الى رحبه ودواليه وهما نظران لم يحل في مثلهما ناظر ولم يدع حسنهما الخدود النواضر غصون تثنيها الرياح ومياه لها انسياح وحدايق تهدي الارج والعرف ومنازل تبهج النفس وتمتع الطرف فاقام فيهما اياما يتدرج في مسارحها ويتصرف في منازهها وكانت نزهة اربت على نزهة هشام بدير الرصافة وانافت عليها اي انافة

وقال في ترجمة ابن زيدون ما ملخصه **اخبرني** الوزير ابو عامر انه اصطبح يوما والجو سماكي العوارف لازوردي المطارف والروض انيقة لباته رقيقة متانه والنور مبتسل والنسيم معتل ومعه قومه وقد راقهم يومه وصلاته نضاخ معتقيهم ومبراته نشافه مواثيهم والراح مشعشع وماء الاماني ينشع فكتب الى ابن عمار يستدعيه

• ضمانا على الايام ان ابلغ المنا • اذا كنت في ودي مسرا ومعلنا •
• فلو تسأل الايام ما هو مفرد • بواد ابن عمار لقلت لها انا •
• فان حال ت الايام بيني وبينه • فكيف يطيب العيش او يحسن الغنا •

فلما وصلت الرقعة اليه تاخر عن الوصول واعتذر بخلل المعاني والفصول فقال احد الحاضرين اني لا عجب من تخلف ابن عمار عن هذا المضمار مع ميله الى كلفه بمثل هذا الاجتماع فقال ذو الرياستين ان الجواب تعذر فلذا اعتذر لانه يجاري قوله ويجالده ويرويه ولا يرتجله ويقوله في المنزه الممتد فراى ان الوصول بلا جواب اخجال للادب واخلال للمنازل في الشعر ورتبة فلما كان من الغد ورد ابن عمار ومعه الجواب **وهو**

• مصرت لي الاما الطيبة الجني • وسوغتني الاخوال المقبلة الدني •
• والبستني النعمى اغض من الندي • واجمل من وشي الربيع واحسنا •
• وكم ليلة احطيتني بحضورها • فبت سمير النسايا والسنا •
• اعلل نفسي بالمكارم والعلي • وادني وكفي بالغنا وبالغنا •

سافرن

• سافرن بالتمويل ذكرك كلما • تعاورت الاسماء غيرك والكنى •
• لا وسعتني قولا وطولا كلاهما • يطوقا عناقا ويخرس السنا •
• وشرفتني من قطعة الروض بالتي • تناثر فيها الطبع وردا وسوسنا •
• تزوق بجيد الملك عقدا مرصعا • وتزهى على عطفيه وشيا معينا •
• هدم مكذا با فارس الدست والوغى • لتطعن طورا بالكلام وبالقنا •

واخبرني الوزير ابن سعدون انه اصبح يوما بحضرته وللرذاذ رش وللربيع على وجه الارض فرش وقد صقل الغمام الازهار وحتى اذهب غبشها وسقاها فاروى عطشها **فكتب اليه**

• نديماك لا يستطيعك النظم والنثر • فانت مليك الارض وافضل الامر •
• رأينا نداك الغمر فانهل صيبا • كما سكبت وطفاء او فتق البحر •
• وجاء الربيع الطلق يبدي غضاضة • فحييتك منه الشمس والروض والنهر •

الى ان قال ثم وجه فيه الى روضة تدارجت نفحاتها وتدبجت ساحاتها ونفحت كمامها وافصحت حمامها وجرت جداولها كالبواتر ورمقت ازهارها كالعيون الفواتر فاقاموا يعملون اكواسهم ويشملون ايناسهم **فقال ذو الرياستين**

• روض كساه الطل وشيا مجددا • فاضحى مقيما للنفوس ومقعدا •
• اذا صافحته الريح خلت غصونه • رواقص في خضر من العصب ميدا •
• اذا ما انسكاب الماء عاينت خلته • وقد كسرته راحة الريح مبردا •
• وان سكنت عنه حسبت صفاءه • حساما صقيلا صافيا في المتن جردا •
• وغنت به ورق الحمايم بيننا • غناء ينسيك الغريض ومعبدا •
• فلا تجفون الدهر ما دام مسعدا • ومد الى ما قد حباك به يدا •
• وخذها مدى الايام عن غزال كانه • اذا ما سعى بدر تحمل فرقدا •

الى ان قال واخبرني الوزير بن سنون انه كان معه في منية العيون في يوم مطير الاديم ومجلس مغري النديم والانس يغازلهم من كل ثنية ويواصلهم بكل امنية فسكر احد الحاضرين سكرا مثل له ميدان الحرب وسهل عليه منسوغ الطعن والضرب فقلب مجالس الانس حربا وقتالا وطلب الطعن وحرم والنزالا **فقال ذو الرياستين**

• نفس الذليل تعز بالجريال • فيقاتل الاقران دون قتال •
• كم من جبان ذو النحا رباطل • بالراح تحسبه من الابطال •

وقال في ترجمة ابن طاهر ما صورته وجئته يوما وقد وقفت بباب الحنش **فقال لي** من اين فاعلمته ووصفت له ما عاينته من حسنه وتاملته فقال لي كنت اخرج اليه في اكثر الليالي مع الوزير الاجل ابي بكر يحيى ابن عبد العزيز الى روضته التي ودت الشمس ان تكون منه طلوعها وتمنى المسك ان تضم اليه ضلوعها •

والزمان غلام • والعيش احلام والدنيا نخبة وسلام • والناس قد انتشروا في جوانبه وقعدوا على مذانبه • وفي ساقية الكبرى دولاب يئن كناقة اثر حوار • او كثكلى من حر الاوار • وكل مغرم يجعل فيه ارتياحه بكرته ورواحه • ويغازل عليه حبيبه • ويصرف اليه شبيبه • تخرجت عليه ليلة والمتنبي الجزيري واقف وامامه ظبي انس تتيمه به المكانس وفي اذنيه قرطان كانهما كوكبان وهو يتثنى تثني غصن البان • والمتنبي يقول

• معشر الناس بباب الحنش • بدر تم طالع في غبش •
• علق القرط على مسمعه • من عليه آفة العين خشي •

فلما راني امسك وسبح كانه قد نسك • وقال في ترجمة ابن عمار ماصورته وتنزه بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيدته بنو امية بالصفاح والعمد وجروا من اتقانه الى غاية وامد وابدع بناوه • ونمقت ساحاته وفناوه • واتخذوه ميدان مراحهم • ومضمار انشراحهم وحكوا به قصرهم بالمشرق تحله ابو بكر ابن عمار على اثر بوسه • وابتسم له دهره بعد عبوسه • والدنيا قد اعطته عفوها • وسقته صفوها • وبات فيه مع لمة من اتباعه • ومنتقي رباعه وكل يحييه بكاس • ويفديه بنفسه من كل باس • فطابت له الليلة في مشيده • واطرب به الانس ببسيطه ونشيده • فقال

• كل قصر بعد الدمشق يذم • فيه طاب الجنا وفاح المشم •
• منظر رائق وماء نمير • وثرى عاطر وقصر اشم •
• بت فيه والليل والفجر عندي • عنبر اشهب ومسك احم •

انتهى وعبر صاحب البدايع عن هذه القضية بقوله تنزه ابن عمار بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيده خلفاء بني امية • وزخرفوه ودفعوا صرف الدهر عنه وصرفوه • واجروه على ارادتهم وصرفوه • وذهبوا سقفه وفضضوها • وارحموا ارضه وروضوها • فبات به والسعد يلحظه بطرفه • والروض يحييه بعرفه • فلما استنفذ كافور الصباح مسك الارض الغسق • وصبح ابنوس الظلام نضار الشفق • قال مرتجلا • كل قصر بعد الدمشق يذم الى انتهى

وقال في ترجمة ذي الوزارتين ابي عيسى بن لبون اخبرني الوزير ابو عامر ابن الطويل انه كان بقصر مربيطر بالمجلس المشرف منها • والبطحاء قد لبست زخرفها • ودبج الغمام مطرفها • وفيها حدايق تسر نواظر متقل نرجسها • وتبث طيب تنفسها • والجلنار قد لبس اردية الدما • وراع افيدة الدوما فقال

• قم يا نديم ادر علي القرقفا • اوما ترى زهر الرياض مفوفا •
• فتخال محبوبا مدلا ورده • وتظن نرجسها محبا مدنفا •

والجلنار

والجلنار دماء قتلى معرك • والياسمين حباب ماء قد طفا •

الى ان قال وشرب مع الوزرا الكتاب ببطحاء لورقة في عشية تجود بدمعها ويصوب عليها دمع سمايها • والبطحاء قد خلع عليها سندسها • وذر ما نرجسها والشمس تنفض على الزبي زعفرانها • والانوار تغمض اجفانها فكتب الى ابن البسع

لو كنت تشهد يا هذا عشيتنا • والمزن تسكب احيانا وتنحدر
والارض مصفرة بالشمس كاسية • ابصرت تبرا عليه الدر ينتثر

وقال في ترجمة ذي الوزارتين ابي بكر بن رحيم ماصورته ووصل هو وابن وضاح صهر المرتضى بن جمال الخلافة صاحب صقلية الى احدى جنات مرسية تحلوه منها في قبة فوق جدول مطرد وتحت ادواح طير ما غرد • فاقاموا يتعاطون رحيقهم • ويغمرون في المؤانسة طريقهم اذا بالجنان قد وقف عليهم وقال لكان بموضعكم بالامس صاحب الموضع ومعه شعور منثورة وخدود غير مستورة • فدر فعت عنهم بالبراقع • وما منها نظرة الا ومعها سهم واقع • فاستدعى فحما وكتب في احدى زوايا القبة

• فادنا ودنا الينا فحيينا • بنفوس نفديك من كل بوس •
• فنزلنا منازلا لبدور • وحللنا مطالعا لشموس •

وقال في ترجمة الوزير الكاتب ابي محمد بن عبدون • ماصورته حللت بابرة فانزلنا واليها بقصرها • ومكنني من جنى الاماني وهصرها • فاقمت ليلى اجر على المجرة ذيلي • واتنطارد في ميدان السرور خيلي • فلما كان من الغد باكرني الوزير ابو محمد مسلما • ومن تنكبي عند منا المّا • ثم عطف على القايد عاتبا عليه • في كوني لديه • ثم انصرف وقد اخذني من يديه • فحللت عنده في رحب وهمت على من البر امطار سحب • في مجلس كان الدراري فيه مصفوفة • اوكان الشمس اليه مزفوفة • فلما حان انصرافي • وكثر تطلعي واستشرافي • ركب معي الى حد نيف نصره • مجاوزة للحضرة • فاتخنا عليها ايدي عيسنا • ونلنا منها ما شيئنا من تناشينا • فلما امتطيت عزمي وسددت الى غرض الرحلة سهمي انشدني

• سلام يناجي منه زهر الربى عرف • فلا سمع الا ود لو انه انف •
• حنيني الى تلك السجايا فانها • لاكما راعيان المساعي لتي اقفو •

ثم سرد القصيدة الى ان قال وله رحمه الله

• سقاها الحيا من مغان فساح • فكم لي بها من معان فصاح •
• وحلى الكابل تلك الربى • ووشي معاطيف تلك البطاح •
• فلم انس ليز انس عهدي بها • وجري بينها ذيول المراح •
• ونومي على حبرات الرياض • يجاذب بردي مر الرياح •

وقال في ترجمة الوزير القاضي ابي الحسن بن اضحى ما نصه وكان لصاحب البلد الذي كان يتولى القضاية ابن من احسن الناس صورة وكانت محاسن الافعال والاقوال عليه مقصورة مع ما شيت من لسن وصوت حسن وعفاف واختلاط بابها والنفاق فحملنا الى احدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة فحللنا قرية على ضفة نهر احسن من شاد بمهر تنشقها جداول كالصلال ولا ترمقها الشمس من تكاثف الظلال ومعنا جملة من اعيانها فاحضرنا من انواع الطعام واراناه من فرط الاكرام والانعام ما لا يطاق ولا يحد وبقصر عن بعضه العد وفي اثناء مقامنا بدا لي من ذلك الفتى المذكور ما انكرته فقابلته بكلام اعتقده وملام اخفده فلما كان من الغد لقيت منه اجتنابا ولم ار منه ما عهدته من الانابة فكتبت اليه مذ اعتبا له فراجعني بهذه القطعة

• اتتني ابا نصر نتيجة خاطر • سريع كرجع الطرف في الخطرات •

• فاعربت عن وجد كمين طوينه • بأهيف طاو فاتر اللحظات •

• غزال احم المقلتين عرفته • بخيف منى للحسن او عرفات •

• رماك فاصمى والقلوب رمية • لكل كحيل الطرف ذي فتكات •

• وظن بان القلب منك محصب • فلباك من عينيه بالجمرات •

• تقرب للنساك في كل منسك • وضحى غداة النحر بالمهجات •

• وكانت له جبار منوى فاصبحت • ضلوعك مثواه بكل فلات •

• يعز علينا ان تهيم فتنطوي • كئيبا على الاشجان والزفرات •

• فلو قبلت للناس في الحب فدية • فديناك بالاموال والنسمات •

وقال في ترجمة الاندلس وشاعرها ابي اسحاق بن خفاجة بعد كلام ما صورته وقال يندب معاهد الشباب ويتفجع لوفاة الاخوان والاحباب بعثت سيلا اعاد الديار آثارا وقضى عليها وهيا وانتثارا

• الا عرض الاخوان في ساحة البلا • وما رفعوا غير القبور قبابا •

• فدمع كما سح الغمام ولوعة • كما ضربت ريح الشمال شهابا •

• اذا استنوقفتني في الديار عشية • تلذذت فيها جيئة وذهابا •

• اكر بطرفي في معاهد فتية • ثكلتهم بيض الوجوه شبابا •

• فطال وقوفي بين وجد وفرقة • انادي رسوما لا تحير جوابا •

• وامحو جميل الصبر طورا بعبرة • احط بها في صفحتي كتابا •

• وقد درست اجسامهم وديارهم • فلم ار الا اعظما وترابا •

• وحسبي شجوا ان ارى الدار بلقعا • خلاء واشلاء الصديق ترابا •

ولقد احلني بهذه الديار المندوبة وهي كعهدنا في جودة مبناها وعوذة سناها

• بحيث اعطا لنهي طاعة • ولم اصغ سمعا الى الحي لاحي •

• وليل كرجعة طرف المريب • لم ادر له شفقا من صباح •

وقال في ترجمة الوزير ابي محمد بن مالك بعد كلام له فيه وانشاد بيتيه البديعين اللذين هما

لا تلمني اذ اطربت لشجو • يبعث الانس فالكريم طروب •

ليس شق الجيوب حقا علينا • انما الشان ان تشق القلوب •

ما صورته وخرجت باشبيلية مشيعا لاحد زعماء المرابطين فالفيته معه سايرا له في جملة من شيعه فلما انصرفنا مالينا الى معرس امير المسلمين ادام الله تاييده الذي ينزله عند حلوله اشبيلية وهو موضع مستبدع كان الحسن فيه مودع ما شيت من نهر ينساب انسياب الاراقم وروض كما وشت البرود يد راقم وزهر يحسد الملك رياه ويتمنى الصبح ان يتسم بمحياه فقطف غلام وسيم من غلمانه نورة ومد يده الى وهي في كفه فخرم على ان اقول ببيتين في وصفه

فقلت

• وبدر بدا والطرف مطلع حسنه • وفي كفه من رائق النور كوكب •

فقال ابو محمد

• يروح لتعذيب النفوس ويغتدي • ويطلع في افق الجمال ويغرب •

• ويحسد منه الغصن اي مهفهف • يجي على مثل الكثيب ويذهب •

وقال في ترجمة الوزير ابي القاسم بن السقاط بعد كلام كثير ما صورته وحملنا الوزير القاضي ابو الحسن بن اضحى الى احد ضياعه بخارج غرناطة ومعنا الوزير ابو محمد بن مالك وجماعة من اعيان تلك الممالك فحللنا بقرية لم يحث المحل اثلها ولم تر نسوا العيون مثلها وحللنا بها في اكناف جنات الفاف فيما شيت من دوحة لفاء وغصن يميس كمعطفي هيفاء وما ينساب من جداول ونهر يضمخ بالمسك راحة منثنا وله ولما قضينا من تلك الحدائق اربا وانفضضنا منها اترابا عربا ملنا الى موضع المقيل ونزلنا عن مثار له نزوي بمنازه جنديه مع مالك وعقيل وعند وصولنا بوالي من احد الاصحاب تقصير في الميرة عرض لي تكدير لتلك العين الثرة فاظهرت الثناقل اكثر ذلك اليوم ثم عدلت عنهم الى الاضطجاع والنوم فما استيقظت الا والسماء قد نسخ صحوها وغيم جوها والغمام منهمل والثرى من سقياه ثمل فبسطني بتحفيه وابهجني ببر لم يزل يتممه ويوفيه

وانشدني

• يوم تجهم فيه الافق وانتثرت • مدامع الغيث في خد الثرى همملا •

• راى وجومك فارتدت طلاقته • مضاهيا لك في الاخلاق ممتثلا •

وقال لي

في ليلة اكتحلنا ظلامها اثمدا، ومحونا بها من نفوسنا كمدا، ولم يزل ذلك الانس يبسطه، والسرور ينشطه، حتى نشر لي ما طواه، وبث مكنون لوعته وجواه، واعلمني بلياليه فيها مع اترابه، وما قضى بها من اطرابه. انتهى ما وقع عليه اختياري من كلام ابي نصر الفتح بن عبيد الله رحمه الله في بعض وصف متنزهات الاندلس البديعه، ورياضها المونقة المريعه. وما احسن رسالة لي مختصرة كتبتها مهنيا بعض ملوك الاندلس بما منحه الله من التمكين الذي ايده الله به ونصره، وقد جود اوصافه، واستطردت منها الى ذكر الناصر وولده الحكم الذين عمرا الزهرا والرصافة، ونصها اطال الله بقاء الامير للارض يملكها، وليستدير بسعده فلكها. فقد استبشر الملك ايدك الله وحق له الاستبشار، فلقد اوما اليه السعد واشار، بما اتفق له من توليتك، وحق عليه من الوثوق بك، فلقد حبي منك بملك امضى من السهم المسدد، طويل نجاد السيف رحب المقلد، يتقدم حيث يتاخر الذابل، ويتكرم اذا بخل الوابل، ويحمي الحمى كربيعة بن مكدم، ويسقي الظبي نجيعا كلون العندم، فهنيئا للاندلس لقد استردت عهد خلفايها، واستجدت رسوم تلك الامامة بعد عفايها، فكان لم تمت اغاصرها، ولم يمت حكمها ولا ناصرها، اللذان عمرا الرصافة والزهرا، ونكحا عقايل الروم وما بذلا غير المشرفية مهرا. والله اسال ان يطيل ايامك، وبه ارجو انتشار اعلامك، حتى يكون عصرك اجمل من عصرهم، ونصرك اعز من نصرهم، بمنه ويمنه. **وقال** رحمه الله في ترجمة الفقيه القاضي الحافظ ابي محمد عبد الحق بن عطية صاحب التفسير الشهير بعد كلام كثير **ما صورته** ومررنا في احدى نزهاتنا في مكان متفرد ومن المحاسن متسق، وفيه بكير نرجس كانه عيون مراض، بسيل وسطه ماء رضراض، بحيث لا حس الا للهمام ولا انس الا ما يتعرض للاوهام **فقال**

نرجس باكرت فيه روضة • لذ قطع الدهر فيها وعذب
حثت الريح بها خمر حيا • رقص النبت لها ثم شرب
نعذا يسفر عن وجنته • نوره الغض وتهتز طرب
خلت لمع الشمس في مشرقه • لهبا يخمد منه في لهب
وبياض الطل في صفرته • نقط الفضة في خط الذهب

انتهى وسياتي ان شاء الله تعالى كثير من وصف بلاد الاندلس ومتنزهاتها وما اشتملت عليه من المحاسن في كلام غير واحد ممن جرى ذكره في هذا الكتاب خصوصا اديب زمانه غير مدافع من اعترف له اهل المشرق بالسبق واهل المغرب بالابداع المغربي النور ابو الحسن علي بن سعيد العنسي فانه لما دخل مصر اشتاق الى تلك المواطن الاندلسية الرائقه، ووصفها بالقصايد المقطوعات الفايقه

وقد

وقد اسلفنا ايضا فيما سبق من هذا الكتاب بعض ما يتعلق بمحاسن الاندلس فليراجع في محله من هذا الكتاب. **قلت**: وماذا عسى ان نذكر من محاسن قرطبة والزاهرة والزهرا او نصف من محاسن الاندلس التي تبصر بكل موضع منها اطلالا ونهرا وزهرا ويرحم الله اديبها المشهور الذي اعترف له بالسبق الخاصة والجمهور ابا اسحاق بن خفاجه **اذ قال**

يا اهل اندلس لله دركم • ماء وظل وانهار واشجار
ما جنة الخلد الا في دياركم • ولو تخيرت هذا كنت اختار
لا تحسبوا في غد ان تدخلوا سقرا • فليس تدخل بعد الجنة النار

ويروى مكان قوله ولو تخيرت هذا كنت اختار ما مثاله وهذه كنت لو خيرت اختار وكذا رايت بخط الحافظ التنسي والاول رايته بخط العلامة الونشريسي رحمهما الله **وحكي** ان الخليلي لما قدم من الاندلس رسولا الى سلطان المغرب ابي عنان فارس بن السلطان ابي الحسن المريني انشد بحضرة السلطان المذكور ابيات ابن خفاجة هذه المتغزل ببلاد الاندلس فقال السلطان ابو عنان كذب هذا الشاعر يشير الى كونه جعلها جنة الخلد وانه لو خير لاختارها على ما في الاخرة وهذا خروج من ربقة الدين ولا اقل من الكذب والاغراق، وان جرت عادة الشعرا بذلك الاطلاق فقال الخليلي يا مولاي بل صدق الشاعر لانها موطن جهاد ومقارعة للعدو وجلاد، والنبي صلى الله عليه وسلم الرحيم الرؤوف يقول الجنة تحت ظلال السيوف فاستحسن منه هذا الكلام ورفع عن قايل الابيات الملام، واجزل صلته ورفع منزلته. ولعمري ان هذا الجواب لجدير بالصواب، وهكذا ينبغي ان تكون رسل الملوك في الافتنان روح الله ارواح الجميع في الجنان وابو اسحاق بن خفاجة كان اوحد الناس في وصف الانهار والازهار والرياض والحياض والرياحين والبساتين وقد سبق بعض كلامه ويأتي ايضا منه بعض اثناء الكتاب ومن ذلك **قوله**

وكمامة حدر الصباح قناعها • عن صفحة تندى من الازهار
في ابطح رضعت ثغور اقاحه • اخلاف كل غمامة مدرار
نثرت بحجر الارض فيه يد الصبا • درر الندى ودراهم النوار
وقد ارتدى غصن النقا وتقلدت • حلي الحباب سوالف الانهار
فحللت حيث الماء صفحة ضاحك • جذل وحيث الشط بدء عذار
والريح تنفض بكرة لمم الربى • والطل ينضح اوجه الاشجار
متقسم الالحاظ بين محاسن • من ردف رابية وخصر قرار
واراكة سجع الهديل بفرعها • والصبح يسفر عن جبين نهار
هزت لذا اعطافها ولربما • خلعت عليه ملاءة الانوار

وقال

سقيا ليوم قد انخت بسرحة • ربا يلاعبها الرياح فتلعب
سكرى يغنيها الحمام فتنثني • طربا ويسقيها الغمام فتشرب
يلهو فترفع للشبيبة راية • فيه ويطلع للبهارة كوكب
والروض وجه ازهر والظل فيه • اسود والماء ثغر اشنب
في حيث اطربنا الحمام عشية • فشدا يغنينا الحمام المطرب
واهتز عطف الغصن من طرب بنا • وافتر عن ثغر الهلال المغرب
فكانه والحسن مقترن به • طوق على برد الغمامة مذهب
في فتية تسري فينصدع الدجى • عنها وتنزل بالجديب فيخصب
كرموا فلا غيث لسماحة مخلف • يوما ولا برق الظبا فيه خلب
من كل ازهر للنعيم بوجهه • ماء يرقرقه الشباب فيسكب

وقال يمدح الامير ابا يحيى بن ابراهيم

سحب الحيا لعلي النوى بمزار • والصبح يمسح عن جبين نهار
فزعت من نار الضيف طارق • يعشو اليها من خبا الطارق
ركب الدجى احسن بها من مركب • وطوى السرى احسن بها من سار
واناخ حيث دموع عيني منهل • بروي وحيث حشاي موقد نار
وسقى فاروى غلة من ناهل • اوري بجانحتيه زندا وار
يلوي الضلوع من الولوع لخطرة • من شيم برقا وشميم عرار
والليل قد نضح الندى سرباله • فانهل دمع الطل فوق صدار
متنفس نفس الرياح عشية • عبسا فقط الانواء والانوار
ومجرر ذيل غمامة لبست به • وشي الحباب معاطف الانهار
خفقت ظلال الايك فيه ذوائبا • وارتج ردفا مائلا لتيار
ولوى القضيب هناك جيدا تلعا • قد قبلته مباسم النوار
باكرته والغيم قطعة عنبر • مشبوبة والبرق نفحة نار
والدوح تطلع فيه ارداف الربى • لعبا وتلثم اوجه الازهار
ومنابر الاشجار قد قامت بها • خطبا مفصحة من الاطيار
في فتية جنبوا المجانة ليلة • ولربما سفروا اعز الاقمار
ثاروا الفئام بهم دخانا واورى • زند الحفيظة منهم بشرار
شاهدت من مبناتهم ومبالهم • اشراف اطواد وفيض بحار
من كل منتقب بنور ردائه • كرما ومشتمل بثوب وقار
في عمة خلعت عليه للمة • وذوابة قرنت بها العذار

ضافي

ضافي رداء المجد طماح العلى • طامي عباب الجود رحب الدار
جار اذيال المعالي في الغنى • حامي الحقيقة والحمى والجار
طرد القنيص بكل قيد طريده • زجل الجناح مورد الاظفار
متلفت اعطافه بحبيره • متكحل اجفانه بنضار
يرمي به الامل القصي فينثني • مخضوبة الظفر والمنقار
ويكل نابي الشوط اشدق احزم • طاوي الحشا حالي المقلد ضار
يفتر عن مثل النصال وانما • يمشي على مثل القنى الخطار
مستشرفا اثر القنيص على الضحى • والليل مشتمل بشملة قار
من كل مسود تلهب طرفه • تزميك فحمته بشعلة نار
ومورس الستر بالخلع ندة • عن نجم رجم في سماء غبار
يبشنن في سطر الطريق وقد عفا • قدما فتقرا احرف الاثار
عطف الضمور سراته فكانه • والنقع يحجبه هلال سرار
ولربت رواع هناك انبط • خلق المسامع اطلس الاطمار
يجري على حذر فيجمع بسطه • يهوي فينعطف انعطاف سوار
ممتد حبل الشاو يحسب رايحا • ينكا دبغلبا يدي الاقدار
متردد يزجيه خوفا لردى • كرة يهاداها اكف قفار
ولرب طيا رخيف يحسب امامها • كرعت على ظماء بكاس عقار
ولو استجارت منهما بحمى ابي • يحيى لامنها اعز جوار
خدم القضاء مراده فكانما • ملكت يداه اعنة الاقدار
وعنى الزمان لامره فكانما • اصغى الزمان به الى امتار
وجلا الامارة في لفيف نضاله • جليت الدجى في حلة الانوار
في حيث وشح لبته بقلادة • منها وحلى معصما بسوار
جذلان يملا منحة وبشاشة • ايدي العفاة واعين الزوار
ارج الندى بذكره فكانه • متنفس عن روضة معطار
بطل حوى الفلك المحيط بسره • واشتمل صارمه بدا المغوار
بيمينه يوم الوغى وشماله • ما شاء من نار ومن اعصار
والشمس خمر والجياد عوابس • والجو كاس والسيوف عوار
والخيل تعثر في شبا شوك القنى • فتضل او تسبح في الدم المواز
والنقع يخفي في الظل فكانما • تلوي بعرا منها على الازرار
والنقع يكسر من سنى شمس الضحى • فكانه صدا على دينار
صحف الحسام النصر صحبه غبطة • في كف صوال به سوار

لوانه اوحي اليه بنظرة • يوما لنار فلم يهم عن نار
وفضى وقد ملكته مرة غرة • تحت العجاج وضحكه استبشار

وقال رحمه الله

واراكه ضربت سما فوقنا • تندى ودا فلاك الكوس تدار
حفت بدوحتها مجرة جدول • نثرت عليه نجومها الازهار
وكانها وكان جدول مايها • حسنا بيشد بخصرها زنار
زفا الزجاج بها عروس مدامة • تجلى وتوار الغصون نثار
في روضة جنح الدجى ظل بها • وتجسمت نورا بها الانوار
غنا بيشر وشدا البزازلي • فيها ونفتق مسكها العطار
نام الغبار بها وقد نضح الندا • وجه الثرى واستيقظ النوار
والماء في حلي الحباب مقلدا • زرت عليه جيوبها الاشجار

وقال

خذها اليك وانها لنضيرة • طرأت اليك فليلة النظرا
حملت وحسبك نفحة في نفحة • عبق العروس وخجلة العذراء
من كل وارسة القميص كانها • نشات تغل برنفة الصفراء
نجمت نزوف بها نجوم حسنها • بالايكة الخضراء من خضراء
وانتك تسفر عن وجوه طلقة • وتنوب من لطف عن الشعراء
يبدي بها وجه الندي وربما • بسطت هناك اسرة السراء
فاستضحكت وجه الدجى مقطوعة • حملت جمال الغرة الغراء

وقال ايضا

وصدرنا ونظمنا • له الفوا في عقدا
في منزل قد سحبنا • بظله العز بردا
تذكو به الشهب جمرا • ويعبق الليل ندا
وقد تارج نور • غض يخالط وردا
كما تنفس ثغر • عذب يقبل خدا

وقال من قصيدة يصف منتزها

بارت وضاح الجبين كانما • رسم العذار بصفحتيه كتاب
نغري بطلعته العيون نهاية • وتبيت تخشق غفلة الالباب
خلعت عليه من الصباح غلالة • تندى ومن شفق السماء نقاب
فكرعت من ماء الصبا في منهل • قد شف عنه من القميص سراب
في جنبة للريح الرخاء تنفس • ارج وللماء الفرات عباب

ولرب

ولرب غض الجسم مد بجوضه • سبحا كما شق السماء شهاب
ولقد نخت بشاطئيه يهزني • طربا شباب رافني وشراب
وبكيت دجلته بضاحكني بها • من حاجبيه شاقني وحباب
تجلى من الدنيا عروس بيننا • حسنا ترشف والمدام رضاب
ثم ارتحلت ولليلها ذوابة • شيبا تخضب والنهار خضاب
تلوي معاطفي الصبا والصبا • والليل دون الكاشحين حجاب

وقال

مرينا ونويد رنم • ينسحب من ذيله سحابا
بقامة تنثني قضيبا • وغرة تلتظي شهابا
يقرا والليل مدلهم • لنور اجلابيه كتابا

وقال

ورب ليل سهرت فيه • ازجر من جنحه نكابا
حتى اذا الليل ما لسكرا • وشق سربا له وجابا
وحام من سدفة غراب • طالت به سنة فشابا
ازددت من لوعتي خبالا • تحت من علتي شرابا
وما خطا قدما فوا في • حتى انثنى ناكصا فآبا
وبين جفني بحر شوق • يعب في وجنتي عبابا
قد شب في وجهه شعاع • وشب من قلبي التهابا
وروضة طلعت حياء • غنا بخضرة جنابا
ينجاب عن نورها كمام • يحط عن وجهه نقابا
بانت بها مبتسم اقاحي • يرشف من طلها رضابا
ومن خفوق البروق فيها • الوية حمرت خضابا
كانما امطرت دنانير • تخصر قطر الحباحسابا

وله ايضا

رحلت عنكم ولي فؤاد • تنكص اضلاعه حنينا
اجود فيكم بعلق دمع • كنت به قبلكم ضنينا
يثور في وجنتي جبينا • وكان في جفنه كمينا
كانني بعدكم شمال • قد فارقت منكم يمينا

وقال

فيا لسحاب صدر من الصبر فارغ • ويا لغداة طرف من الدمع ملآن
ونفس الى جو الكنيسة صبة • وقلب الى افق الجزيرة حنان
تعوضت من واها اباه ومن هوى • بهون ومن اخوان صدق بخوان
وما كل بيضاء تروق بشحمة • وما كل مرعى ترتعيه بسعدان

فيا ليت شعري هل لدهري عطفة • فيجمع اوطاري علي واوطاني
مياديني اوطاري ولذة لذتي • ومغني تناهيا مي وملعب غزلاني
كان لم يصلني فيه ظبي نفوس لي • لماه وصدغاه براحي وريحاني
فسقيا لواد بينهم فان كنت انما • ابيت لذكراه بغلة ظمآن
فكم يوم لهو قد ادرنا بافقه • نجوم كؤوس بين اقمار ندمان
وللقضب والاطيار ملهى بجرعه • فما شئت من رقص على رجع الحان
وبالحضرة الغراء اعز علقته • فاحببت حبا فيه قضبان نعمان
رقيق الحواشي في محاسن وجهه • ومستعطف مثلي قلوب واذان
اغار لخديه على الورد كلما • بدا ولعطفيه على غصن البان
ومبني اجنى ورد خديه ناظري • فمن اين لي منه بتفاح لبنان
يعللني منه بموعد رشفه • حبال له يعزى بمطل ولبان
حبيب عليه لحنه من صوارم • علا لما حباب من اسنة مران
نزلت لنا في مثل سورة يوسف • نزلت لنا في مثل ملك سليمان
طوى برده منها صحيفة فتنة • قرانا لها من وجهه سطر عنوان
محبته ديني ومثواه كعبتي • ورؤيته حجي وذكراه قرآني

وقال

وليل تعاطينا المدام وبيننا • حديث كما هب النسيم على الورد
نعاوده والكاس يعبق نفحه • واطيب منها ما نعيد وما نبدي
ونقلى اقاح الثغر وسوسن الطلى • ونرجس الاجفان ووردة الخد
الى ان سرت في جسمه الكاس والكرى • ومال بعطفيه تمايل على عضدي
فاقبلت استهدي لما بين اضلعي • من الحر ما بين الضلوع من البرد
وعانقته قد سل من وشي برده • فعانقت منه السمهري من الغمد
ليان بخصر واستقامة قامة • وهزة اعطاف ورونق فرند
اغار له منه الغصن في مغرس النقى • والثم وجدا الشمس في مطلع السعد
فان لم يكنها او تكنه فانه • اخوها كما قد شاركته من الجلد
تشا فر كلنا راحتي بجسمه • فطورا الى خصر وطورا الى نهد
فنهبط من كشحيه كفي تهامة • وتصعد من نهديه اخرى الى نجد

وقال ايضا

وردا لبليات فيه معانقي • طيفا الم بظبية الوعساء
فجمعت بين رضابه وشرابه • وشربت من ريق ومن صهباء
ولثمت في ظلماء ليله وفرة • شفقا هناك لوجنة حمراء

والليل

والليل مشمط الذوائب كبرة • خرف يدب على عصى الجوزاء
ثم انثنى والصبح يسحب فرعه • ويجر من طرب فضول رداء
تندى بفيه الخزامة اجرع • فدعا زلتهما الشمس غب سماء
وتميس في ثواب ريحانية • كرعت على ظما بجدول ماء
نفاحة الانفاس الا انها • حذرا النديم خفاقها لافياء
فلوبت معاطفها اعتناق حبيبها • فيه يقطر الدمع من انواء

انتهى وكان المعتمد بن عباد رحمه الله كثيرا ما ينتاب وادي الطلح مع رميكته وابي انسه ومسرته وهو واد بشرف اشبيلية ملتف الاشجار كثير ترنم الاطيار

وفيه يقول نور الدين بن سعيد

سايل بوادي الطلح ريح صبا • هل سحرت لي من زمان الصبا
كانت رسولا فيه ما بيننا • لن تامن الرسل ولن تكذبا
يا قاتل الله اناسا اذا • امنوا خانوا فما اعجبا
ملا رعوا انا وثقنا بهم • وما اتخذنا غيرهم مذهبا
يا قاتل الله الذي لم يتب • من غدرهم من بعد ما جربا
واليوم لا يعرف ما طعمه • الا الذي وافى لان يشربا
دعني من ذكرا الوشاة الالى • لما يزل فكري بهم ملهبا
واذكر بوادي الطلح عهدا لنا • لله ما احلى وما اطيبا
بجانب العطف وقد مالت الاغصان والزهر يبث الصبا
والطير ما زت بين الحانها • والنهر الا معجبا مطربا
وخانني من لا اسميه من • شح اخاف الدهر ان يسلبا
قد انزع الكاس وحيى بها • فقلت اهلا بالمنى مرحبا
اهلا وسهلا بالذي شبته • يا بدر تم مهديا كوكبا
لكنني البيت اشفي بها • او تودعن ثغرك الاشنبا
فمج لي في الكاس من ثغره • ما حبب الشرب وما طيبا
فقال لما لثمي نقلا ولا • ببسم الاعز في الاطيبا
واقطف بخدي الورد والاس والنسرين لا تحفل بزهر الربا
اسعفته غصنا غدا مثمرا • ومن جناه مبسه قربا
قد كنت ذا نهي وذا امرة • حتى بدى فخلعت الحبا
ولم اصن عرضي في حبه • ولم اطلع فيه الذي انبا
حتى اذا ما قال لي حاسد • ترجوه والكوكب ان يغربا
ارسلت من شعري سحرا له • بين المرغب والمطلبا

وقال عرفته بأني سحا ... لم احمد المكتبا
فزاد في شوقي له وعده ... ولم ازل معتقدا مترقبا
امد طرفي ثم انثنيه من ... خوف اخي التعنيف ان يرقبا
اصدق الوعد وطورا ارى ... تكذيبه والحر لن يكذبا
انجز من سحره بعد ما ... ابطا كاد ان يغضبا
قبلت في الترب ولم استطع ... من حصره اللقيا سوى مرحبا
ممنى ربي اذ عدا السه ... وقلت يا من لا يطيع اشعبا
بالله مل معتنقا لاثما ... فمال كالغصن ثنته الصبا
فقال ما ترغب قلت انتبه ... ادركت اذ كلمتني المرغبا
فقال لا مذهب عن ذكرها ... ذكرته دهري او اغلبا

وقال رحمه الله في جملة من نظم بن سعيد المذكور ذكر ذلك في هذه الفصيدة يتشوق الى اسلافه ومن حمص الاندلس

ان الخليج وغنت الورقاء ... مثل يرحال ذ هاجت البرحاء
انا منكما اولى بحيلة عاشق ... افنى وما منت بد الصعداء
اخشى الوشاة فما افوه بلفظة ... والكتم عند العاشقين عناء
لولا تشوق ارض حمص ما جرى ... دمعي ولا سمتت بي الاعداء
لم استطع كتما لما قد فكانني ... ما كان لي كتم ولا اخفاء
والبدر مهما رام كتما من سرى ... فيه تنم على سرا مصتيا
بلد متى يخطر له ذكر هفا ... قلبي وخان تصبر وعزاء
من بعد ما الصبح يشرق نوره ... عندي ولا تتبدل الظلماء
كم لي به من ذي وفاء لم يخن ... عهدي ويحيوا ابا الوداد وفاء
قد قل اذ ما ردكري سايل ... عن حالتي ان قلت الانباء
يمسي ويصبح في تذكر مدة ... يرضى بها الاصباح والامساء
من كل مبتذل للوصال ممنع ... من غيرنا تسمو به الخيلاء
كالظبي كالشمس المنيرة كالضحى ... كالغصن يثني معطفيه رخاء
يسعى براح كالشهاب براحة ... كالبدر والوجه المنير ذكاء
ما لان نحو الوصل حتى طال منه ... الهجر وانفصلت به البلواء
خير المحبة ما تانت عن قلا ... تذري بوس الفاقة النعماء
ما زلت ارقبا لغرض حيونه ... حتى استكان وكان منه اباء
فظفرت منه بعدما لو انها ... دامت لدامت لي بها السراء
صفو تكدر بالتحرك ليته ... ما زلت لكن لا يرد قضاء

انا الفراق

ان الفراق هو المنية انما ... امثل النوى مما نوا هم احياء
لولا تذكر لذة طابت لنا ... بذرى الجزيرة حيث طاب هواء
وجرى النسيم على الخليج معطرا ... وتبددت في الروض الانداء
ما كابدت نفسي اليم تذكر ... النوى به عن جفني الاغفاء
يا اهل حمص لا عداك مسرة ... ماء يسيل لديك ام صهباء
كل النفوس تهش فيك كانما ... جمعت عليك شتاتها الاهواء
وددت لك مع الزمان يجد ... ما ان تحول تذكر وعناء
ولو انني لم احمد ذكرا للذي ... اوليته ما كان في حياء
ما كنت اطمع في الحياة لو انني ... ايقنت ان لا يستزد لقاء
عبرا اذا ما بان حان وانما ... ابقي حياتي حين يثبت رجاء

وسيأتي ان شاء الله لهذا النمط وغيره مزيدا ثنا الكتاب بحسب ما اقتضته المناسبة والله المرجو في حسن المتاب وهو سبحانه لا اله الا هو الموفق للصواب والحمد لله الكريم الوهاب

الباب الخامس

في التعريف ببعض من دخل من الاندلسيين الى بلاد المشرق

الذاكين الغرار والبسام ومدح جماعة من اولايك الاعلام ذوي العقول الراجحة والاحلام لشامة وجنة الارض دمشق الشام وما اقتضته المناسبة من كلام اعيانها وارباب بيانها ذوي التودد والاحتشام ومخاطبا تهم للفقير المؤلف حين حلها سنة الف وسبعة وثلاثين للهجرة وشاهد بها فضلها المبين اعلم جعلني الله واياك ممن له للمذهب الحق انتحال ان حصر اهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا بحال ولا يعلم ذلك على الاحاطة الا العلام لطال الكتاب وكثر الكلام ولكنا نذكر منهم لمعا على التوسط من غير اطناب داع الى الملال واختصار مؤد للملام **فنقول** مستمدين من واهب العقول

منهم عالم الاندلس عبد الملك بن حبيب السلمي وقد عرف به القاضي عياض في المدارك وغير واحد ورايت في بعض التواريخ ان تواليفه بلغت الفا ومن اشهرها كتاب الواضحة في مذهب مالك كتاب كبير مفيد ولابن حبيب مذهب في كتب المالكية مسطور وهو مشهور عند علماء المشرق وقد نقل عنه الحافظ بن حجر وصاحب المواهب وغيرهما ومن نظمه يخاطب سلطان الاندلس

لا تنس لا ينسك الرحمن عاشوراء ... واذكره لا زلت في التاريخ مذكورا
قال النبي صلاة الله تشمله ... قولا وجدنا عليه الحق والنورا
فمن يوسع في انفاق موسمه ... لا يزال بذاك العام ميسورا

وهذا البيت الثالث تضمين منه لفظه فكتبته بالمعنى والوزن اذ طال عهدي به
وقال الفتح في المطمح الفقيه العالم ابو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي اي شرف
لاهل الاندلس ومفخر واي بحر بالعلوم يزخر جلت منه الاندلس فقيها عالما اعاد
مجاهل جهلها معالما واقام فيها للعلوم سوقا نافقة ونشر منها الوية خافقة
وجلا عن الالباب صدا الكسل وشحذها شحذ الصوارم والاسل وتصرف في فنون العلم
وعرف كل معلوم وسمع بالاندلس وتفقه حتى صار اعلم من بها وافقه ولقي انجاب مالك
وسلك من مناظرتهم اوعر المسالك حتى اجمع عليه بالاتفاق • ووقع على تفضيله
الاصفاق ويقال انه لقي مالكا اخر عمره وروى عنه عن سعيد بن المسيب ان سليمان
ابن داود صلى الله عليه وسلم كان يركب الى بيت المقدس فيتغدى به ثم يعود فيتعشى
باصطخر وله في الفقه كتاب الواضحة ومن احاديثه غرايب قد تحلت بها للزمان نحور
ترايب وقال محمد بن لبابة فقيه الاندلس عيسى بن دينار وعالمها عبد الملك
ابن حبيب وراويها يحيى وكان عبد الملك قد جمع الى علم الفقه والحديث علم اللغة
والاعراب وتصرف في فنون الاداب وكان له شعر يتكلم به متخيرا ومرى ينبوعه بذلك
متفجرا وتوفي بالاندلس في رمضان سنة ٢٣٨ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة بعدما
جال في الارض وقطع طولها والعرض وجال في اكنافها وانتهى الى اطرافها

ومن شعره قوله

• قد طلع الشيب والذي ابتغي • هين على الرحمن في قدرته •
• الف من الحمر واقلل بها • لعالم ازنى على بغيته •
• زرق فذا اعطيها جملة • وحرفتي اشرف من حرفته •

وكتب الى الرجالي رسالة وصلها بهذه الابيات

• كيف يطيق الشعر من اصبحت • حالته اليوم كحال الغرق •
• والشعر لا يسلس الا على • فراغ قلب واتساع الخلق •
• فاقنع بهذا القول من شاعر • يرضى من الحظ بادنى العلق •
• فضلك قد بان علينا كما • بان لاهل الارض ضوء الشفق •
• اما ذمام الود مني لكم • فهو من المحتوم فيما سبق •

ولم يكن له علم بالحديث يعرف به صحيحه من معتله ولا يفرق بين مستقيمه ومختله
وكان غرضه الاجازة واكثر رواياته غير مستجازة قال ابن وضاح قال لي ابراهيم
ابن المنذر اتى صاحبكم الاندلسي يعني عبد الملك هذا بغرارة مملوءة فقال لي هذا
علمك قلت له نعم ما قرا علي منه حرفا ولا قراته عليه وحكي انه قال في دخوله
المشرق وحضر مجلس بعض الاكابر فازدراه من راه

• لا تنظرن الى جسمي وقلته • وانظر لصدري وما يحوي من السنن •

فرب ذي

• فرب ذي منظر من غير معرفة • ورب من تزدريه العين ذو فطن •
• ورب لؤلؤة في عين مزبلة • لم يلتفت بالها الا الى زمن •

انتهى ما في المطمح الصغير قلت اما ما ذكره من عدم معرفته بالحديث فهو
غير مسلم وقد نقل عنه غير واحد من جهابذة المحدثين نعم لاهل الاندلس غرايب
لم يعرفها كثير من المحدثين حتى ان في شفاء عياض احاديث لم يعرف اهل المشرق
النقاد مخرجها مع اعترافهم بجلالة حفاظ الاندلس الذين نقلوها كبقي بن مخلد
وابن حبيب وغيرهما على ما هو معلوم واما ما ذكره عنه في الاجازة بما في الغرارة
فذلك على مذهب من يرى الاجازة وهو مذهب مستفيض واعتراض من اعترض
عليه انما هو بنا على القول بمنع الاجازة فاعلم ذلك والله الموفق ومن الراحلين
من الاندلس الفقيه المحدث يحيى بن يحيى الليثي راوي الموطا عن مالك رضي الله عنه
ويقال ان اصله من بربر مصمودة وحكي انه لما ارتحل الى مالك ولازمه فبينما هو
عنده في مجلسه مع جماعة من اصحابه اذ قال قايل حضر الفيل فخرج اصحاب مالك
كلهم ولم يخرج يحيى فقال له مالك ما لك لم تخرج وليس الفيل في بلادك فقال انما
جيت من الاندلس لانظر اليك واتعلم من هديك وعلمك ولم اكن لانظر الى الفيل فاعجب
مالك وقال هذا عاقل الاندلس وعيسى بن دينار ولذلك قيل ان يحيى هذا عاقل
الاندلس وعيسى بن دينار فقيهها وعبد الملك بن حبيب عالمها ويقال ان يحيى
راويها ومحدثها وتوفي يحيى بن يحيى سنة ٢٣٤ برجب وقبره يستسقى به بقرطبة وقيل
ان وفاته في السنة التي قبلها والله اعلم ورواية الموطا مشهورة حتى ان اهل
المشرق الان يسندون الموطا من روايته كثيرا مع تعدد رواة الموطا والله اعلم
وكان يحيى بن يحيى روى الموطا بقرطبة عن زياد بن عبد الرحمن اللخمي المعروف بشبطون
وسمع من يحيى بن مضر القيسي الاندلسي ثم ارتحل الى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين
سنة فسمع من مالك بن انس الموطا غير ابواب في كتاب الاعتكاف شك في سماعها
فاثبت روايته فيها عن زياد وذلك مما يدل على ورعه وسمع بمصر من الليث بن
سعد وبمكة من سفيان بن عيينة وتفقه بالمدنيين والمصريين كعبد الله بن وهب
وعبد الرحمن بن القاسم وسمع منهما وهما من اكابر اصحاب مالك بعد انتفاعه
بمالك وملازمته له وانتهت اليه الرياسة بالاندلس وبه اشتهر مذهب مالك
في تلك الديار وتفقه به جماعة لا يحصون عددا وروى عنه خلق كثير واشهر روايات
الموطا واحسنها رواية يحيى المذكور وكان مع امامته ودينه معظما عند الامرا
يكنى عندهم عفيفا عن الولايات متنزها جلت رتبته عن القضا وكان اعلى من
القضاة قدرا عند ولاة الامر بالاندلس لزهده في القضا وامتناعه قال
الحافظ ابن حزم مذهبان انتشرا في بدء امرهما بالرياسة والسلطان مذهب

ابي حنيفة فانه لما ولي القضاء ابو يوسف كانت القضاة من قبله من اقصى المشرق
الى اقصى عمل افريقية فكان لا يولي الا اصحابه والمنتسبين لمذهبه ومذهب مالك
عندنا بالاندلس فان يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول القول في
القضاة وكان لا يلي قاض في اقطار بلاد الاندلس الا بمشورته واختياره ولا يشير
الا باصحابه ومن كان على مذهبه والناس سراع الى الدنيا فاقبلوا على ما يرجون
بلوغ اغراضهم به على ان يحيى لم يل القضاء قط ولا اجاب اليه وكان ذلك زائدا في
جلالته عندهم وداعيا الى قبول رأيه لديهم انتهى وذكرنا في غير هذا الموضع
قولا اخر في سبب انتشار مذهب مالك بالاندلس والله اعلم بحقيقة الامر وقال
ابن ابي الفياض جمع الامير عبد الرحمن بن الحكم الفقهاء في قصره وكان وقع على جارية
يحبها في رمضان ثم ندم اشد ندم فسألهم عن التوبة والكفارة فقال يحيى تكفر
بصوم شهرين متتابعين فلما بادر يحيى بهذه الفتيا سكت الفقهاء حتى خرجوا
فقال بعضهم له لم لم تفته بمذهب مالك بالتخيير فقال لو فتحنا له هذا الباب
سهل عليه ان يطأ كل يوم ويعتق رقبة ولكن حملته على اصعب الامور لئلا يعود وقال
بعض العلماء كان يحيى يرى هذا وانه لم ير انه لم يملك شيئا اذ هو مستغرق الذمة
فلا عتق له ولا اطعام فلم يبق الا الصيام انتهى **ولما** انفصل يحيى عن مالك
ووصل الى مصر راى ابن القاسم يدون سماعه من مالك فنشط للرجوع الى مالك
ليسمع منه المسائل التي رأى ابن القاسم يدونها فرحل رحلة ثانية فالفى مالكا عليلا
فاقام عنده الى ان مات وحضر جنازته فعاد الى ابن القاسم وسمع منه سماعه من
مالك هكذا ذكره ابن الفرضي في تاريخه وهو مما يرد الحكاية المشهورة الآن بالمغرب
ان يحيى سأل مالكا عن زكاة التين فقال لا زكاة فيها فقال انه يدخر عندنا ونذر ان وصل
الى الاندلس ان يرسل لمالك سفينة مملوءة تينا فلما وصل ارسلها فاذا مالك قد مات
انتهى قال ابن الفرضي ولما انصرف يحيى الى الاندلس كان امام وقته وواحد
بلده وكان ممن اتهم بالهيج في وقعة الربض المشهورة ففر الى طليطلة ثم استأمن
فكتب له الامير الحكم امانا وانصرف الى قرطبة وقيل لم يعط احد من اهل الاندلس
منذ دخلها الاسلام ما اعطي يحيى من الحظوة وعظم القدر وجلالة الذكر وقال
ابن بشكوال ان يحيى كان مجاب الدعوة وانه اخذ في سمته وهيئته ونفسه ومقعده
هيئة مالك ويحكى عنه انه قال اخذت ركاب الليث فاراد غلامه ان يمنعني
فقال دعه ثم قال لي الليث خدمك العلم فلم تزل بي الايام حتى رأيت ذلك انتهى
ومنهم القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى قال في المطمح من بني يحيى بن يحيى الليثي
وممن تلبس بعلم وعقل وصحة ضبط ونقل كان علم الاندلس وعالمها النبدس
ولي القضاء بقرطبة بعد رحلة رحلها الى المشرق وجمع فيها من الروايات والسماع

كل مفترق

كل مفترق وجال في آفاق ذلك الافق لا يستقر في بلد ولا يستوطن في جلد ثم
كر الى الاندلس فسمت رتبته وتحلت بالاماني لبته وتصرف في ولايات اخذ فيها
مناه وانصلت بسببها بالخليفة اسبابه وولاه القضاء بقرطبة فتولاه
بسياسة محمودة ورياسة في الدين مسترقة القوى مجهودة والتزم فيها الصرامة
في تنفيذ الحقوق والجزامة في اقامة الحدود والكشف عن البينات في السر والصدع
بالحق في الجهر لم يستمله مخادع ولم يكله مخاتل ولم يهب ذا حرمة ولا اذا من ذا مرتبة
ولا اغضى لاحد من اسباب السلطان واهله حتى تحاموا جانبه فلم يجسر احد منهم عليه
وكان له نصيب وافر من الادب وحظ من البلاغة اذا نظم واذا كتب **ومن مليح**
شعره ما قاله عند اوبته من غربته

كأن لم نكن بين ولم تك فرقة ... اذا كان من بعد الفراق تلاقي
كأن لم تؤرق بالعراقين مقلتي ... ولم يمر كف الشوق ماء مآقي
ولم ازر الاعراب في خبت ارضهم ... بذات اللوى من رامة وبراق
ولم اصطبح بالبيد من قهوة الندى ... وكأس سقاها في الازاهر ساقي

وله ايضا

ماذا أباد من ورق مغردة ... على قضيب بذات الجزع مياس
ردد شجوا شجى قلب الخلي فهل ... من عبرة ذرفت في الحبس باس
ذكرتنا الزمن الماضي بقرطبة ... بين الاحبة من امن وايناس
هم الصبابة لولا همة شرفت ... فصيرت قلبه كالجندل القاسي

وله اخبار تدل على رقة العراق والتغذي بماء تلك الاحداق **فمنها** انه خرج الى حضور
جنازة لمقابر قريش ورجل من بني جابر كان يواجهه له منزل فعزم اليه في الميل اليه
وعلى احبه فنزل عليه فاحضرهما طعاما وامر جاريته بالغناء فغنت

طابت بطيب لثاتك الاقداح ... وزهت بحمرة خدك التفاح
واذا الربيع تنسمت ارواحه ... طابت بطيب نسيمك الارواح
واذا الحنادس البست ظلماءها ... فضياء وجهك في الدجى مصباح

فكتبها القاضي في ظهر يده وخرج من عنده **قال** يونس بن عبد الله فلقد رأيته
يكبر للصلاة على الجنازة والابيات مكتوبة على ظهر كفه انتهى وكان رحمه الله في غاية الظرف
حكى بعض اصحابه قال ركبنا معه في موكب حافل من وجوه الناس اذ عرض لنا فتى متأدب
قد خرج من بعض الازقة سكران يتمايل فلما رأى القاضي هابه واراد الانصراف فخانته
رجلاه فاستند الى الحائط واطرق فلما قرب القاضي رفع رأسه **ثم انشأ يقول**

الا ايها القاضي الذي عم عدله ... فاضحى به بين الانام فريدا
قرأت كتاب الله تسعين مرة ... فلم ار فيه للشراب حدودا

فان شئت ان تخفو تكن لك منة • تروح بها في العالمين حميدا •
وان انت تختار الحديد فانني • لسنا على هجو الزمان حديدا •

لعله الحدود

فلما سمع شعره ومن زاد به اعرض عنه وترك الانكار عليه ومضى لشانه انتهى ملخصا من المطمح وزانيت بخطي في بعض مسوداتي ما صورته محمد بن عبد الله بن يحيى الليثي قاضي الجماعة بقرطبة سمع عم ابيه عبد الله بن يحيى ومحمد بن عمر بن لبابة واحمد بن خالد ورحل من قرطبة سنة ٣١٢ ودخل مصر وحج وسمع بمكة من ابن المنذر والعقيلي وابن الاعرابي وغيرهم وكان حافظا معتنيا بالاثار جامعا للسنن متصرفا في علم الاعراب ومعاني الشعر شاعرا مطبوعا وشاوره القاضي احمد بن بقي واستقضاه الناصر عبد الرحمن بن محمد على البيرة وبجانة ثم ولاه قضاء الجماعة بقرطبة بعد ابي طالب سنة ٣٢٦ وجمعت له مع القضاء الصلاة وكان كثيرا ما يخرج الى الثغور ويتصرف في اصلاح ما وهي منها فاعتل في آخر خرجاته ومات في بعض الحصون المجاورة لطليطلة سنة ٣٣٠ ومولده سنة ٢٨٤ انتهى واظن اني نقلته من كتاب ابن الابار الحافظ والله اعلم ومنهم عتيق بن احمد بن عبد الباقي الاندلسي الدمشقي وفاة يكنى ابا بكر نزل دمشق كان مشهورا بالصلاح وانتفع به جماعة من الفقراء وولد على ما قيل سنة ٥٦٠ وتوفي سنة ٦٦٠ بدمشق ودفن بمقابر الصوفية فيكون عمره على هذا مائة سنة رحمه الله ونفعنا ببركاته وبركات امثاله ومنهم ابو ابراهيم اسماعيل بن محمد بن يوسف الانصاري الاندلسي الابذي الملقب في البلاد المشرقية ببرهان الدين وابذه بضم الهمزة وتشديد الباء الموحدة وفتحها وبعدها ذال معجمة بلدة بالاندلس سمع المذكور بمكة وغيرها من البلاد وبدمشق من الحافظ ابن طبرزد وام بالصخرة وكان فاضلا صالحا شاعرا توفي سنة ٦٥٦ واخبر عن بعض الاولياء المجاورين بيت المقدس انه سمع هاتفا يقول

• لما خرب القدس ان يكن بالشام • قل بصبري واستمر ملوكي •
• هكذا ثبت العداة خرابي • سمر العار في جباه الملوك •

هكذا رايته بخط الصعدي في حياة ويحتمل ان يكون في جباه جمع جبهة والله اعلم ومنهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضي الجماعة بقرطبة وقد قدمنا جملة من اخباره في الباب الثالث والرابع من هذا القسم وكان لا يخاف في الله لومة لائم ومن مشهور ما جرى له في ذلك قصته في ايتام اخي نجده وحدث بها جماعة من اهل العلم والرواية وهي ان الخليفة الناصر احتاج الى شراء دار بقرطبة لحظية من نسائه تكرم عليه فوقع استحسانه على دار كانت لاولاد زكريا اخي نجده وكانت بقرب النشارين في الربض الشرقي منفصلة عن دوره ويتصل بها حمام له غلة واسعة وكانت لاولاد زكريا اخي نجده ايتاما في حجر القاضي فارسل الخليفة من قومها له

بعده

198

بعد ما طابت نفسه وارسل ناسا امرهم بمداخلة وصي الايتام في بيعها عليهم فذكر انه لا يجوز الا بامر القاضي اذ لا يجوز بيع الاصل الا عن رؤية وتثبت ومشورة فارسل الخليفة الى القاضي منذر في بيع هذه الدار فقال للرسول ان البيع على الايتام لا يصح الا لوجوه منها الحاجة ومنها الوهي الشديد ومنها الغبطة فاما الحاجة فلا حاجة لهؤلاء الايتام الى البيع واما الوهي فليس فيها واما الغبطة فهذا مكانها فان اعطاهم امير المؤمنين فيها ما تستبين به الغبطة امرت وصيهم بالبيع والا فلا فنقل جوابه الى الخليفة فاظهر الزهد في شراء الدار طمعا ان يتوجه عليه فيها وخاف القاضي ان تنبعث منه عزيمة تلحق الايتام سورتها فامر وصي الايتام بنقض الدار وبيع انقاضها ففعل ذلك وباع الانقاض فكانت لها قيمة اكثر مما قومت به للسلطان فاتصل الخبر به فعز عليه خرابها وامر بتوقيف الوصي على ما احدثه فيها فاحال الوصي على القاضي انه امره بذلك فارسل عند ذلك للقاضي منذر وقال له انت امرت بنقض دار اخي نجدة فقال له نعم فقال له وما دعاك الى ذلك قال اخذت فيها بقول الله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا مقوموك لم يقدروها الا بكذا وبذلك تعلق وهمك فقد نض في انقاضها اكثر من ذلك وبقيت القاعة والحمام فضلا ونظر الله تعالى للايتام فصبر الخليفة عبد الرحمن على ما اتى من ذلك وقال نحن اولى من انقاد الى الحق فجزاك الله تعالى عنا وعن امانتك خيرا قالوا وكان على متانته وجزالته حسن الخلق كثير الدعابة فربما ساء ظن من لا يعرفه حتى اذا رام ان يصيب من دينه شعرة ثار له ثورة الاسد الضاري فمن ذلك ما حدث به سعيد ابنه قال قعدنا ليلة من ليالي شهر رمضان المعظم مع ابينا للافطار بداره البرانية فاذا سائل يقول اطعمونا من عشائكم اطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة هذه الليلة ويكثر من ذلك فقال القاضي ان يستجب لهذا السائل فيكم فليس يصبح منا واحد وحكي عنه قاسم بن احمد الجهيني انه ركب يوما لحيازة ارض محبسة في ركب واحد من وجوه الفقهاء واماثل العدالة فيهم ابو ابراهيم اللؤلؤي ونظراؤه قال فسرنا نقفوه ونحن امامنا وامامه امناؤه يحملون خرائطه وزوده عليهم السكينة والوقار وكانت القضاة حينئذ لا تراكب ولا تماشي فعرض لنا في بعض الطريق كلاب مع مستوحشة والكلاب تتعلق بها وتذودها نحونا فوقفت وجهها الينا وقال ترون يا اصحابنا ما ابر الكلاب بالهر الذي تلعقه وتكرمه ونحن لا نفعل ذلك ثم لوى عنان دابته وقد اضحكنا وبقينا متعجبين من هزله وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوما في خلوة له في بستان الزهراء على بركة ماء طافحة وسط روضة نافحة في يوم شديد الوهج وذلك اثر منصرفه من صلاة

الجمعة فشكا الى الخليفة من وهج الحر الجهد ونيّت منه ما تجاوز الحد فامره بخلع ثيابه والتخفيف عن جسمه ففعل ولم يبطل ذلك ما به فقال له الصواب ان تنغمس في وسط الصهريج انغماسة تبرد بها جثمانك وليس مع الخليفة الا الحاجب جعفر الخادم الصقلبي امين الخليفة الحكم لا رابع لهم فكانه استحيى من ذلك وانقبض عنه وقارا وقصر عنه اقصارا فامر الخليفة حاجبه جعفر بسبقه الى النزول في الصهريج ليسهل عليه الامر فيه فبادر جعفر لذلك والقى نفسه في الصهريج وكان يحسن السباحة فجعل يجول يمينا وشمالا فلم يسع القاضي الا انفاذ امر الخليفة فقام والقى بنفسه خلف جعفر ولاذ بالقعود في درج الصهريج وتدرج فيه بعض تدرج ولم ينبسط في السباحة وجعفر يمر مصعدا ومصوبا فدسه الحكم على القاضي وحمله على مساجلته في العوم فهو يحجم في اخلاده الى القعود وتبعا بالقاء الماء عليه والاشارة بالجذب اليه ومولاه يبتحث معه ولا يفارق موضعه الى ان كلمه الحكم وقال له ما لك لا تساعد الحاجب في فعله وتقبل صنعه فمن اجلك نزل وبسببك تبذل فقال له يا سيدي يا امير المؤمنين الحاجب سلمه الله لا هول معه وانا بهذا الهول الذي يثقلني ويمنعني من ان اجول معه بجالد بعني ان الحاجب خصي لا هول معه والهول الذكر فاستفرغ الحكم ضحكا من نادرته ولطيف تعريضه لجعفر وخجل جعفر من قوله وسبه سب الاشراف وخرجا من الماء وامر لهما الخليفة بخلع ووصلهما بصلات سنية تشاكل كل واحد منهما **وحكي** ان الخليفة الحكم قال له يوما لقد بلغني انك لا تجتهد للايتام وانك تقدم لهم اوصياء سوء ياكلون اموالهم قال نعم وان امكنهم نيك امهاتهم لم يعفوا عنهن قال وكيف تقدم مثل هؤلاء قال لست اجد غيرهم ولكن احلني على اللؤلؤي وابي ابراهيم ومثل هؤلاء فان ابوا الجبرتهم بالسوط والسجن بحرمة تسمع الاخيرا **وقال** القاضي منذر انبت وابو جعفر بن النحاس في مجلسه بمصر يملي في اخبار الشعراء شعر قيس المجنون

حيث يقول

• خليلي هل بالشام عين حزينة • تبكي على نجد لعلي اعينها •
• قد اسلمها الباكون الا حمامة • مطوقة باتت وبات قرينها •
• تجاوبها اخرى على خيزرانة • يكاد يدنيها من الارض لينها •

فقلت له يا ابا جعفر ماذا اعزك الله باتا يصنعان فقال لي وكيف تقول انت يا اندلسي فقلت له بانت وبان قرينها فسكت وما زال يستثقلني بعد ذلك حتى منعني كتاب العين وكنت ذهبت الى الانتساخ من نسخته فلما قطع بي قيل لي اين انت عن ابي العباس بن ولاد فقصدته فلقيت رجلا كامل العلم حسن المروءة فسالته الكتاب فاخرجه الي ثم ندم ابو جعفر لما بلغه اباحة ابي العباس الكتاب

لي وعاد

لي وعاد الى ما كنت اعرفه منه قال وكان ابو جعفر لئيم النفس شديدا لتقتير على نفسه وربما وهبت له العمامة فيقطعها ثلاث عمائم وكان يلي شراء حوائجه بنفسه ويتحامل فيها على اهل معرفته ليتسامحوا له وابو جعفر هذا بقي الى ان توفي نيفه تزيد على خمسين منها شرح عشرة دواوين للعرب واعراب القرآن ومعاني القرآن وشرح ابيات الكتاب وغير ذلك رحمه وقال المنذر بن سعيد كتبت الى ابي علي البغدادي استعير منه كتابا من الغريب **وقلت**

• بحق ريم مهفهف • وصدغه المنعطف • ابعث الي بجزء • من الغريب المصنف •
نقضي حاجتي

واجاب بقوله

• وحق درّ تألف • بفيك اي تألف •
• لابعثن بما قد • حوى الغريب المصنف •
• ولو بعثت بنفسي • اليك ما كنت اسرف •

رحم الله تلك الارواح الطاهرة **وذكر** ابن اصبغ الهمداني عن منذر انه خطب يوما واراد التواضع فكان من فصول خطبته ان قال حتى متى والى متى ولا اتعظ وازجر ولا ازدجر ادل الطريق على المستدلين وابقى مقيما مع الحائرين كلا ان هذا لهو البلاء المبين ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين اللهم فرغني لما خلقتني له ولا تشغلني بما تكفلت لي به ولا تحرمني وانا اسالك ولا تعذبني وانا استغفرك يا ارحم الراحمين **وسمع** منذر بالاندلس من عبيد الله بن يحيى بن يحيى ونظرائه ثم رحل حاجا سنة ثمان وثلاثمائة فاجتمع بجماعة اعلام وظهرت فضائله بالمشرق وممن سمع عليه منذر بالمشرق بمكة محمد بن المنذر النيسابوري سمع عليه كتابه المؤلف في اختلاف العلماء المسمى بالاشراف وروى بمصر كتاب العين للخليل عن ابي العباس بن ولاد وروى عن ابي جعفر بن النحاس وكان منذر متفننا في ضروب العلوم وغلب عليه التفقه بمذهب ابي سليمان داود بن علي الاصبهاني المعروف بالظاهري فكان منذر يؤثر مذهبه ويجمع كتبه ويحتج لمقالته وياخذ به في نفسه وذويه فاذا جلس للحكومة قضى بمذهب الامام مالك واصحابه وهو الذي عليه العمل بالاندلس وحمل السلطان اهل مملكته عليه وكان خطيبا بليغا عالما بالجدل حاذقا فيه شديد المعارضة حاضر الجواب عتيده ثابت الحجة ذا سكينة عجيبة ومنظر جميل وخلق حميد وتواضع لاهل الطلب وانحطاط اليهم واقبال عليهم وكان مع وقاره التام فيه دعابة مستملحة وله نوادر مستحسنة وكانت ولايته القضاء بقرطبة للناصر في شهر ربيع الاخر ٣٣٩ وليث قاضيا من ذلك التاريخ للخليفة الناصر الى وفاته ثم للخليفة الحكم المستنصر الى

توفي رحمه الله عقب ذي القعدة من سنة خمس وخمسين وثلاثمائة فكانت
ولايته لقضاء الجماعة المعبر عنه في المشرق بقاضي القضاة ستة عشر عاما كاملة
لم يحفظ عليه فيها جور في قضيته ولا قسم بغير سوية ولا ميل بهوى ولا إصغاء إلى
عناية رحمه الله ورضي عنه ودفن بمقبرة قريش بالربض الغربي من قرطبة اعاد
حو في مسجد السيدة الكبرى بقرب داره وله رحمه الله تواليف مفيدة منها كتاب
أحكام القرآن والناسخ والمنسوخ وغير ذلك في الفقه والكلام في الرد على أهل
المذاهب فتممه الله برضوانه وكتب بعض الأدباء إلى القاضي منذر يقول

• مسائلا تجيبك مستفتيا • عنها وأنت العالم المستشار •
• على خمر وجوه الظبا • وأوجه العشاق فيها اصفرار •

فأجاب منذر بقوله

• احمر وجه الظبي إذ لحظه • سيف على العشاق فيه احورار •
• واصفر وجه الصب لما نأى • والشمس تبغي للمغيب اصفرار •

وممن رحل إليه من الأندلس فشهد له بالسبق كل أهل المغرب والمشرق الإمام
المشرق العلامة أبو القاسم الشاطبي صاحب حرز الأماني والعقيلة وغيرهما وهو
أبو القاسم القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي المقرئ الفقيه الحافظ
الضرير أحد العلماء المشهورين والفضلاء المذكورين خطب ببلده شاطبة مع صغر
سنه ودخل الديار المصرية سنة اثنين وسبعين وخمسمائة وحضر عند الحافظ
السلفي وابن بري وغيرهما وولد بشاطبة آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة
وتوفي بالقاهرة يوم الأحد الثامن والعشرين وقيل الثامن عشر من جمادى الآخرة
سنة تسعين وخمسمائة بعد العصر ودفن من الغد بالتربة الفاضلية بسفح
المقطم وحكي أن الأمير موسك الذي كان والد ابن الحاجب حاجبا له بعث إلى الشيخ
الشاطبي يدعوه إلى الحضور عنده فأمر الشيخ بعض أصحابه أن يكتب إليه بقوله

• قل للأمير مقالة • من ناصح فطن نبيه •
• إن الفقيه إذا أتى • أبوابكم لا خير فيه •

ومن نظمه رحمه الله

• خالصت أبناء الزمان فلم أجد • من لم أرم منه ارتيادي مخلصي •
• ردا لشباب وقد مضى لسبيله • أهيا وأمكن من صديق مخلص •

وكان رحمه الله قرأ بشاطبة القراءات وأتقنها على النفزي ثم انتقل إلى بلنسية
فقرأ بها التيسير من حفظه على ابن هذيل وسمع الحديث منه ومن ابن النعمة
وابن سعادة وابن عبد الرحيم وغيرهم وارتحل إلى المشرق فاستوطن القاهرة
واشتهر اسمه وبعد صيته وقصده الطلبة من النواحي وكان إماما علامة ذكيا

كثير

كثير الفنون منقطع القرين رأسا في القراءات حافظا للحديث بصيرا بالعربية
واسع العلم وقد سارت الركبان بقصيدتيه حرز الأماني وعقيلة أتراب القصائد
اللتين في القراءات والرسم وحفظهما خلق لا يحصون وخضع لهما فحول الشعراء
وكبار البلغاء وحذاق القراء ولقد أبدع وأوجز وسهل الصعب وممن روى عنه أبو الحسن
ابن جبير ووصفه من قوة الحفظ بأمر عجب وممن قرأ عليه بالروايات الإمام
السهير محمد بن عمر القرطبي وتصدر الشاطبي رحمه الله للإقراء بالمدرسة الفاضلية
وكان موصوفا بالزهد والعبادة والانقطاع وقبره بالقرافة يزار ويرجى استجابة
الدعاء عنده وقد زرته مرارا ودعوت الله بما أرجو قبوله وترك أولادا منهم أبو
عبد الله محمد عاش نحو ثمانين سنة وقال السبكي في حق الإمام الشاطبي إنه كان قوي
الحافظة واسع المحفوظ كثير الفنون فقيها مقرئا محدثا نحويا زاهدا عابدا ناسكا
يتوقد ذكاء قال السخاوي أقطع بأنه كان مكاشفا وأنه سأل الله كتمان حاله
ما كان أحد يعلم أي شيء هو انتهى من ترجمته واسعة رحمه الله ونفعنا به وقال
ابن خلكان إنه أبدع في حرز الأماني وهي عمدة قراء هذا الزمان في نقلهم فقل من يشتغل
بالقراءات إلا ويقدم حفظها ومعرفتها وهي مشتملة على رموز عجيبة وإشارات لطيفة
وما أظنه سبق إلى أسلوبها وقد روي عنه أنه كان يقول لا يقرأ أحد قصيدتي هذه إلا
وينفعه الله عز وجل لأني نظمتها لله تعالى مخلصا وكان عالما بكتاب الله تعالى قراءة
وتفسيرا وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مبرزا فيه وكان إذا قرئ عليه صحيحا
البخاري ومسلم والموطأ يصحح النسخ من حفظه ويملي على المواضع المحتاج إليها
وكان أوحد في علم النحو واللغة عارفا بتفسير الرؤيا حسن المقاصد مخلصا فيما يقول
ويفعل وكان يجتنب فضول الكلام ولا ينطق في سائر أوقاته إلا بما تدعو إليه ضرورة ولا
يجلس للقراءة إلا على طهارة في هيئة حسنة وتخشع واستكانة وكان يعتل العلة
الشديدة فلا يشتكي ولا يتأوه وإذا سئل عن حاله قال العافية لا يزيد على ذلك
وكان كثيرا ما ينشد هذا اللغز في النعش وهو لأبي زكريا يحيى بن سلامة الخطيب

• أتعرف شيئا في السماء نظيره • إذا سار صاح الناس حيث يسير •
• تلقاه مركوبا وتلقاه راكبا • وكل أمير يعتليه أسير •
• يحض على التقوى ويكره قربه • وتنفر منه النفس وهو نذير •
• ولم يستزر عن رغبة في زيارة • ولكن على رغم المزور يزور •

وكان يقال عند دخوله إلى مصر إنه يحفظ وقر بعير من العلوم وكان نزيل القاضي
الفاضل ورتبه بمدرسته بالقاهرة وقيل إن كنيته أبو محمد حسبما وجد في بعض
إجازاته رحمه الله تعالى ومن الراحلين إلى المشرق من الأندلس الإمام القاضي
أبو بكر بن العربي قال ابن سعيد هو الإمام العالم القاضي الشهير فخر المغرب أبو

بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري قاضي قضاة كورة اشبيلية ذكر الحجاري في المسهب طبق الافاق بفوائده وملا الشام والعراق باوابده وهو اماما في الاصول والفروع وغير ذلك ومن شعره قد ركب مع احد امراء الملثمين وكان ذلك الامير صغيرا فهز عليه رمحا كان في يده مداعبا **فقال**

يهز علي الرمح ظبي مهفهف • لعوب بالباب البرية عابث
ولو انه رمح اذا لاتقيته • ولكنه رمح وثان وثالث

وقوله وقد دخل عليه غلام جميل الصورة في لباس خشن

لبس الصوف لكي انكره • واتانا شاحبا قد عبسا
قلت ايه قد عرفناك وذا • جل سوء لا يعيب الفرسا
كل شيء انت فيه حسن • لا يبالي حسن ما لبسا

وزعم بعض ان الابيات ليست له وانما تمثل بها فالله اعلم وممن عرف بابن العربي وذكره ابن الامام في سمط الجمان والشقندي في الطرف وكان قد صحب المهدي محمد بن تومرت بالمشرق فاوصى عليه عبد المؤمن وكان مكرما عنده **وحكى** انه كتب كتابا فاشار اليه بعض من حضر ان يذر عليه نشارة فقال قف ثم فكر ساعة

وقال اكتب

لا تشنه بما تذر عليه • فكفاه هبوب هذا الهواء
فكان الذي تذر عليه • جدري بوجنة حسناء

ولقي ابا بكر الطرطوشي وما برح معظما الى ان تولى خطة القضاء ووافق ذلك ان احتاج سور اشبيلية الى بنيان جهة منه ولم يكن فيها مال متوفر ففرض على الناس جلود ضحاياهم وكان ذلك في عيد اضحى فاحضروها كارهين ثم اجتمعت العامة العمياء وثارت عليه ونهبوا داره وخرج الى قرطبة وكان في احد ايام الجمع قاعدا ينتظر الصلاة فاذا بغلام رومي وضي قد جاء يخترق الصفوف بشمعة في يده وكتاب معلق **فقال**

وشمعة تحملها شمعة • يكاد يخفي نورها نارها
لولا نهى نفسي نهتني عنها • لقبلته واتت عارها

ولما سمعهما ابو عمران الزاهد قال انه لم يكن يفعل ولكنه هزته اريحية الادب ولو كنت انا لقلت

لولا الحياء وخوف الله يمنعني • وان يقال صبا موسى على كبره
اذا لمتعت لحظي في نواظره • حتى اوفي جفوني الحق من نظره

رجع الى اخبار ابن العربي فنقول انه سمع بالاندلس اباه وخاله ابا القاسم الحسن الهوزني وابا عبد الله السرقسطي وببجاية ابا عبد الله الكلاعي وبالمهدية

ابا الحسن بن الحداد الخولاني وسمع بالاسكندرية من ابي الحسن الانماطي وبمصر من ابي الحسن الخلعي وغيره وبدمشق غير واحد كابي الفتح نصر المقدسي وبمكة ابا عبد الله الحسين الطبري وابن طلحة وابن بندار وقرا الادب على التبريزي وعمل رحمه الله على مدينة اشبيلية سورا بالحجارة والاجر بالنورة من ماله وكان كما في الصلة حريصا على اداء ما يسره نافذ الذهن في تمييز الصواب فيها وجمع الى ذلك كله اداب الاخلاق مع حسن العشرة ولين الكنف وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود وذكره ابن بشكوال في الصلة وقال فيه الامام الحافظ ختام علماء الاندلس رحل الى المشرق مع ابيه مستهل ربيع الاول ٤٨٥هـ ودخل الشام والعراق وبغداد وسمع بها من كبار العلماء ثم حج في سنة تسع وثمانين واربعمائة وعاد الى بغداد ثم صدر منها وقال ابن عساكر خرج من دمشق راجعا الى المغرب ٤٩١هـ ولما غرب صنف عارضة الاحوذي ولقي بمصر والاسكندرية جملة من العلماء ثم عاد الى الاندلس ٤٩٣هـ وقدم اشبيلية بعلم كثير وكان موصوفا بالفضل والكمال وولي القضاء باشبيلية ثم صرف عنه ومولده ليلة يوم الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين واربعمائة وتوفي بمقبرة بعقوبة من مدينة فاس ودفن بفاس في ربيع الاخر سنة ثلاث واربعين وخمسمائة انتهى كلام ابن سعيد وغيره ملخصا وما وفى ابن سعيد حافظ الاسلام ابا بكر بن العربي حقه فلنعززه بما حضرنا من التعريف به فنقول انه لقي ببغداد الشاشي ابا بكر والامام ابا حامد الطوسي الغزالي ونقل عنه انه قال لكل من رحل لم يات بمثل ما اتيت به من العلم الا الباجي وكلاما هذا معناه وكان من اهل التفنن في العلوم متقدما في المعارف كلها متكلما على انواعها حريصا على نشرها وقام بامر القضاء احمد قيام مع الصرامة في الحق والقوة والشدة على الظالمين والرفق بالمساكين وقد روي عنه انه امر بثقب اشداق زامر ثم صرف عن القضاء واقبل على نشر العلم وبثه وقرا عليه الحافظ ابن بشكوال باشبيلية وقال لي ابن الابار ان الامام الزاهد العابد ابا عبد الله بن مجاهد الاشبيلي لازم القاضي ابن العربي نحوا من ثلاثة ثم تخلف عنه فقيل له في ذلك فقال كان يدرس وبغلته عند الباب ينتظر الركوب الى السلطان انتهى وذكره ابن الزبير في صلته وقال انه رحل مع ابيه ابي محمد عند انقراض الدولة العبادية سنة نحو سبعة عشر عاما الى ان قال وقيد الحديث وضبط ما روى واتسع في الرواية واتقن مسائل الخلاف والاصول والكلام على ائمة هذا الشان ومات ابوه بالاسكندرية اول سنة ثلاث وتسعين فانصرف حينئذ الى اشبيلية فسكنها وشوور بها وسمع ودرس الفقه والاصول وجلس للوعظ والتفسير وصنف في غير فن تصانيف مليحة حسنة مفيدة وولي القضاء مدة اولها في رجب من سنة ثمان وعشرين فنفع الله به لصرامته ونفوذ احكامه والتزم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى اودي في ذلك بذهاب

كتبه وما له فاحسن الصبر على ذلك كله ثم صرف عن القضى واقبل على نشر العلم وبثه
وكان فصيحا حافظا اديبا شاعرا كثير الملح مليح المجلس ثم قال القاضي عياض
بعد ان وصفه بما ذكرته ولكثرة حديثه واخباره وغريب حكاياته ورواياته اكثر الناس
فيه الكلام وطعنوا في حديثه وتوفي منصرفه من مراكش من الوجهة التي توجه فيها مع اهل
بلده الى الحضرة بعد دخول الموحدين مدينة اشبيلية فحبسوا بمراكش نحو عام ثم سرحوا
فادركته منيته وروى عنه خلق كثير منهم القاضي عياض وابو جعفر بن الباذش وجماعة
انتهى ملخصا ووقع في عبارة ابن الزبير تبعا لجماعة انه دفن خارج باب الجيسة بفاس
والصواب خارج باب المحروق كما اشبعت الكلام على ذلك في ازهار الرياض وقد زرته مرارا
وقبره هنالك مقصود للزيارة خارج القصبة وقد صح بذلك القصبة وصلى عليه
صاحبه ابو الحكم بن حجاج رحمه الله ومن بديع نظمه

• انتني تؤنبني بالبكا • فاهلا بها وبتانيبها •
• تقول وفي نفسها حسرة • اتبكي بعين تراني بها •
• فقلت اذا استحسنت غيركم • امرت جفوني بتعذيبها •

وقال رحمه الله دخلت على الاديب ابن صارة وبين يديه رغلام رماد فقلت له قل
في هذا فقال

• شابت نواصي النار بعد سوادها • وتسترت عنا بثوب رماد •

ثم قال لي اجز

• شابت كما شبنا وزال شبابنا • فكانما كنا على ميعاد •

وقد اختلف حذاق الادبا في قوله ولكنه رجح وثان وثالث مما هو الثاني والثالث فقيل
الغذو والنحط وقيل غير ذلك ولما ذكر رحمه الله في كتابه قانون التاويل ركوبه البحر في
رحلته من افريقية قال وقد سبق في علم الله ان يعظم علينا البحر بزوله ويغرقنا في هوله
فخرجنا من البحر خروج الميت من القبر وانتهينا بعد خطب طويل الى بيوت بني كعب
ابن سليم ونحن من السغب على عطب ومن العري في ابنج زي وقد قذف البحر زقاق زيت
مزقت الحجارة ميئتها ودسمنا الادمان وبرها وجلدها فاحتزمنا ازرا
لفافا تمججنا الابصار وتخذلنا الانصار فعطف اميرهم علينا فاوينا اليه فآوانا
واطعمنا الله على يديه وسقانا واكرم مثوانا وكسانا بامر حقير ضعيف وفن من العلم
طريف وشرحه انا لما وقفنا على بابه الفيناه يدير اعواد الشاه فعل الشامد اللاه
فدنوت منه في تلك الاطمار وسمح لي بياذقته اذ كنت من الصغر في حد يسمح فيه للاغمار
ووقفت بازائهم انظر الى تصرفهم من ورائهم اذ كان عندي بنفسي بعض ذلك من بعض
الفراسة في خلسو النظا لم يمنع عليه الصبوة والجهالة فقلت للبياذقة الامير اعلم من
صاحبه فلمحوني شزرا وعظمت في اعينهم بعد ان كنت نزرا وتقدم الى الامير من نقل

اليه الكلام فاستدناني فدنوت منه وسالني هل لي بما هم بصر فقلت لي فيه بعض نظر
سيبدو لك وبظهر حرك تلك القطعة ففعل وعارضه صاحبه فامرته ان يحرك
اخرى وما زالت الحركات بينهم كذلك تترى حتى هزمهم الامير وانقطع التدبير فقالوا
ما انت بصغير وكانوا في اثناء تلك الحركات قد ترنم ابن عم الامير منشدا

• واخلى الهوى ما شك في الوصل ربه • وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي •

فقال لعن الله ابا الطيب او يشك الرب فقلت له في الحال ليس كما اظن صاحبك
ايها الامير انما اراد بالرب هاهنا الصاحب يقول الذ الهوى ما كان المحب فيه من
الوصال وبلوغ الغرض منه الامال على ريب فهو في وقته كله على رجاء لما يؤمله وتقاة لما
يقطع به كما قال

• اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى • فاين حلاوات الرسائل والكتب •

واخذنا نضيف الى ذلك من الاغراض في طرفي الابرام والانتقاض ما حرك منهم الى جهتي
داعي الانتهاض واقبلوا يتعجبون مني ويسالونني كم سني ويستكشفونني عني فبقرت
لهم حديثي وذكرت لهم نجيثي واعلمت الامير بان ابي معي فاستدعاه وقمنا الثلاثة
الى مثواه فخلع علينا خلعه واسبل علينا ادمعه وجاء كل خوان بافنان الالوان
قال فحق المبالغة في وصف ما نالهم من اكرامه فانظر الى هذا العلم الذي هو الى الجهل
اقرب مع تلك الصبابة اليسيرة من الادب كيف انقذا من العطب وهذا الذي ذكرته
ان غفلتم الى المطلب وسرنا حتى انتهينا الى ديار مصر انتهى مختصرا والزول العجيب
وحبث الخبر ما ظهر من قبيحه بقا ابدا بحيث القوم اذا ظهر سرهم الذي كانوا يخفونه
قاله الجوهري وذكر رحمه الله في رحلته عجايب منها انه حكى دخوله بعض بيوت
بعض الاكابر انه راى فيه النهر جاريا الى موضع جلوسهم ثم يعود من ناحية اخرى فلم افهم
معنى ذلك حتى جاءت موايد الطعام في النهر المقبل الينا فاخذها الخدم ووضعوها
بين يدينا فلما فرغنا القى الخدم الاواني وما معها في النهر الراجع فذهب بها الماء
الى ناحية الحريم من غير ان يقرب الخدم تلك الناحية فعلمت السر وان هذا العجب انتهى
بمعناه وقال في قانون التاويل ورد علينا دانشمند يعني الغزالي فنزل برباط
ابي سعيد بازاء المدرسة النظامية معرضا عن الدنيا مقبلا على الله تعالى فمشينا
اليه وعرضنا امنيتنا عليه وقلت له انت ضالتنا التي كنا ننشد وامامنا
الذي به نسترشد فلقينا لقاء المعرفة وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة وتحققنا
ان الذي نقل الينا من ان الخبر على الغايب فوق المشاهدة ليس على العموم ولو رآه
علي بن العباس لما قال

• اذا ما مدحت امرا غايبا • فلا تغل في مدحه واقصد •
• فانك ان تغل تغل الظنون • فيه الى الامد الابعد •

فيصغر من حيث عظمته ... لفضل المغيب على المشهد

انتهى

وكنت نقلت من المطمح في حقه ما صورته علم الاعلام الطاهر الاثواب الباهر الالباب الذي انسى ذكا اياس وترك التقليد للقياس وانتج الفرع من الاصل وغدا في الاسلام امضى من النصل سقى الله به الاندلس بعدما اجدبت من المعارف ومد عليها منه الظل الوارف وكساها رونق نبله وسقاها ريق وبله وكان ابوه ابو محمد باشبيلية بدرا في فلكها وصدرا في مجلس ملكها واصطفاه معتمد بني عباد اصطفاء المامون لابن ابي دواد وولاه الولايات الشريفة وبواه المراتب المنيفة فلما اقفرت حمص من ملكهم وخلت والقتهم منها وتخلت رحل به الى المشرق وحل به محل الخايف الفرق فجال في اكنافه واجال القداح الرجا في استقبال الغنى واستيناقه فلم يستعد ذاهبا ولم يجد كمعتمد باذلا له وواهبا فعاد الى الرواية والسماع وما استفاد من تلك الاطماع وابو بكر اذ ذاك في ثرى الذكا قضيب ما دوح وفي روض الشباب زهر ما صوح فالزمه مجالس العلم رايحا وغاديا ولازمه سايقا اليها وحاديا حتى استقرت به مجالسه واطردت به مقاييسه فجد في طلبه واستجد به ابوه متمزق اربه ثم ادركه حمامه ووارته هناك رجامه وبقي ابو بكر متفردا وللطلب متجردا حتى اصبح في العلم وحيدا ولم تجد عنه رياسة محيدا فكر الى الاندلس فحلها والنفوس اليه متطلعة ولانبايه مستمعة فناهيك من حظوة لقي ومن عزة سقي ومن رفعة سما اليها ورقي وحسبك من مفاخر قلدها ومحاسن اثبتها فيها وخلدها وقد اثبت من بديع نظمه ما يهز اعطافا ويرده الافهام نطافا فمن ذلك قوله يتشوق الى بغداد ويخاطب فيها اهل الوداد

امنك سرى والليل يخدع بالفجر ... خيال حبيب قد حوى قصب الفخر

جلا ظلم الظلما مشرق نوره ... ولم يخبط الظلماء بالانجم الزهر

ولم يرض بالارض البسيطة مسحبا ... فسار على الجوزاء الى فلك يجري

وحث مطايا قد مطاها بعزة ... فاوطاها قسرا على قنة النسر

فصارت ثقالا بالجلالة فوقها ... وسارت عجالا تتقي الم الزجر

وجرت على ذيل المجرة ذيلها ... فمن ثم يبدو ما هناك لمن يسري

ومرت على الجوزا توضع فوقها ... فآثار ما مرت به كلف البدر

وساقت اريج الخلد من جنة العلى ... فدع عنك ريا المسك بالعنبر يستدر

فما حذرت قيسا ولا خيل عامر ... ولا اضمرت خوفا لقاء بني ضمر

سقى الله مصرا والعراق واهلها ... وبغداد والشامين منهمل القطر

انتهى من تاليف الحافظ ابي بكر بن العربي المذكور كتاب القبس في شرح موطا مالك ابن انس وكتاب ترتيب المسالك في شرح موطا مالك وكتاب انوار الفجر وكتاب

احكام

احكام القرآن وكتاب عارضة الاحوذي في شرح الترمذي والاحوذي بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح الواو وكسر الذال المعجمة واخره ياء مشددة وكتاب مراقي الزلف وكتاب الخلافيات وكتاب نواهي الدواهي وكتاب سراج المريدين وكتاب المشكلين مشكل القران والسنة وكتاب الناسخ والمنسوخ في القران وكتاب قانون التاويل وكتاب النيرين وكتاب سراج المهتدين وكتاب الامد الاقصى باسما الله الحسنى وصفاته العلى وكتاب في الكلام على مشكل حديث السبحات والحجاب وكتاب العقد الاكبر للقلب الاصغر وتبيين الصحيح في تعيين الذبيح وتفصيل التفضيل بين التحميد والتهليل ورسالة الكافي في ان لا دليل على النافي وكتاب السباعيات وكتاب المسلسلات وكتاب المتوسط في معرفة صحة الاعتقاد والرد على من خالف اهل السنة من ذوي البدع والالحاد وكتاب شرح غريب الرسالة وكتاب الانصاف في مسايل الخلاف عشرون مجلدا وكتاب حديث الافك وكتاب شرح حديث جابر في الشفاعة وكتاب شرح حديث ام زرع وكتاب ستر العورة وكتاب المحصول في علم الاصول وكتاب اعيان الاعيان وكتاب ملجاة المتفقهين الى معرفة غوامض النحويين وكتاب ترتيب الرحلة وفيه من الفوايد ما لا يوصف ومن فوايد مولانا القاضي ابي بكر العربي رحمه الله قوله قال علماء الحديث ما من رجل يطلب الحديث الا كان على وجهه نضرة لقول النبي صلى الله عليه وسلم نضر الله امرا سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها الحديث قال وهذا دعاء منه عليه السلام لحملة علمه ولا بد بفضل الله من نيل بركته انتهى والى هذه النضرة اشار ابو العباس العزفي بقوله

اهل الحديث عصابة الحق ... فازوا بدعوة سيد الخلق

فوجوههم زهر منضرة ... لالاوها كتالق البرق

يا ليتني معهم فيدركني ... ما ادركوه بها من السبق

انتهى

ولا باس ان نذكر هنا بعض فوايد الحافظ ابي بكر العربي رحمه الله فمنها قوله في تصريف المحصنات يقال احصن الرجل فهو محصن بفتح الصاد في اسم الفاعل واسهب في الكلام فهو مسهب اذا اطال البحث فيه والفج فهو ملفج اذا كان عديما لا رابع لها والله اعلم انتهى ومنها قوله سمعت الشيخ ابا بكر الشاشي وهو ينتصر لمذهب ابي حنيفة في مجلس النظر يقول يقال في اللغة العربية لا تقرب كذا بفتح الراء اي لا تلتبس بالفعل واذا كان بضم الراء كان معناه لا تدن من الموضع وهذا الذي قاله صحيح مسموع انتهى ومنها شاهدت المايدة بطور زيتا مرارا واكلت عليها ليلا ونهارا وذكرت الله سبحانه وتعالى فيها سرا وجهارا وكان ارتفاعها اشفى من القامة بنحو الشبر وكان لها درجتان قبليا وجنوبيا وكانت صخرة صلدا لا تؤثر فيها المعاول وكان الناس يقولون مسخت صخرة اذ مسخ اربابها قردة وخنازير

والذي عندي انهما كانت صخرة في الاصل فقطعت من الارض محلا للمائدة النازلة من
السماء وكل ما حولها حجارة مثلها وكانت ما حولها محفوفة بقصور وقد نحتت
في ذلك الحجر الصلد بيوت ابوابها منها ومجالسها منها مقطوعة فيها وحنايا ها
في جوانبها وبيوت خدمتها قد صورت من الحجر كما تصور من الطين والخشب فاذا دخلت
في قصر من قصورها ورددت الباب وجعلت من ورائه صخرة مثل درهم لم يفتحه اهل
الارض للصوقه بالارض واذا هبت الريح وحثت تحته التراب لم يفتح الا بعد صب
الماء تحته والاكثار منه حتى يسيل بالتراب وينفرج منفرج الباب وقد يا زهيا
قدم بهذه العلة وقد كنت اخلو فيها كثيرا للدرس ولكني كنت في كل حين اكنس
حول الباب مخافة مما جرى لغيري فيها وقد شرحنا امرها في كتاب ترتيب الرحلة باكثر
من هذا انتهى ومنها قوله رحمه الله تذاكرت بالمسجد الاقصى مع شيخنا ابي بكر
الفهري الطرطوشي حديث ابي ثعلبة المرفوع ان من ورائكم اياما للعامل فيها اجر
خمسين منكم فقالوا بل منهم فقال بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا وهم لا يجدون
عليه اعوانا وتفاوضنا كيف يكون اجر من يأتي من الامة اضعاف اجر الصحابة مع انهم
اسسوا الاسلام وعضدوا الدين واقاموا المنار وافتتحوا الامصار وحموا
البيضة ومهدوا الملة وقد قال صلى الله عليه وسلم في الصحيح لو انفق احدكم كل
يوم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه فتراجعنا القول وتحصل ما اوضحنا
في شرح الصحيح وخلاصته ان الصحابة كانت لهم اعمال كثيرة لا يلحقهم فيها احد
ولا يدانيهم فيها بشر واعمال سواها من فروع الدين يساويهم فيها في الاجر من اخلص
اخلاصهم وخلصها من شوائب البدع والريا بعدهم والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر باب عظيم هو ابتداء الدين والاسلام وهو ايضا ابتداء انتهاؤه وقد كان
قليلا في الاسلام صعب المرام لغلبة الكفار على الحق وفي اخر الزمان ايضا يعود
كذلك لوعد الصادق صلى الله عليه وسلم بفساد الزمان وظهور الفتن وغلبة
الباطل واستيلاء التبديل والتغيير على الحق من الخلق وركوب من ياتي سنن من مضى
من اهل الكتاب كما قال صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا
فلا بد والله اعلم بحكم هذا الوعد الصادق ان يرجع الاسلام الى واحد كما بدا من واحد
ويضعف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى اذا قام به قايم مع احتوائه بالمخاوف
وباع نفسه من الله تعالى في الدعا اليه كان له من الاجر اضعاف ما كان لمن كان متمكنا
منه معانا عليه بكثرة الدعاة الى الله تعالى وذلك قوله لانكم تجدون على الخير
اعوانا وهم لا يجدون عليه اعوانا حتى ينقطع ذلك انقطاعا باتا لضعف
اليقين وقلة الدين كما قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض
الله الله يروى بفتح الهاء وبضمها والرفع على معنى لا يبقى موحد يذكر الله عز وجل

والنصب

والنصب على معنى لا يبقى آمر بمعروف ولا ناه عن منكر يقول اخاف الله وحينئذ يتمنى
العاقل الموت كما قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول
يا ليتني كنت مكانه انتهى وانشد رحمه الله لبعض الصوفية

• امتحن الله بذا خلقه • فالنار والجنة في قبضته •
• فهجره اعظم من ناره • ووصله اطيب من جنته •

ومن فوايده ابن العربي رحمه الله انه قال كنت بمجلس الوزير العادل ابي منصور
ابن جهير على رتبة بيناها في كتاب الرحلة للترغيب في الملة فقرا القاري تحيتهم يوم
يلقونه سلام وكنت في الصف الثاني من الحلقة بظهر ابي الوفا بن عقيل امام الحنبلية
بمدينة السلام وكان معتزلي الاصول فلما سمعت الاية قلت لصاحب لي كان يجلس
على يساري هذه الاية دليل على رؤية الله في الاخرة فان العرب لا تقول لقيت فلانا الا
اذا رايته فصرف وجهه ابو الوفا مسرعا الينا وقال ينتصر لمذهب الاعتزال في ان الله
لا يرى في الاخرة فقد قال فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه فيحتمل هو ضمير يلقونه
ان يعود الى ضمير الفاعل في اعقبهم المقدر بقولنا هو ويحتمل ان يعود الى النفاق مجازا
على تقدير الجزا انتهى ومنها ما نقله عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يقل احدكم
انصرفنا من الصلاة فان قوما قيل فيهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقد انا محمد بن عبد
الملك القيسي الواعظ انا ابو الفضل الجوهري سماعا منه كنا في جنازة فقال المنذر
بها انصرفوا رحمكم الله فقال لا يقل احدكم انصرفوا فان الله تعالى قال في قوم ذمهم
فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء انتهى ومنها وقد ذكر الخلاف في
شاهد يوسف ما صورته فاذا قلنا انه القميص وكان يصح من جهة اللغة ان يخبر عن
حاله بتقدم مقاله فان لسان الحال ابلغ من لسان المقال في بعض الامور وقد تضيف
العرب الكلام الى الجمادات بما تخبر عنه بما عليها من الصفات ومن احلاه قول بعضهم
قال الحائط للوتد لم تشقني قال سل من يدقني ما يتركني ورائي هذا الذي ورائي ولكن
قوله تعالى بعد ذلك من اهلها في صفة الشاهد يبطل ان يكون القميص واما من
قال انه ابن عمها او رجل من اصحاب العزيز فانه يحتمل لكن قوله من اهلها يعطي اختصاصا
من جهة القرابة انتهى ومنها قوله انه كان يقعد ببغداد السلام امام من الصوفية
واي امام يعرف بابن عطا فتكلم يوما على يوسف واخباره حتى ذكر تبريه مما نسب
اليه من مكروه فقام رجل من اخر مجلسه وهو مشحون بالخليقة من كل طايفة فقال
يا شيخ يا سيد فاذن يوسف هم وما تم فقال نعم لان العناية من ثم فانظروا الى
حلاوة العالم والمتعلم وفطنة العالم في قول له والعالم في اختصاره واستيفا
ولذا قال علماونا الصوفية ان فايدة قوله تعالى ولما بلغ اشده اتيناه حكما
وعلما ان الله اعطاه العلم والحكمة ايام غلبة الشهوة ليكون له سببا للعصمة

انتهى ومنها قوله كنت بمكة مقيما في ذي الحجة سنة ٦١٤ وكنت اشرب ماء
زمزم كثيرا وكلما شربته نويت به العلم والايمان ففتح الله لي ببركته في المقدار
الذي تيسره لي من العلم ونسيت ان اشربه للعمل واسال الله الحفظ والتوفيق
برحمته ومنها قوله سمعت امام الحنابلة بمدينة السلام ابا الوفا علي بن عقيل
يقول انما تبع الولد الام في المالية وصار بحكمها في الرق والحرية لانه انفصل عن
الاب نطفة لا قيمة له ولا مالية فيه ولا منفعة مبثوثة عليه وانما اكتسب
ما اكتسب بها ومنها فلذلك تبعها كما لو اكل رجل تمرا في ارض رجل وسقطت
منه نواه في الارض من يد الاكل فصارت نخلة فانها يملك صاحب الارض دون
الاكل باجماع من الامة لانها انفصلت عن الاكل ولا قيمة لها ومهذه من البدايع
انتهى ومنها قوله ومن نوادر ابي الفضل الجوهري ما اخبرنا عنه محمد بن عبد
الملك الواعظ وغيره انه كان يقول اذا امسكت علاقة الميزان بالابهام والسبابة
وارتفعت ساير الاصابع كان شكلها مقروا بقولك الله فكانها اشارة منه سبحانه
وتعالى في تيسير الوزن كذلك الى انه سبحانه مطلع عليك فاعدل في وزنك انتهى
ومنها قوله كان ابن الكازروني ياوي الى المسجد الاقصى ثم تمتعنا به ثلاث سنوات
ولقد كان يقرا في مهد عيسى عليه السلام فيستمع من الطور فلا يقدر احد ان يصنع
شيئا دون قراته الا الاصغا اليه انتهى ومنها قوله في تفسير قوله تعالى في ايام
نحسات قيل انها كانت اخر شوال من الاربعا الى الاربعا والناس يكرهون السفر
يوم الاربعا لاجل هذه الرواية حتى اني لقيت يوما مع خالي الحسن بن ابي حفص
من الكتاب فودعنا بنية السفر فلما فارقنا قال لي خالي انك لا تراه ابدا لانه سافر
في يوم اربعا لا يتكرر وكذا كان مات في سفره وهذا مما لا اراه ان يوم الاربعا يوم
عجيب بما جاء في الحديث من الخلق فيه والترتيب فان الحديث ثابت بان الله خلق
يوم السبت التربة ويوم الاحد الجبال ويوم الاثنين الشجر ويوم الثلاثا المكروه
ويوم الاربعا النور وروي النون وفي غريب الحديث انه خلق يوم الاربعا التقن وهو
كل شي تتقن به الاشيا يعني المعادن من الذهب والفضة والنحاس والحديد
والرصاص فاليوم الذي خلق فيه المكروه لا يعافه الناس واليوم الذي خلق فيه
النور او التقن يعافونه ان هذا لهو الجهل المبين وفي المغازي ان النبي صلى
الله عليه وسلم دعا على الاحزاب من يوم الاثنين الى يوم الاربعا بين الظهر والعصر
فاستجيب له وهي ساعة فاضلة فالاثار الصحاح تدل على فضل هذا اليوم فكيف
يدعي فيه التحذير والنحس باحاديث لا اصل لها وقد صور قوم ايام من الاشهر
الشمسية ادعوا فيها الكراهية لا يحل لمسلم ان ينظر اليها ولا يشتغل بالاتها
والله حسيبهم انتهى ومنها وكان يقرا مغنا رباط ابي سعيد على الامام ذا تشمند

من بلاد

من بلاد المغرب خشي ان يشير له الجنة وله تدبيات وعنده جارية تربيك اعلم به وموضع طول
الصحبة عقلني الحيا عن سواله ويود في اليوم لو كاشفته عن حاله انتهى ومن شعر ابن
العربي مما نسبه له الشيخ ابو حيان قوله

• ليت شعري هل دروا • اي قلب ملكوا •
• وفوادي لو درى • اي شعب سلكوا •
• هل تراهم سلموا • او تراهم هلكوا •
• حار ارباب الهوى • في الهوى وارتبكوا •

ومن نوابغه اخبر في المهرة من النحرة بادعو يا بل انه من كتب اخرايه من كل سورة
ويعلمها لم يبلغ البه سحرنا قال هكذا قالوا والله اعلم بما نقلوه وقال رحمه الله حفظت
القران ابن تسع سنين ثم ثلاث لضبط القرات والعربية والحساب فبلغت
ست عشرة وقد قرات من الاحرف نحوا من عشرة بما يتبعها من اظهار وادغام ونحوه وتمرنت
في العربية والشعر واللغة ثم رحل بي ابي الى المشرق ثم ذكر تمام رحلته رحمه الله ومنهم
ابو بكر محمد بن ابي عامر بن حجاج الغافقي الاشبيلي ومن نظمه بالمدينة المشرفة على ساكنها
الصلاة والسلام

• لم يبق لي سول ولا مطلب • مذ صرت جارا للحبيب الحبيب •
• لا ابتغي شيا سوى قربه • وها انا منه قريب قريب •
• من غاب عن حضرة محبوبه • فلست عن طيبة ممن يغيب •
• لا يسال المغبوط عن حاله • جار كريم ومحل خصيب •
• العيش والموت مناطيبه • بطيبة كل شي له طيب •

وممن روى عنه هذه الابيات من الاشراف الفاضل ومنهم الشيخ الاديب البارع
جمال الدين ابو عبد الله محمد بن الفقيه الخطيب ابو الحسن محمد بن عبد الله محمد بن عيسى
ابن محمد بن علي بن زيتون الانصاري المالقي من اشياخ ابي حيان ولقيه ببلبيس من ديار مصر
قال وانشدني لشيخه ابي عبد الله الاستجي من قصيدة

• ما للنسيم على الاصيل عليلا • اتراه يشكو لوعة وغليلا •
• جر الذيول على ديار احبتي • فاتى يجر من السقام ذيولا •

وانشد رحمه الله رضوان المخزومي

• ان كنت يوسف حسنا • وكنت عبد العزيز •
• فان يوسف من قبل • كان عبد العزيز •

واخذ ابن زيتون المذكور عن ابي عبد الله بن صالح وقرا السبعة على ابي جعفر اللخام
وابي زيد العماري وعلى ابي جعفر السهيلي وولد ابن زيتون سنة ٦٠٧ بمالقة ومن
نوابغه نفح المسك الاذفر في مدح المنصور بن المظفر وازهار الخميلة في الاثار

الجميلة واستطلاع التبشير ومحض اليقين وروض المتقين ومنهم زياد بن
عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف بشبطون يكنى أبا عبد الله كان فقيه الأندلس على
مذهب مالك وهو أول من أدخل مذهب مالك الأندلس وكانوا قبله يتفقهون على مذهب
الأوزاعي وأراده الأمير هشام على القضاء بقرطبة وعزم عليه فهرب فقال هشام
ليت الناس كلهم كزياد حتى أكفى أهل الرغبة في الدنيا وأرسل إلى زياد حتى أمنه فعاد
إلى داره ويحكى أنه لما أراده للقضاء كلمه الوزراء في ذلك عن الأمير وعرفوه عزمه
عليه فقال لهم أما أنا فلو أكرهتموني على القضاء لفررت فلا ناظر لو قتلتموني لئن أتاني
مدع في شيء مما في أيديكم لأخرجنه منه ثم أجعلكم مدعين فلما سمعوا ذلك علموا صدقه
فتكلموا عند الأمير في معافاته سمع من مالك الموطأ ويعرف سماعه بسماع زياد
وسمع من معاوية بن صالح وكانت ابنة معاوية تحته وروى يحيى بن يحيى الليثي
عن زياد هذا الموطأ قبل أن يرحل إلى مالك ثم رحل فأدرك مالكا فرواه عنه
إلا أبوابا في كتاب الاعتكاف شك في سماعها من مالك فأبقى روايته فيها عن زياد
عن مالك وتوفي في ٢٠٤ وقيل سنة ١٩٣ وقيل في التي بعدها وقيل ١٩٩ ه
والأول أولى بالقبول والله أعلم ورحل في ذلك العصر جماعة من أنظار شبطون كقرعوس
ابن العباس وعيسى بن دينار وسعيد بن أبي هند وغيرهم ممن رحل إلى الحج أيام هشام
ابن عبد الرحمن والد الحكم فلما رجعوا وصفوا من فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره
ما عظم به صيته بالأندلس فانتشر يومئذ رأيه وعلمه بالأندلس وكان رائد الجماعة
في ذلك شبطون وهو أول من أدخل موطأ مالك إلى الأندلس مكملا متقنا فأخذه عنه
يحيى بن يحيى كما مر وهو إذ ذاك حدث في طلب الفقه فأشار عليه زياد بالرحيل إلى
مالك ما دام حيا فرحل سريعا وأخذ يحيى عن زياد هذا كتاب العشرة المنسوب
إلى يحيى ولقي أيضا عبد الله بن وهب صاحب مالك وسمع منه موطأه ولقي أيضا
عبد الله بن نافع المدني صاحب مالك وسمع منه ومن الليث بن سعد فقيه مصر
ومن سفيان بن عيينة بمكة وقدم يحيى الأندلس أيام الحكم فانتشر به وبزياد وعيسى بن
دينار علم مالك بالأندلس رضي الله عن الجميع وقد قدمنا الحديث الذي رواه زياد
ابن عبد الرحمن عن مالك فليراجع في الباب الثالث ومنهم سوار بن طارق مولى
عبد الرحمن بن معاوية قرطبي رحل ودخل البصرة ولقي الأصمعي ونظراءه وانصرف إلى الأندلس
وأدب الحكم وهو ولي عهد ومن ولده محمد بن عبد الله بن سوار رحل أيضا ولقي أبا حاتم بالبصرة و
الرياشي وغيرهما وأدخل الأندلس علما كثيرا رحم الله الجميع ومنهم بقي بن
مخلد الشهير الذكر صاحب التآليف التي لم يؤلف مثلها في الإسلام ولقي مائتين وأربعة
وثمانين شيخا وكانت له خاصة من الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وسيأتي في جملة ما يتعلق
ببقي بن مخلد في رسالة ابن حزم في الباب السابع وبقي على وزن علي رحمه الله ورضي عنه

وقد عرف

وقد عرف بقي بن مخلد غير واحد من العلماء كصاحب النبراس وغيره ومنهم قاسم
ابن أصبغ بن محمد بن يوسف أبو محمد البياني من بيانة من أعمال قرطبة وأصل سلفه من موالي
الوليد بن عبد الملك وسمع المذكور بقرطبة من بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح ومطرف بن
قيس وأصبغ بن خليل وابن مسرة وغير واحد ورحل إلى المشرق مع محمد بن عبد الملك
ابن أيمن ومحمد بن زكريا بن عبد الأعلى عام ٢٧٤ فسمع بمكة من محمد بن إسماعيل الصائغ وعلي بن
عبد العزيز ودخل العراق فلقي من أهل الكوفة إبراهيم بن أبي العنبس قاضيها وإبراهيم
ابن عبد الله القصار وسمع ببغداد من القاضي إسماعيل وأحمد بن زهير بن حرب وعبد الله
بن الإمام أحمد بن حنبل والحارث بن أبي أسامة وكتب عن ابن أبي خيثمة تاريخه
وسمع من ابن قتيبة كثيرا من كتبه وسمع من المبرد وثعلب وابن الجهم في آخرين و
سمع بمصر من محمد بن عبد الله العمري ومطلب بن شعيب وغيرهما وسمع بالقيروان من
أحمد بن يزيد المعلم وبكر بن حماد التاهرتي الشاعر وانصرف إلى الأندلس بعلم كثير فمال
الناس إليه في تاريخ أحمد بن زهير وكتب ابن قتيبة وأخذوا ذلك عنه دون صاحبيه
ابن أيمن وابن عبد الأعلى وكان بصيرا بالحديث والرجال نبيلا في النحو والعربية والشعر
وكان يشاور في الأحكام وصنف على كتب السنن لأبي داود كتابا في الحديث وسببه أنه
لما قدم العراق سنة ست وسبعين ومائتين مع صاحبه محمد بن أيمن فوجدا أبا داود
قد مات قبل وصولهما فلما فاتهما عمل كل واحد منهما مصنفا في السنن على أبواب كتاب
أبي داود وخرجا الحديث فيه من روايتهما عن شيوخهما وهما مصنفان جليلان ثم اختصر
قاسم بن أصبغ كتابه وسماه المجتنى بالنون وابتدأ اختصاره في المحرم ٣٢٤ وجعله
باسم الحكم المستنصر وفيه من الحديث المسند ألفان وأربعمائة وتسعون حديثا في
سبعة أجزاء ومولده يوم الاثنين عاشر ذي الحجة سنة سبع وأربعين ومائتين رحمه
الله وحكى القرطبي في تفسيره عند قوله تعالى قالوا لا علم لنا إلا ما علمتنا إذ قال
ابن أصبغ فلما رحلت إلى المشرق نزلت القيروان فأخذت عن بكر بن حماد حديث
مسدد فقرأت عليه يوما فيه حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قدم عليه قوم من مضر
مجتابي النمار فقال إنما هو مجتابي الثمار فقلت إنما هو مجتابي النمار هكذا قرأته
على كل من لقيته بالأندلس والعراق فقال لي بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا أو
نحو هذا ثم قال لي قم بنا إلى ذلك الشيخ كان بالمسجد فإن له بمثل هذا علما فقمنا إليه
فسألناه عن ذلك فقال إنما هو مجتابي النمار كما قلت وهم قوم كانوا يلبسون الثياب
مشققة جيوبهم أمامهم والنمار جمع نمرة فقال بكر بن حماد وأخذ بأنفه رغم أنفي للحق
وانصرف انتهى ومثل هذه الحكاية تدل على عظيم قدر الرجلين رحمهما الله ورضي عنهما
ونفعنا بهما ومنهم قاسم بن ثابت أبو محمد العوفي السرقسطي رحل مع أبيه فسمع
بمصر من أحمد بن شعيب النسائي وأحمد بن عمرو البزار وبمكة من عبد الله بن علي بن

الجارود ومحمد بن علي الجوهري وعني بجميع الحديث واللغة هو وابوه فادخلا الى الاندلس
علما كثيرا ونيفا لانهما اول من ادخل كتاب العين الى الاندلس والف قاسم في شرح
الحديث كتابا سماه الدلائل فبلغ الغاية في الاتقان ومات قبل اكماله فاكمله ابو
ثابت بعده وقد روي عن ابي علي البغدادي انه كان يقول كتبت كتاب الدلائل وما
اعلم انه وضع بالاندلس مثله وكان قاسم عالما بالحديث واللغة متقدما في معرفة الحديث
والنحو والشعر وكان مع ذلك ورعا ناسكا واريد على القضاء بسرقسطة فابى ذلك
فاراد ابوه اكراهه عليه فساله ان يتركه ينظر في امره ثلاثا ويستخير الله تعالى
فمات في هذه الثلاثة الايام فيرون انه دعا لنفسه بالموت وكان مجاب الدعوة
توفي سنة ٣٠٢ بسرقسطة رحمه الله ومنهم علم الدين ابو محمد المرسي اللورقي وهو
قاسم بن احمد بن موفق بن جعفر العلامة المقرئ الاصولي النحوي ولد سنة خمس وسبعين
وخمسمائة وقرا بالروايات قبل الستمائة على ابي جعفر الحصار وابي عبد الله المرادي
وابي عبد الله بن نوح الغافقي وقدم مصر فقراها على ابي الجود غياث بن فارس وبدمشق
على التاج زيد الكندي وسمع ببغداد من ابي محمد بن الاخضر واخذ العربية عن ابي البقا
ولقي الجزولي بالمغرب وساله عن مسالة مشكلة في مقدمته فاجابه وبرع في العربية وفي
علم الكلام والفلسفة وكان يعرف ذلك ويحققه واقرا بدمشق ودرس وشرح المفصل
في النحو في اربع مجلدات فاجاد وافاد وشرح الجزولية والشاطبية وكان مليح الشكل
حسن البزة موطا الاكناف وقرا عليه جماعة وتوفي سابع رجب سنة ٦٦١ وكان معمرا
مشتغلا بانواع العلوم وسماه بعضهم ابا القاسم والاول اصح ومنهم قاسم بن محمد
ابن قاسم بن محمد بن سيار ابو محمد من اهل قرطبة وجده مولى الوليد بن عبد الملك رحل فسمع
بمصر من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم والمزني والبرقي والحارث بن مسكين ويونس بن عبد
الاعلى وابراهيم بن المنذر وغيرهم ولزم ابن عبد الحكم للتفقه وتحقق به وبالمزني
وكان يذهب مذهب الحجة والنظر وترك التقليد ويميل الى المذهب الشافعي ولما
قال له ابنه محمد بن القاسم يا ابت اوصني قال اوصيك بكتاب الله فلا تنس حظك منه
واقرا منه كل يوم جزءا واجعل ذلك عليك واجبا وان اردت ان تاخذ من هذا الامر
بحظ يعني الفقه فعليك براي الشافعي فاني رايته اقل خطا قال ابو الوليد بن الفرضي
ولم يكن بالاندلس مثله في حسن النظر والبصر بالحجة وقال احمد بن خالد ومحمد بن عمر بن لبابة
ما راينا افقه من قاسم بن محمد ممن دخل الاندلس من اهل الرحلة وقال اسلم بن عبد
العزيز سمعت عن ابن عبد الحكم انه قال لم يقدم علينا من الاندلس احد اعلم من قاسم بن محمد
ولقد عاتبته في حين انصرافه الى الاندلس وقلت له اقم عندنا فانك تعتقد ها هنا
رياسة ويحتاج الناس اليك فقال لا بد من الوطن وقال سعيد بن عثمان قال لي
احمد بن صالح الكوفي قدم علينا من بلادكم رجل يسمى قاسم بن محمد فرايت رجلا فقيها والف

رحمه الله

رحمه الله كتابا نبيلا في الرد على ابن مزين وعبد الله بن خالد والعتبي يدل على علمه وله
كتاب في خبر الواحد وكان يلي وثائق الامير محمد طول ايامه روى عنه ابن لبابة وابن
ايمن والاعناقي وابنه محمد بن قاسم في اخرين توفي سنة ست او سبع او ثمان وسبعين
ومائتين رحمه الله ومنهم ابو بكر الغساني وهو محمد بن ابراهيم بن احمد بن اسود
من اهل المرية قدم الى مصر ولقي بها ابا بكر الطرطوشي ثم عاد الى بلده وشوور واستقضي
بمرسية مدة طويلة ثم صرف وسكن مراكش قال ابن بشكوال توفي بمراكش في رجب
سنة ٥٣٦ وقال ابو جعفر بن الزبير ان له كتاب تفسير القران وبعضه بيتسلم ودين
ومنهم ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن حيون من اهل وادي الحجارة قال ابن الفرضي سمع
من ابن وضاح والخشني ونظرائهما بالاندلس ورحل الى المشرق فتردد هنالك نحوا
من خمس عشرة سنة وسمع بصنعاء ومكة وبغداد ولقي جماعة من اصحاب الامام احمد
ابن حنبل منهم عبد الله بن احمد وسمع بمصر من الخفاف النيسابوري وابراهيم بن موسى
وغيرهما وبالمصيصة والقيروان وكان اماما في الحديث عالما حافظا للعلل بصيرا
بالطرق ولم يكن بالاندلس قبله ابصر بالحديث منه وهو ضابط متقن حسن التوجه
للحديث صدوق ولم يذهب مذهب مالك وممن روى عنه ابن ايمن وقاسم بن اصبغ و
ابن ستره واحمد بن سعيد بن حزم وقال خالد بن سعيد لو كان الصدق انسانا لكان
ابن حيون وكان يرمى بالتشيع لشيء كان يظهر منه في حق معاوية رضي الله عنه وكان
شاعرا وتوفي بقرطبة سنة ٣٠٥ سامحه الله ومنهم ابو عبد الله محمد بن ابراهيم
ابن عبد الله بن غالب المالقي قال ابن نقطة سمع بالاسكندرية من ابي الحسن بن المعدني
وكان فاضلا رايت بخطه اجازة بمصر لبعض المصريين في رجب سنة ٦٢٤ وسمع بمصر
شيئا من الخلعيات قال ابن فرتون الفاسي في ذيل تاريخ الاندلس روى بها العلم ورحل
الى المشرق وحج ولقي ابا الحسن علي بن المفضل المقدسي واخذ عنه كتاب تحقيق الجواب
عن من اجيز له ما فاته من الكتاب من ابنا الفقيه ورجع الى الاندلس ثم نهض الى مراكش
فتوفي في اقصى بلاد السوس في حدود سنة ٦٤٥ ومنهم اليفوري وهو ابو عبد الله
محمد بن ابراهيم مصنف كتاب اكمال الاكمال للقاضي عياض على صحيح مسلم وكتب على كتاب
الشهاب القرافي في الاصول وسمع الحديث وقدم الى مصر ومعه مصحف قران حمل
بغلة بعثه ملك الغرب ليوقفه بمكة ثم عاد بعد حجه ومات بمراكش سنة ٧٠٧ وقد
زرت قبره بها مرارا قال الحافظ المغربي واليفوري نسبة الى يفورة بياء اخر
الحروف مفتوحة وقاف مشددة وراء مهملة بلد بالاندلس يسمى ومنهم ابو
عبد الله الانصاري وهو محمد بن ابراهيم بن موسى بن عبد السلام ويعرف بابن شق
الليل من اهل طليطلة سمع بمصر ابا الفرج الصوفي وابا القاسم الطحان الحافظ
وابا محمد بن النحاس وابا القاسم بن ميسرة وابا الحسن بن بشر وغيرهم وسمع بطليطلة

بن جماعة وحدث عن جماعة من المحدثين كثيرة قال ابن بشكوال وكان فقيها عالما وإماما
متكلما حافظا للفقه والحديث قايما بهما متقنا لهما الا ان المعرفة بالحديث واسما
رجاله والبصر بمعانيه وعلله كان اغلب عليه وكان مليح الخط جيد الضبط من اهل
الرواية والدراية والمشاركة في العلوم وكان اديبا شاعرا مجيدا لغويا دينا
فاضلا كثير التصانيف والكلام على علم الحديث حلو الكلام في تواليفه وله عناية
باصول الديانات واظهار الكرامات توفي بطليطلة يوم الجمعة منتصف شعبان
سنة ٥٠٤ رحمه الله ومنهم الشيخ الامام الشهير الكبير الولي العارف بالله سيدي
ابو عبد الله القرشي الهاشمي الاندلسي شيخ السالكين وامام العارفين وقدوة المحققين
قدم مصر بعد ما صحب ببلاد المغرب جماعة من اعلام الزهاد وكان يقول صحبت ستماية
شيخ اقتديت منهم باربعة الشيخ ابو ربيع والشيخ ابو الحسن بن طريف والشيخ
ابو زيد القرطبي والشيخ ابو العباس الجوزي وسلك على يديه جماعة ومنهم ابو العباس
القسطلاني فانه اخذ عنه كلامه وجمعه في جزء وخرج سيدي ابو العباس القرشي
من مصر الى بيت المقدس فاقام به الى حين وفاته عشية الخميس السادس من ذي الحجة
سنة ٥٩٩ عن خمس وخمسين سنة ودفن هناك وقبره ظاهر يقصد للزيارة زرته اول
قدماتي على بيت المقدس سنة ٨٢٨ ومن كلامه من لم يدخل في الامور بالادب لم يدرك مطلوبه
منها وقوله العاقل ياخذ ما صفا ويدع التكلف فانه تعالى يقول وان يردك بخير
فلا راد لفضله وقال من لم يراع حقوق الاخوان بترك حقوقه حرم بركة الصحبة
وقال سمعت الشيخ ابا اسحاق ابراهيم بن طريف يقول لما حضرت الشيخ ابا الحسن
ابن غالب الوفاة قال لاصحابه اجتمعوا وهللوا سبعين الف مرة واجعلوا ثوابها لي فاني
بلغني انها فداء كل مومن من النار قال ففعلناها واجتمعنا عليها وجعلنا ثوابها له
ثم حكى عن شيخه ابي زيد القرطبي ما حكاه السنوسي عنه في اواخر شرح صغراه وقد انكره غير
واحد من الحفاظ كابن حجر وغيره كون ما ذكر حديثا ولعل هولاء اخذوه من جهة الكشف
ونحوه والله اعلم وقال رحمه الله دخلت على الشيخ ابي محمد عبد الله بن المغاور فقال لي علمك
شيا تستعين به اذا احتجت الى شي فقل يا واحد يا احد يا واجد يا جواد انفحنا منك
بنفحة خير انك على كل شي قدير قال فانا انفق منها منذ سمعتها وقال رحمه الله ما من
حال ذكر في رسالة القشيري الا وقد شاهدته من نفسي وتزوج رحمه الله بنساء حدثن عنه
بكرامات ومنهن ام القطب القسطلاني وحكت انها خرجت عنه يوما لحاجتها ثم عادت
فسمعت عنده في طبقته حس رجل فتوقفت وانتظرت الباب فوجدته مغلقا فلما
انقطع الكلام دخلت عليه فاذا هو وحده كما تركته فسالته عن ذلك فقال هو الخضر
دخل علي وفي يده حبة فقال لي هذه جيتك بها من ارض نجد وفيها شفاء مرضك فقلت
لا اريد اذهب انت وحبتك لا حاجة لي بها ودخل عليه بعض نسايه يوما فوجدته

بصيرا

بصيرا نقي الجسم من الجذام فلما نظرته قال لها اتريدين ان تقي لك مثل هذا فقالت له يا سيدي
كن كيف شيت انما مقصودي خدمتك وقيل له وقد تكاثرت منه روية الاشيا والاخبار
بها مع كونه ضريرا عن ذلك فقال ذلك عين باي عضو اردت النظر به نظرت وقال سمعت
انا ادعو برفع الغلا فقيل لي لا تدع فما تسمع لاحد منكم في هذا الامر دعا فسافرت الى
الشام فلما وصلت الى بلد الخليل عليه السلام تلقاني رسول الخليل حين وردت عليه
فقلت له يا رسول الله اجعل ضيافتي عندك الدعا لاهل مصر فدعا لهم ففرج عنهم ومناقبه
رحمه الله وكراماته لا يفي بها هذا المختصر وانما قصدنا بذكرها البركة وكفارة ما وقع في
هذا الكتاب من الاخطا والله المرجو في العفو ومن فوايده ما نقله عن شيخه ابي الربيع
المالقي انه قال له الا اعلمك كنزا تنفق منه ولا ينفد قلت بلى قال قل يا الله يا احد يا
واحد يا موجود يا جواد يا باسط يا كريم يا وهاب يا ذا الطول يا غني يا مغني يا فتاح
يا رزاق يا عليم يا حي يا قيوم يا رحمن يا رحيم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال
والاكرام يا حنان يا منان انفحني منك بنفحة خير تغنيني بها عمن سواك ان تستفتحوا
فقد جاكم الفتح انا فتحنا لك فتحا مبينا نصر من الله وفتح قريب اللهم يا غني يا حميد
يا مبدي يا معيد يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعالا لما يريد اكفني بحلالك عن حرامك
واغنني بفضلك عمن سواك واحفظني بما حفظت به الذكر وانصرني بما نصرت به
الرسل انك على كل شي قدير فمن داوم على قراته بعد كل صلاة خصوصا صلاة الجمعة
حفظه الله تعالى من كل مخوف ونصره على اعدايه واغناه ورزقه من حيث لا يحتسب
ويسر عليه معيشته وقضى عنه دينه ولو كان عليه امثال الجبال دينا بكرمه واحسانه
انتهى نقله عنه العلامة ابن داود البلوي الاندلسي ومن خطه نقلته رحم الله الجميع
ونقله اليافعي كما ذكره رحمه الله الا انه لم يقل فيه يا ودود وانفعنا بما عدا ذلك
والله اعلم وقال ابن خلكان في حق محمد بن احمد بن ابراهيم القرشي الهاشمي العبد الصالح
الزاهد من اهل الجزيرة الخضرا كانت له كرامات ظاهرة ورايت اهل مصر يحكون عنه
اشيا خارقة ولقيت جماعة ممن صحبه وكل منهم قد علته من بركته وذكروا عنه انه وعد
جماعة الذين صحبوه مواعيد من الولايات والمناصب العلية وانها صحت كلها وكان
من السادات الاكابر والطراز الاول وهو مغربي صحب بالغرب اعلام الزهاد وانتفع
بهم فلما وصل الى مصر انتفع به من صحبه او شاهده ثم سافر الى الشام قاصدا زيارة
بيت المقدس فاقام بها الى ان مات وصلي عليه بالمسجد الاقصى وهو ابن خمسين
سنة وقبره ظاهر للزيارة والتبرك والجزيرة الخضرا في بلاد الاندلس مدينة تقابل
سبتة من بر العدوة ومن جملة وصاياه لاصحابه سيروا الى الله تعالى عرجا
ومكاسير فان انتظار الصحة بطالة انتهى ببعض اختصار ومنهم ابو عبد الله
محمد بن علي بن الحسن بن ابي الحسين القرطبي سمع من قاسم بن اصبغ وغيره وقدم مصر فسمع بها

من ابن الورد وابن ابي الموت والباوردي وابن السكن في اخرين وسمع بالرملة وبيت
المقدس وكان ضابطا بصيرا بالنحو واللغة فصيحا بليغا طويل اللسان ولي الشرطة
ببلاد الغرب توفي سنة ٣٧٢ **ومنهم** ابو بكر محمد بن علي بن خلف التجيبي الاشبيلي الحافظ الكاتب
روى عن ابن الجد وغيره وسار لمصر حاجا فلقي بمكة ابا حفص الميانشي وابا الحسن المكناسي
ولقي بالاسكندرية السلفي وابن عوف وغيرهما وكان مدرسا للفقه فقيها جليلا اصوليا
نبيها عارفا فاضلا سنيا توفي بعد امتحان من منصور بني عبد المومن سنة ٥٩٦ وذلك
انه وشي به للمنصور ايام عزم على ترك التقليد والعمل بالحديث **ومنهم** ابو بكر الاندلسي
الجياني محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن ياسر الانصاري الجياني سافر من بلده ودخل ديار
مصر والشام والعراق وخراسان وما وراء النهر ولقي ائمتها وتفقه ببخارى حتى تمهر
في المذهب والخلاف والجدل ثم اشتغل بالحديث وسماعه وحفظه وحصل منه كثيرا
ثم سكن بلخ مدة وعاد الى بغداد فدخلها سنة ٥٥٩ وتوجه الى مكة فحج ورجع الى الشام
واستوطن حلبا الى ان توفي بها ووقف كتبه وكان متدينا صدوقا حافظا عالما
بالحديث وفيه فضل ولد بجيان سنة ٤٩٣ ومات بحلب سنة ٥٦٣ **ومنهم** ابو عبد الله
محمد بن علي التجيبي الدمان الغرناطي كان حسن السمت بارع الخط والخلق والخلق
رحل الى الحج وجال في البلاد في حدود ست وستمائة فاخذ بمكة والشام ومصر والاسكندرية
عن جماعة كثيرة وكان عدلا فاضلا على خير ودين وكان مستحرفا بالتجارة بغرناطة ثم
خرج منها اخر عمره فمات بقوص بعد ما حج سنة ٦٥٠ وصدر من مكة سنة ٦٥٣ فمات قبل
منتصف السنة رحمه الله **ومنهم** ابو عمر محمد بن علي بن محمد بن ابي الربيع القرشي العثماني
الاندلسي الاشبيلي النحوي ولد سنة ٦١٧ باشبيلية وقدم مصر فسمع الكثير بها وبدمشق
وغيرهما وكان اماما عالما نحويا فاضلا كتب عنه ابو محمد الدمياطي والقطب عبد الكريم
ومات بها **ومنهم** ابو بكر ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي بن هذيل البلنسي رحل وسمع
من السلفي وحج قال ابو الربيع بن سالم وهو شيخ صدوق متيقظ سمع اباه وابا الوليد
ابن الدباغ وابا الحسن طارق بن موسى بن يعيش وجماعة واخذ بمكة سنة ٥٣٠ عن ابي علي
الحسن المقرئ وقفل الى الاندلس سنة ٥٤٠ فاخذ عنه بها وسمع منه جماعة قال
ابن الابار كان في غاية من الصلاح واعمال البر والورع توفي ببعض قرى بلنسية سنة ٥٣٠
ومولده سنة اربع او تسع عشرة وخمسمائة وله حظ من علم التعبير واللغة رحمه الله
ومنهم ابو عبد الله ويقال ابو سلمة محمد بن علي البياسي الغرناطي الانصاري نزيل مصر
الديار روى عن الحافظ ابي جعفر بن الزبير وغيره وقدم الى القاهرة واستوطنها بعد
الحج حتى مات بها سنة ٧٣٠ وكان عارفا بعلم الحديث وكتب منه كثيرا ومال الى مذهب
الظاهرية وانتفع به جماعة من طلبة الحديث وكان ثقة رحمه الله **ومنهم** ابو عبد
الله محمد بن علي بن يحيى بن علي الشاطبي الاندلسي الغرناطي قدم مصر حاجا واقام بمكة والمدينة

وكان اماما

وكان اماما فاضلا عالما متفننا في علوم ما بين فقه واصول ونحو ولغة وقراءات
ونظم ونثر مع معرفته بمذهب مالك ينقل كثيرا من مذهب الشافعي وسمع الموطا
بتونس من ابي محمد بن هارون القرطبي ومولده بغرناطة سنة ٦٧١ وتوفي سنة ٧١٥ ومن
شعره • اذا كنت جار النبي وصحبه • ومكة بيت الله مني على قرب •
• فما ضرني ان فاتني رغد عيشة • وحسبي الذي وتبيته نعمة حسبي •

وقوله

• نزيل الكرام عزيز الجوار • واني نزيل عليكم وجار •
• حللت ذراك وانت الكريم • ومن حل مثوى كريم يجار •

ومنهم ابو عبد الله محمد بن عمار الكلاعي الميورقي قدم مصر وروى عن ابن الوليد
بها وكان عالما وله قصيدة طويلة فيها حكم ومواعظ يوصي ابنه بها ومن ابياتها

قوله

• وطاعة من اليه الامر فالزم • وان جاروا وكانوا مسلمينا •
• فان كفروا الكفر بني عبيد • فلا تسكن ديار الكافرينا •

واتم ابنه حسن وسمع من المذكور الحافظ القاضي ابي بكر بن العربي في رحلته
سنة ٤٨٥ ووصفه بالعلم وعمارة الرا **ومنهم** ابو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن
الفخار القرطبي الحافظ روى عن عيسى الليثي وابن عون الله وابي جعفر التميمي وابي
محمد الباجي وقدم مصر وحج وجاور بالمدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة
والسلام وافتى بها وافتخر بذلك على اصحابه وفاق القدسي ورث بمدينة الرسول
صلى الله عليه وسلم دار مالك بن انس وكان شوراه ولقي جماعة من العلما واخذ
عنهم وكان من اهل العلم والذكا والحفظ والفهم عارفا بمذاهب الائمة واقوال
العلما ذاكرا للروايات يحفظ المدونة والنوادر لابن ابي زيد ويوردها من صدره
دون كتاب قال ابن حيان مورخ الاندلس توفي الفقيه المشاور الحافظ المتسع
الرواية الطويل الهجرة في طلب العلم الناسك المتقشف بمدينة بلنسية في ربيع
الاول سنة ٤١٩ لعشر خلون من الشهر وكان الحفل في جنازته عظيما وعاين الناس فيها
اية من ظهور اشباه الخطاطيف بها حلقت الجمع رافة فوق النعش لم تفارقه
الى ان وري فتفرقت ومكث مدة ببلنسية مطاعا عظيم القدر عند السلطان
والعامة وذكر جماهر بن عبد الرحمن حديث الطير وكذا ذكر الحسن بن محمد القبيسي خبر
الطير قال وكانت سنه نحو الثمانين سنة وكان مجاب الدعوة وظهرت في دعوته
الاجابة وقال ابو عمرو الداني ان وفاته يوم السبت لسبع خلون من شهر ربيع الاول
سنة ٤١٩ ودفن يوم الاحد بمدينة بلنسية وبلغ نحو ست وسبعين سنة وهو من اواخر
الفقها الحفاظ الراسخين العالمين بالكتاب والسنة بالاندلس رحمه الله **ومنهم**

ابو عبد الله محمد بن عمر القرطبي سمع على ابن مفرج وغيره من شيوخ قرطبة وقدم مصر
فاخذ بها عن ابن المهندس وغيره وحج ودخل العراق وسمع من ابي بكر الابهري والدارقطني
وجماعة وعاد الى الاندلس وشهر بالعلم والمال وولي الاحباس بقرطبة حدث عنه
ابو عمر بن عبد البر وغيره ومات في جمادى الآخرة سنة ٤٠٠ رحمه الله ومنهم
ابو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح المعافري المعروف بالاعشى القرطبي
رحل سنة ١٧٩ فسمع سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح ويحيى بن سعيد القطان
وعبد الله بن وهب وجماعة وكان الغالب عليه الحديث ورواية الآثار وكان صالحا
عاقلا سريا جوادا يذهب الى مذهب اهل العراق وتوفي سنة ٢٢١ ذكره ابن يونس وغيره
ومنهم ابو عبد الله محمد بن فطيس الغافقي الالبيري الزاهد قال الحميدي في حقه
من اهل الحديث والفهم والحفظ والبحث عن الرجال وله رحلة سمع فيها من
محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومن ابن وهب بن اخي عبد الله بن وهب وغيرهما وروى
بالاندلس عن جماعة منهم بقي بن مخلد وابن وضاح وسمع بمكة وغيرها من ماية شيخ
قال ابن الفرضي كان شيخا نبيلا ضابطا لكتبه ثقة في روايته صدوقا في حديثه
وكانت الرحلة اليه بالبيرة وبها مات في شوال سنة ٣١٩ وهو ابن تسعين سنة
رحمه الله ومنهم ابو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار
القرطبي من موالي بني امية سمع من ابيه ومن بقي بن مخلد وغيره ورحل سنة ٢٩٤ فسمع
بمصر من النسائي ومن احمد بن حماد زغبة وسمع بمكة والبصرة والكوفة وبغداد و
دمياط والاسكندرية والقيروان من ماية وستين رجلا قال ابو محمد الباجي لم ادرك
بقرطبة اكثر حديثا منه وكان عالما بالفقه متقدما في علم الوثائق راسا فيها
وكان مشاورا سمع من الناس كثيرا وكان ثقة صدوقا وغزى سنة ٣٢٧ ومات ثالث
الحجة منها ومولده سنة ٢٦٣ وقيل توفي سنة ٣٢٨ قاله ابن يونس والحميدي ومنهم
ابو عبد الله محمد بن قاسم القرشي الفهري عرف بابن رهمات الغرناطي قرا على ابي جعفر
ابن الزبير بها وقدم الى القاهرة سنة ٧٣٢ ومات بالمدينة النبوية على صاحبها
الصلاة والسلام سنة ٧٣٩ ومن شعره قوله

تذكرتم خبروني كيف صحتم • فريضة ما لك من غير مين
لزيد زوجة ولها ابن ام • فماتت عنهما لا غير دين
تحاز الثلث مما تركته ارثا • وولي غيره صفر اليدين
ولا رد فيه على اخيها • وليس بكافر يرمى بشين
وليس محجلا ارثا بقتل • فحاذران بيانا للشفاوتين

ومنهم ابو عبد الله بن ليا الشاطبي حدث بالقاهرة وتوفي قريبا من سنة ٦٤٠
وهو احد اصحاب الشيخ ابي الحسن ابن الصباغ ومن كلامه اشتغالك بوقت لم يات

تضييع

تضييع للوقت الذي انت فيه ولعمري لقد صدق ومنهم ابو عبد الله محمد
ابن محمد بن ابراهيم بن الحسين بن سراقة محيي الدين ويكنى ايضا ابا القاسم
وابا بكر الانصاري الشاطبي المالكي ولد بشاطبة سنة ٥٩٢ وسمع من ابي القاسم
ابن بقي ورحل في طلب الحديث فسمع ببغداد من الشيخ ابي حفص عمر السهروردي
وابي طالب القبيطي وابي حفص الدينوري وجماعة وسمع بحلب من ابن شداد وغيره
وتولى مشيخة دار الحديث البهائية بحلب ثم قدم مصر وتولى مشيخة دار الحديث
الكاملية بالقاهرة بعد وفاة ابي سهل القصري سنة ٦٤٢ وبقي بها الى ان توفي بالقاهرة
في شعبان سنة ٦٦٢ ودفن بسفح المقطم وكان الجمع كثيرا وهو احد الائمة المشهورين
بغزارة الفضل وكثرة العلم والجلالة والنبل واحد المشايخ الصوفية وله في ذلك
اشارات لطيفة مع الدين والعفاف والبشر والوقار والمعرفة الجيدة بمعاني
الشعر وكان صالح الفكرة في حل التراجم مع ما جبل عليه من كرم الاخلاق
ورقة الطبع ولين الجانب واطراح التكلف ومن شعره قوله

نصبت ومثلي للمكارم ينصب • وزمت شروقا للشمس وهي تغرب
وحاولت احيا النفوس باسرها • وقد عز عزت بابعد ما انا اطلب
واتعب ان لم تمنح الخلق راحة • وغيري ان لم تتعب الخلق يتعب
مرادي شي والمقادير غيره • ومن غالب الاقدار لا شك يغلب

وقوله

الى كم امني النفس ما لا انا له • فيذهب عمري والاماني لا تنقضي
وقد مر لي خمس وعشرون حجة • ولم ارض فيها عيشتي فمتى ارضا
واعلم اني والثلاثون مدتي • جريمتها في اللهو والسهو رفضا
فماذا عسى في هذه الخمس ارتجي • ووجدي الى اوبين العشر قد افضى
فيا رب عجل لي حياة لذيذة • والا فبادر بي الى العمل الارضا

وقال رحمه الله تعالى

وصاحب كالزلال يمحو • صفاؤه الشك باليقين
لم يحص الا الجميل مني • كانه كاتب اليمين

وهذا عكس قول المنازي

وصاحب خلته خليلا • وما جرى غدره ببالي
لم يحص الا القبيح مني • كانه كاتب الشمال

ومنهم ابو عبد الله محمد بن محمد بن احمد القريشي بكسر القاف وتشديد الراء المهملة
بعدها شين معجمة نسبة الى قريش احدى مدن قرطبة ولد بغرناطة سنة ٥٥٧ وقرا
بالروايات على ابي القاسم بن غالب وسمع عليه وعلى ابي القاسم بن بشكوال وغيره

وسمع بمكة وحدث بمصر وعاد الى الاندلس ثم مات بقرطبة سنة ٣٠٠ وكان مشهورا
بالصلاح معروفا باجابة الدعاء ورعا ثقة زاهدا فاضلا رحمه الله تعالى ومنهم
ابو عبد الله محمد بن محمد بن خيرون وقيل محمد بن عمر بن خيرون اندلسي سكن القيروان رحل
الى المشرق واخذ بمصر القراءات عن محمد بن سعيد الانماطي وغيره كعبيد بن رجاء وابي
الحسن اسماعيل بن يعقوب الازرق المدني ويحيى ثم عاد الى القيروان وسمع
بها وبقرطبة وقدم بقراءة نافع على اهل افريقية وكان الغالب على قراءتهم حرف حمزة
ولم يكن يقرا بحرف نافع الا الخواص حتى قدم بها فاجتمع اليه الناس ورحل اليه اهل
القيروان من الافاق وكان ياخذ اخذا شديدا على مذهب المشيخة من اصحاب ورش
وتوفي بشعبان سنة ٣٠٦ وكان رجلا صالحا فاضلا لزم الاخلاق اماما في القراءات
مشهورا بذلك ثقة مامونا واحد اهل زمانه وايمتهم في علم القرآن رحمه الله ومنهم
ضياء الدين ابو جعفر محمد بن محمد بن صابر بن بندار القيسي الاندلسي المالقي ولد
بمالقة سنة ٦٠٥ وسمع الكثير وقدم القاهرة حاجا فسمع بها وبدمشق وكتب بخطه
كثيرا وكان سريع الكتابة سريع القراءة كثير الفوائد دينا خيرا فاضلا له مشاركة
جيدة في عدة علوم توفي شابا بالقاهرة سنة ٦٦٣ رحمه الله ومنهم ابو بكر محمد
المعروف بابن محرز البلنسي ولد بها سنة ٥٦٩ وقدم مصر فسمع ابن الفضل وغيره وروى
عنه جماعة وكان احد رجال الكمال علما وادراكا وفصاحة وحفظا للفقه وتفننا
في العلوم ومتانة في الادب حافظا للغات والغريب وله شعر رائق ودين متين
واخذ الناس عنه ببلده وبمرسية واشبيلية ومالقة وغرناطة في اجتيازه عليها
وبغيرها من البلاد وعلا صيته وعرف بالدين والعلم والفضل وكان ابو الخطاب
يثني على علمه ودينه وتوفي ببجاية سنة ٦٥٥ عن سن عالية رحمه الله وممن رحل
من الاندلس الى المشرق القاضي ابو الوليد الباجي صاحب التصانيف المشهورة
وقال ابن ماكولا في حقه انه فقيه متكلم اديب شاعر سمع بالعراق ودرس الكلام
وصنف الى ان مات وكان جليلا رفيع القدر والخطر وقال غيره واجداده ولد سنة ٤٠٣
ورحل سنة ٤٢٦ وجاور ثلاثة اعوام ملازما لابي ذر الحافظ يخدمه ورحل الى بغداد
ودمشق ولقي في رحلته غير واحد وتفقه بالقاضي ابي الطيب الطبري وغيره وقال
ابو علي بن سكرة ما رايت مثل ابي الوليد الباجي وما رايت احدا على هيئته وسمته و
توقير مجلسه ولما كنت ببغداد قدم ولده ابو القاسم فسرت معه الى شيخنا قاضي
القضاة الشاشي فقلت له ادام الله عزك هذا ابن شيخ الاندلس فقال لعله ابن
الباجي فقلت نعم فاقبل عليه قال القاضي عياض وكثرت القالة في القاضي ابي الوليد
لمداخلته الرؤساء وولي قضاء اماكن تصغر عن قدره وكان يبعث الى تلك النواحي
خلفاء وربما اتاها المرة ونحوها وكان في اول امره مقلا حتى احتاج الى القصد بشعره

واستاج

واستاجر نفسه مدة مقامه ببغداد فيما سمعته مستفيضا لحراسة درب وقد
جمع ابنه شعره قال ولما قدم الاندلس من يشتغل بعلمه فقصرت السنة الفقهاء
عن مجادلته وكلامه واتبعه على رايه جماعة من اهل الجهل وحل بجزيرة ميورقة
فراس فيها واتبعه اهلها فلما قدم ابو الوليد كلموه في ذلك فرحل اليه وناظره
وشهر باطله وله معه مجالس كثيرة ولما تكلم ابو الوليد في حديث الكتابة يوم
الحديبية الذي في البخاري قال بظاهر لفظه فانكر عليه الفقيه ابو بكر الصائغ
وكفره باجازة الكتب على الرسول الامي صلى الله عليه وسلم وانه تكذيب للقرآن فتكلم
في ذلك من لم يفهم الكلام حتى اثاروا عليه الفتنة وقبحوا عليه عند العامة ما اتى به
وتكلم به خطباؤهم في الجمع وقال شاعرهم

برئت ممن شرى دنيا باخرة • وقال ان رسول الله قد كتبا •

فصنف ابو الوليد رحمه الله رسالة بين فيها ان ذلك غير قادح في المعجزة فرجع بها جماعة
اذ ليس من عرف ان يكتب اسمه فقط بخارج عن كونه اميا لانه لا يسمى كاتبا وجماعة من
الملوك قد واسوا على كتابة العلامة وهم اميون والحكم للغالب لا للصورة النادرة وقد
قال عليه الصلاة والسلام انا امة اميون اي اكثرهم كذلك لندور الكتابة في العرب
وقال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم انتهى وبعضه بالمعنى وذكر
ابن بسام ان ابا الوليد الباجي نشا وهمته في العلم وانه بدا بالادب فبرز في ميادينه
وجعل الشعر بضاعته فنال به من كل الرغائب ثم رحل فما حل بلدا الا وجده ملان بذكره
نشوان من فنون نظمه ونثره ثم مال الى علم الديانة فمشى بمقياس وبنى على اساس حتى
صار كثير من العلماء يسمعون منه ويرتاحون للاخذ عنه ثم كر واستقضي في طريقه
بحلب فاقام بها نحوا من عام قال وبلغني عن ابن حزم انه كان يقول لو لم يكن لاصحاب المذهب
المالكي بعد عبد الوهاب الا مثل ابي الوليد الباجي لكفاهم وصنف ابو الوليد كتبا
كثيرة منها كتاب التسديد الى معرفة التوحيد وكتاب سنن المنهاج وترتيب الحجاج
وكتاب احكام الفصول في احكام الاصول وكتاب التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري
في الصحيح وكتاب شرح الموطا وهو نسختان نسخة سماها الاستيفا ثم انتقى منها
فوائد سماها المنتقى في سبع مجلدات وهو احسن كتاب الف في مذهب مالك لانه شرح
فيه احاديث الموطا وفرع عليها تفريعا حسنا وافرد منه شيئا سماه الايماء قال
بعضهم انه صنف كتاب المعاني في شرح الموطا جاء عشرين مجلدا عديم النظير وكان
ايضا صنف كتابا كبيرا جامعا بلغ فيه الغاية سماه الاستيفاء وله كتاب الايماء في الفقه
خمس مجلدات انتهى ومن تاليفه مختصر المختصر في مسائل المدونة وله كتاب
اختلاف الموطا وكتاب الاشارة في اصول الفقه وكتاب الحدود وكتاب سنن الصالحين
وكتاب التفسير لم يتمه وكتاب شرح المنهاج وكتاب التبيين لسبيل المهتدين في

اختصار فرق الفقهاء وكتاب السراج في الخلاف لم يتم وغير ذلك وحج الباجي رحمه الله اربع
حجج جاور فيها ثلاثة اعوام ملازما لابي ذر عبد بن احمد الهروي عبد بن احمد الهروي
وكان يسافر معه للسروات لان ابا ذر تزوج من العرب وسكن بها وابو ذر المذكور هو
عبد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن غفير الانصاري المالكي ويعرف بابن السماك سمع
بهراة وسرخس وبلخ ومرو والبصرة وبغداد ودمشق ومصر وجاور بمكة والف معجما
لشيوخه وعمل الصحيح وصنف التصانيف قال الخطيب قدم ابو ذر بغداد وانا
غائب فحدث بها ثم حج وجاور ثم تزوج في العرب وسكن السروات وكان يحج كل عام
ويحدث ويرجع وكان ثقة ضابطا دينا وقال الحسن بن بقي المالكي حدثني شيخ
قال قيل لابي ذر من اين تمذهبت بمذهب مالك ورأي الاشعري مع انك هروي فقال
قدمت بغداد وكنت ماشيا مع الدارقطني فلقينا ابا بكر بن الطيب فالتزمه
الدارقطني وقبل وجهه وعينيه فلما افترقنا قلت من هذا قال امام المسلمين والذاب
عن الدين القاضي ابو بكر بن الطيب فمن ذلك الوقت تكررت اليه وتمذهبت بمذهبه
انتهى قلت هذا صريح في ان القاضي ابا بكر الباقلاني مالكي وهو الذي جزم به غير
واحد وكذا ذكره عياض في المدارك في جملة المالكية وكذلك شيخ السنة الامام ابو
الحسن الاشعري المالكي فيما ذكره غير واحد من الائمة وذكر بعض الشافعية انهما شافعيان
والله اعلم وقال عبد الغافر في تاريخ نيسابور كان ابو ذر زاهدا ورعا عالما سخيا
لا يدخر شيئا وصار كبير مشيخة الحرم مشارا اليه في التصوف خرج على الصحيحين تخريجا
حسنا وكان حافظا كثير الشيوخ توفي سنة ٤٣٤ وقال ابو علي بن سكرة توفي عقب
شوال سنة ٤٣٤ وقال الخطيب في ذي القعدة سنة ٤٣٤ رحمه الله واكثر نسخ البخاري
الصحيحة بالمغرب انما هي من رواية الباجي عن ابي ذر عبد بن احمد الهروي المذكور واما
من روايته على الصدفي الشهيد المعروف بابن سكرة بسنده واعلم ان هراة المنسوب
اليها الحافظ ابو ذر ليست هراة التي وراء النهر نظير بلخ وانما هي هراة بني شيبان
بالحجاز وبها كان سكنى ابي ذر والله اعلم **رجع** الى القاضي ابي الوليد الباجي
رحمه الله ثم ان القاضي الباجي قدم بغداد واقام بها ثلاثة اعوام يدرس الفقه
ويقرأ الحديث فلقي بها عدة من العلماء كابي الطيب الطبري والامام الشهير ابي
اسحاق الشيرازي وابي عبد الله الصيمري وابي عمروس المالكي واقام بالموصل سنة مع ابي جعفر
السمناني ياخذ عنه علم الكلام فبرع في الحديث وعلله ورجاله وفي الفقه وغوامضه
وخلافه وفي الكلام ومضايقه وتدبج مع الحافظ ابي بكر الخطيب البغدادي بحيث روى
كل واحد منهما عن الآخر رضي الله عنهما ونفع بهما ورجع الى الاندلس بعد ثلاثة عشر
سنة بعلم جم حصله مع الفقر والتعفف ومما يفتخر به انه روى عنه حافظا المغرب
والمشرق ابو عمر بن عبد البر والخطيب ابو بكر بن ثابت البغدادي وناهيك بهما

اسن منه

اسن منه واكبر وابو عبد الله الحميدي وعلي بن عبد الله الصقلي واحمد بن علي بن
غزلون وابو بكر الطرطوشي وابو علي بن الحسين السبتي وابو بحر سفيان بن العاصي
وممن روى عنه ابنه ابو القاسم احمد وكان لما رجع الى الاندلس فشا علمه وتهيأت
الدنيا له وعظم جاهه واجزلت له الصلات فمات عن مال وافر وترسل للملوك
وولي القضاء ببعض مواضع رحمه الله واما ما تقدم عن القاضي ابي الوليد الباجي
من اجراء حديث الكتابة على ظاهره فهو قول بعض والصواب خلافه قال القاضي ابو
الفضل عياض حدثنا محمد بن علي المعروف بابن الصيقل الشاطبي من لفظه قال حدثني
ابو الحسن بن مفوز قال كان ابو محمد بن احمد بن الحاج الهواري من اهل جزيرة شقر ممن
لازم الباجي وتفقه عنده وكان يميل الى مذهب الباجي في جواز مباشرة النبي صلى الله
عليه وسلم الكتابة بيده في حديث المقاضاة في الحديبية على ما جاء في بعض ظاهر
رواياتها ويعجب به وكنت انكر ذلك عليه فلما كان بعد مدة انا في زيارته على عادته
واعلمني ان رجلا من اخوانه كان يرى في النوم انه في المدينة وانه يدخل المسجد فيرى
قبر النبي صلى الله عليه وسلم امامه فيجده فتعتريه هيبة عظيمة ثم يراه ينشق ويميد
ولا ينتقل فيعتريه منه فزع عظيم وسالني عن عبارة رؤياه فقلت اخشى على صاحب
هذا المنام ان يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير صفته او ينحله ما ليس له باهل
او لعله يفتري عليه فسالني من اين قلت هذا فقلت له من قوله تعالى تكاد السموات
يتفطرن منه الى قوله ولدا فقال لي لله درك يا سيدي واقبل يقبل راسي وبين عيني
ويبكي مسرة ويضحك اخرى ثم قال لي انا صاحب الرؤيا واسمع تمامها يشهد لك بصحة
تاويلك قال انه لما رأى نفسه في ذلك الفزع العظيم كنت اقول والله ما هذا الا اني
اقول واعتقد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فكنت ابكي واقول انا تائب يا رسول
الله واكرر ذلك مرارا فارى القبر قد عاد الى هيئته الاولى وسكن فاستيقظت ثم قال
لي وانا اشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كتب قط حرفا وعليه لقي الله تعالى فقلت
له الحمد لله الذي اراك البرهان واشكره كثيرا انتهى وقال ابن الابار حدثني بهذه
الحكاية ابو الربيع بن سالم بقراءتي عليه عن الكاتب ابي بكر عبد الرحمن بن مغاور قراءة
عليه عن القاضي ابي جعفر احمد بن عبد الرحمن بن جحدر وعن ابي الحسن طاهر بن مفوز قال
كان ابو محمد الى آخرها وهي اتم من هذه انتهى **رجع** الى الباجي ذكر ابو الحرب عبد الوهاب
البقساني بسنده الى القاضي ابي الوليد الباجي انه كان يقول وقد ذكرت له صحبة
السلطان لولا السلطان لنقلتني الذر من الظل الى الشمس او ما هذا معناه انتهى
ومن فوائد الباجي انه حكى ان الطلبة كانوا ينتابون مجلس ابي علي البغدادي
واتفق ان كان يوم مطر ووحل فلم يحضر من الطلبة سوى واحد فلما رأى الشيخ حرصه
على الاشتغال وإتيانه في تلك الحالة **انشده**

• وبنيت للمجد والساعون قد بلغوا • حد النفوس ولم يألوا الذي ذكروا •
• وكابدوا المجد حتى مل أكثرهم • وعانق المجد من أوفى ومن صبرا •
• لا تحسب المجد تمراً أنت آكله • لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا •

انتهى وروى عن القاضي أبي الوليد الباجي رحمه الله الخطيب البغدادي **قوله رحمه الله**

• إذا كنت أعلم علم اليقين • بأن جميع حياتي كساعة •
• فلم لا أكون ضنيناً بها • وأجعلها في صلاح وطاعة •

وقد ذكرناهما فيما يأتي من كلام الفتح لكوننا نقلنا كلامه بلفظه رحمه الله ورضي عنه وقال في القلائد في حق الباجي رحمه الله بدر العلوم اللائح وقطرها الغادي الرائح وثبيرها الذي لا يزحم ومنيرها الذي يتجلى لليلها الأسحم كان إمام الأندلس الذي تقتبس أنواره وينتجع نجوده وأغواره رحل إلى المشرق فعكف على الطلب ساهراً وقطف من العلم أزاهراً وتفنن في اقتنائه وثنى إليه عنان اعتنائه حتى غدا مملوء الوطاب وعاد بطلبه إلى الأوطان فكر إلى الأندلس بحراً لا تخاض لججه ولا تبطئ منججه فتهادته الدول وتلقته الخيل والخول وانتقل من محجر إلى ناظر وتبدل من يانع مباشر ثم استدعاه المقتدر بالله فسار إليه مرتاحاً وبدا بأفقه ملتاحاً وهناك ظهرت نواليه وأوضاعه وبدا وجده في سبيل العلم وإيضاعه وكان المقتدر يباهي بانحياشه إلى سلطانه وإيثاره لحضرته باستيطانه ويحتفل فيما يرتبه له ويجريه وينزله في مكانه متى كان يوافيه وكان له نظم يوقفه على ذاته ولا يصرفه في رقيق القول وبذاته **ومن ذلك قوله في معنى الزهد**

• إذا كنت أعلم علماً يقيناً • بأن جميع حياتي كساعة •
• فلم لا أكون ضنيناً بها • وأجعلها في صلاح وطاعة •

وله يرثي ابنيه وماتا مغتربين وغربا كوكبين وكانا ناظري الدهر وساجعي النظم والنثر

• رعى الله قبرين استكانا ببلدة • هما أسكناها في السواد من القلب •
• لئن غيبا عن ناظري وتبوآ • فؤادي لقد زاد التباعد في القرب •
• يقر بعيني أن أزور ثراهما • وألزق مكنون الترائب بالترب •
• وأبكي وأبكي ساكنيها لعلني • سأنجد من صحب وأسعد من سحب •
• فما ساعدت ورق الحمام أخا أسى • ولا روحت ريح الصبا عن أخي كرب •
• ولا استعذبت عيناي بعدهما كرى • ولا ظمئت نفسي إلى البارد العذب •
• أحن ويثني اليأس نفسي عن الأسى • كما اضطر محمول على المركب الصعب •

وله يرثي ابنه محمداً رحمه الله

• محمد إن كنت بعدك صابراً • صبر السليم لما به لا يسلم •
• ورزئت قبلك بالنبي محمد • ولرزؤه أدهى لدي وأعظم •

فلقد

بعلم اليقين

• فلقد علمت بأنني بك لاحق • من بعد ظني أنني متقدم •
• لله درك لا يزال لخاطري • متصرفاً في صبره متحكم •
• فإذا نظرت فشخصه متخيل • وإذا أصخت فصوته متوهم •
• وبكل أرض لي من أجلك لوعة • وبكل قبر وقفة وتلوم •
• فإذا دعوت سواك حاد عن اسمه • ودعاه باسمك معول بك مغرم •
• حكم الردى ومناهج قد سنها • لأولي النهى والحزن قبل متمم •

انتهى ولعمري إنه لم يوف القاضي أبا الوليد الباجي حقه الواجب المفترض وورد أنه نفث النفس في ترجمته بعبارته التي يعترف ببراعتها من سلم ومن اعترض فإن ترجمة المذكور مما سطره أفسح مجالاً وأفصح رويته وارتجالاً وبالجملة فهو أحد أعلام الأندلس وهو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي وذكره ابن بسام في الذخيرة وابن خلكان وغير واحد وأصله من بطليوس وانتقل جده إلى باجة قرب إشبيلية وليس هو من باجة القيروان ومولده سنة ٤٠٣ ورحل سنة ٤٢٦ فقعد مصر وسمع بها وأجر نفسه ببغداد لحراسة الدروب وكان لما رجع إلى الأندلس وشهرته تغني عن وصفه ومن

نظمه قوله

• ما طال عهدي بالديار وإنما • أنسى معاهدها أسى وتبلد •
• لو كنت أبيات الديار صبابتي • رق الصفا بفنائها والجلمد •

وله في المعتضد عباد والد المعتمد

• عباد استعبد البرايا • بأنعم تبلغ النعايم •
• مديحه ضمن كل قلب • حتى تغنت به الحمايم •

ومن أشهر نظمه قوله إذا كنت أعلم البيتين وقد سبقا وممن ذكره أيضاً الحجاري في المسهب وابن بشكوال في الصلة وأنه حج أربع حجج رحمه الله وتوفي في المرية لإحدى عشرة بقيت من رجب وقيل ليلة الخميس تاسع رجب وقيل تاسع عشر صفر سنة ٤٧٤ ومن تواليفه المنتقى في شرح الموطأ ذهب فيه مذهب الاجتهاد وإيراد الحجج وهو مما يدل على تبحره في الفنون ولما قدم من المشرق إلى الأندلس بعد ثلاثة عشر عاماً وجد ملوك الطوائف أحزاباً متفرقة فمشى بينهم في الصلح وهم يجلونه في الظاهر ويستثقلونه في الباطن ويستبردون نزعته ولم يفد شيئاً فالله يجازيه على نيته ولما ناظر ابن حزم قال له الباجي أنا أعظم منك همة في طلب العلم لأنك طلبته وأنت معان عليه تسهر في مشكاة الذهب وطلبته وأنا أسهر لقنديل بائت بالسوق فقال له ابن حزم هذا الكلام عليك لا لك لأنك إنما طلبت العلم وأنت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي وأنا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته فلم أرج به إلا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة فأفحمه قال عياض قال لي أصحابه كان يخرج إلينا للإقراء وفي يده أثر المطرقة إلى أن فشا علمه ونوهت

الدنيا به وعظم جاهه واجزلت صلاته حتى مات عن مال وافر وكان يستعمله الاعيان في ترسلهم ويقبل جوابهم وولي القضاة بمواضع من الاندلس وابن حزم المذكور هو ابو محمد بن حزم الظاهري قال ابن حيان وغيره كان ابن حزم صاحب حديث وفقه وجدل وله كتب كثيرة في المنطق والفلسفة لم يخل فيها من غلط وكان شافعي المذهب يناظر الفقهاء عن مذهبه ثم صار ظاهريا فوضع الكتب في هذا المذهب وثبت عليه الى ان مات وكان يخلو مع الادب وشنع عليه الفقهاء وطعنوا فيه واقصاه الملوك وابعدوه عن وطنه وتوفي بالبادية عشية يوم الاحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ٤٥٦ وقال صاعد في تاريخه كان ابن حزم اجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام واوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والاخبار اخبرني ابنه الفضل انه اجتمع عنده بخط ابيه من تواليفه نحو اربعمائة عن تاريخ صاعد الحافظ الذهبي قال الذهبي وهو العلامة ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الاموي مولاهم الفارسي الاصل الاندلسي القرطبي الظاهري صاحب المصنفات واول سماعه سنة ٤٠٩ وكان اليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل والعربية والاداب والمنطق والشعر مع الصدق والدين والحشمة والسودد والرياسة والثروة وكثرة الكتب قال الغزالي رحمه الله وجدت في اسماء الله تعالى كتابا لابي محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه انتهى باختصار وعلى الجملة فهو نسيج وحده لولا ما وصف به من سوء الاعتقاد والوقوع في السلف الذي اثار عليه الانتقاد سامحه الله وذكر الذهبي ان عمره اثنان وسبعون سنة وهو لا ينافي قول غيره انه كان عمره احدى وسبعين سنة وعشرة اشهر لانه كان ولد رحمه الله بقرطبة بالجانب الشرقي في ربض منية المغيرة قبل طلوع الشمس وبعد سلام الامام من صلاة الصبح اخر ليلة الاربعاء اخر يوم من شهر رمضان سنة ٣٨٤ وكان كثير المواظبة على التاليف ومن جملة ما الفه كتاب الفصل بين اهل الاهواء والنحل وكتاب الصادع والرادع على من كفر اهل التاويل من فرق المسلمين والرد على فرق التقليد وكتاب شرح حديث الموطا والكلام على مسايله وكتاب الجامع في صحيح الحديث باختصار الاسانيد والاقتصار على اصحها وكتاب التلخيص والتخليص في المسايل النظرية وفروعها التي لا نص عليها في الكتاب والحديث وكتاب منتقى الاجماع وبيانه من جملة ما لا تعرف فيه اختلاف وكتاب الامامة والخلافة في سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها وكتاب اخلاق النفس وكتاب الايصال الى فهم كتاب الخصال وكتاب كشف الالتباس ما بين اصحاب الظاهر واصحاب القياس انتهى وقال ابن سعيد في خول ابن حزم ما ملخصه الوزير العالم الحافظ ابو محمد علي بن الوزير ابي احمد بن سعيد بن حزم الفارسي وشهرته تغني عن وصفه وتوفي منفيا بقرية من

بلدة

من بلده بلدبلة ووصلته من ابن عمه ابي المغيرة رسالة فيها ما اوجب ان جاوبه بهذه الرسالة ومنها سمحت واطعت لقوله تعالى واعرض عن الجاهلين ولقول نبيه عليه الصلاة والسلام صل من قطعك واعف عمن ظلمك ورضيت بقول الحكماء كفاك انتصارا ممن تعرض لاذاك اعراضك عنه واقول

- تتبع سواي امرءا يبتغي سبابك ان هواك السباب •
- فاني ابيت طلاب السفاه • وصنت محلي عما يعاب •
- وقل ما بدا لك من بعد ذا • واكثر فاني سكوتي خطاب •

واقول

- كفاني بذكر الناس لي وماثري • وما لك فيهم يا ابن عمي ذاكر •
- عدوي واشياعي كثير كذاك من • غدا وهو نفاع المساعي وضاير •
- واني وان اذيتني وعققتني • لمحتمل ما جاءني منك صابر •

نوقع له ابو المغيرة على ظهر رقعته فقرات هذه الرقعة العاقه فحين استوعبتها اشدتني

- تخشخ زيد وسعل • لما راى وقع الاسل •

فاردت قطعها وترك المراجعة عنها فقالت لي نفسي قد عرفت مكانها بالله لا تقطعه الا بيد فاثبت على ظهرها ما ملو سببا المصونها فقلت

- تعففت ولم تدر كيف الجواب • واخطات حتى اتاك الصواب •
- واجريت وجدك في حلبة • نا منعك فيها الجياد العراب •
- وبت من الجهل مستنجيا • لغير قرى فاتتك الذباب •
- فكيف تبيت عقبى الظلوم • اذا ما انقضت بالخميس العقاب •
- لعمرك ما لي طباع تدوم • ولا شيمة يوم مجد تعاب •
- انيل المنى والظبى تختط • واعطي الرضا والعوالي غضاب •

واقول

- وغاصب حقوا وتبغته المقادر • يذكرني حاميم والرمح شاجر •
- غدا يستعير الفخر من خيم خصمه • ويجهل ان الحق ابلج ظاهر •
- الم تتعلم يا اخا الظلم انني • برغمك ناه منذ عشر وامر •
- تذل لي الاملاك حتى نفوسها • واركب ظهر النثر والشعر طايعا •
- وابعث في امثالي الزمان شواردا • تلينهم وهي الصعاب النوافر •
- فانا توفي ارضنا في سراير • واني انا عن قوم فابي في حاضر •
- وحسبك ان الارض عندك خاتم • وانك في سطح السلامة عاثر •
- ولا لوم عندي في استنزاله التي • تنفست عنها والخطوب فواقر •
- فاني للخلف الذي من حافظ • وللنزعة الاولى بحاميم ذاكر •

مبينا لكلما لديه فاننا • عطية من تبلى لديها السرائر •

ومن شعر ابي محمد بن حزم يخاطب قاضي الجماعة بقرطبة عبد الرحمن بن بشير

انا الشمس في جو العلوم منيرة • ولكن عيبي ان مطلعي الغرب •

ولو انني من جانب الشرق طالع • لجد على ما ضاع من ذكرى النهب •

ولي نحو افاق العراق صبابة • ولا غرو ان يستوحش الكلف الصب •

فان ينزل الرحمن رحلي بينهم • فحينئذ يبدو التأسف والكرب •

فكم قايل اغفلته وهو حاضر • واطلب ما عنه تجي به الكتب •

هنالك يدري ان للبعد قصة • وان كساد العلم افته القرب •

فيا عجبا من غاب عنهم تشوقوا • له ودنو المرء من دارهم ذنب •

وان مكانا ضاق عني لضيق • على انه فيح مهامهه سهب •

وان رجالا ضيعوني لضيع • وان زمانا لم انل خصبه جدب •

ومنها في مدحه لنفسه

ولكن لي في يوسف خير اسوة • وليس على من بالنبي ايتسى ذنب •

يقال مقال الحق والصدق انني • حفيظ عليم ما على صادق عتب •

وقوله

لا يشمتن حاسدي ان نكبة عرضت • فالدهر ليس على حال بمشترك •

ذو الفضل كالتبر يلقى تحت متربة • طورا وطورا يرى تاجا على ملك •

وقوله لما احرق المعتضد بن عباد كتبه باشبيلية

دعوني من احراق رق وكاغد • وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري •

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي • تضمنه القرطاس بل هو في صدري •

يسير معي حيث استقلت ركايبي • وينزل اذا انزل ويدفن في قبري •

وقوله

لئن اصبحت مرتحلا بشخصي • فقلبي عندكم ابدا مقيم •

ولكن للعيان لطيف معنى • لذا سأل المعاينة الكليم •

وقوله

وذي عذل فيمن سباني حسنه • يطيل ملامي في الهوى ويقول •

امن اجل وجه لاح لم تر غيره • ولم تدر كيف الجسم انت عليل •

فقلت له اسرفت في اللوم فاتئد • فعندي رد لو اشاء طويل •

الم تر اني ظاهري ولانني • على ما ارى حتى يقوم دليل •

ومنو ابو محمد علي بن ابي عمر احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن يزيد القرطبي قال ابنه ابو رافع الفضل اجتمع عندي بخط ابي من تواليفه نحو اربعمائة مجلد تشتمل على قريب من نحو ثمانين

الفوزنة

الف ورقة انتهى وابوه الوزير ابو عمر المذكور كان من وزراء المنصور بن ابي عامر وتوفي كما قال ابن حيان بدبا لغفرة ٤٠٢ سنة وكان مغشاه ومولده بقرية تعرف بالزاوية

وحكي ان الحافظ ابا محمد بن حزم قصد ابا عامر بن شهيد في يوم غزير المطر والوحل شديد الريح فلقيه ابو عامر واعظمه قصده على تلك الحال وقال له يا سيدي مثلك يقصدني في مثل هذا اليوم وانشده ابو محمد بن حزم بديهيا

فلو كانت الدنيا دونك لجة • وفي الجو صعق دايم وحريق •

لسهل ودي فيك نحوك مسلكا • ولم يتعذر لي اليك طريق •

قال الحافظ بن حزم انشدني الوزير ابي في بعض وصاياه لي فقال

اذا شئت ان تحيى غنيا فلا تكن • على حالة الا رضيت بدونها •

وهذا كان في فصل الفرع والاصل سامح الله الجميع وقال ابن حزم في طوق الحمامة اندثر نوما هو وابو يوسف بن عبد البر صاحب الاستيعاب بسكة الخطابين من مدينة اشبيلية فلقيهما شاب حسن الوجه فقال ابو محمد هذه صورة حسنة فقال له ابو عمر لم نر الا الوجه فلعل ما سترته الثياب ليس كذلك فقال ابن حزم ارتجالا

وذي عذل فيمن سباني حسنه • الابيات المتقدمة ولابن حزم ايضا قوله

لا تلمني لان سبقة لحظ • فات ادراكه ذوي الالباب •

يسبق الكلب وثبة الليث في العدو ويعلو النخال فوق اللباب •

ولابي بكر بن مغوز جزء يرد فيه على ابي محمد بن حزم وفيه قال معرضا

يا من تغابى في امورا لو تجابيها • خل التغابي واعط القوس باريها •

تروي الاحاديث عن كل مسامحة • وانما لمعانيها معانيها •

وقيل انه خاطب بهما بعض اصحاب بن حزم رجع الى القاضي ابي الوليد الباجي ومن

قوله من مرثية

اخو بيني الناس نفسي على الاسى • كما اضطر محمول على المركب الصعب •

ومن جيد نظمه قوله

اسروا على الليل البهيم سراهم • فنمت عليهم في الشمال شمايل •

متى نزلوا ثاوين بالخيف من منى • بدت للهوى بالمازمين مخايل •

فلله ما ضمت منى وشعابها • وما ضمنت تلك الربى والمنازل •

ولما التقينا للجمار وابرزت • اكف لتقبيل الحصى وانامل •

اشارت الينا بالغرام محاجر • وباحت بما تخفي جسوم نواحل •

وقال الباجي ابو الوليد رحمه الله

مضى زمن المكارم والكرام • سقاه الله من صوب الغمام •

وكان البر فعلا دون قول • فصار البر نطقا بالكلام •

وذيّله بعضهم بقوله

وزال التطوّح حتى لست تلقى . فتى يسمو بردّ للسلام .
وزال الامر حتى ليس الا . سحيق بالاذى او بالملام .

ومنهم الفقيه العالم الشهير ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان ابن ايوب الفهري الطرطوشي صاحب سراج الملوك ويعرف بابن ابي رندقة بالراء المهملة المفتوحة وسكون النون وكفى بسراج الملوك دليلا على فضله وذكره ابن بشكوال في الصلة وتوفي بالاسكندرية في شعبان وقيل جمادى الاولى سنة ٥٢٠ وزرت قبره بالاسكندرية ومما اخذ عنه الحافظ القاضي ابو بكر بن العربي وغيره ومن نظم الطرطوشي قوله من رسالة

اقلّب طرفي في السماء ترددا . لعلي ارى النجم الذي انت تنظر .
واستعرض الركبان من كل وجهة . لعلي بمن قد شم عرفك اظفر .
واستقبل الارياح عند هبوبها . لعل نسيم الريح عنكم تخبّر .
وامشي وما لي في الطريق مآرب . عسى نغمة باسم الحبيب تذكّر .
والمح من القاه من غير حاجة . عسى لمحة من حسن وجهك تسفر .

ومن نظمه ايضا قوله

يقولون ثكلى ومن لم يذق . فراق الاحبة لم يثكل .
لقد جرعتني ليالي الفراق . كؤوسا امرّ من الحنظل .

ومما نسب اليه

اذا كنت في حاجة مرسلا . وانت بانجازها مغرم .
فارسل باكمه جلابة . به صمم اغطش ابكم .
ودع عنك كل رسول سوى . رسول يقال له الدرهم .

وكان كثيرا ما ينشد

ان لله عبادا فطنا . طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا .
نظروا فيها فلما علموا . انها ليست لحي وطنا .
جعلوها لجة واتخذوا . صالح الاعمال فيها سفنا .

وقال رحمه الله كنت ليلة نائما بالبيت المقدس اذ سمعت في الليل صوتا حزينا

ينشد

أخوف ونوم ان ذا لعجيب . ثكلتك من قلب فانت كذوب .
اما وجلال الله لو كنت صادقا . لما كان للاغماض فيك نصيب .

قال فايقظ النوام وابكى العيون وكان رحمه الله زاهدا متورعا متقللا من الدنيا قوالا للحق وكان يقول اذا عرض لك امران دنيا واخرى فبادر بامر الاخرى

يحصل لك

يحصل لك امر الدنيا والاخرى وله طريقة في الخلاف ودخل مرة على الافضل بن امير الجيوش فوعظه وقال له ان الامر الذي اصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عن يدك بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه الامة فان الله عز وجل سائلك عن النقير والقطمير والفتيل واعلم ان الله عز وجل اتى سليمان بن داود ملك الدنيا بحذافيرها فسخر له الانس والجن والشياطين والطير والوحش والبهائم وسخر له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب ورفع عنه حساب ذلك اجمع فقال عز من قائل هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فما عد ذلك نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف ان يكون استدراجا من الله عز وجل فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم وكان الى جانب الافضل رجل نصراني فانشده بقوله

يا ذا الذي طاعته قربة . وحقه مفترض واجب .
ان الذي شرفت من اجله . يزعم هذا انه كاذب .

واشار الى النصراني فاقام الافضل من مكانه والطرطوشي بضم الطاء نسبة الى طرطوشة من بلاد الاندلس وقد تفتح الطاء الاولى وعبّر عنه ابن الحاجب في مختصره الفقهي في باب العتق بالاستاذ وكان رحمه الله صحب القاضي ابا الوليد الباجي بسرقسطة واخذ عنه مسائل الخلاف وسمع منه واجازه وقرا الفرائض والحساب بوطنه وقرا الادب على ابي محمد بن حزم بمدينة اشبيلية ثم رحل الى المشرق سنة ٤٧٦ ودخل بغداد والبصرة فتفقه عند ابي بكر الشاشي وابي محمد الجرجاني وسمع بالبصرة من ابي علي التستري وسكن الشام مدة ودرس بها وكان راضيا باليسير وقال الصفدي في ترجمة الطرطوشي ان الافضل بن امير الجيوش انزله في مسجد سفينة الملك بالقرب من الرصد وكان يكره مدة فلما طال المقام به ضجر وقال لخادمه الى متى نصبر اجمع لي المباح فجمعه واكله ثلاثة ايام فلما كان عند صلاة المغرب قال لخادمه رميته الساعة فلما كان من الغد ركب الافضل فقتل وولي بعده المامون بن البطائحي فاكرم الشيخ اكراما كثيرا وله الف الشيخ سراج الملوك انتهى ومقاماته اعني الطرطوشي مشهورة وهذه الحكاية تكفي في ولايته ومن تاليفه مختصر تفسير الثعالبي والكتاب الكبير في مسائل الخلاف وكتاب في تحريم جبن الروم وكتاب بدع الامور ومحدثاتها وكتاب شرح رسالة الشيخ ابن ابي زيد وولد سنة ٤٥٠ تقريبا ولما توفي صلى عليه ولده محمد ودفن رحمه الله قبلي الباب الاخضر بالاسكندرية وزرت قبره مرارا رحمه الله ورضي عنه ونفعنا به وكان القاضي عياض استجازه فاجازه ولم يلقه وشهرته رضي الله عنه تغني عن الاطناب حكي انه كتب على سراج الملوك الذي اهداه لوالي الامر بمصر

الناس يهدون على قدرهم . لكنني اهدي على قدري .

يهدون مما يغنيني واهتدي الذي • يبغي على الايام والدهر •
وحكى انه سمع رضي الله عنه منشدا ينشد للواواء •
فمر اتى من غير وعد • في ليلة طرقت بسعد
باتا لصباح الى الصبا • ح معانقي خدا بخد
مما رنى وناظري • ما شئت من خمر وورد •
فقال ا... يظن هذا الدمشقي ان احدا لا يحسن نظم الكذب غيره ولو شئنا
لكذبنا مثل هذا ثم انشد لنفسه معارضه
فمر بدا من غير وعد • خفت شمائله بسعد •
فلثمته ورشفت ما • في فيه من خمر وشهد •
فرشفت من السلسبيل بزنجبيل مستنفد •
ولثمت فاه من الغروب الى الصباح المستجد •
وسكرت من رشفي العقيق على اقاح تحت رند •
فنزعت عن فمه فمي • ووضعت خدا فوق خد •
وشممت عرف نسيمه • الجاري على مسك وند •
وصحوت من ريا القرنفل بين ريحان وورد •
والدمن وصلي به • شكواه وجدا مثل وجدي •
ومن نظم الطرطوشي ايضا قوله •
كان لساني والمشكلات • سنى الصبح يجلو لليل البهيما •
وغيري ان رام ما رمته • خصي يحاول ان يرجا عقيما •
وقوله
فاعمل لمعادك يا رجل • فالقلب لدنيا هم عملوا •
وادخر لمسيرك زادا • فالقوم بلا زاد رحلوا •
ومنهم محمد بن عبد الجبار الطرطوشي وفد الى المشرق وذكره العماد في الخريدة
وله في الامرد المحلى بمصر وكان يخضب بسواد الرمان يخضب بالحناء فتح حضنا يسواده
اخلط الخفض فيه با احوج الناس الى الخفض حين يعكس عفص ومنهم القاضي
الشهير الشهيد ابو علي الصدفي وهو حسين بن محمد بن فيره بن حيون ويعرف بابن
سكرة وهو من اهل سرقسطة سكن مرسية وروى بسرقسطة عن الباجي وابي
محمد عبد الله بن محمد بن اسماعيل وغيرهما وسمع ببلنسية من ابي عباس العذري
وسمع بالمرية من ابي عبد الله محمد بن سعدون القروي وابي عبد الله بن المرابط
وغيرهما ورحل الى المشرق اول المحرم سنة ٤٨١ه وحج من عامه ولقي بمكة ابا عبد
الله الحسين بن علي الطبري وابا بكر الطرطوشي وغيرهما ثم صار الى البصرة فلقي بها

اباعلي

ابا علي المالكي وابا العباس الجرجاني وابا القاسم بن شعبة وغيرهم وخرج الى بغداد
فسمع بواسط من ابي المعالي محمد بن عبد السلام الاصبهاني وغيره ودخل بغداد
٤٨٣ه فاطال الاقامة بها خمس سنين كاملة وسمع بها من ابي الفضل بن خيرون
مسند بغداد ومن ابي الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي وطراد الزينبي
والحميدي وغيرهم وتفقه عند ابي بكر الشاشي وغيره ثم رحل منها ٤٨٧ه فسمع
بدمشق من ابي الفتح نصر المقدسي وابي الفرج الاسفراييني وغيرهما وسمع بمصر
من القاضي ابي الحسن الخلعي وابي العباس احمد بن ابراهيم الرازي واجازه الحبال
مسند مصر في وقته ومكثرها وسمع بالاسكندرية من ابي القاسم الوراق وشعيب
ابن سعيد وغيرهما ووصل الى الاندلس في صفر من سنة سبعين واربعمائة وقصد
مرسية فاستوطنها وقعد يحدث الناس بجامعها ورحل الناس من البلدان اليه
وكثر سماعهم عليه وكان عالما بالحديث وطرقه عارفا بعلله واسماء رجاله ونقلته
وكان حسن الخط جيد الضبط وكتب بخطه علما كثيرا وقيده وكان حافظا لمصنفات
الحديث قائما عليها ذاكرا لمتونها واسانيدها ورواتها وكتب منها صحيح البخاري
في سفر وكان قائما على الكتابين مع مصنف ابي عيسى الترمذي وكان فاضلا دينا
متواضعا حليما وقورا عالما عاملا واستقضي بمرسية ثم استعفى فاعفي واقبل
على نشر العلم وبثه وقد ذكره ابو القاسم بن عساكر في تاريخه لدخوله قال ولو بغدادات
استقرت به النوى واستمرت افادته بما قيده ورواه رفعته مسلوكا وانه وشفعته
في مطالب اخوانه فاوسعته رحبا وحسنت فيه رايا وخف ابناؤهم من جعل
يقصده لسماع بسنده وعلى وقاره الذي كان به يعرف نده له مع بعضهم على ما يستنظر
ومتوان فتى يسمى يوسف لازم مجلسه متعطرا زاجينه ومنظفا ملبسه ثم غاب لمرض
قطعه او شغل منعه ولما فرغ او ابل عاود ذلك النادي المبارك والمحل وقبل اقتضا
البرد لطيبه عليه فقال الشيخ على سلامته من المجون وسلامته من الفنون ابي
لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون وهي من طرف نوادره رحمة الله عليه ولما قلد قضا
مرسية وعزم عليه صاحب الامر فيه فر الى المرية فاقام بها سنة خمس وبعض سنة
ست وخمسمائة وفي سنة ست قبل قضاها على كره الى ان استعفى اخر سنة سبع
في قصة يطول ايرادها ويطول مقامه بالمرية اخذا للناس عنه بها فلما كانت وقعة
كتندة كان ممن حضرها فقد فيها سنة اربع عشرة وخمسمائة رحمه الله وقال
القاضي عياض ولقد حدثني الفقيه ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر انه قال له خذ
الصحيح واذكر اي متن شئت منه اذكر لك سنده او اي سند شئت اذكر لك متنه
انتهى وذكر غير واحد انه حدث ببغداد بحديث واحد والله اعلم وهو من ابناء
السنين ومنهم ابن ابي روح الجزيري ومن شعره لما تغرب بالمشرق قال

احن الى الخضراء في كل موطن • حنين مشوق للعناق وللضم •
وما ذاك الا ان جسمي رضيعها • ولا بد من شوق الرضيع الى الام •

ومنهم العالم ابو حفص عمر بن الحسن الهوزني الحسيب العالم المحدث وسبب رحلته للمشرق انه لما تولى المعتضد بن عباد خاف منه فاذنه في الحج سنة ٤٤٤ ورحل الى مصر ثم مكة وسمع صحيح البخاري وعنه اخذه اهل الاندلس ورجع وسكن اشبيلية وخدم المعتضد فقتله سنة ٤٦٠ **ومن شعره يحرضه على الجهاد**

اعباد حل الرزء والقوم هجع • على حالة من مثلها يتوقع •
فلق كتابي من فراغك ساعة • وان طال فالموصوف للطول موضع •
اذا لم ابث الداء رب شكاية • اضعت وامل للملام المضيع •

وما اخطا السبيل من اتى البيوت من ابوابها ولا ارحى الدليل من ناط الامور بارنابها ولرب امل بين اثناء المحاذير مدرج ومحبوب في طي المكاره مدرج فانتهز فرصتها فقد بات من غيرك العجز وطبق مفاصلها فكان قد امكنك الحز ولا غرو ان يستمطر الغمام في الجدب ويستصحب الحسام في الحرب **وله**

صوح الشر فلا يستقل • ان يهلنم جايح بعد غل •
بدا صعق الارض شر وطل • ورياح ثم غيم ابل •
خفضوا فالدار زال اجل • واغمدوا سيفا عليكم سيل •

وابنه ابو القاسم هو الذي كان سبب فساد دولة المعتمد بن عباد بسبب قتل المعتضد والده كما مر **ومنهم** ابو عمرو عثمان بن الحسين اخو الحافظ بن الخطاب بن دحية الا انه كان اسن من اخيه ابي الخطاب وكان حافظا للغة العرب فيما بهما وعزل الملك الكامل ابا الخطاب عن دار الحديث الكاملية التي انشاها بين القصرين ورتب مكانه اخاه ابا عمرو المذكور ولم يزل بها الى ان توفي سنة ٦٣٤ بالقاهرة ودفن بسفح الجبل المقطم كاخيه وكان موت ابي عمرو بعد ابي الخطاب بسنة رحمهما الله **ومنهم** الكاتب ابو بكر محمد بن قاسم من اهل وادي الحجارة ويعرف بالاشكنهاده وارتحل الى المشرق لما نبت به حضرة قرطبة عند تقلب دولها وتحول ملوكها وخولها فجال في العراق وقاسى الم الفراق واجتاز بحلب واقام بها مقام غريب لم يصف له حلب **وقال**

ايا نفحة الغرب من ارض حلب • امل في الغرب موصول النحب •
حن من شوق الى اوطانه • من جفاه صبره لما اغترب •
جال في الارض لحاجاته برا • بين شوق وعناء ونصب •
كل من يلقاه لا يعرفه • يستغيثا بين عجم وعرب •
لهف نفسي اترى ما نبك العلى • واضياعاه وبا غبن الحسب •
والذي قد كان ذخرا وبه • ارتجي المال دوادرك الرتب •

صار لي

صار لي بحثي ما اغدوته • بين قوم ما دروا طعم الادب •
يا احبائي استمعوا بعض الذي • يتلقاه الطريد المغترب •
وليكن زجرا لكم عن غربة • يرجع الراس لديها كالذنب •
واحملوا اطعنا وضربا لا بما • فهو عندي بين قومي كالضرب •
ولئن قاسيت ما قاسيته • فبما ابصر لحظي من عجب •
ولقد اخبرتكم ان النوى • بكم حتى تقولوا قد كذب •

واجتاز بدمشق فقال من ابيات

دمشق جنة الدنيا حقيقا • ولكن ليس تصلح للغريب •
بها قوم لهم عدد ومجد • وصحبتهم تؤول الى الحروب •

ثم انه ودع الشرق بالاسلام وحل بحضرة دانية لدى ملكها مجاهد العامري في بحبوحة عز لا يخشى فيه الملام واستقبل الاندلس بخاطر جديد فقال بها بعد يلوع الامل لما اليس عليه مزيد

وكم قد لقينا الجهد قبل مجاهد • وكم ابصرت عيني وكم سمعت اذني •
ولا نبت من دهري وصرف خطوبه • كما جرت النكبا في معطف الغصن •
فلا تنسا لوني عن فراق حبيبهم • ولكن سلوني عن حلولي في عدن •

وله من كتاب وحاملها كما في مثله الله واعاذه مما حنى عليه الزمان وادار عليه ما صحا الى الان كؤوس الهوان وقد قصدتك على بعد جناب ك الرحيب الخصيب قصد الحسن محل الخصيب ويمم جنابا بن طاهر حبيب واني لارجوان يرجع منك رجوع نصيب عن سليمان ويستغنين في شكرك بكل لسان فانت عليم بان الثناء من الخلف **وقد قال الاول**

ارى الناس احدوثة • فكوني حديثا حسن •

وانا القايل

فلا تزهدن في الخير قدمات حاتم • واخباره حتى القيامة تذكر •

ومع هذا فهو على يقدر ما يحتمل من التكليف هذا الاوان عارف وجوه الاعذار غير ذي عجل في العتب قبل البيان وعند سدي من التمهيد للانضمام ما يحقق فيه جميع الرجا دامت ارجاؤه مومله ولا برحت نعمتها بعز مكمله **ومنهم** الكاتب ابو عبد الله محمد بن عبدربه المالقي وقال بعضهم انه من الجزيرة الخضرا له رحلة الى الديار المصرية صنع فيها مقامة **يقول فيها**

وفي جنبات الروض نهر ودوحة • يرفرف فيها سندس ونضار •
تقول وضوء البدر فيه مغربا • ذراع فتاة دار فيه سوار •

ومن شعره

ما كل انسان اخ منصف • ولا الليالي ابدا تسعف •
فلا تضيع فرصة امكنت • واصحب من الاخوان من ينصف •
وانتف من الدنيا ولو زينة • فانما حظك ما تنتف •

وقوله من ابي السيد ابا عمر بن امير المومنين يوسف بن امير المومنين عبد المومن ابن علي ملك المغرب والاندلس

بمجيد المعالي ای عقد تبددا • وصدر المعالي ای رمح تقصدا •
ولما ذهبت خيل الشفا نجاة • وسال الحدى بحرا من الموت مزبدا •
شهدت بوجه كالغزالة مشرقا • وان كان وجه الشمس بالنقع مزبدا •
عزايم صدق لبيس تصرف مثلها • الى الموت يسعى او على الموت يعتدي •

وكان السيد ابو عمران المذكور قتله الميورقي صاحب فتنة افريقية في الهزيمة المشهورة على تلهوت وجمع ابن عبد ربه المذكور شعر السيد ابي الربيع بن عبد الله بن امير المومنين عبد المومن بن علي وكان ابن عبد ربه المذكور كاتبا للسيد ابي الربيع سليمان المذكور ومما انشده

لبعض الشعرا

حاكت يمين الرياح محكمة • في نهر واضح الاسارير •
فكلما صفقت به حلقا • قام لها القطر بالمسامير •

انشد لنفسه

بين الرياض وبين الجو معترك • بيض من البرق او سمر من السمر •
ان اوترت قوسها كف السماء رمت • نبلا من الماء في زغف من الغدر •
لاجل ذلك اذا امتت طلايعها • تدرع النهر واهتزت قنا الشجر •

واجتمع ابن عبد ربه المذكور في رحلته بالسعيد بن سنا الملك واخذ عنه شيا من شعره ورواه بالمغرب ومنهم الشاعر الاديب ابو محمد عبد المنعم بن عمر بن حسان الغساني المالقي ومن نظمه في السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب من قصيده

وفي صهوات المقربات وفي القنا • حصون حمى لا في هضاب المعاقل ومنها
ولا ملك الدنيا في كيوسف آخرا • كما لم يجي مثل له في الاوايل •

ومنهم الحافظ ابو الخطاب بن دحية وهو مجد الدين عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن فرح بن خلف الظاهري المذهب الاندلسي كان من كبار المحدثين ومن الحفاظ الثقات الاثبات المحصلين استوطن بجاية في مدة ابي عبد الله بن يومور وروى بها واسمع وكان من احفظ اهل زمانه باللغة حتى صار وحشي اللغة عنده مستعملا غالبا ولا يحفظ الانسان من اللغة وحشيها الا وذلك به دون غيره كما فعل كثير من الادبا حيث تركوا طريق العرب وانفردوا بالطريق الاخر ولو سلكوا طريق العرب لكانوا فيه كاحاد الناس وكذا الشيخ ابو الخطاب بن دحية له رسايل ومخاطبات كلها

مغلقات

215

مغلقات مقفلات وكان رحمه الله اسد النسب اسمه فيما يجيزه اوغير ذلك بكتب ابن دحية ودحية معا المشبه بجبريل وجبرائيل ويذكر ما ينيف على ثلاثة عشر لغة مذكورة في جبريل ويقول عند فاطر السموات والارض وهذا نوع انفرد به عمن عداه من اهل العلم قال صاحب عنوان الدراية من رايت له تصنيفا في رجال الحديث ولا باس به وارتحل الى المشرق في دولة بني ايوب فرفعوا شانه وقربوا له مكانه وجمعوا له علما الحديث وحضروا له مجلسا اقروا له بالتقدم وعرفوا انه من اولي الضبط والاتقان والفهم ودلوا احاديث باسانيد حولوا متونها فاعاد المتون المحولة وعرف عن تغيير ما ثم ذكر الاحاديث على ما هي عليه من متونها الاصلية ومثل هذه الحكاية اتفقت لابي عمر بن عات في كتاب مسلم بمراكش بتبييت لطلبة منها

ومن شعر ابي الخطاب ما كتب به الى الكامل بن العادل بن ايوب

ما لي اسايل برق بارق عنكم • من بعد ما بعدت دياري عنكم •
محلكم قلبي وانتم بالحشى • لا بالعقيق ولا برامة انتم •
وانا المقيم على الوفا بعهدكم • يا ايها الكين وفيتم او خنتم •

وهي طويلة

ومنها

رفعت له الاملاك سر سجية • سلك السماك الرمح ومو محرم •

ومنها ايضا

لذوي النهى والفهم سر حكومة • فذكا رفيها كاهن ومنجم •
فانصر مرادك حيث سرت مظفرا • والله يكلا والكواكب نوم •
وليهنك الشهر السعيد نصوه • وتقور فيه بالثواب وتغنم •
فلانت في الدنيا كليلة قدره • قدرا فقدرك في الملوك معظم •

فاجابه السلطان مكافية بنثر ونظم فمن النظم

ومبيحين شوقي لتلك الاجارع باللوى • وابن اللوى مني واين الاجارع •
مرابع لولا المرابع انجم • لكان نجوم الارض تلك المرابع •
رعى الله ايامنا لنا ولو انها • الى الوقت ولى الشباب رواجع •
ليالي لا ليالي اذا رمت وصلها • بلوح لها من صبح شيبي موقع •

في جملة ابيات ومن النثر الحمد لله ولي الحمد وقف ولده الابيات التي حسن شعرها وصفا درها وليس من البديع ان يغدو البحر درا • او ينظم الجليل شعرا • وقد اخذت الورقة لانثره في معانيها • واستفيد بما اودعته فيها • فالله تعالى لا يخليها من فوايد فكرته وصالح ادعيته والسلام فاجابه الحافظ ابو الخطاب عن الابيات

بقوله من قصيدة

شجتني شواج في الغصون سواجع • فقاضت مواه الجفون هوامع •

والكثر فيهما من التغزل الى ان قال

• ولا حاكم ارضاه بيني وبينها • سوى حاكم دمري له اليوم طائع •
• بدايع عنا الضيم قايم سيفه • اذا عز من للضيم عني يدافع •
• هو الكامل الاوصاف ذو الملك الذي • تشير اليه بالكمال الاصابع •
• وبيض اياديه الكريمة في الورى • قلايد في الاعناق وهي الصنايع •
• ويوماه يوما الندا نعماهما • اذا اجتمعت غلب الملوك الجامع •

ومنها

• ثمار وضة غناهما مرت الصبا • فنشر نشرا الطيب للنشر ذايع •
• له من شكى الزهر برد مفوف • انيج له من ارض صنعا صانع •
• فراقك منها اخضر الثوب ناضر • وشاقك منها اصفر اللون فاقع •
• واحمر قان كالخدود مورد • وابيض كالثغر المفلج ناصع •
• بلحسن من توشيح مدحي الذي • تارجنا لارجا عندك ضايع • توشيح
• ولو لم يفيدني بذاك لكان لي • مجال فسيح في البسيطة واسع •
• فانت الذي لي في الاعادي كثيرة • فوثبوا مكان النجم في الافق رافع • ومنها
• بقيت لعيد حجة دحية الذي • يثيبه جبريل له ويضارع •
• وجدنا الزهرا بنت محمد • عليه السلام الدايم المتتابع •
• ولا عدمت منك الممالك ما لكا • يقرب للامال ما هو شاسع •
• ومنك عيون للمهمات يقظ • وعنك عيون الحادثات هواجع •

وقال المقريزي في ترجمة الملك الكامل انه كان مشغوفا بسماع الحديث النبوي وتقدم عنده ابو الخطاب بن دحية وبنى له دار الحديث الكاملية بين القصرين بالقاهرة انتهى وقال ابو الخطاب بن دحية انشدني ابو القاسم السهيلي لنفسه

وذكر انه ما سال الله بها الا اعطاه

• يا من يرى ما في الضمير ويسمع • انت المعد لكل ما يتوقع •
• يا من يرجى للشدايد كلها • يا من اليه المشتكى والمفزع •
• يا من خزاين رزقه في قول كن • امنن فان الخير عندك اجمع •
• ما لي سوى فقري اليك وسيلة • وبالافتقار اليك فقري ادفع •
• ما لي سوى قرعي لبابك حيلة • فلين رددت فاي باب اقرع •
• ومن الذي ادعو واهتف باسمه • ان كان فضلك عن فقيرك يمنع •
• حاشا لجودك ان تقنط عاصيا • الفضل اجزل والمواهب اوسع •

ومن نظم السهيلي

• اسايل عن جيرانه من لقيته • واعرض عن ذكراه والحال ينطق •

وما لي

• وما لي بجيرانه من صبابة • ولكن نفسي عن صبوح ترفق •

وله

• لما اجاب بلا طمعت بوصله • اذ حرف لا حرفان معتنقان •
• وكذا نعم بنعيم وصل اذنت • فنعم ولا في اللفظ متفقان •

ولد ابو الخطاب بن دحية في ذي القعدة سنة سبع او ثمان واربعين وخمسماية وتوفي في انفجار الفجر ليلة الثلاثا رابع عشر ربيع الاول ٦٣٣ سنه بالقاهرة ودفن بسفح الجبل المقطم وتكلم فيه جماعة فيما ذكره ابن النجار وقدره اجل مما ذكروه وقد روى رحمه الله بالمغرب ومصر والشام والعراق وخراسان وعراق العجم وكل ذلك في طلب الحديث وسمع بالاندلس من ابن بشكوال وابن زرقون في جمع كثير وببغداد من ابي الفرج بن الجوزي وباصبهان من ابي جعفر الصيدلاني معجم الطبراني وغيره وبنيسابور من ابي سعد بن الصفار ومنصور بن الفراوي والمويد الطوسي وحصل الكتب والاصول وحدث وافاد وكان من اعيان العلما ومشاهير الفضلا متقنا لعلم الحديث وما يتعلق به عارفا بالنحو واللغة وايام العرب واشعارها وصنف كتبا كثيرة مفيدة جدا منها كتاب التنوير في مولد السراج المنير صنفه عند قدومه الى اربل ٦٠٤ سنه وهو متوجه الى خراسان لما راى ملكها اربل مظفر الدين كوكبري معتنيا بعمل المولد النبوي في شهر ربيع الاول كل عام مهتما به غاية الاهتمام وكمله وقراه عليه بنفسه وختمه بقصيدة طويلة واجازه بالف دينار وصنف ايضا العلم المشهور في فضايل الايام والشهور والايات البينات في ذكر ما في اعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات وكتاب شرح اسماء النبي صلى الله عليه وسلم وكتاب النبراس في اخبار خلفا بني العباس وكتاب الاعلام المبين في المفاضلة بين اهل صفين وولي قضا بلده اصوله دانية مرتين ثم صرف عن ذلك لسيرة نعيت عليه فرحل منها وحدث بتونس ٥٩٥ سنة ثم حج وكتب بالمشرق عن جماعة باصبهان ونيسابور وعاد الى مصر فاستاذنه العادل لولده الكامل واسكنه القاهرة فنال بذلك دنيا عريضة ثم زادت حظوته عند الكامل واقبل عليه اقبالا عظيما وكان يعظمه ويحترمه ويعتقد فيه الخير ويتبرك به حتى كان يسوي له المداس حين يقوم وهو بلنسي كما قاله ابن خلكان وغيره وبلنسية مشهورة بشرق الاندلس ومنهم خلف بن القاسم بن سهل بن الدباغ الحافظ الاندلسي رحل الى المشرق وكان حافظا فاهما عارفا بالرجال حدث بحديث مالك وشعبة وا في الزهد وسمع بمصر ابا الحسن بن الورد البغدادي ومسلم بن الفضل والحسن بن رشيق وجماعة وسمع بدمشق علي بن ابي العقب وابا الميمون بن راشد وبمكة من بكير الحداد وابي الحسن الخزاعي والاجري وبقرطبة من احمد بن يحيى بن الشامد ومحمد بن معاوية وتوفي ٣٩٢ سنه ومنهم خلف بن سعيد بن عبد الله بن زرارة ابو القاسم بن المرابط

الكلبي من ذرية الابرش الكلبي ويعرف بالمبرقع المحتسب القرطبي رحل الى المشرق
مرتين اولاهما سنة ٣٣٠ وثوى ثلاث وعشرين سنة وسمع ابا سعيد بن الاعرابي
وابن الوردي وابا بكر الاجري وروى عنه ابو اسحاق بن شنظير وابو جعفر الزهراوي
وقال ابن شنظير انه توفي في نحو الاربعمائة رحمه الله ورضي عنه ومنهم
سابق فضلاء زمانه ابو الصلت امية بن عبد العزيز ابي الصلت الاشبيلي بقي الاعوام
ستون سنة منها عشرون في بلده اشبيلية وعشرون في افريقية عند ملوكها
الصنهاجيين وعشرون في مصر محبوسا في خزانة الكتب وكان وجهه صاحب
المهدية الى ملك مصر فسجن بها طول تلك المدة في خزانة الكتب فخرج في فنون
العلم اماما وامتن علومه الفلسفة والطب والتلحين وله في ذلك تواليف تشهد
بفضله ومعرفته وكان يكنى بالاديب الحكيم وهو الذي لحن الاغاني الافريقية قال
ابن سعيد واليه تنتسب الى الان وذكره العماد في الخريدة وله كتاب الحديقة على اسلوب
يتيمة الثعالبي وتوفي سنة ٥٢٠ وقيل ٥٢٨ بالمهدية وقيل مستهل السنة بعدها
ودفن بها وله فيمن اسمه واصل

يا هاجرا سموه عمدا واصلا • وبضدها تتميز الاشياء •
الغيتني حتى كانك واصل • وكانني من طول هجرك راء •

وقوله وهو من بدايعه

لا غرو ان سبقت لهاك مدائحي • وتدفقت جدواك ملأ انائها •
يكسى القضيب ولم تطب ثماره • وتطفطق الورقاء قبل غنائها •

وقال في الافضل

نزوى بكل فتى اذا اشهد الوغى • نثر الرماح على الدروع كعوبها •
قد لوحته يد الهواجر فاغتدى • مثل القناة قضافة وشحوبا •
تخذوا القنى اشطانهم واستنبطوا • في كل قلب بالطعان قليبا •

ومنها

نعطي الذي اعطتكه سمر القنا • ابدا فتغدو واسا ليا مسلوبا • ومنها
وانا الغريب مكانه وبيانه • فاجعل صنيعك في الغريب غريبا •

وله

ومهفهف شربت محاسن وجهه • ما مجه في الكاس من ابريقه •
ففعالها من مقلتيه ولونها • من وجنتيه وطعمها من ريقه •

اخذه من ابن حيوس وقصر عنه في قوله

ومهفهف يغني بلحظ جفونه • عن كاسه الملأى وعن ابريقه •
فعل المدام ولونها ومذاقها • في مقلتيه ووجنتيه وريقه •

ولابي الصلت فيمن اسمه محسن

ايها الظالم

ايها الظالم المسيء • مدى دهره بنا •
ما لهم اخطئوا الصواب • فسموك محسنا •

وله في لابس فرجية حمراء

اقبل يسعى ابو العوارض في • مرأى عجيب ومنظر انق •
اقبل في فرجية عجب • قد صبغت لون خده الشرق •
كانما جيبه وغرته • من دونها اذ بدا ولي نسق •
عمود فجر من فوقه قمر • دارت به قطعة من الشفق •

وله في ثقيل

لي جليس عجبت كيف استطاعت • هذه الارض والجبال تقله •
انا ارعاه مكرها وبقلبي • منه ما يتلف الجبال اقله •
فهو مثل المشيب اكره مرآه • ولكن اصونه واجله •

اخذه من قول ابي الحسن جعفر بن الحاج المنورقي وهما في عصر واحد

لي صاحب عميت علي شؤونه • حركاته مجهولة وسكونه •
يرتاب بالامر الجلي توهما • فاذا تيقن نازعته ظنونه •
اني لامقته على شرفي به • كالشيب تكرهه وانت تصونه •

واوصى ان يكتب على قبره ابو الصلت المذكور مما نظمه قبل موته

سكنتك يا دار الفناء مصدقا • باني الى دار البقاء اصير •
واعظم ما في الامر اني صائر • الى عادل في الحكم ليس يجور •
فيا ليت شعري كيف القاه عندها • وزادي قليل والذنوب كثير •
فان اك مجزيا بذنبي فانني • بشر عقاب المذنبين جدير •
وان يك عفو ثم عني ورحمة • فثم نعيم دائم وسرور •

وله

اذا كان اصلي من تراب فكلها • بلادي وكل العالمين اقاربي •
ولا بد لي ان اسال العيس حاجة • تشق على شم الذرى والغوارب •

وقال

رب العذار بجدة ثم انثني • عن لثم مبسمه لبرد الاشنب •
لا غرو ان خشي الردى في لثمه • فالريق سم قاتل للعقرب •

وقد ذكروا انه من خواص ريق الانسان انه يقتل العقرب وهو مجرب وقال

لا نسا لو في عرض سبيع جفونها • يوم الوداع وسل بذلك من نجا •
لو كنت املك خدها للثمته • حتى اعيد به الشقيق بنفسجا •
او كنت املك لاحتضنت خيالها • ومنعت ضوء الصبح ان يتبلجا •

وبتنا في الظلماء نكحل جفوننا • وغفرت مما نبتك الذوائب بالدجا •

وقال مهنيا بمولود

يلوح في المهد على وجهه • تجهم الباس وبشرى الندى •
والشمس والبدر إذا انتجما • لم يلبثا ان يلدا فرقدا •
فابق له حتى ترى نجله • وان غرا خطب فنحن الفدا •

قال ابن سعيد وهذا البيت الأخير من أثقل الشعر يتطير من سماعه وتركه أولى

وقال رحمه الله في الرصد

فذا غدير وذا روض وذا جبل • فالضب والنون والملاح والحادي •

ومنهم الفقيه أبو محمد عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول السرقسطي ذكره العماد الأصبهاني في الخريدة وذكره السمعاني في الذيل وأنه دخل بغداد في حدود ٥١٠ سنه

اشمس إني إذا نثرت مدايحي • ومن لآلي نظمت قلايد •
فلست بمن يبغي على الشعر رشوة • أبى ذاك لي جد كريم ووالد •
وإني من قوم قديما وحادثا • تباع عليهم بالألوف القصايد •

ومنهم الفقيه المقري أبو عامر المنباري من رجال الذخيرة رحل إلى المشرق وقرأ على أبي جعفر الدباجي كتابه في العروض وسائر كتبه ولقي شيخ القيروان في العربية ابن القزاز وأديبها الحصري وأخبر عن نفسه أنه كان بين يديه تلميذ له وسيم فمر به أبو جعفر النجاني فسحاه كتبه فيها وخلا مما بين يديه وهو قد غلب عليه النوم

فقال

يا نايما متعمدا • أيقظ رطيب حبيبه •
موجوم فاتنبه ان • الطيب في منقوبه •
أو اركبني ظهره • إن لم تقل بركوبه •

فلما قراها علم أنها للنجاني **فكتب تحتها**

يا طالبا أضحى جحا • ب دون ما مطلوبه •
لو لم يكن في ذاك إثم • لم أكن أسخو به •
إني أغار عليه من • أثوابه ورقيبه •

وأنشد يوما في حلقته لابن الرومي **في خباز**

لا أنس لا أنس خبازا مررت به • يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر •
ما بين رؤيتها في كفه كرة • وبين رؤيتها قوراء كالقمر •
إلا بمقدار ما تنداح دائرة • في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر •

فقال بعض تلامذته إنه لا يقدر على الزيادة على هذا **فقال**

فكان يضرط إعجابا برؤيتها • ومن رأى مثل ما أبصرت منه خري •

فضحك

فضحك من حضر وقال البيت لايق بالقطعة لو ما فيه من ذكر الرجيع **فقال**

إن كان يلبي هذا لبئس بحبكم • فلتجعلوا محوه أو فاعقدوا طيي •

ومنهم الأديب الطبيب أبو الحجاج يوسف بن عتبة الإشبيلي مطبوع في الشعر والتوشيح قال ابن سعيد اجتمعت به في القاهرة مرارا بمجلس الأمير جمال الدين أبي الفتح موسى بن يغمور بن جلدك وفي غيره وتوفي في مارستان القاهرة

ومن شعره

أما الغراب فإنه سبب النوى • لا ريب فيه وللنوى أسباب •
يدعو الغراب وبعد ذاك بجيبه • جمل ونعوي بعد ذاك ذياب •
لا تكذبن فهن أسبابه • لكن منها بداءة وجواب •

ومنهم الإمام المحدث الحافظ جمال الدين أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى الأندلسي المعروف بابن مسدي وهو من الأئمة المشهورين بالمشرق والمغرب قال رحمه الله أنشدني ذبيل الأندلس وأديبها أبو الحسن سهل بن مالك الأزدي الغرناطي لنفسه ٦٣٦ في شوال بداره بغرناطة

منغص العيش لا يأوي إلى دعة • من كان ذا بلد أو كان ذا ولد •
والساكن النفس من لم ترض همته • سكنى مكان ولم يسكن إلى أحد •

ومنهم الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي نسبة لجده حميد الأندلسي ولد أبوه بقرطبة وولد هو بالجزيرة بلبيرة بالأندلس قبل العشرين وأربعمائة وكان يحمل على الكتف للسماع ٤٢٥ سنة فأول ما سمع من الفقيه أبي القاسم أصبغ قال وكنت أفصح من يقرأ عليه وكان قد لقي ابن أبي زيد وقرأ عليه وتفقه وروى عنه رسالته ومختصر المدونة ورحل ٤٤٨ سنة وقدم مصر وسمع بها من الضراب والقضاعي وغير واحد وكان سمع بالأندلس من ابن عبد البر وابن حزم ولازمه وقرأ عليه مصنفاته وأكثر من الأخذ عنه وشهر بصحبته وصار على مذهبه إلا أنه لم يكن يتظاهر به وسمع بدمشق وغيرها وروى عن الخطيب البغدادي وكتب عنه أكثر مصنفاته وسمع بمكة من الزنجاني وأقام بواسط مدة ثم دخل بغداد ثم عاد إلى بغداد واستوطنها وكتب بها كثيرا من الحديث والأدب وساير الفنون وصنف مصنفات كثيرة وعلق فوائد وخرج تخاريج ولغيره وروى عنه أبو بكر الخطيب أكثر مصنفاته وابن ماكولا وكان إماما من أئمة المسلمين في حفظه ومعرفته وإتقانه وثقته وصدقه ونبله وديانته وورعه ونزاهته حتى قال بعض الأكابر ممن لقي الأئمة لم تر عيناي مثل أبي عبد الله الحميدي في فضله ونبله ونزاهة نفسه وغزارة علمه وحرصه على نشر العلم وبثه في أهله وكان ورعا تقيا إماما في علم الحديث وعلله ومعرفة متونه ورواته محققا في علم الأصول على مذهب أصحاب الحديث

متبحراً في علم الأدب والعربية ومن تصانيفه كتاب جذوة المقتبس في أخبار علماء
الأندلس، وكتاب تاريخ الإسلام، وكتاب من ادعى الأمان من أهل الإيمان، وكتاب
الذهب المسبوك في وعظ الملوك، وكتاب تسهيل السبيل إلى علم الترسيل، وكتاب
مخاطبات الأصدقاء في المكاتبات واللقاء، وكتاب ما جاء من النصوص والأخبار
في حفظ الجار، وكتاب ذم النميمة، وكتاب الأماني الصادقة وغير ذلك من المصنفات
والأشعار الحسان في المواعظ والأمثال، وكان من كثرة اجتهاده ينسخ بالليل
في الحر ويجلس في إجانة ماء يتبرد به، ومن مشهور مصنفاته كتاب الجمع بين الصحيحين
وذكره الحجاري في المسهب وقال عنه إنه طرق ميورقة بعدما كانت عطلاً من هذا
الشأن وترك بها نجباء تبارى بهم خواص البلدات وهو من علماء أئمة الحديث ولازم
أبا محمد بن حزم في الأندلس واستفاد منه ورحل إلى بغداد وبها ألف كتاب الجذوة

ومن شعره قوله

• ألفت النوى حتى أنست بوحشها • وصرت بها في الصبابة مولعا •
• فلم أحص كم رافقته من مرافق • ولا أحص كم خيمت في الأرض موضعا •
• ومن بعد جوب الأرض شرقاً ومغرباً • فلا بد لي من أن أوافي مصرعا •

وقال رحمه الله تعالى

• لقاء الناس ليس يفيد شيئاً • سوى الهذيان من قيل وقال •
• فأقلل من لقاء الناس إلا • لأخذ العلم أو إصلاح حال •

وذكره ابن بشكوال في الصلة وتوفي ببغداد سنة ٤٨٨ رحمه الله. قال ابن ماكولا
أخبرنا صديقنا أبو عبد الله الحميدي وهو من أهل العلم والفضل والتيقظ لم
أر مثله في عفته ونزاهته وورعه وتشاغله بالعلم، وكان أوصى مظفر بن رئيس الرؤساء
أن يدفنه عند قبر بشر الحافي فخالف وصيته ودفنه في مقبرة باب أبرز، فلما كان
مدة رآه مظفر في النوم كأنه يعاتبه على مخالفته فنقل في صفر سنة ٤٩١ إلى مقبرة
باب حرب ودفن عند قبر بشر، وكان كفنه جديداً وبدنه طرياً تفوح منه رائحة الطيب
ووقف كتبه على أهل العلم رحمه الله. ومن مناقبه أنه قال لمن دخل عليه فوجده مكشوف
الفخذ تعديت بعينك إلى موضع لم ينظره أحد منذ عقلت

ومن شعر الحميدي أيضاً قوله

• طريق الله أفضل من طريق • وتقوى الله تالية الحقوق •
• فثق بالله يكفك واستعنه • يعنك ودع بنيات الطريق •

وقوله

• كلام الله عز وجل قولي • وما صحت به الآثار ديني •
• وما اتفق الجميع عليه بدءاً • وعوداً فهو عن حق مبين •

فدع

• فدع ما صد عن هذي وخذها • تكن منها على عين اليقين •

ومنهم الكمال أبو العباس الشريشي وهو أحمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى
ابن عبد المؤمن القيسي من أهل شريش، روى عن أبي الحسن بن لبال وأبي بكر بن أزهر
وأبي عبد الله بن زرقون وأبي الحسين بن جبير وغيرهم، وأقرأ العربية وله تواليف
أفاد بها شهر منها شرح الإيضاح للفارسي والجمل للزجاجي وله في العروض تواليف
وجمع مشاهير قصائد العرب واختصر نوادر أبي علي القالي. قال ابن الأبار لقيته
بدار شيخنا أبي الحسن بن خريق من بلنسية قبل توجهي إلى إشبيلية في سنة عشر
وستمائة وهو إذ ذاك يقرأ عليه شرحه للمقامات فسمعت عليه بعضه وأجاز لي
سائره مع روايته وتواليفه وأخذ عنه أصحابنا ثم لقيته ثانية مقدمه من مرسية
انتهى.

ومن بديع نظمه وهو بمصر يتشوق إلى الشام

• يا جيرة الشام هل من نحوكم خبر • فإن قلبي بنار الشوق يستعر •
• بعدت عنكم فلا والله بعدكم • ما لذ للعين لا نوم ولا سهر •
• إذا تذكرت أوقاتاً نأت ومضت • بقربكم كادت الأحشاء تنفطر •
• كأنني لم أكن بالنيربين ضحى • والغيم يبكي ومنه يضحك الزهر •
• والورق تنشد والأغصان راقصة • والدوح يطرب بالتصفيق والنهر •
• والنهر والسفح عشياً في الذي سلفت • لي منه فهي لعمري عندي العمر •
• سقاك يا سفح سفح الدمع منهملاً • وقل ذاك له إن عوز المطر •

ولد رحمه الله شروح لمقامات الحريري كبير ووسط وصغير، وفي الكبير من الآداب
ما لا خفاء به، وكان رحمه الله معجباً بالشام. وقال ابن الأبار عندما ذكر أنه شرح
مقامات الحريري في ثلاث نسخ كبراها الأدبية ووسطاها اللغوية وصغراها
المختصرة انتهى. وتوفي بشريش بلده سنة ٦١٩ رحمه الله تعالى. ومنهم أبو بكر
يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الأزدي القرطبي الملقب بضياء الدين أحد الأئمة
المتأخرين في القراءات وعلوم القرآن الكريم والحديث والنحو واللغة وغير ذلك
قال القاضي الشمس بن خلكان إنه رحل من الأندلس في عنفوان شبابه وقدم مصر
فسمع بالإسكندرية أبا عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي وبمصر أبا صادق مرشد
ابن يحيى بن القاسم المديني المصري وأبا طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني المعروف بالسلفي وغيرهم
ودخل بغداد سنة ٥١٧ وقرأ بها القرآن الكريم على الشيخ أبي محمد عبد الله بن علي المقرئ المعروف
بابن بنت الشيخ أبي منصور الخياط، وسمع عليه كتباً كثيرة منها كتاب سيبويه، وقرأ الحديث
على أبي بكر محمد بن عبد الباقي البزار المعروف بقاضي المارستان وأبي القاسم بن الحصين وأبي
وغيرهم، وكان ديناً ورعاً عليه وقار وسكينة، وكان ثقة صدوقاً ثبتاً نبيلاً قليل الكلام
كثير الخير مفيداً، أقام بدمشق مدة واستوطن الموصل ورحل منها إلى أصبهان ثم

عاد الى الموصل واخذ عنه شيوخ ذلك العصر وذكره الحافظ السمعاني في كتاب الذيل
وقال انه اجتمع به بدمشق وسمع عند شيخنا ابي عبد الله الرازي واستحسن اجزاءه
وسالته عن مولده فقال ولدت سنة ٤٨٦ في مدينة قرطبة ورايت في بعض الكتب
مولده سنة ٤٨٧ والاول اصح وكان شيخنا القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم
المعروف بابن شداد قاضي حلب رحمه الله تعالى يفتخر بروايته وقراءته عليه
وقال كنا نقرا عليه بالموصل وناخذ عنه وكنا نرى رجلا ياتي اليه كل يوم
فيسلم عليه وهو قائم ثم يمد يده الى الشيخ بشيء ملفوف فياخذه الشيخ من يده ولا
نعلم ما هو ويتركه ذلك الرجل ويذهب عنه ثم تقفينا ذلك فانها دجاجة مسموطة
كانت ترسم للشيخ في كل يوم يبتاعها له ذلك الرجل ويسمطها ويحضرها واذا
دخل الشيخ الى منزله تولى طبخها بيده وذكر كتاب دلائل الاحكام انه لازم القراءة
عليه احدى عشرة سنة آخرها سنة ٥٦٧ وكان الشيخ ابو بكر القرطبي المذكور
كثيرا ما ينشد مسندا الى ابي الخير الكاتب الواسطي

جرى قلم القضاء بما يكون • فسيان التحرك والسكون •
جنون منك ان تسعى لرزق • ويرزق في غشاوته الجنين •

وتوفي القرطبي المذكور بالموصل يوم عيد الفطر سنة ٥٦٧ رحمه الله انتهى كلام
ابن خلكان ببعض اختصار ومنهم الوزير ابو عبد الله محمد بن الشيخ الاجل
ابي الحسن بن عبد ربه وهو من حفدة صاحب كتاب العقد المشهور حدث الشيخ الاجل
ابو عبد الله محمد بن علي الحمصي القرومي فقال اصطحبت معه في المركب من المغرب
الى الاسكندرية فلما قربنا منها هاج علينا البحر واشفينا على الغرق فلاح لنا
ونحن في هذه الحالة منار الاسكندرية فسررنا برؤيته وطمعنا في السلامة
فقال لابد ان اعمل في المنار شيئا فقلت له اعلى مثل هذه الحالة التي نحن فيها فقال
نعم فقلت فاصنع فاطرق ثم عمل بديهيا لله دره

لله در منار اسكندرية كم • يسمو اليه على بعد من الحدق •
من شامخ الانف في عرنينه شمم • كانه باهت في دارة الافق •
يكسر الموج منه جانبي رجل • مشمر الذيل لا يخشى من الغرق •
لا يبرح الدهر من ورد على عنق • ما بين مصطبح منها ومغتبق •
للمنشآت الجواري عنده ربنه • كموقع النوم من اجفان ذي ارق •

وتقدمت ترجمة الكاتب ابي عبد الله بن عبد ربه واظنه هذا فليتنبه له بل اعتقد
انه هو لا غيره والله اعلم ومنهم ابو عبد الله محمد بن الصفار القرطبي قال
في القدح المعلى بيتهم مشهور بقرطبة لم يزل يتوارث في العلم والجاه وعلو المرتبة
ونشأ ابو عبد الله هذا حافظا للآداب اماما في علم الحساب مع انه كان اعمى مقعد

مشوه

مشوه الخلقة ولكنه اذا انطوى على كل منصف حققه ومن عجائبه انه سافر على تلك الحالة
حتى عدت بغداد له مما له اجتمعت به بحضرة تونس فرايت بحرا زاخرا وروضا ناضرا
الا انه حاطب ليل وساحب ذيل لا يبالي بما اورده • ولا يلتفت الى ما انشده • جامعا
بين السمين والغث • حافظا للمتين والرث • وكان يقرئ الادب بمراكش وفاس
وتونس وغيرها ومن مشهور حكاياته انه لما قال ابو زيد الفازازي في ابي العلى
المستنصر قصيدته التي مطلعها • الحزم والعزم منسوبان للعرب • عارضه بقصيدة
ثم قال فيه وفي ابن اخيه يحيى بن الناصر الذي نازعه في ذلك الاوان

وان ينازعك في المنصور ذو نسب • فنجل نوح ثوى في قسمة العطب •
وان يقل انا عم فالجواب له • عم النبي بلا شك ابو لهب •

وشاعت القصيدة فبلغت ابا العلا فحرض على قتله وسلمه الله منه ومات سنة ٦٣٩

ومن شعره قوله

لا تحسب الناس سوا متى • اشتبهوا فالناس اطوار •
وانظر الى الاحجار في بعضها • ماء وبعض ضمنها نار •

وقوله

يا طالعا في جفوني • وغائبا في ضلوعي •
بالغت في السخط ظلما • وما رحمت خضوعي •
اذا نويت انقطاعا • فاحسب حساب الرجوع •

انتهى باختصار يسير ومنهم ابو الوليد بن الجنان محمد بن المشرف ابي عمرو
ابن الكاتب ابي بكر بن العالم الجليل ابي العلا بن الجنان الكناني الشاطبي قال ابن سعيد
توارثوا بشاطبة مراتب تحسدها النجوم الثاقبة وابو الوليد اشعرهم وقد تجدد
به في اقطار المشرق مفخرهم وهو معروف هنالك بفخر الدين ومتصدر في ايمة النحويين
ومرتب في شعراء الملك الناصر صاحب الشام ومقطعاته الغرامية قلائد اعناق الغرام
صحبته بمصر ودمشق وحلب وجريت معه طلق الجموح في ميادين الادب

وانشدني بدمشق

انا من سكر هواهم ثمل • لا ابالي هجروا ام وصلوا •
فبشعري وحديثي فيهم • زمزم الحادي وسار المثل •
ابن عشاق الحمى تعرفني • والحمى يعرفني والطلل •
رحلوا عن ربع عيني فلذا • ادمعي عن مقلتي ترتحل •
ما لها مذ فارقنا وطنا • ومتى لبيت لحامهم نصل •
لا تظنوا انني اسلو فما • مذهبي عن حبكم ينتقل •

وقوله رحمه الله

بالله يا بانة الوادي اذا خطرت • تلك المعاطف حيث الشيح والغار •
تعانقيها على الصب تكذيب فما • على معانقة الاغصان انكار •
وعرفيها باني فيك مكتئب • فبعض هذا لها بالحب اخبار •
وانتم جيرة الجرعاء من اضم • لي في حماكم احاديث واسمار •
وانتم انتم في كل اونة • وانما حبكم في الكون اطوار •
ويا نسيما سرى يحدو ركائبه • لي بالعيون لبانات واوطار •

وله

يا رعى الله انسنا بين روض • حبب ماء السرور فيه يجول •
تحسب الزهر عنده يتثنى • وتخال الغصون فيه تميل •

وقوله

نادى المدام فقد ناح الحمام على • فقد الظلام وجيش الصبح في غلب •
واعين الدهر من طول البكا رمدت • فكحلتها يمين الشمس بالذهب •
والكاس حلتها حمراء مذهبة • لكن ازرتها من لؤلؤ الحبب •
كم قلت للافق لما ان بدا صلفا • بشمسه عندما لاحت من الحجب •
ان تهت بالشمس يا افق السما فلي • شمسان وجه نديمي وابنة العنب •
قم اسقنيها وثغر الصبح مبتسم • والليل تبكيه عين البدر بالشهب •
والسحب قد لبست سود الثياب وقد • قامت لترثيه الاطيار في القضب •

وله

عليك من ذاك الحمى يا رسول • بشرى علامات الرضى والقبول •
جئت وفي عطفيك منهم شذى • يسكر من خمرته العذول •

ومنها

احبابنا وحقكم ناظري • وانتم بين ضلوعي نزول •
حللتم قلبي وهو الذي • يقول في دين الهوى بالحلول •
انا الذي حدثت عني الهوى • بانني في حكمكم لا احول •
فليزد العاذل في عذله • وليقل الواشي لكم ما يقول •

انتهى كلام النور بن سعيد وقال غيره ولد المذكور بشاطبة منتصف شوال سنة ٦١٠ ومات بدمشق ودفن بسفح قاسيون وكان عالما فاضلا دمث الاخلاق كريم الشمايل كثير الاحتمال واسع الصدر صحب الشيخ كمال الدين بن العديم وولده قاضي القضاة مجد الدين فاجتذبوه اليهم وصار حنفي المذهب ودرس بالمدرسة الاقبالية الحنفية بدمشق وله مشاركة في علوم كثيرة وله يد في النظم ومن شعره

لله قوم يعشقون ذوي اللحى • لا يسالون عن السواد المقبل •

وبمهجتي قوم واني منهم • جبلوا على حب الطراز الاول •

وله ايضا

قم اسقنيها وليل الهم منهزم • والصبح اعلامه محمرة العذب •
والسحب قد نثرت في الارض لؤلؤها • فضمه الشمس في ثوب من الذهب •

انتهى وقد تقدم عن ابن سعيد له ما يقارب هذا

وله رحمه الله في كاتب

وبي كاتب اضمرت في القلب حبه • مخافة حسادي عليه وعذالي •
له صنعة في خط لام عذاره • ولكن سها اذ نقط اللام بالخال •

ومنهم ابو محمد القرطبي قال ابن سعيد لقيته بالقاهرة وكانه لاخير عنده من الاخرة وقد طال عمره في اكل الاعراض وفساد الاعراض ومما بقي في اذني من شعره

قوله

رحم الله من لقيت قديما • فلقد كان بي رؤوفا رحيما •
انمى لقاء حر وقد اعوزت • بحثي كما علمت الكريما •

وتوفي بالقاهرة سنة ٦٤٣ انتهى ومنهم علي بن احمد القادسي الكناني قال ابن سعيد لقيته ببيت المقدس على زي الفقرا وحصلت منه هذه الابيات وندمت بعد ذلك على ما فات

ومنها

ذاك العذار المطل • دمي عليه بطل •
كانما الخد ماء • وقد جرى فيه ظل •
عقود صبري عليه • من حل فيه تحل •
جرت دموعي عليه • فقلت اس وطل •

انتهى ومنهم ابو عبد الله بن العطار القرطبي قال ابن سعيد وهو حلو المنازع ظريف المقاطع والمطالع مطبوع النوادر موصوف بالاديب الشاعر مازجته بالاسكندرية وبهذه الحضرة العلية وما زال البدين بالانفراد والتجول في البلاد حتى قضى مناه والقى بهذه المدينة عصاه لا يخطر الهم له ببال ولا يبيت الا على وعد من وصال وله حين سمع ما ارتجلته في السكين بالاسكندرية حين داعبني باخلاسها القاضي زين القضاة ابن الريغي وقال ما اليه سبيل حتى يحضر مضرى نبيل

شعر

ايا سارقا ملكا مصونا ولم يجب • على يده قطع وفيه نصاب •
سنذبه الاقلام عند عثارها • ويكبه ان تحدو الصواب كتاب •

فقال

احبابك ماشي اذا ما سرقته • وفيه نصاب ليس يلزم القطع •

على ان فيه القطع والحد ثابت • ولا اخذ فيه ملكه احكم الشرع •
انتهى كلام ابن سعيد من كتابه القدح المعلى فيما اظن ويغني والله اعلم بقوله
ويكفي الحضرة العلية حضرة تونس المحروسة فانها كانت محط رحال الافاضل
من الاول والاخر والاواخر حتى ان قاضي القضاة ابن خلدون اقام بها مدة ومنها ارتحل
الى مصر وكذلك الخطيب الجليل سيدي ابو عبد الله بن مرزوق رحمه الله ومنها
خاطب الوزير لسان الدين بن الخطيب وسلطانه في الشفاعة له عند سلطان المغرب
فكتب لسان الدين عن سلطانه في ذلك ما نصه المقام الذي نؤكد اليه بر سلفه
الوداد ونجري بتخليد فخره وامره القلم والمداد • ونصل به الاستظهار على عدو الله
والاعتداد ونخطب له من الله بمزاعطافه بالخير والتوفيق والسداد • والاعانة
منه والامداد مقام محل اخينا الذي اشتهر فضله ودينه ووضح سعيه منا لقته
برامينه وحياة الصنع الجميل • وبقاء جبينه السلطان لكذا ابقاه الله
يرعى الذمم ويسلك من الفضائل المنهج الامم ويجلي البضائع النافقة عند الله
ويعلي الهمم معظم قدره وملتزم بره • الحريص على توفير اجره • وتخليد فخره فلان
امابعد رحمه الله ناصر الامرة المطاعة المحافظة على السنة والجماعة وحافظها
من الاضاعة الى قيام الساعة • الذي جعل المودة فيه انفع الوسائل النافعة والصلاة
والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المخصوص بمقام الشفاعة على العموم والاشاعة
متمم مكارم الاخلاق من الفضل والبذل والحيا والشجاعة والرضى عن اله وصحبه
الذين اقتدوا بهديه بحسب الاستطاعة • وزرعوا الخير في العاجلة ففازوا في
الاجلة بفائد تلك الزراعة • والدعا لمقامكم الاعلى بصنع يروي فيه عن الاسمط
البائر خبر النصر المتواتر لسان البراعة • وتاييد لا يرضى فيه الا لقنى بمقام القناعة
فانا كتبناه اليكم كتب الله لمقامكم العاطر بتخليد المفاخر منشور الاذاعة وابدى
النواسيم الضواعة من حمراء غرناطة حرسها الله عن خير ما مي السحاب وبشر مفتح
الابواب • وعز الاسلام ببركة الاعتداد بملككم المنصور الاعلام مقبل الشباب
ويمن صافي الالباب فالحمد لله على نظافر الايدي في ذاته وتوفر الاسباب وجانبكم
الرفيع للمنتاب اذا حده الحدثان ذوات الاقتاب • ومصح المسائل بتصحيح الود
اللباب والى هذا وصل الله لكم سوابغ نعمه والايه دائمة الانسكاب • وجعل
ما عجل لكم من نعمه كفيلة بالزلفى وحسن المآب • والهمكم تقييد شواردها بالشكر
قولا وعملا فالشكر مستدعي المزيد كما وعد في الكتاب • وان من المنقول الذي اشتهر
وراق فضله وبهر قوله اشفعوا تؤجروا وما في معناه من المعتبر في الخبر وتنفيس
كربه عن مسلم وسماع شكوى من متظلم • ولولا ان مقامكم السني اغنى بجليته الكثير
من هذا المعنى • ولما نحققنا ما انتم عليه من سلوك سبيل الخير واقامة رسوم الدين

والاستنداد

والاستنداد من هديه بالنور المبين خف علينا ان نقصدكم بالشفاعات مع
الساعات • ونحركم مع الله بانفس البضاعات • فما اثمر من ذلك شكرنا الله عليه
حقيقة وشكرنا كم شريعة • وما تاخر او سعنا كم فيه عذرا بسيط ذريعة • وعلمنا
ان الله لم ياذن في تعجيله وسالناه في تيسيره • وتسهيله • سواء لدينا في ذلك
ما عاد باعانة عامة وامداد • وساهم في قصد جهاد • وما لم يعد علينا خصوصا
وعلى المسلمين عموما باعانة ولا ارفاد • انما علينا ان نجلب الخير للباقي • والاجر
الراقي الى بابكم • وندل عليه لكرم جنابكم • بمقتضى وداد صحيح باد • وجميل ظن في
دينكم المتين واعتقاد • سلم لمجده ومفضله من انتقاد • وذلك ان الشيخ الفقيه
الخطيب الكبير الشهير الصدر الاوحد سلالة الصالحين وخطيب والدكم
كبير الخلفا والسلاطين • وبالها من مزية دنيا ودين ابا عبد الله بن مرزوق جبر
الله على يديكم بالترحاله • وسنى بمقامكم السني امالة جرى عليه من المحن ونتائج الاحن
ما يعلم كل ذي مروة وعقل • واجتهاد ونقل • ان ذلك من الجنايات على والدكم السلطان
محسوب • والى معقبانه منسوب • ولو كانت ذنوبه رضوى وثبيرا • لاستدعت الى
تعم بما عفوا كبيرا • رعيا لذلك الامام الصالح الذي كبر خلفه واحرم • وتشهد له وسلم
وامن عقب دعائه • ونصب كفه لمواهب الله والايه • وانصت لخطبته ووعظه
واوجب المزية لسعة حفظه • وعذوبة لفظه • فاحبط ذلك من خبط الاعمال
الصالحة • وعطل المتاجر الرابحة • واسف الملك المذكور بدوام ولده واخافه خزانته
وعدده ونغير رسومه وحدوده • واسخط الله معبوده الى ان ظهر سيفكم الملك
من عاره • واخذ منه بثاره • وتقرب الى الله والى السلف الكريم بجوائره والحمد لله
على ما خصه من يساره • وتدارك الاسلام باقالة عثاره • وانه خاطبنا الان من حضرة
تونس بقرر من حاله ما يفت الفواد • ويوجب الامتعاض له والاجتهاد • بطلب منا
الاعانة بين يديكم والانجاد • ويشكو العيلة والاولاد • والعز التي احلته الاقطار
النازحة والبلاد • والحوادث التي سلبته الطارف والتلاد • وان نذكركم بوسيلته
وضعف حيلته • فبادرنا لذلك عملا بالواجب وسلوكا من بره ورعي حقه على اللاحب
اللاحب • وان كنا نطوق في امرنا عند الحادثة علينا تقصيرا ولا شكر الا الله وليا
ونصيرا الحقه علينا اوجب فهو الذي لا يجحد ولا يحجب ولا يلتبس منه المذهب وكيف
لا يشفع فيمن جعله السلف الى الله شفيعا • واحله محلا رفيعا منيعا • الى ولية الذي
جبر ملكه سريعا • وصير جنابه بعد المحول مريعا وجدد رسومه تاصيلا لها وتفريعا
ومثلكم من اغتنم برة في نصر مظلوم • وسبر مكلوم واعداء كرم على لوم • وبي مناذكري
تنفع • وحرص على اجر من يشفع • واسعاف من سالكم بعلي من قدركم ويرفع وما دبر الحق
سلفكم الذي توفرت حقوقه • وابلاغ نصيحة دينية الى مجدكم الذي لا يمنعه عن

المجد مانع ولا بعوقة ومطلبه في جنب ملككم الكبير الخطير وهو الى ما يفتح الله به على يد صدقتكم فقير ومنهلكم الأروى في الخير اطول وساعدكم اقوى وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى والله عز وجل يسلك بكم المسالك التي تخلد بالجميل ذكركم وتعظم عند الله اجركم فما عند الله خير للابرار والدنيا دار الغرور والآخرة دار القرار والله سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى والسلطان المخاطب بهذا هو ابو فارس عبد العزيز بن السلطان الكبير الشهير ابي الحسن المريني وكان ابن مرزوق عالي الوجاهة في دولة السلطان ابي سالم اخي ابي فارس المذكور فقتله الوزير عمر بن عبد الله العودودي وتغلب على الملك ونصب اخا لابي سالم معتوها وسجن ابا مرزوق ورام قتله فخلصه الله منه ثم ان السلطان ابا فارس ثار على الوزير المتغلب وقتله واستقل بالملك فخوطب في شان ابن مرزوق بما ذكر **رجع** الى ما كنا فيه من ذكر الراحلين من اعلام الاندلسيين الى البلاد المشرقية المحروسة بالله سبحانه وتعالى

فنقول

ومنهم ابو الوليد وابو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الازدي القرطبي المعروف بابن الفرضي الحافظ المشهور كان فقيها عالما بفنون عارفا بعلم الحديث ورجاله بارعا في الادب وغيره وله من التصانيف تاريخ علماء الاندلس وقفت عليه بالمغرب وهو بديع في بابه وهو الذي ذيل عليه ابن بشكوال بكتاب الصلة وله كتاب حسن في المؤتلف والمختلف وفي مشتبه النسبة وكتاب في اخبار شعراء الاندلس وغير ذلك ورحل من الاندلس الى المشرق سنة ٣٨٢ فحج وسمع من العلماء واخذ عنهم وكتب من اماليهم وروى عن شيوخ عدة من اهل المشرق **ومن شعره**

أسير الخطايا عند بابك واقف • على وجل مما به انت عارف
يخاف ذنوبا لم يغب عنك غيبها • ويرجوك فيها فهو راج وخائف
ومن ذا الذي يرجى سواك ويتقى • وما لك في فصل القضاء مخالف
فيا سيدي لا تخزني في صحيفتي • اذا نشرت يوم الحساب الصحائف
وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما • يصد ذوو القربى ويجفو المؤالف
لئن ضاق عني عفوك الواسع الذي • ارجي لاسرافي فاني لتالف

وكان رحمه الله حسن الشعر والبلاغة **ومن شعره رحمه الله**

ان الذي اصبحت طوع يمينه • ان لم يكن قمرا فليس بدونه
ذلي له في الحب من سلطانه • وسقام جسمي من سقام جفونه

وله شعر كثير ومولده في ذي القعدة ليلة الثلاثاء لتسع بقين منه سنة ٣٥١ وتولى القضاء بمدينة بلنسية في دولة محمد المهدي المرواني وقتله البربر يوم فتح قرطبة يوم الاثنين لست خلون من شوال سنة ٤٠٣ وبقي في داره ثلاثة ايام ودفن متغيرا من غير غسل ولا كفن ولا صلاة رحمه الله **وروي** عنه انه قال تعلقت باستار الكعبة

وسالت

وسألت الله تعالى الشهادة ثم انحرفت وفكرت في هول القتل فندمت وهممت ان ارجع فاستقيل الله سبحانه وتعالى فاستحييت واخبر من رآه بين القتلى ودنى منه فسمعه يقول بصوت ضعيف لا يكلم احد في سبيل الله والله اعلم بمن يكلم في سبيله الا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون دم والريح ريح المسك كانه يعيد على نفسه الحديث الوارد في ذلك قال ثم قضى على اثر ذلك وهذا الحديث اخرجه مسلم في صحيحه وقد ساق في المطمح حكايته فقال كان حافظا عالما كلفا بالرواية رحل في طلبها وتبحر في المعارف بسببها مع حظ من الادب كثير واختصاص بتنظيم وتحبير وبرع في الزهد والورع فتعلق باستار الكعبة يسأل الله الشهادة ثم فكر في القتل ومرارته والسيف وحرارته فاراد ان يرجع ويستقيل الله فاستحيا واثر نعيم الآخرة على شقاء الدنيا فاصيب في تلك الفتنة مكلوما وقتل مظلوما ثم ذكر مثل ما مر **ومما قال**

في طريقه يتشوق الى افريقية

مضت لي شهور منذ غبتم ثلاثة • وما خلتني ابقى اذا غبتم شهرا
وما لي حياة بعدكم استلذها • ولو كان هذا لم اكن في الهوى حرا
ولم يسلني طول التنائي عنكم • بلى زادني وجدا وجدد لي ذكرا
يمثلكم لي طول شوقي اليكم • ويدنيكم حتى اناجيكم سرا
ساستعتب الدهر المفرق بيننا • وهل نافعي ان صرت استعتب الدهرا
اعلل نفسي بالمنى في لقائكم • واستسهل البر الذي جبت والبحرا
ويؤنسني طي المراحل عنكم • اروح على ارض واغدو على اخرى
وتالله ما فارقتكم عن قلى لكم • ولكنها الاقدار تجري كما تجرى
رعتكم من الرحمن عين بصيرة • ولا كشفت ايدي النوى عنكم سترا

وقد عرف به ابن حيان في المقتبس وذكر قصة شهادته رحمه الله **ومنهم** الشيخ ابو بكر محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله البكري الشريشي المالكي ولد بشريش سنة ٦٠١ ورحل الى العراق فسمع به المشايخ كالقطيعي وابن روزبه وابن الكثير وغيرهم واشتغل وساد اهل زمانه واشتهر بين اقرانه ثم عاد الى مصر فدرس بالفاضلية ثم انتقل الى القدس الشريف فاقام به شيخ الحرم ثم جاء الى دمشق المحروسة بالله وتولى مشيخة الحديث بتربة ام الصالح ومشيخة الرباط الناصري ومشيخة المالكية وعرض عليه القضاء فلم يقبل وكانت وفاته يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب بالرباط الناصري ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى وذلك سنة ٦٨٥ رحمه الله وليس هو بشارح المقامات بل هو غيره وقد اشتركا في البلد فبسبب ذلك ربما يقع في الاذهان الوهم في امرهما وشارح المقامات احمد وهذا محمد وقد ترجمنا صاحب شرح المقامات فيما تقدم من هذا الباب فليراجع والله سبحانه اعلم **ومنهم** ابو محمد عبد العزيز

ابن احمد بن السيد بن المخلس القيسي الاندلسي البلنسي كان من اهل العلم في اللغة
والعربية مشارا اليه فيهما رحل من الاندلس وسكن بمصر واستوطنها وقرا الادب
على ابي العلا صاعد اللغوي صاحب الفصوص وعلى ابي يعقوب يوسف بن
بمصر ودخل بغداد واستفاد وافاد وله شعر حسن **فمن ذلك قوله**

مريض الجفون بلا علة • ولكن قلبي بها ممرض •
اعاد السهاد على مقلتي • بفيض الدموع فما تغمض •
وما زار شوقا ولكن اتى • يعرض لي انني معرض •

وله اشعار كثيرة وتوفي يوم الاربعا لست بقين من جمادي الاولى سنة ٤٢٩ وقيل سنة
بمصر وكان استوطنها وصلى عليه الشيخ ابو الحسن علي بن ابراهيم الحوفي صاحب التفسير
في مصلى الصدفي ودفن عند ابي اسحاق رحمه الله تعالى ومخلس بضم الميم وفتح الغين
وتشديد اللام المكسورة وبعدها سين مهملة وكانت بينه وبين ابي الطاهر اسماعيل
ابن خلف صاحب كتاب العنوان معارضات في قصايد ومن شعر ابن المخلس ايضا

قوله في حمام

ومنزل اقوام اذا ما اغتدوا به • تشابه قيد وغدهم ورييسه
يحط الفتى فيه المرء غير خليله • ويضحى عدو المرء وهو جليسه
يفرج كرب المرء ان نزل بذكر به • ويوحش قلبي ان يعد انيسه
اذا ما اعرت الحوض ما تكاثرت • على ما بدا اقماره وشموسه •

ومنهم ابو الحكم عبد الله بن المظفر بن عبد الله الحكيم الاديب المعروف بالمغربي وهو
من اهل المرية وانتقل الى المشرق وكان كامل الفضيلة وجمع بين الادب والحكمة وله
ديوان شعر جيد والخلاعة والمجون غالبة عليه وذكر العماد في الخريدة انه كان طبيب
المارستان الذي يستصحب في عسكر السلطان السلجوقي حيث خيم وكان السديد يحيى بن
سعيد المعروف بابن المرخم الذي صار اقضى القضاة ببغداد في ايام المقتفي قاصدا
وطبيبا في هذا المارستان واثنى العماد على ابي الحكم المذكور وذكر فضله وما كان عليه
وان له كتابا سماه نهج الوضاعة لاولي الخلاعة ثم ان ابا الحكم انتقل الى الشام وسكن
دمشق وله فيها اخبار ومجاريات طريفة تدل على خفة روحه قال ابن خلكان رايت
في ديوانه ان ابا الحسين احمد بن منير الطرابلسي كان عند الامرا بني منقذ بقلعة شيزر
وكانوا مقبلين عليه وكان بدمشق شاعر يقال له ابو الوحش وكانت فيه دعابة وبينه
وبين ابي الحكم المذكور مداعبات فسال منه كتابا الى ابن منير بالوصية عليه

فكتب ابو الحكم

ابا الحسين استمع مقال فتى • عوجل فيما يقول فارتجلا •
هذا ابو الوحش جاء ممتدحا • للقوم فامنن به اذا وصلا •

وانك عليم

وانك عليهم بحسن شرحك ما • انقله من حديث جملا •
وخبر القوم انه رجل • ما ابصر الناس مثله رجلا •
تنوب عن وصفه شمايله • لا يبتغي عاقل به بدلا •

ومنها

وهو على خفة به ابدا • معترف انه من الثقلا •
يمت بالثلب والرقاعة والسخف واما بغير ذاك فلا •
ان انت فاتحته لتخبر ما • يصدر عنه فتحت منه خلا •
فنبه ان حل خطه الخسف • والهون ورحب به اذا رحلا •
وسقه السم ان ظفرت واشرح له من لسانك العسلا •

وله ايضا مستملحة منها مقصورة هزلية ضاهى بها مقصورة ابن دريد **من جملتها**

وكل ملحوم فلا بد له • من فرقة لو رقعوه بالغرا •

وله مرثية في عماد بن يحيى مراق سنقر الاتابك شاب فيها الجد بالهزل والغالب عليه
شعر الانطباع وتوفي ليلة الاربعا رابع ذي قعدة سنة ٥٤٩ وقيل السنة قبلها
بدمشق رحمه الله والقاضي ابن المرخم المذكور هو الذي يقول فيه ابو القاسم هبة الله بن
الفضل الشاعر المعروف بابن القطان

يا ابن المرخم صرت فينا قاضيا • خرف الزمان تراه ام جن الفلك •
ان كنت تحكم بالنجوم فربما • اما بشرع محمد من اين لك •

وكان ابو الحكم فاضلا في العلوم الحكمية متقنا للصناعة الطبية حسن النادرة كثير
المداعبة محبا للهو والخلاعة والشراب وكان يعرف صنعة الموسيقا ويضرب
بالعود ويجلس في دكان بجيرون للطب وشكاه للباديين واتى في ديوانه نهج الوضاعة
بكل غريب يدل على انه اديب سامحه الله وغفر له **ومن الراحلين** من الاندلس الى
المشرق ممن هو الاحق بالتقديم والسبق الشهير عند اهل الغرب والشرق الحافظ
المقرى الامام الرباني ابو عمرو الداني عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الاموي
مولاهم القرطبي صاحب التصانيف التي منها المقنع والتيسير وعرف بالداني لسكناه
دانية ولد سنة ٣٧١ وابتدا يطلب العلم سنة ٣٨٦ ورحل الى المشرق سنة ٣٩٧ فمكث
بالقيروان اربعة اشهر ودخل مصر في شوال لها فمكث بها سنة وحج ورجع الى الاندلس في
ذي القعدة سنة ٣٩٩ وقرا بالروايات على عبد العزيز بن جعفر الفارسي وغيره بقرطبة
وعلى ابي الحسن بن غلبون وخلف بن خاقان المصريين وابي الفتح فارس بن احمد وسمع من ابي
مسلم الكاتب وهو اكبر شيخ له ومن عبد الرحمن بن عثمان القشيري وحاتم بن عبد الله
البزاز وغير واحد من اهل مصر وسواها وسمع من الامام ابي الحسن القابسي وخلف
كتبه بالحجاز ومصر والمغرب والاندلس وتلا عليه خلق منهم مفرح الاقفالي وابو داود

ابن نجاح صاحب التنزيل في الرسم وهو من اشهر تلامذته وحدث عنه خلق كثير
منهم خلف بن ابراهيم الطليطلي قال ابو محمد عبيد الله الحجري ذكر بعض الشيوخ
انه لم يكن في عصر الحافظ ابي عمرو الداني ولا بعد عصره احد يضاهيه في حفظه وتحقيقه
وكان يقول ما رايت شيئا قط الا كتبته ولا كتبته الا حفظته ولا حفظته فنسيته
قال ابن بشكوال كان ابو عمرو احد الايمة في علم القران ورواياته وتفسيره ومعانيه
وطرقه واعرابه وجمع في ذلك كله تواليف حسانا وله معرفة بالحديث وطرقه واسماء
رجاله وكان حسن الخط والضبط من اهل الحفظ والذكا والتفنن وكان دينا
فاضلا ورعا سنيا وقال بعضهم واظنه المعامي كان ابو عمرو مجاب الدعوة
مالكي المذهب وقال بعض اهل مكة ان ابا عمرو الداني منفرد متقدم واليه
المنتهى في علم القراات وايمة القران خاضعون لتصانيفه واثقون بنقله
في القراات والرسم والتجويد والوقف والابتدا وغير ذلك له مايه وعشرون مصنفا
وروى عنه بالاجازة رجلان احمد بن محمد بن عبد الله الخولاني وابو العباس احمد بن
عبد الملك بن ابي جمرة وكانت وفاته رحمه الله بدانية في نصف شوال سنة ٤٤٤

ومنهم ابو محمد عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن احمد بن ابي حبيب الاندلسي من بيت
علم ووزارة صرف عمره في طلب العلم وكان غزير العلم في الفقه والحديث والادب وولي
القضا بالاندلس مرة ثم دخل الاسكندرية ومصر وحج وركب المشرق ثم قدم العراق
واقام ببغداد مدة ثم وافى خراسان فاقام بنيسابور وبلخ وكانت ولادته ببلاد الاندلس
وتوفي بهراة في شعبان سنة ٥٤٨ رحمه الله ورضي عنه **ومنهم** ابو العباس احمد بن علي
بن محمد بن علي بن سكر الاندلسي المقرئ رحل واخذ القراات عن ابي الفضل جعفر الهمذاني
وسمع من ابي القاسم بن عيسى وسكن الفيوم واختصر التيسير وصنف شرحا للشاطبية
وتوفي سنة ٦٤٣ رحمه الله **ومنهم** العلامة ذو الفنون علم الدين القاسم بن احمد المرسي
اللورقي المقرئ النحوي ولد سنة ٥٧٥ وقرا علم الكلام والاصولين والفلسفة وكان
خبيرا بهذه العلوم مقصودا باقرائها وولي مشيخة قراءة العادلية ودرس
بالعزيزية نيابة وصنف شرحا للشاطبية وشرحا للمفصل في عدة مجلدات
وشرح الجزولية وغير ذلك وكان مليح الشكل حسن البزة رحمه الله تعالى وتوفي رحمه
الله سنة ٦٦١ رحمه الله ورضي عنه **ومنهم** ابو عبد الله بن ابي الربيع القيسي الاندلسي
الغرناطي قدم مصر وكان له دينه فقه وادب ثم سافر الى باب الابواب وكان حيا سنة ٥٠٦

ومن نظمه كتاب الشهاب

ان الشهاب له فضل على الكتب * بما حوى من كلام المصطفى العربي
كم ضم من حكمة غرا وموعظة * ومن وعيد ومن وعد ومن ادب
اما القضاعي فالرحمن يرحمه * كما حباه من التاليف بالعجب

ومنهم

ومنهم الحافظ ابو عامر محمد بن سعدون بن مرجى القرشي العبدري من اهل ميورقة
من بلاد الاندلس سكن بغداد وسمع بها من ابي الفضل بن خيرون وطراد الزينبي وابي
عبد الله الحميدي وجماعة ولم يزل يسمع الى حين وفاته وكتب بخطه كثيرا من الكتب
والاجزا وجمع وخرج وكان صحيح النقل معتمدا الضبط مرجوعا اليه في الاتقان وكفاه
فخرا وشرفا ان روى عنه الحافظان ابو طاهر السلفي وابو الفضل محمد بن ناصر وكان
نهاية علامة ذا معرفة بالحديث متعففا مع فقره وكان يذهب الى المناولة والعرض
كالسماع وقال السلفي فيه انه من اعيان علماء الاسلام بمدينة السلام متصرف في
فنون من العلم ادبا ونحوا ومعرفة بانساب العرب والمحدثين وكان داوودي المذهب
قرشي النسب وقد كتب عني وكتبت عنه وسمعنا معا كثيرا على شيوخ بغداد ومولده
بقرطبة من مدن الاندلس وقبل اجتماعي به كنت اسمع اسماعيل بن محمد بن الفضل
الحافظ باصبهان يثني عليه فلما اجتمعنا وجدته فوق ما وصفه انتهى **وقال**
ابن عساكر كان احفظ شيخ لقيته وربما حكى عنه بعضهم كابن عساكر امورا منكرة فالله
اعلم وتوفي في ربيع الاخر سنة ٥٢٤ ببغداد **ومنهم** ابو عبد الله محمد بن سعدون الكباخي
سمع بمصر من ابن الورد وابن السكن وابن رشيق وبمكة من الاجري وكان صالحا فاضلا
زاهدا ورعا حدث ومات ببطليوس نحو سنة ٣٩٣ ومولده سنة ٣٢٢ **ومنهم** ابو بكر محمد
بن سعدون التميمي الجزيري المتعبد كانت اذايته كثيرة وحج غير مرة ورابط ببلاد
المغرب وكان حسن الصوت بالقران سمع بمصر من جماعة وبمكة وصحب الفقرا وطاف
بالشام وغزا غزوات وتعرض للجهاد وحرص عليه وساح بجبل المقطم وذكر انه صلى
بمصر الضحى اثنتي عشرة ركعة ثم نام فراى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ان مالكا والليث اختلفا في الضحى فمالك يقول ثنتا عشرة ركعة والليث يقول
ثمانية فضرب عليه الصلاة والسلام بين وركي ابن سعدون وقال راي مالك هو الصواب
ثلاث مرات قال وكان في وركي وجع فمن تلك الليلة زال عني وكان له براهين من نور
يضي عليه اذا صلى ونحوه **وانشد**

سجن اللسان هو السلامة للفتى * من كل نازلة لها استيصال
ان اللسان اذا حللت عقاله * القاك في شنعا ليس تقال

توفي سنة ٤٤٤ **ومنهم** ابو عبد الله محمد بن سعد الاعرج الطليطلي الخطيب ويقال
فيه ابن سعيد سمع بمصر من ابن الوردي وابن السكن وحدث مولده سنة ٣٠٩ وتوفي في ربيع
الاخر سنة ٣٨٥ **ومنهم** ابو عبد الله محمد بن سعيد بن اسحاق بن يوسف الاموي القرطبي
واصله من لبلة ولكن سكن قرطبة قدم مصر وحج وسمع في طريقه من الشيخ ابي محمد
ابن ابي زيد صاحب الرسالة واخذ عن القابسي وعن جماعة من العلما بمصر والحجاز ومولده
سنة ٣٥٢ ورحلته سنة ٣٨١ **ومنهم** ابو عبد الله محمد بن سعيد بن حسان بن الحكم بن هشام

القرطبي سمع من ابيه ويحيى بن يحيى وعبد الملك بن حبيب ورحل فسمع من اشهب بن عبد
العزيز وعبد الله بن نافع وعبد الله بن عبد الحكم وعاد الى الاندلس وبها توفي سنة ٢٦٠ رحمه
الله **ومنهم** ابو عبد الله محمد بن سليمان المعافري الشاطبي نزيل الاسكندرية ويعرف
بابن ابي الربيع احد اولياء الله تعالى شيخ الصالحين صاحب الكرامات المشهورة جمع
بين العلم والعمل والورع والزهد والانقطاع الى الله تعالى والتخلي عن الناس والتمسك
بطريقة السلف قرا القرآن ببلده بالقراءات السبع على ابي عبد الله محمد بن
سعادة الشاطبي وغيره وقرا بدمشق على الواسطي وسمع عليه الحديث ورحل فسمع
من الزاهد ابي يوسف يعقوب خادم اضياف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قبره
ومنبره سنة ٦١٧ وسمع بدمشق على ابي القاسم بن صصري وابي المعالي بن خضر وابي الوفا
ابن عبد الحق وغيرهم وانقطع لعبادة الله تعالى في رباط سوار من الاسكندرية بتربة
ابي العباس الراس وتلمذ للشاطبي تلميذ الراس وصنف كتبا حسنة منها كتاب
المسلك القريب في ترتيب الغريب. وكتاب اللمعة الجامعة في العلوم النافعة
في تفسير القرآن العزيز. وكتاب شرف المراتب والمنازل في معرفة العالي في القراءات
والنازل. وكتاب المباحث السنية في شرح الحصرية. وكتاب الحرقة في الباس
الخرقة. وكتاب المنهج المفيد فيما يلزم الشيخ والمريد. وكتاب النبذة الجلية في
الفاظ اصطلح عليها الصوفية. وكتاب زهر العريش في تحريم الحشيش. وكتاب زهر
المضي في مناقب الشاطبي. وكتاب الاربعين المضية في الاحاديث النبوية. ومولده
بشاطبة سنة ٥٨٥ ووفاته بالاسكندرية في رمضان سنة ٦٧٢ ودفن بتربة شيخه
المجاورة لزاويته رحمهما الله ونفعنا بهما **ومنهم** ابو عبد الله محمد بن شريح
الرعيني الاشبيلي قدم مصر وسمع بها من ابن نفيس وابي علي الحسن البغدادي وابي
جعفر النحوي وابي القاسم بن الطيب البغدادي الكاتب وبمكة من ابي ذر الهروي
قال ابن بشكوال كان من جلة المقرئين وخيارهم ثقة في روايته وكانت رحلته الى
المشرق سنة ٤٣٣ وولد سنة ٣٩٢ وتوفي سنة ٤٧٦ وعمره اربع وثمانون الا خمسة وخمسون
يوما وروى باشبيلية عن جماعة رحمه الله **ومنهم** ابو عبد الله محمد بن صالح
الانصاري المالقي قال السلفي هو شاب من اهل الادب له خاطر سمح كان يحضر عندي
بالاسكندرية كثير السماع للحديث وذكر انه قرا الادب على ابي الحسين بن الطراوة
النحوي بالاندلس وعلى نظرائه **وانشدني لنفسه يقول**

كم ذا تقلقلني النوى وتشوقني • والى متى اشجى بها واسام •
الفت ركابي للفلا فكانما • للبين عهد بيننا وذمام •
يا ويح قلبي من فراق احبة • ابدا تصدعه به الايام •

ومنهم ابو عبد الله محمد بن صالح الخطابي المعافري الاندلسي المالكي رحل الى المشرق

فسمع

فسمع بالشام من خيثمة بن سليمان وبمكة ابا سعيد بن الاعرابي وببغداد اسماعيل
ابن محمد الصفار وسمع بالمغرب بكر بن حماد التاهرتي ومحمد بن وضاح وقاسم بن اصبغ و
جماعة من اصحاب يونس والمزني روى عنه ابو عبد الله الحاكم وقال اجتمعنا به ببخارى
مات ببخارى سنة ٣٨٣ وقيل سنة ثمان وقيل سنة تسع وسبعين وقال فيه ابو سعيد
الادريسي انه كان من افاضل الناس ومن ثقاتهم وقال غيره انه كان فقيها حافظا
جمع تاريخا لاهل الاندلس وقال السمعاني فيه كان فقيها حافظا رحل في طلب العلم
الى المشرق والمغرب رحمه الله **ومنهم** ابو عبد الله محمد بن طاهر بن علي بن عيسى الخزرجي
الداني النحوي اخو ابي العباس بن عيسى سمع بدانية من ابي داود المقرئ وغيره وقدم
دمشق سنة ٥٥٤ حين خرج حاجا واقرا بدمشق النحو مدة ثم خرج الى بغداد واقام بها
الى ان مات سنة ٦١٩ وولد سنة ٥١٠ وقدم مصر سنة ٥٧٢ وله من المصنفات كتاب
تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب في علم مجازات العرب ومن كلامه ليست
هيبة الشيخ لشيبه ولا لسنه ولا لشخصه ولكن بكمال عقله والعقل هو المهاب
ولو رايت شخصا جمع جميع الخصال وعدم العقل لما هبته وقال من جهل شيئا
عابه ومن قصر عن شيء مال به **ومنهم** القاضي الشهير محمد بن بشير وهو محمد بن
سعيد بن بشير بن شراحيل المعافري وقيل في ابيه غير ذلك كما يأتي ولما اشير على الحكم
ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل بتقديم ابن بشير الى خطة القضاء بقرطبة وجه
اليه بباجة فاقبل ولا يعلم ما دعي اليه ونزل على صديق له من العباد فتحدث في شان
استدعائه وقدم انه يصرف في الكتابة فقال له العابد ما اراه بعث فيك الا للقضاء
فان القاضي بقرطبة مات ومتى الان دون قاض فقال ابن بشير فانا استشيرك
في ذلك ان اوقع فقال اسالك عن اشياء ثلاثة واعزم عليك ان تصدقني فيها
ثم اشير بعد ذلك عليك فقال ما هي فقال كيف حبك للاكل الطيب واللباس اللين
وركوب الفاره فقال والله ما ابالي ما رددت به جوعي وسترت به عورتي وحملت به
رجلي فقال هذه واحدة فكيف حبك للتمتع بالوجوه الحسان والتبطن للكواعب
الغيد وما شاكل ذلك من الشهوات فقال هذه حال والله ما استشرفت قط لها
ولا خطرت ببالي ولا اكترثت لفقدها فقال له وهذه ثانية فكيف حبك لمدح الناس
لك وثنائهم عليك وكيف حبك للولاية وكراهيتك للعزل فقال والله ما ابالي
في الحق من مدحني او ذمني وما اسر للولاية ولا استوحش للعزل فقال وهذه
الثالثة اقبل الولاية فلا باس عليك فقدم قرطبة فولاه الامير الحكم القضاء والصلاة
قال ابن وضاح اخبرني من كان يرى محمد بن بشير القاضي داخلا على باب المسجد الجامع
يوم الجمعة وعليه رداء معصفر وفي رجله نعل صرارة وله جمة مفرقة ثم يقوم فيخطب
ويصلي وهو في هذا الزي وبه كان يجلس للقضاء بين الناس فان رام احد من دينه شيئا

وجره اتخذ من الثريا واتاه رجل لا يعرفه فلما راي ما هو فيه من زي الحداثة من الجمة
والمفرقة والردا المعصفر وظهور الكحل والسواك واثر الحنا في يديه توقف ثم قال
دلوني على القاضي فقيل له ها هو واليه اشير فقال ابي رجل واراكم تستهزون
بي انا اسالكم عن القاضي وانتم تدلوني على زامر فصحبوا انه القاضي فتقدم اليه
واعتذر فادناه وتحدث معه فوجد عنده من العدل والانصاف فوق ما ظنه
فكان يتحدث بقصته معه وعوتب في ارسال الجمة ولبس الخز والمعصفر فقال
حدثني مالك بن انس ان محمد بن المنكدر وكان سيد القرا كانت له لمة وان هشام
ابن عروة فقيه هذا البلد يعني المدينة كان يلبس المعصفر وان القاسم بن محمد
كان يلبس الخز ولقد سيل يحيى بن يحيى عن لباس العمايم فقال هي لباس الناس في المشرق
وعليه كان امرهم في القديم فقيل له لو لبستها لاتبعك الناس في لباسها فقال قد
لبس محمد بن بشير الخز فما تبعه الناس فيه وكان ابن بشير اهلا ان يقتدى به فلعلي
لو لبست العمامة لتركني الناس ولم يتبعوني كما تركوا ابن بشير وكان اول ما نظر
فيه محمد بن بشير حين ولي القضا التسجيل على الخليفة الحكم في ارحى القنطرة اذ قيم عليه
فيها وثبت عنده حق المدعي واعذر الى الحكم فلم يكن عنده مدفع فسجل فيها واشهد على
نفسه فلما مضت مدة ابتاعها الحكم ابتياعا صحيحا فسر بذلك وقال رحم الله
محمد بن بشير فقد احسن فيما فعل بنا على كره منا كان في ايدينا شي مشتبه فصححه لنا
وصار حلالا طيب الملك في اعقابنا وحكم على ابن قطيس الوزير ولم يعرفه بالشهود
فرفع الوزير ذلك الى الحكم وتظلم من ابن بشير فقال الحكم اليه ان الوزير فكر حكمك
عليه بشهادة قوم لم تعرفه بهم ولا اعذرت اليه فيهم وان اهل العلم يقولون ان ذلك
له فكتب اليه ابن بشير ليس ابن قطيس ممن يعرف بمن شهد عليه لانه ان لم يجد سبيلا
الى تجريحهم لم يتحرج عن طلب اذاهم في انفسهم واموالهم فيدعون الشهادة منهم ومن
اين ينتهى بهم وتضيع اموال الناس واكثر موسى بن سماعة احد خواص الامير الحكم في ابن
بشير الشكاية وانه يجور عليه فقال له الحكم اما امتحن قولك الساعة فاخرج اليه
فورا واستاذن عليه فان اذن لك عزلته وصدقت قولك فيه وان لم ياذن لك دون
خصمك ازددت بصيرة فيه فليس هو عندي بجاير على حال وانما مقصده الحق في كل
ما يتصرف فيه فخرج يؤم دار ابن بشير وقدم الحكم من يثق به من الفتيان الصقالبة
ان يتبعوا اثره ويعلموا ما يكون منه فلم يكن الا ريثما يبلغ ثم انصرف يحكي للحكم انه لما جا
الاذن الى موسى وعلم القاضي بمكانه غدا اليه فقال له ان كانت لك حاجة فاقصد فيها
اذا جلس القاضي مجلس القضا فتبسم الحكم وقال لقد اعلمته ان ابن بشير صاحب حق لا هوى
فيه عنده لاحد وولي القضا مرتين فلما عزل المرة الاولى انصرف الى بلده وكان بعض اخوانه
يعاتبه في صلابته ويقول له اخشى عليك العزل فيقول له ليته فوالله ان الشقرا بغلتي

بغلتي

بغلته تقطع الطريق في حاجته نحو باجة فما مضى الا يسير حتى عتب عليه الامير في قضية
اشتد فيها على بعض خاصته فكانت سببا لعزله وانصرافه كما هو فلم يمكث الا يسيرا حتى
قيده رقاص من قبل الامير الحكم والرقاص عند المغاربة هو الساعي عند المشارقة يقاد
الى قرطبة ويجبره على العود للقضا الامير الحكم فلاذ منه باليمين بطلاق زوجته
وبصدقة ما يملك في السبيل ان حكم بين اثنين فلم يعذره واخرج من ماله عوضه
من اطيب ما عنده ووهب له جارية من جواريه فعاد الى القضا ثانية ومما يحكى
عنه في العزل ان سعيد الخير بن السلطان عبد الرحمن الداخل وكل عند ابن بشير وكيلا
يخاصم عنه لشي اضطر اليه وكانت بيده فيه وثيقة فيها شهادات شهود قد ماتوا ولم
يكن فيها من الاحيا الا الامير الحكم وشاهد اخر مبرز فشهد لسعيد الخير بالكتاب الى الحكم
واراد شهادته في الوثيقة وقد كان ثبتها قبل الخلافة في حياة ابيه وعرفه مكان
حاجته اليها عند قاضيه خوفا من بطلان حقه وكان الحكم يعظم سعيد الخير عمه
ويلتزم مبرته فقال للرسول اما لنا من مثل الشهادات فقد التبسنا من هذه
الدنيا بما لا نجهله ونخشى ان توقفنا مع القاضي موقف مخزاة كنا نقدره بمثلنا فقصر في
خصامك حيث صيرك الحق اليه وعلينا خلف ما انتقصك فادى عليه وقال سبحان
الله وما عسى ان يقول قاضيك في شهادتك وانت ولي بيعة وهو حسنة من حسناتك
وقد لزمتك في الديانة ان تشهد لي بما علمته ولا تكتمني ما اخذ الله عليك فقال بلى ان ذلك
لزمك كما تقول ولكنك تدخل علينا به داخلة فان اعفيتنا منه فهو احب الينا وان
اضطررتنا لم يمكنا عقوقك فعزم عليه عزم من لم يشك ان قد ظفر بحاجته وضايقه
الاجال فالح عليه فارسل الحكم عند ذلك الى فقيهين من فقهاء زمانه وخط شهادته
بيده في قرطاس وختم عليها بخاتمه ودفعها الى الفقيهين وقال لهما هذه شهادتي
بخطي تحت ختمي فادياها الى القاضي فانتهيا بها الى مجلسه وقت قعوده للسماع
من الشهود فادياها اليه فقال لهما قد سمعت منكما فقوما راشدين في حفظ
الله وجاء وكيل سعيد الخير وتقدم اليه مدلا واثقا وقال له ايها القاضي قد
شهد عندك الامير اصلحه الله فما تقول فاخذ كتاب الشهادة ونظر فيه ثم قال
للوكيل هذه شهادة لا تعمل عندي فجئني ببينة عدل فدهش الوكيل ومضى الى
سعيد الخير واعلمه فركب من فوره الى الحكم وقال ذهب سلطاننا وازيل بهاؤنا
يجترئ هذا القاضي على رد شهادتك والله قد استخلفك على عباده وجعل الامر في
دمائهم واموالهم اليك هذا مما يجب ان تحمله عليه بتعزيره بالقضاء وتعرضه على
الانتقام منه فقال له الحكم وهل تشككت انا في هذا يا عم القاضي رجل صالح والله
لا تاخذه في الله لومة لائم فعل ما يجب عليه ويلزمه وسد دونه بابا يصعب عليه
الدخول منه فاحسن الله جزاه فغضب سعيد الخير وقال هذا حسبي منك فقال له

ثم قد تصيبت الذي كان ذلك علي ولست والله لعارض القاضي فيما احتاط به لنفسه
ولا اخوذ المسلمين في تنصيب مثله ولما عوتب ابن بشير فيما اتاه من ذلك قال لمن
عاتبه يا عاجز اما تعلم انه لا بد من الاعذار في الشهادات فمن كان يجترئ على الدفع
في شهادة الامير لو قبلتها ولو لم اعذر لبخست المشهود عليه حقه وتوفي القاضي
محمد بن بشير سنة ١٩٨ قبل الشاتي بست سنين كما ياتي قريبا ومحاسنه رحمه الله
كثيرة وقد استوفى ترجمته بقدر الامكان القاضي عياض في المدارك فليراجعها
من ارادها فاني عهدي بها المغرب وقال بعض من عرف به ما نصه القاضي محمد
ابن بشير بن محمد المعافري اصله من جند باجة من عرب مصر ولاه الحكم بن هشام قضا
القضاة الذي يعبرون عنه بالمغرب بقاضي الجماعة بقرطبة بعد المصعب بن عمران
ثم صرفه وولى مكانه الفرج بن كنانة وعن ابن حارث وكتب محمد بن بشير العلم بقرطبة
عن شيوخ اهلها حتى اخذ منه بحظ وافر ثم كتب لاحد اولاد عبد الملك بن مروان
المرواني لظلمة نالته على وجه الاعتصام به والتصرف معه تصرفا لطيفا ثم انقبض
عنه وخرج حاجا قال ابن حارث وكتب محمد بن بشير في حداثته للقاضي مصعب
ابن عمران ثم خرج حاجا فلقي مالك بن انس وجالسه وسمع منه وطلب العلم ايضا
بمصر ثم انصرف فلزم ضيعته في باجة وقال ابن حيان انه استقدم من باجة
للقضا براي العباس بن عبد الملك وقال ابن شعبان في الرواة عن مالك من
اهل الاندلس محمد بن بشير بن شراحيل ويقال شراحيل ولي القضا وكان رجلا صالحا
وبعدله تضرب الامثال واستوطن قرطبة وتوفي بها سنة ١٩٨ وبعضه عن غيره ومن

شعره قوله

• انما ازرى بقدري انني • لست من بابة اهل البلد •
• ليس منهم غير ذي مقلية • لذوي الالباب او ذي حسد •
• يتحامون لقائي مثل ما • يتحامون لقاء الاسد •
• مطلبي اثقل في اعينهم • وعلى انفسهم من احد •
• لو راني وسط عرض لم يكن • احد ياخذ منهم بيدي •

ومنهم محمد بن عيسى بن دينار الغافقي من اهل قرطبة كان فقيها زاهدا وحج و
حضر افتتاح اقريطش واستوطنها قال الرازي محمد بن يحيى بن يحيى الليثي خرج
حاجا ولقي سحنون بن سعيد بافريقية ولقي بمصر رجالا من اصحاب مالك فسمع منهم
وعرف بالفقه والزهد وجاور بمكة وتوفي هنالك ومنهم محمد بن مروان بن خطاب
المعروف بابن ابي جمرة رحل حاجا هو واخواه ابنا خطاب وعمير في ٢٢٢ سنه وسمعوا ثلاثتهم
من سحنون بن سعيد المدونة بالقيروان وادركوا اصبغ بن الفرج واخذوا عنه
ومنهم محمد بن ابي علاقة البواب من اهل قرطبة كانت له رحلة الى المشرق ولقي

فيها جماعة

فيها جماعة من اهل العلم واخذ عن ابي اسحاق الزجاجي وعن ابي بكر بن الانباري وعن
ابي الحسن علي بن سليمان الاخفش وابي عبد الله نفطويه وغيرهم وسمع من الاخفش
الكامل للمبرد وقال ابن جابر الاشبيلي قد رواه قبل بمصر بمدة وما علمت احدا رواه
غيرهما وكان ابن الاحمر القرشي يذكر انه رواه وكان صدوقا ولكن كتابه ضاع ولو
حضر لما عدا الرجلين المتقدمين ومنهم محمد بن حزم بن بكر التنوخي من اهل طليطلة
وسكن قرطبة يعرف بابن المديني سمع من احمد بن خالد وغيره وصحب محمد بن مسرة الجبلي
قديما واختص به ورافقه في طريق الحج ولازمه بعد انصرافه وكان من اهل الورع و
الانقباض وحكي عن ابن مسرة انه كان في سكناه المدينة على دار مارية ام
ابراهيم سرية النبي صلى الله عليه وسلم فقصد اليها فاذا دويرة لطيفة بين
البساتين بشرقي المدينة عرضها وطولها واحد قد شق في وسطها بحائط وفرش
على حائطها خشب غليظ يرتقى الى ذلك الفرش على خارج لطيف وفي اعلى ذلك بيتان
وسقيفة كانت مقعد النبي صلى الله عليه وسلم في الصيف قال فرايت ابا عبد الله بعد
ما صلى في البيتين والسقيفة وفي كل ناحية من نواحي تلك الدار ضرب احد البيتين
بشبره فكشفته بعد انصرافه وهو ساكن في الجبل عن ذلك فقال لهذا البيت الذي
تراني فيه بنيته على تلك الحكاية في العرض والطول بلا زيادة ولا نقصان انتهى
ومنهم محمد بن يحيى بن مالك بن يحيى بن عائذ ولد ابي زكريا الزاهد من اهل طرطوشة
يكنى ابا بكر تادب بقرطبة وسمع بها من قاسم بن اصبغ ومحمد بن معاوية القرشي واحمد
ابن سعيد ومنذر بن سعيد وابي علي القالي وغيرهم وكان حافظا للنحو واللغة
والشعر يفوت من جاراه على حداثة سنه شاعرا مجيدا مترسلا بليغا ورحل مع ابيه
الى المشرق في ٣٤٩ سنه فسمع بمصر من ابن الورد وابن السكن وحمزة الكناني وغيرهم وسمع
ايضا بالبصرة وبغداد كثيرا وخرج الى ارض فارس فسمع هنالك وجمع كتبا عظيمة واقام
بها الى ان توفي باصبهان مغتبطا مع الستين وثلاثمائة ومولده بطرطوشة صدر
ذي القعدة ٣٢٣ سنه ذكره ابن حيان رحمه الله ومنهم محمد بن عبدون الجبلي العدد
من اهل قرطبة اديب بالحساب والهندسة ورحل في ٣٤٧ سنه فدخل مصر والبصرة وعني
بعلم الطب فمهر فيه ودبر مارستان الفسطاط ثم رجع الى الاندلس في سنة ستين وثلاثمائة
فاتصل بالمستنصر بالله وابنه المؤيد بالله وله في التكسير تاليف حسن رحمه الله ومنهم
ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الازدي الفرا القرطبي صحب ابا بكر بن يحيى بن مجاهد واختص
به ولطف محله منه وقرا عليه القران ورحل صحبته لاداء فريضة الحج وكان رجلا
صالحا كثير التلاوة للقران والخشوع اذا قرا بكى ورتل وبين في تمهل ويقول ابو بكر
علمني هذه القراة وحكي انه سرد الصوم اثنتي عشرة سنة قبل موت ابن مجاهد
مفطرا كل ليلة وقت الافطار ثم تمادى على ذلك بعد موته مفطرا عقب العشا الاخرة

لا لتزام الصلاة بن المغرب اليهما تزيدا من الخير واجتهادا في العمل ومنهم ابو
عبد الله محمد بن صالح المعافري الاندلسي رحل الى المشرق فسمع خيثمة بن سليمان وابا
سعيد بن الاعرابي واسمعيل بن محمد الصفار وبكر بن حماد للسامري وغيرهم روى عنه
ابو عبد الله الحاكم وقال اجتمعنا ببغداد سنة ٣٤١ بعني وثلاثمائة فتوجه منها الى
اصبهان وكان قد سمع في بلاده وبعض من اصحاب يونس وبالحجاز والشام بالجزيرة من
اصحاب علي بن حرب وببغداد وورد نيسابور في ذي الحجة سنة ٣٤١ فسمع الكثير ثم
خرج الى مرو ومنها الى بخارى فتوفي بها في رجب من سنة ٣٨٣ وروى عنه ايضا ابو القاسم
ابن حبيب النيسابوري وغيرهما ذكره ابن عساكر **واسند له قوله**

• ودعت قلبي ساعة التوديع • واطعت قلبي وهو غير مطيع •

• ان لم اشيعهم فقد شيعتهم • بمشيعين تنفسي ودموعي •

وذكره ابن الفرضي وقال انه استوطن بخارى وجعل وفاته بها سنة ٣٨٠ والاول قول
الحاكم وهو اصح **ومنهم** ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري السرقسطي روى عن التاجر
وابن عبد البر ورحل حاجا فقدم دمشق وحدث بها عن شيوخه الاندلسيين وعن ابي
حفص عمر بن ابي القاسم بن ابي زيد القفصي وذكره ابن عساكر وقال سمع عنه ابو محمد الاكفاني
وحكى عنه تدليسا ضعفه به وتوفي سنة ٤٧٢ **ومنهم** ابو عبد الله محمد بن عيسى بن
بقا الانصاري من بلاد الثغر الشرقي اخذ القراات عن ابي داود سليمان بن نجاح
ورحل حاجا فقدم دمشق واقرا بها القراات بالسبع واخذ عنه جماعة من اهلها وكان
سمحا فاضلا حافظا للحكايات قليل التكلف في اللباس ذكره ابن عساكر وقال
رايته وسمعته ينشد قصيدة يوم خرج الناس للمصلى للاستسقا على المنبر

اولها

• استغفر الله من ذنبي وان كبرا • واستقل له شكري وان كثرا •

وكان يسكن في دار الحجارة ويقرى بالمسجد الجامع ولد في الثاني والعشرين من شعبان
سنة ٤٥٣ وتوفي يوم الاربعا عند صلاة العصر ودفن يوم الخميس بعد صلاة الظهر الثاني
من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وخمسماية ودفن في مقابر الصحابة بالقرب من قبر
ابي الدردا رضي الله عنه قال وشهدت اغتساله والصلاة عليه ودفنه وذكره السلفي
ومنهم ابو عبد الله محمد بن طاهر بن علي بن عيسى الانصاري الخزرجي من اهل دانية
سمع كتاب التقصي لابن عبد البر ولقي ابا الحسن الحصري ثم خرج حاجا فقدم دمشق
سنة ٥٠٥ واقام بها مدة يقرى العربية وكان شديد الوسوسة في الوضوء ذكره
ابن عساكر وقال انشدني ابو الحسين هبة الله بن الحسن الفقيه قال
انشدنا ابن طاهر الاندلسي بدمشق قال انشدني الحصري لنفسه **بقوله**

• يموت من في الانام طرا • من طبيب ومن حبيب •

لمستنزح

• فمستنزح ومستراح • منه كما جاء في الحديث •

قال وانشدنا الحصري لنفسه

• لو كان تحت الارض او فوق الذرى • حر اتيح له العدو ليوذي •

• فاحذر عدوك وهو امون مبين • ان البعوضة اردت النمروذا •

ومنهم محمد بن ابي سعيد الفرج بن عبد الله البزاز من اهل سرقسطة لقي بدانية
الحصري وسمع منه بعض منظومه ورحل حاجا فادى الفريضة ودخل العراق فسمع
من جماعة واجازوا له منهم ابن خيرون والحميدي وابو زكريا التبريزي وابن المبارك
ابن عبد الجبار وثابت بن بندار وهبة الله بن الاكفاني وغيرهم ونزل الاسكندرية
وحدث بها واخذ الناس عنه وتوفي بها لك

وانشد للحصري

• الناس كالارض ومنها هم • من خشن اللمس ومن لين •

• وتشتكي الرجل منه الوطي • واثمد يجعل في الاعين •

وروى ابن الحضرمي وابن حمارة وغيرهما **ومنهم** ابو بكر محمد بن الحسين الشهير
بالميورقي لان اصله منها وسكن غرناطة وروى عن ابي علي الصدفي ورحل حاجا فسمع
بمكة من ابي الفتح عبد الله بن محمد البيضاوي وابي نصر عبد الملك بن ابي مسلم النهاوندي
في شوال وذي القعدة من سنة ٤٩٧ وبالاسكندرية من ابي عبد الله الرازي وابي الحسن بن
مشرف وابي بكر الطرطوشي وغيرهم وعاد الى الاندلس بعد مدة طويلة لخرجة بغير ما بلد
لتجوله وكان فقيها ظاهريا عارفا بالحديث واسماء الرجال متقنا لما رواه يغلب
عليه الزهد والصلاح روى عنه ابو عبد الله النميري الحافظ ويعقوب بن الازدي يكنى
لانه الانصاري من الازد وابو بكر بن رزق وابو عبد الله بن عبد الرحيم وابنه عبد المنعم
وسواهم وصار اخيرا الى بجاية مما رابه من صاحب المغرب حينئذ بعد ان حمل اليه هو
وابو العباس بن العريف وابو الحكم بن برجان وحدث هنالك وسمع منه في سنة ٥٣٧
رحمه الله **ومنهم** ابو الحسن محمد بن عبد الرحمن بن الطفيل العبدي الاشبيلي ويعرف
بابن عظيمة اخذ القراات عن ابي عبد الله السرقسطي وروى عن ابي عبد الله الخولاني و
ابي عبد الله بن فرج وابي علي الغساني وابي داود المقرئ وابي جعفر بن عبد الحق وابي الوليد
ابن طريف ورحل حاجا فروى بمكة عن رزين بن معاوية وبالاسكندرية عن ابن الحضرمي ابي
عبد الله محمد بن منصور وابي الحسن بن مشرف الانماطي بالمهدية عن المازري وكانت
رحلته مع ابي علي منصور بن الخير الاحدب للقاء ابي معشر الطبري فبلغهما نعيه
بمصر فلما قفلا من حجهما فكان منصور يقول قرات على ابي معشر واقتصر ابو الحسن في تصدره
للاقرا على التحديث عمن لقي فعرف مكانه من الصدق والعدالة وولي الصلاة ببلده
وتقدم في صناعته واشتهر بها وبلاه امثل بيته فيها فاخذ عنهم الناس ولده ارجوزة

في القراآت السبع واخرى في مخارج الحروف وشرح قصيدة الشقراطسي وله ايضا
كتاب الفريدة الحمصية في شرح القصيدة الحصرية واليه والى ابنه تنتهي كانت
الرياسة في هذا الشان ومن جلة الرواة عنه ابو بكر بن خير قرا عليه الشهاب
للقضاعي واجاز له جميع رواياته وتوالى بعد في رجب ٥٣٦ وتوفي في حدود
الاربعين وخمسمائة وروى عنه ابو الضحاك الفزاري ومنهم ابو عبد الله
محمد بن احمد بن ابراهيم بن عيسى بن هشام بن جراح الخزرجي من اهل الجبانات ويعرف
بالبغدادي لطول سكناه اياها روى عن ابي علي الغساني وابي محمد بن عتاب ورحل
حاجًا فلقي ابا الحسن الطبري المعروف بالكيا وابا طالب الزينبي وابا بكر الشاشي
وغيرهم وكان فقيها مسنا وحدث عنه ابو عبد الله النميري وابو محمد بن عبيد الله
وابو عبد الله بن حميد وابو القاسم عبد الرحيم بن الملجوم وغير واحد وتوفي بفاس
٥٤٨ ومنهم ابو عبد الله بن علي بن ياسر الانصاري الجياني نزل حلب يكنى ابا بكر
رحل الى المشرق وادى الفريضة وقدم دمشق قبل العشرين وخمسمائة وسكن قنطرة
سنان منها وكان يعلم بالقراآت ويتردد الى ابي عبد الله نصر الله بن محمد فسمع
الحديث منه ثم رحل بصحبة ابي القاسم بن عساكر صاحب تاريخ الشام الى بغداد
سنة عشرين وكان زميله فسمع بها من هبة الله بن الحصين وغيره ثم خرج الى
خراسان فسمع بها من حمزة الحسيني وابي عبد الله الفراوي وابي القاسم الشحامي
وغيرهم وسمع ببلخ جماعة منهم محمد الحسن بن علي الحسيني وابو النجم مصباح بن محمد
المسكي وغيرهما وبلغ الموصل فاقام بها مدة يسمع منه ويأخذ عنه ثم انتهى الى
حلب فاستوطنها وسلمت اليه خزانة الكتب النورية واجريت عليه جراية
وكان قليل الرواية والاعارة معًا ووقف كتبه على اصحاب الحديث وله عوال خرجه
من حديثه ساوى بعض شيوخه البخاري ومسلما وابا داود والترمذي والنسائي
روى عنه ابو حفص الميانشي وابو المنصور مظفر بن سوار اللخمي وابو محمد عبد الله بن علي
ابن سوبه وابن ابي الشنان وغيرهم ذكره ابن عساكر في تاريخه وقال سمعت منه
في جمادى الاولى ٥٦٣ على ما بلغني وقال ابن نقطة حدث عن جماعة منهم ابو القاسم
سهل بن ابراهيم النيسابوري وابو يعقوب يوسف بن ابراهيم الهمذاني نا عنه
ابو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الحلبي واخوه ابو العباس احمد وحكى عن
الحسن بن هبة الله بن صصرى انه توفي بحلب في جمادى الاولى ٥٦٣ كما تقدم وقد
بلغ السبعين قاله ابن الابار ومنهم ابو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة مرسي سكن
شاطبة وداره سلفه بلنسية سمع ابا علي الصدفي واختص به واكثر عنه واليه صار
دواوينه واصوله العتاق وامهات كتبه الصحاح لصهر كان بينهما وسمع ايضا ابا
محمد بن ابي جعفر ولازم حضور مجلسه للتفقه به وحمل ما كان يرويه ورحل الى غرب

الاندلس

الاندلس فسمع ابا محمد بن عتاب وابا بحر الاسدي وابا الوليد بن رشيد وابا عبد الله
الخولاني وابو الوليد بن رشد فابا عبد الله بن الحاج وابا بكر بن العربي وغيرهم وكتب
اليه ابو عبد الله الخولاني وابو الوليد بن طريف وابو الحسن بن عفيف وابو القاسم
بن صواب وابو محمد بن السيد وغيرهم ثم رحل الى المشرق سنة عشرين وخمسمائة
فلقي بالاسكندرية ابا الحجاج بن نادر الميورقي وصحبه وسمع منه واخذ عنه الفقه
وعلم الكلام وادى فريضة الحج في سنة ٥٢١ ولقي بمكة ابا الحسن رزين بن معاوية
العبدري امام المالكية بها وابا محمد بن صدقة المعروف بابن غزال من اصحاب
كريمة المروزية فسمع منهما واخذ عنهما وروى عن ابي الحسن علي بن سند بن عياش الغساني
ما حمل عن ابي حامد الغزالي من تصانيفه ثم انصرف الى ديار مصر فصحب ابن نادر الى حين
وفاته بالاسكندرية ولقي ابا طاهر بن عوف وابا عبد الله بن مسلم القرشي وابا طاهر
السلفي وابا زكريا الزناتي وغيرهم فاخذ عنهم وكان قد كتب اليه منها ابو بكر الطرطوشي
وابو الحسن بن مشرف الانماطي ولقي في صدره بالمهدية ابا عبد الله المازري فسمع
منه بعض كتاب المعلم واجاز له باقيه وعاد الى مرسية في سنة ٥٢٦ وقد حصل في رحلته
علوما جمة ورواية فسيحة وكان عارفا بالسنن والآثار مشاركا في علم القرآن
وتفسيره حافظا للفروع بصيرا باللغة والغريب ذا حظ من علم الكلام مائلا الى
التصوف مؤثرا له اديبا بليغا خطيبا فصيحا ينشئ الخطب مع الهدى والسمت
والوقار والحلم جميل الشارة محافظا على التلاوة بالخشوع راتبا على الصوم وولي
خطة الشورى بمرسية مضافة الى الخطبة بجامعها واخذ في اسماع الحديث وتدريس
الفقه ثم ولي القضاء بها بعد انقراض دولة الملثمة ونقل الى قضاء شاطبة فاتخذها
وطنا وكان يسمع الحديث بها وبمرسية وبلنسية ويقوم الخطباء بام الجمع في جوامع
هذه الامصار الثلاثة متعاقبا عليها وقد حدث بالمرية ومنها ابو الحسن بن مؤمن
وابو محمد الرشاطي وغيرهما وسمع منه ابو الحسن بن هذيل جامع الترمذي وله كتابه
شجرة الوهم المترقية الى ذروة الفهم ولم يسبق الى مثله وليس له غيره وجمع فهرسة
حافلة ووصفه غير واحد بالتفنن في المعارف والرسوخ في الفقه واصوله و
المشاركة في علم الحديث والادب وقال ابن عياد في حقه انه كان صلبا في الاحكام
مقتفيا للعدل حسن الخلق والخلق جميل المعاملة لين الجانب فكه المجالسة
ثبتا حسن الخط من اهل الاتقان والضبط وحكى انه كانت عنده اصول حسان
بخط عمه مع الصحيحين بخط الصدفي في سفرين قال ولم يكن عند شيوخنا مثل كتبه
في صحتها واتقانها وجودتها ولا كان فيهم من رزق عند الخاصة والعامة من الحظوة
والذكر وجلالة القدر ما رزقه وذكره الشقيفات ايضا وابو عمر بن عات ورفعوا
جميعا بذكره وتوفي بشاطبة مصروفا عن قضائها اخر الحجة سنة خمس وثمن

اول يوم من سنة ست وستين وخمسماية ودفن بالروضة المنسوبة الى ابي عمر
ابن عبد البر ومولده في رمضان سنة ٤٩٦ ومنهم محمد بن ابراهيم بن وضاح اللخمي
من اهل غرناطة فنزل جزيرة شقر يكنى ابا القاسم واخذ القراءة بلده عن ابي علي بن
العرجا في سنة ست واربعين وخمسماية وسنة سبع بعدها وحج ثلاث حجات ودخل
بغداد واقام في رحلته نحوا من تسعة اعوام وقفل الى الاندلس فنزل جزيرة شقر
من اعمال بلنسية واقرا بها القران نحوا من اربعين سنة لم ياخذ من احد اجرا
ولا قبل هدية وولي الصلاة والخطبة بجامعها وكان رجلا صالحا زاهدا يشار اليه
باجابة الدعوة معروفا بالورع والانقباض وتوفي في صفر سنة ٥٨٦ ومنهم
ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي نزيل تلمسان من اهل لقنت عمل مرسية وسكن
ابوه اوريولة رحل الى المشرق فادى الفريضة واطال الاقامة هنالك واستوسع
في الرواية وكتب العلم عن جماعة كثيرة ازيد من ماية وثلاثين من اعيانهم المشرقيين
ابو طاهر السلفي صحبه واختص به واكثر عنه وحكي انه لما ودعه في قفوله
الى المغرب سأله عما كتب عنه فاخبره انه كتب كثيرا من الاسفار ومئين من الاجزا
فسر بذلك وقال له تكون محدث المغرب ان شاء الله قد حصلت خيرا كثيرا قال
ودعا لي بطول العمر حتى يوخذ عني ما اخذت عنه وقد جمع في اسماء شيوخه على حروف
المعجم تاليفا مفيدا اكثر فيه من الاثار والحكايات والاخبار وقفل من رحلته وله
اربعون حديثا في المواعظ واخرى في الفقر وفضله وثالثة في الحب ورابعة في
فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومسلسلاته في جزء وكتاب فضائل الاشهر
الثلاثة رجب وشعبان ورمضان وكتاب فضل عشر ذي الحجة وكتاب مناقب السبطين
وكتاب الفوائد الكبرى مجلد والفوائد الصغرى جزء وكتاب الترغيب في الجهاد
خمسون بابا في مجلد وكتاب المواعظ والرقائق واربعون وخمسماية
وتوفي سنة ٦١٠ عشر وستماية رحمه الله ورضي عنه ومنهم الشيخ الاكبر ذو المحاسن
التي تبهر سيدي محيي الدين بن عربي محمد بن علي بن محمد بن احمد بن عبد الله الحاتمي من ولد
عبد الله بن حاتم الصوفي الفقيه المشهور الظاهري ولد بمرسية يوم الاثنين سابع
عشر رمضان سنة ٥٦٠ قرا القران على ابي بكر بن خلف باشبيلية بالسبع وبكتاب
الكافي وحدثه به عن ابن المولف ابي الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني عن ابيه
وقرا ايضا السبع بالكتاب المذكور على ابي القاسم الشراط القرطبي وحدثه به عن
ابن المولف وسمع على ابي بكر محمد بن ابي جمرة كتاب التيسير للداني عن ابيه عن المولف وسمع
على ابن زرقون وابي محمد عبد الحق الاشبيلي الازدي وغير واحد من اهل المشرق و
المغرب يطول تعدادهم وكان انتقاله من مرسية لاشبيلية سنة ٥٦٨ فاقام بها
الى سنة ٥٩٨ ثم ارتحل الى المشرق واجازه جماعة منهم الحافظ السلفي وابن

عساكر

عساكر وابو الفرج ابن الجوزي ودخل مصر واقام بالحجاز مدة ودخل بغداد والموصل
وبلاد الروم ومات بدمشق سنة ٦٣٨ ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع
الاخر ودفن بسفح قاسيون وانشدني لنفسه مورخا وفاته الشيخ محمد بن سعد
الكلشني سنة ٦٣٧ حفظه الله

• انما الحاتمي في الكون فرد • وهو غوث وسيد وامام •
• كم علوم اتى بها من غيوب • من بحار التوحيد يا مستهام •
• ان سالتم متى توفي حميدا • قلت ارخت مات قطب همام •

وقال ابن الابار هو من اهل المرية وقال ابن النجار اقام باشبيلية الى سنة ٥٩٨
ثم دخل بلاد المشرق وقال ابن الابار انه اخذ عن مشيخة بلده الاداب وكتب لبعض
الولاة ثم رحل الى المشرق حاجا ولم يعد بعدها الى الاندلس وقال المنذري ذكر انه
سمع بقرطبة من ابي القاسم بن بشكوال وجماعة سواه وطاف البلاد وسكن بلاد الروم
مدة وجمع مجاميع في الطريقة وقال ابن الابار انه لقيه جماعة من العلما والمتعبدين
واخذوا عنه وقال غيره انه قدم بغداد سنة ٦٠٨ وكان يومى اليه بالفضل والمعرفة
والغالب عليه طريق اهل الحقيقة وله قدم في الرياضة والمجاهدة وكلام على لسان
اهل التصوف ووصفه غير واحد بالتقدم والمكانة من اهل هذا الشان بالشام
والحجاز وله اصحاب واتباع ومن تواليفه مجموع ضمنه منامات راى فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما سمع منه ومنامات قد حدث بها عمن راه صلى الله عليه وسلم
قال ابن النجار وكان قد صحب الصوفية وارباب القلوب وسلك طريق الفقر
وحج وجاور وكتب في علم القوم واخبار مشايخ المغرب وزهادها وله اشعار حسنة
وكلام مليح اجتمعت به في دمشق في رحلتي اليها وكتبت عنه شيئا من شعره ونعم الشيخ
هو ذكر لي انه دخل بغداد سنة ٦٠١ فاقام بها اثني عشر يوما ثم دخلها ثانيا حاجا مع
الركب سنة ٦٠٨ وانشدني لنفسه

• ايا حاير اما بين علم وشهوة • ليتصلا ما بين ضدين من وصل •
• ومن لم يكن يستنشق الريح لم يكن • يرى الفضل للمسك الفتيق على الزبل •

وسالته عن مولده فقال ليلة الاثنين ١٧ رمضان سنة ٥٦٠ بمرسية من بلاد الاندلس
انتهى وقال ابن مسدي انه كان جميل الجملة والتفصيل محصلا لفنون العلم اخص
تحصيل وله في الادب الشاو الذي لا يلحق والتقدم الذي لا يسبق سمع ببلاده من ابن
زرقون والحافظ ابن الجد وابي الوليد الحضرمي وبسبتة من ابي محمد بن عبيد الله وقدم
عليه اشبيلية ابو محمد عبد المنعم بن محمد الخزرجي فسمع منه وابي جعفر بن مضا وذكر
انه لقي عبد الحق الاشبيلي وفي ذلك عندي نظر انتهى قلت لا نظر في ذلك فان
سيدي الشيخ محيي الدين ذكر في اجازته للملك المظفر غازي بن الملك العادل بن بكر بن

ايوب ما معناه او نحوه ومن شيوخنا الاندلسيين ابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن ابن عبد الله الاشبيلي رحمه الله حدثني بجميع مصنفاته في الحديث وعين لي من اسمائها تلقين المهتدي والاحكام الكبرى والوسطى والصغرى وكتاب التهجد وكتاب العاقبة ونظمه ونثره وحدثني بكتب الامام ابي محمد علي بن احمد بن حزم عن ابي الحسن شريح بن محمد بن شريح عنه انتهى وقال الحافظ السلفي اجازة انتهى قال بعض الحفاظ واحسبها الاجازة العامة وكان ظاهري المذهب في العبادات باطني النظر في الاعتقادات وكانت وفاته يوم الجمعة بجبل قاسيون واتفق انه لما اقام ببلاد الروم ركب ذات الملك فقال هذا تذل له الاسود وكلاما هذا معناه فسئل عن ذلك فقال خدمت بمكة بعض الصلحاء فقال لي يوما الله يذل لك اعز خلقه وامر له ملك الروم مرة بدار تساوي مائة الف درهم فلما نزلها واقام بها مر به بعض الايام سائل فقال له شيء لله فقال ما لي غير هذه الدار خذها لك فتسلمها السائل وصارت له وقال الذهبي في حقه انه توسعا في الكلام وذكاء وقوة خاطر وحافظة وتدقيق في التصوف وتواليف جمة في العرفان لولا شطحه في كلامه وشعره ولعل ذلك وقع منه حال سكره وغيبته فيرجى له الخير انتهى وقال القطب اليونيني في ذيل مرآة الزمان عن الشيخ محيي الدين رضي الله عنه ونفعنا به انه كان يقول اني اعرف اسم الله الاعظم واعرف الكيميا انتهى وقال ابن سودكين عنه انه كان يقول ينبغي للعبد ان يستعمل همته في الحضور في مناماته بحيث يكون حاكما على خياله ويصرفه بعقله نوما كما كان يحكم عليه يقظة فاذا حصل للعبد هذا الحضور وصار خلقا له وجد ثمرة ذلك في البرزخ وانتفع به جدا فليهتم العبد بتحصيل هذا القدر فانه عظيم الفائدة باذن الله وقال الشيطان ليقنع من الانسان بان ينقله من طاعة الى طاعة ليفسخ عزمه بذلك وقال ينبغي للسالك انه متى حصل له ان يقعد على امر او يعاهد الله تعالى عليه ان يترك ذلك الامر الى ان يجيء وقته فان يسر الله فعله فعله وان لم ييسر الله فعله يكون مخلصا من نكث العهد ولا يكون متصفا بنقض الميثاق ومن نظم الشيخ محيي الدين رحمه الله قوله

بين التذلل والتدلل نقطة • فيها يتيه العالم النحرير •
هي نقطة الاكوان ان جاوزتها • كنت الحكيم وعلمك الاكسير •

وقوله

بادرة بيضاء اموية • قد ركبت صدفا من الناسوت •
جهل البسيطة قدرها لشقائهم • وتنافسوا في الدر والياقوت •

وحكى العماد بن النحاس الاطروش انه كان يوما في سفح جبل قاسيون على متنزه وعنده الشيخ محيي الدين والغيث والسحاب عليهم ودمشق ليس عليها شيء فقلت للشيخ اما ترى هذه الحال فقال كنت بمراكش وعندي ابن خروف الشاعر يعني ابا الحسن علي بن محمد

القرطبي

القرطبي العبدري وقد اتفق الحال مثل هذه فقلت له مثل هذه المقالة •

فانشدني يقول

يطوف السحاب بمراكش • طواف الحجيج ببيت الحرم •
يروم نزولا فلا يستطيع • لسفك الدما وهتك الحرم •

انتهى وحكى المقريزي في ترجمة سيدي عمر بن الفارض افاض الله علينا من انواره ان الشيخ محيي الدين بن العربي بعث الى سيدي عمر يستاذنه في شرح التائية فقال كتابك المسمى بالفتوحات المكية شرح لها انتهى وقال بعض من عرف به انه لما صنف الفتوحات المكية كان يكتب كل يوم ثلاث كراريس حيث كان وحصلت له بدمشق دنيا كثيرة فما ادخر منها شيئا وقيل ان صاحب حمص رتب له كل يوم مائة درهم وابن الزكي كل يوم ثلاثين درهما فكان يتصدق بالجميع واشتغل بمصنفاته ولها ببلاد اليمن والروم صيت عظيم وهو من عجائب الزمان وكان يقول اعرف الكيميا بطريق المنازلة لا بطريق الكسب

ومن نظمه

حقيقتي همت بها • وما رآها بصري •
ولو رآها لغدا • قتيل ذاك الحور •
فعندما ابصرتها • صرت بحكم النظر •
فبت مسحورا بها • اهيم حتى السحر •
يا حذري من حذري • لو كان يغني حذري •
والله ما هيمني • جمال ذاك الخفر •
في حسنها من ظبية • ترعى بذات الخمر •
اذا رنت او عطفت • تسبي عقول البشر •
كانما انفاسها • اعراف مسك عطر •
كانها شمس الضحى • في النور او كالقمر •
ان سفرت ابرزها • نور صباح مسفر •
او سدلت غيبها • ظلام ذاك الشعر •
يا قمرا تحت دجا • خذي فؤادي وذري •
عيني لكي ابصركم • اذ كان حظي نظري •

وقال الخويي قال الشيخ سيدي محيي الدين بن عربي رضي الله عنه رايت بعض الفقهاء في النوم في رؤيا طويلة فسالني كيف حالك مع امك فانشدته

اذا رأى امري يبغي لكيس ممتليا • تبسمت ودنت مني تمازحني •
وان راته خليا من دراهمه • تجهمت وانثنت عني تقابحني •

فقال لي صدقت كلنا ذلك الرجل وذكر الامام العالم بالله لسان الحقيقة وشيخ الطريقة

صفي الدين حسين بن الامام العلامة جمال الدين ابي الحسن علي بن الامام مغني الانام كمال الدين ابي المنصور ظافر الازدي الانصاري رضي الله عنه في رسالته الفريدة المحتوية على من رآه من سادات مشايخ عصره بعد كلام ما صورته ورأيت بدمشق الشيخ الامام العارف والوحيد محيي الدين بن العربي وكان من اكبر علماء الطريق جمع بين سائر العلوم الكسبية وما وفر له من العلوم الوهبية ومنزلته شهيرة وتصانيفه كثيرة وكان غلب عليه التوحيد علما وخلقا وحالا لا يكترث بالوجود مقبلا كان او معرضا وله علماء اتباع ارباب مواجيد وتصانيف وكان بينه وبين سيدي الاستاذ الحرار اخاء وريفقة في السياحات رضي الله عنهما في الاصال والبكرات انتهى بلفظه رحمه الله

ومن نظم سيدي الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه **قوله**

• يا من يراني ولا اراه • كم ذا اراه ولا يراني •

قال رحمه الله قال لي بعض اخواني لما سمع هذا البيت كيف تقول انه لا يراك وانت تعلم انه يراك

فقلت مرتجلا

• يا من يراني مجرما • ولا اراه آخذا •

• كم ذا اراه منعما • ولا يراني لائذا •

قلت من هذا وشبهه تعلم ان كلام الشيخ رحمه الله تعالى مؤول وانه لا يقصد ظاهره وان له محامل تليق به وكفاك شاهدا هذه الجزئية الواحدة فاحسن الظن به ولا تنتقد بل اعتقد وللناس في هذا المعنى كلام كثير والتسليم اسلم والله بكلام اوليائه اعلم ومن النظم المحاسن للشيخ سيدي محيي الدين رضي الله عنه في ضابط ليلة القدر

• وانا جميعا ان نصم يوم جمعة • ففي تاسع العشرين خذ ليلة القدر •
• وان كان يوم السبت اول صومنا • فحادي وعشرين اعتمده بلا عسر •
• وان كان صوم الشهر في احد فخذ • ففي سابع العشرين ما شئت فاستقر •
• وان هل بالاثنين فاعلم بانه • يوافيك نيل الوعد في تاسع العشر •
• ويوم الثلاثا ان بدا الشهر فاعتمد • على خامس العشرين فاعمل بما تدري •
• وفي اربعا ان هل يا من يرومها • فدونك فاطلب وصلها سابع العشر •
• ويوم الخميس ان بدا الشهر فاجتهد • ففي ثالث العشرين تظفر بالنصر •
• وضابطها بالقول ليلة جمعة • توافيك بعد النصف في ليلة الوتر •

انتهى قلت ليست على يقين من نسبة هذا النظم الى الشيخ رحمه الله فان نفسه اعلى من هذا النظم ولكني ذكرته لما فيه من الفائدة ولان بعض الناس نسبه اليه فالله اعلم بحقيقة ذلك **ومما نسب اليه رحمه الله غير واحد قوله**

• قلبي قطبي وقالبي اجفاني • سري خضري وعينه عرفاني •
• روحي هارون وكليمي موسى • نفسي فرعون والهوى هاماني •

وذكر

وذكر بعض الثقات انه اذا كتب البيتين بكفنا لمن به الفوالج في كفه وبلحسهما فانها يبرأ باذن الله تعالى فان ذلك من المجربات وقد ناول بعض العلماء قول الشيخ رحمه الله بايمان فرعون وان مراده بفرعون النفس بدليل ما سبق وحكى في ذلك حكاية عن بعض الاولياء ممن كان يبغض الشيخ رحمه الله وولد للشيخ محيي الدين رحمه الله ابنه محمد المدعو سعد الدين بملطية في رمضان سنة ٦١٨ وسمع الحديث ودرس وقال الشعر الجيد وله ديوان شعر مشهور وتوفي بدمشق سنة ٦٥٦ سنة دخل هولاكو بغداد وقتل الخليفة المستعصم ودفن المذكور عند والده بسفح قاسيون وكان قدم القاهرة وسكن حلبا **ومن شعره رحمه الله تعالى**

• لما تبدا عارضاه في نمط • قيل ظلام بضياء اختلط •
• وقيل مسك فوق ورد قد نقط • وقال قوم انما اللام فقط •
• وقيل سطر الحسن في خديه خط • وقيل نمل فوق عاج انبسط •

قلت تذكرت بهذا ما قاله الكاتب ابو عبد الله بن جزي الاندلسي كاتب سلطان المغرب ابي عنان حين تنازع الكتاب ارباب الاقلام والرؤساء اصحاب السيوف في تشبيه العذار وقالت كل فرقة لا تشبهه الا بما هو مناسب لصنعتنا فلما ادعوا

قال ابن جزي

• اني اولو الكتب والسيف الاولى عرفوا • من بعد سلمي على حربي واسلامي •
• بكل معنى بديع في العذار جلي • ما تقتضي منهم افكار احلام •
• فقال ذا الكتب لا ارضى المحارب في • تشبيهه لا والقاسي والاقلامي •
• وقال ذو الحرب لا ارضى الكاتب في • تشبيهه وعطلاني واعلامي •
• فقلت اجمع بين المذهبين معا • باللام فاستحسنوا التشبيه باللام •

وهذه الغاية التي لا تدرك مع البديهة ولزوم ما لا يلزم رجع ومن نظم سعد الدين

قوله

• سهري من المحبوب اصبح مرسلا • واراه متصلا بغير مدامعي •
• قال الحبيب بان ريقي نافع • فاسمع رواية ما لك عن نافع •

ومن نظمه ايضا قوله

• وقالوا قضيب شعر من قد محبوبه • فقلت دعوني لا ارى منه مخلصا •
• محياه شمس قد علت غصن قده • فلا عجب للظل ان يتقلصا •

وقوله

• درت قاض لنا مليح • يعرب عن منطق لذيذ •
• اذا رمانا بسهم لحظ • قلنا له دايم النفوذ •

وقوله

مطلب لرفع الفوالج ... يكتب البيتين في كفه ويلحسه ...

لك والله منظر • قد فيه المشارك •
ان يوما تكون فيه • ليوم مبارك •

ومن نظمه ايضا ما كتب به الى اخيه عماد الدين ابي عبد الله محمد بن الشيخ الاكبر محيي الدين ابن العربي افاض الله علينا من فتوحاته **قوله**

ما للنوى رقة يرثي لمكتئب • حران في قلبه والدمع في حلب •
قد اصبحت حلب ذات العماد بكم • وجلق ارم هذا من العجب •

وتوفي الشيخ عماد الدين بالصالحية سنة ٦٦٧ ودفن بسفح قاسيون عند والده بتربة القاضي ابن الزكي رحمهم الله اجمعين وابن الزكي ايضا محيي الدين ومن نظم سعد الدين المذكور في وسيم راه بالزيادة في دمشق **قوله**

يا خليلي في الزيادة ظبي • سلبت مقلتاه جفني رقاده •
كيف ارجو السلو عنه وطرفي • ناظر حسن وجهه في الزياده •

وله

علقت صوفيا كبدر الدجى • لكنه في وصلي الزاهد •
يشهد وجدي بغرامي له • فديت صوفيا له شاهد •

وله ايضا

صبوت الى حريري مليح • تكرر نحو منزله مسيري •
اقول له اما ترثي لصب • عديم للمساعد والنصير •
اقام ببابكم خمسين شهرا • فقال كذا مقامات الحريري •

وله ايضا

وغزال من اليهود اتاني • زائرا من كنيسة او كناسه •
بات يجني الشقيق من وجنتيه • واشم العبير من انفاسه •
واعتنقنا اذ لم نخف من رقيب • وامنا الوشاة من حراسه •
من رآني يظنني لنحولي • واصفراري علامة فوق راسه •

وله

لحبيب بالنحو اصبح مغرى • فهو مني بما اعانيه ادرى •
قلت ماذا تقول حين تنادي • يا حبيبي المضاف نحوك جهرا •
قال لي يا غلام او يا غلامي • قلت لبيك ثم لبيك عشرا •

وله

سائلتني عن لفظة لغوية • فاجبت مبهوتا بغير تفكر •
خاطبتني متلثما فرايتها • من نظم ثغرك في صحاح الجوهري •

وله

وعلمت ان من الحديد فؤاده • لما انثنى من مقلتيه مهندا •
انست من وجدي بجانب خده • نارا ولكن ما وجدت بها هدى •

وقال الشيخ محيي الدين افاض الله علينا من انواره وكسانا بعض حلل اسراره انه بلغني في مكة عن امراة من اهل بغداد انها تكلمت بامور عظيمة فقلت نبذ جعلها الله سببا لخير وصل الي فلا كفنها وعقدت في نفسي ان اجعل جميع ما اعتمر في رجب لها وعنها ففعلت ذلك فلما كان الموسم اشتمل علي رجل غريب فسالته الجماعة عن قصته فقال رايت ما لم ينبغ في الليلة التي بت فيها كان الآفاق من الابل او قال ما المسك والعنبر والجوهر فتعجبت من كثرته ثم سالت لمن هو فقيل هو لمحمد بن عربي يهديه الى فلانة وسمى تلك المراة ثم قال وهذا بعض ما تستحق انها مكذوب عليها فقصدت المراة وقلت اصدقيني وذكرت لها ما كان من ذلك فقالت كنت قاعدة قبالة البيت وانت تطوف فشكرك الجماعة التي كنت بينهم فقلت في نفسي اللهم اني اشهدك اني قد وهبت له ثواب ما اعمله في يوم الاثنين وفي يوم الخميس وكنت اصومهما واتصدق فيهما قال فعلمت ان الذي وصل مني اليها بعض ما تستحقه فانها سبقت بالجميل والفضل للمتقدم **ومن نظم الشيخ محيي الدين بن العربي**

يا غاية السول والمامول يا سندي • شوقي اليك شديد لا الى احد •
ذبت اشتياقا ووجدا في محبتكم • فاه من طول شوقي آه من كمد •
يدي وضعت على قلبي مخافة ان • ينشق صدري لما خانني جلدي •
ما زال يرفعها طورا ويخفضها • حتى وضعت يدي الاخرى تشد يدي •

وحكى سبط ابن الجوزي عن الشيخ محيي الدين انه كان يقول انه يحفظ الاسم الاعظم ويقول انه يعرف السيميا بطريق التنزل لا بطريق التكسب انتهى والله اعلم والتسليم اسلم **ومن نظم الشيخ محيي الدين قوله**

ما فاز بالتوبة الا الذي • قد تاب قدما فالورى نوم •
ممن يتب ادرك مطلوبه • من توبة الناس ولا يعلم •

وله رحمه الله من المحاسن ما لا يستوفى وانشدني لنفسه بدمشق صاحبنا الصوفي الشيخ محمد بن سعد الكلشني حفظه الله **قوله**

شيخنا الخاتمي في الكون فرد • وهو غوث وسيد وامام •
كم علوم اتى بها من غيوب • من بحار التوحيد يا مستهام •
ان سالتم متى توفي سعيدا • قلت ارخت مات قطب همام • سنة ٦٣٨

وانشدني لنفسه

امولاي محيي الدين انت الذي بدت • علومك في الآفاق كالغيث مذ همى •
كشفت معاني كل علم مكتم • واوضحت بالتحقيق ما كان مبهما •

وبالجملة فهو حجة الله الظاهرة وآيته الباهرة ولا يلتفت الى كلام من تكلم فيه
ولله در السيوطي الحافظ فانه الف تنبيه الغبي عن تنزيه ابن العربي ومقام مثله
الشيخ معلوم والتعريف به يستدعي طولا ومواظبة من نور على علم وكان ابن العربي يعرف
بابن العربي بالالف واللام واصطلح اهل المشرق على ذكره بغير الف ولام فرقا بينه
وبين القاضي ابي بكر بن العربي وقال ابن خاتمة في كتاب مزية المرية ما نصه محمد بن علي
ابن محمد الطائي الصوفي من اهل اشبيلية واصله من مرسية يكنى ابا بكر ويعرف بابن العربي
وبالحاتمي ايضا اخذ عن مشيخة بلده ومال الى الادب وكتب لبعض الولاة بالاندلس
ثم رحل الى المشرق حاجا فادى الفريضة ولم يعد بعدها الى الاندلس وسمع الحديث
من ابي القاسم الحرستاني وغيره وسمع صحيح مسلم من الشيخ ابي الحسن بن ابي نصر في
شوال سنة ٦٠٦ وكان يحدث بالاجازة العامة عن ابي طاهر السلفي ويقول بها وبرع
في علم التصوف وله في ذلك تواليف كثيرة منها الجمع والتفصيل في حقائق التنزيل
والجذوة المقتبسة والخطرة المختلسة وكتاب كشف المعنى في تفسير الاسماء
الحسنى وكتاب مواقع النجوم ومطالع اهلة اسرار العلوم وكتاب عنقاء مغرب
في صفة ختم الاولياء وشمس المغرب وكتاب في فضائل مشيخة عبد العزيز بن ابي بكر
القرشي المهدوي والرسالة الملقبة بمشاهد الاسرار القدسية ومطالع الانوار
الالهية في كتب اخر عديدة وقدم على المرية من مرسية مستهل شهر رمضان سنة ٥٩٥
وبها الف كتابه الموسوم بمواقع النجوم انتهى ولا خفاء ان مقام الشيخ عظيم بعد
انتقاله من المغرب وقد ذكر رحمه الله في بعض كتبه ان مولده بمرسية وفي الكتاب
المسمى بالاغتباط بمعالجة ابن الخياط تاليف شيخ الاسلام قاضي القضاة مجد
الدين محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروزابادي الصديقي صاحب القاموس
قدس روحه الذي الفه بسبب سؤال سئل فيه عن الشيخ محيي الدين بن عربي في كتبه
المنسوبة اليه كالفتوحات والفصوص هل يحل قراءتها واقراؤها ومطالعتها وهل
هي الكتب المسموعة المقروءة اولا افتونا ماجورين جوابا شافيا لتحوزوا جميل الثواب
من الله الكريم الوهاب والحمد لله وحده فاجابه بما صورته الحمد لله اللهم
انطقنا بما فيه رضاك الذي اعتقده في حال المسؤول عنه وادين الله تعالى به انه كان
شيخ الطريقة حالا وعلما وامام التحقيق حقيقة ورسما ومحيي رسوم المعارف
فعلا واسما اذا تغلغل فكر المرء في طرف من بحره غرقت فيه خواطره عباب لا تكدره
الدلا وسحاب لا تتقاصر عنه الانوا كانت دعوته تخترق السبع الطباق وتفترق
بركاته فتملا الآفاق واني اصفه وهو يقينا فوق ما وصفته وناطق بما كتبته
وغالب ظني اني ما انصفته

• وما علي اذا ما قلت معتقدي • دع الجهول يظن العدل عدوانا •

والله

• والله والله العظيم ومن • اقامه حجة للدين برهانا •
• بان ما قلت بعض من مناقبه • ما زدت الا لعلي زدت نقصانا •

وأما كتبه ومصنفاته فالبحار الزواخر التي لجواهرها وكثرتها لا يعرف لها اول
ولا اخر ما وضع الواضعون مثلها وانما خص الله بمعرفة قدرها اهلها ومن
خواص كتبه انه من واظب على مطالعتها والنظر فيها وتأمل ما في مبانيها انشرح
صدره لحل المشكلات وفك المعضلات وهذا الشان لا يكون الا لانفاس من
خصه الله بالعلوم اللدنية الربانية ووقفت على اجازة كتبها للملك المعظم
فقال في اخرها واجزته ايضا ان يروي عني مصنفاتي ومن جملتها كذا وكذا حتى عد نيفا
واربعمائة مصنف منها التفسير الكبير الذي بلغ فيه الى تفسير سورة الكهف
عند قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وتوفي ولم يكمل وهذا التفسير كتاب عظيم كل
سفر بحر لا ساحل له ولا غرو فانه صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى فيما
نعتقده وندين الله به وثم طائفة في الغي جائفة يعظمون عليه النكير وربما
بلغ بهم الجهل الى حد التكفير وما ذاك الا لقصور افهامهم عن ادراك مقاصد اقواله
وافعاله ومعانيها ولم تصل ايديهم لقصرها الى اقتطاف مجانيها •

• علي نحت القوافي من معادنها • وما علي اذا لم يفهم البقر •

هذا الذي نعلمه ونعتقده وندين الله به في حقه والله سبحانه وتعالى اعلم وصورة
استشهاده كتبه محمد الصديقي الملتجي الى حرم الله تعالى عفى الله عنه انتهى واما
احتجاجه بقول شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام شيخ مشايخ الشافعية
فغير صحيح بل كذب وزور فقد روينا عن شيخ الاسلام صلاح الدين العلائي عن جماعة
من المشايخ كلهم عن خادم الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه جاء في باب الردة ذكر لفظة
الزنديق فقال بعضهم هل هي عربية او عجمية فقال بعض الفضلاء انما هي فارسية
معربة اصلها زن دين اي على دين المراة وهو الذي يضمر الكفر ويظهر الايمان فقال بعضهم
مثل من فقال الى جانب الشيخ مثل ابن عربي بدمشق فلم ينطق الشيخ ولم يرد عليه قال
الخادم وكنت صائما ذلك اليوم فاتفق ان الشيخ دعاني للافطار معه فحضرت
ووجدت منه اقبالا ولطفا فقلت له يا سيدي هل تعرف القطب الغوث الفرد
في زماننا فقال ما لك ولهذا كل فعرفت انه يعرفه فتركت الاكل وقلت له لوجه الله تعالى
عرفني به من هو فتبسم رحمه الله وقال الشيخ محيي الدين بن عربي فاطرقت ساكتا متحيرا
فقال ما لك فقلت يا سيدي قد حرت قال لم قلت اليس اليوم قال ذلك الرجل الى
جانبك ما قال في ابن عربي وانت ساكت فقال اسكت ذلك مجلس الفقهاء هذا الذي
روي لنا بالسند الصحيح عن شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام واما قول غيره
من اصحاب الشيخ عز الدين فكثير كان الشيخ كمال الدين الزملكاني من اجل مشايخ الشام

ايضا يقول ما اجهل هولاء ينكرون على الشيخ محيي الدين بن عربي لاجل كلمات
والفاظ وقعت في كتبه قد قصرت افهامهم عن درك معانيها فليأتوني لاحل لهم
مشكله وابين لهم مقاصده بحيث يظهر لهم الحق ويزول عنهم الوهم ومنها ان
القطب سعد الدين الحموي سئل عن الشيخ محيي الدين بن عربي لما رجع من الشام الي
بلاده كيف وجدت ابن عربي فقال وجدته بحرا زاخرا لا ساحل له ومنها ان الشيخ صلاح
الدين الصفدي له كتاب جليل وضعه في تاريخ علماء العالم في مجلدات كثيرة وهي موجودة
في خزانة السلطان تنظر باب الميم ترجمة محمد بن عربي لتعرف منها شيئا مثل العلم الذي
باب صدورهم مفتوح لقبول العلوم اللدنية والمواهب الربانية وقوله في شيء
من الكتب المصنفة كالفصوص وغيره انه صنفه بامر من الحضرة الشريفة النبوية و
باخراجه للناس قال الشيخ محيي الدين الذهبي حافظ الشام ما اظن المحيي يتعمد الكذب
اصلا وهو من اعظم المنكرين واشدهم على طايفة الصوفية • ثم ان الشيخ محيي الدين رحمه
الله تعالى كان مسكنه ومظهره بدمشق واخرج هذه العلوم اليهم فلم ينكر عليه احد
شيا من ذلك وكان قاضي القضاة الشافعية في عصره شمس الدين احمد الخويي يخدمه خدمة
العبيد وقاضي القضاة المالكية زوجه ابنته وترك القضا بنظرة وقعت عليه من
الشيخ واما كراماته ومناقبه فلا تحصرها مجلدات وقول المنكرين في حق مثله عناء
وعنا لا يعبا به والحمد لله انتهى وما نقلته من كلام العارف بالله سيدي عبد الوهاب
الشعراني رضي الله وقد حكي الشيخ رضي الله عنه عن نفسه في كتبه ما يبهر الالباب
وكفى بذلك دليلا على ما منحه الله الذي يفتح لمن يشاء الباب وقد اعتنى بتربته بصالحية
دمشق سلاطين بني عثمان • نصرهم الله على توالي الزمان • وبنى عليها السلطان المرحوم
سليم خان المدرسة العظيمة ورتب له الاوقاف وقد زرت قبره وتبركت به مرارا ورأيت
لوايح الانوار عليه ظاهرة ولا يجد مصنف محيدا الى انكار ما يشاهده عند قبره من الاحوال
الباهرة وكانت زيارتي له بشعبان ورمضان واول شوال لا٣ سنة وقال في عنوان
الدراية فهم الجنان فوي على الابراد كلما طلبت لزيارته يزداد رحل الى العدوة ودخل بجاية
في رمضان ٥٩٧ سنة وبها لقي ابا عبد الله العربي وجماعة من الافاضل ولما دخل بجاية
في التاريخ المذكور قال رايتني انكحت نجوم السما كلها فما بقي منها نجم الا نكحته بلذة
عظيمة روحانية ثم لما كملت نكاح النجوم اعطيت الحروف فنكحتها وعرضت رؤياي
هذه على من قصها على رجل عارف بالرؤيا بصير بها وقلت للذي عرضها عليه لا تذكرني فلما
ذكر الرؤيا قال يفتح له من العلوم العلوية وعلوم الاسرار وخواص الكواكب ما لا
يكون فيه احد من اهل زمانه ثم سكت ساعة وقال ان كان صاحب هذه الرؤيا في هذه
المدينة فهو ذلك الشاب الاندلسي الذي وصل الينا ثم قال صاحب العنوان ما ملخصه
ان الشيخ محيي الدين رحل الى المشرق واشتهرت به الدار والف التواليف وبينهما ما بينهما

ان يفيض

ان يفيض الله من يشاء ويبنا ول سهل المرام وان كان ممن ينظر بالظاهر فالامر صعب
وقد نقد عليه اهل الديار المصرية وسعوا في اراقة دمه فخلصه الله على يد الشيخ ابي
الحسن البجائي فانه سعى في خلاصه وتاول كلامه ولما وصل اليه بعد خلاصه قال
له الشيخ رحمه الله كيف يحبس من حل منه اللاهوت في الناسوت فقال له يا سيدي
تلك شطحات في محل سكر ولا عتب على سكران وتوفي الشيخ محيي الدين في نحو الاربعين
وستمائة وكان يحدث بالاجازة العامة عن السلفي رحمه الله انتهى ومن موشحات

الشيخ محيي الدين رضي الله عنه قوله

• سرائر الاعيان • لاحت على الاكوان •
للناظرين •
• والعاشق الغيران • من ذاك في حران •
يبدي الانين •
• يقول والوجد • اضناه والبعد •
قد حيره •
• لما دنا البعد • لم ادر من بعد •
من غيره •
• وهيم العبد • والواحد الفرد •
قد حيره •
• في البوح والكتمان • والستر والاعلان •
في العالمين •
• انا هو الديان • يا عابد الاوثان •
انت الضنين •
• كل الهوى صعب • على الذي يشكو •
ذل الحجاب •
• يا من له قلب • لو انه يذكو •
عند الشباب •
• قرب الرتب • لكنه افك •
فاتوا المتاب •
• وناد يا رحمن • يا سيد يا منان •
اني حزين •
• اضناني الهجران • ولا حبيب دان •
ولا معين •
• فتبت بالله • عما تراه العين •
من كونه •
• في موقف الجاه • وصحت اين البين •
في بينه •
• فقال يا ساهي • عاينت قط عين •
بعينه •
• اما ترى غيلان • وقيس او من كان •
في الغابرين •
• قالوا الهوى سلطان • انحل بالانسان •
افناه دين •
• كم مرة قالا • انا الذي اهوى •
من هو انا •
• فلا ارى حالا • ولا ارى شكوى •
الا الفنا •
• لست كمن مالا • عن الذي يهوى •
بعد الجنا •
• ودان بالسلوان • هذا هو البهتان •
للعارفين •
• سلوهم ما كان • عن حضرة الرحمن •
والافكين •
• دخلت في بستان • الانس والقرب •
كما كنته •
• فقام لي الريحان • يجنا من العجب •
في سندسه •

• انا هو الانسان • مطيب القلب • في مجلسه •
• جنان يا جنان • اجنى من البستان • الياسمين •
• وطل الريحان • تحرم من الرحمن • للعاشقين •

وقال الامام الصفي بن ظافر الازدي في رسالته رايت بدمشق الشيخ الامام العارف الوحيد محيي الدين بن العربي وكان من اكبر علماء الطريق جمع بين سائر العلوم الكسبية وما وفر له من العلوم الوهبية ومنزلته شهيرة وتصانيفه كثيرة وكان غلب عليه التوحيد خلقا وحالا لا يكترث بالوجود مقبلا كان او معرضا وله علماء اتباع ارباب مواجيد وتصانيف وكان بينه وبين سيدي الاستاذ الحرار اخاء ورفقة في السياحات رضي الله عنهما انتهى **وذكر** الامام سيدي عبد الله بن سعيد اليافعي اليمني في الارشاد انه اجتمع مع الشهاب السهروردي فقال رايته من قرنه الى قدمه **وقيل** للسهروردي ما تقول في الشيخ محيي الدين فقال بحر الحقائق. ثم قال اليافعي وسمعت ابن العز بن عبد السلام كان يطعن عليه ويقول هو زنديق فقال له بعض اصحابه اريد ان تريني القطب او قال وليا فاشار الى ابن العربي فقال له انت تطعن فيه فقال اصون ظاهر الشرع او كما قال واخبرني بهذه الحكاية غير واحد من ثقات مصر والشام. ثم قال وقد مدحه وعظمه طايفة كالنجم الاصبهاني والتاج بن عطاء الله وغيرهما وتوقف فيه طايفة وطعن فيه اخرون وليس الطاعن فيه باعلم من الخضر عليه السلام اذ هو احد شيوخه وله معه اجتماع كثير. ثم قال وما ينسب الى المشايخ له محامل الاول انه لم تصح نسبته اليهم الثاني بعد الصحة يلتمس له تاويل موافق فان لم يوجد له تاويل في الظاهر فله تاويل في الباطن لم نعلمه وانما يعلمه العارفون الثالث ان يكون ذلك صدر منه في حالة السكر والغيبة والسكران سكرا مباحا غير مواخذ ولا مكلف انتهى ملخصا **وممن ذكر** الشيخ محيي الدين الامام شمس الدين محمد بن مسدي في معجمه البديع المحتوي على ثلاث مجلدات وترجمه ترجمة عظيمة مطولة اذكر منها انه قال انه كان ظاهري المذهب في العبادات باطني النظر في الاعتقادات خاض بحار تلك العبارات وتحقق بمحيا تلك الاشارات وتصانيفه تشهد له عند اولي البصر بالتقدم والاقدام ومواقف النهايات في مزالق الاقدام ولهذا ما ارتبت في امره والله تعالى اعلم بسره انتهى **ونقلت** من خط ابن علوان التونسي رحمه الله قال الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى

• يا لها ينتقد كل صعب • من عالم الارض والسماء •
• يحسبه عالم حجابا • لم يعرفوا لذة الخطاء •
• لولا الذي في النفوس منه • لم يجب الله في الدعاء •
• لا تحسب الماء ما تراه • من عسجد مشرق لراءي •
• بل هو ما كنت يا بني • به غنيا عن السواء •

فكن برب

• فكن برب العلي غنيا • وعامل الخلق بالوفاء •

وقال

• نبه لا السر ولا تفشه • فالبوح بالسر له مقت • لا تبدي السر لعله
• على الذي يبديه فاصبر له • واكتمه حتى يصل الوقت •

وقال

• قد تاب عما اتى علينا • مما لنا في الوجود قدر •
• اذ ما بنا صيرت رؤسا • ما لي على ما اراه صبر •
• هذا هو الدهر يا خليلي • فمن يقاسيه فهو دهر •

ونظم الشيخ محيي الدين هو البحر الذي لا ساحل له والختم ما اورد نا منه **بقوله**

• يا حبذا المسجد من مسجد • وحبذا الروضة من مشهد •
• وحبذا طيبة من بلدة • فيها ضريح المصطفى احمد •
• صلى عليه الله من سيد • لولاه لم نفلح ولم نهتدي •
• قد قرن الله به ذكره • في كل يوم فاعتبر ترشد •
• عشر خفيات وعشر اذا • اعلنها التاذين في المسجد •
• فهذه عشرون مقرونة • بافضل الذكر الى الموعد •

ومنهم الصوفي الشهير ابو الحسن علي الششتري وهو علي بن عبد الله النميري عروس الفقراء وامير المتجردين وبركة لابسي الخرقة وهو من قرية ششتر من عمل وادي آش وزقاق الششتري معلوم بها وكان مجودا للقران قايما عليه عارفا بمعانيه من اهل العلم والعمل جال الافاق ولقي المشايخ وحج حجات واثر التجرد والعبادة وذكره القاضي ابو العباس الغبريني في عنوان الدراية فقال الفقيه الصوفي من الطلبة المحصلين والفقراء المنقطعين له علم بالحكمة ومعرفة بطريق الصوفية من الطلبة وتقدم في النظم والنثر على طريقة التحقيق واشعاره وموشحاته وازجاله الغاية في الانطباع اخذ عن القاضي محيي الدين محمد بن ابراهيم بن الحسن بن سراقة الانصاري الشاطبي وغيره من اصحاب السهروردي صاحب عوارف المعارف واجتمع بالنجم بن اسرائيل الدمشقي سنة ٦٥٠ وخدم ابا محمد بن سبعين وتلمذ له وكان ابن سبعين دونه في السن لكن اشتهر باتباعه وعول على ما لديه حتى صار يعبر عن نفسه في منظوماته وغيرها بعبد ابن سبعين وقال له لما لقيه تريد المشايخ ان تريد الجنة فسر الى ابي مدين وان كنت تريد رب الجنة فهلم الي ولما مات ابو محمد انفرد بعده بالرياسة والامامة على الفقراء المتجردين فكان يتبعه في اسفاره ما ينيف على اربعمائة فقير فيقتسمهم الترتيب في وظايف خدمته صنف كتبا منها كتاب العروة الوثقى في بيان السنن واحصاء العلوم وما يجب على المسلم ان يعلمه ويعتقده الى وفاته وله كتاب

المقاليد الوجودية في اسرار الصوفية والرسالة القدسية في توحيد العامة
والخاصة. والمراتب الايمانية والاسلامية والاحسانية والرسالة العلمية وغير ذلك
وله ديوان شعر مشهور ومن نظمه قوله

• لقد تهت عجبا بالتجرد والفقر • فلم اندرج تحت الزمان ولا الدهر •
• وجاءت لقلبي نفحة قدسية • فغبت بها عن عالم الخلق والامر •
• طويت بساط الكون والطي نشره • وما القصد الا الترك للطي والنشر •
• وغمضت عين القلب غير مطلق • فالفيتني ذاك الملقب بالغير •
• وصلت لمن لم تنفصل عنه لحظة • ونزهت من اعني عن الوصل والهجر •
• وما الوصف الا دونه غير انني • اريد به التشبيب عن بعض ما ادري •
• وذلك مثل الصوت ايقظ نائما • فابصر امرا جل عن ضابط الحصر •
• فقلت له الاسماء تبغي بيانه • فكانت له الالفاظ سترا على ستر •

وقال

• من لامني لو انه قد ابصرا • ما ذقته اضحى به متحيرا •
• وغدا يقول لصحبه ان انتم • انكرتموا بي اتيتم منكرا •
• شذت امور القوم عن عاداتهم • فلاجل ذاك يقال سحر مفترى •

وقال وهي من اشهر ما قال

• ارى طالبا منا الزيادة لا الحسنى • بفكر رمى سهما فعدى به عدنا •
• وطالبنا مطلوبنا من وجودنا • نغيب به عنا لدى الصعق ان غنا •

وهي طويلة مشهورة بالشرق والغرب وقد شرحها شيخ شيوخ شيوخنا العارف
بالله سيدي احمد زروق نفعنا الله ببركاته واشار ابن الخطيب في الاحاطة الى انها
لم تخلو عن شذوذ من جهة اللسان وضعف في العربية قال ومع ذلك فهي غريبة
المنزع اشار فيها الى مراتب الاعلام من اهل هذه الطريقة وكانها مبنية على كلام شيخه
الذي خاطبه به عند لقائه حسبما قدمناه اذ الحسنى الجنة والزيادة مقام النظر

وقوله فيها

• واظهر منها الغافقي لما جنى • وكشف عن اطواره الغيم والدجا •

هو شيخه ابو محمد بن سبعين لانه مرسي الاصل غافقيه ولما وصل الششتري من الشام
الى ساحل دمياط وهو مريض مرض موته نزل قرية بساحل البحر الرومي فقال ما اسم
هذه القرية فقيل الطينة فقال حنت الطينة الى الطينة واوصى ان يدفن بمقبرة
دمياط اذ الطينة مفازة واقرب المدن اليها دمياط فحمله الفقراء على اعناقهم الى
دمياط وكانت وفاته يوم الثلاثا سابع عشر صفر سنة ٦٦٨ فدفن بدمياط رحمه
الله تعالى ورضي عنه ومنهم سيدي ابو الحسن علي بن احمد الحرالي الاندلسي وحراله

نزيل

نزيل حماها المحروسة بجاية ولد بمراكش واخذ بالاندلس عن ابي الحسن بن خروف
وغير واحد ورحل الى المشرق فاخذ عن ابي عبد الله القرطبي امام الحرم وغيره ولقي
جلة من المشايخ شرقا وغربا وهو امام ورع زاهد صالح كان بقية السلف وقدوة
الخلف وقد زهد في الدنيا وتخلى عنها واقام في تفسير الفاتحة نحوا من ستة اشهر
يلقي في التعليل قوانين تنزل في علم التفسير منزلة اصول الفقه من الاحكام حتى من
الله تعالى ببركات ومواهب لا تحصى وعلى احكام تلك القوانين وضع كتابه مفتاح
اللب المقفل على فهم القران المنزل وهو ممن جمع العلم والعمل وصنف في كثير من
الفنون كالاصلين والمنطق والطبيعيات والالهيات وبعد النجاة لابن سينا
بنقضه عروة وكان من اعلم الناس بمذهب مالك ولما ظن فقهاء عصره انه لا يحسن
المذهب لاشتغاله بالمعقولات اقرا التهذيب وابدى فيه الغرائب وبين مخالفته
للمدونة في بعض المواضع ووقع بينه وبين الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيء وطلب
عز الدين ان يقف على تفسيره فلما وقف عليه قال اين قول مجاهد اين قول فلان وفلان
واكثر القول في هذا المعنى ثم قال اخرج من بلادنا وطنه يعني الشام فلما بلغ كلامه الشيخ
قال هو يخرج وانا اقيم فكان كذلك وله عدة مؤلفات في الفنون وقال رحمه الله اقمت
ملازما لمجاهدة النفس سبعة اعوام حتى استوى عندي من يعطيني دينارا او من يردني
واصبح رحمه الله ذات يوم ولا شيء لاهله يقيمون به اودهم وكانت ام ولده جارية تسمى
كريمة وكانت سيئة الخلق فاشتدت عليه في الطلب وقالت له ان الاصاغر لا شيء لهم
فقال الان ياتي من قبل الوكيل ما تتقوت به فبينما هم كذلك واذا بالجمال يضرب
الباب ومعه قمح فقال لها يا كريمة ما اعجلك هذا الوكيل بعث بالقمح فقالت ومن
بقمح فامر فتصدق به وقال لها يا بنيك ما هو لحسن فانتظرت يسيرا ويداها
وتكلمت بما لا يليق فبينما هم كذلك واذا بجمال بسميد فقال لها هذا السميد ابشر
واستهل من القمح فلم يقنعها ذلك فامر ايضا بصدقته فلما تصدق به زادت في المقال
واذا برجل على راسه طعام فقال لها يا كريمة قد كفيت المونة هذا الوكيل قد علم
بحالك ومن كراماته ان بعض طلبته اجتمعوا في نزهة واخذوا حليا من زينة النسا
تزينوا به بعض اصحابهم فلما انقضى ذلك واجتمعوا بمجلس الشيخ صار الذي كان في يده
الحلي يتحدث ويشير بيده فقال الشيخ يد يجعل فيها الحلي لا يشار بها في الميعاد
ومنها انه اصاب الناس جدب ببجاية فارسل الى داره من يسوق ماء الى الفقراء فامتنعت
كريمة ونهرت رسله فسمع كلامها فقال قل للرسول قل لها يا كريمة والله لا تشربن من ماء
المطر الساعة فرمقوا السماء بطرفه ودعا الله ورفع يديه به وشرع المؤذنون في الاذان
فلم يختم المؤذن اذانه حتى كان المطر كافواه القرب وتوفي رحمه الله بحماه من بلاد الشام
سنة ٦٣٧ انتهى ملخصا من عنوان الدراية للغبريني ووقع للذهبي في حقه كلام على عادته

في الحط على هذه الطايفة ثم قال ورايت شيخنا المجد التونسي يتغالى في تعسيره
ورايت غير واحد معظما له وتوما تكلموا في عقيدته وكان بنا رالا عند قاضي حماه
البارزي وقال لنا شرف الدين البارزي تزوج بحماه وكانت زوجته تشتمه وتوذيه
وهو يتبسم وان رجلا من جماعته على ان يخرجه فقال لولا تعذر فاتاه وهو يعظ وصاح
وقال له انت ابوك كان يهوديا واسلم فنزل عن الكرسي فاعتقد الرجل انه غضب
وانه ثم له ما رام حتى وصل اليه فخلع فرجية عليه واعطاه ايا مما وقال له بشرك
الله بالخير لانك شهدت لابي انه كان مسلما انتهى وظاهر كلام الغبريني ان تفسير الشيخ
الحرالي كامل وقال بعضهم انه لم يكمل وهو تفسير حسن وعليه الشيخ البقاعي مناسباته
وذكرات الذى وقف عليه منه من اول القران الى قوله في سورة عمران كلما دخل عليها
زكريا المحراب وجد عندها رزقا وكلام الذهبي في الشيخ يرده كلام الغبريني اذ هو اعرف
به والله اعلم وحكي الغبريني انه انشد بين يديه الرجل المشهور
• جنان بالجنان • اجتز من البستان • الياسمين •
• واترك الرحيات • بحرمة الرحمن • للعاشقين •
فسال البعض عن معناه فقال بعض الحاضرين اراد به العذار وقال الاخر انما اشار الى
دوام العهد لان الازهار كلها ينقضي زمانها الا الرحيان فانه دايم فاستحسن الشيخ
هذا ووافق عليه ومنهم ولي الله العارف به الشيخ الشهير الكرامات الكبير
المقامات سيدي ابو العباس المرسي نفعنا الله به وهو من اكابر الاوليا صحب سيدي
الفرد القطب الغوث الجامع سيدي ابا الحسن الشاذلي اعاد الله علينا من بركاته
وخلفه بعده وكان تقدم من الاندلس من مرسية وقبره بالاسكندرية مشهور باجابة
الدعوات وقد زرته مرارا للتبرك ودعوت الله عنده بما ارجو قبوله وقد عرف به الشيخ
العارف بالله ابن عطاء الله في كتابه لطايف المنن في مناقب الشيخ سيدي ابي العباس
وشيخه سيدي ابي الحسن رضي الله عنهما وقال الصفدي في الوافي احمد بن عمر بن
محمد الشيخ الزاهد الكبير العارف ابو العباس الانصاري المرسي وارث شيخه الشاذلي
تصوفا الاشعري معتقدا توفي بالاسكندرية سنة ٦٨٦ ولاهل مصر ولاهل المغرب فيه
عقيدة كبيرة وقد زرته لما كنت بالاسكندرية سنة ٧٣٨ قال ابن عرام سبط الشيخ
الشاذلي ولولا قوة اشتهاره وكراماته لذكرت له ترجمة طويلة كان من المشهورين بالعلم
انتهى وكان سيدي ابو العباس يكرم الناس على نحو رتبتهم عند الله تعالى حتى انه ربما
دخل عليه مطيع فلا يحتفل به وربما دخل عليه عاصي فاكرمه لان ذلك الطايع اتى وهو
متكبر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصي دخل بكسر معصيته وذلة مخالفته وكان
شديد الكراهة للموسوسين في الصلاة والطهارة ويثقل عليه شهود من كان على
صفتهم وذكر عنده يوما شخص بانه صاحب علم وصلاح الا انه كثير الوسوسة فقال

وابن العلم

وابن العلم العلم هو الذي ينطبع في القلب كالبياض في الابيض والسواد في الاسود
وله كلام بديع في تفسير القران العزيز فمن ذلك انه قال في قال الله سبحانه وتعالى
الحمد لله رب العالمين علم الله عجز خلقه عن حمده فحمد نفسه بنفسه في ازله فلما خلق
الخلق اقتضى منهم ان يحمدوه بحمده فقالوا الحمد لله رب العالمين اي الحمد الذي حمد نفسه
بنفسه هو له لا ينبغي ان يكون لغيره فعلى هذا تكون الالف واللام للعهد وقال
قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين اياك نعبد شريعة واياك نستعين حقيقة
اياك نعبد اسلام واياك نستعين احسان • اياك نعبد عبادة واياك نستعين
عبودية • اياك نعبد فرق • واياك نستعين جمع • وله في هذا المعنى وغيره كلام نفيس
يدل على عظيم ما منحه الشيخ رضي الله عنه من العلوم اللدنية • وقال رضي الله عنه
في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس
بحاصل وهذا الجواب ذكره ابن عطية في تفسيره وبسطه الشيخ رضي الله عنه فقال
عموم المومنين يقولون اهدنا الصراط المستقيم اي بالتثبيت لما هو حاصل والارشاد
لما ليس بحاصل فانهم حصل لهم التوحيد وفاتهم درجات الصالحين والصالحون يقولون
اهدنا الصراط المستقيم معناه نسالك التثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس
بحاصل فانهم حصلت لهم درجة الشهادة وفاتهم درجة الصديقية والصديق كذلك
يقول اهدنا الصراط المستقيم اذ حصلت له درجات الصديقية وفاتته درجة
القطب والقطب كذلك يقول اهدنا الصراط المستقيم فانه حصل له رتبة القطبانية
وفاته علم اذا شاء الله ان يطلعه عليه اطلعه • وقال رضي الله عنه الفتوة
الايمان قال الله سبحانه انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى وقال رضي الله عنه
في قوله سبحانه حاكيا عن الشيطان ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الاية ولم
يقل من فوقهم ولا من تحتهم لان فوقهم التوحيد وتحتهم الاسلام وقال رضي الله
عنه التقوى في كتاب الله عز وجل على اقسام تقوى النار قال الله سبحانه واتقوا النار
وتقوى اليوم قال الله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وتقوى الربوبية قال
الله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم وتقوى الالوهية واتقوا الله وتقوى الانية
واتقوني يا اولي الالباب وقال رضي الله عنه في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد ادم ولا فخر اي لا افتخر بالسيادة وانما الفخر لي بالعبودية لله وكان كثيرا
ما ينشد • يا عمرو ناد عبد زهراء • يعرفه السامع والراء •
• لا تدعني الا بيا عبدها • فانه اشرف اسمائي •
وقال رضي الله عنه في قول سمنون المحب
• وليس لي في سواك حظ • فكيف ما شيت فاختبرني •
الاولى ان يقول فكيف ما شيت فاعف عني لان طلب العفو اولى من طلب الاختبار •

وقال رضي الله عنه الزاهد جاء من الدنيا الى الاخرة والعارف جاء من الاخرة الى الدنيا وقال العارف لا دنيا له لان دنياه لاخرته واخرته لربه وقال الزاهد غريب في الدنيا لان الاخرة وطنه والعارف غريب في الاخرة فانه عند الله قال بعض العارفين معنى الغربة في كلام الشيخ رضي الله عنه ان الزاهد يكشف له عن ملك الاخرة فتبقى الاخرة موطن قلبه ومعشش روحه فيكون غريبا في الدنيا اذ ليست وطنا لقلبه غايبا الاخرة فاخذ قلبه فيما غاب من ثوابها ونوالها وفيما شهد من عقوبتها ونكالها فتغرب في هذه الدار واما العارف فانه غريب في الاخرة اذ تكشف له عن صفات معروفه فاخذ قلبه فيما هنالك فصار غريبا في الاخرة لان سره مع الله بلا اين فهولاء العباد تصير الحضرة معشش قلوبهم اليها ياوون وفيها يسكنون فان نزلوا الى سماء الحقوق وارض الخصوص فبالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين فلم ينزلوا الى الحضوض بشهوة ولم يصعدوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة بل كانوا في ذلك كله باداب الله واداب رسله وانبيايه متادبين وبما اقتضى منهم مولاهم عاملين رضي الله عنهم ونفعنا بهم امين وكلام سيدي الشيخ ابي العباس رضي الله عنه لا ساحل له وكراماته كذلك وليراجع كتاب تلميذه ابن عطا الله قال فيه مزيد لك ما يشفي ويكفي وما يغني اكثر ومن كراماته رضي الله عنه انه عزم عليه انسان وقدم اليه طعاما يختبره فاعرض عنه ولم ياكله ثم التفت الى صاحب الطعام وقال له الحارث المحاسبي رضي الله عنه كان في اصبعه عرق اذا مد يده الى الطعام فيه شبهة تحرك عليه وانا في يدي سبعون عرقا تتحرك علي اذا كان مثل ذلك فاستغفر صاحب الطعام واعتذر الى الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به ومنهم ابو اسحاق الساحلي المعروف بالطويجن بضم الطا المهملة وفتح الواو وسكون اليا التحتية وكسر الجيم وقيل بفتحها العالم المشهور والصالح المشكور والشاعر المذكور من اهل غرناطة من بيت صلاح وثروة وامانة وكان ابوه امين العطارين بغرناطة وكان مع امانته من اهل العلم فقيها متفننا وله الباع المديد في الفرايض وابو اسحاق هذا كان في صغره مولعا بسماط شهود غرناطة وارتحل عن الاندلس الى المشرق فحج ثم سار الى بلاد السودان فاستوطنها ونال جاها مكينا من سلطانها وبها توفي رحمه الله انتهى ملخصا من كلام الامير ابن الاحمر في كتابه نثير الجمان فيمن نظمني واياه الزمان وقال ابو المكارم منديل بن اجروم وحدثني من يوثق بقوله ان ابا اسحاق الطويجن كانت وفاته يوم الاثنين ٢٧ جمادى الاخرة سنة ٧٤٧ بتنبكتو موضع بالصحرا من عمالة مالي رحمه الله ثم ضبط الطويجن بكسر الجيم قال وقفت على ذلك ضبطه بخط يده رحمه الله قال ومن نسبه للساحلي فانه نسبة لجده للام انتهى ومنهم الشيخ الاديب الفاضل المعمر ضياء الدين ابو الحسن علي بن محمد بن يوسف بن عفيف الخزرجي الساعدي من اهل غرناطة

ويشهر

ويشهر بالخزرجي مولده بسبتة رحل عن الاندلس قديما واستقر اخيرا بالاسكندرية وبها لقيه الحافظ ابن رشيد عند منصرفه وقد اطال في رحلته في ترجمته الى ان قال وذكر صاحبنا ابو حيان وهو احد من اخذ عنه ولقيه فقال انه تلا القران بالاندلس على ابي الوليد هشام بن واقف المقري وسمع بها من ابي زيد الفازازي العشرينيات وسمع بمكة من شهاب الدين السهروردي صاحب عوارف المعارف وتلا بالاسكندرية على ابي القاسم بن عيسى ولا يعرف له نظم في احد من العالمين الا في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شعره يعارض الحريري

امن لا مثل التبدع • والتجبر والتصنع •
ودن بترك الطمع • ولذ بامثال الورع •
وعد عن كل تبذي • لم يكترث بالنبذ •
والهج بسبر حمته • وعالم متضلع •
والذب زمانا قد سلف • ولم تجد منه خلف •
وابعث بانواع الاسف • رسايل التضرع •

وهي طويلة فلتراجع ترجمته في ملء العيبة لابن رشيد رحمه الله ومنهم الفقيه الجليل العارف النبيل الحاذق الفصيح البارع ابو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد ابن نصر الشهير بابن سبعين العكي المرسي الاندلسي ويلقب من الالقاب المشرقية بقطب الدين قال الشيخ المؤرخ ابن عبد الملك درس العربية والاداب بالاندلس ثم انتقل الى سبتة وانتحل التصوف وعكف برهة على مطالعة كتبه والتكلم على معانيها فمالت اليه العامة ثم رحل الى المشرق وحج حججا وشاع ذكره وعظم صيته وكثر اتباعه وصنف اوضاعا كثيرة تلقوها منه ونقلوها عنه ويرمى باموز الله اعلم بها وبحقيقتها وكان حسن الاخلاق صبورا على الاذى ايه في الايثار انتهى وقال غير واحد اغراض الناس فيه متباينة بعيدة عن الاعتدال فمنهم المرهق المكفر ومنهم المقلد المعظم الموقر وحصل بهذين الطرفين من الشهرة والاعتقاد والنفرة والانتقاد ما لم يقع لغيره والله اعلم بحقيقة امره ولما ذكر الشريف الغرناطي عنه انه كان يكنى عن نفسه ابن دارة يعني الدارة التي كالقمر وهي في بعض طرق المغاربة في حسابهم سبعون شهرا لذلك بابن دارة ضمن فيه البيت المشهور محا السيف ما قال ابن دارة اجمعا حسبما ذكره الشريف في شرح مقصورة حازم وقد طال عهدي به فليراجعه من ظفر به وقال صاحب درة الاسلاك في سنة ٦٦٩ ما صورته وفيها توفي الشيخ قطب الدين ابو محمد عبد الحق بن سبعين المرسي متفلسف متزهد متقشف يتكلم على طريق اصحابه ويدخل البيت ولكن من غير ابوابه شاع امره واشتهر ذكره وله تصانيف واتباع واقوال يميل اليها بعض القلوب ويملها بعض الاسماع

وكانت وفاته بمكة المشرفة عن نحو خمسين سنة تغمده الله برحمته انتهى وقال
بعض الاعلام في حق ابن سبعين انه كان رحمه الله عزيز النفس قليل التصنع يتولى
خدمته الكثير من الفقهاء والسفارة اصحاب العبادات والدقاقين بنفسه
ويحفون به في السكك ولما توفرت دواعي النقد عليه من الفقهاء كثر التاويل وجهت
الالفاظ المغاربيض وفيئت موضوعاته وتعاورته الوحشة وجرت بينه وبين
الكثير من اعلام المشرق والمغرب خطوب يطول ذكرها ووقع في رسالة لبعض من
ابن سبعين المذكور واظن اسمه يحيى بن احمد بن سليمان وسماها بالوراثة المحمدية
والفصول الذاتية ما صورته فان قيل ما الدليل على ان هذا الرجل الذي هو ابن
سبعين هو الوارث المشار اليه قلنا عدم النظير واحتياج الوقت اليه وظهور
الكلمة المشار اليها عليه ونصيحته لاهل الملة ورحمته المطلقة للعالم المطلق
ومحبته لاعدائه وقصده لراحتهم مع كونهم يقصدون اذيته وعفوه عنهم مع
قدرته عليهم وجذبهم الى الخير مع كونهم يطلبون هلاكه وهذه كلها من علامات
الوراثة والتبعية المحضة التي لا يمكن احدا ان يتصف بها الا بمجاز لي وتخصيص
وها انا اصف لك بعض ما خصه الله من الامور التي هي خارقة للعادة وتلغى عن
الامور الحقيقية التي نعلمها ونقصد الامور الظاهرة التي نعلمها والتي لا يمكن احد
ان يستريب فيها الا من اصمه الله واعماه فلا يجحدها الا حسود وقد اتعب الله
قلبه واتشاه رشده واعوذ بالله ممن عانده من الله مساعده ومؤيده ومن هو معه
بنصره وعونه فما اتعب معانده وما اسعد مواده وما اكتب مراده فنبتدئ
بذكر ما وعدت **فنقول** اول ما ذكر في شرفه واستحقاقه لما ذكرنا كونه خلق
الله من اشرف البيوت التي في بلاد العرب وهم بنو سبعين قرشيا هاشميا علويا
وابوه وجدوده بشارا ليهم ويقول في الرياسة والحسب والتعيين عليهم والثاني
كونه من بلاد المغرب والنبي عليه الصلاة والسلام قال لا يزال اهل المغرب ظاهرين
الى قيام الساعة وما ظهر من بلاد المغرب رجل اظهر منه فهو المشار اليه بالحديث •
ثم نقول اهل المغرب اهل الحق واحق الناس بالحق واحق المغرب بالحق علماؤه
لكونهم القائمين بالقسط واحق علمائه بالحق محققهم وقطبهم الذي يدور الكل عليه
ويعول في مسائلهم ونوازلهم المشكلة والعويصة عليه فهو حق المغرب حق الله والملة
حق العالم فهو المشار اليه بالوراثة ثم نقول اهل المغرب ظاهرون على الحق
اي على الدين والحق سر الدين والمحقق سر الحق فالمحقق سر الدين فهو المشار اليه
بالوراثة • ثم نقول اهل الله خير العالم واهل الحق خير اهل الله والمحقق خير اهل الحق
فالمحقق خير العالم فهو المشار اليه **ثم نقول** انظر بدايته وحفظ القديم سبحانه
في صغره وضبطه له من اللهو واللعب واخراجه من اللذة الطبيعية التي هي في جبلة

البشرية

البشرية وتركه للرياسة العرضية المعول عليها عند العالم مع كونه وجدها في ابائه
وهي الان في اخوته وخروجه عن الاهل والوطن الذي قرنه الحق مع قتل الانسان
نفسه وانقطاعه الى الحق انقطاعا صحيحا نعلم تخصيصه وخرقه للعادة • ثم
انظر في تاليفه وفتحه من الصغر وتاليف كتاب بدء العارف وهو ابن خمس عشر سنة
وفي جلالة هذا الكتاب وكونه يحتوي على جميع الصنايع العلمية والعملية وجميع
الامور الشنيعة التي بحده خارقا للعادة وفي نشاته في بلاد الاندلس ولم
يعلم له كثرة نظر وظهوره فيها بالعلوم التي لم تسمع قط نعلم انه خارق للعادة •
وفي تواليفه واشتمالها على العلوم كلها ثم انفرادها وغرابتها وخصوصيتها
بالتحقيق الشاذ عن افهام الخلق نعلم بانه مؤيد بروح القدس • وفي شجاعته وقوة
توكله في عزمه ونصره لصنايعه وظهور حجته على خصمائه واقامته حقه وبرهانه •
وفصاحة كلامه وثبات سلطانه نعلم ان ذلك بقوة الهية وعناية ربانية وفي
امتحان اهل المغرب له واجتماعهم عليه في كل بلد معتبر للمناظرة ويظهر الله حجته •
ويقمع خصمه ويكبت عدوه ويعجز معارضه ويفحم معترضه وفي غيرة الحق عليه وهلاك
من تعرض بالاذى اليه ويعلم العاقل المخصوص انه عند الله مخصوص وفي خلقه وقهره
لقواه النزوعية والغضبية واسلام قرينه وجلالة قوته الحافظة التي لا تنسى
شيئا والمفكرة التي تتصور الذوات المجردة والمعلومة اشرف اللطيف وكذلك الذاكرة
وسرعة ظهوره وانتشار ايته واستجلاب ثنائه في الجهات ولولا خوف التطويل لكنت
افصل كل صفة ذكرت فيه بالكلام الصناعي واقيم الادلة القطعية على تميزها ولكن
اعطيت الانموذج وعرفت ان النبيه يمعن فكره ويجد ذلك كما قلته • وبالجملة
جميع جزئياته اذا تاملت توجد خارقة للعادة وتشهد لها ماهية الوجود بالتخصيص
فصح انه هو المشار اليه والمعول في جملة الامور عليه وانما اعطيت الامر المشهور
وتركت ما يعلم منه من خرق العوايد في ظهور الطعام والشراب والسمن والتمر واخذ
الدراهم من الكون واخباره عن وقايع قبل وقوعها بسنين كثيرة وظهرت كما اخبر
فصح انه هو المذكور انتهى ما تعلق به الغرض مما في الرسالة في شان الشيخ ابن سبعين •
وقد ذكر غير واحد من المورخين ومنهم لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة كما سياتي
قريبا ان ابن سبعين عاقه الخوف من امير المدينة عن القدوم اليها فعظم عليه بذلك
الحمل وفجعته الاحدوثة عنه انتهى ولكن قال شهاب الدين بن ابي حجلة التلمساني
الاديب الشهير وهو صاحب كتاب السكردان وديوان الصبابة ومنطق الطير والاعتراض
على العارف بالله ابن الفارض ما معناه اخبرني الشيخ الصالح ابو الحسن بن برغوش
التلمساني شيخ المجاورين بمكة وكانت له معرفة تامة بهذا الرجل انه صده عن
زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرب من باب من ابواب مسجد المدينة

على ساكنها الصلاة والسلام يهراق منه دم كدم الحيض والله اعلم بحقيقة امره انتهى
وقال غيره نعم زار النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا على طريق المشاة حدث بذلك اصحابه
بمكة انتهى وقال لسان الدين تما شهرته ومحله من الادراك والآراء والاوضاع والاسما
والوقوف على الاقوال والتعمق في الفلسفة والقيام على مذاهب المتكلمين فما يقضي
منه العجب **وقال** الشيخ ابو البركات بن الحاج البلفيقي رحمه الله حدثني بعض شيوخنا
من اهل المشرق ان الامير ابا عبد الله بن هود سالم طاغية النصارى فنكث به ولم يف
بشرطه فاضطره ذلك الى مخاطبة النفس الاعظم برومية فوكل ابا طالب سبعين اخا
ابي محمد عبد الحق بن سبعين في التكلم عنه والاستنطار بين يديه قال فلما بلغ ذلك الشخص
رومية وهو بلد لا تصل لنا المسلمون ونظر الى ما بيده وسال عن نفسه فاخبر بما ينبغي
كلم ذلك القس من دنى منه بكلام مترجم نرجم لابي طالب بما معناه اعلموا ان اخاه هذا ليس
للمسلمين اليوم اعلم بالله منه **وقال** غير واحد انه اشتهرت عنه اشيا كثيرة الله
اعلم باستحقاقه رتبة ما ادعاه منها فمنها قوله فيما زعموا وقد جرى ذكر الشيخ ولي
الله سيدي ابي مدين نفعنا الله ببركاته شعيب عبد عمل ونحن عبيد حضرة **وممن** حكى
هذا لسان الدين في الاحاطة وقد ذكر ابن خلدون في تاريخه الكبير في ترجمة السلطان
المستنصر بالله ابي عبد الله محمد بن السلطان ابي زكريا بن عبد الواحد بن ابي حفص ملك
افريقية ما نصه ان اهل مكة بايعوه وخطبوا له بعرفة وارسلوا له بيعتهم وهي من
انشاء ابن سبعين وسردها ابن خلدون بجملتها وهي طويلة وفيها من البلاغة
والتلاعب باطراف الكلام ما لا مطمح وراءه غير انه يشير فيها الى ان المستنصر هو
المهدي المبشر به في الاحاديث الذي يحثو المال ولا يعده وحمل حديث مسلم وغيره عليه
وذلك مما لا يخفى ما فيه فليراجع كلام ابن خلدون في محله ولابن سبعين من رسالة
سلام عليك ورحمة الله وسلام عليك ثم سلام عليك من حاتك سلام الله ورحمة الله
الممتدة على عوالمك كلها السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وصلى الله عليك
كصلاة ابراهيم من حيث شريعتك وكصلاة اعز ملايكتك من حيث حقيقتك وكصلاة
من حيث حقه ورحمانيته السلام عليك يا حبيب السلام عليك يا قياس الكمال
ومقدمة العز ونتيجة الحمد وبرهان المحمود ومن اذا نظر الذهن اليه قرا اسم العبد
السلام عليك يا من هو الشرط في كمال الاوليا واسرار مشروطات الاذكيا الاتقيا
السلام عليك يا من جاوز في السموات مقام الرسل والانبيا وزاد رفعة واستعلا
على ذوات الملا الاعلى وذكر قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى وقال بعضهم عند ايراده
جملة من رسايله التي منها هذه انها تشتمل على ما يشهد بتعظيم النبوة وايثار الورع
انتهى وقال بعض العلما الاكابر عند تعرضه لترجمة الشيخ ابن سبعين المترجم بما نصه
ببعض اختصار هو احد المشايخ المشهورين بسعة العلم وتعدد المعارف وكثرة التصا[نيف]

ولد سنة ٦١٤

ولد ٦١٤ ودرس العربية والادب بالاندلس ونظر في العلوم العقلية واخذ
عن ابي اسحاق بن دهاق وبرع في طريقه وجال في البلاد وقدم القاهرة ثم حج واستوطن
مكة وطار صيته بها وعظم امره وكثر اتباعه حتى ان تلميذه امير مكة فبلغ من التعظيم
الغاية وله كتاب البد [العارف] وكتاب السفر وكتاب الاجوبة اليمنية وكتاب الكد وكتاب
الاحاطة ورسايل كثيرة في الاذكار وترتيب السلوك والوصايا والمواعظ والخاتم

ومن شعره

كم ذا تموه بالشعبين والعلم • والامر اوضح من نار على علم
وكم تعبر عن سلع وكاظمة • وعن زرود وجيران بذي سلم
ظللت تسال عن نجد وانت بها • وعن تهامة هذا فعل متهم
في الحي حي سوى ليلى فتسالها • عنها سوالك وهم جر للعدم

ونشا رحمه الله مترفا مبجلا في ظل جاه ونعمة لم تفارق معه نفسه البا وكان
وسيما جميلا ملوكي البزة عزيز النفس قليل التصنع وكان آية من الآيات في
الايثار والجود بما في يده رحمه الله **وقال** في الاحاطة للناس في امره اختلاف
بين الولاية وضدها ولما وجه الى كلامه سهام الناقدين قصر اكثرهم عن مداه في
الادراك والخوض في تلك البحار والاطلاع وسات منهم في المما رحة لذ التبيرة
فانصرفوا عنه مكلومين يدرون عنه في الآفاق من سوء المقالة ما لا شي فوقه
وجرت بينه وبين اعلام المشرق خطوب وعاقه الخوف من امير المدينة عن الدخول
اليها الى ان توفي فعظم بذلك عليه الحمل وقبحت الاحدوثة ولما وردت على سبتة
المسايل الصقلية وكانت جملة من المسايل الحكمية وجهها علماء الروم تبكيتا
للمسلمين انتدب للجواب المقنع عنها على فتا من سنه بديهية من فكرته رحمه الله انتهى
وقال بعض من عرف براءته من اهل مرسية وله علم وحكمة ومعرفة ونباهة وبراعة
وبلاغة وفصاحة وقال في عنوان الدراية رحل الى العدوة وسكن بجاية مدة ولقي
من اصحابنا ناسا واخذوا عنه وانتفعوا به في فنون خاصة له مشاركة في معقول
العلوم ومنقولها وله فصاحة لسان وطلاقة قلم وفهم جنان وهو احد الفضلا
وله اتباع كثير من الفقرا ومن عامة الناس وله موضوعات كثيرة هي موجودة
بايدي اصحابه وله فيها الغاز واشارات بحروف ابجد وله تسميات مخصوصة في
كتبه هي نوع من الرموز وله تسميات ظاهرة هي كالاسامي المهموزة وله شعر في التحقيق
في مراقي اهل الطريق وكتابته مستحسنة في طريق الادبا وله من الفضل والمزية ملازمة
لبيت الله الحرام والتزامه الاعتمار على الدوام وحجه مع الحجاج كل عام وهذه مزية
قد رها ولا يرام ولقد مشى به للمعارضة في الحرم الشريف لحظ لم يكن لهم في غير مدته وكان
اضحاب مكة يعتمدون على اقوله ويهتدون بافعاله توفي رحمه الله يوم الخميس تاسع

شوال سنة ٦٦٩ انتهى ببعض اختصار. وذكر رحمه الله في ترجمة تلميذ الشيخ ابي الحسن
الششتري السابق الذكر ان اكثر الطلبة يرجحونه على شيخه ابي محمد بن سبعين واذا
ذكر لهم هذا يقولون انما ذلك لعدم اطلاعهم على حال الشيخ وقصور طباعهم ومن كتب
ابن سبعين الفتح المشترك **ومما حكاه** صاحب عنوان الدراية في ترجمة
الششتري كان في بعض اسفاره مما لم نذكره في ترجمته الماضية وربما ذكرته مما
تبركا ان الششتري كان في بعض اسفاره في البرية وكان رجل من اصحابه يكثر
فسمعه الفقرا يقول لبينا يا احمد فقيل له من احمد الذي ناديته يا سيدي في هذه البرية
فقال لهم من تبشرون به غدا ان شاء الله تعالى فلما كان من الغد ورد الشيخ واصحابه
بلد قابس فعند دخولهم اذا بالرجل المأسور فقال الشيخ للفقرا واصحابه هنيئا لنا
باقتحام العقبة صالحوا الحاكم المنادي به **ومن مناقبه** نفع الله تعالى به انه لما
نزل ببلدة قابس برباط البحر المعروف بالصمبريج جاء الشيخ الصالح ابو اسحاق
الزرناني نفع الله تعالى به بجميع اصحابه برسم الزيارة فوافق وصوله وصول الشيخ
الصالح الفاضل الولي ابي عبد الله الصنهاجي نفع الله تعالى به مع جملة اصحابه
للزيارة فوجدوا الشيخ ابا الحسن قد خرج الى موضع بخارج المدينة برسم خلوة مما
لا انتظاره فلم يكن الا قليلا اذ اقبل الشيخ على مباءة معتبرة متنكر فلما دخل الرباط
سلم على الواصلين برسم الزيارة وحيا المسجد واقبل على الفقرا واثر العبرة على
وجنته فقال لا تتوفى في هذا فلما احضر بين يديه فاوه تاوها كاد ان تحرق بنفسه
جليسه وجعل يكتب في اللوح **هذه الابيات**

• لا تلتفت بالله يا ناظري • لا هيف كالغصن الناضر •
• يا قلب واصرف عنك وهم البقا • وحل عن سرب حمى حاجر •
• ما السر ما البان وما لعلع • ما الخيف ما ظبي بني عامر •
• حمال من شيمته داثر • ما حاجة العاقل بالداثر •
• وانما مطلبه في الذي • تمام الورى من حسنه الباهر •
• افاد للشمس سنى كالذي • اعاره للقمر الزاهر •
• اصبحت فيه مغرما حائرا • لله در المغرم الحائر •

وكان يوما ببلد مالقة وكثيرا ما يجود عليه القران العزيز فقرا طالب قوله تعالى
انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني فقال المعجلا رضي الله عنه وفهم من الاية ما لا يفهم
وعلم منها ما لم يعلم

• انظر للفظ انا يا مغرما فيه • من حيث نظرتنا لعل تدريه •
• خل ادعاءك لا تفخر بعارية • لا يستعير فقير من مواليه •
• جسوم احرف للسر حاملة • ان شئت تعرفه جرب معانيه •

ودخل

ودخل عليه شخص ببجاية من اهلها يعرف بابي الحسن بن علال من اهل الامانة والديانة
فوجده يذاكر بعض اهل العلم فاستحسن منه ايراده للعلم واستفهامه له لمحاضرة الفهم
فاعتقد شياخته وتقديمه ثم نوى ان يؤثر الفقرا من ماله بعشرين دينارا شكرا لله تعالى
ويانيهم بما كولا فلما يسر جميع ما اهتم به اراد ان يقسمه فيعطيه شطره ويدع الشطر
الثاني الى حين انصراف الشيخ ليكون للفقرا زادا فلما كان في الليل راى في منامه النبي
صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعلي رضي الله عنهما قال الرجل فنهضت اليه بسروره
رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وقلت يا رسول الله ادع الله لي فالتفت الى ابي بكر رضي الله عنه
وقال يا ابا بكر اعطه فاذا به رضي الله عنه قسم رغيفا كان بيده واعطاني نصفه ثم
افاق الرجل من منامه فاخذه وجد من هذه الرؤية المباركة فاستيقظ من الله واستعمل
نفسه في العبادة فلما كان من الغد سار واتى الشيخ ببعض الطعام ونصف الدراهم
المحتسب بها فلما دفعها للشيخ قال له الشيخ يا علي اقرب فلما قرب قال له يا علي لو
اتيت بالكل لاخذت الرغيف منه بكماله **ومنهم** ابو عبد الله محمد بن ابراهيم
الشهير بابن غصن الاشبيلي منزل لدشراد بن اوس الانصاري الجزيري نسبته الى الجزيرة
الخضرا الامام المقري الزاهد عرض على الاستاذ ابن ابي الربيع الموطا من حفظه واخذ عنه
النحو وكان من اولياء الله الصالحين وعباده الناصحين امرا بالمعروف ناهيا عن المنكر
قوالا بالحق لا تاخذه في الله لومة لائم عارفا بمتون الحديث واحكامه فقيها متقنا لمذاهب
الايمة الاربعة والصحابة والتابعين لا يقبل من احد شيئا مخلصا لله يتكلم على المنبر
على عادة اهل العلم من تعليم المسائل الدينية واقرا القران بمكة مدة بالقراءات
منها مختصر الكافي وكتاب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ومولده سنة ٦٣١ تقريبا وتوفي
بالبيت المقدس اخر سنة ٧٢٣ رحمه الله **ومنهم** الشيخ الفقيه الاستاذ النحوي
التاريخي اللغوي ابو جعفر احمد بن يوسف الفهري اللبلي يكنى ابا العباس وابا جعفر قرا
بالاندلس على مشايخ من افضلهم الاستاذ ابو علي عمر الشلوبين ثم رحل الى العدوة وسكن
بجاية واقرا بها مدة وارتحل الى المشرق فحج ثم رجع الى حضرة تونس واتخذها وطنا واشتغل
بها بالاقرا الى ان مات كان يبسط الاقرا سائر العربية وله علم جليل باللغة وله تواليف
كثيرة منها على الجمل وشرح الفصيح لثعلب ولم يشذ فيه شي من فصيح كلام العرب
قال الغبريني رحمه الله ورايت له تاليفا في الاذكار وله عقيدة في علم الكلام ورايت له
مجموعا سماه الاعلام بحدود قواعد الكلام تكلم فيه على الكلم الثلاث الاسم والفعل
والحرف وله تاليف اخر وكان من اساتيذ افريقية في وقته وممن اخذ عنه واستفيد
منه انتهى **وذكر** الشيخ ابو الطيب بن علوان التونسي عن والده احمد
التونسي الشهير بالمصري ان المذكور تاليفا يسمى التجنيس وله شرح ابيات الجمل
سماه وشي الحلل رفعه للملك المستنصر الحفصي بتونس فدفعه المستنصر للاستاذ

أبي الحسن حازم وأمره أن يتعقب عليه ما فيه من خلل وجرح فحكى أبو عبد الله القطان المسفر وكان يخدم حازماً قال كنت يوماً بدار أبي الحسن حازم وبين يديه هذا الكتاب فسمعت نقر الباب فخرجت فإذا أبا الفقيه أبي جعفر فرجعت وأخبرت أبا الحسن فقام مبادراً حتى أدخله وبالغ في بره وإكرامه فرأى الكتاب بين يديه فقال له يا أبا الحسن قال الشاعر وعين الرضى عن كل عيب كليلة فقال له يا أبا جعفر أنت سيدي وأخي ولكن هذا أمر الملك لا يمكن فيه إلا الحق والعلم لا يحتمل المداهنة فقال له فأخبرني بما عثرت عليه قال له نعم فأظهر له مواضع فسلمها أبو جعفر وسترها وأصلحها بخطه وأصل هذا اللبلي من لبلة قرية بالأندلس اجتمع في رحلته للمشرق بالقاضي ابن دقيق العيد وكان نحوياً فلما دخل عليه اللبلي قال له القاضي خير مقدم ثم سأله بعد حين بما نصب خير مقدم فقال له اللبلي على المفعول وهو من المصادر التي لا تظهر أفعالها وقد ذكره سيبويه ثم سرد عليه الباب من سيبويه إلى آخره فإنه كان يحفظ أكثره فأكرمه القاضي وعظمه ثم قال ابن علوان وذكروا الذي يقصد رحمه الله تعالى ومن خطه المبارك نقلت أن الأستاذ أبا جعفر اللبلي المذكور رحمه الله قرأ عليه يوماً **قول امرئ القيس**

• حي الحمول بجانب العزل • إذ لا يلائم شكلها شكلي •

فقال لطلبته العامل في هذا الظرف ما هو يحيي إذ فتشنا رعوا القول فقال حسبكم قرئ هذا البيت على أستاذنا أبي علي الشلوبين فسأل لنا هذا السؤال وكان أبو الحسن بن عصفور قد برع واستقل وجلس للتدريس وكان الشلوبين يبغضه فقال لنا إذا خرجتم فاسألوا ذلك الجاهل يعني ابن عصفور فلما خرجنا سرنا إليه بجمعنا ودخلنا المسجد فرأيناه قد دارت به حلقة كبيرة وهو يتكلم بغرائب النحو فلم نجسر على سؤاله لهيبته وانصرفنا ثم جئنا بعد على عادتنا إلى أبي علي فلم ننشئ حتى نرى عليه قولاً لنابغة • فحد عما ترى إذ لا ارتجاع له • فتذكر وقال ما فعلتم في سؤال ابن عصفور فصدقنا له الحديث فأقسم أن لا يخبرنا ما العامل فيه ثم قال اللبلي لطلبته وأنا أقول لكم مثل ذلك فانظروا لأنفسكم قالوا فنظرنا فإذا المسألة مسألة تخص ونظر كلما حكمنا بحكم صد ثناعنه فوابن بحوته حتى مدة طويلة فوفد علينا يونس المحروسة أحد طلبة ابن أبي الربيع وكان ابن أبي الربيع هذا ساكناً وهو أحد طلبة الشلوبين أيضاً ومن كبار هذه الطبقة التي نشأت بعده قالوا فتذاكرنا مع هذا الطالب في مسائل نحوية فمرت هذه المسألة في قوله تعالى إذ نسويكم برب العالمين فقال الطالب إن هذا الظرف وقع موقع لام العلة فعلمنا أن هذا هو الذي أراد الأستاذ أبو علي ثم أنشدنا الطالب وقلنا له إذا جعلته ظرفاً فلا بد من العامل وإذا جعلته واقعاً موقع الحرف كان هذا على مذهب قول الكوفيين

والذي

والذي يجوز عكسه على مذهب الجمهور وإنما الأولى أن يقال لأن الحرف معناه التعليل تشترك فيه الأسماء كما اشتركت في عن والله أعلم بغيبه انتهى **ومنهم** أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي قال الحافظ المقريزي وفرح بسكون الراء وقال الحافظ عبد الكريم في حقه أنه كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين في الدنيا المشغولين بما هم من أمور الآخرة فيما بين توجه وعبادة وتصنيف جمع في تفسير القرآن كتاباً في خمسة عشر مجلداً وشرح التقصي وله تآليف غير ذلك مفيدة وكان مطرح التكلف يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية سمع من الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي صاحب المفهم في شرح مسلم بعض هذا الشرح وحدث عن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن حفص اليحصبي وعن الحافظ أبي علي الحسن بن محمد ابن محمد البكري وغيرهما وتوفي بمنية بني خصيب ليلة الاثنين التاسع من شوال ٦٧١ سنة ودفن بها رحمه الله و **في تاريخ** الكتبي في حقه ما نصه كان شيخاً فاضلاً وله تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور علمه منها تفسير القرآن مليح إلى الغاية اثنا عشر مجلداً انتهى وكتب بعض تلامذته على الهامش ما صورته قد أجحف في ترجمته جداً وكان مصنفنا متبحراً في العلم انتهى وكتب بعض بإثر هذا الكلام ما نصه قال الذهبي رحل وكتب وسمع وكان يقظاً فهماً حسن الحفظ مليح النظر حسن المذاكرة ثقة حافظاً انتهى وكتب آخر إثر ذلك الكلام ما صورته مشاحة شيخنا للمص في هذه العبارة ما لها فائدة فإن الذهبي قال في تاريخ الإسلام العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الإمام القرطبي إمام متفنن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله ثم ذكر موته وقال بعد ذلك وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان وله الأسنى في شرح الأسماء الحسنى والتذكرة وأشياء تدل على إمامته وذكائه وكثرة اطلاعه انتهى **وكتب** آخر بإثر هذا الكلام ما نصه غفر الله لك إذا كان الذهبي ترجمه بما ذكرت وهو والله فوق ذلك فكيف تقول أن مشاحة شيخك لا فائدة فيها وسيء الأدب معه وتقول أن كلامه لا فائدة فيه فالله يستر عليك انتهى **ومنهم** أبو القاسم بن حاضر الجزيري الخزرجي محمد بن أحمد من جزيرة شقر قدم مصر وسكن قوص بعدما كان من عدول بلنسية وكان فصيحاً عالماً بصناعة التوريق وله نظم لا يحضرني الآن شيء منه ومات بالقاهرة سنة ٦٣٩ رحمه الله **ومنهم** أبو القاسم التجيبي محمد بن أحمد من أهل لبلة قرأ على ابن مفرج وابن أبي الأحوص ورحل فاستوطن القاهرة وكان شيخاً فاضلاً خبيراً بالأدب وشعر منه **قوله**

من أبيات

• أخوي الجفون له رقيب أخوك • السر في إدراكه شيبان •

• يا ليته ترك الذي أنا مبصر • وهو المخبر في الغزال الثاني •

ولد ببلنسية سنة ٣٣٢ وتوفي بالحسينية خارج القاهرة سلخ المحرم سنة ٦٥٠ وممن روى
عنه نحوي الزمان اثير الدين ابو حيان وغيره رحم الله الجميع ومنهم ابو بكر الخزرجي
محمد بن احمد بن حسن وقيل محمد بن عيسى المالقي المالكي قال الشريف انه كان احد
الزهاد والورعين وعباد الله المتقين مشتغلا بنفسه متخليا عما في ايدي الناس
باكلا من كسب يده ولا يقبل لاحد شيئا مع وجد وعمل وفضل وادب ولم يكن في زمانه
من اجتمع ما اجتمع له وقال الحافظ عبد الكريم انه دخل اشبيلية واشتغل بالعربية
على الشلوبين وقرا القراءات السبع ثم قدم مصر واشتغل بمذهب مالك وكان
والده نجارا وكان لا ياكل الا من كسب يده يخيط الثياب فازدحم الناس عليه تبركا
به فترك ذلك وصار يدق العصفر وياكل منه ويتصدق بما فضل عنه وكان شديد
الزهد كثير العبادة لا يسلم يده الى احد ليقبلها وجاءه شخص فزيد عليه في اجرة
مسكنه ليشفع الى صاحب الدار لا يقبل الزايد فمضى الى صاحب الدار واعطاه الزايد
مدة اشهر فعلم بذلك الساكن فجاء منه فقال له يا سيدي ما سالت الا الشفاعة وانت
تزن عني فقال له رجل الدار باجداء اجرتها يجي اليه الخزرجي فيقطع عليه حقه والله ما دفع
هذا الا انا فلم يزل يدفع الزايد الى ان انتقل الساكن الى غيره ومات ليلة الثامن
والعشرين من شهر ربيع الاخر سنة ٦٥٠ عن خمس واربعين سنة ودفن بالقرافة
رحمه الله ونفعنا به ومنهم ابو بكر محمد بن احمد بن خليل بن فرج الهاشمي مولاهم لانه
ولاء لبني العباس من اهل قرطبة ولد في شهر رمضان سنة ٣٢٢ بقرطبة وسمع بها من
وهب بن مسرة وخالد بن سعيد وغيرهم ورحل فحج وادرك بمصر ابن الورد وابن رشيق
وابا علي ابن السكين ونظراهم في سنة ٣٤٩ وعاد الى بلده وبها مات في شهر رمضان سنة ٣٩٦
قال ابن بشكوال كان رجلا صالحا فاضلا من اهل الاجتهاد داعيا الى التقشف والزهد
قديم الطلب حسن المذهب متبعا للسنن ومنهم ابو عبد الله محمد بن احمد بن سلمان
بن احمد بن ابراهيم الزهري الاندلسي الاشبيلي ولد بمالقة وطاف الاندلس وطلب العلم
وحصل طرفا صالحا من علم الادب ودخل مصر قبل التسعين وخمسمائة فاستمع بها
الحديث ودخل الشام وبلاد الجزيرة وقدم بغداد سنة ٥٩٠ وعمره ثلاثون سنة واقام
بها مدة وسمع من شيوخها كابي الفرج بن كليب ونحوه وقرا ونسخ بخطه وسافر الى اصبهان
وبلاد الجبل وكان فاضلا حسن المعرفة بالادب يقول الشعر وينشي المقامات وصنف
كتاب البيان والتبيين في انساب المحدثين سبعة اجزاء وكتاب البيان فيما ابهم
من الاسما في القران مجلد وكتاب اقسام البلاغة واحكام الصناعة في مجلدين وكتاب
شرح الايضاح لابي علي الفارسي في خمسة عشر مجلدا وكتاب شرح المقامات مجلد
وكتاب شرح اليميني في مجلد قال المنذري توفي شهيدا قتله التتار في رجب و
قال ابن النجار في سابع عشر رجب سنة ٦١٧ رحمه الله ومنهم ابو عبد الله محمد

بن احمد

ابن احمد بن عبد الله بن علي بن القاسم القرطبي المقرئ المعروف باللورشي لنسبته الى قراءة ورش
لاشتهاره بها وهو من القراء المعروفين قال الحاكم هو من الصالحين المذكورين بالتقدم
في علم القراءات سمع بمصر والشام والحجاز والعراقين والجبال واصبهان وورد نيسابور
ودخل خراسان فسمع على ابن المرزبان باصبهان وبالاهواز عبد الواحد بن خلف
الجندسابوري وبفارس احمد بن عبد الرحمن بن الجارود الرقي وقال ابن النجار قدم بغداد
وحدث بها توفي بسجستان في ربيع الاول سنة ٣٩٣ ومنهم ابو عبد الله محمد بن احمد الباجي
اللخمي قال ابن بشكوال مولده في صفر سنة ٣٠٣ سمع من جده ورحل الى المشرق وقال ابن
عفيف في مشيخته انه كان من اهل العلم والحديث والرواية والحفظ للمسايل قايما
بها واقفا عليها عاقدا للشروط محسنا لها عارفا وبيتهم بيت علم ونباهة هو و
ابوه وجده وكان جميعهم في الفضل والتقدم على درجاتهم في السنن وعلى منازلهم
في السبق وكانت رحلته مع ابيه وروايتهما واحدة وشاركه في السماع والرواية
عن جده وسمع بمصر على ابي الحسن احمد بن عبد الله بن حميد بن رزيق المخزومي وقال
ابن بشكوال كان من اجل الفقهاء عندنا دراية ورواية بصيرا بالعقود ومتقدما على
اهل الوثايق عارفا بعللها والف فيها كتابا حسنا وكتابا في السجلات الى ما جمع
من اقوال الشيوخ والمتاخرين مع ما كان عليه من الطريقة المثلى وتوفيته العلم حقه
من الوقار والتصون توفي في المحرم سنة ٤٣٣ لعشر بقين منه ومنهم ابو عبد الله محمد
ابن احمد بن عبد العزيز العتبي الاندلسي القرطبي الفقيه المالكي المشهور صاحب العتبية
سمع بالاندلس من يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان وغيرهما ورحل الى المشرق فسمع من
سحنون واصبغ بن الفرج وغيرهما وكان حافظا للمسايل جامعا لها عالما بالنوازل
وهو الذي جمع المستخرجة من الاسمعة المسموعة غالبا من مالك بن انس وتعرف بالعتبية
واكثر فيها من الروايات المطروحة والمسايل الغريبة الشاذة وكان يوتى بالمسالة
الغريبة فاذا سمعها قال ادخلوها في المستخرجة ولذا روى عن ابن وضاح انه كان يقول
المستخرجة فيها خطا كثير كذا قال ولكن الكتاب وقع عليه الاعتماد من اعلام المالكية
كابن رشد وغيره قال ابن يونس توفي بالاندلس سنة ٢٥٥ والعتبي نسبة الى عتبة بن ابي
سفيان بن حرب وقيل الى جد للمذكور يسمى عتبة وقيل الى ولاء عتبة بن ابي سفيان
ومنهم ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد بن زكريا المغافري المقرئ الفرضي الاديب ولد بالاندلس
سنة ٤٠٥ ونشا ببلنسية واقام بالاسكندرية وقرا القران على اصحاب ابن مهدي ونظم
قصيدة في القراءات على وزن الشاطبية لكنها اكثر ابياتا وصرح فيها باسماء القراء ولم
يرمز كما فعل الشاطبي والادب ومن شعره قوله

اذا ما اشترت بنت ابا ما فاعتقها • بنفس الشرا شرعا عليها تاصلا •
وميراثه ان مات من غير عاصب • ومن غير ذي فرض لها فاذن تلا •

لها النصف بالميراث والنصف بالولا • فان وهب ابنا او شراه تفضلا •
فاعتق شرعا ذاك الابن ثم مالها • سوى الثلث والثلثان للاخ اصلا •
وميراثهما فيه اذا مات قبلها • كميراثها في الاب من قبل يجتلا •
وسوالي ابيهما ما لها الذكر فيه من • ولاء ولا ارث مع الاب فاعقلا •

ومثل هذه المسئلة ذكر الغزالي في الوسيط انه قضى فيها اربعمائة قاضي وغلطوا وصورتها
ابنة اشترت اباها فعتق عليها ثم اشترى الاب ابنا فعتق عليه ثم اشترى الاب عبدا
فاعتقه ثم مات الاب فورثه الابن والبنت للذكر مثل حظ الانثيين ثم مات العبد
المعتق فلمن يكون ولاؤه وفرضها المالكية على غير هذا الوجه وهي مشهورة ومنهم
محمد بن احمد بن محمد بن سهل ابو عبد الله الاموي الاندلسي الطليطلي المعروف بالنقاش نزل
مصر وقعد للاقراء بجامع عمرو بن العاصي واخذ عنه جماعة وتوفي بمصر سنة ٥٢٩ ومنهم
ابو عبد الله محمد بن احمد العيشي القبري القرطبي المؤدب رحل من الاندلس سنة ٣٤٢ فسمع
بمصر من ابي محمد بن الورد وابي قتيبة سلم بن الفضل البغدادي وغيره وكان صالحا
مؤدبا سمع من الناس وتوفي سنة ٣٦٣ والقبري بفتح القاف وسكون الباء الموحدة ثم راء
مهملة نسبة الى قبرة بلد بالاندلس بقرب قرطبة بنحو ثلاثين ميلا ومنهم جمال الدين
ابو بكر الوائلي محمد بن احمد بن عبد الله بن سجمان الشريشي المالكي ولد بشريش سنة ٦٠١ ورحل
فسمع بالاسكندرية من ابن عماد الحراني وبدمشق من مكرم بن ابي الصقر وبحلب من ابي
البقا يعيش بن علي النحوي وسمع باربل وبغداد واقام بالمدرسة الفاضلية من القاهرة
مدة يفيد الناس فتخرج به جماعة وولي مشيخة المدرسة بالقدس ومشيخة الرباط
الناصري بالجبل واقام بدمشق يفتي ويدرس وكان من العلماء الزهاد كبير العبادة
والورع والزهد احد الايمة المبرزين المتبحرين في العربية والفقه على مذهب الامام
مالك والتفسير والاصول وصنف كتابا في الاشتقاق وشرح الفقيه ابن معطي
واخذ عنه الناس وطلب للقضا بدمشق فامتنع منه زهدا وورعا وتولى المنصب
لاجل شهاغرا الى ان مات برجب سنة ٦٨٥ ودفن بقاسيون وسجمان بسينين مهملة
مضمومة ثم جيم ساكنة بعدها ميم مفتوحة ونون ومنهم ابو عبد الله محمد بن مفرج
صاحب الركاب للحكم بن عبد الرحمن الداخل وكان ابوه احمد بن يحيى رجلا صالحا وولد بو
سنة ٣٠٥ وكان سكناه بقرطبة بقرب عين قنت اورية وسمع بقرطبة من قاسم بن اصبغ
كثيرا ومن ابن دليم والخشني ورحل سنة ٣٣٧ فسمع بمكة من ابن الاعرابي ولزمه حتى مات
وسمع بها من جماعة غيره وسمع بجدة وبالمدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة
والسلام ودخل صنعا وزبيد وعدن وسمع بها من جماعة وسمع بمصر من البرقي صاحب
احمد البزار وسمع من الشيراني وجماعة كثيرة وسمع بغزة وعسقلان وطبرية ودمشق
وطرابلس وبيروت وصيدا والرملة وصور وقيسارية والقلزم والفرما والاسكندرية

نبلغ

تبلغت عدة شيوخه الى مائتين وثلاثين شيخا وروى عنه ابو عمر الطلمنكي وجماعة
وكتب تاريخ مصر عن مؤلفه ابي سعيد بن يونس وروى عنه ابن يونس وهو من اقرانه
وعاد للاندلس من رحلته سنة ٣٤٠ واتصل بالحكم المستنصر وصارت له عنده مكانة
والف له عدة كتب واستقضاه على استجة ثم على مرية ومات برجب سنة ٣٨٠ قال
الحميدي هو محدث حافظ جليل صنف كتبا في فقه الحديث وفي فقه التابعين فمنها
فقه الحسن البصري في سبع مجلدات وفي فقه الزهري في اجزاء كثيرة وسمع مسند ابن
الفرضي وحديث قاسم بن اصبغ قال ابن الفرضي وكان عالما بالحديث بصيرا بالرجال له
صحيح النقل حافظا جيد الكتاب على كثرة ما جمع وقال ابن عفيف في حقه انه كان من
اعنى الناس بالعلم واحفظهم للحديث وابصرهم بالرجال ما رايت مثله في هذا الفن
من اوثق المحدثين بالاندلس واصحهم كتبا واشدهم تعبا لرواياته واجودهم ضبطا
لكتبه واكثرهم تصحيحا لها لا يدع فيها شبهة رحمه الله ومنهم ابو عبد الله القيسي
الوضاحي محمد بن احمد بن موسى رحل من الغرب وسمع من السلفي وغيره جملة صالحة ثم عاد الى
الاندلس بعد الحج وسكن المرية وبها مات سنة ٥٣٩ وقبل فالتي بعدها وكان من اظرف
الناس واحسنهم ادبا فقيها فاضلا ثقة ذو فوائد جمة عفيفا معتنيا بالعلم
ومنهم ابو عبد الله محمد بن احمد بن موسى بن هذيل العبدري البلنسي ولد سنة ٥١٩
وسمع من ابيه وجماعة ورحل حاجا فسمع من السلفي وابن عوف والحضرمي والتنوخي
والعثماني وغيرهم ورجع بعد الحج الى الاندلس فحدث وكان غاية في الصلاح والورع
واعمال البر وله حظ من علم العبارة ومشاركة في اللغة وكتب بخطه على ضعفه كثيرا
رحمه الله ومنهم ابو عبد الله محمد بن احمد بن نوح الاشبيلي ومولده سنة ٦٣١ باشبيلية
وجال في بلاد المغرب والمشرق وقرا على الشيوخ الفضلا وحصل كثيرا في علم القران
والادب وله نظم ونثر وكان كثير التلاوة للقران جيد الاداء واقام بدمشق حتى
مات بها سنة ٦٩٩ رحمه الله ومنهم محمد بن اسباط المخزومي القرطبي روى عن يحيى بن
يحيى وقدم مصر فسمع من الحارث بن مسكين وكان حافظا للفقه عالما توفي سنة ٣٠٧
ومنهم ابو بكر محمد بن اسحاق الشهير بابن السليم قاضي الجماعة بقرطبة مولده سنة ٣٠٦
روى عن قاسم بن اصبغ وطبقته ورحل سنة ٣٣٠ فسمع بمكة من ابن الاعرابي وبمصر من الزبير
وابن النحاس وغيره وعاد الى الاندلس فاقبل على الزهد ودراسة العلم فحدث وسمع منه
الناس وكان حافظا للفقه بصيرا بالاختلاف وحسن الخط والبلاغة متواضعا
وتوفي بجمادى الاولى سنة ٣٦٧ وسليم بفتح السين مكبر ومنهم موسى بهيج المغربي الواعظ
اندلسي من اهل المرية نزل مصر يكنى ابا عمران كان من اهل العلم والادب وله في الزهد
وغيره اشعار حملت عنه وحدث المرشاني عنه بجنسه في الحج واعماله كلها
والقبة بمصر وقرانا عليه ولابن بهيج هذا

إنما دنياك ساعة • فاجعل الساعة طاعة •
واحذر التقصير فيها • واجتهد ما قدر ساعة •
وإذا أحببت عزا • فالتمس عز القناعة •

ومنهم أبو عمران موسى بن سعادة مولى سعيد بن نصر من أهل مرسية سمع صهره أبا علي بن سكرة
الصدفي وكانت ابنته عند أبي علي ولازمه وأكثر عنه وروى عن أبي محمد بن مفوز الشاطبي
وأبي الحسن بن شفيع قرأ عليهما الموطأ ورحل وحج وسمع السنن من الطرطوشي وعني
بالرواية وانتسخ صحيح البخاري ومسلم بخطه وسمعهما على صهره أبي علي وكانا أصلين
لا يكاد يوجد في الصحة مثلهما حكى القفيني أبو محمد عاشر بن محمد أنه سمعهما على أبي علي
نحو ستين مرة وكتب أيضا الغريبين للهروي وغير ذلك وكان أحد الأفاضل الصلحاء
والأجواد السمحاء يؤم بالناس في صلاة الفريضة ويتولى القيام بمؤن صهره أبي علي
وبما يحتاج إليه من دقيق الأشياء وجليلها وإليه أوصى عند توجهه إلى غزوة كتندة التي
فقد فيها سنة ٥١٤ وكانت له مشاركة في علم اللغة والأدب وقد حدث عنه ابن أخيه
القاضي أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة بكتاب أدب الكتاب لابن قتيبة وبالفصيح
لثعلب ومنهم أبو محمد عبد الله بن طاهر الأزدي من أهل وادي آش له رحلة إلى المشرق
أدى فيها الفريضة وسمع بدمشق من أبي طاهر الخشوعي مقامات الحريري وابن عساكر
وغيرهما ثم قفل إلى بلده انتهى ملخصا من ابن الأبار وحكى الصفدي عن ابن أبي المستكفي أنه
اجتمع بالمتنبي بمصر وروى عنه شيئا من شعره ومما روى عنه أنه قال أنشدني المتنبي لنفسه

• لاعبت بالخاتم إنسانة • كمثل بدر في الدجى الفاحم •
• وكلما حاولت أخذا له • من البنان المشرق الناعم •
• ألقته في فيها فقلت انظروا • قد خبئ الخاتم في الخاتم •

ومن الراحلين من الأندلس إلى المشرق أبو عبد الله بن مالك صاحب التسهيل
والألفية وهو جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الإمام العلامة الأوحد
الطائي الجياني المالكي حين كان بالمغرب الشافعي حين انتقل إلى المشرق النحوي نزيل
دمشق ولد سنة ستمائة أو في التي بعدها وسمع بدمشق من مكرم وأبي صادق الحسن
ابن صباح وأبي الحسن السخاوي وغيرهم وأخذ العربية عن غير واحد فممن أخذ عنه بجيان
أبو المظفر وقيل أبو الحسن ثابت بن حيان وعرف بابن الطيلسان وأبي رزين بن ثابت
ابن محمد بن يوسف بن خيار الكلاعي من أهل لبلة وأخذ القراءات عن أبي العباس
أحمد بن نوار وقرأ كتاب سيبويه على أبي عبد الله بن مالك المرشاني وجالس بحلب ابن يعيش وتلميذه
ابن عمرون وغيره بحلب وتصدر بها لإقراء العربية وصرف همته إلى إتقان لسان
العرب حتى بلغ فيه الغاية وأربى على المتقدمين وكان إماما في القراءات وعالما بها
وصنف فيها قصيدة دالية مرموزة في قدر الشاطبية وأما اللغة فكان إليه المنتهى

فيها

فيها قال الصفدي أخبرني أبو الثناء محمود قال ذكر ابن مالك يوما ما انفرد به صاحب
المحكم عن الأزهري في اللغة قال الصفدي وهذا أمر معجز لأنه يحتاج إلى معرفة ما في
الكتابين وأخبرني عنه أنه كان إذا صلى في العادلية لأنه كان إمام المدرسة يشيعه
قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان إلى بيته تعظيما له وقد روى عنه الإمام شهاب
الدين محمود المذكور وروى لنا الصفدي خليل عن شهاب الدين محمود قراءة وروى لنا إجازة
عن ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر وعن شهاب الدين بن غانم بالإجازة عنهما عنه وأما
النحو والتصريف فكان فيهما ابن مالك بحرا لا يشق لجته وأما اطلاعه على أشعار العرب
التي يستشهد بها على النحو واللغة فكان أمرا عجيبا وكان الأئمة الأعلام يتحيرون في
أمره وأما الاطلاع على الحديث فكان فيه آية لأنه أكثر ما يستشهد بالقرآن فإن لم يكن
فيه شاهد عدل إلى الحديث فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى أشعار العرب هذا مع ما هو
عليه من الدين والعبادة وصدق اللهجة وكثرة النوافل وحسن السمت وكمال
العقل وأقام بدمشق مدة يصنف ويشتغل بالجامع وبالتربة العادلية وتخرج
به جماعة وكان نظم الشعر عليه سهلا رجزه وطويله وبسيطه وصنف كتاب تسهيل
الفوائد قال الصفدي ومدحه سعد الدين محمد بن عربي بأبيات بليغة إلى الغاية
وهي

• إن الإمام جمال الدين جمله • رب العلا ولنشر العلم أهله •
• أملى كتابا له يسمى الفوائد لم • يزل مفيدا لذي لب تأمله •
• وكل مسألة في النحو يجمعها • إن الفوائد جمع لا نظير له •

قال وفي هذه الأبيات مع حسن التورية فيها ما لا يخلو من إيراد ذكرته في كتابي
فض الختام انتهى قلت وأجاب الجيشي عن ذلك بأن الأبيات ليست في التسهيل
وإنما هي في كتاب له يسمى الفوائد وهو الذي لخصه في التسهيل فقوله في اسم التسهيل
تسهيل الفوائد معناه تسهيل هذا الكتاب وذكر أيضا أنه مثل التسهيل في القدر
على ما ذكره من وقف عليه وقال لنا أيضا يشير سعد الدين محمد بن عربي بقوله إن الإمام
الخ وسعد الدين ابن الشيخ محيي الدين صاحب الفصوص وغيرها ثم قال الجيشي وذكر
غير واحد من أصحابنا أن له كتابا آخر سماه بالمقاصد وضمنها تسهيله فسماه لذلك
تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد فعلى هذا لا يصح قول الصفدي إن المدح المذكور في
التسهيل إلا باعتبار ضرب من التأويل انتهى كلام الجيشي قلت وذكر غيره أن قوله
في الألفية مقاصد النحو بها محوية إشارة لكتاب المقاصد وتعقب بقوله محوية فإنه لو
كان كما ذكر لقال محوي وأجاب بعضهم بأنه من باب الاستخدام وفيه تعسف
رجع ومن تصانيف ابن مالك الموصل في نظم المفصل وقد حل هذا النظم فسماه سبك المنظوم
وفك المختوم ومن قال إن اسمه فك المنظوم وسبك المختوم فقد خالف النقل والعقل

ومن كتب ابن مالك كتاب الكافية الشافية ثلاثة الاف بيت وشرحها والخلاصة وهي مختصر الشافية واكمال الاعلام بمثلث الكلام وهو مجلد كبير كثير الفوائد يدل على اطلاع عظيم ولامية الافعال وشرحها وفعل وافعل والمقدمة الاسدية وضعها باسم ولده الاسد وعدة اللافظ وعمدة الحافظ والنظم الاوجز فيما يهمز والاعتضاد في الظا والضاد مجلد واعراب مشكل البخاري وتحفة المودود في المقصور والممدود وغير ذلك كشرح التسهيل وروى عنه ولده بدر الدين محمد وشمس الدين بن جعوان وشمس الدين بن ابي الفتح وابن العطار وزين الدين ابو بكر المزي والشيخ ابو الحسين اليونيني وابو عبد الله الصيرفي وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة وشهاب الدين محمود وشهاب الدين بن غانم وناصر الدين بن شافع وخلق سواهم **ومن نظمه في الحلية**

• جيل السياق المجلي بقتفيه مصل والمسلي وقال فيل مرتاح •
• وعاطف وحظي والمؤمل واللطيم والفسكل السكيت بالصلح •

وله من هذه الضوابط شيء كثير وكان يقول عن الشيخ ابن الحاجب انه اخذ نحوه من صاحب المفصل وصاحب المفصل نحوه صغيرات وناهيك بمن يقول هذا في حق الزمخشري وكان الشيخ ركن الدين بن القوبع يقول ابن مالك ما خلى للنحو حرمة وحكى عنه انه كان يوما في الحمام فدخل الى مكان يستعمل فيه الموسى فهجم عليه فتى فقال له ما تصنع فقال اكنس الموضع للقعود فقال بعضهم وهذا مما يستبعد على دين ابن مالك والجهدة على ناقله **قال** الصفدي ولا يستبعد ذلك من لطف النحاة اهل الاندلس وتوفي ابن مالك بدمشق سنة ٦٧٢ وقال بعضهم من حسن شعر ابن مالك **قوله**

• اذا رمدت عيني تداويت منكم • بنظرة حسن او بسمع كلام •
• فان لم اجدما بتيممت باسمكم • وصليت فرضي والديار امامي •
• واخلصت تكبيري عن الغير معرضا • وقابلت اعلام البيوت بسلام •
• ولم ار الا نور ذاتك لا يجا • فهل يدع الشمس المنيرة ذو ظلام •

وقدم رحمه الله القاهرة ثم رحل الى دمشق وبها مات كما علم وقال الشرف الحصني يرثيه

• يا شتات الاسما والافعال • بعد موت ابن مالك المفضال •
• وانحراف الحروف من بعد ضبط • منه في الانفصال والاتصال •
• مصدرا كان للعلوم باذن الله • من غير شبهة ومحال •
• عدم النحو والتعطف والتو • كيد مستبدلا من الابدال •
• الم اعتراه اسكن منه • حركات كانت بغير اعتلال •
• يا لها سكتة لهمز وصنا • اورثت طول مدة الانفصال •
• رفعوه في نعشه فانتصبنا • نصب تمييز كيف سير الجبال •
• ونحوه عند الصلاة ببذل • فامتلت اسرار للدلال •

صرفوه

• صرفوه باعظم ما فعلوه • وهو عدل معرف بالجمال •
• ادغموه في الترب من غير مثل • سالما من تغير الانتقال •
• وقفوا عند قبره ساعة الدفن • وقوفا ضرورة الامتثال •
• ومددنا الاكف نطلب قصرا • مسكنا للنزيل من ذي الجلال •
• اخر الاي من سبا حظنا منه • وحظه جا اول الانفال •
• بالبيان الاعراب يا جامع الاعراب • يا مفهما لكل مقال •
• يا فريد الزمان في النظم والنثر • وفي نقل مسندات العوالي •
• كم علوم بثثتها في اناس • علموا ما تبثت عند الزوال •

انتهت ملخصة قال الصفدي وما رايت مرثية في نحوي احسن منها على طولها انتهى ودفن ابن مالك بسفح قاسيون بتربة القاضي عز الدين بن الصايغ وقال العجيسي ترثيه ابن جعوان ورثاه الشيخ بها الدين بن النحاس **بقوله**

• قل لابن مالك ان جرت بك ادمعي • حمرا يحاكيها النجيع القاني •
• فلقد جرحت القلب حين نعيت لي • وتدفقت بدمائه اجفاني •
• لكن يهون ما اجن من الاسى • علمي بنقلته الى رضوان •
• فسقى ضريحا ضمه صوب الحيا • يهمي به بالروح والريحان •

وابن النحاس المذكور احد تلامذة ابن مالك وهو القايل يخاطب رضي الدين الشاطبي الاندلسي وقد كلفه بان يشتري له قطرا **فقال**

• ايها الاوحد الرضي الذي طا • ل علاه وطاب في الناس نشرا •
• انت بحر لا غرو ان نحن وافينا • لك راجين من نداك قطرا •

وابن النحاس المذكور له نظم كثير مشهور بين الناس وهو بها الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم ابن محمد بن نصر الحلبي الاصل المعروف بابن النحاس وهو شيخ ابي حيان ولم ياخذ ابو حيان عن ابن مالك وان عاصره بنحو ثلاثين سنة **وقال** بعض من عرف بابن مالك انه تصدر بحلب مدة واقام بالسلطانية ثم تحول الى دمشق وتكاثر عليه الطلبة وحاز قصب السبق وصار يضرب به المثل في دقايق النحو وغوامض الصرف وغريب اللغات واشعار العرب مع الحفظ والذكا والورع والديانة وحسن الصمت والصيانة والتحري لما ينقله والتحرير فيه وكان ذا عقل راجح حسن الاخلاق مهذبا ذا رزانة وحيا ووقار وانتصاب للافادة وصبر على المطالعة الكثيرة تخرج به ايمة ذلك الزمان كابن المنجي وغيره وسارت بتصانيفه الركبان وخضع لها العلما الاعيان وكان حريصا على العلم حتى انه حفظ يوم موته ثمانية شواهد وقال بعض الحفاظ حين عرف بابن مالك يقال انه ابا عبد الله في نسبه مذكور مرتين وهو البنين وبعض يقول مرة واحدة وهو الموجود بخطه والشرح لعمدته وهو الذي اعتمده الصفدي وابن خطيب داريا محمد بن احمد بن سليمان الانصاري وعلى كل حال

فهو مشهور بجده في المشرق والمغرب وحكى بعضهم أن ولادته سنة ٥٩٩ وعليه
عول شيخ شيوخنا ابن غازي في قوله

• فقد حسبت ابن مالك في جمعا • وهو ابن عه كذا وعى من قد وعى •

وقيل كما تقدم أن مولده سنة ستمائة أو بعدها بجيان الحرير مدينة من مدن
الأندلس جبر الله كسرها وهي مفتوحة الجيم وياؤها مشددة تحتانية وتصدر ابن مالك
بحماة مدة وانتقد بعضهم على ابن خلكان إسقاطه من تاريخه مع كونه كان يعظمه إلى
الغاية وقدم رحمه الله لصاحب دمشق قصة يقول فيها عن نفسه إنه أعلم الناس
بالعربية والحديث ويكفيه شرفا أن من تلامذته الشيخ النووي والعلم الفارقي والشمس
البعلي والزين المزي وغيرهم ممن لا يحصى وكان رحمه الله كثير المطالعة سريع المراجعة
لا يكتب شيئا من محفوظه حتى يراجعه في محله وهذه حالة المشايخ الثقات والعلماء
الأثبات ولا يرى إلا وهو يصلي أو يتلو أو يصنف أو يقرأ وكذا كان الشيخ أبو حيان
ولكن كان جده في التصنيف والإقراء وحكي أنه توجه يوما مع أصحابه للفرجة
بدمشق فلما بلغوا الموضع الذي أرادوه غفلوا عنه بسويعة فطلبوه فلم يجدوه
ثم تفحصوا عنه فوجدوه منكبا على أوراق وأغرب من هذا في اعتنائه بالعلم ما حكي
أنه حفظ يوم موته عدة أبيات حدها بعضهم بثمانية وفي عبارة بعض أو نحوها
لقنه إياها ولده وهذا مما يصدق فيه ما قيل بقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى فجزاه الله
خيرا عن هذه الهمة العلية وذكر أبو حيان في الجوازم من تذييله وتكميله أنه
لم يصحب من له البراعة في علم اللسان ولذا تضعف استنباطاته وتعقباته على هذا
الشأن وبتفرده من المنازعة والمباحثة والمراجعة قال وهذا شأن من يقرأ بنفسه
ويأخذ العلم من الصحف بفهمه ولقد طال تفحصي وتنقيري عمن قرأ عليه واستند في العلم
إليه فلم أجد من يذكر لي شيئا من ذلك ولقد جرى يوما مع صاحبنا تلميذه علم الدين سليمان
ابن أبي حرب الفارقي الحنفي فقال ذكر لنا أنه قرأ على ثابت بن خيار من أهل بلده جيان
وأنه جلس في حلقة الأستاذ أبي علي الشلوبين نحوا من ثلاثة عشر يوما وثابت بن خيار
ليس من أهل الجلالة والشهرة في هذا الشأن وإنما جلالته وشهرته في إقراء القرآن
هذا حاصل ما ذكره أبو حيان قال بعض المحققين وهو العلامة يحيى العجيسي
وليس ذلك منه بإنصاف ولا يحمل على مثله إلا الهوى للنفس وسرعة الانحراف فنفيه
المستند عنه والمتبع شهادة نفي فلا تنفع ولا تسمع ويكفي ما سطر في حقه قول [illegible]
نظم في هذا العلم كثيرا ونثر وجمع باعتكافه على الاشتغال به والشغل به ومراجعة الكتب
ومطالعة الدواوين العربية وطول السن من هذا العلم غرائب وحوت مصنفاته
منها نوادر وعجائب وإن فيها كثيرا استخرجه من أشعار العرب وكتب اللغة إذ
هي مرتبة الأكابر النقاد وأرباب النظر والاجتهاد • وقوله في مواضع أخر من تذييله

لا يكون

لا يكون تحت السماء أنحى ممن عرف ما في تسهيله وقرنه في بحره بمصنف سيبويه فما ينبغي
له أن يغمصه ولا أن يحط عليه ولا أن يشنع فيما وقع فيه فإنه مما يجري على أمثاله الغبي
والنبيه والحليم والسفيه وما هذا جزاء السلف من الخلف والدر من الصدف
والجيد من الحشف أو ما ينظر إلى شيخه أبي عبد الله بن النحاس فإنه لا يذكره إلا بأحسن
ذكر كما هو أدب خيار الناس ومن كلامه في نقله عنه وهو الثقة فيما ينقل والفاضل
حين يقول وإلى تلميذه أبي البقاء المصري حيث يقول فيه أعني في أبي حيان

• هو الأوحد الفرد الذي تم علمه • وسار مسير الشمس في الشرق والغرب •
• ومن غاية الإحسان منه أفضله • فلا غرو أن يسمو على العجم والعرب •

ومن غاية الإحسان في هذا الشأن من التصانيف التي سارت بها الركبان في جميع
الأوطان واعترف بحسنها الحاضر والبادي والداني والقاصي والصديق والعدو
فتلقاها بالقبول والإذعان فسامح الله أبا حيان فإن كلامه يحقق قول القائل كما تدين
تدان ورحم الله ابن مالك فلقد أحيى من العلم رسوما دارسة • وبين معالما طامسة
وجمع من ذلك ما تفرق وحقق ما لم يكن تبين منه ولا تحقق ورحم شيخه ثابت بن
الخيار فإنه كان يضم الكاف على ما كان يضبط بيده فيما حكاه ابن الخطيب في الإحاطة
وأصله من لبلة وبعد في أهل جيان وتوفي بغرناطة سنة ٦٢٨ وكان أبو حيان يبغض من
هذا الكتاب ويقول ما فيه من الضوابط والقواعد حائد عن سنن الصواب والسداد
وكثيرا ما يشير إلى ذلك في شرحه المسمى بمنهج المسالك ومن عضده منه بالنظم في [illegible]
من الناس من جملتهم شيخه بهاء الدين بن النحاس والأقسرائي بجارته متقفيا له و
مناسبا في تسويد القرطاس لقينة ابن مالك مطموسة المسالك • وكم بها من مشتغل
أوقع في المهالك ولا تغترن بهذا الغرر فإنه ما كل سحاب أبرق ممطر ولا كل عوده
أورق مثمر وقيل معارضة للقوم وتنبيها لهم بما هم فيه من النوم

• القينة ابن مالك • مشرقة المسالك •
• وكم بها من مشتغل • علي على الأرائك •

وما أحسن قول ابن الوردي في هذا المعنى •

• يا عائبا ألفية ابن مالك • وغائبا عن حفظها وفهمها •
• أما تراها قد حوت فضائلا • كثيرة فلا تجر في ظلمها •
• وازجر لمن جادل من يحفظها • بأربع وخامس من اسمها •

يعني صه فإنه عند الاستقلال يعني اسكت انتهى ملخصا وقال أيضا عند ذكره
مصنفات ابن مالك وهي كما قيل عزيزة المسائل ولكنها على الناظر بعيدة الوسائل
وهي مع ذلك كثيرة الإفادة موسومة بالإجادة وليست لمن هو في هذا الفن في
درجة ابتداء بل للمتوسط يترقى بها درجة انتهاء انتهى واعلم أن الألفية مختصرة

الكافية كما تقدم وكثير من ابياتها فيها بلفظها ومتبوع عنه فيها ابن معطي ونظمه اجمع فاوعب ونظم ابن معطي اسلس واعذب وذكر الصفدي عن الذهبي ان ابن مالك صنف الالفية لولده تقي الدين محمد المدعو بالاسد واعترضه العلامة المجيسي بان الذي صنفه له عن تحقيق المقدمة الاسدية فالله واما مدح بعض الالفية فذكر لي من اثق بقوله انها صنفها برسم القاضي شرف الدين هبة الله بن نجم الدين عبد الرحيم بن شمس الدين بن ابراهيم عفيف الدين هبة الله بن مسلم مدرس النسبة الى باب ابرز احد ابواب بغداد ولكن خففت لكثرة دورها على الالسنة انتهى مختصرا وقال بعض من عرف بابن مالك مع مقبل وده وقاطع لده ومزين بسماء مواهب الاصابع ديباجها وشعشعت البكر زجاجها وجاءت ايامه صافية من الكدر ولياليه وما بها شائبة من الكبر قد خلفها العشاء بردعه وخلفها الصباح بربعه وكان كل منعبر حول مسجده وكل عين فاخرة بعسجده مددا وزمرا الطلاب وطلبة لا تزال ترجى اليه الفلا ضجو ويكثر من سربة الاقتناص كان اوحد وقته في علم النحو واللغة مع كثرة الديانة والصلاح انتهى **وقال بعض المغاربة**

• لقد مزقت قلبي سهام جفونها • كما مزق اللخمي مذهب مالك •
• وصال على الاوصال بالقد قدها • فاضحت كابيات بتقطيع مالك •
• وقلدت اذ ذاك الهوى لمرادها • كتقليد اعلام النحاة ابن مالك •
• وملكتها رقي لرقة لفظها • وان كنت لا ارضاه ملكا لمالك •
• وناديتها يا منيتي بذل مهجتي • وما لي قليل في بديع جمالك •

ويعني بقوله تبقطيع مالك مالك المرحل السبتي رحمه الله **ولما** سئل ابن مالك عن قول النبي صلى الله عليه وسلم الحور بعد الكور هل هو بالراء او بالنون انكر النون فقيل له ان في الغريبين للهروي رواية بالنون فرجع عن قوله الاول وقال انما هو بالنون انتهى وقد ذكر في المشارق النون والراء فقال الحور بعد الكور بالراء رواه العذري وابن الحذاء وللباقين بالنون معناه النقصان بعد الزيادة وقيل من الشذوذ بعد الجماعة وقيل من الفساد بعد الصلاح وقيل القلة بعد الكثرة كار عمامته اذا لفها على راسه واجتمعت وحارها اذا نقضها فافترقت وقيل الحار اذا رجع عن امر كان عليه ووهم بعضهم رواية النون وقيل رجع الى الفساد بعد الى النقصان بعد ان كان على خير مما رجع اليه وقال عياض في موضع اخر الحور بعد الكور للعذري والكون للفارسي والسجزي وابن ماهان وقول عاصم في تفسيره حار بعد ما كان هي رواية وبقال ان عاصما وهم فيه انتهى والسائل لابن مالك عن اللفظة هو ابن خلكان لان ابن الاثير سال ابن خلكان عنها فسال هو ابن مالك رحم الله الجميع وقد عرف الحافظ الذهبي بابن مالك في تاريخ الاسلام وذكر فيه ترجمة ولده بدر الدين

محمد وانه

محمد وانه كان حاد الذهن ذكيا اماما في النحو وعلم المعاني والمنطق جيد المشاركة في الفقه والتدريس وانه تصدر بعد والده للتدريس ومات شابا قبل الكهولة سنة ٦٨٦ ومن اجل تصانيفه شرحه على الالفية وهو كتاب في غاية الاغلاق ويقال انه نظير الرضي في شرح الكافية وللناس عليه حواش كثيرة رحمهم الله اجمعين ٥
ومنهم ابو عبد الله محمد بن طاهر القيسي التدميري ويعرف بالشهيد كان عظيم القدر جدا بالاندلس بعيد الاثر في الخير والصلاح والعلم والنسك والانقطاع الى الله تعالى وكان من وجوه اهل كورة تدمير ذوي البيوت الرفيعة ومن بعض المحموزة فكان في نفسه فقيها عالما زاهدا خيرا ناسكا متبتلا ناشئا على الاستقامة والصلاح والامتداد والدعة وطلب العلم في حداثة سنه ورحل الى قرطبة فروى الحديث وتفقه وناظر واخذ بحظ وافر من علم المسائل والجواب وكان اكثر علمه وعمله الورع والتشدد فيه والتحفظ بدينه ومكسبه ورسخ في علم السنة ثم رحل الى المشرق فمر بمصر حاجا فاقام بالحرمين ثمانية اعوام يتعيش فيها من عمل يده بالنسخ ثم سار الى العراق فلقي ابا بكر الابهري واخذ عنه واكثر لقاء الصالحين واهل العلم ولبس الصوف وقنع وتورع جدا واعرض عن الشهوات وكان اذا سئم من النسخ الذي جعل قوته منه اجر نفسه في الخدمة رياضة لها فاصبح عابدا متقشفا منيبا مخبتا عالما عاملا منقطع القرين فجرت منه دعوات مجابة وحفظت له كرامات ظاهرة ثم عاد الى بلده تدمير سنة ست او سبع وسبعين وثلاثمائة وبها ابوه ابو الحسام طاهر حيا فنزل خارج مدينته تورعا عن سكناها وعن الصلاة في جامعها واتخذ له بيتا سقفه من حطب الشعراء ياوي اليه واعتمر جنينة بيده يقتات منها وصار يغزو مع المنصور محمد بن ابي عامر ثم تحول عن قرطبة بعد عامين الى الثغر واصل الرباط ونزل مدينة طلبيرة وكان يدخل منها في السرايا الى بلد العدو فيغزو ويتقوت من سهمانه ويعول على فرس له ارتبطه لذلك وكان له باس وشدة وشجاعة وثقافة يحدث عنه فيها بحكايات عجيبة الى ان استشهد مقبلا غير مدبر سنة ٣٩٧ او في التي قبلها عن اثنين واربعين سنة ونحو رحم الله الجميع **ومنهم** ابو عبد الله القيجاطي محمد بن عبد الجليل بن عبد الله بن جمهور مولده سنة ٦٠٩ بقيجاطة وكتب عنه الحافظ المنذري **ومن شعره قوله**

• اذا كنت تهوى من نات عنك داره • فحسبك ما تلقى من الشوق والبعد •
• تباوح صب قد تنضر مزارنا ره • وواحر قلب ذاب من شدة الوجد •

ومنهم ابو عبد الله ويقال ابو حامد محمد بن عبد الرحيم المازني القيسي الغرناطي ولد سنة ٤٧٣ ودخل الاسكندرية سنة ٥٠٨ وسمع بها من ابي عبد الله الرازي وبمصر من ابي صادق مرشد ابن يحيى المديني وابي الحسن الفراء الموصلي وابي عبد الله محمد بن بركات بن هلال النحوي وغيرهم وحدث بدمشق وسمع بها ايضا وببغداد وقدمها سنة ٥٥٦ ودخل خراسان واقام بها

مدة ثم رجع الى الشام واقام بحلب سنين وسكن دمشق وكان يذكر انه راى عجايب في بلاد شتى ونسبه بعض الناس بسبب ذلك الى ما لا يليق وصنف في ذلك كتابا سماه تحفة الالباب وكان حافظا عالما اديبا وتكلم فيه الحافظ ابن عساكر ورماه بالكذب وقال ابن النجار ما علمته الا امينا **ومن شعره قوله**

تكتب العلم وتلقي في سفط ۞ ثم لا تحفظه لا تفلح قط

انما يفلح من يحفظه ۞ بعد فهم وتوق من غلط

وقوله

العلم في القلب ليس العلم في الكتب ۞ فلا تكن مغرما باللهو واللعب

احفظه وافهمه واعمل كي تفوز به ۞ فالعلم لا يجتنى الا مع التعب

توفي بدمشق في صفر ٥٦٥ سنة **ومنهم** ابو عبد الله محمد بن عبد السلام القرطبي من ذرية ابي ثعلبة الخشني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم رحل قبل الاربعين ومايتين فحج وسمع بالبصرة من محمد بن بشار وابي موسى الزمن ونصر بن علي الجهضمي ولقي ابا حاتم السجستاني والعباس بن الفرج الرياشي وسمع ببغداد من عبيد القاسم بن سلام وبمكة من محمد بن يحيى العدني وبمصر من سلمة بن شبيب صاحب عبد الرزاق والبرقي وغيرهما وادخل الاندلس علما كثيرا من الحديث واللغة والشعر وكان فصيحا جزل المنطق صارما انوفا منقبضا عن السلطان اراده على القضاء فابى وقال ابايه اشفاق لا اباية عصيان فاعفاه وكان ثقة مامونا توفي في رمضان ٢٨٦ سنة عن ثمان وستين سنة رحمه الله **ومنهم** ابو عبد الله محمد بن عبد الملك بن ايمن بن فرج القرطبي سمع من محمد بن وضاح واكثر عنه واخذ عن محمد الخشني وقاسم بن اصبغ وابراهيم بن قاسم بن هلال ورحل ٢٧٤ سنة فسمع بمصر من المطلب بن شعيب والمقدام بن داود الرعيني وادرك بالعراق اسماعيل القاضي وعبد الله بن احمد بن حنبل قال الحميدي حدث بالمغرب والمشرق وصنف المسند وممن روى عنه خالد بن سعيد وقال لنا ابو محمد بن حزم مصنف ابن ايمن مصنف رفيع احتوى من صحيح الحديث وغريبه على ما ليس في كثير من المصنفات وتوفي في ذي القعدة ٣٣٠ سنة بقرطبة رحمه الله **ومنهم** ابو عبد الله محمد بن عبد الملك بن ضيفون اللخمي الرصافي القرطبي الحداد وسمع بقرطبة من عبد الله بن يونس وقاسم بن اصبغ وحج سنة رد القرامطة ٣٣٩ سنة الحجر الاسود الى مكانه وسمع بمكة من ابن الاعرابي وبمصر من ابن الورد وابن الشكر وعبد الكريم النسائي وغيرهم وسمع بطرابلس والقيروان من جماعة وكان رجلا صالحا عاقلا حدث وكتب عنه الناس وعلت سنه وتوفي في شوال ٣٩٤ سنة ومولده فيما اظن ٣٠٢ سنة وكانت وفاته بقرطبة وقد اضطرب في اشيا غربت عليه وممن اخذ عنه الحافظ ابو عمر بن عبد البر رحم الله الجميع **ومنهم** ابو عبد الله محمد بن عبد الملك الخزرجي السعدي القرطبي روى عن ابي الحسن علي بن هشام وروى عنه ابو القاسم بن بشكوال

وقدم

وقدم مصر وحدث بها ممن سمع منه بها ابن وردان وابو الرضى القيسراني في اخرين واستوطن مصر وتوفي ٥٨٨ سنة **ومنهم** ابو بكر بن السراج النحوي بتشديد الراء وهو محمد بن عبد الملك بن محمد بن السراج الشنتمري احد ايمة العربية المبرزين فيها وتخرج اسنادنا ابي محمد عبد الله بن بري المصري اللغوي النحوي وحدث عن ابي القاسم عبد الرحيم بن محمد النفطي وقرا العربية بالاندلس على ابن ابي العافية وابن الاخضر وقدم مصر ٥١٥ سنة واقام بها واقرا الناس العربية ثم انتقل الى اليمن روى عنه ابو حفص عمر ابن اسماعيل وابو الحسن علي والد الرشيد العطار وله تواليف منها كتاب تنبيه الالباب في فضائل الاعراب وكتاب في العروض وكتاب مختصر العمدة لابن رشيق وتنبيه اغلاطه قال السلفي كان من اهل الفضل الوافر والصلاح الظاهر وكانت له حلقة في جامع مصر لاقراء النحو وكثيرا ما كان يحضر عندي رحمه الله مدة مقامي بالفسطاط توفي بمصر ٥٤٩ سنة وقيل سنة خمس واربعين وقيل خمسين وخمسماية في رمضان والاول اثبت **ومنهم** ابو عبد الله محمد بن عبد الله بمصر والاسكندرية ودمشق وكتب الحديث وعني بالرواية اتم رواية ونقد باصبهان حين استولى عليها التطر قبل الثلاثين وستماية **ومنهم** ابو عبد الله محمد بن عبد بن الدفاع بالدال وقيل بالراء القرطبي سمع عبد الملك بن حبيب ورحل فسمع بمصر من الحارث بن مسكين وغيره وكان زاهدا فاضلا وتوفي ٢٨١ سنة رحمه الله **ومنهم** ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عابد المعافري القرطبي ولد بقرطبة ٣٣٠ سنة ودخل مصر فسمع من ابي بكر بن المهندس وابي بكر البصري وروى عن ابي عبد الله بن مفرج وابي محمد الاصيلي وجماعة ولقي الشيخ ابا محمد بن ابي زيد في رحلته ٣٨١ سنة فسمع منه رسالته في الفقه وغيرها وحج من عامه ثم عاد الى مصر الى المغرب ٣٨٢ سنة وكان معتنيا بالاخبار والاثار ثقة فيما رواه وعني به خيرا فاضلا دينا متواضعا منقبضا مقبلا على ما يعنيه صاحب حظ من الفقه وبصر بالمسايل ودعي الى الشورى بقرطبة فابى ومات ٤٣٩ سنة وعابد جده بالباء الموحدة رحم الله الجميع **ومنهم** ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سليمان بن عثمان بن ماجد الانصاري البلنسي اخذ القراات عن جماعة من اهل بلده وخرج حاجا ٥٧٠ سنة فجاور بمكة وسمع بها وبالاسكندرية من السلفي وعاد الى بلده ٥٩٦ سنة وحدث وكان من اهل الصلاح والفضل والورع كثير البر ومفاد الاسرى ويحترف بالتجارة ومولده بعد ٥٣٠ سنة ومات ٥٩٥ سنة عن سبعين رحمه الله **ومنهم** ابو الوليد محمد بن عبد الله بن محمد بن خيرة القرطبي المالكي الحافظ ولد ٤٩٤ سنة واخذ الفقه عن القاضي ابي الوليد بن رشد والحديث عن ابن عتاب وروى الموطا عن ابي بحر سفيان ابن العاص واخذ الادب عن مولانا ابي الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج الاموي وعن مالك بن عبد الله العتبي وخرج من قرطبة في الفتنة بعد ما درس بها وانتفع الناس به في فروع الفقه واصوله واقام بالاسكندرية خوفا من بني عبد المؤمن بن علي ثم قال

كأني والله بمراكبهم قد وصلت إلى الإسكندرية ثم سافر إلى مصر بعد ما روى عنه السلفي
وأقام بها مدة ثم قال والله ما مصر والإسكندرية بمتباعد فسافر إلى الصعيد
وحدث في قوص بالموطأ ثم قال والله ما يصلون إلى مصر ويتأخرون عن هذه البلاد
فمضى إلى مكة وأقام بها ثم قال وصل إلى هذه البلاد ولا بد مما أما الأمر يتنبه
إليه ثم دخل إلى اليمن فلما رآها قال لهذه أرض لا يتركها بنو عبد المؤمن فتوجه
إلى الهند فأدركته وفاته بها سنة … وقيل بل مات بزبيد من مدن اليمن وكان من
أجلة العلماء الحفاظ متفننا في المعارف كلها جامعا لها كثير الرواية واسع المعرفة
حافل الأدب متركبا وفقيها المالكية يتصرف في علوم شتى حافظا للآداب عارفا
بشعراء الأندلس وكان علمه أوفر من منطقه ولم يرزق فصاحة ولا حسن إيراد قال
ابن نقطة خيرة بكسر الخاء المعجمة وفتح الياء المنقوطة من تحتها باثنتين ومنهم
أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي قال ابن النجار ولد سنة ٥٧٠
وقال غيره في التي قبلها وخرج من بلاد المغرب سنة ٦٠٧ ودخل مصر وسافر إلى الحجاز ودخل
مع قافلة الحجاز إلى بغداد وأقام بها يسمع ويقرأ الفقه والخلاف والأصلين بالنظامية
ثم سافر إلى خراسان وسمع بنيسابور وهراة ومرو وعاد إلى بغداد وحدث بكتاب السنن
الكبير للبيهقي عن منصور بن عبد المنعم الفراوي وبكتاب غريب الحديث للخطابي وقدم
إلى مصر فحدث بالكثير عن جماعة منهم أم المؤيد زينب وأبي الحسن المؤيد الطوسي وخرج
من مصر يريد الشام فمات بين الزعقة والعريش من منازل الرمل في ربيع الأول سنة ٦٥٥
ودفن بتل الزعقة وكان من الأئمة الفضلاء في جميع فنون العلم من علوم القرآن والحديث
والفقه والخلاف والأصلين والنحو واللغة وله فهم ثاقب وتدقيق في المعاني مع النظم
والنثر المليح وكان زاهدا متورعا حسن الطريقة متدينا كثير العبادة فقيها
مجردا متعففا نزه النفس قليل المخالطة لا وكان طيب الأخلاق متوددا كريم النفس
قال ابن النجار ما رأيت في فنه مثله وكان شافعي المذهب وله كتاب تفسير القرآن
سماه ري الظمآن كبير جدا وكتاب الضوابط الكلية في النحو وتعليق على الموطأ
وكان مكثرا شيوخا وسماعا وحدث بالكثير بمصر والشام والعراق والحجاز وكانت له
كتب في البلاد التي يسافر إليها وكان كريما قال أبو حيان أخبرني الشرف الجزائري بتونس
أنه كان على رحله وكان ضعيفا فقال له خذ ما تحت السجادة والبساط فرفعت ذلك
فوجدت تحته نحوا من أربعين دينارا ذهبا فأخذتها وقال الجمال اليغموري أنشدني

لنفسه بالقاهرة

قالوا فلان قد أزال بهاؤه • ذاك العذار وكان بدر تمام •
فأجبتهم بل زاد نور بهائه • ولذا تضاعف فيه فرط غرامي •
استقصرت ألحاظه فتكاتها • فأتى العذار يمدها بسهام •

ومن شعـ

ومن شعره

من كان يرغب في النجاة فما له • غير اتباع المصطفى فيما أتى •
ذاك السبيل المستقيم وغيره • سبل الغواية والضلالة والردى •
فاتبع كتاب الله والسنن التي • صحت فذاك إذا اتبعت هو الهدى •
ودع السؤال بكم وكيف فإنه • باب يجر ذوي البصيرة للعمى •
الدين ما قال النبي وصحبه • والتابعون ومن مناهجهم قفا •

ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله البلنسي الأندلسي الأنصاري قدم مصر وأقام
بالقرافة مدة وكان شيخا صالحا زاهدا فاضلا وتوجه إلى الشام فمات قال الرشيد
العطار كان من فضلاء الأندلس ونبهائهم ساح في الأرض ودخل بلاد العجم وغيرها من البلاد
البعيدة وكان يتكلم بالسنة شتى ومن شعره قوله

إذا قل منك الشغل فالزم مساجدا • وكل مكان في مرابك واحد •
توخ بصدق واتق المين واقتصد • تجيك وميئات النجاح المقاصد •

والبلنسي بضم الباء وسكون النون نسبة إلى بلنسية حصن بالأندلس وبفتح الباء ونون بينهما ياء
واو ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخولاني الباجي ثم الإشبيلي المعروف بابن
الغوق سمع بقرطبة من جماعة ورحل إلى المشرق سنة ٣٦٦ فسمع بمكة من علي بن عبد العزيز
وغيره وبمصر من محمد بن عبد الحكم ومن أخيه سعد وكان فقيها في الرأي حافظا عاقدا
للشروط قال ابن الفرضي كان رجلا صالحا ورعا ثقة وكان يقول إذا حدث عنه كان من
معادن الصدق توفي سنة ٣٠٥ ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللوشي الطبيب
اشتغل بالطب وبرع فيه وأقام بمصر مدة وبها مات في عشر الستين وستمائة
ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبدون الجدري القرطبي رحل سنة ٣٤٧ فدخل مصر والبصرة
وعني بعلم الطب ودبر مارستان مصر ثم رحل من مصر إلى الأندلس سنة ٣٦٠ واتصل بالحكم
المستنصر وابنه المؤيد وله في التكسير كتاب حسن قال صاعد مهر بالطب ونبل فيه
وأحكم كثيرا من أصوله وعاني صناعة المنطق عناية صحيحة وكان شيخه فيها أبو سليمان
محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني البغدادي وكان قبل أن يتطبب مؤدبا بالحساب
والهندسة وأخبرني أبو عثمان سعيد الطليطلي أنه لم يلق في قرطبة من يلحق محمد
ابن عبدون في صناعة الطب ولا يجاريه في ضبطها وحسن دربته فيها وإحكامه
لغوامضها رحمه الله ومن الراحلين إلى المشرق من أهل الأندلس أبو مروان
عبد الملك بن أبي بكر محمد بن مروان بن زهر الإيادي الأندلسي صاحب البيت الشهير
بالأندلس رحل المذكور إلى المشرق وتطبب به زمانا وتولى رياسة الطب ببغداد
ثم بمصر ثم القيروان ثم استوطن مدينة دانية وطار ذكره فيها إلى أقطار الأندلس
والمغرب واشتهر بالتقدم في علم الطب حتى بذ أهل زمانه ومات في مدينة دانية

رحمه الله ووالده محمد بن مروان كان عالما بالراي حافظا للادب فقيها حاذقا
بالفتوى مقدما فيها متفننا للعلوم فاضلا جامعا للدراية والرواية وتوفي
بطليرة سنة ٣٠٠ وهو ابن ست وثمانين سنة حدث عنه جماعة من علماء الاندلس
ووصفوه بالدين والفضل والجود والبذل رحمه الله واما العلي زهير بن عبد الملك
المذكور فقال ابن دحية فيه انه كان وزير ذلك الكرم وعظيمه وفيلسوف ذلك العصر
وحكيمه وتوفي ممتحنا بنعله بين كتفيه سنة ٥٢٥ بمدينة قرطبة انتهى وكانت
بينه وبين الفتح صاحب القلايد عداوة ولذلك كتب في شانه الى امير المسلمين
علي بن يوسف بن تاشفين ما صورته اطال الله بقا الامير الاجل سامعا للندا
رافعا للنظا ولو الاعتدا لم ينظم الله الملك بيمينك عقدا وجعل لك حلا للامور
وعقدا واوطالك عقبا واصار من الناس لعونك منتظرا ومرتقبا الا ان تكون
للبرية حايطا وللعدل فيهم باسطا حتى لا يكون منهم من يضام ولا يبيا لاحد منهم
اهتضام ولتقصر يد كل معتد في الظلام وهذا ابن زهير الذي جرد رسنا
واوضحت له الى الاستطالة سننا لم يبعد من الاضرار الاحيث انتهيته ولا ثماد
على غيه الاحين لم تنهه او تنهيته ولما علم انك لا تنكر عليه نكرا ولا تغير له منتهى
ما نكر الله في عباد الله نكرا جرى في ميدان الاذية ملا عنانه وسرى الى ما شا بعد
ولم يراقب الذي خلقه وامد في الخطوة عندك طلقه وانت بذلك مرتهن عند الله لانه
مكنك ليلا يتمكن الجوز ولتسكن بك الفلاة والغور فكيف ارسلت زمامه حتى
جرى من الباطل في كل طريق واخفق به كل فريق وقد علمت ان خالقك الباطش الشديد
ويعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور وما يخفى عليه نجواك ولا يستتر عنه تقلبك
ومثواك وستقف بين يدي عدل حاكم ياخذ بيدي كل مظلوم من ظالم قد علم كل قضية
نصاما لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فبم تحتج معي لديه اذا وقفت انا
وانت بين يديه اترى ابن زهير يحميك في ذلك المقام او يحميك من الانتقام وقد اد
لك المحجة لتقوم عليك الحجة والله النصير وهو بكل خلق بصير لا رب غيره والسلام
انتهى **وتذكرت** هنا بذكر الفتح ما كتبه وقدمات بعض اخوانه غريبا

• اتاني ورحلي في العراق عشية • ورحل المطايا قد قطعن بنا نجدا •

• نعي اطار القلب عن مستقره • وكنت على قصد فاغلطني القصدا •

نعوا والله باسوا الاخلاق لا يخلف • ورموا قلبي بسهم اصاب صميمه ثم اخلف
لعذ سام الوردي منه حسنا ووسامه • وطوى بطي لحده وشهامه •

• فتعطل منه الندي والندي • واتكل فيها الهدى والهدي •

كم نزل التسوف طول قراعه • ودل عليه الضيوف موقده ناره بيفاعه وكم تشوف
اليه التسدير والمنبر • وتصرف فيها الثنا المحبر • وكم راع البدر لليلة ابداره

وروع

وروع العدو في عقر داره واي فتى غدا له البحر ضريحا • واغتدى عليه الحين بما وريحا
فتدلظ على ومفاخر • بقعر بحر طامي اللجج زاخر • وبدل من صهوات الخيل لهوات اللجج
والليل عن نوح حكي مقلتي في دمعها • واصاب نفسي في سهمها • ومن حزن لا اسقي
لذا الغمام فيما الذ قبر يجوده • ولا ترى يروى به تمايمه ونجوده • وقد البيت لا اودع
الريح تحية • ولا يورثني مبنوبها اريحية فهي التي ثارت من الموج حنقا • ومشت عليه
خببا وعنقا • حتى غادرته كالكثبان • واودعته قضيب بان • فيا اسفي لزلال
غاص في اجاج • ولسلسال غاص عليه بحر عجاج • وما كان الاجوهرا ذهب الى عنصره • و
صدفا بان عن عين مبصره • لقد ان للحسام ان يغمد فلا يبسام • وللحمام ان تبكيه بكل
اراكة وبشام • وللعذارى ان يجبهن الخفر والاحتشام • يبكين فتى ما ذرت الشمس
الاضر او نفع • ويبكين من لم يدع فقده في العيش من منتفع • فكم نعمنا بدنوه ونعمنا
بنسيم الانس في رواحه وغدوه • وانهمنا بروضة موشية • ووقفنا بالمسرات
عشية • وادرنا ما ذهبا سايلة • ونظرنا ما وهي سايلة • لم نرم التسهر ولم نشم
برقا الا الكاس والزهر • ولو عير الحمام زحف اليه جيشه • او غير البحر رجف به ارتجاجه
وطيشه لفداه من اسرته كل اروع ان عاجله المكروه تثبطه او جاه الشر ثبطه
ولكنها المنايا لا ترد بما الصوارم والاسل • ولا تفوتها ذياب الغضا العسل • قد
نزعت بني مالك وعقيل • واشرقت بعد بهما جذيمة بالحسام الصقيل انتهى وقد عرفنا
بالفتح في غير هذا الموضع فليراجع رجع الى بيت بني زهير رحمهم الله واما ابو بكر محمد
ابن ابي مروان عبد الملك بن العلا زهير المذكور فهو عين ذلك البيت وان كانوا كلهم
اعيانا علما روسا حكما وزادوا وفدنا لوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك ونفذ
اوامرهم قال الحافظ ابو الخطاب بن دحية في المطرب من اشعار اهل المغرب كان
شيخنا الوزير ابو بكر بن زهير بمكان من اللغة مكين ومورد من الطب عذب معين
مع سمو النسب وكثرة الاموال والنشب صحبته زمانا طويلا واستفدت منه
ادبا جليلا وانشد من شعره المشهور قوله

• وموسد بين على الاكف خدوده • فدعا لهم يوم الصباح وغالني •

• ما زلت اسقيهم واشرب فضلهم • حتى سكرت ونالهم ما نالني •

• والخمر تعلم كيف تاخذ ثارها • اني املت انا ما فاما لني •

ثم قال ابن دحية وسالت عن مولده فقال ولدت سنة سبع وخمسماية قال وبلغني
وفاته اخر سنة ٥٩٥ رحمه الله انتهى وزعم ابن خلكان ان ابن زهير الم في الابيات المذكورة
بقول الرئيس ابي غالب عبد الله بن هبه

• عاقرتهم مشمولة لو سالمت • شرابها ما سميت بعقار •

• ذكرت حقايدها القديمة اذ غدت • صرعى تداس بارجل العصار •

لانت لهم حتى انتشوا وتمكنت • منهم وصاحت فيهم بالثار •

ومن المنسوب الى ابي بكر بن زهر قوله في كتاب جالينوس المسمى بحيلة البرء وهو من جملة كتبهم واكثرها

حيلة البرء صنعة لعليل • يترجى الحياة او لعليله •

فاذا جاءت المنية قالت • حيلة البرء ليس في البرء حيله •

ومن شعره رحمه الله يتشوق ولدا له صغيرا باشبيلية وهو بمراكش

ولي واحد مثل فرخ القطاة • صغير تخلف قلبي لديه •

وافردت عنه فيا وحشتا • لذاك الشخيص وذاك الوجيه •

تشوقني وتشوقته • فيبكي علي وابكي عليه •

وقد تعب الشوق ما بيننا • فمنه الي ومني اليه •

واخبرني الطبيب الماهر الثقة الصالح العلامة سيدي ابو القاسم بن محمد الوزير الغساني الاندلسي الاصل الفاسي المولد والنشاة حكيم حضرة السلطان المنصور بالله الحسني صاحب المغرب رضي الله عنه ان ابن زهر لما قال هذه الابيات وسمعها امير المومنين يعقوب المنصور سلطان المغرب والاندلس واخر المائة السادسة ارسل المهندسين الى اشبيلية وامرهم ان يحتاطوا علما ببيوت ابن زهر وحارته ثم يبنوا مثلها بحضرة ففعلوا ما امرهم في اقرب مدة وفرشها بمثل فرشه وجعل فيها مثل الاته ثم امر بنقل عيال ابن زهر واولاده وحشمه واسبابه الى تلك الدار ثم احتال عليه حتى جاء ذلك الموضع فراه اشبه شي ببيته وحارته فاحتار لذلك وظن انه نايم وان ذلك احلام فقيل له ادخل البيت الذي يشبه بيتك فدخله فاذا ولده الذي يتشوق اليه يلعب في البيت فحصل له من السرور ما لا يعبر عنه مكذا والا فلا

ومن نظم ابن زهر المذكور حين شاخ وغلب عليه الشيب

اني نظرت الى المرات قد جليت • فانكرت مقلتاي كلما راتا •

رايت فيها شيخا لست اعرفه • وكنت اعهده من قبل ذاك فتى •

فقلت اين الذي بالامس كان هنا • متى ترحل عن هذا المكان متى •

فاستضحكت ثم قالت وهي معجبة • ان الذي انكرته مقلتاك اتى •

كانت سليمى تنادي يا اخي وقد • صارت سليمى تنادي اليوم يا ابتا •

والبيت الاخير ينظر الى قول الاخطل

واذا دعونك عمهن فانه • نسب يزيدك عندهن خبالا •

واذا دعونك يا اخي فانه • ادنى واقرب خلة ووصالا •

وقال ابن حبة ايضا في حفيد والذي تفرد به شيخنا وانقادت لتخليته طباعه وصار البنها فيه حوله واتباعه الموشحات وهي زهرة الشعر ونسبته وخلاصته و

صفوته ومن الفنون التي اغرب بها اهل المغرب على اهل المشرق وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق انتهى ومن مشهور موشحات ابن زهر قوله ما للموله من سكره لا يفيق وهذا مطلع موشح يستعمله اهل المغرب الى الان ويرون انه من احسن الموشحات

ومن موشحاته قوله

سلم الامر للقضا • فهو للنفس انفع •

واغتنم حين اقبلا • وجه بدر تهللا • لا تقل بالهموم لا •

كلما فات وانقضى • ليس بالحسن يرجع •

واصطبح بابنة الكروم • من يدي شادن رخيم • حين يفتر عن نظيم •

فيه برق قد اومضا • ورحيق مشعشع •

انا افديه من رشا • اهيف القد والحشا • سقي الحسن فانتشى •

مذ تولى واعرضا • ودنا ذي يقطع •

من لصب غدا مشوق • ظل في دمعه غريق • حين اموا حمى العقيق •

واستقلوا بذي الغضا • اسفي يوم ودعوا •

ما ترى حين اظعنا • وسرى الركب موهنا • واكتسى الليل بالسنا •

نورهم ذا الذي اضا • ام مع الركب يوشع •

ورايت مع هذا موشحا اخر لا ادري هل هو لابن زهر ام لا وهو هذا

فتق المسك بكافور الصباح • ووشت بالروض اعراف الرياح •

فاسقنيها قبل نور الفلق • وغناء الورق بين الورق • كاحمرار الشمس عند الشفق •

نسج المزج عليها حين لاح • فلك اللهو وشمس الاصطباح •

وغزال سامني بالملق • وبري جسمي واذكى حرقي • اهيف مرسل سيف الحدق •

فتحرت عنه انابيب الرماح • وثنى الذعر مشاهير الصفاح •

صار بالدل فوادي كلفا • وجفون ساحرات وطفا • كلما قلت تجوى الحب انطفا •

امرض القلب باجفان صحاح • وسبا العقل بجد ومزاح •

يوسفي الحسن عذب المبتسم • قمري الوجه ليلي اللمم • عنبري الانفاس علوي الهمم •

عصني القد مهضوم الوشاح • ما دري الوصل صابي التماح •

ترك العذر فوادي هيما • وسبا عقلي لما انعطفا • ليته بالوصل احيى دنفا •

مستطار العقل مقصوص الجناح • ما عليه في هواه من جناح •

يا علي انت نور المقل • جد بوصل منك لي يا املي • كم اغنيك اذا ما لحت لي •

طرقت والليل ممدود الجناح • مرحبا بالشمس من غير صباح •

وعن ابو الحجاج الساحلي يوسف بن ابراهيم بن محمد بن قاسم بن علي الفهري الغرناطي قال في الاحاطة صدر من صدور رحلة القراء على وتيرة الفضلاء والصالحين خير وتقي

الاشياخ تبغدان قرا على الاستاذ ابي جعفر الزبير وطبقته ومن نظمه يخاطب الوزير الحكيم وقد اصابته حمى بركت على شفته بثورا

حاشاك ان تمرض حاشاكا • قد اشتكى قلبي لشكواكا •

ان كنت محموما ضعيف القوى • فانني احسد حماكا •

ما رضيت حماك ان باشرت • جسمك حتى قبلت فاكا •

قال ابو الحجاج رحمه الله وكتب الي شيخنا محمد بن محمد بن عتيق بن رشيق في الاستدعا الذي اجاز فيه ولمن ذكر معي فقال

اجزت لهم ابقاهم الله كلما • رويت عن الاشياخ في سالف الدهر •

وما سمعته اذناي من كل عالم • وما جاد من نظمي وما راق من نثري •

على شرط اصحاب الحديث وضبطهم • بري عن التصحيف عار عن النكر •

كتبت لهم خطي واسمي محمد • ابو القاسم المكني ما فيه من نكر •

وجدي رشيق شاع في الغرب ذكره • وفي الشرق ايضا فادر ان كنت لا تدري •

ولي مولد من عشرين حجة • ثمان على الست المئين ابتدا عمري •

وبالله توفيقي عليه توكلي • له الحمد في الحالين في العسر واليسر •

ومولد ابن الحجاج المذكور ٦٦٣ سنة وتوفي سنة ٧٠٣ رحمه الله انتهى باختصار ومن ارتحل من الاندلس الى المشرق شاعر الاندلس يحيى ابن حكم البكري الجياني الملقب بالغزال لجماله وهو في المائة الثالثة من بني بكر بن وايل قال ابن حيان في المقتبس كان الغزال حكيم الاندلس وشاعرها وعرافها عمر اربعا وتسعين سنة ولحق اعصار خمسة من الخلفا المروانية بالاندلس اولهم عبد الرحمن بن معاوية واخرهم الامير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ومن شعره

ادركت من مصر ملوكا اربعة • وخامسا هذا الذي نحن معه •

وله على اسلوب ابن ابي حكيمة راشد بن اسحاق الكاتب

خرجت اليك وثوبها مقلوب • ولقلبها طربا اليك وجيب •

وكانما في الدار حين تعرضت • ظبي تخلل بالفلا مرعوب •

وتبسمت فاتتك حين تبسمت • بجمان در لم يشنه ثقوب •

ودعتك داعية الصبى فتطربت • نفس الى داعي الضلال طروب •

حسبتك في حال الغلام كعهدها • في الدار اذ غصن الشباب رطيب •

وعرفت ما في نفسها فضممتها • فتساقطت بيننا ندب رعوب •

وقبضت ذاك الشي قبضة شاهق • قد زال عن عصنك حلبوب •

يبدي الشمال ولا شمال لطاقة • ليست لاخرى والاديب اريب •

فاصابكم منه حين لمسته • بلل كما الورد حين يسيب •

وتخللت

وتخللت نفسي للذة ريحه • حتى خشيت على الفواد يذوب •

فتقاس الملعون عنه وربما • نادبته خيرا فليس يجيب •

وابي تحقق في الاباره كانه • جان تبغا دا الى الوردي مكروب •

ونفضت جنباته وكانه • كبر تقادم عهده مثقوب •

حتى اذا ما الصبح لاح عموده • قبسا وحان من الظلام ذنوب •

سايلتها خجلا اما للحاجة • عندي فقالت ساخر حروب •

قالت حرمك اذا اردت ودلها • فرت وفيه عوا رض وشعوب •

وذكرها ابن دحية بمخالفة لما سردناه قال عتبة التاجر وجهني الامير الحكم وابنه عبد الرحمن الى المشرق وعبد الله بن طاهر امير مصر من قبل المامون فلقيته بالعراق فسالني عن هذه القصيدة هل احفظها للغزال قلت نعم فاستنشدنيها فانشدته اياها فسر بها وكتبها قالت عتبة ونلت بها حظا عنده والهانة المرالة الطيبة النفس والارج كما في الصحاح وقيل اللينة في منطقها وعملها وقيل الضحاكة المهالة والرعبوب الشطبة البيضا والشطبة الطويلة وقال سامحه الله

سالت في النوم الى ادما • فقلت والقلب به وامق •

ابنك ما لله ابي حازم • صلى عليك الملك الخالق •

فقال لي انك ان منى ومن • نسل تحوي امكم طالق •

وقال

ارى اهل اليسار اذا توفوا • بنوا تلك المقابر بالصخور •

ابوا الا مباهاة وفخرا • على الفقرا حتى في القبور •

فان يكن التفاضل في ذراها • فان العدل فيها في القعور •

رضيت بمن تانق في بناء • فبالغ فيه تصريف الدهور •

الا ما تبصروا ما خربته • الدهور من المدائن والقصور •

لعمر ابيهم لو ابصروهم • لما عرفوا الغني من الفقير •

ولا عرفوا العبيد من الموالي • ولا عرفوا الاناث من الذكور •

ولا من كان يلبس ثوب صوف • من البدن المباشر للحرير •

اذا اكل الثرى هذا وهذا • فما فضل الكبير على الحقير •

وقال

لا ومن اعمل المطايا اليه • كل من يرتجي اليه نصيبا •

ما ارى ههنا من الناس الا • ثعلبا يطلب الدجاج وذيبا •

او شبيها بالقط القى بعينيه • الى فارة يريد الوثوبا •

وقال

قالت احبك قلت كاذبة • غري بذا من ليس بنتقد
هذا كلام لست اقبله • الشيخ ليس يحبه احد
سيان قولك ذا وقولك ان • الريح نعقد ما فتنعقد
او ان تقول النار باردة • او ان تقول الماء يتقد

وحكى ابو الخطاب بن دحية في كتاب المطرب ان الغزال ارسل الى بلاد المجوس وقد قارب الخمسين وقد وخطه الشيب ولكنه كان مجتمع الاشد فسالته زوجة الملك يوما عن سنه فقال مداعبا لها عشرون سنة فقالت وما هذا الشيب فقال وما تنكرين من هذا الم ترى فلو مهرا ينتج وهو اشهب فاعجبت بقوله فقال في ذلك واسم الملكة نود

كلفت يا قلبي هوى متعبا • غالبت منه الضيغم الاغلبا
اني تعلقت مجوسية • تابى لشمس الحسن ان تغربا
اقصى بلاد الله في حيث لا • يلفي اليه ذاهب مذهبا
يا نود يا رود الشباب التي • تطلع من ازرارها الكوكبا
يا بابي الشخص الذي لا ارى • احلى على قلبي ولا اعذبا
ان قلت يوما ان عيني رات • مشبهه لم اعد ان اكذبا
قالت ارى فوديه قد نورا • دعابة توجب ان ادعبا
قلت لها بالله انه • قد ينتج المهر كذا اشهبا
فاستضحكت عجبا بقولي لها • وانما قلت لكي تعجبا

قال ولما فهمها الترجمان شعر الغزال ضحكت وامرته بالخضاب فغدا عليها وقد اختضب

وقال

بكرت تحسن لي سواد خضابي • فكان ذاك اعادني لشبابي
ما الشيب عندي والخضاب لواصف • الا كشمس جللت بضباب
تخفى قليلا ثم يقشعها الصبا • فيصير ما سترت به لذهاب
لا تنكري وضح المشيب فانما • هو زهرة الافهام والالباب
فلدي ما تهوين من شان الصبا • وطلاوة الاخلاق والاداب

انتهى وحكى ابن حيان في المقتبس ان الامير عبد الرحمن بن الحكم المرواني وجه الغزال الى ملك الروم فاعجبه حديثه وخف على قلبه وطلب منه ان ينادمه فامتنع من ذلك واعتذر بتحريم الخمر وكان يوما جالسا عنده واذا بزوجة الملك قد خرجت وعليها زينتها وهي كالشمس الطالعة حسنا فجعل الغزال لا يميل طرفه عنها وجعل الملك يحدثه وهو لاه عن حديثه فانكر ذلك عليه وامر الترجمان بسؤاله فقال له عرفه اني قد بهرني من حسن هذه الملكة ما قطعني عن حديثه فاني لم ار قط

مثلها واخذ في وصفها والتعجب من جمالها وانها شوقته الى الحور العين فلما ذكر الترجمان ذلك للملك تزايدت حظوته عنده وسرت الملكة بقوله وامرت الترجمان ان يساله عن السبب الذي دعا المسلمين الى الختان وتجشم المكروه فيه وتغيير خلق الله مع خلوه من الفائدة فقال للترجمان عرفها ان فيه اكبر فائدة وذلك ان الغصن اذا زبر قوي واشتد وغلظ وما دام لا يفعل به ذلك لا يزال رقيقا ضعيفا فضحكت وفطنت لتعريضه انتهى

ومن شعر الغزال قوله

يا راجيا ود الغواني ضلة • وفؤاده كلف بهن موكل
ان النساء لكالسروج حقيقة • فالسرج سرجك ريثما لا تنزل
فاذا نزلت فان غيرك نازل • ذاك المكان وفاعل ما تفعل
او منزل المجتاز اصبح غاديا • عنه وينزل بعده من ينزل
او كالثمار مباحة اغصانها • تدنو لاول من يمر فياكل
اعط الشبيبة لا ابا لك حقها • منها فان نعيمها متحول
واذا سلبت شبابها لم تنتفع • عند النساء بكل ما يستبدل

وقال

قال لي يحيى وصرنا • بين موج كالجبال
وتولتنا رياح • من دبور وشمال
شقت القلعين فانبتت • عرى تلك الحبال
وتمطى ملك الموت • الينا عن حيال
فراينا الموت راي • العين حالا بعد حال
لم يكن للقوم فينا • يا رفيقي راس مال

ومنها

وسليمى ذات زهد • في زهيد من وصال
كلما قلت صليني • حاسبتني بالخيال
والكرى قد منعته • مقلتي اخرى الليالي
وهي ادرى فلماذا • دافعتني بمحال
اترانى اقتضيها • بعد شيئا من نوال

وله

من ظن ان الدهر ليس يصيبه • بالحادثات فانه مغرور
فالق الزمان مهونا لخطوبه • وانجر حيث يجرك المقدور
واذا تقلبت الامور ولم تدم • فسواء المحزون والمسرور
وعاش الغزال اربعا وتسعين سنة وتوفي في حدود الخمسين والمائتين سامحه

الله وكان الغزال في هجاء علي بن نافع المعروف بزرياب فذكر ذلك لعبد الرحمن فامر بنفيه فدخل العراق وذلك بعد موت ابي نواس بمدة يسيرة فوجدهم يلهجون بذكره ولا يساوون شعر احد بشعره فجلس يوما مع جماعة منهم فازروا بامثل الاندلس واستجادوا اشعارهم فتركهم حتى وقعوا في ذكر ابي نواس فقال لهم من يحفظ منكم

قوله

ولما رايت الشرب اكدت سماؤهم • تابطت زقي واحتبست عبائي
فلما اتيت الحان ناديت ربه • فثاب خفيف الروح نحو ندائي
قليل هجوع العين الا تعلة • على وجل مني ومن نظراي
فقلت اذقنيها فلما اذاقها • طرحت اليه ريطتي وردائي
وقلت اغثني بالنبيذ استنزلها • بذلت له فيها طلاق نسائي
فوالله ما برت يميني ولا وفت • له غير اني ضامن بوفائي
وآبت الى صحبي ولم اك آبيا • فكل يفديني وحق فدائي

فاعجبوا بالشعر وذهبوا الى مدحهم له فلما افرطوا قال لهم خفضوا عليكم فانه لي فانكروا ذلك

فانشدهم قصيدته التي اولها

تداركت في شرب النبيذ خطائي • وفارقت فيه شيمتي وحيائي

فلما اتم القصيدة بالانشاد خجلوا وافترقوا عنه وحكي ابن يحيى الغزال اراد ان يعارض سورة قل هو الله احد فلما اراد ذلك اخذته هيبة وحالة لم يعرفها وحكى ابن عباس بن ناصح الثقفي قاضي الجزيرة الخضراء كان يفد على قرطبة فياخذ عنه ادباؤها وقرئت عليهم قصيدته التي اولها

لعمرك ما البلوى بعار ولا العدم • اذا المرء لم يعدم تقى الله والكرم

حتى انتهى القاري الى قوله

تخاف عن الدنيا انما المحتر • ولا عاجز الا الذي خط بالقلم

فقال له الغزال وهو في الحلقة وهو اذ ذاك حدث نظام متادب ذكي القريحة ايها الشيخ وما الذي يصنع مفعل مع فاعل فقال له كيف تقول فقال كنت اقول فليس لعاجز ولا حازم فقال له عباس والله يا بني لقد طلبها عمك فما وجدها

وانشد يوما قوله من قصيدة

بقرت بطون الشعر فاستفرغ الحشا • بكفي حتى اب خاويه تقرى

فقال بكر بن عيسى الشاعر اما والله يا ابا العلاء لئن كنت بقرت الحشا لقد سحبت بعد بقرته وملاتها بدمه وخيطت نفسك بغنمه وخشمنا نفاك بعرقه فاستحيى عباس واحجم عن جوابه المشهر بالمغارب والمشارق المحلي بجواهر صدور المهارق ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي منهم كتاب المغرب في اخبار المغرب

قال فيه

قال فيه وانا اعتذر في ايراد ترجمته هنا بما اعتذر به الحجاري في كتاب المسهب وابن القطاع في الدرة الخطيرة وغيرهم من العلماء ثم من نظمه عندما ورد الديار المصرية

اصبحت اعترض الوجوه ولا ارى • ما بينها وجها لمن ادريه
عودي بداي ضلالا بين سهم • حتى كاني من بقايا التيه
ويح الغريب توحشت الحاظه • في عالم ليسوا له بشبيه
ان عاد لي وطني اعترفت بحقه • اذ للتغرب ضاع عمري فيه

وله من قصيدة يمدح ملك افريقية ابا زكريا يحيى بن عبد الواحد بن ابي حفص

الافق طلق والنسيم رخاء • والروض وشت برده الانداء
والنهر قد مالت عليه غصونه • فكانما هو مقلة وطفاء
وبدا نثار الجلنار بصفحه • فكانما هو حية رقطاء
والشمس قد رقمت طرازا فوقه • فكانما هو حلة زرقاء
فادر كؤوسك كي تتم لك المنى • واسمع لما قالت لك الورقاء
تدعوك حي على الصبوح فلا تنم • فعلى المنام لدى الصباح عفاء

وله ايضا

كم جفاني ورمت ادعو عليه • فتوقفت ثم ناديت قائل
لا شفى الله لحظه من سقام • وارانى عذاره وهو سائل

وقوله من قصيدة كتب بها الى الملك سبط الموفق ابي العباس احمد بن ابي الفضل البيسني شافعا لشخص رغب في خدمته

بالعدل قمت ويا السماح فدم وجد • لا فارقتك كفاية وعطاء
ما كل من طلب السعادة نالها • وطلاب ما ياتي القضا شقاء

ومنها

وقد انتطارنا بسطري نحو الذي • من قصيدة لنحوك العليا
طلبا لنباهة في ذراك فما له • الا الذي نامل ورجاء
وهو الذي بعد التجارب احمدت • احواله وجرى عليه ثناء
لا يغربك الدنس المريب كواصل • بحرته خوفا ان يشار الراء
قد مارس الحرب الزبون زمانه • وجرت عليه شدة ورخاء
وعلاك تقضي ان يسود بافقها • لا غرو ان يجلي الشهاب بهاء

وله من قصيدة

الف التغرب والتوحش مثلما • الف التوحش والنفور ظباء
حجابة الفوا التهجم والجفا • فهم لكل اخي هدى اعداء
متهمي يروم طلب النبه تقربا • يعدت بذا لك البدر عنه سماء

لكنني مازلت اخدع حاجبا • ومراقبا حتى الان حبا •
والارض لم تظهر محجب بيننا • حتى حبتنا الديمة الوطفاء •
فتبل ومنذا معنى لم يسمع من غيره

وقوله في خسوف البدر

شان خسوف البدر بعد جماله • فكانه ماء عليه عنبا •
او مثل مرآة لخود قد قضت • نظرا بها فعلى الجلا عثا •

وقوله من قصيدة عتاب

ولقد كسبت بكم علا لكنها • صارت باقوال الوشاة هباء •
فغدوت ما بين الصحابة اجربا • كل يحاذر مني الاعداء •
ولقد ارى ان النجوم تقل لي • حجبا وان صغر ان احل سماء •
فليتهم يجرو امجد العظيم لدره • وبينا عدوا الزمن الخون جفا •
فلقد شكوت لهم اخالة ودهم • اذ لم اكن ارضى بهم خدماء •
ابه قد كرمهم افل وابما • او مي اليك فتفهم الايماء •
لو لم يكن قبيد لما فنكت ظبي • انا الذي صيرتهم اعداء •
ولو انني ارجوا رجا عالم اطل • شكوى ولم استبعد الاغضاء •
لكن رايتك لا تميل سجية • نحوي ولا تتكلف الاصغاء •
ان لم يكن عطف فمنوا بالنوى • ان الكريم اذا امتن تناء •

وقوله

وكم سرينا في متون ضوامر • تثني اعنتها من الخيلاء •
من ادهم كالليل حجل بالضحى • فتشق غرته من ابن ذكاء •
او اشهب يحكي غدير راشيب • خلعت عليه الشهب فضل رداء •
او اشقر قد نمقته بشعلة • كالمزج ثار بصفحة الصهباء •
او اصفر قد زينته غرة • حتى بدا كالشمعة الصفراء •
طارت وبكن لا بما ض جناحها • نبتت ولكن لم يكن بر خاء •

وقوله من ابيات في انقضاض بكر

وخريدة ما ان رايت مثلها • حبت من الالحاظ بالايماء •
فسالتها سمع الشكاة فاقهمت • ان الرقيب حمته الابناء •
ونبغتها وسالت منها نيلة • في خلوة من اعين الرقباء •
نثنت على فوامها بتخانيق • اخفي وذاك اماتت بالبرحاء •
ووجدتها لما ملكت عنانها • عذرا ميثل الدرة العذراء •
جاءت الي كوردة حمراء • فتركتها كخزارة صفراء •
وسلبتها ما احمر منها صفوه • تجري مذابا منحها لرجاء •

وقوله من

وقوله من ابيات

احبابنا عودوا اعلينا عودة • ما منكم بعدا لتفرق مرغب •
كم ذا ادار يكم بنفسي جامدا • وكانما ارضيكم كي تغضبوا •
وازيد بعدا اما اقتربت اليكم • كالشمس ابعد ما يرى اذ يقرب •
واجوب نحوكم المنازل جامدا • ومع اجتهادي فاتني ما اطلب •
كالبدر اقطع منزلا في منزل • فاذا انتهيت الى ذراكم اغرب •

وقوله من ابيات

سالتك يا من يستلان فيصعب • ومن يترضى بالحياة فيغضب •
اما خدك البدر المنير فلم غدت • تحل به ضد الفضيلة عقرب •

وقوله في دواة عبث احد الغلمان وسرق سكينة من حرز

ابا سارقا ملكا مصونا ولم يجب • على يده قطع وفيه نصاب •
ستندب الاقلام عند عثارها • ويبليها ان يعد الصواب كتاب •

وقوله في تفاحة عنبر امتدحت للملك الصالح نجم الدين ايوب

انا لون السباب والحال المدبث • لمن قد كسا الزمان شبابا •
ملك العالمين نجل ابن ايوب • لازال في المعالي شهابا •
حيث ملاي من الثناء عليه • من شكور احسانه والثوابا •
لست ممن له حطاب ولكن • قد كفا في اريج عرفي خطابا •

وقوله من قصيدة

فالحمد لله على ساعة • قد قربتني من على الصاحب •
وليعذر المولى على انني • قد كنت عن علياه في جانب •
كمن اتى نافلة اولا • ثم اتى من بعد بالواجب •

وقوله من ابيات

فان كنت في ارض التغرب غاربا • فسوف ترى لي طالعا فوق غارب •
فصمصام عمرو حين فارق كفه • رموه ولا ذنب لعجز المضارب •
وما عزة الصرغام الا عرينه • ومن مكة سادت لوي بن غالب •

وقوله في فرس اصفر اغر الكحل الحلية

واجرد تبري باشرت به الثرا • وللفجر في حضر الظلام وشاح •
له لون ذي عشق وحسن معشق • لذلك فيه ذلة ومراح •
عجبت له ومولا الاصيل بعرفه • ظلام وبين الناظرين صباح •
يقيد طير اللحظ والوحش عند • يطير به نحو النجاح جناح •

وقوله من ابيات

اذا ما غراب البين صاح فقل له • ترفق رماك الله يا طير بالبعد •
لانت على العشاق افتح منظرا • واكره في الابصار من طلعة اللحد •
نصيح بنوح ثم تعثر ماشيا • وتبرز في ثوب من الحزن مسود •
متى لحت صح البين وانقطع الرجا • كانك من وشي الفراق على وعد •

وقوله في غلام جميل الصورة اسدى نفاحة

ناب ما اسدى بنت عن • عرف وعن ريق وخد •
حبذا نفاحة قد • اشبهت اوصاف هند •
بت منها في سرور • فكان قد بت عندي •

وقوله من قصيدة

هذا الذي يهب الدنيا باجمعها • ويجد ذلك يلغى ومن يعتذر •
ان هزه المدح فالاموال في بدر • والغصن ما هزه الا بدر الثمر •
متع لحاظك في وجه بلا ضرر • ان كان شمسا يداه تحتها مطر •

وقوله من ابيات

لي جيرة صنوا علي وجاروا • فنبت بي الاوطان والاوطار •
ومن العجائب انني مع جورهم • ما قر لي بعد الفراق قرار •

وقوله ايضا

انا شاعر اهوى التخلي دونما • زوج لكيما تخلص الافكار •
لو كنت ذا زوج لكنت منغصا • في كل حين رزقها امتار •
دعني ارح طول التغرب خاطري • حتى اعود ولي بتستر قرار •
كم قايل لي ضاع شرخ شبابه • ما ضيعته بطالة وعقار •
اذلم ازل في العلم اجهد دايما • حتى ثانت منه الابكار •
سهمي ان مرد ون زوج لم اكن • كلا ولا في دايما مذرا ر •
واذا اخرجت لغرجة هيئتها • لا ضيعة ضاعت ولا تذكار •

وقوله من قصيدة

ما كنت احسب ان اضيع وانت في • الدنيا وان امسي غريبا معسرا •
انا مثل سهم سوف يرجع بعدما • اقصاه رام بيد المجيد ليخبرا •

وقوله ايضا

وافا علي لنا بسيف • والبين قد حان الوداع •
فقال شبه فقلت شمس • قدمد من نورها شعاع •

وقوله من قصيدة في ملك اشبيلية الناجي وقدمه ابن هود

لله فرسان عدت راياتهم • مثل الطيور على عداة الخلق •

السمر

السمر تنقط ما نسطر ببيضهم • والنقع يترب والدما تخلق •

وقال ارتجالا بمحضر زكي الدين بن ابي الاصبع وجمال الدين ابي الحسين الجزار المصري الشاعر ونجم الدين بن اسرايل الدمشقي بظاهر القاهرة وقد مشى احدهم على بسيط نرجس

يا واطي النرجس ما تستحي • ان تطا الاعين بالارجل •

تهافتوا بهذا البيت وراموا اجازته فقال ابن الاصبع مجيزا

فقلت دعني لم ازل محنقا • على لحاظ الرشا الاكحل •

وكان اشار من حضرهم ثم ابو الحسين غيره فقال

قابل جفونا بجفون ولا • تبتذل الارفع بالاسفل •

وقوله في الجزيرة الصالحية بمصر وهي المشهورة الان بالروضة

تامل الحسن الصالحية اذ بدت • مناظرها مثل النجوم تلالا •
وللقلعة الغرا كالبدر طالعا • تفجر صدر الماء عنه هلالا •
ووافى اليها النيل من بعد غاية • كما زار مشغوف يروم وصالا •
وعانقها من فرط شوق لحسنها • فمد يمينا نحوها وشمالا •
جرى قادما بالسعد فاختط حولها • من السعد اعلاما بذلك دالا •

وقوله من ابيات في ملك افريقية وقد جهز ولده الامير ابا يحيى بعسكر

وقد ارسلته نحو الاعادي • كما جردت من غمد حساما •

وقوله في قوس

انا مثل الحسام في ظلم النقع • بسهامي تنقض مثل النجوم •
نقض الغضب والفتى عن مجالي • عند رجمي بها لكل رجيم •
قد كستنها الطيور لما رامتها • كا قلات لها برزق عميم •

وقوله من ابيات

واشقر مثل البرق او فاق سرعة • فصدت عليه عارض الجو فانهمى

ايضا ولنذكر ترجمة من الاحاطة ملخصة تنقول قال لسان الدين علي ابن موسى ابن عبد الملك بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر بن كنانة ابن قيس بن الحصين العنسي المدلجي من اهل قلعة يحصب عن ناطي قلبي سكن تونس ابو الحسن بن سعيد وهذا الرجل وسطي عقد بيته وعلم اهله ودرة قومه المصنف الاديب الرحال الطرفة الاخباري العجيب الشان في التجول في الاقطار ومداخلة الاعيان المتمتع بالخزاين العلمية وتقييد الفوايد المشرقية والغربية اخذ عن اعلام اشبيلية كابي علي الشلوبين وابي الحسن الدباج وابن عصفور وغيرهم وتواليفه كثيرة منها المرقصات والمطربات والمقتطف من ازاهر الطرف والطالع السعيد في تاريخ بني سعيد تاريخ بيته وبلده والموضوعات العربيات المتعدد كالاسفار ومنها المغرب في حلي المغرب والمشرق

في حلى المشرق وغير ذلك مما لم يتصل الينا فلقد حدثني الوزير ابو بكر بن الحكيم انه خلف
كتابا يسمى المرزمه يشتمل على وقر بعير من رزم الكراريس لا يعلم ما فيه من الفوايد الادبية
والاخبار الا الله تعالى وتعاطى نظم الشعر في حداثة الشبيبة يعجز عن مثله فيذكر انه
خرج مع ابيه الى اشبيلية وفي صحبته سهل بن مالك فجعل سهل بن مالك يباحثه
عن نظمه الى ان انشده في صفة نهر والنسيم يرده والغصون تميل عليه

• كانما النهر صفحة كتبت • اسطرها والنسيم ينشيها •
• لما ابانت عن حسن منظرها • مالت عليها الغصون تقريها •

فطرب واثنى عليه ثم ناب عن ابيه في اعمال الجزيرة وما زج الادبا ودون كثيرا من
نظمه ودخل القاهرة فصنع له ادبا ومصنفا في ظاهرها وانتهت بهم الفرجة
الى صوا نرجس وكان فيهم ابو الحسين الجزار فجعل يدير راس النرجس برجله فقال ابو
الحسن • يا واطي النرجس ما تستحي • ان تقطا الاعين يا لارجل •
فتما فتوا بهذا البيت وراموا اجازته فقال ابن ابي الاصبع
• فقال دعني لم ازل محنقا • على لحاظ الرشا الاكحل • وكان
امثل ما حضرهم ثم ابو الحسين الجزار غيره فقال
• قابل جفونا بجفون ولا • تبتذل الارفع بالاسفل •
ثم استدعى سيف الدين بن سابق الى مجلس بصفة النيل مبسوط بالورد وقد قام من
حوله شمامات نرجس فقال في ذلك
• من فضل النرجس فهو الذي • يرضى بحكم الورد اذ يراس •
• اما ترى الورد غدا قاعدا • وقام في خدمته النرجس •
ووافق ذلك مما ليك الترك وقوفا في الخدمة على عادة المشارقة فطرب الحاضرون
ولقي بمصر ايدمر التركي وابنها زهيرا وجمال الدين بن مطروح وابن يغمور وغيرهم
ورحل صحبة كمال الدين بن العديم الى حلب فدخل على الناصر صاحب حلب فانشده
قصيدة اولها
• جد لي بما القى الخيال من الكرى • لا بد للضيف الملم من القرى •
فقال كمال الدين هذا رجل عارف ورى بمقصوده من اول كلمة وهي قصيدة طويلة
واستجلسه السلطان وساله عن بلاده ومقصده بالرحلة فاخبره انه جمع كتابا
في الحلى البلادية والعلى العبادية المختصة بالمشرق واخبره انه سماه المشرق
في حلى المشرق وجمع مثله فسماه المغرب في حلى المغرب فقال نعينك بما عندنا من
الخزاين ونوصلك الى ما ليس عندنا كخزاين الموصل وبغداد وتصنف لنا فخدم على
عادتهم وقال لا مر مولاي بذلك انعام وتانيس ثم قال له السلطان مداعبا انك
شعرا ما ملقبون باسما الطيور وقد احضرت لك لقبا يليق بحسن صوتك وايرادك

للشعر فان كنت ترضى به والا لم يعلمه غيرنا وهو البلبل فقال قد رضي المملوك
يا خوند فتبسم السلطان وقال له ايضا بداعبة اختر واحدة من ثلاث اما
الضيافة التي ذكرتها اول شعرك واما جايزة القصيدة واما حق الاسم فقال
يا خوند المملوك ممن لا يحتمل بعشر لقم لانه مغربي اكول فكيف بثلاث فطرب السلطان
وقال هذا مغربي ظريف ثم اتبعه من الدنانير والخلع الملوكية والتوابيع بالارزاق
ما لا يوصف ولقي بحضرته عون الدين العجمي وهو بحر لا تنزفه الدلا والشهاب التلعفري
والتاج بن شقير وابن نجم الموصلي والشرف بن سليمان الاربلي وطايفة من بني الصاحب
ثم تحول الى دمشق ودخل الموصل وبغداد ودخل مجلس السلطان المعظم بدمشق وحضر مجلس
خلوته وكان رحلته الى بغداد في عقب ٦٤٨ه في رحلته الاولى اليها ثم رحل الى البصرة
ودخل ارجان وحج ثم عاد الى المغرب وقد صنف في رحلته مجموعا سماه بالنفحة المسكية
في الرحلة المكية وكان نزوله بساحة مدينة اقليبية من افريقية في احد جمادي ٦٥٢ه
واتصل بخدمة الامير ابي عبد الله المستنصر فنال الدرجة الرفيعة من حظوته حدثني
شيخنا الوزير ابو بكر بن الحكيم ان المستنصر جفاه في اخر عمره وقد اسن لجرم اخذه منه ما
استدها اليه وقد كان بلا منه قبل جفوة اغفلها انشا لرعايته فكتب اليه بنظم
من جملته لا تزعني بالجفا ثانية • فرقه وعاد الى حسن النظر فيه الى ان توفي تحت
بر ورعايته مولده بغرناطة ليلة الفطر ٦١٠ه انتهى باختصار وذكرت حكاية
ان وفاته بتونس في حدود سنة ٦٨٥ انتهى باختصار وذكر حكاية اجازته بيت في
النرجس وان تقدمت لاتصال الكلام قلت قد كنت وقفت على بعض ديوان شعر
متعدد الاسفار ونقلت منه قوله من قصيدة يهنئ ابن عمه الرايس ابا عبد الله
ابن الحسين بعد وبه من حركة مواهم

• انا واجب لا يحول وجيب • وقد بعدت دار وخان حبيب •
• وليس اليف غير ذكر وحسرة • ودمع على من لا يرق صبيب •
• وخفق فواد ان سفا البرق خافقا • وشوق كما شاء الهوى ونحيب •
• وبعد لي من ليس يعرف ما الهوى • وعذل مشوق في الشكا غريب •
• الا تعس اللوام في الحب قد عموا • وصموا وادى ليس منه طبيب • ٢
• يرومون ان يثني الغرام صبابتي • وليس الى داعي الملام اجيب •
• وفاي اذا ما غبت عنكم مجدد • وعيدي وعذرا وان يغيب •
• ولو لم يكن مني الوفا سجية • لكنت لغير ابن الحسين انيب •
• سمو الهذا العصر حاتم جوده • مهلبه ان مارسته حروب •
• ففي سير الامداح شرقا ومغربا • ابو دلف من دونه وخصيب •
• اذا رقم القرطاس قلنا ابن مقلة • وان نظم الاشعار قلت حبيب •

وادنثرا لاسجاع قلت سميته • وان سُردا لتارخ قلت غريب •
وما احرزا لمولى آدابه التي • اذا ما تلاها لم يجبه اديب •

ومنها

واما اذا ما الحرب احمد نارها • ففيه تلظى مارج ولهيب •
فكم فارع الابطال في كل وجهة • تحاماه كم لفت عليه حروب •
وكاين له بالحرب من موقف له • حديث اذا يتلى تطير قلوب •
تمراكس سل عنه نغام غناءه • وقد سامهم يوم هناك عصيب •
اذا ما ثنى الرمح الطويل كانه • مدير لغصن الخيزران لعوب •
وان جرّ ابصرت بحرا مجررا • ذوابه منه الكماه تذوب •
يهيم به ما ابن الصحائفا • لمركعات ما تحور كعوب •
محمد لا تبدا الذي انت قادر • عليه وخف عنبا علاك فضيب •
نفوذ سهام الحين او ذي بمضعب • وطاح به نجد السيوف شبيب •
الا فهنيئا ان رجعت لتونس • فاطلعت شمسا والسفار غروب •
كواكبها تبدوا اذا ما تركتها • وقد جعلت منها حضرت تغيب •
اذا سدت في ارض فغيرك تابع • علاك وحمى ساد فهو مريب •

ومنها

كانني استظل بظلكم • ومن مناب ذاك المجد فهو مهيب •
فاصلك اصلي والفروع نبات • بعيد على من رامه وقريب •
وحسبي فخرا ان اقول محمد • نسيب على جل منه نصيب •
تركت جميع الاقربين لقصده • على حين خانت فتنة وخطوب •
رايت به جنات عدن فلم ابل • اذا وصلتنا للخلود شعوب •
فقبلت كفا لا اعاب بلثمها • وابدي الايادي لثمهن وجوب •
ولو كان قدري مثل قدرك في العلا • لحق بان تعلو الشباب شبيب •
وكيف وليس الراس فرقت • شيات لعمري بيننا وضروب •
ولولا الذي استمعت من مكر حاسد • اباك يقول وهو فيه كذوب •
لما كنت محتاجا لقولي انما • تخليت من ذنب وجئت اتوب •
اذا كنت ذا طوع وشكر وغبطة • فمن اين لي يا ابن الكرام ذنوب •
لقد كنت معتادا ببشر فما الذي • تقلدته حتى تراك قطوب •
اذا دفع السلطان سعي بعد كم • اخلا عن ورد لكم واجيب •
فاحسب ذنبي ذنب صخر بدارها • الى البر عند الجابرين مغيب •
وحاشاك من جود على وانما • اخاطب من اصغى له فيشوب •

صحاب هم الداء الدفين فليتني • ولم ادن منهم للذئاب صحوب •
كلامهم شهد ولكن فعالهم • كسم له بين الضلوع دبيب •
سارحل عنهم والتجارب لم يدع • بقلبي لهم شيئا عليه اثيب •
اذا اغترب الانسان عمن يسوءه • فما هو في الابعاد عنه غريب •
فداركَ براب منك ما قد حرقته • ليحسن مني مشهد ومغيب •
ولا تستمع قول الوشاة فانما • عدوهم بين الانام يجيب •
فيا ليت اني لم اكن متنادما • ولم يك لي اصل هناك رسوب •
وكنت كبعض الحاملين مجنبا • فها انا للهم الملم جنيب •
وما ان ضربنا الدهر زيدا بعمره • ولم يك لي بين الكرام ضريب •
اأشكوك ام اشكوا اليك فما عدت • عداي حتى كان منك وثوب •
ساشكر ما ولي واصبر للذي • توالى على ان الغرا سليب •
فدم في سرور ما بقيت فانني • وحقك مذ دب الوشاة كئيب •

قال وكان سبب التغير بيني وبين ابن عمي الرآيس المذكور ان ملك افريقية استوزر لاشغال الموحدين ابا العلى ادريس بن علي بن ابي العلى بن جامع فاشتمل علي واولاني من البر ما قيدني واما ل قلبي اليه مع تاكيد ما بينه وبين ابن عمي من الصحبة فلم يزل ينهض بي ويرفع امداحي للملك ويوصل اليه رسايلي منبها على ذلك مرشحا الى ان قبض الملك على كاتب عسكره وكان يقرا بين يديه كتب المظالم فاحتيج الى من يخلفه في ذلك فنبه الوزير علي وارتهن في مع اني لست من كتاب الملك فقلدني قراءة المظالم المذكورة وسفر لي الوزير عنده في دار الكاتب المؤخر فانعم بها فوجد الوشاة مكانا متسعا للقول فقالوا وزوروا من الاقاويل المختلقة ما مال بها جانب ما لوا وظهر منه مخايل التغير فجعلت اداريه واستعطفه فلم ينفع فيه قليل ولا كثير الى ان سعى في تاخيري والذي عن الكتب للامير الاسعد ابي يحيى بن ملك افريقية ثم سعى في تاخيري فاخرت عن الكتابة وعن قراءة المظالم فانفردت بالكتابة للوزير المذكور وفوض الي جميع اموره واولاني من النا بيس ما انساني تلك الوحشة ومن العزما انقذني من تلك الذلة

فرد على العيش تجددها به • وانسني بعد انفرادي من الاهل •
وقالا اذا ما الوبل فاتك فاقتنع • بما قد نشى عندي الان من طل •
ووالله ما تعماه طل وانما • تادبه غيث يجود على المحل •
رابي اظما في الهجيرة صاحيا • فروّد واوى الى الماء والظل •

ولم ازل عنده في استرحا لما لها تكدير • الا ما يبلغني من ان ابن عمي لا يزال يسعى في حقي بما اخشى مغبته وخفت ان يطول ذلك فيسمع منه ولا ينفع دفاع الوزير

صحاب هم

المذكور عني فرغبت له في ان يرفع للملك اني راغب في السراح الى المشرق برسم الحج

• ومن مليه الخبث في بطن واد • ويأنف فلا يا من ثرا لسبيولا •

ثم يستعفني في ذلك ولا سعى على تحوني وقلة ثقتي بجماعته فرفعته مدرج القصيدة

• متى المجد الا ان يطول التجنب • ويبعد من قد كان منه التقرب •
• وتنقطع رسل بيننا ورسايل • ويمنع لقيانا نوى وتحجب •
• ولو انني ادري لنفسي زلة • جعلت لكم عذرا ولم اك اعتب •
• ولكنكم لما مللتم هجرتم • وذنبكم في الحين ليس يذنب •
• الى الله اشكو غدركم وملالكم • وقلبا له ذاك التعذب يعذب •
• فلو انه يجزيكم بفعالكم • لكان له عنكم مراد ومذهب •
• ولكن ابى ان لا يحن لغيركم • وان لا يري عنكم مدى الدهر مذهب •
• فهلا رعيتم انه في ذراكم • غريب وليس الموت الا التغرب •
• لزمتك لما ان رايتك كاملا • جمالا واجمالا وذاك يحبب •
• واني لاخشى ان يطول اشتكاوه • لمن ان فكرا فليس يسترب •
• فلم اسع الا ارتياحا وراحة • وغيري وقد اواه غيرك يتعب •
• فانت الذي اوليتني ورحمتني • وذو الرحم الدنيا لنا رى يحطب •
• فما من يوم ولا بد من مصيبة • عليك وبالتدبير منك يحبب •
• ومنه ثبوتا لا يحيل اما ترى • بحر الحيا لي في الحجارة يرسب •
• ومنه له سترا اما انتخاض • لحادرخر فاينما ان يتسببوا •
• وما ان اري الا الفرار مخلصا • وما راغب في الضيم من عنه يرغب •
• فانه الى الامر العلي شكيتي • وان خطوب الدهر تحوي تخطب •
• ولا تطمعوني في الذي لست نايلا • فلا انا عرقوب ولا انا اشعب •
• الا فلتمنوا بالسراح فانه • لراحة من يشقى لديكم وينصب •
• سلوا الكاس عني اذ تدار فانني • لاتركها منا ودمعي اشرب •
• ولا اسمع الالحان حين تهزني • ولو كان نوحا كنت اصغى واطرب •
• فديتكم كم ذا الهون بارضكم • امذا جزاء للذي يتغرب •
• انجل على ما سواك بصيح لي • فهل لي مما كدر العيش مهرب •
• تغلص عني كل ظل ولم اجد • كما كنت الفي من اود واصحب •
• اذو طمع في العيش يبغي وحوله • مدا الدهر افعى لا تزال وعقرب •
• اجزني بجوبا لغزار فانه • وحقك من نعماك عندي يحسب •
• فلا زلت يا حين الكلام مهنيا • فحبتي منه الموت اسهى واطيب •
• وصانك من قد صنت في حفر ذمي • وغيره من ثوبيا المروة يسلب •

ولم يزل الوزير لا ازال الله عنه رضاه يحمي جانبي الى ان اصابتني فيه العين فاصابه الحين • وطيب نفسي انه مات عندما • تنامي ولم يشمت به كل حاسد •
• ويحكم عليه كل من كان حاكما • عليه ويعطى الثار كل معاند •

وقلت ارثيه

• بكت لك حتى الماطلات الشواكب • وشقت جيوبا فيك حتى السحايب •
• فكيف بمن دافعت عنه ومن به • احاطت وقد بوعدت عنه المصايب •
• الا فانظروا ادمعي فاكثره دم • ولا تندبوا عني فاني ذاهب •
• وقولوا لمن قد ظل يندب بعده • وفاؤك لو قامت عليك النوايب •
• لعمرك ما في الارض واف بذمة • ايصمت ادريس ومثلي يخاطب •
• دعوت ايا من لا اقوم بشكره • فهل انت لي بعد الدعاء مجاوب •
• ابا سبدا قد حال بيني وبينه • تراب حوت ذكراك منه الترايب •
• لمن اشتكي ان جار بعدك ظالم • علي وان نابت جنابي النوايب •
• لمن نحى عند الامير بمنطق • تخف به حولي المنى والمواهب •

ومنها قبل الختم وهي طويلة

• وقد كنت اختار الترحل قبل ان • يصيبك سهم للمنية صايب •
• ولكن قضاء الله من ذا يرده • فصبرا ابو حنى للزمان المعاتب •

ومنها وهو اخرها

• واني لادري ان في الصبر راحة • اذا لم تكن فيه على منا لب •
• وان لم يؤب من كنت ارجو انتصاره • عليك فلطف الله نحوي ايب •

قال رحمه الله ولما قدمت مصر والقاهرة ادركتني فيهما وحشة واثار لي تذكر ما كنت اعهد بجزيرة الاندلس من المواضع المبهجة التي قطعت بها العيش غضا خصيبا وصحبت الزمان غلاما ولبست الشباب قشيبا فقلت

• هذه مصر فاين المغرب • مذ ناى عني دموعي تسكب •
• فارقته النفس جهلا انما • يعرف الشيء اذا ما يذهب •
• اين حمص اين ايامي بها • بعدها لم الق شيئا يعجب •
• كم بعيش للناس من لذة • حيث للنهر خرير مطرب •
• وحمام الايك تشدو حولنا • والمثاني في ذراها تصخب •
• اي عيش قد قطعناه بها • ذكره من كل نعمى اطيب •
• وكم بالمرج لي من لذة • بعدما ما العيش عندي يعذب •
• والنواعير التي تذكارها • بالنوى عن مهجتي لا تسلب •
• وكم في شنتبوس من منى • قد قضينا ما ولا من يحجب •

حيث ما نيك الشراجيب التي • كم بها من حسن بدر معصب
وغناء كل ذي فغر لـه • سامع غضبا ولا من يغضب
بلدة طابت ورب غافر • ليتني ما زلت فيها اذنب
انني حسن النيل من نزهها • كل نغمات لديه نطرب
كم به من زورق قد حله • قمر ساق وعود يضرب
لذة الناظر والسمع على • شم زهر وكؤوس تشرب
كم ركبنا ما فلم تجمع بينا • ولكم من جامح اذ نركب
طوعنا حيث انجمنا لم نجد • نعبنا بها اذا ما تذهب
فذا ثارت عشيرا بينهم • نترسلك فوق بسط تهب
كلما رشنا لها اجنحة • من قلاع ظلت منها نجب
كطيور لم تجد رتبا لها • فبدا للعين منها مشرب
بل على الخضراء لا انفك من • زفرة في كل حين تلهب
حيث للبحر زاير لها • تبصر الاعضاء منه تهرب
كم قطعنا الليل فيها مشرقا • بحبيب ومدام يسكب
وكان البحر ثوب ازرق • فيه للبدر طراز مذهب
وعلى الجوز حنيني دايما • وعلى شنيل دمعي صيب
حيث سال النهر عضبا وانثنت • فوقه القضب وعى الربرب
وتشفت اعين العشاق من • حور عين بالمواضي تحجب
ملعب للهو مذ فارقته • ما لنا في خولتو ملعب
والى ما لقة يهفو هوى • قلب صب بالنوى لا يقلب
اين ابراج بها قد طالما • حث كاسي في ذراها كوكب
حفت الاشجار عشقا حولنا • تارة تناى وطورا تقترب
جاءنا الريح بها ثم انثنت • انتراما حدرت من ترقب
وعلى مرسية ابكي دما • منزل فيه نعيم معشب
مع شمس طلعت في ناظري • ثم صارت في فؤادي تغرب
مدحها لو انها حاملتي • في ذرى مصر ففكر متعب
اسمعتنا في محالا لينهما • لم تصدق وبحبها من يكذب
وكذا الشيء اذا غاب انتهوا • فيه وصفا في جميل الغيب
ما انا فيها فريد مهمل • وكلامي ولساني معرب
واري الالحاظ تنبو عندما • كتبا لطرس افيه عقرب
واذا احسب في الديوان لم • يدركها بهم ما احسب

وانادي

وانادي مغربيا ليتني • لم اكن للغرب يوما انتسب
نسب يشرك فيه خامل • ونبيه اين منه المهرب
انراني ليس لي جد له • شهرة او ليس يدري لي اب
سوف اثني راجعا لا عربي • نجد ما جربت برق خلب

وقال بقرمونه متشوقا الى غرناطه

اغتني اذا غنى الحمام المطرب • بكاس بها وسواس فكري يذهب
وسل سبيلة حتى اعانق ايكه • والتم تغرا فيه للصب مشرب
ولم ار من جانا ودرا خلافه • بطيب به ورد من الشهد اعذب
تدنيك من غصن تحمله نقى • تطلع اعلاه صباح وغيهب
وجنته جنات عدن وفي لظى • فؤادي وما لي من ذنوب تعذب
ويعذلني العذال فيه وانني • لاعصي عليه من يلوم ويعتب
لقد جهلوا امثل عن حبابي انثني • اذا عنفوا افوا لهم وتالبوا
يقولون لي قد صار ذكرك مخلفا • واصبح كل في هواه يؤنب
وعرضك مبذول وعقلك تايه • وجسمك مسلوب ومالك ينهب
فقلت لهم عرضي وعقلي والحلى • وفخري لا ارضى بها حين يغضب
جنون ابنة الالباب لعازم • بسحر بابات الرقى ليس يذهب
فقالوا الا قد خان عهدك قلت لم • يخن من اذا قربته يتقرب
وكم دونه من صارم ومثقف • فيا من راى بدرا بهذين يحجب
على انه يستسهل الصعب عندما • يزور فلا يجدي حمى وترقب
وكم حيلة تترى على اثر حيلة • وذو الود من يحيا لاو ينسبب
على انه لو خان عهدي لم ازل • له راعيا والرعي للصب اوجب
فاين زمان لم يجني ساعة • به وتتومني في النعيم ارغب
ولا فيه من بخل ولا بي قناعة • كلانا بلذات التواصل معجب
وبادت بيوم لا اقوم بشكره • على انني ما زلت انثني واطنب
على نهر شنيل وللقضب حولنا • منابر ما زالت بها الطير تخطب
وقد درعت منه سنابك فضة • خلال رياض بالاصيل تذهب
شربنا عليها قهوة ذهبية • غدت تشرب الالباب ابان تشرب
كان باسمينا وسط ورد تفتحت • ازاهره ايات في الكاس تسكب
اذا ما شربنا ما لنيل مسرة • تبسم عن درلها فتقطب
انت دونها الاحقاب حتى تخالها • سرابا بافاق الزجاجة يلعب
نعمنا بها واليوم قد رق برده • الى ان رايتا الشمس عنا تغرب

فقالوا الا ما تنوا السراج فكل من • درى قدر ما في الكاس ابدل بعجب •
وقالوا الا تدرون ما في كؤوسكم • فلا كاس الا وهو في الليل كوكب •
كواكب امسكن بين شرب ولم تحل • بان النجوم الزهر تدنو وتغرب •
ظللنا عليها عاكفين وليلنا • نهارا الى ان صاح بالايك مطرب •
فلم ننثن عن دين الصبوح عناننا • الى ان غدا من شمسه الافق يندب •
صرعنا فامسى يحسب السكر قد قضى • علينا وذاك السكر اشهى واعجب •
وكم ليلة في اثر يوم وعذلي • وعذلي من يصغي لقولي حبيب •
فيا ليت ما ولى معاد نعيمه • واي نعيم عند من يتغرب •

قال وقلت باشبيلية ذا الوادي الطلح وهو بشرف اشبيلية ملتف الاشجار كثير مترنم الاطيار وكان المعتمد بن عباد لسرا ما يثنابه مع ركبه واولى انسه ومسرته

سايل بوادي الطلح ريح الصبا • هل سحرت لي في زمان الصبا •
كانت رسولا فيه ما بيننا • لرما من الرسل ولن تكذبا •
يا قاتل الله اناسا اذا • ما استؤمنوا خانوا فما اعجبا •
هلا رعوا انا وثقنا بهم • وما اتخذنا عنهم مذهبا •
يا قاتل الله الذي لم يبت • من غدرهم من بعد ما جربا •
والهم لا يعرف ما طعمه • الا الذي وافي لان يشربا •
دعني من ذكر الوشاة الالى • لما يزل فكري بهم ملهبا •
واذكر بوادي الطلح عهدا لنا • لله ما احلى وما اطيبا •
بجانب العطف وقد ما لنا لاعصان والزهر يبث الصبا •
والطير ما زن بين الحانها • ولبنسا الا معجبا مطربا •
وخانني من لا اسميه من • شح اخاف الدهر ان يصحبا •
فذا انتزع الكاس وجيء بها • وقلت املا بالتي مرحبا •
املا وسهلا بالذي شبته • يا بدر تم مهديا كوكبا •
لكنني اليت اسقي بها • او نود تغزك الاشنبا •
فمج لي في الكاس من ثغره • ما حبب الشرب وما طيبا •
فقال ما لشي نقلا ولا • تشم لا عرفي الا طيبا •
فاقطف بخدي الورد والاس والنسرين لا تحفل بزهر الربا •
اسعفته عضنا غدا مثمرا • ومن جناه مبشه قربا •
قد كنت ذا نهي وذا امرة • حتى تبدى فخلعت الحبا •
ولم اصن عرضي في حبه • ولم اطع فيه الذي انبا •

حتى اذا

حتى اذا ما قال لي كاسه • نرجوه والكوكب ان يغربا •
ارسلت من شعري بحز اله • يبشر المرغب والمطلبا •
وقال عرفه باني ساحتنال فما اجتنب المكتبا •
فزاد في شوقي له وعده • ولم ازل معتقدا مرتقبا •
انتظر في شمس التنبيه من • خوف اخي التنغيص ان يرقبا •
اصدق الوعد وطورا ارى • تكذيبه والحر لن يكذبا •
اني ومن سحره بعقد ما • اياس بطا كاد ان يغضبا •
قبلت في التزب ولم استطع • من حصر اللقيا سوى مرحبا •
سنات رتبي اذ غدا ما له • وقلت يا من لم يضع اشعبا •
بالله مل معتنقا لا نما • فمال كالغصن ثنته الصبا •
نفلت ما نرغب قلنا ابد • اذ ركت اذ كلمتني المرغبا •
فقال لا مذهب عن ذكر ما • ترغبه قلت اذا مرحبا •
فكان ما كان رفو الله ما • ذكرته دهري او اغلبا •

قال وقلت باقتراح الملك الصالح نور الدين صاحب حمص اذ كتب بالذهب على نفافة عنبر قدمها لابن عمه الملك الصالح ملك الديار المصرية

انا لون الشباب والخال الا • لمن قد كسا الزمان شبابا •
ملك العالمين نجل بني ايو • ب لا زال في العالمين مهابا •
جئت ملأى من الثناء عليه • من شكور رجابه والثوابا •
لست ممن له خطاب ولكن • قد كفاني اريج عرفي خطابا •

قال ولما انشد ابو عبد الله بن الابار كاتب ملك افريقية لنفسه

لله دولاب يدور كانه • فلك ولكن ما ارتقاه كوكب •
ما مت به الاحداق لما نادمت • منه الحديقة سافيا لا يشرب •
نصبته فوق النهر ايد قدرت • تزويجه الارواح ساعة ينصب •
فكانه وهو الطليق مقيدا • وكانه وهو الحبيس مسيب •
للماء فيه تصعد وتحدر • كالمزن تستسقي البحار وتسكب •

خلف ابو عبد الله بن ابي الحسين ان يصنع في ذلك شيا فقال

ويحنبه الاصلاب تحنو على الثرى • وتسقي نبات الترب در الترايب •
تعد من الافلاك ان مياهها • نجوم لرجم المحل ذات ذوايب •
واعجبها رقص الغصون ذوايلا • فدارت بامثال السيوف القواضب •
ونخشها والروض ساق وقينه • فما برحا ما بين شاد وشارب •
وما خلتها تشكو بحنانها الصدى • ويرفو وتمنيها اطراد المذانب •

تحذر من محاربها ودمنة لونها • بياض العطايا في سواد المطالب •

ثم كلفت في ان نفوت في ذلك وانا اعتذر بان مدبين لم يترك لي ما افوت

وذات حنين لاتزال المطيقة • تبين وتبكي بالدموع السواكب •

كان لبيفا بان عنها فاصبحت • بمربعه كالصب بعد الحبايب •

اذا ابتسمت فيها الرياض شمائلها • نزعها بامثال السيوف القواضب •

فكم رقصت اعضانها فرنتها • نثارا كما بددت حلى الكواعب •

لقد سخطت منها الثغور وارضت السعود ولم تحفل بتثريب عاتب •

شربت على تحنانها ذهبية • ذخيرة كسرى في العصور الذواهب •

فهاجت الى الكاس ذكر مغاضب • فحاينتها وجدا بذاك المغاضب •

فلا تدع التبريز في كثرة الهوى • فلولاي كانت فيه احدى العجايب •

قال وقلت بغرناطة

باكر اللهو من ساعته • لا يلذ العيش الا بالطرب •

ما نوانى من راى الزهر زها • والصبا تمزح في الروض خبب •

وشراه صانه حتى اغتدى • بين ايدي الريح عصبا ينتهب •

يا نسيما عطل الارجاء مثل • بعثوا ضمنك ما يشفي الكرب •

ثم اعلوه ومم يشفوا قد • لا شفاه الله غير ذاك الوصب •

خلع الروض عليه زهره • حين وافى من ذراكم فغصب •

فابى الا شذاه فانثنى • حاملا من عرفه ما قد غصب •

لست ذا انكر ولا يشبهكم • من بعثتم غير ذا منه العجب •

غالب الاغصان في ميدانه • ثم لما زاد اعطته الغلب •

فبكى الطل عليها رحمة • او بكى من وعظ طير قد خطب •

كل ما قد دعاني للتي • ملكت رقي على مر الحقب •

فهو ان تبسم من عجب لها • عند ما تبسم عجبا عن حبب •

حاكت الخمر فلما شعشعت • قلت ما الخمر بالماء التهب •

وبدت من كاسها لي فضة • مثلتنا اذ جمدت ذوب الذهب •

سقنيها من يدي مشبهها • بالذي يحويه طرف وشنب •

لا جعلت الدهر نفلي غيرها • لذ لي من ريق ثغر كالضرب •

لا جعلت الدهر ريحاني سوى • ما تحدثه من الورد انتخب •

لم ازل اقطع دهري هكذا • وكذا اقطع منه ما ترتقب •

حبذا عيش قطعناه لذا • معطف الحابور ما فيه نصب •

مع من لم يدر يوما ما الجفا • من اراح الصب فيه من تعب •

كلما يصدر منه حسن • لم يزدني في الهوى غير الغضب •

اي عيش سمح الدهر به • كل نعمى ذهبت لما ذهب •

قال ودخلت بتونس مع ابي العباس الغساني حماما فنظرنا الى غلمان في نهاية الحسن ونعمة الابدان فقلت مخاطبا له

دخلت حماما وقصدي به • تنعيم جسم فغدا في عذاب •

قلت لطرفي فاعترض نحوه • وقلت عدت فيهما في التهاب •

وانت في الفضل امام فكن • في الحكم ممن حاز فضل الخطاب •

فقال

لا نامن الحمام في فعله • فليس ما يابيه عند صواب •

فما ارى اخدع منه ولا • اكذب الا ان يكون السراب •

يبدي لك العبد كحور الدمي • ويلبس الشيخ برود الشباب •

طنب النار فلا جنة • للحسن الا ما حوته الثياب •

ومن فوايده اعني ابن سعيد رحمه الله في كتابه المحلى بالاشعار نقلا عن القرطبي قضية بناء الهودج بروضة مصر وهو من متنزهات الخلفا الفاطميين العظيمة العجيبة البنا البديعة وذلك انه يقال ان الباني له الخليفة الامر باحكام الله للبدوية التي غلب عليه حبها بجوار البستان المختار وكان يتردد اليه كثيرا وقتل وهو متوجه اليه وما زال متنزها للخلفاء من بعده وقد اكثر الناس من حديث البدوية وابن مياح من بني عمها وما يتعلق بذلك من ذكر الامر حتى صارت رواياتهم في هذا الشان كحديث البطال والقبيلة وليلة وما اشبه ذلك والاختصار منه انه يقال ان الامر قد كان بلي بعشق الجواري العربيات وصارت له عيون في البوادي فبلغه ان بالصعيد جارية من اكمل العرب واظرفهم شاعرة جميلة فيقال انه تزيا بزي العرب بداة الاعراب وصار يجول في الاحيا الى ان انتهى الى حيها وبات هناك فاتلك صبرها ورجع الى مقر ملكه وارسل الى اهلها يخطبها وتزوجها فلما وصلت اليه صعب عليها مفارقة ما اعتادت واحبت ان تسرح طرفها الى الفضا ولا تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البنا المشهور في جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج وكان غريب الشكل على شط النيل وبقيت معلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه يعرف بابن مياح فكتبت اليه

من قصر الامر

يا ابن مياح اليك المشتكي • مالك من بعدكم قد ملكا •

كنت في حيي طليقا امرا • نايلا ما شئت منكم مدركا •

فانا الان بقصر موصد • لا ارى الا حبيسا ممسكا •

كم تثنّينا كاغصان اللوى • حيث لا نخشى علينا دركا •

فاجابها بقوله

بنت عمّي والذي عذبتها • بالهوى حتى علا واحتبكا •
بحت بالشكوى وعندي ضعفها • لو غدى ينفع منّا المشتكى •
ما لك الامر اليه يشتكي • ما لك وهو الذي قد اهلكا •

قال وللناس في طلب ابن مياح واختفايه اخبار تطول وكان من عرب طي في عصر الامير طراد بن مهلهل فقال وقد بلغته هذه الابيات

الا ابلغوا الامير المصطفى • مقال طراد ونعم المقال •
قطعت الا بيقين عن الفتى • بها سمر الحي حول الرجال •
كذا كان اباوه الاكرمون • سالت فقل لي جواب السوال •

فقال الخليفة الامير لما بلغه الابيات جواب سوال له قطع لسانه على فضوله فطلب في احيا العرب فلم يوجد فقيل ما اخسر صفقة طراد باع عدة ابيات بثلاثة ابيات وكان بالاسكندرية مكين الدولة ابو طالب احمد بن عبد المجيد بن احمد بن الحسن ابن حديد له مروة عظيمة ويحتذى افعال البرامكة وللشعرا فيه امداح كثيرة مدحه ظافر الحداد وامية ابو الصلت وغيرهما وكان له بستان يتفرج فيه به جرن كبير من رخام وهو قطعة واحدة بنحو رفيه الما فيبقى كالبركة من كبره وكان يجد في نفسه برويته زيادة على اهل التنعم والمباهات في عصره فوشى به للبدوية محبوبة الامر فسالت الامر في حمل الجرن اليها فارسل الى ابن حديد في احضار الجرن فاخذ يخدم الرسول ولم يجد بدا من حمله الى البستان فلما صار الى الامر امر بعمله في الهودج فقلق ابن حديد وصار في قلبه حرارة من اخذ الجرن فاخذ يخدم البدوية وجميع من يلوذ بها بانواع الخدم العظيمة الخارجة عن الحد في الكثرة حتى يقدر عليه عند الخليفة مولانا فلما قبل له عنها هذا القول قال ما لي حاجة بعد الدعا لله بحفظ مكانها وطول حياتها في عز غير رد السقية التي قلعت من داري التي بنيتها في ايامهم من نعمتهم ترد الى مكانها فتعجب من ذلك وردتها عليه فقيل له حصلت في حد ان حضرتك البدوية في جميع المطالب فنزلت همتك الى قطعة حجر فقال انا اعرف بنفسي ما كان لها امل سوى ان لا تغلب في اخذ ذلك الحجر من مكانه وقد بلغها الله املها وكان هذا المكين متولي قضا اسكندرية ونظرها في ايام الامر وبلغ من علو همته وعظيم مروته ان سلطان الملوك حيدرة اخا الوزير المامون بن البطايحي لما قلده الامر ولاية ثغر الاسكندرية سنة ١٧ه واضاف اليها الاعمال البحرية ووصل الى الثغر وصف له الطبيب دهن الشمع بحضرة القاضي المذكور فامر في الحال بعض غلمانه بالمضي الى داره لاحضار دهن الشمع فما كان اكثر من مسافة الطريق الا وقد احضر حقا مختوما فك عنه

توجد فيه

توجد فيه منديلا لطيفا مذهبا على مدا فٍ بلور فيه ثلاثة بيوت كل بيت عليه قبة ذهب مشبكة مرصعة بياقوت وجوهر بيت دهن مسك وبيت دهن كافور وبيت دهن بعنبر طيب ولم يكن فيه شي مصنوع لوقته فعندما احضره الرسول تعجب الموتمن والحاضرون من علو همته فعندما شاهد القاضي ذلك بالغ في شكر انعامه وحلف بالحرام ان عاد الى ملكه وكان جواب الموتمن قد قبلته منك لا لحاجة اليه ولا نظر في قيمته بل لاظهار هذه الهمة واذاعتها وذكرت قيمة هذا المذاق وما عليه خمسماية دينار فانظر رحمك الله الى من يكون دهن الشمع عنده في انا قيمته خمسماية دينار ودهن الشمع لا يكاد اكثر الناس يحتاج اليه فماذا تكون ثيابه وحلي نسايه وفرش داره وغير ذلك من التجملات وهذا انما هو حال قاضي الاسكندرية بالنسبة الى اعيان الدولة وان عظمت احوالهم الى امر الخلافة واهمتها الا يسير حقير وما زال الخليفة الامر يتردد الى الهودج المذكور الى ان ركب يوم الثلاث رابع القعدة سنة ٥٢٤ه يريد الهودج وقد كمن له عدة من النزارية عند راس الجسر من ناحية الروضة فوثبوا عليه واثخنوه بالجراحة وحمل في العشاري الى اللولوة فمات بها وقيل قبل ان يصل اليها وقد خرب هذا الهودج وجهل مكانه من الروضة ولله عاقبة الامور انتهى ذلك كلام الحافظ المقريزي رحمه الله قال النور بن سعيد ومن خطه نقلت لما نزلنا بتلعفر حين خرجنا من سنجار الى الموصل سالت احد شيوخنا عن والد شهاب الدين التلعفري فقال انا ادركته وكان كثير التحول **وانشدني لنفسه** في عبيد ادركه في غير بلده

ببهجة الناس اذا عبدوا • وعند سرّ امهم اذا الكمد •
لاني ابصر احبابهم • ومقلتي تجنو بها نفتقد •

قال وخرج ابنه الشهاب اجول منه شخصا وشعرا وصدق فيما قال **وانشد ابن سعيد للشهاب التلعفري**

لك ثغر كلولو في عقيق • وَرضاب كالشهد او كالرحيق •
وجفون لم ينتشق سيفها الا المغرى بقدك الممشوق •
تهت عجبا بكل فن من الحسن جليل وكل معنى دقيق •
وتفردت بالجمال الذي خلاك مستوحشا بغير رفيق •
باللحاظ التي بها لم ترن لنا • شق قلبي وبالقوام الرشيق •
لا تغر بالعوتراد تثنى • فيه اعطاف كل غصن وريق •
واتق محمر ورد خديك واتئد • والا ينشق قلب الشقيق •

قال ابن سعيد وحظي الشهاب التلعفري بمنادمة الملوك وكونهم يقدمونه ويقبلون على شعره ويهتدي به لا ينشد احد قبله في مجلس الملك الناصر على كثرة الشعرا

وكثرة من يعتني بهم **ولما جمعت** للملك الناصر كتاب ملوك الشعر جعلت
ملك شعر الشهاب البيت الرابع من المقطوعة المتقدمة فانه كان كثيرا ما ينشده
ويتنوه به والتنشي من ذكر الشهاب ومحاسن شعره له مكان بكتاب الغرة الطالعة
في فضلاء المائة السابعة ومنها الان عند الملك المنصور صاحب حماة وقد علت
سنه وما فارقه غرامه ودنه انتهى ولما اجرى ابن سعيد في بعض مصنفاته ذكر
الملك العادل بن ايوب قال ما نصه وكان من اعظم السلاطين دهاء وحزما وكان
يضرب به المثل في افساد القلوب على اعدائه واصلاحها له **ويحكى** انه بشره
شخص بان اميرا من امراء الافضل بن صلاح الدين قد شد عليه فاعطاه مالا جزيلا
وارسل مستخفيا الى المذكور من يزيده بصيرة في الانحراف عن الافضل وبعد بما يفسد
الصالح فكيف الفاسد قال وكان يمنع حتى يوصف بالبخل ويجود في مواضع الجود
حتى يوصف بالسماح وكان صلاح الدين وهو السلطان يأخذ برأيه وقدم له احد
المصنفين كتابا مصورا في مكايد الحروب ومنازلة المدن وهو [illegible]
للفرنج فقال ما يحتاج الى هذا الكتاب ومعنا اخونا ابو بكر وكان كثير المداراة والحزم
ومن **حكاياته** في ذلك ان احد الاشياخ من خواصه قال له يوما وهو على سماط
يأكل يا خوند ما وفيت شيء ولا رعيت ما تؤخذ مني وكله بذا الذي السن وقدم
الصحن قبل الملك فقال لهما ليكه انظروا وسطه تحسبوا الكرات وقال لخذوا القرص
التي فيه توجد واصرة فقال لا تتخوهما فتخوهما فاذا فيها دور فقال العادل كل
من هذا الدرور فتوقف وعلم انه مطلع على انه سم فقال كيف تشتهي الى قلة الوفا
وانا منذ سنين اعلم انك تريد ان تسمني بهذا السم وقد جعل لك الملك الفلاني
على ذلك عشرة الاف دينار فلا انا امسكتك من نعمتي ولا اشعرتك لئلا يكون في ذلك
ما لا اخفاه وتركتك على حالك وانا مع هذا لا اغير عليك نعمة ثم قال ردوا اسمه الى
كرانة لا ابقى الله علي ان اقدر وابقي على فجعل يقبل الارض ويقول هكذا والله كان وانا
تائب لله ثم ان الشيخ جدد توبة واستأنف ادبا اخر وخدمة اخرى وكانت هذه الفعلة
من احدى عجائب العادل قال وكان كثير المصانعات حتى انه يصوغ الحلي الذي يصلح
للنساء الفرنج ويوجهه في الخفية اليهن حتى يمسكن ازواجهن عن الحركة وله في ذلك
مع ملوك الاسلام ما يطول ذكره ولما خرج ابن اخيه المعز اسماعيل بن طغتكين
باليمن وخطب لنفسه بالخلافة وكتب اليه ان يبايعه ويخطب له في بلاده كان في
الجماعة من اشار الى النظر في توجيه عسكر له في البر والبحر انفة والمال قبل
ان يتفاقم امره فضحك وقال من يكون عقله هذا العقل لا يحوج خصمه الى كبير مؤنة
انا اعرف كيف افسد عليه حاله في بلاده فضلا عن ان يطرق فساده لبلادي ثم انه
وجه في السر لاصحاب دولته بالوعد والوعيد وقال لهم انتم تعلمون بعقولكم ان

هذا

هذا لا يسوغ لي ان يكيف له وقد ادخل نفسه في امر لا يخرج منه الا بهلاكه فاحذروا
ان تهلكوا معه وتخطوا بالابنة ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لهذا
عقل يدبر به نفسه فكيف يفضل عن تدبير خاصته اليكم وليعلمن منا ما تجدونه حين
فعندما وعت اسماعهم هذا وتدبروه بعقولهم فتضوا عليه وقتلوه وعادت
البلاد للعادل وقال للمشيرين عليه في اول الامر بتجهيز العسكر قد كفينا
المؤونة بايسر شيء من المال ولو طاوعناكم بما اشرتم به لم تفرغ خزائن ملكنا
بالبلوغ الى غايته **وكان** على ما بلغه من عظمة السلطان واتساع الممالك
يحكي ما جرى له في زمان خلوه من ذلك ويحب الاستماع بنوادر ارذال العالم واشهر
في خدمته مساخرا اشهرهم حضير صاحب البستان المشهور عند الربوة بغوطة
دمشق **ومن** نوادره الجارية معه انه سمعه يوما وهو يقول في وضوئه اللهم
حاسبني حسابا يسيرا ولا تحاسبني حسابا عسيرا اذا قال ذلك ابن امة الا الحلو التي
اخذتها قال له نراها بامانتها في الكرك وكان قد صنع بهذا المعقل الحسرات
سميت بذلك لان من رآها يتحسر اذا نظرها ولا يستطيع على شيء منها بحيلة وهي
خوابي مفرغة من ذهب وفضة تركت بمرأى من الناظرين ليشتهر ذلك في الافاق
وقال العادل مرة وقد جرى ذكر البرامكة وانما لهم مما ذكر في كتاب المستجاد في حكايات
الاجواد انما هو كذب مختلق من الوراقين والمؤرخين يقصدون بذلك ان يحركوا
الملوك والاكابر للسخا وتبذير الاموال فقال له حضير يا خوند ولاي شي ما يكون عليك
قال ابن سعيد من وقف على حكايات ابي العيناء مع عبيد الله بن سليمان يجد مثل
هذه الحكاية قال ابن سعيد ووجدت الشهاب القوصي قد ذكر السلطان
العادل في كتاب المعاجم وابتداء الكتاب المذكور بمحاسنه والثناء عليه وخرج عنه
الحديث النبوي عن الحافظ السلفي **وتمثل فيه عند وفاته**

الا ام على بكائي خير ملك • وقل له بكائي بالنجيع
به كان الشباب جميع عمري • ودهري كله زمن الربيع
ففرق بيننا زمن خؤون • له شغف بتفريق الجميع

قال ابن سعيد ودفن العادل بمدرسة العادلية بدمشق وكان انشاها
للشافعية وهي في نهاية الحسن وبها خزانة كتب فيها تاريخ ابن عساكر وذيل هذا
التاريخ ومختصره ابو شامة سمعت عليه منه هنالك ما تيسر ايام اقامتي
بدمشق واولاد العادل ملوك البلاد في صدر هذه المائة السابعة منهم الكامل
والمعظم والاشرف وهؤلاء الثلاثة شهروا بالفضل وحب الفضلاء وقول
الشعر انتهى **وقال** ابن سعيد في ترجمة الرئيس صفي الدين احمد بن سعيد
المرغاني وهو من بيت وزارة ورياسة بدمشق **من شعره قوله**

كيف طابت نفوسكم بفراقي • وفراق الاحباب مر المذاق •
لو علمتم بلوعتي وصبابا • تي ووجدي وزفرتي واحتراقي •
لرثيتم للمستهام المعنى • ووفيتم بالعهد والميثاق •

قال ابن سعيد وقفت على ذكر هذا الرئيس في كتاب تاج المعاجم
ووجدت صاحبه الشهاب القوصي قد قال اخبرني بدمشق انه قد كان عزم
على السفر منها الى مصر لامر صادف به صدره فهتف به هاتف **وانشده**

يا احمد اقنع بالذي اعطيته • ان كنت لا ترضى لنفسك ذلها •
ودع التكاثر في الغنى لمعاشر • اضحوا على جمع الدراهم ذولها •
واعلم بان الله جل جلاله • لم يخلق الدنيا لاجلك كلها •

فانثنى عزمه عن الحركة ثم بلغ ما امله دون سفر وقال ابن سعيد في ترجمة المنتجب
احمد بن عبد الكريم الدمشقي المعروف بابن قنترخوان وهو الذي يقرا الدفاتر بين
ايدي الملوك والاكابر انه كان يقرا الدفاتر بين يدي العادل ابن ايوب وكان
يكتب له بالاشعار في المواسم والفصول فمنها لما تجرّه **وكتب له مرة**
وقد اطل الشتا في دمشق

مولاي جاء الشتا • والكيس منها خلاء •
وكل كاف البيه • يحتاج فيه الشواء •
لا زال يجري بما • ترضى علاك القضاء •

فقال له العادل هذا الضمير الذي في البيت الاول على ما ذا يعود
قال يحسب مكارم السلطان ان شيت على الدراهم وان شيت على الدنانير
فضحك وقال هات كيسك فاخرج له كيسا يسع قدر مايتي دينار فملاه وقال
اظنه كان معدا عندك فقال مثل السلطان من يكون جوده مظنونا

وكتب اليه مرة وقد املق

انظر الي بعين جودك مرة • فلعل محروم المطالب يرزق •
طير الرجا بعلى علاك محلق • واظنه سيعود وهو محلق •

فاعطاه جملة دنانير وقال له استر بهذه ما تحلق به طير رجايك انتهى ه
وانشد ابن سعيد رحمه الله لبعض المغاربة وهو ابو الحسن علي بن مروان
الرباطي الكاتب

انس اخي الفضل كتاب ابيق • وصاحب يعني بود وثيق •
فان تقم دون رهن به • تخسره او تخسر ود الصديق •
وربما تخسر هذا و ذا • فاسمع رعاك الله نصح الشفيق •

قال واجابه المخاطب بهذه الابيات وهو ابن الربيب بنثر نصه مثلك

بفيد بتجربة قد نفق عليها عمره • وضل عن فوايد ما عن عمره • وقد انفذت رهنا لا يسمح
باخراجه من اليد الا اليد مثلك • فتفضل بتوجيه الجزء الاول فاني اعلم انه عندك
ولدك • قال فوجهه ومعه بطاقة صغيرة فيها يا اخي ان عرضت بولدي فقد لدك
كنت مع والدي وقد توارثنا العقوق كابرا عن كابر • فكن شاكرا فاني صابر • ثم
قال ابن سعيد وتفا ثم مر ولده فقيده بقيد حديد **وقال فيه**

لي ولد يا ليته • لم يك عندي يخلق •
يجهد في كل الذي • يرغم وهو يعشق •
واذا كن قيدته • دمعي عليه مطلق •

وذكر ابن سعيد ان الكاتب ابا الحسن المذكور كان كثيرا ما يستعير الكتب فاذا
طلبت منه فكانها ما كانت فذكر لبعض اصحابه وهو ابن الربيب المورخ ان عنده
نسخة جليلة من تاريخ عريب الذي يختصر فيه تاريخ الطبري واستدرك عليه ما هو
من شرطه وذيل ما حدث بعده فارسل اليه في استعارتها فكتب اليه يا اخي
سدد الله اراك • وجعل عقلك امامك لا وراك • ما يلزمني من كونك مضيعا
ان اكون كذلك والنسخة التي رمت اعارتها هي موبسي اذا وحشني الناس وكاتم
سري اذا خانوني فما اعيرها الا بشي اعلم انك تنادي بفقده اذا فقدته من النسخ
وانا الذي اقول انس اخي الفضل كتاب ابيق الى اخر الابيات **وانشد**
الكاتب ابو الحسن المذكور

اذ ذاك لعذار قام بعذري • وفشى فيه للعواذل سري •
ما رايناه من قبل ذلك مسكا • صاغ منه الاله ما لا يدري •
اي آس من حول جنته ورد • ليس منه اس مدى الدهر يبرى •

ولما اشتد مرضه بين تلمسان وفاس قال هذه الابيات واوصى ان تكتب على قبره

الا رحم الله حبا دعى • لميت قضى بالفلا نحبه •
تمر الشواني على قبره • فتهدي لاحبابه تربه •
وليس له عمل يرتجى • ولكنه يرتجي ربه • انتهى

رجع الى نظم ابن سعيد المترجم به فنقول وقال لما سار المعظم
من حصن بشاوة الزامرة الى الملك ثم القتل والهلك

لبيت المعظم لم يسر من حصنه • يوما ولا وافى الى املاكهم •
ان العناصر اذ رايته مكملا • حسدته فاجتمعن على اهلاكه •

ومما نقلت من ديوانه الذي رتبه على حروف المعجم قوله رحمه الله وقلت بالتقاء
على لسان من كلفني ذلك

شرف الدين ابن ابي ما الشيب • في انقلاب الدهر لي عند الغضب •

فلذم غصنا ان اظفر بالمنا • ليبسر لي في غير مذا من ارب
انما ظهرك عندي قبلة • ووضوئي الدمع من داء الشيب
واستغفر الله من قول الكذب قال وقلت باشبيلية
قد جاء نصر الله والفتح • والصبح لما رضيت صبح
فهنئوني بارتجاع المنى • لولا الرضى ما برح البرح
يا اورقا يا غصنا يانقى • يا ظبية الليل يا صبح
يصحو جميع الناس من سكرهم • ولست من سكركم اصحو
بلغت فيه غاية لم يبن • غايتها التفسير والشرح
ويبصح العذال من لي بان • يجدلني عن غيك النصح

وقلت باشبيلية
وضح الصبح فابن القدح • يعرف اللذات من يصطبح
ما ترى الليل كطرف ادهم • وضياء الفجر فيه وضح
والثرى دبجه در الندا • وعلى الاغصان منه وشح
ومدير الخمر لم يخل المنى • كلما ياتي به مقترح
في بطاح المرح قد نادمني • ورشا من سكره ينبطح
جعل المسواك ستر اللمى • فكان قبل فاه فمزح
كلما شبت الذي قد شاه • نحسني كاسه افتتح
ما ابالي ان راني كاشح • ام راني من لدته نصح
هكذا العيش ودع عيش الذي • خاف من فقد اذا يفتضح

وقلت بشريش
طاب الزمان لمعشر • سلبوا المروة فاستراحوا
لا يعرفون تسترا • السكر عندهم صباح
متهتكون لدى المنا • وفسادهم فيها صلاح
سا فيهم متبذل • ثمل يمنع الماء القراح
غصن يميل مع الصبا • نزدنه طوع الراح راح
طوع الاماني كلما • يأتي به فهو اقتراح
ما ان نبالي ان بدا • ان لا يلوح لنا الصباح
ما زلت ارشف ثغره • وعليه من عضدي وشاح
والقلب يهفو طائرا • ولعا ولا يخشى افتضاح
ولو اننا نخشاه كا • ن لنا من الظلما جناح
لا ينكرون سوى تقبيل • لا يميل به مزاح

لكننا

لكننا في عصبة • ما في تنسكهم جناح
افنى الذي قد جمعوا • لك الكاس والقدح الملاح

وقلت باركش
قم بنا مهما لاح الصباح • ما العيش الا الاصطباح
مع فتية ما ذا بهم • الا المروة والسماح
جربتهم فوجدتهم • ما للمنى عنهم براح
يثنيهم نحو الصبا • نغم المثاني والمراح
ما نادموا شخصا فكا • ن لهم بخدمته استراح
بل يعرفون مكانه • قله اذا شاء اقتراح
هم يتحبون رضيفهم • ما دام عندهم براح
ما ان يملون النزيل • وبالرضى منه السراح
يدعونه باجل ما • يدعى به الحر الصراح
حتى اذا ما بان كد • رعبتهم منه انتزاح
فعلى منا لهم يناح • اي المدامع والنواح
كرما فقدتهم فما • لي بعد بعدهم ارتياح
لله شوقي اذ هفت • من نحو ارضهم الرياح
فهناك قلبي طائر • لهم ومن شوقي جناح

قال وقلت بمدينة ابن السليم في وصف كلب صيد اسود في عنقه بياض
واد هم دون حلي طل حالي • كانه ليل يفله صباح
يطير وما له ريش ولكن • متى يهفو فاربعه جناح
يكل الطير مهما نازعته • ويحسده اذا امرقا الرياح
له الالحاظ منها جاء ملك • ومهما نار فيه له وشاح

وقلت بنيل مصر
يا نيل مصر بن حمص ونهرها • حيث المنازل الجم تلتاح
في كل شط للنواظر مسرح • تدعو اليه منازه وبطاح
واذا سبحت فلست تلح جانبا • ما فيه نيار ولا تمساح

قال وقلت وقد حضرت مع اخوان لي بموضع يعرف بالسلطانية على نهر اشبيلية وقد مالت الشمس للغروب
رق الاصيل فواصل الاقداح • واشرب الى وقت الصباح صباحا
وانظر لشمس الافق طائرة وقد • الفت على صفح الخليج جناحا
فاظفر بصفو الافق قبل غروبها • واستنطق المثنى وحث الراحا

منع جفونك في الحديقة قبلات • بكسوا الظلام جما لها اماحا •

وقلت بمرثية

اقلعه وجده فباحا • وزاد بتريحه فناحا • ورام يثني الدموع لما •
جرت فزادت له جماحا • يا من جفا فارفقن عليه • مستعبد الابرى لسراحا •
وكا بدا الموت كل حين • لوانه مات لاستراحا • يبز واذا ما الرياح هبت •
كانه تعيشق الرياحا • تسالها عن روح حمص • لما تماعرفها وفاحا •
كم قد تبكى الحمام كيما • يعيره نحو ما جناحا •

قال وخرجت مرة مع ابي اسحاق ابراهيم بن سهل الاسرائيلي الى مرج الفضة بنهر اشبيلية فتشاركنا في هذا الشعر **وهو**

غير مميل الى كلام اللاحي • وبمدير احمد لغيرا الراح •
لاسيما والغصن يزهو زهوه • ويميل عطف الشارب المرتاح •
وقد استطار القلب ساجع ايكة • من كل ما اشكوا لبيس بصاح •
ندبا نعته جناحه مجيبا له • من جانح للعجز حلف جناح •
بين الرياض وقد غدا في ماتم • وتخاله قد ظل في افراح •
الغصن يمسح نحنه والنهر في • فصف ترجيبه بد الارواح •
وكانما الانسام فوق جنانه • اعلام خز فوق سمر رماح •
لاغرو ان قامت عليه اسطرا • لما رانه مدرعا لكفاح •
واذا تتابع موجه اذ فاعه • ما لتغليه فطل حلف صباح •

قال وقلت عالقة مشوقا الى الجزيرة الخضرا

يا نسيما من نحو تلك النواحي • كيف يا الله نور تلك البطاح •
اسقتها الغمام ريا فلاحت • في رداء ومبرزد وشاح •
ام جفته فصيرته هشيما • تركته تذروه هوج الرياح •
يا زماني بالجاجبية اسبى • لست عن سكر ما سقيت بصاح •
اه مما لقيت بعدك من هم • وشوق وغربة وانتزاح •
ابن قومي الفقهم فبك لما • قربتا لدمى اذنوى بالتواح •
تركوني اسير وجد وشوق • ما لقلبي من الجوى من سراح •
اسلموني للوجد حتى تولوا • واصاخوا لظلما لقول اللواحي •
اعرضوا ثم عرضوا لي لشوق • ترك القلب مثخنا بجراح •
اسهر الليل لست اصغي لنصح • اترك النوم ذاهبا بالصباح •
قد بدا بظهر النجوم حليا • وهو من لبسة الصبا في براح •
مسبلا ستره منعم بال • وجفوني من سهده في كفاح •

ايها

ايها الليل لا تزول حلولا • عن قريب بمحو ظلامك ماحي •
فبلوح الصباح مشرق نور • فيه للمستهام بدو نجاح •
ان يوم الفراق قد دس لي • طاير لبينه بغير جناح •
حالك اللون شبه لونك فاعرف • عن عيانى يا شبه طيز النراح •
واذا ما بدا الصباح فما يشبه • لالا لون الخدود والملاح •

وقلت بالجزيرة الخضرا

قد رفعت راية الصباح • تدعوا الندامى للاصطباح •
فبادروا للصبوح اني • قد بعت في غيه صلاحي •
ولا تميلوا عن رشف ثغر • وسمع شدو وشرب راح •
وانت يا من يروم نصحي • قد يبين الغوم من فلاحي •
ولست اصغي الى نصيح • ما نمصنت بالكوس راحي •

قال وقلت امدح ملك افريقية وامتنبه بقتل ثابر من رنا ته يدعي انه من نسل يعقوب المنصور

برح بي من ليس عنه براح • ومن راى قتلي حلالا مباح •
من صرح القلب بحبي له • وما لقلبي عن هواه سراح •
ظبي عدمت الصبح مذ صد بي • وكيف لا يعدم وهو الصباح •
مورد الخد شهي اللما • منعم الردف جديب الوشاح •
تظنه من قلبه جلمدا • ومنه للماء بجفني انسياح •
لرد فه اضعف من صبه • ولم ازل من لحظه في كفاح •
نشوان من ريقته عربدت • اجفانه بالمرهفات الصفاح •
فها انبني خافيه مثلما • انا اسير مثخن بالجراح •
يا قاتلي صدا اما تستحي • ان تلزم البخل بارض السماح •
من ذا الذي يبخل في تونس • والملح فيها صار رغدا قراح •
واصبحت ارجاؤها جنة • مبيضة الارباع خضر البطاح •
لولا ندا يحيى وتدبيره • ما برحت تغير منها النواح •
يكن يداه سحب كلما • حلت بارض حل فيها النجاح •
هذا وقد امن من حلها • وحقها من غربة وانتزاح •
كم شتتوا من قبل تامبره • وحكمت فيه عوالى الرماح •
يا سابر ايرجو بلوغ المنى • يا كنز ذري يحيى وقل لا براح •
وحيه بالمدح فهو الذي • يهتز كالسمهري حين امتداح •
بالشرق والغرب غدا ذكره • يحث من حمد وشكر جناح •
ساعده السعد واضحى له • الامال لا تجري بغير اقتراح •

وبشر الله له ملكه • من غير ان يشهر فيه السلاح
وكل من كان على غيره • ذا منعة امسى به مستباح
كم من جموح عندما قام بالا • مر راى الفهر فخلى الجماح
كيف يكف الندا والردا • بهما مخاث وتمى خرس فصاح
حتى لعذا احسن من سعده • تجرى على ما تصبيه الرياح
قولوا لبيعقوب لما ذا جنى • وابن ابي حمزة ماذا استباح
فذا صحا من فوق جذع بلا • يونسهم غير هبوب الرياح
واسالوا عن الداعي الذي • حاول امرا كان عنه الصراح
الكان من صبره والردا • بزعمه امل فيه فلاح
شكرا السعد لمن بدع فرقة • قد صير الملك كضرب القداح
رامو بلا ماء ولا محتد • ما حزت بالحق فكان افتضاح
زمانه يهنيكم فعلكم • عاجلكم تابوكم باجتياح
كفر ما قدمتم اخر • والخير لمن يترح للسرماح
عهدي به في موكب الملك ما • بينكم نشوان من غير راح
يحسب ان الارض ملك له • وروحه ملك لسمر الرماح
غدا لغز الملك لكنه • امتون حملوك على الارض راح
جاوبه يمرح في عزه • ولم ازل واعنه ذاك المراح
توقعوا في القرب منه الردا • من صحبة الاجرب يجلي الصحاح
فاشرعوا اخوك يبغون ما • دعوتهم من عطفة والنجاح
فغادروه جانيا عذره • لطائر البير عليه نباح
فالحمد لله على كل ما • سنى لك السعد برغم اللواح
مثلك لا يبعد ما شاءه • فلست تاني الدهر والاصطلاح
لا زلت في عز وفي مكنة • وفي سرور دايم وانفساح

قال وقلت ببليونش موضع الفرجة بسبتة

اشرب على بليونش • بين السواني والبطاح
مع فتية مثل النجو • م لهم اذا مروا جماح
سافنهم متبذل • لا يمنع الماء القراح
كل يمد يمينه • ما في الذي يا في جناح
صبوا عليه كلما • ياتي به فهو اقتراح
عانقته حتى تركت • بخصره اثر الوشاح

وقلت باشبيلية

اوجد صبح ام الصباح • ولحظها ام ظبى الصفاح
وثغرها ام نظيم در • وريقها ام سلاف راح
وقدها ام قوام غصن • وعرفها ام شذى البطاح
يا حبذا زورة تانت • منها على غفلة اللواحي
فلم اصدق بها سرورا • وظلت نشوان راح
اما منعت السلام دهرا • ولا رسول سوى الرياح
قالت لا فانس ما تقضى • فمن بديع ما مضى استراح
يا حبذا ما وقد تانت • من دون وعد ولا اقتراح
زارت ومن نورها دليل • والليل قد اسبل الجناح
اخفت سرا لما فباح نشر • لها بعرف نشا وفاح
وافت فامسى فمي مراما • وساعداي لها وشاح
كانها بت بين روض • والغصن والورد والاقاح
فبينما الشمل في انتظام • اذ سمعت داعي الفلاح
فغادرتني فقلت عذرا • قالت اما تحذر افتضاح
ولت وما خلت من صباح • يبدو على اثره صباح

قال وقلت بتونس

لا مرحبا بالبين لما بدا • يسحب من ليل عليه الوشاح
ممزق الجلباب يحكي صحا • مما ترجى عليها جراح
وان تصحفه فلا حبذا • ما قد الى تصحيفه بانتزاح

وقلت بالجزيرة الخضرا وقد كلفت ذلك

غرامي باقوال العدا كيف ينسخ • وعهدي وقد احكمته كيف ينسخ
كلامكم لا يدخل السمع نصحه • ولكن اذا حرضتم فهو يرسخ
ولي بدر تم قد ذللت لحسنه • فمن ذا الذي فيما اتيت يوبخ
اذا خاصموني في هواه خصمتهم • ويبغون تنقيصي بذاك فاشمخ
اراني فضلا على كل عاشق • فقصتنا في الدهر مما يورخ
فما بشر مثل له في جماله • ووجدي به في العشق ليس له اخ

وقلت بالاسكندرية وقد تعذر على الحج عند وصولي اليها ٩٣٩ سنة

قرب المزار ولا زمان يسعد • كم ذا القرب لما اراه يبعد
وارحمة لمتيم ذي غربة • ومع التغرب فاته ما يقصد
قد سار من اقصى المغارب قاصدا • من لم فيه مسيره اذ يجهد
فلكم بحار من قفار جبتها • يلقى بها الصمصام داعر يرعد

كابدتها عزما وروما لينثني • اذ جزت صعب صراطها الاطرد •
يا سايرين ليثرب بلغتم • قد عاقني عنها الزمان الانكد •
اعلمتم انطويت دون محلها • نفسا وما انا اذ نأت في مقعد •
يا عادلي فيما اكابد قلتني • ما ابتغيه صبابة وتنهد •
لم تلق ما لاقيته فعذلتني • لا يعذر المشتاق الا مكمد •
لو كنت تعلم ما اروم دنوه • ما كنت في هذا الملام تفند •
لا طاب عيشي او احل بطيبة • افوز به خير الانام محمد •
صلى عليه من براه خيرة • من خلقه فهو الحبيب المفرد •
يا ليتني بلغت لثم ترابه • بيزيد سعدا من بحمى يسعد •
فهناك لو اعطى مناى محله • من دونها حل السهى والفرقد •
عيني سكبت رهلا وانت شفاؤها • من ذا بهما ذاك الثرى الا اثمد •
يا خير خلق الله منهما غبت عن • عليا مشاهدها فقلبي يشهد •
ما باختيار القلب يترك جسمه • غير الزمان لم يزل بذلك يشهد •
يا جنة الخلد التي فتحتها • من دون بابك للجحيم توقد •
حرم التواصل ذيل وصوارم • ما للجليد على تفجعها يد •
فلئن حرمت بلوغ ما املته • فلدى ذكرى لا تزال تردد •
فلتنعشوا مني الذماء بذكره • ما دمت عن ملك المعالم ابعد •
لولاه ما بقيت حيا في ساعة • هو لي مني منا شيناق مولد •
ذكر يليه من الثناء سحائب • ابدا على مر الزمان تجدد •
من ذا الذي نرجوه لليوم الذي • يقضي الظماء به ويحمي المورد •
يا لهف نفسي وافي مناك وما له • من جنة ذخر به يتزود •
ما ارتجي عملا ولكن ارتجي • نفقتي به وحسب من يتزود •
ما صح ايمان خلا من حبه • ابلا رياش بينعدم مهند •
عن ذكره لا خلت عند لحظة • ومديحه في كل حفل اسرد •
يا مادحا يبغي ثوابا زايلا • فثواب مدحي في الجنان اخلد •
لولا رسول الله لم ندر الهدى • وبه غدا نرجو النجاة ونسعد •
يا رحمة للمؤمنين بعثت والـ • ـدنيا بجنح الكفر ليل اربد •
اطلعت صبحا ساطعا فهديت للايمان الا من يحيد ويجحد •
لما تخف في الله لومة لايم • حتى اقر به الكفور الملحد •
ونصرت دين الله غير محاذر • ودعوت في اخرى الالى قد اصعدوا •
ولقيت من حرب الاعادي شدة • لو كابدوها ساعة لتبددوا •

ايان لا احد عليهم عاضد • الا الاله ولم يجز من يجحد •
فحماك بالغار الذي بوّمن ادلت المعجزات وخاب من يترصد •
ووقاك من سم الذراع بلطفه • كيما يغاظ بك العدا والحسد •
والجذع حن اليك والماء انهمى • ما بين خمسك والصحابة تشهد •
والذيب انطق للذي اضحى به • يهدى الى سبل النجاح ويرشد •
وبليلة الاسرا حباك وسمى الصديق من اضحى لقولك يسعد •
وحباك بالخلق العظيم ومعجز الكلم الذي يهدى به اذ يورد •
وبعثت بالقرآن غير معارض • فيه وامسى من تحداه يجرد •
ولقوا لك الاحقاب وهو مبرأ • من ان يكون له مثال يوجد •
وبكم بليغ حال فصل خطابه • والسرح في ضوء الغزالة يجهد •
زويت لك الارض الذي لا زال حتى الحشر ربك في ذراها بعيد •
ونصرت بالرعب الذي لما نزل • سرى كان نما عين شخص تفقد •
فمتى تعرض طاعن او حاد من • حرم الهداية فالحسام مجرد •
يا من تخير من ذوابة هاشم • نعم الفخار لها ونعم المحتد •
لسناك خير يدا يا دم اقبلت • رعيا لاجراه الملائك تسجد •
لم استطع حصر الما اعطيته • فذكرت بعضا واعتذاري منشد •
ماذا اقول اذا وصفت محمدا • نفد الكلام ووصفه لا ينفد •
فعليك يا خير الخلائق كلها • مني التحية والسلام السرمد •

قال وقلت باشبيلية

هل تمنع النهود • ما ابدت الخدود •
نعم وكم طعين • بطعنها شهيد •
يا ربة المحيا • خفت به السعود •
لم تشكر الحميا • بل ريقك البرود •
لله يا عذولي • ما نظم البرود •
ما زلت فيه افنى • والوجه مستزيد •
يا هل نرى زمانا • مضى لنا يعود •
لدى العروس سقف • جنا بها العهود •
حيث الغصون مالت • كانها قدود •
وزهرها نظيم • كانه عقود •
حمامها تغني • اعطافها تميد •
وبالنسيم شقت • لنهرها برود •

فزوعه سيوف • وسوره بنود •
مناك كم دعتني • الى الورود زود •
قتلت كل سول • يفنى به الحسود •
قطنت فيه عيشا • ما بعده مزيد •
اضحى به وامسي • مرتجا اميد •
كانني يزيد • كانني الوليد •
يجري الزمان طوعي • بكل ما اريد •
الحمد ملكتني • فالخلق لي عبيد •
يحق لي اذا ما • فقدتها فقيد •
يا من يلوم بخيا • العذل لا يفيد •
اذا عدمت كاسي • فليس لي وجود •

قال وقلت باشبيليه

اوما نظرت الى الحمامة تنشد • والغصن من طرب بها يتاود •
ومنا ره القفاه جا برزه لها • لما يزل يبدو النسيم يبرد •
القى عليها الطل برد اسابغا • فتناوه طولا لزمان يردد •
ازرى الحمامة من محب مخلص • اولى بشكر حين تغره يبدو •
فلا تنبين عليك ما انتي با على الغصن حبا ن الهذيل مغرد •
كم نعمة لي في جنابك كما اكابد حمد ما ابان ترك تجهد •

وقال

ازى العين مني تحسد الاذن كلما • جرت مدحة للعلم والفضل والمجد •
احقق ابنا وكم اوصور ه • لتحقيق الاخبار عن جنة الخلد •
تمن على عيني بلقياك انني • اخذت لها امنا بذاك من السهد •

قال وقلت امدح ابن عمي واشكره على ما اذكره

امما يكن فيك الجوانح • ودموع على نوالك سوافح •
واشتفاء من العدو ببين • كدر العيش اى عيش لنازح •
يا اتم الانام حسنا اما يحسن حتى بشعر اظرما مادح •
يا زمان الوصال عود افانى • طوحت بي لما غدرت الطوايح •
ابن عيش العروس اذ ينطح البكر حبيبي ما بين تلك الاباطح •
والاماني تترى ولا احد يصح اذا يصغي الى قول ناصح •
وزمان السرور سمح مطيع • ورسول الحبيب غاد ورايح •
وكم ليلة اتاني بلا طيب • ولكن بزري بازكى الروايح •

موطني

موطني فليس يحتاج طيبا • قد كفاه عرف من المسك فايح •
مثل علينا محمد لم يكن كسبنا • وما لا يكون في الطبع فاضح •
يا كريما اتى من الجود ما لا • كان يدري فوحدته المدايح •
وعلا كل ذي علاء واضحى • نحو ما لا بر ومنه الناس طامح •
قد اتاني احسانك الغمر في • اثر سواه فكنت اكمل مادح •
فاصبح النوال منك ولا سا • حل يبدو ولم ازل فيه سابح •
حلل مثل ما لسوتك في المد • ح تجيب الغدا وما الوسايح •
او ورد الورد منطق كل شكر • حين اضحى طوع البنان مسايح •
لون خد الحبيب حين كسوه • حلة الحسن فيه اللحاظ السوانح •
لم اجد فيه من حماح ولكن • ثناي عليه ما زال جامح •
لك يا ابن الحسين ذكر جميل • صير الكل نحو بابك جانح •
قد هدى نحوك الثنا كما يهدى • الى الروض باسمات البوافح •
فاعذر الناس ان اتوا لك افوا • جا فكل بقصد فضلك رايح •
ما تقدمتهم الا اليك الاماني • لم تخلهم الا عليها القرايح •
قل لذي المغرب الحديث تاخر • ليس يمتر في شاوه مثل قارح •
اي اصل واى فرع اقاما • شرفا ظل للنجوم يناطح •
قد حوت مدح من الفخر لما • كنت منها ما ليس يحويه شارح •
افق مجد قد زانه منك بدر • في ظلام الخطوب ما زال لايح •
بدر تم حفت به هالة من • بيت مجد علا وهالة الدهر واضح •
يا سماكا يملك القلم الاعلى بدى بين انجم الملك رامح •
رفع الله للكتابة قدرا • بعد ما كان بدت نوالي الفضايح •
يا اعز الانام نفسا واعلاهم • محلا لا زال امرك راجح •
اين اعداوك الذين رعى سيفك فيهم فاشبهوا قوم صالح •
دمت في عزة وسعد مدى الدهر • ولا زال طايرمنك سانح •

وابن عمه المذكور قال في حقه في المغرب ما ملخصه انه الرايس الاعلى ذو الفضائل الجمة ابو عبد الله محمد بن الحسين بن ابي الحسين سعيد بن الحسين بن سعيد بن خلف بن سعيد قال واجتماع نسبنا مع هذا الرايس في سعيد بن خلف وهو الان قد اشتمل عليه ملك افريقية اشتمال المقلة على انسانها وقدمه في مهماته تقدم الصعدة لسنانها واقام لنفسه مدينة جنب حضرة تونس واعتزل فيها بعسكر الاندلس الذي صيرهم الملك المنصور الى نظره وهو كما قال الفتح صاحب القلايد نفد جاه اخرهم تجدد مفاخرهم ومن نظمه وقد نزل على من قدم له مسرورا باسود

اللون علطا وخروبا وزبيبا اسود وزبيبا كثير العصون جات به عجوز في طبق

فقال

وَيوم نزلنا بعيد العزيز • فلا قدس الله عبد العزيز
سقانا شرابا كلون الهفا • وانقلنا بغزوزنا العنوز
وجات عجوز فامتدت لنا • زبيبا كحبلان خد العجوز

انتهى ونزل السلطان ابو يحيى في بعض حركاته لموضع فيه نهر وعلى شطه نور فقال الرايس ابو عبد الله بن الحسين بصفته وامر بذلك

ونهر يرق الزهر في جنباته • ويثني النسيم قصبة قناطر ٢
نبيل كما عن الصباح بافقه • والا كما سيم الحسام المجوهر
عليه لتحيى فتية مثل سمختم • بغرصة شمس حل فيها غضنفر
فان قلت مدري فتية لعفاتها • فقل ذلك الوادي الذي سال كوثر

وقال ابو عمر واحمد بن مالك بن سيد امير اللخمي الساني في ذلك

وارض من الحصبا بيضاء تذهبت • جداول ماء فوقها تتفجر
كما سحبت تبغي الحياة ازافنر • على ارض فضة فيها الاقاح المنور
والا كما شقت شهابك فضة • بساطا على حافاته الدر ينثر

وقال ابو علي بو نس

انظر الى منظر يبيك منظره • ويزد ميك باذناله مجره
ومعجب معجب لا شيء يشبهه • خرير ماء معجبن ثم منهمره
كانما فرشت بالدر صفحته • فالماء ينظمه طورا وينثره
كان خليجانه قذت على قدر • بمائها فنسم يجري مجره
احل سيدنا الميمون فينته • بحوره فغدا يزدان جعفره

رجع الى ما كنا فيه من اخبار الرايس ابن الحسين فنقول رايت بالمخراج كنا باخروج الشجر من سحنة ملوكية كتبت له ابياتا علق بحفظي الان منها ما نصه

ثم روح الشجر سحا فانيتي • مصحبا باليمن والفخر البعيد
لابي عبد الاله المرتقى • في ذرى المجد الرييس بن سعيد

ولم احفظ تمام الابيات وقال ابو الحسن علي بن سعيد كتبت اليه من ابيات بحضرة تونس وقد نقل اليه بعض الحساد ما اوجب تغييره

ومن بعد هذا قد اتيت بزلة • اما حسن ان لا يضيق به صدرا
وعلمك حسبي بالامور فانني • عهدتك تدري سر امري والجهرا
وقد اصلح الله الامور بسعيكم • وبينكم صلحا على البشر والبشرى
ولم يبق لي الا رضاك فاديه • كنت ولو خرقا اطيت لي العمرا

فبقيت

فبقيت كهفا للجميع وموئلا • ولا زلت ما دام الزمان لنا سترا

فكتب الي هذه الابيات وكان مستمرضا وبعث لي بما يذكر

الكفل لصناحفت جنى زهرا لزني • سوال الثغر مصوا بنبات الزهرا
بعثت بمثل الزهر في مثل صفحة • لذلك ما قلدتها الشذر والدرا
معان لطاف اعنوا واعني بها فكم • وقفت عليها العين والسمع والفكرا
فلو عرضت للبحتري بلفظ الدرا • ولو عارضت ما روقتم بنفث السحرا
ابا حسن منبت ما قد منحته • ضروبا من الاداب تخلي بها الدهرا
ودونك بحراين وداد بلا لهت • به زاخرات المد لا يعرف الجزرا
فان خطرت في جانب منك هفوة • فلا تخشين اني اضيق بها صدرا
بذل الجود عندما يبلغ المدى • ويحترزك الرمث للنسيم اذا سرى
فدع ذا وخذها شابيات فروتها • عروبا لعوبا حاير احكمها بكرا
ولو غادرت اوصافها متردما • لتشنفن من اشعارها اذن الشعرا
الا فاجنبها عن صد بني مععتم • فان فصار العمر ان يبكي العمرا
ومن كان ذا حجر ونبل ورقة • فلا يخلون الا على الحرم الخمرا
فزنت بها صفرا لم تعرف الهوى • ولا الفت وصلا ولا عرفت هجرا
ولا ضمخت نضح العبير وانما • توخم لونا وتفضحه نشرا
فان خلتها بنت الظلم اطلها • فقد فرش الاذخر من تحتها نبرا
لها نسب يترا الثريا والثرا • وسل يا بيها المزن والغصن النضرا
فشربا دمها قا وانتشاقا ولا ترى • عن البيت فترا او نفيم به شهرا

وله في الخشكلان

مولاي هلا لكن • تدعونه خشكلانا
فان تعفا لت صحف • تجد جبيبك لانا

انتهى باختصار وحظي المذكور جدا عند سلطان افريقية ابا زكريا يحيى بن عبد الواحد بن ابي حفص ولما مات السلطان المذكور وحدثت فتنة بموته واختلاف ثم استقرت الدولة لابنه الشهير الكبير القدر ابي عبد الله المستنصر ممدوح حازم بالمقصورة وقاتل ابن الابار القضاعي سخط على الرايس بن الحسين المذكور وقبض على داره وامواله وصيره كالمحبوس فكتب اليه رقعة يطلب الاجتماع به في مصلحة للدولة فاحضره وساله واخبره بان اباه صنع دارا عظيمة تحت الارض واودع فيها من انواع المال والسلاح ما جعله عدة وذخيرة لسلطانه ولم يترك على وجه الارض من له علم بهذا الموضع الذي اودعه نفايس امواله غيري واوصاني انه اذا انتقل الى جوار ربه اذ نوفع ان تقع فتنة بين اقاربه ان نعقت

سنة واستقر الامر لاحد من ولدي ومن ستيقن انه يصلح لامور المسلمين فاطلعه
على معاذه الذخاير فربما تثبت الاموال بالفتنة فلا يجد القايم بالامر ما يصلح
به الدولة اذا تفرغ للتدبير والسياسة ففرح السلطان وبادر الى تلك الذخاير
فرا ما ملا عينيه وسر قلبه وخرج الرايس ابن الحسين والحبل يجبذ امامه وبذر الاموال
بين يديه واعاده الى احسن احواله وجعله وزيرا لذريته كما كان ابوه مفوضا امره
اليه وقال السلطان ان من اوجب شكرا لله علي ان افتتح المال بان اردي
منه للرعية الذين نهبت دورهم واحترقت في الفتنة التي كانت بيني وبين
اقاربي ما خسروه وامر بالنداء فيهم واحضرهم وكل من حلف على شي قبضه وانصرف
وكان السلطان المستنصر المذكور في بعض منصباته فكتب لابي عبد الله
الرايس المذكور يامره باحضار الاجناد لاحضار رزقهم **بقوله**

• ليحضر كل ليث ذو نصال • فقد فرغنا لابتداء النوال •
• غدا يوم الخميس فما شغلنا • باشداء الوحوش عن الرجال •

وحكي ان السلطان المذكور عرض مرة اجناده وقيل بل سلم عليه الموحدون يوم
عيد بتونس وفيهم شاب مليح وسيم اسمه حد النعمان فسال السلطان عن اسمه
واعجبه حسنه فخجل واحمر وجهه وازداد حسنا فقال السلطان

• كلمته فكلمت وجنته خده • **وسال** من الحاضرين الاجازة فلم ياتوا بشي
فقال السلطان مجيزا شطره • فتفتحت فيه شقائق خده •

وهذه من البدايع مع ما فيه من التورية والتجنيس ومما انشد له ابو حيان بسنده

• ما لي عليك سوى الدموع معين • ان كنت تغدر في الهوى وتخون •
• من منجدي غير الدموع وانها • لمغيثة مهما استغاث حزين •
• الله يعلم ان ما حملتني • صعب ولكن في رضاك يهون •

وكان للسلطان المذكور سعد يضرب به المثل حتى انه كتب له صاحب مكة
البيعة من انشاء ابن سبعين المتصوف كما ذكر ذلك ابن خلدون في تاريخه الكبير
وسرد نصها وهي من الغرايب ومن سعده ان الفرنسيس الذي كان اسر بمصر وجعل
في دار ابن لقمان والطواشي صبيح يحرسه لما سرح جاء من امم النصرانية لبلاد المسلمين
بما لم يجتمع قط مثله حتى قيل انهم كانوا الف الف فكتب اليه اهل مصر من نظم
ابن مطروح القصيدة المشهورة **التي منها**

• قل للفرنسيس اذا جيته • مقال نصح من ذي لسان فصيح •

الى ان قال

• دار ابن لقمان على حالها • ومصر مصر والطواشي صبيح •

والقصيدة مشهورة فلذلك لم استردها فلما صرف الفرنسيس جيوشه الى

تونس **فكتب اليه بعض ادباء دولة المستنصر**

• افرنسيس تونس اخت مصر • فتاهب لما اليه تصير •
• لك فيها دار ابن لقمان قبر • وطواشيك منكر ونكير •

فقضى الله انه مات في حركته لتونس وغنم المستنصر غنيمة ما سمع مثلها قط
ويقال انه دس اليه سيفا مسموما من سله اثر فيه سمه وقلده رسولا اليه
بعد ان جعل عليه من الجواهر ما لم ير مثله عند غيره وقال للرسول ان الفرنسيس
رجل كثير الطمع ولولا ذلك ما عاود بلاد المسلمين بعد اسره وانه سيرى السيف
ويكثر النظر اليه فاذا رايته فعل ذلك فانزعه من عنقك وقبله وقل له هذا
هدية مني اليك لان مرادنا بها مع ملوككم ان كل ما وقع نظر الملك عليه وعاود
النظر اليه بالقصد فلا بد ان يكون له ويحرم علينا ان نمسكه لان ما احبه المولى
على العبد حرام وتكراره النظر اليه دليل على حبه له ففرح النصراني بذلك واسرع
الرسول العود الى سلطانه فسل النصراني السيف فتمكن فيه السم بالنظر فمات
في الحين وفرج الله عن المسلمين **رجع** الى اخبار ابي الحسن علي بن سعيد قال ابن
العديم في تاريخ حلب انشدني شرف الدين ابو العباس احمد بن يوسف التيفاشي
بالقاهرة لابي الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي يشير الى كتاب ابي الحسن الذي
جمعه في محاسن المغرب وسماه المغرب

• سعد الغرب وازدهى الشرق عجبا • وابتهاجا بمغرب ابن سعيد •
• طلعت شمسه من الغرب تجلى • فاقامت قيامة التقييد •
• لم يدع للمورخين مقالا • لا ولا للرواة بيت نشيد •
• ان تلاه على الحمام تغنت • ما على ذا في حسنه من مزيد •

وانشدني ابو العباس التيفاشي لنفسه فيه

• يا طيب الاصل والفرع الزكي كما • يبدو جنا ثمر من طيب الشجر •
• ومن خلايقه مثل النسيم اذا • يهفو على الزهر حول النهر في السحر •
• ومن محياه والله الشهيد اذا • يبدو الى بصري ابهى من القمر •
• اثقلت ظهري ببر لا اقوم به • لو كنت اتلوه قرانا مع السور •
• امدينة للغرب مجموعا معالمه • في قاب قوسين بين السمع والبصر •
• كاني لا اتقدم شاهدت جمعه • بكل من فيه من بدو ومن حضر •
• نعم ولا قبيتا مثل الفضل كلهم • في مدتي هذه والاعصر الاخر •
٢ • ان لم الامم في الصدر من عمري • فقد رددت على الصدر من حجر •
• وكنت لي واحدا فيهم جميعهم • ما يعجز الله جمع الخلق في بشر •
• جزيت افضل ما يجزى به بشر • مفيد علم جديد الفضل مبتكر •

انتهى

ومن نظم ابي الحسن بن سعيد قوله

وعشية بلغت بنا ابدى النوى • منها محاسن جامعات للنخب
نجذابو ما بينه وجداول • وبه بل فوق الغصون لها طرب
والنخل امثال العرائس لبسها • خز وحليتها قلايد من ذهب

ومن نظمه رحمه الله في حلب قوله

حادي العيس كم تنيخ المطايا • سق فروحي من بعدهم في سياق
حلب انها مقر غرامي • ومرامي وقبلة الاشواق
لا خلا جوسق وبطياس والسعدى من كل وابل غيداق
كم بها مرتع لطرف وقلب • فيه تسقى المنى بكاس دهاق
وتغني طيوره لارتياح • وتثنت غصونه للعناق
وعلو الشهباء حيث استدارت • انجم الافق حولها كالنطاق

وقال ايضا في حماه

حمى الله من شطي حماة مناظرا • وقفت عليها السمع والفكر والطرفا
تغني حماما او تميل خمايل • وتزهي مبان تمنح الواصف الوصفا
يلوموني ان اعصي الصون والنهى • بها واطيع الكاس واللهو والقصفا
اذا كان فيها النهر عاصي فكيف لا • احاكيه عصيانا واشربها صرفا
واشدو ولكي تلك النواعير شدوها • واغلبها رقصا واشبهها عزفا
تئن وتذري دمعها فكانها • تهيم بمرآها وتسالها العطفا

وقوله في وداع ابن عمه ولبث بها ابنه

وداع كما ودعت فصل ربيع • يفض ضلوعي او يفض دموعي
لبن قيل في بعض بقا روح بعضه • فاني قد فارقت منك جميعي
قال فارسل لي احسانا واعتذر ولسان الحال ينشد عنه
احبك في البنول وفي ابيها • ولكني احبك من بعيد

وقوله وقد افلت المركب الذي كان فيه من العدو

انظر الى مركبنا منقذا • من العدا من بعد احراز
افلت منهم بعد ما طار • كطاير افلت من باز

وقال رحمه الله لما خرج من حدود افريقية

رفيقي جاوزنا حدود مواطن • صحبنا بها الايام طلقا محياها
وما ان تركنا ما نجهل قدرها • ولكن تذكرنا اعنة سفنها
فسرنا بحث السير عنها لغيرها • الى ان يمن الله يوما بلقيناها
وكان وصوله الى الاسكندرية • في السابع والعشرين من ربيع الاول

سنة ٦٣٩ وقال رحمه الله اخذت مع والدي يوما في اختلاف مذاهب الناس وانهم لا يسلمون لاحد في اختياره فقال لي متى طلبت ان يسلم لك احد في هذا التاليف اعني المغرب ولا تعترض اتعبت نفسك باطلا وطلبت غاية لا تدرك وانا اضرب مثلا يحكى ان رجلا من عقلاء الناس كان له ولد فقال له يوما يا ابي ما للناس ينتقدون عليك اشياء وانت عاقل ولو سعيت في مجانبتها سلمت من نقدهم فقال له يا بني انك غر لم تجرب الامور وان رضى الناس غاية لا تدرك وانا اوقفك على حقيقة ذلك وكان عنده حمار فقال اركب هذا الحمار وانا اتبعك ماشيا فبينما هم كذلك اذ قال شخص انظر ما اقل ادب هذا الغلام يركب ويمشي ابوه وانظر ما اشد تخلف والده لكونه يتركه لهذا فقال له انزل اركب انا وامش انت خلفي فقال شخص اخر انظر هذا الشخص ما اقله بشفقة يركب وينزل ابنه يمشي فقال له اركب معي فقال شخص اشقاهما الله انظر كيف ركبا على الحمار وكان في واحد منهما كفاية فقال له انزل بنا وقدماه وليس عليه راكب فقال شخص لا خفف الله عنهما انظر كيف تركا الحمار فارغا وجعلا يمشيان خلفه فقال يا بني سمعت كلامهم وعلمت ان احدا لا يسلم من اعتراض الناس على اي حالة كان انتهى وقال في اثناء خطبته المغرب ما نصته والحمد لله الذي جعل الادب افضل ما انتسب وافضل ما انتخب اذ هو ذخر لا يخاف كساده وكنز لا يخشى انتقاصه وان كثر ازدياده

ولله در القايل حيث قال

رايت جميع الكتب يفقده الفتى • وتبقى له اخلاقه والتادب
اذا حل في ارض اقام لنفسه • باداته قدرا به يتكسب
وانما كل نحوه ولغة • الى غير اهل للنباهة ينسب

وقال في اثناء الكلام لبعض المغاربة

لا تبت في كل الخواطر همة • الى طلب العلم الذي كان مطرحا
وصيرت من قد كان بالنظم جاهلا • يحاوله كيما يجود لك المدحا

وقال ايضا في الخطبة وبعد فهذا كتاب راحة قد تعبت في الاسماع والابصار والافكار وكل عني سهل اذا صح القصد وقد بدي فيه من سنة ثلاثين وخمسماية وتمامه الى غرة سنة احدى واربعين وستماية قال واول من كان السبب في ابتداء هذا الكتاب جد والدي عبد الملك بن سعيد وهو اذ ذاك صاحب قلعة بني سعيد تحت طاعة علي بن يوسف بن تاشفين امير المسلمين ملك البربر الى ان استبد بها سنة تسع وثلاثين وخمسماية وقصده في سنة ثلاثين وخمسماية حافظ الاندلس ابو محمد عبد الله بن ابراهيم بن الحجاري وصنف له كتابا المسهب في غرايب المغرب في نحو ستة اسفار وابتدا فيه من فتح الاندلس الى التاريخ الذي ابتدء

فيه وهو سنة ثلاثين وخمسمائة ثم ثار في خاطر عبد الملك ان يضيف اليه ما اغفله الحجاري وتولع بمطالعته ابناه ابو جعفر ومحمد واضافا له ما استفاداه ولم يزل يزيد الى ان استبد به محمد فاعتنى به اشد اعتناء ثم استبد به والدي وكان اعلمهم بهذا الشان وبلغ من اجتهاده في هذا الكتاب الذي اذكره تومنا وقد نوه به ابن هود وهو ملك الاندلس وولاه الجزيرة الخضرا فاعلمه شخص ان عند احد المنسوبين الى بيت نباهة كراريس من شعر شعرائها واخبار رؤسائها الذي تحتوي عليهم دولة بني عبد المؤمن فارسل اليه راغبا في استعارتها فابى وقال علي يمين ان لا تخرج عن منزلي وقال ان كانت له حاجة ياتي على راسه وكان نجاملا فلما سمع والدي ضحك وقال لي سر معي اليه فقلت له ومن يكون هذا حتى تمشي له على هذه الصورة فقال اني لا امشي له وانما امشي للفضلا الذين تضمنت الكراريس اشعارهم واخبارهم انراهم لو كانوا احيا مجتمعين في موضع انفت ان امشي اليهم قلت لا قال فان الاثر ينوب عن العين فمشينا الى منزل الرجل فوالله ما انصفنا في اللقا فلما قضينا منها الغرض صرفها والدي اليه وشكره وقال هذه فايدة لم اجدها عند غيرك فجزاك الله خيرا ثم انفصل وقال الم تعلم يا بني اني سررت بهذه الفايدة اكثر من الولاية فان هذه والله اولا السعادة وعنوان نجاحها وآل القلعة التي كان بها بنوا سعيد نعرف بهم فيقال لها قلعة بني سعيد وكانت تعرف قبل بقلعة استبير وهو عين لها وقال الملاحي في تاريخها تعرف بقلعة يحصب قبيل من اليمن نزل بها عند فتح الاندلس وبها كان مرصفي الحجاري كتابه المسهب لصاحبها عبد الملك بن سعيد وفي بني سعيد يقول الحجاري

• قوم لهم نسب في مجدهم • شرف الحديث مع القدم •
• ورثوا العلا وابا الناس ولا حلبا كريما عن كريم •
• من كل وضاح به يجلى دجى الليل البهيم •

وكان اول من دخل الاندلس من ولد عمار بن ياسر رضي الله عنه عبد الملك بن سعيد بن عمار وقد ذكره ابن حيان في مقتبسه واخبر ان يوسف بن عبد الرحمن الفهري صاحب الاندلس اخر دولة بني امية بالمشرق كتب اليه ان يدافع عبد الرحمن ابن معاوية المرواني الداخل للاندلس وكان اذ ذاك اميرا على اليمانية من جند دمشق وانما كتب اليه في محاربة عبد الرحمن لما بين عمار وبني امية من الثار بسبب قتل عمار بصفين على يد عسكر معاوية رضي الله عنه وكان عمار من شيعة علي رضي الله عنهما وقال الحجاري انشدني ابو بكر محمد بن سعيد صاحب اعمال غرناطة في مدة الملثمين لنفسه فيما يليق بجنسه

• انا لم اكن للعلاء اهلا • بما تراه فمن يكون •
• وكلما ابتغيه دوني • ولي على همتي ديون •

ومن

• ومن يرم ما يقل عنه • فذاك من فعله جنون •
• فرع بافق السماء سام • واصله راسخ مكين •

ومن نظمه قوله ايضا

• الله اعلم انني • احب كسب المعالي •
• وانما انوا بي • عنها لسوء المنازل •
• تحتاج للكد والبذل • واضطعان الرجال •
• دع كل من شا ينيموا • لما بكل اختيال •
• تخالهم بانعكاس • فيها وحالي حالي •

ولما ذكر ابن سعيد في المغرب ترجمة الرايس الكاتب المجيد ابي العباس احمد الغساني كاتب ملك افريقية قال انما اذا انصفه ولو ان النجوم تصير لي نثرا لما كنت انصفه وكفاك اني اختبرت الفضلاء من البحر المحيط الى حضرة القاهرة فما رايت احسن ولا افضل عشرة منه ولما فارقته لم اشعر الا برسالة قد وافتني بالاسكندرية من تونس وفيها قصيدة فريدة

منها

• ابا الحسن استمع شذوي فقد • يصغي الحمام اذا الحمام ترنما •

ثم سرد بعضا من القصيدة وسننا في قريبا ان شاء الله بزيادة على ما ذكر منها في المغرب

رجع وجد بخطه رحمه الله اخر الجزء من كتاب المغرب ما نصه اجزت الشيخ الفاضل الاجل ابا الفضل احمد بن الشيخ القاضي ابي يعقوب التيفاشي ان يروي عني مصنفي هذا وهو المغرب في محاسن المغرب ويرويه من شاء ثقة بفهمه واستنامة الى علمه وكذلك اجزت لفتاه النبيه جمال الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن خطلخ الفارسي الارموي ان يرويه عني ويرويه من شاء وكتب مصنفه علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد في تاريخ الفراغ من نسخ هذا السفر انتهى وقال في وسيم من ابناء العجم صحبه في الطريق من حلب الى بغداد وهام به وكان ظريفا اديبا

• لهفي على غصن روي • افقدته لما استوى •
• ريان من ماء الصبى • ومن المدامع ما ارتوى •
• لا تعذلوني ان نطقت • الدمع فيه عن الهوى •
• كم ضل صاحبه بسحر • اللحظ منه وكم غوى •
• انا لا افيق الدهر فيه • من الصبابة والجوى •
• ان الهوى حيا وميتا • لا يزال به سوي •
• كم قد نويت به التعيم • فغدر الله النوى •
• دارا لسلام حويت من • كل المحاسن قد حوى •
• مجموع حسن قد ثوى • في جنة وبها ثوى •

وولد ابو الحسن علي بن موسى يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر رمضان عام عشرة وستمائة وهو علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر رضي الله عنه وقال في المغرب لما عرف بوالده الكاتب الشهير ابي عمران موسى بن محمد بن عبد الملك ابن سعيد ما محصله لولا انه والدي لاطنبت في ذكره ووفيته من الوصف حق قدره لكن كفاه وصفا ما اثبت له في هذه الترجمة وما مر له ويمر في اثناء هذا الكتاب وكون كل من اشتغل بهذا الشان ليقف بهره او هو بحره واشتهاره في حفظه التاريخ والالمام بالاداب في بلاده بحيث لا يحتاج الى تنبيه ولا اطناب وله من النظم والنثر ما تنفتح الاقلام من كثرته ويبتهج الفطر من درته ومما شاهدت من عجائبه انه عاش سبعا وستين سنة ولم اره يوما يخلو من مطالعة كتاب او كتب ما يخلد حتى ان ايام الاعياد لا يخليها من ذلك ولقد دخلت عليه في يوم عيد وهو في جهد عظيم من الكتب فقلت له يا سيدي افي هذا اليوم لا تستريح فنظر الي كالمغضب وقال اظنك لا تفلح ابدا اترى الراحة في غير هذا والله لا اخسب راحة تبلغ مبلغها ولوددت ان الله يضاعف عمري حتى اتم كتاب المغرب على غرضي فلما ثار ذلك في خاطري انه صيرت مثله لا التذ بنعيم غير ما التذ به من هذا الشان ولولا ذلك ما بلغ هذا التاليف الى ما تراه وكان اولع الناس بالتجول في البلدان ومشاهدة الفضلاء واستفادة ما يرى وما يسمع وفي تولعه بالتقييد والمطالعة للكتب يقول

• يا مغنيا عمره في الكتب والوتر • وراعيا في الدجى للانجم الزهر •
• يبكي حبيبا جفاه او بنا دمن • يهيم اثر البين للغصن باسم الزهر •
• منعما بين لذات يحققها • ولا يخلد من فخر ولا سير •
• وعاذلا لي فيما ظلت انتبه • يبدي التعجب من صبري ومن فكري •
• يقول ما لك قد افنيت عمرك في • حبر وطرس عن الاغصان والحبر •
• وظلت تسهر طول الليل في تعب • ولا تني ابد الايام في ضجر •
• اقصر فاني دري بالذي طمحت • له فهمتي واسال عن الاثر •
• واسمع لقول الذي تتلى محاسنه • من بعد ما سار مثل الشمس كالسور •
• جمال ذي الارض كانوا في الحياة وهم • بعد الممات جمال الكتب والسير •

انتهى وولد ابو عمران موسى بن محمد في الخامس من رجب عام ثلاثة وسبعين وخمسمائة وتوفي بثغر الاسكندرية يوم الاثنين الثامن من شوال عام اربعين وستمائة وولد ابوه محمد بن عبد الملك صاحب اعمال غرناطة واعمال اشبيلية عام اربعة عشر وخمسمائة وتوفي بشعبان عام تسعة وثمانين وخمسمائة بغرناطة وكان محمد بن عبد الملك وزيرا جليلا بعيد الصيت عالي الذكر رفيع الهمة كثير الاموال وذكره ابن صاحب الصلاة

في كتابه

في كتابه تاريخ الموحدين ونبه على مكانته منهم في الحظوة والاخذ في امور الناس واثنى عليه وذكره السهيلي في شرح السيرة الشريفة حيث ذكر الكتاب الموجه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل وان محمد بن عبد الملك عاش عنده ادفوش مكرما مفتخرا به والقضية مشهورة ومدحه الرصافي بقصيدة اولها

• لمحلك الترفيع والتعظيم • ولوجهك التقديس والتكريم •

حلف ان لا يسمعها وقال علي اجازتك ولكن طباعي لا تحتمل مثل هذا فقال له الرصافي ومن مثلك يستحق هذا في الوقت غيرك فقال له دعني من خداعك انا وما اعلمه من قلبي

والشد له في الطابع السعيد

• فلا تظهرن ما كان في الصدر كامنا • ولا تركبن بالغبط في مركب وعر •
• ولا تبحثن في عذر من جاء تائبا • فليس كريما من يباحث في العذر •

وولي للموحدين اعمالا كثيرة بمراكش وسلا واشبيلية وغرناطة وانفصلت ولايته على اعمال غرناطة وكان من شيوخها واعيانها وكتب عليه عقدات في دار من الحلي واضنا فرما لا يكون الا في دار الملك وانه اذا ركب في صلاة الصبح شوش ونباح الكلب فامر المنصور بالقبض عليه وعلى ابن عمه صاحب اعمال افريقية ابي الحسين سنة ٥٩٣ ثم رضي عنهما وامر محمد بن عبد الملك ان يكتب بخطه كلما اخذ له فصرف عليه ولم ينتقص منه شيئا وعوض له ما فات منه وهذا مما يدل على قوة سعيد ابن محمد بن عبد الملك المذكور ونباهته قدره وحسبه من الفخر مدح اديب الاندلس وشاعرها ابي عبد الله الرصافي له وهو ممن يمدح الخلفاء في ذلك العصر رحمه الله ٥ وولد ابوه عبد الملك بن سعيد عام سنة تسعين واربعمائة وتوفي بحضرة مراكش عام اثنين وستين وخمسمائة قال الحجاري لما مات يحيى بن غانية الملثم ملك الاندلس بحضرة غرناطة وكان وزيره ومدبره ولحق عبد الملك بن سعيد بدار الغرناطة عندما سمع بموته الى قلعته وثار بها وطلبه خليفة يحيى بن غانية طلحة ابن الغنير فوجده قد فاته وقد قدمنا ان عبد الملك هذا هو السبب في تاليف كتاب المغرب في اخبار المغرب ثم تممه ابنه محمد بن عبد الملك ثم تممه ما بقي ابنه موسى ابن محمد ثم ارتجع الكل في تمامه ابو الحسن علي بن موسى الذي قصدناه بالترجمة في هذا الكتاب وقد ذكرنا من اخوال الرحلة ما فيه ومن فوائد ابن سعيد ابي الحسن ما حكاه عن صاحب كتاب الكمائم وهو وانما فسطاط مصر فاتت مبانيها كانت في القديم متصلة بما في مدينة عين شمس وجاء الاسلام وبها يعرف بالقصر حوله مساكن وعليه نزول عمرو بن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه ثم لما فتحها قسم المنازل على القبائل ونسب المدينة اليه فقيل فسطاط عمرو وتداولت عليها بعد ذلك ولاة فيضرفا تخذوها سريرا للسلطنة وتضاعفت

عمارتها فاقبل الناس من كل جانب اليهما وقصروا امانيهم عليهما الى ان رحلت بها دولة بني طولون فبنوا الى جانبها المنازل المعروفة بالقطائع وبها كان مسجد ابن طولون الذي هو الان الى جانب القاهرة وهي مدينة مستطيلة يمر النيل مع طولها ويحط في ساحلها المراكب الاتية من شمال النيل وجنوبه بانواع الفوائد وبها منتزهات وهي في الاقليم الثالث ولا ينزل فيها مطر الا في النادر وترابها يثير الازهار وهو قبيح اللون تستكدر منه ارجاؤها ويسوء بسببه هواؤها ولها اسواق ضخمة الا انها ضيقة ومبانيها بالقصب والطوب طبقة على طبقة ومذ بنيت القاهرة ضعفت مدينة الفسطاط وفرط في الاعتناء بها بعد الافراط وبينهما نحو ميلين وانشدت فيها للشريف العقيلي

احن الى الفسطاط شوقا وانني … لادعو لها الا يحل بها القطر

وهل في الحيا من حاجة لجنابها … وفي كل قطر من جوانبها نهر

تبدت عروسا والمقطم تاجها … ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

وقال عن كتاب احاز والفسطاط هو قصبة مصر والجبل المقطم شرقيها وهو متصل بجبل الزمرد وقال عن كتاب ابن حوقل الفسطاط مدينة حسنة ينقسم النيل لديها وهي كبيرة يكون مقدارها نحو فرسخ على غاية العمارة والطيب واللذة ذات رحاب في محالها واسواق عظام فيها ضيق ومتاجر فخام ولها ظاهر انيق وبساتين نضرة ومنتزهات على ممر الايام خضرة وفي الفسطاط قبائل وخطط للعرب تنسب اليها كالكوفة والبصرة الا انها اقل من ذلك وهي سبخة الارض غير نقية التربة وتكون الدار بها سبع طبقات وخمسا وستا وربما يسكن في الدار المائتان من الناس ومعظم بنائهم بالطوب واسفل دورهم غير مسكون وبها مسجدان للجمعة بنا احدهما عمرو بن العاص في وسط الفسطاط والاخر على الموقف بناه ابن طولون وكان خارج الفسطاط ابنية بناها احمد بن طولون ميلا في ميل يسكنها جنده وتعرف بالقطائع كما بنى بنو الاغلب خارج القيروان رقادة وقد خربتا في وقتنا هذا واخلف الله بدل القطائع بظاهر مدينة الفسطاط القاهرة قال ابن سعيد ولما استقررت بالقاهرة تشوقت الى معاينة الفسطاط فسار معي اليها احد اصحابنا الفرنية فرايت عند باب زويلة من الحمير المعدة لركوب من يسير الى الفسطاط جملة عظيمة لا عهد لي بمثلها في بلد فركب منها حمارا واشار الي ان اركب حمارا اخر فانفت من ذلك جريا على عادة ما خلفته من بلاد المغرب فاخبرني انه غير معيب على اعيان مصر وعاينت الفقهاء واصحاب البزة والشارة الظاهرة يركبونها فركبت وعندما استويت راكبا اشار المكاري الى الحمار فطار بي واثار من الغبار الاسود ما اعمى عيني ودنس ثيابي وعاينت ما كرهته ولقلة معرفتي بركوب الحمار وشدة عدوه على

قانون لجام عنده وقلة رفق المكاري وقعت في تلك المشارة من ذلك العجاج فقلت

لقيت بمصر اشد البوار … ركوب الحمار وكحل الغبار

وخلفي مكار يفوق الرياح … لا يعرف الرفق مهما استطار

اناديه مهلا فلا يرعوي … الى ان سجدت سجود العثار

وقد مد في رواق الثرى … والحد فيها ضياء النهار

فدفعت الى المكاري اجرته وقلت له احسانك الي ان تتركني امشي على رجلي فمشيت الى ان بلغتها وقدرت في الطريق بين الفسطاط والقاهرة وحققته بعد ذلك نحو ميلين ولما اقبلت على الفسطاط ادبرت عني المسرة وتاملت اسوارا مثلمة سودا وافاقا مغبرة ودخلت من بابها وهو دون غلق يفضي الى خراب معمور بمبان مشتتة الوضع غير مستقيمة الشوارع قد بنيت من الطوب الادكن والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة وحول ابوابها من التراب الاسود والازبال ما يقبض نفس النظيف ويغض طرف الطرف فسرت وانا معاين لاستصحاب تلك الحال الى ان سرت في اسواقها الضيقة فقاسيت من ازدحام الناس فيها لحوائج السوق والروايا التي على الجمال ما لا تفي به الا مشاهدته ومقاساته الى ان انتهيت الى المسجد الجامع فعاينت من ضيق الاسواق التي حوله ما ذكرت به ضده في جامع اشبيلية وجامع مراكش ثم دخلت اليه فعاينت جامعا كبيرا قديم البناء غير مزخرف ولا محتفل في حصره التي تدور مع بعض حيطانه وتنبسط فيه وابصرت العامة رجالا ونساء قد جعلوه معبرا باوطئة اقدامهم يجوزون فيه من باب الى باب ليقرب عليهم الطريق والبياعون يبيعون فيه اصناف المكسرات والكعك وما سوى ذلك والناس ياكلون في عدة اماكن منه غير محتشمين لجري العادة عندهم بذلك وعدة صبيان باواني ماء يطوفون على من ياكل قد جعلوا ما يحصل منهم رزقا وفضلات ماكلهم مطروحة في صحن الجامع وفي زواياه العنكبوت قد عظم نسجه في السقف والاركان والحيطان والصبيان يلعبون في صحنه وحيطانه مكتوبة بالفحم والحمرة بخطوط قبيحة مختلفة من كتب فقراء العامة الا ان مع ذلك على الجامع المذكور من الرونق وحسن القبول وانبساط النفس ما لا تجده في جامع اشبيلية مع زخرفته والبستان الذي في صحنه ولقد تاملته ما وجدت فيه من الارتياح والانس دون منظر يوجب ذلك فعلمت ان ذلك سر مودع من وقوف الصحابة رضي الله عنهم في ساحته عند بنائه واستحسنت ما ابصرته من حلق المتصدرين لاقراء القران والفقه والنحو في عدة اماكن وسالت عن مواد ارزاقهم فاخبرت انها من فروض الزكاة وما اشبه ذلك ثم اخبرت ان اقتضاءها بصعب الا بالجاه والتعب ثم انفصلنا من هناك الى ساحل النيل فرايت ساحلا كدر التربة غير نظيف ولا متسع الساحة ولا مستقيم الاستطالة وعليه سور ابيض الا انه مع ذلك كثير

العمارة بالمراكب واصناف الارزاق التي تصل من جميع اقطار النيل ولئن قلت
اني لم ابصر على نهر ما ابصرته على ذلك الساحل فاني اقول حقا والنيل منها الاضيق
لكون الجزيرة التي بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قلعته قد توسطت الماء
ومالت الى جهة الفسطاط وبحسن سورها المبيض الشامخ حسن منظر الفرجة
في ذلك الساحل وقد ذكر ابن حوقل الجسر الذي يكون ممتدا من الفسطاط الى
الجزيرة وهو غير طويل ومن الجانب الآخر الى البر الغربي المعروف ببر الجيزة جسر آخر
من الجزيرة اليه واكثر جواز الناس بانفسهم ودوابهم في المراكب لان هذين الجسرين
قد اختصا لحصولهما في حيز قلعة السلطان ولا يجوز احد على الجسر الذي بين
الفسطاط والجزيرة راكبا احتراما لموضع السلطان وبتنا في ليلة ذلك
اليوم بطيارة مرتفعة على جانب النيل **فقلت**

نزلنا من الفسطاط احسن منزل • بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد •
وقد جمعت فيه المراكب سحره • كسرب قطا اضحى يرف على ورد •
واضحى يطفو الموج فيه ويرتمي • ويطرب احيانا ويلعب بالنرد •
خلاما وكالمرتق ممن احبته • فمدت عليه حلة من حلى الخد •
وقد كان مثل النهر من قبل مده • فاضحى لما زاده المد كالورد •

وقلت هذا لاني لم اذق في المياه احلى من مائه وانه يكون قبل المد الذي يزيد به و
يفيض على اقطاره ابيض فاذا كان عباب النيل صار احمر **وانشدني** علم الدين
فخر الترك ايدمر عتيق وزير الجزيرة في مدح الفسطاط

حبذا الفسطاط من والد • جنبت اولاده دار الجفا •
يرد النيل اليها كدرا • فاذا ما زج اهليها صفا •
لطفوا فالمزن لا ناالفهم • خجلا لما راتهم الطفا •

ولم ار في مثل البلاد الطف من اهل الفسطاط حتى انهم الطف من اهل القاهرة
وبينهما نحو ميلين والحال ان اهل الفسطاط في نهاية من اللطافة واللين في
الكلام وتحت ذلك من الملق وقلة المبالاة برعاية قدر الصحبة وكثرة الممازحة
والالفة ما يطول ذكره واما ما **واما** ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر
الاسكندراني والبحر الحجازي فانه فوق ما يوصف وبه مجمع ذلك لا بالقاهرة
ومنها يجهز الى القاهرة وسائر البلاد وبالفسطاط مطابخ السكر والصابون
ومعظم ما يجري هذا المجرى لان القاهرة بنيت للاختصاص بالجند كما ان جميع الجند
بالقاهرة اعظم منه بالفسطاط وكذلك ما ينسج ويصاغ وسائر ما يعمل من
الاشياء الرفيعة السلطانية والخراب في الفسطاط كثير والقاهرة اجد واعمر
واكثر زحمة باعتبار انتقال السلطان اليها وسكنى الاجناد فيها وقد نفخ

روح

روح الاعتناء والنمو في مدينة الفسطاط الا ان المجاورين للجزيرة الصالحية كثير
من الجند قد انتقل اليها للقرب من الخدمة وبنى على سورها جماعة منهم مناظر تبهج
الناظر انتهى **قال المقريزي** يعني ابن سعيد ما بنى على شقة مصر تجاه النيل
انتهى وقال ابن سعيد المذكور في المغرب في حلى المغرب ما ملخصه الروضة امام
الفسطاط فيما بينهما وبين مناظر الجزيرة وبها مقياس النيل وكانت منتزها لاهل
مصر فاختارها الملك الصالح بن الملك الكامل سرير السلطنة وبنى فيها قلعة مسورة
بسور ساطع اللون محكم البناء عالي السمك لم تر عيني احسن منه وفي هذه الجزيرة كان
الهودج الذي بناه الخليفة الآمر لزوجته البدوية التي هام في حبها والمختار بستان
ونصره وله ذكر في شعر تميم بن المعز وغيره وللشعراء مصر في هذه الجزيرة اشعار
منها قول ابي الفتح بن قادوس الدمياطي

أرى سرح الجزيرة من بعيد • كأحداق تغازل بالمغازل •
كأن مجرة الجوزاء خطت • وأثبتت المنازل في المنازل •

قال وكنت ابيت بعض الليالي بالفسطاط فيزدهيني ضحك البدر في وجه
النيل امام سور هذه الجزيرة الدري اللون ولم انفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة
وفي داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت اليه همة بانيها وهو من اعظم السلاطين
في البناء وابصرت بهذه الجزيرة ايوانا للجلوس به لم تر عيني مثاله ولا يقدر ما انفق عليه وفيه
من صحائف الذهب والرخام الابنوسي والكافوري والمجزع ما يذهل الافكار ويستوقف
الابصار ويفضل عما احاط به السور ارض طويلة في بعضها خاص خطر فيه اصناف الوحوش
التي يتفرج عليها السلطان وبعدها مسرح تنقطع فيها مياه النيل فينظر فيها احسن
منظر **قال** وقد تفرجت كثيرا في طرق هذه الجزيرة مما يلي بر الفسطاط فقطعت
به عرشيات مذهبات لم تزل الا جرات العربية مذهبات واذا زاد النيل فصل بر ما
عن فضل الفسطاط من جهة خليج القاهرة ويستقي في موضع الجسر يكون فيه المراكب انتهى
واورد الصفدي في تذكرته لابن سعيد المذكور في هذه الجزيرة

انظر الى سور الجزيرة في الدجى • والبدر يلثم منه ثغرا اشنبا •
تتضاحك الانوار في جنباته • فتريك فوق النيل امرا معجبا •
بينا تراه معفضضا في جانب • ابصرته منه في سواه مذهبا •
لله امر ما رآه ناظري • الا اجلعت له المقام تطربا •

وقال في المغرب نقلا عن بعضهم ما صورته واما مدينة القاهرة فهي الحالية
الباهرة التي تفنن فيها الفاطميون وابدعوا في بنائها واتخذوها وطنا لخلافتهم
ومركزا لارجائها فنسي الفسطاط وزهد فيه بعد الاغتباط وسميت القاهرة لانها
تقهر من شذ عنها ورام مخالفة اميرها انتهى **قال** ابن سعيد هذه المدينة

اسمها اعظم منها وكان ينبغي ان تكون ومبانيها على خلاف ما عاينته لانها مدينة بناها المعز اعظم خلفاء العبيديين وكان سلطانه قد عم جميع المغرب من اول الديار المصرية الى البحر المحيط

• وسارت مسير الشمس في كل بلدة • ومبثت مبوب الريح في البر والبحر •

لاسيما وقد عاينت مباني ابيه المنصور في مدينة المنصورية الى جانب القيروان وعاينت المهدية مدينة جده عبد الله المهدي بكون لهمة السلطانية ظاهرة على قصور الخلفا بالقاهرة وهي ناطقة الى الان بالسن الاثار ولله در القايل حيث قال

• همم الملوك اذا ارادوا ذكرها • من بعدهم فبالسن البنيان •

• ان البنا اذا تعاظم شانه • اضحى يدل على عظيم الباني •

وتممم من بعده الخلفاء المصريون في الزيادة في تلك القصور وقد عاينت ايوانا يقولون بني قدر ايوان كسرى الذي بالمداين وكان يجلس فيه خلفاؤهم ولهم على الخليج الذي بين الفسطاط والقاهرة مباني عظيمة جليلة الاثار وايصرت في قصورهم حيطانا عليها طاقات عديدة من الكلس والجبس ذكر لي انهم كانوا يجددون تبييضها في كل سنة والمكان المعروف بالقاهرة ببين القصرين هو من الترتيب السلطاني لان هنالك ساحة متسعة للعسكر والمتفرجين ما بين القصرين ولو كانت القاهرة كلها كذلك كانت عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية ولكن ذلك امد قليل ثم تسير منه الى امد ضيق وتمر في ممر كدر حرج بين الدكاكين اذا ازدحمت فيه الخيل مع الرجالة كان مما يضيق منه الصدر وتسخر منه العيون ولقد عاينت يوما وزير الدولة وبين يديه الامرا وهو في موكب جليل وقد لقي في طريقه عجلة بقر تحمل حجارة وقد سدت جميع الطريق بين الدكاكين ووقف الوزير وعظم الازدحام وكان في موضع طباخين والدخان في وجه الوزير وعلى ثيابه وقد كاد يهلك المشاة وكدت اهلك في جملتهم واكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة كثيرة التراب والازبال والمباني عليها من قصب وطين مرتفعة قد ضيقت مسلك الهوى والضوء بينها ولم ار في جميع بلاد المغرب اسوا منها حالا في ذلك ولقد كنت اذا مشيت فيها يضيق صدري وتدركني وحشة عظيمة حتى اخرج الى بين القصرين ومن عيوب القاهرة انها في ارض النيل الاعظم ويموت الانسان فيها عطشا لبعدها من مجرى النيل لئلا يصادرها ويأكل ديارها واذا احتاج الانسان الى فرجة في نيلها مشى في مسافة بعيدة بظاهرها بين المباني التي خارج السور الى موضع يعرف بالمقس وجوها لا يبرح كدرا بما تثيره الارض من التراب الاسود وقد قلت فيها حين اكثر على رفاقي من الحض على العود فيها

• يقولون سافر الى القاهرة • وما لي بها راحة ظاهرة •

• زحام وضيق وكرب وما • تثير بها ارجل سايرة •

وعندما يقبل المسافر عليها يرى سورا اسود كدرا وجوا مغبرا فتنقبض نفسه ويفر انسه واحسن موضع في ظواهرها للفرجة ارض الطبالة لاسيما ارض القرط والكتان

وقلت

• سقى الله ارضا كلما زرت روضها • كساها واحلاها بزينته القرط •

• تجلت عروسا والمياه عقودها • وفي كل قطر من جوانبها قرط •

وفيها خليج لا يزال يضعف بين خضرتها حتى يصير كما قال الرصافي

• ما زالت الامحال تاخذه • حتى غدا كذؤابة النجم •

وقلت في نوار الكتان على جانب الخليج

• انظر الى النهر والكتان يرمقه • من جانبيه باجفان لها حدق •

• راته سيفا عليه للصبا شطب • فقابلته باحداق لها ارق •

• واصبحت في يد الارواح تنسجها • حتى غدت حلقا من فوقها حلق •

• فلم نزر زمنا وجه الارض مصطبح • او عند صفوته ان كنت تغتبق •

واعجبني في ظاهرها بركة الفيل لانها دايرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان ان يركب فيها بالليل وتسرج اصحاب المناظر على قدر همتهم وقدرتهم فيكون لها بذلك منظر عجيب وفي ذلك قيل

• انظر الى بركة الفيل التي اكتنفت • بها المناظر كالاهداب للبصر •

• كانما هي والابصار ترمقها • كواكب قد اداروها على القمر •

ونظرت اليها وقد قابلتها الشمس بالغدو وقلت

• انظر الى بركة الفيل التي نحرت • لها الغزالة نحرا من مطالعها •

• وخل طرفك مجنونا بما تجتنيها • يهيم وجدا وحبا في بدايعها •

والفسطاط اكثر ارزاقا وارخص اسعارا من القاهرة لقرب النيل منها والمراكب التي تصل بالخيرات تحط هناك ويباع ما يصل فيها بالقرب منها وليس يتفق ذلك في ساحل القاهرة لانه بعيد عن المدينة والقاهرة هي اكثر عمارة واحترام وحشمة من الفسطاط لانها احفل مدارس واضخم خانات واعظم ديارا لسكنى الامرا فيها لانها المخصوصة بالسلطنة لقرب قلعة الجبل منها فامور السلطنة كلها فيها ايسر واكثر وبها الطرز وساير الاشيا التي يتزين بها الرجال والنسا الا ان في هذا الوقت لما اعتنى ببناء قلعة الجزيرة التي امام الفسطاط وصيرها سرير السلطنة عظمت عمارة الفسطاط وانتقل اليها كثير من الامرا وضخمت اسواقها وبني فيها للسلطان امام الجسر الذي للجزيرة قيسارية عظيمة تنقل اليها من القاهرة سوق الاجناد التي يباع فيها الفرو والجوخ وما اشبه ذلك الى ان قال ومباني القاهرة عظيمة امتدت حتى اتصلت من المشرق والغرب والجنوب والشمال بما لا يحيط بجملته

وتفسيره الاحالوا لكل احد وعلاوة مستحسنة للفقير الذي لا يخاف طلبه بزكاة ولا ترسيما وغرامة ولا يطالب بربيولة اذا مات فيقال له تركت عندك مالا فربما يجن في شانه وضرب او عصر والفقير المجرد فيها بينزه بجهة رخص الخبز وكثرته ووجود السماعات والفرج في ظواهرها ودواخلها وقلة الاعتراض عليه فيما تذهب اليه نفسه يحكم فيها كيف شاء من رقص في وسط السوق او تجريد او سكر من حشيشة او صحبة مردان وما اشبه ذلك بخلاف غيرها من بلاد المغرب وساير الفقرا لا يتعرضون اليهم بالقبض للاسطول الا المغاربة فذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمعاناة البحر وقد عم ذلك من يعرف معانات البحر منهم ومن لا يعرف ومنهم في القدوم عليها بين حالين اذ كان المغربي غنيا طولب بالزكاة وضيقت عليه السعاة وان كان مجردا فقيرا حمل الى السجن حتى يحين وقت الاسطول وفي القاهرة اذا امر كثيرة غير منقطعة الانضال ومذا الشان في الديار المصرية بفضل كثير من البلاد

وفي اجتماع النرجس والورد فيها اقول

من فضل النرجس وهو الذي • يرضى بحكم الورد اذ يراس
اما ترى الورد غدا قاعدا • وقام في خدمته النرجس

واكثر ما فيها من الثمار والفواكه الرمان والموز اما التفاح والاجاص فقليل غال وكذلك الخوخ وفيها الورد والنرجس والنسرين والنيلوفر والبنفسج والياسمين والليمون الاخضر والاصفر واما العنب والتين فقليل غال ولكثرة ما يعصرون العنب في اريافها لنيل لا يصل منه الا القليل ومع هذا فشرابه عندهم في غاية الغلا وعامتها يشربون المزر الابيض المتخذ من الحنطة حتى ان الحنطة يطلع سعرها بسببه فينادي المنادي من قبل الوالي بقطعه وكسر اوانيه ولا ينكر فيها اظهار اواني الخمر ولا الات الطرب ذوات الاوتار ولا تبرج النسا العواهر ولا غير ذلك مما ينكر في غيرها من بلاد المغرب وقد دخلت في الخليج الذي بين القاهرة ومصر ومعظم عمارته فيما يلي القاهرة فرايت فيه من ذلك العجايب وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب وذلك في بعض الاحيان وهو ضيق عليه من الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم التهتك والطرب والمجانة حتى ان المحتشمين والروسا لا يجيزون العبور به في مركب وللسرج في جانبيه منظر بالليل وكثيرا ما يستر فيه اهل الستر في الليل

وفي ذلك اقول

لا تركبن في خليج مصر • الا اذا اسدل الظلام
فقد علمت الذي عليه • من عالم كلهم طغام
صفان للحرب قد اطلا • سلاحهم بينهم كلام
يا سيدي لا تسر اليه • الا اذا هوم النيام

والليل

والليل يستر عن التصابي • عليه من فضله لثام
والسرج قد بددت عليه • منها دنانير لا ترام
وهو قد امتد والمباني • عليه في خدمة قيام
لله كم دوحة جنينا • هناك اثمارها الاثام

انتهى قال المقريزي وفيه تحامل كثير انتهى ومن نظر بعين الانصاف علم ان التحامل في نسبة التحامل اليه والله الموفق قال ابن سعيد ومعاملة الفسطاط والقاهرة بالدراهم المعروفة بالسودا كل درهم منها ثلث من الدراهم الناصرية وفي المعاملة بها مشقة وخسارة في البيع والشرا ومخاصمة بين الفريقين وكان بها قديما الفلوس فقطعها الملك الكامل فبقيت الان مقطوعة منها وهي في الاقليم الثالث وهوا وها ردي لا سيما اذا ذهب المريسي من جهة القبلة وايضا فهذا العين فيها كثير والمعايش فيها متعذرة نزرة لا سيما اصناف الفضلا وجوامك المدارس قليلة كدرة واكثر ما يتعيش بها اليهود والنصارى في كتابة الطب والخراج والنصارى بها يمتازون بعمايم صفر ويركبون البغال ويلبسون الملابس الجليلة ويأكل اهل القاهرة البطارخ ولا تصنع حلاوة القمح الا بها وبغيرها من الديار المصرية وفيها جوار طباخات اصل تعليمهن من قصور الخلفا الفاطميين لهن في الطبخ صنايع عجيبة ورياسة متقدمة ومطابخ السكر والمواضع التي يصنع بها الورق المنصوري مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة انتهى المقصود من هذا الموضع من كلام ابي الحسن نور ابن سعيد رحمه الله وقال رحمه الله

لم ذا تقيم بعصر • معذبا بذويها
وكيف ترجو نداهم • والشح يحكم فيها

وقال

لا بن الزبير مكارم اضحت بها • طير المدايح في البلاد تغرد
اذ فقدوه وما الفوا في عصره • فالكرم يعصر والجواد يعقد

ولنذكر بعض اخبار والده فانه ممن رحل الى المشرق وتوفي بالاسكندرية وقد ذكر ابنه ابو الحسن في المغرب وغيره من اخباره ما لعجايب ولا باس بان نلم بشي من ذلك سوى ما تقدم فنقول من اخباره انه لما اختار عمل العقد وسرقها اذ ذاك ابو يحيى ابن مسبقي وجرا اليه حتى نقل اسبابه الى داره **وانشد عليه منشدا**

الكذا يجور الفطر لا يبتني على • ارض نوى الى جذبها من بعده
الله يعلم انها ما ابتنت • زمرا ولا عمرا بمدة فقده
عرج عليها ساعة بامرئه • حسب يفوق العالمين بجده
وانثر عليه من ازاهرك التي • تشفي المتيم من لواعج وجده

والله ما ذكرت فكرك ساعة • الا واقتبس خاطري من نده •

قال موسى فارتجلت للحين

انت الذي نعرف كيفا للعلى • ونبتدي في سبل المجد •
بدات بالفضل المنير الذي • اجمل بدرا الشكر والحمد •
والله ما ابصرتكم ساعة • الا بدا لي طالع الحمد •

وانصرفت معه الى منزله فلم ازل في كرامة لبثت كظل الغمامة ولما كان ابو عمران موسى بن سعيد بالجزيرة الخضراء مقدما على اعمالها من قبل ابن هود وصله كتاب من الفقيه القاضي ابو عبد الله محمد بن عسكر قاضي مالقة مع احد الادباء **منه**

اباح قلبي بعلياه واثق • وان كانت الا ابصار لم تنسج الودا •
وثقت بما لي من ذمام تشيعي • بال سعيد فابتغيت به السعدا •
وبالحب يدنو كل من اقصت النوى • برغم حجاب للنوى بيننا مدا •

فقلت يا سيدي الذي حملني ملا الاسماع من الثنا عليه ان اهجم على مفاتحة شافعا في موصلها اليه وانفا بالفرع لعلم الاصل مؤملا للاقضا ان يتحقق الفضل ان لم نقض باجتماع بيننا الايام فلا نخلى من المشافهة بيننا السن الاقلام ونوحي بعضنا الى بعض بسور الوداد والحمد لله الذي اطلعك في ذلك الافق بدرا وادنا لك من هذه الديار فصرنا لقرب من يرد عنك لا نعدم لك ذكرا فكانه بني بالذي علمت سعد ويصف من خلاله ما يقتضي لك المجد ولما كان احسانك يبشر به الصادر والوارد ويحرض عليه الغايب الشاهد متاملة نحوك موصل هذه المفاتحة وليس له وسيلة ولا بضاعة الا الادب وهي عند بيتك الكريم رابحة وهو من شتت خطوب هذا الزمان شمله وابانت نوايبه صبره وفضله وما طمح ببصره الا الى افقك ولا وجه رجاه الا نحو طرقك والرجا من فضلك ان يعود وقد انلت حفاية واعتقت من الجهد كاييه دمت غرة في الزمن البهيم مخصوصا بافضل التحية والتسليم انتهى وابن عسكر المذكور عالم بالتاريخ منه من نحوه متبحر الى في العلوم وله كتاب في انساب بني سعيد اصحاب هذه الترجمة **ومن شعره**

اهواك يا بدر واهوى الذي • يعذلني فيك واهوى الرقيب •
والجار والدار ومن حلها • وكل من مر بها من قريب •
وكل مند شبهها منكم • وكل من يلفظ باسم الحبيب •

رجع قال ابن علي لما اردت النهوض من ثغر اسكندرية الى القاهرة اول وصولي الى الاسكندرية راد ان يكتب لي وصية اجعلها اماما في الغربة يتفقني فيها اياما الى ان كتبها عندوني منه وكفى بها دليلا على ما اختبر وعلم

اودعتك الرحمن في غربتك • مرتقبا رحماه في اوبتك •

وما اختياري كان طوع النوى • لكنني اجري على بغيتك •
فلا تطل حبل النوى انني • والله اشتاق الى طلعتك •
من كان مفتونا بابنائه • فانني امعنت في خبرتك •
فاختصر التوديع اخذا فما • لي ناظر يقوى على فرقتك •
فاجعل وصاتي نصب عين ولا • تبرح مدى الايام من فكرتك •
خلاصة العمر التي حنكت • في ساعة زفت الى فطنتك •
فللتجاريب امور اذا • طالعتها تشحذ من غفلتك •
فلا تنم عن وعيها ساعة • فانها عون الى يقظتك •
وكلما كابدته في النوى • اياك ان يكسر من همتك •
فليس يدري اصل ذي غربة • وانما تعرف من شيمتك •
وكلما يفضي لعذر فلا • تجعله في الغربة من ربتك •
ولا تجالس من فشا جهله • واقصد لمن يرغب في صحبتك •
ولا تجادل ابدا حاسدا • فانه ادعى الى هيبتك •
وامش الهوينا مظهرا عفة • وابغ رضى الاعين عن هيئتك •
وافش التحيات الى اهلها • ونبه الناس على رتبتك •
وانطق بحيث العي مستقبح • واصمت بحيث الخير في سكتتك •
ولا تزد تمنعا طالبا • من درك العزمة في رتبتك •
وكلما ابصرتها امكنت • ثب واثقا بالله في مكنتك •
ولج على رزقك من بابه • واقصد له ما عشت في بكرتك •
واسر من الود لذي حاسد • ضد ونافسه على خطتك •
ووفر الجهد فمن قصده • قصدك لا تعننه في بغضتك •
ووف كلا حقه ولتكن • تكسر عند العجز من حدتك •
ولا تكن تحقر ذا رتبة • فانه انفع في غربتك •
وحيثما خيمت فاقصد الى • صحبة من ترجوه في نصرتك •
وللرزايا وثبة ما لها • الا الذي تدخر من عدتك •
ولا تقل اسلم لي وحدتي • فقد تقاسي الذل في وحدتك •
ولتزد الاخوان زورا ولا • ترجع الى ما قام في شهوتك •
ولتجعل العقل محكا وخذ • كلا بما يظهر في نقدتك •
واعتبر الناس بالفاظهم • واصحب اخا يرغب في صحبتك •
بعد اختبار منك يفضي بما • يحسن في الاخذ من خلطتك •
كم من صديق مظهر نصحه • وفكره وقف على عثرتك •

وما اختياري

مطمعا

أباك ان تقربه اتئة • عون مع الدهر على كربتك •
واقنع اذا لم تجد مطمعا • واطمع اذا انفسنت من عسرتك •
واتم نمو النبت قد زاره • غب الندا واسم الى قدرتك •
وان تبادهر فوطن له • جاشك وانظر الى مدتك •
فكل ذي امر له دولة • فوق ما وافاك في دولتك •
ولا تضيع زمنا ممكنا • تذكاره يذكي لظى حسرتك •
والشر مهما اسطعت لا تاته • فانه حرز على مهجتك •

يا بني الذي لا ناصح له مثلي ولا منصوح لي مثله قد قدمت لك في هذا النظم ما ان اخطرته بخاطرك في كل اوان رجوت لك حسن العاقبة ان شاء الله واذا حفظته للحفظ واعلق بالفكر واحق بالتقدم

قول الاول

يزين الغريب اذا ما اغترب • ثلاث فمنهن حسن الادب •
وثانية حسن اخلاقه • وثالثة اجتنابا بالريب •

واذا اعتبرت هذه الثلاثة ولزمتها في الغربة رايتها جامعة نافعة لا يلحقك ان شاء الله تعالى مع استعمالها ندم ولا يفارقك بر ولا اكرام ولله در القايل

حيث قال

يعد رفيع القوم من كان عاقلا • وان لم يكن في قومه بحسيب •
اذا حل ارضا عاش فيها بعقله • وما عاقل في بلدة بغريب •

وما قصر القايل حيث قال

واصبر على خلق من تعاشره • وداره فاللبيب من دارا •
واتخذ الناس كلهم سكنا • ومثل الارض كلها دارا •

واصغ يا بني الى البيت الذي هو يتيمة الدهر وسلم الكرم والصبر وهو

لو ان اوطان الديار نبت بكم • لسكنتم الاخلاق والادابا •

اذ حسن الخلق اكرم نزيل والادب ارحب منزل ولتكن كما قال حاتم في اديب متغرب كلما طرا على ملك فكانه معه ولد واليه قصد غير مسترئيب يدهره ولا منكر شيا من امره واذا دعاك قلبك الى صحبة من اخذ بمجامع هواه فاجعل التكلف له سلما وثب في روض اخلاقه هبوب النسيم وحل بطرفه محل الوسن وانزل بقلبه نزول المسرة حتى يتمكن له وداده ويخلص فيك اعتقاده وطهر من الوقوع لسانك واغلق سمعك ولا ترخص في جانبه لحسود لك منه يريد ابعادك عنه لمنفعة او حسود له يغار لتجمله بصحبتك ومع هذا فلا تغتر بطول صحبته ولا تتمهد بدوام رقدته فقد ينبهه الزمان ويتغير منه القلب واللسان ولذلك قيل اذا احببت فاحبب هونا ما ففي الممكن ان ينقلب الصديق عدوا والعدو صديقا

وانما

وانما العاقل من جعل عقله معيارا وكان كالمرآة يلقي كل وجه بمثاله وجعل نصب ناظره

قول ابي الطيب

ولما صار ود الناس خبا • جزيت على ابتسام بابتسام •

وفي امثال العامة من سبقك بيوم فقد سبقك بعقل فاحتذ مثل من جرب واستمع الى ما خلده الماضون بعد جهدهم وتعبهم من الاقوال التي تضمنت خلاصة عمرهم وزبدة حياتهم ولا تتكل على عقلك فان النظر فيما تعب فيه الناس طول اعمارهم وابتاعوه غاليا بتجاربهم يربحك ويقع عليك رخيصا وان رايت من له مروة وعقل وتجربة فاستفد منه ولا تضيع فعله ولا قوله فان فيهما تلقاه تلقيح لعقلك وحث لك وامتداد واياك ان تعمل بهذا البيت في كل موضع • والحر يخدع بالكلام الطيب • فقد قال احدهم ما قيل اضر من هذا البيت على اهل التجمل وليس كلما تسمع من اقوال الشعراء يحسن بك ان تتبعه حتى تتدبره فان كان موافقا لعقلك مصلحا لحالك فواه ذلك عندك والا فانبذه نبذ النواة فليس لكل احد تبتسم ولا كل شخص تكلم ولا الجود مما يعلم به ولا حسن الظن وطيب النفس مما يعامل به كل احد ولله در القايل

وما لي لا اوفي البرية قسطها • على قدر ما يعطي وعقلي ميزان •

واياك ان تعطي من نفسك الا بقدر فلا تعامل الدون بمعاملة الاكفا ولا الاكفا بمعاملة الاعلى ولا تضيع عمرك فيمن يمليك بالمطامع ويثنيك عن مصلحة حاضرة عاجلة بغائبة آجلة واسمع قول الاول وبع آجلا منك بالعاجل واقلل من زيارة الناس ما استطعت ولا تجفهم بالجملة ولكن يكون ذلك بحيث لا يلحق منه ملل ولا ضجر جفاء ولا تقل ايضا اقعد في كسر بيتي ولا ارى احدا واستريح من الناس فان ذلك الكسل داع للذل والمهانة واذا علم عدوك او صديقك منك ذلك عاملاك بحسبه فازدراك الصديق وجسر عليك العدو واياك ان يغرك صاحب واحذر ان تدخر غيره للزمان وتطيع وتعادي سواه ففي الممكن ان يتغير عليك فتطلب اعانة عليه او استغناء عنه فلا تجد خيرة قدمتها وكن في اوسع حال ذا على راي عاد بره بحيلته في انقطاعك عن غيره فلو تقول لك ان تتحبب من كل صناعة وكل ربانة من يكون لك عدة لكان ذلك اولى واصوب وسلني فاني خبير طالما والله ما صحبت الشخص اكثر عمري لا اعتمد على سواه ولا اعتد الا اياه مستخدعا بسرابه موثقا في حبايل خطابه الى ان لا يحصل لدي منه غير العض على البنان وقول لو كان • ولا يحملك ايضا هذا القول ان تظنه في كل احد وتعجل المكافاة وليكن حسن الظن عندك راس ما واصبر بعدها والفطن لا تخفى عليه مخايل الاحوال وفي الوجوه دلالات وعلامات واصغ الى القايل

لن يسر او جم من يضيف ويقري • لا ولا يدفع الاذى عن حريم •

من يكون له وجه مثل هذا الوجه فول وجهك عنه قبلة ترضاها ولتحرص جهدك

علي ان لا تصحب او تخدم الا رب حشمة ونعمة ومن نشا في رفاهية ومروة فانك تنام معه في مهاد العافية وان الجياد على اعترافها تجري والامثل الاحساب والمروات يتركون منادمتهم متى كان عليهم فيها وصمة وقد قيل في مجلس عبد الملك بن مروان اشرب مصعب الخمر فقال عبد الملك وهو عدو له محارب على الملك لو علم مصعب ان الما يفسد مروته ما شربه والفضل ما شهدت به الاعداء يا بني وقد علمنا ان الدنيا دار مفارقة وتغير وقد قيل اصحب من شئت فانك مفارقه ومتى فارقت احدا فعلى حسنى في القول والفعل فانك لا تدري هل انت راجع اليه فلذلك ما قال الاول ولما مضى سلم بكيت على سلم واياك والبيت السابر

• وكنت اذا احللت بدار قوم • رحلت بخزية وتركت عارا •

واحرص على ما جمع قول القايل ثلاثة تبقي لك الود في صدر اخيك ان تبداه بالسلام وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب الاسما اليه واحذر على كل ما يبينه لك القايل كل ما تغرسه تجنيه الا ابن ادم فانك اذا غرسته يقلعك وقول الاخر ابن ادم يمسكن حتى يتمكن وقول الاخر ابن ادم ذيب مع الضعف اسد مع القوة واياك ان تثق على صحبة احد قبل ان تطيل اختباره **يحكي** ان ابن المقفع خطب من الخليل صحبته فجاوبه ان الصحبة رق ولا اضع رقي في يدك حتى اعرف كيف ملكتك وانظر من غير من تغاشره وتفقد في فلتات اللسان وصفحات الوجه ولا يحملك الحيا على السكوت عما يضرك الا تبينته فان الكلام سلاح السلم وبالانين يعرف الم الجرح واجعل لكل امر اخذت فيه غاية تجعلها نهاية لك واكدما اوصيك به ان تطرح الافكار وتسلم للاقدار وافتل من الدهر ما اتاك به من قر عينا بعيشه نفعه ان الافكار تجلب الهموم وتضاعف الغموم وملازمة القطوب عنوان المصايب والخطوب يستريب به الصاحب ويشمت العدو المجانب ولا تضر بالوسواس الا نفسك لانك تنتصر بها الدهر عليك **ولله در القايل**

• اذا ما كنت للاحزان عونا • عليك مع الزمان فمن يلوم •

مع انه لا يرد عليك الغايب الحزن ولا يرعى بطول عتبك الزمن ولقد شاهدت بغرناطة شخصا قد الفته الهموم وعشقته الغموم من صغره الى كبره لا تراه ابدا خليا من فكرة حتى لقب بصدر الهم **ومن عجب** ما رايته منه انه يتنكد في الشدة ولا يتعلل بان يكون بعدها فرج ويتنكد في الرخا خوفا من ان لا يدوم **وينشد**

توقع زوالا اذا قيل تم **وينشد** وعند التناهي يقصر المتطاول •

وله من الحكايات في هذا الشان عجايب ومثل هذا عمره محسوب ريم ضيا عنا ومتى دفعك الزمان الى قوم يذمون من العلم ما تحسنه حسدا لك وقصدا للتصغير قدرك عندك وتزهيدا لك فيه فلا يحملك ذلك على ان تزهد في علمك وتركن

الى العلم

الي العلم الذي مدحو فتكون مثل الغراب الذي اعجبه مشي الحجلة فرام ان يتعلمه فصعب عليه ثم اراد ان يرجع الى مشيه فنسيه فبقي مخبل المشي ولا يغنيك خاطرك من جعل يذم الزمان واهله ويقول ما بقي في الدنيا كريم ولا فاضل ولا مكان يستريح فيه فان الذين تراهم على هذه الصفة اكثر ما يكونون ممن صحبه الحرمان واستخفت طلعته للهوان وابرموا على الناس بالسوال فمقتوهم وعجزوا عن طلب الامور من وجوهها فاستراحوا الى الوقوع في الناس واقامة الاعذار لانفسهم بقطع اسبابهم وتعذر امورهم و **ولا تزل هذين البيتين من فكرك**

• لن اذا ما نلت عزا • فاخو العز يلين •

• فاذا نابك دهر • فكما كنت تكون •

ولا قول الاخر

• ند وارتفع ان قيل اقتر وانخفض ان قيل اثرى •

• كالغصن يسفل ما اكتسى ثمرا ويعلو ما تعرى •

ولا قول الاخر

• الخير يبقى وان طال الزمان به • والشر اخبث ما اوعيت من زاد •

واعتقد في الناس ما قاله القايل

• ومن يلق خيرا يحمد الناس امره • ومن يغو لا يعدم على الغي لايما •

وتحفظ بما تضمنه قول الاخر

• ومن دعى الناس الى ذمه • ذموه بالحق وبالباطل •

ولله در القايل

• ما كل ما فوق البسيطة كافيا • فاذا اقتنعت فكل شي كافي •

والامثال يضربها لذي اللب الحكيم وذو البصر يمشي على الصراط المستقيم والفطن يقنع بالقليل ويستدل بالبسير والله خليفتي عليك لا رب سواه **تمت** الوصية ونكفيك عنوانا على طبقته في النثر وله رسالة كتب بها الى ملك المغرب ابي محمد عبد الواحد بن ابي يعقوب بن عبد المومن مهنيا له بالخلافة حين بويع بمراكش وكان اذ ذاك باشبيلية وكان قبل ذلك كاتبا له ومختصا به **وهي** الحضرة العلية الشامية السنية الطاهرة القدسية حضرة الامامة وجنة دار الاقامة مد الله على الاسلام ظلالها واسمى في سماء السعادة تمامها وكمالها ومتع المومنين باستفيا الامامة وادام لهم بركة خلافتها عبد اياديها وخديم ناديها المتوسل بقديم الخدمة المتوصل بجميل النعمة وكريم الحرمة المستند بلسان البشر حين اطلع الزمان من هذه الغرة

• اتته الخلافة منقادة • اليه تجرجر اذيالها •

فلم تك تصلح الا له ۝ ولم يك يصلح الا لها

ابن سعيد لا زال ممدا الامر محمودا سعيدا ۝ ولا برح ببشائر يزداد ترقيا وصعودا موسى بن محمد

يا نعمة الله زيدي ۝ ان كان فيك مزيد

سلام الله الكريم يخص حضرة الاجلال والتقدير والتعظيم ۝ ورحمته وبركاته و

وبعد حمد الله الذي بلغ الاسلام بهذه الخلافة اماله ۝ وحلى بهذه الولاية السعيدة

احواله ۝ والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه الكريم ۝ الذي دحض الله بنبوته

الكفر وضلاله ۝ وعلى اله وصحبه الطاهرين الذين سمعوا اقواله وامتثلوا افعاله

والرضى عن الامام المهدي المعلوم الذي افاء الله به على الدين الحنيفي ظلاله ۝ واذهب عنه

طواغيته وضلاله ۝ والدعاء للمقام العالي الكريم بالسعد المتوالي والنصر

الجسيم وكتب العبد وقد حلات مذه البشرى المسرة افقه ۝ ووسعت عليه

مذه المرتبة العلية طرقه

مفرد

مذه رتبة ما زلت ارقبها ۝ فاليوم ابسط امالي واحكم

ولا اقنع مني اذا قنعت على السماء دارا ۝ والهلال للسير سوارا ۝ والنجوم عقدا

والصباح بندا ۝ حتى استر كل احد بشكله واقابل كل شخص بمثله

ومن خدم الاقوام يرجو نوالهم ۝ فاني لم اخدمك الا لاخدما

وما بعد الخلافة رتبة ۝ ودون تدبير تنحط كل منصبة ۝ فالحمد لله رب العالمين

ومنبئا لعباده المؤمنين حين نظر لهم نظر رحمة ۝ فاسبل عليهم ستر مذه النعمة

ولقد علمت بان ذلك معصم ۝ ما كان يتركه بغير سوار

والله اعلم حيث يجعل رسالاته ۝ والى من يشير بانه قد فيه صباح ذلك اليوم السعيد

وليلته ۝ لقد اسفر عن وجه من البشرى ۝ اضات الافاق شرقا وغربا غرته ۝ ولقد

اجتمعت اراء السداد ۝ حتى انت الاسلام بالمراد فاخذا القوس باريها ۝ وحل

بالدار بانيها ۝ مبنيا زادك الرحمن خيرا ۝ ولا برحت المسرات تسير اليك سيرا ۝ ولم

يصلح النور الا للمقل ۝ ومثل يليق بالحسن الا الحلل ۝ فالان مهد الله البرين ومد

العدل على العدوتين ۝ وقدم للنظر من لا يعزب عن حفظه مكان ۝ ولا يخفض

بحفظه انسان دون انسان ۝ خليفة لها النفس العمرية ۝ والاراء العمرية ۝ و

الفراسة الاياسية ۝ ولا ينبئك مثل خبير ۝ فلقد شاهد العبد ما لا يحصره تقسيم

ولعمري لقد غادا الصباح في اشراق النهار ۝ ولم يخف عنا ما زاد الدنيا من البهجة

والمسار ۝ وشملت الناس هذه البشاير ۝ وعمت كل باد وحاضر ۝ واصاخوا لها

اصاخة المجدبين لمزن ديمهم واستطعوا لها مهللين مكبرين استطاع الناس

لاعيادهم واما العبد فقد اخذ بحظه حتى خاف ان يغلب السرور على قلبه

ولحظه ۝ ومن فرح النفس ما يقتل ومذه نعمة يقصر عنها النثر والنظم ويحسد

غليها

عليها الهلال والنجم بل يسلمان لما استحقته من المراتب ويخضعان لها خضوعه

المفترض لواجب افر الله بها عيون المسلمين واقاض سيبها على الناس اجمعين

وحفظها بعينه التي لا تنام ۝ ووقف على خدمتها الليالي والايام ۝ ولما قدم من

الاندلس على تونس مدح سلطانها ابا زكريا

بقوله

بشرى وبشرى قد انار المظلم ۝ نجما وقد وضح الصباح المعلم

ورنت عيون الامن وهي قريرة ۝ وبدت ثغور السعد وهي تبسم

فارحل لتونس واعتقد اعلام من ۝ قوى الضعيف به واثرى المعدم

حيث المعالي والمعاني والندى ۝ والفضل والقوم الذين هم هم

اجروا الى الغايات ملء عنانهم ۝ سبقا ويقدمهم الجواد المنعم

ساد الامام الملك يحيى سادة ۝ اعطى الورى لهم الغنا وسلموا

ان الامارة مذ غدا يقتادها ۝ يقظى واجفان الحوادث نوم

لله منك مبارك ذو فطنة ۝ بزغت فاحجم عندها من يقدم

يقظان لا وان ولا متقاعس ۝ كالدهر يبني ما يشاء ويهدم

انصالة والليث الهصور المعدم ۝ او سادقا الغيث المعين المنجم

اعلى منار الحق حين اماله ۝ قوم تبرات المنابر منهم

اعلى الاله مكانه وزمانه ۝ والنصر يقدم والسعادة تخدم

وقال يخاطب ملك المغرب مامون بني عبد المؤمن حين اخذ البيعة لنفسه

باشبيلية وكان المذكور بمراكش ولبني سعيد بهذا الملك اختصاص قديم

الحزم والعزم موجودان والنظر ۝ واليمن والسعد مضمونان والظفر

والنور فاض على ارجاء اندلس ۝ والزور ليس له عين ولا اثر

حث الركاب الى هذا الجناب فقد ۝ ضلوا لما نفع الايان والندم

واعزم كما عزم المامون اذ نشرت ۝ ارض العراق فزال البوس والضرر

ولما قدم العادل القايم بمرسية المتولي على مملكة الاندلس الى اشبيلية كان في جملة

من خرج للقاء ورفع له قصيدة

منها

لقاؤه للبر والشكر يجمع ۝ الى يومه كنا نحب ونوضع

لقد بشر الرحمن صعب مرامه ۝ فابصرت اضعاف الذي كنت اسمع

وله ايضا

يا منعما قد جاني بره ۝ من غير ان اجريه ذكرا

اني احب الخير ما جاني ۝ عفوا ولم اعمر به بكرا

وله في غلام واعظ ومومن حسناته

وشادن ظل للوعظ نالنا بين حمج

ولهُ من ابيات

ومن عجب ان الليالي تغيرت • ولكنها ما غيرت مني العهدا

ومن الفضلاء الذين ادركتهم واخذت عنهم الحافظ ابو بكر بن زهر وعمّر تسعا وحضر حصار طليطلة مع منصور بن عبد المومن وكتب لملك المرابطين ابي محمد عبد الواحد وكتب ايضا عن مامون بني عبد المومن وكتب اخيرا عن ملك بجاية والغرب الاوسط الامير ابي يحيى بن ملك افريقية رحم الله الجميع رجع الى ابي الحسن بن سعيد قال رحمه الله حضرت ليلة انس مع كاتب ملك افريقية ابي العباس الغساني فاخذت الشمعة ان تنقطع فتناولها غلام ببنانه فقلت

ورخص لبنانٍ تصدى لان • يقط السراج بمثل العنم

ولم يهب النار في لمسه • ولا احتاج في قطه للجلم

وما ذاك الا لسكناه في • فؤادي على ما حوى من ضرم

فقال

نعوذ نحن لهيب به • فليس به من اوارم

وانشد في المغرب للغساني المذكور في خسوف القمر مما قاله ارتجالا

كان البدر لما ان علاه • خسوف لم يكن يعتاد غيره

سجنجل غادة قلبته لما • ارانا شبهها حسدا وغيره

وخاطبه المذكور برسالة يقول في اخرها وعند حامل هذه الاحرف كنه خبري واستيعاب ما قصر عنه قلمي فضاق بحمله سطري لتعلم ما احدثه افتقاده من تشوقي وتصبري واني لا ازال انشد حيث تذكري وتفكري

يا نائيا قد نأى عني تصطبري • وثاويا في سواد القلب والبصر

اذا اسيت عهدا من اخي ثقة • فاذكر عهودي فما اخليك من ذكر

لا زدت الا لجنباني باحسنها • ترد على حبنا في اخر العمر

وللمتشاغل عن الجري في ميدان اخبار ابن سعيد فانها لا يشق غبارها ومنها قوله رحمه سمعت كثيرا من الشعراء المشرقي فلم يهزني مثل قول الشريف

تقل بالدمع عيني • وفؤاد طار خفقا

وتجن وتشقى • شق جيب الصبر شقا

يا ثقاتي خبروني • عن حديث اليوم حقا

الذا كل محب • فارق الاحباب يشقى

لا وعيش قد تقضى • وغرام قد تبقى

ونعيم في ذراكم • قد صفا دهرا ورقا

ونسيم من حماكم • حمل الوجد فرقا

برسالات صبابات • على المشتاق تلقى

وغصون ناعمات • بمياه الدل تسقى

ووجوه فقن حسنا • فملأن الارض عشقا

وقال ما سمعت ولا وقفت على شيء ابدع من قول الجزار وقد تردد الى جمال الدين ابن يغمور بابيل الديار المصرية فلم يقدر له الاجتماع به فقال

اسأل الله ان يديم لك العز • ويبقيك ما اردت البقاء

كل يوم ارجو النعيم بلقيا • ك فالقى بالبعد عنك شقاء

علم الدهر انني اشتكيه • لك اذ تلتقي فعاق اللقاء

فبعث له بما اصلح حاله من الاحسان وكتب في جملة الى ولاة الصعيد كتبا اغنته مدة عن شكوى الزمان انتهى وقال ايضا لم اسمع في وضع الشيء موضعه احسن من

قول المتنبي

واصبح شعري منهما في مكانه • وفي عنق الحسناء يستحسن العقد

ولم اسمع في وضع الشيء غير موضعه احسن من قول ابي الفرج

مر مدحي ضائعا في لؤمه • كضياع السيف في كف الجبان

ومن ما الف النور بن سعيد كتاب عدة المستنجز وعقلة المستوفز وذكر فيه انه رحل من تونس الى المشرق رحلته الثانية سنة ٦٦٦ واورد في هذا الكتاب غرائب وبدائع وذكر فيه انه لما دخل الاسكندرية لم يكن عنده آكد من السؤال عن الملك الناصر فاخبر بحاله وما جرى له من الططر حتى قتلوه بعد الامان ثم ساق فيه دخول هولاء لحلب فقال بعد كلام وارتكب في اهل حلب الططر والمرتدون ونصارى الارمن ما تصم عنه الاسماع فكان فيمن قتل تلك الكائنة البدر بن العديم الذي صدر عنه بالطبقة العالية في الشعر مثل قوله

واما العقرب صدغه • لو لم تكن للماء تحمي

ولعقل خط عذاره • لو بات عجمه بلثمي

وابن عمه الافتخار بن العديم الذي وقع له مثل قوله

والغصن فيه الماء مطرد • والماء فيه الغصن منعكس

ثم ذكر اخو الناصر بعد استيلاء الططر على بلاده حلب والشام وما اليهما ما نصه قال من دخل على الملك الناصر وقد نزل بميدان دمشق قبل نبذه وحملت اذعوله واظهر تغربته على ما جرى من تلك المصائب العظيمة فاضرب عن ذلك وقال لي فيما تعرض ليوم ثم انشدني قوله في مملوك فقده في هذه الكائنة

والله ما ابكي لملك مضى • ولا لحظ عن اعز مقيم

وانما ابكي وقد خونني • لفقد من كنت به في نعيم

بطلع بدرا يلتقي بانة • يمر فيها ومنه كالنسيم •
في خاطري ابصرم خاطرا • فالنوى مثل النوى التسليم •
يا عاذلي دعني وما حل بي • فما سوى الله بحالي عليم •
ان مت من حزن له استرح • وان اعش عشت بهم عظيم •

ثم انه سار نحو ملاون فلما مر بحلب ونظر الى محاسنها على غير ما يعهد قال

مررت بجرعاء الحمى فتلفتت • لحاظي الى الدار التي رحلوا عنها •
ولو كان عندي الف عين وقمت في • معالمها عمري لما شبعت منها •

وصنع في نعيها اشعارا يتغنى بها المستمعون ثم رحل الى صحرا في جهة ارمينية وجد ملاون هناك في تلك المروج المشهورة بالخصب فانزله واقام معه الى ان وصل الخبر بوقعة عين جالوت على الططر للملك المظفر صاحب مصر فقتلوه وخلعوا اعظم كتبغه وجعلوه في احد الاعلام عادته في اكفال الملوك انتهى باختصار رجع ومن الوافد من الاندلس الى المشرق الاديب الحسيب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن سعيد وكان صعب الخلق شديد الانفعال بينه وبيننا فاربما اوجب خروجه الى اقصى المشرق

وفي ذلك يقول وكتب اليهم

من لصب يرعى النجوم صبابه • ضيع الصبر في الهموم شبابه •
زدت بعدا فزدت فيها اقترابا • بودادي كذاك حكم القرابة •
منزلي الان في سمرقند وبالقلعة ربع وطيب طفل اترابه •
شد ما ابعد الفراق انتزاحي • هكذا الليث ليس يدري اغترابه •
لا ولا ادنجي الاياب لامر • ان يكن من يحي عزيب ايابه •

وكتب لهم من بخارى

اذا هبت رياح الغرب طارت • اليها مهجتي نحو التلاقي •
واحسب من تركت به يلاقي • اذا هبت صبا مما الاقي •
فيا ليت التفرق كان عدلا • تحمل ما نطيق من اشتياق •
وليت العمر لم يبرح وصالا • ولم يحكم علينا بالفراق •

اذا كان الشوق فوق كل صفة • فكيف نعبر عنه الشفه • لكن العنوان دلالة على بعض ما في الصحيفة • والحاجب قد ينوب في بعض الامور مناب الخليفة • وما ظنكم بشوق طريح • في يد الاشواق طليح • يقطع مسافات الافاق بتقلب تقلب الافيا • ويتلون تلون الحربا حتى كانه يحرر مساحات الارض ذات الطول والعرض ويجوب اهوية الاقاليم السبع خارجا بما ادخله فيه اللجاج عن الشرع وكان خليفة الاسكندر بكون ما يحبس من هموم الغربة بفكري قايمة مقام الجيش والعسكر جزت الى بر العدوة الغرب الاقصى قطمحت بي نفسي الى مشاهدة الغرب الاوسط فلاقيت فيما بينهما من المسافة

من المشاق

من المشاق ما لا يحصر ثم تشوقت الى افريقية ذرب بلاد الشرق فاستشعرت من مسالك ما بينها وبين بلادي من العرق واحطت من عيني بتلك الطلاوة وانتزعت من قلبي تلك الحلاوة •

لله عين لم ترنا العين مثلها • ولا تلتقي الا بجنات رضوان •

ثم نازعتني النفس التواقة الى الديار المصرية • فكابدت في البحر ما لا يفي بوصفه الا المشافهة الى ان ابصرت منار الاسكندرية فيا لك من استيناف عمر جديد بعد الاياس من الحياة بما لقينا من الاهوال والتنكيد • ثم صعدت الى القاهرة قاعدة الديار المصرية لمعاينة الهرمين وما فيهما من المعالم الاوليه • وعاينت القاهرة المعزية وما فيها من الهمم الملوكية • غير اني انكرت مبانيها الواهية على ما حوت من اولي الهمم العالية • وكونها حاضرة العسكر الجرار • وكرسي الملك العظيم المقدار • وقلت اصداف فيها جواهر • وشوك محدق بازاهر • ركبت النيل وعاينت مماسيحه • وجرت بحر جرم وذقت تباريحه • وقضيت الحج والزيارة • وملت الى حضرة الشام دمشق والنفس بالسوء امارة • فهنا لك بعث الزيارة بالاوزار • وانت مكلفا التجارة الى ما حكمت به الاقدار ادعيكما قال احد من عاينها

اما دمشق فجنات معجلة • للطالبين بها الولدان والحور •
لله ما نعمت داخلها من الحور والولدان • وما تزين به خارجها من الانهار والجنان •

وبالجملة فانها حمى تتقاصر عن ادراكها اعناق الفصاحة وتقصر عن مناولتها في ميدان الاوصاف كل راحة • فلم ازل اسمع عن حلب انها دار الكرم والادب • فاردت ان يحظى بصري بما حظي به سمعي • ورحلت اليها • واقمت جابرا بالمذاكرة والمطالبة صدعي • ثم رحلت الى الموصل فالفيت مدينة عليها رونق الاندلس • وفيها لطافة وفي صبابتها حلاوة ترتاح لها الانفس • ثم دخلت الى مقر الخلافة بغداد فعاينت من العظم والضخامة ما لا يفي به الكتب ولو اذا البحر مداد ثم تغلغلت في بلاد العجم بلدا بلدا غير مقتنع بغاية ولا قاصدا امدا • الى ان حللت ببخارى قبة الاسلام ومجمع الامام • فالفيت بها عصى التسيار • وعكفت على طلب العلم واصلا في اجتهاده سواد الليل بياض النهار • وانتهى وكتب اليهم ايضا من هذه الرسالة • كتبت وقد حصلتني الشعارة وحفظ الامل والارادة • بحضرة بخارى قبة الاسلام • فقد يعجلنا مله من الغرب بكلام من حملته وان كنت قد تحصنت بقبة الاسلام • فقد يعجلت لنا ولك الغفر قبل وقت الحمام • وابتعوا ذلك بما دعاه لان خاطبهم بشعر منه

عتبت على حث المطي وقلتم • تعجلت فقدا قبل وقت حمام •
اذا لم يكن حالي مهما لديكم • سواء عليكم رحلتي ومقامي •

وقتل المذكور ببخارى حين دخلها الططر ومنوعم على بن سعيد الشهير وكان لعبد

الرحمن المذكور اخ يسمى يحيى فدعا في الجندية فلما بلغه ان ابا القاسم عبد الرحمن قتل ببخارى قال لا اله الا الله كان ابدا يسعى الى في الجندية ويقول لو اتبعت طريقتنا كما انا لكان خيرا لك فها هو رب قلم قد قتل شر قتلة بحيث لا ينتصر وسلب سلاحه وانا ما زلت اغازي في عباد الصليب واخلص منها بعذر احد يجير لنفسه عاقبته انتهى قال ابو الحسن علي بن سعيد ثم ان يحيى المذكور بعد خوضه في الحروب صرعه في طريق غلام كان يخدمه فذبحه على نزر من المال فلما قلت به فانظره تقلب الاحوال كيف يجري في انواع الامور لا على تقدير ولا احتياط انتهى ومن شعر ابي القاسم عبد الرحمن المذكور ما خاطب به نقيب الاشراف ببخارى وقد اهدى اليه فاختا مع زوجة

• يا سيد الاشراف لا زلت عاليا • معاليك تنبو الدهر عن كل نائب •
• من الفضل اقبل لعلما بعثته • من شاديه عوه يفاختنه •
• لئن فاتني منه الانيس فكلما • يحل لدى هلياك لبيس بغائب •
• الا حبذا من فاخت شاد جلسه • واصبح مقرونا ببنت الفواخت •

انتهى ومنهم الشيخ الصالح الزاهد ابو الحسن علي بن عبد الله بن يوسف بن حمزة القرطبي الانصاري المعروف بابن العابد نزيل رباط الصاحب الصفي بن شكر قال بعض المشارقة عنه انما سميت الخمر بالعجوز لانها بنت ثمانين تجيء عد دخنا

وانشد له

• عذلنا فلانا على فعله • ولمناه في شربه للعجوز •
• فقال دعوني من اجلها • انا لا انا واخي والعجوز •

ومنهم الفاضل المتقن ابو عبد الله محمد بن علي بن يوسف بن محمد بن يوسف الانصاري الشاطبي الاصل البلنسي المولد في احد ربيع سنة احدى وستمائة ولقبه المشارقة برضي الدين وتوفي بالقاهرة في جمادى الاولى ٦٨٤ سنة رحمه الله ومن فوايده قوله نقلت من خط ابي الوليد بن خيرة الحافظ القرطبي في فهرست ابي بكر بن مفوز وقد ادركته بسني ولم اخذ عنه واجتمعت به انشدني له ابو القاسم بن الابرش يخاطب بعض اصحاب ابن حزم والاشارة لابن حزم الظاهري

• يا من تعنى امورا لم يعانيها • خل اليراع واعط القوس باريها •
• تروي الاحاديث عن كل مسامحة • وانما لمعانيها معانيها •

وقد سبق في ترجمة القاضي ابي الوليد الباجي ذكر هذين البيتين عندما اجرينا ذكر ابن حزم قال وانما قال هذا الشعر في ذكر رواية ادعيت على قول النبي صلى الله عليه وسلم ان خالدا قد احتبس ادراعه واعتده في سبيل الله وصحح رواية من روى اعتده جمع عتد وعلل رواية من روى اعتده بالتاء مثناة باثنين من فوق جمع عتد وهو العرش قال ابن خيرة الاحاطة ممتنعة ومنها الرواية فذرواها

جماعة من الاثبات والعلماء المحدثين فهو انكار غير معروف والله اعلم ومن فوايده ما نقله تلميذه ابو حيان النحوي عنه قال انشدنا المصري ونقلته من خطه

• اذا ما شئت معرفة • بما جاز الورى فيه •
• تخذ خمسا لاربعة • ودع للثوب رافيه •

ومن لغز في ورد قال وانشدنا لبعضهم

• لا رعى الله عزمة ضمنت لي • سلوة الصبر والتصبر عنه •
• ما وفت غير ساعة ثم عادت • مثل قلبي تقول لا بد منه •

قال وانشدنا لغيره

• وكان غريب الحسن قبل التحاء • فلما التحى صار الغريب المصنفا •

وانشدنا لغيره

• طب على الوحدة نفسا • وارض بالوحشة انسا •
• ما عليها من بشاوي • حين يستخبر فلسا •

وقرا الرضي ببلده على ابن صاحب الصلاة اخر اصحاب ابن هذيل وسمع منه كتاب التيسير وسمع بمصر من ابن المقير جماعة وروى عنه الحافظ المزي والدمياطي والظاهري واخرون وانتهت اليه معرفة اللغة وغريبها وكان يقول اعرف اللغة على قسمين قسم اعرف معناه وشواهده وقسم اعرف كيف ينطق به فقط رحمه الله ومن فوايد الرضي الشاطبي المذكور ما ذكره ابو حيان في البحر ونحوه من غريب ما انشدنا الامام اللغوي رضي الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطبي لزينب بنت اسحاق النصرانية

• عدي وتيم لا احاول ذكرهم • بسوء ولكني محب لهاشم •
• وما يعتريني في علي ورهطه • اذا ذكروا في الله لومة لائم •
• يقولون ما بال النصارى تحبهم • واهل النهى من عرب واعاجم •
• فقلت لهم اني لاحسب حبهم • سرى في قلوب الخلق حتى البهائم •

ومن نظم الرضي المذكور

• متعض العيش لا ياوي الجدعه • من كان في بلد او كان ذا ولد •
• والساكن النفس من لم ترض همته • سكنى بلاد ولم يسكن الى احد •

وله ايضا

• لولا بناتي وسيئاتي • لطرت شوقا الى الممات •
• لانني في جوار قوم • يبغضني قربهم حياتي •

وقرا عليه الرضي ابو حيان كتاب التيسير واثنى عليه ولما توفي انشد رثا له فقال

• نعى لي الرضي فقلت لقد • نعى لي شيخ العلا والادب •
• فمن للغات ومن للثقات • ومن للنحاة ومن للنسب •

لقد كان للعلم بحرًا فغاض • وإن غيبوه البحار العجيب •
فقدس من عالم عامل • أثار لشجوي لما ذهب •

وتحاكم إلى رضي الدين المذكور الجزار والسراج الوراق أيهما أشعر وأرسل الجزار
شيئا فقال هذا أشعر جزل من نمط شعر العرب فبلغ ذلك الوراق فأرسل إليه شيئا
فقال هذا أشعر سلس قال كما أحكم بينكما رحمه الله قلت رأيت بخطه كتبا كثيرة
بمصر وحواشي مفيدة في اللغة وعلى دواوين العرب رحمه الله قلت رأيت ذلك

ومنهم حميد الزاهد وهو الأديب الفاضل الزاهد أبو بكر حميد بن محمد بن عبد الله
ابن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصاري القرطبي نزيل مالقة قال الرضي الشاطبي
المذكور قريبا أنشدني حميد بالقاهرة لأبيه أبي محمد وقد ناهز ستينه مع علو سنه

وقل يا فتى في الخطاب الشيب مفرقي • وقد شاب أترابي وشاب لداتي •
إذا كان خضب الشيب يوجد عيبه • ينزرني فمعناه يقوم بذاتي •

اللدات من ولد معه في زمان واحد انتهى وفي فكراته قال مذ [illegible] البيتين
لما قاله القاضي عياض شبنا ولم نشب وقال الرضي أيضا أنشدني حميد لأبيه
فيمن يكتب في الورق بالفضة وهو غريب

وكانت وشي طرسه حبره • لم يرتشها حبره ولا قلمه •
لكن بمقراضه ينمنمها • نمنمة الروض جاده رهمه •
يوجد بالقطع أحرفا عدمت • فاعجب لشيء وجوده عدمه •

والرسم المطرفا ... وتوفي حميد هذا الزاهد بمصر قبيل الظهر من يوم الثلاثاء
وصلي عليه خارج المصر بجامع راشدة بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء المذكور ودفن
بسفح المقطم بتربة الشيخ الفاضل الزاهد أبي بكر محمد الخزرجي الذي يدق الرصاص جدا
رجليه في الثالث والعشرين من ربيع الأول ٦٥٢ه ومولده سنة [illegible] انتهى ومنهم
اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله الغافقي من أهل بلنسية وأصله من جيان وسكن
المرية ثم مالقة يكنى أبا يحيى كتب لبعض الأمراء في الأندلس وله تأليف سماه المغرب
في أخبار محاسن المغرب جمعه للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالديار
المصرية بعدما رحل إليها من الأندلس سنة ٥٦٠ه وبها توفي في يوم الخميس التاسع عشر من رجب
٥٧٥ه رحمه الله. ومنهم محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد التجيبي يكنى أبا عبد الله
من أهل إشبيلية تجول في بلاد الأندلس طالبا للعلم ثم حج ولقي الحافظ السلفي وغيره
واستوطن تلمسان ومنها توفي في جمادى الأولى سنة ٦١٠ه وله تواليف كثيرة ومنهم
أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمي الباجي من أهل إشبيلية وولي القضاء بها وأصله
من باجة إفريقية دخل المشرق لأداء الفريضة فحج وتوفي بمصر بعدما دخل الشام في
اليوم الثامن والعشرين من ربيع الأول ٦٣٥ه ومولده عام أربعة وستين وخمسـ

وكانت

وكانت رحلته من المغرب أول يوم من المحرم عام أربعة وثلاثين وستمائة ومنهم
وليد بن بكر بن مخلد بن زياد الغمري من أهل سرقسطة يكنى أبا العباس له كتاب
سماه الوجازة في صحة القول بالإجازة وله رحلة لقي فيها الفقيه والمحدث
وفقيه توفي بالدينور ٣٩٢ه يروي عنه أبو ذر الهروي وعبد الغني الحافظ
وكفاه فخرا هذين الإمامين العظيمين رحمهم الله الجميع ومنهم عيسى بن
سليمان بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد الرعيني الرندي يكنى أبا محمد استوطن مالقة
ورحل إلى المشرق وحج ولقي جماعة من العلماء وقفل إلى المغرب أواخر عام واحد
وثلاثين وستمائة وولي الإمامة بالمسجد الجامع بمالقة وبها توفي في ربيع الأول
٦٣٢ه ولقب في المشرق برشيد الدين وولد في ربيع الأول ٥٨١ه بقرية من
قرى الأندلس يقال لها مالسين كورة [illegible] ذكر ذلك ابن المستوفي في تاريخ إربل
ومنهم أبو الربيع سليمان بن أحمد اليمني من أهل الأندلس استوطن المشرق
ومدح الملك الكامل ومن شعره قوله

لولا تخدده بآية سحره • ما كنت ممتثلا شريعة آدم •
ربنا أصدق وكاذب وعده • يبدي لعاشقه دلائل عدم •
ظهرت نبوة حسنه في فترة • من جفنه وضلالة من شعره •

ومنهم أبو جعفر أحمد بن يحيى الضبي رحل حاجا فلقي ببجاية عبد الحق الإشبيلي وبالإسكندرية
أبا الطاهر بن عوف ولقي غير واحد في رحلته كالغزنوري وأبي الثناء الحراني وأبي
الحسين الحرستي وللحرستي أحاديث ساوى بها البخاري ومسلما ولقي جماعة ممن شارك
السلفي في شيوخه ومنهم أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني صاحب الرحلة
وهو من ولد ضمرة بن بكر بن عبد مناة من كنانة أندلسي شاطبي بلنسي مولده ليلة السبت
عاشر ربيع الأول ٥٤٠ه ببلنسية وقيل في مولده غير ذلك وسمع من أبيه بشاطبة
ومن أبي عبد الله الأصيلي وأبي الحسن بن أبي العيش وأخذ عنه القرآن وعني بالأدب
فبلغ الغاية فيه وتقدم في صناعة القريض والكتابة ومن شعره قوله وقد
دخل بغداد فاقتطع غصنا نضيرا من أحد بساتينها فذوي في يده

لا تغترب عن وطن • واذكر تصاريف النوى •
أما ترى الغصن إذا • ما فارق الأصل ذوى •

وقال رحمه الله يخاطب الصدر الخجندي

يا من حواه الدين في عصره • صدرا يحل العلم فيه فؤاده •
ماذا يرى سيدنا المرتضى • في زائر يخطب منه الوداد •
لا يبتغي منه سوى أحرف • يعقدها أشرف ذخر يفاد •
توسمها أنمله مثلما • تموه الروض كف العهاد •

في رفعة كالصبح امتد بسطها . يد المعالي يمسك لنيل المداد .
اجازة يورثنيها العلا . جائزة تبقى وتفنى البلاد .
يستصحب الشكر خديما لها . والشكر للامجاد اسنى عتاد .

فاجابه الصدر الخجندي

لك الله من خاطب خلتي . ومن قابس من جيدي سقط زندي .
اجزت له ما اجازوه لي . وما حدثوه وما صح عندي .
وكاتب هذا السطور التي . تراها عبيد اللطيف الخجندي .

ورافق ابن جبير في هذه الرحلة ابو جعفر احمد بن الحسن بن احمد بن الحسن القضاعي وا صله من اندة من عمل بلنسية رحل معه فاديا الفريضة وسمعا بدمشق من ابي الطاهر الخشوعي واجاز لهما ابو محمد بن ابي عصرون وابو محمد القاسم بن عساكر وغيرهما ودخلا بغداد ونحوا مرة ثم قفلا جميعا الى الغرب فسمع منهما به بعض ما كان عندهما وكان ابو جعفر هذا متحققا بعلم الطب وله فيه تقييد مفيد مع المشاركة الكاملة في فنون العلم ومنهم السيد ابو سعيد بن عبد المؤمن وجده لامه القاضي ابو محمد عبد الحق بن عطية وتوفي ابو جعفر هذا بمراكش سنة ثمان او تسع وتسعين وخمسمائة ولم يبلغ الخمسين في سنه رحمه الله رجع الى ابن جبير قال لسان الدين في حقه انه من علماء الاندلس بالفقه والحديث والمشاركة قال لسان الدين وفي الاداب وله الرحلة المشهورة واشتهرت في السلطان الناصر صلاح الدين بن ايوب له قصيدتان احداهما

اولهما . اطلت على افقك الزاهر . سعود من الفلك الدائر .

ومنها قوله

رفعت مغارم مكس الحجا . زبانعامك الشامل الغامر .
وامنت اكناف تلك البلاد . فهان السبيل على العابر .
وسحب اياديك فياضة . على وارد وعلى صادر .
فكم لك بالشرق من حامد . وكم لك في الغرب من شاكر .

والاخرى منها في الشكوى بابن شكر الذي كان اخذ المكس من الناس في الحجاز

وما نال الحجاز بكم صلاحا . وقد نالته مصر والشام .

ومن شعره

اخلاء هذا الزمان الخؤون . توالت عليهم حروف العلل .
فقلبت للتعجب من بابهم . فصرت اطالع باب البدل .

وقوله

غريب تذكر اوطانه . فهيج بالذكر اشجانه .
يحل عرى صبره بالاسى . ويعقد بالنجم اجفانه .

انتهى وقال رحمه الله لما رأيت البيت الحرام زاده الله شرفا

بدت لي اعلام بيت الهدى . بمكة والنور باد عليه .
فاحرمت شوقا له بالهوى . واهديت قلبي هديا اليه .

وقوله يخاطب من اهدى له موزا

يا مهدي الموز تبقى . ومثله لك فاه .
وزاده عز قرب . لمن يعاديك تاه .

وقال رحمه الله

قد ظهرت في عصرنا فرقة . ظهورها شؤم على العصر .
لا تقتدي في الدين الا بما . سن ابن سينا وابو نصر .

وقال رحمه الله تعالى

يا وحشة الاسلام من فرقة . شاغلة انفسها بالسفه .
قد نبذت دين الهدى خلفها . وادعت الحكمة والفلسفة .

وقال

ضلت بافعالها الشنيعه . طائفة عن هدى الشريعة .
ليست ترى فاعلا حكيما . يفعل شيئا سوى الطبيعة .

وكان انفصاله رحمه الله من غرناطة بقصد الرحلة الى المشرق اول ساعة من الخميس الثامن لشوال ٥٧٨ ووصل اسكندرية يوم السبت التاسع من العشرين من القعدة الحرام من السنة فكانت اقامته على متن البحر من الاندلس الى اسكندرية ثلاثين يوما ونزل البر الاسكندراني في الحادي والثلاثين الى اسكندرية وحج رحمه الله وتجول في البلاد ودخل الشام والعراق والجزيرة وغيرها وكان رحمه الله كما قال ابن الرقيق من اعلام العلماء العارفين بالله كتب في اول امره عن السيد ابي سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة فاستدعاه لان يكتب عنه كتابا وهو على شرابه فمد اليه يده بكاس فاظهر الانقباض وقال يا سيدي ما شربتها قط فقال والله لتشربن منها سبعا فلما راى العزيمة شرب سبع اكوس فملا له السيد الكاس من دنانير سبع مرات وصب ذلك في حجره فحمله الى منزله واضمر ان يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير ثم جاء للسيد واعلمه انه حلف بالايمان لا خروج له عنها انه يحج في تلك السنة فاسعفه وباع ملكا له تزود به وانفق تلك الدنانير في سبيل البر ومن شعره

في جارية تركها بغرناطة

طول اغتراب وبرح شوق . لا صبر والله لي عليه .
اليك اشكو الذي الاقي . يا خير من يشتكى اليه .
ولي بغرناطة حبيب . قلبي واحشاي في يديه .

ودمشق وهو في دلال • يظهر لي بعضها لديه •
فلو تري دمع نرجسيه • بينهما في ورد وجنتيه •
أبصرنا درا على عقيق • من دمعة فوق صفحتيه •

ولما وصل بغداد تذكر بلده

ولد رحلة مشهورة

سقى الله أرض الغرب كل غمامة • وردّ إلى الأوطان كل غريب •

انتهى وقال في رحلته في حق دمشق جنة المشرق ومطلع حسنه المونق المشرق وهي خاتمة بلاد الإسلام التي استقريناها • وعروس المدن التي اجتليناها • قد تحلت بأزاهير الرياحين وتجلت في حلل سندسية • وحلت من موضع الحسن بمكان مكين وتزينت في منصتها أجمل تزيين • وتشرفت بأن آوى الله المسيح وأمه منها إلى ربوة ذات قرار ومعين • ظل ظليل وماء سلسبيل تنساب مذانبه انسياب الأراقم بكل سبيل • ورياض يحيي النفوس نسيمها العليل • تتبرج لناظريها بمجتلى صقيل وتناديهم هلموا إلى معرس للحسن ومقيل • وقد سئمت أرضها كثرة الماء حتى اشتاقت إلى الظماء فتكاد تناديك بها الصم الصلاب • اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب قد أحدقت البساتين بها إحداق الهالة بالقمر • والأكمام بالثمر • وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر • فكل موضع لحظت بجهاتها الأربع نضرته اليانعة قيد النظر • ولله صدق القائلين فيها إن كانت الجنة في الأرض فدمشق لا شك فيها • وإن كانت في السماء فهي بحيث تساميها وتحاذيها قال العلامة الوادي آشي جدد الله رحمة ابن جبير لدمشق ما نصه ولقد أحسن فيما وصف منها وأجاد وتوق الأنفس للتطلع على صورتها بما أفاد هذا ولم تكن له بها إقامة فيعرب عنها بحقيقة علامة • ولا عرف الأزمان فصولها المنوعات ولا أوقات سرورها المهنئات وقد أنصف من قال ألفيتها كما تصف الألسن وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين انتهى رجع الكلام لابن جبير فنقول ثم ذكر في وصف الجامع أنه من أشهر جوامع الإسلام حسنا وإتقان بناء وغرابة صنعة واحتفال تنميق وتزيين وشهرته المتعارفة في ذلك تغني عن استغراق الوصف فيه • ومن عجيب شأنه أنه لا تنسج به العنكبوت ولا تدخله ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف ثم مد النفس في وصف الجامع وما به من العجائب ثم قال بعد عدة أوراق ما نصه وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه غرفة ولها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان صفر قد فتحت أبوابا صغارا على عدد ساعات النهار دبرت تدبيرا هندسيا فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمي بازين مصورين من صفر قائمين على طاستين صفر تحت كل واحد منهما أحدهما تحت أول باب من تلك الأبواب والثاني تحت آخرها والطاستان مثقوبتان فعند وقوع

مما بناه من أماكن المعمّ

طاستين

البندقتين

البندقتين فيهما تعودان داخل الجدار إلى الغرفة وتبصر البازين يمدان أعناقهما بالبندقتين إلى الطاستين يسمع لهما دوي وينغلق الباب الذي هو لتلك الساعة للحين بلوح من الصفر لا تزال كذلك عند انقضاء كل ساعة من النهار حتى تنغلق الأبواب كلها وتنقضي الساعات • ثم تعود إلى حالها الأول ولها بالليل تدبير آخر وذلك أن في القوس المنعطف على تلك الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرمة وتعترض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار في الغرفة مدبر ذلك كله خلفها الطيقان المذكورة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فإذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة أمامها شعاعها فلاحت للأبصار دائرة محمرة ثم انتقل ذلك إلى الأخرى حتى تنقضي ساعات الليل وتحمر الدوائر كلها وقد وكل بها في الغرفة متفقد لحالها درب بشأنها وانتقالها يعيد فتح الأبواب وصرف الصنج إلى مواضعها وهي التي يسميها الناس المنجانة انتهى المقصود منه قلت كلما ذكره رحمه الله في وصف دمشق الشام وأهلها هو في نفس الأمر يسير ومن ذا يروم عد محاسنها التي إذا رجع البصر فيها انقلب وهو حسير • وقد أطنب الناس فيها وما بقي أكثر مما ذكروه وقد دخلتها أواخر شعبان من سنة سبع وثلاثين وألف للهجرة وأقمت بها إلى أوائل شوال من السنة وارتحلت عنها إلى مصر وقد تركت القلب بها وملك هواها مني فكرا وذهنا فكأنها بلدي الذي بها ربيت وقراري الذي لي به أهل وبيت لأن أهلها عاملوني بما ليس لي بشكره يدان وما أنا إلى هذا التاريخ لا ارتاح إلى غيرها من البلدان ولا يشوقني ذكر أرض بابل ولا بغداد والله سبحانه يعطر منهما بالعافية الأردان وقد عن لي أن أذكر جملة مما قيل فيها من الأمداح الرائقة واسرد ما خاطبني به أماثلها من القصائد الفائقة فنقول قال البدر ابن حبيب

يمم دمشق ومل إلى غربيها • والمح بمحاسن حسن جامع ملتقا •
من قال لم حسد رأيت نظيره • بين الجوامع في البلاد فقد لغا •

وقال رحمه الله

دمشق أحلى محاسن جلق • وجهاتها اللاتي تروق وتعذب •
بيزيد ربوتها الفرات وجنكها • يا صاح كم كنا نخوض ونلعب •

وقال في كتاب شنف السامع بوصف الجامع

لله ما أجمل وصف جلق • وما حوى جامعها المفرد •
قد أطرب الناس بصوت صينده • وكيف لا يطرب وهو معبد •

وقال في ذكر باب الجامع المعروف بالزيادة

يا راغبا في غير جامع جلق • هل يستوي المصنوع والممنوح •

لا يضجر عناك وفي علوك لا تزد • ان الزيادة بابها مفتوح

وقال في منارته المعروفة بالعروس

متعبدا للشام يجمع الناس طرا • واليه شوقا تميل النفوس

كيف لا يجمع الورى وهو بيت • فيه تجلى على الدوام العروس

ومنه في ذكر بانيه الوليد

تالله ما كان الوليد عابثا • في صرفه المال وبذل جهده

لكنه احرز ملك متعبد • لا ينبغي لاحد من بعده

ومن ابيات في اخره

بجامع جلق رب الدعامة • اقيم تلقي العناية والكرامة

وبهم نحوه في كل وقت • وصل به تفضل دار الاقامة

مصلى فيه للرحمن سر • ومثوى للقبول به علامة

محل كمل الباري حلاه • وبيت ابدع الباني نظامه

دمشق لم تزل للشام وجها • ومسجدها لوجه الشام شامة

وبين معابد الافاق طرا • له امر الامارة والامامة

ادام الله بهجته وابقى • محاسنه الى يوم القيامة

انتهى ولم اقف على كل هذا الكتاب المذكور بل على بعضه فقط

ومن قصيدة القاضي المهذب ابن الزبير

بالله يا ريح الشمال اذا اشتملت الروح بردا

وحملت من عرف الخزا • ما ما اغتدى للند ندا

ونسجت ما بين الغصو • ن اذا اعتنقن هوى وودا

ومررت عند الصبح من • اعطافها قدا فقدا

ونثرت فوق الماء من • احبابها للزهر عقدا

فملأت صفحة وجهه • حتى اكتسى آسا وودا

وكانما القبت فيه لنا منهما صدغا وخدا

مري على بردى عسى • يزيد في مسراك بردا

نهر كنصل السيف تك • سر متنه الا زمان زبدا

صقلته انفاس النسيم • بمر من فلبس بصدا

ومنها

احبابنا مابالكم • فيناتين الاعداء اعدى

وحياة حبكم وحق • منزلكم ما خنت عهدا

وقال الكمال الشربيشي

يا جيرة الشام هل من نحوكم خبر • فان قلبي بنار الشوق يستعر

بعدت عنكم فلا والله بعدكم • ما لذ للعين لا نوم ولا سهر

اذا تذكرت اوقاتا تات ومضت • بقربكم كادت الاحشا تنفطر

كانني لم اكن بالنيربين ضحى • والغيم يبكي ومنه يضحك الزهر

والورق تنشد والاغصان راقصة • والدوح يطرب بالتصفيق والنهر

والسفح ابن عشيا في التي ذهبت • لي فيه فهي لعمري عندي العمر

سقاك بالسفح سفح الدمع منهملا • وقل ذاك له ان اعوز المطر

وحكى ابن سعيد وغيره ان غرناطة تسمى دمشق الاندلس لكونها تشبه دمشق الشام بها عند دخولهم الاندلس وقد شبهوها بها لما راوها كثيرة المياه والاشجار وقد اطل عليها جبل الثلج

وفي ذلك يقول ابن جبير صاحب الرحلة

يا دمشق الغرب هاتيك لقد زدت عليها

تحتك الانهار تجري • وهي تنصب اليها

قال ابن سعيد اشار ابن جبير الى ان غرناطة في مكان مشرف وغوطتها تحتها تجري فيها الانهار ودمشق في وهدة تنصب اليها الانهار وقد قال الله تعالى في وصف الجنة تجري من تحتها الانهار انتهى وقال الشيخ الصفدي في تذكرته انشدني المولى الفاضل البارع شمس الدين محمد بن يوسف بن عبد الله الخياط ٥ تقلعة الجبل من الديار المصرية حرسها الله تعالى لنفسه في شعبان المكرم سنة ٧٣٢

قصدت مصر من بني جلق • بهمة تجري بتجريبي

فلم ار الطرة حتى جرت • دموع عيني

وانشدني لنفسه ايضا

خلفت بالشام حبيبي وقد • يممت مصرا لعنى طارقي

والارض قد طالت فلا تبعدي • بالله يا مصر على العاشق

وانشدني ايضا لنفسه

يا اهل مصر انتم للعلى • كواكب الاحسان والفضل

لو لم تكونوا لي سعودا لما • وافيتكم اضرب في الرمل

انتهى وذكرته لحسن مغزاه وقال الشيخ مجد الدين محمد بن احمد المعروف بابن الظهير الحنفي الاربلي

لعل سنى برق الحمى يتألق • على النأي او طيفا لاسماء يطرق

فلا انا ارهما تبدو ولم تغب ولا • وعود الاماني الكواذب تصدق

لعل الرياح الهوج تدني لنا رخا • من الشام عرفا كاللطيمة يعبق

ديارا قضينا العيش فيها منعما • وايامنا تحنو علينا وتشفق

سحبنا بها برد الشباب وشرخنا ... لديها كما شئنا لذيذ مروّق
مواطن فيها الشمس تسمو وظله ... يحث مطايا اللهو فيه ويعنق
حلى جانبيه معلم متجعد ... من الماء في اطلاله يتدفق
اذا الشمس حلت متنه فهو مذهب ... وان حجبتها دوحة فهو ازرق
وان فرج الاوراق جادت بنورها ... فرقم اجادته الاكف منمّق
بطل علينا قاسيون كانه ... غمام معلّى او نعام معلّق
تشا فرعنه الشمس قبل غروبها ... حياء واجلالا له حين تشرق
وتصفر من قبل الاصيل كانها ... محب من البين المشتت مشفق
وفي النيرب الميمون للبث شائب ... من المنظر الزاهي وللطرف مونق
بدائع من صنع القديم ومحدث ... تانق فيها المحدث المتانق
رياض كوشي للبرود يشفها ... جداول فيها النور بالماء يشرق
فمن نرجس يحكي فراق ضريحه ... ترى الدمع في اجفانه يترقرق
ومن كل ريحان مقيم وزائد ... يصافح رياه الرياض فيعبق
كان قدود السرو فيه مواتيا ... قدود عذاري مثلها مترفق
اذا ما تداعت للسقا يوضدها ... عيون من النور المفتح ترمق
وقصر نكل الطرف عنه كانه ... الى النسر يسري في السما معلق
وكم جدول جار بطا ولجرولا ... وكم جوسق عالي البوار به جوسق
وكم بركة فيها تضاحك بركة ... وكم مستطل للماء فيه تدفق
وكم منزل يغشى العيون كانها ... تالق فيها بارق وسنا الق
وفي الربوة الفيحاء للقلب جاذب ... وللهم مسلاة وللعين مرمق
عروس جلاها الدهر فوق منصة ... من الدهر والابصار ترمي وترمق
تهام بها الوادي ففاضت عيونه ... فكل فرا رمنه بالدمع يشرق
فكل من دون الجدا ولشربها ... يريد بصفقيه لها ويروق

وقال ابو تمام في دمشق

لولا حدائقها واني لا ارى ... عرشا هناك ظننتها بلقيسا
وارى الزمان غدا عليك بوجهه ... جذلان بساما وكان عبوسا
قد نورت تلك البطون وقد تمت ... تلك الظهور وقد تنست تقديسا

وقال

اما دمشق فقد ابدت محاسنها ... وقد وفا لك مطرها بما وعدا
اذا اردت ملأت العين من بلد ... مستحسن وزمان يشبه البلدا
تمسي السحاب على اجبالها فرقا ... ويصبح النور في صحرائها بددا

ظننت

ظننت تبصرا لا او اكفا خضلا ... او بانعا خضرا او طائرا غردا
كانها الغبط ولي بعد جيئته ... او الربيع دنا من بعد ما بعدا

وفي دمشق يقول بعض

برزت دمشق لزائريها وطانها ... من كل ناحية بوجه ازهر
لو ان انسانا تعمد ان يرى ... معنى حلا من نزهة لم يقدر

وقال القيراطي من قصيدة اولها: للصب بعدك حالة لا تحجب

لله ليل كالنهار قطعته ... بالوصل لا اخشى به ما يرهب
وكلنت منه الى التصابي دائما ... من قبل ان يبدو الصبح اشهب
ايام كالما الخدود بشوبه ... كدرا لعذار ولا عذاري اشيب
كم في مجال اللهو لي من جولة ... اضحت تروضها السماع وتطرب
واقمت للندماء سوق خلاعة ... تجبى المجون الى فيه وتجلب
وذكرت في مغنى دمشق معشرا ... ام الزمان بمثلهم لا تنجب
لا يسا لا الفصاد عن ناديهم ... لكن يذلهم الثناء الطيب
قوم تحسن صفاتهم وفعالهم ... قد جاء يعتذر الزمان المذنب
يا من لحرات الفواد وطرفه ... بدمشق ادمعه غدت تتحلب
اشتاق في وادي دمشق معهدا ... كل الجمال الى حماه ينسب
ما بين لا روضة او جوسق ... او جدول او بلبل او ربرب
وكانما ذاك النهر فيه معصم ... يبدو النسيم منقش ومكتب
واذا تكسر ماوه ابصرته ... في الحالتين برياضه يتشعب
وشدت على العيدان ورقا طربت ... يغنيها من غاب عنها المطرب
فالورق تنشد والنسيم مشبب ... والنهر يسقي والحدائق تشرب
وضياعها ضاع النسيم بها فكم ... اضحى لها من بين روض مطلب
وخلت بقلبي من عساكر جنة ... فيها لارباب الخلاعة ملعب
ولكم رقصت على السماع بجنكها ... وغدا يروتها اللسان يشبب
فمتى ازور معالما ابوابها ... سماحها كتب السماح تبوب

وقال الصفي الحلي عند نزوله بدمشق سمطا لقصيدة السموال بالحماسة

بنيح بمن ضافت عن الرزق ارضه ... وطول الفلا رحب لديه وعرضه
ولم يبل سربال الدجى فيه ركضه ... اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل
اذا المرء لم يحجب عن العين نومها ... ويغل من النفس النفيسة سومها
اضيع ولم يامن معاليه يومها ... وان هو لم يحمل على النفس ضيمها

فليس الحسن للثناء سبيل • ومنها

رفعنا على هام السماك محلنا • فلا ملك الا الغشاء ظللنا
لقد هاب جيش الا لتريب اقلنا • ولا قل من كانت بقاياه مثلنا
شباب تسامى للعلى وكهول •
يوازي الجبال الراسيات وقارنا • وتبنى على هام المجرة دارنا
ويامن صرف الزمان جوارنا • وما ضرنا انا قليل وجارنا
عزيز وجار الاكثرين ذليل •
ولما حللنا الشام تمت اموره • لنا وحبانا مليكه واميره
وبالنير الاعلى الذي عز طوره • لنا جبل يحتله من نجيره
منيع يرد الطرف وهو كليل •
يريك الثريا من خلال شعابه • وتحدق شهبا لافق حول هضابه
ويقصر خطو السحب دون ارتكابه • رسا اصله تحت الثرى وسما به
الى النجم فرع لا ينال طويل •
وقصر على الشقرا قد فاض نهره • وفاق على فخر الكواكب فخره
وقد شاع ما بين البرية شكره • وما لا يلوق الفرد الذي سار ذكره
يعز على من رامه ويطول •
اذا ما غضبنا في رضى المجد غضبة • لندرك ثارا او لنبلغ رتبة
نزيد عداة الكر في الموت رغبة • وانا لقوم لا نرى الموت سبة
اذا ما راته عامر وسلول •

وكتب الشيخ محب الدين الحموي ترجمة للشيخ اسماعيل النابلسي شيخ الاسلام من نظمه

لواء التهاني بالمسرة يخفق • وشمس المعالي في سما الفضل تشرق
وسعد واقبال ومجد مخيم • وايام عز بالوفا تتحقق
فيا ايها المولى الذي جل قدره • ويا ايها الحبر اللبيب المدقق
ارى الشام مذ فارقتها زال نورها • وثوب بهاها والنضارة يخلق
اذا غبت عنها غاب عنها جمالها • ونفس بدون الروح لا تتحقق
وان عدت فيها عاد فيها كمالها • وصار عليها من بهائك رونق
فيا ساكني وادي دمشق مزاركم • بعيد وباب الوصل دوني مغلق
وليس على هذا النوى لي طاقة • فهل من قيود البين والبعد مطلق
واني الى اخباركم متشوق • واني الى لقياكم متشوق
اود اذا هبت النسيم نحوكم • باني في اذياله اتعلق
واصبو لذكراكم اذا هبت الصبا • لعلي عن اخباركم انتشق

ولي انه او دت بجسمي لو غدت • دنا رجوعي من حرمها اتقلق
تحنوا على المضنى الذي تو تصبر • اذا مسه ذيل الهوى يتمزق
غريب باقصى مصر اضحت دياره • ولكن قلبي بالشام متعلق
وقد نسخ التبريح جسمي فهل الى • عبارتي اعتاب وصل محقق
فيا ليت شعري هل افوز بروضة • وفيها عيون النرجس الغض تحدق
وانظر واديها واوي لربوة • وماء معين حولنا يتدفق
ويحلو لي العيش الذي مر صفوه • ومرعى بدا ذاك النعيم المروق
وانظر ذاك الجامع الفرد مرة • وفي صحنه تلك الحلاوة تشرق
واصحابنا فيه نجوم زواهر • ونور محيا وجههم يتالق
فلا برحوا في نعمة وسعادة • وعز ومجد شاوه ليس يلحق

وقال ابن عنين

ماذا على طيف الاحبة لو سرى • وعليهم لو ساعدوني بالكرى
جنحوا الى قول الوشاة واعرضوا • والله يعلم ان ذلك مفترى
يا معرضا عني بغير جناية • الا لما نقل العذول وزورا
هبني اسات كما تقول وتفترى • فاما جرى ما ان تغفرا
لا يجمعن علي عتبك والنوى • حسب المحب عقوبة ان يهجرا
عبء الصدود اخف من عبء النوى • لو كان لي في الحب ان اتخيرا
فسقى دمشق وواديها والحمى • متواصل الارعام منفصم العرا
حتى ترى وجه الرياض بعارض • احوى وفود الدوح ازهر نيرا
تلك المنازل لا اعقة عالج • ورمال كاظمة ولا وادي القرى
ارض اذا مرت بها ريح الصبا • حملت على الاغصان مسكا اذفرا
فارقتها لا عن رضى وهجرتها • لا عن قلى ورحلت لا متخيرا
اسعى لرزق في البلاد مشتت • ومن العجائب ان يكون مقترا

وابن عنين المذكور كان هجاء وهو صاحب مقراض الاعراض عفا الله عنه فمن ذلك قوله

ارح من نزح ماء البئر قوما • فقد افضى الى تعب وعي
م القاضي يوضع يديه فيه • وقد اضحى كراس الدولعي

يعني اقرع وسبب قوله البيتين امر بنزح ماء بقلعة دمشق فلم يتم ذلك معه. قوله

شكا شعري الي وقال تهجو • بمثلي عرض ذا الكلب اللئيم
فقلت له تسلى قرب نجم • هوى في اثر شيطان رجيم

وقال فيمن يحرم حاجا فيستقط عن المحجن فيتخلف

اذا ما دام فعل للنوق نوما • فاني شاكر فعل النياق
اراد الله بالحجاج خيرا • فشبط عنهم امل النفاق

وقال

في اشتق المساكينا

وراحل سرت في وداعه • تبارك الله ما بلاحينا
جينا الى بابه لاجين نساله • فليتنا عاقنا موت ولا جينا

صحيح

وجبن

ولم ثم ذكر من المجو ما نضم عنه الاذان ومنه الفايل في دمشق رحمه الله تعالى

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة • وظلك يا مصري علي ظليل
وهل اربني بعد ما شطت النوى • ولي في ذرى روض هناك مقيل

ومنها

دمشق بنا شوق اليك مبرح • وان لج واش او الح عذول
بلاد بها الحصبا در وتربها • عبير وانفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق • وصح نسيم الروض وهو عليل

وقد تقدم التمثيل بهذه الابيات الثلاثة في خطبة هذا الكتاب ومن هذه القصيدة

وكيف اخاف الفقر او احرم الغنى • وراي ظهير الدين في جميل
من القوم اما احنف فمسفه • لديهم واما حاتم فبخيل
فتى المجد اما جاره فممنع • عزيز واما ضده فذليل
واما عطايا كفه فمباحة • عذاب واما ظله فظليل

فسوابغ

وظهير الدين الممدوح هو طغتكين بن ايوب اخو السلطان صلاح الدين وكان ملك اليمن واحسن الى ابن عنين احسانا كثيرا وافرا وخرج ابن عنين من اليمن بما لجم وطغتكين بضم الطاء المهملة وبعدها غين معجمة ثم يا مثناة من تحتها مكسورة ثم كاف مكسورة ايضا ثم يا تحتية ثم نون وكان يلقب بالملك العزيز ولذلك قال ابن عنين لما رجع من عنده الى مصر العزيز عثمان بن صلاح الدين فالزم ارباب الديوان ابن عنين بدفع الزكاة من المتاجر التي وصلت صحبته

ما كل من يتسمى بالعزيز لها • اهل وما كل برق سحبه غدقه
بين العزيزين بون في فعالهما • هذاك يعطي وهذا ياخذ الصدقة

ومن هجو ابن عنين قوله في فقيهين يلقب احدهما بالبغل والاخر بالجاموس

البغل والجاموس في حاليهما • قد اصبحا مثلا لكل مناظر
نغدا عشية يومنا فتناظرا • هذا بقرنيه وذا بالحافر
ما احكما غير الصياح كانما • لقيا جماد المرتضى ابن عساكر
حلفا زما لهما شبيه ثالث • الا الخادع مذلويه الشاعر
لفظ طويل تحت معنى قاصر • كالعقل في عبد اللطيف الناظر

رجع الى دمشق

وقال العز الموصلي

اليك حياض حمامات مصر • ولا تنكري عندي بمين
حياض الشام اغلى منك ماء • واطهر وهي دون القلتين

ومما بين البيتين قول ابن نباتة

احواض حمام الشام • استمع لي كلمتين
لا تذكري احواض مصر • فانت دون القلتين

واما قول النواجي

مصر قالت دمشق لا • تتحرفظ باسمها
لورات قوس روضتي • منه راحت بسهمها

فهو من باب تفضيل الوطن من حبه ومنه قول الوداعي

رو بمصر وبشاكيها • شوقي وجد عهدي الحال
وارولنا با سعد عن نيلها • حديث صفوان بن عسال
فهو مرادي لا بردى ولا • ثورا ولا ارقا ولا رقا ولي

ومن ذلك النمط قول قول الشهاب الحجازي

قالوا دمشق قد زمت لزهوها • فانظر وشاهد لونها وجوزها
فقلت لا ابدل بلدتي بها • ولست ارضى زهرها ولوزها

وقول اخر

قد قال وادي جلق للنيل اذ • كسروه اغير جهني لك ترفع
فاجاب بحر النيل لما ان طغى • عندي مقابل كل عين اصبع

وقد شاع الخلاف قديما وحديثا في المفاضلة بين مصر والشام وقد قال بعض

في حلب وجلق • ومصر طال اللغط
فقلت قول منصف • خير الامور الوسط

وقد تذكرت هنا قول بعضهم

ماذا يفيد المعنى • من الاذى المتتابع
بمصر ذات الايادي • ونيلها ذي الاصابع

واما قول بعضهم

تجنب دمشق ولا تأتيها * وان راقك الجامع الجامع
فسوق الفسوق بها قائم * وفجر الفجور بها طالع

فلا يلتفت اليه ولا يعول عليه اذ هو مجرد دعوى خالية عن الدليل وهي من نزغات بعض المجانين الذين يعمدون الى تقبيح الحسن الجميل الجليل وما زالت الاشراف تهجى وتمدح ولا يقابل الا نفس خسيس عدو الفاسق يقدح

وفي تعب من يحسد الشمس نورها * ويامل ان ياتي لها بضريب

واخف من هذا قول بعض الاندلسيين وهو الكاتب **ابو بكر بن قاسم**

دمشق جنة الدنيا حقيقا * ولكن ليس تصلح للغريب
بها قوم لهم عدد ومجد * وصحبتهم تؤول الى الحروب
ترى رهم ذات ابتسام * واوجههم تولع بالقطوب
اقمت بدارهم ستين يوما * فلم اظفر بها بغتى اديب

والجواب ولعدو ولا بصر الحق الثابت انكار الجاحد واخف من الجميع

قول العارف سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه

جلق جنة من تاه وباها * ونباتها اربي لولا وباها
قال لي صاحبي غداة التقينا * قلت غال بردا اما برداها
وطني مصر وهو وطري * ولعيني مشتهاها مشتهاها
ولنفسي غير ان سكنت * يا خليلي سلاها ما سلاها

واخف منه قول ابن عبد الظاهر

لا تلوموا دمشق ان جئتموها * وهي فذا وضحت ما لديها
انها في الوجوه تضحك بالزهر لمن جاء في الربيع اليها
وتراها بالثلج تبصق في لحيـ * ـة من مر في الشتاء عليها

وقول ابن نباتة وهو بالشام يتشوق الى المقياس

يجري به ذكر منازل المقياس
سقيا لمصر منازلا معمورة * بنجوم افق وظبا اكناس
وطن به هزت لدن شبابتي * ونعم على عيني هواه وراسي
من لي والحال لبس يا ايس * كدرا وعطف الزمر ليس يواسي
والطرف يستجلي غزالا آنسا * يا لسالم يغنيه على ياناس

رجع المدح دمشق وقال الناصر داود بن المعظم عيسى

اذا عاينت عيناي اعلام جلق * وبان من القصر المشيد قبابه
تيقنت ان البين قد بان والنوى * نأى شخصه والعيش عاد شبابه

وقال ايضا رحمه الله

يا راكبا

يا راكبا ان اغالي الشام يجذبه * الى العراقين ادلاج واسحار
حدثتني عن ربوع طالما قضيت * للنفس فيها لبانات واوطار
لدى رياض سقاها المزن ديمته * وزانها زهر غصن ونوار
شح الندى ان يسقيها بحاجته * فجادها مغدق الشؤبوب مدرار
بحث عليها الغوادي وهي ضاحكة * وراحت الريح فيها وهي معطار
يا حسنها حين زانتها جواسقها * وابيضت في اعالي الدوح اغمار
فهي السماء اخضرارا في جوانبها * كواكب زهر تبدو واقمار
حدثني وانا الظامي الى نبا * لا تحرفوك فمنى الراي تمنار
نهوى الوصال الذي طابت مشاربه * وفارقته غشاوات واكدار
كرر على ناظري شط المزار به * حديثك العذب لا شطت بك الدار
وعلل النفس عنهم بالحديث بهم * ان الحديث عن الاحباب اسمار

وهذا الملك الناصر له ترجمة كبيرة وهو ممن ادركته الحرفة الادبية ومنع حقه بالحمية والعصبية وانكرت حقوقه واظهر عقوقه حتى قضى نحبه ولقي ربه رجع

وقال سيف الدين المشد رحمه الله

بشرى لامثل الهوى عاشوا به سعدا * وان هم فوا فهم من جملة الشهدا
شعارهم رقة الشكوى ومذهبهم * ان الضلالة فيها في الغرام هدى
عيونهم في ظلام الليل ساهرة * عبرا وانفاسهم تحت الدجى صعدا
تجرعوا كاس خمر الحب مترعة * ضلوا سكارى وظنوا غيهم رشدا
وعاسل القد معسول مقبله * كالغصن لما انثنى والبدر حين بدا
رهم عارضه كهف لعاشقه * يا ويل الديه فكم في حبه شهدا
نادمته وثغور البرق باسمة * والغيث ينزل منحلا ومنعقدا
كان جلق حيى الله ساكنها * امدت الى الغور من ازهارها مددا
فاستنزل الجو منها لازبرجد * نور ويعقد منحل الندا بردا

وقال ايضا

فؤادي الى بانات جلق مايل * ودمعي الى انهارها يتحدر
بربحي لوز ابن كلاب مزهرا * وتهتز لي اغصانه وهو مثمر
واني الى زهر السفرجل شيق * اذا ما بدا مثل الدراهم ينثر
غياض يفيض الماء في عرصاتها * فتزهو حماة عند ذاك وتزهر
ترى بردا فيها يجول كانه * وحصباؤه سيف صقيل مجوهر
وبي احور لاح العذار بخده * يسامح قلبي في هواه ويعذر
يجاورني فيه على الصبر صاحبي * وكيف اطيق الصبر والطرف احور

اذا استشفت وادي النيرين لمحة • فانظر معنا ما به وهو انضر
حوى الشرف الاعلى من الحسن جده • على انه مبدا لعوارض اخضر

وما احسن قوله رحمه الله

وادبه امثل الحبيب نزوله • حيا معا مدد الحيا والنيل
واد بفوح المسك من جنباته • ويصح فيه للنسيم عليل
بيننا فه وتود لثم ترابه • شوقا ولكن ما اليه سبيل
متقلقل الاحشاء مسلوب الكرى • طلق الدموع فواده متبول
يصبو الى الاثلات من وادي الغضا • ويحن ان خطرت هناك شمول
ابدى لنا برد انبسام ثغره • واذا انثنى فوامه المجدول
لزم التسلسل مدمعي وعذاره • فانظر الى المهجات كيف تسيل
وسمعت من سقم الجفون لانها • مي عليلة وفوادي المغلول
لا تعجبوا ان راعني بذوايب • فالليل مهول والمحب ذليل
ما صح لي ان الذوابة حية • حتى سعت في الارض وهي تجول

وقال ناظر الجيش عون الدين بن العجمي

يا سابقا يقطع البيدا معتسفا • بضامر لم يكن في سيره وانى
ان جزت بالشام شم تلك البروق ولا • تعدل بلغت المنى عن دير مراني
واقصد اعالي قلاليه فان بها • ما تشتهي النفس من حور وولدان
من كل بيضاء مبتغا الفوام اذا • ماست فوا خجل المران والبان
وكل اسمر قد دان الجمال له • وكمل الحسن فيه فرط احسان
ورب صدغ بدا في خدم تسبله • في فترة فتنت من سحر اجفاني
فلبت ريقته وردي وجنته • وردي ومن صدغه اسي وريحاني
وعج على دير شمر حي به الشربان بطرس فالربان رباني
فهمت منه اشارات فهمت بها • وصلت منشورها في طي كتماني
واعبر بدير حبيبنا وانتهز فرص الـلذات ما بين قسيس ومطران
واستجل راحا بها تحيى النفوس اذا • دارت براح شماميس ورهبان
حمرا اصفر ابعد المزج كم قذفت • بشهبها من هموي كل شيطان
كم رحت في الليل اسقيها واشربها • حتى انقضى ونديمي غير ندمان
سالت يوما سمعان كان عاصرها • اجاب رمزا ولم يسمح بتبيان
وقال اخبرني شمعون يتقله • عن ابن مريم عن موسى بن عمران
بانها سفرت بالطور مشرقة • انوارها فكنوا عنها بنيران
وهي المدام التي كانت معتقة • من عهد نوح من قبل ابن كنعان

وهي التي عبدتها فارس فكفى • عنها بشمس الضحى في قومه ماني
سكرت منها فلا صحو وحدثنا • على الندامى وللنبل الشيخ من شاني
وسوفا منحها الملاء وانشده • ما قيل فيها بترجيع والحان
حتى تميل لها اعطافه طربا • وينثني الكون من اوصاف نشوان

وهذه وان لم تكن في دمشق على الخصوص فلا نخرج عما نحن بصدده والاعمال بالنيات وديباجة هذه القصيدة على نسج طايفة من الصوفية ومنهم جاك هذه البرود الشيخ الاكبر رحمه الله وقبل انه الشيخ شعبان النحوي رحمه

وقال بعضهم

شوقي يزيد وقلت الصبر ما بردا • وبان باسي من المعشوق حين غدا
ومدمعي قنوات والعذول حكى • ثورا يلوم الفتى في عشقه حسدا
على مغنية بالجنك جاوبها • شبابه كم بها من عاشق سهدا
فالبدر رجهتها والردف ربوتها • وخلها مات في خلخالها كمدا

ولنذكر نبذة ممن خوطبت به من علماء الشام وادبايه حفظ الله كما لهم وبلغ اما لهم فمن ذلك قول شيخ الاسلام مفتي الانام سيدي عبد الرحمن العمادي حفظه الله

وكتبه لي بخطه

شمس هدى اطلعها المغرب • وطار عنقا بها مغرب
فاشرقت في الشام انوارها • ولينها في الدهر لا تغرب
اعني الامام العالم المقري • احمد من يكتب او يخطب
شهاب علم ثاقب فضله • ببطم عقدا ومتولا يثقب
فرع علوم بالهدى مثمر • وروض فضل بالندا معشب
ندا رندي ثوب علا وامتطى • غارب مجد فوق المركب
درس غريب كل يوم له • يملي ولكن حفظه اغرب
محاضرات منكر لفظها • بكاس سمع راحها تشرب
رياض اداب سقاها الحيا • ففاح مسكا نشرها الاطيب
فضايل عمت وطمت فقد • تضرب فيها كل من يطلب
قلوبنا قد جذبت نحوه • والحب من عاداته يجذب
ان بعدت عن عزبه شرقنا • فالفضل بيننا نسب اقرب
كم طلبت تشريفه شامنا • بشرى لها فليهنها المطلب
قد سبقت لي معه صحبة • في حرم يومن من يرهب
وخوة في الله من زمزم • رضاعها ما طاب بها المشرب
امهلني ثم ودادا فلي • بالشام منه علل اعذب
اهديت ذا النظم امتثالا له • وقد يجر الشعر ما احسب

نشط قلبي لطعنة فانثنى • والقلب في امثل الهوى قلب •
ضاء دجى الحلم به للورى • ما نار في جنح الدجى كوكب •

تحفة الفقير الداعي عبد الرحمن العمادي انتهى واجبته بما نصه

ما نشر راح كاسها مذهب • ما للنهى عن حسنها مذهب •
نستدفع الاكدار من صفوها • وننهل الافراح او ننهب •
نسعى بها منتبقا من ثغرها • ونشعر منها النور والغيهب •
فتانة الاعطاف نفاثة • سحرا بالباب الورى تلعب •
في روضة قد كللت بالندا • والزهر راس الغصن اذ يعصب •
برودها بالنور قد نمنمت • كالوشي من صنعها بل اعجب •
والماء يجري تحت جناتها • والنار من نارنجها تلهب •
والطل صاف والنسيم انبرى • والجو دال الى العرف مستعذب •
والطير للعشاق بالعود قد • غنت فهاجت شوق من يطرب •
ابهى ولا ابهج في منظر • من نظم من تقديمه الاصوب •
مغني دمشق الشام صدر الورى • من في العلا منتهى المطلب •
علامة الدهر ولا مرية • وملجا الفضل ولا مهرب •
لله ما اسنى زبرجد حلا • بعجز من الله لا تكسب •
ابدى به الرحمن في عبده • مظاهر المنح الذي تحسب •
جود بلا من وعلم بلا • دعوى به التحقيق يستجلب •
وبيت مجد مستند ركنه • الى عماد الدين اذ ينسب •
فبرقة الشامي من شامه • نال المراما والسوى خلب •
وما عسى ابديه في مدحه • او وصف ابناء له انجب •
تسابقوا للمجد حتى حووا • سبقا لما في مثله يرغب •
اعيذهم بالله من شر ما • يخشى من الاغيار او يرهب •
وانما الله لهم عزة • بادية لا اضواء لا تحجب •

ولما حللت دمشق المحروسة وطلبت موضعا للسكنى قريبا من الجامع الاموي الذي بحر البليغ وصفه ارسل الي اديب الشام فرد الموالي المدرسين ساحب اذيال الفخار المولى احمد الشاهيني حفظه الله بمفتاح المدرسة الحقمقية

وكتب إلي معه ما نصه

كنف المفري شيخ مفتري • والينه من الزمان معتري •
كنف مثل صدره في اتساع • وعلوم كالدر في ضمن بحر •
ايّ بدر هذا طلع الغرب منه • ملا الشرق نوره اي بدر •

احمد

احمد سيدي وشيخي وذخري • وسميي وفوق ذاك وفخري •
لو بغير الاقدام تبتغي مشوق • جئته زائرا على وجه شكر •
العبد الفقير المستغفر المخلص احمد بن شاهين انتهى فاجبته بقولي
اي نظم في حسنه حار فكري • وتحلى بدره صدر ذكري •
طائر الصيت لابن شاهين ينمى • من له في رياض الذراحي ذكر •
احمد المنتمي لذروة مجد • لعلوان من المعالي وبكر •
حل مفتاح فضله باب وصل • من معاني يعز فيه دون نكره •
يا بديع الزمان دمت في ازديان • بالعلى وازدياد تخبيس شكر •

وكتب إلي لما وقف على كتابي فتح المتعال في مدح النعال بما نصه لكاتبه الحقير احمد بن شاهين الشامي في تقريظ تاليف سيدي ومولاي وقبلتي ومعتقدي شيخ الدنيا والدين وبركة الاسلام والمسلمين حفظ الله وجوده امين

ا احمد فخرا يا ابن شاهين سابيا • باحمد ذاك المعتزي المسدد •
بمن راح خداما لنعل محمد • وما مبيك في العليا يا رفع سود •
فان انا اخدم نعله فلطالما • غدا خادما نعل النبي الممجد •
ينا ليفه في وصف نعل تكرمت • كما ياحوى اجلال كل موحد •
ويكفيك فخرا يا ابن شاهين ابن زي • خفلتنا لخدام لنعل محمد •
فقلت له طوبى بخدمة احمد • فقال كذا طوبى بخدمة احمد •
فلا زلت ترقى للمعالي مكرما • وينتعل العيوق في رغم فرقد •

فاجبته بقولي

ا احمد وصف بالعوارف يرتدي • واشرف مولى للمعارف يهتدي •
فهو ملك اذ انت الخليل تودقت • فاني اجاريها بنحو المبرد •
انا في نظام منك حير فكري • على انه اعلى مرامي ومقصدي •
فانت ابن شاهين الكرام طارد صيته • بجو العلا والضد ضل بفرقد •
فبرك موصول وشانيك منكر • وقدرك مرفوع على رغم حسد •
وعنك حديث الفضل اسند عاليا • بشام فهم يروون مسند احمد •
فوحدك عن بشر وبينك عن عطى • وفكرك يروي الى الادعو مسود •
فلا زلت ترقى اوج سعد ورفعة • ودمت بتوفيق وعز مخلد •

ولما خاطبته بقولي

بصيد ابن شاهين بحو بلا غنى • سوانح في وكر البدائع تفرح •
وما كان ذو يلتا الجزم يدر لنيلها • اذا اصرص البازي فلا ديك يصدح •
ولو جاد فكر البحتري بمثلها • لكان على الطائي بالانف يشمخ •

ولو ان نظم ابن الحسين انيجها ... لفاز بسبق حكمة لبيس ينسخ
فلا زال ملحوظا بعين عناية ... وكنت الهنا في عز علاه نورخ

اجابني بما نصه

الا انفاس عيسى ما بروعي ينفخ ... ام الطرس اضحى بالعبير يضمخ
ومبدى قواف ام مي الشمس ابتنى ... ارامًا على الجوزاء بالانف تشمخ
بلى بي بضر من وداد محكم ... نزول الرواسي وهي لم تك تونخ
اتتني بمدح مخجل ذكا بها ... لفرط حيائي قد اتتني توبخ
ومثلانا الاخادم نخل سيدي ... وبيني وبين المدح في الحق برزخ
وما هي الا عزة خوف فخرها ... واني لها بادي المحاسن اشرح
فلا زلت دري واكرم عن العلى ... اذا كان زودي عن معاليك يفسخ
وحسبك تميمي طار شرقا ومغربا ... بو كوابن شاهين الوفي يفرح
واني وان ارخت مجد الماجد ... فاني باسم المغربي اورخ
سميتي ومولاي الذي راح مدحه ... لراس الاعادي بالمعاريض رضخ
ودم يا نظير البدر ترنو باوجه ... ولا زلت في طرفي وقلبي ترسخ

وكنت يوما اروم الصعود لموضع عال فوقعت فانفكت رجلي والمت **فكتب الي**

لا المت رجلك يا سيدي ... وصانها الله من الشين
ما هي الا قدم للعلى ... لا احتاج ذاك الفضل للعين
زانت دمشق الشام في حلها ... فلا رات فيها سوى الزين
بانت عن الامثال بشرينا ... لاجمعت اينا الى بين
عجبت من راسخة في العلا ... والنجم اذ زاغت من العين
اني اعاف المين بين الورى ... ولست والله اخا مين
للمغربي المجتبى احمد ... دين الهوى والمدح كالدين
واحمد الله على انني ... رايته حاز العلى يقين
فلا اراه الله في عمره ... بينا يوديه الى اين

نعوبذا لعبد الحقير الداعي احمد بن شاهين انتهى وامدحت اليه حفظه الله سبحة وخاتما

وكتبت اليه

يا نجل شاهين الذي ... احيى المعالى والمعالم
يا من به ربيت من السـ ... ـمجد الخوافي والقوادم
يا من دمشق بطيب ما ... يبديه عاطرة النواسم
فالنهر منها اذ وصفا ... والزهر مفتر المباسم
والغصن يثني عطفه ... طربا لتغريد الحمايم

يا احمد

يا احمد الاوصاف يا ... من حاز انواع المكارم
انت الذي طوقتني ... منناً لها تعنوا الاعاظم
فمتى اؤدي شكرها ... والعجز لي وصف ملازم
العذر زاد ان بعثت ... اليك من جنس الزنايم
وعجايم صادت الى ... فيض الندى من كف حاتم
فامدد على حيهن المقـ ... ـفل رواق صفح ذا دعايم
واقبل عقيلة فكرمن ... هو في بحار العي عايم
لا زلت سامي غاية ... بين الاعارب والاعاجم

فاجابني بما صورته

يا سيدا شعري له ... ما ان يقاوى او يقاوم
كلا ولا فكري له ... يوما يساوي او يساوم
يا من رايت عطارد ... منه بدا في شخص عالم
يا من بنفحة خلقه ... وبنظمه السامي الملايم
اضحى بريني مخجرتين ... من المواسم والمباسم
ما زلت ابصر منهما ... حسن التعامي والتعايم
بهما زماني حاسدا ... اضحى وبالتنغيص حاسم
فلمي وقلبي بينها ... م في الثناء له وهايم
حبي لاحمد سيدي ... شيخ الورى فرض ملازم
المغربي المعتلي ... شرف المعالى والمعالم
ما لي اليه وسيلة ... الا هوى في القلب دايم
قد جاء ما شرفتني ... بخصوصه دون الاعاظم
من خاتم كفي به ... ورثت سليمان الخزايم
وجعلتني لا احسب المسبوق لي في نص خاتم
وبسبحة شبهتها ... بالشهب في اسلا ناظم
فلتحسد الجوزاء ما ... احرزت من تلك المكارم
بيالة للذكر لـ ... ـكن ليس ذكرا في الحيازم
فهواك في قلبي وما ... في القلب حل عن الزنايم
ماذي زنايم سيدي ... بل انها عندي تمايم
لو انها من جنس ما ... بطوي غدت فوق العمايم
لكنها قد زينت ... كفي وازرت بالخواتم
يا من يريش اذا رمي ... نسر السماء بلحظ حازم

ان ابن شاهين حوى • منك الحوا في الفوادم
هذي نوافل يا اما • م الدمر لست بالوادم
العذر عنها مخجل • عبد انفعالك جد خادم
بل انت فوق العذر قد • اصبحت للشعري تنادم
لا زال دهرك سيدي • يلقاك منه ثغر باسم
يهدي اليك من المرا • حم والمكارم والغنايم
ما لاح بشاوم مثله • ذو الحظ في اسنى المواسم

العبد الحقير الداعي لاستاده مولاي الاجل بالتمكين احمد بن شاهين حامدا مصليا مسلما انتهى وقال منتجزا جزيلة

الشيخ يشرب بنا • ونحن نشرب قهوة

فقلت

لانه ذو قصور • فغط بالعذر سهوه

ولما ازمعت على العود الى مصر اوايل شوال سنة ١٠٣٧ حاطبني بقوله حفظه الله

ابدا اليك تشوقي وحنيني • والى جنابك ما علمت سكوني
واليك قلبي لا يزال رهينة • علقت ونعلم ذمة المرهون
وعليك قد حبست شوارد مدحي • لما رأيتك فوق كل قرين
قلبي كقلبك في المحبة والهوى • اذ كان في الاشواق دينك ديني
ولبينه بهواك ارفع رتبتي • وغدوت نعزل عنه كل خدين
فاطاع امرك في الوداد فلو اشا • منه وحاشا سلوة يعصيني
ما كنت احسب قبل طبعك راءى • يوما عطارد ناطقا بفنون
حتى رأيتك فاستبنت بانه • يروي احاديث العلى بشجون
ويفيد سمعي مخجلا بحر النهى • ويرى عيوني آية التكوين
يا من غدا يحيي القلوب بلفظه • ويرد للانفاس عن جبرين
احييت بالوحي المبين قلوبنا • وحلى لعمر الله حد مبين
هذا دمشق لعمر خلقك روضة • قد جاد طبعك دوحها بمعين
قد زار منها عيبث الندى فثمارها • اضحى يلوح بحلة التسرين
لو لم تكن بدر المها احرزتها • قد خص في الانوار بالتلوين
حققت ما قد قيل حين حللتها • ان المكان مشرف بمكين
مي عادة حليتها فتزينت • ما كان احوجها الى التزيين
مولاي احمد يا سليل بني العلا • يا فوق مدحي فيك او تحسيني
اغني وجودك وهو عين الدين عن • علامة الدنيا لسان الدين

انظره

انظره تستغني به عن غيره • والى العيان ارغب عن المظنون
تلقى علوم الناس في اوراقهم • وعلومه في صدره المشحون
فبحلمه اعبر كل بحر زاخر • وبفهمه استبر غامض المخزون
وبحلمه ارغب عن تخلم احنف • وبحزمه اصحب باسل ليث عرين
لما رأيتك فاستفزت القلب في • ادعو واشكر وارداك شؤوني
القيت فطرك بمنتي فاقادني • فضل اليمين على اليسار يقيني
فسقى الحيا المفرى اخا العلا • بلدا بافضى الحرب جد منون
بلدا تبينت الهلال بافقه • ورأيت فيه قرة لعيوني
لولا ميلا الغريب سور شرتها • بتنا بليل الحندس والتخمين
يا واصلا رحل العود بجزمه • رفقا بقلب بالوفاء ضمين
استودع الله العظيم واننى • مستودع منه اجل امين
انى اودع يوم بينك مهجتي • وشبيبتي ونضيري وسكوني
واعوذ من توديع وجهك عوذة • خلطت بغيبي في الهوى بطنوني
حتى كاني قد فقدت مثابتا • تقضي علي بحالة المجنون
وتود نفسي انها لو حرمت • ابدا سكوني للهوى وركوني
او شكت اقتل بين معترك الهوى • نفسي ومعترك النوى يرميني
ولقد وددت بانني متحمل • تلك الخطا بمحاجري وجفوني
كيف السبيل الى الحياة ومهجتي • في قبضة الاشواق كالمسجون
ما انت الا البرق لاح فاقفنا • شهرا وكان ضياوه يهديني
والبتكها يا سبح دمتري غادة • عنيت عن التخسين والتزيين
جاءتك تعرض في الوداد كمالها • واذا الخطت حمالها يكفيني
مي بنت لحظتك التي ناوي النهى • لا بنت لبلى التي تاويني
ما الفخر في دعوى البديهة عندها • الفخر قولك انها ترضيني
حسبي ابا العباس منك اصاحة • تقضي بموت عداي وتحييني
يا لهف نفسي كيف ابلغ مدحة • اضمرتها في سري المكنون
فلسان حبي بالغ اقصى المدى • ولسان مدحي في القصور يليني
ما الشعر يسمو في حقوقك لي ولو • امديت في نظمي عقود سنيني
حلفت اضطان النجوم وانها • ترمي بعقد في علاك ثمين
فرايت في العيوق طبعك سيدي • نشرا اسف النجم شاهين
قد خف شعري من قصور طبيعتي • ولربما قد كان جد ركين
بكفيك احمد يا ابن شاهين بانه • احرزت خصل السبق دون الدون

وإذا عجزت عن القرا بنفس جاهدًا • فاذاك عسناك تفوز بالمسنون
هو نيلتي فلا عندي منه منتسكا • منه بحبل في النجاة متين
واسلم فدينك زائرا ومشرفا • افدى مواطي نعله بجبيني
وكذاك عمري في هواك مقسم • بين الدعاء الجد والناس

وقال حفظه الله ايضا في ذلك

حنانيك ان الدمع بالود معرب • واني في شرق وانت مغرب
ورحماك بي اني قتيل صبابة • بمن هو احي في الفؤاد ويحجب
ووعدك لي بالعود اني محلل • به مهجة قد او شكت تتصوب
ومينك قلبي ما حييت ولم اقل • ولكن من الاشياء ما ليس يوهب
فلو كنت شيخا واحدا مد صدره • فكيف بشيخ لم يكن مثله اب
وانا بحمد الله لما خصصتنا • بزورة ذي ود نعاه التحبب
نزلنا لدينا الحذو د مواطيا • وعدنا به شوقا نجيء ونذهب
وقلنا دمشق انت فيها محكم • واشرافها ودوا وجدوا ورحبوا
وانت لها روح ومولى ومعجز • وقد زينت شرقا مثل ما ازدانت مغرب
ونحن اعظيمنا با ابن شاهين انه • غدا وكرنا نسرا للسما فيه يرغب
فنحن ونحن للناس خدام نعله • فلا غرو ان يعلو الغضنفر اكلب
وما نعمنوا بينه سوى ان امره • لنا كل فينا فذروه وبشرب
هو الشيخ شيخ الدهر احمد من غدت • دمشق ومن فيها بعليائه تخطب
هو المقرئ العالم العلم الذي • اليه تنامى الفضل والمجد ينسب
وما هو الا الشمس ازمع رحلة • واني لفي ليل اذا هي تغرب
او الغيث قد وافى فامرع للنهى • به وانثني والصدر بالود معشب
او الطائر العنقاء جاء مشرقا • فاعزبوا العنقاء في الطير مغرب
وانك للخل الوفي واننا • هو الواحد المطلوب ان عز مطلب
وانك بالتحقيق في كل حالة • لاسنى وانداهم واوفى واغرب
رعى الله وجها رحت ترغب نحوها • واني اخي جدله انت ترغب
وحيى الحيا ارضا وطيب ثرى بها • فاصبح مسكا وهي بالمجد تخضب
ولا فارقت يوما علاك كلاءة • من الله اني كنت والله اغلب
مدى الدهر ما حنت جوارح واله • مشوق فما شيء للحقيقة يطرب

وهما قرأ علي ادام الله عزته وحرس حوزته عقيدتي المسماة باضاءة الدجنة في عقائد اهل السنة سال مني ان اجيزه فيها وفي غيرها **فكتبت له بما نصه**

اخذ من اطار في جو العلا • صيتنا ابن شاهين الذي ازدان الحلي

وانه

ونال منه للمعالي اجنحة • نال بها فضلا غدا مستمنحة
واسكن البيان من اوكار • افهامه بفطنة الافكار
فاصطاد كل شارد بمخلب • ابحاثه ومن يحاربه يغلب
والصقر لا يفاتر البغاث • والخون ممتاز عن الاضغاث
نشكر من بلغنا مناه • على نواله الذي سناه
وننتحي نهج صلاة باديا • لخير من جاد الانام هاديا
مبينا دلائل التوحيد • وموضحا طرائق التسديد
محمد خير البرايا المنتقى • اجل من خاف الاله واتقى
صلى عليه الله مع اصحابه • وآله الراوين عن صحابه
ما اعترف العبد الفقير ذو العدم • للرب باستغنائه وبالقدم
وبعد فالعلوم والمعارف • من امها ياوي الظل وارف
وروضة ازهارها تنوعت • لا بها افنانها تنوعت
وليس يحتاط بها نبيل • اذ ذاك امر ما له سبيل
فليصرف العقول لما ينفعه • شرعا وفي افق الاجور يرفعه
وان في علم اصول الدين • مهدي وخير حل عن تبيين
لانه اصل يعم النفع • به وكل ما سواه فرع
وكيف يعبد الاله من لا • يعرفه عن الرشاد ضلا
فهو الذي لا تقبل الاعمال • الا به وتنجح الامال
واني كنت نظمت فيه • لطالب عقيدة تكفيه
سميتها اضاءة الدجنة • وقد رجوت ان تكون جنة
وبعد ان اقرأتها بمصر • ومكة بعضا من اهل العصر
درستها لما دخلت الشاما • بجامع في الحسن لا يسامى
وكان في المجلس جمع وافر • من جلة بدورهم سوافر
منهم فريد الدهر والمعالي • فخر دمشق طيب الفعال
احمد من راح العلم واغتدى • وشام انوار الفهم فاهتدى
العالم الصدر الاجل الالمعي • من وصفه الممدوح يعيي القولا
وهو ابن شاهين وما ادراكا • من يد جنس العرب والاتراكا
ورام من مثلي بحسن الظن • اجازة فيما رواه عني
فخرت في امري فقد تناقضا • بالنفي والاثبات اذ تعارضا
تركت اجازتي لوصفي بالخطل • وبالخطا والحيد مني ذو عطل
وكم قرأت يحجز نسقط • فكيف غيرها ومنه احوط

او فعلها بحسب الامكان • رغبا لود محكم الاركان
منه وما له من الحقوق • ولا يجازي البر بالعقوق
وبعد ما مر من السداد • استعفته بمقتضى الوداد
وسرت في طريق التساهل • معترفا بالجهل لا التجاهل
مع انه اهل لان يجيزا • لانه يجاري اذ حوى التبريزا
ومن رأى عيني بعين الرضى • لم يقف نهج من غدا معترضا
فليرو عني كلما اسمعته • اياه بالشرط وما جمعته
مع القصور راجيا للاجر • من الفنون نظمها والنثر
كهذه القصيدة الشديده • والنقل ذات الملح العديده
كذاك ما الفت في عمامه • من خص بالاسرا والامامه
والفقه والحديث والنحو وفي • اسرار وقف ومنوا بالقصد في
وغير ما مما به الوهاب من • على فقير عاجز في غير فن
وما اخذت في بلاد المغرب • عن كل فرد في العلوم مغرب
ولي اسانيد اذا سردتها • طالت وفي كتبي قد اوردتها
وقد اخذت الجامع الصحيحا • وغيره عمن حوى الترجيحا
عمي سعيد عن سفين ومن عن • القلقشندي عن الواعي السنن
العسقلاني الشهاب بن حجر • بما له من الروايات اشتهر
وقد اجزته بكل ما لي • يصح من ذلك بلا احتمال
على شروط قرروها كافيه • ليثبت على افكاره بجافيه
وقاله هذا المقري احتطا • والعجز عم لفظه والخطا
عام ثلاثين والف بعدها • سبع انمت في السنين عدها
وكان ذا في رمضان الشامي • بحضرة السعد دمشق الشام
والله نرجو ان يتيح الختما • بالخير كي نحظى بالقبول حتما
بجاه خير العالمين احمدا • صلى عليه الله ما طال المدى
وآله وصحبه ومن زكي • فنال من حسن الختام مدركا

وتذكرت بهذه الاجازة نظيرتها التي سالني فيها مولانا عين الاعيان مفتي الانام في مذهب النعمان مولانا الشيخ عبد الرحمن العمادي مفتي الشام حفظه الله لاولاده الثلاثة وكتب لي اصغرهم سنا استدعا لذلك

احمد من شيد بالاسناد • بيت العلوم الشامي العماد
وعم من خصص بالزوايد • بنور ما اتى في دجى الفوايد
وزان صدر ابنها كل زمن • بجوهر الاجازة الغالي الثمن

نحمده

نحمد سبحانه اذ عرفا • من الحديث ما به قد شرفا
ونسال المزيد من صلاته • لمن انتهج القصد من صلاته
ملجانا المعصوم اعلا سند • لنا بر عن جاحد معتقد
كمثل الضعيف والقوي المرتجى • باب الهدايات وليس مرتجا
من جاءنا بالجامع الصحيح من • كلامه الهادي الى نهج امن
من فضله ما شك فيه مسلم • من جنبه بكل خير معلم
نبينا المرشد والخلق الحسن • والمعجز المفحم ارباب اللسن
محمد المرفوع قدره على • سائر خلق الله جل وعلا
صلى عليه ربنا وسلما • ازكى صلاة نتحفها معلما
وبعد فالعلم عظيم القدر • وليس من يدري كمن لا يدري
ولم تزل همة اهل المجد • منوطة بنيل علم مجدي
ومنه علم السنة الشريفة • لانه ظلاله وريفة
فمن درى الاخبار والشمايل • لم يلك عن صوب الهدى بمايل
وكم مبتدع لاجله رفض • اوطانه وثوب ترحاله نفض
وكيف لا وهو اجل ما طلب • موفق يروم حسن المنقلب
لانه وسيلة السعاده • والغر في الابداء والاعاده
وانني لما انتخبت المشرقا • مبتهما بدر اهتداء مشرقا
القيت في مصر عصي التسيار • بعد بلوغي اشرف الديار
وبعد ذا جئت دمشق الشام • مستكثرا من زاد احتشام
تشاهدت عيناي فيها ما ملا • قلبي وعيني اذ بلغت املا
مدينة قبضة الانهار • فضفاضة الاثواب بالازهار
ارجاؤها زاكية العبير • ومدحها يجل عن تعبير
وجل اهليها بحبتي دانوا • مع ان مثلي منهم يزدان
فلاحظوا بالاعين الكليلة • عبدا افاد تقصيره دليله
وقابلوا عيني بما اقتضاه • فضل لهم رب الورى ارتضاه
خصوصا المولى الكبير المعتبر • قرة عين من رآه واختبر
مفتي الورى في مذهب النعمان • بها الوجيه عابد الرحمن
ابن عماد الدين منتقي القلم • اوصافه التي كدري في علم
حاوي طراد المجد والتلاد • بالامنى في النفس والاولاد
وكنت في مدة قد ابصرت • منه علا عن مدحه قصرت
جلالة ومحتدا وعلما • ورفعة وسوددا وحلما

مع التواضع الذي قد زانه • حسن اعتقاد مثقل ميزانه
تحثّ من في الشام من اخيار • لم يسلكوا مناهج الاغيار
ان ياخذوا انفس الفنون عني • بما اقتضاه منه حسن الظن
مع انني والله لست اهلا • لذاك والتصدير ليس سهلا
وكان من جملتهم ابناؤه • عماد دين قد علا بناؤه
وصنوه الشهاب من قد فدا • فهما وابراهيم سبّاق المدا
وتمّوا الذي قد ابتغى الاجازه • لهم بوعد طالبا انجازه
وكتب القصيدة الطنانه • في ذاك لي مستظهرا افنانه
وانهم لحلقة قد افرغت • دامت لهم الاء فيض سوغت
فلم اجد بدا من الاجابه • مع كون جهلي ساد لا نجابه
فقد اجزتهم بما رويته • طرا وما اخلت وزويته
وكل ما صنفت في الفنون • مؤملا التحقيق للظنون
وما اخذت عن شيوخ المغرب • وغيرهم من كل حبر مغرب
ولي اسانيد يطول شرحها • شيد على تقوى الاله صرحها
ولو سردت كل مروياتي • مما لطال القول في الابيات
وكل طول غالبا مملول • وجد من يجني به معلول
فلنقتصر اذا على القليل • تبركا بالمطلب الجليل
وقد اخذت جامع البخاري • عن عمي الحائز للفخار
المقري السعيد الامام عن • محمد يدعى خروفا حين عن
التونسي الطيب الانفاس • نزيل حضرة الملوك فاس
عن الكمال القادري المرتضى • عن الحجازي عن الحبر الرضي
نجل ابي المجد عن الحجار • عن الزبيدي بنقل جاري
عن مسند الاسلام عبد الاول • عن الشهير الداودي المعتلي
عن السرخسي عن الفربري • عن البخاري الامام الخير
وفضله اظهر من ان يذكر • وعلمه المعروف غير المنكر
ومسلم به الى الكمال • عن علم الدين اخي الجلال
منسوب عن التنوخي • عن ابن حمزة عن الشيوخ
كابن المغير عن ابن ناصر • عن ابن منده القاصر
عن جوزقي قد روى عن مكي • عن مسلم قاضي دياجي الشك
فليجتزوا عنى بذا والباقي • من سنة حائزة السباق
كذا موطا الامام مالك • امامنا مبرز كل حالك

ومسندا

ومسندا العدا الرضا ابن حنبل • والدارمي ذي الثناء الاجمل
والطبراني وما ارويه • من المعاجم بما تحويه
وكلما تشمله الاجازه • بشرطها عند الذي اجازه
فلتقبلوها فهي من جهد المقل • اذ لست بالمطلوب لمن انتقل
ومن اسانيدي عن القصار • مفتي الانام بهجة الاعصار
عن شيخه خروف الراقي الدرج • عن الشريف الطحطحاني فرج
قال سمعت المصطفى في النوم • صلى عليه الله كل يوم
يقول من اصبح يبغي امتثال • في سره الحديث فاعرف ما كمل
وليمسك العنان في ذا الكلام • مصليا على الذي زان العرب
واله وصحبه الاعلام • ومن تلا من انجم الاسلام
وخط ذا المقري الخاصي • اجيز يوم الاخذ بالنواصي
سنة سبع وثلاثين تلت • الفا للهجرة بيانا بين علت
عليه ازكى صلاة تستتم • نرجو بها الزلفى وحسن المختتم

ونص الاستدعا المشار اليه

فازت دمشق الشام بالمقري • الالمعي اللوذعي العبقري
علامة العصر بلا مفتري • وواحد الدهر بلا ممتري
كم سمعت اخباره وصافه • فقصر المخبر عن منظر
جامع علم بثه املاؤه • بالشام بل اد الجامع الاكبر
يقري فتقري السمع انفاسه • الانفس مما يقري وما قد قري
مولاي يا من درر الفاظه • صحاحها يزري على الجوهري
اجازة نرفل من فضلها • في ثوب عز وردا مفخر
مسبلة الذيل على الكبر • والاوسط الاخوة والاصغر
اطل لنا انشا بها بل اطب • وانظم لنا من درها وانثر
لازلت في نفع الورى دائما • تجود جود العارض الممطر

انتهى ومن الاجازات التي قلتها بدمشق العبد الداعي ابن ابراهيم العمادي

ما كتبته للاديب الحسيب سيدي يحيى المحاسني حفظ الله وهي

احمد من زين بالمحاسن • دمشق ذات الماء غير الاسن
واطلع النجوم من اعيان • بافقها السامي مدى الاحيان
فكل ايامهم مواسم • من الصفا ثغورها بواسم
وذكرهم شاع بين الاحبا • اذ فطرهم به الكمال حبا
وبشرهم حديثه لا ينكر • ومسند الجامع عنهم يذكر

وقد حكت جوارح الذي ارتحل … اليهم صحيح ما له انتحل
نسمعه عن جابر والعين عن … قرة يروى واللسان عن حسن
فجل من أناحهم الآلاء … حتى ابان نورهم لا لاء
نحمده سبحانه انا سيدي … من الاماني ما انال القصدا
ونتحى صوب صلاة باهرة … الى الرسول ذي السجايا الطاهرة
اجل من خاف الاله واتقى … محمد الهادي الرسول المنتقى
صلى عليه الله طول الابد … مع اله وصحبه والمقتدي
وبعد فالعلم اساس الخير … كيف لا وهو مزيح الضير
وهو موصل الى منهاج … مهتدي رشدا ما له منهاج
وما بغير العلم يبدو العلم … وليس من يدري كمن لا يعلم
خصوصا الحديث عن خير البشر … فان فضله على الكل انتشر
ولم يزل يعنى به كل زمن … من الرواة كل صدر مؤتمن
واننى عند دخول الشام … لقيت فيها من الاعلام
وشاهدت عيناي من افضالهم … ما حقق المحكي عن افضالهم
وان من جلهم اوج الزكا … والنير المزري سناه بذكا
ابن المحاسن الذي قد طابقا … منه المسمى الاسم اذ تسابقا
اللوذعي الالمعي يحيى … لا زال رسم المجد منه يحيي
وهو الذي اعز احسن الظن … على انني بذا اخذ عني
فكان قارئ الحديث النبوي … لدي في الجامع اعني الاموي
بمحضر الجمع الغزير الوافر … من وجوه فضلهم سوا فر
وبعد ذاك استمطر الاجازه … من نوءٍ وعدي واقتضى انجازه
فلم اجد بدا من الاجابه … مع انني لست بذي النجابه
وانا لكن اجبت امرا ممتثل … منه ففي ذلك نصر تولى المثل
في من درى شيئا وغابت اشيا … عنه ومن امتد في لصنعا وشيا
فليرو عني كل ما يصح لي … بشرطه الذي يزين كالحلي
وقد اخذت جامع البخاري … عن عمي الامام ذي الفخار
سعيد الذي نأى عن دنس … عن شيخه الحبر الشهير التنسي
اعني ابا عبد الاله وهو عن … والده محمد راوي السنن
عن ابن مرزوق محمد الرضي … عن جده الخطيب عن بدر اضا
الفارقي عن امام يدعى … بابن عساكر الجميل المسعى
بماله من الروايات التي … على علو قدره قد دلت

وليرو عني

وليرو عني ما انتمى للنووي … ندا الى الشائق ذي النهج السوي
اعني ابن مرزوق الخطيب الراوي … عن شيخه يحيى الرضي المغراوي
وهو روى عن صاحب التمكين … النووي الشيخ محيي الدين
وخط هذا احمد الناوي الوجل … المقري المالكي
في عام الف وثلاثين خلت … من هجرة الهادي وسبعة تلت
البسه الله البرود الضافيه … من منه وعفوه والعافيه
بجاه سيد البرايا طرا … ملجا من الى الكروب اضطرا
عليه اسنى صلوات تسدي … حسن الختام ببلوغ القصد

انتهى

وسالني بعض ساكني دمشق المحروسة ان اقرظ له على شروحه لرسالة العارف بالله تعالى الشيخ ارسلان فكتبت ما صورته

احمد من خصص بالاسرار … قدما من الصوفية الابرار
اتاحهم عوارف المعارف … والحكم السابغة المطارف
فهم بهم تستمطر الانواء … وتظهر الانوار والاضواء
ومن اجلهم سناء وسنا … من ذاد عن عين المعالي الوسنا
شيخ الشيوخ العارف الكبير … الشيخ رسلان الولي الشهير
فكم اشارات له ابانا … بها علوما من حلاها ازدانا
وكم عبارات تلا ابانها … تعيي الفحول عن مدا غاياتها
ومن رأى رسالة التوحيد … له انتحى مناهج التسديد
فهي تنادي من ابى ان يسلكا … يا معرضا شرك خفي كلكا
ومن اضل القصد في مهامه … هدته للخروج عن اوهامه
وكم بها من باب معنى مغلق … عمن يقيد الوجود المطلق
فما بغير الفتح يدري باطنه … ووارد الفيض له مواطن
وقد رأيت في دمشق الشام … شرحا لها انبا عن الهمام
للدكلشي ذي الوفا بالوعد … شمس العلا محمد بن سعد
لا زال في اوج التجلي صاعدا … وعون ربنا له مساعدا
ومذ اجلت ناظري في حسنه … الفيته مستبدعا في فنه
ودل ما ابداه من معاني … على شهود بالهدى معاني
لانه اجاد في تقرير … ما اغتاض بالاتقان والتحرير
وابرز الابكار من خدور … افكاره حالية الصدور
فالله يجزيه الجزاء الاوفى … في يوم تبدي الانبياء الخوفا
وحفظ ربي المقري من وجل … مرتجيا من ربه عز وجل

كشف كروب عفو صبر حلت • منه وغفران ذنوب جلت
بجاه طه الهاشمي احمدا • عليه ازكى صلوات سرمدا
عاطرة النشر بلا اكتتام • ناريجة بالمسك في الختام

وخاطبني السري الحسيب الماجد فخر المدرسين الاعيان مولانا الشمس محمد ابن الكبير مولانا يوسف بن كريم الدين الدمشقي حفظه الله بقوله

شمس المحاسن شرقي او غربي • سعدت منازلنا بشمس المغرب
شمس لنا منها شموس فضايل • وسني مدى فذراح غير محجب
المقري العالم الندب الذي • لسوى اسمه درج الحجى لم يكتب
بدر ولم تبد البدور لمشرق • الا بدت من قبل ذاك بمغرب
لسوى اكتساب سناه لم تغرب ذكا • فلو انها شعرت به لم تغرب
علامة ملا البلاد بفضله • وافادة لمشرق ومغرب
عمري هو البحر المحيط فضايلا • ان قيس بالعذب الذي لم ينضب
مولى له سند قوي في العلا • فعن الجدود روى العلا وعن الاب
نسب له المجد المؤثل في الورى • والمجد لم يكسب اذا لم يوهب
هو في جبين الفضل اضحى غرة • يجلى بها للجهل ظلمة غيهب
اما لنا فطعت ببشر جبينه • ان لا نرى للدهر وجه مقطب
بدر به رهبت دمشق وامثلها • احبب ببدر حل بحبي محبب
طود الفضايل ما كرت ارجاؤه • دبم الحجى فغدا كروض مخصب
بحر الهدى والعلم الا انه • صفو من الاكدار عذب المشرب
هو قطب دايرة الفضايل في الورى • فيكاد يحذر بيننا بكل مغيب
في الفضل ما حاولت يوما مثله • كلا ولا قست البدور بكوكب
اني يجاري في الفضايل من له • انف اذا لزمان باد هم وبا شهب
سنن لمدح الغير تسقط عندنا • فلذا العلا يقضي بفرض واجب
ما روضة حلاها زاهر ما الحيا • فافتر فيها كل ثغر اشنب
ومشت بها خود الصبى فتعطرت • اذيالها من كل عرف طيب
للنور فيها جدول اخذت به • شهب النجوم حيرة المتعجب
بانت تناشدني بها ذكرا لهوى • ورق الاراك بكل صوت مطرب
تشكو الي بمثل ما اشكو لها • شكوى المعذب في الهوى لمعذب
فعلمت ما قد حل من وجد بها • وجهلت وهو الغرق ما قد حل بي
لم تلق فيها من عليل يشتكي • الا النسيم وذو الهوى نطلب
يا غصن حسنا من ربي اداب من • حيي رياض حجاه الطف صيب
طبعا ارق من النسيم ومنطق • مستعذب ولذاك كل مهذب
لو جاد صوب حجاه قفرا مجدبا • لتنعمت منه بكل روض معشب
مولاي عذرا فالزمان يعوقني • عن مطلبي والان مدحك مطلبي
عفوا اذا اخرت مدحك سيدي • فحوا بني الايام عذر المذنب
وكذاك يفعل بالاديب زمانه • فلذا يطول على الزمان تعتبي
لم القى يوما من يديه مهربا • الا اتاك وحبذا من مهرب
لولاك ما جال القريض بخاطري • فالدهر يوجب للقريض تجنبي
لولاك لم ينهض جواد قريحتي • من كل واد للضلالة متعب
فاسمح ولست بامر نظما غدا • في عقد مدحك لؤلؤ المرتب
كالراح يلعب بالعقول اللطف • لكن بغير مسامع لم يشرب
من كل قافية غدت من حسنها • مثلا لغيرك في الكلام يضرب
جود تقلد من ثناك فلا بدا • بكر لغيرك في الورى لم تخطب
غنيت بمدحك زينة ولربما • يبغي الجمال بغير الوشاح المذهب
هي تعض اوصاف لذاتك قد غدت • كالبحر عذبا ماؤه لم ينضب
جاءتك تسال القبول وحسبها • فخرا قبولك وهو جل المطلب
وتروم منك اجازة فاقت بما • تروبه للسند القوي عن النبي
حسبي الاجازة منك جايزة ولم • اك قبل غير الفضل بالمتطلب
لا بدع والاطناب ايجاز غدا • في مدحه ان لم اطل او اسهب
مبنها انه لا تحصى ماثر فضله • بالمدح ان اطنب وان لم اطنب

خدمة الداعي محمد بن يوسف الكريمي انتهى فاجزته بما صورته ونصه

احمد من اطلع شمس الدين • في افق الرواية المبين
وخص فضلا منه بالاسناد • امنة مذهب العناد
فلم يكن عصر من الاعصار • الا وفيه اهل الاستبصار
بنقلون عن جوزتم دين الله ما • يروم من عليه رشدا بهما
وانتحي سبل صلاة كاملة • على الذي له العطايا الشاملة
محمد المرسل بالشرع الحسن • ذو المعجز المفحم ارباب اللسن
مع حزبه من صحبه وعترته • ومن تلا مؤملا لاثرته
وبعد فالعلم اجل ما اعتمد • موفق من فيض مولاه استمد
خصوصا الحديث عن خير الورى • صلى عليه الله ما زند وري
ولم يزل ذو والنهى يبتغون في • تحصيله اذ فضله غير خفي
وان مولانا الشهير الشامي • الماجد المولى نبيه الشام

سالك نهج السنة القويم • محمد بن يوسف الكريمي
لا زال في عز وفي امان • مبلغا من فضله الاماني
وجه لي ما حللت الشاما • وبر قحسن الظن مني ساما
قصيدة بليغة مستعذبة • عربية في فنها مهذبة
يبتدي من مثلي بها الاجازه • بشرطها عند الذي اجازه
مستمسكا بعروة الصواب • ولم اجد بدا من الجواب
فليرو عني ما سمعت كله • وما جمعت في الفنون جله
على شروط قررت في الفن • مرتجيا حصول كل من
وصنوه الاكمل فذا بجنته • ذاك على الوجه الذي شرحته
واذا كنت فيما ابتغي مقتصرا • فذوا الرضى ليس لعيب مبصر
ولي اسانيد اتى ويغني عن • تفصيلها ما من الرحلة عن
والعذر باد والكريم يقبل • والصفح نهج يقتفيه الابل
وخط هذا المفتري الجاني • امنه الله من الاشجاني
في عام الف وثلاثين فقفا • سبعا لهجرة النبي المصطفى
عليه ازكى صلوات تغتنم • يزكو بها مبتداء ومختتم

وكتب الى الفاضل الخطيب الفهامة الاديب وارث الفضل عن الاعلام ذوي الشرف سيدي الشمس محمد المحاسني سبط شيخ الاسلام مولانا البوريني حسن حفظه الله

بقوله

ياسيدي وملاذي • وعالم الثقلين
ومن غدا بمكان • على علا النيرين
اجزت بالدرس قوما • فاقوا به الفرقدين
فزين العبد ايضا • من مثل ذاك بزين
وان يكن بي ختام • فذاك قرة عين

فاجزته بما نصه

احمد من اطلع من محاسن • دمشق ما ازرى على المحاسن
وزانها بالجلة الاعيان • الرافلين في حلى التبيان
الراغبين في الحديث النبوي • السالكين في الهدى النهج السوي
وبعد فالعلم اجل زينة • وسيلة في الرشد مستبينه
وان علم السنة الشريفه • ظلاله ضافية وريفة
لذاك كان ما عننا اجدرا • من كل ما بمثله جز نصدرا
وان ذا الفضل الاديب اللبق • شابور مبدا الذكا المشارق

الماجد المسند السامي الحسب • محمد من للمحاسن انتسب
ابن الشهير الصدر تاج الدين • لا زال في عز وفي تمكين
وجده لامه الشيخ الحسن • وذا لك بوريهم معطي اللسن
يبتا لني اجازة بكل ما • ارويه عنوا ناجال معلما
فليرو عني كلما يصح • على شروط عنهما يبيح
ومع عن المشروط لن يريما • وليس يخفى عليه الكريما
وكلما الفت او جمعت • نظما ونثرا مثلما اسمعت
ولي اسانيد بضيق الوقت • عن سردها وبعضها قد سقت
في غير هذا فليحقق ذلك • مقتفيا لاوضح المسالك
وقد اخذت جامع البخاري • ومسلم عن جابر الفخار
عمي سعيد ومتوعن من يدعى • بالتنسي فذا افاد الجمعا
عن حافظ الغرب الرضي ابيه • عن ابن مرزوق عن النبيه
الحافظ المبجل العراقي • وقد سمي في سلم المراقي
وما له من الروايات علم • من كتبه الذي حوت خزائنكم
وخط هذا المفتري عن عجل • مؤملا من ربه عز وجل
غفران ما جناه من الذنوب • والصفح عن معرة العيوب
بجاه خير العالمين احمدا • صلى عليه الله دائما سرمدا
وآله وصحبه الاخيار • ومن تلا الاخيار الاعصار

ولما سالني في الاجازة الفاضل الاديب سيدي محمد بن علي ابن مولانا عالم الشام الشهير الذكر شيخ الاسلام سيدي ومولاي الشيخ عمر القاري حفظه الله وانا مستوفز للسفر كتبت له عن عجل

ما صورته

احمد من زين سبل الاثار • جهابذ الرواة للنبيه القاري
وشاد للعلياء في اوج السند • منار الم يبتلها طول الامد
وميز الواعين للحديث • بالفضل في القديم والحديث
وزان منهم سماء الدين • فاشرقت بالحفظ والتبيين
فهم بها للمهتدي نجوم • وانها للمعتدي رجوم
فكم ازاحوا عن حديث المجتبى • صلى عليه الله ما هبت صبا
تحريف ذي غل مضل غال • شان لمنهاج الرشاد قالي
وبعد فالاسناد للرواية • وسيلة تزحزح الغوايه
هذا ولولا ذا لقال المرء شا • ما شاء فهو بحق منتشا
فلم يزل امثل النهى كل زمن • يبتغون في تحصيله عن مؤتمن

وان من جملة من تحرى • للعلوم غرا
الفاضل المسند النجيب • الواصل المجيد الاريب
محمد سليل ذي المجد علي • ابن الامام العالم الحبر الولي
عم الشيخ الشهير الغاري • طود السكون هضبة الوقار
شيخ الشيوخ في دمشق الشام • لا زال محفوفا بعز سامي
فكان من جملة من عني روى • بعض الصحيح ظافرا بما نوى
وبعد ذاك قد نرح الاجازه • مني وعدها اقتضى بجازه
فانجمت نفسي عن الاجابه • اذ لست من ذا الامر ذا نجابه
مع انني بقصر ذو عي • في مثل هذا المطلب المرتجي
وخفت ان ابهما شنعاء • تجلى الوشي الى صنعاء
وبعد ذا اجزت فضل الاكرم • مرتجيا بذاك ربح المتجر
حبه واني اعلم • اني من خوف الخطا لا اسلم
فليرو [illegible] النمي • جميع ما يصح لي وعني
من ذلك الجامع للبخاري • عن عمي الشهير ذي الفخار
سعيد الاخذ عن سقين • عن قلقشندي من نهج المبين
عن حافظ الاسلام اعني ابن حجر • بما له من الروات اشتهر
وبعضها في صدر فتح الباري • مبين لطالب الاخبار
ولي اسانيد يطول شرحها • والروضة الغناء يكفي نفحها
ومن رواياتي عن القصار • مغني البرايا بهجة الاعصار
حدثنا خروف الراكي الارج • عن الشريف الطحطحاي فرج
سمعت في المنام طه يملي • حديث من اصبح دون النقل
اي آمنا في سربه معافى • في جسمه مع قوت يوم وافي
وكلما الفت في الفنون • ارجو به التحقيق للظنون
فليروه عني بشرط معتبر • وربما يصدق الخبر الخبر
ولي تآليف على العشرينا • زادت بما تبا حوت تعيينا
فليروها ان شا بلا استثنا • والله ارجو نيل قصد ناي
بجاه من شرف بالادنا • صلى عليه الله في الآناء
احمد خير المرسلين الهادي • غوث البرايا ملجا الاشهاد
عليه اسنى صلوات ذاكيه • مع صحبه ذوي المزايا الزاكيه
ومن تلا ممتن اطاب عمله • فنال من [illegible] امله
وشم من عرف قبول ارجا • فنال من حسن الختام ما رجى

وخاطبني

وخاطبني من اهلها ايضا خادم الشيخ الاكبر ابن عربي محيي الدين وهو الشيخ الاكرم سيدي ابراهيم سلك الله بي وبه سبل المهتدين **بقوله**

فكرت في فضل الامام • المقري الحبر حينا
فوجدته بكر الزمان • وواحد الدنيا يقينا
ما ان رأيت ولا سمعت • بمثله في العالمينا
وافى دمشق زائرا • لو ندا اضحى لصابئينا
والعلم قال مؤرخا • ادى بها فضلا مبينا

وخاطبني منهم ايضا الفقيه النبيه سيدي مصطفى بن محب الدين بقوله

نبيل قطب الغرب والعلم والفضل • المقري الامثل حايزة الخصل
حوى كل علم كل عن بعضه السوي • فلا عن وان اضحى فريدا بلا مثل
وحاز فنونا من ضروب معارف • ومن فضل تحقيق ومن منطق فصل
توخى دمشق فافتر ثغرها • سرورا بها وازينت من حلي الفضل
وشرف مصرا قبلها فاكتست به • ملابس فخر انها كرم الاصل
لقد اشرقت منا فوق غرب شموسه • وها مذ بك افقا نوره قدره معلي
نفاسته فيها ثنا نست الورى • بما قد غدى من درر الفاظه يملي
ملي من التحقيق ان عن مشكل • تكفل بالتبيان والشرح والحل
اذا ما اداد الدر من كاس لفظه • سقانا عقار الفضل علا على نهل
نظام محلى قلائد عسجد • وثغر مليح فايق الحسن والدل
واسجاعه ان حاك وشي نسجتها • حكت حبرا حيكت بمارق من غزل
له العلم الاعلى بشرق ومغرب • له الموضع الاسمى على الكل في الكل
فيا سيدا حاز المفاخر والعلى • وفاقت حلى الاداب منه على الحلل
اليك من العبد الحقير تحية • لقد فاقت عن حال الطل لو من حل
موالدوا الى الحب والقرب منكم • بطاهر غيب لا يحيد عن الوصل
فلا زلت محبوا بسابغ نعمة • وفضل نعيم وافر وارف الظل
ودمت لدى الاسفار في نجح اوبة • وجمع لشمل بالمواطن والاهل

وخاطبني الشيخ سيدي محمد بن سعد الكلشني حفظه الله **بقوله**

شهر شعبان جانا بتهنئي • بقدوم الاسناد كنز الفضايل
بهجة الكون روض علم وحلم • وهو مغني اللبيب انجاه سايل
بمصابيح فضله قد اضاءت • ساحة الجامع الكبير الاماثل
وبمختار لفظه صار يحوي • لحديث مسلسل عن افاضل
ومن الغرب حين وافى لشرق • فاق بدر التمام وسط المنازل

حل مني في القلب والطرف لما • لاح سعد السعود لي غير آفل
وغدا بالأمان والسعد أرخ • أحمد المقري بالشام قابل

وقال أيضا شكر الله سعيه وبلغه أمنيته

أتاك دمشق الشام أكرم وارد • فقرت به عينا وللحسن شاهد
ومنزه دلالا في زاهر روضة • معاطف لين كالغصون الأمالد
لك البشر يا عيني ظفرت بالمجد • رفيع الذرى من فوق فرق الفراقد
لقد شاع بين الناس واسع فضله • فكم قاصد يسعى لنيل الفوائد
من العالم الفرد المفيد الذي له • أياد سمت بالجود تولي القاصد
وذاك أبو العباس أحمد من صفت • مناهله دوما إلى كل وارد
تراه إذا وافيته متهللا • ويبسم حبا في وجوه الأماجد
إمام سمى قدرا على النجم رفعة • أروي وصفه في بيت نظم مشاهد
لديه ارتفاع المشتري وسعوده • وسطوة بهرام وطرف عطارد
شهدت بأن الله أولاه منحة • بنقل حديث في جميع المساجد
ومذ حل في وادي دمشق ركابه • وسودده وافى بأعدل شاهد
حوى كل أفضال وكل فضيلة • بها يهتدي خفا لنيل المقاصد
وما ذا عسى في مدحه أنا قائل • ولو جئت فيه مطنبا بالقصائد
إذا رمت أن تلقى نظيرا لمثله • عجزت ورب الناس عن عد واحد
فكم من معان حازها ببيانه • وفكرته قد قيدت للشوارد
ومنطقه حاوي الشفا بنحو بره • صحاح بها يزدان عقد القلائد
من الغرب وافى نحو شرق فأشرقت • شموس علوم أسفرت عن محامد
فنادينه يا سيدي من بفضله • تواترت الأخبار عن غير واحد
عسى عطفة منكم علي بنظرة • فأنت لموصول الجدى غير عائد
وأنت على ريب الزمان مساعدي • وأنت بيمنى للحسود وساعدي
فلا زلت تولي كل من هو آمل • لبغيته من صادر ثم وارد
وتبقى مدى الأيام في المجد رافلا • بثوب لهنا تكفى سرور الحواسد
وما لك عروسا تجتلي في حليها • إليك أتت في زي عذرا آماهد
تهنى بعيد الفطر من بعد صومكم • بخير جزيل من لديد الموابد
وترجو جميل الستر من منك • بحضرتك العليا أبا خير ماجد
وعش في أمانات الله بالعز دائما • مدى الدهر ما سح الحيا في الفدافد
وما دارت الأفلاك من نحو قطبها • وما نزعت شمس الضحى للمشاهد

وقال أيضا زاده الله من فضله

ظبي

ظبي يوسط الفؤاد قائل • أعجز بالوصف كل قائل
ظبي بأجفانه سباني • وسحر ما بينهن لبابل
يرمي بسهم اللحاظ لما • يرنو فيصمي الفؤاد عاجل
قد فتن العقل من تجني • على حتى غدوت ذاهل
له قوام كخوط بان • أود كالقنا السمهري عادل
بعذرى بدا كامل المعاني • في القلب والطرف غاد نازل
فناسر القلب في هواه • يفيد حسنا ودمع سائل
وما نجى منه لي خلاص • سوى مديحي رضي الأفاضل
أعني به المقري من قد • سما على البدر في المنازل
أحمد مولانا له أياد • كالغيث يغني لكل سائل
علامة حاز كل فضل • سبقا ومن بالعلوم عامل
من قد مشى في العلوم طرا • وحاز علم البيان كامل
طويل باع بسيط فضل • مديد جود لكل آمل
ووافر العقل راح يهدي • سريع فضل لكل فاضل
وجامع العلم في ابتهاج • بمنطق في الأصول حافل
ومذ كذا في الكلام منهما • أفاده في الدروس شامل
يروي صحيح الحديث دأبا • بالسند الواصل الدلائل
وكم علوم أفاد من قد • أتاه في مشكل المسائل
وحل إبهام كل شكل • من فن وفق إلى الوسائل
وغاص في لجة المعاني • واستخرج الدر في المحافل
وفي فنون البديع أضحى • جناسه قد حوى رسائل
وكم دليل أقام لما • برهانه أبهت المعازل
إن كان وافى لنا أخيرا • فهو الذي فاخر الأوائل
بحر محيط لمقتبس منه • على رياض بكل ساحل
وافى من الغرب نحو شرق • يجوب من فوق متن بازل
في مهمه صحصح مهول • وحزنه كم به غوائل
وحث فيه المسير حتى • خلفه من وراء كاهل
وجاء باليمن في أمان • وصحة الجسم والشمائل
وحل في الشام عند قوم • من أكرم الناس في القبائل
ذاك ابن شاهين ذو المعالي • رب الندا للألوف باذل
كأنه الشمس جاء يهدي • للبدر نورا وليس آفل

بل كان عيبا لهم وكانوا … رفضا ارتضا لشكر وابل
تبجلوه وعظموه … وادخروا عاجلا واجل
جزاهم الله كل خير … وصانهم من جدا الجاهل
واحمد دام في امان … المقري الرضي المعامل
لربه في دجى الليالي … ومرشد الناس في الاصايل
لا زال في نعمة وخير … وفي اماني بعود عاجل

وخاطبني الاديب الفاضل الشيخ ابو بكر العمري شيخ الادبا بدمشق حفظه الله

بقوله

تاه تلمسان على مدن الدنا … بعالم في العالمين يحمد
المقري احمد رب الحجا … الكامل البحر الخضم المزبد
ما لك هذا العصر شافعيه … احمده نعمانه المسدد
من حل مصرا اذعنت اعلامها … لفضله وبجلوا ومجدوا
وفي دمشق الشام دام سعدها … كان له بها المقام الاسعد
العلماء اجمعوا جميعهم … على معاليه التي لا تجحد
اقام شهرا او يزيد او ثنى … وفي الحشا منه المقيم المقعد
سالت على فراقه دموعنا … وفي القلوب حرقة لا تخمد
لو قيل من يحمد في تاريخه … ما قلت الا المقري احمد
لا برحت اوقاته سعيدة … ما صاح فوق عوده مغرد

قلت وذكري لكلام اعيان دمشق حفظهم الله ومدحهم لي ليس علم الله الا عن اعتقادي في نعتهم فضلا بل انبت به دلالة على فضلهم الباهر حيث عاملوا مثلي من القاصرين بهذه المعاملة وكسوه حلل تلك المجامله مع كوني لست في الحقيقة له باهل لما انا عليه من الخطأ والخطل والجهل ولقد خاطبت من مصر مفتي الشام صدر الاكابر وارث المجد كابرا عن كابر ساحب ذيل الكمال صاحب الخلال المبلغة الامال مولانا شيخ الاسلام الشيخ عبد الرحمن العمادي الحنفي بكتاب لم يحضرني منه الآن غير بيتين في اوله

وهما

يا حادي الاظعان نحو الشام … ابلغ تحيات تفوق الخيام
وابد المغنيها العماد الرضي … دام به شمل الهوى في التيام

فاجابني بما نصه

الى الامام الى مصر اهدي السلام … مبتديا بالمقري الهمام
من ضاع نشر العلم من عرفه … ولم يضع منه الوفا للذمام

اهدي تحف التحيه الى الحضرة العليه وذات الفضايل السنية الاحمديه التي من صحبها لم يزل موصولا بطرايف الصلات والفوايد الاوحدية الجامعة التي لها منها عليها شواهد ولبس بمستنكر ان يجمع العالم في واحد فيا من جذب قلوب اهل عصره الى مصره واعجز عن وصف فضله كل بليغ ولو وصل الى النثرة بنثره او الى الشعرى بشعره ومن زرع حب حبه في القلوب فاشتوى على سوقه وكاد كل قلب يذوب بتعذيبه من حر شوقه وظهرت شمس فضله من الجانب الغربي فبهرت بالشروق فاصبح كل صب وهو الى مباحثها مشوق زار الشام ثم ما سلم حتى ودع بعد ان فرع بروضها افنان الفنون فابدع واسهم لكل من اهلها نصيبا من وداده فكان اوفرهم سهما هذا المحب الذي رنح بصحبته سماك عماده وعلق بمحبته شغاف فواده فانه دنى من قلبه فتدلى وفاز من حبه بالسهم المعلى ادام الله لك البقا واحسن لنا بك الملتقى ومن علينا منك بنعمة قرب اللقا امين بمنه ويمنه هذا وقد وصل من ذلك الخل الوفي كتاب كريم هو اللطف الخفي بل هو من عزيز مصر القميص اليوسفي جاء به البشير ذو الفضل السني الخل الاعز الاجل التاج المحاسني مشتملا على عقود الجواهر بل النجوم الزواهر بل الايات البواهر تكاد تقطر البلاغة من حواشيه وتشهد بالوصول الى طرفها الاعلا مواشيه فليت شعري باي لسان اثني على فصوله الحسان العالية الشان الغالية الاثمان التي هي انفس من قلايد العقيان وابدع من مقامات بديع الزمان فطفقت ارتع من معانيها في امتع رياض واقطع بان في منشيها اعتياضا لهذا العصر عن عياض

لبت الكواكب تدنو لي فانظمها … عقود مدح فلا ارضى بها كلم

ولا سيما فصل التعزية والتسلية المشتمل على عقيد التخلية بل عقود كادت تعجب وابلغه دره في احسن المجال ووقع الموقع حتى كان الولد انشط بتركته من عقال

واذا الشي اتى يبغي وفته … زاد في العين جمال الجمال

فجزاكم الله عنا احسن الجزا ثم احسن لكم جميل العزا فيمن ذكرتم من كريمي الاصل والفرع وابقى منكم ما كنا في الارض من به للناس اعم النفع واما مصيبة من كان ولي وسمي ومنجدي الشهيد السعيد المرحوم الشيخ عبد الرحمن المرشد فانها وان اصابت منا ومنكم الاحوش فقد عمت الحرمين بل طمت الثقلين ولقد عد مصابا في الاسلام ثلمه وفقد به في حرم الله من كان يدعى للملمة ولم يبق بعده الامن يدعي اذا تخاسر الخميس واستنحوا ان ينشد في حفد وان لم يقنن به قبيس

وما كان قيس هلكه هلك واحد … ولكنه بنيان قوم تهدما

فالله تعالى يرفع درجاته في عليين ويبقي وجودكم للاسلام والمسلمين وتلامذتكم الاولاد يرجون من بركات ادعيتكم اعظم الامداد ويهدون اكمل التحية الى حضرتكم

العلية. ويبلغكم دعاء صاحبا لسعادة ادام الله اسعادكم واسعاده. ونحن
من صحبته البهية. في رياض فنون ادبية. انما هي لمعات محاضرة في ذكر سماتكم
الجميلة تنور المجالس. واشمها نسمات مجاورة بالتشرف بكلمكم الجليلة تعطر
المجالس. وسلام جملة الاصحاب من اهل الشام. وعامة الخواص والعوام والدعا
على الدوام. المخلص الداعي عبد الرحمن العمادي مفتي الحنفية. بدمشق المحمية
انتهى **وورد** على منع المكتوب المذكور مكاتبات لجماعة من اعيان الشام
حفظهم الله فمنها من الصديق الحميم الراقي في حلل المجد الصميم الخطيب الاديب
سيدي الشيخ المحاسني يحيى. اسمى الله قدره في الدين والدنيا كتابين. **نص**
اولهما باسمه سبحانه

لئن حكمت ايدي النوى وتعرضت • عوارض بين بيننا وتفرق •
فطرفي الى رؤياكم متشوق • وقلبي الى لقيا كم متشوق •

بتقبيل الارض الشريفة لازالت مركزا للدائرة التهاني وقطبا لفلك تجري المجد في جري
على الدقائق والثواني ولا برحت السن البلاغة عن تمييز براعة براعته حمامي حماها
معربة وبلابل الاداب على الاغصان في رياض فضله بمثاني التشاكي صادحة وبالحانه
بسجعها مطربة

ارض بها فلك المعالي دائر • والشمس تشرق والبدور نجوم •
ولها من الزهر المنضد انجم • ولها على افق السماء نجوم •

عمر الله بالمسرات محلها. وعم بالخيرات من حلها. ويبدي سلاما يخبر عن صحيح وده
السالم. ومزيد مؤكد محبته الذي هو للولاء جازم. ويبعث شوقا يحرك ما سكن
صميم الضمير. من صدق حب سلم جمعه من التكسير. ويؤكد السلام بتوابع المدح
والثنا. ويعرب عن محبة مشيدة البنا. وينهي ان التشبيب في تسطيرها والبكا
على تحريرها اشواق اضرمت نارها في الفؤاد. ومحبة لو تجسمت لملأت البلاد.

واقول

شوقي لذاتك شوق لا ازال اري • احذه لي يا امام العصر اقدمه •
ولي فم كاد ذكرا لشوق يحرقه • لو كان يعرق لنارا احرقته •

منذ وان تفضل المتولي بالسؤال عن حال هذا العبد فهو بافعالها تشهد الذات
العلية من صدق المحبة ورق العبودية. ولم يزل يزين افق المجالس بذكركم ولا
ينقطع عند المحاضرة الا من ذكركم. ولم ينس حلاوة العيش التي مضت في حضرتكم
المحروسة بعناية الملك المتعال. ولياليا الانس التي فيها. وكانت بالعراق لنا

وانما لها من لياليها هل تعود كما • كانت واي لياليا عاد ماضيها •
لم انسها مذ نانت عني بهجتها • واي انس من الايام ينسيها •

نسأل

نسأل الله تعالى ان يمن بالتلاق ويتفضل بما نعته الجمع بطي شقة الفراق انه لذلك
على الله يسير وهو على جمعهم اذا يشاء قدير **وبعد** فالمعروض على مسامع سيدي
الكريمة. لا زالت من كل سوء سالمة. انه وصل لنا مكتوبكم الكريم صحبة العم الحجي
العديم. فحصل لهذا العبد به جبر عظيم. وانس جسيم كما شهد بذلك السميع
العليم. فعزمت على ترك الاجابة لعدم الاجادة. ومتى تبلغ الالفاظ المذمومة
ما بلغته الالفاظ المغربة. واين يصل صاحب الزمر كما قيل الى الدفاف الجليلة
ولكني خشيت من ترك الاجابة نقص ما ابنيه من رق العبودية وصحة الوداد.
ومن انقطاع شيخي الذي هو لي بيت شرفي العمدة والعماد. فلزم من ذلك ان كتبت
لجنابه الشريف الجواب. وان كان خطاه اكثر من الصواب. وارسلته قبل ذلك
بعشرة ايام مكتوب هذا العبد صحبته مكتوبات احدهما من محبكم شيخ الاسلام
المفتي العمادي والاخر من محبكم احمد افندي الشامي وهما يقبلان اكابر البلدة
واعيانها يبلغونكم السلام التام ولا تؤاخذونا في هذا المكتوب فاني كتبته
عجلا. ومن حيائكم خجلا. دام خيركم على الدوام. والى قيام الساعة وساعة اللقا
وحرر يوم الاثنين حادي عشر جمادى الثانية سنة ٣٥ الفقير الداعي يحيى المحاسني
انتهى **ونص المكتوب الثاني** من المذكور اسماه الله باسمه سبحانه مخلصك
الذي محض لك وداده. ومحبك الذي اسلم لمحبتك قياده. بل عبدك الذي لا يروم
الخروج عن رقك. وتلميذك الذي لم يزل مغترفا من فيض علومك مغترفا بحقك
من اسكنك لبه. واخلص لك حبه. واتخذك من بين الانام ذخرا نافعا. وكهفا
ما نعا. ومولا رفيعا وشهابا ساطعا. وتشبث باسباب علومك وتمسك
يهدي اليك سلاما كانما تعطر بمسك ثنائك وتمسك. واكتسب من لطف
طبعك الرقة. واستعار من سنا وجهك حلة مستحقة. وتحية لم يكن مناه
الا ان يكون بالمواجهة والمشافهة والمحاضرة على ان فؤاده لم يبرح لك سكنا
واحشاؤه لك وطنا. ويبدي دعوات تحقق لعل التماس الفضائل المنتجة
وان ابواب القبول لها غير مرتجة متقبلا باديك التي وكفت بوابل جودها وكفت
المهم بنتايج سعودها وحاكت الوشي المرقوم. وسلكت الدر المنظوم. فهذا
ترفل في حللها. وهذا يتحلى بعقودها.

فهي التي تغنو الرياض لرقمها • ويغار منها الدر في تنضيدها •
من بحار ارباب البيان لنظمها • فهم بحضرتها لبعض عبيدها •

متمسكا. واليك بوثيق العرى متمسكا من ثنائك الذي لا يزال الكون منه
معنبرا. متشوقا للقائك الذي به المهج تبتسم وبه النفوس تستبشر. متشوقا
لما يرد من انبائك التي تنشر خبرا او تحمد اثرا. اعني بذلك المولى الذي قام

بفناء الفسطاط مخيما ۔ وانتجع جماه رايدا لفضل مبهما ۔ وشدت لفضايله
الرحال ۔ ووقفت عند منابر دونها تحول الرحال ۔ وتطلعت شموس علومه
في سماء القاهرة ۔ واضيئت بنجوم فضلا بها والاسعد باهرة ۔

۔ هو الشمس علما والجميع كواكب ۔ اذا ظهرت لم يبد منهن كوكب ۔

هو العالم الذي سرى ذكره في الآفاق مسير الصبا ۔ جاذبا لها النسيم الخفاق
الذي اطلع شمس التحقيق من افق بيانه ۔ واظهر بدر التدقيق من تبيانه فهذا
عقدت عليه الخناصر بين علما عصره ۔ وانعقدت عليه الاواصر من فضلاء مصره ۔
فلا بيضاهيه في ذلك احد في زمانه ۔ وبنسق ما ينسقه من دره ومرجانه ۔ فهو
المعول عليه في المشكلات من العلوم معقولها ومنقولها والمنطوق والمفهوم
الذي لم تسمح بمثله الازمان والعصور ۔ ولم تات بنظيره تتابع الاعصار والدهور
من عجز لسان القلم عن التصريح باسمه الشريف في هذا الرقم لا زالت المدارس
مشرقة بالقايه فيها الدروس ۔ ولا برحت البقع عامرة بوجوده بعد الدروس
ما سطرت ايات الاشواق في الصحايف والطروس ۔ وارسلت من تلميذ الى استاذ
بسبب نسبه اليه تحصل على المطلوب من شرف النفوس هذا والذي يبدي لحضرتكم
وينهي لمطالعتكم انا الراقم لهذه الصحيفة المشرفة بعض اوصافكم اللطيفة المركبة
لساحة فضايلكم المنيفة من تلميذكم من تشرف بدرسكم وافتخر باجازتكم بيدي
لكم تلهف للبدر اشواقا التي انتهبت ۔ وتاسفه على الايام السالفة مدة بين يدي
خدمته لا ذهبت ۔ وتوجعه لهذه الازمان التي استرجعت بالبعد عنه من ديد منه
ما وهبت ۔ وتطلعه الى ما تشنف به الاسماع من فضايلها التي سلبتها العقول
والقلوب وانتهبت ۔ فلم يزل تبيانا لا الرواة عنها لبنتلفظ منها ۔ وقد تحقوا انّ
فرايدها لا يلفى لها نظير ولا يدرك كنهها ۔ وكيف لا ومنها يتعلم الفاضل اللبيب
واليها ينفر السعيد ويتودد حبيب ۔ وعليها يعتمد ابن الحميد ۔ ولم تنفك
راقية في برج المزيد ۔ وعبد الحميد عبد الحميد ۔ وعلم شيخي محيط بصدق محبتي صحها
وشدة حرصي على تحصيل فوايد مولانا واقتناصها ۔ واني لا ازال ذاكرا لمحاسنه
التي لبثت في غير مجموعة ۔ ومتطفلا على ثمار افكاره التي هي لا مقطوعة ولا ممنوعة
وخاطره الشريف على الحقيقة يشهد بذلك فلا يحتاج هذا العبد الى بينة لدى
مولانا الاستاذ ذا المالك ۔ وحقيق على من فارق تلك الاخلاق الغر والشمايل
الزهر والعشرة المعشوقة ۔ والسجايا الموموقة ۔ والفضايل الماثورة ۔ والماثر
المشهورة ۔ ان يشق جيبا لصبر ۔ ويجعل الناز حشو الصدر ۔ واقول

۔ واني لتعروني لذكراك هزة ۔ كما انتفض العصفور بلله القطر ۔
ولو ملكت مرادي ۔ لما انحصر الا في ذراه مرادي ۔ بل لو دار الفلك على اختياري

لما نضوت الاعنة ليلي ونهاري

۔ ولو نعطي الخيار لما افترقنا ۔ ولكن لا خيار مع الزمان خبير ۔
۔ وتحت ضلوعي لوعة لو كتمتها ۔ لخفت على الاحشا ان تتضرما ۔
۔ ولو بحت في كتبي بما في جوانحي ۔ لانطقتها نارا وابكيتها دما ۔

وانا لا اقترح على الدهر الا البقاء ۔ ولا اقطع حاضر الوقت الا بذكراه ۔ وما اعد
ايامي التي سعدت فيها بلقايه ۔ الا مفاتيح السرور ۔ ومطالع السعود والحبور
ولست اعيبها الا بقلة البقا وسرعة الانقضا ۔ وكذلك عمر السرور قصير ۔
والدهر بتفريق الاحبة بصير ۔ وربما امتن العود بعد الذبول ۔ وطلع النجم
بعد الافول ۔ وابدل الوصال من الفراق ۔ وعاد العيش المرحلو المذاق ۔

۔ وما انا من ان يجمع الله شملنا ۔ كاحسن ما كنا عليه بآيس ۔

واما انا فلا ارجي الوقت الا بقلب شديد الاضطراب ۔ وجوانح لا تفيق من التوقد
والالتهاب ۔ وكيف لا وحالي حال من ودع صفوة الحياة نوم وداعه ۔ وانقطع
عند الانس ساعة انقطاعه ۔ وطوى الشوق جوانحه على غليل ۔ وحل اضلاعه
على كمد دخيل ۔ واغرى في ملازمتي ولزمته ۔ والفيتني وبين الوجد فالفني والفته
فلا اسلك للخلاص طريقا الا وجدته مسدودا ۔ ولا اقصد للصبر بابا الا الفيته
مردودا ۔ ولا اعد اليوم بعد فراق سيدي الاشهرا ۔ والشهر دون الغاية الا دهرا
ولست بناسي ايامنا التي هي تاريخ زماني ۔ وعنوان الاماني اذ ماء الاجتماع عذب
وغصن الازدياد رطب ۔ واعين الحواسد راقدة ۔ واسواق ضروف الدهر كاسدة ۔
فما كانت الا لمحة الطرف ۔ ووثبة الطرف ۔ ولمعة البرق الخاطف ۔ وزورة الخيال
الطايف ۔ وما اذكر تلك الايام في اكناف فضايله ونضرتها ۔ ورياض علومه في ظله
وخضرتها الا اوجب على عيني ان تدمع ۔ واثني على كبدي خشية ان تتصدع ۔ ثم
لما ورد على عبدكم مكتوبكم الكريم ۔ صحبة حضرة العم المحب العظيم ۔ فكان كالعافية
للصب السقيم ۔ كما يشهد بذلك السميع العليم ۔ فوقفت له منتصبا ۔ وخفق
عند بروزه وصبا ۔ وذكرا ايام الجمع فهام وجدا وهاج صبا ۔ فاستخفه الاعجاب
طربا ۔ وشاهد سطوره فقال هكذا تكون الرياض ۔ وعاين لطفه فقال
هكذا تكون الصبا ۔ وقبل كل حرف منه ووضعه على الراس ۔ وحصل له بعد تفرقه
غاية المجابرة والاستيناس فعند ذلك انشد قول بعض الناس

۔ ورد الكتاب فكان عند وروده ۔ عيد ۔ يهيج الاشواقا ۔
۔ الفا ته فذ عانقت اعضاه ۔ كحشا فمشتنا فبحاف فراقا ۔
۔ فكانما النونات فيه امثلة ۔ وكانما صادانه احداقا ۔
۔ فعسى الاله كما قضى بفراقنا ۔ يقضي لنا يوما بان نتلاقا ۔

فجعلته نصب عيني انسلا به عند اشتعال الشوق على قلبي واطفي به ما لدي من نيران وجدي اذا التهبت في صدري وسررت به سرور من وجد ضالته عمره وادرك جميع اماني بني دهره وانست بتصفحه انس الدياض بانهلال القطر والساري بطلوع البدر والسائر بتغريد الفجر وكيف لا وقد اصبح في وجه الاماني جدا. بل خدها ورداً وصار حسنة من حسنات دهري لا يمحو سرور الايام موضعها من صدري وطلعت طوالع السرور وكانت افلة. واهتزت غصون الفرح وكانت ذابلة لاسيما لما تضمن من البشارة السارة بصحة المولى وسلامته وحلوله في منازل عزه وكرامته وموعده الكريم بعوده الى دمشق الشام سقاها صوب الغمام مرة ثانية ويتم انتحاء على غيرها فلا تزال مفاخرة مباهية نسال الله تعالى ان يحقق ذلك وان يسلك بسيدي احسن المسالك. انه سبحانه وتعالى سامع الاصوات ومجيب الدعوات فان عودكم يا سيدي والله مرة اخرى هو الحياة الشهية والامنية التي ترتجي النفس بلوغها قبل المنية. وما ذلك على الله بعسير ان يتيح سببا بعيد المزار مقتربا. والشمل مجتمعا وحبل البين منقطعا. ثم ليعرض على مسامع سيدي الكريمة لا زالت من كل سوء سليمة انا اوصلنا مكاتيبكم كما امرتم لاربابها لاسيما مكتوب شيخ الاسلام عبد الرحمن افندي اعزه الله تعالى فانه وقع عنده الموقع العظيم وحصل له به السرور والمقيم كما يدل على ذلك جوابه الكريم. المحفوف بالتعظيم والتكريم غير انه قد ساءنا ما اتصل بمولانا من نفوذ قضاء الله الذي يعم في البنت والام. فجعل الله في عمر سيدي البركة وكان له في السكون والحركة. وما عسى ان يذكر لجنابكم في امر التعزية ويقرر. ومنكم يستفاد مثله وعنكم يحرر والاستاذ ادرى بصروف الدهر وتقلبها واحوال الزمان وتلونها واعرف بان الدنيا دار. ليس لها بسكانها مدار. وان الحياة ثوب مستعار ونعيم الدنيا دار وبؤسها ما لواحد منهما فيها قرار وان لكل طالع افولا. ولكل ناضر ذبولا. ووراء كل ضياء ظلاما ولكل عروة من عرى الدنيا انفصاما. فهو محل لان يقوي في العزا عزائمه ويصفو في عينه نوائب الدهر وعظائمه ويغنيه عن عظة يجد له صقالا. ويحل عن عقله عقالا وهو يتلقى المصائب بفكر ثاقب وفهم صائب. وصبر يقصر عنه الطود الاشم ويغلق دونه الصخر الاصم وحلم يرجح اذا طاشت الاحلام. وقدم يثبت اذا زلت الاقدام ومن المقال في ضرب الامثال الى جنابكم الشريف نوع من تجاوز حد الاجلال وانا اسال الله تعالى ان يجعل هذه المصيبة خاتمة. ولا يريه بعدها الا دولة قائمة ونعمة دائمة. وان يحرسه من غير الليل والنهار. ويجعله وارث الاعمار بجاه نبينا المختار. صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الاطهار بمنه وكرمه. ثم ان ابلغ سيدي اطال الله عمره. وشرح صدره. ونشر بالخير ذكره. السلام التام المقرون بالف تحية واكرام من اهل البلد جميعا لاسيما من مفتيها العمادي حرسها الله ذاتها التي

منهل

منهل للصادي والغادي واولاده الكرام المستحقين للاعزاز والاكرام ومن لديه ومدبرها ومشيرها احمد افندي البشاميني اعزه الله بعزه. وجعله تحت كنفه وحرزه. ومن خطيبها مولانا الشيخ احمد التهمتيشي ونقيب اشرافها مولانا السيد كمال الدين وجميع المحبين الداعين لذلك الجناب. والمتمسكين بتراب تلك الاعتاب. ومن الوالد والعم والله يا سيدي انه ناشر لواء الثنا والمحامد وداع لذلك الجناب الكاسب للمفاخر والمحامد. وحضرة شيخنا شيخ الاسلام وبركة الشام مولانا وسيدنا الشيخ عمر القاري ابقى الله وجوده. وضاعف علينا احسانه وجوده. واولاده يسلمون عليكم السلام الوافر ويبثون لكم الشوق المتكاثر في ثاني جمادي الثانية سنة ١٠٣٠ المحب الداعي محي المحاسني انتهى وكتب الي عمه الفاضل الاسنى ما صورته باسمه سبحانه

وانى لمشتاق الى وجهك الذي • تملك ما يهدي السناء الى البدر •
واخلاقك الغر اللواتي كانها • تساقط انداء الغمام على الزهر •

سيدي الذي عمود بنيان البيت مصروف. ودواعي محبتي لديه موفورة وعليه موقوفة علم الله سبحانه انني لا ازجي وقتي الا بذكراه. ولا ارجو اليمن من ساعاتي الا ما نسيم رياه. واني الى طلعته اشوق من الصادي الى الما. ومن كثير عزة الى نوى نعما

• يرنحني التشوق حين • اميل من اليمين الى الشمال •
• ويأخذني لذكراك اهتزاز • كما نشط الاسير من العقال •

ولي على صدق هذه الدعوى من بيانه شاهد معدل ومن نزاهة قلبه من كل غير ملوم ولا معزل كيف لا ومطالع البنان مقذفها من بحار علومه ومن بحر العلوم الذي لا يقتحم بسفن الافكار والجبل الذي رسخ بالهيبة والوقار

• لو اقتسمت اخلاقه الغرلم تجد • معيبا ولا خلقا من الناس عائبا •

وماذا عسى اصفه به مولاي وقد عجز عن وصفه لسان كل واصف وحارت في بث فضائله ارباب المعارف والعوارف.

• فلو نظمت الثريا • والشعريين قريضا •
• وكامل الارض ضربا • وشعب رضوى عروضا •
• وصغت للدر صدرا • وللهواء نقيضا •

ولكني اقول الثنا منجح اني سلكت. والسخي جوده بما ملكت. وان لم يكن جمر فخل وان لم يصبها وابل فطل. هذا وقد وصلنا مكاتيبكم الشريفة لاربابها فكانت لديهم اكرم قادم. واشرف منادم. وقد تداولتها الافاضل وشاهدوها وشهدوا انها من فنات الافكار التي لم يكشف عنها الغير سيدي حجب الاستار. وقد وجد كل منهم ملتهبا بجمرات الشوق منجا وزاحدا الصبابة والنوى لينسيهم شغل

الا ذكرا وصافكم الحميدة وبث ما ابديتموه بدروسكم المفيدة وما منهم الا
ويرجو ابل الصدا ونقع الظما برؤية ذلك المحيا والتملي بتلك الطلعة العليا
وان سال سيدي عن اخبار دمشق المحروسة دامت ربوعها مانوسة فهي ولله
الحمد منتظمة الاحوال امنها الله من الشرور والاهوال ولم يتجدد من الاخبار ما نعلم
به ذلك الجناب لا زال ملحوظا بعين عناية رب الارباب وانا اسال الله تعالى
ان يصون جوهر تلك الذات من عوارض الحدثان وان يحمي تلك الحضرة العلية من
طوارق حكم الدوران امين امين لا ارضى بواحدة وهذا دعا للبرية شامل
العبد الداعي بجميع البواعث والدواعي تاج الدين المحاسني عفي الله عنه انتهى
وبالهامش ما صورته وكاتب الاحرف العبد الداعي محمد المحاسني يقبل يدكم الشريفة
ويخصكم بالسلام الوافر ويبث لديكم الشوق المتكاثر غير انه قد نازعته نفسه
في ترك المعاتبة لسيده الذي لم يسعد عبده منه بالمكاتبة على انها مكاتبة بحكم عقد
العبودية ولا تخرج رقبته من طوق الرقية والمطلوب ان يخصه سيده ويتحفه بدعواته
المستطابة التي لا شك انها مستجابة كما هو عليه في سابر اوقاته وحسبنا ساعاته
ودمتم في رابع جمادي الثانية سنة ١٠٤٠ انتهى **وكتب** سيدي
المذكور ضمن رسالة من بعض الاصحاب الى **ما صورته**

* يا فاضل العصر يا من • للشرق والغرب شرف •
* يا احمد الناس طرا • في كلما يتصرف •
* يهدي اليك محب • دموعه تتذرف •
* شوقا وودا قديما • منكرا يتعرف •

ولنختم مخاطبات اهل دمشق لي بما كتبه لي احد الموالي الكبرا السري عين الاعيان
صدر ارباب البلاغة والبيان مولانا احمد الشاهيني السابق الذكر في هذا المؤلف
سرات ضاعف الله لديه انواع المبرات والمسرات امين ليكون مسكا للختام اذ كان
لبيت بها خفاء ولا لها انكتام **ونص محل الحاجة منه** لمولى الفياض

* يا سيدا قد حاز حصل العلا • بالباس والراي السديد الشديد •
* ومن علي المثل النبهي قد علا • بطبعه السامي المجيد المجيد •
* ومن يزين الدهر منه حلى • قول نظيم كالفريد النضيد •
* ومن يصدق الفكر منه جلى • نظم له القلب عميد حميد •
* ومن له من يوم قالوا بلى • في مهجتي حب جديد مزيد •
* ومن غدا بين جميع الملا • بالعلم والحلم الوحيد الفريد •
* افديك بالنفس مع الاهل لا • بالمال والمال عتيد عديد •

اقسم بالله الذي علت كلمته وعمت رحمته وسحرت القلوب والعقول رافته ومحبته

وجعل

وجعل الازواج جنودا مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف
انني اشوق الى تقبيل اقدام شيخي من الظمآن للما ومن الساري لطلعة دجا وليس
تقبيل الاقدام مما يدفع من المشوق الاوام وقد كانت الحال هذه وليس بيني
وبينه حاجز الا الجدار اذ كان يحفظه الله تعالى جار الدار فكيف الان والغرام
وهو يحفظه الله تعالى بمصر وانا بالشام وليست غيبة مولانا الاستاذ عنا الا
غيبة العافية عن الجسم المضنى بل غيبة الروح عن الجسد البالي المطروح ولا
العيشة بعد فراقه ومهاجرة احبابه ورفقاه الا كما قال بديع الزمان عيشة الحوت
في البر والثلج في الحر والستر بين يدي بصير ولبس الصبر عنه بصير وانما هو المصاب
والمصاب والكبد في يد القصاب والنفس رهينة الاوصاب والحين الحائن والمصاب
ولا اعرف كيف اصف سرور الوقت الذي يرد فيه كتاب شيخي بخطه مزينا
بضبطه بل قد كان شرف عطارد حتى اجتمع من انواع البلاغة عندي كل شارد
واما خطه فكما قال الصاحب ابن عباد اهذا خط قابوس ام جناح الطاووس

او كما قال ابو الطيب

* من خطه في كل قلب شهوة • حتى كان مداده الاهواء •

وانا اقول ما هو ابدع وابرع وفي هذا الباب انفع واجمع بل هو خط الامان من
الزمان والبراءة من طوارق الحدثان والحرز الحريز والكلام الحر الابريز والجوهر
النفيس العزيز واما الكتاب نفسه فقد حسدني عليه اخواني واستبشر به
اهلي وخلاني وكان تقبيلي اياه اكثر من نظري فيه شوقا الى تقبيل يد وشيه وحشيه
واغتباطا للثم انامل خطته ومشته واما البراعة فلا شك انها ينبوع البراعة
حتى جرى في بحر البلاغة منها ما جرى

* فجاء الكتاب كسحر العيون • بما راح يسبي عقول الورى •

وبنادي باحراز حصل سحر البيان من الثريا الى الثرى ولم ار كتابا قبل يكون محاسنه
متداخلة مترادفة ولطائفه وبدائعه متضاعفة متراصفة وذلك لانه
سرد من غرر درره الاحاسن وورد على يد راس احبابنا تاج بني محاسن اولئك
قوم حازوا الحسن كله فما منهم الا فتى فاق في الحسن وكما قلت فيهم ايضا

* فبنو المحاسن بيننا • كبني المنجم في النجابة •
* فهم القرابة ان عدمت • من الانام هوى القرابة •
* فبهم محاسن جمة • منها الخطابة والكتابة •

ثم لم يكتف سيدي وشيخي بما انعم به واحسن بكتبه من كتابه المزين بخطه المبين
بضبطه المسمى بنيل الوفي بكتابة الاصطفا حتى اضاف اليه كتاب الشفا في بديع
الاكتفا كانه لم يرض طبعه الشريف المفرد المستثنى الا ان يلون حسناته لدى احبا

مثنى مثنى حتى كان مراده بتضعيف هذا الاكرام والاحسان بعجيز العبد عن ادآ
خدمته الحمد بحصر البيان وعقد اللسان اذ لست ذا السانين حتى اودى شكر الحسانين
وغاية التبليغ في هذا المضمار الخطير ان تعترف بالقصور وتلترم بالتقصير ومن
فصول هذا الكتاب ما نصه ومن باب ادخال السرور على سيدي وشيخي وركني
خير المدرسة الداخلية التي تصدى لها ذلك المولى العظيم والسيد الحكيم صدر
الموالي ورونق الايام والليالي سيدي وسندي وعمادي ومعتمدي الفهامة شيخ
افندي المعروف بالعلامه حفظه الله ووقاه وابقاه الذي صدق عليه وعلى

قوله الاول

• ولي صديق ما مسني عدم • مذ وقعت عينه على عدمي •
• اغنى واقنى وما يكلفني • تقبيل كف له ولا قدم •
• قام بامري لما قعدت به • ونمت عن حاجتي ولم ينم •

وقوله الثاني

• صديق لي له ادب • صداقة مثله نسب •
• رعى لي فوق ما يرعى • واوجب فوق ما يجب •
• فلو نقدت خلايقه • لبهرج عندها الذهب •

ولعمري انه كذلك قد تصدى لحاجتي فقضاها ولحجتي فامضاها ولم يكن لي
في الروم سواه وسواها وما اصنع بالروم اذا تخلف عني ما اروم الى الله الا ينبغي
ذلك الجار الكريم بتهيته وامره وان يكون بيانى وبنانى مرتبطين بحمده وشكره ومهما
حاجة في نفسي قضيتها وامنيته رضيت بها وارضيتها ولله الحمد ولست احصي ولا
استقصي يا سيدي ومولاي شوق اخيكم سيدي ومولاي المفتي العمادي حفظه الله
تعالى واياكم وقد بلغ به شوقه وغرامه وتعطشه واوامه ان افرد لجناب مولانا
كتابا يستجلب مفخرا وجوابا اذا لشام كما رايتم عبارة عن وجوده الشريف والسلام
وكذلك اولاده الكرام تلامذتكم يقبلون الاقدام واما محبكم وصديقكم الشيخ البركه
شيخ الاسلام مولانا عمر الغاري فقد بلغته السلام سيدي وكان من جوابه الدعا والثنا
مع العزيمة على تاديا بالغ لجنابكم الكريم في ادية سلامه وتبليغ ما يتضمنه من المحبة
الخالصة فصيح كلامه واما الكريمان ولدكم محمد افندي واخوه سيدي اكمل الدين فهما
لتقبيل اقدامكم من المستعدين وكذلك لا احصي ما هما عليه من الثنا والدعا لجناب
الكريم العالي تلميذكم بل عبدكم ولدنا الشيخ يحيى بن سيدي ابي الصفا وولدنا الشيخ
محمد بن سيدي تاج الدين المحاسنيان واما عبداكم وتلميذاكم وولدا الشيخ عثمان الذا
الاخوان الشيخ عبد السلام والقاضي نعمان فليس لهما وظيفة الا الدعا والثنا في كل
صبح ومسا لان كلا منهما خليفتي والاشتغال بدعاء سيدي وظيفتي ولا يقنعان

بتقبيل

310

بتقبيل اليدين الكريمتين ولا بد من تقبيل القدمين المباركتين وبعد
فلا ينقضي عجبي من بلاغة كتابكم الشريف الوارد لجناب اخيكم المفتي العمادي حفظكم
الله واياه ولا كان من بيننا لك وبينناه وعجبه به اعظم واكبر اذ هو حفظه الله
يفهم كلام سيدي اخو واحد فلا عدمنا تلك الانفاس الملكية الفلكية من كل منكما
ادمي والله البغية والامنية

كما قلت

• ليس تخزى ولا اعتدادي بدهر • غير مرار كما من يتيه •

اللهم اختم هذا الكلام بالقبول التام بالصلاة على سيدنا محمد واله الطيبين
الطاهرين ومن فصول هذا الكتاب ما صورته اطال الله يا سيدي بقاك
ولا كان من يكره لقاك ورعاك بعين عنايته ووقاك وادامك وابقاك وضمن
لك جزاء الصبر وعوضك عن مصابك الخير والاجر ولقد كنت على ان اجعل في مصاب
سيدي بامته منعها الله بعفوه وعلمه ودفع عنه سورة همه وغمه قصيدة تكون مرثية لتضمن
تعزيته وتسليته فنظرت في مرثية ابي الطيب المتنبي لامته واكتفيت بنظمها ونثرها
وعقدها وحلها وانتخبت قوله

• لئن لذ يوم الشامتين بيومها • لقد ولدت مني لانفهم رغما •
• للناس من مجموعة بجبيبها • قتيلة شوق غير ملكسبها وصما •
• ولو لم تكوني بنت اكرم والد • لكان اباك الضخم كونك لي اما •

فقلت هذا حال مولانا الراغم لانوف الاعداء المجدد للاسلام حمدا ومجدا القائل يشوقه
لا خطا ولا عمدا ثم اني لما رايت قوله في مرثية اخت سيف الدوله

• ان يكن فضل ذي الرزية فضلا • تكن الافضل الاعز الاجلا •
• انت يا فوق ان تعزى عن الاحباب فوق الذي يعزيك عقلا •
• وبالفاظك اهتدى فاذا عزاك قال الذي له قلت قبلا •
• قد بلوت الخطوب حلوا ومرا • وسلكت الايام حزنا وسهلا •
• وقتلت الزمان علما فما يغرب قولا وما يجد فعلا •

قلت والله هذا حال مولانا الاستاذ الذي عرف للزمان فعله وفهم قوله فقد
استغنا ربما ابو الطيب وحلى بها مخدومه سيف الدوله وكيف استطيع ارشاد شيخي
لطريق الصبر واذكره بالثواب والاجر وكيف وانا الذي استفدت من ديمه وامتدت
الى سبيل المعروف بشيمه وسلكت جادة البراعة بهداية الفاظه وارتقيت الى سماء
البلاغة برعاية الحاظه وهل يكون التلميذ معلما وهل يرشد الفرخ قشعما وكيف
يعضد الشبل الاسد وهو ضعيف البنية والمدد ومن يعلم الثغر الابتسام والصبح
الالتزام ويخبر الحسام وهو مجرد صمصام وهل تفتقر الشمس في الهداية الى مصباح
وهل يحتاج البدر في سراه الى دلالة الصباح وذلك مثل شيخي ومثل من يرشده الى

فلاح او نجاح ‌ وانما ناخذ عنه ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة ونحذو حذوه في الطرق
الموصلة الى الجنة ثم لما وصلت في هذه القضية الى قول ابي الطيب

• ان خيرا لدموع عينا لدمع • بعثته رعاية فاستهلا •

رايته قد ابدع فيه كل الابداع • ونظم ما يكاد يجري الدمع من طرفي السامع فقلت
انا لله واكثرت الاسترجاع • وقلت في نفسي ان ذلك الدمع الذي بعثته رعاية الحقوق
هو دمع شيخي الذي حمى الله قلبه الشفوقا لعقوق المصيبة في الام • التي خرتها يغم
ومصابهما بحم • وكيف لا يعمنا مصابهما • وقد كملت المصيبة كفاه الله بموتهما نصا •
مدامع الفقد للسليلة الجليلة • والكريمة الحليلة • واي دمع لم تبعثه تلك الرعاية •
واي نفس لا تتمنى ان تكون لسيدنا من كل ما يكرهه وقاية • واي كبد قاسية لم تكن لاجابتهما
مواسية • واني ينبغي للعبد المعنى بتسلية شيخي وهو الصبور الشكور العارف بالهموم
العالم بتصاريف الدهور • وما ظننت ان يساعدني على تحرير بيانٍ للتعزية شيخي
حفظه الله تعالى في اصله وفرعه وضرعه وزرعه • وعرقه ونبته • وامته وبنته امّا
الوالدة الماجدة فاني ان امسكت عن بيان كرم اصلها يشمونها كرم فرعها ونسلها فرحم
الله سلفها • وابقى خلفها • ولا حرم سيدي ثمرة رضاهما • ورضي عنهما وارضاهما وامّا
المخدرة الصغيرة • فالمصيبة فيها كبيرة • اذ العموم مغفرته • والخولة وقايته •
فهي ذات النخارين • وحايرة الفخارين • كان سيدي اعزه الله تعالى لم يرض لها كفوا
ونهرا • فاختار القبر ان يكون له صهرا • وخطبة الحمام لا يمكن ردها • وسطوة الايام
لا يستطاع صدها • كما قال ابو الطيب

• ان خطب الحمام لبس لها رد • وان كانت المسماة ثكلا •
• واذا لم تجد من الناس كفوا • ذات خدر ارادت الموت بعلا •

اسأل الله تعالى ان تكون هذه الخطبة نافية الخطوب • وهذا الذنب الممحو
الذنوب • وان يعوض سيدي عن حبيبه المبرقع المقنع حبيبا معمما تنحني النجابة منه
المصنع • وان يبدله عن ذات الخمار والخضاب • بمن يصول بالحراب • ويسطو باليراع
ويشتغل بالكتاب

• وما التانيث لاسم الشمس عيب • ولا التذكير فخر للهلال •

اللهم يا ارحم الراحمين • اني اتوسل اليك باسم نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وآله
الطيبين الطاهرين ان تاخذ بيد عبدك شيخي المقري في كل وقت وحين امين •

ومن فصول هذا الكتاب ما صورته ولما وصلني سيدي بهديته • التي احسن
بها من كتاب الاكتفاء • واطلعني لصفا ونشطت الى نظم بيتين فيهما التزام عجيب
لتكرار مثله ومتوازن يكونا للفظ المكتفى به بمعنى للفظ المكتفى منه فان الاختفا و
الاختفا بمعنى الاغتنا كما افاده شيخي فيكون على هذا الاكتفاء وعدمه على حد سوى

اذ لو

اذ لو قطع النظر عن حد الاختفا لا غنى عنه لفظ الاختفا مع تسمية النوع فيهما ومهما

• اذا اختفى المرء بالمرء لا • احبه الا مع الاكتفا •
• مبالغات الناس مذمومة • فاسلك سبيل القصد في الاختفا •

ولقد انقطع الثلج ايام الخريف وكانت الحاجة اليه شديدة بعد غيبة سيدي حفظه
الله تعالى عن دمشق فتذكرت شغف شيخي به فزاد على فقده غرامي وفاض عليه تعطشي
وهيامي فجعلت في ذلك عدة مقاطيع واحببت عرضها على سيدي وكلها

• ثلج يا ثلج يا عظيم الصفات • انت عندي من اعظم الحسنات •
• ما بياض بدا بوجهك الا • كبياض بدا بوجه الحياة •

ثانيها

• قد قلت لما ضل عني رشدي • وما رايت الثلج يوما عندي •
• لا تقطع اللهم عن ذا العبد • اعظم اسباب الثنا والحمد •

ثالثها

• ثلج يا ثلج انت ماء الحياة • ضل من قال ضد ذاك لهاتي •
• ما بياض بدا بوجهك الا • كبياض قد لاح في المسرات •
• قدر الناس وجههم في المرايا • فانا فيك شمت وجه حياتي •

وما عللت سيدي هذا التعليل الا شوقا الى نسيم دمشق الذي خلفه سيدي حفظه
الله عليلا وهو على الصحة غير عليل ولم يشف اعزه الله منه الغليل ولسيدي الدعا
بطول البقا والارتقا ومن ابيات احدثها العبد في وصف القهوة طالبا من سيدي
ان يغفر خطاه فيها وسهوه

• وقهوة كالعنبر السحيق • سوداء مثل مقلة المعشوق •
• انت كمسك فائح فتيق • شبهتها في الطعم بالرحيق •
• تدني الصديق من هوى الصديق • وتربط الود مع الرفيق •
• فلا عدمت مزجها بريق •

وما زلت الهج بما افاد به شيخي من اماليه • وانضح الدهر الذي جمعته عنه من
اسافله الى اعاليه • واستشكل على الاحباب والاصحاب في اثناء المسامرة ما افاده
سيدي من تسميته المرحوم القاضي التنوخي كتابه نشوار المحاضرة • حتى ظفرت بانه
في القاموس في مادة نشر قال انه هي عربية محضة فانه قال ونشوار الدابة نشوا
اي بقيته من علفها • ولقد تعجبت من بلاغة هذه التسمية وعذوبتها وحسن
المجاز فيها مع سلاستها وسهولتها • واحببت عرضها على شيخي حفظه الله تعالى
ليفرح في بين تلامذته • كما فرح طبعي به حفظه الله بين اساتذته • وليعلم اني
لم انس ما افاد به في خلال المجاورة • ايام المؤانسة والمحاورة • والله المميز

فى ضميرى وكليمى ما بين عظمى وادمى •
• بربرونى عن سالم وادبرتم • وجلدة بين العين والانف سالم •
• الطرس طما وما مضت نفثتنا • لاذنب لنا حديثنا لذو فطال •

وحرر يوم السبت المبارك عشر جمادى الاخرة من شهور سنة ١٠٣٥ احسن الله ختامها بمحمد وآل محمد الطيبين الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير والحمد لله وحده • عبده الحقير الفقير المشتاق • المذنب المقصر لسيده عن اللحاق • الذى لم يبرح على العهد المبين احمد بن شاهين الشامى انتهى • ولو تتبعت ما لديه حفظه الله من النظم والنثر • اللذين غلب فيهما بلغاء العصر بالشام ومصر وغيرهما من الاقطار لاز العقام مقتضى الاوطار لاستوعبت الاسفار • وفى الاشارات ما يغنى عن الكلم • وقد تقدم فى خطبة هذا التصنيف ذكر شى من نظمه ونثره وانه هو السبب الداعى الى جمع هذا التاليف والله يديم جنابه الشريف • ويبوئه من العز الوريف • فلعذا ولى من الحقوق ما لا نؤدى بعضه فضلا عن كله وما ميلك بما جلبناه من كلامه دليلا على شرفه وفضله ورسالته هذه الى كانت جوابا عن مكتوب كتبته اليه

من جملته

• يا منزلا طير صبيت علا • فى الجو فاصطاد الشريد السديد •
• يا نجل شاهين البديع الحلا • تمل بالعز الطويل المديد •
• دقد بجضل السوابق الملا • وسر بنهج للمعالى سديد •
• وردمع الاحباب عذبا حلا • منتظما من الامانى البديد •
• وارفل على طل المدى فى ملا • مسرة رائقة وعز جديد •
• والوالد المحروس بالله لا • يعدم الحلو ولا بالعديد •

ومن نثره سيدى الذى فى الاجياد من عوارفه اطواق • وفى البلاد من معارفه ما تشهد به الفطرة السليمة والاذواق • ونستند الى مجده المطنب الذى لا يحيط رواق الاشواق • وتعم بعوابده وفرايده من الاداب الاسواق • وتنقطع دون نداه السحب السواكب وتقصر عن مداه فى السمو الكواكب والله سبحانه له واق المولى الذى لغت اليه البلاغة افلاذها • واتخذت البراعة طاعته عصمته وملاذها ادبا فرادها وافذاذها • وامطرت سما افكاره على كل محب اذكاره • طاير فى جواز مستقر فى اوكاره صيبها ورذاذها • وفاخرت دمشق بجلاه وحلاه اقطار البسيط وبغدادها **ومنه** ابقاه الله وحقيقته وعوده بمنهما النجاز • وحقيقة سعوده لا يطرقها المجاز **ومنه** فانت الذى نفست عنى مختنقا واصفيت مشربى وكان مرنقا وكاثرت بما به اثرت وما اشتاثرت رملا لنقى • فلو راك المامون ابن الرشيد لعلم انك المتمنى بيتى الغنا الذى غنى به والنشيد •

والمشتاق

• وانى لمشتاق الى قرب صاحب • يروق ويصفو ان كدرت عليه •
• عذيرى من الانسان لا ان جفوته • صفا لى ولا ان كنت طوع يديه •

ولم يفق اعطينى هذا الصديق وخدمنى الخلافة • وانا اقول قد ظفرنا به بحمد الله ولتراحد فى دمره وافق العرض فلم ترخلافه **ومنه** فهنئ بالابن شاهين ابا ديد البيض • تفرخ الشكر وتبيض • فلا دليل على ولاى كاملا بى • ولا شاهد لما فى اختنى كتناى • ولا حجة على ودادى بتكرارى ذكرك وترداده • ولنقتصر من مكاتبات اعيان العصر من اهل دمشق المحروسة على هذا المقدار • ونسال الله ان يحفظهم جميعا فى الايراد والاصدار • وفى تاريخ ورود هذه المكاتبات الشامية السابقة على اتفق ورود كتب من المغرب وجمعها جماعة من اعيانها الى كتاب كتبته الى الاستاذ المجود الاديب الفقيه منه معلم الملوك سيدى الشيخ محمد بن يوسف المراكشى التاملى نصته • الحمد لله تعالى والصلاة والسلام على مولانا محمد نبوا الى من المحب المخلص المشتاق الى السيد الذى وقع على محبته الاتفاق وطلعت شموس معارفه فى غاية الاشراق وصار له فى ميدان الكمال حسن الاستباق الصدر الكامل والعالم العامل الفقيه الذى يهتدى الفقها بعلمه وعلمه • البليغ الذى يقتدى البلغا ببراعته وقلمه • ناشر الوية المعارف • ومسدى انواع المعارف • العلامة امام العصر بجميع ادوات الحصر سيدى احمد بن محمد المقرى قدس الله السلف كما بارك فى الخلف سلام من النسيم ارق • والطف من الزهر اذا عبق • وبعد فان اخبار كم دايما ترد علينا • وتصل الينا بما يسر الخاطر ويقر الناظر • مع كل وارد وصادر • والعبد يحمد الله على ذلك • ويدعو الله بالاجتماع معكم هنالك • ويرحم الله عبدا قال امينا كتبته اليكم ايها السيد من الحضرة المراكشية مع كثرة اشواق لا نسخها اوراق كتبكم الله بيمن عنده كما جعلكم ممن اخلص فى موالاة الحق فضله • وودى اليكم غصن الحقائق مستجلى فى مطلع الوفا بمنظر رايق • لا يحله عن مركز الثبوت عايق • وحقيق بمودة ارتبطت فى الحق وللحق معاقدها • واسست على المحبة فى الله قواعدها • ان يزيد على مر الايام شدة • وعقدها وان شط المزار جدة • وان تدخر للاخرى عدة • وانى ونعلم الله لمن يعتقد محبتكم وموالاتكم عملا صالحا يقرب الى الله ويزلف لديه • ويعتمدها وزرا يعول فى الاخرة يوم لا ظل الا ظله عليه • فانكم والبيتم فاخلصتم فى الولاء وعرفتم الله فقمتم بحقوق الصحبة على الولاء معرضين فى ذلكم الاخرة عن عرض الدنيا وعرضها موفين بشروط فعلها ومفترضها الى ان قضى الله بافتراقنا • وحقوقكم الموكدة دين علينا • والايام تمطل بقضايا تباعدنا • وتوجه الملام الينا • فاونة اتفق فرع السن على التقصير ندما • واونة استنيم الى فضلكم فاتقدم قدما • وفى اثناء هذا لا يخطر بالبال لحوقكم سابق • الا وقد كرعليه منكم اخر لاحق • حتى وقفت موقف العجز

وضاقت علي العبارة عن حقيقة مقامكم في النفس فكدت لا اتكلم الا ما لزمني اجلالا لجنابكم
الرفيع واشفاقا من التقصير المطيع. وقد كنت كتبت اعزكم الله اليكم قبل هذا
بكتب اربعة او خمسة فيها عجالة قصايد كالعصايد. لا كالفريد من الكلام ككلامكم
السلسل الكثير الفوايد. فعذرا من كان اخرس من سمكه. واشد تخبطا من طاير
في شبكه. ثم ما عرفت اوصل شي من ذلك. ام حصل في ايدي المعاطب والمهالك. وما
رايت غير رجل من صعاليك الحجاج التقيت به يوما بالحضرة المراكشية فقال
لي الشيخ المقري يسال عنك وقد ارسل معي كتابا اليك فوقع في البحر مع جملة ما وقع
فقلت له لا غرابة في ذلك فقد رجع. الى اصله ومن ظلمة البحار تستخرج الدرر. وقد
جاني كتاب من بعض الاخلا الصديقين وهو الحاج الصالح السيد ابو بكر من مكة
شرفها الله وذكر لي فيه ايضا انه متعه الله بلقائكم واخبر لي بسوالكم عني كثيرا
والى الآن بانعم السيد ثم اعرفته بما كتبته لسيادتكم تعريف تذكر لا تعريف منه.
فانصفونا في الحكم عليكم في عدم الجواب بما اقتضته الادب شرعه وسنه وبالجملة
ففوادي لمجدكم صحيح لا سقيم. واعتقادي بودكم منتج غير عقيم. والله تعالى يجعل الحب
في ذاته الكريمة. ويقضي عنا الاحبة دين المحبة فهو في كل عزم عزيمة. ويصلكم ان شا الله
هذا المرقوم وبه سوال منظوم لتتفضلوا بالجواب عنه بعد حمد الله والصلاة والسلام
على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى المقري الحبر صدر الايمة • من المخلص الوداد ازكى تحية •
فذلك يا صدر الصدور عجالة • لتسمح عما بالجواب اكنة •
فتى قد راي عند الغدا لي فتيه • محرمة عند الزوال تحللت •
وعادت حراما عند عصر فعندما • عشا اني عادت حلالا تجلت •
وفي صبح ثاني اليوم عادت محرما • وزالت زوال الامنة في غير ريبة •
وفي ظهره حلت وطابت قريرة • وفي عصره محرما قد تبدت • 2
وعند عشا بالضرورة حللت • وذلك بعد عزم ما للقدية •
وفي صبحه عادت حراما تزيده • بروق سوق لامعات بسنة •
وكان يضيق حسرة وتاسفا • وحللته وقت العشا وتمت •
وعن امه ايضا بموت سريها • فذا ولدها في ملكه بعد وطية •
وعادت لمملوك السري حليله • بعقد نكاح بعد من غير شبهة •
فجات ببنت هل لها من تزوج • بنجل السري يثبتوا لي قضيتي • 2
فان السبوري مانع من تزوج • له بابنة منها بتلك القضية •
وما الفرق بينهما وبين التي اتي • بها ابن ابي زيد بما وضح حجة •
وعن مشتر مملوكة غير محرم • ومسلمة شرا صحيحا بشرعة • 2

ولنا

ولبئس بملكه له وطأ ما يرى • جواز على الناكح يا خبر جلة •
وما طالو من عده خرجت ولا • تجوز على الناكح في خبر ملة •
نكاح لها من واحد ومطلق • لها غير معصوم نرى في الشريعة •
ودمتم بحمد الله مبتدرين لكم • سلاما كما بدت في صدر طلعة •

ونقرير السوال الثاني امة اولدها سيدها فصارت حرة ثم مات عنها السيد ثم تزوجها
عبد سيدها فاتت ببنت اما لولد سيدها ان يتزوج هذه البنت فان للرجل ان
يتزوج بنت زوجة ابيه من رجل غيره وهذه ربيبة ابيه فان الامام السبوري
يمنع هذه المسالة وما الفرق بينهما. وتصلكم ان شا الله تعالى عجالة رجزية
في ما ترك الشيبة ضمنتها اشطارا من الالفية. فتتفضلوا بالاغضا وحسن الدعا
ان يجمع الله شملنا بكم في تلك الاماكن الشريفة. ثم المامول من سيدنا ومولانا ان
يتفضل علينا بكتاب طبقات القرا للامام الحافظ الذهبي اذ ليس عندنا منه نسخة
واما تاليفكم الكثير الفوايد المسمى بازهار الرياض في اخبار عياض وما بينا سنيها
مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض فقد انتشر بهذه الاقطار المراكشية
وانتسخت منه نسخ عديدة من نسخة المرحوم سيدي احمد بن عبد العزيز بن الولي سيدي
ابي عمرو كملته تاليفكم المذكور حلبا بالقبول ثم ما رآه احد الا نسخه وعندي النسخة
التي كتبها بخطه السيد احمد المذكور بخط حسن وعلى هامشها في بعض الاماكن خطكم
الرايق وبعض التنبيهات من كلامكم الفايق واعلموا بنا تاليفكم الذي سميتموه قطف
المهتصر من افنان المختصر هل خرج من المبيضة ام لا وودنا لو تفضلتم منه بنسخة
وقد اشتاق فقهاء هذا الاقليم اليه غاية كالفقيه قاضي القضاة بحضرتكم سيدي عيسى
وغيره من الاخلة في كل محفل جليل الى ان قالوا انما نتمثل بكلام مولانا كرم الله وجهه
حيث يقول ___ تبركا به

ايضا م

رضيت بما قسم الله لي • وفوضت امري الى خالقي •
كما احسن الله فيما مضى • كذلك يحسن فيما بقي •

ولي حفظكم الله تخميس على البيتين وذلك انه نزلت بي شدة لا يمكن الخلاص منها
عادة ثم ما فرغت من تخميسها الا وجاء الفرج في الحين ونصه

اذا ازمة نزلت فتبلي •
وصفت وضاقت بها حيلي •
تذكرت بيت الامام علي •
رضيت بما قسم الله لي • وفوضت امري الى خالقي •
لان الله اللطيف قضى •
على خلقه حكمة المرتضى •

انظر تصحيح هذا التخميس

فسلم وقل قول من توضا

كما احسن الله فيما مضى • كذلك يحسن فيما بقي

فعذرا اعزكم الله ونفع بالحانكم عن اعتاب المراسلة بالمكاتبة عذرا وصبرا على بعد اللقا صبرا فان نقدر في هذا الدنيا رتلنا فيما نتمنى • والا فلن نعدم بفضل جزاء الحسنى ولقا لا يبيد ولا يفنى مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اوليك رفيقا • ابقانا بالوعد وتحقيقا • فمن اوجب له محبته ادخله جنته واحضره مادبته • وكمل له امنيته جعلنا الله من المتحابين في جلاله بكرمه وافضاله • وكتب محبكم ومعظمكم الواصل حبل وده بودكم المشرف لعهدكم المنوه بفخركم ومجدكم العبد الحقير الفقير • المشفق على نفسه من التقصير • والذنب الكبير • محمد بن يوسف التاملي غفر الله ذنبه وستر عيبه • وجبر قلبه وجمعه بما احبه • بالنبي صلى الله عليه وسلم في عاشورا المحرم فاتح ثمانية وثلاثين والف انتهى وصحبته هذا المكتوب ورفة فضتها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

لله در العالم الحيان • كانما ينظر بالعينات

للمقري العالم المفضال • منظرا باحسن المثال

وعالم باننى من يجله • اشير في نظامنا لفضله

وانما انا بالله استعين • مضمنا ورتبا المعين

لشطر من الفية ابن مالك • ابدنا الله لنسخ ذلك

قال محمد عبيد المالك • وسالك الاحسن من مسالك

نشير بالتضمين للنحرير • المقري الفاضل الشهير

ذاك الامام ذو العلا والهمم • كعلم الاشخاص لفظا ونوعم

ولن يزي في علمه مثيلا • مستوجبا ثنائي الجميلا

ومدحه عندي لازم انى • في النظم والنثر الصحيح اثبتا

اوصاف سيد هذا الزجر • تقرب الاقصى بلفظ موجز

فهو الذي له المعالي تعتزي • وتبسط البذل بوعد منجز

رتبته فوق العلا يا سمي منهم • كلامنا لفظ مفيد كاستقم

وكم افاد دهره من تحف • مبديا تاويلا بلا تكلف

لقدره على المقام الطاهر • كطاهر القلب الجميل الظاهر

وفضله للطالبين وجدا • على الذي في رفعه قد عهدا

قد حصل العلم وحرر السير • وما بالا او بالا الخصر

في كل فن ماهر صفه ولا • يكون الا غاية الذي تلا

سيرته جرت على نهج الهدى • ولا يلي الا اختيارا ابدا

وعلمه وفضله لا ينكر • مما بدعنه مبينا يخبر

يقول دايما بصدر انشرح • اغرف بنا فاننا نلنا المنح

يقول مرحبا للقاصدين من • يصل الينا يستعن بنا يعن

صدق مقالي وكن متبعا • ولم يكن تصريفه ممتنعا

واتهض اليه فهو بالمشاهد • الخبر الجزء المتم الفايد

والزم جنابه واياك الملل • ان يستطل وصل وان لم يستطل

واقصد جنابه ترى ما ترم • والله يقضي بهبات وافره

وانسب له فانه ابن معطي • وتقتضي رضي بغير سخط

واجعله نصبا للعين والقلب • تعدل به فهو يضاهي المثلا

قد طالما افاد علم مالك • احمد ربي الله خير مالك

وحاسد له ومبغض زمن • ومالك ومبنيه فمن

وليس ينبغي مبغض له اعل • معنا وفي مثل مر او جل

يقول عبد ربه محمد • في نحو خير القول اني احمد

ومتوبد مره عظيم الامل • مروع القلب قليل الحيل

فادع له ومسارة قد حضروا • وافعل اوافق تغتبط اذ تشكر

واجبره بالدعا عساه يغتنم • تجبره وفتح عينيه التزم

انشدت فيكم ذا وقال قايل • في نحو نعم ما يقول الفاضل

ادعو لكم بالستر في كل زمن • لكونه بمضمر الرفع اقترن

مآثركم كثيرة سوى • ما مر فاقبل منه ما عدك روى

فذا انتهى تعريف ذا المعروف • وذو تمام ما برفع يكتفي

لانتم تاج الايمة الاول • وما بجمعه عنيت قد كمل

فالله يبقيكم لدينا وكفى • مصليا على الرسول المصطفى

ثم اعليه دايما منعطفا • واله المستكملين الشرفا

انتهى ومن ذلك ما كتبه لي بعض الاصحاب ممن كان يقرا علي بالمغرب وصورته

سيدنا وسيد اهل الاسلام • حامل راية علوم الامة الاحمدية على صاحبها افضل الصلاة والسلام • ابقاه الله في المعاني والمعالي • وحسنة الايام والليالي • وواسطة عقود الجواهر واللالي • امام مذهب مالك والاشعري والبخاري والوافري والخليل العلامة القدوة • السيد الكبير الشهير الجليل ذو الاخلاق العذبة المذاق والشمايل المفصحة عن طيب الاصول والاعراق • كبير زمانه دون منازع • وعالم اوانه من غير منكر ولا مدافع • شيخنا ومعلمنا ومفيدنا • وحبيب قلوبنا مولانا الشيخ

الشيوخ أبو العباس أحمد بن محمد المقري المغربي التلمساني نزيل فاس ثم الديار المصرية
حفظه الله في مواطن استقراره، ورفع درجته بإشادة فخاره على مناره، عن شوق يود
له الكاتب أن لو كان في طي كتابه، وتوق إلى مشاهدتكم هو الغاية في بابه، بعد إهداء
السلام المحفوف بأنواع التحيات والكرامات والبركات، الدائم ما دامت في
في الوجود السكنات والحركات، لمقامكم الأكبر ومحفلكم الأشهر، ومن تعلق بأذيالكم
أو كان مستمطرا لنوالكم، وصبت عليه شآبيب فضالكم من أهل ومحب وصاحب وخديم
مدا، وإنه ينهي إليكم وداد القديم، أن أهل المغرب الأدنى والأقصى حاضرة وباديه كلهم
يتعلمون بل يتنفسون بذكراكم ومشتاقون لرؤية وجوهكم ويتلذذون بطيب
أخباركم، وإن كان المغرب الآن في تفاقم أحوال وتراكم أهوال، في الغاية مدا ابن ودي
سيما مدينة فاس فإنها في شر عظيم، وأميرها مولاي عبد الملك مات في السنة السابعة
والثلاثين بلقي ذي الحجة قبلها، وفي المحرم سنة ٣٨ توفي ملك المغرب السلطان
أبو المعالي زيدان، وبويع من بعد أبيه مولاي عبد الملك وتقاتل مع أخويه الأميرين
الوليد وأحمد ومن معهما، وإلى الله عاقبة الأمور، وأهل دار فاس بخير وعافية، ولم يفتهم
سوى ما أدركهم من طول الغيبة، نسأل الله أن يبلغ بقدومكم العجب ويحبكم الأكبر ولكم
الأصغر سيد أهل المغرب اليوم وشيخ الطريقة والمربي في سلوك أهل الحقيقة العارف بالله
الشيخ الرباني ذو الكرامات والمقامات سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي يحبكم ويعظم
قدركم ولسانه لكم ذاكر وشاكر، ومثنو على خير، وقد اجتمعت على من بركتكم في مدينة
سلا جماعة من طلاب العلم، وفتح الله علينا بتقييدات منها كفاية الطالب النبيل
في حل ألفاظ مختصر خليل، ومنها شرح على المنهج المنتخب للزقاق في قواعد مالك ومنظومه
في أكثر من ألف بيت في التيسير والتسهيل، ومنها في رجال البخاري ولا كنسخ الكلاباذي
ومنها خطب وغير ذلك، والكل من بركتكم، وسنبعث إليكم في صحيفتكم، والسلام من ولدكم
المغربي بفضلكم تراب نعالكم علي بن عبد الواحد الأنصاري عن علو لطف الله به، وحامله
كبير كبرا قومه يمن يحبكم ويعرفكم، وما تفعلوا معه من خير فلن تكفروه، والسلام انتهى
ومنها كتاب وافاني من عالم قسنطينة وصالحها وكبيرها ومفتيها سلالة العلماء
الأكابر ووارث المجد كابرا عن كابر المؤلف ومفتيها سلالة العلماء سيدي الشيخ
عبد الكريم الفكون حفظه الله، ونصه: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
منزل عليه وإنك لعلى خلق عظيم، وآله وصحبه وسلم أفضل التسليم، من مدلس الأوزار
المتسربل بسرابيل الخطايا والأوزار، الراجي للتفضل منه رحمة العزيز الغفار
عبد الله سبحانه عبد الكريم بن محمد الفكون أصلح الله بالتقوى حاله، وبلغه من
منا بعد السنة المصطفية آماله، إلى الشيخ الشهير الصدر النحرير ذي الفهم الثاقب
والحفظ الغزير الأحب في الله المواخي من أجله سيدي أبي العباس أحمد المقري أحمد الله

عافيتي

عافيتي وعافيته، وأسبل على الجميع عافيته، أما بعد فإني أحمد الله الذي
وأصلي على نبيه سيدنا محمد، ولا زائد إلا صالح الدعاء وطلبته منكم، فإني أحوج الناس
إليه وأشد منهم في طلب الحاجة إليه، لما تحققته من أحوال النفس الأمارة، واستبطنته
من دخلاتها على حب الدنيا الغرارة، كأنها عميت عن الأهوال التي أشابت رؤوس
الأطفال، وقطعت أعناق فحول الرجال، فنزلها في لجج من الأهوال خابطة، وفي ميدان
شهواتها راكضة، طغت في غيها وملاذها، واحتجبت بما أنفذت ولا استغاثت
تولي عمر وتلي من يوم تبرز فيه القبائح، وتنشر الفضائح، ومنادي العدل
قائم بين العالمين، وإن كان مشفقا لحين من حذر ما أبتلينا بها وكفى بنا حاسبين
فالله أسأل الحسنى إلا لطاف، والستر عما ارتكبناه من التعدي والإسراف، وأن
يجعلنا من أهل الحمى العظيم، وممن يحشر تحت لواء خلاصته الكريم سيدنا ومولانا
وشفيعنا النبي الرؤوف الرحيم، ولتكف من القلم عنانا، لما أرجوه من أجل ثواب
الله سبحانه، وقد اتصل بيدي جوابكم أطال الله في العلم بقاكم، فرأيت من عذوبة ألفاظكم
وبلاغة خطابكم ما يذهل من العلم فحولها، ويقيلها الذي الحبو لسماعه سوقها ومامو
بيد ما فيه من أوصاف من أنا قاصر وعن الطاعة والأجرها دفاتر، وأصدق قول
فيه عند مخبره ومرآه، أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، لكن مجازكم المولي بحسن
النية البلوغ في بحبوحة الجنان غاية الأمنية، وقد ذيلتم ذلك بأبيات أنا أقل
من أن أوصف بمثلها، على أني غير قائم بفرضها ونفلها، فالله تعالى يمدكم بمعونته، و
يجعلكم من أهل مناجاته في حضرته، ويسقينا من كاسات القرب ما نتمتع منه بلذيذ
منادمته، وقد ساعد البنان الجنان في إجابتكم بوزنها وقافيتها، والعذر لي أني
لست من أهل هذا الشان، والاعتراف بأني حيان وأي جبان، والأمل لكم في الرضى
والقبول، والكريم يغضي عن عورات الأحمق والجهول، وظننا حفظه الله أن يحمل على
منظومتكم الكلامية يعني إضاءة الدجنة تقييدا، أرجو من الله توفيقا وتسديدا
بحسب قدري لا على قدركم، وعلى مثل فكري القاصر لا على عظيم فكركم، وإن ساعد الأوان
وقضى بتيسيره رب الزمان، فإني به إن شاء الله الأجل مجي لاتي بالأشواق الى حضرة راكب
البراق ومخترق السبع الطباق، وكنت عازما على أن أبعث لكم من الأبيات البيت
بنيت عاجلا الآن أذكر، وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل

يا نخبة الدهر في الدراية • علما تعاضده الرواية
لا زلت بحرا بكل فن • يروي به الطالبون غاية
لقد تصدرت في المعالي • كما تغاليت في العناية
من فيك تنتظم المعاني • بلغت في حسنها النهاية
رقاك مولاك كل مرقى • تحوي به القرب والولاية

أعجوبة ما لها نظير • في الحفظ والفهم والهداية •
يا أحمد المقري دامت • بشراك نضجها الرعاية •
بجاه خير العباد طرا • والآل والصحب والنقاية •
صلى عليه الإله تترا • مكفي بها الشر والغواية •

واختم كتابي بالصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب بغاية يوم السبت سابع أو ثامن رجب من عام ١٠٣٨ للهجرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام انتهى والمذكور عالم المغرب الأوسط غير مدافع وله سلف علماء ذوو شهرة ولهم في الأدب الباع المديد غير أن المذكور ما بين للتصوف ونعم ما فعل تقبل الله عمله وعمله وبلغ كلا منا أمله **ولا شهر** أسلافه العلامة الشيخ حسن بن علي بن عمر الفكون القسنطيني أحد أشياخ العبدري صاحب الرحلة **قصيدة** مشهورة عند العلماء بالمغرب وهي من درر النظام والكلام وقد ضمنها ذكر البلاد التي اجتاز بها في ارتحاله من قسنطينة إلى مراكش

أولها

• ألا قل للسري ابن السري • أبي البدر الجواد الأريحي •

ومنها

• وكنت أظن أن الناس طرا • سوى زيد وعمرو غير شي •
• فلما جئت بيلة خير دار • أمالتني بكل رشا أبي •
• وكم أورت ظباء بني ورار • أوار الشوق بالرنو الشهي •
• وجئت بجاية فجلت بدورا • يضيق بوصفها حرف الروي •
• وفي أرض الجزائر هام قلبي • بمعسول المراشف كوثري •
• وفي مليانة قد ذبت شوقا • بلين العطف والقلب القسي •
• وفي تنس نسيت جميل صبري • ومممت بكل ذي وجه وضي •
• وفي مازونة ما زلت صبا • بوسنان المحاجر لوذعي •
• وفي وهران قد أمسيت رهنا • بطامي الخصر ذي ردف روي •
• وأبدت لي تلمسان بدورا • حلين الشوق للقلب الخلي •
• ولما جئت وجدة ممت وجدا • بمنحني المعاطف مغنوي •
• وحل رشا الرباط رباط صبري • وتيمني بطرف بابلي •
• وأطلع قطر فاس لي شموسا • مغاربهن في قلب الشجي •
• وما مكناس الأكياس • لأحوى الطرف ذي حسن سني •
• وإن أنسى العزائر سلا فيها • ظباء كاسرات للكمي •
• وفي مراكش يا ويح قلبي • أتى الوادي فطم على القري •
• بدور بل شموس بل صباح • بهي في بهي في بهي •

• أبحر مصارع العشاق لما • سعين به فكم ميت وحي •
• بفا منه كل أسمر • ومقلة كل أبيض مشرفي •
• إذا انسبتني حسنا فإني • أنسيهم هوى غيلان مي •
• فها أنا قد نخذت الغرب دارا • وأدعى اليوم بالمراكشي •
• على أني شنيا في خز زيد • كشوقك نحو عمرو بالسوي •
• نقسمني الهوى شرقا وغربا • فيا للمشرقي المغربي •
• لي قلب بأرض الشرق عان • وجسم حل بالغرب القصي •
• فهذا بالغدو يهيم غربا • وذاك يهيم شرقا بالعشي •
• ولولا الله مت هوى وشوقا • وكم لله من لطف خفي •

وقد خرجنا بالاستطراد إلى الطول وذلك منا أسرسال مع جاذب الأدب فلنمسك العنان والله المستعان • وما عددناه من القصائد والمقطعات في دمشق الشام فهو فهو غيض من فيض • وفي نيتي أن أجمع في ذلك كتابا حافلا أسميه نشق عرف دمشق • أو شوق قلم المدح لدمشق • ولسان حالي الآن ينشد قول بعض الأكابر • نحن في مصر من شوق إليكم • مثل ذكركم بالشام شوقا إلينا •
• فعجزنا عن أن نزورنا لديكم • وأبيتم عن أن نزاكم لدينا •
• حفظ الله عهد من حفظ العهد • ووفى به كما قد وفينا •

وقول ابن الصايغ

• وددت لو أن عيني • مكان كتبي إليكم •
• حتى أراكم وأملي • أخبار شوقي عليكم •

رجع إلى ابن جبير رحمه الله ومن شعره قوله

• إياك والشهرة في ملبس • والبس من الأثواب أسمالها •
• تواضع الإنسان في نفسه • أشرف للنفس وأسمى لها •

وقال

• تنزه عن العوراء مهما سمعتها • صيانة نفس فهو بالحر أشبه •
• إذا أنت جاوبت السفيه مشاتما • فهو بتلقي الشتم بالشتم أسفه •

وقال

• أقول وقد حان الوداع وأسلمت • قلوب إلى حكم الأسى ومدامع •
• أيا رب ما لي في يديك وديعة • وما عندنا من صوننا لديك الودائع •

وقال أبو عبد الله بن الحجاج المعروف بيد عليس صاحب الموشحات يمدح ابن جبير المذكور رحمه الله تعالى

• لأبي الحسين مكارم لولاهما • عدمت لما فرغت ليوم الحشر •

ولد على نصابل قد فطرت • عن بعض نعمائه ما عظام الاجر •

وقال ابن جبير من قصيدة مطلعها

يا وفود الله فزتم بالمنى • فهنيئا لكم اهل منا •
قد عرفنا عرفات بعدكم • فلهذا برح الشوق بنا •
نحن في الغرب ويجري ذكركم •

ومنها

فبنا دبه على شحط النوى • من لنا يوما فقلتم مثلنا •
سر بنا يا حادي الركب عسى • ان نلاقي يوم جمع سربنا •
ما دعى داعي النوى لما دعا • غير صب مرح العنا •
شم لنا البراق اذ لاح وقل • جمع الله بجمع شملنا •
علنا نلقى خيالا منكم • بلذيذ الذكر ومنا علنا •
لو حنى الدهر علينا لقضى • باجتماع بكم بالمنحنى •
لاح برق موهنا من نحوكم • فلعمري ما هنا العيش هنا •
انتم الاحباب نشكو بعدكم • هل شكوتم بعدنا من بعدنا •

وله رحمه الله قصيدة مطولة اولها

لعل بشير الرضى والقبول • يعلل بالوصل قلب الخليل •

وله اخرى انشد منا عندما ستعنا لمدينة المشرفة على صاحبها الصلاة والسلام وهي ثلاثة وثلاثون بيتا من الغرر اولها

اقول وآنست بالليل نارا • لعل سراج الهدى قد انارا •
والا فما بال افق الدجى • كان سنا البرق فيه استطارا •
ونحن من الليل في حندس • فما باله قد تجلى نهارا •

وكان ابو الحسن بن جبير المترجم به قد نال بالادب دنيا عريضة ثم رفضها وزهد فيها وقال صاحب الملتمس في حقه الفقيه الكاتب ابو الحسن بن جبير ممن لقيته وجالسته كثيرا ورويت عنه واصله من شاطبة وكان ابوه جعفر من كتابها ورؤسائها ذكره ابو الربيع في تاريخه وانشأ ابو الحسين على طريقة ابيه وتولع بغرناطة فسكن بها قال ومما انشد نيه لنفسه قوله **يخاطب ابا عمران الزاهد باشبيلية**

ابا عمران قد خلفت قلبي • لديك وانت امثل للوديعة •
صحبت بك الزمان اخا وفاء • فها هو قد تنمر للقطيعة •

قال وكان من اهل المروات عاشقا في قضاء الحوائج والسعي في حقوق الاخوان والمبادرة لايناس الغرباء

وفي ذلك يقول

يحسب الناس باني متعب • في الشفاعات وتكليف الورى •

والذي

والذي يحسبهم من ذاك لي • راحة في غيرها لن افكرا •
ويودي لو افضى لعمري • خدمة الطلاب حتى في الكرا •

قال ومن ابدع ما انشده رحمه الله اول رحلته

طاب شوقي الى بقاع ثلاث • لا تشد الرحال الا اليها •
ان للنفس في سما الاماني • طائرا لا يحوم الا عليها •
قص منه الجناح فهو مهيض • كل يوم يرجو الوقوع لديها •

وقال

اذا بلغ العبد ارض الحجاز • فقد نال افضل ما امله •
فان زار قبر نبي الهدى • فقد اكمل الله ما امله •

وعاد رحمه الله الى الاندلس بعد رحلته الاولى التي حل فيها دمشق والموصل وبغداد وركب الى المغرب مع الفرنج فعطب في خليج صقلية الضيق وقاسى شدائد الى ان وصل الاندلس لعامه ثم اعاد المسير الى المشرق بعد مدة الى ان مات بالاسكندرية كما تقدم

ومن شعره ايضا

لي صديق حسرت فيه ودادي • حين صارت سلامتي منه رجا •
حسن القول سيء الفعل كالجز • ار سمى وانبع القول ذبحا •

وحدث رحمه الله بكتاب الشفا عن ابي عبد الله محمد بن عيسى التميمي عن القاضي عياض ولما قدم مصر سمع منه الحافظان ابو محمد المنذري وابو الحسين يحيى بن علي القرشي وتوفي ابن جبير بالاسكندرية يوم الاربعاء السابع والعشرين من شعبان ٦١٤ سنة والدعا عند قبره مستجاب قاله ابن الرفيق رحمه الله وقال ابن الرفيق في السنة بعدها وقال ابو الربيع بن سالم انشدني ابو محمد عبد الله بن التميمي البجائي ويعرف بابن الخطيب لابي الحسين بن جبير وقال لي هو مما كتب به الي من الديار المصرية في رحلته الاخيرة لما بلغه ولاية ابني قضاء سبتة وكان ابو الحسين سكنها قبل ذلك وتوفيت هنالك زوجته بنت ابي جعفر الوقشي فدفنها بها

بسبتة لي سكن في الثرى • وخل كريم اليها اتى •
فلو استطيع ركبت الهوى • فزرت بها الحي والميتا •

وانشد ابن جبير رحمه الله لنفسه عند صدوره عن الرحلة الاولى الى غرناطة وفي طريقها

قوله

لي نحو ارض المنى من شرق اندلس • شوق يؤلف بين الماء والقبس •
الي اخرها

ومن شعره قوله

يا خير مولى دعاه عبد • اعمل في الباطل اجتهاده •
هب لي ما قد علمت مني • يا عالم الغيب والشهادة •

وقال رحمه الله تعالى

وانى لاوثر من اصطفى • واغضي على زلة العاثر •
واتوا الزيارة متراحب • لاعتقدا لفضل للزاير •

وقال رحمه الله

عجبت للمر في دنياه تطمعه • في العيش والاجل المحتوم يقطعه •
يمسي ويصبح في عشوا يخبطها • اعمى البصيرة والامال تخدعه •
يغتر بالدهر مغرورا بصحبته • وقد تيقن ان الدهر يصرعه •
ويجمع المال حرصا لا يفارقه • وقد درى انه للغير يجمعه •
تراه يشفق من تضييع درهمه • وليس يشفق من دين يضيعه •
واسوا الناس تدبيرا لعاقبة • من انفق العمر فيما ليس ينفعه •

وقال

صبرت على غدر الزمان وحقده • وشاب لي السم الذعاف بشهده •
وجربت اخوان الزمان فلم اجد • صديقا جميل الغيب في حال بعده •
وكم صاحب عاشرته والفته • فما دام لي يوما على حسن عهده •
وكم غرني تحسين ظني به فلم • يضي لي على طول اقتداحي لزنده •
واعزب من عنقا في الدهر مغرب • اخو ثقة يسقيك صافي وده •
بنفسك صادم كل امر تريده • فليس مضاء السيف الا بحده •
وعزمك جرده عند كل مهمة • فما نافع مكث الحسام بغمده •
وشاهدت في الاسفار كل عجيبة • فلم ار من قد نال جدا بجده •
فكن ذا اقتصاد في امورك كلها • فاحسن احوال الفتى حسن قصده •
وما يحرم الانسان رزقا بعجزه • كما لا ينال الرزق يوما بكده •
حظوظ الفتى من شقوة وسعادة • جرت بقضاء لا سبيل لرده •

وقال

الناس مثل ظروف حشوها صبر • وفوقها فوامها شي من العسل •
تغر ذايقها حتى اذا كشفت • له تبين ما تحويه من دخل •

وقال

تغير اخوان هذا الزمان • وكل صديق عراه الخلل •
وكانوا قديما على صحة • فقد داخلتهم حروف العلل •
قضيت التعجب من امرهم • فصرت اطالع باب البدل •

وقد تقدم بيتان من هذه الثلاثة على وجه اخر وان ترجمة المذكور ورايت بخط ابن سعيد البيتين على وجه اخر وهو قوله

تشكلت

تشكلت اخلاء هذا الزمان •
فقضيت العجب من شانهم • فصرت اطالع باب البدل • انتهى

ولابن جبير رحمه الله

من الله فاسال كل امر تريده • فما يملك الانسان نفعا ولا ضرا •
ولا تتواضع للولاة فانهم • من الكبر في حال تموج بهم سكرا •
واياك ان ترضى بتقبيل راحة • فقد قيل عنها انها السجدة الصغرى •

وهي عكس من قول القايل

قبل لنصر وللمرد في دولة السلطان اعمى ما دام يدعى اميرا •
فاذا زالت الولاية عنه • واستوى والرجال عاد بصيرا •

وقال ابن جبير

ايها المستطيل بالبغي اقصر • طالما طاطا الزمان روسا •
وتذكر قول الاله تعالى • ان قارون كان من قوم موسى •

وقال وقد شهد العيد بطندتة من قرى مصر

شهدنا صلاة العيد في ارض غربة • باحواز مصر والاحبة قد بانوا •
فقلت لخلي في النوى جد بمدمع • فليس لنا الا المدامع قربان •

وقال ابن جبير

تداحدث الناس امورا فلا • تعمل بها اني امرؤ ناصح •
فما جماع الخير الا الذي • كان عليه السلف الصالح •

وقال

رب ان لم توتني سعة • فاطو عني فضلة العمر •
لا احب المكث في زمن • حاجتي فيه الى البشر •
فهم كسر لمنجبر • ما هم جبر لمنكسر •

ولما وصل ابن جبير رحمه الله مكة ثاني عشر ربيع الاخر ٥٧٩ انشد قصيدة التي اولها

بلغت المنى وحللت الحرم • تعاد شبابك بعد الهرم •
فاهلا بمكة اهلا بها • وشكرا لمن شكره يلتزم •

وهي طويلة وسياتي بعضها

وقال رحمه الله عند تحركه للرحلة الحجازية

اقول وقد دعا للخير داع • حننت له حنين المستهام •
حرام ان يلذ لي اغتماض • ولم ارحل الى البيت الحرام •
ولا طابت لي الايام ان لم • اطف ما بين زمزم والمقام •
ولا طابت حياة لي اذا لم • ازر في طيبة خير الانام •
واهدي السلام واقتضيه • رضى يدني الى دار السلام •

وقال

هنيئاً لمن حج بيت الهدى • وحط عن النفس اوزارها •
وان السعادة مضمونة • لمن حج طيبة او زارها •

ولنختم ترجمته بقوله

احب النبي المصطفى وابن عمه • علياً وسبطيه وفاطمة الزهرا •
هم اهل بيت اذهب الرجس عنهم • واطلعهم افق الهدى انجما زهرا •
موالاتهم فرض على كل مسلم • وحبهم اسنى الذخاير للاخرى •
وما انا للصحب الكرام بمبغض • فاني ارى البغضاء في حقهم كفرا •
هم جاهدوا في الله حق جهاده • وهم نصروا دين الهدى بالظبى نصرا •
عليهم سلام الله ما دام ذكرهم • لدى الملا الاعلى واكرم بذكرا •

وقوله في اخر الميمية

بنى شفاعته عصمة • فبومر النادي بعتصم •
عسى ان نجاب لنا دعوة • لدنيه فنكفى بها ما اهم •
ونرعى لزوار مبغ غد • ذماماً فما زال يرعى الذمم •
عليه السلام وطوبى لمن • الم بتربته فاستلم •
اخي كم تتابع اهواءنا • وتخبط عشواء في الظلم •
رويدك حرب فتح وانتبه • لنهج الطريق الاعم •
وتب قبل عض بنان الاسى • ومن قبل قرعك سن الندم •

ومنها

وقل رب مبرحم في غد • لعبد بسيء العصاة التثم •
جرى في ميادين عصيانه • مسيئاً وان يكفر النعم •
فيا رب صفحك عما جنى • ويا رب عفوك عما اجترم •

ومن الواصلين الى المشرق من الاندلس الاديب ابو عامر بن عيشون قال
الفتح رحل حل المشيدات والبلاقع • وحكى العشر بن الطاير والواقع • واستدر
خلفي البوس والنعيم • وتعد فقعد البابيس والزعيم • فاونة في سماط • واخرى بين زرابي
والماط • ويوماً في ناووس • واخرى في مجلس مانوس • رحل الى المشرق • فلم يحمد رحلته ولم
يعلق بامل نحلته • فارتد على عقبه • ورد من حبالة الفوت الى منتظره • ومن نفقته وغ
منذ فلة تخفق بالادب • وتدفق طبع اذا مدح او نسب • وقد اثبت له ما تعلم حقيقة
نفاده • وترى سرعة وجده في طرايق الاحسان واعداده • ثم قال واخبرني انه
دخل مصر وهو سادر في ظلم البوس عار من كل لبوس • قد خلا من النقد كيسه • وتخلى عنه الا
تعديره وتنكيسه • فنزل باحد شواذ عهالا بقنبر ش الابكره • ولا يتوشد الاعضده •

وبات

وبات بليلة ابن عبدل • تهب عليه صرصراً لا ينفح منها عنبراً ولا مندل • فلما كان
من السحر دخل علينا ابن الطوفان • فاشفق لحاله • وفرط محاله • واعلمه ان الافضل
ابن امير الجيوش استدعاه • ولو ارتاد حوده • بقطعة يعينها له لاخصب مرعاه فصنع

له في حينه

قل للملوك وان كانت لهم همم • تاوي اليها الاماني غير متئد •
اذا وصلت بشاه منشاه لي سبباً • فلن ابالي بمن منهم نفضت يدي •
من اوحد الشمس لم يعدل بها قمراً • بعثوا الى ضوء لو كان ذا رمد •

فلما كان من الغد وافاه • فدفع اليه خمسين مثقالاً مصرية • وكسوة واعلمه انه اغنا
رجود الاظهار للقبطر ومغناه • وكرر حتى اثبته في سمعه وقرره • نسا له عرقا
باعلمه نقلته وكلمه في دفع خلته فامر له بذلك ولله ايضاً رحمه الله

فصدق على انا الزيارة سنة • يوكد ما فرض من الود واجب •
فالقيت باباً سهل الله اذنه • ولكن علينه من عبوس لحاجب •
مرضت ومرضنا الكلام تثاقلا • الى ان تخلت انك غاضب •
فلا تتكلف للعبوس مشقة • سارضيك بالهجران اذ انت غاضب •
فما الارض تدميرو لا انت اهلها • ولا الرزق ان اعرضت عني جانب •

وله يستعتبني

كتبت ولو وفيت برك حقه • لما اقتصرت كفي على رقم قرطاس •
ونابت عن الخط الخطا ونبادرت • فطوراً على عيني وطوراً على راسي •
سل الكاس عني مذ ادبرت فلم اضع • مد بجك الحانا يسوغ بها كاسي •
وسل ناقح الاس الذي امى فلم اذع • تناسى ادعي من منا نفحة الاسي •

ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق ابو مروان الطبني وهو عبد الملك
ابن زياده الله قال في الذخيرة كان ابو مروان هذا احد حماة شرح الكلام • وحملة
الوية الاقلام • من اهل بيت اشتهروا بالشعر اشتهار المنازل بالبدر كراماً طرأوا
على قرطبة قبل افتراق الجماعة • وانتشا رسمل الطاعة • وانا خوا في ظلها • ولحقوا
بسروات اهلها • وابو مضر ابوه زيادة الله بن علي التميمي الطبني هو اول من بني بيت
شرفهم • ورفع في الاندلس صوته منتبهاً منه سلفهم قال ابن حيان وكان ابو
مضر نديم محمد بن ابي عامر امتع الناس حديثاً ومشاهدة • وانصفهم ظرفاً واحذقهم
بابواب التحذر والملاطفة • واحدهم بقلوب الملوك والجلة • وانظمهم لشمل فان
ونجعة انتهى المقصود منه ثم قال في الذخيرة فاما ابنه ابو مروان هذا فكان
من اهل الحديث والرواية • ورحل الى المشرق وسمع من جماعة من المحدثين بمصر والحجاز
وقتل بقرطبة سنة سبع وخمسين واربعماية انتهى وقد ذكر قصة قتله المشبعة

وانهم باغنيا الدابنه ومن نظم ابي مروان الطبني المذكور بما وجدت صاحب الذخيرة
في بعض التعاليق بخط بعض ادباء قرطبة قال اجتمعنا ابو عامر احمد بن محمد بن ابي
عامر على الحذلمي في مجلسه وضربه ضربا موجعا وافرد بذلك اعين مطالبيه قال

ابو مروان الطبني فيه

شكرت للعامري ما صنعا • ولم اقل للحذلمي لعا •
لبيت عرس غدا يغرته • مفترشا في وجاره ضبعا •
لا برحت كفه ممكنة • من الاما في فتح ما صنعا •
وددت لو كنت شاهدا لهما • حتى ترى العين ذل ما خضعا •
ان طال منه سجوده فلقد • طال لغير السجود ما ركعا •

قال ابن بسام وابن رشيق القايل قبله

كم ركعة ركع الضبعان تحت يدي • ولم يقل سمع الله لمن حمده •

ثم قال ابن بسام في الذخيرة ما نصه والعرب تقول فلان يركع لغير صلاة اذا كنوا
عن غير الخلوة ومن مليح الكناية لبعض المتقدمين يخاطب امراته فقال

قلت للنشيح حيث اصلح ما شم • تترفضي ان شبت او فتشيحي •
قالت اصلح ما شم وتنفست • بابي وامي كل شي اصلح •

وهما ضنت كتابي هذا من شيين وكبرته ان يكون مبدانا للسفها اجريت ههنا طلقا
من ملح التعريض في اجازة الغرض مما لا ادب على قايليه ولا وصمة عظمى على من قيل فيه
والهجا ينقسم قسمين فقسم يسمونه هجو الاشراف وهو ما لم يبلغ ان يكون سبا
مقذعا ولا هجوا مستبشعا وهو طاطا قديما من الاوايل ولم يعرض للقبايل
انما هو توبيخ وتعيير وتقديم وتاخير كقول النجاشي في بني العجلان وشهرة
شعره منعتني عن ذكره واستعدوا عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وانشدوه قول
النجاشي فيهم فدرا الحد بالشبهات وفعل ذلك بالزبرقان حين شكى بالحطيئة وساله
ان ينشده ما قال فيه فانشده قوله

دع المكارم لا ترحل لبغيتها • واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

فسال عن ذلك كعب بن زهير فقال والله ما ارى بما قال الاحمر النعم وقال حسان لم
يهجه ولكن سلح عليه بعد ان اكل الشبرم فهم عمر رضي الله عنه بعقابه ثم استعطفه
بشعره المشهور وقال عبد الملك بن مروان يوما احسابكم يا بني امية فما اود ان يكون
لي ما طلعت عليه الشمس وان الاعشى قال في

وهما تبيتون في المشتى ملا بطونكم • وجاراتكم غرثى يبتن خمايصا •

سمع علقمة بن علاثة هذا البيت بكى وقال اخزي الله هذا ان جاراتنا وعا
عليه فما ظنك بشي يبكي علقمة بن علاثة وقد كان عندهم لو ضرب بالسيف ما قال

حسن وقد كان الراعي يقول هجوت جماعة من الشعرا وما قلت فيهم ما تستحي العذرا
ان تنشده في خدرها ولما قال جرير

فغض الطرف انك من نمير • فلا كعبا بلغت ولا كلابا •

اطفا مصباحه ونام وقد كان بات ليلته يتململ لانه راى انه قد بلغ حاجته
وشفى غيظه قال الراعي فرحنا من البصرة فما وردنا ما من مياه العرب الا
وسمعنا البيت قد سبقنا اليه حتى اتينا حاضر بني نمير فخرج الينا النسا والصبيان
يقولون قبحكم الله وقبح ما جيتمونا به والقسم الثاني هو السباب الذي احدثه
جرير ابنا وطبقته وكان يقول اذا هجوتم فاضحكوا وهذا النوع منه لم يهدم قط
بيتا ولا عيرت به قبيلة وهو الذي صنا هذا المجموع عنه واعفيناه ان يكون فيه
شي منه فان ابا منصور الثعالبي كتب منه في يتيمته ما شانها اسمه وبقي عليه اثمه
ومن مليح التعريض لا مثل نفثنا قول بعضهم في غلام كان يصحب رجلا يسمى
بالبعوضة اقول لشاتمكم قولته • ولكنها رمزة غامضة •

لزوم البعوض له دايما • يدل على انها حامضه •

فانشدت في مثله لبعض اهل الوقت

يبيت يبيك بترلا ابوح به • الكل يعلمه والله غافره •

وحكى ابو عامر بن شهيد عن نفسه قال عاتبت بعض الاخوان عتابا اشد بيا عن المروج
فيه قلبي وكان اخر الشعر الذي خاطبته به هذا البيت

واني على ما هاج صدري وغاظني • ليا منني من عندي له سر •

فقال هذا البيت اشد علي من عصر الحديد ولم يزل يتعلق به حتى بكى الي منه بالدموع
وهذا الباب ممتد الاطناب ويكفي ما مر ويمر منه في اضعاف هذا الكتاب انتهى
كلام ابن بسام في الذخيرة بلفظه ولا خفا انه عارض بالذخيرة يتيمة الثعالبي
ولذا قال في خطبة الذخيرة اما بعد حمد الله ولي الحمد واهله • والصلاة على
سيدنا محمد خاتم رسله • فان ثمرة هذا الادب العالي الرتبة • رسالة تنثر وترسل
وابيات تنظم وتفصل • تنثال تلك انثيال القطار • على صفحات الازهار • وتتصل
هذه اتصال القلايد • على نحور الخرايد • وما زال في افقنا هذا الاندلسي القصي الى
وقتنا هذا من فرسان الفنين • وايمة النوعين • قوم هم ما هم طيب مكاسر
وصفا جواهر • وعذوبة موارد ومصادر • لعبوا باطراف الكلام المشقق • لعب الدجى
بجفون المؤرق • وحدوا بفنون السحر المنمق • حدا الاعشى ببنات المحلق • فصبوا على
قوالب النجوم • غرايب المنثور والمنظوم • وباهوا غرر الضحى والاصايل بعجايب
الاشعار والرسايل • نثر لو راه البديع لنسي اسمه • او اجتلاه ابن هلال لولاه حكمه
ونظم لو سمعه كثير ما نسب ولا مدح • او تتبعه جرول ما عوى ولا نبح الا ان اهل هذا

الافق ابوا الا منافسة اهل المشرق يرجعون الى اخبارهم المعادة رجوع الحديث
الى قتادة حتى لو نعق على هذا صنما وتلوا ذلك كتابا محكما واخبارهم الباهرة
واشعارهم السائرة مرمى القصية ومناخ الرذية لا يعمر بها جنان ولا خلد ولا
يصرف فيها لسان ولا يد فغاظني منهم ذلك وانفت مما هنالك واخذت نفسي
بجمع ما وجدت من حسنات دهري وتتبع محاسن اهل بلدي وعصري غيرة لهذا
الافق الغريب ان تعود بدوره اهلة وتصبح بحوره ثمادا مضمحلة مع كثرة اديبه
ووفور علمائه وقديما ضيعوا العلم واهله ويا رب محسن مات احسانه قبله
وليت شعري من قصر العلم على بعض الزمان وخص اهل المشرق بالاحسان وقد
كتبت لارباب هذا الشان من اهل الوقت والزمان محاسن تبهر الالباب و
تسحر الشعراء والكتاب ولم اعرض لشي من اشعار الدولة المروانية ولا المدائح
العامرية اذ كان ابن فرج الجياني قد راى رايي في النصفة وذهب مذهبي من الانفة
فاملى في محاسن اهل زمانه كتاب الحدائق معارضا لكتاب الزهرة للاصبهاني فاقمر
انا عما الف ولم اعرض لشي مما صنف ولا تعديت اهل عصري مما شاهدته بعمري
او لحقه اهل دهري اذ كل مردد ثقيل وكل متكرر مملول وقد تجاوزت بالاسماع باذا
رتبته بالعلما فالسند الى ان قال بعد ذكره انه يبسو وجمله من المشارقة مثل الشريف
المرتضى والقاضي عبد الوهاب والوزير ابن المغربي وغيرهم ممن يطول ما صورته
وانما ذكرت هولاء ايتسابا بابي منصور في تاليفه المشهور المترجم بيتيمة الدهر في
محاسن اهل العصر انتهى المقصود منه قلت ــــــ وتذكرت مما انشدني في
الهجا قول الباقعة الشاعر المشهور ابي العباس احمد الخضوعي الشهير بالجوا
الشهير بالجراري وعامة العرب تقول الجرادي يهجو قومه بني عجوم وهم بربر تبادلا
متوصلا بذلك الى هجو اصلافاس بني الملحوم ومستطردا في ذلك مما هو في اطرا
كالماء الهجوم

ومن قوله

• يا ابن السبيل اذا مررت تبادلا • لا تنزلن على بني عجوم •
• ارض لغاربها العدو فلم ترى • الا مجاوبة الصدا للبوم •
• قوم طووا ذكر السماحة بينهم • لكنهم نشروا لواء اللوم •
• لا حظ في اموالهم وبنوا الهمم • للسايل العافي ولا المحروم •
• لا يملكون اذا استبيح حريمهم • الا الصراخ بدعوة المظلوم •
• يا ليتني من غيرهم ولو انني • من ارض فاس من بني الملحوم •

وقد ذكر غير واحد من المورخين ان احد بني الملحوم قضاة فاس واصلائها باعت
اوراق كتبه التي هي غير مجلدة بل متفرقة بستة الاف دينار ويكفيك ذلك في معرفة
قدر القوم ومع ذلك هجاهم بهذا والله يغفر الزلات رجع الى ما كنا فيه من ذكر من

ارتحل من علماء الاندلس الى البلاد المشرقية المحروسة فنقول ومنهم حبيب بن
الوليد بن حبيب الداخل الى الاندلس بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن
مروان من اهل قرطبة ويعرف بدحون رحل الى المشرق وكان فقيها عالما اديبا شاعرا
محسنا ورحل الى المشرق ايام عبد الرحمن بن الحكم وحج ولقي اهل الحديث فكتب عنهم
وقدم بعلم كبير وكانت له حلقة بجامع قرطبة يسمع الناس فيها وهو
الوصي الهشامي الذي اوصى لابنه الامير عبد الرحمن بترك ذلك فتركه وتوفي بعد المائتين

ومن شعره

• قال العذول واين قلبك كلما • رمت الهوى لم يزل متحيرا •
• قلت ابتدى فالقلب والخاتم • لما تغير من هويت تغيرا •
• ونائي فبان الصبر عني جملة • وبقيت مسلوب العزاء كما ترى •

ومن ولده سعيد بن هشام وكان اديبا عالما فقيها رحمه الله الجميع ودخل دمشق
وطنهم الاقدم وعاملها يومئذ للمعتصم بن الرشيد عمر بن فرج الرخجي فوافق دخوله اياها
غلاء شديدا ومجاعة اشكت اهلها فضجوا الى الرخجي ان يخرج عنهم من عندهم من الغربا
القادمين عليهم من البلاد فامر بالنداء في المدينة على كل من بها من طاري وابن سبيل
ليخرجوا عنها وضرب لهم اجلا ثلاثة ايام اوعد من تخلف منهم تجديدا بالعقاب
فابتدر الغربا بالخروج عنها واقام دحون لم يتحرك فجي به الى الرخجي بعد الاجل فقال له
ما بالك عصيت امري وما سمعت ندائي فقال له دحون ذلك النداء الذي وقفني
فقال له وكيف فانبئني له فقال له الرخجي صدقت والله انك لاحق بالاقامة فيها
فاقم ما احببت وانصرف اذا شئت وكان لدحون هذا ابن يقال له بشر بن حبيب ويعرف
بالحبيبي وهو من المشهورين بقرطبة وابنه المدنية الرواية عن مالك بن انس رضي الله
عنه وابنته عبدة بنت بشر مشهورة ولها رواية عنه رحم الله الجميع ومنهم بهلول
ابن فتح من اهل اقليش له رحلة حج فيها وكان رجلا صالحا خيرا حكى عن نفسه انه راى
في منامه بعد قدومه من الحج كانه بمكة وقايل يقول انطلق بنا نصلي مع النبي صلى الله
عليه وسلم قال فكنت اتوك لرجل من جيراني باقليش يا ابا فلان انطلق بنا نصلي مع
النبي صلى الله عليه وسلم امامنا فلما سلم من الصلاة رجع الي وقال لي من اين انت قلت
له من الاندلس فكان يقول لي من اي موضع فكنت اقول من مدينة اقليش فيقول لي اتعرف
ابا اسحاق الهواري فكنت اقول هو جاري وكيف لا اعرفه فيقول لي اقريه مني السلام
ومنهم ابو الحسن ثابت احمد بن عبد الولي الشاطبي روى عن ابي زيد عبد الرحمن بن يعيش
المهري ورحل حاجا فسمع منه بالاسكندرية ابو الحسن بن المفضل المقدسي وحدث
عنه بالحديث المسلسل في الاخذ باليد عن ابن يعيش المذكور عن ابي محمد عبد العزيز بن عبد
الله بن سعيد بن خلف الانصاري عن ابي الحسن طاهر بن مفوز وعليه مدار هذا بالاندلس

عن نصر بن الشمرقندي باسناده ونبيه نعبد قال الحافظ ابن الابار وقد رويته مسلسلا
من طرق بعضها عن ابن المفضل وانبانيه ابن ابي جمرة عن ابي بحر الاسدي عن نصر السمرقندي
فصار ابن المفضل بمنزلة من سمعه ممن سمعه مني والحمد لله انتهى ومنهم ابو احمد
جعفر بن لب بن محمد بن عبد الرحمن بن يونس بن ميمون اليحصبي يسكن شاطبة واصله
من ابسان عملها ويكنى ابا الفضل ايضا حج وسمع ابا طاهر بن عوف والحافظ
السلفي وابا عبد الله بن الحضرمي وابا الثنايا الحراني وبدر بن عبد الله الحبشي وابا
الحسن بن المفضل وغيرهم وكان من اهل العناية بالرواية مع الصلاح والعدالة
حسن الخط جيد الضبط سماه التجيبي في معجم مشيخته وهو في عداد اصحابه الاشرا
في السماع باسكندرية وتركه هنالك ثم قدم عليه تلمسان من شاطبة في اضحى سنت
وثمانين وخمسمائة وحكى مما افاده عن ابن المفضل ان ابا عبد الله الكيزاني وكان
شاعرا مجيدا اتته امراة مات ولدها فسالته ان يرثيه فقال

تبكي عليه بشجو • فقلت لا تندبيه •
هذا زمان عجيب • قد عاش من مات فيه •

واخذ عنه الحافظ ابو الربيع بن سالم وقال انه توفي بعد التسعين وخمسمائة
ومنهم ابو احمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونه الخزاعي العابد من اهل قسطنطانية
عمل دانية اخذ القراءات عن ابن هذيل وسمع منه ومن ابن النعمة ببلنسية ورحل حاجا
فادى الفريضة ودخل الاسكندرية مرافقا لمن سمع من السلفي ولم يسمع هو منه
شيئا قال ابن الابار فيما علمت وقفل الى بلده مائلا الى الزهد والاعراض عن الدنيا
وكان شيخ المتصوفة في وقته وعلا ذكره وبعد صيته في العبادة الا انه كانت فيه غفلة
قال ابن الابار ورايته اذ قدم بلنسية لاحيا ليلة النصف من شعبان سنة
احدى عشرة وستمائة وتوفي عن سن عالية تقارب المائة منتصف ذي قعدة سنة
اربع وعشرين وستمائة وشهد جنازته بشر كثير من جهات شتى وانتاب الناس
قبره دهرا طويلا يتبركون بزيارته الى حين اجلاء الروم من كان بها من المسلمين
ببلاد شرق الاندلس التي تغلبوا عليها وذلك في شهر رمضان سنة ٦٤٥ ومنهم
ابو جعفر النحوي الاندلسي نزيل مصر وكان من رؤساء اهل العلم بالنحو وممن له حالة جليلة
ذكره الطيبي فيما حكاه ابن الابار ومنهم ابو الحسن جابر بن احمد بن عبيد الله القرطبي وكناه
بعضهم ابا الفضل سمع ببلده من ابي محمد بن عتاب وغيره ورحل حاجا فادى الفريضة
وكان اديبا ناظما كتب عنه ابو محمد العثماني بالاسكندرية بعض شعره ومنهم
ابو الحسن بن جمهور بن خلف بن ابي عمر بن قاسم بن ثابت المعافري رحل حاجا الى المشرق فادى
الفريضة وسمع بالاسكندرية من ابي طاهر السلفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وسمع
ايضا من غيره وطال مكثه هنالك وهو فيما رجحه بعضهم من اهل غرب الاندلس ومنهم

ابو علي

ابو علي الحسن بن حفص بن الحسن الهوزني الاندلسي رحل وتجول ببلاد المشرق فسمع ابا
محمد عبد الله بن حموية وابا حامد احمد بن محمد بن رجا بسرخس وابا محمد بن ابي شريح بهراة
وابا عبد الله الحسين بن عبد الله المفلحي بالاهواز وابا بكر احمد بن جعفر البغدادي وابا
حامد احمد بن الخليل وابا حاتم حامد بن العباس وابا محمد الحسن بن رشيق بمصر وقدم دمشق
فروى عنه من اهلها وروى عنه من اهلها تمام بن محمد وبنيسابور احمد بن منصور بن خلف
المغربي وذكره ابن عساكر وقال اخبرنا ابو عبد الله الحسين بن احمد بن علي بن فطيمة وابو القاسم
زاهر بن طاهر قالا انا ابو بكر احمد بن منصور انا ابو علي الحسن بن جعفر القضاعي انا د
الحسن بن رشيق بمصر نا بن محمد الجندي نا ابو مصعب احمد بن ابي بكر الزهري قال سمعت
مالك بن انس يقول لا يحمل العلم عن اهل البدع كلهم ولا يحمل العلم عمن لم يعرف بالطلب
ومجالسة اهل العلم ولا يحمل عمن يكذب في حديث الناس وان كان في حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم صادقا لان الحديث والعلم اذا سمع من العالم فقد جعل حجة بين الذي
سمعه وبين الله تبارك وتعالى وانما قال فيه القضاعي لانه تبرا من قضاعة ومنهم ابو
علي الحسن بن خلف بن يحيى بن ابراهيم بن محمد الاموي من اهل دانية ويعرف بابن برنجال سمع
من ابي بكر بن صاحب الاحباس وابي عثمان طاهر بن هشام وغيرهما وله رحلة حج فيها
وسمع من ابي اسحاق ابراهيم بن صالح الفروي وببيت المقدس من ابي الفتح نصر بن ابراهيم
سنة خمس وستين واربعمائة وبعسقلان من ابي عبد الله محمد بن الحسن بن سعيد التجيبي
واخذ عنه كتاب الوقف والابتداء لابن الانباري بسماعه من عبد العزيز الشعيري مؤلفه
وكان فقيها على مذهب مالك وولي الاحكام ببلده وحدث واخذ عنه وسمع الناس
منه باسكندرية سنة تسع وستين ثم بدانية سنة اثنتين وسبعين واربعمائة
وتوفي في نحو الخمسمائة رحمه الله ومنهم ابو علي الحسن بن ابراهيم بن محمد بن تقي الجذامي
المالقي روى بقرطبة عن ابي محمد بن عتاب وعن ابن سكرة الصدفي بمرسية سنة ثمان وخمسمائة
وصحب ابا مروان بن مسرة وكان من اهل الرواية والتقييد وكانت له رحلة سمع فيها من
ابي الطاهر السلفي مجالسه التي املاها بسلماس في رجب سنة خمس عشرة وخمسمائة
التي بخط السلفي وفي رحلته لقيه ابو علي الحسن بن علي البطليوسي نزيل مكة وحدث عنه
ابو طالب احمد بن مسلم المعروف بالتنوخي من اهل الاسكندرية بكتاب الاستيعاب لابي
عمر بن عبد البر واجاز له اجازة عامة في السنة السابقة وقال ابن عساكر في تاريخه وذكر
ابو ذر الهروي سمعت ابا الحسن علي بن سليمان المرادي الحافظ الاندلسي بنيسابور
يقول سمعت ابا الحسن بن علي الانصاري البطليوسي قال ابن عساكر وقد لقيته ولم
اسمعها منه قال سمعت ابا علي الحسن بن ابراهيم بن تقي الجذامي المالقي يقول
سمعت بعض الشيوخ يقول قيل لابي ذر الهروي انت من هراة فمن اين تمذهبت لمالك
والاشعري فقال اني قدمت بغداد اطلب الحديث فلزمت الدارقطني فلما كان في

بعض الايام كنت معه فاجتاز بنا القاضي ابو بكر بن الطيب فاظهر الدارقطني من اكرامه
ما تعجبت منه فلما فارقه قلت ايها الشيخ الامام من هذا الذي اظهرت من اكرامه
ما رايت فقال او ما تعرفه قلت لا قال هذا سيف السنة ابو بكر الاشعري فلزمت
القاضي منذ ذلك واقتديت به في مذهبه انتهى **ومنهم** ابو علي الحسن بن علي بن
الحسن بن عمر الانصاري البطليوسي رحل الى المشرق فادى الفريضة وتجول مدة
ولقي ابا الحسن بن المفرج الصقلي وابا عبد الله الفراوي فسمع منهما الصحيحين بحلو
وسمع من ابي الفتح ناصر بن علي الطوسي سنن ابي داود وحدث بالموطا عن ابي بكر الطرطوشي
وله ايضا رواية عن زاهر بن طاهر الشحامي وعبد المنعم بن عبد الكريم القشيري وابو
محمد الجوهري سمع منه مقامات الحريري بسماعه من بغداد ونزل بمكة وجاور بها
وحدث فيها وفي غيرها واسن وكان ثقة مسندا روى عنه ابو عبد الله بن ابي الصيف
اليمني وابو جعفر بن شراحيل الاندلسي وابو عبد الله محمد بن ابراهيم الابلي وسمع منه
في صفر سنة ست وستين وخمسمائة وقد لقيه ابو القاسم بن عساكر الحافظ وروى
عنه **ومنهم** ابو علي الحسن بن محمد بن الحسن الانصاري من اهل اريولة عمل بلنسية
ويعرف بابن الرهيل سمع ابا الحسن بن النعمة كثيرا واختص به وعنه اخذ القراءات
وسمع من ابن هذيل ايضا ثم رحل حاجا فلقي بالاسكندرية سنة اثنتين وسبعين
وخمسمائة ابا طاهر السلفي وابا عبد الله بن الحضرمي وسمع منهما وجاور بمكة واخذ
بها عن ابي الحسن علي بن حميد الطرابلسي صحيح البخاري وكان يرويه عن ابي مكتوم عيسى
ابن ابي ذر الهروي عن ابيه وسمع ايضا من ابي محمد المبارك بن الطباخ البغدادي واجاز
له ابو المفاخر سعيد بن الحسين الهاشمي وابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي
عند صدوره في ربيع الاول سنة سبع وسبعين وقفل الى بلده فلزم الانقطاع
والانقباض عن الناس والاقبال على ما يعنيه وكان قد خطب به قبل رحلته وحكى
التجيبي في طليه ان اهل الاسكندرية تزاحموا عليه لسماع التيسير لابي عمرو والمقرية
ر... عن ابي هذيل سماعا في سنة ثلاث وخمسين وصارت له بذلك عندهم وجاهة
وبعد قفوله اصابه خدر منعه من التصرف وكان الصلاح غالبا عليه وتوفي غدوة
الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة ٥٨٥ وكانت جنازته مشهورة رحمه الله
ومنهم الحسين بن احمد بن الحسين بن حي التجيبي القرطبي اخذ علم العدد والهندسة
عن ابي عبد الله محمد بن عمر المعروف بابن برغوث وكان كلفا بصناعة التعديل وله زيج
مختصر ذكره القاضي صاعد ونسبه وحكى انه خرج من الاندلس في سنة اثنتين
واربعين واربعمائة بعد ان تاه بها وبالبحر محنة شداد ولحق بمصر ثم رحل عنها الى
اليمن واتصل باميرها فحظي عنده وبعثه رسولا الى القائم بامر الله الخليفة ببغداد
ونال هناك دنيا عريضة وتوفي باليمن بعد انصرافه من بغداد سنة ... وخمسمائة

واربعما

واربعمائة رحمه الله **ومنهم** ابو يوسف حماد بن الوليد الكلاعي اخذ بقرطبة عن
ابي المطرف القنازعي وغيره ورحل الى المشرق وحدث بالاسكندرية فسمع منه بها يحيى
ابن ابراهيم بن عثمان بن شبل شرح الاعتقاد من تاليفه ورسالة قمع الحرص وقطع الامل
والحث على العمل وذلك في سنة سبع واربعين واربعمائة ولقيه هناك ابو مروان
الطبني فسمع منه بعض فوائده **ومنهم** ابو القاسم خلف بن فتح بن عبد الله بن جبير
من اهل طرطوشة يعرف بالجبيري وهو والد ابي عبيد القاسم بن خلف الجبيري الفقيه
وكانت له رحلة الى المشرق ومعه رحل ابنه وهو صغير وكان من اهل العلم والنزاهة
وعليه نزل القاضي منذر بن سعيد بطرطوشة في ولايته قضاء الثغور الشرقية قال
ابو عبيد نزل القاضي منذر بن سعيد على ابي بطرطوشة وهو يومئذ يتولى القضاء
في الثغور الشرقية قبل ان يلي قضاء الجماعة بقرطبة فانزله في بيته الذي كان يسكنه
فكان اذا تفرغ نظر في كتب ابي فمر على يديه كتاب فيه رجوزة ابن عبد ربه يذكر فيها
الخلفاء ويجعل معاوية رابعهم ولم يذكر عليا فيهم ثم وصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان
الى عبد الرحمن بن محمد فلما راى ذلك منذر غضب وسب ابن عبد ربه وكتب في حاشية الكتاب
• او ما علي لا برحت ملعنا • يا ابن الخبيثة عندكم بامام •
• رب الكساء وخير آل محمد • والى الولاء مقدم الاسلام •
قال
ابو عبيد والابيات بخطه في حاشية كتاب ابي الى الساعة وكانت ولاية منذر للثغور
مع الاشراف على العمال بها والنظر في المختلفين من بلاد الافرنج اليها سنة ثلاثين
وثلاثمائة **ومنهم** ابو القاسم خلف بن محمد بن خلف الغرناطي له رحلة روى فيها بالاسكندرية
عن مهدي بن يوسف الوراق حدث عنه ابو العباس بن عيسى الداني بالبلنسية القاضي
عبد الوهاب **ومنهم** ابو القاسم خلف بن فرج بن خلف بن عامر بن محلون القنطري
من قنطرة السيف وسكن بطليوس ويعرف بابن الروية رحل حاجا فادى الفريضة ولقي
بمكة رزين بن معاوية الاندلسي فحمل عنه كتابه في تجريد الصحاح سنة خمس وخمسمائة وفيها
حج وقفل الى بلده بعد ذلك وكان فقيها مشاورا حدث عنه ابن خير في كتابه ولقيه بمدينة
بطليوس في نحو الثلاثين وخمسمائة **ومنهم** زرارة بن محمد بن زرارة الاندلسي رحل
حاجا الى المشرق وسمع بمصر ابا محمد الحسن بن رشيق سنة سبع وستين وثلاثمائة
وابا بكر مسرة بن مسلم الصدفي وحدث واخذ عنه **ومنهم** طاهر الاندلسي من اهل ... لقيه
يكنى ابا الحسين رحل الى قرطبة وخرج منها لما دخلها البربر وكان من اصحاب عمر الطلمنكي
وملازميه لقراءة القرآن وطلب العلم مع ابي محمد الشنتجالي وابي ايوب الزاهد امام
مسجد الكوابين بقرطبة وجاور بمكة طويلا واقرا في مغربه من باب الصفا وكان الشيوخ
يكرمونه ويفرجون له الضعفه عند دخول البيت الحرام ذكره الطبني قال ابن الابار
واحسبه المذكور في برنامج الخولاني والذي قرا لهم اكثر المدونة على ابن عمر احمد بن محمد

الرباب انتهى ومنهم ابو الطاهر الاندلسي من اهل لبلة نزل مصر وكانت له حلقة بجامع عمرو بن العاص وكان نحويا له شعر وترسيل وتغلغل بالملوك للتأديب بالنجوم ثم ترك ذلك ومنهم ابو محمد طارق بن موسى بن يعيش المنصفي المخزومي والمنصفي نسبة الى قرية بغربي بلنسية ويكنى ايضا ابا الحسين رحل قبل العشرين وخمسماية فادى الفريضة وجاور بمكة وسمع من ابي عبد الله الحسين بن علي الطبري ومن الشريف ابي محمد عبد الباقي الزهري المعروف بشقران اخذ عنه كتاب الاحيا للغزالي لمؤلفه وسمع بالاسكندرية من ابي بكر الطرطوشي وابي الحسن بن مشرف وابي عبد الله الرازي وابي طاهر السلفي وغيرهم ثم قفل الى بلده فحدث واخذ الناس عنه وسمعوا منه وكان شيخا صالحا عالي الرواية ثقة قال ابو عبد الله لم الق افضل منه وكان مجاب الدعوة حدث عنه بالسماع والاجازة جلة منهم ابو الحسن بن هذيل وابو محمد القلني وابو مروان بن الصيقل وابو العباس الاقليشي وابو بكر بن خير وابن سعد الخير وابو محمد عبد الحق الاشبيلي وابو بكر بن جري وغيرهم ثم رحل ثانية الى المشرق فسمع منه ابو العباس وابو الوليد بن خيرة الحافظ سنة اثنين واربعين وخمسماية وقد نيف على السبعين فاقام بمكة مجاورا الى ان توفي بها عن سن عالية رحمه الله سنة تسع واربعين وخمسماية ومنهم محمد بن ابراهيم بن مروان الاودي من اهل اكشونبة غربي الاندلس يكنى ابا مضر ولاه عبد الرحمن بن معاوية قضاء الجماعة بقرطبة وذلك في المحرم سنة سبعين وماية واقام شهرا ثم استعفى فاعفي ورحل حاجا فادى الفريضة وسمع في رحلته اماما مالك بن انس وانصرف ومات عن سن عالية سنة ثلاث وثمانين وماية وذكره ابن شعبان في الرواة عن مالك وحكى انه روى عنه من قطع لسانه استوى به عاما وانما الحاقا له لقد بلغني ان بالاندلس من نبت لسانه فانه لم ينبت افيدا انتهى ومنهم ابو عبد الله محمد بن احمد بن حيان الشاطبي الاوسي قدم مصر وكان اخذ عن ابن برطلة وابن البرا وعمل فهرسة شيوخه على حروف المعجم وحج وعاد الى بلده ومات يوم الجمعة عشرة في رجب سنة ٦٥٧ رحمه الله وغفر له ومنهم القاضي ابو مروان محمد بن احمد بن علي بن شريعة بن رفاعة بن صخر بن سماعة اللخمي الاندلسي الاشبيلي قال ابو شامة هو من بيت كبير بالاندلس يعرف ببني الباجي مشهور كثير العلماء والفضلاء واصلهم من باجة القيروان وليس منهم القاضي ابو الوليد الباجي فانه من بيت اخر من باجة الاندلس وقدم ابو مروان حاجا من بلاده في البحر الى عكا من ساحل دمشق ثم دخل دمشق سادس شهر رمضان سنة ٦٣٥ ونزل عندنا بالمدرسة العادلية وجده الاعلى احمد ابن عبد الله بن محمد بن علي قدم الى الديار المصرية وحج منها ومعه ولده محمد اخو عبد الملك ويعرف بصاحب الوثائق وسمعنا بها من جماعة من العلماء وذكر ابو عبد الله الحميدي احمد بن عبد الله هذا في المقتبس وكناه ابو عمر وذكر انه سكن اشبيلية واثنى عليه كثيرا وقال مات في حدود الاربعماية وروى عنه ابن عبد البر بن محمد بن علي يعرف بالرواية

ذكره

ذكره الحميدي ايضا وذكر ابن بشكوال في الصلة عبد الملك بن عبد العزيز جد هذا الشيخ القادم واثنى عليه وقال توفي سنة ٤٣٢ وكان هذا الشيخ ابو مروان حسن الاخلاق تاما متواضعا محسنا وسمعته يقول وقد سئل اعارة شي فبادر اليه ثم قال عندي في قوله تعالى ويمنعون الماعون هو كل شي واستفدناه من هذا الشيخ فائدة جليلة وهي معاينة قدر مد النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندهم متوارث وقد اخبر عن ذلك ابو محمد بن حزم في كتابه المحلى وعايرت بذلك المد الذي لنا بدمشق حينئذ وهو الكيل الكبير فوجدته مدنا يسع صاعين الا يسيرا ووجدته ممسوحا يسع صاعا ونصفا وشيئا فيكون مدان ممسوحان ثلاثة اصع زائدة وقرات في كتاب المحلى لابن حزم قال ابو محمد وخرط لي مد على تحقيق المد المتوارث عند آل عبد الله بن علي الباجي وهو عند اكبرهم لا يفارق داره اخرجه الي ثقتي الذي كلفته ذلك علي بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن علي المذكور وذكر انه هذا بيبه وان جده اخذه وخرطه على مد احمد بن خالد واخبره احمد بن خالد انه خرطه على مد محمد بن يحيى على مد مالك قال ابو محمد بن وضاح الذي صححه ابن وضاح بالمدينة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام قال ابو محمد ثم كلته بالقمح الطيب ثم وزنته فوجدته رطلا واحدا ونصف رطل بالفلفلي لا يزيد حبة وكلته بالشعير الا انه لم يكن بالطيب فوجدته رطلا واحدا ونصفا واوقية وسالت عن الرطل الفلفلي فقيل لي هو ست عشرة اوقية كل اوقية عشرة دراهم في تقرير ابن حزم نظر ثم توفي هذا الشيخ بالقاهرة سنة ٦٣٥ بعد رجوعه من الحج رحمه الله تعالى انتهى كلام ابي شامة وبعضه بالمعنى ومنهم ابو العباس احمد بن محمد الواعظ الاشبيلي ثم المصري فاضل شرح الصدور بلفظه و احيى القلوب بوعظه احواله مشهورة • ومجالسه بالذكر معمورة • له معرفة بالادب • وخبرة بالشعر والخطب • وكلام وجيه حسن ونظم يمتاز به على كثير من ارباب اللسن قاله ابن حبيب الحلبي قال وهو القايل

• من انت محبوبه من ذا يغيره • ومن صفوت له من ذا يكدره •
• هيهات تعتك ملاح الكون تشغلني • فالكل اغراض حسن انت جوهره •

وقال

• اكشفا البرقع عن بكر العقار • واجلا في ليلة النقع شمس النهار •
• وانهبا العيش ودعا غلطا • يقتضي ما بين هتك واستتار •
• ان يكن شيخ خلاعات الصبى • فالبس الصبوة في خلع العذار •
• وارضيا الخمار وقل قد اذن لي • في هوى خمار كاسي لبس عار •

وقال

• حنوا الى نجد نيا فالهوى • فثم زاد حره مكتسب •
• وانتظر حتى يلوح الحمى • فالعيش فيه طيب طيب •

ان نشير الى من يأخذها وتسعى في فكاكه فلتبشر ليلها ولا نهارها ولا صبر ولا قرار فقال
نعم انصرفي حتى ننظر في ذلك ان شاء الله واطرق الشيخ وحرك شفتيه يدعو الله
عز وجل لولدها بالخلاص فذهبت فما كان غير قليل حتى جاءت وابنها معها فقالت
اسمع خبره يرحمك الله فقال كيف كان امرك فقال اني كنت فيمن يخدم الملك ونحن
في القيود فبينما انا ذات يوم امشي اذ سقط القيد من رجلي فاقبل علي الموكل بي
يشتمني وقال فككت القيد من رجليك فقلت لا والله ولكن سقط ولم اشعر فجاءوا
بالحداد فاعاده وسمر مسماره وايده ثم قمت فسقط ايضا فسألوا رهبانهم فقالوا
لك والدة فقلت نعم فقالوا انه قد استجيب دعاؤها لك فاطلقوه فاطلقوني وخفروني
الى ان وصلت الى بلاد الاسلام فسأله بقي عن الساعة التي سقط القيد من رجليه فيها
فاذا هي الساعة التي دعا له فيها فرحمه الله تعالى ومن الراحلين من الاندلس الى
المشرق يوسف بن يحيى بن يوسف الازدي المعروف بالمغامي من اهل قرطبة واصله من
طليطلة ومن ولد ابي هريرة رضي الله عنه سمع من يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان
وروى عن عبد الملك بن حبيب مصنفاته وارتحل الى مصر وسمع من يوسف بن يزيد
القراطيسي وعاد الى الاندلس وكان فقيها نبيلا فصيحا بصيرا بالعربية ثم بعد
عوده من مصر اقام بقرطبة اعواما ثم عاد الى مصر واقام بها وسمع الناس منه وعظم
امره بالبلاد المشرقية ثم انه عاد الى المغرب فتوفي بالقيروان سنة ٢٨٨ وهو مصحح
الواضحة لابن حبيب وصنف شيئا في الرد على الشافعية في عشرة اجزاء والف كتاب
فضائل مالك رضي الله عنه والذي يرتضى ان من قلد اماما من المجتهدين لا ينبغي له
ان يغض من قدر غيره وان كان ولا بد من الانتصار لمذهبه وتقوية حجته فليكن ذلك
بحسن ادب مع الائمة رضي الله عنهم فانهم على هدى من ربهم وقد ضل بعض الناس
حمله التعصب لمذهبه على التصريح بما لا يجوز في حق العلماء الذين هم نجوم الملة
ولا حول ولا قوة الا بالله وقد حكى ابو عبد الله الوادي حسبما رايته بخطه ان القاضي
عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي الف كتاب النصرة لمذهب مالك على غيره من
المذاهب في مائة جزء وسماه النصرة لمذهب امام دار الهجرة فوقع الكتاب بيد بعض
قضاة الشافعية بمصر فغرقه في النيل فقضى الله ان السلطان فرج ابن برقوق سافر
الى الشام ومعه القضاة الاربع من الاعيان لدفع تمرلنك عن البلاد فلم يصنع شيئا
ورجع الى مصر وتفرقت العساكر واخذ القضاة والعلماء اسارى ومن جملتهم ذلك
القاضي فبقي في اسر تمرلنك الى ان ارتحل عن الشام فاخذه معه اسيرا الى ان وصل
الى الفرات فغرق فيه اعني القاضي فراى بعض الناس ان ذلك بسبب تغريقه الكتاب
المذكور والجزاء من جنس العمل والله اعلم وقد نجى الله من هذه الورطة قاضي القضاة
ابا زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المالكي صاحب كتاب العبر وديوان المبتدا

وتوفي سنة ٨٠٨ هكذا ذكر ترجمته ابن حبيب ثم بعد كتبه ما حصل لي شك هل هو
ممن ارتحل بنفسه من الاندلس او ولد بمصر وانما ارتحل اليها بعض سلفه والله اعلم
وكذا ذكره اخر بقوله في سنة ٧٥٦ وفيها توفي الامام زكي الدين ابو اسحاق ابراهيم بن
عبد العزيز بن يحيى بن علي الاشبيلي المالكي محدث عالم زاهد قنع باليسير بدائم كثير
الخير جزيل المبر كان حسن المثاني قاضيا للحوائج محسنا الى الصامت والمغترب
مقصدا للمتردد من الحجاز والمغرب سمع بمصر ودمشق وحلب وافتى ودرس مفيدا
لذوي الطلب ولم يبرح بعين بادية وبغيته وبنوا له بشرط بظاهر دمشق
مشيخة الحديث وكانت وفاته بدمشق عن نيف وسبعين سنة انتهى ومنهم
الآخذ بالسبق والتقدم بقي بن مخلد بن يزيد ابو عبد الرحمن القرطبي الاندلسي
الحافظ احد الاعلام وصاحب التفسير والمسند اخذ عن يحيى بن يحيى الليثي ومحمد
ابن عيسى الاعشى وارتحل الى المشرق ولقي الكبار وسمع بالحجاز مصعبا الزهري
وابراهيم بن المنذر وطبقتهما وبمصر يحيى بن بكير وزهير بن عباد وطائفة وبدمشق
ابراهيم بن هشام الغساني وصفوان بن صالح وهشام بن عمار وجماعة وببغداد احمد
ابن حنبل وطبقته وبالكوفة يحيى بن عبد الحميد الحماني ومحمد بن عبد الله بن نمير وابا
بكر بن ابي شيبة وطائفة وبالبصرة اصحاب حماد بن زيد وعني بالاثر عناية عظيمة لا مزيد
عليها وعدد شيوخه مائتان واربع وثلاثون رجلا وكان اماما زاهدا صواما صادقا
كثير التهجد مجاب الدعوة قليل المثل مجتهدا لا يقلد بل يفتي بالاثر وولد في رمضان
سنة ٢٠١ وتوفي في جمادى الاخرة سنة ٢٧٦ قال ابن حزم اقطع انه لم يؤلف في الاسلام
مثل تفسيره لا تفسير محمد بن جرير ولا غيره وكان محمد بن عبد الرحمن الاموي صاحب
الاندلس محبا للعلوم عارفا بها فلما دخل بقي بن مخلد الاندلس بمصنف ابن ابي شيبة
وقرئ عليه انكر جماعة من اهل الراي ما فيه من الخلاف واستبشعوه وقام جماعة من
العامة عليه ومنعوه من قراءته فاستحضره الامير محمد واياهم وتصفح الكتاب جزءا
جزءا حتى اتى على اخره ثم قال لخازن كتبه هذا الكتاب لا تستغني خزانتنا عنه فانظر
في نسخه لنا وقال لبقي انشر علمك وارو ما عندك ونهاهم ان يتعرضوا له قال ابن حزم
مسنده ابواب الفقه فهو مسند ومصنف وما اعلم هذه الرتبة لاحد قبله مع ثقته
وضبطه واتقانه واحتفاله في الحديث وله مصنف في فتاوى الصحابة والتابعين
ومنهم الذي اربى فيه على مصنف ابي بكر بن ابي شيبة وعلى مصنف عبد الرزاق
وعلى مصنف سعيد بن منصور ثم ذكر تفسيره فقال فصارت تصانيف هذا
الامام الفاضل قواعد الاسلام لا نظير لها وكان متخيرا وكان جاريا في مضمار البخاري
ومسلم والنسائي وذكر القشيري ان امراة جاءته فقالت له ان ابني قد اسرته الفرنج
واني لا انام الليل من شوقي اليه ولي دويرة اريد ان ابيعها لافتكه بها فان رايت

اذنته

والخبير في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر فانه كان
من جملة القضاة الحاضرين في الهزيمة فلما ادخلوا على تمرلنك قال لهم ابن خلدون
قدموني للكلام تنجون ان شاء الله تعالى والا فانتم اخبر فقدموه وعليه زي المغاربة
فلما راه تمرلنك قال له ما انت من هذه البلاد وتكلم معه بحلية ابن خلدون بلسانه
وكان اية الله الباهرة ثم قال لتمرلنك اني الفت كتابا في تاريخ العالم وحليته بذكرك
او كما قال وبلغ ان تمرلنك هو الذي قال بلغني انك الفت فيه وتذكرك بخت نصر
مع انا خربنا العالم فقال له ابن خلدون افعالكما العظيمة الحقتكما بالذكر مع
ذوي المراتب الجسيمة ونحو هذا من العبارات فاعجبه ذلك وقيل انه لما انس بابن
خلدون قال له يا خوند ما اسفي الا على كتاب الفته في التاريخ وانفقت فيه ايام
عمري وقد تركته بمصر وان عمري الماضي ذهب ضياعا حيث لم يكن في خدمتك وتحت
ظل دولتك والان اذهب فاتي بهذا الكتاب وارجع سريعا حتى اموت في خدمتك
ونحو هذا من الكلام فاذن له فذهب ولم يعد اليه وقال بعض العلماء انه لم
ينج من يد ذلك الجبار احد من العلماء غير ابن خلدون ورجل اخر وقد ذكر ذلك ابن عرب
شاه في عجائب المقدور فقط لعهدي به فليراجع وحكى غير واحد ان تمرلنك
لما اخذ حلب على الوجه المشهور في كتب التاريخ جمع العلماء فقال لهم على عادته في التعنت
قتل منا ومنكم جماعة فمن ذا الذي في الجنة قتلانا او قتلاكم وكان مراده ابراز سبب
لقتلهم لانهم ان قالوا احد الامرين هلكوا فقال بعض العلماء واظنه ابن الشحنة دعوني
اجيبه والا هلكتم فتركوه فقال له يا خوند هذا السؤال اجاب عنه رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين سئل عنه فغضب وقال كيف يمكن ان يجيب عن هذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونحن لم نكن في زمانه او كلاما هذا معناه فقال له العالم المذكور روينا
في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية
ويقاتل ليذكر ويرى مكانه فمن الذي في الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون
كلمة الله هي العليا فهو الذي في الجنة او كما قال صلى الله عليه وسلم فتعجب تمرلنك
من هذا الجواب المفحم المسكت وحق له ان يتعجب منه فان هذا من الاجوبة التي يقل
نظيرها وفيها المخلص على كل حال بالانصاف وقد وفق الله هذا العالم لهذا الجواب
حتى تخلص على يده اولئك الاقوام من الطاغية الجبار العنيد الذي جعل الله فتنته
في الاسلام وفتنة جنكزخان واولاده من اعظم الفتن التي دهي بها المسلمون وذكر
بعض العلماء ان ابن خلدون لما اقبل على تمرلنك قال له دعني اقبل يدك فقال له ولم
فقال لانها مفتاح الاقاليم يشير الى انه فتح خمسة اقاليم واصابع يده خمسة فلكل
اصبع اقليم وهذا ايضا من دهاء ابن خلدون وقد كدنا نخرج عن المقصود في هذه
الترجمة فلننصرف لعناننا والله سبحانه المستعان **ومن الراحلين** من الاندلس

الامام

الامام الحافظ ابو بكر بن عطية رحمه الله قال الفتح شيخ العلم وحامل لوائه وحافظ
حديث النبي صلى الله عليه وسلم وكوكب سمائه شرح الله لحفظه صدره وطاول به
عمره مع كونه في كل علم وافر النصيب مبينا سرا ابا العلى في الترقيب رحل الى المشرق لاداء
الفرض لابس برد من العمر الغض فروى وقيد ولقي العلماء واسند وابقى بها
الماثر وخلد نشا في بيئة كريمة وارومة من الشرف غير مرومة لم يزل فيها
على وجه الزمان اعلام علم وارباب مجد ضخم قد قيدت ما ترجم الكتب واطلعتهم
التواريخ كالشهب وما برح الفقيه ابو بكر يتسنم كواهل المعارف وغواربها
ويقيد شوارد المعاني وغرائبها لا يستضلع عن الادب الذي احكم اصوله وفروعه
وعمر برهة من شبيبته ربوعه وبرز فيه تبريز الجواد المستولي على الامد وجلى
عن نفسيه به كما جلى الصقال عن النصل البرد وشاهد ذلك ما اثبته من نظمه
الذي يروق جملة وتفصيلا ويقوم على قوة العارضة دليلا فمن ذلك قوله
يحذر من خلطا الزمان وينبه على التحفظ من الانسان

كن بذيب صائد مستانسا • واذا ابصرت انسانا ففر •
انما الانسان بحر ماله • ساحل فاحذره اياك الغرر •
واجعل الناس كشخص واحد • ثم كن من ذلك الشخص حذر •

وله في الزهد

ايها المطرود من باب الرضى • كم يراك الله تلهو معرضا •
كم الى كم انت في جهل الصبى • قد مضى عمر الصبا وانقرضا •
قم اذا الليل دجت ظلمته • واستلذ الجفن ان يغتمضا •
فضع الخد على الارض ونح • واقرع السن على ما قد مضى •

وله في هذا المعنى

قلبي يا قلبي المعنى • كم انا ادعى فلا اجيب •
كم اتمادى على ضلالي • لا ارعوي لا ولا انيب •
ويلاه من سوء ما دهاني • بنوب غيري ولا نوب •
وا اسفي كيف برء دائي • دائي كما شاء الطبيب •
لو كنت ادنو الكنت اشكو • ما انا من بابه قريب •
ابعدني منه سوء فعلي • وهكذا يبعد المريب •
ما لي عذر واي عذر • لمن احاطت به الذنوب •

وله في المعنى ايضا

لا تجعلن رمضان شهر فكاهة • تلهيك فيه من القبيح فنونه •
واعلم بانك لا تنال قبوله • حتى تكون تصومه وتصونه •

وله في مثل ذلك

اذا لم يكن في السمع مني تصاون • وفي بصري غض وفي مقولي صمت

فحظي اذا من صومي الجوع والظما • وان قلت اني صمت يوما فما صمت

وله في المعنى الاول

جفوت اناسا كنت آلف وصلهم • وما في الجفا عند الضرورة من باس

بلوت فلم احمد واصبحت آيسا • ولا شي اشفى للنفوس من الياس

فلا تعذلوني في انقباضي فانني • رايت جميع الشر في خلطة الناس

وله يعاتب بعض اخوانه

وكنت اظن ان جبال رضوى • تزول وان ودك لا يزول

ولكن الامور لها اضطراب • واحوال ابن ادم تستحيل

فان يك بيننا وصل جميل • والا فليكن هجر طويل

واما شعره الذي اقتدح من مرح الشباب وعفاره وكلامه الذي وشحه بمارب الغزل واوطاره فانه نسي الى ما تناساه ونتركه حين كساه العلم والورع من ملابسه ما كساه فمن ما وقع من ذلك **قوله**

كيف السلو ولي حبيب هاجر • قاسي الفواد يسومني تعذيبا

لما دري ان الخيال مواصلي • جعل السهاد على الجفون رقيبا

وله ايضا

يا من عهودي لديه ترعى • انا على عهدك الوثيق

ان شئت ان تسمع غرامي • من مخبر عالم صدوق

فاستخبري قلبك المعنى • يخبرك عن قلبي المشوق

انتهى كلام الفتح وابو بكر بن عطية المذكور هو والد الحافظ القاضي ابي محمد عبد الحق بن عطية صاحب التفسير الشهير رحمه الله الجميع قال في الاحاطة في حقه ما ملخصه الشيخ الامام المفسر عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي فقيه عالم بالتفسير والاحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والادب حسن التقييد له نظم ونثر ولي القضا بمرية سنة ٥٢٩ في محرم وكان غاية في الذكاء والدها والهمم بالعلم سري الهمة في اقتناء الكتب توخى الحق وعدله في الحكم واعز الخطة روى عن ابيه وابوي علي الغساني والصدفي وطبقتهما والف كتابه الوجيز في التفسير فاحسن فيه وابدع وطار بحسن نيته كل مطار وبرنامجا ضمنه مروياته واسماء شيوخه حرر واجاد ومن نظمه يندب عهد شبابه لا تنبغي الا شعارا انماه

سقيا لعهد شبا بظلت امرح في • ريعانه وليالي العيش اسحار

ايام روض الصبا لم تذو اغصنه • ورونق العمر غض والهوى جار

والنفس

والنفس تركض في تضمير شرتها • طرفا له في زمان اللهو احضار

عهدا كريما لبسنا فيه اردية • كانت عيانا ومحت فهي اثار

مضى وابقى بقلبي منه نار اسى • كوني سلاما وبردا فيه يا نار

ابعد ان نعمت نفسي واصبح في • ليل الشباب لصبح الشيب اسفار

وقارعتني الليالي فانثنت كسرا • عن ضيغم ما له ناب واظفار

الا اسلاح خلا الا خلصت فلها • في منهل المجد ايراد واصدار

اصبو الى روض عيش روضه خضل • او ينثني بي عن العليا اقصار

اذا افتقدت كفى شبا قلم • اثاره في رياض العلم ازهار

مولده سنة ٤٨١ وتوفي في ٢ رمضان سنة ٥٤٢ بلورقة قصد ميورقة يتولى قضاها فصد عن دخولها وصرف منها الى لورقة فتوفي بها رحمه الله انتهى وقال الفتح في حقه ما نصه فتى العمر كهل العلا حديث السن قديم السنا لبس الجلالة بردا ضافيا وورد ما الاصالة صافيا واوضح للفضل رسما عافيا وثنى من فهمه للاغراض قنا قصدا وجعل فهمه شهابا رصدا سما الى رتب الكهول صغيرا وشن كتيبة ذهنه على العلوم مغيرا فتسنما متنى وفضلا وحواهما فرعا واصلا وله ادب يسيل رضاضا ويستخيل الفاظا مبتدعة واغراضا وقال فيه ايضا نبعة دوح العلا ومحرز ملابس الثنا فذ الجلالة واوحد العصر والاصالة وقار كما رسى الهضب وادب كما اطرد السلسل العذب وشيم تتضاحك لها قطع الرياض وتبادر الظن به الى شريف الاغراض سابق الامجاد فاستولى على الامد ولم يبض ثوب شبابه اذ من النجب في السؤدد جامدا فتى بناو الكواكب قاعدا وما اتكل على اوايله ولا سكن الى راحات بكره واصايله اثره في كل معرفة علم في راسه نار وطوالعه في افاقها صبح او منار وقد انبت من نظمه المستبدع ما ينفح عبيرا ويتضح منيرا **فمن ذلك قوله من قصيدة**

وليلة جبت فيها الجزع مرتديا • بالسيف اسحب اذيال الظلم

والنجم حيران في بحر الدجى غرقا • والبرق في طيلسان الليل كالعلم

كانما الليل زنجي بكاهله • جرح فيثعب احيانا له بدم

انتهى المقصود منه وهو اعني ابا بكر احد مشايخ عياض حسبما المعتبر في ازهار الرياض **ومنهم** شهاب الدين ابو العباس احمد بن فرح بالحاء المهملة بن احمد ابن محمد الامام الحافظ الزاهد بقية السلف اللخمي الاشبيلي الشافعي اسره الافرنج سنة ٦٤٦ وخلص وقدم مصر سنة بضع وخمسين وقيل انه تمذهب للشافعي وتفقه على الشيخ عز الدين بن عبد السلام قليلا وسمع من شيخ الشيوخ شرف الدين الانصاري الحموي والمعمر احمد بن زين الدين واسماعيل بن عزون والنجيب بن

الصيقل وابن علاق وبدمشق عن ابن عبد الدايم وخلق وعني بالحديث واتقن الفاظه ومعرفة رواته وحفاظه، وفهم معانيه واتسع لياله قال الصفدي وكان من كبار ائمة هذا الشان وممن يجري فيه ومتوطلق اللسان هذا الى ما فيه من ديانة وورع وصيانة وكانت له حلقة اشتغال بكرة بالجامع الاموي يلازمها ويحوم عليه من الطلب حوايمها سمع عليه الشيخ شمس الدين الذهبي واستفاد منه وروى في تصانيفه عنه وعرضت عليه مشيخة دار الحديث النورية فاباها ولم يقبل جامكيتها وكان يرى التصوفية ومتعرفا منها بالشافعية ولم يزل على حاله حتى اخرجنا الناس ابن فرح، وتقدم الى الله وسرح، وشيع الخلق جنازته، ونزلوا وضعه في القبر وجاز وتوفي رحمه الله تاسع جمادى الاخرة سنة ٦٩٩ ومولده سنة خمس وعشرين وستمائة وله قصيدة غزلية في القاب الحديث سمعها منه الدمياطي واليونيني وسمع منه البرزالي والمقاتلي والنابلسي وابو محمد بن الوليد ومات بتربة ام الصالح بالاسهال والقصيدة المذكورة

وهي هذه

غرامي صحيح والرجا فيك معضل * وحزني ودمعي مطلق ومسلسل
وصبري عنكم يشهد العقل انه * ضعيف ومتروك وذلي اجمل
ولا حسن الا سماع حديثكم * مشافهة يملى علي فانقل
وامري موقوف عليك وليس لي * على احد الا عليك المعول
ولو كان مرفوعا اليك لكنت لي * على رغم عذالي ترق وتعدل
وعذل عذولي منكر لا اسيغه * وزور وتدليس يرد ويهمل
اقضي زماني فيك متصل الاسى * ومنقطعا عما به اتوصل
وها انا في اكفان هجرك مدرج * تكلفني ما لا اطيق فاحمل
واجريت دمعي بالدماء مدبجا * وما هو الا مهجتي تتحلل
فمتفق جفني وسهدي وعبرتي * ومفترق صبري وقلبي المبلبل
ومؤتلف شجوي ووجدي ولوعتي * ومختلف حظي وما منك امل
خذ الوجد عني مسندا ومعنعنا * فغيري بموضوع الهوى يتحيل
وذي نبذ من مبهم الحب فاعتبر * وغامضه ان رمت شرحا اطول
عزيز بكم صب ذليل لعزكم * ومشهور اوصاف المحب التذلل
غريب يقاسي البعد عنك وما له * اليك سبيل لا ولا عنك معدل
فرفقا بمقطوع الوسائل ما له * وحق الهوى عن داره متحول
فلا زلت في عز منيع ورفعة * وما زلت تعلو بالتجني فانزل
اوري بسعدى والرباب وزينب * وانت الذي تعني وانت المؤمل
فخذ اولا من اخر ثم اولا * من النصف منه فهو فيه مكمل

ابراذا

ابر اذا اقسمت اني بحبه * اهيم وقلبي بالصبابة مشعل

وقد ذكرت شرحها في الجزء الثلاثين من تذكرتي انتهى كلام الصفدي وظاهر كلامه انه ابن فرح بفتح الراء والذي تلقيناه عن شيوخنا انه بسكون الراء وقد شرح هذه القصيدة جماعة من اهل المشرق والمغرب يطول تعدادهم ومن اخرهم [illegible] رحمه الله ومنهم عبد العزيز بن عبد الملك بن نصر ابو الاصبغ الاموي الاندلسي سمع بمكة وبدمشق ومصر وغيرهما وحدث عن سليمان بن احمد بن يحيى بسنده الى جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل بني اب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة فانا وليهم وانا عصبتهم وهم عترتي خلقوا من طينتي ويل للمكذبين بفضلهم من احبهم احبه الله ومن ابغضهم ابغضه الله وحدث عن ابي العباس احمد بن محمد البرذعي بسنده الى عبد الله بن المبارك قال كنت عند مالك بن انس وهو يحدثنا فجاءت عقرب فلدغته ست عشرة مرة ومالك يتغير لونه ويتصبر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس عنه قلت له يا ابا عبد الله لقد رايت منك عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد ابو الاصبغ المذكور بقرطبة وتوفي ببخارى سنة ٣٦٥ قال الحاكم ابو عبد الله رايت ابا الاصبغ في المنام في بستان فيه خضرة ومياه جارية وشجر كثيرة وكاني اقول انها له فقلت يا ابا الاصبغ بماذا وصلت الينا بالحديث فقال اي والله وهل يخوف الا بالحديث قال ورايته ايضا وهو يمشي بين يدي من يحسن ما يكون فقلت انت ابو الاصبغ قال نعم قلت ادع الله ان يجمعني واياك في الجنة فقال الان امام الجنة هو الاشهر رفع يديه فقال اللهم اجعله معي في الجنة بعد عمر طويل انتهى ومنهم القاضي ابو البقاء خالد البلوي الاندلسي رحمه الله وهو خالد بن عيسى بن احمد بن ابراهيم ابن ابي خالد البلوي ووصفه الشاطبي بانه الشيخ الفقيه القاضي الاعدل انتهى وهو صاحب الرحلة المسماة تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ومما انشده رحمه الله فيها لنفسه

ولقد جرى يوم النوى دمعي دما * حتى اشاع الناس انك فاني
والله ان عاد الزمان بقربنا * لكففت عن ذكر النوى وكفاني

ومتن الرحلة المسماة بتاج المفرق مشحونة بالفوائد والفرائد وفيها من العلوم والاداب ما لا يتجاوزه الرائد، وقد قال رحمه الله فيها في ترجمة الولي نجم الدين البخاري رضي الله عنه ما نصه وذكر لي رضي الله تعالى عنه قال مما وصى به الجد الاكبر ابو الحجاج يوسف المذكور يعني سيدي ابا الحجاج يوسف بن عبد الرحيم الاقصري القطب الغوث رضي الله تعالى عنه واعاد علينا من بركاته خواصه واصدقاءه قال اذا ادركتكم الضرورة والفاقة فقولوا حسبي الله ربي الله يعلم ابتي

اتا تشريف

ضيق قال وذكر لي ايضا رضي الله عنه قال رأى هذا الجد يوسف المذكور النبي صلى الله عليه
وسلم بعد ان شاء الله تعالى ذلك وقد كانت اصابته فاقة فشكى الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا بر يا رحيم يا رب يا رحيم الطف بي في
قضائك ولا تولي امري احدا سواك حتى القاك فلما قالها اذهب الله تعالى فاقته
قال فكان رحمه الله يوصي بها اصحابه واحبابه انتهى وتنسب بعضهم القاضي خالد
المذكور الى انتحال كلام العماد في البرق الشامي لان خالدا اكثر في رحلته من الاستجاع الذي
للعماد فلذا قال لسان الدين بن الخطيب فيه

• خليلي ان تقضي اجتماع بخالد • فقولا له قولا ولا تعدوا الحفا •
• سرقت العماد الاصبهاني برقه • وكيف ترى في شاعر يسرق البرقا •

واظن لسان الدين كان منحرفا عنه ولذلك قال في كتابه خطرة الطيف ورحلة
الشتاء والصيف عندما جرى ذكر قنورية وقاضيها خالد المذكور ما صورته
لم يتخلف ولد عن والده وركب قاضيها ابن ابي خالد وقد شهرته النزعة الحجازية
ولبس من حسن الحجازية وارخى من البياض طيلسانا وتشبه بالمشارقة شكلا
ولسانا والبداوة تسمه على الخرطوم وطبع الماء والهوى يقوده قود الجمل المخطوم
انتهى ومن نظم ابي البقاء خالد البلوي المذكور **قوله**

• اتى العيد واعتاد الاحبة بعضهم • ببعض واحبابي لديهم قد بانوا •
• واضحى وقد ضحوا بقربانهم وما • لديه سوى حمر المدامع قربان •

وقال في رحلته انه قال هذين البيتين بديهة بمصلى تونس في عيد النحر سنة ٧٣٧
ومن نظمه ايضا رحمه الله تعالى **قوله**

• وتستنكر شيبي وما ذهب الصبا • ولا جئت ابناء الشبيبة من عطن •
• نقلت فراقي للاحبة مؤذن • بشيبي وان كنت ابن عشرين من سن •

ومحاسنه رحمه الله كثيرة وفي الرحلة منها جملة **ومنهم** برهان الدين ابو
اسحاق بن الحاج ابراهيم النميري الغرناطي وهو ايضا مذكور في ترجمة ابن الخطيب
بما يغني عن تكرير ذكره هنا وقال رحمه الله في رحلته اخبرني شيخنا بعض الشيخ
الامام ابا عبد الله محمد المعروف بخليل التوزري امام المالكية بالحرم الشريف رضي الله
عنه قال اعتكفت بجامع عمرو بن العاص كفا الشرقي عن الناس خصوصا اذى الغيبة
نحو خمسين ليلة اردت ان ادعو لطا بعد من اصحابي بما ليس تخلفه كل يحسب ظني
فيه يومئذ فادركتني حيرة في التمييز والتخصيص فالهمت ان قلت بديهة

• شهدنا بتقصير الباينا • بحسن اختبارك اولى بنا •
• وانت البصير باعدابنا • وانت العليم باحبابنا •

قال ثم اردف فيها بدعاء وهو اللهم يا من لا يعلم خيرة الامور الا انت اعلم باعدائنا واوليائنا

فانعا

نافعا بكل منهم ما يناسب حسن اختبارك لنا حسبما علمته مني وكفى بك عليما
وكفى بك قديرا وكفى بك بصيرا وكفى بك خبيرا وكفى بك لطيفا وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا كثيرا وقال ابن الحاج المذكور
في الرحلة المذكورة اذا التقى الرجل بعدوه وهو على خوف منه فليقرأ هذه الحروف كهيعص
يبدأ بابهامه بدء اليمنى ويختم بابهام اليسرى فاذا قرب من عدوه فليقرأ في نفسه سورة
الفيل فاذا وصل الى قوله ترميهم فليكرر ها وكلما كررها فتح اصبعا من اصابعه
المقبوضة تجاه العدو فيكررها عشر مرات ويفتح جميع اصابعه فاذا فعل ذلك
امن من شره ان شاء الله تعالى وهو مجرب انتهى **ومن** بديع نظم ابي اسحاق بن الحاج النميري
المذكور

قوله

• يا رب كاس لم يسح شمولها • فاعجب لها جسما بغير مزاج •
• لما رأينا السحر من اشكالها • جملا نسبناها الى الزجاج •

وله فيما اظن

• له سعة اضاعوا العشر فيها • بلتم حين شدت ثغر يذري •
• فما اشهى لقلبي ما اضاعوا • ليوم كريهة وسداد ثغر •

وهو تضمين حسن **ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق** امام النحاة اثير
الدين ابو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الاثري الغرناطي
قال ابن مرزوق الخطيب في حقه هو شيخ النحاة بالديار المصرية وشيخ المحدثين
بالمدرسة المنصورية انتهت اليه رياسة التبريز في علم العربية واللغة والحديث
سمعت عليه وقرات وانشدني وكنت اظنه لنفسه ارتجالا الى ان اخبرني احد
اصحابنا عنه انه اخبره انهما لابي الحسن التجاني انشدهما لربيبته بالمدرسة الصالحية

• انا الذي يروي ويكتبه • يحفظ ما يروي ولا يكتب •
• كصخرة تنبع امواجها • تسقي الاراضي وهي لا تشرب •

قال وروينا عنه تواليفه ابن ابي الاحوص منها التبيان في احكام القرآن
والمعرب المفهم في شرح مسلم ولم اقف عليه والوسامة في احكام القسامة والمسرع
المتسلسل في الحديث المسلسل وغير ذلك وحدثني بسنن ابي داود عن خطيب المزة
عن ابي حفص بن طبرزد عن ابي البدر الكرخي ومفلح الرومي عن ابي بكر بن ثابت الخطيب
عن ابي عمر الهاشمي عن اللؤلؤي عن ابي داود وبسنن النسائي عن جماعة عن ابن باقا عن
ابي زرعة عن ابن حمد الدوني عن ابي نصر الكسار عن ابن السني عن النسائي وبالموطأ
عن ابي جعفر بن الطباع بسنده وشكوت اليه يوما ما يلقاه الغريب من اذاية العدا

فانشدني لنفسه

• عداي لهم فضل علي ومنة • فلا اذهب الرحمن عني الاعاديا •

هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها • وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا •

وانشدني ايضا من مداعباته وله في ذلك النظم الكثير مع طها رته وفضله

علقته سبحي اللون فادحه • ما ابيض منه سوى ثغر حكى الدررا •

قد صاغه من سواد العين خالقه • فكل عين اليه تدمن النظرا •

وانشدني في جامل البس صوفا وزهي فيه

ابا كاسيا من جيد الصوف نفسه • ويا عاريا من كل فضل ومن كيس •

اتزهي بصوف وهو بالامس مصبح • على نعجة واليوم امسى على تيس •

انتهى ما اختصرته من كلام الخطيب ابن مرزوق ، وانشد الرحالة ابن جابر الوادي

لابي حيان **قوله**

وقصرا مالي مال الى الردي • والى وان طال المدى سوف اهلك •

تضمنت بماء الوجه نفسا ابية • وجادت يميني بالذي كنت املك •

ووقفت على اعيان العصر واعوان النصر للصفدي فوجدت فيه ترجمة ابي حيان

واسعة فرايت ان اذكرها بطولها لما فيها من الفوايد ونصها الشيخ الامام العالم العلامة

الفريد الكامل حجة العرب مالك ازمة الادب • اثير الدين ابو حيان الاندلسي الجياني

بالجيم والياء اخر الحروف مشددة وبعد الالف نون كان امير المؤمنين في النحو والشمس

الشارقة سناء في يوم الصحو والمنصرف في هذا العلم فالية الاثبات والمحو لو عاصر

ايمة البصرة لبصرهم • او اهل الكوفة لكف عنهم اتباعهم السوا وحذرهم نزل منه كتاب

سيبويه في وطنه بعد ان كان طريدا • واصبح به التسهيل بعد تعقيده مفيدا وجعل

شرحه وجنة رائقة للنواظر توريدا • ملا الزمان تصانيف واما اعناق الايام بالتواليف

تخرج به ايمة في هذا الفن • وروق لهم في عصره منه سلافة الدر • فلو راه يونس بن حبيب

لكان بعينها غير مجيب • او عيسى بن عمر لاصبح من تغييره وهو محدب • او الخليل لكان

بعينه فداه • او سيبويه لما تزوى من مسالة الزنبورية برداه • او الكسائي لاعراه

حلة جاهه عند الرشيد وانا سه او الفرا لفر منه ولم يعسر ولد المامون تقديم

مداسه • او اليزيدي لما ظهر نقصه من مكامنه • او الاخفش لاخفى جملة من محاسنه

وابو عبيدة لما تركه ينتصب لشعب الشعوبية • او ابو عمرو لشغله بتحقيق اسمه

دون التعلق بعربيته • او السكري لما راق كلامه في المعاني ولا حلي • او المازني لما زانه

قوله ان مصابكم رجلا • او قطرب لما دب في العربية ولا درج • او ثعلب لاستكن بمكره

في وكره ولما خرج • او المبرد لاصبحت قواه مفترة • او الزجاج لانشنت قواريره مكسرة

او ابن الوزان لعدم نقده • او الثمانيني لما تجاوز حده • او ابن بابشاذ لما اتقن

ما اضطرد او ابن دريد ما بلغ ريقه ولا ازدرد • او ابن قتيبة لاضاع رحله • او ابن

السراج لمشاه اذا راى وحله • او ابن الخشاب لاضرم فيه نارا ولم يجد معه نورا

او ابن الخباز لما سجر له تنورا • او ابن الفواس لما اغرق في نزعه او ابن يعيش لم ينفعه

في نزعه • او ابن خروف لما وجد له مرعى او ابن اياز لما وجد له وازره وفقا • او ابن الطراوة

لم يكن نحوه طريا • او الدباج لما رحلته الرابقة عريا • وعلى الجملة فكان امام النحاة

في عصره شرقا وغربا • وفريد هذا الفن الذي لعد بعدا وقربا **وفيه قلت**

سلطان علم النحو اسنا ذنا • الشيخ اثير الدين حبر الانام •

فلا تقل زيد وعمرو فما • في النحو معه لسواه كلام •

خدم هذا العلم مدة تقارب الثمانين وسلك من غرايبه وغوامضه طرقا متشعبة

الافانين ولم يزل على حاله الى ان دخل في خبر كان وتبدلت حركاته بالاسكان وتوفي

رحمه الله بمنزله خارج باب البحر بالقاهرة في يوم السبت بعد العصر الثامن والعشرين

من صفر سنة ٧٤٥ ودفن من الغد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر وصلى عليه بالجامع

الاموي بدمشق صلاة الغايب في شهر ربيع الاخر ومولده بمدينة مطخشارش في اخر

شوال سنة ٦٥٤ **وقلت انا ارثيه رحمه الله تعالى**

مات اثير الدين شيخ الورى • فاستعر البارق واستعبرا •

ورق من حزن نسيم الصبا • واعتل في الاسحار لما سرى •

وصادحات الايك في نوحها • رثته في السجع على حرف را •

يا عين جودي بالدموع التي • يروي بها ما ضمه من ثرى •

واجري دما فالخطب في شانه • قد اقتضى اكثر مما جرى •

مات امام كان في فنه • يرى اماما والورى من ورا •

امسى منادى للبلا مفردا • فضمه القبر على ما ترى •

يا اسفي كان هدى ظاهرا • فعاد في تربته مضمرا •

وكان جمع الفضل في عصره • صح فلما ان قضى كسرا •

وعرف الفضل به برهة • والان لما ان مضى نكرا •

وكان ممنوعا من الصرف لا • يطرق من وافاه خطب عرا •

لا افعل التفضيل ما بينه • وبين من اعرفه في الورى •

لا بدل عن نعته بالتقى • ففعله كان مصدرا •

لم يدغم في اللحد الا وقد • فك من الصبر وثيق العرى •

بكى له زيد وعمرو فمن • امثلة النحو ومن قررا •

ما اعتقد التسهيل من بعده • فكم له من عسره يسرا •

وجسر الناس على خوضه • اذ كان في النحو قد استبحرا •

من بعده قد حال تمييزه • وحظه قد رجع القهقرا •

شارك من قد ساد في فنه • وكم له فن به استاثرا •

دأب بني الآداب أن يغسلوا . بدمعهم فيه بقايا الكرى .
والنحو قد سار الردي نحوه . والصرف للتصريف قد غيرا .
واللغة الفصحى غدت بعده . يلقى الذي في ضبطها قررا .
تفسيره البحر المحيط الذي . يهدي إلى وراده الجوهرا .
فوائد من فضله جمة . عليه فيها نعقد الخنصرا .
وكان ثبتا نقله حجة . مثل ضياء الصبح إذ أسفرا .
ورحلة في سنة المصطفى . أصدق من يسمع أن يخبرا .
له الأسانيد التي قد علت . فاستقلت عنها سوامي الذرى .
ساوى بها الأحفاد أجدادهم . فاعجب لماض فاته من طرا .
وشاعرا في نظمه مفلقا . كم حرر اللفظ وكم حبرا .
له معان كلما خطها . تستر ما يرقم في تسترا .
أفديه من ماض لأمر الردى . مستقبلا من ربه بالقرى .
ما بات في أبيض أكفانه . إلا وأضحى سندسا أخضرا .
نضاح الحور له راحة . كم نغبت في كل ما سطرا .
إذ مات فالذكر له خالد . يحيى به من قبل أن ينشرا .
جادت ثرى واراه غيث إذا . مشاه بالسقي له بكرا .
وخصه من ربه رحمة . تورده في حشره الكوثرا .

وكان قد قرأ القراآت على الخطيب أبي محمد عبد الحق بن علي بن عبد الله نحوا من عشرين ختمة أفرادا وجمعا على الخطيب الحافظ أبي جعفر أحمد الغرناطي المعروف بالطباع بغرناطة ثم قرأ السبعة إلى آخر سورة الحج على الخطيب الحافظ أبي علي الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص بمالقة ثم إنه قدم الإسكندرية وقرأ القراآت على عبد النصير بن علي بن يحيى المريوطي ثم قدم مصر فقرأ بها القراآت على أبي الطاهر إسماعيل بن هبة الله المليجي وسمع الكثير على الجم الغفير بجزيرة الأندلس وبلاد أفريقية والإسكندرية وديار مصر والحجاز وحصل الإجازات من الشام والعراق وغير ذلك واجتهد في طلب التحصيل والتقييد والكتابة ولم أر في أشياخي أكثر اشتغالا منه لأني لم أره قط إلا يسمع أو يشتغل أو يكتب ولم أره على غير ذلك وله إقبال على الطلبة الأذكياء وعنده تعظيم لهم ونظم ونثر وله الموشحات البديعة وهو ثبت فيما ينقله محرر لما يقوله عارف باللغة ضابط لألفاظها وأما النحو والتصريف فهو إمام الناس كلهم فيهما لم يذكر معه في أقطار الأرض غيره في حياته وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وحوادثهم خصوصا المغاربة وتقييد

اسمائهم

اسمائهم على ما يتلفظون به من إمالة وترقيق وتفخيم لأنهم يجاورون بلاد الفرنج وأسماؤهم قريبة من لغاتهم وألقابهم كذلك وقيده وحرره وسأله شيخنا الذهبي أسئلة فيما يتعلق بذلك وأجابه عنها وله التصانيف التي سارت وطارت وانتشرت وما انتثرت . وقربت ودريت ونسخت وما نسخت أخملت كتب الأقدمين . وألهت المقيمين بمصر والقادمين . وقرأ الناس عليه وصاروا أئمة وأشياخا في حياته وهو الذي جسر الناس على مصنفات ابن مالك رحمه الله تعالى ورغبهم في قراءتها . وشرح لهم غامضها وخاض بهم لججها وفتح لهم مقفلها . وكان يقول عن مقدمة ابن الحاجب هذه نحو الفقهاء وكان التزم أن لا يقرئ أحدا إلا إن كان في كتاب سيبويه أو التسهيل لابن مالك أو في تصانيفه . ولما قدم من البلاد لازم الشيخ بهاء الدين رحمه الله كثيرا وأخذ عنه كتب الأدب وكان شيخنا حسن العمة مليح الوجه ظاهر اللون مشربا حمرة منور الشيبة كبير اللحية مسترسل الشعر فيهما لم تكن كثة عبارته فصيحة وسمعته يقول ما في هذه البلاد من يعقد حرف القاف وكانت له خصوصية بالأمير سيف الدين أرغون كافل الممالك ينبسط معه ويبيت عنده في قلعة الجبل ولما توفيت بنته نضار طلع إلى السلطان الملك الناصر محمد وسأله أن يدفنها في بيته داخل القاهرة في البرقية فأذن له في ذلك وكان أولا يرى رأي الظاهرية ثم إنه تمذهب للشافعي رضي الله عنه بحث على الشيخ علم الدين العراقي المحرر للرافعي ومختصر المنهاج للنووي وحفظ المنهاج إلا يسيرا وقرأ أصول الفقه على أستاذه أبي جعفر ابن الزبير بحث عليه من الإشارة للباجي ومن المستصفى للغزالي وعلى الخطيب أبي الحسن بن فضيلة وعلى الشيخ علاء الدين الباجي وقرأ أشياء من أصول الدين على شيخه ابن الزبير وقرأ عليه أشياء من المنطق وقرأ أشياء من المنطق على بدر الدين محمد بن سلطان البغدادي وقرأ عليه شيئا من الإرشاد للعميدي في الخلاف ولكنه برع في النحو وانتهت إليه الرياسة والمشيخة فيه وكان خاليا من الفلسفة والاعتزال والتجسيم وكان أولا يعتقد في الشيخ ... الدين بن تيمية وامتدحه بقصيدة ثم إنه انحرف عنه لما وقف على كتاب العرش له قال الفاضل كمال الدين الأدفوي وجرى على مذهب كثير من النحويين في التعصب للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه التعصب المتين قال حكى لنا أنه قال القاضي القضاة بدر الدين بن جماعة أن عليا رضي الله عنه عهد إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق أتراه ما صدق في هذا فقال صدق قال فقلت له فالذين سلوا السيوف في وجهه يبغضونه أو يحبونه وغير ذلك فقال وكان سيء الظن بالناس كافة فإذا نقل له عن أحد خبرا يتكيف به ويبقى عنده حتى ممن هو عنده مجروح فيقع في ذم من هو بالسنة

العالم ممدوح وبسبب ذلك وقع في نفسي منه كبير منه الم كثير انتهى قلت
انا لم اسمع منه في حق احد من الاحيا والاموات الا خيرًا وما كنت انقم عليه شيئاً
الا ما كان يبلغني عنه من الحط على الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد على انني انا ما سمعت
في حقه شيئاً نعم سمعته كان لا يثق بهولاء الذين يدعون الصلاح حتى قلت له
يوما يا سيدي فكيف تقول في الشيخ ابي مدين فقال هو رجل مسلم دين والا ما كان
يطير في الهوى ولا يصلي الصلوات في مكة كما يدعي فيه هولاء الاغمار وكان فيه
رحمه الله تعالى خشوع يبكي اذا سمع القرآن ويجري دمعه عند سماع الاشعار
الغزلية وقال كمال الدين المذكور قال لي اذا قرات اشعار العشق اميل
اليها ولذلك اشعار الشجاعة تستميلني وغيرهما الا اشعار الكرم ما تؤثر
في انتهى قلت كان يفتخر بالبخل كما يفتخر غيره بالكرم وكان يقول لي وصيه
احفظ دراهمك ويقال عنك بخيل ولا تحتاج الى اللئيم **وانشدني من لفظه**
لنفسه رجاؤك فلسا قد غدا في حبايل • فتبصا رجاء للنتاج من العقم •
• اانعب في تحصيله واصيعه • اذا كنت معتاضا من البر بالسقم •
قلت والذي رايته فيه انه طال عمره وتغرب وورد البلاد ولا شي معه وتعب
حتى حصل المناصب تعبا كبيرا وكان قد جرب الناس وحصل شطر الدهر
ومرت به حوادث فاستعمل الحزم وسمعته غير مرة يقول يكفي الفقير في
مصر ان يجد فلسا يشتري له ماسه بفلسين وبفلس زيتا وبفلس كوز ماء
ويشتري ثاني يوم لمونا بفلس ياكل به الخبز وكان يعيب على مشتري الكتب
ويقول الله يرزقك عقلا تعيش به انا اي كتاب اردته استعرته من خزاين الاوقاف
فاذا اردت من احد ان يعيرني دراهم ما اجد ذلك **وانشدني له اجازة**
• اذا الدراهم والنساء كلاهما • لا انا منفق عليهما النساء نا •
• بيز عن ذا اللب المتين على التقى • فترى اساءه فعله احسانا •
وانشدني له من ابيات
• اني سشفيع لبنس يمكن رده • دراهم ببيض للجروح مراهم •
• تصير صعب الامر اهون ما يرى • وتقضي لبانات الفتى وهو نايم •
ومن حزمه قوله عداتي لهم فضل البيتين وقد مدحه كثير من الشعراء والكبار
الفضلاء منهم القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر بقوله
• قد قلت لما ان سمعت مباحثا • في الذات قررها اجل مفيد •
• هذا ابو حيان قلت صدقتموا • وبرهنوا هذا هو التوحيد •
وكان قد جاء يوما الى بيت الشيخ صدر الدين ابن الوكيل فلم يجده فكتب بالجص على
مصراع الباب ابو حيان فلما راى ابن الوكيل ذلك **قال**

قالوا

• قالوا ابو حيان غير مدافع • ملك النحاة فقلت بالاجماع •
• اسم الملوك على النقود واننى • شاهدت كنيته على المصراع •
ومدحه شرف الدين بن الوحيد بقصيدة مطولة اولها
• اليك ابا حيان اعملت اينقي • وملت الى حيث الركايب تلتقي •
• دعاني اليك الفضل فانقدت طايعا • ولبيت حدوما بلفظ المصدق •
ومدحه نجم الدين اسحاق بن المثنى التركي وسال له شرح التسهيل بقصيدة وارسلها
اليه من دمشق
واولها
• تبدا فقلنا وجهه فلق الصبح • وكمله ما الحمد فيه وبالنجح •
• وسهلت تسهيل الفوايد محسنا • فكن شارحا صدري بتكملة الشرح •
ومدحه مجير الدين عمر الملطي بقصيدة **اولها**
• يا شيخ اهل الادب الباهر • من ناظم يلتقي ومن ناثر •
ومدحه نجم الدين يحيى الاسكندري بقصيدة اولها
• ضيفا لم يبنا من ابرح الناس • لانا فضنا عهدا بامي ولا ناسي •
• غار من الكبر والادنا من ذا نزف • لكنه من سرابيل العلا كاسي •
ومدحه نجم الدين الطوفي بقصيدتين وكتب الاولى
• اتراه بعد هجرانه يصل • ويرى في ثوب وصل مبتذل •
• فمن جار على اخلاصنا • اذ تولانا بعد معتدل •
واول الثانيه
• اعذروه فكريم من عذر • فمن له ذات وجه كالقمر •
ومدحه بهاء الدين محمد بن شهاب الدين الحنبلي بقصيدة **اولها**
• نضنضت عن العدل النمير خنا منها • وفتحت عن زهر الرياض كمامها •
ومدحه جماعة اخرون يطول ذكرهم **وكتبت** انا اليه من الرحبة سنة ٧٢٩
• لو كنت املك من دمري جناحين • لطرت لكنه فيكم جنى حيني •
• يا سادة نلت في مصرهم شرفا • ارقى به شرفا تناء عن العين •
• وان جرى لسماكيها ذكر علا • احلني فضلهم فوق السماكين •
• وليس غير اثير الدين اثله • فسادما شاد لي حقا بلا مين •
• خير ولو قلت ان الناس تبهرها • من قبل صدقت الاقوام في ديني •
• احيى علوما امات الدهر اكثرها • مذ جلدت خلدت ما بين دفين •
• يا واحدا لعصرها فوقي بمتنهم • ولا احاشي مرا بين الفريقين • ٢
• هذي العلوم يدن من سيبويه كما • قالوا وقبلك انتهت بانا ثاني •
• ندم لها ويودي لو اكون فدى • لما بينا لك في الايام من شين •

يا سيبويه الورى في الدهر لا عجب • اذا الخليل غدا يفديك بالعين •
يقبل الارض وينهي ما هو عليه من الاشواق التي برحت بالمها واجرت الدموع
دما وهذا الطرس الاحمر يشهد وارتب بسحها على السحايب وابرد وام مد حزن
ديمها وفرقت الاوصال على التسقم لوجود عدمها

• فيا شوق ما ابقى ويا لي من النوى • ويا دمع ما اجرى ويا قلب ما اصبى •
ويذكر ولا الذي تسجع به في الارض الحمايم ويسير بحث لوابه مسير الرياح بين الغمام
وثناوه الذي يتضوع كالزهر بين الكمايم ويبتسم تبسم ما مات الربى اذا البست
من الربيع ملونات العمايم • ويشهد الله على ما قد قلته والله نعم الشهيد **فكتب**
هو الجواب عن ذلك ولكنه عدم مني **وانشدنيه يوما لنفسه**

• قلت للكاتب الذي ما اراه • قط الا ونقط الدمع شكله •
• ان تخط الدموع في الخد شيا • ما يسمى نقال لخط ابن مقله •

وانشدني هو من لفظه لنفسه

• سبق الدمع بالمسير المطايا • اذ نوى من احب عني نقله •
• واجاد الخطوط في صفحة الخد • ولم لا يجود وهو ابن مقله •

وانشدني في مليح نوتي

• كلفت بنوتي كان قوامه • اذا بينني خوط من البان ناعم •
• محاذفه في كل قلب محادث • ومنزانه للعاشقين هزايم •

وانشدته انا لنفسي

• ان نوتي مركب نحن فيه • مام قد صبت القوام جرجبه •
• اقلع القلب عن سلوى لما • ان بدا ثغره وقد طاب ريحه •

وانشدته انا لنفسي ايضا

• نوتينا حسنه بديع • وفيه بدر السماء مغرى •
• ما حل بئر الا وقلنا • يا ليت انا نحل سرى •

فاعجباه رحمه الله وزمرة لهما **وانشدني هو لنفسه في مليح احدب**

• تعشقته احدبا كيسا • يحاكي جنين النعام • لعله شكلا
• اذا كدت اسقط من فوقه • تعلقت من ظهره بالسنام •

فانشدته لنفسي

• واحدب رحت به مغرما • اذ لم تشاهد مثله عيني •
• لا غرو ان هام فوادي به • وحضره ما بين ردفين •

وانشدني من لفظه لنفسه في اعمى

• ما ضر حسن الذي اهواه انسني • كريمتيه بلا شين قد احتجبا •

• قد كاننا زهر في روض وقد زرنا • لكن حسنهما الغنان قد ذهبا •
• كالسيف قد زال عنه صقله فغدا • انكى والم في قلب الذي ضربا •

وانشدته لنفسي في ذلك

• ورب اعمى وجهه روضة • تنزهت فيها كثير الذنوب •
• في خده ورد عيينا به • عن نرجس ما فتحته العيون •

وانشدته ايضا لنفسي

• فيا حسن اعمى لم يخف حد طرفه • محب غدا سكران فيه وما صحى •
• اذا طار خدبات نرعى حدوده • غدا امنا من مقلتيه الجوارحا •

وكتبت اليه استدعاء وهو المنسوب من احسا نسيدنا الامام العالم العلامة
لسان العرب • ترجمان الادب جامع الفضايل عمدة وسايل السايل حجة المقلدين
زين المقلدين • قطب المامولين افضل الاخرين • وارث علوم الاولين • صاحب
اليد الطولى في كل مكان ضيق • والتصانيف التي تاخذ بمجامع القلب فكل ذي
لب اليها شيق • والمباحث التي انارت الادلة الراجحة من مكامن اماكنها • وتنقت
اوابدها الجامحة من مواطي مواطنها • كشاف معضلات الاوايل • سيبا في غايات
قصر عنها وما سحبا نوايل • فارع مضبات البلاغة في اجلاء اجتلايها • وممتي
من في منر قذها • سالب سحبان الفصاحة في اقتضاء اقتضايها من فرق فرقدها •
حتى ابرز كلامه جنان فضل جنان من بعده عن الدخول اليها جبان • واتى من امثال
وجوه حورها لم يطمثهن انس قبله ولا جان • وابدع حماثل نظم ونثر لا تصل الى افنان
نتوتها يد جان • اثير الدين ابي حيان محمد لا زال ميت العلم يحيي به • ولا عجب لذلك
من ابي حيان • حتى يبني لبنوا العلوم مرامهم • ويحلهم دار المنى بامانى •
اجازة كاتب هذه الاحرف ما رواه فسح الله في مدته من المسانيد والمصنفات والسنن
والمجاميع الحديثية والتصانيف الادبية نظما ونثرا الى غير ذلك من اصناف العلوم
على اختلاف اوضاعها وتباين اجناسها وانواعها مما تلقاه ببلاد الاندلس وافريقية
والاسكندرية والديار المصرية • والبلاد الحجازية • وغيرها من البلدان بقراة او سماع
او مناولة او اجازة خاصة او عامة كيفما تادى ذلك اليه واجازته ما له ادام الله
افادته من التصانيف في تفسير القران العظيم والعلوم الحديثية والادبية وغير
وما له من نظم ونثر اجازة خاصة وان يثبت بخطه تصانيفه الى حين هذا التاريخ
وان يجيزه اجازة عامة لما يتجدد له من بعد ذلك على راي من يراه ويجوزه منجما منفصلا
ان شاء الله تعالى **فكتب الجواب** رحمه الله تعالى اعزك الله ظننت بالانسان
جميلا فتغاليت وابديت من الاحسان جزيلا وما باليت وصفت من هو القنام فطنه
النلس سما • والسراب يحسبه الظمان ما • يا ابن الكرام وانت ابصر من يشم امع الروض

النضير بن عي المشيم. اما اغنتك فضائلك وفواضلك. ومعارفك وعوارفك عن نغبة من نغبة من دا ماء. وترنية من بهما. لقد تبلجت المهارق من نور صفحاتك وتأرجت الاكوان من ارج نفحاتك. ولانت اعرف من يقصد للدراية. وانقد من يعتمد عليه في الرواية. لكنك اردت ان يكسو من مطارفك. وتتفضل من بالدك فطارفك. وتحلو العاطل في منصة النباهة وتنقذه من لكن الفهاهة. فتستبد له ذكرا. وتغلي له قدرا. ولم يمكنه الا اسعافك فيما طلبت واجابتك فيما اليه ندبت فان الملك لا يعصى والمتفضل المحسن لا يقصى وقد اجزت لك ابدك الله جميع ما رويته عن اشياخي بجزيرة الاندلس وبلاد افريقية. وديار مصر والحجاز وغير ذلك بقراءة او سماع او مناولة او اجازة مشافهة او كتابة ووجادة وجميع ما اجيز لي ان ارويه بالشام والعراق وغير ذلك وجميع ما صنفته واختصرته وجمعته وانشاته نثرا ونظما وجميع ما لي في هذا الاستدعا فمن مروياتي الكتاب العزيز قرأته بقراءات السبعة على جماعة من اعلامهم الشيخ المسند المعمر فخر الدين ابو الطاهر اسماعيل بن هبة الله بن علي بن هبة الله المصري بن المليجي اخر من روى القراءات بالتلاوة عن ابي الجود والكتب الستة والموطا ومسند عبد ومسند الدارمي ومسند الشافعي ومسند الطيالسي والمعجم الكبير للطبراني والمعجم الصغير له وسنن الدارقطني وغير ذلك واما الاجزا فكثيرة جدا ومن كتب النحو والاداب ما رويته بالقراءة كتاب سيبويه والايضاح والتكملة والمفصل وجمل الزجاجي وغير ذلك والاشعار الستة والحماسة وديوان حبيب والمتنبي والمعري واما شيوخي الذين رويت عنهم بالسماع والقراءة فهم كثير واذكر الان منهم جماعة فمنهم القاضي ابو علي الحسين ابن عبد العزيز بن ابي الاحوص القرشي والمقرئ ابو جعفر احمد بن سعد بن احمد بن بشير الانصاري واسحاق بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الملك بن درباس وابو بكر بن عباس بن يحيى بن غريب القواس البغدادي وصفي الدين الحسين بن ابي المنصور بن ظافر الخزرجي وابو الحسين محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الاشعري ووجيه الدين محمد بن احمد بن علي ابن محمد بن القسطلاني ورضي الدين محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطبي اللغوي ونجيب الدين محمد بن احمد بن محمد بن المؤيد الهمداني ومكي بن محمد بن ابي القاسم بن حامد الاصبهاني الصفار ومحمد بن عمر بن محمد بن علي السعدي الضرير بن العارض ورشيد الدين ابو بكر محمد بن اسماعيل ابن عبد الله بن الانماطي ومحمد بن ابراهيم بن ترجم بن حازم المازني ومحمد بن الحسين بن الحسن ابن ابراهيم الداري بن الخليلي ومحمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف الانصاري بن الخيمي ومحمد ابن عبد الله بن محمد بن عمر العبسي عرف بابن اللتي وعبد الله بن محمد بن هارون بن عبد العزيز الطائي القرطبي وعبد الله بن نصر الله بن احمد بن رسلان بن فتيان بن كامل الحراني وعبد الله بن احمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن فارس التميمي وعبد الرحيم بن يوسف بن يحيى

يوسف

يوسف بن خطيب المزة وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي المصري السكري وعبد العزيز بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن الصيقل الحراني وعبد العزيز بن عبد القادر بن اسماعيل القيلي الصالحي الكناني وعبد المعطي بن عبد الكريم بن ابي المكارم بن منجى الخزرجي وعلي بن صالح بن ابي علي بن يحيى بن اسماعيل الحسيني البهنسي المجاور وغازي بن ابي الفضل بن عبد الوهاب الحلاوي والفضل بن علي بن نصر ابن عبد الله بن الحسين بن رواحة الخزرجي ويوسف بن اسحاق بن ابي بكر الطبري المكي والنشر بن عبد الله بن محمد بن خلف بن النشر القشيري ومونسة بنت الملك العادل بن ابي بكر بن ايوب بن شاذي وشامية بنت الحافظ ابي علي الحسن بن محمد بن محمد التيمية وزينب بنت عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي وممن كتبت عنه من مشاهير الادبا ابو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن علي بن الفرج المالقي ابن المرحل وابو الحسن بن حازم بن محمد بن حازم الانصاري القرطاجني وابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن يحيى بن عبد الله الهذلي التطيلي وابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد ابن ابي الموت المالقي وابو عبد الله محمد بن عمر بن جبير الحليانى العكي المالقي وابو الحسين ابن يحيى بن عبد العظيم بن يحيى الانصاري الجزار وابو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن ابن تولوا القرشي وابو حفص عمر بن محمد بن ابي علي الحسن المصري الوراق وابو الربيع سليمان ابن علي بن عبد الله بن ياسين الكرمي التلمساني وابو العباس احمد بن ابي الفتح نصر الله ابن باتكين القاهري وابو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن الصنهاجي البوصيري وابو العباس احمد بن عبد الملك بن عبد المنعم العزازي وممن اخذت عنه من النحاة ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخشني الابذي وابو الحسن علي بن محمد بن علي ابن يوسف الكتامي بن الصائغ وابو جعفر احمد بن ابراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير الثقفي وابو جعفر احمد بن يوسف بن علي بن يوسف الفهري اللبلي وابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محمد بن نصر الحلبي بن النحاس وممن لقيته من الظاهرية ابو العباس احمد بن علي بن خالص الانصاري الاشبيلي الزاهد وابو الفضل محمد بن محمد بن سعدون الفهري الشمنتري **وجملة** الذين سمعت منهم نحو من اربعمائة شخص وخمسين **واما** الذين اجازوني فعالم كثير جدا من اهل غرناطة ومالقة وسبتة وديار افريقية وديار مصر والحجاز والعراق والشام **واما ما صنفته** فمن ذلك البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم اتحاف الاريب بما في القرآن من الغريب كتاب الاسفار الملخص من كتاب الصفار شرح كتاب سيبويه. كتاب التجريد لاحكام سيبويه. كتاب التذييل والتكميل في شرح التسهيل. كتاب التحصيل الملخص من شرح التسهيل. كتاب التذكرة. كتاب المبدع في التصريف. كتاب الموفور. كتاب التقريب. كتاب التدريب. كتاب غاية الاحسان. كتاب النكت الحسان. كتاب

الشنري في مسئلة كذا. كتاب المفصل في احكام الفصل. كتاب الملحمة. كتاب الشذور
كتاب الارتضا في الفرق بين الضاد والظا. كتاب عقد اللآلي. كتاب نكت الامالي
كتاب النافع في قراءة نافع. الاثير في قراءة ابن كثير. المورد الغمر في قراءة ابي عمرو.
الروض الباسم في قراءة عاصم. المزن الهامر في قراءة ابن عامر. الرمزة في قراءة حمزة
تقريب النائي في قراءة الكسائي. غاية المطلوب في قراءة يعقوب. قصيدة النير
الجلي في قراءة زيد بن علي. الوهاج في اختصار المنهاج. النور الاجلي في اختصار المحلي
الحلل الحالية في اسانيد القرآن العالية. كتاب الاعلام باركان الاسلام. نثر
الزهر ونظم الزهر. قطر الحبي في جواب اسئلة الذهبي. فهرست مسموعاتي. نوافث
السحر في دمائث الشعر. تحفة الندس في نحاة الاندلس. الابيات الوافية في
علم القافية. جز في الحديث. مشيخة ابن ابي المنصور. كتاب الادراك للسان الاتراك
زهو الملك في نحو الترك. نفحة المسك في سيرة الترك. كتاب الافعال في لسان
الترك. منطق الخرس في لسان الفرس. **ومما لم يكمل تصنيفه** كتاب مسلك
الرشد في تجريد مسائل نهاية ابن رشد. كتاب منهج السالك في الكلام على الفية
ابن مالك. نهاية الاعراب في علمي التصريف والاعراب. رجز مجاني الهصر في اداب
وتواريخ لاهل العصر. خلاصة التبيان في علمي البديع والبيان. رجز نور الغبش
في لسان الحبش. المجبور في لسان اليحمور. قال لي وكتبه **ابو حيان** محمد بن يوسف
ابن علي بن يوسف بن حيان **وانشدني** الشيخ اثير الدين من لفظه لنفسه في صفات
الحروف

لنا ما وللمستطيل اغن * كلما اشتد صارت النفس رخوه
اهمس القول واجهر بحب * واذا ما انخفضت اظهر علوه
فتح الوصل ثم اطبق بحر * بصفير والقلب فلقل سحوه
لا تذم ثم اغتدي ذا انحراف * وتفشي الستر مذ تكررت نحوه

وانشدني ايضا لنفسه

يقول لي العذول ولم اطعه * تسل فقد بدا للحب لحيه
تخيل انها شانت حبيبي * وعندي انها زين وحليه

وانشدني لنفسه ايضا

شوقي لذاك المحيى الزاهر الزاهي * شوق شديد وجسمي الواهن الواهي
اسهرت طرفي وود لهت الفؤاد مذي * فالطرف والقلب مني الساهر الساهي
نهبت قلبي وتنهى اذا بوح بما * بلقاه واشوقه للناهب الناهي
بهرت كل مليح بالبهاء فما * في النيرين شبيه الباهر الباهي
لهجت بالحب لما ان لهوت به * عن كل شي فويح اللاهج اللاهي

وانشدني من لفظه لنفسه

راض حبيبي

راض حبيبي عارض قد بدا * يا حسنه من عارض رائض
وظن قوم ان قلبي سلا * والاصل لا يعتد بالعارض

وانشدني من لفظه لنفسه

تعشقته شيخا كان مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد
اخا العقل يدري ما يراد من الهوى * امنت عليه من رقيب ومن ضد
وقالوا الورى قسمان في شرعة الهوى * لسود اللحا ناس وناس الى المرد
على انني لو كنت اصبو لامرد * صبوت الى من فيه ما ليس للفرد
وسود اللحا ابصرت فيهم مشاركا * فاحببت ذا شيب يا بيضهم وحدي

وانشدني من لفظه لنفسه

الا يا لها لحظا تقلني عواتبا * اظن بها مما رون اضحنا وثبا
اذا رام ذو وجد سلوا منعنه * ولن علي دين التصابي بواعثا
وقيد من اضحى عن الحب مطلقا * واشرعن للبلوى لمن كان رائثا
بروحي رشي من الخاقان راحل * وان كان ما بين الجوانح لابثا
غدا واحدا في الحسن في الفضل ثانيا * وللبدر والشمس المنيرة ثالثا

وانشدني لنفسه ومن خطه نقلت

اسحر لتلك العين في القلب ام وخز * ولين لذاك الجسم في اللمس ام خز
واملود ذاك القد ام اسمر غدا * له ابدا في قلب عاشقه همز
فتاة كساها الحسن افخر حلة * فصار عليها من محاسنها طرز
واهدى لنا العصن لين قوامه * فما شبكان الغصن حامره العز
يضوع اديم الارض من نشر طيبها * ويخضر من اثارها نزهة الجرز
ويحنو الى برد الشباب اذا مضى * ينهضها قد وبقعدها عجز
اصابت فؤاد الصب منها بنظرة * فلا رقية تجدي المصاب ولا حرز

وانشدني اجازة في مليح ابرص ومن خطه نقلت

وقالوا الذي قد صرت طوع جماله * ونفسك لاقت في هواه نزاعها
برو ضح تاباه نفس اولي النهى * واقطع داء ما يبا في طباعها
فقلت لهم لا عيب فيه يشينه * ولا علة فيه تروم دفاعها
ولكنها شمس الضحى حين قابلت * محاسنه القت عليه شعاعها

وانشدني من لفظه لنفسه في خام

وعلقته مسود عين ووفرة * وثوب بجا في صبغة الفحم عن قصد
كان خطوط الفحم في وجناته * لطاخة مسك في جني من الورد

سال البدر مذ تبدّا اخوه • قلت يا بدر لن يطيق طلوعا •
كيف يبدو وانت يا بدر باد • او تبدرات بطلعان جميعا •
وانشدني من لفظه لنفسه موشحة عارض بها شمس الدين محمد بن التلمساني
عاد لي الامتيف الا ينبي • لو راه الان قد عذرا •
رشاء قد زانه الحور •
غصن من فوقه قمر •
قمر من تحته الشعر •
ثغر في فيه ام درر •
جال بين الدر واللعس • خمرة من ذاقها سكرا •
رجّة بالردف ام كسل •
ريقة بالثغر ام عسل •
وردة بالخد ام خجل •
كحل بالعين ام كحل •
يالها من اعين نعس • جلبت في ناظري سهرا •
مذ نأى عن مقلتي وسني •
ما اذيقا لذة الوسن •
طالما القاه من شجني •
عجبا ضدان في بدني •
بفؤادي جذوة القبس • وبعيني الماء منفجرا •
فاذا تاني الله بالفرج •
قمر قد حل في المهج •
كيف لا يخشى من الوهج •
غيره لو صابر نفسي • ظنه من حره شررا •
نصب العينين لي شركا •
فانثني والقلب قد ملكا •
قمر اضحى له فلكا •
قال لي يوما وقد ضحكا •
انجمي من ارض اندلس • نحو مصر تعشق القمرا •
واما موشحة التلمساني فهو
قمر يجلي دجى الغلس • بهر الابصار مذ ظهرا •

اغن من شيمته الكلف •
دبّ من جنبيه بالكلف •
لم يزل يسعى الى تلف •
بركاب الدل والصلف •
اه لولا اعين الحرس • نلت منه الوصل مقتدرا •
يا اميرا جار مذ وليا •
كيف لا ترثي لمن بليا •
فيستغفر منك تدجليا •
قد حلى طعما وقد حليا •
ومتى او ثبت من كثبي • جذ فما ابقيت مصطبرا •
بدر تم في الجمال سبي •
ولهذا الفتوة سبي •
قد سبا لي لذة الوسن •
بمحيّا باهر حسن •
موحشي وهو مفترسي • فاروعن اعجوبتي خبرا •
لك خدّ يا ابا الفرج •
زين بالتوريد والضرج •
وحديث عاطر الارج •
كم سبى قلبا بلا حرج •
لو راك الغصن لم يمس • او راك البدر لاستترا •
يا مديبا مهجتي كمدا •
فقت بالحسن البدور مدا •
يا كحيلا كحله اعتمدا •
عجبا ان تبري الرمدا •
وبسقم الناظرين كسي • جفنك السحار وانكسرا •
وانشدني من لفظه لنفسه ايضا
اذ كان ليل داج • وحانت الاصباح • فنورها الوهاج • يغني عن المصباح •
سلافة تبدو • كالكوكب الازهر •
مزاجها شهد • وعرفها عنبر •
وحبذا الورد • منها واذا اسكر •
قلبي بها قد هاج • فما تراني صاح • عن ذلك المنهاج • وعن هوى يا صاح •

وبي رشا أهيف · قد لج في بعدي ·
بدر فلا يخسف · منه سنى الخد ·
بلحظه المرهف · يسطو على الأسد ·
كسطوة الحجاج · في الناس والسفاح · فما ترى من ناج · من لحظه السفاح ·
علقته بالمستكي · قلب رشي أحور ·
منعم المسكي · ذو مبسم أعطر ·
رياه كالمسك · وريقه كوثر ·
غصن على رجراج · طاعت له الأرواح · تخبذ الأرداح · إن ميلت الأرواح ·
تهلل با القاسم · على أبي حيان ·
ما إن له عاصم · من لحظه الفتان ·
وهجرك الدائم · قد طال بالهيمان ·
فدمعه أمواج · وسره قد لاح · لكنه ما عاج · ولا أطاع اللاح ·
يا رب ذي بهتان · يعذلني في الراح ·
وفي هوى غزلان · دافعته بالراح ·
وقلت لا سلوان · عن ذاك بالإلحاح ·
سيح الوجوه والتاج · هي منية الأفراح · فاختر لي يا زجاج · قميص الورد وهات أقداح ·

وأنشدني من لفظه لنفسه القصيدة الدالية التي نظمها في مدح النحو والخليل وسيبويه ثم خرج منها إلى مدح صاحب غرناطة وغيره من مشايخه وأولها

هو العلم لا كالعلم شيء تراوده · لقد فاز باغيه وأنجح قاصده ·

وهي قصيدة طويلة تزيد على مائة بيت وحكى لي أن الشيخ أثير الدين رحمه الله ضعف نحو جزء لابن جماعة يعودونه وفيهم شمس الدين بن دانيال فأنشدهم الشيخ رحمه الله تعالى القصيدة المذكورة فلما فرغت قال ابن دانيال يا جماعة أخبركم أن الشيخ قد عوفي وما بقي عليه بأس لأنه لم يبق عنده فضلة قوموا بسم الله وأنشدني من لفظه لنفسه رحمه الله تعالى قصيدته السينية التي أولها

أما جلت ربع حائل الرسم دارسه · كوحي كتاب أضعف الحفظ دارسه ·

انتهى نص الصفدي وما ذكره رحمه الله في موضع ولادة أبي حيان غير ما للعلما ذكره في الوافي أنه ولد بغرناطة إلا أن قوله بمدينة مطخشارش فيه نظر لأنه يقتضي أنها مدينة وليس كذلك وإنما هي موضع بغرناطة ولذا قال الرعيني إن مولد أبي حيان بمطخشارش حصن غرناطة ونحوه لابن جماعة انتهى وهو صريح في المراد وصاحب البيت أدرى على أنه يمكن أن يرد كلام الصفدي لذلك والله أعلم وذكر في الوافي أنه تولى تدريس التفسير بالقبة المنصورية والإقراء بالجامع الأقمر

قال الصفدي

قال الصفدي وقال لي لم أر بعد ابن دقيق العيد أفصح من قراءته وكانت لي عليه قراءات على المقامات الحريرية بمصر جماعة انتهى وما وقع في كلام كثير من أهل المغرب أن أبا حيان توفي سنة ٧٤٣ غير ظاهر لأن أهل المشرق أعرف بذلك إذ توفي عندهم وقد تقدم أنه توفي سنة ٧٤٥ فعلى كلام أهل المشرق في هذا المعول والله أعلم وكانت نضار بنت أبي حيان رحمه الله سمعت بقراءة العلم البرزالي على بعض الشيوخ وحدثت بشيء من مروياتها وحضرت على الدمياطي وسمعت على جماعة وهي بضم النون وتخفيف الضاد وأجاز لها من الغرب أبو جعفر بن الزبير وحفظت مقدمة في النحو ولما توفيت عمل والدها فيها كتابا سماه النضار في المسلاة عن نضار وكان والدها يثني عليها كثيرا وكانت تكتب وتقرأ قال الصفدي قال لي والدها إنها خرجت جزءا لنفسها وإنها تعرب جيدا وأظنه قال لي إنها تنظم الشعر وكان يقول ليت أخاها حيان كان مثلها وتوفيت رحمها الله تعالى في جمادى الآخرة سنة في حياة والدها فوجد عليها وجدا شديدا ولم يتلبث وانقطع عند قبرها بالبرقية ولازمه سنة ومولدها في جمادى الآخرة سنة ٧٠٢ قال الصفدي وكنت بالرحبة لما توفيت فكتبت لوالدها بقصيدة أولها

بكينا بالنجيع على نضار · فسيل الدمع في الخدين جاري ·
فيالله جارية تولت · فنبكيها بأدمعنا الجواري ·

انتهى وقال الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني الأندلسي في برنامجه عند ذكره شيخه أبا حيان زيادة على ما قدمناه ما ملخصه إن أبا حيان قال سمعت بغرناطة ومالقة وبلش والمرية وبجاية وتونس والإسكندرية ومصر والقاهرة ودمياط والمحلة وطهرمس والجيزة ومنية بني خصيب ودشنا وقنا وقوص وبلبيس وبعيذاب من بلاد السودان وينبع ومكة شرفها الله وجدة وأيلة بمتصل من العقبة في كل بلد إلى أن قال وبمكة أبا اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن عبد الله بن عساكر إلى أن قال فهذه نبذة من شيوخي وجملة من سمعت منه نحو خمسمائة والمجيزون لي أكثر من ألف وعدة من كتب القراءات التي أحضر تسعة عشر كتابا وقال في حق ابن المليحي إنه أعلى شيوخي في القراءات وآخر من روى عنه الشيخ أبي الجود غياث بن فارس المنذري اللخمي وأجازته منه سنة ٦٠٥ قال وقرأت البخاري على جماعة أقدمهم إسنادا أبو العز الحراني قرأته عليه بلفظي إلا بعض كتاب التفسير من قوله تعالى ويسألونك عن المحيض إلى قوله سبحانه ولولا فضل الله عليكم ورحمته في سورة النور فسمعته بقراءة غيري قال أنا به أبو المعالي أحمد بن يحيى بن عبد الله الخازن إذنا سماعا عليه سنة ببغداد أنا أبو الوقت بسنده وحمل له رحمه الله جامع الترمذي بين قراءة وسماع على ابن الزبير وبغرناطة وسمعته على محمد بن برجم أنا ابن البنا أنا الكروخي بسنده

وقرأ السنن لأبي داود وبغرناطة على أبي زيد بن عبد الرحمن الربعي عرف بالتنوبشي أنا
به سهل بن مالك وقراءة بالقاهرة على أبي الفضل عبد الرحيم بن خطيب المزة عن
أبي حفص بن طبرزد عن أبي البدر الكرخي ومفلح الرومي عن أبي بكر بن ثابت الخطيب
أنا أبو عمر الهاشمي أنا اللؤلؤي أنا أبو داود وقرأ الموطأ على أبي جعفر بن الطباع
عن أبي القاسم بن بقي عن ابن عبد الحق عن ابن الطلاع بسنده وهذا أعلى سند بوجد
عن يونس بن مغيث في عصره وسمع أبو حيان الأجزاء الخلعيات والغيلانيات
والقطيعيات والنهروانيات والمحامليات والثقفيات وسداسيات
الرازي بعلو قرأها على صفي الدين عبد الوهاب بن الفرات عن أبي الطاهر إسماعيل
وقرأ جزء الأنصاري كاين سابن الخليلي ومتواخر من حدث عنه عن أبي عبد الله الرازي
سماعا وقرأ جزء الأنصاري على أبي بكر بن الأنماطي بسماعه حضورا في الرابعة على أبي
اليمن زيد بن الحسن الكندي نا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزاز سنة ٥٣٣ أنا إبراهيم
إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي قراءة عليه في رجب سنة ٤٤٤ أنا عبد الله بن إبراهيم بن
ماسي نا أبو مسلم الكشي البصري نا محمد بن عبد الله الأنصاري وقرأ جميع كتاب سيبويه
على أبي الحسن بن النحاس المشهور بالنحو في مصر والشام بقراءته على علم الدين أبي محمد القاسم
ابن أحمد بن الموفق بقراءته على التاج أبي اليمن الكندي أنا أبو محمد عبد الله بن علي
ابن أحمد البغدادي مؤلف كتاب المبهج أنا أبو الكرم المبارك بن فاخر بن محمد بن
يعقوب عرف بابن الدباس أنا أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن عمر بن برهان الأسدي
أنا القاسم علي بن عبيد الله الرقيقي نا علي بن عيسى بن عبد الله الرماني أنا أبو بكر
ابن السراج أنا أبو العباس المبرد أنا أبو عمر الجرمي وأبو عثمان المازني قالا أنا
أبو الحسن الأخفش أنا سيبويه قال الشيخ أبو حيان ولا أعلم راويا له بمصر والشام
والعراق واليمن والمشرق غيري وروايته عن الأستاذ أبي علي ابن الصائغ وابن
أبي الأحوص وأبي جعفر اللبلي عن أبي علي الشلوبين وسنده مشهور بالمغرب
ووقع لأبي حيان تساعيات كثيرة وأغربها وقع له ثلاثة أحاديث بينه وبين ٢
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثمانية أخبره المحدث نجيب بن محمد بن أحمد بن محمد
ابن المؤيد الهمداني بقراءته عليه والجليلة السلطانية مؤنسة بنت الملك
العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي قراءة عليها وهو يسمع قالا أنا أبو الفخر أسعد
ابن سعيد بن روح في كتابه أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله بن أحمد الجوزدانية أنا أبو
بكر محمد بن عبد الله بن ريذة الضبي الأصبهاني أنا الحافظ أبو القاسم سليمان بن
أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني نا عبيد الله بن رماحس القيسي برمادة
الرملة سنة ٢٧٤ حدثنا أبو عمرو زياد بن طارق وقد أتت عليه عشرون ومائة
سنة قال سمعت أبا جرول زهير بن صرد الجشمي يقول لما أسرنا رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم يوم هوازن أتيته فقلت

امنن علينا رسول الله في كرم • فإنك المرء نرجوه وننتظر •
امنن على بيضة قد عاقها قدر • مشتت شملها في دهرها غير •
أبقت لنا الدهر هتافا على حزن • على قلوبهم الغماء والغمر •
إن لم تداركهم نعماء تنشرها • يا أرجح الناس حلما حين يختبر •
امنن على نسوة قد كنت ترضعها • إذ فوك تملؤه من محضها الدرر •
إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها • وإذ يزينك ما تأتي وما تذر •
لا تجعلنا كمن شالت نعامته • واستبق منا فإنا معشر زهر •
إنا لنشكر للنعماء إذ كفرت • وعندنا بعد هذا اليوم مدخر •
فألبس العفو من قد كنت ترضعه • من أمهاتك إن العفو مشتهر •
يا خير من مرحت كمت الجياد به • عند الهياج إذا ما استوقد الشرر •
إنا نؤمل عفوا منك تلبسه • هذي البرية إذ تعفو وتنتصر •
فاعفو عفى الله عما أنت راهبه • يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر •

فلما سمع صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وقالت
قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله وقالت الأنصار ما كان لنا فهو لله ولرسوله
قال أبو القاسم الطبراني لا يروى عن زهير إلا بهذا الإسناد تفرد به
عبيد الله بن رماحس وبالإسناد إلى الطبراني أبي جعفر بن حميد بن عبد الكريم
ابن فروخ بن ديزج بن بلال بن سعد بن بلال بن سعد الأنصاري الدمشقي قال حدثني
جدي لأبي عمر بن أبان بن مفضل بن أبان المدني قال أراني أنس بن مالك الوضوء
أخذ ركوة فوضعها عن يساره وصب على يده اليمنى فغسلها ثلاثا ثم أدار الركوة
على يده اليسرى فغسلها ثلاثا وثلاثا ومسح برأسه ثلاثا وأخذ ماء جديدا لصماخيه
فمسح صماخيه فقلت له قد مسحت أذنيك فقال يا غلام إنهما من الرأس ليس هما من الوجه ثم قال يا غلام هل رأيت وفهمت أو أعيد
عليك فقلت قد كفاني وقد فهمت قال فهكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتوضأ قال الطبراني لم يروه عن أبان عن أنس حديثا غير هذا وبالإسناد
إلى الطبراني نا محمد بن أحمد بن يزيد القصاص البصري نا حلو بن دينار بن عبد الله مولى أنس
ابن مالك حدثني أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن رآني
ثم قال الرعيني وتصانيف أبي حيان تزيد على خمسين ما بين طويل وقصير ثم
قال الرعيني وخرج أبو حيان من الأندلس مفتتح سنة تسع وسبعين وستمائة
واستوطن القاهرة بعد حجه وأنشد لشيخه أبي الحسن الدباج

رضيت كفافي رتبة ومعيشة • فلست أسامي موسرا ووجيها •
ومن جرب الدنيا رآها طويلة • فلا بد يوما أن يسيغ فيها •

وانشدنا باسناده لموسى بن ابى تليد

خالى مع الدهر فى تقلبه … كطاير ضم رجله شرك
همته فى خلاص مهجته … يروم تخليصها فتشتبك

ثم اورد الرعينى جملة من نظم الامام ابى حيان منها **قوله**

اريد من الدنيا ثلاثا وانها … لغاية مطلوب لمن هو طالب
تلاوة قران ونفس عفيفة … واكثار اعمال لعلها اواظب

وقوله

ارحت روحى من الايناس بالناس … لما غنيت عن الاكياس بالياس
وصرت فى البيت وحدى لا ارى احدا … بنات فكرى وكتبى من جلاسى

وقوله

وزهدنى فى جمعى المال انه … اذا ما انتهى عندى لفنى فارق العمرا
فلا روحه يوما اراح من الغنى … ولم يكتسب حمدا ولم يدخر اجرا

وقوله

يظن الغمر ان الكتب تجدى … اخا فهم لادراك العلوم
وما يدرى الجهول بان فيها … غوامض حيرت عقل الفهيم
اذا رمت العلوم بغير شيخ … ضللت عن الصراط المستقيم
وتلتبس الامور عليك حتى … تصير اضل من توما الحكيم

وقوله لغزا فى قيراط زاعما انه لا يفك

وما اسم خماسى اذا ما فككته … يصير لنا فعلين امرا وماضيا
بعكس وهو كل وجزء وجمعه … بما بدا لعينيك جارفيه ثنائيا
ومع كونه فردا وجمعا فاول … واخره اضحى لشخص معاديا
وفى عكسه صوت فنبه صغيره … وبعض هجاه وما انت بانيا
فكم فيه من معنى خفى وانما … عنيت بذلك للذى كان خافيا

ثم قال الرعينى وهو شيخ فاضل ما رايت مثله كثير الضحك والانبساط بعيد عن الانقباض جيد الكلام حسن اللقا جميل المؤانسة فصيح الكلام طلق اللسان ذو لمة وافرة وهمة فاخرة له وجه مستدير وقامة معتدلة التقدير ليس بالطويل ولا بالقصير انتهى ما لخصته من كلام الرعينى **ولما** قدم الاستاذ ابو حيان الى مصر اوصى اهله بقوله ينبغى للعاقل ان يعامل كل احد فى الظاهر معاملة الصديق وفى الباطن معاملة العدو فى التحفظ منه والتحرز وليكن فى التحرز من صديقه اشد من التحرز من عدوه وان يعتقد ان احسان شخص اليه وتودده اليه انما هو لغرض قام له فيه يتعلق به بتحصيله على ذلك لا لذات ذلك الشخص

وينبغى

وينبغى ان يترك الانسان الكلام فى ستة اشياء فى ذات الله تعالى وما يتعلق بصفاته وما يتعلق بصفاته وما يتعلق بما جرى للانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وفى التعرض لما جرى بين الصحابة رضى الله عنهم اجمعين وفى التعرض ايضا للايمة المذاهب رحمهم الله ورضى عنهم وفى الطعن على صالحى الامة نفع الله بهم وعلى ارباب المناصب والرتب من اهل زمانه وان لا يقصد اذى احد من خلق الله سبحانه وتعالى الا على حسب الدفع عن نفسه وان يجد الناس فى مباحثهم واذا كانهم فان ذلك على حسب عقولهم وان يضبط نفسه عن المرا والاستهزا والاستخفاف بابنا زمانه وان لا يبحث الا مع من اجتمعت فيه شرايط الديانة والفهم والمرا ولا لما يبحث والا يغضب على من لا يفهم مراده ومن لم يدرك ما يدركه وان يلتمس مخرجا لمن ظاهر كلامه الفساد وان لا يقدم على تخطية احد ببادى الراى وان يترك الخوض فى علوم الاوايل وان يجعل اشتغاله بعلوم الشريعة وان لا يتكبر على الفقرا وليتسلم لهم احوالهم وينبغى للعاقل ان يلزم نفسه التواضع لعبيد الله سبحانه وتعالى وان يجعل نصب عينيه انه عاجز مفتقر وان لا يتكبر على احد وان يقل من الضحك والمزاح والخوض فيما لا يعنيه وان يتظاهر لكل ما يوافقه فيما لا معصية لله تعالى فيه ولا خرم مروة وان ياخذ نفسه باجتناب ما هو قبيح عند الجمهور وان لا يظهر الشكوى لاحد من خلق الله تعالى والا يعرض بذكرا مثله ولا يجرى ذكر حرمة بحضرة جليسه وان لا يطلع احدا على عمل خير يعمله لوجه الله تعالى وان ياخذ نفسه بحسن المعاملة من حسن اللفظ وجميع التغاضى وان لا يركن الى احد الا الى الله تعالى وان يكثر من مطالعة التواريخ فانها تلقح عقلا جديدا والله سبحانه وتعالى اعلم

انتهت وصية ابى حيان الجامعة النافعة وقد نقلها من خط الشيخ العلامة ابى الطيب ابن علوان التونسى المالكى الشهير بالمصرى وهو ممن اخذ عن تلامذة ابى حيان رحمه الله

قلت ومما تضمنه الوصية من نهيه عن الطعن فى صالحى الامة نفع الله بهم وامره بالتسليم لاحوالهم وعدم الانكار عليهم تعلم ان ما نقله الصفدى عنه فيما تقدم من قوله ان الشيخ ابا مدين الخ كلام فيه نظر لانا باحيان رضى الله عنه لا ينكر كرامات الاوليا كيف وقد ذكر رحمه الله منها كثيرا فمن ذلك ما حكى عنه تلميذه الرعينى عنه بسنده الى الفقيه المقرى الصالح ابى تمام غالب بن حسن بن احمد بن سيد بونه الخزاعى حدث انه زار قبر ابى الحسن بن حالوت ولم يكن زاره قبل فاشتبه عليه قبره فسمع النداء من قبر معين يا غالب ها هنا تعنى وما زرتنى قرار ذلك القبر وقعد عنده ثم جا ابن ابى الحسن المذكور فسالته عن القبر فقال هو الذى قعدت عنده وغالب هذا وابن حالوت هما من اصحاب الشيخ ابى احمد جعفر بن سيد بونه الخزاعى وهو من اصحاب الشيخ ابى مدين انتهى فكيف ينكر ابو حيان كرامات الصالحين وهو يوصى على النهى عن الطعن فيهم ويحكى كراماتهم نعم قول الصفدى قبل ذلك الكلام انه كان ينكر على فقرا ادا الوقت كلام صحيح فى الجملة

لكثرة الدعاوى الباطلة ممن يلبس من اهل الصلاح واما انكار الكرامات مطلقا فمقام ابي حيان يجل عن انكارها والله اعلم وقد اورد ابن جماعة لمن قطعة قوله في اهل عصره

ومن يك يدعي منهم صلاحا . فزنديق تغلغل في الضلال .

واول هذه القطعة

حلبت الدهر اشطره زمانا . واغناني العيان عن السؤال .
فما ابصرت من خل وفي . ولا الفيت مشكور الخلال .
ذياب في ثياب قد تبدت . لرائيها باشكال الرجال .
ومن يك يدعي منهم صلاحا . فزنديق تغلغل في الضلال .
ترى الجهال تتبعه وترضى . مشاركة باهل او بمال .
فينهب مالهم ويصيب منهم . نساءهم بمغبوح الفعال .
وتاخذها لزورا فيرمي . بما منه ويهرب في الرمال .
ويجرون النبوس وراء رجس . تغرمط في العقيدة والمقال .

اي اعتقدوا اراء القرامطة ومذهبهم مشهور فلا نطيل به فظهر بما ذكرنا ان ابا حيان انما انكر على اهل الدعاوى لا على غيرهم والله اعلم وقد اورد قاضي القضاة ابن جماعة للشيخ ابي حيان من النظم غير ما قدمناه ذكره **وهو قوله**

اما انه لولا ثلاث احبها . تمنيت اني لا اعد من الاحيا .
فمنها رجاي ان افوز بتوبة . تكفر لي ذنبا وتنجح لي سعيا .
ومنهن صون النفس عن كل جاهل . لئيم فلا امشي الى بابه مشيا .
ومنهن اخذي بالحديث اذا الورى . نسوا سنة المختار واتبعوا الراي[a] .
انترك نصا للرسول وتقتدي . بشخص لقد بدلت بالرشد الغيا .

وقوله

سال في الخد للحبيب عذار . وهو لا شك سايل مرحوم .
وسالت النثام فيحني . فانا اليوم سايل محروم .

وقوله

امر عيا علما ولست بقاري . كما بال شيخ به يبتهل الحزن .
اتزعم انا الذهن يوضح مشكلا . بلا موضح كلا لقد كذب الذهن .
وان الذي تبغيه دون معلم . كموقد مصباح وليس له دهن .

وقوله . عداتي اليتيمين **قال** واخذ هذا المعنى من قول الطغرائي

من خص بالود الصحاب فانني . احبو بخالص ودي الاعداء .
جعلوا التنافس في المعالي ديدني . حتى وطئت باخمصي الجوزاء .

ونعوا الى

340

ونعوا الى مثالبي لتحذرنها . ونفيت عن اخلاقي الاقذاء
ولربما انتفع الفتى بعدوه . كالسم احيانا يكون دواء

ومن نظم ابي حيان

جننت بها سوداء لونا وناظرا . وبا طالما كان الجنون بسوداء
وجدت بها برد النعيم وان يكن . فوادي منها في جحيم ولاواء
وشاهدت معنى الحسن فيها فها انا . فاعجب لمعنى صار جوهر اشياء
اطاعته من قدها بمثقف . اصيب اعين الفتى ليس حضداء
لقد طعنت القلب ساه فما له . لقد منها ام بمعنة سمراء

جننت بها سوداء شعرا وناظرا . وسمراء لونا تزدري كل بيضاء

وقال يهني قال ابن جماعة خاطبني به ابن خلاعند ولادة ابني عمر بعد بنتين

حبيت بريحانتي روضة . وبعدهما جاء نجل اغر
وسميته اسم امام اذا . راه ابو مرة منه فر
ولا عجب منك عبد العزيز . اذا كان نجلك يسمى عمر
تفرعتما من امام الهدى . وبدر الدجى ورئيس البشر
فلا زال يوضح سبل الهدى . ولا زلتما تقفوان الاثر

وقال

لقد زادني علما تجاربي[b] . ومن جرب الايام مثلي تعلما
واني وتطلابي من الناس راحة . لكالمبتغي وسط الجحيم تنعما
سار مدحتي لا ارى لي صاحبا . والجد حتى لا الفي متهما

ابن جماعة وقال في املاك علي بن قاضي القضاة شمس الدين السروجي الحنفي وكان جميل الصورة على اخته شقيقتي فاطمة

هنيئا لنا ليف غريب نظامه . لقد حار في اوصافه نظم عارف
غدت شمس حسن بنت بدر سيادة . تزف لبدر نجل شمس معارف
سمبا زللزهر ما البنود وللرضى . على وجلا الاكرمين الغطارف
فدام على عالي الجد سيدا . ولا زال في ظل من العيش وارف

وقال يخاطب شيخه ابن النحاس وقد اغبت زيارته

لعين حياتي والذي بنفاسه . بقاي لقد اصبحت نحوك شيقا
اقمت لقلبي غير ان لمقلتي . بروبتك الحظ الذي يذهب الشقا
وما كان ظني انك الدهر تاركي . ولو انني اصبحت بين الورى لقى
لطايف تغني في العيان ولم تكن . لتدرك الا بالتزاور واللقا

[a] Marginal note: الراي
[b] Marginal note: في الناس

وقال يخاطب قاضي القضاة شمس الدين السروجي الحنفي وقد اعيد الى منصب القضا وكان يتطلع اليه رجل يدعى بنجم الدين

ذووا العلم في الدنيا نجوم زواهر   وانت فيها الشمس خفا بلا لبس
اذا الحت اخفى نوركم كل منير   الم تر ان النجم يخفى مع الشمس

لم اوخر عن مزاجب كتابي   لقلى فيه او لترك هواه
غير اني اذا كتبت كتابا   غلب الدمع مقلتي فمحاه

وقال

تذكرى للبلى في قعر مظلمة   اصارني زاهدا في المال والرتب
اني استر بحال سوف اسلبها   عما قريب واني رهن الترب

انبت وما ادعى واقبلت سامعا

يراجع الاصل

وقال

لنا غرام شديد في هوى السود   نختار من على بيض الطلا الغيد
لون به اشرفت ابصارنا وحكى   في اللون والعرف نفح المسك والعود
لا شي احسن من اشن تركبه   في ابنوس ولا اشفى لمبرود
لانت بيضا لون الجص واسم الى   سودا احسنا لون الاعين السود
في جيدها غيد في قدها ميد   في خدها صيد من سادة صيد
من الحام حمت قلبي بها رجوى   من هجرها وابتلت عيني بتسهيد

اذا مال الفتى للسود يوما   فلا راي لديه ولا رشاد
انهوى خنفسا كان زنجا   كسا جلدا لها وهوا السواد
وما السودا الا قدر فدر   وكانون وفحم او مداد
وما البيضا الا الشمس لاحت   تنور العين منها والفواد
سبيكة فضة حسبت بورد   بها لتسهد معها والرقاد
وبين البيض والسودا فرق   لذي عقل به انفتح المراد
وجوه المومنين لها ابيضاض   ووجها لكافرين به اسوداد

وقال رحمه الله تعالى

اعاذلة ذرني وانفرادي عن الورى   فلست ارى فيهم صديقا مصافيا

ندامای كتب استفيد علومها   احباي تغني عن لقاء الاعاديا
وانسها القران فهو الذي به   نجاتي اذا فكرت او كنت ناسيا
لقد جلت في شرق البلاد وغربها   انقب عمن كان لله داعيا
فلم ار الا طالبا لرياسة   وجماع اموال وشيخا مرائيا
فبغضت بدى عيشهم واثرت عزلة   عن الناس واستغنيت بالله كافيا

الغربة جماعة وخاطب والده وقد انا من ضعف اشبع فيه موته
مهنيا له

اذام الاله لك العافية   وصير دور العدا عافية
اذا لاح من بدركم نوره   فكل النجوم به خافية
تحدث كلام الاله الذي   فابانه كانت الشافية
تشوقنا سر لمنصبكم   وزمنهم للعلى نافية
فابن العلوم وابن الحلوم   وخلق مواردة صافية
اذا كان خرق تداركته   ولبس لما مزقت رافية
فان عن خطب تبنيه له   واراهم عنده هافية
سجاياك للبر ورفق بنا   واخلاقهم كلها جافية
تفضل على شيعة منهم   وتامنهم نفسه طافية
يقيمون في تربهم همدا   وتسقي على قبرهم سافية
فلا زلت في صحة دايما   تجردنا لثنا صافية
ويورثك الله عين الحيا   ة فتحيي بها مائة وافية
فان زاد عشرا فذاك المنى   وعشرين ابضا هي الكافية
ومدى القوافي انت كملا   فلم تبق لي بعدها قافية

خلق الانسان في كبد   بوجود الاهل والولد
كل عضو فيه نافعه   غير عضو ضر للابد
منتج ذلا وفقد غنى   وقرا حاجته العدد
من يمت منهم يذق اسى   او يعش لقاه في نكد
عاش في امن فتى عزب   مستريح الفكر والجسد

جفن غيري بعارض فيرحي   امله ان يفيق عما قريب
وفوادي بعارضين مصاب   فهو دا اعيى دوا الطبيب

سعت جنة من شعره نحو صدغه ... وما الفضل من خده ازدا عجب
واعجب من ذا ان سلسال ريقه ... برود ولكن شب في قلبي اللهب

طالع تواريخ من في الدهر قد وجدوا ... تجد خطوبا تسلي عنك ما تجد
تجد ملوكا بريهم قد جرعوا غصصا ... مثل الرزايا بهاكم فتتت كبد
عز وذل ونهب وضرب بالسباط وحبس ثم قتل ... وتشريد لمن ولد
واذا وفيت بحمد الله شرهم ... فليحمد الله فالعقبى لمن حمدوا

وقال رحمه الله يمدح البخاري وكتابه الصحيح

اسامع اخبار الرسول لك البشرى ... لقد سدت في الدنيا وقد فزت في الاخرى
تشنف اذانا بعقد جواهر ... تود الغواني لو تقلدن النحرا
جواهر كم حلت نفوسا نفيسة ... فحلت بها صدرا وحلت بها قدرا
هل الدين الا ما روته اكابر ... لنا نقلوا الاخبار عن طيب خبرا
وادوا احاديث الرسول مصونة ... عن الزيف والتصحيف فاستوجبوا الشكرا
وان البخاري الامام لجامع ... بجامعه منها اليواقيت والدرا
على مفرق الاسلام تاج مرصع ... اضاء به شمسا ونار به بدرا
وبحر علوم يلفظ الدر لا الحصى ... فانفس بها درا واعظم به بحرا
نضا بنيغر نور ونور لناظر ... فقد اشرقت زهرا وقد اينعت زهرا
محاسنه المختار ينتظم شنها ... يلخصها جمعا ويخلصها تبرا
وكم بذل النفس المصونة جاهدا ... فجاز لها بحرا وجاب لها برا
فطورا عراقيا وطورا يمانيا ... وطورا حجازيا وطورا الى مصرا
الى ان حوى منها الصحيح صحيحه ... نوافا كتابا قد غدا لا ينه الكبرى
كتاب له من شرع احمد شرعة ... مطهرة تغلوا ليتما كبر والنشرا

قلت وتتصل روايتي عن الامام ابي حيان من طرق عديدة منها عن عمي ولي الله العارف به شيخ الاسلام مفتي الانام الخطيب الامام ملحق الاحفاد بالاجداد سيدي سعيد بن احمد المقري التلمساني عن شيخه العالم ابي عبد الله التنسي عن والده حافظ عصره سيدي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي ثم التلمساني الاموي عن عالم الدنيا عبد الله بن مرزوق عن جده الرئيس الخطيب سيدي ابي عبد الله محمد بن مرزوق عن الاثير ابي حيان بكل مروياته ومنها انا ابا حيان قال ثنا ابن ابي الاحوص عن قاضي الجماعة ابو القاسم احمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن احمد بن محمد بن احمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن احمد بن بقي بن مخلد بن يزيد القرطبي عن ابيه عن ابيه عن ابيه عن ابيه عن ابيه عن ابيه عن ابيه عن ابيه عن ابيه الامام بقي بن مخلد عن ابي بكر المقدمي عن عمر

ابن علي

ابن علي وعبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن رافع عن عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين احدهما يدعون الله ويدعون اليه والاخر يتعلمون العلم ويعلمونه فقال كل المجلسين خير واحدهما افضل من الاخر اما هولاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل فهم افضل واما هولاء فيدعون الله ويرغبون اليه ان شاء اعطاهم وان شاء منعهم وانا بعثت معلما ثم جلس معهم قال ابو حيان قلت لا اعرف حديثا اجتمع فيه رواية الابن عن الاب بعدد ما اجتمع في هذا الحديث انتهى ومنها اخبرنا به ابو الحسن محمد بن محمد بن الحسن بن ماسه بقراءتي عليه انا ابو المعالي ابو بكر بن عبد الله بن محمد بن سابور القلانسي انا ابو المبارك عبد العزيز ابن محمد بن منصور الشيرازي انا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي سمعت ابي ابا الفرج عبد الوهاب سمعت ابي ابا الحسن عبد العزيز سمعت ابي ابا بكر الحارث يقول سمعت ابي الاسد يقول سمعت ابي الليث يقول سمعت ابي سليمان يقول سمعت ابي الاسود يقول سمعت ابي سفيان يقول سمعت ابي يزيد يقول سمعت ابي اكينة يقول سمعت ابي الهيثم يقول سمعت ابي عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما اجتمع قوم على ذكر الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة قلت قال الحافظ ابن حجر في فوائده في تمام حديث فيه من عدد الاباء اكثر من هذا انتهى ورايت بخط الحفاظ على قوله ابي اكينة ما صورته صوابه اكينة انتهى فليحرر ومنها انا ابا حيان قال نا الاستاذ ابو جعفر ابن الزبير صاحب الصلة نا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن احمد الازدي نا عبد الله بن محمد بن حسن بن عطية ح قال ابو حيان وانا الاصولي ابو الحسين بن العاصي ابي عامر بن ربيع الاشعري عن ابي الحسن احمد بن علي الغافقي قال نا عياض ح وكتب لنا الخطيب ابو الحجاج يوسف بن ابي ركانة عن القاضي ابي القاسم احمد بن عبد الودود بن سمحون عن عبد الله بن عطية قال هو وعياض نا القاضي ابو بكر بن العربي انا ابو محمد هبة الله الاكفاني قال الحافظ عبد العزيز الكتاني الدمشقي نا عصمة بن نوح الفرغاني قال سمعت ابا المظفر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن قتيبة الخزرجي وابا بكر محمد بن عيسى البخاري قالا سمعنا ابا ذر عمار بن محمد بن مخلد التميمي يقول سمعت ابا المظفر محمد بن احمد بن حامد بن الفضل البخاري يقول لما عزل ابو العباس الوليد بن ابراهيم بن يزيد الهمداني عن قضاء الري ورد بخارى بسلسله لتجديد مودة كانت بينه وبين ابي الفضل البلعمي فنزل في جوارنا فحملني معلمي ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الختلي اليه فقال له اسالك ان تحدث هذا الصبي بما سمعته من مشايخك فقال ما لي سماع فقال وكيف وانت فقيه فما هذا قال لاني لما بلغت مبلغ الرجال تاقت نفسي الى طلب الحديث ورواية الاخبار وسماعها فقصدت محمد بن اسماعيل البخاري ببخارى صاحب التاريخ

المنظور اليه في علم الحديث واعلمته مرادي وسالته الاقبال على ذلك فقال لي
يا بني لا تدخل في امر الا بعد معرفة حدوده والوقوف على مقاديره فقلت عرفني
رحمك الله حدود ما قصدتك له ومقادير ما سالتك عنه فقال اعلم
ان الرجل لا يصير محدثا كاملا في حديثه الا بعد ان يكتب اربعا مع اربع كاربع
مثل اربع في اربع عند اربع باربع على اربع عن اربع لاربع وكل هذه الرباعيات
لا تتم الا باربع مع اربع فاذا تمت له كلها هان عليه اربع وابتلي باربع فاذا صبر
على ذلك اكرمه الله تعالى في الدنيا باربع واثابه في الاخرة باربع قلت
له فسر لي رحمك الله ما ذكرت من احوال هذه الرباعيات من قلب صافي بشرح كافي
وبيان شافي طلبا للاجر الوافي فقال نعم الاربع التي يحتاج الى كتبها هي اخبار
رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرايعه والصحابة رضي الله عنهم ومقاديرهم والتابعين
واحوالهم وساير العلما وتواريخهم مع اسما رجالهم وكناهم وامكنتهم وازمانهم
كالتحميد مع الخطب والدعا مع التوسل والبسملة مع السورة والتكبير مع
الصلوات مثل المسندات والمرسلات والموقوفات والمقطوعات في صغره وفي
ادراكه وفي شبابه وفي كهولته عند فراغه وعند شغله وعند فقره وعند غناه
بالجبال والبحار والبلدان والبراري على الاحجار والاخزاف والجلود والاكتاف
الى الوقت الذي يمكنه نقلها الى الاوراق عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه
وعن كتاب ابيه يتيقن انه بخط ابيه دون غيره لوجه الله تعالى طلبا لمرضاته والعمل
بما وافق كتاب الله عز وجل منها ونشرها بين طالبيها ومحبيها والتاليف في
احيا ذكره بعده ثم لا تتم له هذه الاشيا الا باربع هي من كسب العبد اعني معرفة
الكتابة واللغة والصرف والنحو مع اربع هي من اعطاء الله تعالى اعني القدرة
والصحة والحرص والحفظ فاذا صحت له هذه الاشيا كلها هان عليه اربع الاهل
والولد والمال والوطن وابتلي باربع بشماتة الاعدا وملامة الاصدقا وطعن
الجهلا وحسد العلما فاذا صبر على هذه المحن اكرمه الله جل وعلا في الدنيا باربع
بعز القناعة وبهيبة النفس وبلذة العلم وبحياة الابد واثابه في الاخرة باربع
بالشفاعة لمن اراد من اخوانه وبظل العرش حيث لا ظل الا ظله ويسقي من اراد من
حوض نبيه صلى الله عليه وسلم وبجوار النبيين في اعلى عليين في الجنة فقد اعلمتك
يا بني بمجملات جميع ما سمعت من مشايخي متفرقا في هذا الباب فاقبل الان الى ما قصدتني
او دع فهالني قوله فسكت متفكرا واطرقت متادبا فلما راى ذلك مني قال وان
لم تطق حمل هذه المشاق كلها فعليك بالفقه يمكنك تعلمه وانت في بيتك قار
ساكن لا تحتاج الى بعد الاسفار ووطي الديار وركوب البحار وهو ذا ثمرة الحديث
وليس ثواب الفقيه دون ثواب المحدث في الاخرة ولا عزه باقل من عز المحدث فلما سمعت

ذلك

ذلك نقص عزمي في طلب الحديث واقبلت على دراسة الفقه وتعلمه الى ان صرت
فيه متقدما ووقفت منه على معرفة ما امكنني من علمه بتوفيق الله تعالى ومنته
فلذلك لم يكن عندي ما امليه لهذا الصبي يا ابا ابراهيم فقال له ابو ابراهيم ان
هذا الحديث الواحد الذي لا يوجد عند غيرك خير للصبي من الف حديث يجده عند
غيرك انتهى وجا ابو حيان الى ابن تيمية والمجلس غاص فقال يمدحه ارتجالا

لما اتينا تقي الدين لاح لنا ... داع الى الله فرد ما له وزر
على محياه من سيما الالى صحبوا ... خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حبرا ... بحر تقاذف من امواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا ... مقام سيد تيم اذ عصت مضر
فاظهر الحق اذ اثاره درست ... واخمد الشر اذ طارت له الشرر
كنا نحدث عن حبر يجي فها ... انت الامام الذي قد كان ينتظر

ثم انحرف ابو حيان فيما بعد عن ابن تيمية ومات وهو على انحرافه ولذلك اسباب
منها انه قال له يوما كذا قال سيبويه فقال يكذب سيبويه فانحرف عنه رحمه الله
الجميع وحضر الشيخ ابو حيان مع ابن بنت الاعز في الروضة فكتب الى ابي حيان ووجهه
مع بعض غلمانه

حييت اثير الدين شيخ الادبا ... افضى خفا له كما قد وجبا
صب فتى بطاق ابن نصر كالغد ... بدا مليت منه طربا

فاجاب

اهدى لنا غصنا من ناضر الاس ... افضى القضاة خليف الجود والباس
لما راى سقمي امداه مع رشا ... حلو التثني فكان الشافي الاسي

ولما انشد الشيخ ابو حيان قول نور الدين العصري في روضة مصر

ذات وجهين فيهما قسم الحسن ... فاضحت بها القلوب تهيم
ذا يلي مصر فهو مصر وهذا ... يلي النيل فهو ايضا نسيم
فاذا عادت عصر النضا في صيامها ... وابادت فيها الهموم الغيوم

فبنج البحار بسيح بوت ... وبفج القفار بسيح ريم

قال ابو حيان وكنت ماشيا بين القصرين مع ابن النحاس فعبر علينا صبي يدعى بجمال
وكان مصارعا فقال لي ابن النحاس لينظم كل منا فيه

مصارع تصرع الاساد سمرته ... تيها فكل مليح دونه همج
لما غدا راجحا في الحسن قلت لهم ... عن حسنه حدثوا عنه ولا حرج

سباني جمال من مليح مضارع • عليه دليل للملاحة واضح •
لئن عز منه المثل فالكل دونه • وان خف منه الخصر فالردف راجح •

وسمع الغرازي نظمنا فقال وانشدنيه

هل حكم ينصفني في هوى • مضارع يضرع اسدا لشرا •
مذ فر عني الصبر في حبه • حلى عليه مدمعي ما جرى •
اباح قتلي في الهوى عامدا • وقال الحكم عاشق في الورى •
رميته في اسر حبي ومن • اجفان عينيه اخذت الكرى •

وقال لسان الدين في الاحاطه كان اثير الدين ابو حيان نسيج وحده في ثقوب الذهن وصحة الادراك والاضطلاع بعلم العربية والتفسير وطريق الرواية امام النحاة في زمانه غير مدافع نشأ في بلده غرناطة مشارا اليه في التبريز بميدان الادراك وتعبير السوابق في مضمار التحصيل ونالته نبوة لحق بسببها بالمشرق واستقر بمصر فنال بها ما شاء من عز وشهرة وتأثل وافر وحظوة واضحى لمن حل بساحته من المغاربة ملجأ وعدة وكان شديد البسط مهيبا جهوريا مع الدعابة والغزل وطرح التسمت شاعرا مكثرا مليح الحديث لا يمل وان طال واسن جدا فانتفع به قال لي بعض اصحابنا دخلت عليه وهو يتوضأ وقد استند على احدى رجليه لغسل الاخرى كما تفعل الكركي والاوز فقال لي لو كنت اليوم جارشكير ما تركني لهذا العمل في هذا السن ثم قال بعد كلام حدثنا عنه الجملة الكثيرة من اصحابنا كالحاج ابي يزيد خالد بن عيسى والمقرئ الخطيب ابي جعفر الشقوري والشريف ابي عبد الله ابن راجح وشيخنا الخطيب ابي عبد الله بن مرزوق قال نا شيخنا ابو حيان في الجملة سنة ٧٣٥ بالمدرسة الصالحية بين القصرين بمنزله نا الاستاذ ابو جعفر ابن الزبير سماعا من لفظه وكتبته من خطه بغرناطة عن الكاتب ابي اسحاق بن عامر الهمداني الطوسي بفتح الطا نا ابو عبد الله بن محمد العنسي القرطبي وهو اخر من حدث عنه انا ابو علي الحسن بن محمد الحافظ الجياني نا حكم بن محمد نا ابو بكر بن المهند نا عبد الله بن محمد نا طالوت بن عباد بن نصال بن جعفر سمعت ابا امامة الباهلي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اكفلوا لي بست اكفل لكم الجنة اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا اؤتمن فلا يخن واذا وعد فلا يخلف غضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم ثم قال ابن الخطيب انا باجيا ابن حمله حدته الشبيبة على التعرض للاستاذ ابي جعفر الطباع وقد وقعت بينه وبين استاذه ابن الزبير الوحشة فنال منه وتصدى للتاليف في الرد عليه وتكذيب روايته فرفع امره للسلطان فامتعض له ونفذ الامر بتنكيله فاختفى ثم جاز البحر مختفيا ولحق بالمشرق يلتفت خلفه ثم قال وشعره كثير يتصف بالاجادة

وضدها

ومن مطولاته قوله

لا تعذلاه فما ذو الحب معذول • العقل مختبل والقلب متبول
هزت له اسمرا من خوط قامتها • فما انثنى الصب الا وهو مقتول
جميلة فصل الحسن البديع لها • فكم لها جمل منه وتفصيل
فالنحر مرمرة والنشر عنبرة • والثغر جوهرة والريق معسول
والطرف ذو غنج والعرف ذو ارج • والخصر مختطف والمتن مجدول
هيفاء ينطق في الخصر الوشاح لها • ودما تخرس في الساق الخلاخيل
من اللواتي غذاهن النعيم فما • يشقين يوما وما الصبر لديهما

الى ان قال وقوله

نور بخدك ام توقد نار • وضنى بجفنك ام فتور عقار
وشذى بريقك ام نوافح مسكة • وسنى بثغرك ام شعاع دراري
جمعت معاني الحسن فيك فقد عدت • فيدا القلوب وفتنة الابصار
متنصا وتخفر اذا ناطقته • اغضى حياء في سكون وقار
في وجهه زهرات روض تجتلى • من نرجس مع وردة وبهار
خاف اقتطاف الورد من وجناتها • فادار من آس سياج عذار
وتسلسلت نمل العذار بخده • ليردن شهدة ريقه المخطار
وبخده نار حمتها ورده • فوقفن بين الورد والاصدار
كم ذا اوارى في هواه محبتي • ولقد وشى في فيه فرط اوار

وقال ابن رشيد حدثنا ابو حيان قال حدثنا التاجر ابو عبد الله الرحوي بمدينة عيذاب من بلاد السودان ورحوه قرية من قرى دار السلام وقال كنت بجامع ظفار من بلاد الهند ومعنا رجل مغربي اسمه يونس فقال لي اذكر لنا شيئا مما له قال علي رضي الله عنه اذا وضع الاحسان في الكريم اثمر خيرا واذا وضع في اللئيم اثمر شرا كالغيث يقع في الاصداف فيثمر الدر ويقع في فم الافاعي فيثمر السم فما راعنا الا ويونس المغربي قد انشد لنفسه

صنائع المعروف ان اودعت • عند كريم زكت النعمى
وان تكن عند لئيم غدت • مكفورة موجبة اثما

قال ابو حيان فلما سمعت هذه الابيات نظمت معناها في بيتين وهما

اذا وضع الاحسان في الخب لم يفد • سوى كفره والحر يجزي بشكرا
كغيث سقى افعى فجادت بسمها • وصادف اصدافا فاثمرت الدرا

قال ابو حيان وانشدنا الامير بدر الدين ابو المحاسن يوسف بن سيف الدولة ابي المعالي بن رماح الهمداني لنفسه بالقاهرة

فلا تعجب لحسن المدح مني   صفاتك اطربت حكم البوادي
وقد تبدي لك المراة شخصا   ويسمعك الصدى ما قد تنادي

وبعد كتبي ما نقله ابن رشيد عن ابي حيان رايت لبعضهم ان ابا حيان هذا الذي ذكره ابن رشيد ليس هو ابا حيان النحوي الاندلسي وانما هو شخص اخر وفيه عندي نظر لا يخفى والذي اعتقده ولا ارتاب فيه انه ابا حيان النحوي وقال ابن رشيد

انشدني ابو حيان لنفسه

اذا غاب عن عيني اقول سلوته   وان لاح حالا للون فاضطرب القلب
تهيجني عيناه والمبسم الذي   به المسك منظوم به اللؤلؤ الرطب

وقال الشريف ابن راجح رايت ان ما وضعه الشيخ ابو حيان في تقدم لسان الاتراك تضييع لعمره

وقلت

تقابيس الاعمار انفقتها   انا وامثالي على غير شي
شيوخ سوء ليس يرضى بما   يرضى به من الحجازي صبي

ومن نظم ابي حيان قوله

ان علما نعيت فيه زماني   باذلا فيه طارفي وتلادي
لجدير بان يكون عزيزا   ومصونا الا على الاجواد

وقوله رحمه الله

وما لك والاتعاب نفسا شريفة   وتكليفها في الدهر ما ليس يعذب
ارحها فعن قرب تلاقي حمامها   فتنعم في دار البقا او تعذب

واستشكل مبدانا البيتان بان ظاهرهما خلاف الشرع واجيب بان مراده اترك الزوائد لا ما امر الشرع بالتكليف وافاد غيره واحد ان سبب رحلة الشيخ ابي حيان عن الاندلس انه نشا شر بينه وبين شيخه احمد بن علي الطباع فالف ابو حيان كتابا سماه الالماع في افساد اجازة ابن الطباع فرفع ابن الطباع امره الى الامير محمد بن نصر المدعو بالفقيه وكان ابو حيان كثير الاعتراض عليه ايام قراءته عليه فنشا شر عن ذلك وذكر ابو حيان انه لم يفتر نفاس الا ثلاثة ايام وادرك فيها ابا القاسم المريائي وخرج ابو حيان من الاندلس ٦٧٩ هـ وكان جماعة من اعلام الاندلس حلوا منها لما وصلوا الى العدوة اقاموا بها ولم يذهبوا الى البلاد المشرقية منهم الشيخ النحوي الناظم الناثر ابو الحسن حازم بن محمد القرطاجني وهو القائل يمدح امير المومنين المستنصر بالله صاحب تونس

امن بارق اورى بجنح الدجى سقطا   تذكرت من حل الاجارع فالسقطا
وبان ولكن لم يبن عنك ذكره   وشط ولكن طيفه عنك ما شطا
حبيب لو ان البدر جاراه في مدى   من الحسن لاستولى على البدر واشتطا

اذا

اذا انتجعت معنى خصيبا ركابه   غدا الحظ عيني يستكي الجدب والقحطا
لقد اسرعت عيس المطي بشادن   تسرع في قتل النفوس وما ابطا
ظننت العلى دار ابن ذي يزن بها   وخلت المحاريب الهوادج والغبطا
فكم دمية للحسن فيها وصورة   تروق وتمثال من الحسن قد خطا
حمائل لاحت كالخمائل بهجة   سقيط الحيى فيهن لا يستام السقطا
توشد بحر لان لا وانس والمها   به الوشي والديباج لا السدر والارطا
ولم يسب قلبي غير ابهرها سنى   واطولها جيدا واخفقها قرطا
ابا ربة الاحداج سيري فتخلي   وما بك جهل ان سهمك ما اخطا
ففي تستبيني ما بعينيك من عمى   لجسمي وعنوان الهوى فيه مختطا
فلم ار اعدى منك لحظا وناظرا   لقلبي ولا اعدى عليه ولا اسطى
سقى الله عيشا قد سقانا من الهوى   كؤوسا بمعسول اللمى خلطت خلطا
وكم جنة قد زرت في ظل كافر   فلم اجز ما اولاه كفرا ولا غمطا
وكم ليلة قاسيتها نابغية   الى ان بدت شيبا ذوائبها شمطا
وبت اظن الشهب مثلي لها هوى   واغبطها في طول الفتها غبطا
على انها مثلي عن بزة مطلب   ومن ذا الذي ما شاء من دهره يعطى
كان الثريا كاعب ازمعت نوى   وامت باقصى الغرب منزلة شحطا
كان نجوم الهقعة الزهر هودج   لها عن ذرى الحرف المناخة قد حطا
كان رشا الدلو رشوة خاطب   لها جعل الاشراط في مهرها شرطا
كان السهى قد دق من فرط شوقه   اليهما كما قد دق الكاتب النقطا
كان سهيلا اذ تنات وانجدت   غدا ما تبا فانتهم وانحطا
كان خفوق القلب قلب متيم   تخدى عليه الدهر في البين واشتطا
كان كلا النسرين قد ريع اذ راى   هلال الدجى يهوى له مخلبا سلطا
كان الذي ضم الغوادم منهما   هوى واقعا للارض او قص او قطا
كان اخاه رام فوتا امامه   فلم يبعد ان مد الجناح وان مطا
كان بياض الصبح معصم غادة   جنت يدها ازهار زهر الدجا لقطا
كان ضياء الشمس وجه امامنا   اذا ازداد بشرا في الوغى وادا اعطى
محمدا الهادي انطق الورى   ثناء بما اسدى اليهم وما اعطى
امام غدى شمس المعالي وبدرها   وقد اصبحت زهر النجوم له رهطا
جميل المحيا مجمل طيب ذكره   يعاطي سرورا كالحميا وينشطا
اذا ما الزمان الجعد ابدا تجهما   وان الجبا الطلق والخلق السبطا
كلا ابي حفص نماه الى العلا   فاصبح عن مرقاته النجم منحطا

ببسماه تدري ان كعبا جدوده   وان نمو لم يبد كرزاحا ولا قرطا
اذا قبض الروع الوجوه فوجهه   بريد لكون النصر نصلا له بسطا
به تترك الابطال صرعى لذى الوغا   كان قد سقوا من خمر بابل اسفنطا
تراه اذا يعطي الرغائب باسما   لرجد لري على جدل المقحطا
وكم عنق قد قلدت بنواله   فريدا وقد كانت قلائدها لطا
متى ما يفق جود الكرام بجوده   فيا البحر قايس بين الوقبة والوقطا
يشف له عن كل غيب حجابه   فتخشيه دون المحجب ما لطا
تطيع الليالي امره في عصاته   وترزى اعاديه اساودها نسطا
وتمضي عليهم سيفه وسنانه   فتبرى الكلى طعنا وتفري الطلى قطا
فكيف ترجى عزة منه فرقة   غدا عزها ذلا ورفعتها هبطا
وكم بالنهى والحلم غطي عليهم   الى ان جنوا ذنبا على العلم قد غطا
فانطاهم ذمتهم الحديد وصالما   ابا لهم ذمم الجياد وما امطا
ورام لهم هديا ولكنهم ابوا   بغيهم الا الضلالة والخبطا
وكان لهم يبتغي المثوبة والرضى   ولكن ابوا الا العقوبة والسخطا
ولو قوبلت بالشكر منه مآرب   لما اعتاض منها   الاثل والخمطا
هو الناصر المنصور والملك الذي   اعاد شباب الدهر من بعد ما اشمطا
اصاخت له الايام سمعا وطاعة   واحكمت الدنيا له عهدها ربطا
فلا بد من ان يملك الارض كلها   وان تملا الدنيا ايالته قسطا
ويغزو في افاق اندلس العدا   بجيش يخط الارض ذياله خطا
وكل جواد خف سنبكه فما   يمس الثرى الا مجالسه فرطا
يوم بها الاعدا ملك امامه   من الرعب جيش يسرع السير ان ابطا
وترمي جبال الفتح من شطنيه   بها فتنوا في سبتقاد له الشطا
بجيش التقى بالخضر موسى وطارق   وموسى به رحلا الغزو والعدا لحطا
وسعيك ببني ذكر سعيهما به   ويوسع سعي المشركين به حبطا
وتوقع في الاعدا اعظم وقعة   بها تملا الاسماع طير الملا لغطا
تجاوب سجع الطير فيه وشبهها   كما واطن الريح النبيط والقبطا
وتنكر فيها الجو والارض عينه   ترى الجو نارا والصعيد دما عبطا
فتخضب منهم مزا شابت بخوفها   نصول ترى منها تعود الدجى وخطا
ويحسم داء العدا كل صارم   حسام اذا لاقى الطلا حزه قطا
وكل كمى كلما خط صفحة   بسيف عدى بالرمح ينقط ما خطا
شجاع اذا التف الرماحان شمها   تغلغل في استنا رمشط بدمشطا

اذا ما رجت

اذا ما رجت منه اعاديه عزة   رات دونها ما ترجوا القتاده والخرطا
فتجدع انافا لعداه بسيفه   ويبتشقها بالريح ريح الردي قسطا
يبيد الاعادي سطوة ومكيدة   فيحكي الاسود الغلب والاذوب المعطا
سري في طلاب العلو اسفلم يزل   يمد يدا مبسوطة وندى بسطا
ولو نازعته بمناه جذبا شما له   لموسا من الماد ي لا تفوق انعطا
يصول بخطي وكل مرسه   به اثر يعزوه للحية الرقطا
فتى يبصر الاكام يوغا لو اسيا   بهن وقد ابصرن عارضه مرطا
اذا نسبت للخطا والرد بينه   نسبن الى العليا ردينة والخطا
كماة حماة ما يزال الى الوغى   حنين لهم ما حن نضو وما اطا
عليهم بنسج السابغات كانها   جلود عن الحيات قد كشطت كشطا
اذا لمع للشمس لاحت عليهم   رايت صلال البسط لا ارقطا
تزجرج كالزاروق لينا ومثله   ترى نقطه من بعد ما طرحت خطا
جيوش اذا اعطى البلاد عبابها   وامواجها غطت بغوش العدى غطا
فكم قد حكت في حضر حصن ومعقل   وشاحا على خصر فاسقته ضغطا
وخيل كامثال النعام تخالها   لافراط لون النجم تبغي لها شرطا
تخيلها فتخا اذا ارتفضت وان   سبحن بماء خلتها خفة بطا
فيعتق منها مرط كل عجاجة   نوازع لا يبشا من تراو لا مرطا
وكم خالطت سمر الرماح واوردت   مياها غدت حمر الدما لها خلطا
يجوبها ليل السرى فاذا ادعوا   نزال امتطوا منهن اشرف ما يمطى
فكم جبنوها خلف معناه السرى   عوارف لم تسمع لها اذن نحطا
وكم وسمت اعنا فهن ازمة   بطول السرى حتى تظن بها غلطا
اذا وقدت نارا بقذف الحصى حكت   فتنسبا وبحر الدجى طارحت نفطا ٣
امام الهدى اعليت للدين معلما   وسمت العدى من بعد رفعتهم حطا
والحقتهم عقم المنى عن حياطها   فما وجدت عقما ولا نجبت سقطا
وصيرتهم في غفلة سارح العدا   وسرحتم الامال من عقلها انشطا
ومن كان يشكو سطوة الدهر قد غدا   بعدلك لا يعدي عليه ولا يسطى
ففي كل حال تؤثر القسط جاريا   على سنن التقوى وتجتنب القسطا
فبوركت سبطا جده عمر الرضي   وبورك من جد غدوت له سبطا
تلوت الامام العدل يحيى فلم تزل   تزيد امور الخلق من بعده ضبطا
فزدتم وضوحا بعده واستقامة   وتوطئة نهج السبيل الذي وطا
وما كان ابقى غاية غير انه   حبيت بما لم يحب خلق ولا يعطا

اذا درّ الاملاك في الفخر نظمت — على نسق عقدا فدولتك الوسطى

وله فيه

في كل افق من صباح نجاحكم — نور جلا خيط الظلام بخبطه
راقت محاسن مجدكم فنظمتها — كسبيكة من خير المديح وربطه

وله رحمه الله تعالى تواليف وولد سنة ٥٩٥ وتوفي ليلة السبت ٢ رمضان سنة ٦٥٨ بتونس ومما اخذ عنه الحافظ ابن رشيد الفهري وذكره في رحلته واثنى عليه العبدري في رحلته فقال الحازم وما ادراك ما حازم وقد عرفت به في زمان الرياض بما يغني عن الاعادة وكان هو والحافظ ابو عبد الله بن الابار فرسي رهان غير ان ابن الابار كان اكثر منه رواية وهو الامام الحافظ الكاتب الناظم الناثر المؤلف الراوية ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي الاندلسي البلنسي كتب ببلنسية عن السيد ابي عبد الله ابن السيد ابي حفص ابن امير المؤمنين عبد المؤمن بن علي ثم عن ابنه السيد ابي زيد ثم كتب عن الامير ابن مردنيش ولما نازل الطاغية بلنسية بعثه الامير زيان بن مردنيش مع وفد اهل بلنسية بالبيعة للسلطان ابي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن ابي حفص وفي ضمن ذلك استصراخه لدفع عادية العدو فانشد السلطان قصيدته السينية التي مطلعها

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا — ان السبيل الى منجاتها درسا

وقد ذكرناها في غير هذا الموضع ثم لما كان من امر بلنسية ما كان رجع باهله الى تونس غبطة باقبال السلطان عليه فنزل منه بخير مكان ورشحه لكتب علامته في صدور مكاتباته فكتبها مدة ثم اراد السلطان صرفها للكتب علامته لابي العباس الغساني لكونه يحسن كتابتها بالخط المشرقي وكان آثر عند السلطان من المغربي فسخط ابن الابار انفة من ايثار غيره عليه وافتات على السلطان في وضعها في كتاب امر بانشائه لقصور الترسيل يومئذ في الحضرة عليه وان يبقي موضع العلامة منه لكاتبها فحامله بالرد ووضعها استبدادا وانفة وعوتب على ذلك فعاتب غضبا ورمى بالقلم وانشد متمثلا

اطلب العز في لظى وذر الذل — ولو كان في جنان الخلود

فنمي ذلك الى السلطان فامر بلزومه بيته ثم استعتب السلطان بتاليف رفعه اليه عد فيه من عوتب من الكتاب واعتب وسماه اعتاب الكتاب واستشفع فيه بابنه المستنصر فغفر السلطان له واقال عثرته واعاده الى الكتابة ولما توفي السلطان رفعه امير المؤمنين المستنصر الى حضور مجلسه ثم حصلت له امور معه كان اخرها انه تقبض عليه وبعث الى داره فرفعت اليه كتبه اجمع والفى اثناءها فيما زعموا رقعة بابيات اولها

طغى بتونس خلف — سموه ظلما خليفه

فاستنشاط السلطان لها وامر بامتحانه ثم بقتله فقتل قعصا بالرماح وسط محرم سنة ٦٥٨ ثم احرق شلوه وسيقت مجلدات كتبه واوراق سماعه ودواوينه فاحرقت معه وكان مولده ببلنسية سنة ٥٩٥ وقال في حقه ابن سعيد في المغرب ما ملخصه حامل راية الاحسان المشار اليه في هذا الاوان ومن شعره قوله يصف الياسمين

حديقة ياسمين لا — تهيم بغيرها الحدق
اذا جفن الغمام بكى — تبسم ثغرها اليقق
فاطراف الاهلة لا — في اثنائها الشفق

وكتب الى الوزير ابي عبد الله بن ابي الحسين بن سعيد يستدعي منه منثورا

لك الخير اتحفني بخيري زوضة — لانفاسه عند الهجوم هبوب
اليس اديبا للرياض نهاره — يمل وينكو كبنه ويطيب
ويطوي مع الاصباح منشر نشره — كما بان عن ربع المحب حبيب
اهيم به عن نسبة ادبية — ولا غرو ان يهوى الاديب اديب

وقوله في الخسوف

نظرت الى البدر عند الخسوف — وقد شين منظره الازين
كما سفرت صفحة للحبيب — يحجبها برقع ادكن

وقوله في المعنى

الم تر للخسوف وكيف ابدى — ببدر التم لماع الضياء
كمراة جلاها الفين حتى — انارت ثم ردت في غشاء

وقوله

والثريا بجانب البدر تحكي — راحة ومئت لتلطم خدا

وقوله

من غادري من بابلي طرفه — ولعمره ما حل يوما بابلا
اعنده حوط العيسى ناعما — فنبعه وخطيا لقتلي ذابلا

وهو حافظ متقن له في الحديث والادب تصانيف وله كتاب في منتخب الاشعار سماه قطع الرياض وتكملة الصلة لابن بشكوال وهداية المعترف في المؤتلف والمختلف وكتاب التاريخ وسببه قتله صاحب افريقية واحرق كتبه على ما بلغنا رحمه الله وله تحفة القادم في شعراء الاندلس والحلة السيراء في اشعار الامراء ومن شعره قوله

امري عجيب في الامور — بين التواري والظهور
مستعمل عند المغيب — ومهمل عند الحضور

وسبب هذا ان ملك تونس كان اذا استشكل عليه شيء او ورد عليه لغز او معمى او مترجم بعث له اليه فيحله واذا احضر عنده لا يكلمه ولا يلتفت اليه ووجد في بعض الحاشيه

ما يثبتين دولة صاحب تونس فامر بضربه فضرب حتى مات واحرقت كتبه رحمه الله
وكان اعداؤه يلقبونه بالفار وحصلت بينه وبين ابي الحسن علي بن شلبون المغاوري
البلنسي مهاجات فقال ـــــــ فيه

لا تعجبوا لمضرة ما لت جميع الناس صادرة عن الابار
اوليس فارا خلقة وخليقة والفار مجبول على الاضرار

فرد ابن شلبون منها لنا ترم غيري يجاريك لمحاجار
انا فتنتما خطبنا بيننا فحملت بره وحملت فجار

ومما مضمن من شعر النابغة الذبياني انتهى ما لخصناه من كلام ابن سعيد في حقه

ومن شعر ابن الابار ايضا

لو عن لي عون من المقدار لهجوت للدار الكريمة داري
وحللت اطيب طينة من طيبة جار المزاوصي بحفظ الجار
حيث استبانت الحق للابصار لما استنار حفايظ الانصار
يا زايرين القبر قبر محمد بشرى لكم بالسبق في الزوار
اوضعتم لنجاتكم فوضعتم ما ادكم من فادح الاوزار
فوزوا بسبقكم وفوهوا بالذي حملتكم شوقا الى المختار
ادوا السلام سلمتم وبرده ارجو الاجازه من ورود النار

اللهم اجرنا منها يا رحيم يا رحمن يا كريم والنختم ترجمته بقوله

رجوت الله في اللاواء لما بلوت الناس من ساه ولاهي
فمن يك سايلا عني فاني غنيت بالافتقار الى الاله

وقد جودت ترجمته في ازهار الرياض في اخبار عياض فليراجع ذلك فيه من شاء
رجع الى ما كنا فيه من ذكر المرتحلين من الاندلس الى المشرق ومنهم الحافظ ابو
المكارم جمال الدين بن مسدي المهلبي الازدي الاندلسي شيخ السنة وحامل رايتها وفارس
الفنون ومحكم ايا تهاعرف الاحاديث ومبين شهيرها وغريبها وكان المتلقي لراية
السنة بيمينه غرابيها طلع بمغربه شمسا فبان بزوغه بافق المشرق وملا ء جريته
الحضرا من بحر علمه المندفق وافعمها بنوره المشرق وطاف البلاد الاسلامية المغربية والمشرقية
فعقدت على كماله الخناصر وجعله ارباب الدراية معقلا الدين الباصر ولقي اعيان السنو
في القطرين واخذ عنهم ما تقربه العين ويدفع به عن القلب الرين مع فصاحة لسان
وطلاقة بيان وبنان وخلال حسان وبلاغة سجعته على سحبان وظهرا زهار ريان
وتوطنت اليه خطابة الحرم الشريف بمكة فكان كما يقال هذا السوار لمثل هذا المعصم
فكم وشى بها من مطارف البلاغة وكم غنم حتى يظن الرائي عود منبره من وعظه ما يبسا

وليس

وليس ما لمن سجع الحمام رطبا فعند ما لمن يحج هذا الامام يا بسا ونزجم على من لقي من اعيان
بسحر البيان وفضل اخوانهم باحسن تبيان وعد منهم ارتجعنا الاف شيخ ونا هيك بهذه
مزية تفاد لها الفضايل في ارسانه ادري تحقيق قول القايل جمع الله العالم في انسان
وله موضوعات مفيدة من حديث وفقه ونظم ونثر وله مسند غريب جمع الله العالم
فيه مذاهب العلما المتقدمين والمتاخرين وهو اشهر من نار على علم وكان يكتب بالقلمين
المغربي والمشرقي وكلاهما في غاية الجودة ومثل هذا يعد نادرا توفي شهيدا مطعونا
من اناس كانوا يحسدونه ختم الله له بالشهادة وبوءه بها دار السعادة وتوفي سنة ٦٦٣
بمكة ومولده سنة ٥٩٩ رحمه الله ورضي عنه ونفعنا بامثاله ومنهم الكاتب
ابو القاسم خلف بن عبد العزيز بن محمد بن خلف الغافقي القبتوري بفتح القاف
وسكون البا الموحدة وفتح التا المثناة الحروف وسكون الواو وبعدها را الاشبيلي
المولد والمنشا ولد بشوال سنة ٦٥١ وقرا على الاستاذ الدباج كتاب سيبويه و
السبع وله باع مديد في الترسل مع النحوي والخبر وله اجازة من الرضي بن بريان
والنجيب بن الصقيل وكتب الامير سبتة وحدث بتونس عن العرفي وجاوز زمانا
وتوفي بالمدينة سنة ٧٠٤ وحج مرتين وجاور زمانا قال ابو حيان قدم القاهرة
مرتين وحج في الاولى وانشد حفظه الله من لفظه لنفسه

اسيلي الدمع يا عيني ولكن دما ويقل ذلك لي اسيلي
فكم في الترب من طرف كحيل لترب لي ومن خد اسيل

وقال

ماذا جنيت على نفسي بما كتبت كفي فيا ويح نفسي من اذى كفي
ولو بشا الذي اجرى على يدها قضاه الكف عنه كنت ذا كف

وقال

واحسرتا لامور ليس يبلغها مالي وهن منى نفسي وامالي
اصبحت كالآل لا جدوى لدي وما الوم جهدا ولكن جري الآل

وقال العلامة فتح الدين بن سيد الناس انه انشده لنفسه في الحرم النبوي ٧٠٣

رجوتك يا رحمن انك خير من رجاه لغفران الجرايم مرتج
فرحمتك العظمى التي ليس بابها وحاشاك في وجه المسيء بمرتج

وقد انشد له ابو حيان كثيرا من نظمه رحمه الله ومنهم ابو العباس احمد بن محمد
ابن مفرج بن ابي الخليل الاموي الاشبيلي النباتي المعروف بابن الرومية كان عارفا بالنبات
والنبات صنف كتابا حسنا كثير الفايدة في الحشايش ورتب فيه اسماءها على حروف
المعجم ورحل الى البلاد ودخل حلب وسمع الحديث بالاندلس وغيرها وقال البرزالي
في حقه انه كان يعرف الحشايش معرفة جيدة وسمع الحديث بدمشق من ابن الحرستاني

وابن ملاعب وابن العطار وغيرهم وقال بعضهم اجتمعت به وتفاوضنا معه
في ذكر الحشايش فقلت له نصب الدريرة تذكر في كتب الطب وذكروا انه يستعمل
منه شي كثير وهذا يدل على انه كان موجودا كثيرا واما الان فلا يوجد ولا يخبر عنه
مخبر فقال هو موجود وانما لا يعلمون ابن يطلبونه فقلت له واين هو ان منه
شي كثير انتهى واجاز ابا البحر بعد سنة ٥٨٠ للقاء ابن عبد الله بسبته فلم يتهيا
له ذلك وحج رحمه الله في رحلته الاولى ولقي كثيرا وروى عن عدد من رجال ونساء
ضمنهم التذكرة له وله مختصر كتاب الكامل لاحمد بن عدي في رجال الحديث وله كتاب
المعلم بما زاده البخاري على كتاب مسلم ويعرف بالنباتي لمعرفته بالنبات ومولده في
صفر سنة ٥٦١ وتوفي رحمه الله باشبيلية منسلخ ربيع النبوي سنة ٦٣٧ وقد رثاه
الناس من تلامذته والف بعضهم في التعريف به وسمع من ابن زرقون وابن الجد
وابن عفير وغير واحد كابي ذر وسمع ببغداد من جماعة وحدث ببعض احاديث
من لفظه ويقال له الحزمي بفتح الحاء نسبة الى مذهب ابن حزم لانه كان ظاهري المذهب
وكان زاهدا صالحا وحكى بعضهم عنه انه كان جالسا في دكانه باشبيلية
يبيع الحشايش ويبيع فاجتاز به الامير ابو عبد الله بن هود سلطان الاندلس فسلم
عليه فرد عليه السلام واشتغل بنسخه ولم يرفع اليه راسه ساعة طويلة فلما لم
يحفل به ساق فرسه ومضى وله كتابان حسنان في علم الحديث احدهما يقال له الحافل
في تكملة الكامل لابن عدي وهو كتاب كبير قال ابن الابار سمعت شيخنا ابا الخطاب بن
واجب يثني عليه ويستحسنه والثاني اختصر فيه الكامل لابي احمد بن عدي كما سبق في
مجلدين وسمع بدمشق والموصل وغيرهما جماعة من اصحاب الحافظ ابي الوقت السجزي
وابي الفتح بن البطي وابي عبد الله الغزوي وغيرهم من الايمة وله فهرست حافلة افرد فيها
رواياته بالاندلس من روايته بالمشرق وكان متعصبا لابن حزم بعد ان تفقه في
المذهب المالكي على ابن زرقون ابي الحسين وطالت صحبته له وكان بصيرا بالحديث
ورجاله كثير العناية به واختصر كتاب الدارقطني في غريب حديث مالك وغيره
اضبط منه وفاق اهل زمانه في معرفة النبات وقعد في دكان لبيعه قال ابن الابار
وهنالك رايته ولقيته غير مرة ولم اخذ عنه ولم استجزه وسمع منه جل اصحابنا
ومولده في شهر المحرم سنة ٥٦٧ وتوفي باشبيلية ليلة الاثنين مستهل ربيع الاخر سنة ٦٣٧
وقال ابن زرقون منسلخ شهر ربيع الاول وحكى ذلك عن ولده ابي النور محمد بن احمد انتهى
ومنهم ابو العباس احمد بن عبد السلام الغافقي الاشبيلي الشهير بالمسيلي رحل حاجا
وقفل الى بلده وحدث عنه ابو بكر بن خير بوفاة القاضي ابن ابي حبيب وروى عن ابي محمد
ابن ابي السعادات المروروذي الخراساني وانه انشده بثغر الاسكندرية عند وداعه
اياه قال انشدني ابو تراب جند عند الوداع لبعضهم

الشمس

الشمس من الشرق الافاعي   اعذب من قبلة الوداع
ودمعهم والدموع تجري   لما دعى للوداع داعي

ومنهم ابو العباس ويقال ابو جعفر احمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبي
الزاهد ويعرف بابن الاقليشي صاحب كتاب النجم من كلام سيد العرب والعجم صلى
الله عليه وسلم عارض به شهاب القضاعي واصل ابيه من اقليش وضبطها بعضهم
بضم الهمزة وسكن دانية وبها ولد ونشا سمع اباه ابا بكر وابا العباس بن عيسى
وتلمذ له ورحل الى بلنسية فاخذ العربية والاداب عن ابي محمد البطليوسي وسمع الحديث
من صهره ابي الحسن طارق بن عيش والحافظ ابي بكر بن العربي وابو الوليد بن خيرة وابن
الدباغ ولقي بالمرية ابا القاسم بن ورد وابا محمد عبد الحق بن عطية وولي الله سيدي
ابا العباس العريفي ورحل المشرق سنة ٥٤٣ وجاور بمكة سنتين وسمع بها من ابي
الفتح الكروخي جامع الترمذي برباط ام الخليفة العباسي سنة ٥٤٧ ثم كر راجعا
الى المغرب فقبض في طريقه وحدث بالاندلس والمشرق وكان عالما عاملا متصوفا
شاعرا مجودا مع التقدم في الصلاح والزهد والعزوف عن الدنيا واهلها والاقبال
على العلم والعبادة وله تصانيف منها كتاب الغرر من كلام سيد البشر وكتاب ضياء
الاولياء وهو اسفار عدة وحمل الناس عنه عشرياته في الزهد وكتبها الناس وكان
يضع يده على وجهه اذا قرا القاري فيبكي حتى يعجب الناس من بكايه وكان الناس
يدخلون عليه بيته والكتب عن يمينه وشماله وقد وصف غير واحد امامته وعلمه
وورعه وزهده وروى عنه ابو الحسن بن كوثر وابن بشير وغيرهما **ومن شعره قوله**

اسير الخطايا عند بابك واقف   له عن طريق الحق قلب مخالف
قديما عصى عمدا وجهلا وغرة   ولم ينهه قلب من الله خايف
تزيد سنوه وهو يزداد ضلة   فها هو في ليل الضلالة عاكف
تطلع صبح الشيب والقلب مظلم   فما طاف منه من سنى الحق طايف
ثلاثون عاما قد تولت كانها   حلوم تقضت وبروق خواطف
وجاء المشيب المنذر المرء انه   اذا رحلت عنه الشبيبة تالف
فيا احمد الخوان قد ادبر الصبى   وناداك من سن الكهولة هاتف
فهل ارق الطرف الزمان الذي مضى   وابكاه ذنب قد تقدم سالف
فجد بالدموع الحمر حزنا وحسرة   فدمعك ينبي ان قلبك اسف

وقد وافق في اول هذه القطعة قول ابي الوليد بن العريض اذ اخذه منه نقلا وتوفي
صدوره عن المشرق بمدينة قوص من صعيد مصر في عشر الخمسين وخمسماية ودفن عند
الجميزة التي في المقبرة التالية لسوق الحرب **وقال** ابن عياد انه توفي سنة
خمسين او احدى وخمسين بعدهما وقد نيف على الستين رحمه الله **ومنهم** ابو العباس

احمد بن عمر المعافري المرسي واصله طلبيرة ويعرف بابن افرند روى عن الحسين الصدفي وغيره كالقاضي الحافظ ابي بكر بن العربي وابي محمد الرشاطي وابي اسحاق بن حبيش وغيرهم وله رحلة حج فيها ولقي ابا الفتح بن الرندانقاني ببلدتين سرخس ومرو من اصحاب ابي حامد الغزالي **وانشد عنه** ما قاله في وداع اخوانه ببيت المقدس

لئن كان لي من بعد عود اليكم ... قضيت لبانات الفؤاد لديكم
وان تكن الاخرى ولم يك اوبة ... وحان حمامي فالسلام عليكم

وقد روى هذين البيتين ابو عمر بن عياد وابنه محمد عن ابن افرند هذا وكان صالحا زاهدا متصوفا **ومنهم** ابو جعفر احمد بن عبد الملك بن عميرة بن يحيى الضبي من اهل لورقة رحل حاجا وكان متقبضا زاهدا صواما قواما واقرا القرآن واسمع الحديث وممن حدث عنه الحافظان ابو سليمان وابو محمد بن حوط الله ولقيه ابو سليمان بلورقة سنة ٥٧٥ وتوفي رحمه الله سنة ٥٧٠ وقد قارب المائة **ومنهم** ابو عمر بن عات وهو احمد بن هارون بن احمد بن جعفر بن عات النفزي من اهل شاطبة سمع اباه وابا الحسن بن هذيل وابا عبد الله بن سعادة وابن حبيش وغير واحد وطايفة كثيرة ورحل الى المشرق فادى الفريضة وسمع ابا الطاهر السلفي وابا الطاهر بن عوف وغيرهما ممن يطول ذكره واجاز له ابو الفرج بن الجوزي وغيره ممن اخذ عنه وسمع منه وقد ضمن ذكر اشياخه وحملة صالحة من مروياته عنهم برنامجين له الذين سمى احدهما بالنزهة في التعريف بشيوخ الوجهة وهو كتاب حافل جامع والاخر بريحانة النفس وراحة الانفس في ذكر شيوخ الاندلس قال ابن عبد الملك المراكشي في الصلة حدثنا عنه شيخنا ابو محمد حسن بن علي بن القطان وكان من اكابر المحدثين وحملة الحفاظ المسندين للحديث والاداب بلا مدافعة بسرد الاسانيد والمتون ظاهرا فلا يخل بحفظ شي منها متوسط الطبقة في حفظ فروع الفقه ومعرفة المسائل الا انه يعني بذلك عنايته بغيره فكان اهل شاطبة يفاخرون بابي عمر بن عبد البر وابن عات وكان على سنن السلف الصالح في الانقباض ونزارة الكلام ومتانة الدين واكل الخشن ولزوم التقشف والتقلل من الدنيا والزهد فيها والمثابرة على كثير من اعمال البر كالاذان والامامة وبذل المعروف والتوسع بالصدقات على الضعفا والمساكين **وحكى** انه حضر في جماعة من طلبة العلم لسماع السير على بعض شيوخهم فغاب الكتاب او القارى بكتابه فقال ابو عمر انا اقرا لكم فقرا لهم من حفظه وقال ابو عمر عامر بن نذير لازمته مدة ستة اشهر فلم ار احفظ منه وحضرت اسماع الموطا وصحيح البخاري منه فكان يقرا من كل واحد من الكتابين نحو عشرة اوراق عرضا بلفظه كل يوم عقب صلاة الصبح لا يتوقف في شي من ذلك انتهى **وقال** بعض المؤرخين انه كان اخر الحفاظ للحديث يسرد المتون والاسانيد ظاهرا لا يخل بحفظ شي منها موصوفا

بالدراية

350

بالدراية والرواية غالبا عليه الورع والزهد على منهاج السلف يلبس الخشن وياكل الخشن وربما اذن في المساجد وله تواليف دالة على سعة حفظه مع حفظه من النظم والنثر وشهد وقيعة العقاب التي افضت لخراب الاندلس بالدايرة على المسلمين فيها وكانت السبب الاقوى في تخييف الروم بلاد ما حتى استولت عليها فقفد حينيذ ولم يوجد حيا ولا ميتا وذلك يوم الاثنين منتصف صفر سنة ٦٠٩ ومولده سنة اثنين واربعين وخمسماية قال ابن الابار وهو ممن اجاز له المذكور فيما رواه الفقيه رحمهما الله **ومنهم** ابو العباس احمد بن تميم بن هشام بن احمد بن حنون البهراني من ساكني اشبيلية واصله من لبلة روى عن ابيه وابن الجد وابن زرقون وابن جمهور وغيرهم من اعلام الاندلس ثم رحل الى المشرق فسمع ببغداد من ابي حفص عمر بن طبرزد وبخراسان من المويد الطوسي وبهراة من ابي روح عبد المعز بن عبد الرحيم ابن عبد الكريم السمعاني ومن جماعة غير هولاء وسمع ايضا بدمشق من ابي الفضل الحرستاني وسواه وبها توفي في عشر العشرين وستماية فيما نقل ابن الابار عن ابن نقطة وقال غيره انه مات سنة خمس وعشرين وستماية **ومنهم** ابو جعفر احمد بن ابراهيم ابن محمد بن احمد المخزومي من اهل قرطبة ويعرف بابن بكوزان روى عن ابيه وغيره من مشيخة بلده ورحل حاجا فلقي بالاسكندرية ابا الحسن بن المقدسي وسمع منه وانشد من لفظ بعض اصحاب ابن الابار قال انشدني شرف الدين ابو الحسن عن ابن الفضل المقدسي قال انشدتني نقية بنت غيث بن علي الارمنازي لنفسها رحمها الله

لا خير في الخمر على انها ... مذكورة في صفة الجنة
لانها ان خامرت عاقلا ... خامره في عقله جنة
يخاف ان تقذفه من علٍ ... فلا تقي مهجته جنه

ومنهم ابو جعفر احمد بن محمد بن احمد بن عياش الكناني المرسي سمع من ابن بشكوال موطا مالك رواية يحيى بن يحيى والقعنبي وابن بكير بقراءة ابي محمد بن حوط الله ورحل الى المشرق سنة ٥٧٩ فحج سنة ٥٨٠ بعدهما واقام بالحجاز والشام مدة ولقي ابا الطاهر الخشوعي بدمشق فسمع منه مقامات الحريري واخذها الناس عنه ومما افاد وزاد في قول الحريري اذا ما حويت جنى نخلة الابيات

ولا تاسفن على خارج ... اذا ما المحت سنى الداخل
ولا تكثر الصمت في معشر ... وان زدت عيبا على باقل

وسمع من ابي القاسم بن عساكر السنن للبيهقي ومن ابي حفص الميانشي جامع الترمذي وقفل الى الاندلس في سنة ٥٩٠ وحدث ببلنسية وكان يحسن عبارة الرويا وكف بصره سنة ٦٢١ او نحوها وتوفي على اثر ذلك ومولده سنة ٥٤٣ رحمه الله **ومنهم** ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن حصن بن احمد بن حزم الغافقي ويقال فيه ابراهيم بن حصن

ابن عبد الله بن حصن الاندلسي سكن دمشق وولي الحسبة بها يكنى ابا اسحاق سمع ببغداد
من ابي بكر بن مالك القطيعي وطبقته وبدمشق من عبد الوهاب الكلابي ويوسف
ابن القاسم الميانجي وبمصر من ابي طاهر الذهلي وابي احمد العطريفي وله ايضا سماع بالرملة
واطرابلس والدينور وغيرها من البلاد وحدث بيسير روى عنه ابو منصور عبد
الوهاب بن عبد الله الجبان من شيوخ عبد العزيز بن احمد الكتاني وكان مالكيا وقيل
انه يذهب الى الاعتزال وكان صارما في الحسبة وليها سنة ٣٩٥ في ايام الحاكم العبيدي
وتوفي بدمشق في ذي الحجة سنة ٤٠٣ قبل ثاني عيد الاضحى وقيل غير ذلك ذكره ابن
عساكر رحمه الله قلت ما سمعت بمالكي معتزلي غير هذا ولعله كان مالكيا المعتز
فلما دخل في خدمة الشيعة حصل منه ما حصل من نسبته لمذهب الاعتزال فالله اعلم
ومنهم ابو امية ابراهيم بن منبه بن عمر بن احمد الغافقي من اهل المرية ونزل مرسية
سمع ببلده من ابن شفيع واخذ عنه القراءات ومن الحافظ ابن سكرة وابن عطية
وعبد القادر بن الحناط وبقرطبة من ابن عتاب وابن طريف وابن بحر الاسدي وابن
مغيث وغيرهم ورحل حاجا فسمع بمكة من ابي علي بن العرجاء احاديث جعفر بن نسطور
وغيرها في شعبان سنة ست وعشرين وسمع ايضا من ابي الفتح سلطان بن ابراهيم
المقدسي وقفل الى بلده وانتقل بعد الحادثة عليها الى مرسية وولي القضاء والخطبة
هنالك وحدث واخذ عنه وكان فقيها مشاورا وقال ابن حبيش سمع منه الاحاديث
النسطورية واسمع صحيح البخاري اخر الحجة سنة ٥٠٠ وكان يحدث به عن سلطان بن ابراهيم
عن كريمة المروزية وحكى رحمه الله عن ابي ذر الهروي انه قال عند موته عليكم بكريمة
فانها تحمل كتاب البخاري من طريق ابي الهيثم رحم الله الجميع ومنهم ابو القاسم
ابن فورتش وهو اسماعيل بن يحيى بن عبد الرحمن السرقسطي واخوه القاضي محمد بن يحيى وكانا
جميعا زاهدين لهما رحلة سمعا فيها من ابي ذر الهروي بمكة وعادا الى بلدهما وولي محمد
منهما القضاء وقد لقيهما القاضي الحافظ ابو علي بن سكرة ولم يسمع منهما ويرويان
عن ابي عمر الطلمنكي وابي الحزم بن ابي درهم وتوفي ابو القاسم في نحو الخمسمائة ومنهم
ابو الطاهر اسماعيل بن احمد بن عمر القرشي العلوي الاشبيلي رحل حاجا ودخل العراق
والموصل وقيد الكثير ورواه وسمع من ابي حفص الميانشي بمكة سنة ٥٧٠ وحدث
بالموطا عن ابي الحسن علي بن هاشل الانصاري عن ابي الوليد الباجي وحدث ايضا
عن غيره عاد على انه كان يخلط ولا يضبط وكذلك قال ابو الصبر كان لدي الموطا
اسنادا عاليا جدا فتصفحته فوجدته ينقص منه رجل واحد فاستربت في الرواة
عنه بعد تحسين الظن به ولم يتنبه ابو الصبر لان ابن هاشل وغيره من شيوخه
مجهولون وابو الصبر روى عنه المذكور وهو الصبر السبتي والله اعلم بحقيقة
حاله ومنهم ابو الروح عيسى بن عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد بن عبد الله بن

ابراهيم

ابراهيم بن خليل التغري الحميري التاكرني قال ... في تاريخ اربل كان شابا متاديا
فاضلا قدم مصر وله شعر حسن وقال الحافظ عبد العظيم المنذري انشدنا
المذكور لنفسه

يا قلب ما لك لا تفيق من الهوى • او ما يقر بك الزمان قرار
الكل ذي وجه جميل جنة • ولكل عهد سالف تذكار

وله

يا رب صحبة سوداء حالكة • لم ترتع في البيد الا الشمس والقمرا
تخال باطنها في اللون ظاهرها • فهي الغداة كمن يحدو اذا كفرا

وله سنة ٦٠٩ بتاكرنا من بلاد الاندلس وهي من نظر قرطبة وتوفي باززن من ديار بكر
سنة ٦٢٩ عايدا من آمد رحمه الله ومن بديع شعره

انا ودع الطرس ما اوشاه خاطره • ابدا لعينيك انهارا واشجارا
وان تهدو فيه او بحر كرما • بث البرية اجلالا واعمارا

وتاكرنا بضم الكاف والراء وتخفيفهما وشد النون وورد المذكور اربل سنة ٦٢٧
وله ابيات اجاز فيها قول شرف الدين بن الفارض في غلام اسمه بركات قال الاشرفي
الدمشقي ومن خطه نقلت كنت حاضر هذه الواقعة بالقاهرة بالجامع الازهر اذ قال

ابن الفارض

بركات يحكي البدر عند تمامه • حاشاه بل شمس الضحى تحكيه

فقال ابو الروح وانشد في ذلك

هذا الكمال فقل لمن قد عابه • حسدا واية كل شيء فيه
لم تنظر احدى مرتيه وانما • كملت بذا الملاحة التشبيه
وكانه قد رام يغلق جفنه • ليصيب بالسهم الذي يرميه

وقال ابن المستوفي في تاريخ اربل انشدني ابو الروح لنفسه

اوصيت قلبي ان يفر عن الصبا • ظنا باني قد دعوت سميعا
فاجابني لا تخش عني بعدما • اقلعت من شرك الغرام وقوعا
حتى اذا نادى الحبيب رايته • اوى اليه ملبيا ومطيعا
كذبا له احمدتها فاذا دنا • منها الغرام تعلقته سريعا

قال وانشدني

وزائر زارني والليل معتكر • والطيب يفضحه والحلي يشهره
امسكت قلبي عنه وهو مضطرب • والشوق يبعثه والصون يزجره
فبت اصدي الى من لا يحللني • والورد صاف ولا شيء يكدره
تراه عيني وكفي لا تلامسه • حتى كاني في المرآة انظره

قال وانشدني الامام ابو عمرو بن غياث الشريشي لنفسه

صبوت وهل عار على الحر ان صبا • وقد نيف الاربعين الى الصبا
وقالوا مشيب قلت واعجبا لكم • اينكر صبح قد تخلل غيهبا
ولبس مشيبا ما ترون وانما • كميت الصبا المجرى عاد اشهبا

وتوفي ابو عمرو ان سنة عن تسعين سنة قال ابن المستوفي وانشدني ابو عمرو ايضا لنفسه

2 اودع فوادي اودع • نفسك تودي انت في اضلعي
امسك سهام اللحظ او فارمها • انت بما ترمي مصاب معي
موقعها القلب وانت الذي • مسكنه في ذلك الموضع

قال وانشدني مطرف الغرناطي

انا صب كما تشا وتهوى • شاعر ماجد كريم جواد
سنة سنها قديما جميل • وانى المحدثون مثلي فزادوا

قال وانشدني ايضا مطرف

وفي فروع الايك ورق اذا • بل الندا اعطافها تسجع
او تيمما نفح نسيم الصبا • شاقك منها غرد مسرع
كانما ريطتها منبر • وهي خطيب فوقها يسجع
ان شبهها في طرف لوعة • جرى لها في طرفك مدمع

اخذه من قول عبد الوهاب بن علي المالقي الخطيب

كان فوادي وطرفي معا • مما طرفا غصن اخضر
اذا اشتعل النار في جانب • جرى الماء في الجانب الاخر

ومن المرتحلين من الاندلس الى المشرق الامام النحوي اللغوي نور الدين ابو الحسن علي بن احمد بن محمد بن حمدون الحميري الاندلسي المالكي قال شرف الدين الصابوني انشدنا المذكور لنفسه سنة ٦٦٧

فوادا بايدي النائبات مصاب • وجفن لفيض الدمع فيه مصاب
تنات ديار قد الفت وجيرة • فهل لي الى عهد الوصال اياب
وفارقت اوطاني ولم ابلغ المنى • ودون مرادي ابحر وهضاب
مضى زمني والشيب حل بمفرقي • وابعد شيء ان يرد شباب
اذا مر عمر المرء ليس براجع • وان حل شيب لم يفده خضاب
تحل حمام الشيب من فوق لمتي • وقد طار عنها للشباب غراب
وكم عطرتني في الزمان وامله • وبين فوادي والقبول حجاب
فدع شهوات النفس عنك بمعزل • تجذب الليالي مقتضاه عذاب
وسل فوادا عن رباب وزينب • فما القصد منها زينب ورباب

وانوي

وانوي منا بايام انقضت بينني • فرتع صلاحي بالفساد خراب
اقر بتقصيري واطمع في الرضى • وما القصد الامرجع ومتاب
ويجتنبني في العجز خل وصاحب • وهل نافع في الحامدات عتاب
اطهر اثوابي وقلبي مدنس • وازعم صدقا والمقال كذاب
وفارقت من غرب البلاد مواطنا • فسقى ربى غرب البلاد سحاب
فبالقلب من نار التشوق حرقة • وبالعين من فيض الدموع عباب
وما بلغ المملوك قصدا ولا منى • ولا حط عن وجه المراد نقاب
واخشى سهام الموت تفجا فعلتي • وما سار في نحو الرسول ركاب
وقلبي معمور بحب محمد • فما لي في غير الحجاز طلاب
يحن الى اوطانه كل مسلم • فقد سر منها منزل وجناب
فاسعد ايامي اذا قيل هذه • منازل من وادي الحمى وقباب
فجسمي في مصر وروحي بطيبة • فللروح عن جسمي هناك مناب
على مثل هذا العجز والعمر منقض • تشوق قلوب لا تشوق ثياب
وارجو ثوابا بامتداحي محمدا • وما كل مثن في الزمان يثاب
به احمدت من قبل نيران فارس • وخفق من ظبي الفلاة خطاب
وكم قد سقى من كفه الجيش فارتووا • وكم قد شفى منه العيون رضاب
اجيب لما يختار في حضرة العلى • وما كل خلق حيث قال يجاب
فلم يلهه دنياه عن خوف ربه • ولا شغلته عن رضاه كعاب
محمد المختار اعلى الورى ندى • واكرم مبعوث اتاه كتاب
ايحسب ان نحصي بعد صفاته • ومن هنا ما يحصي علاه حساب
ثناء رسول الله خير ذخيرة • وقد ذل جبار وخيف عقاب
وقد نصب الميزان والله حاكم • وذلت لاحكام الاله رقاب
فكل ثناء واجب لصفاته • فما مدح مخلوق سواه صواب
اليك رسول الله انهي مدائحي • وان رجائي راحة وثواب
اذا قيل من تعني بمدحك كله • فانت اذا اخبرت عنه جواب
فليتك تحلو والحياة مريرة • وليتك ترضى والانام غضاب
فانت اجل العالمين مكانة • واكرم مدفون حواه تراب

وله يرثي العز بن عبد السلام

امد الحياة كما علمت قصير • وعليك نقاد بها وبصير
عجبا لمغتر بدار فنائه • ولذا الى دار البقاء مصير
فسبيلها للنائبات معرض • وعن من ما بيد الردى مقهور

ابطن ان الحم ممدود لسه • والغمر فيه على الورد لى مقصور •

وهي طويلة ولم يحضرني سوى ما ذكرته **ومنهم** عبد البر بن فرسان بن ابراهيم ابن عبد الرحمن الغساني الوادي اشي ابو محمد وله اخبار كثيرة في الحماسة وعلو الهمة ومن نظمه لما تعمم بعض مخدوميه ابن غانية بعمامة بيضا وليس عمارة حمرا على جبة خضرا

فدينك ما النفس التي قد ملكتها • بما انت مولها من الكرم الغض •

تردت بالحسن الحقيقي بهجة • فصار لها الكلي في ذلك البعض •

ولما تلالا نور عزتك التي • تقسم في طول البلاد وفي العرض •

تلفعتها خضرا احسن منظر • تبسط عنك اجلالا وذا اكمل الفرض •

واسدلت حمر الملابس فوقها • بمفرق تاج المجد والشرف المحض •

فاصبحت بدرا طالعا في غمامة • على شفق وان الى خضرة الارض •

وقال رحمه الله

اجبنا ورمحي ناصري وحسامي • وعجزا وعزمي قايدي وامامي •

ولي منك بطاش اليدين غضنفر • بجار بعزا شبا لبد وبجارمي •

وقال رحمه الله اسنا استاذن مخدومه في الحج والزيارة فقال

امنن بتسريح على وعجله • سبب الزيارة للحطيم ويثرب •

ولئن تقول كاشح انا لهوى • درست معالمه وانكر مذهبي •

فمقالتي ما ان سلت وانما • عمري ابي حمل النجاد ومنكبي •

وعجزت عن اشتر كمينها • واشق بالصمصام صدر الموكب •

وقال رحمه الله

فدى مخضلا ذاك الجناح المنمنما • وسقيا وان لم تسك يا ساجعا ظما •

اعد من الحانا على سمع مغرب • بطارح مرنانا على العضب معجما •

وطر غير مقصوص الجناح مرفها • مسوغا اشتات الحبوب منعما •

فحلي وافراخا بوكرك توما • الا ليت افراخي معي كن توما •

وقال رحمه الله تعالى

كفى حزنا ان الرماح صقيلة • وان الشمس مرتنا الصدا بدماية •

وان بيا دين الجوانب فرزنت • ولم يحد رخ الدست بيت بنايه •

وكان رحمه الله من جلة الادبا وفحول الشعرا وبرعة الكتاب كتب عن ابن غانية الامير ابي زكريا يحيى بن اسحاق بن علي المسوفي الميرقي الثاير على منصور بني عبد المومن ثم على من بعده من ذريته الى ايام الرشيد منهم وكان منقطعا اليه وممن صحبه في حركاته وكاتبه في بغداد لمنه والذباب بنفسه والغنا في مواقف الحرب والحنينة على الضم اذ ابن غانية كان غاية في ذلك ايضا ووجهه الميرقي المذكور عشية يوم

من ايام

من ايام حروبه الى المامون فقدا طالا الحراك وكادا الناس ينفصلون عن الحرب الى انيبا الروم من الغد فلما بلغ الصدر اشتد على الناس ودمرا ربا بالحفيظة وانهى اليهم العزم من اميرهم في الجملة فانهزم عدوهم شر هزيمة ولم يبعد ابو محمد الا في اخر الليل بالاسلاب والغنيمة فقال لهم الامير وما حملك على ما صنعت فقال الذي عملت موسالي اذا اردت من يصرف الناس عن الحروب ويذهب رحمهم فانظر غيري وتشاجر ولد له صغير مع ترب له من الاولاد امير ابي زكريا فقال له ابنه ولد الامير وقال ما قدر ابيك فلما بلغ ذلك اباه خرج مغضبا لجنبه ولقي ولد الامير المخاطب لولده فقال له حفظك الله لست اشك في انك خديم ابيك ولكني احب ان اعرفك بنفسي ومقداري ومقدار ابيك اعلم ان اباك وجهني رسولا الى دار الخلافة ببغداد بكتاب عن نفسه فلما بلغت بغداد نزلت في دار اكثريت لي بسبعة دراهم في الشهر واجرى على سبعة دراهم في اليوم وطولع بكتابي وقيل من الميرقي الذي وجهه فقال بعض الحاضرين هو رجل مغربي ثاير على اسناده فاقمت شهرا ثم استدعيت فلما دخلت دار الخلافة وتكلمت مع من بها من الفضلا وارباب المعارف والاداب اعتذروا الى وقالوا للخليفة هذا رجل جليل مقداره فاعدت الى محل اكثري لي بسبعين درهما واجري على مثلها في اليوم ثم استدعيت فلما دخلت دار الخلافة وتكلمت مع من بها فودعت الخليفة وانقضيت ما تيسر من حوايجه وصدر لي شي له خطر من صلته وانصرفت الى فالمعاملة الاولى كانت على قدر ابيك عند من يعرف الاقدار والثانية كانت على قدري ونرجمته رحمه الله متسعة **ومنهم** عبد المنعم بن عمر الغساني الوادي اشي المؤلف الرحالة المتجول ببلاد المشرق سابحا صاحب المؤلفات الكثيرة التي منها جامع انماط السائل في العروض والخطب والرسايل **ومن نظمه قوله رحمه الله**

الا انما الدنيا بحار تلاطمت • فما اكثر الغرقى على الجنبات •

واكثر من لاقيت يغرق الفه • وقل فتى ينجو من الغمرات •

توفي سنة ٦٠٣ **ومنهم** ابو العباس احمد بن مسعود بن محمد القرطبي الخزرجي كان اماما في التفسير والفقه والحساب والفرايض والنحو واللغة والعروض والطب وله تاليف حسان وشعر رايق **فمنه قوله رحمه الله**

وفي الوجنات ما في الروض لكن • لرونق زهرها معنى عجيب •

واعجب ما التعجب منه اني • ارى البستان يحمله قضيب •

وتوفي رحمه الله سنة ٦٠١ **ومنهم** ابو العباس القرطبي صاحب المفهم في شرح مسلم وهو احمد بن عمر بن ابراهيم بن عمر الانصاري المالكي الفقيه المحدث المدرس بالاسكندرية ولد بقرطبة سنة ٥٧٨ وسمع الكثير هنالك ثم انتقل الى المشرق واشتهر وطار صيته واخذ الناس عنه وانتفعوا بكتبه وقدم مصر وحدث بها واختصر الصحيحين

وكان بارعا في الفقه والعربية عارفا بالحديث وممن اخذ عنه القرطبي صاحب التذكرة
ومن تصانيفه رحمه الله المفهم في شرح مسلم وهو من اجل الكتب ويكفيه شرفا اعتماد
الامام النووي رحمة الله عليه في كثير من المواضع وفيه اشياء حسنة مفيدة
ومنها اختصاره للصحيحين كما مر وله غير ذلك وتوفي رحمه الله باسكندرية
رابع القعدة سنة ٦٥٦ وكان يعرف في بلاده بابن المزين وله كتاب كشف القناع
عن الوجد والسماع اجاد فيه واحسن وكان يشتغل اولا بالمعقول وله اقتدار
على توجيه المعاني بالاحتمال قال الشيخ شرف الدين الدمياطي اخذت
عنه واجاز لي مصنفاته رحمه الله وحدث باسكندرية وغيرها وصنف غير
ما ذكرناه وكان اماما عالما جامعا لمعرفة الحديث والفقه والعربية وغيرها
ومنهم العارف الكبير الولي الصالح الشهير ابو احمد جعفر بن عبد الله بن محمد
ابن سيد بونة الخزاعي الاندلسي احد الاعلام المقتطعين المقربين ولي لعناية كان
رضي الله عنه ونفعنا به كثير الاتباع بعيد الصيت فذا شهيرا قال الحافظ ابن
الزبير هو احد الاعلام المشاهير فضلا وصلاحا قرابيلنسية وتفقه وحفظ نصف
المدونة واقراها وكان يوثر التفسير والحديث والفقه على غيرها اخذ عن
ابي الحسن بن النعمة وابن هذيل وحج ولقي في رحلته من الاندلس جلة اكبرهم الولي الكبير
سيدي ابو مدين شعيب افاض الله علينا من انواره وانتفع به ورجع عنه بعجائب
فشهر بالعبادة وتبرك الناس به فظهرت عليه بركته توفي رحمه الله في شوال سنة ٦٢٤
وعاش نيفا وثمانين سنة وله ترجمة في الاحاطة ملخصها ما ذكرناه ومنهم
محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب الخزرجي الانصاري الشاطبي الفقيه القاضي الصدر
المتفنن المحصل المجيد له علم محكم وعقد صحيح مبرم رحل الى المشرق وحج وكانت
رحلته بعد تحصيله فزاد فضلا الى فضل ونبلا على نبل كان متثبتا في فقهه لا يستكثر
من النقل الكثير ولكنه يستحضر ما يحتاج اليه وكان له علم بالعربية واصول الفقه
ومشاركة في اصول الدين له شرح على الحوفية وكان ايوه قاضيا وبينهم بيت
قضاء وعلم وسؤدد متوارث ومجد مكسوب ومنسوب ثم ولي قضاء بجاية
فكان في قضائه على سنن الفضلاء وطريق الاولياء العقلاء بالحق مع الصدق
معارضا للولاة وكان يرى ان لا يقدم الشهود الا عند الحاجة واما ان حصل
من تحصل به الكفاية فلا يقدم رجلا وبرى ان الكثرة مفسدة وقد طلب الملك
ان يقدم رجلا من اهل بجاية فقال له مشافهة ان شئتم قدموه واخرجوني وكان
اذا جرى الامر في مجرى الشهادة وما قاله القاضي ابن العربي ابو بكر وغيره من
انها قبول الغير على الغير بغير دليل يرى ان هذا من الامر العظيم الذي لا ينبغي ان
يكون منه الا الاحاد الذين يسر فضلهم في الوجود وكان يرى ان جنايات الشاهد

انما هي

انما هي في صحيفة من يقدمه من باب قوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة حسنة
ومن سن سنة سيئة وقد سئل من اولياء الله فقال الشهود القاضي لانهم
لا يأتون كبيرة ولا يواظبون على صغيرة وان كانت الشهادة على منبر الصفة
فلا شيء اجل منها وان كانت خطة لا صفة فلا شيء احسن منها ولما كانت وقعة
امر من بطيخة عرض عليه اهلها ان يتقدم وان يبايعوه فقال والله لا اثلم
ديني ولما توفي عجز القاضي الذي تولى بعده عن سلوك منحاه واقتفاء سنته
الذي اقتفاه قال بهذا كله بمعناه وبعضه بحروفه الغبريني في عنوان الدراية
في علماء بجاية ومنهم محمد بن يحيى الاندلسي اللبسي بلام فموحدة فسين قاضي القضاة
اخذ عن الحافظ ابن حجر ونوه به عند الاشرف حتى ولاه قضاء المالكية بحماه وسار
سيرة السلف الصالح ثم حنق على نائبها في بعض الامور وسافر الى حلب مظهرا
ارادة السماع على حافظها البرهان ووصفه ابن حجر في بعض مجاميعه بقوله
الشيخ الامام العالم العلامة في الفنون قاضي الجماعة وفاز لانه انسان
حسن امام في علوم منها الفقه والنحو واصول الدين يستحضر علوما كانها
بين عينيه ووصفه ايضا بعلامة دهره وحلاصة عصره وعين زمانه
وانسان اوانه جامع العلوم وفريد كل منثور ومنظوم قاضي القضاة
لا زالت رايات الاسلام به منصورة واعلام الايمان به منشورة ووجوه
الاحكام الشرعية بحسن نظره مجبورة ولد سنة ٦٠٠ وتوفي ببرصا من بلاد
الروم او اخر شعبان سنة ٨٤٠ قاله السخاوي في الضوء اللامع ومنهم
الوزير الشهير ابو عبد الله الحكيم الرندي ذو الوزارتين رحل الى مصر والحجاز
والشام واخذ الحديث عن جماعة وقد ترجمناه في باب مشيخة لسان الدين عند تعرضنا
لذكر ابنه الشيخ ابي بكر بن الحكيم ولا باس ان نزيد هنا ما ليس ثم لك فنقول
ان من مشايخه بر ندة الشيخ الاستاذ النحوي ابو الحسن علي بن يوسف العبدري
السفاح اخذ عنه العربية وقرا عليه القرآن بالروايات السبع واخذ عن الخطيب بها
ابي القاسم بن الاسير واخذ رحمه الله عن جملة من اعلام الاندلس واخذ في رحلته
عن الجملة الذين تضيق عن امثالهم الحصور فمن شيوخه الحافظ ابو اليمن
ابن عساكر لقيه بالحرم الشريف وانتفع به واكثر من الرواية عنه والشيخ ابو
العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحراني المعروف بابن ميسرة الله والشيخ الشريف
ابو العباس احمد بن عبد الله بن عمر بن معطي بن الامام الجزايري جزاير الغرب نزيل
بغداد والشيخ ابو الصفا خليل بن ابي بكر المراغي الحنبلي لقيه بالقاهرة والشيخ
رضي الدين ابو بكر القسنطيني والشيخ شرف الدين الحافظ ابو محمد عبد المومن
ابن خلف الدمياطي امام الديار المصرية في الحديث وحافظها ومورخها ونسابها

ابن الخيمي فرا علية قصيدته البائية الغريبة التي اولها

يا مطلبا ليس لي في غيره ارب • اليك آل التقضي وانتهى الطلب

ومنها البيت المشهور الذي وقع النزاع فيه

يا بارقا باعالي الرقمتين بدا • لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

والشيخ جمال الدين ابو صادق محمد بن يحيى القرشي ومن تخريجه الاربعون المروية بالاسانيد المصرية وسمع الحلبيات من ابن عماد الحراني والشيخ ابي الفضل عبد الرحيم خطيب الجيزة ومولده سنة ٥٩١ وزينب بنت الامام ابي محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي وتكنى ام الفضل سمعت من ابيها ومن اشياخ ذي الوزارتين ابن الحكيم المذكور الملك الاوحد يعقوب بن الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب والشيخ عبد الرحمن بن سليمان بن طرخان واخوه محمد بن سليمان في طايفة كبيرة من مشايخ مصر والشام والعراق وغيرها من البلاد يطول تعدادهم واخذ ببجاية عن خطيبها ابي عبد الله بن رحيمة الكناني وبتونس عن قاضيها ابي العباس بن الغماز البلنسي واخذ العربية عن قدوة النحاة ابي الحسين عبيد الله بن احمد بن عبيد الله بن ابي الربيع القرشي ومن شعر ذي الوزارتين ابن الحكيم المذكور قوله

تمل الى برد عشيات الوصال • سبب ام ذاك من ضرب المحال

حال من يسرى بها الوهم الي • انها تثبت من ابا عتلال

وليال لما تبقى بعدها • عبرا سوى الى تلك الليال

ادمحال الوصل فيها مسرحي • ونعيمي آمن فيها ووال

ولحالات التراضي جولة • مرحت بين قبول واقبال

فبوادي الخيف حولي مسعد • وبا كناف منى اسنى منال

لست انسى الا انسى فيها ابدا • لا ولا بالعذل في ذاك ابال

وهو الفذ بدا لي وجهه • فرايت البدر في حال الكمال

ما اما لا الليث من اعطافه • لم يكن الا على حصر اعتدال

خص بالحسن فما انت ترى • بعده للناس حظا في الجمال

من يسلي عن هواه فانا • بسواه عن هواه غير سال

فلئن تغيبني حجبه • فلكم نلت به انعم حال

اذ لنا لي جبه من قبل • ووشاحاه يميني وشمال

خلف النوم لي لتسهده • ونزا ي التخص لا طيف الخيال

فتداوى بلماه ظماي • من جلال لصهبا بالماء الزلال

او اشادات بنا الملك الـ • اوحد الاسمى الهمام المتعال

ملك ان قلت فيه مادحا • لم تكن الا محقا في المقال

ايد الاسلام بالحذق فما • ان ترى رسما لاصحاب الضلال

ذو ايادي شملت كل الورى • ومعال بالها غير معال

همة مامت باحوال التقى • وصفات بالحلالات حوال

وقف النفس على اجهادها • بين صوم وصلاة ونوال

ومن طويله ومنها

ايها المولى الذي نعماكم • اعجزت عن شكرها كنه مقال

ها انا انشدكم مهنيا • من بديع النظم بالسحر الحلال

فانا العبد الذي حبكم • لم يزل والله في قلبي وبال

اورقت روضتنا مالي بكم • مذ تولاها الرباب المتوال

واقتنيت الجاه من حرمتكم • فهي ما اذخره من كنز مال

ومنها

يا امير المسلمين هذه • خدمة تنبي عن صادق حال

هي بنت ساعة او ليلة • سهلت بالحب في ذاك الحلال

ما عليها اذا جادت مدحها • من بعيد الفهم بلغها وقال

فهي في نادية الشكر لكم • ابدا بين احتفاء واحتفال

وكتب رحمه الله يخاطب امثله من مدينة تونس

حي حبيبي بالله يا ريح نجد • وتحمل عظيم شوقي ووجدي

واذا ما بثثت حالي فبلغ • من سلامي لهم على قدر ودي

ما تناسيتهم ومثلي مغيبي • نسيوني على التطاول بعدي

لي شوق لهم ليس يجزي • لجميل ولا لسكان نجدي

يا نسيم الصبا اذا جيت قوما • ملكت ارضهم بسيح ووقد

فتلطف عند المرور عليهم • وخفوقا لهم على قنا دي

قل لهم قد غدوت من وجدهم • في حال شوق لكل زند ورند

واذا استفسروا حديثي فاني • باعتناء الاله بلغت قصدي

فله الحمد ذ حباني بلطف • عنده قل كل شكر وحمدي

وافتتح مخاطبته لاخيه الاكبر ابي اسحاق ابراهيم بقصيدة اولها

ذكر اللوى شوقا الى اقماره • فقضى اسى او كاد من تذكاره

وعلى زفير حر نوى بارضلوعه • فرمى على وجناته بشراره

لو كنت تبصر خطه في خدمه • لقرات سر الوجد من اسطاره

يا عاذليه اقصروا فلشدما • افضى عتابكم الى اضراره

ألم تغبنوه على ابن حابه • لا تنكروا بالله خلع عذاره
ما كان كتمه لأسرار الهوى • لو أن جند الصبر من أنصاره
ما ذنبه والبين قطع قلبه • أسفا وأذكى النار في أعشاره
تحل اللوى بالساكنيه وطيبهم • وحديثه ونسيمه ومزاره
يا برق خذ دمعي وعرج باللوى • فاسفحه في باناته وعراره
وإذا لقيت بها الذي بإخائه • ألقى خطوب الدهر أو بجواره
فاقر السلام عليه قدر محبتي • فيه ونزر فيه الحي مقداره
والمم بسائر إخوتي وقرابتي • من لم أكن لجوارهم بالكاره
ما منهم إلا أخ أو سيد • أبدا أرى رأيي على إكباره
فابثث لذلك الحي إن إخاءهم • في حفظ عهدهم على استبصاره

وقال رحمه الله في عرض كلفة سلطانه القول فيه

ألا واصل مواصلة العقار • ودع عنك التخلق بالوقار
وقم واخلع عذارك في غزال • يحق لمثله خلع العذار
قضيب مائس من فوق غصن • تعمم بالدجى فوق النهار
ولاح بخده ألف ولام • فصار معرفا بين الدراري
رماني قاسم والسين صاد • بأشفار تنوب عن الشفار
وقد قسمت محاسن وجنتيه • على ضدين من ماء ونار
فذاك الماء من دمعي عليه • وتلك النار من فرط استعاري
عجبت لنار قلبي كيف تبقى • على ما شب فيه من الأوار
ألفت الحب حتى صار طبعا • فما احتاج فيه إلى ادكار
فما لي عن مذاهبه ذهاب • وهذا فيه أشعاري شعاري

وقال العلامة ابن رشيد في ملاء العيبة لما قدمنا المدينة سنة ٦٨٤ كان معي رفيقي الوزير أبو عبد الله بن أبي القاسم بن الحكيم وكان أرمد فلما دخلنا ذا الحليفة أو نحوها نزلنا عن الأكوار وقوي الشوق لقرب المزار فنزل وبادر إلى المشي على قدميه احتسابا لتلك الآثار وإعظاما لمن حل تلك الديار فأحس بالشفاء فأنشد لنفسه في وصف الحال

قوله

ولما رأينا من ربوع حبيبنا • بيثرب أعلاما أثرن لنا الحبا
وبالترب منها إذ كحلنا جفوننا • شفينا فلا بأسا نخاف ولا كربا
وحين تبدا للعيون جمالها • ومن بعدها عنا أديلت لنا قربا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة • لمن حل فيها أن نلم به ركبا
نسح سجال الدمع في عرصاتها • ونلثم من حب لواطيه الترب

ذات بقاء

فإن بقائي دونه لخسارة • ولو أن كفي يملأ الشرق والغربا
فيا عجبا ممن يحب بزعمه • يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبا
وزلات مثلي لا تعدد كثرة • وبعدي عن المختار أعظمها ذنبا

انتهى وخط الوزير ابن الحكيم في غاية الحسن وقد رأيته مرارا وملكت بعض كتبه ونثره رحمه الله أعلى من شعره كما نبه عليه لسان الدين في الإحاطة ومن نثره في رسالة طويلة كتبها عن سلطانه ما صورته وقد تقرر اشتهار المصباح في سواد الظلام أنا لم نزل نبذل جهدنا في أن تكون كلمة الله هي العليا ونسمح في ذلك بالنفوس والأموال رجاء ثواب الله لا لعرض الدنيا وإنا ما قصرنا عن الاستنفار والاستنصار ولا قصرنا عن الاعتضاد بكل من أملنا معاملته والاستظهار ولا اكتفينا بمطولات الرسائل وبنات الارتسال حتى اقتحمنا بنفيسنا لجج البحار فسمحنا من بالطارف أموالنا والتلاد وأعطينا رجاء نصرة الإسلام موفور الأموال والبلاد واسترنبنا بما أنعم الله به علينا ما فرض الله على كافة أهل الإسلام من الجهاد فلم يكن بين تلبية المدعو زمن ولا بين قبوله ورده إلا كما يحسو الطائر ماء الثماد وبأبى الله أن يكل نصرة الإسلام بهذه الجزيرة إلى سواه ولا يجعل فيها سببا إلا لمن أخلص لوجهه الكريم علانيته ونجواه ولما أسلم الإسلام بهذه الجزيرة الغريبة إلى متاويه وبقي المسلمون يتوقعون حادثا ساءت ظنونهم لما بينه القريبا إلى لتعند بالله بد الاستسلام وشمر عن ساعد الجد في جهاد عبدة الأصنام وأخذنا بمقتضى قوله تعالى انفروا في سبيل الله الاعتزام فأمدنا الله في ذلك بنوالي البشاير ونصرنا بألطاف أغنى فيها خلوص الضماير عن قود العساكر ونقلنا على أيدي قوادنا ورجالنا من السبايا والغنائم ما عدا ذكره في الآفاق كالمثل السائر وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها وكيف يحصيها المحصي أو يحصرها الحاصر وحين بدت لنا العناية الربانية وجوه الفتح سافرة المحيا واستشقنا نسايم النصر الممنوح عقبة الريا استخرنا الله تعالى في الغزو بنفيسنا ونعم المستخار وكتبنا بما قد علمتم إلى ما قرب من أعمالنا بالحض على الجهاد والاستنفار وحين وافى من خف للجهاد من الأجناد والمطوعين وغدوا بحكم رغبتهم في الثواب على طاعة الله مجمعين خرجنا بهم ونصر الله أهدى دليل وعناية الله بهذه الفئة المعتزة من المسلمين تقضي بتقريب البعيد من آمالنا وتكثير القليل ونحن نسأل الله تعالى أن يحملنا على جادة الرضى والقبول وأن يرشدنا إلى طريق تفضي إلى بلوغ الأمنية والمأمول وهذه رسالة طويلة سقنا بعضها كالعنوان لسائرها وقال ابن الحكيم رحمه الله من الرياسة والتحكم في الدولة ما صار كالمثل السائر وخدمته العلماء والأكابر من الأخاير كابن خميس وغيره وأفاض عليهم سجال الخيرة ثم ردت الأيام منه ما وهبت وانقضت أيامه كأن لم تكن وذهبت وقتل يوم خلع سلطانه ومثل به سنة ٧٠٨ رحمه الله وانتهب من أمواله

وكتبه وتحفه مما لا يعلم قدره الا الله تعالى اثابه الله بنيل الشهادة بجاه نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم ومن المرتحلين من الاندلس الى المشرق الحافظ
نجيب الدين ابو محمد عبد العزيز بن الامير القايد ابي علي الحسن بن عبد العزيز بن هلال اللخمي
الاندلسي ولد سنة ٥٦٧ تقريبا ورحل فسمع بمكة من زاهر بن رستم وببغداد من ابي احمد
ابن سكينة وابن طبرزد وطايفة وبواسط من ابي الفتح بن المندائي وباصبهان من عين
الشمس الثقفية وجماعة وبخراسان من المويد الطوسي وابي روح واصحاب الفراوي وهذه
الطبقة وخطه مليح مغربي في غاية الدقة وكان كثير الاسفار دينا متصوفا كبير القدر
قال الضيا في حقه رفيقنا وصديقنا توفي بالبصرة عاشر رمضان سنة ٦١٧ ودفن الى جانب
قبر سهل التستري رضي الله عنه وما راينا من اهل المغرب مثله وقال ابن نقطة كان ثقة
فاضلا صاحب حديث وسنة كريم الاخلاق وقال المفضل القرشي كان كثير المروة غزير
الانسانية وقال ابن الحاجب كان كيس الاخلاق محبوب الصورة لين الكلام كريم النفس حلو
الشمايل محسنا الى اهل العلم بماله وجاهه وقيل انه اوصى بكتبه للشرف المرسي رحمه الله
ومنهم محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد ابو بكر بن العربي الاشبيلي حفيد القاضي الحافظ الكبير
ابي بكر بن العربي قرا النافع على قاسم بن محمد الزقاق صاحب شريح وحج فسمع من السلفي وغيره
ثم رحل بعد نيف وعشرين سنة الى الشام والعراق واخذ عن عبد الوهاب بن سكينة
وطبقته ورجع فاخذوا عنه بقرطبة واشبيلية ثم سافر سنة ٦٠٢ وتصوف وتعبد وتوفي
بالاسكندرية سنة ٦١٧ قاله الذهبي في تاريخه الكبير ومن المرتحلين من الاندلس يحيى
ابن عبد العزيز المعروف بابن الجزار ابو زكريا القرطبي سمع من العتبي وعبيد الله بن خالد
ونظرايهما من رجال الاندلس ورحل فسمع بمصر من المزني والربيع بن سليمان المؤذن ومحمد بن عبد
الله بن عبد الحكم ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبد الله بن ميمون وعبد الغني بن ابي عقيل
وغيرهم وسمع بمكة من علي بن عبد العزيز وكانت رحلته ورحلة سعيد بن عثمان الاعناقي
وسعيد بن حميد وابن ابي تمام واحدة وسمع الناس من يحيى المذكور مختصر المزني ورسالة
الشافعي وغير ذلك من علم محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وكان يميل في فقهه الى مذهب الشافعي
وكان مشاورا مع عبيد الله بن يحيى واضرابه وحدث عنه من اهل الاندلس محمد بن قاسم وابن
لبيب وابن عبادة وغير واحد ولم يسمع منه ابنه محمد لصغره وتوفي سنة ٢٩٥ رحمه الله
ورضي عنه ومنهم الزاهد ابو القاسم خلف بن عبد العزيز بن محمد القبتوري الاشبيلي
ولد سنة خمس عشرة وستمائة وتوفي بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم سنة ٧٠٤ وله نظم ونثر
وفضايل كثيرة ومن شعره رحمه الله قوله

اسيلي الدمع يا عيني ولكن • دما ويقل ذلك لي اسيلي •
فكم في الترب من طرف كحيل • لترب لي ومن خد اسيل •

وله رحمه الله تعالى

ماذا اجبت

ماذا جنيت على نفسي بما كتبت • كفي فيا ويح نفسي من اذى كفي •
ولو يشاء الذي اجرى على يدها • قضاه الكف عني كنت ذا كف •

وله رحمه الله

والحسرتي لامور ليس يبلغها • مالي ومن منى نفسي واما لي •
اصبحت كالآل لا جدوى لديه وما • الوت جهدا ولكن جدي الآلي •

وله رحمه الله

رجوتك يا رحمن انك خير من • رجاه لغفران الجرايم مرتجي •
فرحمتك العظمى التي ليس بابها • وحاشاك في وجه المسيء بمرتج •

ومنهم الشيخ الامام العامل العالم الزاهد الورع العلامة جمال الدين ابو بكر محمد بن احمد
ابن محمد بن عبد الله البكري الشريشي المالكي كان من اكابر الصالحين المتورعين ومولده
سنة ٦٠١ بشريش وتوفي برباط الملك الناصر بسفح قاسيون سنة ٦٨٥ في ٢٤ رجب ودفن
بتربة الرباط وله المصنفات المعتبرة تولى مشيخة الصخرة بحرم القدس الشريف وقدم
دمشق وتولى مشيخة الرباط الناصري فلما توفي قاضي القضاة جمال الدين المالكي ولوه
مشيخة المالكية بدمشق وعرضوا عليه القضا فلم يقبل وبقي في المشيخة الى ان توفي رحمه
الله تعالى ونفعنا به وبامثاله آمين ومن الراحلين من الاندلس الفقيه الصالح ابو بكر
ابن محمد بن علي بن ياسر الجياني المحدث الشهير ذكره ابن السمعاني وغيره سافر الكثير وورد العراق
وطاف في بلاد خراسان وسكن بلخ واكثر من الحديث وحصل الاصول ونسخ بخطه ما لا يدخل تحت
حصر قال ابن السمعاني وله انس ومعرفة بالحديث لقيته بسمرقند وكان قدمها سنة ٥٤٩ مع
جماعة من اهل الحجاز ليدين لهم عليهم وسمعت منه جزءا اخرجه من حديث يزيد بن هارون
بما وقع له عاليا وجزءا صغيرا من حديث ابي بكر بن ابي الدنيا واحاديث ابي بكر الشافعي في احد
عشر جزءا المعروف بالغيلانيات بروايته عن ابن الحصين بن غيلان عنه وكان مولده بجيان
سنة ٤٩٣ او في التي بعدها الشك منه ثم لقيته بنسف في اواخر سنة خمسين وسمعت من
لفظه شيئا ثم قدم علينا بخارى في سنة واحد وخمسين وسمعت من لفظه جميع كتاب الزهد
لهناد بن السري الكوفي بروايته عن ابي القاسم سهل بن ابراهيم المسجدي عن الحاكم ابي عبد الرحمن
محمد بن احمد الشاذياخي عن الحاكم ابي الفضل محمد بن الحسين الحدادي عن حماد بن احمد السلمي عن مصنفه
واخبرنا الجياني بسمرقند انا ابو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الكاتب ببغداد انا
ابو طالب محمد بن محمد بن ابراهيم بن غيلان البزاز انا ابو بكر محمد بن عبد الله الشافعي انا محمد بن مسلمة
نا يزيد بن هارون نا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن صهيب عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى منادي يا اهل الجنة
ان لكم عند الله موعدا لم تروه قالوا وما هو الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا
الجنة وينجينا من النار فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم شيئا احب اليهم

من النظر اليه ثم تلا هذه الاية للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقال ابن السمعاني ايضا
واخبرنا الجياني المذكور بسمرقند انا ابو منصور عبد الله بن محمد بن عبد الواحد ببغداد انا ابو طالب
ابن غيلان انا ابو بكر الشافعي نا ابو بكر عبيد الله بن محمد بن ابي الدنيا القرشي نا محمد بن حسان
نا مبارك بن سعيد قال اردت سفرا فقال لي الاعمش سل ربك ان يرزقك صحابة صالحين
فان مجاهدا حدثني قال خرجت من واسط فسالت ربي ان يرزقني صحابة ولم اشترط في دعائه
فاستويت انا وهم في السفينة فاذا هم اصحاب طنابير وقال ابن السمعاني ايضا
اخبرنا ابو بكر الجياني المغربي بسمرقند سمعت الامام ابا طالب ابراهيم بن هبة الله بنبخ
يقول قرات على ابي يعلى محمد بن احمد العبدي بالبصرة قال قرات على شيخنا ابي الحسين بن يحيى
في كتاب العين باسناده الى الخليل بن احمد انه انشده قول الشاعر

• ان في بيتنا ثلاث حبالى • فوددنا ان قد وضعن جميعا •
• زوجتي ثم هرتي ثم شاتي • فاذا ما وضعن كن ربيعا •
• زوجتي للخبيص والهر للفار • وشاتي اذا اشتهينا مجيعا •

قال ابو يعلى قال شيخنا ابن يحيى وذكر عن الخليل بن احمد في العين ان المجيع اكل التمر باللبن
انتهى ومنهم ابو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب بن احمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم الاندلسي
المري ذكره الحميدي في تاريخه واثنى عليه وقال كان من اهل العلم والادب والذكاء والهمة
العالية كتب بالاندلس فاكثر ورحل الى المشرق فاحتفل بالعلم والرواية والجمع وذكره
الحافظ الخطيب ابو بكر بن ثابت البغدادي وقال هو من بيت جلالة وعلم ورياسة واخرج
عنه في غير موضع من مصنفاته وقدم بغداد ودمشق وحدث فيهما ثم عاد الى المغرب
توفي ببلدة المرية سنة ٤٥٥ وحدث عن ابي القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا الزهري ويعرف
بابن الافليلي الاندلسي النحوي وغيره وكان صدوقا ثقة رحمه الله ومنهم العالم
الحسيب ابو حفص عمر بن الحسن ‌ وذكره ابن بسام في الذخيرة والحجاري في المسهب
ولما تولى المعتضد بن عباد والد المعتمد خاف منه فاستاذنه في الحج سنة ٤٤٣ ورحل الى
مصر والى مكة وسمع في طريقه كتاب صحيح البخاري وعنه اخذه اهل الاندلس ورجع فسكن
اشبيلية وخدم المعتضد فقتله ومن خاف من شيء سلط عليه وكان قتله يوم الجمعة
حادي عشر ليلة خلت من ربيع الاول سنة ٤٦٠ رحمه الله ومن شعره يحرضه على الجهاد قوله

• اعباد حل الرزء والقوم هجع • على حالة من مثلها يتوقع •
• فلق كتابي من فراغك ساعة • وان طال فالموصوف للطول موضع •
• اذا لم ابث الداء رب شكاية • اضعت واهل للملام المضيع •

ووصله بنثر وهو وما اخطا السبيل من اتى البيوت من ابوابها ولا ارجا الدليل
من اناط الامور باربابها ولرب امل بين اثناء المحاذير مدمج ومحبوب في طي المكاره
مدرج فانتهز فرصتها فقد بان من عيرك العجز وطبق مفاصلها فكان قد امكنك الحز

ولا غرو

ولا غرو ان يستمطر الغمام في الجدب • ويستصحب الحسام في الحرب • وله

• صرح الشر فلا يستقل • ان غفلتم جاءكم بعد عل •
• بدا اصعق الارض شر وطل • ورياح ثم غيم ابل •
• خفضوا فالداء رجل راجل • واغمدوا اسيافا عليكم يسل •

وسبب قتل بني عباد لابي حفص الهوزني المذكور تسبب ابنه ابو القاسم في فساد
دولة المعتمد بن عباد وحرض عليه امير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب المغرب حتى
ازال ملكه ونثر سلكه وسبب هلكه كما ذكرنا في هذا الموضع من هذا الكتاب غير
مرة فليراجعه من اراده في محاله وبيت بني الهوزني بالاندلس بيت كبير مشهور
ومنهم عدة علما وكبرا رحم الله الجميع ومنهم ابو زكريا يحيى بن قاسم بن هلال
القرطبي الفقيه المالكي احد الايمة الزهاد كان يصوم حتى يحضر توفي سنة ٢٧٢ وقيل
٢٧٣ ورحل الى المشرق وسمع من عبد الله بن نافع صاحب مالك بن انس ومن سحنون
ابن سعيد وغيرهما وكان فاضلا فقيها عابدا عالما بالمسائل وروى عنه احمد بن خالد
وكان يفضله ويصفه بالفضل والعلم وهو صاحب الشجرة قال عباس بن اصبغ كانت
في داره شجرة تسجد لسجوده اذا سجد قال ابن الفرطبي رحمه الله ورضي عنه ونفعنا به
ومنهم ابو بكر يحيى بن مجاهد بن عوانة الفزاري الالبيري الزاهد سكن قرطبة قال ابن
الفرضي كان منقطع القرين في العبادة بعيد الاسم في الزهد حج وعني بعلم القران والقراات
والتفسير وسمع بمصر من الاسيوطي وابن الورد وابن شعبان وغيرهم وكان له حظ من الفقه
والرواية الا ان العبادة غلبت عليه وكان لا يحمل الملك به ولا اعلمه حدث توفي رحمه الله
تعالى سنة ٣٦٦ ودفن في مقبرة الربض وصلى عليه القاضي محمد بن اسحق بن السليم ثم صلي عليه
ثانية رحمه الله وافاض علينا من انوار عنايته امين ومنهم ابو بكر محمد
ابن احمد بن ابراهيم الصدفي الاشبيلي الاديب البارع له نظم حسن وموشحات رقيقة قرا
على الاستاذ الشلوبين وغيرهم ومدح الملوك ورحل من الاندلس فقدم ديار مصر ومدح
بها بعض من كان يوصف بالكرم فوصله بنزر يسير فكر راجعا الى المغرب فتوفي بسبرقة
رحمه الله وكان من النجبا في النحو وغيره ومن نظمه من قصيدة

• ما بي موارد اشنب بل مصادره • المخطا اوله والحد اخره •
• ان سلت طرفي من تاذا فطل دمي • وقض من الحسن مطلول ازاهره •
• رعيت في خصبه لحظي فاعقبني • جدبا بجسمي ما يروى به هامره •
• وهو وان لم اكن بالذكر اشهره • فالوصف فيه لفقد المثل شاهره •

ومنها طويلة واثنى عليه اثير الدين ابو حيان واورد جملة من محاسن كلامه وبدايع نظامه
رحم الله الجميع ومنهم ابو يحيى زكريا بن خطاب الكلبي التطيلي رحل سنة ٢٩٣ فسمع
بمكة كتاب النسب للزبير بن بكار من الجرجاني الذي حدث به عن علي بن عبد العزيز الجمحي

عن الزبير وروى موطأ مالك بن انس رواية ابي مصعب احمد بن عبد الملك الزهري عن ابرهيم بن سعيد الحذاء وسمع بها من ابراهيم بن عيسى الشيباني ذا الغزار في اخرين وقدم الاندلس فكان الناس يرحلون اليه الى تطيلة للسماع منه واستقدمه المستنصر الحكم وبنو ولي عهده فسمع منه اكثر مروياته وسمع منه جماعة من اهل قرطبة وكان ثقة مامونا ولي قضاء بلده تطيلة اخرى مدن الاندلس بعد عمر بن يوسف بن الامام ومنهم سعد الخير بن محمد بن سعد ابو الحسن الانصاري البلنسي المحدث رحل الى ان دخل الصين ولذا كان يكتب البلنسي الصيني وركب البحار وقاسى المشاق وتفقه ببغداد على ابي حامد الغزالي وسمع بها ابا عبد الله النعالي وطرادا وغيرهما وباصبهان ابا سعد المطرز وسكنها وتزوج بها وولدت له فاطمة بها ثم سكن بغداد وروى عنه ابن عساكر وابن السمعاني وابو موسى المديني وابو اليمن الكندي وابو الفرج بن الجوزي وابنته فاطمة بنت سعد الخير في اخرين وتادب على ابي زكريا التبريزي وتوفي في المحرم ٥٤١ رحمه الله ببغداد وصلى عليه الغزنوي والشيخ الواعظ بجامع القصر وكان له وصية وحضر جنازته قاضي القضاة الزينبي والاعيان ودفن الى جانب عبد الله بن الامام احمد بن حنبل رضي الله عنهم اجمعين بوصية منهم ومنهم ابو عثمان سعيد بن نصر بن عمر بن خلفون الاستجي سمع بقرطبة من قاسم بن اصبغ وابن ابي دليم وغيرهما ورحل فسمع بمكة من ابن الاعرابي وببغداد من ابي علي الصفار وجماعة وبها مات ومنهم ابو عثمان سعيد الاعناقي ويقال العناقي القرطبي كان ورعا زاهدا عالما بالحديث بصيرا بعلله سمع من محمد بن وضاح وصحبه ومن يحيى بن ابرهيم ابن مزين ومحمد بن عبد السلام الخشني وغيرهم ورحل فلقي جماعة من اصحاب الحديث منهم نصر ابن مرزوق كتب عنه مسند اسد بن موسى وغير ذلك من كتبه ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم والحارث بن مسكين في اخرين حدث عنه احمد بن خالد وابن ايمن ومحمد بن قاسم وابن ابي زيد في عدد كثير ومولده ٢٣٣ وتوفي ٣٠٥ بمصر والاعناقي نسبة الى موضع يقال له اعناق وعناق ومنهم ابو الروح عيسى بن عبد الله بن محمد بن موسى الحميري الاندلسي التنكرلنا كوني نسبة الى تنكرنا بضم الكاف والراء المخففة وشد النون قرية ولد بها ٥٩٠ وقدم مصر وكان اديبا فاضلا وسار الى الشام ودخل اربل ٦٢٢ ومات بارض ديار بكر ٦٢٩

ومن شعره قوله

يا قلب ما لك لا تفيق من الهوى • او ما يقربك الزمان قرار •
الكل ذي وجه جميل صبوة • ولكل عهد سالف تذكار •

وقوله

يا رب اصيحبة سوداء حالكة • لم ترع في البيد الا الشمس والقمرا •
تخال باطنها في الكون ظاهرها • فهي الغداة كزنجي اذا كفرا •

وقوله

انا اودع الطرس ما وشاه خاطره • ابدا لعينيك ازهارا واشجارا •

فانه يهدد

فانه يهدد فقيرا ويجد كرما • بثنا لبرية اجلالا واكبارا •

واجتمع في الجامع الازهر بالقاهرة مع العارف بالله تعالى سيدي عمر بن الفارض فمر بهما غلام اعور اسمه بركات فقال ابن الفارض

بركات يحكي البدر عند تمامه • حاشاه بل شمس الضحى تحكيه •

فعمل ابو الروح

هذا الكمال فقل لمن قد عابه • حسدا واين كل شيء فيه •
لم تدر احدى زهرتيه وانما • كملت بذاك محاسن التشبيه •
وكانه رام يغلق جفنه • ليصيب بالسهم الذي يرميه •

ومنهم ابو المطرف عبد الرحمن بن خلف التجيبي الاقليشي روى عن ابي عثمان سعيد بن سالم المجريطي وابي ميمونة دراس بن اسماعيل فقيه فاس ورحل حاجا ٤٣٠ فسمع بمكة من ابي بكر الآجري وابي حفص الجمحي وبمصر من ابي اسحاق بن شعبان وروى عنه كتاب الزاهي جمعه وقد قرئ عليه وحمل عنه ومولده ٣٣٠ رحمه الله ومنهم ابو الاصبغ عبد العزيز بن علي المعروف بابن الطحان الاشبيلي المقرئ ولد باشبيلية ٤٩٨ ورحل قبل خل بمصر والشام وحلب وتوفي بحلب بعد ٥٥٩ وله كتاب نظام الاداء في الوقف والابتدا ومقدمة في مخارج الحروف ومقدمة في اصول القران وكتاب الدعا وكان من القراء المجودين الموصوفين بالاتقان ومعرفة وجوه القراءات وسمع الحديث على شريح بن محمد بن احمد بن شريح الرعيني خطيب اشبيلية وابي بكر يحيى بن سعادة القرطبي وله شعر حسن منه قوله

دع الدنيا لعاشقها • سيصبح من رشا بقفها •
وعاد النفس مضطرا • وتكب عن خلا يقها •
هلاك المرء ان يضحى • مجدا في علا يقها •
وذو التقوى يذللها • فيسلم من بوا يقها •

واخذ القراءات ببلده عن ابي العباس بن عيشون وشريح بن محمد وروى عنهما وعن ابي عبد الله بن عبد الرزاق الكلبي وروى مصنف النسائي عن ابي مروان بن مسرة وتصدر للاقرا ثم انتقل الى حماه وحج ودخل العراق وقرا بواسط القراءات واقراها ايضا ودخل الشام واشتهر ذكره وجل قدره وروى عنه ابو محمد عبد الحق الاشبيلي الحافظ وعلي بن يونس قال بعضهم سمعت غير واحد يقول ليس بالغرب اعلم بالقراءات من ابن الطحان قرا عليه الاثير ابو الحسن محمد بن ابي العلاء ابو طالب عبد السميع وغيرهما رحم الله الجميع ومنهم ابو الاصبغ عبد العزيز بن خلف المغاوري قدم مصر ٤٣٥ وولد ٤١٤ وحدث بالموطأ عن سليمان بن ابي القاسم انا ابو عمر بن عبد البر انا سعيد بن نصر عن قاسم بن اصبغ عن محمد بن وضاح عن يحيى بن يحيى عن مالك بن انس امام دار الهجرة رضي الله عنه ومنهم ابو محمد عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة السعدي الشاطبي قدم مصر ودمشق طالبا للعلم وسمع ابا الحسن

ابن ابي الحديد وابا منصور الحكبري وغيرهما وصنف غريب الحديث لابي عبيد القاسم
ابن سلام على حروف المعجم وسمعه عليه ابو محمد الاكفاني وتوفي بارض حوران من اعمال
دمشق في رمضان سنة ٥٦٦ رحمه الله ورضي عنه ومنهم الحكيم الطبيب ابو الفضل محمد
عبد المنعم الغساني الجلياني وهو عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن محمد بن حصن بن مالك
ابن حسان ولد بقرية جليانة من اعمال غرناطة سابع المحرم سنة ٥٣١ وقدم الى القاهرة وسار
الى دمشق فسكنها مدة ثم سافر الى بغداد فدخلها سنة ٥٦٦ وقدم الى القاهرة ونزل
بالمدرسة الظاهرية وكتب الناس عنه كثيرا من نظمه وكان اديبا فاضلا له شعر مليح المعاني
اكثره في الحكم والالهيات واداب النفوس والرياضات وكان طبيبا حاذقا فاولها رياضات
ومعرفة بعلم الباطن وله كلام مليح على طريق القوم وكان مليح السمت حسن الاخلاق
لطيفا حاضر الجواب ومات بدمشق سنة ٦٠٢ وكان يقال له حكيم الزمان وزار القاضي
الفاضل ابن بعض منه فقال له بحضرة السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب كم بين
جليانة وغرناطة فقال مثل ما بين بلبسان وبيت المقدس ومن شعره قوله

• خبرت بني عصري على البسط والقبض • وكاشفتهم كشف الطبايع بالنبض •
• فانتج لي فيهم قياسي تخلبا • عن الكل اذهم افة الوقت والحرض •
• الازم كسر البيت حلوا وان يكن • خروج ففرد ملصقا الطرف بالارض •
• ارى الشخص من بعد فاغضي تغافلا • كمستدرك بالذي يهمنه يمضي •
• ويحسبني في غفلة وفراستي • على الغور من لحي بما انه نوى نقضي •
• اجانبهم سلما ليسلم جانبي • وليس لحقد في النفوس ولا بغض •
• تخليت عن قومي ولو كان ممكني • تخليت من بعضي ليسلم لي بعضي •

وقال

• قالوا نراك عن الاكابر تعرض • وسواك زوار لهم متعرض •
• قلت الزيارة للزمان اضاعة • واذا مضى زمن بما يتعوض •
• ان كان لي يوما اليهم حاجة • فبقدر ما ضمن القضا تقيض •

وقال

• حاول مفارقة قبل ان يتحولا • فالحال اخرها كحالك اولا •
• ان المنى من المنية لفظه • لتدل في اصل البنا على البلا •

وسماه عبد المنعم وذكر العماد في الخريدة وقال هو صاحب
والتوشيح والترشيح والترصيع والتصريع والتجنيس والتطبيق والتوفيق والتلفيق
والتقريب والتقرير والتعريف والتغريب وهو مقيم بدمشق وقدم الى العسكر المنصور
الناصري سنة ٥٨٦ بطامر بن عطا وكتب الى السلطان صلاح الدين وقد جرح فرسه

• ابا ما لكا انني العداة حسامه • ومنتجعا فني العفاة ابتسامه •

لقاؤك يوما

٣٧
360

• لقاؤك يوما في الزمان سعادة • فكيف بنا وفي حماك حمامه •
• وعبدك شاك ذنبه وهو شاكر • نداك الذي يغني النجوم غمامه •
• ولي فرس اضماه سهم فردده • انا في ربيع بالثلاث قيامه •
• نعمر فيه بالجراحة ساجه • وعطل منه سرجه ولجامه •
• انبيا لما عودتنا من مكارم • يلوذ بها الراجي فيشفي غرامه •
• فرحماك غوث لا يعيف نصيره • ونعماك غيث لا يغب انسجامه •

وله رحمه الله غير هذا وترجمته واسعة ومنهم الاستاذ ابو القاسم عبد الوهاب
ابن محمد بن عبد الوهاب بن عبد القدوس القرطبي مولف المفتاح في القراءات ومقرئ اهل قرطبة
رحل وقرا القراءات على ابي علي الاهوازي وبحران على ابي القاسم الزيدي وبمصر على ابي العباس
ابن نفيس وبمكة على ابي العباس الكازريني وسمع بدمشق من ابي الحسن بن السمسار وكان رحيبا
في تحرير القراءات ومعرفة فنونها وكانت الرحلة اليه في وقته ولد سنة ٤٠٣ ومات في ذي
القعدة سنة ٤٦١ قرا عليه ابو القاسم خلف بن النحاس وجماعة رحمهم الله ومنهم
عبيد الله وقيل عبد الله بن نصير بن المظفر رحمه الله بن محمد ابو الحكم الباهلي الاندلسي
ولد بالمرية سنة ٤٨٦ وحج سنة ٥١٦ وحج ايضا ٥١٨ ودخل دمشق وقرا بصعيد مصر وبالاسكندرية
ثم مضى الى العراق واقام ببغداد يعلم الصبيان وخدم السلطان محمود بن ملك شاه
وانشا له في معسكره مارستانا ينقل على اربعين جملا وكان طبيبه ثم عاد الى دمشق ومات
٥٤٩ ودفن بباب الفراديس وكان ذا معرفة بالادب والطب والهندسة وله ديوان شعر
سماه نهج الوضاعة لاولي الخلاعة ذكر فيه جملة شعراء كانوا بمدينة دمشق كطالب الصوري
ونصر الهيتي وغيرهما لغرفلة وفيه نزهات ادبية ومفاكهات غريبة ممزوج جدها
بسخفها وهزلها بظرفها وذكر فيه انواعا من الدواب وانواعا من الالات وخلقا من المغنيين
والاطراف وشرح هذا الديوان ابنه الحكيم الفاضل ابو المجد محمد بن ابي الحكم الملقب بافضل
الدولة وكان كثير الهزل والمداعبة دايم اللهو والمطايبة وكان اذا اتاه الغلام وما به شي
يجس نبضه ثم يقول له نضح لك الهريسة وكان اعور فقال فيه عرقله

• لنا طبيب شاعر اعور • اراحنا من طبه الله •
• ما عاد في صبحه يوم فتى • الا وفي باقيه رثاه •

وله يرثيه

• يا عين سحي بدمع ساكب ودم • على الحكيم الذي يكنى ابا الحكم •
• قد كان لا رحم الرحمن شيبته • ولا سقى قبره من صيب الديم •
• شيخا يرى الصلوات الخمس نافلة • ويستحل دم الحجاج في الحرم •

ومن كتابات ابي الحكم المستحسنة قوله

• الم ترني اكابد فيك وجدي • واحمل منك ما لا يستطاع •

اذا ما النجم الجو استقلت • وما لا الدلو وارتفع الذراع •

ومن شعره قوله

محاسن العالم قد جمعت • في حسنه المستكمل البارع •

وليس لله بمستنكر • ان يجمع العالم في الجامع •

ومنهم ابو الربيع سليمان بن ابراهيم بن صافي الغرناطي القيسي القيسانى وقيسانة من عمل غرناطة الفقيه المالكي ولد سنة ٥٦٠ وقدم الى القاهرة وناب في الحسبة وله شعر حسن توفي بالقاهرة سنة ٦٢٤ رحمه الله ومنهم طالوت بن عبد الجبار المعافري الاندلسي دخل مصر وحج ولقي امام دار الهجرة مالك بن انس رضي الله عنه وعاد الى قرطبة وكان ممن خرج على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن من اهل ربض شقندة بربض قرطبة واقاموا المنذر اخيه وزحفوا على قصره بقرطبة لمحاربته وقتلهم وفر من نجا منهم فاستتر الفقيه طالوت عاما عند يهودي ثم تراءى على صديق الوزير ابي البسام الكاتب ليأخذ له امانا من الحكم فوشى به الى الحكم واحضره اليه فعنفه ووبخه فقال له كيف يحل لي ان اخرج اليك وقد سمعت مالك بن انس يقول سلطان جائر مدة خير من فتنة ساعة فقال الله لقد سمعت هذا من مالك فقال طالوت اللهم اني قد سمعته فقال انصرف امنا منك وانت امين ثم سأله اين استتر فقال عند يهودي مدة عام ثم اني قصدت هذا الوزير لغدر بي فغضب الحكم على ابي البسام وعزله عن وزارته وكتب عهده لا يخدمه ابدا فرئي ابو البسام بعد ذلك في فاقة وذل فقيل استجيبت فيه دعوة الفقيه طالوت رحمه الله ومنهم ابو الحسن علي بن محمد ضياء الدين ونظام بن خروف الاديب القيسي القرطبي الفقيه في الشاعر قدم الى مصر ثم سار الى حلب ومات بها مترديا في جب حنطة سنة ٦٠٢ وقيل في التي بعدها وقيل سنة ٦٠٦ وله شرح كتاب سيبويه وحمله الى صاحب المغرب فاعطاه الف دينار وله شرح جمل الزجاجي وكتب في الفرائض ورد على ابي زيد السهيلي وغير ذلك ومدح الافضل السلطان صلاح الدين ومدح الظاهر بن الناصر ايضا وشعره جيد فمنه قوله في كاتبين

انا جسم للحميّا • والحميّا لي روح •

بين اهل الظرف اغدو • كل يوم واروح •

وقال في صبي حبس

اقاضي المسلمين حكمت حكما • غدا وجه الزمان به عبوسا •

حبست على الدراهم ذا جمال • ولم تحبسه اذ سلب النفوسا •

وقال

ما اعجب النيل ما احلى شمائله • في ضفتيه من الاشجار ادواح •

من جنة الخلد فياض على ترع • تهب فيها هبوب الريح ارواح •

ليست زيادته ماء كما زعموا • وانما هي ارزاق وارباح •

والقيذا في نقاف ثم ياء اخر الحروف بعدها ذال معجمة ثم الف وفاولة رسالة كتب بها الى

بهاء الدين

بهاء الدين بن شداد بحلب يطلب منه فروة وهي

بهاء الدين والدنيا • ونور المجد والحسب •

طلبت مخافة الانوا • من جدواك جلد ابي •

وفضلك عالم اني • خروف بارع الادب •

حلبت الدهر اشطره • وفي حلب صفا حلبي •

ذو الحسب الباهر والنسب الزاهر يسحب ذيول سيرا السرا ويجب النجاة من ادخل الفرا ويمن على الخروف النبيه بجلد ابيه فاني الصباغ فريب عهد بالرتاج ما ضل طالب قرطه ولا ضاع بل داخ ناصا نغمه وصاح اذا ظهر امامه يخافه البرد ويهابه اثيث خمايل الصوف يهزا بكل موجا عصوف ما في اللباس له ضريب اذا نزل الجليد والضريب ولا في الثياب له نظير اذا عري من ورقه الغصن النضير والمولى يبعثه فرجي النوع ارجي الضوع يكون تارة لحافا وتارة برداء وهو في الحالين يحيي حرا ويميت بردا لا كطيلسان ابن حرب ولا كجلد عمرو المخرق بالضرب ان عزاه السواد الى حام فخام او نماه البياض الى سام فسام كانه من جلد جمل الجربا الذي يرعى الغمر والنجم لا من جلد السخلة الجربا التي ترعى الشجر والنجم لا زال مهديه سعيدا ينجز للاخيار وعدا وللاشرار وعيدا بالمنة والطول والقوة والحول ومنهم ملك بن مالك من اهل جيان رحل حاجا فادى الفريضة وسكن حلبا ولقي عبد الكريم بن عراد

وانشد له قوله

يا رب خير بيدي مما دفعت له • فلست منه على ورد ولا صدر •

الامر ما انت رائيه وعامله • وقد عتبت ولا اعتب على القدر •

من يكشف السوء الا انت بارئنا • ومن يدل بصفو حالة الكدر •

ومنهم ابو علي بن خميس وهو منصور بن خميس بن محمد بن ابراهيم اللخمي من اهل المرية سمع من ابي عبد الله اليوني وابن صالح واخذ عنهما القراءات وروى ايضا عن الحافظ القاضي ابي بكر بن العربي وابو القاسم بن رضي وابن ورد وابي محمد الرشاطي وابي الحجاج القضاعي وابي محمد عبد الحق بن عطية وابن عمر والخضر بن عبد الرحمن وابي القاسم عبد الرحمن بن محمد الخزرجي وغيرهم ورحل حاجا فنزل الاسكندرية وسمع منه ابو عبد الله بن عطية الداني سنة ٥٤٦ وحدث عنه بالاجازة ابو العباس الغرفي وغيرهم ومنهم منصور بن لب بن عيسى الانصاري من اهل المرية يكنى ابا علي اخذ القراءات ببلده عن ابن خميس المذكور قبله ورحل بعده فنزل الاسكندرية واجازه ابو الطاهر السلفي في صغره وقد اخذ عنه فيما ذكر بعضهم ومولده سنة ٥٤٠ رحمه الله ومنهم مفرج بن حماد بن الحسين بن مفرج المعافري من اهل قرطبة وهو جد ابن مفرج صاحب كتاب الاحتفال في علم الرجال صحب المذكور محمد بن وضاح في رحلته الثانية وشاركه في كثير من رجاله وصدر عن المشرق معه فاجتهد في العبادة وانتبذ عن الناس متركزا اجعا الى مكة عند موت ابن وضاح فنزلها واستوطنها الى ان

مات فقيرًا هنالك وقال في حقه ابو عمر عفيف انه كان من الصالحين رحل فحج وجاور بمكة نحو عشرين سنة الى ان مات بها رحمه الله ومنهم محبب بن حبيب من اهل الثغر الشرقي كانت له رحلة حج فيها وسمع بالقيروان من ابي عبد الله بن سفيان الكتاب الهادي في القراءات من تاليفه وكان رجلا صالحا حدث عنه ابو عبد الله محمد بن عبد الملك التجيبي من شيوخ ابي مروان بن الصيقل ومنهم ساعد بن احمد بن مساعد الاصبحي من اهل اوريولة يكنى ابا عبد الرحمن ويعرف بابن عوقة روى عن ابي الوليد وابن محمد بن الحافظين ابي علي الصدفي وابي بكر بن العربي وكتب اليه ابو بكر بن غالب بن عطية ورحل حاجا في سنة [illegible] فادى الفريضة سنة خمس بعدها ولقي بمكة ابا عبد الله الطبري فسمع منه صحيح مسلم مشتركا في السماع مع ابي محمد بن ابي جعفر الفقيه ولقي ابا محمد بن العرجا وابا بكر بن الوليد الطرطوشي واصحاب الامام ابي حامد الغزالي وابا عبد الله المازري وجماعة سواهم ساوى بلقائهم مشيخته وانصرف الى بلده فسمع منه الناس واخذوا عنه لعلو روايته وكان من اهل المعرفة والصلاح والورع وممن حدث عنه من الجلة ابو القاسم بن بشكوال وابو الحجاج الثغري الغرناطي عبد المنعم بن الفرس وغيرهم واغفله ابن بشكوال فلم يذكره في الصلة مع كونه روى عنه وقال تلميذه ابو الحجاج الثغري الغرناطي اخبرني ابو سليمان بن حوط الله وغيره عنه قال اخبرني الحجاج ابو عبد الرحمن بن مساعد رضي الله عنه انه لقي بالمشرق امراة تعرف بصباح عند باب الصفا وكان يقرا عليها بعض التفاسير فجاء بيت شعر سالت هل له صاحب فسالوا الشيخ ابا محمد بن العرجا فقال الشيخ لا اذكر له صاحبا فانشدت

طلعت شمس من احبك ليلا • واستضاءت فما لها من مغيب •

ان شمس النهار تغرب بالليل • وشمس القلوب دون غروب •

ولد في صفر سنة [illegible] وتوفي باوريولة سنة [illegible] قاله ابن سفيان ومنهم ابو حبيش ابن القاسم قال ابن الابار اظنه من اهل غرناطة له رحلة حج فيها وسمع من ابي طاهر السلفي وحدث عنه عن ابن فتح بمسند الجوهري انتهى ومنهم النعمان بن النعمان المعافري من اهل ميورقة منسوب الحجر رحل حاجا فادى الفريضة وجاور بمكة ثم قفل الى بلده واقرا الناس وكان مشارا اليه باجابة الدعوة وتوفي سنة [illegible] رحمه الله ونفعنا به ومنهم نعم الخلف بن عبد الله بن ابي نور الحضرمي من اهل طرطوشة او ناحيتها رحل الى المشرق وادى الفريضة ولقي بمكة ابا عبد الله الاصبهاني فسمع منه سنة [illegible] حدث عنه ابنه القاسم بن نعم الخلف بيسير ومنهم ثابت بن النون بن الفرج بن يوسف الخثعمي اصله من بلنسية وسكن مصر يكنى ابا الزهر قال السلفي قدم مصر بعد خروجي منها وتفقه على مذهب الشافعي وتادب وقال الشعر الفائق وكتب الي بشي مما شعره ومات في رجب سنة [illegible] بمصر ومنهم ضمام بن عبد الله الاندلسي رحل الى المشرق ودخل بغداد وهو ممن روى عن عبد السلام بن مسلم الاندلسي وممن روى عن ضمام ابو الفرج احمد بن القاسم الخشاب البغدادي

من شيوخ

من شيوخ الدارقطني في الرواة هكذا وقع في نسخة عتيقة من تاليف الدارقطني في الرواة عن مالك في باب مسلمة منه ضمام بالضاد المعجمة وهكذا ثبت في رواية ابي زكريا بن مالك ابن عائذ عن الدارقطني وقال فيه غيره همام بن عبد الله بالهاء وتشديد الميم في حرف الهاء ابنه ابو الوليد بن الفرضي من تاريخه والاول عندي اصح والله اعلم انتهى ومنهم ضرغام بن عروة بن حجاج بن ابي قرعة واسمه زيد مولى عبد الرحمن بن معاوية الداخل الى الاندلس من اهل لبلة له رحلة الى المشرق وكان فقيها ذكره الرازي ومنهم عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن عامر المعافري من اهل قرطبة واصله من الجزيرة الخضراء وهو والد المنصور ابن ابي عامر ويكنى ابا حفص سمع الحديث وكتبه عن محمد بن عمر بن لبابة واحمد بن خالد ومحمد ابن فطيس وغيرهم ورحل الى المشرق فادى الفريضة وكان من اهل الخير والدين والصلاح والزهد والقعود من السلطان اثنى عليه الرواية ابو محمد الباجي وقال كان كثير صدق النفع به وينتفع في اوقات بل معه كتبه وكتبي ومات منصرفه من حجه ودفن بمدينة طرابلس المغرب وقيل بموضع يقال له رقادة وكان رجلا صالحا عالما وقال بعضهم انه توفي اخر خلافة عبد الرحمن الناصر ومنهم ابو محمد عبد الله بن حمود الزبيدي الاشبيلي من عم ابي بكر محمد بن حسن الزبيدي اللغوي كان من مسامير اصحاب ابي علي البغدادي ورحل الى المشرق فلم يعد الى الاندلس ولازم السيرافي ببغداد الى ان توفي فلازم بعده صاحبه ابا علي الفارسي ببغداد والعراق وحيث ما جال وانتجعه الى فارس وحكى ابو الفتوح الجرجاني ان ابا علي نهض غلس لصلاة الصبح في المسجد فقام اليه ابو محمد الزبيدي من مرقده وكان الذي بينها حارج الدار قد بات فيها وادلج اليه ليكون اول وارد عليه فارتاع منه وقال ويحك من يكون قال انا عبد الله الاندلسي فقال له الى كم تتبعني والله ان على وجه الارض انحى منك وكان من كبار النحاة واهل المعرفة التامة والشعر وجمع شرحا لكتاب سيبويه ويقال انه توفي ببغداد سنة [illegible] ومنهم عبد الله بن رشيق القرطبي رحل من الاندلس فاستوطن القيروان واختص بابي عمران الفاسي وتفقه وكان اديبا شاعرا فقيها خيرا وفي شيخه ابي عمران اكثر شعره ورحل حاجا فادى الفريضة وتوفي في انصرافه بمصر سنة [illegible] وانشد له ابن رشيق في الانموذج قوله

• خير اعمالك الرضى • بالمقادير والقضا •

• بينما المرء ناضر • قيل قد مات وانقضى •

وقوله

• سأقطع حبلي من حبالك جاهدا • واهجر هجرا لا اصل لنا عرضا •

• وقد يعرض الانسان عمن يوده • ويلقى ببشر من يسر له البغضا •

قال في الانموذج واراد الحج فناله وجع فمات بمصر بعد انشاده فيها بالعلم والجلالة وقد بلغ عمره نحو الاربعين سنة رحمه الله وهو مخالف لما قدمناه من انه ادى الفريضة وقد ذكر ابن الابار العبارتين والله اعلم ومنهم ابو بكر البابري ويكنى ايضا ابا محمد وهو عبد الله بن طلحة

ابن محمد بن عبد الله أصله من يابرة ونزل هو إشبيلية وروى عن أبي الوليد الباجي وعن جماعة
بغرب الأندلس منهم أبو بكر بن أيوب وأبو الحزم بن عليم وأبو عبيد بن مزاحم البطليوسيون وغيرهم
وكان ذا معرفة بالنحو والأصول والفقه وحفظ التفسير والقيام عليه وحلق به مدة
بإشبيلية وغيرها وهو كان الغالب عليه مع الفقه فيسرد منه جملا على العامة وكان
متكلما وله رد على أبي محمد بن حزم وكان أحد الأئمة بجامع العديس ورحل إلى المشرق فروى
عن أبي بكر محمد بن بدرون بن علي كتابه المؤلف في الحديث المعروف بالزبيد ومن والقضايا في شرح
صدر رسالة ابن أبي زيد وبين ما فيها من العقائد وله مجموعة في الأصول والفقه منها
كتاب سماه المدخل إلى كتاب آخر سماه سيف الإسلام على مذهب مالك الإمام ألفه للأمير علي
ابن تميم بن المعز الصنهاجي صاحب المهدية وذكر في فضل الحج منه أنه رحل إلى المهدية عام [illegible]
واستوطن مصر مدة ثم رحل إلى مكة وبها توفي رحمه الله روى عنه أبو المظفر الشيباني وأبو محمد
العثماني وأبو الحجاج يوسف بن محمد القيرواني وأبو عمرو عثمان بن فرج العبدري وأبو محمد بن صدقة
المنكبي وأبو عبد الله بن حبيش البلنسي وغيرهم وكان سماع ابن الحجاج منه موطأ مالك
سنة [illegible] رحم الله الجميع ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن مرزوق اليحصبي الأندلسي رحل حاجا
فسمع منه بالإسكندرية أبو الطاهر السلفي كتاب طبقات الأمم لأبي القاسم صاعد بن أحمد
الطليطلي وحدث به عنه عن ابن العرض صاعد ومنهم أبو محمد بن عبد الله بن محمد الصدفي
المرسي ويعرف بابن مطحنة روى عن أبي بكر بن الفرضي النحوي وتأدب به ورحل إلى المشرق ولقي
أبا محمد العثماني وغيره وحج وقعد لتعليم الآداب وممن أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن عبد
السلام وأبو عبد الله المكناسي وغيرهما وأنشد رحمه الله قال أنشدني أبو محمد عبد الله
ابن البياسي بالإسكندرية لنفسه

يمد الدهر من أجلي وعمري • كما أني أمد من المداد •
لنا خطان مختلفان جدا • كما اختلف الموالي والمعادي •
فأكتب بالسواد على بياض • ويكتب بالبياض على السواد •

وهذا نظير قول الآخر

ولي خط وللأيام خط • وبينهما مخالفة المداد •
فأكتبه سوادا في بياض • وتكتبه بياضا في سواد •

وبعضهم ينسب الأبيات الثلاثة السابقة للسلفي الحافظ فالله أعلم ومنهم
أبو محمد عبد الله بن عيسى الشلبي سمع من الصدفي وغيره وكان من أهل الحفظ للحديث
ورجاله والعلم بالأصول والفروع ومسائل الخلاف ومعالم العربية والهيئة مع الخير
والدين والزهد وامتحن بالأسر في قضاء بلده بعد أن تقلده نحو تسعة أعوام لإقامته
الحق وإظهاره العدل حتى أدى ذلك إلى اعتقاله بقصر إشبيلية ثم سرح فرحل حاجا
إلى المشرق ودخل المهدية فلقي بها المازري وأقام في صحبته نحو ثلاث سنين ثم انتقل إلى

بمصر

بمصر وحج سنة [illegible] وأقام بمكة مجاورا وحج ثانية سنة [illegible] ولقي بمكة أبا بكر عتيق بن عبد
الرحمن الأوريولي في هذه السنة فحمل عنه ودخل العراق وخراسان وأقام بها أعواما وطار
ذكره في هذه البلاد وعظم شأنه في العلم والدين وكان من بيت شرف وجاه في بلده عريض سعة
الحال والمال وتوفي بهراة سنة [illegible] وقيل إن وفاته سنة [illegible] وذكره العماد في الخريدة والسمعاني
في الذيل

وأنشد له

تلونت الأيام لي بصروفها • فكنت على لون من الصبر واحد •
فإن أقبلت أدبرت عنها وإن نأت • فأمنون بمفقود لا كرم فاقد •

وولد عام [illegible] بشلب رحمه الله ومنهم أبو محمد عبد الله بن موسى الأزدي المرسي ويعرف بابن
برطلة سمع من صهره القاضي الشهيد أبي علي الصدفي ورحل حاجا سنة [illegible] فأدى الفريضة وسمع
من الطرطوشي والأنماطي والسلفي وغيرهم وانصرف إلى مرسية بلده وكان حسن السمت خاشعا
مخبتا خيرا متواضعا بينهما من هاشم الباطن وحكى عن شيخه أبي عبد الله الرازي عن أبيه
أنه أخبره أن قاضي البرلس وكان رجلا صالحا خرج ذات ليلة إلى النيل فتوضأ وأسبغ وضوءه
ثم قام فصف قدميه وصلى ما شاء الله أن يصلي فسمع قائلا يقول

لولا أناس لهم سر يصوموننا • وآخرون لهم ورد يقومونا •
لزلزلت أرضكم من تحتكم سحرا • لأنكم قوم سوء لا تبالونا •

قال فتجوزت في صلاتي وأدرت طرفي فما رأيت شخصا ولا سمعت حسا فعلمت أن ذلك
زجر من الله تعالى وقال ابن برطلة رحمه الله أنشدني أبو عامر قال دخلت بعض مراسي الثغر
فوجدت في حجر منقوش هذه الأبيات

نزلت ولي أمل عودة • ولكنني لست أدري متى •
وذا فجئني قدر لم أطق • دفاعا لمكروهه إذ أتى •
فيا نازلا بعدنا ههنا • نحييك إن كنت نعم الفتى •

فسألت عن منشدها فقيل لي هو أبو بكر بن أبي درهم الوشقي وكان قد حج وأراد العودة فقال
هذه الأبيات ورواها بعضهم رحلت مكان نزلت وهو أصوب وأبدل قوله فيا نازلا
بيا ساكنا والخطب سهل فيه وبعض يقول إن الأبيات وجدت بجامع مصر والله أعلم ومنهم
أبو محمد عبد الله بن محمد بن خلف بن سعادة الداني الأصبحي لازم ابن سعد الخير واحتذى أولا مثاله
مثال الخط فقال به وسمع منه ثم رحل إلى المشرق فسمع بالإسكندرية من أبي الطاهر بن عوف
والسلفي وغير واحد قال التجيبي كان معنا بالإسكندرية بالعادلية منها وبقراءته سمعنا
صحيح البخاري على السلفي سنة [illegible] قال وأنشدنا لشيخه الأستاذ أبي الحسن علي بن إبراهيم
ابن سعد الخير البلنسي

يا لاحظا تمثال نعل نبيه • قبل مثال النعل لا متكبرا •
والثم له فلطالما عكفت به • قدم النبي مروحا ومبكرا •

اولا ترى ان المحب مقبل • طللا وان لم يلف فيه مخبرا •
وقد سبق ابن سعادة ابو عبد الله وهو غير هذا والله اعلم ومنهم ابو محمد عبد الله بن يوسف
القضاعي المرى سمع من ابي جعفر بن غزلون صاحب الباجي وغير واحد ورحل الى المشرق فسمع بالاسكندرية
من السلفي والرازي وتحول هنالك واخذ عنه ابو الحسن بن المفضل المقدسي واخذ وقال
ابن المفضل انشدني المذكور قال انشدني ابو محمد بن صارة

وكوكب ابصر العفريت مسترقا • للسمع فانقض يدني خلفه لهبه •
كفارس حل اعصار عمامته • فجرها كلها من خلفه عذبه •

ومنهم شهاب الدين احمد بن عبد الله بن مهاجر الوادي آشي الحنفي سكن طرابلس الشام ثم
انتقل الى حلب واقام بها وصار من العدول المبرز في العدالة بحلب يعرف النحو والعروض
ويشتغل فيهما وله انتما الى قاضي القضاة الناصر بن العديم قال الصفدي كتب ايام مقامي
بها سنة ٧٤٠ فرايته حسن التودد وانشدني لنفسه

ملاح في درع يصول بسيفه • والوجه منه يضيء تحت المغفر •
الاحسبتنا البحر مد بجدول • والشمس تحت سحايب من عنبر •

قال الصفدي جمع هذا المقطوع بين قول ابن عباد

ولما اقتحمت الوغا دارعا • وقنعت وجهك بالمغفر •
حسبنا محياك شمس الضحى • عليها سحاب من العنبر •

وبين قول ابي بكر الرصافي

لو كنت شاهده وقد غشي الوغى • يختال في درع الحديد المسبل •
لرايت منه والقضيب بكفه • بحرا يرى نهر الكماة بجدول •

وقال يمدح الشيخ كمال الدين محمد بن الزملكاني وقد توجه الى حلب قاضي القضاه

بمن يرتم نوقا لابك طايره • وطاير عمت الدنيا بشايره •
وموردا اصبح الاقبال ممتثلا • في امره ما اخوه الخير آمره •

ومنها

من مخبر عني الشهباء ان كمال الدين قد شيدت فيه مفاخره •
وان تقليده الزاهي وخلعته الشي نظر عطفيهما ما آثره •
بالنفس افديك من تقليد مختهد • سواه يوجد في الدنيا مناظره •
انشدت حين ادار البشر كاس طلا • حكت اوايله صفوا اواخره •
وقد بدت في بياض الطرس اسطره • سود البنان ما امتدت محابره •
ساق تكون من صبح ومن غسق • فابيض خداه واسودت غدايره •
وحلة تلك اذ لاحت لناظرينا • بالروض تطفو على نهر ازاهره •
وقد راها عدو كان يضمر لي • من قبل سوءا فخانته ضمايره •

ورام صبرا

ورام صبرا فاعيته مطالبه • وغيض الدمع فانهلت بوادره •
بجود الدولة الغرا انا لنت • امنت منك ونام الليل ساهره •

وقال ايضا رحمه الله

تسعر في الورى نيران حرب • بايديهم مهندة ذكور •
ومن عجب لظى قد سعرتها • جداول قد اقلتها بدور •

وقال ملغزا في قالب لبن

ما آكل شي في ثمنين • يغوط من مخرجين •
معزى يقبض وبسط • وما له عن يدين •
ويقطع الارض سعيا • من غير ما قدمين •

وخمس لامية العجم مدحا في رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصفدي ولما كنت في حلب
كتب الي ابياتا انتهى ومنهم ابو جعفر احمد بن صابر القيسي قال ابو حيان كان المذكور
رفيقا للاستاذ ابي جعفر بن الزبير شيخنا وكان كاتبا مترسلا شاعرا حسن الخط
على مذهب اهل الظاهر وكان كاتبا للامير ابي سعيد فرج بن السلطان الغالب بالله
ابن الاحمر ملك الاندلس وسبب خروجه من الاندلس انه كان يرفع يديه في الصلاة على ما صح
في الحديث فبلغ ذلك السلطان ابا عبد الله فتوعده بقطع يديه فضجر من ذلك وقال
ان اقليما اميتت فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يتوعد بقطع اليد من يقيمها
لجدير ان يرحل منه فخرج وقدم ديار مصر وسمع بها الحديث وكان فاضلا نبيلا ومن شعره

اتنكر ان يبيض راسي لحادث • من الدهر لا يقوى له الجبل الراسي •
وكان سوادا في الهوى قد لبسته • فراسي ماتمي وقلبي عباسي •

انتهى قلت لو قال الشيبي لكان الغاية وانشد له بعضهم

فلا تعجبا ممن غوى خلف ذي على • لكل علي في الانام معاويه •

قلت لا يخفى ما فيه من عدم سلوك الادب مع الصحابة رضي الله عنهم ورحم الله بعض
الاندلسيين حيث قال في زجر كبير

ومن يكن يقدح في معاويه • فذاك كلب من كلاب عاويه •

وانشد ابو حيان المذكور

ارى الدهر ساد به الارذلون • كالسيل يطفو عليه الغثا •
ومات الكرام وفات المزيح • فلم يبق للعقول الا الرثا •

وانشد له ايضا

لولا ثلاث هن والله من • اكبر امالي في الدنيا •
حج لبيت الله ارجو به • ان يقبل التوبة والسعيا •
والعلم تحصيلا ونشرا اذا • روينا او سعت الورى ريا •

وأهلوا وإذا شاء الله ... يمتع بالبقيا إلى اللقيا

ما كنت أخشى الموت إني ... بل لم أكن ألتذ بالمحيا

وقال أبو حيان في بني الملة

أما إنه لولا ثلاث أحبها ... تمنيت أني لا أعد من الأحيا

فمنها رجائي أن أفوز بتوبة ... تكفر لي ذنبا وتنجح لي سعيا

ومنهن صوني النفس عن كل جاهل ... لئيم فلا أمشي إلى بابه مشيا

ومنهن أخذي بالحديث إذا الورى ... نسوا سنة المختار واتبعوا الرأيا

أتترك نصا للرسول وتقتدي ... بشخص لقد بدلت بالرشد الغيا

انتهى ومنهم الأستاذ أبو القاسم بن الإمام القاضي الباجي سكن سرقسطة وغيرها وروى عن أبيه معظم علمه وخلفه بعده وفاته في حلقته وغلب عليه علم الأصول والنظر وله تواليف تدل على حذقه منها العقيدة في المذاهب السديدة ورسالة الاستعداد للخلاص من المعاد وكان غاية في الورع توفي بجدة منصرفه من الحج ٤٩٣ رحمه الله ومنهم الإمام الفاضل الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الساحلي الغرناطي قال ابن الخطيب حاجا قدم علينا من المغرب ٧٢٤ ثم رجع إلى المغرب في هذه السنة وبلغنا أنه توفي بمراكش سنة نيف وأربعين وسبعمائة وأنشدوا الذي قصيدة من نظمه امتدحه بها وأنا أسمع ومن خطه نقلت وهي

فقفا موردا عينا جرت بعدكم دما ... أناصي أسفا رطوين على ظما

غدونا ملات تناقل الجما ... ورحن حنيات تفوق أسهما

يجسمها الحادي الأسر بن حسرا ... وتوطنها الحادي الأحزن همما

على مبتسميها للشقائق منبت ... وفي مموهيها للشقائق مرتمى

إلى أن قال

وتعشا إلا ما لجهام سحابها ... نزحى ركاما ما استهل ولا همى

تجاذبها نفس تخيش نفيسة ... ومن لم يجد إلا صعيدا تيمما

فهل دمع يرعاه من لطوسه ... طوى نسر أين جنبيه منهما

أقبل منه للبروق مباسما ... وأرشف من يمماء طلما به لما

إلى أن تجلى من كنانة بدرها ... فعرس ركبي في حماه وخيما

تمال البنا مي حيث لبيس مضلل ... وكهف لآبائي بما عز مرتمى

ومنها

فيا لغراانت أم غيث ديمة ... أسائلت عبابا في ثرى الجود عيلما

ويا سعيه يمينك أحسبه ... على مغطى علياه من رواسمهما

قضى مني أوطار نفس كريمة ... ورووى صدا لما حين حل بزمزما

أنا داء داعي الحج حتى على الهدى ... فاسرج طوعا في رضاه والحمى

فلله ما المندى

فلله ما المندى وأرشد وأمندى ... ولله ما أعطى وأوفى وأنعما

ومنها

أمنت بآداب وعلم كليهما ... أقاما لذنبك الدعي فرضا ولزما

وهي طويلة ومن الراحلين من الأندلس الوليد بن هشام من ولد المغيرة بن عبد الرحمن الداخل فيما حكى بعض المؤرخين خرج من الأندلس على طريقة الفقر والتجرد ووصل برقة بركوة لا يملك سواها فعرف بأبي ركوة وأظهر الزهد والعبادة واشتغل بتعليم الصبيان وتلقينهم القرآن وتغيير المنكر حتى خدع البربر بقوله وفعله وزعم أن مسلمة بن عبد الملك بشر بخلافته بما كان عنده من علم الحدثان وكان يقال عن مسلمة أنه أخذ علم الحدثان عن خالد بن يزيد بن معاوية وأخرج لهم أرجوزة أسندها إلى مسلمة ومنها في وصفه وابن هشام قايم في برقة به ينال عبد شمس حقه تكون في بربرها قيامه وفرق العرب لها أكرامه واتفق أن قرة ابن حرفوا عن الحاكم ثم اللوا إليه وحضروا معه مدينة برقة حتى تنحوها وخطبوا له فيها بالخلافة وكان قيامه في رجب ٣٩٥ فهزم عسكر باديس الصنهاجي صاحب إفريقية وعسكر الحاكم بمصر وأخافه ومن طبع بطانة الحاكم لكثرة خوفهم من سفك الحاكم الدما ورغبوه في الوصول إليهم وتملكها بالخبرة فبالغ القاهرة فلما وصل إليها قام بمحاربته الفضل بن صالح القيام المشهور إلى أن هزم أبا ركوة ثم جاء به إلى القاهرة فأمر الحاكم أن يطاف به على جمل ثم قتل صبرا سنة ١٣ رجب ٣٩٩ ولما حصل في يد الحاكم كتب إليه

فررت ولم يغن الفرار ولم يكن ... مع الله لم يعجزه في الأرض هارب

ووالله ما كان الفرار لحاجة ... سوى فزعي الموت الذي أنا شارب

وقد قادني جرمي إليك برمتي ... كما خر ميتا في رحى الحرب سالب

وأجمع كل الناس أنك قاتلي ... فيا رب ظن ربه فيه كاذب

وما هو إلا الانتقام وينتهي ... وأخذك منه واجبا وهو واجب

ولأبي ركوة المذكور أشعار كثيرة منها قوله

بالسيف يقرب كل أمر ينزح ... فاطلب به إن كنت ممن يفلح

وله أيضا

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه ... وليس عليه أن يساعده الدهر

وقوله

إن لم أجلها في ديار العدى ... تملأ وعر الأرض والسهلا

فلا سمعت الحمد من قاصد ... يوما ولا كنت له أهلا

وله من غير ذلك مما يطول وخبره مشهور ومنهم أبو زكريا الطيطلي يحيى بن سلمان قدم الإسكندرية ثم رحل إلى الشام واستوطن حلب وله ديوان شعر أكثره في المديح والهجا قال بعض من طالعه ما رأيت فيه مدح أحدا إلا وهجاه وله مصنفات في الأدب ومن نظمه قوله

ارض سقت عبطاتها اعطافها • وزهت على كثبانها قضبانها •

وَمنهـا

فتكت بالباب الكماة فسيفها • من طرفها وسنانها وسنانها •
لم يبق مخصوص بالبسيطة سالما • الا سبا انسانه انسانها •

وَمنهـا

ونصاحبت ونجاوبت اطيارها • وتداولت الحانها •
وتنسمت وتبسمت اياتها • وتملات وتكللت ازمانها •
بمدبرها ومنبرها وضميرها • ومعبرها احسنا جلاه عيانها •

ومنهم ابو بكر يحيى بن عبد الله بن محمد القرطبي المعروف بالمعيلي سمع من محمد بن عبد الملك بن ايمن وقاسم بن اصبغ وغيرهما ورحل فسمع من ابي سعيد بن الاعرابي وكان بصيرا بالعربية والشعر مولفا جيد النظر حسن الاستنباط حدث وتوفي بجاية في شهر ربيع الاول سنة ... قال ابن الفرضي

ومنهم الامام المحدث ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن سلمة الانصاري الغرناطي قدم الى المشرق وتوفي بمصر سنة ٧٣٠ عن نحو خمسين سنة بالبيمارستان المنصوري قال القاضي القاضي عبد العزيز ابن جماعة الكناني في كتابه نزهة الالباب انشدنا المذكور لنفسه بالقاهرة بعد قدومه من مكة والمدينة وقد رام ان يعودا اليهما فلم يتيسر له

لئن بعدت عني ديار الذي اهوى • فقلبي على طول التباعد لا يقوى •
تحدث رعاك الله عن عرب رامة • فاني لهم عبد على السر والنجوى •
فاني مت شوقا في الهوى وصبابة • فيا شرفي ان مت في حب من اهوى •
فيا ايها العذال كفوا ملامكم • فما عندكم بعض الذي بي من الشكوى •
ويا جيرة الحي الذي وهي بهم • اما ترحموا صبا يحن الى حزوى •
ويا اهل ديار الحمى وحيا تكم • يمين وفي صادق القول والدعوى •
ملكتم فنادى فارحموا او تفرقوا • فانتم مرادي لا سعاد ولا علوى •
فما لي سواكم سادتي لا عدمتكم • تجودوا بوصل انتم الغاية القصوى •

انتهى ومنهم الفاضل الاديب ابو عبد الله محمد بن علي بن يحيى بن علي الغرناطي قال ابن جماعة في الكتاب المسمى قريبا انشدني المذكور لنفسه على قبر سيدنا حمزة رضي الله عنه

يا سيد الشهداء بعد محمد • ورضيع ذي المجد المرفع احمد •
يا ابن الاعزة من خلاصة هاشم • سرح المعالي والكرام المجد •
يا ايها البطل الشجاع المحتمي • دين الاله بباسه المتناسد •
يا نبعة الشرف الاصيل المعتلي • يا ذروة الحسب الاثيل الاتلد •
يا نجدة الملهوف في حمم الوغى • عند التهاب جحيمها المتوقد •
يا غيث ذا الامل البعيد مرامه • يا غوث مونور الزمان الانكد •

يا من لعظم مصابه خص الاسى • قلب الرسول وعم كل موحد •
يا حمزة الخير المؤمل نفعه • يوم الهياج وعند فقد المنجد •
وافاك يا اسد الاله وسيفه • وفد المؤمل من حماك بمعهد •
جئناك يا عم الرسول وصنوه • قصد الزيارة فاحتفل بالقصد •
واسال الهك في اغتفار ذنوبنا • شيم المزور قيامه بالعود •
لذنا بجانبك الكريم توسلا • وكذا العبيد ملاذهم بالسيد •
فاشفع لضيفك فالكريم مشفع • عند الكريم ومن يشفع يقصد •
يا ابن الكرام المكرمين نزيلهم • اهل المكارم والعلى والسودد •
نزل الضيوف بباب ساحتك التي • منها يؤمل كل عطف مسعد •
فاجعل ابا يعلى قرانا عطفة • وارغب لربك في هدانا وارشد •
فعسى يمن على الجميع بتوبة • تهدي بها نهج الطريق الارشد •
فلقد اعتمدنا منك خير وسيلة • نرجوا بها حسن التجاوز في غد •
لهم لا نوم وانت عم محمد • ولدينه قد صلت صولة ايد •
وصحبته ونصرته وعضدته • وذببت عنه باللسان وباليد •
وبذلت نفسك في رضاه • وانا لا اله الا وحده •
تجزاك عنا الله خير جزائه • وسقى ثراك حيا الغمام المرعد •
وعلى رسول الله منه سلامه • وعليك منفصل الرضى المتجدد •

ولد ببعض اعمال غرناطة قبل التسعين وستمائة وتوفي بالمدينة الشريفة على ساكنها الصلاة والسلام سنة ٧١٥ ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى انتهى ومنهم الشيخ نور الدين ابو الحسن الياسري رحمه الله تعالى من اقارب بعض ملوك المغرب وكان من الفضلاء العلماء الادباء وله مشاركة جيدة في العلوم ونظم حسن ومنه قوله

القضب راقصة والطير صادحة • والنشر مرتفع والماء منحدر •
وقد تجلت من اللذات اوجهها • لكنها بظلال الدوح تستتر •
فكل واد به موسى يفجره • وكل روض على حافاته الخضر •

وقوله

وذي هيف راق العيون انثناؤه • يفذ كرطبان من البان مورق •
كتبت اليه هل يجود بزورة • فوقع لا خوف الرقيب المصدق •
فابقيت من لا ما لعناق تفاؤلا • كما اعتنقت لام لم تتفرق •

وما احسن من قول ذي العز بن جمران

اني لاحسد لا في احرف الصحف • اذا رايت اعتناق اللام للالف •
وما اظنهما طال اجتماعهما • الا لما لقيا من لوعة الاسف •

واحسن من هذا قول القيسراني

استشعر الياس من لا تم يطمعني • اشارة في اعتناق اللام للالف •

وكانت وفاة ابي الحسن المذكور في ربيع الاول سنة ٥٥٦ ودفن بقيسون رحمه الله والابيات
التي اولها الغصن راقصة الحق نسبها له اليونيني وغير واحد والصواب انها البيت
له واما هي لنور الدين بن سعيد صاحب المغرب وقد تقدم ذكره ولعل السهو سري من
تشارك الاسم واللقب والقطر ومثل هذا كثير ما يقع والله اعلم ومن الراحلين
من اهل الاندلس الى المشرق ابن عتبة الاشبيلي وكان فارق اشبيلية حين تولاها ابن هود
واضطربت بفتنته الاندلس نارا ولما قدم مصر هاربا من تلك الاهوال التحيرت عليه البلاد
ونغرلت به الاحوال ولما سئل عن حاله بعد بعده عن ارضه وتركا له بادر وانشد

• اصبحت في مصر مستضعفا • ارقص في دولة العزود •
• واضيعة العمر في اخير • مع النصارى مع اليهود •
• بالجد رزق الانام بينهم • لا بذوات ولا جدود •
• لا تبصر الدهر من براعي • معنى قصيد ولا قصود •
• اود من لومهم رجوعا • للغرب في دولة ابن هود •

وتذكرت بقوله ارقص في دولة العزود ما وقع لابي القاسم بن القطان وهو مما يستطرف
ويستظرف وذلك انه لما ولي الوزارة الزينبي دخل عليه ابو القاسم المذكور والمجلس حافل
بالروساء والاعيان فوقف بين يديه ودعا له واظهر الفرح والسرور ورقص فقال
الوزير لبعض من يفضي اليه بسره قبح الله هذا الشيخ فانه يشير برقصه الى قول الشاعر
وارقص للقرد في دولته • انتهى ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق ابو عبد الله محمد بن
احمد بن علي الهواري من اهل المرية ويعرف بشمس الدين بن جابر الضرير وله ترجمة في الاحاطة
ذكرنا ما مع زيادة عليها عند تعرضنا للاولاد لسان الدين بن الخطيب رحمه الله ورحل الى
المشرق ودخل مصر والشام واستوطن حلبا وهو صاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان
وسكن حلبا وله امداح نبوية ونواليف منها شرح الفية ابن مالك وغير ذلك وله نظم
ديوان شعر وامداح نبوية في غاية الاجادة ومن نظمه رحمه الله موريا باسماء الكتب

• عرا بشر مدحي كم اتيت بغيره • فلما رايته قلت هذا من الاكفا •
• نوادر آداب ذخيرة ماجد • شمائل فيهن من نكت تلقى •
• مطالعها من المشارق للعلى • جواهر قدرا قتنه جواهر رصفا •
• رسالة مدحي فيك واضحة ولي • مسالك تهذيب لتنبيه من اغفى •
• فيا منتهى سولي ومحصول غايتي • لانت امرء من حاصل المجد مستصفى •

وقد اشتملت هذه الابيات الخمسة على التورية بعشرين كتابا وهي العرائس للثعالبي والنوادر
للقالي وغيره والذخيرة لابن بسام وغيره والشمائل للترمذي والنكت لعبد الحق الصقلي

وغيره

وغيره والمطالع لابن قرقول وغيره والمشارق للقاضي عياض وغيره والقلايد لابن خاقان
وغيره ورصف المباني في حروف المعاني للاستاذ ابن عبد النور وهو كتاب لم يصنف في فنه
مثله والرسالة لابن ابي زيد وغيره والواضحة لابن حبيب والمسالك للبكري وغيره
والجواهر لابن شاس وغيره والتهذيب في اختصار المدونة وغيره والتنبيه لابي اسحق وغيره
ومنتهى السول لابن الحاجب والمحصول للامام الرازي والغاية للنووي وغيره والحاصل
مختصر المحصول والمستصفى للغزالي وما احسن قول الحكيم موفق الدين

• سجايا منا والشمل منتظم • نظما به خاطر التفريق ما شعرا •
• والهف نفسي على عيش ظفرت به • قطعت مجموعه المختار مختصرا •

وهذه ثلاث كتب مشهورة المختار والمجموع والمختصر واحسن منه قول الاخر

• عز حالتي يا نور عيني لا تسل • نزك الجواب بجواب تلك المسئلة •
• حالي اذا حدثت لا المعاولا • جملا لا يضاهي بها من تكملة •
• عندي جوى يذر الفصيح مبلدا • فاترك مفصله ودونك مجمله •
• القلب ليس من الصحاح فيرتجى • اصلاحه والعين سحب منقلة •

وقد اوردنا في ترجمة ابي عبد الله بن جزي الكاتب الاندلسي جملة مستكثرة في التورية باسماء
الكتب فلتراجع ثمة رجع الى الشمس بن جابر فنقول ومن نظمه رحمه الله تعالى مسمطة للابيات
المشهورة

• لم يبق في اصطبار • مذ خلفوني وساروا •
• وللحبيب اشاروا • جار الكرام بجار •
• لله ذاك الاوار • بانوا فما الدار دار •
• يا بدر اهلك جاروا • وعلموك التجري •

• كانوا ابن لوداهلي ما عاملوني بعدلي • اصموا فوادي بنبل • يا بين بينت شكلي •

• يا روح قلبي قل لي • ابم دعوك لقتلي •
• وحرموا لك وصلي • وذللوا لك هجري •

• حسبي وما ذا اعتاد بهم المنا والمراد • وان عن الحق حادوا • او جاملوني وجادوا •

• يا من به الكل سادوا • والكل عندي سداد •
• فليفعلوا ما ارادوا • فانهم اهل بدري •

وتذكرت بهذا قول ابي البركات ابن محمد السعدي

• للعاشقين انكسار • وذلة وافتقار •
• وللملاح افتخار • وعزة واقتدار •
• واهل بدري اشاروا • وودعوني وساروا • يا بدر الخ
• كتبت والوجد غلي • جد الهوى بجد هزلي •
• وحار ذهني وعقلي • ما بين بدر واهلي •

• يا بدر فاخكم بعدلي • اذا اتوك بعذلي • وحرموا الح
• لولا هواك المراد • ما كنت ممن يصاد •
• ولا شجاني البعاد • يا بدر اهلك جادوا •
علطت جاروا وزادوا • لكنهم بك سادوا • فليفعلوا ما ارادوا • فانهم اهل بدري •
انتهى رجع الى ابن جابر فنقول توفي رحمه الله في السيرة في جمادى الاخرة سنة ... رحمه الله

ومن نظمه قوله

• يا اهل طيبة في مغناكم قمر • يهدي الى كل محمود من الطرق •
• كالغيث في كرم كالليث في حرم • والبدر في افق والزهر في خلق •

وله

• اما معاني المعاني فهي قد جمعت • في ذاته فبدت نارا على علم •
• كالبدر في شيم والبحر في ديم • والزهر في نعم والدهر في نقم •

وقال

• ولما وقفنا كي نودع من نأى • ولم يبق الا ان تخب الركائب •
• بكينا وحق للمحب اذا بكى • عشية سارت عن حماه الحبائب •

وقال

• ضحكت فقلت كان جيدك قد غدا • يهدي لثغرك من جواهر عقده •
• وكان ورد الخد منك بمائه • قد شاب عذب لماك حالة ورده •

وقال

• منعتنا قرى الجمال وقالت • ليس في غير زادنا من مجال •
• فاقمنا على الرحال وقلنا • ما لنا حاجة بحط الرحال •

وقال

• عذب قلبي رشا ناعم • اسهر جفني طرفه الناعس •
• يحرس باللحظ جنى خده • يا ليته لو غفل الحارس •

وله

• وافيته بهمم وقد بعد المدا • ونأى الفريق من الديار وسارا •
• ما كدت اعرف بعد طول تأملي • دارا بها طاف السرور ودارا •

وله

• ولست ارى الرجال سوى اناس • همومهم موافاة الرجال •
• اطالوا في الندى اهلاك مال • فعاشوا في الانام ذوي كمال •

وقال

• ايها المنهمون تغنيني فدا كم • انجدوني على الوصول لنجد •

وتوفي

• وقفولني على منازل ليلى • فوجودي هناك يذهب وجدي •
ما كتبته على كتاب نسيم الصبا لابن حبيب وصورته لما وقفت على الفصول الموسومة بنسيم الصبا المرسومة في صفحات الحسن فاذا ابصرها اللبيب صبا انتعش بها الخاطر انتعاش النبت بالغمام وهملت سحائب بنانها فاثمرت حدائق الكلام واخرجت ازهار الربيع ما فيها من النبات وسمعت الاذان فصحة الاذهان بهذه الابيات وهي هذه

• هذي فصول الربيع في الزمن • كم حسن اسندت الى حسن •
• رقت وراقت فمن شمائلها • بمثل صرف الشمول تحتفني •
• كم ملح قد حوت وكم ملح • يعجبني لفظها ويعجزني •
• كم فيه من نفث ومن نكت • اشهدني حسنها فادهشني •
• جمع غدت ما له النظير فلا • يصرف عن خاطري ولا اذني •
• يا خير اهل العلا وبحرهم • اي بديع الكلام لم ترني •
• بدرك في مطلع الفضائل لا • يكون مثل له ولم يكن •
• هذي الفصول التي انيت بها • قد افحمت كل ناطق لسن •
• كم فن معنى بها يذكرني • شجوى لشدو الحمام في فنن •
• فمن نسيب مع النسيم جرى • لطفا فازرى بالجوهر الثمن •
• وحسن سجع كالزهر في افق • والزهر في ناعم من الغصن •
• له معان اغنت مداركها • كل معان بنيلهن غني •
• لا زال راق للمجد راقمها • ذا سنن حاز احسن السنن •

فصول هي للحسن اصول • وشمولها على كل القلوب شمول • لبشر لقد امنه على التقدم اليها حصول • ولا لسحبان ان يسحب ذيلها وصول • ولا انتهى بشر الايادي الى هذه الايادي • ولا ظفر بديع الزمان بهذه البدائع الحسان • لقد قصر فيها حبيب عن ابنه وحار بين لطافة فضله وفضل ذهنه • تنزهت في طرف خمائلها • وتنبهت بلطف شمائلها تالله انها السحر حلال • وخلا لها ما مثلها خلال • كلام كله كمال • ومجال لا يرى بغير الاجمال راقم بردها • وناظم عقدها في كل فصل جاء بكل الفضل • وفي كل معنى عمر بالبراعة مغنى اعرب فاغرب • واوجز فاعجز • واطال فاطاب • واجاد حين اجاب • فما انفس فرائده وانفع فوائده • وافصح مقاله • وافسح مجاله • واطوع للنظم طباعه • واطول في النثر باعه • ازاهر تنبت في كتاب • وجواهر تكونت من الفاظ عذاب • ومواهب لا تدرك بيد اكتساب • فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب • فصول احلى في الافواه من الشهد وانهى الى النواظر من النوم بعد السهد • سكب ادمعها في قالبها النكت الحسان وذهب بمحامد عبد الحميد ومحاسن حسان • فما احقها ان تسمى فصول التوقيع واصول البديع لا زال حسنها يملأ الاوراق بما راق • ويزين الافاق بما فاق • ولا برحت حدائق براعته

نزهة للاحداق • وحقايق بلاغته في جيد الاجادة بمنزلة الاطواق بمن الله وكرمه انتهى

وحيث جرى ذكر كتاب نسيم الصبا فلا باس ان نذكر تقاريظ العلما له فمن ذلك قول القاضي شرف الدين بن ريان • وقفت على هذا الكتاب الذي ابدع فيه مؤلفه • ونظم فيه الجواهر مصنفه • وابتعت حدايق ادبه فدنا ثمرها لمن يقتطفه • وعرفت مقدار ما فيه من الانشا وابن من يعرفه • فوجدته الطيف اسمه • واحسن من الدرر في نظمه • واطيب من الورد عند شمه • هبت على رياض فصول النسيم صباها • فتفتقت الازهار في رباها • وتنشوقت قلوب الادبا الى استنشاق شذاها وطيب رياها • وفاضت عليه انوار البدر فاغنى سناها عن الشمس وضحاها • وتحلت نحور البلغاء من كلامه بالدر اليتيم • ومن معانيه بالعقد النظيم • وتزخرفت افنان فنون الفصاحة لما هب عليها ذلك النسيم • كل فضل له في الفضل اسلوب على بابه • وطرب لا تطرب به منشية محاسن لا توجد الا في كتابه • صدر هذا الكتاب عن علم سابق وفكر ثاقب وذهن رايق • ونفس صادق • ورويته ملات نصا بيتها المغارب والمشارق • وقريحة اذا ذقت جناها وشمت سناها تذكرت ما بين العذيب وبارق فوالله تعالى يبقي مصنفه قبلة لاهل الادب وبديعه ويبلغه من سعادة الدنيا والاخرة ما يرومه بمنه وكرمه انتهى وقرظ عليه بعضهم بقوله وقف المملوك سليمان بن داود المصري على فصوص الحكم من هذه الفصول • ووجد من نسيم الصبا امارات القبول • ونزه طرفه في رياض هذا الكتاب • وخاطب فكره العقيم في وصفه معجز عن رد الجواب •

• ماذا اقول وكل وصف دونه • اين الحضيض من السماك الاعزل •

يا لها كلمات نقضت قدر الافاضل • وفضحت فصحاء البلاغة على سحبان وايل وزادت في البلاغة على جرير • وغيرت حال القدما فما عبد الرحيم الفاضل وما عبد الحميد وذلت لها تشبيهات ابن المعتز طوعا • وملكت زمام البيان فما تركت للبديع منه نوعا

• قطعت الرجال القول حين نباته • وقطعت انت القول لما نورا •

وخطابا عجز الخطبا وصفه • وجوابا لغى البلغا رصفه • وغرايب تعرفت بمبدايها وشواردنا فقنت بمهادها • وجنان بلاغة لم يطمث ابكارها انس قبلك ولا جان ولم تقطف ازهارها عين ناظرين ولا بدجان • معان تطرب السمع لها حكم واحكام • والفاظ هي الارواح للارواح اجسام • فلما القى تمسكه عروة التماسك • وضاقت عليه في وصفه المسالك وعجز عن وصف بلوغ بلاغته • عطف على حسن كتابته • فراى خطا يسلي الطرف ويستوقف الطرف • نسج قلمه الكريم من وشي البلاغة ديباجا • واتخذ من محاسن الحسان نطرنيا ومنهاجا فالفاظ كاعقد اللال المنضود • ونونات كاهلة السعود • وسينات كالطرز ونقط كالدرر • جعل الاقلام محمدة قاطعة على السبوق • وحلى الاسماع بحلية زايدة على الشنوف • فقطف ساعة يطيب في دعاته وشكره • وآونة يميل من طربه ما لفاظه وسكره • فلله در الفاظك وذر فضلك • واحسن وانك القاطل بالبيان وطالك •

لسانك

• لسانك غواص ولفظك جوهر • وصدرك بحر للفضايل زاخر •

والله المسؤول ان يرفع قدر مقالك ومقام قدرك • ويوضح منهاج الادب بنور بدرك بمنه وكرمه انه على كل شي قدير وكتب قاضي القضاة تاج الدين السبكي رحمه الله في تقريظ الكتاب المذكور ما نصه الحمد لله وحده وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم • حدقت نحو الحدايق وفوقت سهمي تلقا الغرض السابق • وطرقت الى ما تصبو اليه الحجا اسهل الطرايق • فما عللت صداي كنسيم الصبا • ولا كمثله سهما صايبا اصبابته من لا صبا • ولا نظرت نظرة حديقة تنبت فضة وذهبا •

• ويجي من ملح الكلام • بطارف اوتالد •
• كلم نوابغ نحوالها • فى المطالع صايد •
• لو رامها قس لما • القى اباه ساعد •
• ابدى نتايج غيبه • في ذى المعاني الشارده •

تعين الله عليهما كلمات عليها منه رقيب • ومحاسن تنثني عندها بالحسن حبيب • وفوايد حسان يذكرنا بها احسان البعيد حسن القريب • كتبه عبد الوهاب بن السبكي انتهى وكتب ناصر الدين صاحب ديوان الانشا ما صورته وقفت على هذا الكتاب الذي اشبه الدر في انتظامه • والثغر في ابتسامه • وقطر الندا في انسجامه • وزهر الروض في البكر اذا غنت على غصونه مطربات حمامه • فوجدت بين اسمه ومسماه مناسبة • اقتضاها طبع مؤلفه السليم واتصالا قريبا كاتصال الصديق الحميم • فتحققت ان مؤلفه ابقاه الله تعالى في حرسه ابدع في تاليفه • واصاب في تمييزه بهذا الاسم وتعريفه • فهو في اللطافة كالماء في زواياه وكالهوا المعتدل في ملايمة الارواح بجوهر صفاته • وكالسلك اذا انتقى جوهره وجيد في انتقايه قد اينعت ثمرات فضايله فاصبحت دانية القطوف • وتجلت عرايس بلاغته فظهر بدرها بلا كسوف • وانجابت ظلمات الهموم بسماع موصول مقاطعه التي هي الحقيقة لاذن الجوزا شنوف فاكرم به من كتاب ما الروض باهى من وسيمه ولا الريحان باعطر من شميمه • ولا المدام ببارق من هبوب نسيمه • ولا الدر باسنى زهرا لازهار من سومه • اذا تدبره الاديب اغنته بلذة الافنان عن نغمات القوانين • واذا تامله الاريب نزه طرفه في رياض البساتين • قد عثر على كل نوع من البديع بابه • لا يدخله الا من خص بالبلاغة والالباب • والله تعالى يوتيه الحكمة وفصل الخطاب • ويمتع بفضله وفضايله التي شهدها اهل العلم وذو الالباب بمنه وكرمه •

وكتب محمد بن يعقوب الشافعي وكتب الصفدي شارح لامية العجم ما نصه وقفت على هذا الموسوم بنسيم الصبا • والتاليف الذي لو مر بالمجنون لما القى ليلاه ولا مال اليها ولا صبا • والانشا الذي انشا قايله جعل كلام غيره في هبات الهوى هبا والنثر الذي اغار قايله على سبايك الذهب الابريز وسبا • والانشا والكلام الذي نبا عنه الجاحظ جاحدا وما له ذكر ولا نبا • نسجت جواهر حروفه لمن وجده في هذا العصر وعلمت ان الفاظه ترمي قلوب حساده بشرر كالقصر • وتحققت ان قعقعة طروسه اصوات

اعلامه التي تخفق له بالنصر • ونبقت ان سطوره غصون لا يصل اليها كف جانيه بحني ولا هصر • وقلت لا مثل النظم والنثر قابلوا • مراتبها مصقولة كالسجنجل •
• وميلوا باعطافا التعجب انها • بنسيم الصبا جانت بريا القرنفل •
ولما تمت بعد ما تملت • وغزلت بعد ما هزلت • جردت من نفسي شخصا اخاطبه واحاورة في اوصاف محاسنها التي انا هيبه منها وانا هيبه • فقال لي هذا الفن الفذ • والنثر الذي فهم اقران هذه الصناعة وبذ • والادب الذي سد الطرق على اوابده فما فاته شي ولا شذ وهذا الانشا الذي ما له عديل في هذا الجديد ولا ضريب • وهذا الكلام الذي فاق في الافاق نما الحبيب بن اوس حسن بن حبيب • فعين الله على هذه الكلم الساحرة • والفوايد التي ايقظت جفن الادب بعد ما كانت بالساهرة • ومتع الله الزمان واهله بهذا النوع الغض والنقد النض والبز البض • والبديع الذي رتم ما تشعب من ربع هذا الفن ورض • واقتضت المعاني ابكاره وافتض • وارسل جارح بلاغته على الجوارح فصادها وانقض وانبط ماء الفصاحة لما تحدر وارفض • واسمع لا لقلب لفظ لما فك ختم ذهوله وفض انه على كل شي قدير • وبالاجابة جدير • بمنه وكرمه وكتبه خليل الصفدي انتهى ومنهم الاديب ابو جعفر الالبيري رفيق ابن جابر الشاتو المذكور وهو البصير وابن جابر الاعمى وله نظم بديع منه
قوله • ابدت لي الصدغ على خدها • فاطلع الليل لنا صبحه •
• نحدتها مع قدها قايل • هذا شقيق عارض رمحه •
وقوله وقد دخل حمص
• حمص لمن اضحى بها جنة • يدنو لديها الامل القاصي •
• حل بها العاصي الا فاعجبوا • من جنة حل بها العاصي •
وقوله
• ان بين الحبيب عندي موت • وبه قد حييت مذ زماني •
• ليت شعري متى تشامد العين • وتقضي من اللقاء الاماني •
قال وفيه استخدام لان البين يطلق على البعد والقرب انتهى ومن نظمه ايضا رحمه الله
• ومورد الوجنات دب عذاره • فكانه خط على قرطاس •
• لما رايت عذاره مستعجلا • قد رام يخفي الورد منه باس •
• ناديته قف لي اودع ورده • ما في وقوفك ساعة من باس •
وهذا المعنى قد تبارى فيه الشعرا وتسابقوا في مضماره فمنهم من جلى وبرز وحاز حصل السبق واحرز ومنهم من [illegible] مصليا ومنهم من غدا الجلب لاحسان محليا • ومنهم من عاد قبل الغاية موليا ومن تاليفه رحمه الله شرح بديعية رفيقه ابن جابر المذكور وقال في خطبته ولما كانت القصيدة المنظومة في علم البديع المسماة بالحلة السيرا في مدح خير الورى التي صاحبنا الامام العلامة شمس الدين ابو عبد الله بن جابر الاندلسي نادرة في فنها • فريدة

في حسنها

٣٨

في حسنها • تجني ثمر البلاغة من غصنها • وتنهل سواكب الاجادة من مزنها • لم ينسج على منوالها ولا سمحت قريحة بمثالها • رايت ان اضع لها شرحا يجلو عرايس معانيها المعانيها • ويبدي غرايب ما فيها الموافيها • لا امل الناظر فيه بالتطويل • ولا اعوقه بكثرة الاختصار عن مدارك التحصيل • بحيث الامور اوسطها • والغرض ما يقرب المقاصد ويضبطها • فاغرب من الفاظها كل خفي واسكت من لغاتها عن كل جلي والله اسال ان يبلغنا بما قصدناه • ويورد احسن الموارد فيما اردناه انتهى وسمى الشرح المذكور طراز الحلة وشفا الغلة ومما اورده رحمه الله في ذلك الشرح من نظم نفسه قوله
• طيبة ما اطيبها منزلا • سقى ثراها المطر الصيب •
• طابت بمن حل بارجايها • فالترب منها عنبر طيب •
• يا طيب عيشي عند ذكري لها • والعيش في ذاك الحمى اطيب •
وقال رحمه الله في هذا الشرح بعد كلام ما نصه واذا اردت ان تنظر الى تفاوت درجات الكلام في هذا المقام فانظر الى اسحاق الموصلي كيف جاء الى قصر مشيد ومحل مسرور جديد فخاطبه بما يخاطب به الطلول البالية والمنازل الدارسة الخالية فقال
• يا دار غيرك البلا ومحاك •
فاخرج في موضع السرور واجرى كلامه على عكس الامور وانظر الى قول القطامي
• انا محيوك فاسلم ايها الطلل • وان بليت وان طالت بك الطيل •
فانظر كيف جاء الى الطلل بال ورسم خال فاحسن حين حيا • ودعا له بالسلامة كانه ملتهج برؤيته محياه • فلم يذكر دروس الطلل وبلاه • حتى اشر السامع التحية والسلامة والذي فتح هذا الباب واطنب فيه غاية الاطناب صاحب اللوا ومقدم الشعرا حيث قال
• الا عم صباحا ايها الطلل البالي • وهل يعمن من كان في العصر الخالي •
• وهل يعمن الا سعيد مخلد • قليل الهموم ما يبيت باوجال •
قيل وهذا البيت الاخير يحسن ان يكون من اوصاف الجنة لان السعادة والخلود وقلة الهموم والاوجال لا توجد الا في الجنة انتهى وقال رحمه الله عند رحيله من غرناطة والاعلام بحد تلوح وحمايمه تشدوا على الايك وتنوح
• ولما وقفنا للوداع وقد بدت • قباب بنجد قد علت ذلك الوادي •
• نظرت فالفيت السبيكة فضة • لحسن بياض الزهر في ذلك النادي •
• فلما كسيتها الشمس عاد لجينها • لها ذهبا فاعجب لاكسيرها البادي •
والسبيكة موضع خارج غرناطة وقال رحمه الله
• هذه عشرة نقضت وعندي • من اليم البعاد شوق شديد •
• واذا ما رايت اطفاء شوقي • بالتلاقي فذاك راي سديد •

وقال رحمه الله وقد اهدى طافية

خذها اليك هدية • ممن يعز على اناسك •
اخترتها لك عندما • اضحت هدية كل ناسك •
ارسلتها طاقية • لتنوب عن تقبيل راسك •

وله من رسالة وانى كتابك فوجدناه ازهى من الازهار وابهى من حسن الحباب على الانهار بشرقا واشراق نجوم السما وبسموا الى الاسماع سمو حباب الماء وقال رحمه الله فى العروض على مذهب الخليل

خل الانام ولا تخالط منهم • احدا ولو اصغى اليك ضمايره •
ان الموفق من يكون كانه • متقارب فهو الوحيد بدايره •

وقال على مذهب الاخفش

ان الخلاص من الانام لراحة • لكنه ما نال ذلك سالك •
اضحى بدايرة له متقارب • يرجو الخلاص فعاقه متدارك •

وله ايضا رحمه الله

دايرة الحب قد تناهت • فما لها فى الهوى مزيد •
فبحر شوقى بها طويل • وبحر دمعى بها مديد •
واذ وجدى بها بسيط • فليفعل الحسن ما يريد •

وهذا المعنى استعمله الشعرا كثير ومنهم الشيخ شهاب الدين بن صار والبعلى قال ابو جعفر المترجم به انشدنا شهاب الدين المذكور لنفسه بحماه

وفى عروضى سريع الجفا • يغار غصن البان من عطفه •
الورد من وجنته وافر • لكنه يمنع من قطفه •

قال وانشدنا ايضا لنفسه

وفى عروضى سريع الجفا • وجدى به مثل جفاه طويل •
قلت له قطعت قلبى اسا • فقال لى التقطيع داب الخليل • انتهى

وانشد رحمه الله لرفيقه ابن جابر الضرير السابق الترجمة فى ذلك

ان صد عنى فانى لا اعاتبه • فما التنافر فى الغزلان ينقبض •
شوقى مديد ووجدى كامل ابدا • لاجل ذلك قلبى فيه مخفوض •

وانشد له ايضا فى ذلك

عالم بالعروض يجنى قلبى • فى مديد الهوى بلحظ سريع •
عنده وافر من الردف يبدو • وخفيف من خصره المقطوع • وله ايضا
صدوده لى مديد • والهجر منه طويل •
وفيه اسباب حسن • وتلك فهى الاصول •

تحضره

تحضره بى خفيف • وردفه لى ثقيل •

وله ايضا

سبب خفيف خصره ووراه • من ردفه سبب ثقيل ظاهر •
لم يجمع النوعان فى تركيبها • الا لان الحسن فيها وافر •

وقد ذكر ابو جعفر رحمه الله لرفيقه ابن جابر السابق الذكر مقطوعات كثيرة منها قوله

يا ايها الحادى اسقنى كاس السرى • نحو الحبيب ومهجتى للساقى •
حى العراق على النوى واحمل الى • اهل الحجاز رسايل العشاق •
يا حسن الحان الحداة اذا جرت • نغماتها بمسامع العشاق •

وله ايضا

يا حسن ليلتنا التى قد زارنى • فيها فابحر ما مضى من وعده •
قومت شمس جماله فوجدتها • فى عقرب الصدغ الذى فى خده •

رجع الى ابى جعفر رحمه الله ومن فوايده انه لما ذكر فذلكة الحساب فقال هى التى يصنعها اهل الحساب اخر جملهم المتقدمة فيقولون فذلك كذا وكذا انتهى ولما انشد رحمه الله قول بعضهم

غزال قد غزا قلبى • بالحاظ واحداق •
له الثلثان من قلبى • وثلثا ثلثه الباقى •
وثلثا ثلث ما يبقى • وباقى الثلث للساقى •
وتبقى اسهم ست • تقسم بين عشاق •

قال ما نصه هذا الشاعر قسم قلبه الى ٨١ سهما فجعل للمحبوب منها الثلثين ٥٤ وبقى الثلث ٢٧ فزاده ثلثيه ١٨ فصار له ٧٢ لا يبقى ثلث الثلث ومن نسخة زاده سهما ثلثى ثلثه ومن ٢ ويبقى من الثلث واحدا عطاه للساقى فيبقى من النسخة ستة فقسمها بين العشاق فاجتمع للمحبوب ٧٤ وللساقى سهم واحد وللعشاق ستة والجملة ٨١ انتهى وانشد رحمه الله فى علم الحساب لرفيقه ابن جابر السابق الذكر

تنسم العلم فى الغرام بلحظ • يضرب القلب حين يرسل سهمه •
هذه فى هواه يا قوم حالى • ضاع قلبى ما ضرب وقسمه •

وانشد له فى الهندسة

محيط باشكال الملاحة وجهه • كان به اقليدسا يتحدث •
فعارضه خط استوا وخاله • به نقطة والشكل شكل مثلث •

وانشد له فى خط الرمل

فوق خديه للعذار طريق • تذبذبا لخفة بياض وحمرة •
قيل ماذا فعلت اشكال حسن • تقتضى ان ابيع قلبى بنظرة •

وانشد له فى علم الخط

قد حقق الحسن نون حاجبه • وخط في الصدغ واو ريحان •
ومد من حسن قده الفا • اوقف عيني فوق حيران •

وانشد له ايضا

الف ابن مقلة في الكتاب كقده • والنون مثل الصدغ في التجنيس •
والعين مثل العين لكن هذه • شكلت بحسن وفاتنة ومجون •
وعلى الجبين لشعره سين بدت • حار ابن مقلة عندنا للسين •
قل للذي قد خط نحنا الصدغ من • حبلانه نقطا الجلب فنون

واورد له في ذكر الاقلام السبعة وغيرها

تعليق ردفك بالخصر الخفيف له • ثلث الجمال وقد فتنه اجفان •
خد عليه رقاع الروض قد جعلت • وفي حواشيه للصدغين ريحان •
خط الشباب بطومار العذار له • سطرا ففصاحة للناس فتان •
محقق نسخ صبري في هواه ومن • توقيع دمعي للمنثور برهان •
يا حسن ما قلم الاشعار خط على • ذاك الجبين فلا يسلوه انسان •
انشمت بالمصحف الشامي واخرقه • ما مر بالبال يوما عنك سلوان •
ولا غبار على حبي فعندك لي • حساب شوق له في الغلب ديوان •

وانشد له ايضا

يا صاحب المال الم تستمع • لقوله ما عندكم ينفد •
فاعمل به خيرا فوالله ما • يبقى ولا انت به مخالد •

وله ايضا

ان شئت ان تجد العدو وقد غدا • لك صاحبا يولي الجميل ويحسن •
فاعمل كما قال الخبير بخلقه • في قوله ادفع بالتي هي احسن •

وله ايضا

اذا شئت رزقا بلا حسبة • فلذ بالتقى وابتغ سبله •
وتفسير ذلك في قوله • ومن يتق الله يجعل له •

واورد له قوله

عمل اذا لم يوافق نية • فهو غرس لا يرى منه ثمر •
انما الاعمال بالنيات قد • نصه عن سيد الخلق عمر •

وقوله ايضا

الخير في اشيا عن خير الورى • وردت فابدت كل نهج بين •
دع ما يريبك واعملن بنية • وازهد ولا تغضب وخلقك حسن

وقوله

جباء المرء يزجره فيخشى • فخف من لا يكون له حياء •
فقد قال الرسول بان جما • به نطق الكرام الانبياء •
اذا ما انت لم تستحي فاصنع • كما تختار وافعل ما تشاء •

وقوله

قال الرسول الحيا خير • فاصحب من الناس ذا حياء •
وعن قليل الحياء فابعد • فخيره ليس ذا رجاء •

وقوله

من سلم المسلمون كلهم • وامنوا من لسانه ويده •
فذلك المسلم الحقيق بدا • جاء حديث لا شك في سنده •

ولابن جابر مما كتب به الى الصلاح الصفدي

ان البراعة لفظ انت معناه • وكل شيء بديع انت مغناه •
انشاد لفظك اشهى عندنا معهم • من نظم غيرك لو اشجاك مغناه •

وهي طويلة فاجاب الصفدي بقوله

يا فاضلا كرمت فينا سجاياه • وخصنا باللآلي في هداياه •
خصصتني بقريض شف جوهره • لما تالق منه نور معناه •
من كل بيت مبانيه مشيدة • كم من خبايا معان في زواياه • وهي طويلة

رجع الى نظم ابي جعفر فمن ذلك قوله

تزيك قدا على ردف تجاذبه • كخوطة في كثيب الرمل قد نبتت •
ريا القرنفل في ريح الصبا سحرا • يضوع منها اذا تخوى فقد لتفتت •

عقد بهما الفاظ قول امرء القيس

اذا التفتت نحوي تضوع ريحها • نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل •

واورد له قوله

ولولا نجاء العيس حول ديارها • غداة منى لم يبق في الركب محرم •
تفوق ذوي المس برد مهلهل • وتخفر رداء الخز وهو منعم •

عقد في الاول قول قيس بن الخطيم

ديار التي كنا ونحن على منى • تحوط بنا لولا نجاء الركائب •

وعقد في الثاني قول ابي حية النميري

اماطت رداء الخز عن حر وجهها • وارخت على المتنين بردا مهلهلا •

واورد له قوله

انا دعي لك مروان الحلال فقل • لا يجهل المرء بين الناس زينته •
ان الحلال لذي حق المقول له • هذا الذي تعرف البطحاء وطاته •

خيار

اتفق المحدثون على ان عمدة الخير في اربع جمعها صلى الله عليه وسلم بقوله
انما الاعمال بالنيات • ازهد في الدنيا يحبك • دع ما يريبك الى ما لا يريبك • الاثام معرفة
الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات • ومن لطهرت الاثام
عمدة الخير عندنا كلمات • اربع قالهن خير البرية
اتق الشبهات وازهد ودع ما • ليس يعنيك واعملن بنية •

وقوله

من منصفي يا قوم من ظبية • تسرف في هجري وتأبى الوصال •
وكلما اسأل عن عذرها • تقول لي ما كل عذر يقال •

وقوله

هم حسدوا الرسول فلم يجيبوا • وكم حسدوا انصاره لهم فرار •
وهاجر عندما هجروا فاضحى • لخيمة ام معبد النجار •

وقوله

بحسبك ان تبيت على رجاء • ولو خطتك للباس الخطوب •
وتهمي اكر بتك صروف دهر • فقل ما قاله الرجل الاريب •
عسى الكرب الذي امسيت فيه • يكون وراه فرج قريب •

قوله

خليلي هذا قبر اشرف مرسل • تعالوا نبك من ذكرى حبيب ومنزل •
رويدكما نبكي الذنوب التي خلت • بسقط اللوى بين الدخول فحومل •
منازل كانت للتصابي فاقفرت • لما نسجتها من جنوب وشمال •

قال ثم جرى على هذا النمط واستخرج الدرر النفيسة من ذلك السقط وقال قبله انه اخذ اعجاز هذه القصيدة من اولها الى اخرها على التوالي وصنع لها صدورا وصرفها الى مدح النبي صلى الله عليه وسلم فجاء في ذلك بما لم يسبقوا اليه ولم يقف احد في تلك المعاني على ما وقف عليه انتهى وقوله

ايها النازحون عن راي عيني • وهم في جوانحي وجناني •
ما الذ الوصال بعد التنائي • وامر الفراق بعد التداني •

وقوله

قد وكلنا كم لرب كريم • غير وان عن عبده في اوان •
ما رحلنا عن اختيار ولكن • رحلتنا تلونات الزمان •

وقوله

تشتكي الصفر من يديه وترضى السمر عن راحتيه عند الحروب •
احمر السيف اخضر الشيب حيا لا • رض غبرا من سواد الخطوب •

وقوله مما التزم اوله الدال

دفاع لمكروه امان لخائف • سحاب لمستجد هلاك لمستعدي •
دروب على الحسنى عفو لمن جنى • منيب لمن اثنى مجيب لذي قصد •
دع الغيث ان اعطى دع الليث ان سطى • دع الروض ان يهدى دع البدر ان بدى •

وقوله

غزال

غزال ما تو شد ظل باق • بها جرة ولا عرفا لطلالا •
تبسم لؤلؤا واهتز غصنا • واعرض شادنا وبدا هلالا •

وقوله

رفع الخصر فوق منصوب ردف • والجزم القلوب فرعية جرا •
مال غصنا ومار شافاح مسكا • تاه درا ازهى دجى لاح بدرا •

وقوله حين زار قبر قس بن ساعدة بجبل سمعان

هذي منازل ذي العلا • قس بن ساعدة الايادي •
كم عاش في الدنيا وكم • اسدى لآملها الايادي •

قال ابو جعفر زرنا قبره فرايناه موضعا نزهاً تاخ اليه النفس ويلوح عليه الانس وعند قبره عين ماء يقال انه ليس بجبل سمعان عين تجري غيرها هنالك واورد له قوله

كرام من دوانه هاشم • يقولون للاضيا فاهلا ومرحبا •
فيفعل في فقر المقل من جودهم • كفعل على يوم ومرحبا •

رجع الى ابي حفص رحمه الله فنقول انه كان بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم ولما ذكر الروضة قال قيل ولا تكون الروضة الا ما ازال الجنة وبقا في موضع الشجر ومنه انتهى وقال لقوامه الالف التي • حاف باحسن ما الف •
غا نفقد ذكاني • لام معا نقد الف •

وقال رحمه الله معتذرا عن من لم يسلم

لا تعتبن على ترك السلام فقد • جاءتك احرفه كتبا بلا قلم •
فالسين من طرتي واللام من لغة • من عارضي وهذا الميم من فمي •

وقال رحمه الله

لا يقنطنك ذنب • قد كان منك عظيم •
فالله قد قال قولا • وهو الجواد الكريم •
نبئ عبادي اني • انا الغفور الرحيم •

وقال

اذا ظلم المرء فاصبر له • فبالقرب يقطع منه الوتين •
فقد قال ربك وهو الحق • واملي لهم ان كيدي متين •

ومن نثره لما ذكرت قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه ما نصه وهذه القصيدة لها الشرف الراسخ والحكم الذي لم يوجد له ناسخ انشدها كعب في مسجد المصطفى بحضرة وحضرة اصحابه وتوسل بها فوصل الى العفو عن عقابه فنسبه صلى الله عليه وسلم خلعته وخلع عليه خلعته وكف عنه كف من اراده وابلغه في نفسه واهله مراده وذلك بجد المقدار

ذمه وما سبق من مدد كلمه فتمحق حسناتها ملك الذنوب وتستر محاسنها وجه تلك العيوب ولولا ما المنع المدح والغزل وقطع من اخذ الجوائز على الشعر الامل فهي حجة الشعراء فيما سلكوه وملاك امرهم فيما ملكوه حدثني بعض شيوخنا بالاسكندرية باسناده ان بعض العلما كان لا يستفتح مجلسه الا بقصيدة كعب فقيل له في ذلك فقال لرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قصيدة كعب انشدها بين يديك فقال نعم وانا احبها واحب من يحبها قال فعاهدت الله اني لا اخلو من قراءتها كل يوم قلت ولم يزل الشعراء من ذلك الوقت الى الآن ينسجون على منوالها ويقتدون بالقوافي لها تبركا بمن انشدت بين يديه ونسب مدحها اليه ولما صنع القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم على وزن بانت سعاد قال

• لقد قال كعب في النبي قصيدة • وقلنا عسى في مدحه نتشارك •
• فان شملتنا بالجوائز رحمة • كرحمة كعب فهو كعب مبارك •

انتهى

وقال رحمه الله

• لقد كرا العذار بوجنتيه • كما كرا الظلام على النهار •
• فغابت شمس وجنته وجاءت • على مهل عشيات العذار •
• فقلت لناظري لما راها • وقد خلطا السواد بالاحمرار •
• تمتع من شميم عذار نجد • فما بعد العشية من عذار •

وقال

• قالوا عشقت وقد اضر بك الهوى • فاجبتهم يا ليتني لم اعشق •
• قالوا سبقت الى المحبة حسنة • فاجبتهم ما فاز من لم يسبق •

ولما انشد رحمه الله قول ابن الخشاب في المستضيء بالله

• ورد الورى سلسال جودك فارتووا • ووقفت دون الورد وقفة حائم •
• ظمآن اطلب خفة من زحمة • والورد لا يزداد غير تزاحم •

قال لما نصه فانظر حسن هذين البيتين كيف جريا كالماء في سلاسته ووقعا من القلوب كالشهد في حلاوته مع ان ناظمها ما خرج عن وصف الماء كلامه ولا تعدى ذلك المعنى نظامه حتى قيل ان فيهما عشرة مواضع من مراعاة النظير فهما في الحسن ما لهما من نظير لكنه ما سلم مليح من عيب ولا خلا من وقوع ريب فمع هذه المحاسن لو ما سلما من عيب القافية انتهى ولنختم ترجمته بقوله عند شرح بيت زهيرية

• خير الليالي ليالي الخير في اضم • والقوم قد بلغوا اقصى مرادهم •

ما نصه يقول ان خير الليالي التي تشرح لها الصدور ويحمد فيها الورود والصدور ليالي الخير في اضم حيث النزيل المرتضم والقوم قد وردوا موارد الكرم وبلغوا اقصى مرادهم في ذلك الحرم ومن الداخلين الولي الصالح ابو مروان عبد الملك بن ابراهيم بن

بشر

بشر القيسي وهو ابن اخت ابن صاحب الصلاة البجايي نسبة الى بجاية من قرية من وادي آش وكان رحمه الله اواسط المائة السابعة وقد ذكره الفقيه ابو العباس احمد ابن ابراهيم بن يحيى الازدي القسنطيني في تاليفه الذي سماه تحفة الغريب ببلاد المغرب قال وفيه راضوا نفوسهم لانقياد للمولى سرا وعلنا وزهدوا في الدنيا فلم يقولوا معنا ولا لنا وانتدبوا لقول الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال صاحب التاليف المذكور سالت الشيخ ابا مروان يوما في مسيري معه من وادي آش الى بلده بجاية سنة تسع واربعين وستمائة فقلت له انت يا سيدي لم تكن قرات ولا لازمت المشايخ قبل سفرك للمشرق ولا سافرت مع عالم تقتدي ببركته في هذا الطريق فقال الى اقام الله لي من باطني شيخا قلت له كيف قال كنت اذا عرض لي امر نظرت في خاطري فيخطر لي خاطران في ذلك احدهما محمود والآخر مذموم فكنت اجتنب المذموم وارتكب المحمود فقال ولما وصلت الى اقرب بلد سالت عمن فيه من المشايخ او العلما فاسال له عن ذلك فكان يذكر لي المحمود محمودا والمذموم مذموما فاحمد الله ان وفقني ومع تنبا يحي ذلك وانما لم ادر بمخالفة عنه لما على ما يقع بخاطري من الامور الشرعية الى الآن حتى اسال عنه من حضر من العلما انتهى ومن كلام صاحب التاليف المذكور قوله في حق الصوفية نفعنا الله بهم خواطرهم الحق تجمعهم ونور بصائرهم فاصمتهم عن الباطل واعماهم وانما فنوا في رضاه نفوسهم وقصروا نعماهم فاعلى قدرهم عنده وعند الناس واسماهم انتهى وما احسن قوله في التاليف المذكور بابها من حافظ حو فظ عليه ومن طلب الخير بصدق وصل اليه ومن اخلص العبودية لربه قام الاحرار خدمة بين يديه انتهى ومنهم الطبيب الماهر الشهير ضياء الدين ابو محمد عبد الله ابن احمد بن البيطار المالقي نزيل القاهرة وهو الذي عناه ابن سعيد في كتابه المغرب بقوله وقد جمع ابو محمد المالقي الساكن الآن بقاهرة مصر كتابا في هذا الشان حشر اليه ما سمع به فقدر عليه من تصانيف الادوية المفردة ككتاب الغافقي وكتاب الزهراوي وكتاب الشريف الادريسي الصقلي وغيرها وضبطه على حروف المعجم وهو النهاية في مقصده انتهى وقد ذكرت كلام ابن سعيد هذا بجملته في غير هذا الموضع فليراجع وكان ابن البيطار اوحد زمانه في معرفة النبات سافر الى بلاد الاغارقة واقصى بلاد الروم والمغرب واجتمع بجماعة كثيرة من الذين يعانون هذا الفن وعاين منابته وحققها وعاد بعد اسفاره وخدم الكامل بن العادل وكان يعتمد عليه في الادوية والحشائش وجعله في الديار المصرية رئيسا على سائر العشابين واصحاب البسطات ومن بعده خدم ولده الصالح وكان حظيا عنده الى ان توفي بدمشق سنة التي توفي بها ابن الحاجب وله من المصنفات كتاب الجامع في الادوية المفردة وكتاب المغني ايضا في الادوية وكتاب الابانة والاعلام بما في المنهاج من الخلل والاوهام وكتاب الافعال العجيبة والخواص الغريبة وشرح كتاب قال الذهبي انتهت اليه معرفة تحقيق النبات وصفاته واماكنه ومنافعه وتوفي بدمشق انتهى ومنهم الشيخ ابو الحسن

علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي البسطي الشهير بالقلصادي بفتحات كما قال السخاوي
الصالح المؤلف الفرضي آخر من له التآليف الكثيرة من أئمة الأندلس وأكثر تصانيفه في
الحساب والفرائض كشرحيه العجيبين على تلخيص ابن البنا والحوفي وكفاه فخرا أن الإمام
السنوسي صاحب العقائد أخذ عنه جملة من الفرائض والحساب وأجازه جميع مروياته
وأصله من بسطة ثم انتقل إلى غرناطة فاستوطنها وأخذ بها عن جماعة كابن فتوح
والسرقسطي وغيرهما ثم رحل إلى المشرق ومر بتلمسان وأخذ بها عن الإمام عالم الدنيا
ابن مرزوق والقاضي أبي الفضل قاسم العقباني وأبي العباس بن زاغ وغيرهم ثم ارتحل
فلقي بتونس تلامذة ابن عرفة كابن عقاب والقلشاني وحلولو وغيرهم ثم حج ولقي أعلاما
وعاد فاستوطن غرناطة إلى أن حل بوطنه ما حل فتحيل في خلاصه من الشرك وارتحل ومر
بتلمسان فنزل بها على الكفيف ابن مرزوق بن شيخه ثم وجد به الرحلة إلى أن وافته منيته
بباجة إفريقية منتصف ذي حجة سنة ٨٩١ وكان كثير المواظبة على الدرس والكتابة والتأليف
ومن تواليفه أشرف المسالك على مذهب مالك وشرح مختصر خليل وشرح الرسالة
وشرح التلقين وهداية الأنام في شرح مختصر قواعد الإسلام وهو شرح مفيد جدا وشرح
مفيد وشرح رجز القرطبي وتنبيه الإنسان إلى علم الميزان والمدخل الضروري وشرح
إيساغوجي في المنطق وله شرح الأنوار السنية لابن جزي وشرح رجز الشران في الفرائض
الذي أوله بحمد خير الوارثين ابتدي وبالسراج النبوي اهتدي وشرح
حكم ابن عطاء الله ورجز أبي عمرو بن منظور في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وشرح البردة
ورجز ابن بري ورجز شيخه أبي إسحاق بن فتوح في النجوم الذي أوله •
• سبحان رافع السما سقفا • ناصبها دلالة لا تخفى • وشرح رجز أبي
مقرعة وله النصيحة في السياسة العامة والخاصة وبداية النظار في تحفة الحكام
والأسرار وكشف الجلباب عن علم الحساب وكشف الأسرار عن علم الغبار والتبصرة وهو تنوير
الحساب في قدر التلخيص وشرحه شرحان على التلخيص كبير وصغير وشرح ابن الياسمين
في الجبر والمقابلة ومختصره وكليات الفرائض وشرحها وشرحان للتلمسانية كبير وصغير
وشرح فرائض صالح بن شريف وابن الشاط وفرائض مختصر خليل والتلقين وابن الحاجب
وله كتاب الغنية في الفرائض وغنية النحاة وشرحها الكبير والصغير وتقريب المواريث
ومنتهى العقول البواحث وشرح مختصر العقباني ولم يتم ومدخل الطالبين ومختصر مفيد
في النحو وشرح رجز ابن مالك والجرومية وجمل الزجاجي وملحة الحريري والخزرجية ومختصر في
العروض وغير ذلك وأخذ بمصر عن الحافظ ابن حجر والزين طاهر النويري وأبي القاسم النويري
والعلامة الجلال المحلي والتقي الشمني وأبي الفتح المراغي وغيرهم حسبما ذكر ذلك في رحلته
الشهيرة وفيها ترجمة لشيوخه بالمغرب والمشرق وجملة من أحوالهم رحم الله الجميع ومنهم
أبو عبد الله الراعي وهو شمس الدين محمد بن إسماعيل الأندلسي الغرناطي ولد بها سنة ٧٨٢ تقريبا

ونشأ بها

ونشأ بها وأخذ الفقه والأصول والعربية عن جماعة منهم أبو جعفر أحمد بن إدريس بن سعيد
الأندلسي وسمع على أبي بكر عبد الله بن محمد بن محمد المغافري بن الدبي ويعرف بابن أبي عامر والخطيب
أبي عبد الله محمد بن علي بن الحفار ومحمد بن عبد الملك بن علي القيسي المنتوري صاحب الفهرسة
الكبيرة الشهيرة ومما أخذ عنه الجرومية بأخذه لها عن الخطيب أبي جعفر أحمد بن محمد بن سالم
الجذامي عن القاضي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي عن مؤلفها أبي عبد الله محمد بن محمد بن
داود الصنهاجي عرف بابن آجروم وجميع خلاصة الباحثين في حصر حال الوارثين للقاضي
أبي بكر عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري بأخذه لها عن مؤلفها وأجاز له أبو الحسن علي بن عبد الله
ابن الحسن الجذامي والقاضي أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني والعلامة أبو الفضل محمد
ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الإمام وعالم الدنيا أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني وغيرهم من
المغاربة ومن أشياخه من أهل المشرق الكمال ابن خير السكندري والزين أبو بكر المراغي والزين محمد
الطبري وأبو إسحاق إبراهيم بن العفيف النابلسي في آخرين ودخل القاهرة سنة ٨٢٥ فحج واستوطنها
وسمع من الشهاب المتبولي وابن الجزري والحافظ ابن حجر وطائفة وأم بالمؤيدية وقتلى وتصدى
للاشتغال فانتفع به الناس طبقة بعد أخرى لا سيما في العربية بل هي كانت فنه الذي اشتهر
به وبجودة الإرشاد لها وشرح كلا من الألفية والجرومية والقواعد وغيرها مما حمله عنه الفضلاء
وله نظم ونثر قال السخاوي كتبت عنه منه الكثير ومما لم أسمعه منه ما أودعه في مقدمة
كتاب صنفه في نصرة مذهبه وانتصر دفعا لما ينسب إليه فقال

• عليك بتقوى الله ما شئت واتبع • أئمة دين الحق تهدى وتسعد •
• فمالكهم والشافعي وأحمد • ونعمانهم كل إلى الخير يرشد •
• فتابع لمن أحببت منهم ولا تمل • لذي الجهل والتعصيب إن شئت تحمد •
• فكل سواء في وجيبة الاقتدا • فهنا بعيمهم جنات عدن تخلد •
• وحبهم دين يزين وبغضهم • خروج عن الإسلام والحق يجحد •
• فلعنة رب العرش والخلق كلهم • على من قلاهم والتعصب يقصد •

وكان حاد اللسان والخلق شديد النفرة من الشيخ يحيى العجيسي أضر بأخرة ومات بسكنه
بالصالحية يوم الثلاثاء ٢٧ ذي الحجة سنة ٨٥٣ بعد أن أسند فبيل موته لشهر في حال الصحة
الشيخ جمال الدين بن الأمانة من نظمه

• أذكر في موتي وبعد فضيحتي • فيحزن قلبي من عظيم خطيئتي •
• وتبكي دما عيني وحق لها البكا • على سوء أفعالي وقلة حيلتي •
• وقد دابني كبادي عنا وحسرة • على بعد أوطاني وفقد أحبتي •
• فما لي إلا الله أرجوه دائما • ولا سيما عند اقتراب منيتي •
• فنسأله يحيي وفاتي مؤمنا • بجاه رسول الله خير البرية •

قال السخاوي ومما كتبته عنه الفتية

• حول المعالم باكيا ودموعه • قد ضاع عنها من كوثر •
• نثر الدموع على الخدود نحلها • درا ثنا ثر في عقيق احمر •

وقوله

• عليك بنعمة رب العلا • وراع الملوك لرعي الذمم •
• وذو العلم فارع له حقه • والانفار فذ تلق الندم •
• فهذا مقالي فلتسمعوا • نصيحة حبر من اهل الحكم •
• اذا كنت في نعمة فارعها • فان المعاصي تزيل النعم •

وقوله

• للغرب فضل شائع لا يجهل • ولاهله شرف ودين يكمل •
• ظهرت به اعلام حق حققت • ما قاله خير الانام المرسل •
• من ان اهله للقيامة لن يزال • ظاهرين على الهدى لن يخذلوا •

وممن حدث عن الراعي الحافظ بن فهد والبرهان البقاعي ومن تاليفه شرح القواعد وكتاب انتصار الفقير السالك لمذهب الامام الكبير مالك في كراريس بديعة حسن في موضوعه وله النوازل النحوية في عشرة كراريس او اكثر وفيها فوائد حسنة وابحاث رائقة تكلم معه في بعضها ابو عبد الله بن العباس التلمساني وذكر بعضهم انه اختصر شرح شيخنا بن مرزوق على مختصر الشيخ خليل من باب القضا الى اخر الكتاب انتهى وجرت له في صغره حكاية دلت على نبله وهي انه دخل رجل على الطلبة وهم بجامع غرناطة فسال عمن كان وراء امام تحدث للامام عذر ذهب لاجله مثل الرعاف مثلا فصلوا بعض الصلاة لانفسهم ثم اقتدوا بامام منهم قدموه بما ينبغي فهل تصح صلاتهم ام لا فلم يكن عند احد من الحاضرين فيها علم فقال هو ان الصلاة باطلة لان النحاة يقولون ان الاتباع بعد القطع لا يجوز وقد حكى ذلك في شرحه للحرومية الذي سماه بعنوان الافادة في باب النعت اذ قال ما نصه كنت جالسا بمسجد قيسارية غرناطة انتظر سيدنا وشيخنا ابا الحسن علي بن سمعت رحمه الله مع جماعة من كبار طلبته وكنت اذ ذاك من اصغرهم سنا واقلهم علما فدخل سائل سال عن مسئلة فقهية نصها ان اماما صلى بجماعة جزاء من صلاتهم ثم غلبه الحدث فخرج ولم يستخلف لهم فقام كل واحد من الجماعة وصلى وحده جزا من الصلاة ثم من بعد ذلك استخلفوا من اتم بهم الصلاة فهل تصح تلك الصلاة ام لا فلم يكن فيها عند الحاضرين من جواب فقلت انا اجاوب فيها بجواب نحوي فقالوا هات الجواب فقلت هذا اتباع بعد القطع وهو ممتنع عند النحويين فصلاته مولاة باطلة فاستظرفها مني من حضر لصغر سني ثم طلبنا النص فيها فلم نلقه في ذلك التاريخ ولو لقينا لكان الجواب حسنا انتهى ومن الغازه قوله

• حاجيتكم نحاتنا المصرية • اولي الذكا والعلم والطعمية •

ماكلمات

• ماكلمات اربع نحوية • جمعن في حرفين للاحجية •

يعني فعل الامر للواحد من واى ياى اذا اضمر فانك تقول فيه ايا زيد على حرف واحد وهو الهمزة المقطوعة فاذا قلت قل او ونقلت حركته على لغة النقل الى الساكن صار متكدا قل فذهب فعل الامر وفاعله فهي كلمات اربع فعلا امر وفاعلاهما جمعن في حرفين القاف واللام فافهم واحسن من هذا قوله ملغزا في ذلك ايضا

• في اي لفظ يا نحاة الملة • حركة قامت مقام الجملة •

وبالجملة فمحاسنه كثيرة رحمه الله ورضي عنه ومن فوائده قوله حكى بعض علما المالكية قال كنا نقرا المدونة على الشيخ سراج الدين البلقيني الشافعي فوقعت مسئلة خلافية بين مالك والشافعي فقال الشيخ في مسئلة مذهبنا كذا في مسئلة لم يقل فيها الشافعي بما قال وانما نسبها البلقيني لنفسه ثم فطن وخاف ان ينتقد عليه المالكية ويقولون لذلك انت شافعي وهذا ليس مذهب الشافعي فقال ان قلتم يا مالكية لستنا بمالكية وانما انتم شافعية قلنا كذلك انتم قاسمية وقد اجتمعنا الكل في مالك فالوهذا الكلام حلو حسن في غاية الانصاف من الشيخ قال وفلما قرى عليه كتاب الشفا مدحه واثنى عليه الى الغاية وكان يحضره جماعة من المالكية فقال القاضي جلال الدين ابنه ما لكم يا مالكية لا تكونون مثل القاضي عياض فقال له ابوه الشيخ سراج الدين المذكور ومالك لا تقول للشافعية ما لكم يا شافعية لا تكونون مثل القاضي عياض ومن فوائد الراعي في باب العلم من شرحه على الاجرومية في الكلب عشر خصال المحمودة ينبغي ان تكون في كل فقير لا يزال جائعا وهو من داب الصالحين ولا يكون له موضع يعرف وذلك من علامة المتوكلين ولا ينام من الليل الا القليل وذلك من صفات المحبين واذا مات لا يكون له ميراث وذلك من اخلاق الزاهدين ولا يهجر صاحبه وان جفاه وطرده وذلك من شيم المريدين ويرضى من الدنيا بادنى يسير وذلك من اشارة القانعين واذا غلب عن مكانه تركه وانصرف الى غيره وذلك من علامة المتواضعين واذا نهي وطرد ثم ادعي اجاب وذلك من اخلاق الخاشعين واذا احضر شي من الاكل وقف ينظر من بعد وذلك من اخلاق المساكين واذا رحل لا يرحل معه بشي وذلك علامة المتجردين انتهى بمعناه وقد نسبه للحسن البصري رحمه الله ورضي عنه ومن تصانيفه رحمه الله كتاب الفتح المبين في بعض ما يحتاج اليه الفقير في غاية الافادة ملكته بالمغرب ولزاره بمدة البلاد المشرقية وحفظت منه فوائد ممتعة مي ومن الداخلين من المشرق الى الاندلس بعد اخذ جميع بلاد الاندلس اعادها قاضي الجماعة بغرناطة ابو عبد بن علي بن محمد بن الازرق قال التنجاوي انه لازم الاستاذ ابرهيم بن احمد بن فتوح مفتي غرناطة في النحو والاصلين والمنطق بحيث كان يحل انتفاعه منه وحضر مجالس ابي عبد الله محمد بن محمد السرقسطي العالم الزاهد مفتيها ايضا في الفقه ومجالس الخطيب ابي الفرج عبد الله بن احمد المفتي والشهاب قاضي الجماعة بغرناطة ابا العباس احمد بن ابي يحيى ابن الشريف التلمساني انتهى وله رحمه الله تواليف منها بدائع السلك في طبائع الملك كتاب

حسن مفيد في موضوعه لخص فيه كلام ابن خلدون في مقدمة تاريخه وغيره مع زوايد كثيرة
ومنها روضة الاعلام بمنزلة العربية من علوم الاسلام مجلد ضخم فيه فوايد وحكايات لم توقف
في فنه مثله وقفت عليه بتلمسان وحفظت منه ما انشده لبعض اهل عصره مما يكتب في سيف

• ان عمت الافق من نفح الوغى سحب • فشمتها بارقا من لمح ايماضي •
• وان نوت حركات النصر ارض عدا • فليس للفتح الا فعلي الماضي •

ومن النسابة في التاليف المذكور ما صورته قلت ولقد كان شيخنا العلامة ابو اسحاق
ابراهيم بن احمد بن فتوح قدس الله روحه يفسح لصاحب البحث مجالا رحبا ويوسع المراجع له قبولا
ورحبا بل يطالبه بذلك ويقتضيه ويختار طريق التعليم به ويرتضيه توقيفا على ما حصل
له تحقيقه وصح به في معيار الاختبار تدقيقه والا فقد كان مما يلقيه غاية ما يحصل ويتمهد
به مختار ما يحفظ وينال صل انتهى ومؤيد لعلى ملكته في الانشاء وتحقق ما يحصله الا ان ذلك
اذا طال الحتي وقع الملل والضجر او كاد فينبغي الامساك عن البحث لئلا يفضي الحال الى ما ينهى عنه
قال ومخالفة التلميذ للشيخ في بعض المسائل اذا كان لها وجه وعليها دليل قايم يقبله غير الشيخ
من العلماء ليس من سوء الادب للتلميذ مع الشيخ ولكن مع ملازمة التوقير الدايم والاجلال الملايم
فقد خالف ابن عباس عمر وعليا وزيد بن ثابت رضي الله عنهم فكان قد اخذ عنهم وخالف كثير من
التابعين بعض الصحابة وانما اخذ العلم عنهم وخالف مالك كثيرا من اشياخه وخالف الشافعي
وابن القاسم واشهب مالكا في كثير من المسايل وكان مالك اكبر اشياخها الشافعي وفي الاخذ اشد
على من مالك وكاد كل من اخذ العلم ان يخالف بعض تلامذته في عدة مسايل ولم يزل ذلك داب
التلاميذ مع الاساتيذ الى زماننا هذا وقد شاهدنا ذلك في اشياخنا مع اشياخهم رحمهم الله
قال ولا ينبغي للشيخ ان يتبرم من هذه ولما انشد ابن الازرق المذكور في كتابه روضة الاعلام قول
القايل في مدح ابن عصفور

• لعل النحو اليتيما قد اعلا • عن امير المومنين البطل •
• بدا النحو علي وكذا • ختم النحو ابن عصفور علي •

قال بعد ما نصه على ان صاحبنا الكاتب الاديب الابرع ابا عبد الله محمد الازرق الوادي اشي
رحمه الله قد قال يدافع ابن عصفور عما اقتضاه هذا المدح له من تفضيل الاستاذ المحقق ابي الحسن
ابن الضايع عليه ولقد ابدع في ذلك ما شاء لما تضمن من التورية

• بقدر يجلك ابن الضايع الندب قد اتى • بخط من التحقيق والعلم موفور •
• فطرت عقابا كاسرا وما ترى • مطارك قد اعيى جناح ابن عصفور •

انتهى وقد نقل عن ابن الازرق صاحب المعيار في جامعه واثنى عليه غير واحد ومن اعظم تاليفه
شرحه الحافل على مختصر خليل المسمى بشفاء الغليل في شرح مختصر خليل وقد تواردا معه الشيخ
ابن غازي على هذه التسمية وكان مولانا العم الامام شيخ الاسلام سيدي سعيد بن احمد المقري رضي
الله عنه قال لي حين سالته عن هذا التوارد لعل تسمية ابن الازرق شفاء الغليل بالغين قلت

بعد ذلك

بعد ذلك ان جماعة من تلامذته الاكابر كالوادي اشي وغيره كتبوه بخطوطهم بالغين فبان انه
من توارد الخواطر وان كلا منهما لم يقف على تسمية الاخر والله اعلم وقد رايت جملة من هذا الشرح
بتلمسان وذلك نحو ثلاث مجلدات ولا ادري هل اكمله ام لا لان تقديره بحسب ما رايت
يكون عشرين مجلدا اذ المجلد الاول لما اتم مسايل الصلاة ورايت الخطبة وحدها في اكثر من
كراسة بان فيها من علوم ولم ار في شروح خليل مع كثرتها مثله ودخل تلمسان لما استولى
العدو على بلاد الاندلس ثم ارتحل الى المشرق فدخل مصر واستنهض عزايم السلطان قايتباي
لاسترجاع الاندلس فكان كمن يطلب بيض الانوق او الابيض العقوق ثم حج ورجع الى مصر فجدد
الكلام في غرضه فدفعوه عن مصر بقضاء القضاء في بيت المقدس فتولاه بنزاهة وصيانة وطهارة
ولم تطل مدته هنالك حتى توفي به تجده شهر حسبما ذكره صاحب الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل
فليراجع فانه طال عهدي به ومن بارع نظمه رحمه الله قوله في المحجبات

• ورب محجوبة تبدت • كانها الشمس في حلاها •
• فاعجب لحال الانام من قد • احبها منهم قلاها •

ومنه قوله رحمه الله

• عر هذا الدخان الذي • جاور داري واضح في البيان •
• قد قلتم ان بها زخرفا • ولا يلي الزخرف الا الدخان •

وقوله

• تاملت من حسن الربيع نضارة • وقد غردت فوق الغصون البلابل •
• حكت في غصون الدوح قسا فصاحة • لنعلم ان النبت في الروض باقل •

وقوله

• وقايلة صف للربيع محاسنا • فقلت وعندي للكلام بدار •
• بها بيطاح الارض صوب من الحيا • فللنبت في وجه الزمان عذار •

وقوله

• تعجبت من يانع الورد في • سني وجنة بينها بارض •
• ولم لا يرى وردها يانعا • وقد سال من فوقها العارض •

وقوله رحمه الله عند وفاة والدته

• تقول لي ودموع العين واكفة • ما اقطع البين والترحال يا ولدي •
• فقلت اين السرى قالت لرحمة من • قد عز في الملك لم يولد ولم يلد •

قال تلميذه الحافظ ابن داود مما الفيته بخط قاضي الجماعة ابي عبد الله بن الازرق عن علي رضي الله
عنه من اراد ان يطول الله عمره ويظفر بعدوه ويصان من فتن الدنيا ويوسع عليه باب رزقه
فليقل هذا التسبيح اذا اصبح ثلاثا واذا امسى ثلاثا سبحان الله ملا الميزان ومنتهى العلم ومبلغ
الرضا وعدد النعم وزنة العرش ولا اله الا الله ملا الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضى وعدد النعم

وزنة العرش والله اكبر ملا الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضى وعدد النعم وزنة العرش ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم مثل ذلك قال وبخطه ايضا النيل الرزق وما يراد به يا باسط يا جواد يا علي في عرشك بحق حقك على جميع خلقك ابسط لي رزقك وسخر لي خلقك وبخطه ايضا بسم الله الرحمن الرحيم الدافع المانع الحافظ الحي القيوم القوي القادر الولي الناصر الغالب الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم وبخطه ايضا يا فتاح يا عليم يا نور يا هادي يا حق يا مبين افتح لي فتحا تنور به قلبي وتشرح به صدري واهدني الى طريق ترضاه وتيسر لي امري وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا انتهى وقال رحمه الله موريا

من تكن صنعته الانشاء لا • يتكرا الرزق لا فضلى العمر •
ولو اشتغلت على النسخ الدرا • ري بما في ضمنه من درر •
فانا الكاتب لكن لو نبا • ع لي العتق لكنت المشتري •

هكذا رايت نسبتها اليه ولنختم ترجمته بل والباب جميعا بقوله رحمه الله عند نزول طاغية النصارى بمرج غرناطة اعادها الله للاسلام بجاه النبي عليه افضل الصلاة وازكى السلام

مشوق بخيمات الاحبة مولع • تذكره نجد وتغريه لعلع •
مواضعكم يا لائمين على الهوى • فلم يبق للسلوان في القلب موضع •
ومن لي بقلب تلتظي فيه جمرة • ومن لي بجفن تنهمي فيه ادمع •
رويدك فارقب للطائف موقعا • وخل الذي من شره يتوقع •
وصبرا فان الصبر خير غنيمة • ويا فوز من قد كان للصبر يرجع •
وبت واثقا باللطف من خير راحم • فالطافه من لمحة العين اسرع •
وان جاء خطب فانتظر فرجا له • فسوف تراه في غد عنك يرفع •
وكن راجيا لله في كل حالة • فليس لنا الا الى الله مرجع •

الباب السادس في ذكر بعض الوافدين على الاندلس من اهل المشرق

المهتدين في قصدهم اليها بنور الهداية المضيء المشرق • والاكابر الذين حلوا بحلولهم فيها الجيد والمفرق • قطرها المونق على المشيم والمعرق • اعلم ان الداخلين للاندلس من المشرق قوم كثيرون لا تحصر الاعيان منهم فضلا عن غيرهم ومنهم من اتخذها وطنا وصيرها سكنا الى ان وافته منيته • ومنهم من عاد الى المشرق بعد ان قضيت بالاندلس امنيته • فمن الداخلين الى الاندلس المنيذر الذي يقال انه صحابي راى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن الابار في التكملة المنيذر الافريقي له صحبة وسكن افريقية ودخل الاندلس فيما ذكره عبد الملك بن حبيب قاله ابن حبيب قاله ابو محمد الرشاطي ولم يذكره احد غيره روى عنه ابو عبد الرحمن الحبلي انتهى وابكر غير واحد دخول احد من الصحابة الاندلس وذكر بعض الحفاظ المنيذر المذكور وقال انه المنيذر اليماني وذكر الحجازي انه من الصحابة رضوان الله عليهم وانه دخل الاندلس مع موسى بن نصير غازيا وقال ابن بشكوال

يقال فيه

يقال فيه المنيذر لكونه من احداث الصحابة وسماه بالمنيذر الافريقي رضي الله عنهم وقد حكى ذلك الرازي وذكره ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب في الصحابة وسماه بالمنيذر الافريقي وقال ابن بشكوال ان ابن عبد البر روى عنه حديثا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكره ابو علي ابن السكن في كتاب الصحابة وقال روى عنه حديث واحد وارجو ان يكون صحيحا وذكره ابن نافع في معجم الصحابة له وذكره البخاري في تاريخه الكبير اذ قال ابو المنيذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بافريقية حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فانا الزعيم لآخذن بيده فادخله الجنة كذا ذكره البخاري بالكنية وهذا الحديث هو الذي روى عنه لا يعرف له غيره وذكره ابو جعفر احمد بن رشدين في كتاب مسند الصحابة له فقال المنيذر اليماني اما من مذحج او غيرها وذكر الحديث سواء وقد اشرنا فيما سبق الى المنيذر هذا ومن التابعين الداخلين الى الاندلس اميرها موسى ابن نصير وقد سبق من الكلام عليه ما فيه كفاية ومن التابعين الداخلين الى الاندلس حنش الصنعاني ومن كتاب ابن بشكوال قال ابن وضاح حنش لقب له واسمه حسين بن عبد الله وكنيته ابو علي ويقال ابو رشدين قال ابن بشكوال وهو من صنعاء الشام وذكره ابو سعيد بن يونس في تاريخ اهل مصر وافريقية والاندلس فقال انه كان مع علي بن ابي طالب رضي الله عنه وغزا المغرب مع رويفع بن ثابت وغزا الاندلس مع موسى بن نصير وكان فيمن ثار مع ابن الزبير على عبد الملك ابن مروان فاتي به عبد الملك في وثاق فعفا عنه وكان اول من اختط جامع سرقسطة وتوفي بافريقية سنة مائة وذكر ابن يونس عن حنش انه كان اذا فرغ من عشائه وحوائجه واراد الصلاة من الليل اوقد المصباح وقرب المصحف واناء فيه ماء فاذا وجد النعاس استنشق الماء واذا تعايا في اية نظر المصحف واذا جاءه سائل لا يستطيع يصيح يا اهله اطعموا السائل الخبز حتى يطعم قال ابن حبيب دخل الاندلس من التابعين حنش بن عبد الله الصنعاني وهو الذي اسس على قرطبة من القبلة المسمى بفج المائدة واذن وذلك في غير وقت الاذان فقال له اصحابه في ذلك فقال ان هذه الدعوة لا تنقطع من هذه البقعة الى ان تقوم الساعة هكذا ذكره غير واحد وقد كشف الغيب خلاف ذلك فلعل الرواية موضوعة ومؤولة والله اعلم وذكره ابن عساكر في تاريخه وطول ترجمته وقال ان صنعاء المنسوب اليها قرية من قرى الشام وليست صنعاء اليمن وقيل انه لم يرو عن حنش الشاميون وانما روى عنه المصريون وحدث حنش عن عبد الله بن عباس انه قال له ان استطعت ان تلقى الله وسيفك حليته حديد فافعل وكان عبد الملك بن مروان حين غزا المغرب مع معاوية بن حديج نزل عليه بافريقية سنة خمسين يحفظ له ذلك فعفا عنه حين اتي به في وثاق حين ثار مع ابن الزبير وسئل ابو زرعة عن حنش فقال ثقة ولم يذكر ابن عساكر ان حنشا لقب له وان اسمه حسين بل اقتصر على اسمه حنش ولعله الصواب لا ما قاله ابن وضاح والله تعالى اعلم وفي تاريخ ابن الفرضي ان ابا الوليد بن حنش كان بسرقسطة وانه الذي اسس جامعها وبها مات وقبره

معروف عند باب اليهود بغربي المدينة وفي تاريخ ابن بشكوال انه اخذ ايضا قبلة جامع
البيرة وعدل وزن قبلة جامع قرطبة الذي هو فخر الاندلس ومن التابعين الداخلين
للاندلس ابو عبد الله علي بن رباح اللخمي ذكر ابن يونس في تاريخ مصر انه ولد سنة خمس عشرة
عام اليرموك وكان اعور ذهبت عينه يوم ذات السواري في البحر مع عبد الله بن سعد سنة
اربع وثلاثين وكان يفسد ليمانية من اهل مصر على عبد الملك بن مروان وكانت له من
عبد العزيز بن مروان منزلة وهو الذي قام لبيعته بخلع عبد العزيز الى الوليد بن عبد الملك
ثم عتب عليه عبد العزيز فاغزاه افريقية فلم يزل بافريقية الى ان توفي بها ويقال
كانت وفاته سنة اربع عشرة ومائة قال ابن بشكوال اهل مصر يقولون علي ابن رباح بفتح
العين ومن اهل العراق يقولون علي بضم العين وقد سبق هذا الكلام على ابن معين في الباب
الثاني وقال ابنه موسى بن علي من قال لي موسى بن علي بالتصغير لم اجعله في حل ومن التابعين
الداخلين ابو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم وغيرهم وروى عنه جماعة وذكر البخاري
في تاريخه الكبير انه يعد في المصريين وذكر ابن يونس في تاريخ المغرب انه توفي بافريقية سنة مائة
وكان رجلا صالحا فاضلا رحمه الله ويذكر اهل قرطبة انه توفي في قرطبة وانه دفن بقبلتها
وقبره مشهور يتبرك به والله اعلم بحقيقة الامر في ذلك ومن الداخلين من التابعين فيما
ذكر المغيرة بن ابي بردة نسيط بن كنانة العذري روى عن ابي هريرة رضي الله عنه ويروي عنه
مالك في موطايه وذكره البخاري في تاريخه وفي كتاب الحافظ ابن بشكوال انه دخل الاندلس
مع موسى ابن نصير وكان موسى يخرجه على العساكر ومن التابعين حيوة بن رجاء التميمي ذكر ابن
حبيب انه دخل الاندلس مع موسى بن نصير واصحابه وانه من جملة التابعين رضي الله عنهم
قال ابن بشكوال في مجموعه المترجم بالتنبيه لمن دخل الاندلس من التابعين قال ابن الابار وقد
سمعته من ابي الخطاب بن واجب وسمعته هو منه انتهى وقال ابن الابار وقد سمعته من ابي
الخطاب بن واجب وسمعته في موضع اخر مما صورته رجاء بن حيوة بن رجا فالله اعلم بحقيقة الامر
في ذلك ومنهم عياض بن عقبة الفهري من خيار التابعين ذكره ابن حبيب في الاربعة الذين
حضروا غنايم الاندلس ولم يغلوا ومنهم عبد الله بن شماسة الفهري ذكر ابن بشكوال انه مصري
وان البخاري ذكره في تاريخه ومنهم عبد الجبار بن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري جده
عبد الرحمن احد العشرة رضي الله عنهم وهو ممن ذكره ابن بشكوال في الاربعة من التابعين
الذين لم يغلوا ومنهم منصور بن خزامة فيما يذكر قال ابن بشكوال قرات في كتاب روايات
الشيخ ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن عابد الراوية رحمه الله قال ممن دخل الاندلس من البربر
ما وجدت بخط المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الناصر رضي الله عنه في بعض كتبه بخطه
انه قال طرا علينا رجل اسود من ناحية السودان في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة فذكر
انه منصور بن خزامة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يزعم انه ادرك ايام عثمان بن
عفان رضي الله عنه وانه كان مراهقا وكان مع عايشة رضي الله عنها يوم الجمل وانه شهد

صفين

صفين وان خزامة اعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عن الاندلس في سنة ثلاثين
وثلاثمائة الى المغرب انتهى قلت هذا كله لا اصل له ورحم الله حافظ الاسلام ابن حجر
حيث كتب على هذا الكلام ما صورته هذا هذيان لا اصل له ولا يغتر به وكذلك ترجمة اشج
الغرب اتفق الحفاظ على كذبه انتهى قلت وما هو الا من نمط عكراش والله يحفظنا من سماع
الاباطيل بمنه ومن هذه الاكاذيب ما يذكرون عن ابي الحسن علي بن عثمان بن خطاب وانه
يعرف بابي الدنيا وانه كان معمرا مشهورا بصحبة علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وانه راى
عايشة فيما زعم وقدم قرطبة على المستنصر الحكم بن الناصر هو وابن عمه وساله ابو بكر
ابن القوطية عن مغازي علي وكتبها عنه وقد ذكره ابن بشكوال وغيره في كتبهم وتواريخهم
فقد ذكر الثقات العارفون بالفن انه كذاب دجال ما جرى بمثل حكاياتك والاغترار بمثل
ذلك مما يوجد في كثير من كتب المورخين بالمشرق والاندلس ولا يلتفت الى قول تميم بن محمد
التميمي انه كان اذ لقيه ابن ثلاثماية وخمس وستين قال تميم واتصلت بنا وفاته ببلده
في نحو سنة عشرين وثلاثمائة وبالجملة فلا اصل له وانما ذكرناه للتنبيه عليه وقد
عرفت مما ذكرناه التابعين الداخلين الاندلس على ان التحقيق انهم لم يبلغوا ذلك العدد
ولعلهم نحو خمسة او اربعة كما المعنا به في غير هذا الموضع والله اعلم ومن الداخلين
الى الاندلس مغيث فاتح قرطبة وقد تقدم بعض الكلام عليه وذكر ابن حيان وابن الحجاري
انه رومي وزاد الحجاري وليس برومي على الحقيقة وتصحيح نسبه انه مغيث بن الحارث بن الحويرث
ابن جبلة بن الايهم الغساني سبي من الروم بالمشرق وهو صغير فادبه عبد الملك بن مروان مع
ولده الوليد وانجب في الولادة وصار منه بنو مغيث الذين نجبوا في قرطبة وسادوا وجهم
بينهم وتفرعت دوحتهم وكان منهم عبد الرحمن بن مغيث حاجب عبد الرحمن بن معاوية
صاحب الاندلس وغيره ونشا مغيث بدمشق ودخل الاندلس مع طارق فاتحها وجاز على
ما في طريقها من البلاد الى الشام وقدمه طارق لفتح قرطبة ففتحها ووقع بينه وبين طارق
ثم وقع بينه وبين موسى بن نصير سيد الطارق فرحل منهما الى دمشق ثم عاد ظافرا عليهما
الى الاندلس وانسل بقرطبة البيت المذكور وفي المسهب انه فتح قرطبة في شوال سنة ٩٢
ثم فتح الكنيسة التي تحصن بها ملك قرطبة بعد حصار ثلاثة اشهر في محرم سنة ٩٣ ولم
يذكر له مولدا ولا وفاة وذكر الحجاري انه تادب بدمشق مع بني عبد الملك بن مروان وفصح
بالعربية وصار يقول من الشعر والنثر ما يجوز كتبه وتدرب على الركوب واخذ نفسه
بالاقدام في مضايق الحروب حتى تخرج في ذلك تخرجا اهله للتقديم على الجيش الذي فتح
قرطبة وكان مشهورا بحسن الراي والكيد وقد قدمنا كيفية فتحه قرطبة واسره
ملكها الذي لم يوسر من ملوك الاندلس غيره لان منهم من عقد على نفسه امانا ومنهم
من فر الى جليقية وذكر الحجاري انه لما حصل بيده ملك قرطبة وحريمه راى فيه جارية
كانها بينهم بدر بين نجوم ومتى تكرر التعرض لها بجمالها فوكل بها من عرض عليها العذاب

ان لم تفز بما عزمت عليه في شأن مغيث وانه قد فطن من كثرة تعرضهما له بجنسهما لما اضمرته
من المكر في شأنه فانزلت ابنها اكثرت التعرض لتقع بقلبه اذ حسنها فتان وقد اعدت له
خرقة مسمومة لتمسح بها ذكره عند وقاعها فحمد الله على ما الهمه اليه من مكرها وقال
لو كانت نفس هذه الجارية في صدر ابيها ما اخذت قرطبة من ليلة وذكر ان سليمان بن عبد
الملك لما اصغى الى طارق في شأن سيده موسى بن نصير فجذبه واستصفى امواله اراد ان
يصرف سلطان الاندلس الى طارق وكان مغيث قد تغير عليه فاستشار سليمان مغيثا في
تولية طارق وقال له كيف امره بالاندلس فقال لو امرهم بالصلاة الى اي قبلة شاءها
لتبعوه ولم يروا انهم كفروا فعلمت هذه المكيدة في نفس سليمان وبدا له في ولايته فلقيه
بعد ذلك طارق فقال له ليتك وصفت اهل الاندلس بعصيانا في ولم تضمر في الطاعة
ما اضمرت فقال مغيث ليتك تركب الى العلج فتركب لك الاندلس وكان طارق قد اراد ان
يأخذ منه ملك قرطبة الذي حصل في يده فلم يمكنه منه فاغرى به سيده موسى بن نصير وقال
له يرجع الى دمشق وفي يده عظيم من عظماء الاندلس وليس في يدنا مثله فاي فضل يكون لنا
عليه فطلبه منه فامتنع من تسليمه وقال ابن حيان تهجم موسى على العلج وانتزعه من مغيث
فقيل له ان سرت به معك حيا ادعاه مغيث والعلج لا ينكر ولكن اضرب عنقه ففعل
فاضطغنها عليه مغيث وبالغ في اذيته عند سليمان وذكر الحجاري في المسهب ان لمغيث
من الشعر ما يجوز كتبه فمن ذلك شعر خاطب به موسى بن نصير ومولاه طارقا ويكفي منه هنا
قوله • اعنتكم ولكن ما وفيتم • فسوف اعيث في غرب وشرق •
وعنوان نطقته في الشعر ان موسى بن نصير قال له وقد عارضه بكلام في محفل من الناس كف
لسانك فقال لساني كالمفصل ساكنه الا جيب بقبيل واضاف ابن حيان والحجاري الى ولاء الوليد
ابن عبد الملك وهو الذي وجهه الى الاندلس غازيا ففتح قرطبة ثم عاد الى المشرق فدعاه
الوليد رسولا عنده الى موسى بن نصير يستحثه في القدوم عليه فوفد معه فوجدوا الوليد
قد مات فخدم بعده سليمان بن عبد الملك ومن الداخلين ابو ايوب بن حبيب اللخمي ذكر ابن
حيان انه ابن اخت موسى بن نصير وان اهل اشبيلية قدموه على سلطان الاندلس بعد قتل
عبد العزيز بن موسى واتفقوا في ايامه على تحويل السلطان من اشبيلية الى قرطبة فدخل
اليها بهم وكان قيامه بامرهم ستة اشهر وقيل ان الذي نقل السلطنة من اشبيلية الى
قرطبة الحر بن عبد الرحمن الثقفي قال الرازي قدم الحر واليا على الاندلس في ذي الحجة سنة ٩٧
ومعه اربعمائة رجل من وجوه افريقية فمنهم اول طوالع الاندلس المعدودين قال ابن
بشكوال كانت مدة الحر سنتين وثمانية اشهر وكانت ولايته بعد قيام ايوب بن حبيب
اللخمي ومن الداخلين السمح بن مالك الخولاني ولي الاندلس بعد الحر بن عبد الرحمن السابق
قال ابن حيان ولاه عمر بن عبد العزيز واوصاه ان يخمس من ارض الاندلس ما كان عنوة ويكتب اليه
بصفتها وانهارها وبحارها قال وكان من رأيه ان ينقل المسلمين عنها لانقطاعهم وبعدهم

عن اهل

عن اهل كلمتهم فقال له ليبقين الله ابقاه حتى يفعل وان مصيرهم مع الكفار الى بوار الا ان
يستنقذهم الله برحمته وذكر ابن حيان ان قدوم السمح كان في رمضان سنة مائة وانه
الذي بنى قنطرة قرطبة بعدما استأذن عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكانت دار سلطانه قرطبة
قال ابن بشكوال استشهد بارض الفرنجة يوم التروية سنة اثنين ومائة قال ابن حيان
كانت ولايته سنتين وثمانية اشهر وذكر انه قتل في الوقعة المشهورة عند اهل الاندلس
بوقعة البلاط وكانت جنود الافرنجة قد تكاثرت عليه واحاطت بالمسلمين فلم ينج من
المسلمين احد قال ابن حيان فيقال ان الاذان يسمع بذلك الموضع الى الان وقدم اهل
الاندلس على انفسهم بعده عبد الرحمن الغافقي وذكر ابن بشكوال انه من التابعين الذين
دخلوا الاندلس وانه يروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال وكانت ولايته للاندلس
في حدود العشر ومائة من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي صاحب افريقية واستشهد في
قتال العدو بالاندلس سنة خمس عشرة انتهى وفيه مخالفة لما سبق انه ولي بعد السمح
وان السمح قتل سنة ١٠٢ وهذا يقول تولى سنة ١١٠ فاين هذا من ذاك والله اعلم ووصفه الحميدي
بحسن السيرة والعدل في قسمة الغنائم وذكر الحجاري انه ولي الاندلس مرتين وربما يجاب
بهذا عن الاشكال الذي قدمنا قريبا ويضعفه ان ابن حيان قال دخل الاندلس حين وليها
الولاية الثانية من قبل ابن الحبحاب في صفر سنة ١١٣ وغل الافرنج فكانت له فيهم وقائع جمة
الى ان استشهد واصيب عسكره في شهر رمضان سنة ١١٤ في موضع يعرف ببلاط الشهداء
قال ابن بشكوال وتعرف غزوته هذه بغزوة البلاط وقد تقدم مثل هذا في غزوة السمح
وكانت ولايته سنة وثمانية اشهر وفي رواية سنتين وثمانية اشهر وقيل غير ذلك وكان
سرير سلطانه حضرة قرطبة وولي الاندلس بعده عنبسة بن سحيم الكلبي وذكر ابن حيان انه
قدم على الاندلس واليا من قبل يزيد بن ابي مسلم كاتب الحجاج حين كان صاحب افريقية وكان
قدومه الاندلس في صفر سنة ١٠٣ فتأخر بقدومه عبد الرحمن المتقدم الذكر قال ابن بشكوال
فاستقامت به الاندلس وضبط امرها وغزا بنفسه الى ارض الافرنجة وتوفي في شعبان
سنة ١٠٧ فكانت ولايته اربعة اعوام واربعة اشهر وقيل ثمانية اشهر وذكر ابن حيان انه
في ايامه قام بجليقية علج خبيث يدعى بلاي فعاب على العلوج طول الفرار واذكى قرائحهم حتى
سما بهم الى طلب الثأر ودافع عن ارضه ومن وقته اخذ نصارى الاندلس في مدافعة المسلمين
عما بقي بايديهم من ارضهم والحماية عن حريمهم وقد كانوا لا يطمعون في ذلك وقيل انه لم يبق
بارض جليقية قرية فما فوقها لم تفتح الا الصخرة التي لاذ بها هذا العلج ومات اصحابه جوعا
الى ان بقي في نحو ثلاثين رجلا ونحو عشر نسوة وما لهم عيش الا من عسل النحل في جباح معهم
في خروق الصخرة وما زالوا ممتنعين بوعرها الى ان اعيى المسلمين امرهم واحتقروهم وقالوا
ثلاثون علجا ما عسى ان يجيء منهم فبلغ امرهم بعد ذلك في القوة والكثرة والاستيلاء ما لا خفاء
به وملك بعده ادفونش من عظماء الملوك المشهورين بهذه التسمية قال ابن سعيد قال الحجاري

الصخرة وما احتوت عليه الى ان ملك عقبهم كانوا بها المدن العظيمة حتى ان حضرة
قرطبة في ايديهم الان جبرها الله وهي كانت سرير السلطنة لعنبسة انتهى قال ابن حيان
والحجاري انه لما استشهد عنبسة قدم اهل الاندلس عليهم عذرة بن عبد الله الفهري ولم
يجعله ابن بشكوال في سلاطين الاندلس بل قال ثم تتابعت ولاة الاندلس مرسلين من قبل
صاحب افريقية اولهم يحيى بن سلمة وذكر الحجاري ان عذرة كان من صلحايهم وفرسانهم وصار
لعقبه نباهة وولده هشام بن عذرة هو الذي استولى على طليطلة قصبة الاندلس وفي عقبه
بوادي آش من مملكة غرناطة نباهة وادب قال ابن سعيد وهم الى الان ذو بيت موصل
ومجد موثل وكان سرير سلطان عذرة قرطبة وولي بعده يحيى بن سلمة الكلبي قال ابن بشكوال
انفذه الى الاندلس بشر بن صفوان الكلبي والي افريقية اذ استدعاه منه اهلها واليا بعد
مقتل اميرهم عنبسة فقدمها في شوال [illegible] واقام عليها سنة وستة اشهر لم يغز فيهما
بنفسه غزوة ونحوه لابن حيان وكان سريره بقرطبة وتولى بعده عثمان بن ابي نسعة الخثعمي
وذكر ابن بشكوال انه قدم عليها واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب افريقية في
شعبان [illegible] ثم عزل سريعا بعد خمسة اشهر وكان سرير سلطانهم بقرطبة وولي بعده
حذيفة بن الاحوص القيسي قال ابن بشكوال واتى الينا واليا من قبل عبيدة المذكور على اثر خلاف
فيه وفي ابن نسعة ايهما تولى قبل صاحبه وكان قدوم حذيفة في ربيع الاول [illegible] وعزل
سريعا ايضا وقيل ان ولايته استتمت سنة وكان بقرطبة وولي بعده الاندلس الهيثم
ابن عدي الكلابي قال ابن بشكوال ولاه عبيدة المذكور فوافى الاندلس في المحرم [illegible] وقيل
انه ولي سنتين وقد قيل اربعة اشهر وكان بقرطبة وولي بعده محمد بن عبد الله الاشجعي قال
ابن بشكوال فقدمه الناس عليهم فاضلا فصلى بهم شهرين قال ثم قدم عليهم واليا عبد الرحمن
ابن عبد الله الغافقي الذي تقدمت ترجمته وذكرت ولايته الاولى للاندلس ووليها من قبل
عبيد الله بن الحبحاب صاحب افريقية الى ان استشهد كما تقدم وولي الاندلس بعده ابن
قطن الفهري وذكر الحجاري ان من نسله بني القاسم اصحاب البونت وبني الجد اعيان اشبيلية
قال ابن بشكوال قدم الاندلس في شهر رمضان سنة اربع عشرة ومائة فكانت مدة ولايته
عامين وقيل اربع سنين ثم عزل عنها [illegible] في شهر رمضان [illegible] قال وكان ظلوما في سيرته
جايرا في حكومته وغزا ارض البشكنس فاوقع بهم وذكر ابن بشكوال انه لما عزل وولي عقبة
ابن الحجاج وثب ابن قطن عليه فخلعه لا ادري اقتله ام اخرجه وملك الاندلس بقية احدى
وعشرين واثنين وثلاث وعشرين ومائة بعد ابن قطن وصلب في ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين
ومائة بعد ولاية بلج بعشرة اشهر وصلب بصحراء ربض قرطبة بعدوة النهر حيال راس القنطرة
وصلبوا عن يمينه خنزيرا وعن يساره كلبا واقام شلوه على جذعه الى ان سرقه مواليه بالليل
وغيبوه فكان المكان بعد ذلك يعرف بمصلب ابن قطن فلما ولي ابن عمه يوسف بن عبد الرحمن
الفهري استاذنه ابنه امية بن عبد الملك وبنى فيه مسجدا ينسب اليه فقيل مسجد امية

وانقطع

وانقطع عنه اسم المصلب وكان سن عبد الملك عند مقتله نحو التسعين وذكر ابن بشكوال
ان عقبة بن الحجاج السلولي ولاه عبيد الله بن الحبحاب صاحب افريقية الاندلس ودخلها
سنة سبع عشرة ومائة وقيل في السنة التي قبلها فاقام عليها سنين محمود السيرة
مثابرا على الجهاد مفتتحا للبلاد حتى بلغ سكنى المسلمين اربونة وصار رباطهم على نهر رودنه
ثم قام عقبة بالاندلس سنة احدى وعشرين ومائة وكان قد اتخذ باقصى ثغر الاندلس
الاعلى مدينة يقال لها اربونة كان يتربص بها للجهاد وكان اذا اسر الاسير لم يقتله حتى يعرضه
على الاسلام ويبين له عيوب دينه فاسلم على يده الفا رجل وكانت ولايته خمس سنين وشهرين
قال الرازي فثار اهل الاندلس بعقبة فخلعوه في صفر سنة ثلاث وعشرين في خلافة
هشام بن عبد الملك وولوا على انفسهم عبد الملك بن قطن وهي ولايته الثانية فكانت
ولاية عقبة الاندلس ستة اعوام واربعة اشهر وتوفي في صفر ١٢٣ وسريره قرطبة
ومن الداخلين الى الاندلس بلج بن بشر بن عياض القشيري قال ابن حيان لما انتهى الى الخليفة
هشام بن عبد الملك ما كان من امر خوارج البربر بالمغرب الاقصى والاندلس وخلعهم لطاعته
وعيثهم في الارض شق عليه فعزل عبيد الله بن الحبحاب عن افريقية وولى عليها كلثوم بن
عياض القشيري ووجه معه جيشا كثيفا لقتالهم كان فيه مع ما انضاف اليه من جيوش
البلاد التي مر عليها سبعين الفا ومع ذلك فانه لما تلاقى مع ميسرة راس البربر كالمدعي
للخلافة انهزم منه ميسرة وخرج كلثوم ولاذ بسبتة وكان بلج ابن اخيه معه فقامت قيامة
هشام لما سمع بما جرى عليه فوجه اليهم حنظلة بن صفوان ثانيا فاوقع بالبربر وفتح الله على
يديه ولما اشتد حصار بلج وعمه كلثوم ومن معهما من قبائل الشام بسبتة وانقطعت
عنهم الاقوات وبلغوا من الجهد الى الغاية استغاثوا باخوانهم من عرب الاندلس فتثاقل
عنهم صاحب الاندلس عبد الملك بن قطن لخوفه على سلطانه منهم فلما شاع خبر ضرهم عند
رجال العرب اشفقوا عليهم فاغاثهم زياد بن عمرو اللخمي بمركبين مشحونين ميرة امسكا من
ارماقهم فلما بلغ ذلك عبد الملك بن قطن ضربه سبعمائة سوط ثم اتهمه بعد ذلك بتضريب
الجند عليه فسمل عينيه ثم ضرب عنقه وصلبه وصلب عن يساره كلبا واتفق في هذا الوقت
ان برابر الاندلس لما بلغهم ما كان من ظهور برابر العدوة على العرب انتقضوا على عرب الاندلس
واقتدوا بما فعله اخوانهم ونصبوا عليهم اماما فكثر ايقاعهم بجيوش ابن قطن واستفحل
امرهم فخاف ابن قطن ان يلقى ما لقي العرب ببر العدوة من اخوانهم وبلغه انهم قد عزموا على قصده
فلم ير اجدى من الاستنجاد ببلج وبصعاليك عرب الشام اصحاب بلج الموتورين فكتب لبلج وقد مات
عمه كلثوم في ذلك الوقت فاسرعوا الى اجابته وكانت امنيتهم فاحسن اليهم واسبغ
النعم عليهم وشرط عليهم ان ياخذ منهم رهاين فاذا فرغوا له من البربر جهزهم الى افريقية
وخرجوا له من اندلسه فرضوا بذلك وعاهدوه عليه فقدم عليهم وعلى جنده ابنيه قطنا
وامية والبربر في جموع لا يحصيها غير رازقها فاقتتلوا قتالا اصعب فيه المقام الى ان كانت

الدايرة على البربر فقتلتهم العرب باقطار الاندلس حتى الجئوا فلّهم بالثغور وخفوا عن
العيون فكر الشاميون وقد امتلأت ايديهم بالغنايم فاشتدت شوكتهم وثابت همتهم
وبطروا ونسوا العهود وطالبهم ابن قطن بالخروج من الاندلس الى افريقية فتعللوا
عليه وذكروا صنيعه بهم بايام انحصارهم في سبتة وقتله الرجل الذي اغاثهم بالميرة
فخلعوه وقدموا على انفسهم اميرهم بلج بن بشر وتبعه جند ابن قطن وحملوا عليه في قتل
ابن قطن فابى فثارت اليمانية وقالوا قد حميت لمضرك والله لا نطيعك فلما خاف تفرق
الكلمة امر بابن قطن واخرج اليهم وهو شيخ كبير كفرخ نعامة قد حضر وقعة الحرة مع اهل
المدينة فجعلوا يبكتونه ويقولون له افلت من سيوفنا يوم الحرة ثم طالبتنا بتلك
الثرة فعرضتنا لاكل الكلاب والجلود وحبستنا بسبتة محبس الضنك حتى اشفينا جوعا
فقتلوه وصلبوه ثم تقدم وكان ابنه قطن وامية ابناه عند ما خلع قد هربا وحشدا الطلب
الثار واجتمع عليهما العرب البلديون والبربر وصار معهم عبد الرحمن بن حبيب بن ابي
عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري كثير الجند وكان في اصحاب بلج فلما صنع بابن عمه عبد
الملك فارقه فانحاز بيمن يطلب ثاره وانضم اليهم عبد الرحمن بن علقمة اللخمي صاحب
اربونة وكان فارس الاندلس في وقته فاقبلوا نحو بلج في جماعة الف او يزيدون وبلج قد
استعد لهم في مقدار اثني عشر الفا سوى عبيد له كثيرة واتباع من البلديين فاقتتلوا
وصبر اهل الشام صبرا لم يبصر مثله احد قط وقال عبد الرحمن بن علقمة اللخمي اروني
بلجا فوالله لاقتلنه او لاموتن دونه فاشاروا اليه نحوه فحمل باهل الثغر حملة انفرج
بها الشاميون والراية في يده فضربه عبد الرحمن ضربتين مات منهما بعد ذلك بايام
قلايل ثم ان البلديين انهزموا بعد ذلك هزيمة قبيحة واتبعهم الشاميون يقتلون
ويأسرون فكان عسكرا منصورا مقتولا اميره وكان هلاك بلج في شوال ١٢٤
وكانت مدته احد عشر شهرا وسرير قرطبة والعرب الشاميون الداخلون معه الى الاندلس
يعرفون عند اهل الاندلس بالشاميين والذين كانوا في الاندلس قبل دخوله يسمون
بالبلديين ولما هلك بلج قدم الشاميون عليهم بالاندلس ثعلبة بن سلامة العاملي
وقد كان عهد لهم عهد الخليفة هشام بذلك فسار فيهم باحسن سيرة ثم ان اهل
الاندلس الاقدمين من العرب والبربر شمروا مجدا لوقعة لطلب الثار وقالوا مرجعهم الى
ان حصروه بمدينة ماردة وهم لا يشكون في الظفر الى ان حضر عيد نشا غلوا به فانتهز
ثعلبة منهم غرة وانتشارا واستركثرة العدد والعدة واستنبل الخروج عليهم في
صبيحة عيدهم وهم ذهلون فهزمهم هزيمة قبيحة فاثخن فيهم القتل واسر منهم الف رجل
وسبى ذريتهم وعيالهم واقبل الى قرطبة بسبيهم بعشرة الاف او يزيدون حتى نزل
بظاهر قرطبة يوم خميس وهو يريد ان يحمل الاسارى على السيف بعد صلاة الجمعة
واصبح الناس منتظرين لقتل الاسارى فاذا بهم قد طلع عليهم لواء فيه موكب تنظر

فاذا

فاذا ابو الخطار قد اقبل واليا على الاندلس وهو ابو الخطار حسام بن ضرار الكلبي وذكر
ابن حيان انه تقدم واليا من قبل حنظلة بن صفوان صاحب افريقية والخليفة حينئذ
الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وذلك في رجب سنة ١٢٥ بعد عشرة اشهر من ولاية ثعلبة
ابن سلامة قال وكان مع فروسيته شاعرا محسنا وكان في اول ولايته قد اظهر العدل
فدانت له الاندلس الى ان مال به العصبية اليمانية على المضرية فهاج الفتنة العمياء
وكان سبب هذه الفتنة ان ابا الخطار تبلغ به التعصب لليمانية ان اختصم عنده رجل
من قومه مع خصم له من كنانة كان من بلج حجة من ابن عم ابي الخطار فمال ابو الخطار مع ابن عمه
فاقبل الكناني الى الصميل بن حاتم الكلابي احد سادات مضر فشكا له حيف ابي الخطار وكان
ابا الصميل حاميا للعشيرة فدخل على ابي الخطار وامض عتابه فسمعه ابو الخطار واغلظ
عليه فرد الصميل عليه فامر به ابو الخطار فاقيم ودع قفاه حتى مالت عمامته فلما
خرج قال له بعض من على الباب ابا جوشن ما بال عمامتك مايلة فقال ان كان لي قوم
فسيقيمونها واقبل الى داره فاجتمع اليه قومه حين بلغهم ذلك ممتعضين فباتوا
عنده فلما اظلم الليل قال لهم ما رايكم فيما حدث علي فانه منوط بكم فقالوا اخبرنا بما تريد
فانا بما نتبع لرايك فقال لهم اريد والله اخراج هذا الاعرابي من هذا السلطان على ماه
خيلت وانا خارج لذلك عن قرطبة فانه ما يمكنني ما اريد الا بالخروج فالى اين ترون
اقصد فقال له اذهب حيث شئت ولا تأت ابا عطاء القيسي فانه لا يواليك على امر يبغيه
وكان ابو عطاء هذا سيدا مطاعا باستجة وكان مشاحنا للصميل مساميا
له في القدر فسكت عند ذكره ابو بكر بن الطفيل العبدي وكان من اشرافهم الا انه كان حدث
السن فقال له الصميل الا تتكلم فقال له ما تكلم به احد ما عندي غيره قال له ما هو قال ان
عداوتنا بيني وبين ابي عطاء وشبت امرك به يتم امرنا وهلكنا وان انت قصدته لم ينظر في شيء
مما سلف بينكما وحركته الحمية لك فاجابك الى ما تريد فقال له الصميل اصبت الراي
وخرج من ليلته واقام ابو عطاء في نصرته على ما قدره العبدي وعمدا الى ثوابة بن يزيد
الجذامي احد اشراف اليمن وسادتهم وكان ساكنا بمورور وقد استفسده ابو الخطار
فاجابهما الى القيام والتقدم على المضرية فاجتمعوا في شذونة وآل الامر الى ان هزموا
ابا الخطار على وادي لكة وحصل اسيرا في ايديهم فارادوا قتله ثم زجروا واوثقوه
واقبلوا به الى قرطبة وذلك في رجب سنة ١٢٧ لتجدد ولاية ابي الخطار بسنتين ولما
سجن ابو الخطار في قرطبة امتعض له عبد الرحمن بن حسان الكلبي فاقبل الى قرطبة
ليلا في ثلاثين فارسا معهم طايفة من الرجالة فهجموا على الحبس واخرجوه منه ومضوا
به الى غرب الاندلس فعاد في طلب سلطانه ودب في يمانيته حتى اجتمع له عسكر اقبل
بهم الى قرطبة فخرج اليه ثوابة ومعه الصميل فقام رجل من المضرية ليلا فصاح باعلى
صوته يا معشر اليمن ما لكم تتعرضون الى الحرب وتريدون المنايا عن ابي الخطار قد

عليه لو اردنا قتله فعلنا لكننا مننا وعفونا وجعلنا الامير منكم فلا تنفكروا في
امركم فلو ان الامير من غيركم عذرتم ولا والله لا نقول هذا رهبة منكم ولا خوفا لحربكم بل
تحرجا من الدما ورغبة في عافية العامة فتسامع الناس به وقالوا صدق فتداعوا
للرحيل ليلا فما اصبحوا الا على امثال قال الرازي ركب ابو الخطار البحر من ناحية تونس
في المحرم سنة ١٢٥ وفي كتاب ابي الوليد بن الفرضي كان ابو الخطار اعرابيا عصبيا افرط في التعصب
لليمانيين وتحامل على مضر واسخط قيسا فثار به زعيمهم الصميل فخلعه ونصب مكانه ثوابة
وهاج بين الفريقين الحروب المشهورة وخلع ابو الخطار بعد اربع سنين وتسعة اشهر وذلك
سنة ١٢٨ والامر الى ان قتله الصميل وولي الاندلس ثوابة بن سلامة الجذامي قال ابن
بشكوال لما اتفقوا عليه خاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب صاحب القيروان فكتب
اليه بعهد الاندلس وذلك سلخ رجب ١٢٨ فضبط البلد وقام بامره كله الصميل
واجتمع اليه اهل الاندلس واقام واليا سنة او نحوها ثم هلك وفي كتاب ابن الفرضي انه
ولي سنتين ثم ولي الاندلس يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري
وجده عقبة بن نافع صاحب افريقية وباني القيروان وكان المجاب الدعوة صاحب الغزوات
والاثار الحميدة وهذا البيت في السلطنة بافريقية والاندلس نباهته وذكر الرازي
ان مولده بالقيروان ودخل ابوه الاندلس من افريقية مع حبيب بن ابي عبيدة الفهري عند
افتتاحهم ثم عاد الى افريقية وهرب عنه ابنه يوسف هذا من افريقية الى الاندلس
مغاضبا له فهوى الاندلس واستوطنها فساد بها قال الرازي كان يوسف يوم ولي
الاندلس ابن سبع وخمسين سنة واقام اهل الاندلس بعد اميرهم ثوابة وقد هلكوا بغير
وال اربعة اشهر فاجتمعوا عليه باشارة الصميل من اجل انه قرشي رضيه الحيان من قطع
الحرب وما لوا الى الطاعة فدانت له الاندلس تسع سنين وتسعة اشهر وقال ابن حيان
قدمه اهل الاندلس في ربيع الاخر ١٢٩ واستبد بالاندلس دون ان يتاحد لغيره بالاندلس
وحكى ابن حيان انه انشد قول حرقة بنت النعمان بن المنذر يوم خلعه بالامان من سلطانه
ودخوله عسكر عبد الرحمن الداخل المرواني

فبينا نسوس الناس والامر امرنا ... اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

قال ابن حيان لما سمع ابو الخطار بتعديه حرك يمانيته فاجابوا دعوته فادى ذلك الى وقعة
شقندة بين اليمانية والمضرية فيقال انه لم يك بالمشرق ولا بالمغرب حرب اصدق منها
جلادا ولا اصبر رجالا طال الصبر بعضهم على بعض الى ان فني السلاح وتجاذبوا بالشعور
وتلاطموا بالايدي وكل بعضهم عن بعض وثابت للصميل غرة في اليمانية في بعض الايام فامر
بتحريك اهل الصناعات باسواق قرطبة فخرجوا في نحو اربعمائة رجل من الجادهم بما حضرهم من
السكاكين والعصي ليس فيهم حامل رمح ولا سيف الا قليلا فرماهم على اليمانية على غفلة و
فيهم من يبسط يدا للقتال ولا ينهض لدفاع فانهزمت اليمانية ووضعت المضرية السيف

فيهم

فيهم فابادوا منهم خلقا واختفى ابو الخطار تحت سرير رحى فقبض عليه وجيء به الى الصميل
فضرب عنقه وقد ذكرنا خبر انخلاع يوسف عن سلطانه في ترجمة عبد الرحمن الداخل وهو
اخر سلاطين الاندلس الذين ولوها من غير موارثة حتى جاءت الدولة المروانية وذكر ابن حيان
ان القائم بدولة يوسف والمتولي عليها الصميل بن حاتم بن شمر قد فر من المختار يوم لدن من
الكوفة الى الشام فلما خرج كلثوم بن عياض للمغرب كان الصميل فيمن خرج معه ودخل الاندلس
في طالعة بلج وكان شجاعا جوادا جسورا على قلب الدولة فبلغ ما بلغ والامر الى ان قتله عبد
الرحمن الداخل المرواني في سجن قرطبة مخنوقا وذكر ابن حيان انه كان ممن ثار على يوسف
الفهري عبد الرحمن بن علقمة اللخمي فارس الاندلس والي ثغر اربونة وكان ذا باس شديد وجاه
عظيمة فبينما هو في تدبير غزو يوسف اذ اغتاله اصحابه واقبلوا براسه اليه ثم ثار عليه
بعد ذلك بمدينة باجة عروة ابن الوليد في اهل الذمة وغيرهم فملك اشبيلية وكثر جمعه
الى ان خرج له يوسف فقتله وثار عليه بالجزيرة الخضراء عامر العبدري فخرج له وانزله على
امان في سكنى قرطبة ثم ضرب عنقه بعد ذلك وقيل انه ولد من خرج على يوسف عمرو بن
يزيد الازرق في اشبيلية فظفر به وقتله وثار عليه في كورة تدمير قسطة الحباب الزهري الى
ان ظفر به يوسف فقتله ثم جاءت الداهية العظمى بدخول عبد الرحمن بن معاوية المرواني
الى الاندلس وسعيه في افساد سلطانه فتم له ما اراد والله اعلم ومن الداخلين من المشرق
الى الاندلس ملكها عبد الرحمن بن معاوية بن امير المومنين هشام بن عبد الملك بن مروان
المعروف بالداخل وذلك انه لما اصاب دولتهم ما اصاب واستولى بنو العباس على ما كان
بايديهم واستقر قدمهم في الخلافة فر عبد الرحمن الى الاندلس فنال بها ملكا اورثه عقبه حقبة
من الدهر قال ابن حيان في المقتبس انه لما وقع الاختلال في دولة بني امية والطلب عليهم فر عبد
الرحمن ولم يزل في فراره مستقلا باهله وولده الى ان حل بقرية على الفرات ذات شجر وغياض يريد
المغرب لما حصل في خاطره من بشرى مسلمة فمما حكى عنه انه قال اني لجالس يوما في تلك القرية
في ظلمة بيت تواريت فيه لرمد كان بي وابني سليمان بكر ولدي يلعب قدامي وهو يومئذ ابن اربع
سنين او نحوها اذ دخل الصبي من باب البيت فازعا باكيا فاهوى الى حجري فجعلت ادفعه لما
كان بي ويابى الا التعلق وهو دهش يقول ما يقوله الصبيان عند الفزع فخرجت لانظر فاذا
بالروع قد نزل بالقرية ونظرت فاذا بالرايات السود عليها منحطة واخ لي حدث السن
كان معي يشتد هاربا ويقول لي النجا يا اخي فهذه رايات المسودة فضربت بيدي الى دنانير تناولتها
ونجوت بنفسي والصبي اخي معي واعلمت اخواتي بمتوجهي ومكان مقصدي وامرتهن ان يلحقني
ومولاي بدر معهن وخرجت فكمنت في موضع ناء عن القرية فما كان الا ساعة حتى اقبلت الخيل فاحاطت
بالدار فلم تجد اثرا ومضيت ولحقني بدر فاتيت رجلا من معارفي بشط الفرات فامرته ان يبتاع
لي دواب وما يصلح لسفري فدل علي عبد سوء له العامل فما راعنا الا جلبة الخيل تحضر نحونا فاشتدينا
في الهرب وسبقناها الى الفرات فرمينا فيه بانفسنا والخيل تنادينا من الشط ارجعا لا باس

عليكما انسيحت طاقتا لنفسي وكنت احسن السبح وسبح الغلام اخي فلما قطعنا نصف النهر نظر
اخي ودهش فالتفت اليه لاقوي قلبه واذا هو قد اصغى اليهم وهم يخدعونه عن نفسه فناديته
تعال يا اخي الي فلم يسمعني واذا هو قد اغتر بامانهم وخشي الغرق فاستعجل الانقلاب اليهم
نحوهم وقطعت انا الفرات وبعضهم قد هم بالتجرد للسباحة في اثري فاستكفوا اصحابهم عن
ذلك فتركوني ثم قدموا الصبي اخي الذي صار اليهم بالامان فضربوا عنقه ومضوا براسه وانا
انظر اليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاحتملت فيه ثكلا ملاني مخافة ومضيت الى وجهي احسب
اني طائر وانا ساع على قدمي فلجات الى غيضة اشبة فتواريت فيها حتى انقطع الطلب ثم خرجت
هاربا اروم المغرب حتى وصلت الى افريقية قال ابن حيان وسار حتى اتى افريقية وقد الحقت
به اخته شقيقته ام الاصبغ مولاه بدرا ومولاه سالما ومعهما دنانير للنفقة وقطعة من
جوهر فنزل بافريقية وقد سبقه اليها جماعة من فل بني امية وكان يتعدى اليها عبد الرحمن
ابن حبيب الفهري يهودي حدثانا في صحب مسلمة بن عبد الملك وكان يتكهن له ويخبره بتغلب القرشي
المرواني الذي هو من ابناء ملوك القوم واسمه عبد الرحمن وهو ذو ضفيرتين ان رسلهما رجا آن
تناله الدولة فلما جيء بعبد الرحمن ونظر الى ضفيرتيه قال له اليهودي ويحك هذا هو وانا
قاتله فقال له اليهودي انك ان قتلته فما هو به ولئن غلبت على تركه انه لهو وتغلب
بني امية على ابن حبيب صاحب افريقية فطرد كثيرا منهم مخافة وتجنى على ابنين للوليد بن
يزيد كانا قد استجارا به فقتلهما واخذ مالا كان مع اسماعيل بن ابان بن عبد العزيز بن
مروان وغلبه على اخته فتزوجها بكراهة وطلب عبد الرحمن فاستخفى منه وذكر ابن
عبد الحكم ان عبد الرحمن الداخل اقام ببرقة مستخفيا خمس سنين والامر في سفره الى
استجاره بني رستم ملوك تيهرت من المغرب الاوسط وتقلب في قبائل البربر الى ان استقر
على البحر عند قوم من زناتة واخذ في تجهيز بدر مولاه الى العبور للاندلس ليرسل الى بني امية
وشيعتهم بها وكانت الموالي المروانية المدونين بالاندلس في ذلك الاوان ما بين الاربعمائة
والخمسمائة ولهم جمرة وكانت رياستهم الى شخصين ابي عثمان عبيد الله بن عثمان وعبد الله
ابن خالد وهما من موالي عثمان رضي الله عنه وكانا يتوليان لواء بني امية يعتقبان حمله وكانا
جند الشام النازلين بكورة البيرة فعبر بدر مولى عبد الرحمن الى ابي عثمان بكتاب عبد الرحمن
يذكر فيه ايادي سلفه من بني امية عنده وسببه بهم ويعرفه حاله نزع السلطان شعبه
لنيله اذ كان الامر لجده هشام فهو حقيق بوراثته ويسال له القيام بشانه وملاقاة من
يثق به من الموالي الاموية وغيرهم في التلطف في ادخاله الى الاندلس ليسلى عذرا في الظهور
عليها ويعده باعلاء الدرجة ولطف المنزلة وبان يستعين في ذلك بمن يامنه ويرجو
قيامه معه ويا خذ فيه مع اليمانية ذوي الحنق على المضرية لما بين الحيين من التراب فمشى
ابو عثمان لما دعاه اليه وما نت له فيه طماعية وكان عند ورود بدر قد تجهز الى ثغر سرقسطة
لنصرة صاحبها الصميل بن حاتم وحده ولذ يوسف بن عبد الرحمن صاحب الاندلس فقال

لصهره

لصهره عبد الله بن خالد المذكور لو كان اذكرنا الصميل خبر بدر وما جاء فيه لنختبر ما عنده
في موافقتنا وكانا على ثقة في انه لا يظهر على سر مما احد لمروته وافقته فقالا له ان نحن تعلنا
لم تامن ان يذركها الغيرة على سلطان يوسف لما هو عليه من شرف الغدر وجلالة المنزلة
فيتوقع سقوط رياسته فلا يساعدنا قال ابو عثمان فنمتحنه اذا علا امره ونذكر له ان قصد
لا اراد الا بوآ والامان وطلب المعاش من هشام لدنيا ينتعش بها لا يريد غير ذلك فاتفقا
على هذا فلما ودعا الصميل خلوا به في ذلك وقد ظهر لهما منه حقد على صاحبه يوسف في
ابطائه عن امداده لما حاربه الحباب الزهري بكورة سرقسطة فقال لهما انا معكما فيما
تحبان فاكتبا اليه ان يعبر فاذا حضر سالنا ابا يوسف ان ينزله في جواره وان يحسن له
ويزوجه بابنته فان فعل والا ضربنا صلعته باسيافنا وصرفنا الامر عنه اليه وقرا
وقبلا يده ثم ودعاه واقام بطليطلة وقد ولاه يوسف عليها وعزله عن الثغر ونظر في
الى وطنهما بالبيرة وتذكرا نا لقيا من كان معهما في العسكر من وجوه الناس وثقاتهم
فطارحاهم امر ابن معاوية ثم دسا في الكور الى ثقاتهم بمثل ذلك فدب امره فيهم دبيب
النار في الجمر وكانت سنة خلف بالاندلس بعد خروج بن الجماعة التي دامت بالناس وفي
روايه ان الصميل الان لهما في ان يطلب الامر عبد الرحمن الداخل لنفسه ثم دبر ذلك لما انصرفا
فتراجع فيه فردهما وقال لهما اني رويت في الامر الذي ردته معكما فوجدت الفتى الذي دعوتماني
اليه من قوم لو بال احدهم بهذه الجزيرة غرقنا نحن وانتم في بوله وهذا رجل نتحكم عليه ونميل
على جوانبه ولا يسعنا بدل منه ووالله لو بلغتما بيوتكما ثم بدا لي فيما فارقتكما عليه لرايت
الا اقصر حتى القاكما لئلا اغيركما من نفسي فاني اعلمكما ان اول سيف يسل عليه سيفي فبارك
الله لكما في رايكما فقالا له ما لنا راي الا رايك ولا مذهب لنا عنك ثم انصرفا عنه على ان
يستبدا بعينهما في امر وان طلب غير السلطان والفضلا الى البيرة عازمين على التصميم في امره و
بين مضر وربيعة ورجعا الى اليمانية واخذا في تهييج احقادها على المضرية فوجدا منهم قوما
قد وغرت صدورهم عليهم يتمنون شيئا يجدون به السبيل الى ادراك ثارهم واغتنما بعد ابو
صاحب الاندلس في الثغر وغيبة الصميل فابتاعا مركبا ووجها فيه احد عشر رجلا منهم مع بدر
الرسول وفيهم تمام بن علقمة وغيره وكان عبد الرحمن قد وجه خاتمه الى مواليه فكتبوا تحت
خاتمه الى من يرجونه في طلب الامر فنبئوا من ذلك في الجهات ما دبت به امورهم ولما وجه ابو عثمان
المركب المذكور مع شيعته العبوه بشط مغيلة من بلاد البربر وهو يصلي وكان قد اشتد
قلقه وانتظاره لبدر رسوله فبشره بدر بتمكن الامر وخرج اليه تمام مكتوما بتبشيره فقال
له عبد الرحمن ما اسمك قال تمام قال وما كنيتك قال ابو غالب فقال الله اكبر تم امرنا و
غلبنا بحول الله وادنى منزلة ابي غالب لما ملك ولم يزل حاجبه حتى مات عبد الرحمن وبادر
بالدخول الى المركب فلما نم بذلك اقبل البربر فتعرضوا دونه ففرقت فيهم من مال كان
مع تمام صلات على اقدارهم حتى لم يبق احد حتى رضاه فلما صار عبد الرحمن بداخل المركب

اقبل عاتية منهم لم يكن اخذ شيا فتعلق بحبل الهودج بعقل المركب فحوله رجل اسمه شاكر
يده بالسيف فقطع يد البربري واعانهم الريح على التوجه بمركبهم حتى حلوا بساحل البيرة
في جهة المنكب وذلك في ربيع الاخر سنة ١٣٨ فوصل اليه تغيبا ابو عثمان وصهره ابو خالد
فنقلاه الى قرية طرش منزل ابي عثمان فجاءه يوسف بن بخت واسالت عليه الاموية وجاءه
جدار بن عمرو المذحجي من اهل مالقة فكان بعد ذلك قاضيه في العساكر وجاءه ابو عبدة حسان
ابن مالك الكلبي من اشبيلية فاستوزره وانثالت عليه الناس اشتاتا تقوى امره
مع الشاعات فضلا عن الامام وامره الله بقوة عالية فكان دخوله قرطبة بعد ذلك
بسبعة اشهر وكان خبر دخوله للاندلس قد صادف صاحبها يوسف الفهري بالثغر
وقد نهض على الحباب الزهري الثاير بسرقسطة وعلى عامر العبدري الثاير معه فبينما هو
بوادي الرمل بقرب من طليطلة وقد ضرب عنق عامر العبدري وابن عامر برأي الصميل اذ جاءه
قبل ان يدخل رواقه رسول لم يركض من عند ولده عبد الرحمن بن يوسف من قرطبة يعلمه
بامر عبد الرحمن ونزوله بساحل جند دمشق واجتماع الموالي المروانية اليه وتشوق الناس
لامره فانتشر الخبر في العسكر لوقته وشمت الناس بيوسف لقتله القرشيين عامرا وابنه
وحرم بعهد منهما فتسارع عدد كثير الى الداخل عبد الرحمن الداخل وتنادوا باشعارهم
وتقوضوا عن عسكره واتفق ان جادت السماء بوبل لم يعهد لمثله بما شاء الله من التضييق
على يوسف فاصبح وليس في عسكره سوى غلمانه وخاصته وقوم الصميل قيس واتباعه
فاقبل الى طليطلة وقال للصميل ما الرأي فقال بادر الشاعة قبل ان يغلظ امره
فاني لست آمن عليك موالي اليمانية لحنقهم علينا فقال له يوسف وتقول ذلك ومع
من نسير اليه وانت ترى الناس قد ذهبوا عنا وقد نقضنا من المال لما انضينا الظهر
واهلكتنا المجاعة في سفرتنا هذه ولكن نسير الى قرطبة فنستانف الاستعداد له بعد
ان ننظر في امره ويثبت لنا خبره فلعله دون ما كتب لنا فقال الصميل الرأي ما
اشرت به عليك وليس غيره وسوف تستبين غلطك فيما تركته ومضوا الى قرطبة وسار
عبد الرحمن الداخل الى اشبيلية وتلقاه رئيسها ابو الصباح بن يحيى اليحصبي واجمع
الرأي على ان يقصدوا به دار الامارة قرطبة فلما نزلوا بطشانة قالوا كيف نسير بامير
لا لواء له ولا علم يهتدى اليه فجاءوا بقناة وعمامة ليعقدوها عليه فكرهوا ان يميلوا القناة
لتعقد تطيرا فاقاموها بين زيتونتين متجاورتين فصعد رجل على فرع احديهما فعقد اللواء
والقناة قائمة كما شيا في وحكي ان عرفد العالم صاحب الحدثان مر بذلك الموضع فنظر الى
الزيتونتين فقال سيعقد بين هاتين الزيتونتين لواء لامير لا يثور عليه لواء الا كسر فكان
ذلك اللواء يسعد به هو وولده من بعده ولما اقبل الى قرطبة خرج له يوسف وكانت المجاعة
توالت قبل ذلك سنين فاخوت اهل الاندلس ضعفا ولم يكن عيش عامة الناس
بالعسكر ما عدا الفول الطا قد تدحرجوا من اشبيلية الا الفول الاخضر الذي يجدونه في

طريقهم

طريقهم وكان الزمان زمان ربيع وسمي ذلك العام عام الخلف وكان نهر قرطبة حائلا فمضى
يوسف من قرطبة واقبل ابن معاوية وتبرأ على بر اشبيلية والنهر بينهما فلما رأى يوسف تصميم عبد
الرحمن الى قرطبة رجع مع النهر محاذيا له فتسايرا والنهر حاجز بينهما الى ان حل يوسف بصحراء
المصارة غربي قرطبة وعبد الرحمن في مقابلته وتراسلا في الصلح وقدام يوسف يذبح الجزر
وتقدم بحمل الاطعمة الى ابن معاوية واخذ في خلاف ذلك وقد اعد للحرب عدتها واستكمل اهبتها
وسهر الليل كله على نظام امره كما سنذكره ثم انهزم اهل قرطبة وظفر عبد الرحمن الداخل
ونصره الله كفالة له وانهزم الصميل وفر الى شوذر من كورة جيان وفر يوسف الى جهة ماردة
وذكر ان ابا الصباح رئيس اليمانية قال لهم عند هزيمة يوسف يا معشر يمن هل لكم في فتحين
في يوم قد فرغنا من يوسف وصميل فلنقتل هذا الفتى المقدام ابن معاوية فيصير الامر لنا
نقدم عليه رجلا منا ونخلع عنه هذه المضرية فلم يجبه احد لذلك وبلغ الخبر عبد الرحمن
فاسرها في نفسه الى ان اغتال له بعد عام فقتله ولما انقضت الهزيمة قام ابن معاوية
بظاهر قرطبة ثلاثة ايام حتى اخرج عيال يوسف من القصر وعف واحسن السيرة ولما
حصل بدار الامارة وحل محل يوسف لم يستنفره قرار من فلات يوسف والصميل فخرج في
اثر عدوه واستخلف على قرطبة القائم بامره ابا عثمان واستكتب كاتب يوسف امية بن زيد
واستنام اليه اذ كان من موالي بني امية ونهض في طلب يوسف فوقع يوسف على خبره
فخالفه الى قرطبة ودخل القصر وتحصن ابو عثمان خليفة عبد الرحمن بصومعة الجامع
فاستنزله بالامان ولم يزل عنده الى ان عقد الصلح بينه وبين ابن معاوية وكان عقد
الصلح المشتمل عليه وعلى وزيره الصميل في صفر سنة ١٣٩ وشارطه على ان يخلي بينه وبين
امواله حيثما كانت وان يسكن بلاط الحر منزله بشرقي قرطبة على ان يختلف كل يوم الى ابن معاوية
ويريه وجهه واعطاه رهينة على ذلك ابنه ابا الاسود محمد بن يوسف زيادة على ابنه عبد
الرحمن الذي اسره ابن معاوية يوم الوقعة ورجع العسكران وقد اختلطا الى قرطبة وذكر
ابن حيان ان يوسف بن عبد الرحمن نكث سنة ١٤١ فهرب من قرطبة وسعى بالفساد في الارض
وقد كانت الحال اضطربت به في قرطبة ودس له قوم قاموا عليه في املاك زعموا انه غصبهم
اياها فرفع معهم الى الحكام فاعنتوه وحمل عنه في ذلك لم يرد بذلك كلام رفع الى ابن معاوية وتم
اصحاب ابو يوسف بن السبيل الى الشعاية به والتخويف منه فاشتد توحشه فخرج الى جهة
ماردة واجتمع اليه عشرون الفا من اهل الشتات فخلط امره وحدثته نفسه بلقاء
ابن معاوية فخرج نحوه من ماردة وخرج ابن معاوية من قرطبة فنيتهما ابن معاوية في
حصن المدور ومستعدا اذا التقى بيوسف عبد الملك بن عمر بن مروان صاحب اشبيلية فكانت
بينهما حرب شديدة انكشف عنها يوسف بعد بلاء عظيم منهم واستحر القتل في اصحابه
فهلك منهم خلق عظيم وسار يوسف الى ناحية طليطلة فلقيه في قرية من قراها عبد الله
ابن عمر الانصاري فلما عرفه قال لمن معه هذا الفهري قد ضاقت عليه الارض وقتله الدا

لذا الراخزمية فقتلوه واحتزوا رأسه وقدموا به إلى عبد الرحمن فلما قرب وأوذن عبد الرحمن به أمر أن يتوقف به دون جسر قرطبة وأمر بقتل ولد عبد الرحمن المحبوس عنده وضم إلى رأسه رأسه ووضعا على قناتين منتصبتين إلى باب القصر وكان عبد الرحمن لما فر يوسف قد سجن وزيره الصميل لأنه قال له أين يوجه فقال لا أعلم فقال ما كان ليخرج حتى يعلمك مع ذلك فإنه ولدك معه وأكد عليه في تحضيره فقال إنه لو كان تحت قدمي هذه ما رفعتها لك عنه فاصنع ما شئت فحينئذ أمر به للسجن وسجن معه ولدي يوسف أبا الأسود محمد المعروف بعد بالأعمى وعبد الرحمن ثم تهيأ لهما الهرب من نقب فأما أبو الأسود فنجا سالما واضطرب في الأرض يبغي لنفسه إلى أن هلك حتف أنفه وأما عبد الرحمن فأتعبه النجم فانبهر ورد إلى الحبس حتى قتل كما تقدم وأنف الصميل من الهرب فأقام بمكانه فلما قتل يوسف أدخل ابن معاوية على الصميل من خنقه فأصبح ميتا فدخل عليه مشيخة المضرية في السجن فوجدوه ميتا وبين يديه كأس ونقل كأنه بغت على شرابه فقالوا والله إنا لنعلم يا أبا جوشن إنك ما شربتها ولكن سقيتها ومما ظهر من بطش الأمير عبد الرحمن بن معاوية وصرامته فتكه بأحد عظماء دولته رئيس اليمانية أبي الصباح بن يحيى وكان قد ولاه إشبيلية وفي نفسه منه ما أوجب فتكه به ومن ذلك النوع حكايته مع العلاء بن مغيث اليحصبي إذ ثار بباجة وكان قد وصل من إفريقية على أن يظهر الرايات السود بالأندلس فدخل في ناس قليلين فارتمى بباجة ودعا أهلها ومن حولهم فاستجاب له خلق كثير إلى أن لقيه عبد الرحمن بجهة إشبيلية فهزمه وجيء به وبأعلام أصحابه فقطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه وأعناقهم وأمر فقرطت الصكاك في آذانهم بأسمائهم وأودعت جوالقا محصنا ومعها اللواء الأسود وأنفذ بالجوالق تاجرا من ثقاته وأمره أن يضعه بمكة أيام الموسم ففعل ووافق أبا جعفر المنصور قد حج فوضعه على باب سرادقه فلما كشفه ونظر إليه سقط في يده واستدعى عبد الرحمن وقال عرضنا هذا البائس يعني العلاء للحتف ما في هذا الشيطان مطمع فالحمد لله الذي صير هذا البحر بيننا وبينه ولما أوقع عبد الرحمن باليمانية الذين خرجوا في طلب ثأر رئيسهم أبي الصباح اليحصبي وأكثر القتل فيهم استوحش من العرب قاطبة وعلم أنهم على دغل وحقد فانحرف عنهم إلى اتخاذ المماليك فوضع يده في الابتياع فابتاع موالي الناس بكل ناحية واعتضد أيضا بالبربر ووجه عنهم إلى بر العدوة فأكثر لمن وفد عليه إحسانا رغب من خلفه في المتابعة قال ابن حيان واستكثر منهم ومن العبيد فاتخذ أربعين ألفا صار بهم غالبا على أهل الأندلس من العرب فاستقامت مملكته وتوطدت وقال ابن حيان كان عبد الرحمن راجح الحلم فاسح العلم ثاقب الفهم كثير الحزم نافذ العزم بريا من العجز سريع النهضة متصل الحركة لا يخلد إلى راحة ولا يسكن إلى دعة ولا يكل الأمور إلى غيره ثم لا ينفرد في إبرامها برأيه شجاعا مقداما بعيد الغور شديد الحذر قليل الطمأنينة بليغا مفوها شاعرا محسنا سمحا سخيا طلق اللسان وكان يلبس

البياض

البياض ويعتم به ويؤثره وكان قد أعطي هيبة من وليه وعدوه وكان يحضر الجنائز ويصلي عليها ويصلي بالناس إذا كان حاضرا الجمع والأعياد ويخطب على المنبر ويعود المرضى ويكثر مباشرة الناس والمشي بينهم إلى أن حضر في يوم جنازة فتصدى له في منصرفه عنها رجل متظلم عامي وقاح ذو عارضة فقال له أصلح الله الأمير إن قاضيك ظلمني وأنا أستجير بك من الظلم فقال له تنصف إن صدقت فمد الرجل يده إلى عنان دابته وقال أيها الأمير أسألك بالله لما برحت من مكانك حتى تأمر قاضيك بإنصافي فإنه معك فوجم الأمير والتفت إلى ما حوله من حشمه فرآهم قليلا ودعا بالقاضي وأمره بإنصافه فلما عاد إلى قصره كلمه بعض رجاله ممن كان يكره خروجه وابتذاله فيما جرى فقال له إن هذا الخروج الكثير أبقى الله الأمير لا يجمل بالسلطان العزيز وإن عيون العامة تخلق بجلالته ولا يؤمن بوادر منهم عليه فليتسل الناس كما عهدوا فترك من يومئذ شهود الجنائز وحضور المحافل ووكل بذلك ولده هشاما ومن نظم عبد الرحمن الداخل ما كتب به إلى أخته بالشام فقال

أيها الراكب الميمم أرضي • اقر مني بعض السلام لبعضي
إن جسمي كما تراه بأرض • وفؤادي ومالكيه بأرض
قدر البين بيننا فافترقنا • وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الدهر بالفراق علينا • فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وكتب إلى بعض من وفد عليه من قومه لما سأله الزيادة في رزقه واستقل ما قابله به وذكره بحقه بهذه الأبيات

شتان من قام ذا امتعاض • منتضي الشفرتين نصلا
فجاب قفرا وشق بحرا • مساميا لجة ومحلا
فبز ملكا وشاد عزا • ومنبرا للخطاب فصلا
وجند الجند حين أودى • ومصر المصر حين أخلا
ثم دعا أهله إليه • حيث انتأوا أن هلم أهلا
فجاء هذا طريد جوع • شريد روع يخاف قتلا
فنال أمنا ونال شبعا • ونال مالا ونال أهلا
ألم يكن حق ذا على ذا • أعظم من منعم ومولى

وحكى ابن حيان أن عبد الرحمن لما أذعن له يوسف صاحب الأندلس واستقر ملكه استحضر الوفود إلى قرطبة فأتته لواذا عليه ووالى القعود لهم في قصره عدة أيام في مجالس يكلم فيها رؤساءهم ووجوههم بكلام سرهم وطيب نفوسهم مع أنه كساهم وأطعمهم ووصلهم فانصرفوا عنه مجبورين مغتبطين يبتدرون كلامه وبينما تفوت بشكره وبينها ثوب بنعمة الله عليهم فيه وفي بعض مجالسهم هذه مثل بين يديه رجل من جند قنسرين يستجديه

تعالى لله يا ابن الخلائف الراشدين والسادة الاكرمين اليك فررت وبك عذت من زمن
ظلوم ودهر غشوم قلّل المال وكثّر العيال وشعّث الحال فصيّر الى نداك المآل ورأيت
ولي الحمد والمجد المرجو فقال له عبد الرحمن مسرعاً قد سمعنا مقالتك وقضينا
حاجتك وامرنا بعونك على دهرك على كرمنا لسوء مقامك فلا تعودن ولا سواك لمثله
من اراقة ماء وجهك بتصريح المسألة والالحاف في الطلبة واذا المّ بك خطب او حزبك
امر فارفعه الينا في رقعة لا تعدوك كيما نستر عليك خلتك شماتة العدو عنك بعد
رفعك لها الى مالكك ومالكها عز وجهه باخلاص الدعا وصدق النية وامر له بجائزة حسنة
وخرج الناس يعجبون منه من حسن منطقه وبراعة ادبه وكف فيما بعد ذوو الحاجات عن
عن مقابلته بها شفاها في مجلسه قال ابن حيان وقد سليمان بن يقظان الاعرابي على كتاب منه
سلك به سبيل الخداع اما بعد فدعني من معاريض المعاذير والتعسف عن جادة
الطريق لتمدّن يدا الى الطاعة والاعتصام بحبل الجماعة او لاروينّها منك عن صفو العصبية
نكالا بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد وفي المسهب ان عبد الرحمن كان من البلاغة
بالمكان العالي الذي يرد عنه كثير بني مروان حسيرا وقد جرى بينه وبين مولاه بدر ما لا
يجب اهماله وذلك انه لما سعى بدر في تحصيله ولمّه من ابتدائه الى الاستقرار صحبته عجب
وامتنان كان يراد به حياض المنية فاول ما بدا به ان قال بعنا انفسنا وخاطرنا به في شان
من هذا شانه علينا لما بلغ اقصى امله وقال له وقد امره بالخروج الى الغزاة انما تعبنا اولا لنستريح
اخرا وما اراني الا في اشد مما كنا واطال امثال هذه الاقوال واكثر الاستراحة في جانبه
فتبرم واعرض عنه فزاد كلامه وكتب له رقعة منها اما كان جزاي في قطع البحر وجوب
القفر والاقدام على تثبيت نظام مملكة وافناء ذخيرة [illegible] عيون كفى
واشمتني اعدائي واضعف امري [illegible] عند من يلوذ بي من مطامع من كان يكرمني ويحفدني
على الطمع والرجا واظن اعدانا بنو العباس لو حصلت بايديهم ما بلغوا بي اكثر من هذا
فانا لله وانا اليه راجعون فلما وقف عبد الرحمن على رقعته اشتد غيظه عليه فوقع عليها
وقفت على رقعتك المنبئة عن جهلك وسوء خطك ودناءة ادبك ولسنا معنفوك
والعجب انك متى اردت ان تبني لنفسك عندنا مثالا اتيت بما يهدم كل ما [illegible] مستبدلا
مما تمن به مما قد ضجرت الاسماع تكراره وقدحت في النفوس اعادته مما اسخرنا الله تعالى
من اجله على ان امرنا باستيصال لمالك وزدنا في هجرك وابعادك وهضنا جناح
ادلالك فلعل ذلك يقمع منك ويردعك حتى يبلغ بك ما نريد ان شاء الله فنحن
اولى بتاديبك من كل احد اذ شرك مكتوب في شمالنا وخيرك معدود في ايماننا
فلما ورد هذا الجواب على بدر عبد الرحمن من استيصال ماله والزمه داره وهتك حرمته
وقص جناح جاهه وصيره اموت من [illegible] على عمته ومع هذا فلم يثنه بدر عن الاكثار
من مخاطبة مولاه تارة يستعطفه وتارة يذكره وتارة ينفث مصدورا بخط قلمه ما يلقيه

عليه

عليه غير مفكر فيما يؤول اليه الى ان كتب له قد طال هجري وتضاعف همي وفكري واشتد
ما على كوني سليبا من مالي فعسى ان تامر لي باطلاق مالي واحد به في معزل لا اشتغل بسلطا
ولا ادخل في شي من اموره ما عشت فوقع له ان لك من الذنوب المتزايدة ولا سبيل الى
رد مالك فان تركك بمعزل في بلهنية الرفاهية وسعة ذات اليد والتخلي من شغل
السلطان اشبه بالنعمة منه بالنقمة فايأس من ذلك فان اليأس مريح فسكت لما
وقف على هذه الاجابة مدة الى ان عيد فاشتد بحزنه لما راى من حاجة من يلوذ به
وهمهم بما يفرح به الناس فكتب اليه في ذلك رقعة منها وقد اتى هذا العيد الذي
حالفت فيه اكثر من اساءة وسعى في خراب دولتك ممن تعفون عنه فبنتك النعمة
في دارك واقتعد ذروة العز وانا على ضد من هذا سليبا من النعمة مطرحا في حضيض
الهوان ايأس مما يكون وافزع الشر على ما كان فلما وقف على هذه الرقعة امر بنفيه عن
قرطبة الى اقصى الثغر وكتب له في ظهر رقعته لتعلم انك لم تزل بمقتك حتى تثقلت على العين
طلعتك ثم زدت الى ان ثقل على السمع كلامك ثم زدت الى ان ثقل على النفس جوارك
وقد امرنا باقصائك الى اقصى الثغر فبالله الا ما اقصرت ولا يبلغ بك زائد المقت
الى ان تضيق بك معي الدنيا ورايتك تشكو فلان وتتالم من فلان وما تقولوه عليك
لك عدو واكبر من لسانك فما طاح بك غيره فاقطعه قبل ان يقطعك ولما فتح
الداخل سرقسطة وحصل في يده ثائرها الحسين الانصاري وشدخت روس وجوهها
بالعمد وانتهى نصره فيهما الى غاية املها قبل خواصه يسونه تجري بينهم احد من لا يؤبه
من الجند فهناه بصوت عال فقال له والله لولا ان هذا اليوم يوم اسبغ علي فيه النعمة من
هو فوقك وجب علي ذلك ان انعم فيه على من هو دوني لاصليتك ما تعرضت له من سوء النكال
من يكون حتى تقبل مهنيا رافعا صوتك غير متلجلج ولا متهيب لمكان الامارة ولا عارفا
بقيمتها حتى كانك تخاطب اباك او اخاك وان جهلك ليحملك على العود لمثلها فلا تجد
مثل هذا الشافع في مثلها من عقوبة فقال ولعل فتوحات الامير تقترن على اتصالها
باتصال جهلي وذنوبي فيشفع لي متى اتيت بمثل هذه الزلة لا اعدمنيها الله فتهلل وجه
الامير وقال ليس هذا باعتذار جاهل ثم قال نبهونا على انفسكم اذا لم نجد من ينبهنا عليهم
ورفع مرتبته وزاد في عطايه ولما الحّ اصحابه على اصحابه الفهري بالقتل يوم هزيمتهم
على قرطبة قال لا تستاصلوا شافة اعداء ترجون صداقتهم واستبقوهم لاشد عداوة
منهم بشير الى استبقاهم ليستعان بهم على اعداء الدين ولما اشتد الكرب بين يديه يوم
حربه مع الفهري وراى شدة مقاسات اصحابه قال هذا اليوم هو اس ما يبنى عليه اما ذل
الدهر واما عز الدهر فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون تربحوا بها بقية اعماركم فيما تشتهون
ولما خرج من البحر الى القدوم على الاندلس اتوه بخمر فقال اني محتاج لما يزيد في عقلي لا لما
ينقصه فعرفوا من ذلك قدره ثم اهديت له جارية جميلة فنظر اليها وقال ان هذه

من التغلب والعيش بمكان وانا اشتغلت عنها بمهمتي فيما اطلبه ظلمتها وان اشتغلت بها عما اطلبه ظلمت همتي ولا حاجة لي بها الان ورددتها على صاحبها ولما استقامت له الدولة بلغه عن بعض من اعانه انه قال لولا انا ما توصل لهذا الملك ولكان زمنه ابعد من الجبوز واخر قال سعده اعانه لا عقله وتدبيره فحرك ذلك الى ان قال

لا يلف ممتن علينا قائل • لولاي ما ملك الامام لداخل
سعدي وحزمي والمهند والقنا • ومقادر بلغت وحال حائل
ان الملوك مع الزمان كواكب • نجم يطالع وانجم آفل
والحزم كل الحزم ان لا يغفلوا • ايروم تدبير البرية غافل
ويقول قوم سعده لا عقله • خير السعادة ما حماها العاقل
ابني امية قد جبرت صدعكم • بالغرب رغما والسعود قبائل
ما دام من نسلي امام قائم • فالملك فيكم ثابت متواصل

وحكى ابن حيان ان جماعة من الوافدين عليه من قبل الشام تحدثوا يوما في بعض مجالسهم عنده ما كان من الحرب بين يزيد بن عبد الملك ايام محنتهم وكلامه لعبد الله بن علي بن عبد الله ابن عباس لتساقطهم وقد حضروا اذ وفيه وجوه المسودة من دعاة القوم وشيعتهم اذا على عبد الله فيما اراقه من دماء بني امية وتلبهم والبراءة منهم فلم تروعه هيبته وعصف ريحه واحتفال جمعه عن معارضته والرد عليه بتفضيله لاهل بيته والذب عنهم وانه جاء في ذلك بكلام غاظ عبد الله واغصه بريقه وعاجل الحرب بالحتف فمضى وخلف في الناس ما خلق من تلك المعارضة في ذلك المقام وكثر القوم في تعظيم ذلك فكان الامير عبد الرحمن احتقر ذلك الذي كان من الحر في جنب ما كان منه في الذهاب بنفسه عن الادعان لعدوهم والانف من طاعته والسعي في اقتطاع قطعة من مملكة الاسلام عنه وقام عن مجلسه فصاغ هذه الابيات بديهة فقال

شتان من قام ذا امتعاض • فشمر ما قال واضمحلا
ومن غدا مصلتا لعزم • مجردا للحداد نصلا
فجاب قفرا وشق بحرا • ولم يكن في الامام كلا
وجند الجند حين اودى • ومصر المصر حين اجلا
ثم دعا اهله جميعا • حيث انتاوا ان هلم اهلا

وله غير ذلك من الشعر وسياتي بعضه مما يقارب هذه الطبقة واول ناصر لعبد الرحمن سائر معه في الحلول والاستخفا مولاه المتقدم الذكر سعى في سلطانه شرقا وغربا برا وبحرا فلما كمل له الامر سلبه من كل نعمة وسجنه ثم اقصاه الى اقصى الثغر حتى مات بين وحالد اشوا حالا والله اعلم بالسرائر فلعل له عذرا ويلومه من يسمع مبداه وما له وكل الجماعة الذين توجدا اليهم بدر في القيام بسلطانه ابو عثمان ولما توطدت دولة الداخل

استغنى

استغنى عنه وعن امثاله فاراد ابو عثمان ان يشغل خاطره وينظر في شيء يحتاج اليه فجعل ابن اخته يثور عليه في حصن من حصون البيرة فوجه عبد الرحمن من قبض عليه وضرب عنقه ثم اخذ ابو عثمان مع ابن اخي الداخل وزين له القيام عليه فسعى لعبد الرحمن بابن اخيه قبل ان يتم امره فضرب عنقه واعناق الذين دبروا معه وقيل ان ابا عثمان كان معه وهو الذي ضمن له تمام الامر فغالطه ابو سلمة من الدولة ولا يحدث الناس عنه بما اخذ ثوا عن بني العباس في شان ابن سلمة لكن ساعتبه عتبا اشد من القتل وجعل يبعده ثم رجع الى ما كان عليه في الظاهر وكان صاحبه الثاني له في الموازرة والقيام بالدولة صهره عبد الله ابن خالد وكان قد ضمن لابي الصباح رئيس اليمانية عن الداخل اشيا لم يف بها الداخل وقتل ابا الصباح فانحرف عبد الله وابن سهم لا يشتغل بشغل سلطان حياته فمات منفردا عن السلطان وكان ثالثهما في النصرة والاختصاص تمام ابن علقمة وهو الذي عبر البحر اليه وبشره باستحكام امره فقتل هشام بن عبد الرحمن ولد تمام المذكور وكذلك فعل بولد ابي عثمان المتقدم الذكر قال ابن حيان فلا قام بكل ولده هنا على يدي اعز الناس عليهما اراهما انه لا احد بعدا ان ينظر في تحسين عاقبته واذا تتبع الامر في الذين يقومون في قيام دولة كان حالهم مع من يظهرونه هذا المال او اصعب وذكر ابن اول حجاب الداخل تمام ابن علقمة مولاه ذو العمر الطويل ثم يوسف بن بخت الفارسي مولى عبد الملك بن مروان ولي بقرطبة عقب نابه ثم عبد الكريم بن مهران من ولد الحارث بن ابي شمر الغساني ثم عبد الرحمن ابن مغيث بن الحارث بن حويرث بن جبلة بن الايهم الغساني وابوه مغيث فاتح قرطبة الذي تقدمت ترجمته ثم منصور الخصي وكان اول خصي استحجبه بنو مروان بالاندلس ولم حاجبه الى ان توفي الداخل ولم يكن للداخل من يطلق سمه وزير لكنه عين اشيا خاطبهم وزرا والحوازم اولهم ابو عثمان المتقدم الذكر وعبد الله بن خالد النسابتو وابو عبدة صاحب اشبيلية وشهيد بن عيسى بن شهيد مولى معاوية بن مروان بن الحكم وكان من سبي البرابر وقيل انه رومي وبنوا شهيد الفضلا من ولده وعبد السلام بن بسيل الرومي مولى عبد الله ابن معاوية ولولده نباهة عظيمة في الوزارة وغيرها وثعلبة بن عبيد بن النظام الجذامي صاحب سرقسطة لعبد الرحمن وعاصم بن مسلم الثقفي من كبار شيعته واول من خاض النهر ومتوغر بابن يوم الوقعة بقرطبة ولعقبه في الدولة نباهة واول من كتب له عند خلوص الامر له واختلاله بقرطبة كبير نقاده ابو عثمان وصاحبه عبد الله بن خالد المتقدما الذكر ثم لزم كتابته امية بن يزيد مولى معاوية بن مروان وكان في عديد من سبيا ورمي ايضا ويغضل امره واراه وكان يكتب قبله ليوسف الفهري وقيل انه ممن انهم في ممالات اليزيدي في افساد دولة عبد الرحمن فاتفق ان مات قبل قتل اليزيدي فاطلاع عبد الرحمن على الامر وذكر ابن زيد ون ان اول قاض للداخل على قضاء الجماعة بقرطبة يحيى بن يزيد اليحصبي فاقره حينا ثم ولي بعده ابا عمرو معاوية بن صالح

142

اليحصبي ثم عمر بن شراحيل ثم عبد الرحمن بن طريف وكان جدار بن عمرو يغضي في العساكر
وكان الداخل بن ناح لما استقر سلطانه بالاندلس الى ان يفد عليه فل بيته بني مروان
تحنى بنا مددوا ما انعم الله عليه وتظهيره عليهم فوفد عليه من بني هاشم بن عبد الملك
اخوه الوليد بن معاوية وابن عمه عبد السلام بن يزيد بن هشام قال ابن حيان وفي سنة
قبل الداخل عبد السلام بن يزيد بن هشام المعروف باليزيدي وقتل معه مثل لواقد بن
عليه عبيد الله بن ابان بن معاوية بن هشام وهو ابن اخي الداخل وكان تحت تدبير
بن ماته في طلب الامر فوشى بهما مولى لعبد الله بن ابان وكان نفذ ساعدهما على ما هو به من
الخلاف يوعثمان وكبيرا لدولة فلم ينله ما نالهما وذكر الحجاري ان الداخل كان يقول
اعظم ما انعم الله به علي بعد تمكني من هذا الامر القدرة على ايواء من يصل الي من اقاربي
والتوسع في الاحسان اليهم وكبري في اعينهم واسماعهم ونفوسهم بما منحني الله من
هذا السلطان الذي لا منة على فيه لاحد غيره وذكر ابن حزم انه كان يتهم وفد عليه
ابن اخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية يسعى في طلب الامر لنفسه فقتله سنة ١٦٣ وقتل
معه من اصحاب هذيل بن الصميل بن حاتم ونفى اخاه الوليد بن معاوية والد الوليد
المذكور الى المغرب بماله وولده واهله وفي المسهب حدث بعض موالي عبد الرحمن الخاصين
به انه دخل على الداخل اثر قتله ابن اخيه المغيرة المذكور وهو مطرق شديد الغم فرفع
راسه الي وقال لما عجبي لهؤلاء القوم سعينا فيما يضجعهم في مهاد الامن والنعمة
وخاطرنا فيه بحياتنا حتى اذا بلغنا منه الى مطلوبنا ويسر الله اسبابه اقبلوا علينا
بالسيوف ولما اويناهم وشاركناهم فيما افردنا الله به حتى امنوا ودرت عليهم
اخلاف النعم هزوا اعطافهم وشمخوا بانافهم وسموا الى العظمى فنازعونا ما منحنا
الله فخذلهم بكفرهم النعم اذ اطلعنا على عوراتهم فعاجلناهم قبل ان يعاجلونا وادى
ذلك الى ان ساء ظننا في البريء منهم وساءهم ايضا ظنه فينا وصار يتوقع من تغييرنا
عليه ما نتوقع نحن منه وان اشد علي في ذلك اخي والد هذا المخذول وكيف تطيب لي نفس
بمجاورته بعد قتل ولده وقطع رحمه ام كيف يجتمع بصري مع بصره اخرج له الساعة
فاعتذر اليه وهذه خمسة الاف دينار ادفعها اليه واعزم عليه في الخروج عني من هذه
الجزيرة الى حيث شاء من بر العدوة قال فلما وصلت الى اخيه فوجدته اشبه بالاموات
منه بالاحياء فانسته وعرفته ودفعت له الاموال وابلغته الكلام فتاوه وقال ان
المشوم لا يكون بليغا في الشوم حتى يكون على نفسه وعلى سواه وهذا الولد العاق
الذي سعى في خنقه قد سرّه ما سعى فيه الى ان ربط العافية وقنع بكسيرات في كنف
يحمل عنه معرة الزمان وكله ولا حول ولا قوة الا بالله لا مرد لما حكم به وقضاه ثم ذكر
اخذ في الحركة الى بر العدوة قال فرجعت الى الامير فاعلمته بقوله فقال انه نطق بالحق
ولكن لا يجدي عنه هذا القول عما في نفسه والله لو قدر ان يشرب دمي ما عف لحظة فالحمد لله

الذى

الذي اظهرنا عليهم بما نويناه فيهم واذلهم بما نووه فينا واعلم انه دخل الاندلس
ايام الداخل من بني مروان وغيرهم من بني امية جماعة كثيرون سرد اسماءهم غير واحد
من المورخين وذكروا اعقابهم بالاندلس ومنهم جزي بن عبد العزيز اخو عمر بن عبد العزيز
وسيأتي قريبا وقد ثار على عبد الرحمن الداخل من عباد ان العرب وغيرهم جماعة كثيرون
ظفر الله بهم وقد سبق ذكر بعضهم ومنهم الداعي الفاطمي البربري بشنت برية فاعيا الداخل
امره وطال شره سنين متنوا لينا الى ان فتك به بعض اصحابه فقتله ومنهم حيوة بن
ملامس الحضرمي رئيس اشبيلية وعبد الغفار بن حميد اليحصبي رئيس لبلة وعمرو بن طالوت
رئيس باجة اجتمعوا وتوجهوا نحو قرطبة يطلبون رئيس الجماعة فهزمهم الداخل بالصباح هزيمة عظيمة
وقيل بحوا بالفرار فاتبعهم الداخل وفي سنة ١٥٦ ثار بسرقسطة الحسين
ابن يحيى بن سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي وساعده سليمان بن يقظان الاعرابي الكلبي
راس الفتن والامر بهما الى ان فتك الحسين بسليمان وقتل الداخل الحسين كما مر وفي
سنة ١٦٣ ثار الدماحسن بن عبد العزيز الكناني بالجزيرة الخضراء فتوجه له عبد الرحمن الداخل
ففر في البحر الى المشرق قال ابن حيان كان مولد عبد الرحمن الداخل سنة ١١٣ وقيل في
التي قبلها بالعليا من تدمر وقيل بدير حنا من دمشق وبها توفي ابوه معاوية في حياة امير
المؤمنين هشام بن عبد الملك وكان تقدر شيحه للخلافة وبعرهما وبه المذكور واستجار
الكميت الشاعر حين اهدر هشام دمه وتوفي الداخل لست بقين من ربيع الاخر سنة ١٧٢
وهو ابن سبع وخمسين سنة واربعة اشهر وقيل اثنان وستون سنة ودفن بالقصر من
قرطبة وصلى عليه ابنه عبد الله وكان منصورا مؤيدا مظفرا على اعدائه وقد سردنا هنا
من ذلك جملة حتى قال بعضهم ان الراية التي عقدت له بالاندلس حين دخلها لم تنهزم قط
وازالوه من ما ظهر في ملك بني امية الا بعد ذهاب تلك الراية وبنو الداخل بن مورخ
الاندلس الثقة ابو مروان بن حيان رحمه الله ولا باس ان
نذكر بعض ذلك فنقول قال بعض المورخين من اهل المغرب بعد كلام ابن حيان على ما سلف
الذي قدمناه ذكره ما نصه كان الامام عبد الرحمن الداخل راجح العقل راسخ العلم واسع
القلم كثير الحزم نافذ العزم لم ترفع له قط راية على عدو الا هزمه ولا بلد الا فتحه شجاعا
مقداما شديد الحذر قليل الطمانينة لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامر
الى غيره كثير الكرم عظيم السياسة يلبس البياض ويعتم به ويعود المرضى ويشهد الجنائز
ويصلي بالناس في الجمع والاعياد ويخطب بنفسه جند الاجناد وعقد الرايات واتخذ
الحجاب والكتاب وبلغت جنوده مائة الف فارس وتحصن دوله الاندلس انه لما
الطلب على فل بني امية بالمشرق ورأى ملكهم بني العباس خرج مستترا الى مصر فاشتد
الطلب على مثله فاخذ الحي ووصل برقة ثم لم يزل متوغلا في سيره الى ان بلغ المغرب فنزل
ونزل بنفزة وهم اخواله فاقام عندهم اياما ثم ارتحل الى مغيلة بالساحل فارسل مولاه بدرا

بكتابه الى مواليهم بالاندلس عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد وتمام بن علقمة وغيرهم
فاجابوه واشتروا له مركبا وجهزوه بما يحتاج اليه وكان الذى اشتراه عبد الله بن عثمان
واركب فيه بدرا واعطاه خمسمائة دينار برسم النفقة وركب معه علقمة بن تمام بن علقمة
وبينما هو يتوضأ لصلاة المغرب على الساحل اذ نظر الى المركب فى لجة البحر مقبلا حتى ارسى
امامه فخرج اليه بدر سابحا فبشره بما تم له بالاندلس وبما اجتمع عليه الامويون والموالى
ثم خرج اليه تمام ومن معه فى المركب فقال له ما اسمك وما كنيتك فقال اسمى تمام وكنيتى
ابو غالب فقال الآن تم امرنا وغلبنا عدونا ان شاء الله تعالى ثم ركبوا المركب معه فنزل
بالمنكب وذلك غرة ربيع الاول سنة ١٣٨ فاتصل خبر جوازه بالاموية فاتاه عبيد الله بن
عثمان وجماعة فتلقوه بالاعظام والاكرام وكان وقت العصر فصلى بهم العصر وركبوا معه
الى قرية طرش من كورة البيرة فنزل بها فاتاه بها جماعة من وجوه الموالى وبعض العرب
فبايعوه وكان من امره ما ذكر وقيل انه اقام بالبيرة حتى كمل من معه ستمائة فارس من
موالى بنى امية ووجوه العرب فخرج من البيرة الى كورة رية فدخلت " ثم بايعته
ثم دخل الى " ثم سار الى اشبيلية وقال بعضهم لما اراد عبد الرحمن قصد
قرطبة عند دخوله الاندلس من المشرق ونزل بطشانة فاشاروا عليه ان يعقد له لواء فجاؤا
بعمامة وقناة فكرهوا ان يميلوا القناة تطيرا فاقاموها بين شجرتين من الزيتون
متجاورتين وصعد رجل على فرع احدهما فعقد اللواء والقناة قائمة وتبرك
بهذا اللواء فكان بعد ان بلى لا يحل منه العقدة التى عقدت اولا بل تعقد فوقها الالوية
الجدد وهى مستكنة تحتها ولم يزل الامر على ذلك حتى تمت الدولة الى عبد الرحمن بن الحكم
ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل وقيل الى ابنه محمد بن عبد الرحمن فاجتمع الوزراء على تجديد
اللواء فلما رأوا تحت اللواء اسمال الاخلقة ملفوفة معقودة جهلوها فاستنزلوها
وامروا بحلها ونبذوها وجددوا غيرها وكان جهور بن يوسف بن بخت شيخهم غائبا فحضر
فى اليوم الثانى وطولع بالقضية فانكرها اشد انكار وساءه ما فعلوه وقال ان جهلتم
شان تلك الاخلاق كان ينبغى ان تتوقفوا عن نبذها حتى تسألوا المشايخ وتتفكروا
فى امرها وخبرهم خبرها فتطلبوا تلك الاخلاق فلم توجد وبقى كما قال ابن حيان انه لم يزل
يعرف الوهن فى ملك بنى امية من ذلك اليوم وكان الذى عقده اولا عبد الله بن خالد من
موالى بنى امية وكان ابو الدوخاله عقد لواء مروان بن الحكم جد عبد الرحمن الاعلى لما اجتمع
عليه بنو امية وبنو كلب بعد انقراض دولة بنى حرب على قتال الضحاك بن قيس الفهرى يوم
مرج راهط فانتصر على الضحاك وقتله ولما عرف الامير بقصة اللواء حزن اشد حزن وتفقد
عليه اثر تلك الخروق العظام وكانوا يرون انها جرت بسبب اللواء الا انه لم يهزم قط
جيش كان تحته على ما اقتضته حكمة الله التى لا تتوصل اليها الافكار وتولى حمل هذا
اللواء لعبد الرحمن الداخل ابو سليمان داود الانصارى ولم يزل يحمله ولده من بعده الى ايام

محمد بن عبد

٤٠
390

محمد بن عبد الرحمن وفى لما تلاقى بقرطبة وتراسلا فى الصلح يومين اخرهما يوم عرفة من سنة ١٣٨
واظهر عبد الرحمن قبولا للصلح فبات الناس على ذلك ليلة العيد وكان قد اسر خلاف ما اظهر
واستعد للحرب ولما اصبح يوم الاضحى لم ينشب ان غشيته الخيل ووكل عبد الرحمن بخالد بن
زيد الكاتب رسول يوسف جماعة وامرهم ان كانت الدائرة عليهم ان يضربوا عنقه والا فلا
فكان خالد يقول ما كان شئ فى ذلك الوقت احب الى من غلبة عبد الرحمن لذا خرعد وضاح
وركب عبد الرحمن جوادا فقالت اليمانية الذين عاتبوه هذا فتى حديث السن تحته جواد
وما نامن او لعبد الرحمن احد مواليه فاخبره بمقالتهم فدعا ابا الصباح وكان له
بغل اشهب يسمى بالكوكب فقال له ان فرسى هذا قلق حتى لا يمكننى من الرمى فقدم الى
بغلك المحمود اركبه فقدمه فلما ركب اطمأن اصحابه وقال عبد الرحمن لاصحابه اى
يوم هذا قالوا الخميس يوم عرفة فقال الاضحى غدا الجمعة والمتزاحفان اموى وفهرى
والجندان قيس ويمن فقد تقابل الاشكال واحدوا ارجوا انه اخو يوم مرج راهط فابشروا
وجدوا فذكرهم بيوم مرج راهط الذى كانت فيه الوقعة بين جده مروان بن الحكم وبين
الضحاك بن قيس الفهرى وكانت جمعة ويوم اضحى فدارت الدائرة لمروان على الضحاك
وقتل معه سبعون الفا من قبائل قيس واحلافهم وقيل انه لم يحضر مرج راهط من قيس
مع مروان غير ثلاثة نفر عبد الله بن مسعدة الفزارى وابن هبيرة المحاربى وصالح
العنوى وكذا لم يحضر مع عبد الرحمن الداخل يوم المصارة غربى قرطبة من قيس غير ثلاثة
جابر بن العلاء بن شهاب والحصين بن الدجن العقيليان وهلال بن الطفيل العبدى
وكان الظفر لعبد الرحمن وانهزم يوسف وصبر الصميل بن حاتم بجده معذرا وعشيرته
يحفونه فلما خاف انهزامهم عنه تحول فقال له يا ابا جوشن احتسب نفسك فان الاشباه
اشباه اموى باموى وفهرى بفهرى وكلبى بكلبى ويوم اضحى بيوم اضحى ويمنى بقيسى والله
انى لاحسب هذا اليوم بمثل مرج راهط سوا فقال له الصميل كذبت وكبر علمك لان
تجلى الغماء وسحرك منتفخ فانثنى يوعظ الوجه منقلبا وانهزم الصميل ودخل عبد
الرحمن قرطبة ويوسف الفهرى هو ابن عبد الرحمن بن حبيب بن ابى عبيدة بن عقبة بن نافع
الفهرى بانى القيروان وامير معا ونيز على افريقية والمغرب وهو مشهور واما الصميل
فهو ابن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن وقيل الصميل بن حاتم بن عمرو بن جندع بن الشمر بن ذى
الجوشن كان جده شمر من اشراف الكوفة وهو احد قتلة الحسين رضى الله عنه ودخل الصميل
الاندلس حين دخل كلثوم بن عياض المغرب غازيا وساد بها وكان شاعرا كثير السكر اميا
لا يكتب ومع ذلك فانتهت اليه فى زمانه رياسة العرب بالاندلس وكان اميرها يوسف
الفهرى كالمغلوب معه وكانت ولاية الفهرى الاندلس سنة تسع وعشرين ومائة فدانت
له تسع سنين وتسعة اشهر وعدة كما مر ثم انتقل سلطانها الى بنى امية واستفحل ملكهم
بها الى بعد الاربعمائة ثم انتثر سلكهم وباد ملكهم كما وقع لغيرهم من الدول فى القرون

السالف سنة الله التي قد خلت في عباده. وكانت مدة الأمراء قبل عبد الرحمن الداخل
من يوم فتح الأندلس إلى مريمته يوسف الفهري والصميل ستا وأربعين سنة وشهرين
وخمسة أيام لأن الفتح كان حسبما تقدم لخمس خلون من شوال سنة ٩٢ ومريمة يوسف
يوم الأضحى لعشر خلون من ذي الحجة سنة ١٣٨ والله غالب على أمره. وحكي أن عبد الرحمن
ابن معاوية دخل يوما على جده هشام وعنده أخوه مسلمة بن عبد الحكم وكان عبد الرحمن
إذ ذاك صبيا فأمر هشام أن ينحى عنه فقال له مسلمة دعه يا أمير المؤمنين وضمه إليه
ثم قال يا أمير المؤمنين هذا صاحب بني أمية ووزرهم عند زوال ملكهم فاستوص به
خيرا قال فلم أزل أعرف من جدي مزية من ذلك الوقت. وكان الداخل يقاس بأبي جعفر
المنصور في حزمه وشدته وضبط المملكة ووافقه في أن أم كل منهما بربرية وأن كلا منهما
قتل ابن أخيه إذ قتل المنصور ابن السفاح وقتل عبد الرحمن ابن أخيه المغيرة بن الوليد
ابن معاوية. ومن شعر عبد الرحمن وقد رأى نخلة بالرصافة

• تبدت لنا وسط الرصافة نخلة • تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل •
• فقلت شبيهي في التغرب والنوى • وطول التنائي عن بني وعن أهلي •
• نشأت بأرض أنت فيها غريبة • فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي •
• سقتك غوادي المزن في المنتأى الذي • يسح ويستمري السماكين بالوبل •

وكان نقش خاتمه بالله يثق عبد الرحمن وبه يعتصم. واشتاع سنة ١٦٣ له الرحيل إلى الشام
لانتزاعها من بني العباس وكتب جماعة من أهل بيته ومواليه وشيعته وعمل على أن
يستخلف ابنه سليمان بالأندلس في طائفة ويذهب بجماعة من أطاعه عن ذلك فبطل
ذلك العزم. ومن شعر عبد الرحمن أيضا قوله يتشوق إلى معاهد الشام

• أيها الراكب الميمم أرضي • اقر من بعضي السلام لبعضي •
• إن جسمي كما علمت بأرض • وفؤادي ومالكيه بأرض •
• قدر البين بيننا فافترقنا • وطوى البين عن جفوني غمضي •
• قد قضى الله بالفراق علينا • فعسى باجتماعنا سوف يقضي •

وترجمة الداخل طويلة وذكرنا منها ما فيه مقنع. وفي بناء جامع قرطبة يقول بعضهم

• وأبرز في ذات الإله ووجهه • ثمانين ألفا من لجين وعسجد •
• وأنفقها في مسجد   والتقى •   دين النبي محمد •
• ترى الذهب الوهاج بين سموكه • يلوح كلمح البارق المتوقد •

ومن الوافدين على الأندلس أبو الأشعث الكلبي دخل الأندلس وكان شيخا مسنا يروي عن
أمه عن عائشة رضي الله عنها إلا أنه كان مندرا صاحب غاية وكان مختصا بعبد الرحمن
ابن معاوية وله منه مكانة لطيفة يدل بها عليه ولما توفي حبيب بن عبد الملك بن
عمر بن الوليد بن عبد الرحمن بن مروان وكانت له من عبد الرحمن خاصة لم تكن لأحد من أهل بيته

جعل عبد الرحمن

جعل عبد الرحمن يبكي ويجتهد في الدعاء والاستغفار للحبيب وكان أبو الأشعث
هذا قائما وكانت دالته عليه ودعاته يحتملها منه فأقبل عند استعباره كالمعاتب
للمتوفى في علانية يقول يا أبا سليمان لقد نزلت بحفرة قلما يغني عنك فيها بكاء الخليفة
عبد الرحمن لعزم فأعرض عنه عبد الرحمن وقد كاد التبسم يغلبه هكذا ذكره ابن حيان
رحمه الله في المقتبس ونقله عنه الحافظ ابن الأبار. ومن الداخلين إلى الأندلس
جزء بن عبد العزيز أخو عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه دخل الأندلس ومات في مدة الداخل
وكان من أولياء الله متقشفا سبيل أخيه عمر بن عبد العزيز رحمهما الله. ومنهم بكر بن
سوادة بن ثمامة الجذامي ويكنى أبا ثمامة وجد صحابي وكان بكر هذا فقيها كبيرا من التابعين
روى عن جماعة من الصحابة كعبد الله بن عمرو بن العاص وقيس بن سعد بن عبادة وسهل بن
سعد الساعدي وسفيان بن وهب الخولاني وحبان بن بح الصدائي وقيد اسمه الدارقطني
رحمه الله حبان بكسر الحاء المهملة وبباء معجمة بواحدة ونقله الأمير كذلك وهو من
وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر قال ابن يونس وقيل فيه حيان
بالكسر وحبان بالفتح أصح انتهى وضبطه بعضهم بالياء المثناة تحت. رجع. وممن
روى عنه بكر من الصحابة أبو ثور الفهمي وأبو عمرة المزني وروى عن جماعة من التابعين
أيضا كسعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير وجماعة سواهم
يكثر عددهم ويطول سردهم منهم ربيعة بن قيس الجملي وأبو عبد الرحمن الحبلي وزياد بن
نعيم الحضرمي وسفيان بن هانئ الحبيشاني وسعيد بن عمر السبائي وعبيد الله بن المستورد بن
شداد الفهري وعبد الرحمن بن أوس المزني وزيادة بن نخلية البلوي وشيبان بن أمية القتباني
وعامر بن درج الحميري وعمير بن الغيض اللخمي وأبو حمزة الخولاني وعياض بن فروخ المعافري
ومسلم بن مخشي المدلجي   بن معاوية الصدفي وغيرهم ممن اشتمل على ذكرهم التاريخان
لابن عبد الحكم وابن يونس. وممن روى عن بكر المذكور عبد الله بن لهيعة وعمرو بن الحارث وجعفر
ابن ربيعة وأبو زرعة بن عبد الحكم والإفريقي وغيرهم. قال ابن يونس توفي بإفريقية في خلافة
هشام بن عبد الملك وقيل بل غرق في مجاز الأندلس سنة ١٢٨ قال أول حديث مما نقل من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وله بمصر حديث رواه عمرو بن الحارث وقال أبو بكر عبد الله بن محمد
المالكي في تاريخه المسمى برياض النفوس وقد ذكر بكرا هذا إنه كان أحد العشرة
التابعين يعني الموجهين إلى إفريقية من قبل عمر بن عبد العزيز في خلافته ليفقهوا أهل إفريقية
ويعلموهم أمر دينهم قال وأغرب بحديث عن عقبة بن عامر لم يروه غيره فيما علمت
حدث عبد الله بن لهيعة عنه عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
كان رأس مائتين فلا تأمر بمعروف ولا تنه عن منكر وعليك بخاصة نفسك وحكى المالكي
أيضا عن أبي سعيد بن يونس أنه قال كان فقيها مفتيا سكن القيروان وكان وفاته كما تقدم
وذكر الحميدي في الداخلين إلى الأندلس ولم يذكره ابن الفرضي. ومنهم رزيق بن حكيم أحد

المعدودين في الداخلين إلى الأندلس ذكره أبو الحسن بن النعمة عن أبي المطرف عبد الرحمن
ابن يوسف الرفاء القرطبي وحكى أنه كتب ذلك من خطه وسمّاه مع جماعة منهم حبان
ابن أبي جبلة وعلي بن رباح أبو عبد الرحمن الحبلي وحنش بن عبد الله الصنعاني ومعاوية
ابن صالح وزيد بن الحباب العكلي وانتهى عددهم من زيد هذا سبعة ولم يذكره ابن الفرضي
ولا غيره قاله الحافظ أبو عبد الله القضاعي ومنهم زيد بن قاصد السكسكي قال ابن
الأبار ممن يعد في من دخل الأندلس وحضر فتحها وأصله من مصر يروي عن عبد الله بن عمرو بن العاصي
روى عنه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي ذكره يعقوب بن سفيان وأورد له حديثا
من كتاب الحميدي انتهى ومنهم زرعة بن روح الشامي دخل الأندلس وحدث عنه ابنه
مسلمة بن زرعة بحكاية عن القاضي مهاجر بن نوفل ومنهم محمد بن أوس بن ثابت الأنصاري
قال ابن الأبار يعد في من دخل الأندلس يروي عن أبي هريرة قرأت بخط ابن حبيش قال أبو سعيد
ابن يونس مؤرخ مصر إنه يروي عنه الحارث بن يزيد ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان وكان
غزا المغرب والأندلس مع موسى بن نصير ويروي عن أبي هريرة قرأته بخط ابن حبيش
وقال أبو سعيد فيما حكاه ابن يونس صاحب تاريخ مصر وكان على بحر تونس سنة ١٠٢ على
ما حكاه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ولما قتل يزيد بن أبي مسلم والي إفريقية
اجتمع رأي أهلها عليه فولوه أمرهم وذلك في خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان وولي
إلى أن ولي بشر بن صفوان الكلبي إفريقية وكان على مصر فخرج إليها واستخلف أخاه حنظلة
انتهى ومنهم عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم الأموي فر من الشام خوفا من المسودة
فمر بمصر ومضى إلى الأندلس وقد غلب عليها الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل فأكرمه
ونوه به وولاه إشبيلية لأنه كان يتعصب لبني أمية ثم إنه لما وجد الداخل يدعو لأبي
جعفر المنصور أشار عليه بقطع اسمه من الخطبة وذكره بسوء صنيع بني العباس في بني
أمية فتوقف عبد الرحمن في ذلك فما زال به عبد الملك حتى قطع الدعاء له وذلك أنه
قال له حين امتنع من ذلك إن لم تقطع الخطبة لهم قتلت نفسي فقطع حينئذ عبد الرحمن
الخطبة بالمنصور بعد أن خطب باسمه عشرة أشهر ولما زحف أهل غرب الأندلس
نحو قرطبة لحرب الأمير عبد الرحمن نهض إليهم عبد الملك هذا فنهض في معظم الجيش
وقدم ابنه أمية أمامه في أكثر العساكر ليخالطهم أمية فوجد فيهم قوة فخاف الفضيحة
معهم فانحاز منهزما إلى أبيه فلما جاءه سقط في يده وقال له ما حملك على أن تستخف بي
وجرأت الناس على العدو إن كنت فررت من الموت فقد جئت إليه فأمر بضرب عنقه
وجمع أهل بيته وخاصته وقال لهم طردنا من المشرق إلى أقصى هذا الصقع ونحسد على
لقمة تبقي الرمق اكسروا أجفان السيوف فالموت أولى أو الظفر ففعلوا وحملوا وقد تقدمهم
فهزم اليمانية وأهل إشبيلية ولم تقم بعدها لليمانية قائمة وقتل من الفريقين ثلاثون
ألفا وجرح عبد الملك فأتاه عبد الرحمن وجرحه يجري دما وسيفه يقطر دما وقد لصقت

يده بقائم

يده بقائم السيف فقبل بين عينيه وجزاه خيرا وقال يا ابن عم قد أنكحت ابني وولي
عهدي هشاما ابنتك فلانة وأعطيتها كذا وكذا ولأولادك كذا وأقطعتك وإياهم كذا
ووليتكم الوزارة ومن شعره لما نظر نخلة منفردة بإشبيلية فتذكر وطنه بالشام وقال

يا نخلة أنت فريدة مثلي • في الأرض نائية عن الأهل
تبكي وهل تبكي مكممة • عجماء لم تجبل على جبلي
لو أنها عقلت إذا لبكت • ماء الفرات ومنبت النخل
لكنها حرمت وأخرجني • بغضي بني العباس عن أهلي

ومن الداخلين من المشرق إلى الأندلس هاشم بن طالب بن الحسين بن إبراهيم بن جعفر بن محمد
ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ونزل حين دخوله ببلبلة ويعرف
منازلهم فيها بمنازل الهاشمي وذكره أمير المؤمنين الحكم المستنصر في كتابه أنساب الطالبيين
والعلويين القادمين المغرب ومن الداخلين إلى الأندلس عبد الله بن المغيرة الكناني حليف
بني عبد الدار سماه أبو محمد الأصيلي الفقيه في الداخلين الأندلس من التابعين حكى ذلك
عنه أبو القاسم بن بشكوال في مجموعه المسمى بالتنبيه والتعيين قال ابن الأبار وما أراه
يتابع عليه وذكره أبو سعيد بن يونس من أهل إفريقية انتهى وذكر أنه يروي عن سفيان بن وهب
الخولاني ومنهم من يزعم أنه لقي بعض التابعين قال ابن الأبار روى عنه أبو محمد أسد الجهني وفي
ذلك العبسي وفيه عندي نظر انتهى ومنهم أبو عمرو عبد الرحمن بن شماسة بن ذؤيب المهري
روى عن أبي ذر وقيل عن أبي نضرة عن أبي ذر وعائشة وعمرو بن العاصي وأبي بصرة الجهني وعوف
ابن مالك الأشجعي ومعاوية بن حديج ومسلمة بن مخلد وأبي رهم ذكره ابن يونس في تاريخ مصر
وسماه ابن بشكوال في الداخلين الأندلس من التابعين وروى ذلك عن الحميدي قال ابن الأبار
قال ابن يونس وآخر من حدث عنه بمصر حرملة بن عمران والله أعلم ومن الداخلين إلى الأندلس
من المشرق عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر رضي الله عنه وقد ذكره ابن حيان في مقتبسه
وأخبر أن يوسف بن عبد الرحمن الفهري كتب له أن يبدأ مع عبد الرحمن المرواني الداخل للأندلس
وكان المذكور إذ ذاك أميرا على اليمانية من جند دمشق وإنما ركن إليه في محاربته عبد الرحمن
لما بين بني عمار رضي الله عنهم من شيعة علي كرم الله وجهه وهذا عبد الله بن سعد هو جد
بني سعيد أصحاب القلعة الذين منهم عدة رؤساء وأمراء وكتاب وشعراء ومنهم صاحب المغرب
وغير واحد ممن عرفنا به في هذا الكتاب ومن مشاهيرهم أبو بكر محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد
صاحب أعمال غرناطة في مدة الملثمين وهو القائل يفتخر

أإن لم أكن للعلاء أهلا • بما تراه فمن يكون
فكلما ابتغيه دوني • ولي على همتي ديون
ومن يرم ما يقل عنه • فذاك في فعله جنون
فرع بأفق السماء سام • وأصله راسخ مكين

ولـه

• الله يعلم اني • احب كسب المعالي •
• وانما اتواني • عنها لسوء المال •
• تحتاج للكد والبذل • واصطناع الرجال •
• دع كل من شا يسمو • لها بكل احتيال •
• فحالهم في انعكاس • بها وحالي حالي •

وتراجمهم واسعة وقد بسطت في المسهب والمغرب وغيرهما وقد قدمنا في الباب قبل هذا من اخبار بني سعيد مولاه ما يثلج الصدر فليراجع ومن الوافدين على الاندلس من المشرق ابو زكريا عبد الرحيم بن احمد بن نصر بن اسحاق بن عمرو بن مزاحم بن غياث التميمي البخاري الحافظ نزيل مصر سمع ببخارى بلده من ابراهيم بن محمد بن يزداد واخيه احمد وكانا يرويان معا عن عبد الرحمن بن ابي حاتم الرازي ومن ابي الفضل السليماني ببيكند وابي عبد الله محمد بن احمد المعروف بغنجار وابي يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلبي واقرانه باليمن وابي القاسم تمام بن محمد الرازي بدمشق وابن ابي كامل باطرابلس الشام وابي محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ بمصر وله رواية عن ابي نصر الكلاباذي وابي عبد الله الحاكم وابي بكر بن فورك المتكلم وابي العباس بن الحاج الاشبيلي وابي القاسم علي بن احمد الخزاعي صاحب الهيثم بن كليب وابي الفضل العباس بن محمد الحداد التنيسي وابي الفتح ابن ابراهيم الجذري وابي بكر محمد بن داود العسقلاني وهلال الحفار وصدقة بن محمد بن مروان الدمشقي ولقي بافريقية العابد ولي الله سيدي محرز بن خلف التميمي مولاهم وصحبه وقال لقد هبته يوم لقيته هيبة لم اجدها لاحد في نفسي من الناس ودخل الاندلس وبلاد المغرب وكتب بهما عن شيوخهما ولم يزل يكتب الى ان مات حتى كتب عمن دونه وله رسالة الرحلة واشياء وقول لا اله الا الله وثوابهما فسمع منه ابو عبد الله الرازي وذكره في مشيخته قال الحافظ ابو الابار ومنها نقلت اسمه وتعرفت دخوله الاندلس وحدث عنه هو وجماعة منهم ابو مروان الطبني وقال لعهو من الراحلين في الافاق اخبرني انه يحدث عن مئتين من اهل الحديث وابو عبد الله الحميدي وابو بكر الطبطبي وابو عبد الله منصور بن الحضرمي وابو سعيد الزهاوي وابو محمد جعفر بن محمد السراج وابو بكر محمد بن احمد بن عبد الباقي وابو الحسن بن مشرف الانماطي وابو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي وابو محمد شعيب بن سبعون الطرطوشي وابو بكر ابن نعمة العابر وابو الحسن علي بن الحسين الموصلي الفراء وابو عثمان سعد بن عبد الله الحيدري من شيوخ السلفي وابو محمد عبد الكريم بن حمزة بن الخضر السلمي وابو اسحق الكلاعي من شيوخ ابي بحر الاسدي وابو محمد بن عتاب كتب اليه بجميع ما رواه ولم يعرف ذلك في حياته وسماه ابو الوليد بن الدباغ في الطبقة العاشرة من طبقات ايمة المحدثين من تاليفه مع ابي عمر بن عبد البر وابي محمد بن حزم وابي بكر بن ثابت الخطيب وذكره ابو القاسم بن عساكر في تاريخه وقال سمع بما وراء النهر والعراق ومصر واليمن والقيروان ثم سكن مصر وقدم دمشق قديما وحدث بها

وسمى جماعة

وسمى جماعة كبيرة من الرواة عنه وحكى انه قال لي بخاري اربعة عشر الف حديث اريد ان امضي واخرجها قال وسئل عن مولده فقال في شهر ربيع الاول سنة ٣٨٢ قال وتوفي باخره سنة ٤٦١ رحمه الله ورضي عنه انتهى قلت والذي اعتقده انه لم يدخل الاندلس من اهل المشرق احفظ منه للحديث ومن ثقته عندك ليبتلي مجازفة والحق ابلج ومن دخل الاندلس من المشرق عبد الجبار بن ابي سلمة الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري ودخل الاندلس مع موسى بن نصير وكان على ميسرة معسكره ونزل باجة ثم بطليوس ومن نسله الزهريون الاشراف الذين كانوا باشبيلية انتقلوا الى سكناها هكذا في خبر القاضي ابي الحسن بن الزهري منهم عن ابي بكر بن خير وغيره قال ابن بشكوال في مجموعه المسمى بالتنبيه والتعيين لمن دخل الاندلس من التابعين وقع ذكره في كتاب شيخنا ابي الحسن بن مغيث انتهى قال ابن الابار ولم يزد على هذا انتهى ومن الداخلين الى الاندلس من المشرق ابو محمد عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب من اهل مصر وسكن بغداد ويعرف بالطنتاني قرية بمصر ينسب اليها روى عن ابي محمد الشارمساحي وتفقه به وقدم الاندلس رسولا من عند الخليفة العباسي فسكن مرسية ودرس بها وخرج منها سنة ٦٠٣ بعد ان تملكها النصارى صلحا واسر بناحية صقلية قال ابن الابار بلغني انه تخلص ولحق ببلده رحمه الله ومنهم عبد الخالق بن ابراهيم الخطيب يكنى ابا القاسم قال ابن الابار لا اعرف موضعه من بلاد المشرق وكان اديبا قوي العارضة مطبوع الشعر مديد النفس ومن شعره من قصيدة صنعها في وقت رحلته الى الاندلس

• علا الذل وقاحل عقال الركايب • وللضيم واقحل صدور الكتايب •
• فاما حياة بعد ادراك منية • واما ممات تحت غر القواضب •
• فما العيش في ظل الهوان بطيب • وما الموت في سبل العلاء بعايب •

ومنهم ابو عبد اللطيف ابن ابي الطاهر احمد بن محمد بن هبة الله الهاشمي الصوفي من اهل بغداد يعرف بالنرسي دخل الاندلس وكان من عمر انه روى عن ابي الوقت السجزي وابي الفرج الجوزي وغيرهما وله تاليف سماه بالدليل في الطريق من اقاويل اهل التحقيق اخذ عنه وسمع منه ذكره ابو عبد الله محمد بن سعيد الطراز وصححه بعد ما سمع منه هو وابو القاسم عبد الرحمن بن القاسم المجيلي وغيرهما وقال ورد علينا غرناطة قريبا من سنة ٦١٣ وتوفي عفا الله عنه باشبيلية قريبا من هذا التاريخ وقال فيه ابو القاسم بن فرقد عبد اللطيف بن عبد الله الهاشمي البغدادي النرسي منسوب الى قرية من قرى بغداد سمع صحيح البخاري عن ابي الوقت السجزي وروى عن غيره وله تواليف قال ابن الابار في التصوف منها ما يتعلق في باب الاخذ للسماع قرات عليه كثيرة وقرات عليه عوالي التعبت بمدينة اشبيلية نحو منه الفهر المبارك عام خمسة عشر سنة وستماية ومنهم ابو بكر عمر بن عثمان بن محمد بن احمد الخراساني الباخرزي المالكي يكنى ابا بكر سمع من ابي الخير احمد بن اسمعيل الطالقاني القزويني وابي يعقوب

يوسف بن عمر بن احمد الخالدي الزنجاني وقدم الاندلس فحدث بصحيفة الاشج وجعفر بن
نسطور الرومي وسمع منه بغرناطة ومرسية وغيرهما من بلاد الاندلس حدث عنه ابو
القاسم الملاحي وسمع منه بمالقة ابو جعفر بن الحيار وابو علي بن هاشم في صفر سنة [illegible] ومولده
في ربيع الاول سنة [illegible] انتهى من تكملة الابار قلت ولا يخفى من له بصر بعلم الحديث ان الاشج
وابن نسطور وقنبر ونعيم ويغنم واشج المغرب ابن خراش ونسخة دينار ونسخة نزيه
الى هدبة القيسي شبه فراش قال ابن عات كان الحافظ السلفي اذا فرغ من انشاد هذين
البيتين ينفض يديه اشارة الى ان هذه الاشياء كالريح رجع ومن الوافدين على الاندلس
من اهل المشرق علي بن عبد الرحمن بن اسمعيل بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي من اهل
بغداد قدم الاندلس تاجرا سنة [illegible] وكان قد اخذ عن ابي الحسن عبد الله بن احمد بن محمد
ابن المغلس الفقيه الداودي وتلمذ له وسمع منه الموضح والمبهج من تاليفه في الفقه
وما تم له من احكام القران هكذا نقله الحافظ ابن حزم عن امير المؤمنين الحكم المستنصر
بالله المعتني بهذا الشان رحمه الله ومنهم ابو العلاء عبيد بن محمد بن عبيد ابو العلاء
النيسابوري الفقيه لقيه الحافظ ابو علي الصدفي ببغداد واخذ عنه اذ قدمها حاجا وحدث
عن ابي سعيد عبد الرحمن بن احمد البصروي قال ابو علي واراه دخل الاندلس ويغلب على ظني
انه رايته بسرقسطة ذكر ذلك القاضي عياض في المعجم من تاليفه والله اعلم ومنهم سهل
ابن علي بن عثمان التاجر النيسابوري يكنى ابا نصر سمع جماعة من الخراسانيين وغيرهم منهم ابو
بكر احمد بن خلف الشيرازي وابو الفتح الشيرازي وادرك الامام ابا المعالي الجويني وحضر
مجلسه ودرسه ولقي بعده اصحاب ابن القشيري كالطوسي وغيرهما وكان شافعي المذهب
ذكره عياض وقال حدثني بحكايات وفوائد وانشدني لابي طاهر السلفي واجاز لي جميع رواياته
وحدثني ان وفاة ابي المعالي كانت بنيسابور سنة خمس وسبعين واربعمائة وقال
ابو محمد العثماني انشدني ابو نصر سهل بن علي النيسابوري الحلواني قال انشدنا ابو الفتح
نصر بن الحسن انشدنا ابو العباس العذري انشدني ابو محمد بن حزم الحافظ لنفسه

ولما رايت الشيب حل بمفرقي ٭ نذيرا بترحال الشباب المفارق
رجعت الى نفسي فقلت لها انظري ٭ الى ما اتى هذا ابتداء الحقائق
دعي دعوات اللهو قد فات وقتها ٭ كما قد اماتت الليل نور المشارق
دعي منزل اللذات ينزل اهله ٭ وجدي لما تدعين اليه وسابقي

قال عياض توفي سهل هذا غريقا في البحر منصرفا الى بلده من المرية رحمه الله ومنهم
ابو المكارم هبة الله بن الحسين المصري كان من اهل العلم عارفا بالاصول حافظا للحديث
متقنا حسن الصورة والشارة دخل الاندلس وولي قضاء اشبيلية منها اخر شعبان
سنة [illegible] قال ابن الابار وبه صرف ابو القاسم الحوفي واقام بها سنة وحضر غزوة شنترين
وكان تقدم ابي المكارم هذا المغرب خوفا من صلاح الدين بن يوسف بن ايوب في قوم من شيعة

العبيدي

العبيدي مصر ووفد ايضا معه ابو الوفا المصري ثم استصحبه امير المؤمنين يعقوب المنصور
معه في غزوة فقضى الثانية وولاه حينئذ قضاء تونس وكان قد ولي قضاء فاس وولي
ايضا ابو الوفا صاحبه القضاء وتوفي وهو متولي قضاء تونس سنة [illegible] رحمه الله ومنهم
يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن عبد الله القيسي الدمشقي اصله من دمشق وبها ولد ويعرف
بالاصبهاني في مجلس ابي طاهر السلفي لدخوله اياها واقامته بها ازيد من خمسة اعوام
لقراءة الخلافيات ويكنى ابا زكريا وسمع بالمشرق ابا بكر بن ماشاذه السكري وابا الرشيد
ابن خالد السمع وابا الطاهر السلفي وغيرهم وقصد المغرب بعد اداء الفريضة فلقي
ببجاية ابا محمد عبد الحق الاشبيلي واجازه وحضه على الوعظ والتذكير فامتثل ذلك ودخل
الاندلس فتجول ببلادها واستوطن غرناطة منها وكان فقيها على مذهب الشافعي عارفا
بالاصول والتصوف زاهدا ورعا كثير المعروف والصدقة يعظ الناس ويسمع الحديث
ولم يكن بالضابط فيما قال له الحافظ ابن الابار وله كتاب الروضة الانيقة من تاليفه
حدث عنه جماعة من الجلة منهم ابو جعفر بن حميد الضبي وابنا حوط الله ابو محمد وابو سليمان
وابو القاسم الملاحي وابو العباس بن الحيار وابو الربيع بن سالم وقال انشدني عند توديعي
اياه بغرناطة قال سمعت بعض المذكورين ينشد

يا زائرا زار وما زارا ٭ كانه مقتبس نارا
مر بباب الدار مستعجلا ٭ ما ضره لو دخل الدارا
نفسي فداك من زائر ٭ ما زار حتى قيل قد سارا

وسمع منه ابو جعفر بن الدلال كتاب المعالم للخطابي في شرح سنن ابي داود بقراءة جمعه
عليه ومولده في شوال سنة [illegible] وتوفي بغرناطة بعد ان سكنها سنين يوم الاثنين
سادس شوال سنة [illegible] قال ابن الابار وفي هذا اليوم بعينه كانت وفاة شيخنا ابي عبد الله بن
نوح ببلنسية رحمهما الله ومن الوافدين من المشرق الى الاندلس اسماعيل بن عبد الرحمن
ابن علي القرشي من ذرية عبد بن زمعة اخي سودة ام المؤمنين رضي الله عنها رحل من مصر الى
الاندلس في سلطان الحكم المستنصر بالله اعوام الستين وثلاثمائة حين تملك بنو عبيد
مصر واظهروا بها معتقدهم الخبيث فحل يومئذ من الحكم المستنصر محل الرحب والسعة
ولما ثارت الدولة العامرية اوى الى اشبيلية فاوطنها دارا واتخذها قرارا وبها القى عصا
ابن عبد البر علامة الاندلس فدرس عليه واقتبس مما لديه وقد ذكره في تاريخ شيوخه ولم يزل
عقبه بها الى ان نجم منهم ابو الحسين سالم بن محمد بن سالم وهو من رجال الذخيرة ولابن بسام
يفتح الزهر وتذوق السحر ونظم كما انتسق الدر وسفرت عن محاسنها اوجه الغر ومن نظمه

قوله ٭ خليلي هل ليلى ونجد كعهدنا ٭ فيا حبذا ليلى ويا حبذا نجد
عسى الدهر ان يقضي لنا بالتلاقي ٭ فيا رب قرب قد يجدده بعد

وله انشا رسالة قوله

• فوق العلا وضعت في كف باريها • واسهم الخطب عادت نحو راميها •

ومنها

• فانما الشمس لاحت في مطالعها • بل واجرى جياد الخيل مجريها •

ونشا هذا النجم الثاقب والصيب الساكب وقد اخذ من العلوم في غيرها فن وحقق فيه كل ظن وذكره في المسهب وسمط الجمان وفضله شهير رحمه الله ومنهم ابو علي القالي صاحب الامالي والنوادر وفد على الاندلس ايام الناصر امير المؤمنين عبد الرحمن فامر ابنه الحكم وكان ينتصر في عن امر ابيه كالوزير عامل بن رماحس ان يخرج مع ابي علي الى قرطبة ويتلقاه في وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض اهل الكورة تكرمة لابي علي ففعل وسار معه نحو قرطبة في موكب بنيل فكانوا اثناء اكروب الادب في طريقهم وتجاذبوا شدو من الاشعار الى ان تجاوزوا يوما وهم سايرون ادب عبد الملك بن مروان ومسألته جلساءه عن افضل المناديل وانشاده بيت عبدة بن الطبيب

• ثمت قمنا الى جرد مسومة • اعرافهن لايدينا مناديل •

وكان الذاكر للحكاية الشيخ ابا علي فانشد الكلمة في البيت اعرافها لايدينا مناديل فانكره ابن رفاعة الالبيري وكان من اهل الادب والمعرفة وفي خلقه حرج وزعارة فاستعاد ابا علي البيت مستثبتا مرتين في كلتيهما انشده اعرافها فلوى ابن رفاعة عنانه منصرفا وقال مع هذا يوفد على امير المؤمنين وتتجشم الرحلة لتعظيمه وهو لا يقيم وزن بيت مشهور بين الناس لا يغلط الصبيان فيه والله لا تبعته خطوة وانصرف عن الجماعة وندبه ابن رماحس لا يفعل فلم يجد فيه حيلة وكتب الى الحكم يعرفه ويصف له ما جرى لابن رفاعة ويشكوه فاجابه على ظهر كتابه الحمد لله الذي جعل في بادية من بوادينا من يخطئ وافد اهل العراق الينا وابن رفاعة اولى بالرضى عنه من السخط فدعه لشانه واقدم بالرجل غير منتقص من تكرمته فسوف يعليه الاختبار ان شاء الله او يحطه وبعض المؤرخين يزعم ان وفادة ابي علي القالي انما كانت في خلافة الحكم المستنصر بالاندلس والصواب وفادته في ايام الناصر لما ذكره غير واحد من حضره وعينه يوم احتفال الناصر لرسول الافرنج كما المعنا في غير هذا الموضع وفي القالي يقول الشاعر الاندلسي الرمادي

• من حاكم بيني وبين عذولي • الشجو شجوي والعويل عويلي •
• في اي جارحة اصون معذبي • سلمت من التعذيب والتنكيل •
• ان قلت في بصري فثم مدامعي • او قلت في قلبي فثم غليلي •
• لكن جعلت له المسامع موضعا • وحجبتها عن عذل كل عذول •

قال يصونه في اسنيه وكان الرمادي لما سمع قول المتنبي ولما سمع المتنبي

• كفى بجسمي نحولا انني رجل • لولا مخاطبتي اياك لم ترني •

قال اظنه ضرطة والجزء من جنس الكل وباسم امير المؤمنين الحكم المستنصر بالله طرز الشيخ

ابو علي

ابو علي القالي كتاب الامالي وكان الحكم كريما معينا بالعلم وهو الذي وجه الى الحافظ ابي الفرج الاصبهاني الف دينار على ان يوجه له نسخة من كتاب وقال ابو محمد العمري كتابا في نسب ابي علي البغدادي ورواياته ودخوله الاندلس وحكى ابن الطيلسان عن ابي جابر انه قرا هذين البيتين في لوح رخام كان سقط من القبة المبنية على قبر ابي علي البغدادي عند تهدمها وهما

• صلوا لحد قبري بالطريق وودعوا • فليس لمن وارى التراب حبيب •
• ولا تدفنوني بالعراء فربما • بكى ان راى قبر الغريب غريب •

اسم ابي علي اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان وجده سلمان مولى عبد الملك بن مروان وكان ابو علي احفظ اهل زمانه باللغة والشعر ونحو البصريين واخذ الادب عن ابي بكر بن دريد الازدي وابي بكر بن الانباري وابن درستويه وغيرهم واخذ عنه ابو بكر الزبيدي الاندلسي صاحب مختصر العين ولابي علي التصانيف الحسان كالامالي والبارع وطاف البلاد وسافر الى بغداد سنة ٣٠٣ واقام بالموصل لسماع الحديث من ابي يعلى الموصلي ودخل بغداد سنة ٣٠٥ واقام بها الى سنة ٣٢٨ وكتب بها الحديث ثم خرج من بغداد قاصدا الاندلس وسمع من البغوي وغيره قال ابن خلكان ودخل قرطبة لثلاث بقين من شعبان سنة ٣٣٠ انتهى وهو مما يعين انه في زمن الناصر لا في زمن ابنه الحكم كما تقدم وقد صرح بذلك الصفدي في الوافي فقال ولما دخل المغرب قصد صاحب الاندلس الناصر لدين الله عبد الرحمن فاكرمه وصنف له ولولده الحكم تصانيف وبث علومه هناك انتهى وقال ابن خلكان انه استوطن قرطبة الى ان توفي بها في شهر ربيع الاخر وقيل جمادى الاولى سنة ٣٥٦ ليلة السبت لست خلون من الشهر المذكور ودفن بظاهر قرطبة ومولده بمنازجرد من ديار بكر سنة ٢٨٨ وقيل سنة ٢٨٠ وانما قيل له القالي لانه سافر الى بغداد مع اهل قالي قلا وهي من اعمال ديار بكر وهو من محاسن الدنيا رحمه الله وعيذون بفتح العين وسكون الياء المثناة التحتية وضم الذال المعجمة وقال ابن خلكان في ترجمة ابن القوطية وكان ابن القوطية مع هذه الفضائل من العباد النساك وكان جيد الشعر صحيح الالفاظ حسن المطالع والمقاطع الا انه تركه ورفضه حكى الاديب ابو بكر بن هذيل انه توجه يوما الى ضيعة له بسفح جبل قرطبة وهي من بقاع الارض الطيبة المونقة فصادف ابا بكر بن القوطية المذكور صادرا عنها وكانت له ايضا هنالك ضيعة قال فلما راني عرج علي واستبشر بلقائي فقلت مداعبا له

• من ابن اقبلت يا من لا شبيه له • ومن هو الشمس والدنيا له فلك •

قال فتبسم واجاب بسرعة

• من منزل تعجب النساك خلوته • وفيه ستر على الفتاك ان فتكوا •

فما تمالكت ان قبلت يده اذ كان شيخي ودعوت له انتهى وهو صاحب كتاب الافعال التي فتح فيه هذا الباب فتلاه ابن القطاع وله كتاب المقصور والممدود وجمع فيه ما لا يحد ولا يعد واعجز من بعده وفاق من تقدمه رحمه الله ورضي عنه وممن اخذ عن ابي علي القالي الاندلسي

ابو بكر محمد الزبيدي صاحب كتاب مختصر العين وغيره وكان الزبيدي كثيرا ما ينشد

الفقر في اوطاننا غربة • والمال في الغربة اوطان •

والارض شيء كلها واحد • والناس اخوان وجيران •

وترجمة الزبيدي واسعة وكان مؤدب المؤيد هشام ووصفه بانه كان في صباه في غاية الحذق والذكاء رحمه الله وكان ابو علي القالي قد بحث على ابن درستويه ورتق النظر وانتصر للبصريين واملى شيئا من حفظه ككتاب النوادر والامالي والمقصور والممدود والابل والخيل والبارع في اللغة نحو خمسة الاف ورقة لم يصنف مثله في الاحاطة والجمع ولم يتم ورتب كتاب المقصور والممدود على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق مستقصى في بابه لا يشذ منه شيء وكتاب فعلت وافعلت وكتاب مقاتل الفرسان وتفسير السبع الطوال وكان الزبيدي اماما في الادب ولكنه عرف فضل القالي فمال اليه واختص به واستفاد منه واقر له وكان الحكم المستنصر قبل ولايته الامر وبعد ينشط ابا علي ويبعثه على التاليف بواسع العطاء ويشرح صدره بالافراط في الاكرام وكانوا يسمونه البغدادي لوصوله اليهم من بغداد وبقيا الى ان الناصر هو الذي من بغداد لولايته فيهم وفيه يقول الرمادي مستخلصا في لاميته السابق بعضها

روض تعاهده السحاب كانه • متعاهد من عهده اسماعيل •

الى الاعراب نعلم انه • اولى من الاعراب بالتفضيل •

حازت قبائلهم لغات فرقت • فيهم وحاز لغات كل قبيل •

فالشرق خال بعده وكانما • نزل الخراب بربعه المأهول •

فكانه شمس بدت في غربنا • وتغيبت عن شرقهم بافول •

يا سيدي هذا ثنائي لم اقل • زورا ولا عرضت بالتنويل •

من كان يأمل نائلا فانا امرؤ • لم ارج غير العزب في تأميلي •

وقد تقدمت ابيات القالي التي اجاب بها منذر بن سعيد في الباب قبل هذا فلتراجع ثمة

ومنهم ابو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادي اللغوي واصله من الموصل قال ابن بسام ولما دخل صاعد قرطبة ايام المنصور بن ابي عامر عزم المنصور على ان يعفي به آثار ابي علي البغدادي الوافد على بني امية فما وجد عنده ما يرضيه واعرض عنه لقلة الثقة به وكان الف كتابا سماه كتاب الفصوص فدحسوه ورفضوه ونبذوه في النهر ومن شعره

ومهفهف ابهى من القمر • قمر الفؤاد بفاتر النظر •

خالسته تفاح وجنته • فاخذتها منه على غرر •

فاخافني قوم فقلت لهم • لا قطع في ثمر ولا كثر •

والكثر الجمار وهذا اقتباس من الحديث وقال الحميدي سمعت ابا محمد بن حزم الحافظ يقول سمعت ابا العلاء صاعد ينشد بين يدي المظفر عبد الملك بن ابي عامر من قصيدة يهنيه فيها بعيد الفطر سنة ٣٩٦ • •

حسبت

حسبت المنعمين على البرايا • فالفيتها اسمه صدر الحساب •

وما قدمته الا كاني • اقدم تاليا ام الكتاب •

وذكر الحميدي ان عبد الله بن مسلمة كان للشاعرينا ولي نرجسة فركبهما في وردة ثم قال لصاعد ولابي عامر بن شهيد صفاها فافحما ولم يتجه لهما القول فبينما هم كذلك اذ دخل الزهيري صاحب ابي العلاء وتلميذه وكان شاعرا اديبا ابيا لا يبقى فلما استغربه المجلس اخبر بما هم فيه فجعل يضحك ويقول

ما للاديبين قد اعيتهما • مليحة من ملح الجنة •

نرجسة في وردة ركبت • كمقلة تطرف في وجنة •

انتهى ومن غريب ما جرى لصاعد ان المنصور جلس يوما وعنده اعيان مملكته ودولته من اهل العلم كالزبيدي والعاصمي وابن العريف وغيرهم فقال لهم المنصور هذا الرجل الوافد علينا يزعم انه متقدم في هذه العلوم واحب ان يمتحن فوجه اليه فلما مثل بين يديه والمجلس قد احتفل خجل فرفع المنصور محله واقبل عليه وساله عن ابي سعيد السيرافي فزعم انه لقيه وقرا عليه كتاب سيبويه فبادره العاصمي بالسؤال عن مسألة من الكتاب فلم يحضره جوابها واعتذر بان النحو ليس جل بضاعته فقال له الزبيدي فما تحسن ايها الشيخ فقال حفظ الغريب قال فما وزن اولق فضحك صاعد وقال امثلي يسال عن هذا انما يسال عنه صبيان المكتب قال الزبيدي قد سالناك ولا نشك انك تجهله فتغير لونه وقال افعل وزنه فقال الزبيدي صاحبكم وقال له صاعد اخالك الشيخ صناعته الابنية فقال له اجل فقال صاعد وبضاعتي انا حفظ الاشعار ورواية الاخبار وفك المعمى وعلم الموسيقى قال فناظره ابن العريف فظهر عليه صاعد وجعل لا يجري في المجلس كلمة الا انشد عليها شعرا شاهدا واتى بحكاية تجانسها فاعجب المنصور ثم اراه كتاب النوادر لابي علي القالي فقال ان اراد المنصور امليت على كتابه ولذ كتابا ارفع منه واجل لا اورد فيه خبرا مما اورده ابو علي فاذن له المنصور في ذلك وجلس بجامع مدينة الزاهرة على كتابه المترجم بالفصوص فلما اكمله تتبعه ادباء الوقت فلم يمر فيه كلمة صحيحة عندهم ولا خبر ثبت لديهم وسالوا المنصور في تجليد كراريس بياض تزال جلدها حتى يوهم القدم وترجم عليه كتاب النكت تاليف ابي الغوث الصنعاني فترامى اليه صاعد حين رآه وجعل يقبله وقال اي والله قراته بالبلد الفلاني على الشيخ ابي فلان فاخذه المنصور من يده خوفا ان يفتحه وقال له ان كنت قد قراته كما تزعم فعلام يحتوي فقال وابيك لقد بعد عهدي به ولا احفظ الان منه شيئا ولكنه يحتوي على لغة منثورة لا يشوبها شعر ولا خبر فقال له المنصور ابعد الله مثلك فما راينا اكذب منك وامر باخراجه وان يقذف كتاب الفصوص في النهر فقال فيه بعض الشعراء

قد غاص في النهر كتاب الفصوص • وهكذا كل ثقيل يغوص •

فاجابه صاعد

• عاد الى معدنه انما • يوجد في قعر البحار الفصوص •

قال ابن بسام وما اظن احدا يجترى على مثل هذا وانما صاعدا اشترط ان لا يأتي الا بالغريب غير المشهور واعانهم على نفسه بما كان يتفوه به من الكذب وحكى ابن خلكان ان المنصور اثابه على كتاب الفصوص بخمسة الاف دينار دراهم ومن عجيب ما جرى له انه كان بين يدي المنصور فاحضرت اليه وردة في غير وقتها لم يستتم فتح ورقها

فقال فيها صاعد مرتجلا

• اتتك ابا عامر وردة • يذكرك المسك انفاسها •
• كعذراء ابصرها مبصر • فغطت باكمامها راسها •

فسر بذلك المنصور وكان ابن العريف حاضرا فحسده وجرى الى مناقضته وقال لابن ابي عامر هذان البيتان لغيره وقد انشدنيهما بعض البغداديين بمصر لنفسه وهما عندي على ظهر كتاب بخطه فقال له المنصور ارنيه فخرج ابن العريف وركب دابته وحركها حتى اتى مجلس ابن بدر وكان احسن اهل زمانه بديهة فوصف له ما جرى فقال

هذه الابيات ودس فيها بيتي صاعد فقال

• غدوت الى قصر عباسة • وقد جدل النوم حراسها •
• فالفيتها وهي في خدرها • وقد صرع السكر اناسها •
• فقالت اسار على هجعة • فقلت بلى فرمت كاسها •
• ومدت يديها الى وردة • يحاكي لك الطيب انفاسها •
• كعذراء ابصرها مبصر • فغطت باكمامها راسها •
• وقالت خف الله لا تفضحن • في ابنة عمك عباسها •
• فوليت عنها على غفلة • وما خنت ناسي ولا ناسها •

فطار ابن العريف بها على ظهر كتاب بخط مصري ومداد اشعر ودخل بها على المنصور فلما راها اشتد غيظه على صاعد وقال للحاضرين غدا امتحنه فان فضحه الامتحان اخرجته من البلاد ولم يبق في موضع لي عليه سلطان فلما اصبح وجه اليه فاحضر واحضر جميع الندماء فدخل بهم الى مجلس محفل قد اعد فيه طبقا عظيما فيه سقائق مصنوعة من جميع النواوير ووضع على السقائق لعبة من ياسمين في شكل الجواري وتحت السقائق بركة ماء قد القي فيها اللآلي مثل الحصباء وفي البركة حية تسبح فلما دخل صاعد وراى الطبق قال له المنصور ان هذا يوم اما ان تسعد فيه معنا واما ان تشقى بالضد عندنا لانه قد زعم قوم ان كل ما تأتي به دعوى وقد وقفت من ذلك على حقيقة وهذا طبق ما توهمت انه حضر بين يدي ملك قبلي شكله فصفه بما فيه وعبر بعض من هذه يقول ابو ريعني له طبق فيه زهر ورد وياسمين وبركة ماء حصباها اللؤلؤ وكان في البركة حية تسبح واحضرها صاعد فلما شاهد

ذلك قال له المنصور انهم لا يذكرون ان كل ما تأتي به دعوى لا صحة لها وهذا طبق ما ظننت انه عمل لملك قبلي فان وصفته بجميع ما فيه علمت صحة ما تذكره فقال صاعد بسرعة بديهة

• ابا عامر هل غير جدواك واكف • وهل غير من عاداك في الارض خايف •
• يسوق اليك الدهر كل غريبة • واعجب ما يلقاه عندك واصف •
• وشايع نور صاغها هامر الحيا • على حافتيها عبقر وزخارف •
• ولما تناهى الحسن فيها تقابلت • عليها بانواع الملاهي الوصايف •
• كمثل الظباء المستكنة كنسا • تظللها بالياسمين السقايف •
• واعجب منها انهن نواظر • الى بركة ضمت اليها الطرايف •
• حصاها اللآلي سابح في عبابها • من الرقش مسموم اللعابين راجف •
• ترى ما تراه العين في جنباتها • من الوحش حتى بينهن السلاحف •

قال فاستغرب له يومئذ تلك البديهة في مثل ذلك الموضع وكتبها المنصور بخطه وكان الى ناحية من تلك السقائق سفينة فيها جارية من النواوير تجذف بمجاديف من ذهب لم يرها صاعد فقال له المنصور احسنت الا انك اغفلت ذكر المركب والجارية

فقال للوقت

• واعجب منها غادة في سفينة • مكللة تصبو اليها المهايف •
• اذا راعها موج من الماء تتقي • بسكانها ما انذرته العواصف •
• متى كانت الحسناء ربان مركب • تصرف في يمنى يديها المجاذف •
• ولم تر عيني في البلاد حديقة • تنقلها في الراحتين الوصايف •
• ولا غرو ان ساقتها نحو ارضه • لتشبهها ازاهير الربا والزخارف •
• فانت امرؤ لو رمت نقل متالع • ورضوى ذرتها من سطاك نسايف •
• اذا قلت قولا او بدهت بديهة • فكلني له اني لمجدك واصف •

فامر له المنصور بالف دينار ومائة ثوب ورتب له في كل شهر ثلاثين دينارا والحقه بالندماء قال وكان شديد البديهة في ادعاء الباطل قال له المنصور يوما ما الخنبشار فقال حشيشة يعقد بها اللبن ببادية الاعراب وفي ذلك يقول شاعرهم

• لقد عقدت محبتها بقلبي • كما عقد الحليب بخنبشار •

وقال له يوما وقد قدم اليه طبق فيه تمر ما التمركل في كلام العرب فقال يقال تمركل الرجل تمركلا اذا التف في كسائه وكان مع ذلك عالما قال وكان لابن ابي عامر فتى يسمى فاتنا اوحد لا نظير له في علم كلام العرب فناظر صاعدا هذا فقطعه وظهر عليه وبكته فاعجب المنصور منه فتوفي فاتن هذا سنة ٤٠٢ وبيعت في تركته كتب مضبوطة جليلة مصححة وكان منقطعا لا منزل بمنزل المثلة فلم يتخذ النساء كغيره وكان في ذلك الزمان بقرطبة جملة من القيان المخانيث ممن اخذ بالوفر نصيب من الادب قال ورايت تابعا للرجل منهم يعرف بحبيب

ترجمته بكتاب الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة وذكر فيه جملة من
أشعارهم وأخبارهم ونوادرهم. قال ابن بسام: ومن عجائب ما جرى لصاعد
أنه أهدى أيلًا إلى المنصور وكتب على يد موصله

• يا حرز كل مخوف وأمان كل • مشرد ومعز كل مذلل •
• يا سلك كل فضيلة ونظام كل • جزيلة وثمال كل مؤمل •

ومنها

• ما إن رأت عيني وعلمك شاهد • في معمم مخول •

ومنها

• مولاي مؤنس غربتي متخطفي • من صغر أيامي من متعمل •
• عبد جذبت بضبعه ورفعت من • مقداره أهدى إليك بأيل •
• سميته غرسية وبعثته • ليصح فيه فعالي •
• فلئن قبلت فتلك أسنى منة • أسدى بها ذو منحة وتطول •
• صبحتك غادية السرور وجرة • وحللت أوجًا بالسحاب المخضل •

فقضي في سابق علم الله سبحانه وتعالى أن ملك الروم غرسية أسر في ذلك اليوم بعينه
الذي بعث فيه بالأيل وسماه باسمه على التفاؤل، انتهى. وكان غرسية أمنع من النجم، وسبب
أخذه أنه خرج يتصيد فلقيته خيل للمنصور من غير قصد فأسرته وجاءته به، فكان هذا الاتفاق
مما عظم به العجب. ولنورد من أخبار صاعد فنقول: حكي أن المنصور قال بسبب هذه القضية
لم يتفق لصاعد هذا الفأل الغريب إلا لحسن نيته وسريرته وصفاء باطنه، فرفع قدره
من ذلك اليوم فوق ما كان لتوجهه على أعدائه وحوله ذلك. وفي الدرة الثامنة والعشرين
من كتاب الأزمنة المنثورة في الأخبار المأثورة: حكي أن صاعدًا قال: جمعت خرق الأكياس والقراطيس
التي قبضت فيها صلات المنصور محمد بن أبي عامر فقطعت لكافور الأسود غلامي منها
قميصًا كالمرقعة وبكرت به معي إلى قصر المنصور فأخذت في تنشط حتى طابت نفسه
فقلت: يا مولانا، لعبدك حاجة، فقال: اذكرها، قلت: وصول غلامي كافور إلى هنا وعلى هذه
الحال، فقلت: لا أقنع بسواه إلا بحضوره بين يديك، فقال: أدخلوه، فمثل قائمًا بين
يديه في مرقعته وهو كالنخلة إشرافًا، فقال: قد حضر، وإنه لبادي الهيئة، فما لك أضعته؟
فقلت: يا مولانا، نائلك الفائدة، اعلم يا مولاي أنك وهبت لي اليوم ملء جلد كافور دراهم،
فتهلل وقال: لله درك من شاكر مستنبط لغوامض معاني الشكر، وأمر لي بما لا أوسع
وكسوة، وكسا كافورًا أحسن كسوة، انتهى. ولما دخل صاعد دانية وحضر مجلس الموفق
مجاهد العامري أمير البلد كان في المجلس أديب يقال له بشار، فقال للموفق: دعني
أعبث بصاعد، فقال: لا تتعرض إليه فإنه سريع الجواب، فأبى إلا مساسه، وكان بشار أعمى، فقال
لصاعد: يا أبا العلاء، ما الجرنفل في كلام العرب؟ فعرف صاعد أنه وضع هذه الكلمة وليس

لها أصل في اللغة، فقال: الجرنفل في اللغة الذي يفعل بنساء العميان ولا
يتجاوزهن إلى غيرهن، وهو في ذلك كله يصرح ولا يكني، فخجل بشار وانكسر وضحك من كان
حاضرًا، فقال له الموفق: قلت لك لا تفعل فلم تقبل، انتهى. والجرنفل بضم الجيم والراء وسكون
النون وضم الفاء وبعدها لام. ولصاعد أخبار ونوادر كثيرة غير ما تقدم، وللمنصور
ابن أبي عامر رحمه الله من ذلك نكت كثيرة، وبعضها ذكرناه في هذا الكتاب. ومن حكاياته
أنه خرج معه يومًا إلى رياض الزاهرة فمد المنصور يده إلى شيء من الريحان المعروف بالترنجان
فعبث به ورماه إلى صاعد وأشار إليه أن يقول فيه، فارتجل قائلًا: لم أدر قبل ترنجان عبثت به
الأبيات الآتية. وهذا المنصور بن أبي عامر قد تقدمت جملة من أخباره. ومن عجيب ما وقع
له ما رأيته بخزانة فاس في كتاب ألفه صاحبه في الأزمنة والأنواء، حكى فيه في ترجمة
النيلوفر أن المنصور لما قدم عليه رسول ملك الروم الذي هو أعظم ملوكهم في ذلك
يغرس في بركة عظيمة ذات أميال نيلوفرًا على ما تسع البركة ثم ملأ بها جميع النيلوفر
الذي في البركة، وأرسل إلى الرومي يحضر عنده قبل الفجر في مجلسه الشامي بالزاهرة بحيث يشرف
على موضع البركة، فلما قرب طلوع الشمس جاء ألف من الصقالبة عليهم أقبية الذهب
والفضة ومناطق الذهب والفضة، وبيد خمسمائة أطباق ذهب وبيد خمسمائة أطباق
الفضة، فتعجب الرسول من حسن صورهم وجمال شارتهم، فلم يدر ما المراد، فحين أشرقت
الشمس ظهر النيلوفر من البركة فبادروا إلى أخذ الذهب والفضة من النيلوفر وكانوا
يجعلون الذهب في أطباق الفضة والفضة في أطباق الذهب حتى التقطوا جميع ما
فيها، وجاؤوا به فوضعوه بين يدي المنصور حتى صار كومًا بين يديه، فتعجب النصراني من ذلك
وأعظمه، وطلب المهادنة من المسلمين، وذهب مسرعًا إلى مرسله وقال له: لا تعاد هؤلاء
القوم فإني رأيت الأرض تخدمهم بكنوزها، انتهى. وهذه القضية من الغرائب، وإنما هي حيلة
عجيبة في إظهار عز الإسلام وأهله. وكان المنصور بن أبي عامر آية الله في السعد ونصرة
الإسلام. قال ابن بسام نقلًا عن ابن حيان: إنه لما تمهدت خلافة بني مروان بالأندلس إلى الحكم
تاسع الأئمة، وكان مع فضله قد استهواه حب الولد حتى خالف الحزم في توريثه الملك بعده
في سن الصبي دون مشيخة الإخوة وفتيان العشيرة ومن كان ينهض بالأمر ويستقل
بالملك. قال ابن بسام: وكان يقال: لا يزال ملك بني أمية بالأندلس قبالة دوام ما تواتر
الأبناء عن الآباء، فإذا انتقل إلى الإخوة وتوارثوه فيما بينهم أدبر أمرهم، ولعل الحكم
لحظ ذلك، فلما مات الحكم أخفى جوذر وفائق فتياه ذلك، وعزما على صرف البيعة إلى أخيه
المغيرة، وكان فائق قد قال: إن هذا لا يتم لنا إلا بقتل جعفر المصحفي، فقال له جوذر: ونستفتح
أمرنا بسفك دم شيخ مولانا؟ فقال له: هو والله ما أقول لكم، ثم بعثا إلى المصحفي ونعيا
إليه الحكم وعرفاه رأيهما في المغيرة، فقال لهما المصحفي: وهل أنا إلا تبع لكما وإنما صاحبا
القصر ومدبرا الأمر، فشرعا في تدبير ما عزما عليه، وخرج المصحفي وجمع أجناده وقواده ونعى

اليهم الحكم وعرفهم بمقصوده جوذر وفايق في المغيرة وقالا ان بقينا على ابن مولانا كانت الدولة لنا وان بدلنا استبدلنا بنا فقالوا الراي رايك فبادر المصحفي بانفاذ محمد بن ابي عامر مع طايفة من الجند الى دار المغيرة لقتله فوافاه ولا خبر عنده فنعى اليه الحكم اخاه فجزع وعرفه جلوس ابن اخيه هشام في الخلافة فقال انا سامع مطيع فكتب الى المصحفي بحاله وما هو عليه من الاستجابة فاجابه المصحفي بالقبض عليه والا وجه غيره ليقتله فقتله خنقا فلما قتل المغيرة واستوثق الامر لهشام بن الحكم فتح المصحفي امره بالتواضع والسياسة واطراح الكبر ومساواة الوزرا في الفرش وكان ذلك من ارفع ما استحسن منه وتوفر على الاستيثار بالاعمال والاحتجان للاموال ودعا رضيعه محمد بن ابي عامر فتى ماجدا اخذ معه بنظر في نقيض البخل جودا وبالاستبداد دثرة وتملك قلوب الرجال الى ان تحركت همته للمشاركة في التدبير بخطة الوزارة وقوي على امره بنظره في الوكالة وخدمته للسيدة صبح ام هشام وكانت حالة عند جميع الحرم افضل الاحوال بتصديه لموافق الارادة ومبالغته في لطيف الخدمة فاحرض له امر هشام الخليفة الى الحاجب جعفر المصحفي بان لا ينفرد عنه براي وكان غير مستحيل منه سكونا الى ثقته فامتثل الامر واطلع على سره وبالغ في بره وبالغ محمد بن ابي عامر في محادثته والنصح له فوصل يده بيده واستراح الى كفايته وابن ابي عامر يكيد به ويضرب عليه ويغري به الحرم ويناقضه في كثير مما يعامل به الناس ويقضي حوائجهم ولم يزل على ما هو سبيله الى ان انحل امر المصحفي وهوى نجمه وتفرد محمد بن ابي عامر بالامر ومنع اصحاب الحكم واعلامهم واهلكهم وشردهم وشتتهم واقام من صنايعهم من استغنى به عنهم وصادر الصقالبة واهلكهم وابادهم في اسرع مدة قال ابن حيان وجاشت النصرانية بموت الحكم وخرجوا على الثغور فوصلوا الى باب قرطبة ولم يجدوا عند جعفر المصحفي غناء ولا نصرة وكان يمن في غلبته ان امر اهل قلعة رباح بقطع سد نهرهم لما تخيله من ان في ذلك النجاة من العدو ولم يقطع حيلة لاكثر منه مع وفور الجيوش وجموم الاموال وكان ذلك من سقطات جعفر فانف محمد بن ابي عامر من هذه الدنية واشار الى جعفر بتجريد الجيش للجهاد وخوفه سوء العاقبة في تركه واجمع الوزرا على ذلك الا من شذ منهم واختار ابن ابي عامر الرجال للجهاد وتجهز للغزاة واستصحب ماية الف دينار ونفذ بالجيش ودخل على الثغر الجوفي ونازل حصن الحامة ودخل الربض وغنم وقفل فوصل الحضرة بالسبي بعد اثنين وخمسين يوما فعظم السرور به وخلصت قلوب الاجناد له واستهلكوا في طاعته لما راوه من كرمه

ومن اخبار كرمه ما حكاه محمد بن افلح غلام الحكم قال دفعت الى امر لا اطيقه من نفقة في عرس ابنة لي ولم يبق معي سوى لجام محلى ولما ضاقت بي الاسباب قصدت به دار الضرب حيث كان صاحبها والدراهم بين يديه موضوعة مطبوعة فاعلمته ما جئت له فابتهج بما سمعه مني واعطاني من تلك الدراهم وزن اللجام بحديده وسيوره ولجامه وكنت مصدقا بما جرى لعظمه وعملت العرس وفضلت لي فضلة كثيرة واحبه قلبي حتى لو حملني على خلع طاعة

مولاي

مولاي الحكم لفعلت وكان ذلك في ايام الحكم قبل ان يبتعد ابن ابي عامر الذروة وقال غير واحد انه صنع يوما مثالا قصرا من فضة لصبح ام هشام وحمله على رؤوس الرجال فجلب حبها بذلك وقامت بامره عند سيدها الحكم وحدث الحكم خواصه بذلك وقال ان هذا الفتى قد جلب عقول حرمنا بما يتحفهم به قالوا وكان الحكم لشدة نظره في علم الحدثان يتخيل في ابن ابي عامر انه المذكور في الحدثان ويقول لاصحابه اما تنظرون الى صفرة كفيه ويقول في بعض الاحيان لو كانت به شجة لقلت انه هو بلا شك فقضى الله ان تلك الشجة حصلت للمنصور يوم ضربه غالب بعد موت الحكم بمدة قال ابن حيان وكان بين المصحفي وغالب صاحب مدينة سالم وشيخ الموالي وفارس الاندلس عداوة عظيمة ومباينة شديدة ومقاطعة مستحكمة واعجز المصحفي امره وضعف عن مباراته وشكا ذلك الى الوزرا فاشاروا عليه بملاطفته واستصلاحه وشعر بذلك ابن ابي عامر فاقبل على خدمته وتجرد لاتمام ارادته ولم يزل على ذلك حتى خرج الامر بان ينهض غالب الى مقدمة جيش الثغر وخرج ابن ابي عامر الى غزوته الثانية واجتمع به وتعاقدا على الايقاع بالمصحفي وقفل ابن ابي عامر ظافرا غانما وبعد صيته فخرج امر الخليفة هشام بصرف المصحفي عن المدينة وكانت في يده يومئذ وخلع على ابن ابي عامر ولا خبر عند المصحفي بوجوه الحيلة وخلاه ليس بيده من الامر الا اقله وكان ذلك باعانة غالب له وضبط المدينة ضبطا انسى به اهل الحضرة من سلف من الكفاة وتولى السياسة واتهمت ابن ابي عامر في صحبته غالب فقطن المصحفي لتدبير ابن ابي عامر عليه فكتب الى غالب يستصلحه وخطب اسما ابنته لابنه عثمان فاجابه غالب لذلك وكادت المصاهرة تتم له وبلغ ابن ابي عامر الامر فقامت قيامته وكاتب غالبا يخوفه الحيلة ويهيج حقوده والقى على غالب اهل الدار وكاتبوه فصرفوه عن ذلك ورجع غالب الى ابن ابي عامر فانكحه البنت المذكورة وتم له العقد في محرم سنة ٣٦٧ فادخل السلطان تلك الابنة الى قصره وجهزها الى محمد بن ابي عامر من قبله فظهر امره وعز جانبه وكثر رجاله وصار جعفر المصحفي بالنسبة اليه كلا شي واستقدم السلطان غالبا وقلده الحجابة شركة مع جعفر ودخل ابن ابي عامر على ابنته ليلة النيروز وكانت اعظم ليلة عرس في الاندلس وايقن المصحفي بالنكبة وكف عن اعتراض ابن ابي عامر الى ان صار المصحفي يغدو الى قصر قرطبة ويروح وهو وحده وليس بيده من الحجابة سوى اسمها وعوقب المصحفي واولاده واهله واسبابه واصحابه وطولبوا بالاموال واخذوا برفع الحساب لما تصرفوا فيه وتوصل ابن ابي عامر بذلك الى اجتثاث اصولهم وفروعهم وكان هشام بن اخي المصحفي قد توصل الى ان سرق من رؤوس النصارى التي كانت تحمل بين يدي ابن ابي عامر في الغزاة الثالثة ليقدم بها على الحضرة وغاظه ذلك منه فبادره بالقتل في المطبق بلا علم جعفر المصحفي فلما استقصى ابن ابي عامر مال جعفر حتى باع داره بالرصافة وكانت من اعظم قصور قرطبة واستمرت النكبة عليه سنين مرة يحبس ومرة يترك ومرة

يفر بالحضرة ومرة ينفر عنهما ولا براح له من المطالبة بالمال ولم يزل على هذا الحكم حتى سنة ٤ ولم يبق فيه محتمل واعتقل بالمطبق بالزهراء الى ان هلك واخرج الى اهله ميتا وذكر انه سم في ماء شربه قال محمد بن اسمعيل سرت مع محمد بن مسلمة الى الزهراء لتسلم جسد جعفر ابن عثمان الى اهله بامر المنصور وسرنا الى منزله فكان مغطى بخلق كساء لبعض البوابين الغاه على سريره وغسل على فردة باب اقتلع من ناحية الدار واخرج وما حضر احد جنازته سوى امام مسجد المستندعي للصلاة عليه ومن حضر من ولده فعجبت من الزمان انتهى وما احسن عبارة صاحب المطمح في هذه القضية اذ قال قال محمد بن اسمعيل كاتب المنصور سرت بامره لتسليم جسد جعفر الى اهله وولده والحضور على انزاله في ملحده فنظرته ولا اثر فيه وليس عليه شي يواريه غير كساء خلق لبعض البوابين فدعا له محمد بن مسلمة بغاسل فغسله والله على فردة باب اقتطع من جانب الدار وانا اعتبر من تصرف الاقدار وخرجنا بنعشه الى قبره وما معنا سوى امام مسجد المستندعي للصلاة عليه ما تجاسر منا احد للنظر اليه وان لي في شانه لخبرا ما سمع بمثله طالب وعظ ولا وقع في سمع ولا تصور في خط وقفت له في طريقه من قصره ايام نهيه وامره ارومه ان اناوله قصة كانت به مختصة فوالله ما تمكنت من الدنو منه بحيله لكثافة مركبه وكثرة من حف به واخذ الناس السكك عليه والقصص وافواه الطرق داعين ومارين بين يديه وساعين حتى ناولت قصتي بعض كتابه الذين نصبهم جناحي موكبه لاخذ القصص فانصرفت وفي نفسي ما فيها من الشرق بحاله والغصص فلم تطل المدة حتى غضب عليه المنصور واعتقله ونقله معه في الغزوات واحله وانفق ان نزلت بجليقية الى جانب خبائه في ليلة نهى فيها المنصور من وقود النيران ليخفى على العدو اثره ولا ينكشف اليه خبره فرايت والله عثمان ولده يسفه دقيقا قد خلطه بما يقيم به اوده ويمسك بسببه رمقه بضعف حال وعدم زاد

ومنه يقول

تعاطيت صرف الحادثات فلم ازل • اراها توفي عند موعدها الحرا •
فلله ايام مضت بسبيلها • فاني لا انسى لها ابدا ذكرا •
تجافت بها عنا الحوادث برهة • وابدت لنا منها الطلاقة والبشرا •
ليالي لم يدر الزمان مكانها • ولا نظرت منها حوادثه شزرا •
وما هذه الايام الا سحائب • على كل ارض تمطر الخير والشرا •

انتهى واما غالب الناصري فانه حضر مع ابن ابي عامر في بعض الغزوات وصعدا الى بعض القلاع لينظرا في امرها فجرت محاورة بين ابن ابي عامر وغالب فسبه غالب وقال له يا كلب انت الذي افسدت الدولة وخربت القلاع وتحكمت في الدولة وسل سيفه فضربه وكان بعض الناس حبس يده فلم تتم الضربة وشجه فالقى ابن ابي عامر نفسه من راس القلعة خوفا من ان يجهز عليه فقضى الله انه وجد شيئا في الهوى في منعه من الهلاك فاحتمله اصحابه

وغالجوم

وغالجوم حتى برى ولحق غالب بالنصارى وجيش بهم وقاتله ابن ابي عامر بمن معه من جيوش الاسلام فحكمت الاقدار بهلاك غالب وتم لابن ابي عامر ما جدله وتخلصت دولته من الشوائب قالوا ولما وقعت وحشة بين ابن ابي عامر وكان سببها تضريب الحساد فيما بينهما وعلم انه ما وهي الامر من جانب حاشيته القصر فوقهم ومن فيهم ولم يدع فيه منهم لا امر وثقوا به او عجز عنه ثم ذكر له ان الخدم قد انبسطت ايديهم في الاموال المختزنة بالقصر وما كانت السيدة صبح اخت رايق تفعله من اخراج الاموال عنه ما حدث من تغيرها على ابن ابي عامر وانها اخرجت في بعض الايام مائة كوز مختومة على اعناق الخدم الصقالبة فيها الذهب والفضة وموهت ذلك كله بالمري والشهد وغيره والاصباغ المتخذة بقصر الخلافة وكتبت على رؤوس الكيزان اسماء ذلك ومرت على صاحب المدينة فما شك في انه ليس فيها الا ما عليها وكان مبلغ ما حملت فيها من الذهب ثمانين الف دينار فاحضر ابن ابي عامر جماعة واعلمهم ان الخليفة مشغول عن حفظ الاموال بانهماكه في العبادة وان في اضاعتها افة على المسلمين واشار بنقلها الى حيث يؤمن عليها فيه فحمل منها الف دينار عن قيمة ورق دسبعمائة الف دينار وخرست السنة الاعدا والحسدة وعلم المنصور ما في نفوس الناس لظهور هشام ورؤيتهم له اذ كان منهم من لم يره قط فابرزه للناس وركب الركبة المشهورة واجتمع لذلك من الخلق من لا يحصى وكانت عليه الطويلة والقضيب في يده زي الخلافة والمنصور يسايره ثم خرج المنصور لاخر غزواته وقد مرض المرض الذي مات فيه وواصل شن الغارات وقويت عليه العلة فاتخذ له سرير خشب ووطي عليه ما يقعد عليه وجعلت عليه ستارة وكان يحمل على اعناق الرجال والعساكر تحف به وكان هجر الاطباء في تلك العلة لاختلافهم فيها وايقن بالموت وكان يقول ان زماني يشتمل على عشرين الف مرتزق ما اصبح بينهم اسوا حالا مني ولعله يعني من حضر معه تلك الغزاة والا فعساكر الاندلس ذلك الزمان اكثر من ذلك العدد واشتغل ذهنه بامر قرطبة وهو في مدينة سالم فلما ايقن بالوفاة اوصى ابنه عبد الملك وجماعة وخلا بولده وكان يكرر وصاته وكلما اراد ان ينصرف يرده وعبد الملك يبكي وهو ينكر عليه بكاءه ويقول وهذا من اول العجز وامره ان يستخلف اخاه عبد الرحمن على العسكر وخرج عبد الملك الى قرطبة ومعه القاضي ابن ذكوان فدخلها اول شوال وسكن الارجاف بموت والده وعرف خليفة كيف تركه ووجد المنصور خفة فاحضر جماعة بين يديه وهو كالخيال لا يبين الكلام واكثر كلامه بالاشارة كالمسلم المودع وخرجوا من عنده فكان اخر العهد به ومات لثلاث بقين من رمضان وقد اوصى ان يدفن حيث يقبض فدفن في قصره بمدينة سالم واضطرب العسكر وتلوم ولده اياما وفارقه بعض العسكر الحشام وقفلوا الى قرطبة فيمن بقي معه وليس قيام المنصور المسوح والاكسية بعد الوشي والخز وقام ولده عبد الملك المظفر بالامر واجراه هشام الخليفة على عادة ابيه وخلع عليه وكتب له السجل بولاية الحجابة وكان الفتيان قد اضطربوا فقوم المائل واصلح الفاسد وجرت الامور على السداد وانشرحت الصدور بما شرع فيه من عمارة البلاد فكان اسعد

مولود ولد في الاندلس ولم يمسك عنان القلم في امر ابن عامر فقد قدمنا في محله جملة من
اخواله وما ذكرناه هنا وان كان محله ما سبق وبعضه قد تكرر معه فهو لا يخلو من فوايد
زوايد والله ولي التوفيق رجع الى اخبار صاعد اللغوي البغدادي حكي انه دخل
على المنصور يوم عيد وعليه ثياب جدد وخف جديد فمشى على حافة البركة لازدحام
من هنالك فسقط في الماء فضحك المنصور وامر باخراجه وقد كاد البرد يأتي عليه فخلع عليه
وادناه في مجلسه وقال له هل حضرك شي فقال

• شيئان كانا في الزمان عجيبة • ضرط ابن وهب ثم وقعة صاعد •

فاستبرد ما اتى به فقال الجزيري هلا قلت

• سروري بغرتك المشرقه • ورؤية راحتك المغدقه •
• ثناني نشوان حتى غرقت • في لجة البركة المطبقه •
• لئن ظل عبدك فيها الغريق • فجودك من قبلها اغرقه •

فقال له المنصور لله درك يا ابا مروان فسبقتنا كأنك باهل بغداد فضلتهم فهو بنفسك
انتهى وقال في الذخيرة في ترجمة صاعد وفد على المنصور نجم من المشرق غرب ولسان من
الحرب اعرب واراد المنصور ان يعفي به آثار ابي علي القالي فالفى سيفه كهاما ومخيله
جهاما • من رجل يتكلم بمهلا فيه • ولا يوثق بكل ما يبديه ولا ما يأتيه انتهى باختصار
واصل صاعد من ديار الموصل وقال ارتجالا وقد بعث المنصور بباذنجان

• لم ادر قبل باذنجان عبثت به • ان الزمرد اغصان واوراق •
• من طيبه سرق الاترج نكهته • يا قوم حتى من الاشجار سراق •
• كانما الحاجب المنصور علمه • فعل الجميل فطابت منه اخلاق •

وقدمه الحجاري بقوله

• كان ابريقنا والراح في فمه • طير تناول ياقوتا بمنقار •

وقبله • وقهوة من فم الابريق صافية • كالدمع ممزوجة بالالف مغبار •

وقال في بدايع البداية دخل صاعد اللغوي على بعض اصحابه في مجلس شراب فملا الساقي
قدحا من ابريق فبقيت على فم الابريق نقطة من الراح قد تكونت ولم تقطر فاقترح عليه
الحاضرون وصف ذلك فقال وقهوة في فم الابريق ساكبة البيت ثم قال البغداديما وانما
استخدم صاعد قول الشريف ابي البركات علي بن الحسين اللغوي

• كان ريح الروض لما انت • فتت علينا مسك عطار •
• كانما ابريقنا طاير • يحمل ياقوتا بمنقار •

انتهى

ومن نظم صاعد

• قلت له والرقيب يعجله • مودعا للفراق اين انا •
• فمد كفا الى ترائبه • وقال سروا دعا فانت هنا •

وقال صاعد

وقال صاعد لما امر المنصور بن ابي عامر بمعارضته قصيدة لابي نواس

• اني لاستحيي علاك • من ان اجلك القول فيه •
• من ليس يدرك بالروية كيف يدرك بالبديه •

وقال حاشد البغدادي في صاعد اللغوي وكان صاعد ينشدهما ويبكي ويقول
ما هجيت بشي اشد علي منهما

• اقبل مديت ابا العلا بقصيدتي • بقبولها وبواجب الشكر •
• لا تهجون اسن منك فربما • تهجو اباك وانت لا تدري •

نعوذ بالله من لسان الشعراء وانواع البلاء بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

ومن نظم صاعد قوله

• بعثت اليك من خيري روض • محرمة كاوراق العقيق •
• توكل بالغراب من النصابي • وتضطاد الخليع من الطريق •

وروى صاعد عن القاضي ابي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي وابي علي الحسن بن احمد الفارسي
وابي بكر بن مالك القطيعي وابي سليمان الخطابي وغيرهم قال الحميدي خرج من الاندلس في
الفتنة فمات بها قريبا من سنة ٤١٠ وقال ابن حزم توفي بصقلية سنة ٤١٧ قال ابن بشكوال
في حقه انه يتهم بالكذب وقلة الصدق فيما يرويه عفى الله عنه وقدم الاندلس من مصر ايام
المؤيد وتحكم المنصور بن ابي عامر في حدود سنة ٣٨٠ فاكرمه المنصور وزاد في الاحسان اليه
والافضال عليه وكان عالما باللغة والآداب والاخبار سريع الجواب حسن الشعر طيب
المعاشرة فكه المجالسة وقال بعضهم دخل صاعد على المنصور وعنده كتاب ورد عليه
من عامل له في بعض الجهات اسمه مبرمان بن يزيد يذكر فيه القلب والتربيل وهما عندهم
الارض قبل زراعتها فقال له يا ابا العلا فقال لبيك يا مولانا فقال هل رايت او وصل
اليك من الكتب القوالب والزوالب لمبرمان بن يزيد قال اي والله ببغداد في نسخة
لابي بكر بن دريد بخط كاكراع النمل في جوانبها فقال له اما تستحي ابا العلا من هذا الكذب هذا
كتاب عاملي ببلد كذا يذكر فيه كذا فجعل يحلف له انه ما كذب ولكنه امر وافق ومات عن
سن عالية رحمه الله ومن الوافدين على الاندلس من المشرق الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسي
ولد سنة ٥٧٢ وقد ذكر في رحلته عجايب شاهدها بالمغرب ومشايخ لقيهم فمنهم الحافظ
ابو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله الانصاري قال سمعت عليه سنة ٥٩٤ احاديث
وشيئا من تصانيف المغاربة وروى لنا عن الحافظ ابي اسحاق ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم
ابن قرقول وولي ابن حوط الله المذكور قضاء غرناطة وادرك ابن بشكوال وابن حبيش وابن
حميد المرسي النحوي وابا زيد السهيلي صاحب الروض وغيرهم ومن الشيوخ الذين لقيهم
السرخسي المذكور بالمغرب الفقيه ابن ابي تميمة قال وانشدني

• اسمع اخي نصيحتي • والنصح من محض الديانه •

لا تغربوا الى الشهادة والوساطة والامانة • تسلم من ان تغزى لزورا وفضولا وخيانه •

وذكر انه ادرك الشيخ الولي العارف بالله تعالى سيدي ابا العباس احمد بن جعفر الخزرجي السبتي صاحب الحالات والكرامات الظاهرة والطريقة الغريبة والاحوال العجيبة • قال ادركته بمراكش عام ٥٩٥ وقد نال من الثمانين ومما حصل عندي مما لم يرق في الحال وتركته في ٥٩٥ حيا يرزق انتهى وولي الله السبتي قد ذكرت في غير هذا الموضع بعض احواله فلنراجع في الباب الثاني من ترجمة لسان الدين بن الخطيب ومحله مقصود لقضاء الحاجات وقد زرته مرارا عديدة ولله الحمد وقال لسان الدين في مفاوضة الجواب كتبت عن السلطان الغني بالله محمد بن يوسف بن نصر ونحن بفاس نخاطب الضريح المقصود والمنهل المورود والمرعى المنتجع والخوان الذي يكفي الغرثى ويعرض المرضى ونحو ذلك لزمنا وبتعد امنا الى اهل الجدة رغما والفتلى قبر ولي الله سيدي ابي العباس السبتي نفعنا الله به واعاد علينا من خير بركاته وجيرها لنا واعاد علينا النعم ودفع عنا النقم

• يا ولي الاله انت جواد • وقصدنا الى حماك المنيع •

• راعنا الدهر بالخطوب فجينا • نرتجي من علاك حسن الصنيع •

• فمددنا اليك الاكف نرجي • عودة العز تحت شمل جميع •

• فاجعلنا وسيلة تربك الزاكي • وزلفى الى العليم السميع •

• كم غريب اسرى اليك فوافى • برضى عاجل وخير سريع •

يا ولي الله الذي جعل جاهه سببا لقضاء الحاجات • ورفع الازمات • ونصر بغيرنا فيا بعد الممات • وصدق نقول الحكايات • ظهور الايات • نفعني الله بنيتي في بركة تربك واظهر على اثر توسلي بك الى الله ربك • من رق شملي وفرق بيني وبين اهلي وتعدى علي وصرفت في وجوه المكايد الي حتى اخرجت من وطني وبلدي • ومالي وولدي • ومحل جهادي وحقي الذي صار لي طوعا عن ابائي واجدادي • عن بيعة من لم يحل عقدها الدين ولا برح جرحه بشين • وانا قد قرعت باب الله بتاريسك • فالتمس لي قبوله بقبولك • وردني الى وطني على افضل حالي • واظهر علي كرامتك التي تشد الينها مهور الرحال • فقد جعلت وسيلتي اليك رسول الحق الى جميع الخلق والسلام عليك ايها الولي الكريم • الذي يامن به الخائف وينتصف الغريم • ورحمة الله انتهى رجع والسرخسي المذكور قال في حقه بعض الائمة الامام شيخ الشيوخ تاج الدين ابو محمد عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه له رحلة مغربية انتهى وهو من بيت كبير وقال البدري في تاريخه في حقه ما صورته تاج الدين شيخ الشيوخ بدمشق احد الفضلاء المؤرخين المصنفين له كتاب في ثمان مجلدات ذكر فيه اصول الاشياء وللسنة المذكورة الملوكية صنفها للملك الكامل محمد وغير ذلك وسمع الحديث وحفظ القران وكان بلغ الثمانين وقيل لم يبلغها وقد سافر الى بلاد المغرب سنة ثلاث وتسعين واتصل بمراكش عند

ملكيها

ملكيها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فاقام هنالك الى سنة ٦٠٠ وقدم مصر وولي مشيخة الشيوخ بعد اخيه صدر الدين بن حمويه انتهى وقال غيره انه كان فاضلا متواضعا نزها حسن الاعتقاد قال ابو المظفر كان يحضر مجالسي وانشدني يوما

• لم القوم مستكبرا الا تحول لي • عند اللقاء لذا الكبر الذي فيه •

• ولا حلى لي من الدنيا ولذاتها • الا مقابلتي للتيه بالتيه •

وقال السرخسي المذكور في رحلته • اني وان كنت خراساني الطينة لكني شامي المدينة وان كانت الجرثومة من المشرق • فان الخؤولة من المغرب • فحدث باعث يدعو الى الحركات والاسفار ومشاهدة الغرايب في النواحي والاقطار • وذلك في كال ريعان الشباب الذي تعضده غرايم النفوس بنشاطها • والجوارح بخفة حركاتها وانبساطها • فخرجت سنة ٥٩٣ الى زيارة المقدس وجددنا العهد ببركاته • واغتنمنا ما جرى في حلول بقاعه ومزاراته • ثم سرت منه الى الديار المصرية وهي اهلة بكل ما تتجمل به البلاد وتزدهي وينتهي وصف الواصف لشؤونها ولا ينتهي ثم دخلنا الغرب من الاسكندرية في البحر ودخلت مدينة مراكش ايام السيد الامام امير المومنين ابي يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي فاتصلت بخدمته والذي علمت من حاله انه كان يجيد حفظ القران ويحفظ متون الاحاديث ويتقنها ويتكلم في الفقه كلاما بليغا وكان فقهاء الوقت يرجعون اليه في الفتاوى وله فتاوى مجموعة حسبما ادى اليه اجتهاده وكان الفقهاء ينسبونه الى مذهب الظاهر وقد شرحت احوال سيرته وما جرى في ايام دولته في كتابي التاريخ المسمى عطف الذيل وقد صنف كتابا جمع فيه متون احاديث صحاح تتعلق بها العبادات سماه الترغيب وممدوحه من الافرنج الفنس في كتابه فمزقه وقال للرسول ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون ان شاء الله تعالى ثم قال للكاتب اكتب على هذه القطعة يعني من كتابه الذي مزقه الجواب ما ترى لا ما تسمع فلا كتب الا

• فلا كتب الا المشرفية والقنا • ولا رسل الا الخميس العرمرم •

ومن شعره في ابيات كتب بها الى الغرب وهي

• يا ايها الراكب المزجي مطيته • على عذافرة تشقى بها الاكم •

• بلغ سليمى على بعد الديار بها • بيني وبينكم الرحمن والرحم •

• يا قومنا لا تشبوا الحرب ان خمدت • واستمسكوا بعرى الايمان واعتصموا •

• كم جرت الحرب من قد كان قبلكم • من القرون فبادت دونها الامم •

• حاشى لاعاقب ان ترضى بمنقصة • يا ليت شعري هل تراهم علموا •

• يعود منهم ازمني لا خلاق له • كانه بينهم من جهلهم علم •

يعني بالارمني قراقوش مملوك بني ايوب الذي كان ذهب الى بلاد الغرب الادنى واوقد النار الحرب من طرابلس الى تونس مع ابن غانية الملثم وفي حديثه مشهور وتمام الابيات

الله يعلم اني ما دعوتكم • دعاء ذي قوة يوما فيلتفتم •
ولا لحاجة امر يستعان به • من الامور وهذا الخلق قد علموا •
لكن لاجزي رسول الله عن نسب • يحمي ليه وترعى لكم الذمم •
فان ابيتم فحبل الوصل متصل • وان ابيتم فحد السيف بيننكم •

ثم قال السرحسي وبلغني ان قوما من العربان قصدوه ومعهم حيوانات معلمة منهما اسد وغراب اما الاسد فيقصده منفردا عن اهل المجلس ويربض بين يديه وربما اوما بالسجود ومد ذراعيه • واما الغراب فكان يقول النصر والتمكين لسيدنا امير المؤمنين

وفي ذلك يقول بعض الشعرا

انس الشبل ابنها جا بالاسد • ورأى شبه ابيه فقصد •
انطق الخالق مخلوقا به • شهدوه والكل بالحق شهد •
انك الخيرة من صفوته • بعد ما طال على الناس الامد •

فاغطاهم وكساهم واحسن جبايتهم وبلغني ان قوما اتوا بفيل من بلاد السودان هدية فامر لهم بصلة ولم يقبله منهم وقال نحن لا نريد ان نكون من اصحاب الفيل وقال لي يوما كيف ترى هذه البلاد واين هي من بلادك الشامية فقلت يا سيدي بلاد حسنة انيقة مجملة مكملة وفيها عيب واحد فقال لي ما هو فقلت انها تنسي الاوطان فتبسم وطاب اعجابه بالجواب وامر لي من غد بزيادة رتبة واحسان وحدثني بعضهم انه فرق على الجند والامرا والفقرا في عيد سنة ٥٩٤ ثلاثة وسبعين الف شاة من ضان ومعز ورحل الى رحمة الله سنة ٥٩٥ وكان قد استخلف ولده محمد وقرر الامور له انتهى قلت يعلم فساد ما زعمه غير واحد ان يعقوب المنصور تخلى عن الملك وفر زهدا فيه الى المشرق وانه دفن في البقاع لان هذه مقالة عامية لا يثبتها علماء المغرب وسبب هذه المقالة تولع العامة به فكذبوا في موته وقالوا انه ترك الملك وحكوا ما شاع الى الان وذاع مما ليس له اصل ورحم الله الامام العلامة القاضي الشريف الغرناطي شارح الخزرجية اذ قال في شرح المقصورة حازم عند ذكره وقعة الاراك ما معناه ان بعض الناس يزعمون ان المنصور ترك الملك وذهب الى المشرق وهذا كلام لا يصح ولا اصل له انتهى وقال في المغرب كان ابوه يوسف قد استوزره في حياته وخرج بين يديه ونمرش وهزم الفرنج الهزيمة العظيمة وتولع بالعلم حتى نفى التقليد وحرق كتب المذاهب وقتل على السكر انتهى وحكى لسان الدين ابن الخطيب في شرح كتابه رقم الحلل في نظم الدول ان المنصور طلب من بعض اعيان دولته رجلين لتاديب ولده ويكون احدهما برا في عمله والاخر بحرا في علمه فجا بشخصين زعم انهما على وفق مقترح المنصور فلما اختبرهما لم يجدهما كما وصف فكتب الى الذي بهما ظهر الفساد في البر والبحر انتهى وناهيك بهذا دلالة على قوة فطنته ومعرفته رحمه الله رجع الى اخبار السرخسي قال في رحلته لما ذكر السيد ابا الربيع سليمان بن عبد الله

ابن امير

ابن امير المؤمنين عبد المؤمن بن علي وكان في ذلك المدة يلي مدينة سجلماسة وانما اجتمعت به حين قدم الى مراكش بعد وفاة المنصور يعقوب للمبايعة لولده محمد فرايته شيخا بهي المنظر حسن المخبر فصيح العبارة باللغتين العربية والبربرية ومن كلامه في جواب رسالة الى ملك السودان بغانة ينكر عليه تعويق التجار قوله نحن نتجاور بالاحسان وان تخالفنا في الاديان • ونتفق في السيرة المرضية • ونتالف على الرفق بالرعية • ومعلوم ان العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة • والجور لا يعانيه الا النفوس الشريرة الجاهلة وقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده وتردد الجلابة الى البلد مفيد لسكانها • ومعين على التمكن من استيطانها • ولو شينا لاحتبسنا من في جهاتنا من اهل تلك الناحية لكنا لا نستصوب فعله • ولا ينبغي لنا ان ننهى عن خلق وناتي مثله • والسلام ووقع الى عامل له كثرت الشكاوى منه قد كثرت فيك الاقوال واغضائي عنك رجاء ان تتيقظ فتنصلح الحال • وفي مبادرتي الى ظهور الانكار عليك نسبة الى شر الاختيار وعدم الاختبار • فاحذر فانك على شفا جرف هار ومن شعره المشهور

قصيدة يمدح فيها ابن عمه المنصور يعقوب

هبت بنصركم الرياح الاربع • وجرت بسعدكم النجوم الطلع •
واستبشر الفلك الاثير تيقنا • ان الامور الى مرادك ترجع •
وامدك الرحمن بالفتح الذي • ملا البسيطة نوره المتشعشع •
لم لا وانت بذلت في مرضاته • نفسا تقدمها الخلايق اجمع •
ومضيت في نصر الاله مصمما • بعزيمة كالسيف بل هي اقطع •
لله جيشك والصوارم تنتضى • والخيل تجري والاسنة تلمع •
من كل من تقوى الاله سلاحه • ما ان له غير التوكل مفزع •
لا يسلمون الى النوازل جارهم • يوما اذا اضحى الجوار يضيع •

يقول فيها ويصف انهزام العدو •

ان ظن فراره منجى له • فبجهله قد ظن ما لا ينفع •
اين المفر ولا فرار لهارب • والارض تنشر في يديك وتجمع •
اخليفة الله الرضى هنيته • فتح يمد بما سواه ويشفع •
فلقد كسوت الدين عزا شامخا • ولبست منه اثوابا ما لا يخلع •
هيهات يستر الله اودع فيكم • والله يعطي من يشاء ويمنع •
لكم الهدى لا يدعيه سواكم • ومن ادعاه يقول ما لا يسمع •
انتم قبيل من خير الخلايق كلها • فاليك يا يعقوب تومي الاصبع •
ان كنت تتلو السابقين فانما • انت المقدم والخلايق تتبع •
خلها امير المؤمنين مديحة • من قلب صدق لم يشنه تصنع •

وأسلم أمير المؤمنين لأمة • أنت الملاذ بها وأنت المفزع •
فالمدح مني في علاك طبيعة • والمدح من غيري إليك تطبع •
وعليك يا علم الهداة تحية • يفنى الزمان وعرفها يتضوع •

قال لي الفقيه أبو عبد الله محمد القسطلاني دخلت إلى السيد أبي الربيع بقصر سجلماسة وبين يديه أنطاع عليها رؤوس الخوارج الذين قطعوا الطريق على السفار بين سجلماسة وعانة وهو ينكت الأرض بقضيب من الأبنوس ويتمثل

ولا عزو إن كانت رؤوس عداته • جوابا إذا كان السيوف رسائل •

ومات بعد الستمائة رحمه الله انتهى وقال لما هجر أمير المؤمنين يعقوب المنصور وفوق ذلك أن وفد على حضرة الخلافة مراكش فقال جمع من العرب كالغز من بلاد المشرق ونزلوا فسقفت من الكش واستأذنوا في وقت الدخول فكتب إلى المنصور •

يا كعبة الجود التي حجت لها • عرب الشآم وغزها والديلم •
طوبى لمن أمسى يطوف ببابها • ويحل بالبيت الحرام ويحرم •
ومن العجائب أن يفوز بنظرة • من بالشآم ومن بمكة يحرم •

فعفى عنه واحسن إليه وأمره بالدخول بهم والتقدم عليهم انتهى وقال في المغرب في حق السيد أبي الربيع المذكور ما ملخصه لم يكن في بني عبد المؤمن مثله في هذا الشأن الذي نحن بصدده وكان يتقدم على ملوكهم بمجالسه ومجالده وكان كاتبا شاعرا أديبا ماهرا وشعره مدون وله ألغاز وهو القائل في جارية اسمها الوق

خليلي قولا أين قلبي ومن به • وكيف بقاء المرء من بعد قلبه •
ولو شئتما الاسم الذي قد هويته • لصحفتما أمري لكم تجد قلبه •

وله الأبيات المشهورة التي منها

أقول لركب أدلجوا بسحيرة • قفوا ساعة حتى أزور ركابها •
وأملأ عيني من محاسن وجهها • وأشكو إليها إن أطاق عتابها •
فإن هي جادت بالوصال ونعمت • وإلا فحسبي أن رأيت قبابها •

وقال يخاطب ابن عمه يعقوب المنصور

فلا ملأت الخافقين بذكركم • ما دمت حيا قاطنا ومرتحلا •
ولا بد أن يضحي لكم جهد ودنا • جهد المقل وما عسى أن أفعلا •
وأخلص لك الدعاء وما أنا • أهل له ولعله أن يقبلا •

وله مختصر كتاب الأغاني انتهى مرجع وذكر الشرحبي أيضا في رحلته السيد أبا الحسن علي بن عمر بن أمير المؤمنين عبد المؤمن وقال في حقه إنه كان من أهل الأدب والظرف وولي بجاية مدة ثم عزل لعنها لإهماله وأفعاله وانهماكه في علاته أنشدني محمد بن سعيد المهدوي كاتبه قال كتب الأمير أبو الحسن إلى أمير المؤمنين يعقوب يمدحه ويستنزله ويطلب

منه ما

منه ما يقتضي به ديونه

وجوه الأماني بكم مسفرة • وضاحكة لي مستبشرة •
ولي أمل فيكم صادق • قريب عسى الله قد يسره •
على ديون وتصحيفها • وعندكم الجود والمغفرة •

يعني ذنوب وحدثني الشيخ أبو الحسن بن قشتالة الكاتب وقد أنشدته •

أوحشتني ولو اطلعت على الذي • لك في ضميري لم يكن لك موحشا •

فقال أنشدته هذا البيت في مجلس السيد أبي الحسن فقال لي ولمن حضر هل تعرفون لهذا البيت ثانيا فما فينا من عرفه فأنشدنا

أترى رشيت على اطراح مودتي • ولقد عهدتك ليس تشبك الرشا •
• أوحشتني البيت انتهى

وقال في المغرب في حق السيد المذكور ما ملخصه كان هذا السيد أبو الحسن قد ولي مملكة تلمسان وبجاية وله حكايات في الجود برمكية ونفس عالية زكية كتب إليه السيد أبو الربيع يوم جمعة

اليوم يوم جمعة • يوم سرور ودعه •
وشملنا مفترق • فهل ترى أن نجمعه •

فأجابه بقوله

اليوم يوم الجمعة • وربنا قد رفعه •
والشرب فيه بدعة • فهل ترى أن ندعه •

قال ولفظة السيد في المغرب بذلك العصر لا تطلق إلا على بني عبد المؤمن السيد أبا محمد عبد الله صاحب فاس وله من أبيات في الفخر وقد انتحلها غيره

ألست ابن من يخشى الليالي انتقامهم • وترجو نداهم غاديات السحائب •
يخطون بالخطي في حومة الوغى • سطور المنايا في نحور الكتائب •
كأنا بأطراف العوالي ونقشه • دم القلب مشكولا بنضح الترائب •
وما كنت أدري قبلهم أن معشرا • أقاموا كتابا من نفوس الكتائب •

وأنشدني المقدم الأمير أبو زيد بن يكيت قال أنشدني بعض السادة من بني عبد المؤمن

فديت من أصبحت في أسره • وليس لي من حكمه فادي •
أنزل يوما واديا كان لي • جنة عدن وكذلك الوادي •

ثم ذكر رحمه الله جملة من علماء الأندلس والمغرب لقيهم في هذه الرحلة ومن نظم الشرحبي المذكور

قوله • ساهر المقلة لا عن كرا • غفلت عن هجعي وأوصابي •
• لو لم يكن وجهك لي قبلة • ما أصبح الحاجب محرابي •

وكان متفننا في العلوم وهو عم الأمراء الوزراء الرؤساء فخر الدين وإخوته ومن مصنفاته المسالك والممالك وعطف الرمل في التاريخ وله أمالي وتخاريج وقدمه المنصور صاحب

المغرب على جماعة وتوفي رحمه الله بدمشق ودفن في مقابر الصوفية عند المنيبع وكان عالي
الهمة شريف النفس قليل الطمع لا يلتفت الى احد رغبة في دنياه لا من اهله ولا من غيرهم
وذكره صاحبا المرآة وغيره وترجمته واسعة رحمه الله **ومنهم** الوزير ابو الفضل محمد
ابن عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث بن اسد بن الليث بن سليمان بن الاسود بن سفيان
التميمي الدارمي البغدادي سمع من ابي طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص وغيره وخرج من بغداد
رسولا عن امير المؤمنين القائم بامر الله العباسي رضي الله عنه الى صاحب افريقية المعز بن
باديس واجتمع مع ابي العلا المعري بالمعرة وانشده قصيدة لامية يمدح بها صاحب
حلب ثقيل عتبيه وقال انه اتت من ناظم وخرج من افريقية من اجل فتنة العرب وخيم
عند المامون بن ذي النون بطليطلة وله فيه امداح كثيرة **ومن نوادر شعره قوله**

• يا ليل الا انجليت عن فلق • طلت ولا صبر لي على الارق •
• جفت لحاظي للتغميض فيك فما • تطبق اجفاني على الحدق •
• كانني صورة ممثلة • ناظرها الدهر غير منطبق •

وقال

• يزرع وردا ناضرا ناظري • في وجنة كالقمر الطالع •
• امتنع ان اقطف ازهاره • في سنة المتبوع والتابع •
• فلم منعتم شفتي قطفها • والحكم ان الزرع للزارع •

هكذا نسبها له غير واحد كابن سعيد ونعضهم بينسبها للقاضي عبد الوهاب
قلت وقد اجاب عنها بعض المغاربة بقوله

• سلمنا ان الحكم ما قلتم • وهو الذي نص عن الشارع •
• فكيف تبغي شفة قطفه • وغيرها المدعو بالزارع •

ورده شيخ شيوخنا الامام الحافظ ابو عبد الله التنسي ثم التلمساني بقوله

• في ذي الذي قد قلتم مبحث • اذ فيه ايهام على السامع •
• سلمتم الحكم له مطلقا • وغير ذا نص عن الشارع •

يعني انه يلزم على قول المجيب ان يباح له النظر مطلقا والشرع خلافه **واجاب**
بعض الحنفية بقوله

• لان اهل الحب في حكمنا • عبيدنا في شرعنا الواسع •
• والعبد لا ملك له عندنا • تحققه للسيد المانع •

وهو جواب حسن لا باس به • **ورايت جوابا لبعض المغاربة على غير رويه وهو**

• قل لابي الفضل الوزير الذي • باهى به مغربنا المشرق •
• غرست ظلما واردت الجنا • وما لعرق ظالم حق •

قلت وهذا مما يعين ان الابيات لابي الفضل الدارمي المذكور في الذخيرة لا للقاضي عبد الوهاب

والله اعلم

والله اعلم ومن شعر الوزير المذكور **قوله**

• بيت كريم منزل واسع • والود للغريب الشاسع •
• والبيت ان ضاق عن ثمانية • متسع بالود للتاسع •

ولد رحمه الله سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وهو من بيت علم وادب قال الحميدي اخبرني
بذلك ابو عمر رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث وتوفي بطليطلة سنة ٤٥٥
وقال ابن حيان توفي في ليلة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من شوال سنة ٤٥٤ في كنف المامون
يحيى بن ذي النون وذكر انه كان يتهم بالكذب فالله اعلم بحقيقة الامر وقال ابن ظافر في
كتابه بدائع البداية ما نصه حضر ابو الفضل الدارمي البغدادي مجلس المعز بن باديس
وبالمجلس سنق وسيم قد مسك عذاره ورد خديه • وتجرت عينيه تفعل في الندامى فعل
عينيه فامره المعز بوصفه فقال بديهيا

• ومعذر نقش الجمال بمسكه • خدا له بدم القلوب مضرجا •
• لما تيقن ان سيف جفونه • من نرجس جعل النجاد بنفسجا •

وقوله في جارية تبخرت بالند

• ومخطوطة المتنين مهضومة الحشا • منعمة الارداف تدمى من اللمس •
• اذا ما دخان الند من جيبها علا • على وجهها ابصرت غيما على شمس •

وقوله

• لا عززت بمهجتي في حبه • غرزا يطيل مع الخطوب خطابي •
• ولئن تعززت عندي ذلة • تستعطف الاعداء للاحباب •

وقوله

• دعتني عيناك نحو الصبا • دعاء تكرر في كل ساعة •
• ولولا وحقك عذر المشيب • لقلت لعينيك سمعا وطاعة •

وقد تمثل بهذين البيتين لسان الدين بن الخطيب في خطبة تاليفه المسمى بروضة التعريف
بالحب الشريف وقال ابو الفضل الدارمي المذكور ايضا

• سطا الفراق عليهم غفلة فغدوا • من جوره فرقا من شدة الفرق •
• فرق شرقوا واشوا في مغربة • يا بعد ما نزحت عن طرفهم طرقي •
• لولا تداركك دمع يوم كاظمة • لاحرق الركب ما ابديت من حرقي •
• يا سارق القلب جهرا غير مكترث • امنت في الحب ان يعدى على السرق •
• ارفق بعينك لرضى تعيش بها حقه • قبل المنية ما ابقيت من رمقي •
• لم يبق مني سوى لفظ يبوح بما • القى فيا عجبا للفظ كيف بقي •
• صلني اذا شئت او فاهجر علانية • فكل ذلك محمول على الحدق •
• تذكر نجدا والحمى فبكى وجدا • وقال سقى الله الحمى وسقى نجدا •

وقال

وهبت انفاس الخزامى عشية • فهاجت الى الوجد القديم به وجدا
فاظهر سلوانا واضمر لوعة • اذا طفيت نيرانها وقدت وقدا
ولو انه اعطى الصبابة حكمها • لابدى الذى اخفى واخفى الذى ابدا

وقال ايضا

تلك للملفى على الخدين من ورد جمارا
اسبل الصدغ على • خدك من مسك عذارا
ام اغار الليل حتى • فهر الليل النهارا
قال ميدان جرى الحسن عليه فاستدارا
ركضت فيه حيوت • فاثارته غبارا

وقال

وشادن اشرف فى صدره • وزاد فى التيه على عبده
الحسن قد دب على خده • بنفسجا برهو على ورده
رايته يكتب فى طرزه • خطا يبارى الدر من عقده
فخلت ما قد خطه كفه • للحسن قد خط على خده

وقال

انى عشقت صغيرا • قد دب فيه الجمال
وكاد يفشى حديثا • فضول منه الدلال
لو مر فى طرق الهجر لاعتراه ضلال
يريك بدرا منيرا • فى الحسن وهو هلال

وقال رحمه الله

ظبى اذا حركت اصداغه • لم يلتفت الخلق الى العطر
اعنى بشعرى منشد البيتين اللفظ الذى اودعه شعرى
فكلما كرر انشاده • قبلته فيه ولم يدرى

وقال

اينفع قولى اننى لا احبه • ودمعى بما يمليه وجدى يكتب
اذا قلت للواشين لست بعاشق • تقول لهم فيض المدامع تكذب

وقال

وهبنى قد انكرت حبك جملة • واليت انى لا اروم مخطها
فمن اين لى فى شهادة • شقامى املاها ودمعى خطها

وقال

انا اخشى اذ دام ذا الهجران يبسط من جبه غفال وثاقى

فارح

فارح الفؤاد مما نراه • واود الهوى على العشاق

وقال

كلانا لعمرى ايبان من الهوى • فنارك من جمر ونارى من جمر
فانت على ما قد تقاسين من اذى • وصدرى فى نار ونارى فى صدرى

وقال

ومن عجب العشق ان القتيل • يجن ويصبو الى القاتل

وقال

الم اجعل منار النقع بحرا • على ان الجياد له سفين

وقال

اصبحت احلب تيسا لا مدر له • والتيس من ظن ان التيس محلوب

واما الحكيم ابو محمد المصرى وهو الفايل رحمه الله تعالى

رعى الله دهرا قد نعمنا بطيبه • ليا ليه من شمس الكوس اصايل
ونرجسنا درع على النهر جامد • وسترتنا نهر على الدر سايل

فقد ترجمه فى الذخيرة فليراجع فان الذخيرة عزيزة فى البلاد المشرقية وقد كان عندى بالمغرب من هذا النوع ما استغنى به فخلفته هنالك والله يلم الشمل وقد ذكر فيها انه سافر الى مصر فقيل له المصرى لذلك فليعلم والله اعلم ومن الوافدين الى الاندلس اشهب بن العضد الخواسانى قال ابن سعيد انشدنا لما وفد على ابن هود فى اشبيلية قصيدة ابن البنيه

طاب الصبوح لنا فهاك وهات • وادعاها وفيهما
فى روضة غنا تغنى طيورها • وغصونها تمتز على الفات

ولم اجد هذا البيت فى قصيدة ابن البنيه انتهى ومن الوافدين على الاندلس ابن المشرف ابو الحسن البغدادى الفكيك وهو مذكور فى الذخيرة وكان حلو الجواب مليح النادر يضحك من حضر ولا يضحك هو اذا ندر وكان قصيرا دميما قال ورايته يوما وقد لبس طاقا احمر على بياض وفى راسه طرطور اخضر عمم عليه عمة لازوردية وهو بين يدى المعتمد بن عباد ينشد شعرا قال فيه

فانت سليمان فى ملكه • وبين يديك انا الهدهد

وانشد له فى المعتمد

ابا القاسم الملك المعظم قدره • سواك من الاملاك ليس يعظم
لقد اصبحت حمص بعدلك جنة • وقد بعدت عن ساكنيها جهنم
ولى كالربع عاما واشهرا • ازخرف اعلام الثناء وارقم
وانقضت ما اعطيتنى نفقة • او تمل فالدنيا وعندى درهم
وقلبى الى بغداد يصبو واننى • لسر صبا ما ذا بها اتنسم

وقال

وروى على ربع العقيق دموعه   عقيقا فيهما نوؤه ثم تزيد
شهدت وما تغني شهادة عاشق   بان قتيل الغانيات شهيد

ومنها

اذا قابلوه قبلوا ترب ارضه   وهم للعلاء ركع وسجود
وقد هز منه الله للملك صارما   تقام بحدي شفرتيه حدود

وقال

لا بت خالي عن سنة الكرى   ولا اصغ يوما في هواه الى العذل

ومنها

تملكت رقي بالعوارف منعما   واغنيتني بالجود عن كل ذي فضل
وانسيتني ارض العراق ودجلة   وريحي حتى ما احن الى اهلي

ومنها

كان بقايا الطل فوق جفونها   دموع التصابي حزن في الاعين النجل

وقال في المعتمد ابن هود

لعزك ذلت ملوك البشر   وعفرت تيجانهم في العفر
واصبحت اخطرهم بالقنا   واركبهم لجواد الخطر
سهرت وناموا عن المأثرات   فما لهم في المعالي اثر
وحليت في جيد صلى الملوك   فكل بذيل المنى قد عثر

ومنها

وانتم ملوك اذا شاجروا   اظلهم من قنا هم شجر

وقال الفكيك من قصيدة

غنى حسامك في رجاء قرطبة   صوتا اباد العدا والليل معتكر
حيث الدماء مدام والفتى زهر   والقوم صرعى بكاس الحتف قد سكروا

وكان مشهورا بالهجا وله في نعيب بغداد وكانت في عنفقة غدة

يلع الامانة فهي في حلقومه   لا ترتقي صعدا ولا تتنزل

وقال في ناصر الدولة حمدان

ولئن غلطت بان مدحتك طالبا   جدواك مع علمي بانك باخل
فالدولة الغرا قد غلطت بان   سمتك ناصرها وانت الخاذل
ان تم امرك مع يديك اصبحت   شلاء فالامثال شيء باطل

ومما ينسب اليه وقيل لغيره

ووعدتني وعدا حسبتك صادقا   فجعلت من طمعي آجي واذهب

فاذا

فاذا اجتمعت انا وانت بمجلس   قالوا مسيلمة وهذا اشعب

ومنهم ابراهيم بن سليمان الشامي دخل الاندلس من المشرق في اخريات ايام الحكم شاديا للشعر وهو من موالي بني امية ولم ينفق على الحكم وتحرك في ايام ولده الامير عبد الرحمن فنفق عليه ووصله ثم في ايام الامير محمد بن عبد الرحمن وكان ادرك بالمشرق كبار المحدثين كابي نواس وابي العتاهية ومن شعره ما كتب به الى الامير عبد الرحمن

يا من تعالى من امية في الذرى   قدما فاصبح عالي الاركان
ان الغمام غياثه في وقته   والغيث من كفيك كل اوان
فالغيث قد عم البلاد واهلها   وظلمت بينهم فتيل لسان

وله في الامير عبد الرحمن بن الحكم

ومن عبد شمس بالمكارم عصبة   فاسعدها الرحمن حيث احلها
دحا تحتها مهدا من الحزم بينا   ومد جناحا فوقها فاظلها

ومنهم ابو بكر بن الازرق وهو محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن حامد بن موسى بن العباس ابن محمد بن يزيد وهو الحصني بن محمد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان من اهل مصر خرج من مصر سنة وصار الى القيروان وامتحن بها الشيعة واقام محبوسا بالمهدية ثم اطلق ووصل الى الاندلس سنة فاحسن اليه المستنصر بالله الحكم وكان اديبا حكيما سمع من خاله ابي بكر احمد بن مسعود الزهري وولد سنة بمصر وتوفي بقرطبة في ذي القعدة سنة رحمه الله ومن الواردين الى الاندلس من المشرق رئيس المغنين ابو الحسن علي بن نافع الملقب بزرياب مولى امير المؤمنين المهدي العباسي قال في المقتبس زرياب لقب غلب عليه ببلده من اجل سواد لونه مع فصاحة لسانه وحلاوة شمائله شبه بطائر اسود غرد عندهم وكان شاعرا مطبوعا وكان ابنه احمد قد غلب عليه الشعر ايضا وكان من خبره في الوصول الى الاندلس انه كان تلميذا لاسحاق الموصلي ببغداد فتلقف من اغانيه استراقا وهو من فهم الصناعة وصدق العقل مع طيب الصوت وصورة الطبع الى ما فاق به اسحاق واسحاق لا يشعر بما فتح عليه الى ان جرى للرشيد مع اسحاق خبره المشهور في الاقتراح عليه بمغن غريب مجيد للصنعة لم يشتهر مكانه اليه فذكر له تلميذه هذا وقال انه مولى لكم وسمعت له نزعات حسنة ونغمات رائقة ملتاطة بالنفس اذ انا وقفته على ما استغربته منها وهو من اختراعي واستنباط فكري واحدث ان يكون له شان فقال الرشيد هذا طلبتي فاحضرنيه لعل حاجتي عنده فاحضره فلما كلمه الرشيد اعرب عن نفسه باحسن منطق واوجز خطاب رسالة عن معرفته بالغنا فقال نعم احسن منه ما يحسنه الناس واكثر ما احسنه لا يحسنونه مما لا يحسن الا عندك ولا يدخر الا لك فان اذنت غنيتك ما لم تسمعه اذن قبلك فامر باحضار عود استاذه اسحاق فلما ادني اليه وقف عن تناوله وقال لي عود نحته بيدي وارهفته باحكامي لا ارتضي غيره وهو بالباب فليأذن لي امير

المؤمنين في استدعائه فامر بادخاله اليه فلما مثل للرشيد وكان شبيههما بالعود لذة
دفعه قال له ما منعك ان تستعمل عود استاذك فقال له ان كان مولاي يرغب في غنا
استاذي غنيته بعوده وان كان يرغب في غناي فلابد لي من عودي فقال له ما اراهما
الا واحدا فقال صدقت يا مولاي ولا يودي النظر غير ذلك لكن عودي وان كان في قدر
جسم عوده ومن جنس خشبه فهو يقع من وزنه في الثلث ونحوه واوتاري من حرير لم يغزل
بما سخن يكسبها اناثه ورخاوه وبمها ومثلثها اتخذتهما من مصران شبل اسد فلهما في
الترنم والصفا والجهاره والحده اضعاف ما لغيرهما من مصران سائر الحيوان ولها من
قوة الصبر على تاثير وقع المضارب المتعاوره بها ما ليس لغيرها فاستبرعه الرشيد
ووصفه وامره بالغنا فجس ثم اندفع فغناه فقال

يا ايها الملك الميمون طايره . هرون راح اليك الناس وابتكروا .

فاتم النوبه وطار الرشيد طربا وقال لاسحاق والله لولا اني اعلم من صدقك لي على كتمانه
اياك لما عنده وتصديقه لك من انه لم تسمعه قبل لانزلت بك العقوبه لتركك
اعلامي بشانه فخذه اليك واعتن بشانه حتى افرغ له فان لي فيه نظرا فسقط في يد
اسحق وهاج به من دا الحسد ما غلب صبره فخلى بزرياب وقال له يا علي ان الحسد اقدم
الادوا وادواها والدنيا فتانه والشركه في الصناعه عداوه ولا حيله في حسمها
وقد مكرت بي فيما انطويت عليه من اجادتك وعلو طبقتك وقصدت منفعتك فاذا
انا قد اتيت نفسي من مامنها بادنايك وعن قليل تسقط منزلتي وترتقي انت فوقي وهذا
ما لا اصاحبك عليه ولو انك ولدي ولولا رعيي لذمه تربيتك لما قدمت شيا على ان
اذهب نفسك يكون في ذلك ما كان فتخير في ثنتين لا بد منهما اما ان تذهب عني في
الارض العريضه لا اسمع بخبرك بعد ان تعطيني على ذلك الايمان الموثقه وانهضك
لذلك بما اردت من مال وغيره واما ان تقيم على كرهي ورغمي مستهدفا الي فخذ الان
حذرك مني فلست والله ابقي عليك ولا ادع اغتيالك باذلا في ذلك بدني ومالي فاقض
قضاك فخرج زرياب لوقته وعلم قدرته على ما قال واختار الفرار قدامه فاعانه اسحاق
على ذلك سريعا وراش جناحه فرحل عنه ومضى يبغي مغرب الشمس واستراح قلب اسحق
منه وتذكره الرشيد بعد فراغه من شغل كان منغمسا فيه فامر اسحاق بحضوره فقال
ومن لي به يا امير المومنين ذاك غلام مجنون يزعم ان الجن تكلمه وتطارحه ما يزهى به من
غنائه فما يرى في الدنيا من يعدله وما هو الا ان ابطات عليه جايزة امير المومنين وترك
استعادته فقدر التقصير به والتهوين بصناعته فرحل مغاضبا ذاهبا على وجهه
مستخفيا عني وقد صنع الله في ذلك لامير المومنين فانه كان به لمم يغشاه ويفرط خبطه
فيفزع من راه فسكن الرشيد الى قول اسحاق وقال لما كان به فقد فاتنا منه سرور كثير
ومضى زرياب الى المغرب فغشي بالمشرق خبره اذ لم يكن اسمه شهر هنالك شهرته بالصنعة

الذى قطنه

الذى قطنه ونزعت اليه نفسه وسمت به همته فام امير المومنين بالاندلس الحكم ابن
هشام فكتب اليه وخاطبه وذكر له نزوعه اليه واختياره اياه ويعلمه بمكانه من الصناعه التي
ينتحلها ويسله الاذن في الوصول اليه فسر الحكم بكتابه واظهر له اليمن لرغبته فيه والتطلع
اليه واجمل الموعد مما تمناه فسار زرياب نحوه بعياله وولده وركب بحر الزقاق الى
الجزيرة الخضرا فلم يرعه بها حتى توالت عليه الاخبار بوفاة الحكم فهم بالرجوع الى العدوه
وكان معه منصور اليهودي المغني رسول الحكم اليه فثناه عن ذلك ورغبه في قصد
القايم مكان الحكم وهو عبد الرحمن ولده وكتب اليه بخبر زرياب فجاه كتاب عبد الرحمن
يذكر تطلعه اليه والسرور بقدومه عليه وكتب الى عماله على البلاد ان يحسنوا اليه
ويوصلوه الى قرطبه وامر خصيا من اكابر خصيانه ان يتلقاه ببغال وبغال ذكور واناث
والات حسنه فدخلوا واهله البلد ليلا صيانه للحرم وانزله في دار من احسن الدور
وحمل اليها جميع ما يحتاج اليه وخلع عليه وبعد ثلاثة ايام استدعاه وكتب له في كل شهر
بمايتي دينار راتبا وان يجري على بنيه الذين قدموا معه وكانوا اربعه عبد الرحمن وجعفر
وعبيد الله ويحيى عشرون دينارا لكل واحد منهم كل شهر وان يجري على زرياب من المعروف
العام ثلاثة الاف دينار منها لكل عيد الف دينار ولكل مهرجان ونوروز خمسماية دينار
وان يقطع له من الطعام العام ثلاثماية مد ثلثاها شعير وثلثها قمح واقطعه من الدور
والمستغلات بقرطبه وبساتينها ومن الضياع ما يقوم باربعين الف دينار فلما قضى
له سوله وانجز موعوده وعلم انه قد ارضاه وملك نفسه استدعاه فبدا بمجالسته
على النبيذ وسماع غنائه فما هو الا ان سمعه فاستهواه . واطرح كل غنا سواه . واحبه
حبا شديدا وقدمه على جميع المغنين وكان اذا خلا به اكرمه غايه الاكرام وادنى منزلته
وبسط امله وذاكره في احوال الملوك وسير الخلفا ونوادر العلما فحرك منه بحرا زاخرا
عليه مده فاعجب الامير به وراقه ما اورده وحضر وقتا لطعام فشرفه بالاكل معه واكابر
ولده ثم امر كاتبه بان يجدد له صكا بما ذكرناه انفا ولما ملك قلبه واستولى عليه حبه
فتح له بابا خاصا يستدعيه منه متى اراده وذكر ان زريابا ادعى ان الجن كانت تعلمه كل
ليله ما بين نوبه الى صوت واحد فكان يهب من نومه سريعا فيدعو بجاريتيه غزلان
وهنيده فياخذان عودهما وياخذ هو عوده فيطارحهما ليلته ويكتب الشعر ثم يعود
مجذلا الى مضجعه وكذلك يحكى عن ابراهيم الموصلي في لحنه البديع المعروف بالماخوري ان الجن
طارحته اياه والله اعلم بحقيقه ذلك وزاد زرياب بالاندلس في اوتار عوده وترا
خامسا اختراعا منه اذ لم يزل العود ذا اربعة اوتار على الصنعه القديمه التي قوبلت
بها الطبايع الاربع فزاد عليها وترا خامسا احمر متوسطا فاكتسب به عوده الطف
معنى واكمل فايده وذلك ان الوتر صبغ اصفر اللون وجعل في العود بمنزله الصفرا من
الجسد وصبغ الوتر الثاني بعده احمر وهو من العود بمكان الدم من الجسد وهو في الغلظ

ضعف الزير ولذلك سمي مثنى وصبغ الوتر الرابع اسود وجعل ضعف المثنى في الغلظ فلذلك سمي المثلث فهذه الاربعة من الاوتار مقابلة للطبائع الاربع يقتضي طبائعها بالاعتدال فالبم حار يابس يقابل المثنى وهو حار رطب وعلته تشوبه والزير حار يابس يقابل المثلث وهو حار رطب فقوبل كل طبع بضده حتى اعتدل واستوى كاستواء الجسم باخلاطه الا انه عطل من النفس والنفس مقرونة بالدم فاضاف زرياب من اجل ذلك الى الوتر الاوسط الدموي هذا الوتر الخامس الاحمر الذي اخترعه بالاندلس ووضعه تحت المثلث وفوق المثنى فكمل في عوده قوى الطباع الاربع وقام الخامس المزيد مقام النفس في الجسد وهو الذي اخترع بالاندلس مضراب العود من قوادم النسر معتاضا به من مرهف الخشب فاع في ذلك للطف قشر الريشة ونقائه وخفته على الاصابع وطول سلامة الوتر على كثرة ملازمته اياه وكان زرياب عالما بالنجوم وقسمة الاقاليم السبعة واختلاف طبائعها واهويتها وتشعب بحارها وتصنيف بلادها وسكانها مع ما سنح له من قوة الموسيقى مع حفظه لعشرة الاف مقطوعة من الاغاني بالحانها وهذا العدد من الالحان غاية ما ذكره بطليموس واضع هذا العلوم ومؤلفها وكان زرياب قد جمع الى خصاله هذه الاشتراك في كثير من ضروب الظرف وفنون الادب ولطف المعاشرة وحوى من اداب المجالسة وطيب المحادثة ومهارة الخدمة الملوكية ما لم يجده احد من اهل صناعته حتى اتخذه ملوك اهل الاندلس وخواصهم قدوة فيما سنه لهم من ادابه واستحسنه من اطعمته فصار الى اخر ايام اهل الاندلس منسوبا اليه معلوما به فمن ذلك انه دخل الى الاندلس وجميع من فيها من رجل او امراة يرسل جمته مفروقا وسط الجبين عاما للصدغين والحاجبين فلما عاين ذوو التحصيل تحذيفه هو وولده ونساؤه لشعورهم وتقصيرها دون جباههم وتسويتها مع حواجبهم وتدويرها الى اذانهم واسدالها الى اصداغهم حسبما عليه اليوم الخدم الخصيان والجواري هوت اليه افئدتهم واستحسنوه ومما سنه لهم استعمال المرتك المتخذ من المرداسنج لطرد ريح الصنان من مغابنهم ولا شي يقوم مقامه وكانت ملوك الاندلس تستعمل قبله ذرور الورد وزهر الريحان وما شاكل ذلك من ذوات القبض والبرد فكانوا لاتساخ ثيابهم من وضره فدلهم على تصعيدها بالملح وتبييض لونها فلما جربوه احمدوه جدا وهو والمرتك جني نقلة الكمليون المسماة بلسانهم الاسفراج ولم يكن اهل الاندلس يعرفونها قبله، ومما اخترعوه من الطبيخ اللون المسمى عندهم بالتفايا وهو مصطنع بماء الكزبرة الرطبة محلى بالسنبوسق والكباب ويليه عندهم لون التقلية المنسوبة الى زرياب ومما اخذه عنه الناس بالاندلس تفضيله انية الزجاج الرفيع على انية الذهب والفضة وايثاره فرش انطاع الاديم اللينة الناعمة على ملاحف الكتان واختياره سفر الاديم لتقديم الطعام فيها على الموائد الخشبية اذ الوضر يزول عن الاديم باقل مسحه وليسه كل صنف من الثياب في زمانه الذي يليق

به فانه

به فانه راى ان يكون ابتداء الناس للبس البياض وخلعهم الملون من يوم مهرجان اهل البلد المسمى عندهم بالعنصرة الكائن في ست بقين من شهر يونيه الشمسي من شهورهم الرومية فيلبسونه الى اول شهر اكتوبر الشمسي المسمى منها ثلاثة اشهر متوالية ويلبسون بقية السنة الثياب الملونة وراى ان يلبسوا في الفصل الذي بين الحر والبرد المسمى عندهم الربيع من مصبغهم جباب الخز والملحم والمحرر والدراريع التي لا بطائن لها لقربها من لطف ثياب البياض الظهائر التي ينتقلون اليها لخفتها وشبهها بالمحاشي ثياب العامة وكذا راى ان يلبسوا في اخر الصيف وعند اول الخريف المحاشي المروية والثياب المصمتة وما شاكلها من خفائف الثياب الملونة ذوات الحشو والبطائن الكثيفة وذلك عند قرص البرد في الغدوات الى ان يقوى البرد فينتقلون الى اثخن منها من الملونات ويستظهرون من تحتها اذا احتاجوا الى صنوف الفراء واستمر بالاندلس ان كل من افتتح بالغناء فيبدا بالنشيد اول شدوه باي نقر كان ويأتي اثره بالبسيط ويختم بالمحركات والاهزاج تبعا لمراسم زرياب وكان اذا تناول الالقاء على تلميذ يعلمه امره بالقعود على الوساد المدور المعروف بالمسورة وان يشد صوته جدا اذا كان قوي الصوت فان كان لينه امره ان يشد على بطنه عمامة فان ذلك مما يقوي الصوت ولا يجد متسعا في الجوف عند الخروج على الفم فان كان الص الاضراس لا يقدر على ان يفتح فاه او كانت عادته زم اسنانه عند النطق راضه بان يدخل في فيه قطعة خشبة عرضها ثلاث اصابع يبيتها في فمه ليالي حتى ينفرج فكاه وكان اذا اراد ان يختبر المطبوع الصوت المراد تعليمه من غير المطبوع امره ان يصيح باقوى صوته يا حجام او يصيح آه ويمد بها صوته فان سمع صوته بها صافيا نديا قويا مؤديا لا يعتريه غنة ولا حبسة ولا ضيق نفس عرف ان سوف ينجب واشار بتعليمه وان وجد خلاف ذلك ابعده وكان لزرياب من الولد ثمانية عبد الرحمن وعبيد الله ويحيى وجعفر ومحمد وقاسم واحمد وحسن ومن الاناث ابنتان علية وحمدونة وكلهم غنى ومارس الصناعة واختلفت بهم الطبقة فكان اعلاهم عبيد الله ويتلوه عبد الرحمن لكنه ابتلي من فرط التيه وشدة الزهو وكثرة العجب بغنائه والذهاب بنفسه بما لم يكن له شبه فيه وقلما يتسع مجلس حضوره من كدر يحدثه ولا يزال يجترئ على الملوك ويستخف بالعظماء ولقد حمله سخفه على ان حضر يوما مجلس بعض الاكابر الاعاظم في انس قد طرب به سروره وكان صاحب انس تغلب عليه اللذة فاستدعى بازيا كان يكلف به كثير التلذذ لنجابته يمسح اعطافه ويعدل قوادمه ويرتاح لنشاطه فسأله عبد الرحمن ان يهبه له فاستحيى من رده واعطاه اياه مع ظنه به فدفعه عبد الرحمن الى غلامه ليحمله الى منزله واشار اليه فيه بسرار بطلت عليه فمضى لشانه ولم يلبث ان جاءه بطيفورية مغطاة مكرمة بطابع مختوم عليها من فضة فاذا بها لون مصوص قد اتخذ من البازي بعد ذبحه على ما حده لامتثاله وذهب الى الانتقال عليه في شرابه وقال لصاحب المجلس

شاركني في نقلي هذا فانه شريف الموكب بديع الصنعة فلما راه الرجل انكر صفته وعاب
لحمه وساله عنه فقال هو البازي الذي كنت تعظم قدره ولا تصبر عنه فصيرته إلى
تزي فغضب صاحب المنزل حتى ربا في ثوابه وفارقه حلمه وقال له فذا كان والله انهما
الكلب الشعيبة على ما قدرته وما اقتديت فيه الا بكبار الناس المؤثرين لمثله وما استعفيت
فيه الا معظما من قدرك ما صغرت من قدري واظهرت من هوان السند عليك باستحلال
السباع الطير المنهي عنها ولا ادع والله الان تاديبك اذا اهملك ابوك معلم الناس المروة
ودعا له بالسوط وامر بنزع قلنسوته وساط مما منه مائة سوط فاستحسن جميع الناس
فعله به وابدوا الشماتة به وكان يحمد منهم مونتا وكان قاسمهم احدهم غناء مع تجويده
وتزوج الوزير هاشم بن عبد العزيز حمدونة وذكر عبادة الشاعر ان اول من دخل الاندلس
من المغنين علون وزرقون دخلا في ايام الحكم بن هشام فنفقا عليه وكانا محسنين لكن
غناؤهما ذهب لغلبة غناء زرياب عليه وقال عبد الرحمن بن الشمر منجم الامير عبد الرحمن
ونديمه في زرياب

• يا علي بن نافع يا علي • انت انت المهذب اللوذعي •
• انت في الاصل حين يسال عنه • هاشمي وفي الهوى عبشمي •

وقال ابن سعيد وانشد لزرياب والدي في معجمه

• علقتها ريحانة • هيفاء عاطرة نضيرة •
• بين السمينة والهزيلة والطويلة والقصيرة •
• بله ايام لنا • سلفت على دير المطيرة •
• لا عيب فيها للمتيم غير ان كانت يسيره •

انتهى وكان لزرياب جارية اسمها منعة ادبها وعلمها احسن اغانيه حتى شبت وكانت
رائعة الجمال وتصرفت بين يدي الامير عبد الرحمن بن الحكم تغنيه مرة وتسقيه اخرى
فلما فطنت لاعجابه بها ابدت له دلائل الرغبة فابى الا التستر فغنته بهذه الابيات
ونمى لها في طرز بعض الحفاظ

• يا من يغطي هواه • من ذا يغطي النهارا •
• قد كنت املك قلبي • حتى علقت فطارا •
• يا ويلتا اتراه • لي كان او مستعارا •
• يا با بي قرشي • خلعت فيه العذارا •

فلما انكشف لزرياب امرها اهداها اليه فحظيت عنده وكانت حمدونة بنت زرياب
مقدمة في اهل بيتها محسنة لصناعتها متقدمة على اختها علية وهي زوجة الوزير
ابن هشام بن عبد العزيز كما مر وطال عمر علية بعد اختها حمدونة ولم يبق من اهل بيتها
غيرها فافتقر الناس اليها وحملوا عنها وكانت مصابيح جارية الكاتب ابي حفص عمر
ابن قلهيل اخذت عن زرياب الغنا وكانت غاية في الحسن والنبل وطيب الصوت وفيها

يقول

٤٢
415

يقول ابن عبد ربه صاحب العقد وكتب بها الى مولاه

• يا من يضن بصوت الطاير الغرد • ما كنت احسب هذا الضن من احد •
• لو ان اسماع اهل الارض قاطبة • اصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد •

من ابيات فخرج حافيا لما وقف على ذلك وادخله الى مجلسه وتمتع من سماعها رحمهم الله
الجميع وقال علوية كنت مع المامون لما قدم الشام فدخلنا دمشق وجعلنا نطوف
فيها على قصور بني امية فدخلنا قصرا مفروشا بالرخام الاخضر وفيه بركة يدخلها الما
ويخرج منها وفيه بستان وفي القصر من الاطيار ما يغني صوته عن العود والمزمار
فاستحسن المامون ما راى وعزم على الصبوح فدعا بالطعام فاكلنا وشربنا ثم قال غنّ
باطيب صوت واطربه فلم يمر على خاطري غير هذا الصوت

• لو كان حولي بنو امية لم • ينطق رجال اراهم نطقوا •

فنظر الي مغضبا وقال عليك لعنة الله وعلى بني امية فعلمت اني قد اخطات فجعلت
اعتذر من هفوتي وقلت يا امير المؤمنين اتلومني ان اذكر موالي بني امية وهذا زرياب مولاهم
عندهم بالاندلس يركب في اكثر من مائة مملوك وفي ملكه ثلاثمائة الف دينار دون الضياع
واني عندكم اموت جوعا وفي الحكاية طول واختلاف ومحل الحاجة منها ما يتعلق بزرياب
رحم الله الجميع وذكرها الرقيق في كتاب معاقرة الشراب على غير هذا الوجه ونصه
وركب المامون يوما من دمشق يريد جبل الثلج فمر ببركة عظيمة من برك بني امية وعلى جانبها
اربع سروات وكان الماء يدخلها سيحا فاستحسن المامون الموضع ودعا بالطعام والشراب
وذكر بني امية فوضع منهم وتنقصهم فاخذ علوية العود واندفع يغني

• ارى اسرتي في كل يوم وليلة • يروح بهم داعي المنون ويغتدي •
• اولئك قومي بعد عز وثروة • تفانوا فالا اذرف العين اكمد •

فضرب المامون بكاسه الارض وقال لعلوية يا ابن الفاعلة الم يكن لك وقت تذكر مواليك
فيه الا هذا الوقت فقال مولاكم زرياب عند موالي بالاندلس يركب في مائة غلام وانا
عندكم بهذه الحالة فغضب عليه نحو شهر ثم رضي عنه انتهى ونحوه لابن الرقيق في كتاب قطب
السرور وقال في اخر الحكاية وانا عندكم اموت من الجوع ثم قال وزرياب مولى المهدي وصل
الى بني امية بالاندلس فعلت حاله حتى كان كما كان قال علوية انتهى ولما غنى ابن زرياب
بقوله

• ولو لم يشقني الظاعنون لشاقني • حمام تداعت في الديار وقوع •
• تداعين فاستبكين من كان ذا هوى • نوايح ما تجري لهن دموع •

ذيلها عباس بن فرناس بمدح بعض الرؤسا بديهة فقال

• شددت بمحمود يدا حين خانها • زمان لاسباب الرجاء قطوع •
• بنى المساعي الجود والمجد قبلة • اليها جميع الاجودين ركوع •

وكان محمود جوادا فقال له يا ابا القاسم اعز ما يحضرني من الفضة تبقيه فامر له بخمسمائة

وبيارد وهي لك بما فيهما مع كسوتي مدة ونكون في صبيا فتك بقية يومنا ودعا بكسوة
فلبسها ودفع الينا الكسوة ومن الوافدين من المشرق الى الاندلس الامير شعبان
ابن كوجا بن عز الموصل وفد على امير المؤمنين يعقوب المنصور ملك الموحدين فرافع له
امدادا جليلة وقدمه على امارة مدينة بسطة من الاندلس قال ابو عمران بن سعيد انشدني
لنفسه • يقولون ان العدل في الناس ظاهر • ولم ار شيا منه سرا ولا جهرا •
• ولكن رايت الناس غالب امرهم • اذا ما جنى زيد اقادوا به عمرا •
• ولا فهما بال النطاسي كلما • شكوت له يمنى فصد اليسرى •
ومن الوافدين من المشرق على الاندلس ابو اليسر ابراهيم بن احمد الشيباني من اهل بغداد سكن
القيروان ويعرف بالرياضي كان له سماع ببغداد من جلة المحدثين والفقهاء والنحويين لقي
الجاحظ والمبرد وثعلبا وابن قتيبة ولقي من الشعراء ابا تمام والبحتري ودعبلا وابن الجهم
ومن الكتاب سعيد بن حميد وسليمان بن وهب واحمد بن ابي طاهر وغيرهم وهو الذي ادخل افريقية
رسائل المحدثين واشعارهم وطرائف اخبارهم وكان عالما اديبا ومترسلا بليغا ضاربا في كل
علم وادب بسهم وكتب بيده اكثر كتبه مع براعة خطه وحسن وراقته وحكي انه كتب على
كبره كتاب سيبويه كله بقلم واحد ما زال يبريه حتى قصر فادخله في قلم اخر وكتب به حتى فني
بتمام الكتاب وله تواليف منها لقيط المرجان وهو اكبر من عيون الاخبار وكتاب سراج الهدى
في القران ومشكله واعرابه ومعانيه والمرصعة والمدبجة وجال في البلاد شرقا وغربا
من خراسان الى الاندلس وقد ذكر ذلك في اشعار له وكان اديب الاخلاق نزيه النفس كتب
لامير افريقية ابراهيم بن احمد من الاغلب ثم لابنه ابي العباس عبد الله وكان ايام زيادة الله
ابن عبد الله اخر ملوك الاغالبة على بيت الحكمة وتوفي بالقيروان سنة ٢٩٨ في اول ولاية عبيد
الله الشيعي وهو ابن خمس وسبعين سنة وممن لم يذكره المؤرخ الاديب ابو اسحاق ابراهيم
ابن القاسم المعروف بالرقيق وقال ابن سعيد في حقه انه كان اديبا شاعرا مترسلا حسن
التاليف وقدم الاندلس على الامام محمد بن عبد الرحمن وذكر له معه قصة ذكرها ابن الابار
في كتابه افادة الوفادة وحكي ان له مسندا في الحديث وكتابا في القرات سماه سراج الهدى
والرسالة الوحيدة والمونسة وقطب الادب وغير ذلك من الاوضاع قال وكتب لبني الاغلب
حتى انصرمت ايامهم ثم كتب لعبيد الله حتى مات ومن الرواة عنه ابو سعيد عثمان بن
سعيد الصيقل مولى زيادة الله بن الاغلب واسند اليه الحافظ ابن الابار رواية شعر
ابي تمام بان قال قرات شعر حبيب على ابي الربيع بن سالم وقرات جملة منه على ابن عبيرة وناولني
جميعه وحدثني به عن ابي عبد الله بن زرقون عن الخولاني عن ابي القاسم حاتم بن محمد عن ابي غالب
تمام بن غالب بن عمر اللغوي عن ابيه ابي تمام عن ابي سعيد المذكور يعني ابن الصيقل عن ابي اليسر
عن حبيب وهو اسناد غريب انتهى ومنهم ابو اسحاق ابراهيم بن خلف بن منصور الغساني
الدمشقي المعروف بالسنهوري وسنهور من بلاد مصر روى عن ابي القاسم بن عساكر وابي

اليمن الكندي وابي المعالي الفراوي وابي الطاهر الخشوعي وغيرهم قال ابو العباس النباتي
قدم علينا باشبيلية سنة ثلاث وستمائة وسمى جماعة من شيوخه وحكى انه كان
يروي موطا ابي مصعب وصحيح مسلم بعلو وقال ابو سليمان بن حوط الله اجازني وابي
محمدا جميع ما رواه عن شيوخه الذين منهم ابو الفخر فناخسرو بن فيروز الشيرازي وذكر نزوله
بنزول لانه لم يرحل الا بعد وفاة الشيوخ المشاهير بتونس سنة ٦٠٦ واستجزته لابني حسن
فاجازه واباني قال وانصرف من تونس الى المغرب ثم الاندلس وقدم علينا بعد ذلك
مراكش مقفلنا من الاسر فظهر في حديثه عن نفسه تخارف واضطراب وكذب زهد فيه
واثر ذلك انصرف الى المشرق راجعا وقد كان اذ اجازني كتب بخطه جملة من اسانيده
وسمى كتبا منها الموطا والصحيحان وغير ذلك قال وقد تبرات من عهدة جميعه
لما تبين من حاله وحدثني ابو القاسم بن ابي كرامة صاحبنا بتونس ان السنهوري هذا
لما انصرف الى مصر امتحن بملكها الكامل محمد بن العادل ابي بكر بن ايوب لاجل معاداته ابا
الخطاب بن الجميل فضرب بالسياط وطيف به على جمل مبالغة في اهانته انتهى وقال بعض
المورخين في حقه ما نصه الشيخ المحدث الرحالة ابراهيم السنهوري صاحب الرحلة الى
البلاد دخل الاندلس كما ذكره ابن النجار وغيره وهو الذي ذكر لمشايخ الاندلس وعلمائها
ان الشيخ ابا الخطاب بن دحية يدعي انه قرا على جماعة من شيوخ الاندلس القدماء فانكروا
ذلك وابطلوه وقالوا لم يلق هولاء ولا ادركهم وانما اشتغل بالطلب اخيرا وليس
نسبه بصحيح فيما يقوله ودحية لم يعقب فكتب السنهوري محضرا واخذ خطوطهم فيه
بذلك وقدم به ديار مصر فعلم ابو الخطاب بن دحية بذلك فاشتكى الى السلطان منه
وقال هذا ياخذ عرضي ويوذيني فامر السلطان بالقبض عليه فقبض وضرب واشهر على حمار
واخرج من ديار مصر واخذ ابن دحية المحضر وحرقه ولم يزل ابن دحية على قرب من السلطان
الى حين وفاته وبنى له دارا للحديث وهي الكاملية بين القصرين فلم يزل يحدث بها الى
ان مات وقد ذكرنا في ترجمة ابن دحية من هذا الكتاب شيئا من احواله وان الناس فيه معتقد
ومنتقد وهكذا اجرى الله العادة خصوصا في حق الغريب المنتسب للعلم وعند الله تجتمع
الخصوم وممن كان يعلنه ابو المحاسن محمد بن نصر المعروف بابن عنين فانه قال فيه
• دحية لم يعقب فلم تعتزي • اليه بالبهتان والافك •
• ما صح عند الناس شيء سوى • انك من كلب بلا شك •
هكذا ذكر ابن النجار واطال في الوقيعة في الخطاب بن دحية وقال الذهبي قرات بخط
الضياء عنه مما ذكر ابن دحية انه قال لقيته باصبهان ولم اسمع منه شيا واخبرني ابراهيم
السنهوري باصبهان انه دخل المغرب وان مشايخه كتبوا له جرحه وتضعيفه وقد رايت
انا منه غير شيء مما يدل على ذلك وبسببه بنى السلطان الملك الكامل دار الحديث بالقاهرة
وجعله شيخها وقد سمع منه الامام ابو عمرو بن الصلاح الموطا سنة بضع وستمائة واجمع

به عن جماعة منهم ابو عبد الله بن زرقون وقال ابن واصل كان ابو الخطاب مع فرط معرفته
بالحديث وحفظه الكثير منه متهما بالمجازفة في النقل وبلغ ذلك الملك الكامل فامره
ان يعلق شيا على كتاب الشهاب فعلق كتابا تكلم فيه على احاديثه واسانيده فلما وقف
الملك الكامل على ذلك قال له بعد ايام قد ضاع مني ذلك الكتاب فعلق لي مثله ففعل
فجاء في الثاني مناقضة للاول فعلم الملك الكامل صحة ما قيل عنه ونزلت مرتبته عنده
وعزله عن دار الحديث اخيرا وولى اخاه ابا عمرو عثمان وقال ابن نقطة كان ابو الخطاب موصوفا
بالمعرفة والفضل ولم اره الا انه كان يدعي اشيا لا حقيقة لها ذكر لي ابو القاسم بن عبد
السلام وكان ثقة قال نزل عندنا ابن دحية فقال لي احفظ صحيح مسلم والترمذي قال فاخذت
خمسة احاديث من الترمذي وخمسة من المسند وخمسة من الموضوعات فجعلتها في جزء
ثم عرضت عليه حديثا من الترمذي فقال ليس بصحيح واخر فقال لا اعرفه ولم يعرف منها
شيا فافسد نفسه بذلك وقال السبط ابن الجوزي انه كان يتزيد في كلامه وينال المسلمين
ويقع فيهم فترك الناس الرواية عنه وكذبوه وقد كان الملك الكامل مقبلا عليه
فلما انكشف له شانه اخذ منه دار الحديث واهانه وقال العماد بن كثير قد تكلم الناس
فيه بانواع من الكلام ونسبه بعضهم الى وضع حديث في قصر صلاة المغرب وكنت اود ان
اقف على اسناده لنعلم كيف رجاله وقد اجمع العلماء كما ذكره ابن المنذر وغيره على ان صلاة
المغرب لا تقصر واتفق انه وصل في جمادى الاولى سنة ٦١٦ الى غزة فخرج كل من في غزة بالاخشاب
والعصي والحجارة الى الموضع الذي هو فيه وضربوه ضربا شديدا بعد ان انهزم من كان معه
انتهى وقدمنا في ترجمته توثيق جماعة له فربك اعلم بحاله ومنهم عبد الله بن محمد بن آدم
القاري الخراساني رحل من خراسان الى الاندلس يكنى ابا محمد ذكره ابو عمرو المقري وقال
سمعته يقرا مرات كثيرة وكان من احسن الناس صوتا ولم تكن له معرفة بالقراءة ولا دراية
بالاداء انتهى ومنهم عبد الرحمن بن داود بن علي الواعظ من اهل مصر يعرف بالزبراري
يكنى ابا البركات وابا القاسم ويلقب زكي الدين قدم على الاندلس وتجول في بلادها واعظا
ومذكرا وسمع منه الناس بقرطبة واشبيلية ومرسية وبلنسية وادعى الرواية
عن ابي الوقت السجزي والسلفي وابي الفضل عبد الله بن احمد الطوسي وابي محمد بن المبارك
ابن الطباخ وابي الفضل محمد بن يوسف الغزنوي وشهدة الكاتبة بنت الابري وزعم انه قرا
عليها صحيح البخاري وجماعة بالمشرق والاندلس لم يلقهم ولم يسمع منهم وربما حدث بواسطة
عن بعضهم واكثرهم يجهلونه وقد نبه على ذلك في فهرست روايته فزهد اكثر السامعين
منه واطرحوا الرواية عنه ومنهم ابو العباس النباتي وابو عبد الله وابن ابي البقاء
وجمع اربعين حديثا مسلسلة سماها باللالي المفصلة حدث فيها عن ابن بشكوال
وابن غالب والشراط وغيرهما من الاندلسيين الذين لم يلقهم ولا اجازوا له اخذها عنه
ابن الطيلسان وغيره وكان مع هذا فقيها على مذهب الشافعي رضي الله عنه فصيحا مسنا

في فنون العلم سامحه الله انتهى ولا باس ان نذكر جملة من النساء القادمات من المشرق
على الاندلس ثم نعود الى ذكر اعلام الرجال فنقول — من النساء الداخلات الاندلس
من المشرق عابدة المدنية ام ولد حبيب بن الوليد المرواني المعروف بدحون وكانت جارية
سوداء من رقيق المدينة حالكة اللون غير انها تروي عن مالك بن انس امام دار الهجرة وغيره
من علماء المدينة حتى قال بعض الحفاظ انها تروي عشرة الاف حديث وقال ابن الابار انها تسند
حديثا كثيرا وهي ام ولده بشر بن حبيب والذي وهبها لدحون في رحلته الى الحج هو محمد بن يزيد
بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان فقدم بها الاندلس وقد اعجب بعلمها وفهمها واتخذها
لفراشه رحم الله الجميع ومنهن فضل المدنية وكانت حاذقة بالغنا كاملة الخصال واصلها
لاحدى بنات هرون الرشيد ونشات وتعلمت ببغداد ودرجت من هنالك الى المدينة المشرفة
على صاحبها الصلاة والسلام فازدادت ثم طبقتها في الغنا واشتريت هنالك للامير عبد
الرحمن صاحب الاندلس مع صاحبتها علم المدنية وصواحب غيرها اليهن ينسب دار المدنيات
بالقصر وكان يؤثرهن لجودة غنائهن ونصاعة ظرفهن ورقة ادبهن وتضاف اليهن جارية
قلم وهي ثالثة فضل وعلم في الحظوة عند الامير المذكور وكانت اندلسية الاصل رومية من سبي
البشكنس وحملت صبية الى المشرق فوقعت بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم وتعلمت
هنالك الغنا فحذقته وكانت اديبة ذاكرة حسنة الخط راوية للشعر حافظة للاخبار
عالمة بضروب الاداب ومن النساء الداخلات الى الاندلس من المشرق قمر جارية ابراهيم بن
حجاج اللخمي صاحب اشبيلية وكانت من اهل الفصاحة والبيان والمعرفة بصوغ الالحان
وجلبت اليه من بغداد وجمعت ادبا وظرفا ورواية وحفظا مع فهم بارع وجمال رايع و
كانت تقول الشعر بفضل ادبها ولها في مولاها تمدحه فقالت

ما في المغارب من كريم يرتجى • الا حليف الجود ابراهيم
اني حللت لديه منزل نعمة • كل المنازل ما عداه ذميم

وانشد لها السالمي لما ذكرها عدة اشعار منها قولها تتشوق الى بغداد

آها على بغدادها وعراقها • وظبائها والسحر في احداقها
ومجالها عند الفرات باوجه • تبدو اهلتها على اطواقها
متبخترات في النعيم كانما • خلق الهوى العذري من اخلاقها
نفسي الفداء لها فاي محاسن • في الدهر تشرق من سنى اشراقها

ومنهن الجارية العجفاء قال الارفحي قال ابو السائب وكان من اهل الفضل والنسك هل
لك في احسن الناس غناء فجئنا الى دار مسلم بن يحيى مولى بني زهرة فاذن لنا فدخلنا بيتا
عرضه اثنا عشر ذراعا في مثلها وطوله في السماء ستة عشر ذراعا وفي البيت نمرقتان
وقد ذهب عنهما اللحمة وبقي السدى وقد حشيتا بالليف وكرسيان قد تفككا من قدمهما
ثم اطلعت عجفاء كلفاء عليها هروي اصفر غسيل وكان وركيها في خيط من وسخها فقلت

لابي الشايب بابي انت ما هذه فقال اسكت فتناولت عودا فغنت

• بيد الذي شغف الفؤاد بكم • تفريج ما القى من الهم •
• فاستيقني ان قد كلفت بكم • ثم افعلي ما شئت عن علم •
• قد كان صرم في الممات لنا • فعجلت قبل الموت بالصرم •

قال فحسنت في عيني وبدا ما اذهب الكلف عنها وزحف ابو الشايب وزحفت معه ثم تغنت

• برح الخفا فايما بك تكتم • ولسوف يظهر ما تسر فيعلم •
• مما تضمن من عزيز قلبه • يا قلب انك بالحسان لمغرم •
• يا ليت انك يا حسام بارضنا • تلقي المراسي طايعا وتخيم •
• فتذوق لذة عيشنا ونعيمه • ونكون اخوانا فماذا تنقم •

فقال ابو الشايب اي نعم هذا فاعطه الله بلدا وكذا من ابيه ولا يكنى فزحفت مع ابي الشايب حتى فارقنا النمرقتين ورايت العجفا في عيني كما يرى ابو الشوق بها من ثم غنت

• يا طول ليلي اعالج السقما • اذ حل كل الاحبة الحرما •
• ما كنت اخشى فراقكم ابدا • فاليوم امسى فراقكم عزما •

فالقيت طيلساني واخذت شاذكونه فوضعتها على راسي وصحت كما يصاح على اللوبيا بالمدينة وقام ابو الشايب فتناول ربعة كانت في البيت فيها قوارير ودهن فوضعها على راسه وصاح صاحب الجارية وكان الشيخ قوابيني قوابيني يعني قواريري فاصطكت القوارير وتكسرت وسال الدهن على صدر ابي الشايب وصدري وقال للعجفا لقد هجت لي داء قديما ثم وضع الربعة وكنا نختلف اليها حتى بعث عبد الرحمن بن معاوية صاحب الاندلس فابتيعت له العجفا وحملت اليه ومن القادمين على الاندلس من المشرق الشيخ عبد القاهر بن محمد بن عبد الرحمن الموصلي قال ابو حيان قدم علينا رسولا من ملك مصر الى ملك الاندلس فسمعت منه بالمرية انتهى ومنهم احمد بن الحسين بن الحارث بن عمر بن جرير بن ابراهيم بن مالك المعروف بالاشتر بن الحارث النخعي يكنى ابا جعفر دخل الاندلس في ايام الامير محمد بن عبد الرحمن واصله من الكوفة وكان يروي احاديث عظيمة العدد ذكر ذلك الرازي وحكى ان الامير محمد روى عنه منها وانزله بجريه ومنهم احمد بن ابي عبد الرحمن واسمه يزيد بن احمد بن يزيد بن عبد الرحمن القرشي الزهري من ولد عبد الرحمن بن عوف من اهل مصر وفد على الناصر بقرطبة وكان دخوله اليها في محرم سنة ٣٣٤ فاكرم الناصر مثواه وكان يعد من اهل مصر ذكره ابن حيان ومنهم ابو الطاهر اسمعيل بن الاسكندراني لقي ببلده ابا الطاهر السلفي وسمع منه ودرس عليه كتاب الاصطلاح للسمعاني وقدم الاندلس ودخل مرسية تاجرا وكان فقيها على مذهب الشافعي وانشد عن السلفي قوله

• انا من اهل الحديث • وهم خير فئة •
• عشت تسعين وارجو • ان اعيش لمائة •

فعاش

فعاش كما تمنى رحمه الله ومنهم ابو الحسن علي بن محمد بن اسمعيل بن بشر الانطاكي الامام ابو الحسن التميمي نزيل الاندلس ومقرئها ومسندها اخذ القراة عرضا وسماعا عن ابراهيم بن عبد الرزاق ومحمد بن الاخرم واحمد بن يعقوب التايب واحمد بن محمد بن خشيش ومحمد بن جعفر بن بيان وصنف قراءة ورش قرا عليه جماعة منهم ابو الفرج الهيثم الصباغ وابراهيم بن مبشر المقرئ وطايفة اخرون من قراء الاندلس وسمع منه عبد الله بن احمد بن معاذ الداراني قال ابو الوليد بن الفرضي دخل الانطاكي الاندلس عالما جما وكان بصيرا بالعربية والحساب وله حظ من الفقه قرا الناس عليه وسمعت انا منه وكان راسا في القراات لا يتقدمه احد في معرفتها في وقته وكان مولده بانطاكية سنة ٢٩٩ ومات بقرطبة في ربيع الاول سنة ٣٧٧ رحمه الله ومنهم عمر بن محمود بن عمر الفارسي البخاري يكنى ابا البركات ولد ببلماش ونشأ بها وكتب الحديث هنالك وتعلم العربية والفقه وهو من ابناء الملوك وانتقل الى المغرب فدخل الاندلس ونزل مالقة في حدود ثلاثين وستمائة ودخل اشبيلية وكانت له رواية بالمشرق قال ابن الابار اجاز لي ما رواه ولم يسم احدا من شيوخه وكانت له رواية بالمشرق وبلغني انه سمع صحيح البخاري بالدامغان على ابي عبد الله محمد بن محمود وكانت اجازته لي سنة ٦٣٣ وعاش بعد ذلك وتوفي بمراكش بعد الاربعين وستمائة وحدث بالاندلس واخذ عنه الناس وكان من اهل التصرف والتحقق بعلم الكلام رحمه الله ومنهم الشريف الاجل الرحالة الشيخ نجم الدين بن مهذب الدين وكنت لا اتحقق من اي البلاد هو من المشرق ثم اني علمت انه من بغداد ووقفت على كتابين كتبهما في شانه الحنابية (?) الاديب العلامة ابو المطرف احمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي احدهما الى ابي العلا احسان والثاني الى الكاتب ابي الحسن الغسني (?) وهو الذي يفهم منه انه من بغداد ونص الاول

• يا ابن الوصي اذا احملت وصيتي • اوجبت حقا للحقوق يضاف •
• وتحيتي كل التحايا دونها • وكذاك دون رسولها الاشراف •
• احسن بما تلقى ابن حسان بها • مهتزة لورودها الاعطاف •
• كالروض باكره الندا فلعرفها • يا ابن النبي على الندى ينياف •
• وعلاك ان ابا العلا ومكانه • يلقى به الاسعاد والاسعاف •
• واحق من عرف الكرام بوصفهم • من جمعت منهم له اوصاف •

هذا يا سيدي تحية تجب لها اجابة وجيه وتصلح بها هشاشة واريحية اودعتها بطن هذا المجالة وبعثتها مع صدر من ابناء الرسالة ولله دره من راضع در النبوة متنوع مع شرف الابوة نازعته طرق الاشعار واطراف الاخبار فوجدت بحرا حصاه الدر النفيس وروضا يجني منه اطايب الثمر الجليس ونعت بنجم الدين وهو نعته نجم يضيء سناه وبحل بيننا من الشرف رتبة بناه وقد جاب الفضا العريض ورأى القصور الحمر والبيض وورد المجون بعد ما شرب من ماء جيحون وزار مشاهد الحرمين ثم سار الى ارض الرمين وكان

افريقية لهذا الافق مختارا. وعبر الاندلس فاطال بها اعتبارا. وتشوق الى حضرة
الانوار المتناصرة. والنعم السابغة المتضافرة. وجعل قصدها بحجة سفره وطواف
الافاضة. ومهمة انبساط مدد سناها العلوي. ويبصر ما يحقر عنده المرئي والمروي. وهي
غاية يقول الامل عليها اطلت حومي. وجنة يقول الداخل لها يا ليت قومي. وسيدي
موسى بها باب على الفتح بني. وجناب عنان الامل اليه ثني. وقصده من هذا الشريف اجل
قاصد. واطلعته سماء المجد بجمال المشتري وطرف عطارد. ومتى نعتناه فالخبر ليس
كالعيان. ومتى شبهناه فالتمويه بالتشبيه عقوق العقيان. ومن يفصح قريحته بان
يقول لها صفيه لكن يعرف عن نفسه بما البشر في وشح واصفيه. ويقتضي من عزمه بر
ما لا سعة للمتحرج فيه ان شاء الله تعالى وهو يديم علاكم. ويحرس مجدكم سناكم بمنه
والسلام الكريم. الطيب العميم. يخصكم به معظم مجدكم. المعتد بذخيرة ودكم. المحافظ
على كريم عهدكم. ابن خميرة ورحمة الله وبركاته. وفي الرابع والعشرين من الربيع الاخر [illegible]
انتهى ونص الثاني هلك يا سيدي ابا الحسن في مرتبة كل شاهد حسن. في الشرف المنتمى
له فراستنها بالوصي والحسن. ايها الاخ الذي ملكته قيادي. واسكنته فؤادي.
عهدي بك تغتنم الاداب النفيسة. وتشتاق للطائف المشرقية. وتنصف فتريك ان
في مسلنا جفا. وفي مغربنا حفا. وان المحاسن ينبت ارضها بها ولدنا. وزرع وادي ليس
مما عهدنا. وان في هذا اشانعات وانا بعات. وانا اصل من بيا زلك وبيا زعك. وقد
اتانا الله بحجة تقطع الحجج. وتسكت المهج. وهو الشريف الاجل السيد المبارك نجم الدين
ابن مهذب الدين نجل الدرية المختاره. ونجم الدرية السياره. جرى مع زعزع وتسنيم
ورتع في جحيم وهشيم. وشاهد عجائب كل اقليم. وشوقا الى مطلع ابن جلا. وغرب حتى
نزل شاطي سلا. وقد توجه الان الى حضرة الامامة الرشيدية ايدها الله تعالى ليتنهى
من اصابع العدا الى الحفرة. ويحصل من محض الحقيقة على الزبدة. وقد علم انه ما كل الخطيب
كخطبة المنبر. ولا جميع الايام مثل يوم الحج الاكبر. وادبه يا سيدي من نسبة افقه
بل على شكل حسبه وخلقه. فاذا رايته شهدت بان المشرق قد اتحفه امره بغذاذه.
بل رمانا بجملة افلاذه. والحظ فيما يجب من بره وتانيسه. وانما هو في الحقيقة جليسه
فيا غبطة من يسبق لجواره. ويقتبس من انواره. وانت لا محالة تفهمه فهمي. وتشيم
من شيمه عارضا ري القلوب الهيم يهمي. وتضرب في الاخذ من فوايده وقلايده بسهم
وددت انه سهمي والسلام انتهى ومنهم تقي الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين ابي العباس
احمد بن الغرس الحنفي المصري قال الراوي شاهدته غير امر من اعيان مصر فالك وسالته هل يقع
بين اهل مصر تنازع في تفضيل بعض المذاهب على بعض فاجابني بانه لا يقع عندهم
بين اهل الرسوخ في العلم وذوي المعرفة والوهم وانما يصدر هذا بين الناشئين قال
وللحنفية الظهور عليهم حين يقولون لهم لنا عليكم اليد الطولى في الخبز لكونه بمصر

يطبخ في

يطبخ في الفرن بارواث الدواب وكذلك تسخين الحمام فان المالكية وغيرهم بمصر يقلدون
الحنفي في ذلك قال وسالته حفظه الله هل للوباء بمصر وقت معلوم فقال جرت
العادة عندهم بقدرة الله وسره في خليقته ان كل سنة اولها تا مثلثة يكون الوبا
فيها والله اعلم وان هذا امر استقر عندهم مكنا قال لي وعيب ما يقع من بعض النقاد
بتونس ونحوها رغبتهم بكثرة من لقايهم الاسئلة العويصة في اصول الدين وغيرها
على من يرد عليهم قصدا في تعجيزه وتعنيتهم قال ان من المنقول عن الامام ابي حنيفة
رحمه الله انه حفظت عنه تسعة وتسعون خصلة تقتضي الكفر وواحدة تقتضي
الايمان فان الواحدة المقتضية للايمان تغلب وتبقى حرمتها غالبة انتهى وقد ذكرنا
في الباب الاول من هذا القسم حكاية البصري المفتي القادم من المشرق من البصرة على
عبد الوهاب الحاجب بافريقية في دولة بني المغرفي بباديس وسردنا دخوله عليه في
مجلس انسه وما اتفق في ذلك له معه وانه وصف له بلاد الاندلس وحسنها
وطيبها فارتحل المفتي اليها ومات بها حسبما لخصناه من كلام الكاتب ابن الرقيق الاديب
المورخ في كتابه قطب السرور ولولا انه لم يسم المفتي المذكور لجعلنا له ترجمة في هذا الباب
اذ هو به اليق والامر في ذلك سهل والله الموفق للصواب ومنهم الولي الصالح العارف
بالله سيدي يوسف الدمشقي رضي الله عنه وهو كما قال ابن داود من كبار الاولياء
شاذلي الطريقة قدم من المشرق الى الاندلس وكان بالتي مدينة وادي اش لكثرة بعد الكرة
لزيارة معارف له به وكان من الذين اخفاهم الله لا يعرف بهم الا من يعرف له اعاد الله علينا
من بركاته قال العلامة ابو داود وحدثني مولاي والدي رضي الله تعالى عنه وهو كما
قال العلامة من لفظه بتلمسان امنها الله تعالى يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة بقيت
من شهر ربيع الاول الشريف [illegible] قال دخل علي شهر رمضان المعظم في زمن ولايتي الخطابة
والامامة بالعراض من خارج وادي آش اعادها الله تعالى فقعدت اول ليلة منه منفردا
بالمسجد الاعظم من الرباط المذكور بين العشائين وفكرت في ذكر اتخذه في هذا الشهر المبارك
يكون جامعا بين الدنيا والاخرة فاجمعت على مطالعة حلية النواوي لعلي اقف على ما
اختاره لذلك فلما اصبحت دخلت الى المدينة ولم يكن اطلعت على فكرتي احدا فلقيني
الحاج الاستاذ ابو عبد الله بن خلف رحمه الله تعالى في الطريق فقال لي سيدي يوسف
الدمشقي يسلم عليك ويقول لك الذكر الذي تحمد به هذا الشهر الفاضل اللهم ارزقني
الزهد في الدنيا ونور قلبي بنور معرفتك قال الحافظ الوالد رضي الله عنه وكان هذا سبب تعرفي
له ولقائي اياه وكنت قبل ذلك منكرا عليه لكثرة الدعاوى في هذا الطريق نفع الله
تعالى به انتهى ولنجعل هذه الترجمة اخر هذا الباب تبركا بهذا الولي نفعنا الله ببركاته
مع علمي بان الوافدين من المشرق على الاندلس كثيرون جدا الا ان عدم المادة التي استعين بها
في هذه البلاد تبين عذري ولو اجتمعت على كتبي المخلفة بالمغرب لاتيت في ذلك وغيره بما

يشفي ويكفي وفي الاشارة ما يغني عن الكلم

الباب السابع

في نبذة مما منّ الله به على اهل الاندلس من توقد الاذهان وبذلهم في اكتساب المعارف والمعالي ما عز وهان وحوزهم في ميدان البراعة من قصب اليراعة خصل الرهان وجملة من اجوبتهم الدالة على لوذعيتهم واوصافهم المؤذنة بالمعيتهم وغير ذلك من احوالهم التي لها على فضلهم اوضح برهان

اعلم ان فضل اهل الاندلس ظاهر كما ان حسن بلادهم باهر ولذلك ذكر ابن غالب في فرحة الانفس لما اثنى على الاندلس واهلها ان بطليموس جعل لهم من اجل ولاية الزهرة لبلادهم حسن الهمة في الملبس والمطعم والنظافة والطهارة والحب للهو والغنا وتوليد اللحون ومن اجل ولاية عطارد وحسن التدبير والحرص على طلب العلم وحب الحكمة والفلسفة والعدل والانصاف وذكر ابن غالب ايضا ما خصوا به من تدبير المشتري والمريخ وانتقد عليه بعضهم بان اقاليم الاندلس الرابع والخامس والسادس في ساحلها الشمالي والسابع في جزائر المجوس وللاقليم الرابع الشمس وللخامس الزهرة وللسادس عطارد وللسابع القمر والمشتري للاقليم الثاني والمريخ للثالث ولا مدخل لهما في الاندلس انتهى ثم قال صاحب الفرحة واهل الاندلس عرب في الانساب والعزة والانفة وعلو الهمم وفصاحة الالسن وطيب النفوس واباء الضيم وقلة احتمال الذل والسماحة بما في ايديهم والنزاهة عن الخضوع واتيان الدنية هنديون في افراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وضبطهم لها وروايتهم بغداديون في ظرفهم ونظافتهم ورقة اخلاقهم ونباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم وجودة قرائحهم ولطافة اذهانهم وحدة افكارهم ونفوذ خواطرهم يونانيون في استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغراسات واختيارهم لاجناس الفواكه وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين بانواع الخضر وصنوف الزهر فهم احكم الناس لاسباب الفلاحة ومنهم ابن بطال صاحب كتاب الفلاحة الذي شهدت له التجربة بفضله وهم اصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الاعمال ومقاساة النصب في تحسين الصنائع احذق الناس بالفروسية وابصرهم بالطعن والضرب وعد رحمه الله في فضائلهم اختراعهم للخطوط المخصوصة بهم قال وكان خطهم اولا مشرقيا انتهى قال ابن سعيد اما اصول الخط المشرقي وما تجد له في القلب والعين من القبول فمسلّم له لكن خط الاندلس الذي رأيته في مصاحف ابن غطوس الذي كان بشرق الاندلس وغيره من الخطوط المنسوبة عندهم له حسن فائق ورونق آخذ بالعقل وترتيب يشهد لصاحبه بكثرة الصبر والتجويد انتهى وخلاصة كلام ابن غالب السابق مذكور لابن حزم وقال فيه ان اهل الاندلس صينيون في اتقان الصنائع العملية واحكام المهن الصورية تركيون في معاناة الحروب ومعالجات آلاتها والنظر في مهماتها انتهى وعد ابن غالب في فضائلهم اختراعهم للموشحات التي قد استحسنها اهل المشرق وصاروا ينزعون منزعها واما نظمهم ونثرهم فلا يخفى على من وقف عليهما علو طبقتهما ثم قال ابن غالب ولما نفذ قضاء الله على اهل

الاندلس

الاندلس بخروج اكثرهم عنها في هذه الفتنة الاخيرة المبيرة تفرقوا ببلاد المغرب الاقصى من بر العدوة مع بلاد افريقية فاما اهل البادية فمالوا الى البوادي الى ما اعتادوه وداخلوا اهلها وشاركوهم فيها واستنبطوا المياه وغرسوا الاشجار واحدثوا الارحى الطاحنة بالماء وغير ذلك وعلموهم اشياء لم يكونوا يعلمونها ولا راوها فشرفت بلادهم وصلحت امورهم وكثرت مستغلاتهم وعمتهم الخيرات فهم اشبه الناس باليونانيين فيما ذكرت ولان اليونانيين سكنوا الاندلس فورثوا عنهم ذلك واما اهل الحواضر فمالوا الى الحواضر واستوطنوها فاما اهل الادب فكان منهم الوزراء والكتاب والعمال وجباة الاموال والمستعملون في امور المملكة ولا يستعمل بلدي ما وجد اندلسي واما اهل الصنائع فانهم فاقوا اهل البلاد وقطعوا معاشهم واخملوا اعمالهم وصيروهم اتباعا لهم ومتصرفين بين ايديهم ومتى دخلوا في شغل عملوه في اقرب مدة وافرغوا فيه من انواع الحذق والتجويد ما يميلون به النفوس اليهم ويصير الذكر لهم قال ولا يدفع عنهم هذا الا جاهل او مبطل انتهى وقال ابن سعيد لما ذكر جملة من محاسن الاندلس يعلم الله اني ما اقصد الا انصاف المنصفين الذين لا يميل بهم التعصب ولا يجمح بهم الهوى ولكن الحق احق ان يتبع فلعل متطلعا يقف على ما ذكره ابن غالب فيقول تعصب هذا الرجل لاهل بلده ثم يتمثل السامع لذا الراضي بنقل قوله في هذه الصيغة ويحمله على ذلك بعده عن الارضين

ولو ابصروا ليلى اقروا بحسنها * وقالوا باني في الثناء مقصر

ويكفي في الانصاف انه لولا حضرة مراكش من بغداد المغرب ومن اعظم ما في بر العدوة واكثر مصانعها ومبانيها الجليلة وبساتينها انما ظهرت في مدة بني عبد المومن وكانوا يجلبون لها صناع الاندلس من جزيرتهم وذلك مشهور معلوم الى الان ومدينة تونس بافريقية الان لابي زكريا يحيى بن ابي محمد بن ابي حفص فصار فيها من المباني والبساتين والكروم ما شابهت به بلاد الاندلس وعرفاء صناعها من الاندلس وتمائلها التي يبنى عليها وان كان غيره خلق الله باختراع محاسن هذا الشان فانما اكثرها من اوضاع الاندلسيين ولهم من خاطرهم تنبيهات وزيادة ظهر حسن موقعها ووجوه صنائع دولته لا تكاد تحكم الا من اهل الاندلس فصح قول ابن غالب انتهى قال الحميدي انشد بحضرة بعض ملوك الاندلس قطعة لبعض اهل المشرق وهي

وماذا عليهم لو اثابوا فسلموا * وقد علموا اني المشوق المتيم
سروا ونجوم الليل زهر طوالع * على انهم بالليل للناس انجم
واخفوا على تلك المطايا مسيرهم * فنم عليهم في الظلام التنسم

فافرط بعض الحاضرين في استحسانها وقال هذا ما لا يقدر اندلسي على مثله وبالحضرة ابو بكر بن يحيى بن هذيل فقال بديها

غرفت بعرفا الريح اين تيمموا • واين استقل الظاعنون وخيموا •
خليلى ردانى الى جانب الحمى • فلست الى غير الحمى اتيمم •
ابيت سمير الفرقدين كانما • وسادى قتاد او ضجيعى اراقم •
وارجو اوسنان الجفون كانه • فضيب من الريحان لدن منعم •
نظرت الى اجفانه والى الهوى • فايقنت انى لست منهن اسلم •
كما ان ابراهيم اول نظرة • راى فى الدرارى قال انى سقيم •

انتهى من كلام ابن بسام صاحب الذخيرة فى جزيرة
الاندلس رحمه الله تعالى ومن هنا تم الجزء
الاول بحكم الارادة وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم
على يد العبد الفقير محمد محمد
البحرى الوفاي
المالكى
والحمد
لله

في ١٨ شهر شوال المبارك
سنة ١٣١٠